مجلة الأزهر

٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف
ALAZHAR AL SHARIF

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٤٦

المجلد الرابع والأربعون
السنة ١٣٩٢هـ

سقيفة الصفا العلمية
الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلبة تخفيض خاص

الجزء الأول — السنة الرابعة والأربعون — المحرم سنة ١٣٩٢ هـ — فبراير سنة ١٩٧٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مبدأ وجود جديد .. وتاريخ مجيد

للأستاذ عبد الرحيم فودة

١ - كانت هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين من مكة إلى المدينة مبدأ وجود جديد وتاريخ مجيد ، ولو بقي - صلى الله عليه وسلم - وبقي المسلمون معه في مكة لظل نور الإسلام مختنقا بين شعابها وهضابها والجبال التي تحيط بها . والظلمات التي تلفها حتى ينقضي بانقضائهم وينتهي بانتهائهم ، ثم يسود الركود والجمود والظلم والفساد كما كان قبل مشرق الإسلام ولكن الهجرة نقلت الدعوة الإسلامية إلى أرض أخصب وجو أطيب ، وأفق أرحب ، ومكنت لنورها أن يشرق ويتألق ويزحف خلف جيوش الظلام في كل اتجاه .

٢ - بل لقد كان بقاء النبي والمسلمين في مكة ، مع ما كانوا يعانونه ويقاسونه ويتحملونه من العسف والبغي والاضطهاد مما يتجافى مع ما يدعو إليه الإسلام من عزة وقوة وكرامة ، كما يفهم من قوله تعالى - في الذين آثروا البقاء بمكة ورضوا بأن يعيشوا مستضعفين فيها : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا

فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » .

٣ — فالهجرة كانت تنفيذاً لأمر الله ، ولم تكن استجابة لشعور بالخوف أو حرص على الحياة كما يفهم من قوله تعالى ، فى المهاجرين : « الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » ، ولم تكن عملا مرتجلا كالعمل الذى يثيره الشعور بالجزع والفزع وإنما كانت نتيجة لمقدمات سبقتها ومهدت لها ، فقبلها كانت بيعة العقبة الأولى مع ستة من أهل المدينة ، ثم بيعة العقبة الثانية مع اثنى عشر ، ثم بيعة العقبة الثالثة مع خمسة وسبعين ، ثم انتشار الإسلام فى المدينة حتى لم يبق بها دار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات .

٤ — وقد هال قريشا أن يروا لمحمد — صلى الله عليه وسلم — هذا الأثر والخطر فاجتمعوا فى دار الندوة ليديروا بينهم الرأى فيما يصنعون به ، فمن قائل : نحبسه فى الحديد ثم نغلق عليه الباب ، ومن قائل : نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا ، ثم لا نبالى أين يذهب ، ثم أجمعوا الرأى على ما رآه أبو جهل ، وهو أن يؤخذ من كل قبيلة فتى شاب جلد نهد ، ثم يعمد هؤلاء إليه فيضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه فى القبائل ، ولا يقدر بنو عبد مناف على حربها مجتمعة .

٥ — كان هذا هو تدبيرهم وتقديرهم ، وكان الله معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من الغدر والمكر وسوء التدبير ، فأطلع نبيه على الأمر ، وأحبط تدبيرهم إذ خرج — صلى الله عليه وسلم — على المتربصين به ليقتلوه ، وقد أعماهم الله بالنوم عنه فنثر على رءوسهم التراب ، وهو يتلو قوله تعالى : « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

٦ — ومضى — عليه الصلاة والسلام — مع رفيقه وصديقه أبى بكر ، وبقى هؤلاء ينتظرون خروجه حتى أقبل عليهم واحد ممن لم يكونوا معهم فقال ، ما تنتظرون هاهنا . . ؟ قالوا : محمداً . قال : قد خيبكم الله ، قد — والله — خرج عليكم

محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته ، وأسرع كل منهم فوضع يده على رأسه فإذا عليه تراب .

٧ ـ وطار النبأ إلى جميع الأرجاء والأنحاء . فاهتزت له مكة ، وقامت له قريش وقعدت ، ثم أرسلت الرسل فى طلبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ واقتفاء أثره فى كل جهة وجعلت لمن يأتى به حيا أو ميتاً مائة ناقة ، ومضى النبى مع صاحبه أبى بكر إلى غار ثور فدخلاه وأقاما فيه ، ثم جاء رجال قريش إلى الغار فأحدقوا به. فقال أبو بكر ـ ونفسه تكاد تذهب حزنا على مصير رسول الله ـ واقتربوا من بابه : يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فأجابه النبى ، وكله ثقة واطمئنان إلى نصر الله : لا تحزن إن الله معنا ، ثم كان ما يذكره الله حيث يقول : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » . وعاد هؤلاء كما يقول شوقى رحمه الله :

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم
كباطل من جلال الحق منهزم

٨ ـ هذا هو حادث الهجرة الذى بدأ به المسلمون حياة جديدة ، وجعل عمر رضى الله عنه عامه مبدأ التاريخ الإسلامى ، ثم أظهر الواقع الرائع أنه كان مبـــدأ التحول فى تاريخ الحياة الإنسانية على الأرض ، وفى تنظيم علاقة الناس بالله وعلاقة بعضهم ببعض ، نذكره بهلال المحرم ونذكر معه ما كنا فيه ، وما صرنا إليه ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين ؟

عبد الرحيم فوده

تعدد الزوجات . والطلاق فى الإسلام

للأستاذ مصطفى الطير

قال تعالى :

« فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ،
فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » النساء آية - ٣ -

« الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان »
البقرة آية - ٢٢٩ -

(البيان)

لم يكن زواج الرجل العربى قبل الإسلام مقيدا بعدد معين ، فقد كان يتزوج من النساء مايشاء ، ويعتبر زواجه وجمعه أى عدد منهن حدثا عاديا ، لا يثير عجبا ولا يستتبع تثريبا ، لا من علية القوم ولا من سفلتهم .

ولما أنزل الله تعالى : « فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، للحيلولة دون المظالم والمآثم التى كانت تابعة لحرية الزواج ، أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - من كان عنده أكثر من أربع نساء ، أن يمسك منهن أربعا ، يختارهن كما يشاء ، ويفارق سواهن ليتزوجن من يقوم بأمرهن ، وكان من هؤلاء رجل اسمه غيلان ، أسلم وهو زوج لعشر نساء ، فقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم « أمسك أربعا وفارق سائرهن » ، ومنهم قيس بن الحرث الأسدى ، أسلم وعنده ثمان نسوة ، فأخبر النبى - صلى الله عليه وسلم - ، فقال له : « اختر منهن أربعا وخل سائرهن » أى وفارق باقيهن ولهذا التشريع حكم عديدة .

(أولها) أن الرجل لا يستطيع أن يعول أكثر من أربع من النساء ونسلهن ، فحتى لا يتشرد النساء ويتردين فى مزالق الفاقة هن وأولادهن ، لم يشرع الله أن يجمع منهن أكثر من هذا العدد .

(وثانيها) أنه لا يستطيع إعفاف أكثر من أربع ، فحماية للزوجات من الجنوح إلى الرذيلة وشطط الهوى والجوع الجنسى أوجب الله عليه الاقتصار على أربع لا يتجاوزهن .

(ثالثها) أن إباحة التعدد إلى أربع ، كانت له آثار عظيمة فى زيادة عدد المسلمين وكثرتهم أمام أعدائهم على امتداد العصور ، فخافوهم وفت فى أعضادهم ، فانطلق الإسلام يشق طريقه فى المشارق والمغارب ، لا يخشى أولئك المتربصين .

(رابعها) أن الزوجين قد يكونان متحابين ، ولكن الزوجة لا تنجب أولاداً ، وكلاهما يريد البقاء مع الآخر ، فحفاظا على دوام عشرتهما وطلبا لإنجاب الأولاد ، أبيح للزوج أن يجمع معها غيرها .

وقد وصل إلى علمى أن امرأة أصيلة من هؤلاء العاقرات ، خطبت لزوجها برضاها فتاة ، فلما تزوجها أنجبت له ، وكانت الأولى حانية على الثانية عطوفة على أولادها .

(خامسها) أن الزوجة قد يكون لها أولاد ، ولكنها سيئة العشرة مع زوجها فحذرا من طلاقها وتعرضها وتعرض أولادها للمتاعب الكثيرة أبيح له أن يتزوج معها سواها ، ليستريح من سوء عشرتها معه ، ولتبقى مع أولادها لرعاية شئونهم .

(سادسها) أن الحرب يخوض غمارها الرجال فيموت منهم كثيرون ، وتتأيم بعدهم نساؤهم وتتيتم بناتهم ، ويفقدن من يعولهن ، كما أن عدد النساء فى معظم الأمم أكثر من عدد الرجال ، فيتعرضن بسبب ذلك لأخطاء العرض وأخطار المسغبة ، فلهذا عالج الإسلام كثرتهن وأخطارها بإجازة التعدد على النحو الذى جاء فى الآية الشريفة .

(سابعها) أن إلزام الزوج بزوجة واحدة مهما كانت صفاتها وأحوالها ، يؤدى إلى انتشار البغاء السرى والعلنى واتخاذ الخليلات وإنجاب أولاد غير شرعيين لا ينتسبون إلى والد شرعى ، وتلك ظاهرة لا تحتاج إلى دليل .

فإن الأمم التى تدين بالزوجة الواحدة تنتشر فيها الدعارة بشتى ألوانها المخزية ، وبعض الخاطئات يحملن ويلدن فى دور الولادة العامة ومنهن من يلدن فى عيادات طبية خاصة ، ومنهن من يجهضن أنفسهن بشتى الوسائل ، وكثيرات منهن يمارس

رذيلة السفاح ولا يحملن صناعيا أو لأنهن عاقرات .

ولقد زادت نسبة الانحراف فى هذا العصر ، وولادة الأولاد غير الشرعيين ويدل لذلك أن بعض المعاهد المعنية بالإحصاء فى إحدى الدول التى توجب شريعتها الزوجة الواحدة ، أحصت الأولاد الشرعيين وسواهم سنة ١٩٦٨ ، فوجدت نسبة أولاد السفاح إلى الأولاد الشرعيين واحدا إلى ستة .

وهذا الإحصاء لا يمثل نسبة السفاح على وجه الحقيقة ، فإنه يعتمد على اللائى ولدن فى المستشفيات العامة ، من الفتيات اللاتى لم يسبق لهن زواج ، والنساء المتوفى عنهن أزواجهن والمطلقات مدنيا أو بسبب ثبوت جريمة الزنى عليهن .

وقد أغفل من حسابه اللائى ولدن بالعيادات الخاصة ، والنساء المتزوجات المنحرفات الحاملات من غير أزواجهن وغير المتزوجات اللاتى يستعملن العقار المانع من الحمل ، ويمارسن هذه الرذيلة ، وما أكثر السفاح الذى لم يستعقب أولاداً بسبب استعمال هذا العقار .

فلو استطاعت الجهة التى قامت بهذا الإحصاء ، أن تتعرف هذه الحالات - وما أكثرها - لظهرت نسبة تلك الرذيلة بشكل مروع خطير .

ولا غرابة فى ذلك ، فإن قصر الزوج على زوجة واحدة ، لا يحل له أن يطلقها ولا أن يتزوج معها غيرها ، من أهم الأسباب المستتبعة لتلك الجريمة وآثارها .

فقد تكون المرأة غير جميلة فلا ترضى زوجها ، أو جميلة ولكنها شاذة الطبع مشاكسة ، أو متساهلة فى عرضها ، وهو لا يستطيع أن يثبت انحرافها حتى يطلقها أو غير ذلك من الأسباب ، فيضطر الزوج اضطرارا إلى أن يطلب متعته فى سواها بطريق غير شرعى ، فيتخذ له من الخليلات ما شاء له هواه .

فأيهما أجدى على الخلق ، وأنفع للمجتمع ، أن يباح للرجل تعدد الزوجات بطريق شرعى يستتبع أولادا شرعيين ، أم أن يقتصر على زوجة واحدة لا يتعداها ولا يستطيع طلاقها إن وجد بها ما يمنع دوام العشرة الوادعة الراضية ، ثم يتخذ من الخليلات ما شاء ، وقد يتجاوزن أربعا ، ثم ينسل منهن أولادا غير شرعيين لا شك عند المنصف فى أن الأول هو

الأجدى على الأخلاق، والأنفع للمجتمع.

إننا نسمع من آن لآخر دعوات صريحة فى نواح عديدة فى أوروبا وأمريكا، تدعو إلى تعدد الزوجات حتى من النساء أنفسهن. وهذا وحده يكفى برهانا على أن منع التعدد لا يتفق مع الواقع البشرى.

(متى يباح تعدد الزوجات؟)

إن شريعة الإسلام ناطت تعدد الزوجات، بعدم الخوف من ظلمهن والجور فى حقوقهن المشروعة، من إعفافهن ورزقهن وكسوتهن وإسكانهن فإن خاف الرجال الجور وعدم العدل، وجب اقتصارهم على الواحدة، وحرم تزوجهم أكثر منها، قال تعالى «فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة» ثم قال «ذلك أدنى أن لا تعولوا» أى ذلك الاقتصار على الزوجة الواحدة أقرب من أن لا تجوروا عليهن، أى أنه يبعدكم عن الجور فى حقهن، وإنما حرم التعدد حينئذ، لأن الجور حرام فما يؤدى إليه يكون حراما.

وهذا النص قد أوجب ذلك ديانة بين العبد وربه، ولم يستوجبه قضاء على الناس إلا إذا وقع ظلم بين الزوجات بالفعل. لأن القاضى لا يعلم الغيب ولا يستطيع التنبؤ بما سيقع من أمور، وإنما يفصل فيما وقع بالفعل من ظلم الزوج لزوجاته.

فقوله تعالى «وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة» إنما هو خطاب موجه للمكلفين فى شأن لا يعرف إلا من جهتهم، يرجعون فيه إلى نياتهم وعزائمهم. وليس له من الأمارات الصادقة المضطردة أو الغالبة ما يجعل معرفته وتقديره داخلين تحت سلطان الحاكم حتى يترتب على تلك الأمارات تشريع بمنع تعدد الزوجات أو تقييده [1]

ولا يقال إن القرآن اشترط العدل بين الزوجات وحرم على من يخاف الظلم أن يتزوج على امرأته فوجب أن نبحث عن طريق نقنن به هذا الشرط.

ذلك أن الشريعة الإسلامية لها ناحيتان: ناحية قضائية، وناحية دينية. والعقد على امرأة مع خوف الظلم بين النساء عقد صحيح من الناحية القضائية ولكنه من الناحية الدينية يحوطه الإثم من كل جوانبه فالتحريم هنا أمر يعاقب الله عز وجل على مخالفته وهو العليم بالسرائر. أما القضاء فلا

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة للمرحوم محمود شلتوت صـ ١٩٦.

سبيل له إلا على ما ظهر من الأمور .[1]

فالقاضى يحكم على ما وقع من الأمور أما حكمه على ما سيقع فلا سبيل له إليه فقد يظن فى شخص ما أنه سوف لا يعدل بين زوجاته ، ولكن ظنه قد لا يتحقق لأن بيد الله قلوب العباد وأسباب الخير والشر ، فقد يحدث له من توجيه الله وبما يسوقه إليه من الدواعى ما يحمله على العدل فيخلف به الظنون .

ثم إنه على أى أساس يستطيع القاضى أن يبنى توقعاته وتصوراته لمستقبل تعدد الزوجات يستشف منها قدرته على العدالة أو الإنفاق ؟ .

إذا كانت تعتمد على الشهادة فن شهادة الزور متسع لمن يريد أن يحقق غرضه . وإذا كانت تعتمد على تحريات جهات معينة فهناك أيضا متسع للحيل التى يمكن بها إثبات العدالة والقدرة على الإنفاق . !

وبذلك نفتح الباب على مصراعيه للانهيار الخلق . وتخلخل الأمانة والصدق فى نفوس المواطنين . وهذا أخطر ما تصاب به أمة من الأمم فتقر أعين الأعداء وتثلج صدورهم .

٢ - قضية تعدد الزوجات للدكتور / عبد الناصر العطار ص ١٨٩ - ١٩٠

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

(قضية من الطرائف)

من أطرف القضايا التى عرضت على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، قضية تدل على إمكان صبر المرأة عن زوجها ثلاث ليال ، أخذا من آية إباحة التعدد فى الزوجات وخلاصتها أن امرأة جاءته فقالت ، ياأمير المؤمنين . زوجى يصوم النهار ويقوم الليل ، فقال لها : نعم الزوج زوجك ، فجعلت تكرر عليه القول ويكرر عليها الجواب ، فقال كعب الأسدى : ياأمير المؤمنين ، هذه الزوجة تشكو زوجها فى مباعدته إياها عن فراشه ، فقال له عمر : كما فهمت كلامها فاقض بينهما ، فأحضر زوجها وقال له : إن امرأتك هذه تشكوك ، فقال أفى طعام أم فى شراب ؟ قال لا ، قالت المرأة :

يا أيها القاضى الحكيم رشده
ألهى خليلى عن فراشى مسجده
زهده فى مضجعى تعبده
فاقض القضا كعب ولا تردده
نهاره وليله ما يرقده
فلست فى أمر النساء أحمده

فقال زوجها :

زهدنى فى فرشها وفى الحجل [1]
إنى امرؤ أذهلنى ما قد نزل
فى سورة النحل وفى السبع الطول
وفى كتاب الله تخويف جلل [2]

فقال كعب :

إن لها حقا عليك يا رجل
نصيبها فى أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال : إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فلك ثلاثة أيام بلياليها تعبد فيها ربك ، فقال عمر ، والله ماأدرى من أى أمريك أعجب أمن فهمك أمرهما ، أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك قضاء البصرة .

(الطلاق وحكمته)

أنزل الله تعالى فى الطلاق عدة آيات لتشريع أحكامه المختلفة ، منها قوله تعالى « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

وفى هذه الآية شرع الله الطلاق ثلاث مرات اثنتان منهما تحل المراجعة بعد كلتيهما وقبل انقضاء عدتهما ، والثالثة هى التى عبر عنها بقوله جل ثناؤه « أو تسريح بإحسان » أخرج أبو داود وجماعة عن أبى رزين الأسدى أن رجلا قال : (يا رسول الله إنى أسمع الله تعالى يقول « الطلاق مرتان » فأين الثالثة ؟ فقال « التسريح بإحسان هو الثالثة » .

وقد كان الطلاق والمراجعة قبل نزول هذه الآية بدون قيد ولا عدد ، استتباعا للعهد الجاهلى ، فأنزلها الله للقضاء على مساوىء هذا الإطلاق ، فقد كان يسىء إلى النساء إساءة شديدة ، أخرج مالك والشافعى والترمذى وغيرهم عن عروة قال « كان الرجل إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضى عدتها : كان ذلك له وإن طلقها ألف مرة ، فعمد رجل إلى امرأته فطلقها ، حتى إذا ما شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم طلقها ، ثم قال والله لا أؤويك إلى ولا تخلين أبدا ، فأنزل الله تعالى الآية » .

بهذا التحديد لعدد مرات الطلاق قضى على استغلال الزوج الماجن لإطلاقه وإطلاق الرجعة فى الإضرار بالزوجة

---

١ الحجل جمع حجلة ، وهى بيت يزين بالثياب والستور للعروس

٢ السبع الطول : هى السور السبع الطويلة فى أول القرآن ، والتخويف الذى جاء فيها وفى سورة النحل ، المراد منه آيات الوعيد التى جاءت فيها .

وتعذيبها بتكرار الطلاق والمراجعة كما يشاء ، فلا هو يتركها حتى تنقضى عدتها فتتزوج غيره، ولا هو يمسكها بالمعروف.

وحكمة مشروعية الطلاق أن الزوجين قد يظهر لهما بعد الزواج أنهما غير مؤتلفين فى الطباع والأخلاق، وأن دوام العشرة الطيبة بينهما متعذر، أو قد يطرأ على عشرتهما الطيبة من الأسباب المالية أو الخلقية أو غيرها ما يعكر صفوها ، ويجعل حلوها مرا ونعيمها شقاء ويتعذر علاج الجراح التى سببتها تلك الأحداث، أو أن تكون الزوجة عاقرا والزوج ليس كذلك ويريد الإنجاب ولا يستطيع أن يجمع امرأتين ، فلهذا كله شرع الله الطلاق حتى تستقيم لكليهما حياته إن أصرا أو أحدهما على الانفصال ؛ أو يعود إلى المسىء منهما رشده ، فيؤنبه ضميره على ما اقترف ، ويهيئه إلى رجعة يسود فيها المعروف ، وتزول فيها دواعى المخاصمة والانفعال .

ولهذا شرع الله عدة للمطلقة ، كافية لمراجعة النفس وتهذيبها بعد درس الطلاق القاسى على كليهما ، وشرع الرجعة فى أثنائها ، وجعل الطلاق الذى تحل فى عدته المراجعة مرتين، تكرارا للتأديب إن عادت المساءة مرة أخرى ، وشرع المراجعة مرتين رحمة بالزوجين ، ورغبة فى دوام الترابط بينهما .

فإن تجددت المساءة بعدهما ، ولم يمكن رأب الصدع وجبر الكسر ، وطلقها الزوج لثالث مرة فلا يحل لهما أن يتراجعا ولا أن يعقد عليها ، لا فى العدة ولا بعدها تأديبا للمسىء منهما ، ولتعذر حسن العشرة بينهما .

فإن تزوجت غيره بعد انقضاء عدة الطلاق الثالث ، ثم طلقها الزوج الثانى ، جاز للأول أن يتزوجها بعد انقضاء عدتها من الثانى ، عملا بقول الله تعالى : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » ، ويعود إليه الحق فى عدد الطلاق بالنسبة إليها كما لو كانت زوجة جديدة، وإنما ساغت له العودة إليها شرعا بعد تعذر العشرة بينهما من قبل ، لأن فيما حدث من أدب الطلاق الثلاث والتزوج بزوج آخر ما يكفى لتهذيب المسىء ورد صوابه إليه .

الحكمة فى جعل الطلاق من حق الزوج

جعل الله الطلاق من حق الزوج لحكم عديدة ، منها : أن الزوج هو الذى دفع الصداق ، فلا يصح عقلا أن ينزع منه

حق الطلاق ويعطى للزوجة التى لم تدفع له شيئا تخاف ضياعه ، حتى لا تستعمله سلاحا ضده عند غضبها منه ، فتضيع عليه ما بذله فى سبيلها ، وقد يكون مبلغا كبيرا أنفق فيه الجهد حتى دبره كما أنها بذلك تحمله على تدبير غيره ليتزوج سواها وقد يعجز عن ذلك ، فيتضاعف ضرره أضف إلى ذلك أنها إذا طلقته استفادت نفقة العدة وحضانة الأولاد ، وخسر هو كل شىء ، فيكون وضع هذا السلاح فى يدها شديد الخطورة عليه وعلى أولاده.

ومنها: أن إعطاء حق الطلاق للزوج يجعله يتأنى ويصبر قدر الطاقة على مرارة العشرة فلا يسارع إلى الطلاق ، حذرا من ضياع ماله الذى أنفقه فى صداقها ، وضياع زوجته التى يأمل فى صلاح حالها وضياع أولاده من ولايته ، وحرمانهم من تربيته، وتكبيده نفقة العدة لأمهم وأجرة حضانتها لهم ، وعودته إلى تجربة الزواج من جديد ، وتكبده نفقات قد لا يستطيعها فى سبيل هذا الزواج الذى لا يأمن عاقبته ، فلهذا يسعى جاهدا فى سبيل دوام العشرة ، وإزالة أسباب الخلاف ، حتى لا يتحمل تلك التبعات

لماذا لم يجب الطلاق أمام القضاء ؟

ولم يوجب الشرع الحكيم أن يكون الطلاق أمام القاضى ، لأنه سوف يسأله عن دواعيه وأسبابه ، وقد يكون منها ما لا يليق إعلانه وعرضه أمام القاضى وعلى مسمع المتقاضين ، كالزنى والسرقة ، لما فى ذلك من التشهير بالزوجة وفضيحة أسرتها وأولادها دائما ، وقد يكون سببا فى قتل أهلها لها دفاعا عن شرفهم وكرامتهم ، وهيهات أن يتزوجها غيره بعد أن استعلن أمرها أمام القضاء ، فلهذا جعل حقا للزوج يمارسه دون ضجة أو تشهير .

ويعتبر تشريع الطلاق فى عدده وعدم وجوبه أمام القضاء ، وأن أسبابه ليست قاصرة على الزنى - من محاسن الشريعة الإسلامية الغراء ، ولهذا ترى المطلقة من رجل يتزوجها رجل آخر دون تحرج من أنها طليقة ، لأن معظم أسباب الطلاق فى ديننا ترجع إلى الشقاق ، ورب امرأة تكون غير موفقة فى عشرتها مع زوج إن تزوجت غيره لازمها التوفيق ورفرفت عليها السعادة ؟

مصطفى محمد الطير

وجوب النفير إلى الجهاد إذا ما دعا الإمام

للدكتور محمد أبو شهبة

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما بسندهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح : لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » واللفظ للبخارى ، وفى رواية مسلم «يوم الفتح : فتح مكة » .

تخريج الحديث : روى هذا الحديث مختصرا هكذا الإمام البخارى فى كتاب الجهاد ، باب « فضل الجهاد ، والسير » وباب : « وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية » وباب « لا هجرة بعد الفتح ورواه الإمام مسلم فى كتاب الجهاد - باب : « المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد ... » مختصرا أيضا عن ابن عباس من طرق سبعة ، ورواه عن السيدة عائشة بإسناد واحد بلفظ : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن الهجرة ، فقال: لا هجرة بعد الفتح ...» ورويناه مطولا فى غير هذه المواضع ، وأخرج الحديث أيضا : أبو داود فى الحج ؛ وفى الجهاد منقطعا ، وأخرجه الترمذى فى السير من سننه ، وأخرجه النسائى فى السير ، وفى البيعة ،وفى الحج .

«الشرح والبيان»

« من هو راوى الحديث » ؟ .

هو عبد الله بن العباس ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، أخذ عن النبى ، وعن كبار الصحابة ، وهو من المكثرين من الرواية ، وقد دعا له النبى فقال : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل » فصار حبر القرآن وترجمانه ، توفى بالطائف سنة ثمان وستين للهجرة .

« لا هجرة بعد الفتح ... » .

المراد بالفتح فتح مكة كما بينته روايه مسلم الآنفة ،وفى بعض روايات البخارى « قال يوم فتح مكة ، فالألف واللام للعهد الذهنى .

الهجرة فى اللغة: معناها الترك والمفارقة قال فى المصباح المنير: «الهجرة مفارقة بلد إلى غيره، فإن كانت قربة لله فهى الهجرة الشرعية، وهى اسم من هاجر مهاجرة، وهذه مهاجره على صيغة اسم المفعول - يعنى بضم الميم، وهاء بعدها ألف، وفتح الجيم، آخره ضمير، أى موضع هجرته.

وفى الشرع: الانتقال من مكة إلى المدينة فرارا بالدين، وطلبا لمرضاة الله سبحانه وتعالى ونصرة لرسوله - صلى الله عليه وسلم.

وقد كانت الهجرة من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة واجبة على كل مسلم، غير معذور، والحكمة فى ذلك.

(١) أن يسلم المسلمون من أذى المشركين، فقد كانوا يبالغون فى إيذائهم كى يفتنوهم عن دينهم، فجعل الله لهم فرجا، ومخرجا من الاعتداء، والفتنة وذلك بالهجرة.

(٢) نصرة النبى صلى الله عليه وسلم ومؤازرته فى الدعوة التى كلفه الله بها.

(٣) تكثير سواد المسلمين؛ وجمع شملهم؛ وتقوية صفوفهم؛ ليتمكنوا من هذه النصرة والمؤازرة - أما بعد الفتح فلم تعد الهجرة من مكة إلى المدينة واجبة؛ لأنها صارت دار إسلام؛ وقد تضمن هذا الحديث معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أخبر أن مكة ستستمر دار إسلام؛ وقد وقع الأمر على ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وستستمر دار إسلام إن شاء الله تعالى.

وقيل: معنى الحديث لاهجرة بعد الفتح يكون فضلها كفضلها قبل الفتح؛ فهو مثل قوله تعالى: «لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير» [1] والراجح هو الأول، وأن المنفى هو الوجوب.

وأما الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام فهى باقية إلى يوم القيامة. فإن كان المسلم - ومثله المسلمة - لايمكنه إقامة دينه؛ ولا إظهار شعائره فالهجرة فى حقه واجبة؛ وأما من يتمكن من إظهار دينه وإقامة معالم الشريعة فى دار الكفر

---

١ - الحديد الآية ١٠

فلا تجب الهجرة فى حقه ، ولكن تستحب لتكثير سواد المسلمين ، ومعونتهم ، والاشتغال بما ينفعهم ، وليتخلص من الألم النفسى بمعاشرتهم، أو رؤية المنكرات بينهم ، مع عدم التمكن من التغيير ، فإن كان فى الإقامة فى دار الكفر تبليغ دعوة الإسلام والمنافحة عنه والتعريف بمحاسنه وفضائله فالأفضل فى حقه الإقامة رجاء أن يدخل بدعوته أحد فى الإسلام وأما من لا يمكنه إظهار دينه فى بلاد الكفر ، ولا يتمكن من الهجرة لمرض، أو إكراه على الإقامة فهو معذور لا إثم عليه ، وعليه أن يؤدى فرائض دينه فى الخفاء .

« ولكن جهاد ونية » .

يعنى إن فاتكم شرف الهجرة الواجبة وثوابها فلكم طريق إلى تحصيل الفضائل التى هى فى معنى الهجرة ، وهى الجهاد ، ونية الخير فى كل عمل ، فالهجرة التى هى مفارقة الوطن مكة إلى المدينة ، وإن كانت انقطعت ، ولم تعد واجبة ، لكن المفارقة بسبب الجهاد مازالت باقية وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالخروج فى طلب العلم ، أو الفرار من الفتنة ، أو طلب الرزق بالتجارة والنية الصادقة معتبرة فى كل ذلك، « وإنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرىء مانوى[1] » .

« وإذا استنفرتم فانفروا » .

فى المصباح المنير : « نفر نفرا ، من باب ضرب فى اللغة العالية ، وبها قرأ السبعة ونفر نفورا من باب قعد لغة ، وقرىء بمصدرها فى قوله تعالى « إلا نفورا[2] » والنفير مثل النفور ، والاسم النفر بفتحتين ونفروا إلى الشىء أسرعوا إليه ، ويقال للقوم النافرين لحرب أو غيرها نفير تسمية بالمصدر » وأصل النفير : الخروج من مكان إلى مكان آخر لسبب ، لكن إذا أطلق انصرف إلى الخروج إلى القتال. والسين والتاء للطلب أى إذا طلب منكم الإمام الخروج إلى الغزو والجهاد فى سبيل الله فاخرجوا ، ولا تتقاعسوا ، والمراد بالإمام : الإمام الأعظم من خليفة ، أو ملك ، أو رئيس ، وظاهر الأمر إنما هو للوجوب قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم

(١) حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما .
(٢) فاطر الآية ٤٢ .

بالحياة الدنيا من (١) الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل(٢)» .

وقال تعالى : «انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم ، وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»(٣).

والجهاد شرع فى السنة الثانية من الهجرة حماية للعقيدة وتأمينا لدعوة الإسلام ودفعا لمظالم المشركين والكفار ، وقضاء على مفاسدهم ، ومآثمهم ، وإقامة لمنارة التوحيد ، وتثبيت دعائم الحق ، والعدل والأمان والخير ، والهداية فى الأرض قال عز شأنه : «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور(٤) .»

(١) أى بدل الآخرة وعوضها (٢) التوبة ٣٨
(٣) التوبة الآية ٤١ (٤) الحج ٣٩ - ٤١

والجهاد بذل غاية الوسع والاستطاعة فى مقاتلة الكفار ، والدفاع عن الأديان والأوطان ، وهو يكون بالنفس وبالمال ، وباللسان ؛ ففى الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود ، والنسائى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «جاهدوا المشركين بأموالكم ، وأيديكم وألسنتكم» ، ومن الجهاد مجاهدة الفساق بثنيهم عن فسقهم ، والقضاء على شرورهم ويكون باليد ، واللسان ، والقلب ، ومن الجهاد أيضا مجاهدة النفس ، وهو أعلى أنواع الجهاد ، ومن الجهاد مجاهدة الشيطان ، ودفع وساوسه ، وما يأتى به من الشبهات ، ويزينه من الشهوات .

وقد اختلف العلماء فى الجهاد : أهو فرض عين أم هو فرض كفاية ؟ قال الحافظ بن حجر فى الفتح ما خلاصته : «وللناس فى الجهاد حالان : الأولى فى زمن النبى - صلى الله عليه وسلم - والثانية بعده .

فأما الأولى فقد اختلف العلماء فى : أكان الجهاد فرض عين أم كفاية ؟ قولان مشهوران ، وقال الماوردى : كان عينا على المهاجرين دون غيرهم وقال السهيلى : كان عينا على الأنصار دون

غيرهم ، وقيل كان عينا فى الغـزوة التى يخرج فيها النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ دون غيرها .. إلى أن قال : والتحقيق أنه كان فرض عين على من عينـه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حقه ، ولو لم يخرج ، وفرض كفاية فى حق غيره .

الحال الثانية : بعده صلى الله عليه وسلم فهو فرض كفاية على المشهور إلا أن تدعو الحاجة إليه كأن يدهم العدو بلاد المسلمين فيـكون فرض عين ، ويتعين على من عينه الإمام ،ويتأدى فرض الـكفاية بفعله مرة فى السنة عند الجمهور ، وقيل : يجب كلما أمكن ، وهو قوى ثم قال : والذى يظهر لى أنه استمر على ما كان عليه فى زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أن تـكاملت فتوح معظم البلدان وانتشر الإسلام فى أقطـار الأرض ، ثم صار إلى ما تقـدم ذكره ، والتحقيق أيضا أن جنس جهاد الـكفار متعين على كل مسلم إما بيده ، وإما بلسانه ، وإما بماله ، وإما بقلبه [1] » .

والذى يظهر لى أن الجهاد يـكون فرض كفاية [1] فى حالات السلم ، وأنه يجب أن يمرن عليه الأمة كلها ، ويستبقى منهم فى الجيش العامل ما يحفظ للبلاد هيبتها وحدودها ، أما فى حالات الحرب الفعلية فالجهاد فرض عين على كل مسلم إما بالنفس عند من يقدر عليه ، ويتأهـل له ، وإما بالمال لمن لم يقدر على الجهـاد بالنفس ، وإما باللسان والقـلم لمن يقدر على ذلك فقد أصبح حرب الدعاية باللسان أو القلم من أسباب النصر ، واكتساب الأنصار والأعوان . ومن هو فى المزرعة ، أو فى المصنع عليه نوع من الجهاد وهو الإخلاص فى العمل ، والعمل على زيادة الإنتاج .

وأيضا من هو متخصص فى علم من العلوم العسكرية ، أو المدنية ، ولا يوجد غيره ممن يقـوم بذلك فى الجيش يصبح الجهاد فى حقه فرض عين ، وهـكذا نرى

---

(١) فتح البـارى جـ ٦ صـ ٢٨ .

« ١ » أى إذا قام به البعض سقط عن الباقين ولا يتعين هذا البعض ، فإن فرطت الأمة فيه فقد أثمت كلها واستدل لفرض الـكفاية بقوله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » أى هلا نفرت طائفة للجهاد ، وبقيت طائفـة لتلقى العلم ، وتعلم القرآن والتفقه فى الدين .

أن كل مواطن عليه نوع من أنواع الجهاد ولا سيما فى هذه الفترة الحرجة التى ندافع فيها عن أرضنا، وأوطاننا، وكرامتنا.

ومن السلف الصالح من كان يرى أن الجهاد فرض عين على أى حال، وفى جميع الأزمان، ويستدلون بقول الحق تبارك وتعالى: «انفروا خفافا، وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» أى شبابا، وشيبا، ورجالا، وركبانا، وأغنياء وفقراء، وأقوياء، وضعفاء ومن كان يرى هذا الرأى السادة الأخيار: أبو أيوب الأنصارى، وأبو طلحة الأنصارى، والمقداد بن الأسود وغيرهم من الصحابة، ومن التابعين: سعيد ابن المسيب، وقد كان سيدنا أبو أيوب يستدل بالآية السابقة كما كان يرى - ونعما رأى - أن الرغبة عن الجهاد، والاشتغال بالأهل، والمال، إلقاء بالنفس إلى التهلكة مستدلا بقوله تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»(1) البقرة الآية (١٩٥).

وقد لزم - رضى الله عنه - الجهاد فى حياة الرسول وبعده، ولم يتخلف عن غزوة قط، ولما حدثت الفتنة بين على، ومعاوية انحاز إلى جانب سيدنا على، وشهد معه قتال الخوارج، ولما أرسل معاوية ابنه يزيد على رأس جيش لفتح القسطنطينية تحرج فى أول الأمر أن يخرج ويزيد أمير الجيش، ولكن نفسه التواقة إلى الجهاد نازعته فقال: (وما ضرنى من أن أستعمل على الجيش) فلحق بالجيش وأبلى بلاء حسنا، ثم مرض فعاده يزيد، فقال له: ما حاجتك؟ قال حاجتى إذا أنا مت أن تركب بى، ما وجدت مساغا فى أرض العدو، فإذا لم تجد فادفنى، ثم ارجع، فلما توفى صلى عليه يزيد والمسلمون، ونفذوا ما أوصى، فدفن بجوار أسوار القسطنطينية شاهدا على لون من ألوان البطولة الإسلامية الفذة وذلك سنة اثنتين وخمسين - فرضى الله عنه وأرضاه - ومثل آخر لن يقل عن هذا روعة، ودلالة على حب المسلمين الأولين للجهاد، وحرصهم على الموت فى سبيل الله تبارك وتعالى أكثر من حرصهم على الحياة، فقد روى أن أبا طلحة الأنصارى صاحب رسول الله - صلى الله

1 - تفسير ابن كثير والبغوى ج١ ص٤٣٨

عليه وسلم ـ وأحد الأبطال الذين أحاطوا برسول الله ، وماخوا عنه يوم أحد ـ قرأ سورة التوبة وهو شيخ كبير ، فأتى على هذه الآية «انفروا خفافا وثقالا ...» فقال: أرى ربنا استنفرنا شيوخا، وشبابا، جهزونى يا بنى، فقال بنوه : يرحمك الله، قد غزوت مع ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حتى مات ، ومع أبى بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك ، فأبى ! فركب البحر غازيا ، فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنونه بها إلا بعد تسعة أيام ، ولم يتغير ، فدفنوه بها وروى ابن جرير الطبرى عن أبى راشد أنه رأى المقداد بن الأسود فارس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحمص يريد الغزو وكان شيخا كبيرا، هما، قد سقط حاجباه على عينيه ، فقال له : لقد أعذر الله تعالى إليك ، فقال : أبت علينا سورة البحوث [١] يريد هذه الآية من سورة التوبة [٢] .

وقال الإمام الزهرى : خرج سعيد ابن المسيب إلى الغزو ـ وسعيد هذا أعلم التابعين ـ وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل صاحب ضر ، فقال : استغفر الله الخفيف ، والثقيل ، فإن لم يمكننى الحرب كثرت السواد ، وحفظت المتاع ، وقد صدق ـ رحمه الله ـ فالجندى فى الميدان فى حاجة إلى من يعد الطعام ، ويؤمن التموين ، ويحافظ على المتاع ، وبحسب هؤلاء السادة الأمجاد أنهم مجتهدون فى فهم الآية ، فإن أصابوا فلهم أجران ، وإن لم يصيبوا فلهم أجر ، وبحسبهم فضلا هذه النية الصادقة، وبهؤلاء الأبطال المغاوير، وأمثالهم ـ وما أكثرهم ـ مكن الله للمسلمين فى الأرض ، وانتشر الإسلام حتى بلغ المشارق والمغارب .

ومهما يكن من شىء فقد اتفق العلماء ، والأئمة على أن الجهاد يصير فرض عين فى حالات ثلاث :

الأولى : إذا هاجم الكفار بلدا من بلاد الإسلام ، أو نزلوا فيه تعين على أهله قتالهم ، ودفعهم بما استطاعوا ووجب على إخوانهم المسلمين فى كل قطر وبلد أن يخفوا إليهم بالعون والمساعدة ،

---

١ ـ البحوث : صيغة مبالغة من البحث سميت بذلك سورة براءة لأنها بالغت فى البحث عن أحوال المنافقين .

٢ ـ تفسير ابن كثير والبغوى ج٤ ص ١٧٥

أداء لحق الأخوة الإسلامية، ففي الحديث الصحيح أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله » ، أي لا يخذله إذا استنصر به ، وفي رواية أخرى « ولا يسلمه » أي يتركه لأعدائه ينالون منه، رواه الشيخان.

الثانية : إذا استنفر ولى الأمر ـ خليفة ، أو ملكا ، أو رئيسا ـ قوما ، أو أقواما لزمهم الخروج وتعين عليهم الجهاد ، وذلك لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض .. » ، ولهذا الحديث الصحيح المتفق عليه ، وفي معنى الاستنفار إعلان التعبئة العامة في العصر الحديث .

الثالثة : إذا التقى الجيشان ، وتقابل الصفان تعين على من حضر الجهاد ، وحرم عليه الفرار ، وسنعرض إن شاء الله للتولي يوم الزحف ، وأنه من أكبر الكبائر في الإسلام .

ومما قدمناه يتبين أن حتمية الجهاد اليوم، وفرضيته العينية على كل مسلم وعربي أمر متفق عليه من جميع العلماء ، فقد احتلت إسرائيل أراضي واسعة من بلاد الإسلام والعروبة ، والإسلام لا يعرف الفواصل السياسية ، ولا الحواجز الطبيعية ، فكل الأراضي الإسلامية في شرعة الإسلام سواء ، وكل بلد يجب على المسلمين أن ينافحوا عنه .

ولم يقف الأمر عند هذا فقد سلب قطر بأجمعه ، وشرد أهله في الصحارى والقفار ، وأصبح لا مأوى لهم إلا الخيام فماذا تنتظرون بعد يا مسلمون ، ويا عرب ؟ ! ! ؟

د . محمد محمد أبو شهبة

قال الله تعالى :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم » (البقرة ١٩٠ - ١٩٢)

مما يكره الإسلام

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ، ومن خاصم فى باطل وهو يعلمه لم يزل فى سخط الله حتى ينزع عنه ، ومن قال فى مؤمن ماليس فيه أسكنه الله فى ردغة الخبال حتى يخرج مما قال ، ومن أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله عز وجل) . رواه أبو داود .

أعمال الإنسان كثيرة منوعة تصدر عنه غالبا حسب رغبته ومصلحته وشهوته دون رعاية لصالح الآخرين ورغباتهم ، فكان من مقتضى الحكمة الإلهية أن توضع موازين لتلك الأعمال تنظمها وتوفق بها بين مصالح الناس ورغباتهم دفعا للتظالم والتصارع بين الجماعات وتحقيقا لأمنها واستقرارها وهذه الموازين هى الأحكام الإلهية التى بعث الله بها الرسل إلى بنى البشر وأوصاهم أن يبلغوها وينفذوها حتى تستقر فى نفوس الناس وتأخذ منها مكان العقائد ، يحرم التهاون بها والتفريط فى شأنها . وقد سمى الله هذه الموازين حدودا اهتماما بها وتقديرا لها ، وإشارة إلى أنها الفيصل بين الحلال والحرام وبين ما يجوز وما لا يجوز وإشارة إلى أنه لا ينبغى تعديها وأن من تعداها فقد استهدف للخطر والهلاك ، ولقد كرر القرآن الكريم فى آيات كثيرة التحذير من مخالفة حدود الله وتعديها ، فقال تعالى : « وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » وقال جل شأنه « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » .

ولقد تناولت الشريعة بأحكامها المختلفة نشاط الإنسان وأعماله ووضعت له الموازين الدقيقة فى ذلك لخطورة تلك الأعمال وأثرها فى المجتمع نفعا أو ضرا وخيرا أو شرا فشددت فى بعض الأحكام وخففت فى بعضها حسب طبيعة العمل فكانت أنواع الأحكام من حل وحرمة وكراهة واستحباب .

والملاحظ بوجه عام أن الشريعة

تشدد فى الأحكام التى تتعلق بمصلحة الجماعة ويكون لها شأن فى أمنها واستقرارها وتلاحمها وتماسكها، كما شددت فى الأحكام التى تتعلق بدماء الناس وأعراضهم وأموالهم، ومن مظاهر ذلك القصاص فى القتل وفى الأطراف والقطع فى السرقة وحد القذف فى الإحصان .

وكما شددت فى هذه الأحكام شددت فى تنفيذها ولم تسمح بتعطيلها مهما كان السبب . وفى حديثنا الذى صدرنا به هذه الكلمة مظهر من مظاهر العناية ببعض تلك الأحكام التى تتعلق بمصلحة الجماعة.

وقبل أن نأخذ فى بيانها ينبغى أن نلفت النظر إلى أن من قواعد الإسلام أن جميع أفراد الأمة الإسلامية سواسية أمام القوانين الإسلامية فالملوك والرؤساء والرعايا والأغنياء والفقراء والأقوياء والضعفاء يؤخذون بهذه القوانين دون استثناء ودون ملاحظة لأى اعتبار لأن الاستثناء فيها يخل بالقصد منها ويذهب بقدسيتها ويغض من هيبتها ويدعو إلى السخرية بها .

وأهم سمات الأمم المتحضرة والجماعات الراقية احترام القوانين والإيمان بها والاطمئنان إليها والخضوع لما تفرضه والكف عن التحايل عليها والتهرب من سلطانها ، وستأتى الإشارة إلى بعض مواقف المسلمين من قانونهم ، وكيف كانت عدالتهم ونزاهتهم فى تطبيقه وكيف كان تقبلهم لما يمليه ويوجبه حتى بلغ من حرصهم عليه أن الرجل كان يبلغ عن نفسه ان خالفه ولو بلغت العقوبة إتلاف نفسه والقضاء على حياته .

روى الإمام البخارى وغيره أن أحد المسلمين أبلغ عن نفسه أنه خالف قانون العفاف الإسلامى واقترف الفاحشة وشهد بهذا أربع مرات فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمه فرجم أى قتل رميا بالحجارة ولا غرابة فى أن يقع ذلك من المسلمين الصادقين فمخالفة القانون تعنى مخالفة الدين، ومخالفة الدين جرم يضيق به ضمير المسلم ووجدانه ولا يرضى عن نفسه إلا إذا تدارك ما فات وكفر عما صنع .

وتطبيقا لمبدأ احترام القوانين الإسلامية وحرصا على تنفيذها ، حرم الإسلام الشفاعة فى تعطيل حدوده والوساطة فى تعويق تنفيذها ، وأوعد على ذلك بأشد العقاب، وصور من يحاول ذلك بصورة من يضاد الله ويعانده ويحاده ويحاربه، وويل لمن يحاد الله ورسوله، لأن

من يحاد الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ولهذا اشتد غضب النبي صلى الله عليه وسلم حين شفعوا إليه حبه أسامة بن زيد ليقف الحد في امرأة استوجبت حدا وقال في ذلك قولته المشهورة: (أتشفع في حد من حدود الله ؟) ثم قام فخطب وقال: (أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف منهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها).

بهذا حسم النبي الأمر وسد منافذ المحسوبية والمحاباة والفرار من العقوبات وقد أثمر هذا الحزم والحسم ثمرته وكان للقوانين الإسلامية آثارها وسلطانها في ردع النفوس وتقليل الجرائم واطمئنان الناس على أنفسهم وأموالهم، ولا ننسى أن نذكر هنا بالفخار صنيع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصرامته في تطبيق الحدود وغيرته عليها فقد أعاد الحد بيده على ابنه حين اقترف ما استوجب الحد ولم يكتف بما صنعه في ذلك واليه عمرو بن العاص لأنه شم منه رائحة المحسوبية ليرضى ضميره بإرضاء ربه، ولو سلك بالقوانين هذه المسالك واقتصد في التأويلات والتخريجات وطبقت بمفهومها الواضح لكان لها من الآثار ما قصد منها من صيانة الدماء والأعراض والأموال.

ومما يتصل بموضوع القوانين مما تعرض له الحديث، موضوع الخصومة باب من أبواب الشر والفتنة وتصديع بناء الأمة، لأنها توغر الصدر وتهيج الغضب لهذا كرهها الإسلام وأوصى بإغلاق أبوابها بالصفح والتسامح، وفي الحديث أن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم، وعن مالك رضي الله عنه: المراء يقسي القلب ويورث الفتنة.

وإذا كانت الخصومة مكروهة في نظر الإسلام بوجه عام، فإن الخصومة في الباطل ومحاولة اغتصاب حقوق الناس أشد بغضا وكراهية، وهي من الجرائم الكبرى التي تستجلب سخط الله وغضبه وإبعاد صاحبها من ساحة رحمته، ومن يقتطع بهذه الخصومة الباطلة شيئا من حقوق المسلمين فلا يفرح بما ظفر به وليعلم أنه أورد نفسه مورد التهلكة إلا أن يتوب مما اجترم وليتحلل مما ظلم فيرد ما أخذه إلى أصحابه ويستغفر الله مما عمل وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلى، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار).

ومن الخصومة فى الباطل خوض المسلم فى أخيه المسلم وتناوله فى غيبته بما يكره سواء كان ما تحدث به عنه مما يتصف به حقيقة أو تهمة لا أساس لها من واقع الحال وسواء كان صراحة أو كناية أو إشارة أو رمزا، وسواء كان مايذكره عنه مما يتعلق بدينه أودنياه وبخلقه أوخلقه وهذا الصنيع هو ما يعرفه المسلمون بالغيبة ويكرهونها ديناومروءة ويستوى فى معرفتها وكراهتها صغيرهم وكبيرهم ، ويحفظ أكثرهم تلك الآيات الكريمة التى تصورها فى أبشع الصور حيث يقول جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » فقدشبه القرآن من يغتاب أخاه المؤمن بمن يأكل لحمه ميتا ، وليس فى طاقة البيان البشرى أن يقع على مثل هذا التشبيه وتصوير ما فى الغيبة من بشاعة وفظاعة فالمغتاب فى نظر القرآن إنسان يأكل لحم أخيه وهو جيفة مرمة تقزع لها النفس ويقشعر لهو لها البدن.

ويعجبنى فى ذلك قول بعض العلماء: قد صور الله المغتاب على أفحش وجه وأشنعه وضرب له مثلا من يأكل لحم أخيه ميتا ذلك أن صاحب العرض يغار على عرضه ويتألم له كما يألم الرجل من تمزيق لحمه فالمغتاب يمزق لحم من أغتابه ، ولما كان ممزق اللحم غير حاضر وغير محس تمزيق عرضه وقت الغيبة ،كان كالميت إذا مزق لحمه وكان المغتاب آكلا لحم أخيه ميتا .

وكل خصومة قد يكون للمخاصم فيها حظ إلا هذه الخصومة فإنها زرع لا حصاد له إلا الشر والفرقة والضغينة ، ولهذا أنذر الله المغتاب بما لم ينذر به غيره حيث جعل مصيره فى ردغة الخبال يوم القيامة وردغة الخبال عصارة أهل النار .

ومن الخصومة فى الباطل الإعانة على الخصومة فى الباطل أيا كانت دوافعها من القربى والصداقة والحسب والجاه والإغراء بالمال ليعين الظالم على استلاب حقوق الناس وذلك هو الظلم الذى لا يتهاون فيه الإسلام وهو من التعاون الذى يكرهه

الإسلام لأنه تعاون على الإثم والعدوان أما من يعين فى خصومة بحق فلا حرج عليه فيما يصنع وهو مأجور عليه كما قال تعالى : « وتعـــاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، إن إعانة الظالم على الظلم تشجيع له على ظلمه وإغراء له به وإشاعة لهذه الرذيلة فى كيان الأمة ، فالنفوس ميالة بطبعها إلى الاقتـداء فى التغالب والتظالم .

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذاعفة فلعلة لا يظلم

وليحذر معين الظالم على ظلمه خطر ما يصنع على نفسه وعلى مجتمعه فقد تدور الدائرة عليه ويفعل به الظالم ما فعل بغيره كما قال تعالى: « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون » وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أعان ظالما سلطه الله عليه) ولو كان معين الظالم قد وقف فى جانب الحق وسانده ودافع الظالم وكفه عن ظلمه لمـا تعرض هو ولا غيره لمـا تعرضوا له ولخلصت الجماعة من التخاصم والتناحر ولتوفر كثير من الأموال فيما ينفق فى مسالك الباطل وسبل الكسب الخبيث الذى لا يبارك الله فيه ويكون وبالا على صاحبه يوم القيامة وفى الصحيح: (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين) .

وقد كرر القرآن القول فى تعظيم حقوق الناس وحرماتهم ووجوب مراعاتها حرصا على وحدة الجماعة واستقرارها وحفاظا على نظامها ومن هنا ذهب جمهور العلماء إلى أن حق العبد مقدم على حق الرب ، لأن باب عفو الله واسع ورحاب فضـله فسيحة ، وهو أرحم بعباده من الوالدة لولدها ، أما العبـد فقلما يسمح فى حق من حقوقه وستتقاضاه يوم توفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون .

قال الإمام الغزالى: فى سياق كلامه على بيان الفرق بين حق العبد وحق الرب : وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ وما بينه وبين الله تعـالى إذا لم يـكن شركا فالعفو فيه أرجى وأقرب وقد جاء فى الخبر : الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك ، فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تـعالى وأما الديوان الذى لا يغفر فالشرك بالله والذى لا يترك فمظالم العباد ؟

أبو الوفا المراغى

في موكب عاشوراء

للأستاذ محمد الشرقاوي

هو اليوم العاشر من شهر المحرم، الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر الله ، تشريفا له ، وإعرابا عن زيادة فضله وتقديره .. إذ لا يضاف إلى الله تعالى إلا خواص مخلوقاته ، ولعل حكمة هذه الإضافة هو الإشارة إلا أن تحريم هذا الشهر الحرام ثابت عند الله وليس لغيره سلطة إحلاله وتحريم غيره كما كان الجاهليون يفعلون حيث كانوا يحلونه عاماً ، ويحرمون مكانه صفرا ... وهو الذى سماه القرآن الكريم نسيئاً ، وجعله زيادة فى الكفر والضلال .

وقد كان ليوم عاشوراء منزلة القداسة والتكريم منذ اللحظة الأولى فى حياة الرسالة المحمدية ..

فحين كان الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة أحياه بالصيام ، وإن لم يأمر الناس يومئذ بمشاركته فى هذا الصيام وهذا دليل العراقة والأصالة فى عبادة هذا اليوم، وشغله بالصيام، وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : (كان عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه .. فلما نزلت فريضة شهر رمضان ، كان رمضان هو الذى يصومه .. فترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء أفطره) .

فهذا الحديث الشريف يخطط المراحل التى مر بها صوم عاشوراء منذ البداية .. فكانت المرحلة الأولى فى مكة قبل الهجرة حيث صامه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يأمر أحدا من المسلمين بصيامه ، فلما انتقل إلى المدينة مهاجرا اتخذ صيام عاشوراء صفة ثانية حيث صامه الرسول عليه الصلاة والسلام وأمر الناس بمتابعته فى صيامه ، وهنا تختلف آراء العلماء : فمنهم من قال أنه أمر على سبيل الوجوب ومنهم من يرى إنه طلب على سبيل السنة المؤكدة .. ومهما يكن من أمر فقد

صامه المسلمون بعد الهجرة بعد أن علموا بصيام الرسول له ، واستمعوا إلى تعليله فى شأن تعظيم هذا اليوم وأمره بالصيام فيه .. بل إنهم صوموا فيه أطفالهم أيضا إلى جانب كبارهم ..

وفى ذلك يروى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء ، فقال لهم : ما هذا اليوم الذى تصومونه قالوا : هذا يوم عظيم ، أنجى الله فيه موسى وقومه ، وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا ، فنحن نصومه ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه » .

وفى الصحيحين أيضاً عن الربيع بنت معوذ قالت : « أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التى حول المدينه : من كان أصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ، فكنا بعد ذلك نصومه ، ونصوم صبياننا الصغار منهم ، ونذهب إلى المسجد ، فنجعل لهم اللعبة من العهن ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياها حتى يكون عند الأفطار » وفى رواية : « فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم » والعهن هو الصوف .

وفى هذه المرحلة الثانية لصوم عاشوراء ، وصل الأمر به ، والالتفات إليه ذروته حين صامه المسلمون بأمر مؤكد من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن تنزل شريعة الصوم فى رمضان من السنة الثانية للهجرة ، ويبدو أن الأمر به كان أكثر من سنة حسبما يعرفها الفقهاء بدليل النداء الموجه إلى القرى المحيطة بالمدينة ، وهو يحمل الطلب إلى من أصبح صائما ومن أصبح مفطراً على السواء ، ومثل هذا الاهتمام الظاهر لا يكون عادة إلا فى الواجبات لا فى السنن حتى إن النساء استشعرت مضمون الأمر وخطره ، فصمن ، وصومن أطفالهن .

وفى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة فرض صيام رمضان [1] فبدأت بذلك مرحلة جديدة فى صيام عاشوراء إذ تخلى

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٤٧

الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الأمر به للناس ، وتركهم لحريتهم فمن شاء صامه ، ومن شاء أفطره ، وكان بعض الصحابة فى هذه الأثناء لا يصومه مسايرة لحالة الترك التى ظهرت فى أعقاب فرضية رمضان والتى عبر عنها حديث عائشة السابق، ويؤيده ماجاء فى الصحيحين أيضاً عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « صام النبى - صلى الله عليه وسلم - عاشوراء ؛ وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك ذلك » ، وكان عبد الله لا يصومه إلا أن يوافق صومه ، وماروى فيهما أيضاً عن معاوية قال : « سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب الله عليكم صيامه ، وأنا صائم ، فمن شاء فليصم ، ومن شاء فليفطر » ومن هذا الحديث نعلم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يقلع عن صيامه حتى بعد فرضية الصيام فى رمضان بيد أنه بين للناس أنه صيام غير مفروض على الأمة ، وهذا يفسر معنى الترك فى حديثى عائشة وابن عمر رضى الله عنهم ويبين أن المقصود به ترك الأمر والتأكيد فى صيامه الأمر الذى كان قائما بعد دخول الرسول المدينة فى هجرته وقبل فرض صيام رمضان .

وهنا تبدو الحكمة واضحة فى التخلى عن تأكيد الأمر بصيام عاشوراء ، وإناطته بمشيئة الصائمين الحرة التى يستوى فيها الفعل والترك حتى إن عبد الله لم يصمه وهو من أحرص الناس على اقتفاء سنة الرسول ، ومن أشدهم تتبعا لأعماله وآثاره ، فلعل صيام الرسول فى هذه الفترة كان خاصا به ، أو كان عملا من أعمال المشيئة الحرة التى أتاحها للصحابة فى صوم عاشوراء فى تلك المرحلة .. والظاهر أن الهدف من ذلك هو إبراز رمضان وحده فى إطار الفرضية والتحتم بصورة واضحة تمام الوضوح ، وذلك بتجريد صيامه الفرض عن كل صيام واجب آخر .. أو حتى مسنون سنة مؤكدة ، وإفراده بالإنجاز اللازم بدون مشاكلة أو ملابسة فى هذه الفترة التشريعية الحاسمة .. ولعل هذا هو السر فى عودة الأمر بعد ذلك بصيام عاشوراء وهو مبدأ المرحلة الأخيرة فى صيام هذا اليوم وهى التى استقر عليها العمل ،

وانتهى إليها فقه الفقهاء، واجتهاد المجتهدين الذى رأوا فى ذلك آراء متفاوتة بين السنية والاستحباب ، فأكثرهم على استحباب صيامه من غير تأكيد . ومنهم من جعله سنة مع التاسع ، وجعل من المكروه تنزيها صوم عاشوراء مفردا عن التاسع أو عن الحادى عشر وهو مذهب الحنفية ويرى غيرهم : أن صيام التاسع والعاشر مندوب .

وتتميز هذه المرحلة الأخيرة بميزة إضافة اليوم التاسع أو الحادى عشر إلى صيام عاشوراء وقد ذكر الهدف من ذلك فى رواية مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « حين صام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاشوراء وأمر بصيامه قالوا : يا رسول الله .. إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى .. فقال : فإذا كان العام المقبل صمنا التاسع» وفى رواية: « لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع مع العاشر» فظهر أن هذه الإضافة الجديدة لصيام عاشوراء وإشراك اليوم التاسع معه أو الحادى عشر كما جاء فى بعض الروايات إنما كانت لمخالفة أهل الكتاب فى شكل صيامهم له ، وقد جاءت هذه المخالفة فى صورتين أولاهما: عدم اتخاذه عيدا والاقتصار على صيامه ، وكان أهل الكتاب تعظمه وتتخذه عيدا .

كما فى الصحيحين عن أبى موسى قال : « كان يوم عاشوراء يوما تعظمه اليهود وتتخذه عيدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوموه أنتم » ، وثانيتهما وقوع صيامه مسبوقا أو مشفوعا بصيام يوم آخر معه ، وكانوا يصومونه مفردا وكان من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتحرى مخالفتهم فى كل ما يتصل بالدين حتى يعزلهم بضلالهم عن الدين الحق ومن هذه المخالفة ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم السبت مع يوم الأحد بصفة غالبة ويقول : إنهما يوما عيد للمشركين فأنا أحب أن أخالفهم » فإذا جمع اليومين فى صيام متتابع فقد خالف بذلك كلا من اليهود التى تعظم السبت وحده والنصارى التى تعظم الأحد وحده .

وبعد : فقد تبلور صيام عاشوراء على النحو الآتى :

(١) قبل الهجرة فى مكة : صامه

الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحده ولم يأمر أحدا بصيامه .

(٢) بعد الهجرة وقبل فرضية صيام رمضان في المدينة : صامه وأمر بصيامه على سبيل الوجوب كما هـو الراجح أو السنية المؤكدة .

(٣) بعد فرضية صيام رمضان: صامه ولم يأمر بصيامه وترك للإرادة الشخصية ولم يصمه بعض الصحابة .

(٤) في أواخر أيامه صلى الله عليه وسلم : صامه وأمر بصيامه ، ودعا إلى إضافة اليوم التاسع أو الحادي عشر إليه وبهذا استقر أمره وصار صيامه سنة عند الحنفية مع إضافة يوم إليه أو مندوبا عند غيرهم مع إضافة التاسع له .. وعلى هذا روى البخاري ومسلم أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن يوم عاشوراء فقال : « ما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صام يوما يتحرى فضله على الأيام إلا هـذا اليوم » ، ولما كان ابن عباس في أخريات عهد النبوة حديث السن فإنه يحكي آخر ما استقرت عليه الرسالة ؟

محمد محمد الشرقاوي

قال الله تعالى : -

« والفجر . وليال عشر . والشفع والوتر . والليل إذا يسر . هل في ذلك قسم لذي حجر . ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد . الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد » . (الفجر : ١ - ١٤)

أجساد لا تأكلها الأرض

للأستاذ علي الجندي

جاء في الآثار الصحيحة «أن الأرض لا تأكل أجسام الأنبياء والشهداء والأولياء».

وقد يتمارى في هذا بعض علماء الطبيعة والطب، الذين لا يؤمنون بما وراء المعمل ولكن المتحققين بعلوم الأديان يؤمنون بذلك، استدلالا بالنصوص الثابتة، واعتمادا على العيان والمشاهدة والأخبار التاريخية الموثوق بها.

وفيما يلي نورد بعض ما وقفنا عليه في هذا السبيل مسندا إلى مصادره.

١ — دفن عليه الصلاة والسلام عبدالله ابن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجموح في قبر واحد، لما كان بينهما من المحبة، وقال: «ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد».

ثم حفر عنهما بعد زمن طويل، ويد عبد الله بن عمرو بن حرام على جراحته — كما وضعها حين جرح — فأميطت يده عن جراحته فانبعث الدم!! فردت إلى مكانها فسكن الدم.

٢ — وعن جابر بن عبدالله — رضي الله عنهما — قال: لما حضرت «أحد» دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي — صلى الله عليه وسلم — وإني لا أترك بعدي أعز علي منك، غير نفس رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإن علي دينا، فاقض واستوص بإخوانك خيرا.

فأصبحنا فكان أول قتيل قتل!! ودفنت معه آخر في قبره.

قال: ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته، غير أذنه فجعلته في قبره على حدة (١). «رواه البخاري»

وفي أخبار عبدالله: أنه سيقتل في أول من يقتل، كرامة لهذا الصحابي الشهيد، زيادة على كرامة الاستشهاد، فقد صدق الله ظنه، وحقق قوله وبلغه أمنيته!!

---

(١) دليل الفالحين شرح رياض الصالحين -٧- ص ٣٥٣ - ٣٥٧.

٣ — وعن جابر - أيضاً - قال: دخلت بأبي وخالي المدينة - وقد قتلا في غزوة أحد لندفنهما في مقابرنا .

فجاء رجل ينادي : ألا إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت قال : فرجعنا فدفناهما حيث قتلا .

فبينما أنا في خلافة معاوية إذ جاءني رجل فقال : يا جابر والله لقد أثار إياك عمال معاوية فبدا : أي انكشف وظهر!

قال فأتيته فوجدته على النحو الذي تركته عليه لم يتغير منه شيء فواريته .

وفي رواية أخرى: رأيت أبي في حفرته كأنه نائم، وما تغير من حاله قليل ولا كثير وقد مضى عليه ست وأربعون سنة .

وقد صارت سنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم .

٤ — وفي سنة ٥١٣هـ قال ابن القلانسي وفيها ظهرت صور الأنبياء — عليهم السلام — : .

الخليل وولديه : إسحاق ويعقوب ؛ وهم يجتمعون في مغارة بأرض بيت المقدس وكأنهم أحياء لم يبل لهم جسد ؛ ولا رم لهم عظم ! ! وعليهم قناديل من ذهب وفضة معلقة .

فسدوا باب المغارة وأبقوهم على حالهم [1]

٥ — وحدث محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزبير عن جابر قال : لما أراد معاوية أن تجرى العين التي حفرها — وكانت تسمى عين أبي زياد — أمر أن ينادى بالمدينة : من كان له قتيل فليأت قتيله .

قال جابر : فأتيناهم فأخرجناهم رطابا يتثنون ! ! .

وأصابت المسحاة رجل رجل منهم فانفطرت دما ! ! .

قال أبو سعيد الخدري : لا ينكر هذا منكر أبدا !! [2]

٦ — ومن حديث سفيان. أن السيدة عائشة بنت طلحة بن عبيد الله الصحابي رضي الله عنه — رأيت أباها في المنام بعد عشرين سنة من موته يقول لها : يا بنية أخرجيني من هذا الماء الذي يؤذيني ! !

فلما أنتبهت من نومها، جمعت أعوانها وشقت القبر عنه فوجدته صحيحا كما دفن لم تنحسر له شعرة ! ! وقد اخضر جنبه كالساق من الماء الذي كان يسيل عليه !

(١) النجوم الزاهرة - ٥ - ٢١٨ وانظر مرآة الزمان وعيون التواريخ وعقد الجمان.

(٢) عيون الأخبار ٢ - ٣١٨ .

فلفته فى الملاحف واشترت له عرصة[١] بالبصرة ودفنته فيها، وبنت حوله مسجدا.

قال: ولقد رأيت المرأة من أهل البصرة تقبل بالقارورة من البان، فتصبها على قبره حتى تفرغها.

فلم يزلن كذلك حتى صار تراب قبره مسكا أذفرا !! [٢].

٧ — وفى المحرم سنة ٣٨٦ هـ كشف أهل البصرة عن قبر عتيق؛ فوجدوا فيه ميتا طريا بثيابه وسيفه؛ وأنه الزبير ابن العوام — رضى الله عنه — فأخرجوه وكفنوه ودفنوه بالمربد وبنى عليه أبو المسك عنبر بناء وجعله مشهدا وأوقف عليه أوقافا، ونقل إليه القناديل والآلات.

ويقول الذهبى: فالله أعلم من ذلك الميت[٣]

٨ — ويروى أهل البصرة: أن أبا طلحة الأنصارى ركب البحر فمات فيه فدفنوه فى جزيرة بعد سبعة أيام من وفاته ولم يتغير[٤].

٩ — وحدث عبد الله بن أبى بكر بن محمد ابن عمر بن حزم: أن رجلا من أهل نجران فى زمن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — حفر خربة من خربات نجران لبعض حاجاته، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعداً، واضعا يده على ضربة فى رأسه ممسكا عليها بيده فإذا أخرجت يده عنها انبعثت دما !! وإذا أرسلت يده، ردها عليها فأمسك دمها !! وفى يده خاتم مكتوب فيه «ربى الله».

فكتب فيه إلى عمر يخبره بأمره، فكتب إليهم — رضى الله عنه — أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذى كان عليه. ففعلوا[١].

١٠ — وفى سنة ٢٧٦ هـ انفرج تل بنهر الصلح[٢] بالعراق يعرف بتل شقيق أو بنى شقيق عن سبعة قبور، فيها سبعة أبدان صحيحة والأكفان جدد تفوح منها رائحة المسك!.

(١) العرصة بفتح فسكون: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

(٢) العقد الفريد: ٣ — ١١٠ المطبعة الأزهرية.

(٣) النجوم الزاهرة: ٤ - ١٧٤

(٤) هامش المعارف لابن قتيبة: ١١٨

(١) تاريخ الطبرى: ٢ - ١٢٤.

(٢) الصلح — بكسر الصاد — : نهر كبير فوق واسط عليه عدة قرى، وكانت فيه دار الحسن بن سهل وزير المأمون وصهره وعنده بنى المأمون بابنته «بوران»

وأحد السبعة شاب له جمة (١) طويلة طرية، ولم يتغير منه شيء ! !

وفى خاصرته ضربة.

وكانت القبور حجارة مثل المسن وعند الموتى كتاب لا يدرى مافيه (٢).

١١ - وفى تاريخ محمد بن فتوح الأزدى الحميدى الحافظ المؤرخ الأديب: أنه أوصى مظفر بن رئيس الرؤساء أن يدفنه عند قبر بشر الحافى، فخالف وصيته ودفنه فى مقبرة باب البزر ببغداد.

فلما مضت مدة رآه مظفر فى النوم، يعاتبه على مخالفته.

فنقله مظفر إلى مقبرة باب حرب، ودفن عند بشر الحافى كما كان قد أوصى.

وقد وجد كفنه - حين نقل - وبدنه طريا تفوح منه رائحة الطيب (٣)! !

١٢ - وحكى الشعرانى - رحمه الله - فى طبقاته الكبرى: أن جده الأدنى العارف بالله على بن شهاب، كان يقول: بلغنى أن الأرض لا تأكل جسما قد نبت من حلال ! !

فكان بعض فقهاء عصره ينكرون ذلك عليه !! ويقولون: هذا خاص بالأنبياء والشهداء.

قال الشعرانى: فلما مات والدى دفنوه فى قبر جدى المذكور فوجدوه طريا كما وضعوه !!

وكان بين دفن والدى ودفن جدى إحدى وعشرون سنة !!

فلما رأى المنكرون من الفقهاء ذلك استغفروا الله وتابوا [١].

١٣ - وحكى الشعرانى أيضا قال: لما مات شيخى وقدوتى «نور الدين الشونى» رأيته بعد سنتين ونصف يقول لى: غطنى بالملاءة فإنى عريان !!

قال: فلم أعرف المراد من ذلك.

واتفق أن مات ولدى «محمد» تلك الليلة فدفناه بجانبه فى المقبرة.

فرأيت شيخى - رحمه الله - عريان كما قال !! لم يبق من كفنه خيط واحد: ووجدته طريا يسيل ظهره دما مثلما دفناه! ولم يتغير من جسده شىء ولم ينتن ولم ينتفخ ! !

(١) الجمة - بضم الجيم وتشديد الميم: مجتمع شعر الرأس وما سقط على المنكبين.

(٢) النجوم الزاهرة: ٣ - ٧٥ وانظر مرآة الزمان فى حوادث هذه السنة.

(٣) معجم الأدباء ح ١ ص ٢٨٤.

(١) لواقح الأنوار: ١ - ١٠١

قال الشعرانى : وسبب سيلان الدم من ظهره : أنه لما مرض لم يستطع أحد أن يقلبه مدة سبعة وخمسين يوما !! فذاب لحم ظهره !

فضممناه بالقطن وورق الموز وظل على ذلك حتى مات ، لم يئن ولم يتأوه قط فى هذه المدة كلها !!

رحمه الله (١)

١٤ — خلايا حية :

على أن العلم فى العصر الحديث لا يكذب ذلك ولا يحيله ؛ فقد جاء فى جريدة الأخبار المصرية بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٦٥ ما يلى :

تبين وجود خلايا حياة فى موميائين عمرهما أربعمائة عام عثر عليهما فى منطقة نانتونج بالصين .

وقد وجد أساتذة كلية الطب بهذه المنطقة بعض الأعصاب والخلايا العضلية حية، وسيحاولون نقلها، وترقيعها بأجسام بعض الحيوانات حتى يروا ما إذا ـ كانت هذه الأعصاب والخلايا ، ما زالت محتفظة بنشاط الحياة ؟

ينقل من قبره !!

وبما يتصل بذلك ما حكاه الإمام ابن قتيبة قال حدثنى عبد الرحمن العبدى عن جعفر بن أبى جعفر قال : حدثنا أبو جعفر السائح عن الربيع بن صبيح قال : شهدت ثابتا البنانى يوم مات وشهده أهل البصرة فدخلت قبره أنا وحميد الطويل أبو جعفر حسن ، مما يلى رأسه ، فلما ذهبت أسوى عليه اللبنة سقطت من يدى فلم أر فى اللحد أحدا !!

فقلت لحميد : لقد اختطف صاحبنا !

وضج الناس فسوينا على اللحد ، وحثونا التراب !! ولم يكن لحميد الطويل هم حتى لقى سليمان بن على العباس ـ وهو أمير على البصرة ـ فأخبره، فقال سليمان :

ما ينكر لله قدرة ، إلا أنى أنكر أن يكون أحد من أهل زماننا يفعل هذا به !!

ثم قال لحميد : هل علم به أحد سواك ؟ قال : نعم ، الربيع بن صبيح وأبو جعفر حسن ، فقال : هذان عدلان مرضيان .

ثم بعث من جيرانه أمناء ، فنبشوا عنه قبره فلم يجدوه (١) !!

وسبحان من يغير ولا يتغير ، وله وحده خرق العوائد ؟

على الجندى

(١) عيون الأخبار : ٢ - ٣١٨

(١) عيون الأخبار : ٢ - ٣١٨

مُراسلة فقهيّة بين إمامين كبيرين

للدكتور محمد رجب البيومي

— ٢ —

كان الليث بن سعد قد أفتى بمصر فى بعض المسائل الفقهية بما يخالف بعض ما عليه العمل بين أهل المدينة المنورة بينما يرى مالك رضى الله عنه أن إجماع أهل المدينة وحدهم يكون حجة على من خالفهم فى حالة انعقاد إجماعهم فإذا اجتمعوا لم يعتد بخلاف غيرهم ،وهى مسألة أصولية يلتزمها علماء المذهب المالكى ويضيفون إليها فوق ذلك أن خبر الواحد من نقل أهل المدينة يرجح ما يعارضه من خبر مخالف تناقله أهل المدن الأخرى! ويعلل مالك هذا التفضيل بقوله : « انصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من آخر غزواته ومعه نحو كذا وكذا ألفا من الصحابة مات بالمدينة منهم عشرة آلاف وباقيهم تفرق بالبلدان ، فأيهما أحرى أن يتبع ويؤخذ بقولهم ؟ من مات عندهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه الذين ذكرت أو من مات عندهم واحد أو اثنان من أصحاب رسول الله [1] » .

ولا جدال فى أن الحجاز بعامة ـ والمدينة بخاصة ـ كانا مهد الإسلام وموئل الصحابة والتابعين وأنه ظل بمنأى عن تأثير الحضارات الأجنبية من إغريقية ورومانية وفارسية فيما يتصل بالتشريع ؛ لاعتماده على الرواية المتواترة والعمل المتعارف فإذا اتصل العراق بالحضارة الأشورية والكلدانية والفارسية ، واتصل الشام ومصر بالحضارة الأغريقية والرومانية فقد بقى الحجاز إلى عهد مالك خالصا للقرآن والحديث فيما يتعلق بالاستدلال والبعد عن القياس النظرى ، حتى الذين وفدوا إليه من الموالى وتعمقوا الدراسة الدينية من أمثال قارىء مكة الفارسى ابن كثير المتوفى ١٢٠هـ ، وقارئها الرومى إسماعيل بن قسطنطين المتوفى ١٧٠ هـ ، وغيرهما قد اتجهوا إلى المنهج السلفى فى التلقى

---

(١) ترتيب المدارك للقاضى عياض .

المباشر البعيد عن كل تأثير أجنبي مما يدل على أن المدينة قد احتفظت بأريجها النبوى الخالص ، ولكن هذا كله لا يمنع مناقشة القضية الأصولية التى تبناها الإمام مالك ودافع عنها فى صدق ! وإذا كان مؤرخو التشريع وعلماؤه قد أوسعوا هذه المسألة إيضاحا وتحليلا فإن الليث بن سعد هو الفقيه الأول الذى تصدى لمناقشة مالك رضى الله عنه فى دعواه ؛ ومن الواجب أن نذكر أن الليث رضى الله عنه لم يبدأ بالمعارضة ولكن مالكا قد ابتدأ بتحذيره حين أرسل إليه رسالته الناقدة فابتدأ المناظرة بقوله .

« من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد سلام عليكم فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، عصمنا الله وإياك بطاعته فى السر والعلانية ، وعافانا وإياكم من كل مكروه ، واعلم رحمك الله أنه بلغنى أنك تفتى الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذى نحن فيه ، وأنت فى أمانتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة من قبلهم إليك واعتمادهم على ما جاءهم منك حقيق بأن تخاف على نفسك وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه ، فإن الله تعالى يقول فى كتابه العزيز « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » الآية وقال تعالى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » فإن الناس تبع لأهل المدينة ، إليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن وأحل الحلال وحرم الحرام ، إذ رسول الله بين أظهرهم يحضرون الوحى والتنزيل ويأمرهم فيطيعونه ، ويسن لهم فيتبعونه حتى توفاه الله واختار له ما عنده صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته ، ممن ولى الأمر من بعده ، فما نزل بهم مما علموا أنفذوه وما لم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه ، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا فى ذلك فى اجتهادهم ، وحداثة عهدهم ، وإن خالفهم مخالف ، أو قال أمرا غيره أقوى منه وأولى ترك قوله وعمل بغيره .

ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون ذلك السبيل ، ويتبعون تلك السنن ، فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهرا ومعمولا به لم أر لأحد خلافا للذى فى أيديهم من تلك الوراثة التى لا يجوز لأحد انتحالها ولا ادعاؤها . ولو ذهب أهل الأمصار

يقولون هذا العمل ببلدنا ، وهذا الذى مضى عليه من مضى منا ، ولم يكونوا من ذلك على ثقة ، ولم يكن لهم من ذلك الذى جاز لهم ، فانظر رحمك الله فيما كتبت إليك فيه لنفسك ، واعلم أنى أرجو ألا يكون ما دعانى إلى ما كتبت به إليك إلا النصيحة لله تعالى وحده ، والنظر لك والظن بك وأنزل بكتابى منك منزله ، فإنك إن فعلت تعلم أنى لم آلك نصحا ، وفقنا الله وإياك لطاعته وطاعة رسوله فى كل أمر وعلى كل حال ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وكتب يوم الأحد لتسع مضين من صفر » .

هذا نص رسالة الإمام مالك وهى فوق دلالتها الفقهية تشير إلى جوانب أخرى من مناحى مالك المتعددة فهى تصور أسلوبه العلمى فى الجدل ، وكماله الخلقى فى النقاش وخشيته الدينية فى الفتوى ، وترسم ما كان للوضوح الناصع من مزية فى جدال العلماء ، وقد خلف بعدهم خلف يجعلون من التعمية بالمصطلحات الفقهية ، والاقتضاب المخل فى العبارة نمطا يحتذى لدى النقاش وقد اهتم الليث برسالة صاحبه فقرأها قراءة واعية ورد عليها فى قوة وجزالة ووضوح ، ولو جرت الكتب الفقهية مجرى الرسالتين فى تحرير النص ومنهج الاستدلال ما أصيب الفقه الإسلامى فى عصوره المتأخرة بهذا الركود الآسن الذى جعل من حواشيه الغامضة ألغازا وأحاجى تحتاج إلى شروح وتفاسير ، وإذا كان رد الليث مسهبا مطيلا فنحن نجتزىء بما يشير إلى طريقته وينم عن منهجه محيلين القارىء إلى الجزء الثالث من أعلام الموقعين ليجد النص بكماله الصريح ، قال قال الإمام الليث بعد أن أوجز المضمون الفقهى لرسالة صاحبه : « وقد أصبت بالذى كتبت به من ذلك إن شاء الله تعالى ووقع منى بالموقع الذى تحب ، وما أجد أحدا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ، ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه منى والحمد لله رب العالمين الذى لا شريك له وأما ما ذكرت من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ونزول القرآن بها بين ظهرى أصحابه وما علمهم الله منه وأن الناس صاروا تبعا لهم فيه فكما ذكرت ، وأما ما ذكرت من قول الله تعالى : « والسابقون الأولون من

المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » فإن كثيرا من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد فى سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ، فجندوا الأجناد واجتمع إليهم الناس فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه ، ولم يكتموهم شيئا علموه ، وكان فى كل جند منهم طائفة يعلمون كتاب الله وسنة نبيه ، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره القرآن والسنة ، وتقدمهم عليه أبو بكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ولا غافلين عنهم ، بل كانوا يكتبون فى الأمر اليسير لإقامة الدين والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه ، فلم يتركوا أمرا فسره القرآن أو عمل به النبى صلى الله عليه وسلم أو ائتمروا به بعده إلا علموه ، فإذا جاء أمر عمل فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر والشام والعراق على عهد أبى بكر وعمر وعثمان ، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا لم يأمروهم بغيره فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمرا لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم ، مع أن أصحاب رسول الله قد اختلفوا بعد فى الفتيا فى أشياء كثيرة ولولا أنى قد عرفت أن قد علمتها كتبت بها إليك ، ثم اختلف التابعون فى أشياء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : سعيد ابن المسيب ونظراؤه أشد الاختلاف ، ثم اختلف الذين كانوا بعدهم فحضرتهم بالمدينة ورأسهم يومئذ ابن شهاب وربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وكان من خلاف ربيعة لبعض من قد مضى ما عرفت وحضرت ، وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقيناه وإذا كاتبه بعضنا فربما كتب إليه فى الشىء الواحد - على فضل رأيه وعلمه - بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضا ولا يشعر بالذى مضى من رأيه فى ذلك، فهذا الذى تدعونى إلى ترك ما أنكرت تركى إياه » .

وقد قلت - فيما سبق - إن نص رسالة الإمام مالك ينبىء عن بعض ما حذف منها بتصرف الرواة ، ودليلى على ذلك

أن رسالة الليث تضمنت الرد على أحكام فقهية لليث قد اعترض عليها مالك دون أن نجد مايشير إليها فى رسالته ! وهو دليل ترجيح فقط ، لاحتمال أن تكون هذه الأحكام مما أنكره مالك فى مجلسه العلمى دون أن يدونه فى رسالته فنقله الطلبة إلى الليث عن مالك فاضطر إلى الرد عليه صريحا فى رسالته الشافية ! وسنلم بطرف من هذه الأحكام :

١ — أنكر الإمام الليث أن يجمع أحد من أجناد المسلمين بين الصلاتين ليلة المطر فعاب عليه ذلك الإمام مالك؛ إذ أن العمل فى المدينة قائم على إباحة هذا الجمع فاحتج الليث فى رسالته بأن مطر الشام أكثر من مطر المدينة ومع ذلك فإن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشام مثل أبى عبيدة بن الجراح وبلال بن رباح وأبى الدرداء ومعاذ بن جبل وخالد ابن الوليد وغيرهم لم يجمع منهم أحد بين الصلاتين فى ليلة من ليالى المطر ، كذلك لم يجمع بين الصلاتين أبو ذر والزبير وسعد بن أبى وقاص فى مصر وعلى بن أبى طالب فى العراق ومعه لفيف من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ — ضرب الليث مثلا لجواز مخالفة أهل المدينة بمسألة القضاء بشاهد واحد مع يمين صاحب الحق ، إذ كان أهل المدينة يرتضون ذلك ، ولكن صحابة رسول الله بالشام والعراق ومصر لم يرضوا إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين ، وقد اضطر عمر بن عبد العزيز إلى العمل بذلك فى الشام بعد أن كان يأخذ بعمل أهل المدينة وهو وال عليها ؛ إذ لا يرى الإلزام بعمل بلد خاص .

٣ — ضرب الليث مثلا آخر لجواز مخالفة أهل المدينة بمسألة مؤخر الصداق إذ أن أهل المدينة يقضون بأن المرأة لها أن تتسلم مؤخر صداقها متى شاءت، وهى فى عصمة زوجها وقد وافقهم على ذلك العراقيون ، أما صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر والشام فلا يقضون بمؤخر الصداق إلا حين يفرق بين الزوجين بموت أو طلاق !

ولو اكتفى الإمام الليث بهذه النقاط الثلاث وما ينحو منحاها مما أفاض فيه لأقنع وأفاد ولكنه انتقل من الدفاع إلى النقد حين هاجم بعض الآراء الفقهية لمالك مما رآه الليث مخالفا لعمل أهل المدينة ، أو لما أجمع عليه فقهاء الأمصار ومن ذلك على سبيل المثال :

١ — لقد أمر الإمام مالك زفر بن عاصم أن يقدم صلاة الاستسقاء على الخطبة وذلك غير ما سار عليه أهل المدينة إذ كان فقهاؤها يرون البدء بالخطبة قبل الصلاة، وقد استنكروا فعل زفر بن عاصم واستهجنوه؛ إذ جرى على غير ما ألفوه من عمر بن عبد العزيز وأبى بكر بن حزم وغيرهما! فكيف خالف الإمام عمل أهل المدينة فى ذلك، إلا أن يكون تنازل عن تشدده بعض الشىء فى اتباع المدنيين.

٢ — يرى مالك أن الخليطين فى المال لا تجب عليهما الصدقة حتى يكون لكل واحد منهما ما تجب فيه الصدقة!

ثم إن عمر بن الخطاب كان ممن يوجب الصدقة دون أن يشترط بلوغ النصاب لدى كل خليط، وعلى ذلك سار عمر ابن عبد العزيز وأفاضل الفقهاء بالمدينة فكيف خالفهم مالك؟

٣ — انفرد الإمام مالك بقوله: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير بن العوام إلا لفرس واحد والناس كلهم يتحدثون أنه أعطاه لفرسين ومنعه الثالث، والأمة كلها على هذا الحديث أهل الشام وأهل مصر وأهل العراق! فكيف يجوز أن يخالف ما أجمع عليه المسلمون لرواية رجل واحد!

ثم قال الليث فى خاتمة رسالته: وقد تركت أشياء كثيرة أشباه هذا وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقائك لما أرجو للناس فى ذلك من المنفعة، ولما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك مع استئناسى بمكانك وإن نأت الديار فهذه منزلتك عندى، ورأيى فيك فاستيقنه، ولا تترك الكتاب بخبرك، وحالك وحال ولدك وأهلك، وحاجة إن كانت لك أو لأحد يوصل بك فإنى أسر بذلك. والسلام عليك ورحمة الله!

هذا تلخيص أمين لبعض الفروع الفقهية التى كانت باب المجاذبة بين الفقيهين، ونقول لبعض الفروع؛ لأن الأصول الإسلامية بمنأى عن الاختلاف، وكل ما تغاير فيه النظر بين الفقهاء من الأحكام لا يخرج عن النقاط الفرعية التى تتحمل أكثر من وجه فى الاستدلال، بحيث يصعب القول بالتخطئة المطلقة، فالأمر دائر فى نطاق الترجيح وفق ما يوحى به مفهوم الدليل، وأذكر أن أستاذنا المغفور له الشيخ محمد محمد المدنى قد أشار

إلى توجيه ذلك فى بحث نشره عن الليث ابن سعد؛ إذ علل لكل حكم بما يتفق ووجهة نظر صاحبه ، وذلك فى بعض أعداد المجلد الحادى عشر من مجلة الأزهر الشريف ، ونحب أن نمتع القارىء ببعض ما ذكره الأستاذ المدنى عن حكم الجمع بين الصلاتين فى المطر كنموذج دقيق لمنحاه ؛ إذ قال ما ملخصه :

« إن الليث يثبت أن أهل الشام وفيهم الصحابة لم يجمعوا قط فى ليلة مطر ، ولا ينكر ولا يسعه أن ينكر أن أهل المدينة يجمعون ، فهو إذن يقرر أن الجمع وعدم الجمع كليهما صحيح يستند إلى الصحابة ، ولكن فى المسألة باطنا غير هذا الظاهر حمله على الإنكار حين أنكر وعلى الإصرار حين روجع ، ذلك أنه لمح العلة فى إباحة الجمع ليلة المطر ، وهى التخفيف ، ثم نظر فوجد مطر المدينة قليلا متقطعا لا يلح فإذا انهمر دافقا كان ذلك غريبا بين أهل المدينة ، ووجدوا فيه مشقة لا تؤلف ، أما فى الشام فالمطر كثير ملح وقد ألف أهل الشام سحه وتسكابه وأعدوا له ما ينفى المشقة فلذلك أبيح من الجمع لأهل المدينة ما لم يبح لأهل الشام نظرا لمشقته فى المدينة دون دمشق وهذا أحد المواضع التى تأثر الفقه فيها بالإقليم والمناخ أو بعبارة أدق أحد المواضع التى تفيد تقيد التشريع بظروف الإقليم وطبيعة المناخ » .

ونحن بعد عرض هذه المطارحة الفقهية وما تبعها من تفسير وتحليل ندعو علماء التشريع الإسلامى أن يقتدوا بالإمامين الكبيرين فى سعة الصدر ورحابة الأفق وصراحة الحديث والعلماء ورثة الأنبياء؟

د . محمد رجب البيومى

قال الله تعالى :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (النحل ١٢٥)

فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

وزير الأوقاف وشئون الأزهر

استقبل أبناء الأزهر بعامة نبأ اختيار فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود لتولى منصب وزير الأوقاف وشئون الأزهر بالابتهاج الخالص والحفاوة البالغة والدعوات الصادقة أن يوفقه الله ويسدد خطاه، ويحقق على يديه أمل المسلمين فى الأزهر ومستقبل الدعوة الإسلامية.

وفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود من الطراز الذى تعتز به المناصب وتشرف؛ لما جبل عليه من خلق رفيع، ووداعة لا يهدهدها بريق، وكرامة لا يفرط فى حماها أن يمس، وعكوف على العمل الجاد والحركة الدائبة..

جمع فضيلته بين الثقافتين، فقد تخرج فى الأزهر الشريف ريان الفكر بعلومه ومعارفه، وبعث إلى فرنسا، حيث نال أرقى درجاتها العلمية، وعاد إلى وطنه موزع الوقت والطاقة بين مدرجات جامعتى الأزهر والقاهرة، واللقاءات العلمية فى قاعات الثقافة والمعرفة، والدراسات الجادة التى حفلت بها دور النشر تأليفا وترجمة، والبحوث التى عمرت بها المجلات الدورية والصحف اليومية، إلى جانب الرحلات العلمية المتعددة فى الدول الإسلامية التى عرفته أستاذاً ومحاضراً غزير المادة فياضها.

ولسنا نشك فى أن السيد الوزير يحرص كل الحرص على الدعوة الإسلامية أن تنهض بصدق فتؤدى دورها الإيجابى فى بناء الأمة، وتمتد روافدها إلى العالم الإسلامى فى مشرقه ومغربه، وعلى الأزهر الشريف أن يظل حفيظا على علوم الإسلام وثقافته حتى يسلمها باسم أبناء هذا الجيل إلى من يأتى بعد كما تسلمها ممن سبقه أمانة مرعية؟ (المجلة)

الإعداد للحرب بعد الهجرة

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

الحشد للمعركة :

بعد استقرار المسلمين بالمدينة عقب الهجرة إليها من مكة بدأ الرسول الكريم فى بناء القاعدة الوطيدة التى يحقق اعتمادا عليها الدفاع عن الدين ضد أعدائه وكانت دعائم البناء لتلك القاعدة تتفق تماما مع ما يسمى اليوم باستراتيجية إعداد الدولة للحرب والتى لا تعتمد فقط على إعداد الجيش للحرب وإنما تعتمد أيضا على إعـداد الشعب والجبهة الداخلية والاقتصاد القومى للحرب .

فبهجرة الرسول إلى المدينة نشأت الدولة الإسلامية، وأصبح تاريخها مقترنا بالتاريخ الهجرى ، وباستقراره عليه السلام فى المدينة ظهر عنصر السلطة وعنصر الدولة متمثلا فى شخصه الكريم باعتباره الرئيس الأعلى لجماعة المسلمين التى اتخذت المدينة مقرا لها ، وبتنظيم أركان الدولة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعسكريا .

الجبهة الداخلية :

كان أول ما عمد إليه الرسول القائد فى المدينة هو إقامة جبهة داخلية صلبة ، وذلك بجمع صفوف المسلمين وتوحيد جبهتهم وإيجاد رابطة قوية بينهم .

أولا :

عمد إلى ربط المهاجرين (الذين هاجروا من مكة إلى المدينة) بالأنصار (أهل المدينة الأصليين) فآخى بينهما بصلة الأخوة لتصبحا فئة واحدة مترابطة وملتحمة ، وليكون الجميع متعاونين على أسباب العيش ، ويدا واحدة تعمل لهدف واحد وكان لهذا الإخاء حكم إخاء الدم والنسب وظلت عقود الإخاء مقدمة على حقوق القرابة فى توارث التركات إلى غزوة بدر حيث استقر أمر المسلمين فألغى التوارث بعقد الأخوة ورجع إلى ذوى الرحم .

ثانيا :

عمد إلى توحيد صف الأنصار أنفسهم حيث إنهم كانوا أوسا وخزرجا وكانت

بين الفئتين خلافات مستمرة وعداوات سابقة ، فأراد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد جمع بينهم الإسلام ، أن يشكلوا قوة واحدة متضامنة،وأن يزول ما بينهم من خلافات وعداوات وأن يقضى على كل شبهة قد تثير العداوة القديمة بينهم ، فجمع بينهم ودعاهم إلى تناسى الماضى فاستجابوا لدعوته ، وفتحوا صفحة جديدة تقوم على الود والحب والرضا وأصبحوا جميعا صفا واحدا .

تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية :

وعقد الرسول صلى الله عليه وسلم معاهدة بين المسلمين من جهة وبين اليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى . وفى هذه المعاهدة نظم الرسول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لكافة سكان المدينة من المسلمين والمشركين واليهود فاشتملت على عدة أسس أهمها : -

أولا - من الناحية الاجتماعية والاقتصادية:

١ — جميع المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم أمة واحدة « إنهم أمة واحدة من دون الناس » .

٢ — التضامن والتعاون بين الجماعة الإسلامية ، وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض دون الناس » .

٣ — تقرير حرية الاعتقاد فلكل دينه الذى هو عليه .

٤ — فتح الطريق للراغبين من اليهود فى دخول الإسلام وجعلهم يتمتعون بجميع حقوق المسلمين « وأن من يتبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » .

٥ — الجار له حرمة من جاره .

٦ — سكان المدينة آمنون فيها من القتل والاغتيال والغدر .

٧ — المجرم ينال عقابه على جرمه دون أن يحول حائل دون تنفيذ العقاب عليه .

٨ — ليس هناك ما يفرق بين الصفوف من دين أو أغراض أخر .

٩ — الفقير يجد معاونة من الغنى فى معيشته وفك ديونه وتحمل فدائه ودينه .

١٠ — حرمة المدينة ، أى يحرم بها ما يحرم بمكة .

ثانيا : من الناحية العسكرية :

١ — قيادة محمد رسول الله لكافة سكان المدينة مسلمين ومشركين ويهود فإليه يرجع ذلك كله ، وله أن يحكم فى

كل اختلاف يقع بين السكان وبذلك أصبح محمد هو القائد العام فى المدينة .

٢ — تعاون أهل المدينة جميعا فى رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج .

٣ — فى حالة الحرب لرد العدوان عن المدينة تتولى كل طائفة الإنفاق : على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة » .

بهذا العمل السياسى البارع الذى يدل على الفطانة والحكمة وبعد النظر حقق الرسول وحدة المدينة وجعل أهلها كلهم على اختلاف دينهم يدا واحدة على أعدائهم ووضع لمجتمع المدينة نظامه الاجتماعى والاقتصادى والعسكرى .

القضاء على محاولات اليهود تفتيت الجبهة الداخلية :

ولا بد هنا أن نكشف عن الدور الذى لعبه اليهود فى محاولة تفتيت الجبهة الداخلية فى المدينة ، على الرغم من العهد الذى وقعوه مع المسلمين وذلك يوضح لنا مافطر عليه هؤلاء القوم طوال تاريخهم من سعى بالفتنة والدس والوقيعة .

والواقع أن اليهود حينما استقبلوا الرسول فى المدينة بعد الهجرة وعقدوا معه العهد كانوا يطمعون فى أن يضموه إلى صفوفهم ، وفى أن يزدادوا به قوة على النصارى لكن الذى حدث أن الرسول كان أقوى من الجميع ، وزادت كلمته ثباتا وبدأت دعوته فى الانتشار وهنا بدأ لليهود يفكرون من جديد فى موقفهم من محمد وأصحابه .

ترى هل يتركون دعوته تنتشر وسلطانه الروحى يمتد ، مكتفين فى جواره بالأمن الذى يزيد تجارتهم سعة وثروتهم ربحا ؟

لعلهم كانوا يقنعون بهذا لو أنهم أمنوا ألا تمتد دعوته إلى اليهود فيدخلوا فى الإسلام على حين يقتضيهم أحبارهم ألا يعترفوا بنبى من غير بنى إسرائيل ، وهكذا قرروا أن يهاجموا النبى ورسالته وأصحابه المهاجرين والأنصار واتخذوا فى ذلك عدة أساليب :

١ — أساليب التشكيك والبلبلة الفكرية

فدسوا من أحبارهم من أظهر إسلامه ومن استطاع أن يجالس بين المسلمين يظهر غاية التقوى ، ثم لا يلبث الحين بعد الحين أن يبدى الشكوك ويثير البلبلة ويلقى على محمد من الأسئلة مايتصور أنه يزعزع فى أنفس المسلمين إيمانهم به وبرسالة الحق

التي يدعو إليها . وانضم إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج الذين أسلموا نفاقا أيضا ليسألوا وليوقعوا بين المسلمين ، وبلغ من إمعانهم في التشكيك أن اليهود منهم كانوا ينكرون ما في التوراة ، وأنهم جميعا ، وكلهم يؤمنون بالله سواء منهم بنو إسرائيل والمشركون الذين يتخذون أصنامهم إلى الله زلفى ، كانوا يسألون محمدا : إذا كان الله قد خلق الخلق فمن خلق الله ؟ ! وكان محمد يجيبهم بقوله تعالى : (قل هو الله أحد . الله الصمد. لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) وفطن المسلمون لأمر خصومهم وعرفوا غاية سعيهم ، ورأوهم يوما في المسجد يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم محمد فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا .

٢ — محاولة الوقيعة بين الأوس والخزرج :

ولم يتوقف اليهود عن دسائسهم وسعيهم في الوقيعة بين المسلمين : مر أحدهم (شاس بن قيس) على نفر من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم ، فغاظه أن يراهم متحابين متآلفين فأمر فتى شابا من اليهود كان معهم أن ينتهز فرصة يذكر فيها يوم بعاث وما كان من انتصار الأوس فيه على الخزرج . وتكلم الغلام ، فذكر القوم ذلك اليوم فتنازعوا وتفاخروا واختصموا وقال بعضهم لبعض : إن شئتم عدنا إلى مثلها ، وبلغ محمدا الأمر ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه فذكرهم بما ألف الإسلام بين قلوبهم وجعلهم إخوانا متحابين . وما زال بهم حتى بكى القوم وعانق بعضهم بعضا واستغفروا الله جميعا .

٣ — محاولة فتنة الرسول نفسه :

لم يكتف اليهود بالوقيعة بين المهاجرين والأنصار ، وبين الأوس والخزرج من هؤلاء ولم يكفهم فتنة المسلمين عن دينهم ومحاولة ردهم إلى الشرك دون محاولة تهويدهم ، بل زادوا على ذلك ان حاولوا فتنة محمد نفسه ، ذلك أن أحبارهم وأشرافهم وساداتهم ذهبوا إليه وقالوا له : « إنك قد عرفت أمرنا ومنزلتنا وإنا إن اتبعناك اتبعتك اليهود ولم يخالفونا ، وإن بيننا وبين بعض قومنا خصومة فنحتكم إليك فتقضي لنا فنتبعك ونؤمن بك » فنزل فيهم قوله تعالى : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم

الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

٤ – محاولة إقناع الرسول بالجلاء عن المدينة :

ضاق اليهود ذرعا بمحمد ، ففكروا فى أن يمكروا به وأن يقنعوه بالجلاء عن المدينة كما أجلاه أذى قريش إياه وأصحابه عن مكة ، فذكروا له أن من سبقه من الرسل ذهبوا جميعا إلى بيت المقدس وكان به مقامهم ، وأنه إن يكن رسولا حقا فجدير به أن يصنع صنيعهم وأن يعتبر المدينة وسطا فى هجرته بين مكة ومدينة المسجد الأقصى ، لكن محمدا لم يحتج إلى طويل تفكير فيما عرضوا عليه ليعلم أنهم يمكرون به ، وأوحى الله إليه يومئذ ، بعد سبعة عشر شهرا من مقامه بالمدينة أن يجعل قبلته إلى المسجد الحرام بيت إبراهيم وإسماعيل . فنزلت الآية : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ، وأنكر اليهود عليه ما فعل وحاولوا فتنته مرة أخرى بقولهم : إنهم يتبعونه إذا هو رجع إلى قبلته ، فنزل قوله تعالى : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » .

نتائج صلابة الجبهة الداخلية :

وعلى أساس الجبهة الداخلية الصلبة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، وقضائه على أساليب اليهود الخبيثة لتفتيت تلك الجبهة ، تهيأ للرسول الكريم أن يعد عدته للكفاح المسلح ضد أعداء الدين حينما أصبح أمرا لا مفر منه وحين أذن الله بالقتال دفاعا عن الدعوة .

وأصبحت المدينة بجبهتها الصلبة قاعدة وطيدة انطلق منها جيش الإسلام فى معاركه مع أعدائه ، فكان المسلمون يحاربون مطمئنين إلى سلامة الخطوط خلفهم وإلى قوة الإرادة الشعبية التى تعيش وراء ظهورهم باعتبارها مصدرا للقوة المادية والمعنوية معا .

وأثبت التاريخ أن صلابة الجبهة الداخلية دائما ركيزة للنصر فى المعارك

وأن تصدعها يؤدى إلى الهزيمة .

مثلا كان تصدع الجبهة الداخلية لقريش عاملا هاما من عوامل استسلامها فى غزوة الفتح فدخلها المسلمون بدون قتال بسبب فشل قريش فى الاتفاق على كلمة واحدة إزاء ذلك الموقف .

فتح جديد فى الحياة السياسية وفى الحضارة الإنسانية :

ولا بد أن يذكر هنا أن تلك المعاهدة التى وضعها محمد رسول الله منذ ما يقرب من أربعة عشر قرنا والتى تقرر حرية العقيدة وحرية الرأى وحرمة المدينة وحرمة الحياة وحرمة المال وتحريم الجريمة ، تعتبر فتحا جديداً فى الحياة السياسية والحياة المدنية وفى الحضارة الإنسانية فى عالم ذلك الوقت هذا العالم الذى كانت تعبث به يد الاستبداد وتعبث فيه يد الظلم فساداً .

ولقد وضع الرسول بنظرية الإخاء الإنسانى حجر الأساس للحضارة الإسلامية إخاء يجعل المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه كما يتمثل فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ... » ، سأل رجل محمدا : أى الإسلام خير ؟ فقال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

صلابة القاعدة أساس النصر :

وهكذا وعلى أساس القاعدة الصلبة التى أقامها النبى القائد فى المدينة واجه المسلمون أقصى التحديات فقهروها ، وإن المتأمل لأحداث السنوات العشر التى تلت الهجرة يجد ثمانى وعشرين غزوة يغزوها النبى وعشرات من السرايا يبعثها لمواجهة أعداء الدعوة ، ويجد صراعات اقتصادية واجتماعية وسياسية على الصعيد المحلى والعالمى ، ويجد مجتمعا جديدا يتكون بكل جوانبه ومشكلاته ومتناقضاته وتصاعد أحداثه ومقابلاته لقضايا الحياة اليومية من توفير للأقوات إلى قضاياه الكبرى المصيرية ... وعاد المسلمون بعد أن قويت شوكتهم إلى مكة فاتحين ، وحقق الله لهم النصر المبين ، وعاد إلى مكة نداء الإسلام الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا وصارت كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ؟

محمد جمال الدين محفوظ

الشورى في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

— ٤ —

دور الشورى فى السلام الاجتماعى :

بينا فيما سبق دور الشورى فى إقرار العدل الإسلامى . وأنها تؤدى إلى صدور الأحكام الشرعية على أساس من الواقع الجارى فى البيئة التى يراد تنظيمها شرعيا .

وبذلك ، يمكن إخضاع الظروف العصرية للأصول الشرعية .

وللشورى دور آخر إلى جانب هذا الدور الأول الظاهر فيما تؤديه الشورى من إقرار العدل الإسلامى .

وهذا الدور هو دور إقرار السلام الاجتماعى فى الدولة التى تأخذ بالشورى .

وهذا الدور يستفاد من قوله تعالى فى سورة آل عمران (الآية ١٥٩) ، « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » .

فإن هذه الآية الكريمة تشير بما يجب على الإمام من الرفق واللين عند معالجة من يختارهم لشوراه وأهل بطانته من مستشاريه ووزرائه .

فإن عليه ـ حسب ما يتضح منها ـ أن يعاملهم بالحسنى ويتألفهم على الحب والإخلاص .

قاله القرطبى بمعناه ، وغيره كذلك . فهذه الآية الكريمة تتدرج فى أمور ثلاثة :

الأول : العفو وهو يكون بالنسبة للمسىء ، فأول درجة من درجات المعاملة تفترض أنها مع المسىء المخطىء ، فإن الإمام عليه أن يقابل المسىء ممن يتوسم فيه حسن الاستعداد — بالعفو والمغفرة فيتجاوز عن خطئه ويقربه إليه ويدفع إساءته بالتى هى أحسن حتى يصير وليا حميما . وذلك بعمل ظاهر وهو النطق بالعفو أو إعلامه به بأى طريق .

والثانى : الاستغفار له . وهو يكون بالنسبة لمسىء رضى الإمام عنه وصفا قلبه من ناحيته ، فالعفو أمر ظاهرى مادى ، لأنه قد يعفو عنه وما زال قلبه متكدرا منه ، ويعفو عنه ليضعه موضع الاختبار فإن رآه عاد سحب عفوه ، وإن رآه انصلح صفا قلبه له واستغفر الله له ودعا له :

فالاستغفار عفو بالظـــاهر والباطن ، وعفو بالنطق وظاهـر الحال ، وكذا بالقلب والحقيقة. وليس الاستغفار دعاء محضا ، بل هـو يقتضى أيضا مشاركة ، بالإرشـاد إلى الصواب والعدول عن الخطأ إلى الحق والإصلاح والتهذيب. والاستغفار أيضا عمل ظاهر من الإمام واستجابة من المأموم .

الثالث: المشاورة، وهو الدور الإيجابى للعفو الظاهر والباطن ، لأنه ليس عفوا بالنطق أو المـوقف فقط ، ولا بالدعاء والإرشاد ، ولـكنه بالإشراك والمساهمة لمن تجـاوز الإمام أولا عن إساءته - إن كان قد أساء ثم صفا له قلبه وتوجـه له بالحب - إلى دور المشاركة الفعـــالة فى مسئوليات الحـكم ومهامه .

فالشورى تقوم على عمـل من أعمال القلب والإخـلاص ، وليست عنـدنا فى الإسلام من إجراءات الأوضـــاع القانونية المـادية ، ولا تـكون الشورى الأمينة المخلصة إلا من المحب ، ولذلك فان المشاورة لا تـكون فى الإسلام إلا مع من صفت نياتهم وتأكـد الإمام مـن إخلاصهم حتى يطمئن إلى الأخذ برأيهم والاعتماد على وجهـــات نظرهم ، فلا يستبطنون من ورائها أمراً ، ولا يبيتون له مكيدة ولا يوقعون بهم لمغانم يقصدونها ومصالح يترصدونها .

وقد تدرجت الآية الكريمـة فى ذلك بأن يبدأ بالعفو عنهم ، بأن يتجاوز عن مسيئهم ويصفح عن مخطئهم ، فإذا أنس منهم خيرا فإنه يتدرج معهم إلى رابطـة القلب بأن يستغفر لهم ، ويرشدهم إلى الحق والعدول عن الخطأ .

حتى يصل فى النهـاية إلى اصطفائه ، واستخلاصه واتخـاذه من أهل الحق والشورى ممن يرتضى الاعتماد على رأيه والثقة بإخلاصه .

والحـكم الإسلامى الصحيح يؤدى إلى اتساع نطاق المستشارين وانفساح دائرتهم لأنه يقوم - فى الواقع - على التكامل والتآلف بين الحـاكم والمحكوم ، وذلك بعكس النظم الحـديثة التى تفترض الصراع بين طبقتى الحكام والمحـكومين وتنظم الوسائل القانونية لرقابة الحاكم وإلزامـه سيادة القانون .

وهذا الأصل قائم على طبيعة تركيب النظام السياسى الإسلامى، فهو يقوم على التكامل بين الهيئة الحاكمة والمحكومين .

وهذا التكامل يختلف تمام الاختلاف عن الأساس الذى تقوم عليه النظم السياسية الديموقراطية الحرة والتى تقوم على الصراع بين الهيئة الحاكمة وبين المحكومين وتربص الأخيرين للأول بتقييده ورقابته .

وتوضيح ذلك على الوجه التالى :

فإن ملوك أوربا فى العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث عمدوا إلى الاستبداد والاستناد فى تحكمهم على نظرية عرفت باسم نظرية التفويض الإلهى ، أى أن الملك مفوض من قبل الله سبحانه وتعالى وخليفته فى الأرض فهو مطلق السلطان ولا تجوز محاسبته . وبناء على ذلك أفرطوا على الناس مما دعاهم إلى الثورة عليهم احتراما لحرياتهم .وكان من أوائل ذلك أن توجه الناس إلى الملك (جون الثانى) ملك بريطانيا عام ١٢١٥ وأجبروه على توقيع العهد الأعظم (الماجنا كارتا) الذى ما زال محترما للآن . ثم قامت النظريات الديموقراطية على الفصل بين السلطات حتى لا يستبد الحاكم بالشعب فتقوم السلطة التشريعية — فضلا عن وظيفتها فى إصدار القوانين — برقابة السلطة التنفيذية ، كما يستقل القضاء عنهما حتى لا يدع مجالا للاستبداد ، وعلى ذلك فإن نواب الشعب لا يكونون مستشارين للحاكم بل مراقبين له .

وليس هذا الحكم الديموقراطى قائما على الشورى كما يفهم الناس خطأ ، ولكنه يقوم على الرقابة وإحصاء الأخطاء على من يتولى الحكم ؛ وبالتالى فإن هؤلاء النواب يقفون موقف العداء والحرص من الحاكم لا موقف السلام والوئام .

ولذلك فمن الخطأ المحض أن يذهب بعض المفكرين الإسلاميين العصريين إلى القول بأن الديمقراطية تقوم على الشورى، وأن الشورى الإسلامية يمكن أن تنفذ عن طريق المجالس الشعبية الديمقراطية وبالطريقة التى تعمل بها ، لأن هذه المجالس لا تمارس وظيفة الشورى بل وظيفة الرقابة كما بينا .

والطريقة العملية التى تنفذ بها الديمقراطية الليبرالية رقابة الحاكم ، هى أن يعهد الملك إلى حزب من الأحزاب بالحكم ويكون هذا الحزب حائزا لثقة الشعب عن طريق الانتخابات العامة ، ثم يقوم النواب المنتخبون فى المجلس ، المنتمون لأحزاب أخرى ، برقابة الحزب الحاكم وإحصاء أخطائه عليه ، فإذا

رأوه أخطأ فى شىء وجه إليه سؤال ، فأجاب عنه . فإذا لم يقتنعوا حولوا السؤال إلى استجواب ، أى اتهام ومناقشة ، وتطرح الثقة بالحزب الحاكم ، فإذا لم يفز بالأغلبية سقطت الوزارة وأجريت الانتخابات التى تأتى - غالباً - بالحزب المعارض وهكذا . ويشبهه إلى حد كبير النظام الرياسى الذى يؤدى سحب الثقة إلى إقالة الوزير ، ثم يعرض الأمر كله على الناخبين عند انتخاب رئيس الجمهورية .

وبذلك ، فإنه يتعذر أن يأتى رئيس الدولة - ملكا أو رئيس جمهورية - فى هذا النظام بنواب من بطانته واختياره . فإن الأمر لا يكون جديا ولن يتأتى إجراء التوازن الدستورى فى هذا النظام ، بل سيكون الأمر صوريا لكى يمكن الحاكم أن يفعل ما يشاء !

ولكن الطريقة الإسلامية تختلف عن ذلك تماما .

وسبب اختلافهما أمران : أحدهما : وحدة الهدف الذى يسعى إليه الحاكم والمحكوم ، وتقيد سلطة ولى الأمر - فعلا - بمقتضى النصوص الشرعية الآمرة . فولى الأمر فى النظام الإسلامى لا يملك التشريع ، إلا فى أمور فرعية تفصيلية تتقيد بالأصول الشرعية ، مما لا يصح اعتباره تشريعا بل تنفيذا للشريعة .

وعلى هذا الأصل فإنه حقيقة يحتاج لمستشارين يتداول معهم الرأى فى الهدف الموحد الذى يجمع الأمة - مادام الهدف واحدا . ولا خطر من أن يكون هؤلاء المستشارون بطانة صورية زائفة ، مادام الأصل ثابتا يوضح الانحراف ويضبطه .

فى نظام الشورى يقف كل من الحاكم ومستشاريه موقف الصف الواحد فى المسئولية . وما دام هناك ضابط واضح محدد من المشروعية الواضحة فإن الحاكم يجب عليه أن يسمع لرأى مستشاريه وأن يناقشهم فيه حتى تنجلى له الأمور على وجهها الصحيح ، وهذا الأمر لا يتطلب العداء وتصيد الأخطاء ولكن يتطلب الثقة والنصح والإخلاص . وبذلك فإن الجو الإسلامى بمتطلباته التى تقوم على وحدة الهدف الذى تعتنقه الدولة وظهور الحق ووضوح ضوابطه وما يترتب على ذلك من التكامل والتماسك - وليس المراقبة والتعارض - فإنه فى هذا الحق يصح اتخاذ مبدأ الشورى أساسا ، بل لا يتصور إلا كذلك وإلا فسدت الأمور .

وبيانا للأمر نتصور دولة كبريطانيا : فى الأوقات العادية ينقسم الشعب إلى محافظين وعمال . وتدور عملية التوازن بينهما على الوجه السابق ، بأن يتربص كل فريق بالآخر . ولكن فى وقت الحرب مثلا ، تصير البلاد كلها كتلة واحدة وتنسبك بسابك واحد فى وزارة الحرب ، لأن الجميع أمامهم هـــدف واحد يريدون الدخول إليه وهـو النصر . فلا يظل أعضاء كل حزب معارضا للآخر ، بـل مستشارا مخلصا ومعينا صادقا ، وكذا عندنا فى دولة الإسـلام ، فان الجميع أمامهم هدف واحد وهو نصر الله وإعلاء كلمته . والدولة الإسلامية هى بطبيعتها دولة مكافحة أو مجاهدة للوصول إلى هذا الهدف ؛ ولذلك فلا محـــل للتربص والمعارضة القائمة على اختلاف المبدأ ، ولا يحتاج الإمام لمـراقبين يتصيدون أخطاءه ، بل مستشارين مخاصين يقدمون إليه الرأى الصادق ويسددون خطاه نحو الحق ، على أن يوسعهم من ناحيته صدق الطوية والإخلاص وأن يستمع لأدناهم وقد أحسن الإمام البخارى فى صحيحه إذ تـكلم فى أبواب القبـلة والمساجد على « تشبيك الأصابع فى المسجد » ، ولا نحسب أن الإمام يشغل باله بمسألة بسيطة كهذه إلا إذا حملنا كلامـه على أنه يقصد به « التضامن (وكنى عنه بتشبيك الأصابع) فى المجتمع الإسلامى (وكنى عنه بالمسجد) » ويؤيد ذلك أنه أتى فى ذلك بثلاثة أحاديث كلها من روائع التضامن السياسى وإن كانت قد ذكرت تشبيك الأصابع عرضا.

وأحد هذه الأحاديث يحذر النبى صلى الله عليه وسلم ابن عمر أن يتحول المجتمع إلى حثالة من الناس ، وذلك تذكيرا له بأن فساد بعض الناس يؤدى إلى تأذى الصالحين بهم ؛ ولذلك وجب أن يتماسك الجميع فى محاربة الفساد . وفى الثانى يورد حديث « أن المؤمن للمؤمن كالبنيان » وفى الثالث أورد حديث ذى اليدين وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم سها فى الصلاة وبدا يومها كالغضبان ، قال البخارى عن الراوى : وفى الناس أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه وفيهم رجل فى يديه طول يقال له ذو اليدين ، يعنى فسأله فلما تبين له صدق نظـره انصاع له فكـأن الإمام البخارى رضى الله عنه أورد لنـا هـذه الصورة حتى يبين ما يجب على الحاكم من الاستماع لأصغـر ناصحيه . ولو كان فى هذا الغضب الذى صرف أبا بكر وعمر عن مخاطبته . فإن الحاكم إذا لم يوسع صدره وإذا قابل محكوميه ومستشاريه

بالفظاظة ، فإنه يقطع نيـاط التـآلف والتضامن ، ويفض صلة التكامل الواجبة بينـه وبين الأمة، وبذلك فكأن الإمام البخارى (والله أعلم) أورد ثلاثة مبادىء لقيـام هـذا التضامن (أو التشابك) فى الجماعة الإسلامية : أولها الحرص من الفساد العام . وثانيها: التعاون والتكافل حتى يكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضا . وثالثها تقبـــل الحاكم للنصح والنقـد والملاحظة ، حتى لا يقطع وشيجة الصلة بينه وبين الأمـة .

وهى ثـلاثة مبادىء رئيسية جامعـة أوجد الحافظ الكبير المناسبة بينها بما ورد فى جامع حفظه الكبير (الذى زاد على ٦٠٠ ألف حديث) من واقعة تشبيك أصابعه صلى الله عليه وسلم فى هـــذه الأحاديث الثلاثة .

ولذلك فالشورى الإسلامية لها جوها الخاص وأسسها وعمـدها وأصولها التى لا تصلح - بل تتعذر - إذا نفـذت على أسـاس الروابط المـادية السياسيـة فى النظم الحاضرة .

وهذا المنهج يؤدى إلى السلام وينفى الصراع والحقـد ؛ لأنه يصفى القـلوب بالمصارحة اللازمة عند تبادل وجهة النظر . فالتوازن الدستورى - كما نرجو أن نبين - لا يقوم على تنظيم وصول المعارضة للحكم على الوجه الذى شرحناه - بل يقوم على تنظيم احترام الأمة - حاكما ومحكوما - للهدف الأعلى وسيادة السلام الاجتماعى فى جو الدولة ، وهى من الوظائف الكبرى للشورى فى الإسلام .

وكما أن هذه الشورى تتطلب أن يكون الحاكم غير فظ غايظ القلب ، فكذلك هى لا تقوم إلا مع الاعتراف بمكانة العلم واحترامه وإعـلائه ، الأمر الذى نبينه فى العدد القادم إن شاء الله ؟

د . مصطفى كمال وصفى

العَربيّة لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

٩ — لغـــة الإيجاز

أصدق وصف للغة العربية أنها لغة الإيجاز ، فهى موجزة فى بناء الكلمات ، وهى موجزة فى تركيب الجمل ، وهى موجزة بما تشعه من رمز وإيحاء ، أما من جهة بناء الكلمات ، فإننا نلاحظ أن كثيرا من اللغات الأجنبية تطول فيها الكلمات حتى تصل الكلمة الواحدة إلى بضعة عشر حرفا على حين أنها فى العربية لا تتجاوز بضعة أحرف ؛ ومن الأمثلة على ذلك فى اللغة الإنكليزية كلمة : Circumstantial ويقابلها فى العربية كلمة واضح ؛ ومثل كلمة : Communications ويقابلها فى العربية : مواصلات . ومثل كلمة : Administrotar ويقابلها فى العربية كلمة : مدير .

ومن المعروف أن الكلمات العربية الخالية من أحرف الزيادة لا تتجاوز خمسة أحرف ، ومع حروف الزيادة لا تتجاوز سبعة أحرف ؛ والكثرة الساحقة منها ثلاثية ، وقد رجعنا إلى كتب اللغة والمعاجم العربية وقمنا بعمل إحصائيات تبين لنا منها أن الكلمات الثلاثية تناهز خمسا وسبعين فى المائة والثنائية نحو ثمان فى المائة ، والرباعية نحو ثلاث فى المائة ، هذا غير الحروف المفردة مثل : باء الجر أو القسم ، ولام الملك ، وتاء القسم ، وهاء التنبيه وهمزة الاستفهام ، وهمزة النداء ...

وهناك كلمات عديدة ثنائية الحروف وهناك أفعال ثلاثية الأصل تصبح عند التصرف حرفا واحدا مثل : ف (فعل أمر من الفعل وفى) ومثل : (من الفعل رأى) ومثل : ع (من الفعل وعى) - أو تصبح حرفين عند التصرف مثل : قل (فعل أمر من الفعل قال) ومثل قم (من الفعل قام) ومثل بع (من الفعل باع) ومثل نم (من الفعل نام) ومثل سل (من الفعل سأل) ...

وهناك أسماء تتكون من حرف واحد مثل نون النسوة ، وتاء الفاعل للمتكلم أو المخاطب أو المخاطبة ، وألف الاثنين للفاعلين ، وواو الجماعة للفاعلين ، وياء المخاطبة ؛ وهناك كثير من الأسماء الثنائية مثل (من) للاستفهام، أوللشرط ، أواسم الموصول ، ومثل ذا وذى للإشارة ، وهى للضمير ... والكثرة الكاثرة هى الكلمات الثلاثية ، وقلما تستعمل العرب ما زاد عن أربعة أحرف ، وقد حمل هذا ابن فارس العالم اللغوى الكبير على أن يقرر فى كتابه (فقه اللغة) : أن النحت قياسى وأن أكثر الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف منحوتة ، ومعنى النحت أن يشتق العربى كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر مثل عبشمى نسبة إلى عبد شمس ومثل عبدرى نسبة إلى عبد الدار ومثل بسمل الرجل : قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وحولق الرجل : قال لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ ومن هذا يتضح ميل العربى إلى الإيجاز فى الكلمات بفطرته الأصيلة .

* * *

أما إيجاز الجمل فقد تناوله علماء البلاغة بالتفصيل ، وقسموه إلى قسمين : إيجاز قصر وإيجاز حذف ، وسنشير إلى كل منهما إشارة مجملة ، ومن شاء الإسهاب فليرجع إلى كتب البلاغة العربية فهى حافلة بالشرح والتوضيح والاستشهاد بالأمثلة العديدة .

وقد بلغ القرآن الكريم ذروة الإعجاز فى هذا المجال ، وقد أشار البلاغيون إلى الإيجاز المعجز فى قوله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة » وإلى لب العبارة : «القصاص حياة» وفضلوا العبارة القرآنية بحق على العبارة الجاهلية التى افتتن بها بلغاء العرب قديما ، وهى « القتل أنفى للقتل » ، وقد تناول الإمام السيوطى فى كتابه الإتقان فى علوم القرآن (الموازنة) بين الجملتين بإسهاب ، وفضل الجملة القرآنية على الجملة الجاهلية بأكثر من عشرين وجها ؛ والناقد الأديب يدرك بذوقه الأدبى أسرار الإعجاز فى التعبير القرآنى[1] ونستطيع أن نضيف إلى ما ذكره السيوطى أن العبارة القرآنية حكم وتعليل للحكم فى الوقت نفسه ، فإن الجانى ينبغى أن ينال نصيبه من العقاب ، والقاتل ينبغى أن يلقى جزاءه الرادع حتى لا يتكرر اعتداؤه على الأرواح وحتى لا يقلده غيره من المنحرفين ، وفى هذا حفظ للحياة

(١) الإتقان حـ ٢ ص ٥٥ ، ٥٦ .

وصيانة للأرواح[١] ، وإذا كان رجال القانون يصدرون القانون ، ثم يشفعونه بمذكرة توضيحية تشرح أهـــدافه أو يصدرون حكما قضائيا ثم يتبعونه بما يسمونه حيثيات الحكم ، فإن العبارة القرآنية على إعجازها المعجز جمعت بين الحكم وعلة هـذا الحكم الحاسم وهو صيانة الحياة .

ومن العبارات القرآنية المعجزة قوله تعالى فى وصف المؤمنين الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم « أولئك لهم الأمن » فالأمن يشمل الدنيا والآخرة ، ومدى الأمن يتسع فيشمل كل ما يتعرض له الإنسان من آلام وأحزان وهزات نفسية وجسمية وتعرض لألوان الفقر والمرض والبغى والعدوان والخزى والهوان ... وقد أشارت عبارات قرآنية إلى توضيح هذا الأمن بالنسبة إلى المؤمنين فذكرت أنه « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فالخوف يكون من أحداث المستقبل المجهول المحجوب خلف أستار الغيب ، والحزن ينتج من أحداث ماضية يتألم منها الإنسان ويبالغ فى آثارها فتسبب له انهياراً عصبيا يعرضه لأشق الأمراض ؛ فالمؤمن وثيق الصلة بربه مطمئن لجانبه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن مع العسر يسرا ، وأن الله إذا سلب شيئا من عبده فإنما يختبره به ليكفر عنه خطاياه ، وليرفعه درجات عنده وليقربه منه ، فلا يأسى على ما فاته ولا يحزن لما أصابه ، ولا يخشى ما تباغته به الأحداث لأنه واثق أنه « من يتق الله يجعل له مخرجا » وأنه « يجعل له من أمره يسرا » فهو راض عن ربه ، مرضى عنه منه ، مطمئن إلى وعد خالقه مترقب قوله « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية » فالأمن منبعث عن الإيمان مشتق منه ، وهـذه المعانى كلها تحملها العبارة القرآنيـة الكريمة : « أولئك لهم الأمن » .

أما إيجاز الحذف فقد تناوله علمـاء البلاغة أيضا بالتفصيل ، وقـــد يكون حذف كلمة وقد يكون حذف جملة أو عدة جمل ؛ وقـد أورد القرآن الكريم أمثلة عديدة للإيجاز المعجز عن طريق الحذف مثل قوله تعـالى فى قصة موسى وهرون عليهما السلام : « فقلنا اذهبا إلى القوم

«١» العبارة الجاهلية دفع ضرر ، والعبارة القرآنية دفع ضرر وجلب منفعة .

الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا » ، فهناك عدة جمل محذوفة يدركها الأديب البليغ بذهنه اللماح تقديرها ، فذهبا إلى هؤلاء المكذبين فأديا الرسالة وأيداها بالمعجزات الباهرة فلم يستجيبوا إليهما وقابلوهما بالتكذيب والتهديد فاستحقوا العقاب : فدمرناهم تدميرا .

* * *

وقد افتن أدباء العربية في الإيجاز المعبر ، ومن أبرع ما أبدعوه في هذا باب الحكمة وباب الأمثال ، وقد عقدوا فيهما الفصول المطاولة وألفوا فيهما الكتب المسهبة مما هو معروف لجمهرة المثقفين ، كما نوهوا بالأجوبة المسكتة وبالتوقيعات الموجزة ، وسنلم بكل منهما في إيجاز :

أما الأجوبة المسكتة فهي القول الفاصل الموجز في الرد على ادعاء معين ، بحيث لا يجد المدعي فرصة للجدل أو الاعتراض ، ومن أمثلته في القرآن الكريم إجابة إبراهيم عليه السلام للطاغية المدعي الألوهية حين ادعى أنه يحي ويميت حيث يملك الحكم بالإعدام ثم الحكم بالعفو عنه، فقال له إبراهيم عليه السلام : « إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب» ، وحينئذ بهت الذي كفر .

ومن الأمثلة رد الله سبحانه على من يرتابون في القرآن الكريم ويزعمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم ألفه « قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » ومثل قوله تعالى في الرد على منكري البعث حين قالوا : « أئذا كنا عظاماً ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا » فأجابهم : « قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة » . ومن الأمثلة رده تعالى على اليهود حين قالوا « نحن أبناء الله وأحباؤه » فأجابهم « قل فلم يعذبكم بذنوبكم » ، وحينما زعموا أنهم « أولياء لله من دون الناس » فأجابهم « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » .

ولهذا قال العرب أحسن الجواب ما كان حاضرا مع إصابة معنى وإيجاز لفظ ، وقد حفلت كتب الأدب بأمثلة عديدة لهذه الأجوبة التي تدل على البديهة الحاضرة والحجة القوية ، منها أن النبي صلى الله عليه وسلم استقبل عمرو بن الأهتم والزبرقان فقال للأول أخبرني عن صاحبك فقال عمرو : مطاع في أدانيه

(أقاربه) شديد العارضة (البديهة) مانع لما وراء ظهره، فقال الزبرقان : والله يارسول الله لقد علم منى أكثر من هذا ولكنه حسدنى فقال عمرو: أما والله يارسول الله إنه لزمن المروءة (قليلها) ضيق العطن (سريع الغضب) أحمق الوالد لئيم الخال فظهر الضيق على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمرو: والله يارسول الله ما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الأخرى، رضيت عن بن عمى فقلت أحسن ما فيه ولم أكذب، وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب؛ فقال صلى الله عليه وسلم: « إن من البيان لسحرا ».

ودخل عقيل بن أبى طالب وقد كف بصره على معاوية، فقال له معاوية بعد أن أكرمه : أنتم معشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فأجابه: وأنتم معشر بنى أمية تصابون فى بصائركم.

واستشار الحجاج حاشيته فى امرأة من الخوارج فأشاروا عليه بقتلها، فقالت : حاشية صاحبك خير من حاشيتك، فقال من صاحبى؟ فقالت فرعون استشار حاشيته فى شأن موسى عليه السلام فقالوا « أرجه وأخاه ».

وسأل معاوية الأحنف بن قيس فى ندوة عامة عن رأيه فى استخلاف يزيد بن معاوية، فقال الأحنف: أخافك إن صدقت، وأخاف الله إن كذبت.

وقال معاوية معرضا بالأنصار : إن الله فضل قريشا على غيرهم بثلاث : قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : « وأنذر عشيرتك الأقربين » ونحن عشيرته، وقال : « وإنه لذكر لك ولقومك » ونحن قومه، وقال : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ونحن قريش - فأجابه رجل من الأنصار : على رسلك يا معاوية فإن الله تعالى يقول : « وكذب به قومك » وأنتم قومه؛ ويقول : « ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون » وأنتم قومه، ويقول على لسان رسوله « يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » وأنتم قومه، ثلاثة بثلاثة، ولو زدت لزدناك.

ودخل واعظ على الرشيد فأغلظ له النصيحة، فقال له الرشيد : لست أنت أفضل من موسى وهارون ولست أنا شرا

من فرعون ، والله تعالى يقول لهما : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » فأخجل الواعظ .

وقال رجل لأبي العيناء - وكان كفيفا - ما سلب الله من امرىء كريمتيه (عينيه) إلا عوضه عنهما فما الذى عوضك الله يا أبا العيناء ، فأجابه : إن أكرم عوض عنهما ألا أراك ، وقال أبو العيناء : قلت لابن أبى دؤاد : إن قوما تضافروا على فقال : « يد الله فوق أيديهم » فقلت : إنهم جماعة ، فقال « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » قلت : إن لهم مكرا فقال : « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » .

وقال الخليفة الواثق لابن أبى دؤاد : مازال قوم اليوم فى ثلبك ونقصك ، فقال: يا أمير المؤمنين « لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » فالله ولى جزائه وعقابك من ورائه ؛ وما ضاع امرؤ أنت حائطه ، ولا ذل من كنت ناصره فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ، فأجابه قلت لهم :

وسعى إلى بعيب عزة معشره
جعل الإله خدودهن فعالها

وقال رجل للحسن البصرى : إن فلانا يعيبك ، فقال غفر الله لى إن كان صادقا ، وغفر له إن كان كاذبا .

أما التوقيعات : فهى عبارة موجزة يذيل بها الحاكم ما رفع إليه من الرسائل ومن أمثلتها ما وقع به عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاصى : كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك .

وكتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان ابن عبد الملك مهددا بخلعه فوقع فى أسفل كتابه :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا
أبشر بطول سلامة يا مربع

ووقع هشام بن عبد الملك على كتاب أرسله إلى إليه عامله يشكو فيه قلة الأمطار ببلده : « استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدرارا » .

كتب مروان بن محمد إلى يزيد ابن عبد الملك رسالة تشف عن نيته فى نقض بيعته فوقع عليها : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت .

وأسرف شاعر فى مدح المهدى فوقع

(البقية على ص ٧١)

القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضى

— ١٠ —

تحليل القراءات

ذكر جولد زيهر تحت هـذا العنوان أن بعض هذه الاختلافات فى القـراءة ترجع أسبابها إلى الخوف من أن ينسب إلى الله تعالى ما يتنزه عنه أو إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مالا يليق بمقامه الرفيع أو إلى شخصيات مالا يناسب قدرهم، فيلجأ بعض القراء ـ حذرا من ذلك ـ إلى تغيير بعض الكلمات من عنده ـ بما يتفق وجلال الله سبحانه ويتناسب مع مقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويلائم قدر بعض الشخصيات ، ثم ساق لذلك أمثلة كثيرة نوردها فيما يلى :

١ — قـوله تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمـا بالقسط » سورة آل عمران آية ١٨ .

قال جولدزيهر : أدرك بعضهم ماتثيره شهادة الله لنفسه لا سيما مع قرن ذكـره بالملائكة وأولى العلم . على أنهم شاهدون معه فاستعـانوا على علاج ذلك بالاستعاضة عن قراءة الفعل « شهد الله » بصيغة الجمع « شهداء الله » رابطين ذلك بالسياق بالآية السابقة « الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » أى هؤلاء شهـــداء الله أنه لا إله إلا هو والمـلائكة . الخ .

بيد أن من أحدثوا التعليل المـذكور لم يجروا مثله فى « لـكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيـــدا » سورة النساء آية ١٦٦ فتركوها أى آية النساء — دون تغيير لصعوبة التعديل . انتهى .

لعلك معى أيها القارىء الكريم أن هذا الـكلام أحقر من أن يرد عليه، أو يصغى إليه ؛ إذ لم يقرأ بهذه القراءة قارىء من يوم إنزال القرآن إلى وقتنا هذا .

وكل من رزق أثارة من علم ، أو أدنى قبس من نور الفهم لا يفهم أن شهـادة الله تعالى لنفسه بالقيام بالعدل بين عباده تمس ـ من قريب أو بعيد ـ مقام الألوهية السامى ، والعجب العاجب أن جولدزيهر

رد على نفسه بآية النساء ، وكان الأجدر به - وقد وقف على آية النساء - وهى تدل على ما تدل عليه آية آل عمران - ألا يتعرض لآية آل عمران وألا يذكر هذه القراءة المنكرة العميقة فى الشذوذ .

٢ - قوله تعالى : « فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب . بل عجبت ويسخرون » الصافات الآيتان ١١ ، ١٢ .

ذكر الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - أن المشركين من أهل مكة ينكرون البعث بعد الموت ، والنشور بعد البلى ، فيقول الله تعالى منددا بعدم إيمان هؤلاء ، وإنكارهم البعث ، وسخريتهم بمن يدعوهم إلى الإيمان به ، لافتا أنظارهم إلى آيات الكون الدالة على كمال قدرته على البعث ، والإحياء بعد الموت : « فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا » ، أى من السموات والأرض والنجوم ، والكواكب ، والملائكة ، وما عددنا قبل ذلك : « إنا خلقناهم من طين لازب . بل عجبت ويسخرون » .

قال جولد زيهر : اختلف القراء فى قراءة قوله تعالى : « بل عجبت ويسخرون » فقرأته عامة أهل الكوفة بل عجبت » بضم التاء ، وقرأ بعض قراء أهل الكوفة « بل عجبت » بفتح التاء . وفسر المفسرون العجب من الله تعالى بتفسيرات مختلفة ، أما غيرهم فقد نسب العجب إلى النبى صلى الله عليه وسلم . ويظهر أن العلماء رأوا أن فى إسناد العجب إلى الله تعالى ما لا يليق فقرأوا بالفتح ، والمعنى : بل عجبت أنت يا محمد وهم يسخرون من القرآن .

والذى يمكننا أن نفرضه هنا أن عجبت للمتكلم هو القراءة الأصلية ، ثم نقل عن الطبرى أنه قال : إنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الأمصار ، فأيتهما قرأ القارىء فمصيب ، وإن التنزيل نزل بكلتيهما ، ثم قال : وكان شريح القاضى المتوفى سنة ٨٠هـ عن ١٢٠ سنة يقرأ بالفتح «عجبت» ويقول إن الله لا يعجب من شىء ، وإنما يعجب من لا يعلم ، فقال إبراهيم النخعى : إن شريحا كان يعجبه علمه ، وعبدالله بن مسعود أعلم منه وكان يقرأ بالضم . انتهى

ونحن نلاحظ على هذه المقالة الملاحظات الآتية :

١ - قوله : إن عامة قراء المدينة والبصرة يقرأون بالضم ، وهذا منه محض

اختلاق وكذب ، فإن عامة قراء المدينة كأبى جعفر ، وشيبة ، ونافع وغيرهم ، وعامة قراء البصرة كأبى عمرو ، ويعقوب وغيرهما - هؤلاء وهؤلاء لا يقرأون إلا بالفتح .

٢ - قوله: ويظهر أن العلماء قد رأوا أن فى إسناد العجب إلى الله تعالى مالا يليق فقرأوا بالفتح .

ونقول : إن القراءات ليست بالرأى والتفكير ، والنظر ، والاجتهاد . إنما هى بالنقل والرواية والإسناد ، وقد بينا ذلك فيما سبق أتم بيان .

والعلماء الذين نقل عنهم هذا لم يعجزوا عن تأويل العجب المسند إليه تعالى تأويلا يتفق وجلال الألوهية كتأويله بالاستعظام أو بالجزاء ، أو نحو ذلك .

بعيد على هؤلاء العلماء أن يتركوا القراءة بالضم - وهى ثابتة بطريق التواتر رغبة عنها ، وزهدا فيها ، بحجة أن فيها إيهام مالا يليق به سبحانه . ثم نقول لهؤلاء العلماء . لو كان وجود العبارات الموهمة سببا فى تغيير القراءة لغيرت آيات كثيرة فى القرآن هى أشد إيهاما من الآية التى معنا ، هذه الآيات التى تدل بظاهرها على مشابهة الله لعباده ، وعلى اتصافه بأوصاف المحدثين كهذه الآيات: «يد الله فوق أيديهم» ، «تجرى بأعيننا» «ويبقى وجه ربك» ، «فلما آسفونا انتقمنا منهم» ، «ومكروا مكرا ومكرنا مكرا» ، «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» ، وقد تولى العلماء تأويل هذه الآيات بما يتفق وتنزيه الله عن الحوادث وسمات المخلوقين .

٣ - قوله : والذى يمكننا أن نفرضه هنا أن عجبت للمتكلم هو القراءة الأصلية ونقول له : من أين أتاك أن القراءة بالضم هى القراءة الأصلية ؟ إن كلتا القراءتين متواترة ثابتة بطريق القطع واليقين ، فهما متساويتان ، فدعوى أن إحداهما أصلية ، والأخرى فرعية ، دعوى باطلة ؛ لأن فيها ترجيح إحدى المتساويتين بلا مرجح وهو باطل ، ولم لا تكون القراءة بالفتح هى الأصلية باعتبار خلوها من الإيهام المذكور ؟

ليس فى القراءات أصلى وفرعى ، بل جميع القراءات المعتمدة متساوية من حيث نقلها ، وسندها ، وروايتها ، لا تمتاز قراءة عن أخرى من هذه الحيثية

وليس أدل على تساوى هاتين القراءتين فى هذه الآية، وعدم أصالة إحداهما وفرعية أخرى مما قاله الإمام ابن جرير ونقله عنه جولد زيهر وقد مر بك آنفا .

وأما أن شريحا كان يقرأ بالفتح ويقول: إن الله لا يعجب من شىء، إنما يعجب من لا يعلم فقصاراه أنه آثر إحدى القراءتين المتواترتين، وهى قراءة الفتح على الأخرى وهى قراءة الضم . لأن قراءة الفتح لا توهم شيئا فلا تحتاج لتأويل بخلاف قراءة الضم فإنها موهمة فتحتاج للتأويل، وما لا يحتاج لتأويل أولى مما يحتاج، وليس معنى اختياره لقراءة الفتح أنه ينكر قراءة الضم - حاشاه من ذلك .

٣ - قوله تعالى « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » . « ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » سورة العنكبوت الآيتان ٢ ، ٣

قال جولد زيهر: تشتمل هذه الكلمات على افتراض أن الله تعالى سيعلم ذلك بعد الامتحان كأنما لم يعلمه دون ذلك - وكأنما ليس هو الذى قدره وقضاه .

ويبدو أن قراءة منسوبة إلى على والزهرى قصد بها إلى رفع هذه الشبهة . وهذه القراءة « فليعلمن » بمعنى فليعرفن الله الناس بهم، أو بمعنى فليسمنهم الله بعلامة يعرفون بها، فعلامة الصادقين سواد العيون، أو كحلها، وعلامة الكاذبين زرقة العيون وتعد زرقة العيون عند العرب علامة على خبث الطوية، وتعد قبيحة يتشاءم بها وينسب إليها أحيانا قوة سحرية ضارة . انتهى .

وأقول : نقل جولد زيهر هذه المقالة كلها أوجلها من تفسير أبى حيان والقرطبى والألوسى والذى نلاحظه على هذه القراءة المنسوبة لعلى بن أبى طالب وغيره أنها لم ترو عن أحد من القراء العشرة، ولا عن أحد من ذوى القراءات الشاذة ولا عن أحد ممن تنسب إليه القراءات ولو على قلة أو ندرة، فنحن نشك فى صحة نسبتها لعلى ومن ذكر معه، وعلى فرض ثبوت نسبتها لعلى ومن ذكر معه فليس هناك ما يدل على أن عليا غيرها من تلقاء نفسه، لاشتمالها على ما يصادم أصلا من أصول العقيدة . إذ لو كان كذلك لغير الآيات الدالة على ما تدل

عليه هـذه الآية نحو «وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا» سورة آل عمران الآيتان ١٦٦-١٦٧ «وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب» سورة الحديد آية ٢٥

بل فى القرآن آيات تدل على أشد مما تدل عليه هـذه الآيات ، ولم يجرؤ علىّ ولا غيره أن يغير شيئا فيها نحو «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين» آل عمران آية ١٤٢ «أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة» التوبة آية ١٦

والذى ندين الله عليه أن أحداً من المسلمين ـ كائنا من كان ـ لا يدور بخلده، ولا تحدثه نفسه بتغيير شىء فى القرآن مهما ترتب على هذا التغيير من إصلاح ، فإذا كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ـ وهو هو ـ أمر من قبل الله عز وجل بأن يقول : «ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى» فكيف يجرؤ علىّ أو غيره أن يغير شيئا فى القرآن من تلقاء نفسه ؟

طـافت هذه الشبهة برأس كثير من الناس منذ العصور الأولى للإسلام ، ولقد قام جهابذة العلماء من القدامى والمحدثين وأئمة التفسير ـ خصوصا علماء الكلام ـ بتفنيد هذه الشبهة ، والإجابة عنها وبيان معنى الآيات بما لا يمس جوهر العقيدة ولا يصادم أصلا من أصول الدين.

ومما قرروه فى هذا المقام . أن علم الله تعالى يتعلق بالشىء قبل وقوعه على أنه لم يقع وبعد وقوعه على أنه وقع . وأولوا مثل هذه الآية هـذا التأويل : فليعلمن صدق الصادقين وكذب الكاذبين بعد حصولهما على أنهما حاصلان كما علمهما قبل وقوعهما غـــير حاصلين . وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا أى وليعلم إيمـان المؤمنين ونفاق المنافقين واقعين كما علمهما قبل وقوعهما غير واقعين ، وقوله تعالى : «ولمـا يعلم الله الذين جاهدوا منكم» . لمـا فيه نافية بمعنى (لم) أى : ولم يعلم الله جهاد المجاهدين وصبر الصابرين حاصلين ، كما علمهما غير حاصلين فصفة العلم فى حق الله تعالى قديمة لم تسبق بجهل ـ تعالى الله عن ذلك ـ ولا تتغير ، إنمـا الذى يتغير تعلقها بالشىء ، فتعلقها بالشىء غير حاصل غير تعلقها به حاصلا «والله أعلم» ؟

عبد الفتاح القاضى

مع الشباب :

الآنَ أنتَ فتى

للدكتور عز الدين على السيد

الآن أنت فتى .. رشدت وكرمت.. يرقبك الوطن فى أمل ، والأهل فى رجاء والدين فى حب :

الدين الذى ما يزال - وأنت الفتى الراشد - ينصب من حولك الرايات ، ويشعل فى دربك المصابيح ، ويلوح لك بأعلام النور والفلاح .. يهدهد عاطفتك ويشبع وجدانك ، وأنت أحوج إليه منه إليك ، لتظل معصوما بحصنه ، معتزا بسلطانه ، إذا أنت توليته ولم تتول عنه وانصرفت إليه ولم تصدف عنه ، وعرفت مكانه من أمسك الدانى ، فوصلت بحبله يومك الراهن وغدك المنتظر ..

سترى أيها الفتى الراشد ، أمثلة فى كتابه وفى أبناء جامعته ، لنماذج من الفتيان رفعهم التقى لأعلى مرتقى .. وسترى أيها الفتى الراشد ، نماذج يعرضها عليك ، لآخرين جانبوا الهدى فهووا إلى الردى « وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

القيم العليا للشباب :

وقمة القمم فى هرم القيم ، هى العاصمة من النار ، والجالبة للرضا ، والموفرة للسعادة .. وأنت الفتى المسلم ، يؤمن فيما يؤمن بيوم الحساب « يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه »

انظر إلى هذا الطراز الناجى المبتسم ، السعيد الآمن ، فى عرض سريع لموقف أخروى ، يعرضه رسولك المعلم وحبيبك الأمين :

« سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا فى الله ، اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

إن أشد ما نعرف من القيظ ها هنا هو وقت الهاجرة فى صحراء صيف ليس فيها قصر ولا كوخ ، ولا صخرة ولا شجرة ، حيث لا ظل ولا مأوى ! كم نرهب الوقوع فى هذا الخطر !. وكم نتوقاه !.

لو فرضنا هول الموقف المنتظر ، هذا الهول لم يزد - وذلك ما ليس حاصلا - لعرفنا ما أمامنا من الشدة !.

إن هنا لك ظلا لا كالظلال ، يعجز القلم عن وصفه ، فى طيبه وروحه ، هو ظل الله ، ينعم به نزلا كريما على سبعة من العاملين له ، قد سمعت أوصافهم !.

قد تكون أنت واحدا منهم ، وقد تكونهم جميعا ، فما أسعدك حينئذ بظل الله !.

وقد يعدوك الوصف فلا تيأس إذ ذاك ، فما يزال الأمر فى يدك ، والسانحة تناديك !.

كم من الفتيان والشباب إمام عادل نشأ فى عبادة الله وطاعته ...

وكم مزقت وجوه الشباب دجى الليل يغذون خطوهم إلى المساجد ...

وكم جمعت التقوى قلوب الفتيان يجتمعون على حب الله وخير أمتهم ، ويتفرقون على رضا الله ونصر دعوته .

وكم من شباب صغرت الدنيا بأشهى ما فيها أن تزلقهم عن الشرف . . وحقر الشيطان بكل أسلحته أن ينال من أنفة مجدهم .. لأنهم أغنى بالله عن كل سلطان وشهوة . . وأقوى بالله عن كل جموح ونزوة .

وكم من شاب رق قلبه ، وسما ذوقه ، فشارك المبتلى البلاء كتوما ، والمصاب المصيبة ساترا ، لأنه أسر إلى الله ما صنع وكفى بالله حسيبا !.

وكم من شاب خلا ساعة إلى ربه ، فذكر جلاله الأجل ، وقدرته القادرة ، ورحمته الرحيمة ، فذرفت عيناه خوفا ، أو حبا ، أو اعتذارا !.

كل ذلك قد كان .. وكل ذلك كائن .. ما دام كتاب الله فى حفظ الله ، وما دام للإسلام صوت يتردد ، وشباب يتدبر ، وقلوب تؤمن فتحيا وتغار !.

ماذا يمثل لنا حديث السبعة ؟

يمثل شيئا واحدا لا أجدر به من الشباب !

يمثل سلطان الإرادة الحية !. يمثل عزم الرجولة على الانتصار !.

زهو الإمامة ومغرياتها تقهره الإرادة وتجانف النفس وزيغها يحكمه العزم !. تثبيط الشيطان وتعويقه ، ونفثه الكسل

فى القلوب : يصور المسجد بعيدا ، والطريق وعرا ، والجو مكتئبا .. ينهار بانتفاضة حازمة يخنس بها الشيطان ، ويلذ بها السير ويقرب المسجد .!

غرسه الحقد بين الأحباب ، والحسد فى قلوب الصحاب ، وسوء الظن بالكلمة البريئة ، وظن السوء بالنية الصالحة ... يمحوه صدق الصداقة وخلوص الإخلاص وثبات المحبة .!

طغيان المنصب وكبرياؤه ، وسلطان الجمال وإغراؤه .. يذله الشرف وعزته ، والعفاف وقدرته .. لا يمرغ فى العار أنفا أبيا ، ولا يلطخ بالأقذار عرضا زكيا !

صولة الأثرة وحب الثناء ، وإشباع الهوى بامتلاك الأرقاء ، تذوب فى نظرة إيثار ، ولحظة إكبار لحكمة الله الحكيمة فى قوله : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » .

صوت الغريزة المرنم ، ونداء الشيطان المنغم .. يظهر عليه صوت الضمير القاهر ولحن الإرادة الظافر ، ثم يحرق بالدمع قلب الشيطان ، ويدخل بالعزم ظل الرحمن .!

اثبت على ساقيك أيها الفتى !.

انظر إلى ذاتك نظرتين ، فى اتجاهين لا يلتقيان .. ثم قارن .! لا تعجل .! ظل الله عن يمينك .. وهول الموقف عن شمالك . . وقدماك هما ملكك . . وفى قلبك عزم وهوى .. ولكنى أذكرك قول الحق : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » .

نماذج مشرقة :

لعزيمة الشباب المؤمنة انتصار بالإيجاب وانتصار بالسلب ، ومعنى ذلك أن صاحبها لا ينثنى عنها ، فهو مقدم بها إذا أقدم ، ومحجم بها إذا أحجم ، والحرب أشد حاجة إلى القوة حين يكون الإقدام تهورا والتشجع حمقا .

وللقرآن أمثلة لا ينطفىء وهجها من صور للشباب رائعة ، مشرقة ، ولا أظنك إلا قد عرفت قصة يوسف فى بيت العزيز « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك : ! » .

أبواب مغلقة . . شباب دافق .. جمال فاتن .. شعور بالغربة .. حس بالرق . . صوت الاستعلاء وقهر الاستيلاء . . إغراء ملك لا شك فى حسنها . . تهيأ بأشهى مغرياتها ، لتفتن فتاها الأعزب الشاب .

فيهتف العزم الصلب والإرادة الواثقة

« معاذ الله إنه ربى أحســـن مثواى إنه لا يفلح الظالمون ! » .

ويثور الجنونان: جنون الملك فى كبريائه الجريح .. وجنون الحب فى رجائه الذبيح .. فينشأ الصراع، وينشق القميص فى الدفاع ، ويحكم له بالبراءة ، وعليها بالدناءة ، حين تشهد على نفسها بنفسها!!

« ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين » .

لا يكترث يوسف بالسجن ، فيلبث فيه بضع سنين ، أزكى من دخل السجن كرامة وشرفا ، يخرج منه بعدها ، أعلى من خرج من السجن سيادة وعزة « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيـــا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » .

وصورة أخرى لغير نبى نجدها فى قصة الغار، الذى أغلقته على ثلاثة فيه صخرة منزلقة ، فاتجه إلى الله كل منهم يدعوه بما قدم من صالح العمل .

أما أولهم: فكان برا بوالديه ، ذهب إليهما بقدح اللبن فى مسائهما ، فوجدهما قد ناما ، فأبى أن ينصرف عنهما وأشفق أن يوقظهما ، فظل قائما والقدح على يده حتى برق الفجر .

وأما الثانى: فكانت له ابنة عم أحب الناس إليه ، أرادها على نفسها فأبت ، ثم ألجأتها الشدة إليه فأعطاها مائة وعشرين دينارآ على أن تمكنه منها ، فلما كادا أن يفحشا صرخ فى قلبها العفاف ، فقالت : لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فدوى الصوت فى قلبه مكبرا إباءها ، قاهرا حبه وقدرته وذهبه ، فانصرف عنها وهى أحب الناس إليه تاركا الذهب .

وأما الثالث : فكان قد استأجر أجراء يعملون ، أخذوا أجرهم إلا واحدا ، فنماه له وتعهده ،حتى صار منه غنم وبقر وإبل ، وجاء الأجير يطلب أجـــره فقال له : هذا أجرك فاستقه ، فظنه به متهكما ، فأكد له خبره فاستاق ما رأى .

لقد علم الله صدقهم فانزلقت الصخرة عنهم وانطلقوا فى بركة من فعلهم .

هذه ألوان من العزيمة الفتية والإرادة الشابة .. يكثر من ذكرها القرآن والسنة لتشع فى حياة الشباب نوراً يحدو إرادتهم ويحوط عزمهم ، فلا يكبو فى ظلمات الحياة ، ولا يخور فى مزالق الرذيلة .

ومن هذه المثل فتى لله هو .. أى فتى صاحب قصة الأخدود !.

إنه آمن بالله فعمق إيمانه والناس يعبدون الملك، وكبر على المعبود الباطل أمر الغلام الشارد، وإباؤه أن يلين، فاحتال ليعبده أو يميته فبار الاحتيال، فقال الغلام المؤمن الذكى: إذا أردت قتلى فاجمع الناس، ثم اصلبنى على جذع عال بحيث يرونى، ثم خذ سهما من كنانتى، وقل حين ترمينى به: باسم الله رب الغلام فإن فعلت هذا قتلتنى.

وصنع الملك ذلك فهتف الناس: آمنا برب الغلام، فصنع لمن آمن أخدودا ملأه ناراً يلقى فيها من ثبت على دينه الحق، حتى كانت امرأة ذات صغير تشفق عليه من النار، قال لها صغيرها وقد رآها محجمة مشفقة: يا أمه اصبرى فإنك على حق!.

أى إرادة تلك التى هزمت الطاغية. لقد مات الفتى ليحيا إلى الأبد.. وتقبل السهم لينقذ أمة من كفرها، وليرسل صوتاً إلى الشباب يضىء.. هأنذا استولدت تاريخ الظلم نوراً وعدلا، وأوعية الكفر أماناً وإيماناً.!

ما أكثر هذا اللون الذى انطبع فى قلوب الصحابة، فكانوا أروع الأمثلة فى الثبات والفداء، وكان الفتى منهم عبقرى الإرادة، فذ العزيمة، حتى ارتفع الإسلام وامتنع، وساد وقاد. وكنا إلى اليوم، وسيكون من بعدنا غدا، صنائع ثباتهم، وثمر وثباتهم، ولا يغنى الإجمال عن ضرب الأمثال بعد هذا المقال.

هروب حازم:

أما عزيمة الهرب، سدادا فى الرأى، واتباعا للحكمة، حين لا جدوى من الإقدام، فحسبنا فيها أن امتدح الحق سبحانه فتية بها، هربوا بدينهم، من عسف الكفر المتجبر والباطل المجتاح.!

أسمعت بأهل الكهف؟ إنها قصتهم. نذكرك طرفا منها فى قوله تعالى: «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا. إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً. فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً. ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا. نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات

والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططاً . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ، ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقاً » .

فتية جمعتهم وحدة الشعور بالإيمان الحق ، فى وسط مائج بالكفر والضلال ، لم يجدوا جدوى من وقوفهم ضد قومهم فاعتزلوا مباهج الحياة قوية إرادتهم ، وانحازوا إلى الكهف حادة عزيمتهم ، ليعيشوا مايعيشون على الهدى ، ويموتوا إذ يموتون على التقى . !

أيها الشاب الراشد .. إن السلب خور واستسلام ، وفسولة ورخاوة إن لم ينجبها الرأى الممحص ، والنظر البعيد ، والحكمة العميقة .. فلا تجعل منها مهرباً مارأيت الإقدام أنجح للأمل ،وأجدى على الرجاء ، والله يؤيد قلبك بنوره ،وخطوك بعصمته وهو الهادى سبيل الرشاد ؟

د . عز الدين على السيد

(بقية المنشور على ص ٦٠)

فى أسفل قصيدته : أسرفت فى مديحك فقصرنا فى حبائك .

ووقع الرشيد فى قصة رجل من البرامكة: أنبتته الطاعة وحصدته المعصية . ووقع زياد على قصة رجل شكا إليه عقوق ابنه : ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد . ووقع جعفر بن يحيى على قصة وال شكاه بعض عماله : كثر شاكوك ، وقل شاكروك ؛ فإما عدلت وإما اعتزلت .

ووقع طاهر بن الحسين على رقعة متظلم : « سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين » .

وقد أصبحت التوقيعات الموجزة فنا من فنون الأدب العربى يتبارى فى إجادتها الرؤساء . وقد أعانتهم اللغة العربية بخصائصها الفنية على هذا الإيجاز ؟

(للبحث بقية)

على عبد العظيم

الإسلام والمسلمون فى أوربا

للأستاذ محمد علوى عبد الهادى

— ٢ —

المسلمون فى النمسا :

اتصلت شخصيا بالمسلمين فى النمسا وعن طريقهم عرفت أحوال المسلمين فى ألمانيا ويوغسلافيا .

فأما المسلمون النمساويون فكادوا ينقرضون وإذا كانت الامبراطورية النمساوية قد استولت من أراضى السلطنة العثمانية على المناطق التى تكون الآن يوغسلافيا، وهذه كان كثير من أهلها قد دخل الإسلام؛ فقد أصبح بضعة ملايين من المسلمين من رعايا هذه الامبراطورية وفى عهد الامبراطور (فوانتس يوسف) الذى قامت الحرب العالمية الأولى فى أواخر أيامه - تمتع المسلمون بحرية كبيرة، وأصدر الامبراطور قانونا فى ١٩١٢/٧/١٥ اعترف فيه بالإسلام رسميا. وقرر عمدة مدينة (فينا) تخصيص أرض لبناء مسجد واعتمد الامبراطور لبنائه مبلغ ٢٥٠٠ كرون ذهبى .

ولكن قيام الحرب العالمية أوقف المشروع . وبعد الحرب تأسست جمعية ثقافية إسلامية حافظت على كيان المسلمين، ولكن الجمعية حلت سنة ١٩٣٩، وبعد نهاية الحرب الثانية كان عدد المسلمين قد تقلص إلى ٤٠ عائلة نمساوية فقط، ولكن النمسا أصبحت ملاذا للألوف من المهاجرين من شتى أقطار أوربا وآسيا وأفريقيا . وكان بينهم الألوف من المسلمين من تركستان وكازاخستان وأوزبكستان وطشقند وأذربيجان والقرم والتتار لاجئين أو محاربين قدماء فى الجيش السوفيتى التقوا مع إخوان لهم لاجئين من ألبانيا ورومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ومن إقليم فيلتاووارسو وهلسنكى ومعهم لاجئون من مراكش والجزائر وتونس، وفى معسكرات اللاجئين عانى هؤلاء الكثير من البؤس وشظف العيش حتى تم ترحيلهم إلى البلاد التى منحتهم حق اللجوء السياسى وخاصة تركيا وسوريا والولايات المتحدة وكندا واستراليا .

وفيما عدا المعونة التى قدمتها الجامعة

الغربية سنة ١٩٤٥ لهؤلاء اللاجئين فقد قام بالعبء الأكبر من مساعدتهم هيئات غير إسلامية.

وفى سنة ١٩٥٨ كان لا يزال هناك نحو ٥٠٠ أسرة من اللاجئين تقيم فى معسكرات اللاجئين بالنمسا، ونحو ٢٥٠ أسرة تقيم خارج هذه المعسكرات موزعة على ١٣ مدينة من مدن النمسا.

وفى السنة المذكورة كان المسلمون التركان المقيمون فى أمريكا والذين أسسوا جمعية فى (سان فرنسسكو) قد افتتحوا فرعا لها فى النمسا بنفس الاسم والشعار الذى اتخذوه لها «جمعية الاسم» وهذه الجمعية هى امتداد تاريخى لكفاح شعوب وسط آسيا المسلمة (التركان والتركستان والأزبك والتتار) ضد الاستعمار والغزو الروسى وقد قامت أصلا فى تركستان سنة ١٩٦٨ للعناية بأمر اللاجئين المسلمين الفارين من وجه الغزو الروسى، وبانتقال هؤلاء اللاجئين إلى الولايات المتحدة أعادوا تأسيسها ثم مـــدوا نشاطها إلى أوربا والأردن للعناية بأمر اللاجئين فى كلا البلدين، وفى سنة ١٩٥٩ اعتمدت الأمم المتحدة هـذه الجمعية ممثلة لهيئات رعاية اللاجئين المسلمين فى أوربا.

وقد اتصلت بهذه الجمعية إبان إقامتى فى النمسا، ولكن هالنى أن أجد فى المسلمين هناك بعض ما يؤلم، فقد ضمت الجمعية أفرادا نمساويين ويوغسلاف وأمريكيين من أصل تركستانى وإيرانيين وأتراك وألبانيين وعراقيين وأردنيين ولكن عمق روح الأخوة بينهم كان ضعيفا، وإذا كان الحماس لم ينقصهم إلا أن إرادة العمل والتغيير كانت ضعيفة بينهم، وأذكر أن الطلبة المصريين فى فينا فى ذلك الوقت كان يقرب عـددهم من الألف وكانت مشكلة الطعام الجيد تعترضهم، ففكرت فى أن تقوم الجمعية بإنشاء مطعم إسلامى يخدم الجاليات المسلمة فى فينا ويكون مورد دخل يساعد الجمعية فى مشروعها، ولكن الجمعية عجزت عن النهوض بهذا المشروع وأضاع مجلس الإدارة الوقت فى المناقشات العقيمة.

وقد علمت بعد أن غادرت النمسا أن هذه الجمعية قد صفيت وحل محلها جمعيات واتحـادات يقوم معظمها على نشاط الطلاب المسلمين فى النمسا.

ومشكلة المشاكل التى تواجه المسلمين

هناك هى التعليم الدينى ، فالدولة تترك أمر تعليم الدين إلى الكنائس، وعلى أولياء أمور التلاميذ أن يسجلوا أبناءهم لدى الكنيسة التى يتبعونها ، ولما كان الإسلام ليس له كنيسة ، فكثيرا ما كنا نرفع سماعة (التليفون) على صوت ناظرة أو ناظر مدرسة يسأل مكتب البعثة التعليمية بفينا عن الهيئة الإسلامية التى تستطيع أن تتولى تعليم الدين لتلاميذ مسلمين التحقوا بالمدرسة السائلة .

المسلمون فى يوغوسلافيا :

خضعت يوغوسلافيا للحكم العثمانى فترة طويلة، وقد أتاح تعدد سلالات شعبها وعدم امتزاجها فرصة لبقاء المسلمين فيها دون ضغط ، إلا أن عدد المسلمين تناقص إلى النصف فى الفترة ما بين الحربين، ويتركز المسلمون فى جمهورية البوسنة والهرسك إحدى الجمهوريات الست التى تتكون منها الجمهورية الاتحادية ليوغوسلافيا. ويبلغ تعداد المسلمين أقل من مليونين ، ونسبتهم لمجموع السكان ١٢٫٨ ٪ ، ويكون المسلمون طائفة دينية يدير شئونها مجلس للعلماء يرأسه رئيس العلماء وهو يدير الأوقاف والمساجد والتعليم الدينى ، وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية حاربت الدولة الأديان كلها فأغلقت المساجد والكنائس وصادرت الأملاك وتعرض المسلمون لعنت شديد وغادر البلاد منهم عدة ألوف ، ولكن عقب زيارة السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى يوغوسلافيا خف التضييق على الناس وسمح بإقامة الصلوات وتركت للناس حرية العبادة .

وقد ارتبط ذلك فى أذهان الناس بزيارة السيد الرئيس مما جعلهم يمجدونه ويباركون خطاه ، وفى سنة ١٩٦٣ صدر دستور جديد للبلاد ، وفيه اعترفت الدولة بالطوائف الدينية وقررت حرية العبادة كما قررت مخصصات مالية لكل طائفة لإدارة شئونها ، وأباحت التعليم الدينى بمعرفة رؤساء الطوائف .

وهناك كثير من اليوغسلاف الذين أصابوا تعليما فى الأزهر الشريف وهم عماد هيئة العلماء هناك ولكن بالرغم من ذلك فإن الأجيال الجديدة تفتقد بشدة المدرسين القادرين على تعليم الأطفال تعليما دينيا سليما .

ولرئاسة الطائفة مجلة شهرية تصدر باللغة

(الصربو كرواتية) وتصدر أحيانا ملخصا باللغة العربية لما تحويه من مقالات .

ويبدو من أبحاث المجلة شدة إحساس المسلمين هناك بضرورة إيجاد أحكام تطبيقية جديدة للإسلام لتواجه مشكلات العصر الحالى .

المسلمون فى فرنسا

امتد الفتح العربى من الأندلس إلى جنوب فرنسا ، وعاش المسلمون سنوات طويلة قبل أن يتركوا فرنسا تحت تأثير الهجمات المسيحية التى لم تهدأ منذ موقعة (تور) حتى جلائهم عن الأندلس كلها ، ولا يزال للعرب هناك أثرباق هو جامعة مونبلييه التى ما برح بعض أساتذتها وخاصة فى كلية الطب يعترفون بفضل العرب فى بنائها ، ولكن القرون الطوال من الحرب المستمرة ضد انتشار الإسلام محت من فرنسا كل أثر له ولكن الإسلام دخل فرنسا عن طريق أبناء المستعمرات فى أفريقيا وآسيا ، وهؤلاء يبلغون عدة مئات من الألوف قد تتجاوز المليون ، منهم ما لا يقل عن مائة ألف من أبناء الجزائر والباقى من البلاد العربية الأخرى ومن السنغال وموريتانيا وغيرها من المستعمرات الفرنسية السابقة ، ومعظم هؤلاء متجنسون بالجنسية الفرنسية متزوجون من فرنسيات .

وفى سنة ١٩٣٠ تعاونت الحكومات الإسلامية الممثلة سياسيا فى باريس فى إقامة مسجد فاخر البناء ملحق به معهد إسلامى ومستوصف للعلاج ومطعم ومقهى ، ولكن المسجد وضع تحت إدارة الحكومة الفرنسية التى عهدت به إلى عالم مغربى لإدارته . وتعتبر الحكومة الفرنسية إمام هذا المسجد شيخا للمسلمين بفرنسا يتولى مسئولية أحوالهم الشخصية وتستعين به سلطات الإدارة فى أمور الزواج والطلاق والتحكيم فى الأحوال الشخصية

وتقام الصلوات فى هذا المسجد بانتظام ويؤمه جمهور كبير من المسلمين من شتى الجنسيات ولكن الأمر يحتاج إلى تعاون الدول الإسلامية فى تدعيم المعهد الإسلامى الملحق به وإلى العناية بأمر الدعوة والثقافة الإسلامية بين المسلمين الفرنسيين الذين يجهل غالبيتهم أمر دينهم جهلا مطلقا وإذا كانت غالبيتهم متزوجين من فرنسيات فإن أبناءهم يشبون غالبا على اللادينية .

بالرغم من أن كثيرا من هؤلاء الفرنسيات

يتقبلن الإسلام بسهولة لولا جهل الأزواج

والمدارس الفرنسية تدرس اللغة العربية كإحدى اللغات الأجنبية الثانية التي يمكن للطلاب دراستها ، ولكنها لا تدرس الدين إطلاقا ، وجميع المدارس تعطل الدراسة يوم الخميس لتبيح للتلاميذ التوجه إلى الكنائس لتلقى دروس الدين بها وتنظم كل كنيسة دروس الدين العملى والنظرى فى نطاق كل أبروشيه لأبناء الراغبين من المسجلين بها ولكن المسلمين لا يجدون من ينظم لهم مثل هذه الدروس ويبلغ عدد التلاميذ المواظبين على الدراسة الدينية نحو ٨٠٪ من مجموع التلاميذ .

ومع أن المسلمين الفرنسيين لم يستشعروا حاجة للمعونة من الأمم الإسلامية القوية فليس ذلك لأنهم فى غير حاجة إليها ولكن لأنهم قد فقدوا الاهتمام بأمر دينهم والمتدينون منهم يجدون فى المسجد الكفاية

ولكن استقلال الشمال الأفريقى وبعث الجزائر بعثا جديدا لابد وأنه قد كان مثيرا للشعور الدينى بينهم ولقد ، لمست بنفسى بوادر هذه اليقظة قبل مغادرتى فرنسا فى أوائل عام ١٩٦٣ .

المسلمون فى ألمانيا وسويسرا

لم أتصل عن قرب بالمسلمين فى هاتين البلدتين اتصالا شخصيا ولكن عن صلتى بالمسلمين فى النمسا علمت من أمرهم الشىء الكثير ، ويتكون المسلمون فى هاتين الدولتين أساسا من لاجئين من أهالى تركستان وأذربيجان والقوقاز وتركمان ومن جبال الأورال ودول بلاد البلقان وهم يتجمعون حول زيورخ بسويسرا وميونيخ وهامبورج وآخن بألمانيا الغربية . وقد ساعدت حكومة المانيا اللاجئين بها ماديا مما جعلهم يستقرون بها ويؤسسون هيئات اجتماعية وثقافية تقوم بمجهودات قدر طاقاتها لتعليم أبناء المسلمين الدين .

ويوجد بالإضافة إلى هؤلاء حوالى مائة ألف من الجاليات الإسلامية من باكستان والهند والبلاد العربية وإيران وتركيا كطلاب علم أو عمال ، وتقوم الطائفة القاديانية بمجهود كبير فى نشر مذهبها . وقد أسست مسجدا بزيورخ وتنشر مجلة إسلامية شهرية ، وبفضل نشاطها اعتنق الإسلام بألمانيا وسويسرا حوالى ٢٠٠ عائلة .

ولكن الطوائف الإسلامية الأخرى تضيق ذرعا بنشاط القاديانية وتسعى

(البقية على ص ٨٠)

هذا التركيب الشائع

للأستاذ عباس أبو السعود

شاع فى كلام العرب وأشعارهم قولهم «لا أبالك» ، وهو أكثر ما يكون مقصودا به المدح ، ويكون معناه حينئذ : لا كافى لك غير نفسك ، أو يراد به نفى نظيره بنفى أبيه .

فمن ذلك قول الحسن البصرى لعكرمة : ألا تمضى قدما - لا أبالك - وأنت على الحق ؟ وقول عنترة العبسى لمحبوبته :

فاقنى[1] حياءك - لا أبالك - واعلمى
أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

وكذا قول رجل من بنى عامر بن صعصعة لبعض بنى قومه :

أبنى عقيل لا أبا لأبيكم
أبى وأى بنى كلاب أكرم ؟

وقد يذكر فى معرض الذم ، ونسب المخاطب إلى غير أب معلوم احتقارا له ، كما فى قول جرير يهجو العباس بن يزيد الكندى .

أعبداً حل فى شعبى غريبا
ألؤما - لا أبالك - واغترابا ؟

يجوز فى الهمزة أن تكون للنداء ، وعبداً منادى من قبيل النكرة غير المقصودة ، وجملة حل صفة للمنادى ، وغريبا حال من ضمير حل ، وقيل : صفة أخرى للمنادى .

وأن تكون للاستفهام ، وعبداً حال ، كأنه قال : أتفخرنى حال عبوديتك ؟ ولا يليق الفخر بالعبودية .

وقال سيبويه : إن لؤما واغترابا منصوبان بفعلين محذوفين على طريق الإنكار التوبيخى ، كأنه قال : أتلؤم لؤما ، وتغترب اغترابا ؟ ويجوز أن يكون التقدير : أتجمع لؤما واغترابا ، فتنصبهما بفعل واحد مضمر وهذا أحسن لأن المنكر إنما هو جمع اللؤم والاغتراب .

وكما فى قول رجل من طيء أنشده أبو زيد الأنصارى :

يا قرط قرط حيى لا أبالكم
يا قرط إنى عليكم خائف حذر

---

[1] اقنى حياءك : الزميه .

ألَّان روى مرقش واصطاف أعنزه
من التلاع [١] التى قد جادها المطر
قلتم له أهج تميما لا أبالكم
فى كف عبدكم عن ذاكم قصر
فإن بيت تميم ذو سمعت [٢] به
فيه تنمت [٣] وأرست عزها مضر

قرط ، بضم فسكون : لقب السكن ابن معاوية بن أمية، والقروط : بطون من بنى كلاب، وهم إخوة قرط، وحيى: تصغير حى، وهو علم على واحد منهم ، ومرقش بفتحتين بينهما سكون : عبد لهم.

والشاعر فى الأبيات الثلاثة الأولى يهجو قرطا وقومه ، ويدعى فى البيتين الأول والثالث أنهم مجهولو النسب ، ويقول : من أجل أن مرقشا أحسن رعية المعز ، واستسق لأهله أمرتموه أن يهجو بنى تميم ، وقوله : لا أبالكم ذم لهم وتعجب من فعلهم ، وقوله : فى كف عبدكم عن ذاكم قصر : كناية عن ضعفه وعدم قدرته على الهجاء .

وكما فى قول جرير يهجو عمر بن لجأ التيمى :

يا تيم تيم عدى لا أبالكم
لا يلقينكم فى سوءة عمر

قوله : لا يلقينكم من الإلقاء وهو الرمى ، والسوءة : الفعلة القبيحة ، أى لا يوقعنكم عمر فى بلية ومكروه من أجل تعرضه لى ، أى امنعوه من هجائى حتى تأمنوا على أنفسكم .

وقد يذكر هذا التركيب فى معرض التعجب : دفعاً للعين ، كقولك : لله درك لا أبالك ، وكما فى البيت السابق لرجل من بنى عامر بن صعصعة ، ابنى عقيل الخ .

وقد يذكر بمعنى جد فى أمرك وشمر ، لأن من له أب اتكل عليه فى بعض شأنه ، كما فى قول زهير :

---

(١) التلاع : مسايل الماء ، واحدتها تلعة

(٢) ذو سمعت به : الذى سمعت به .

(٣) تنمت : ارتفعت . فى البيت الأول : ياقرط قرط حيى بنصبهما ، والأصل ياقرط حيى ، فأقحموا قرطا الثانى توكيداً ، فإن لم ترد التوكيد لم يجز إلا رفع الأول ونصب الثانى على النعت ، كما تقول . يازيد أخا عمر ، ومثل هذا البيت قول عمر بن لجأ :

يا زيد زيد اليعملات الذبل
تطاول الليل عليك فانزل

سئمت(١) تكاليف(٢) الحياة ومن يعش
ثمانين حولا – لا أبالك – يسأم

وكما فى قول الحسن البصرى السابق :
ألا تمضى قدما – لا أبالك ؟

قال أبو العباس : وهذا التركيب فيه جفاء، والعرب تستعمله عند الحث على أخذ الحق والإغراء ، وربما استعمله الجفاة من الأعراب عند المسألة والطلب ، فيقول القائل للأمير أو الخليفة : انظر فى أمر رعيتك لا أبالك ، أو اقض حوائجى لا أبالك .

وسمع سليمان بن عبد الملك رجلا من الأعراب فى سنة مجدبة ، يقول :

رب العباد ما لنا وما لكا
قد كنت تسقينا فما بدا لكا
أنزل علينا الغيث لا أبالكا

فأخرجه سليمان أحسن مخرج ، فقال : أشهد أنه لا أب له ولا ولد ولا صاحبة ، وأشهد أن الخلق جميعاً عباده .

وقيل : إن اللام فى أبالك إنما أقحمت للتوكيد ، ومراعاة لعمل (لا) لأنها لا تعمل إلا فى النكرات، وثبتت الألف مراعاة للإضافة ، فاجتمع فى هذه المسألة شيئان متضادان : اتصال ، وانفصال ، فثبات الألف دليل على الاتصال من جهة الإضافة فى المعنى ، وثبات اللام دليل على الانفصال فى اللفظ مراعاة لعمل (لا) ، فهذه مسألة قد روعيت لفظا ومعنى .

وعلى هذا يكون أبا مضاف إلى الكاف ، ولولا الإضافة لم تثبت الألف فى الأب ، وذلك كقولهم يا بؤس للحرب ، أرادوا : يا بؤس الحرب ، فزادوا اللام توكيدا ، وكقول النابغة :

قالت بنو عامر خالوا بنى أسد
يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام

من هذا يتضح أن أصل التركيب : لا أباك ، كما فى قول أبى حية النميرى :

أبا لموت الذى لابد أنى
ملاق – لا أباك – تخوفينى(١)

ومثل ذلك قول عمرو بن معديكرب =

(١) سئمت الشىء سآمة : مللته .

(٢) التكاليف : المشاق والشدائد .

(١) تخوفينى : أراد تخوفيننى ، فحذف نون الوقاية استثقالا للجمع بين نونين، وقد قرأ بعض القراء قوله تعالى « فبم تبشرون» بكسر النون .

وقول الآخر وأنشده المبرد :

وقد مات شماخ[1] ومات مزرد
وأى كريم - لا أباك - يخلد

أما قولهم : لا أم لك ، فالغالب أنه ذم وسب ، أى أنه لقيط لا يعرف له أما ، وكانت العرب تستحسن : لا أبا لك ، وتستقبح : لا أم لك ، لأنها مشفقة حنينة ، وقد يقع تركيب : لا أم لك مقصودا به للمدح قليلا بمعنى التعجب منها ، ومرجع ذلك القرائن

وفى إعراب (لا أبالك) ثلاثة أقوال :

أحدها : أن أبا اسم للا على لغة من قال : إن أباها وأبا أباها ، ومكره أخاك ، ولك جار ومجرور خبرها .

وثانيها : أن أبا اسم للا ، وهو مضاف لما بعد اللام التى أقحمت تقوية للاختصاص ، والخبر محذوف .

وثالثها : أن اللام وما بعدها صفة لاسم لا على أنه شبيه بالمضاف ، لأن الصفة من تمام الموصوف ، والخبر محذوف وإنما حذف التنوين تخفيفا ؟

عباس أبو السعود مصطفى

= تراه كالثغام يعل مسكا
يسوء الغاليات إذا فلينى

أراد فليننى بنونين متحركتين ، فحذف النون الأخيرة استثقالا للجمع بينها وبين نون النسوة .

(1) شماخ ، ومزرد : أخوان شاعران من صحابة الرسول عليه السلام ، كانا مشهورين بالكرم .

(بقية المنشور على صفحة ٧٦)

جاهدة لنشر المذهب السنى وقد اعتنق الإسلام على يديهم حوالى ١٠٠ ألمانى .

وقد ساعدت الحكومة الألمانية المسلمين بها ماديا وأدبيا فمنحتهم أرضا لبناء مساجد فى كل من ميونخ وآخن وهامبورج تلحق بها مدارس دينية ، كما اكتتب المسلمون فيما بينهم لإنشاء هذه المساجد ولجأوا إلى الحكومات الإسلامية لمساعدتهم .

وبفضل وساطة السيد مدير مكتب الجامعة العربية فى بون قرر السيد المهندس أحمد عبده الشرباصى عندما كان نائبا لرئيس الوزراء للأوقاف وشئون الأزهر منح الجمعية الإسلامية فى آخن معونة مالية لاستكمال بناء المسجد الذى بدأوا فى تشييده هناك ، كما قرر أن يقوم الأزهر بعد الجمعية بتقديم المصاحف والمؤلفات الدينية ؟

محمد علوى عبد الهادى

فطرة الانسان

للأستاذ أحمد عمر هاشم

سلوا النـــور المشع العبقريا　　تهادى فى الدنا فجراً نقيا
يطارح ليله المثغوم لحناً ..　　رقيق الخطو مياداً حييا
ويهمس للكواكب فى علاها　　فترتقب المجرة ، والثريا
ويصحو البدر مرتعش الحنايا　　ينقل فى السما ضوءاً سنيا
وحين تلفه سنة فيغفو　　كأن ضياءه ما كان شيا
فتبدو الشمس فى صبح وريق　　لتبعثه شعاعا عسجديا
ويخمد وقدها ويغيب حتى　　كأن ضياءها ما كان حيا ..
وهذا الكوكب الأرضى زاه　　وقد لبس الرداء السندسيا
كتاب الكون مفتوح ودنيا　　الطبيعة ناغمت حلما شهيا
وآدم بين تطواف حثيث　　يفلسف ذلك السر الخفيا
هنالك فطرة الإنسان مدت　　على الأبعاد منطقها الذكيا
أأعبدها ؟ لقد أفلت جميعا !!　　سأعبد ربها الملك القويا
هو الرحمن سواها بعلم　　وسوانى لها بشراً سويا

* * *

حبيبى يا رسول الله هذا　　ضياؤك مشرق فى مقلتيا
وقلبى لاهب الآهات ينعى　　على الدنيا ظلاما عنجهيا
وليلا حائر النجمات غامت　　به آفاقه تهمى عليا ..
وقفت حيالها والظلم عات　　يدمدم .. يخنق النور البهيا ..
ودينك خالد الإشعاع ثبت　　يصارع ذلك البغى البغيا
وبين مسامع الدنيا ترامت　　نداءات سمعت لها دويا
وباسم حضارة بلها تمطت　　بابل فاغر أمسى عييا
عقيدتهم .. شريعتهم .. أكانت　　شريعة ربنا ظلما وغيا ؟

أكانت فلسفات مغلقات لتعمى ذلك العقل الذكيا ؟
أكانت طلسما ودجى ضريرا لتغلق ذلك الفجر الوضيا
لقد فطر الإله الخلق طرا عليها باعثا هديا جليا
وأرسل رسله ركبا فركبا ليبتعثوه دينا عالميا ..
وكان ختامهم خير البرايا محمداً النبى الهاشميا

* * *

هو الإسلام فى قلبى هداه هو القرآن سيف فى يديا
هو الدنيا .. هو الأخرى فهلا حرسنا حده ثبتا قويا
ومنا معشر كانوا كراما رعوه بكرة ، ورعوا عشيا
فأولاهم إله العرش حباً .. وناداهم ، وقربهم نجيا
إلهى قال : لا خوف عليهم لأن لهم مكانهم العليا
فهم هجروا مضاجعهم وهبوا إلى الرحمن قد خروا جثيا
وهم أضيافه فى كل وقت ومن يك ضيفه أضحى هنيا
ومن يك ضيفه يغنم ويسعد وكان بضيفه ربى حفيا

أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى :

« إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

(التوبة : ٤٠)

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● عقبة بن نافع الفهرى

للواء الركن محمود شيت خطاب

هـذا الكتاب الذى نشرته (دار الإنسان) بشارع الأزهر بالقاهرة للواء الركن محمود شيت خطاب يقع فى أكثر من مائتى صفحة من القطع الكبير ،وهو فصل من فصول كتاب المؤلف عن «قادة فتح المغرب العربى » وتعتبر الطبعة التى بين أيدينا هى الطبعة الثالثة ، إذ سبق طبعه مستقلا أيضا بحثا من بحوث مؤتمر مجمع اللغة العربية المصرى، والمجمع العلمى العراقى ، وقد أشار المؤلف فى مقدمة الطبعة التى بين أيدينا إلى أن هذه الطبعة الثالثة تصدر للناس بعد إطلاق اسم : (عقبة بن نافع)على قاعدة «هو يلس» الليبية التى غادرها آخر جندى أمريكى خلال شهر يونيو عام ١٩٧٠ ،وهذه لفتة كريمة من المؤلف والناشر معا . . إلا أن هذه الطبعة الأخـيرة تمتاز على الطبعتين السابقتين بإضافة أربعة فصول :

البلاد والسكان قبل الفتح الإسلامى وفى أيامه وبعده - جيش البربر وسكان إفريقية الآخرون - جيش الروم - ثم الفتح الإسلامى للمغرب العربى قبل عقبة ابن نافع . . .

ويرى المؤلف أن إدراج هذه الفصول ضرورى ليعرف القارىء ما عاناه عقبة بن نافع فى الفتح : طبيعة الأرض التى قاتل عليها عقبة ، السكان الذين كانوا يعيشون فى البلاد أيام الفتح ، والقوات التى صاولها عقبة ، وأثر القادة العرب المسلمين الذين سبقوه فى الفتح . . وكان جميلا من المؤلف أن يورد فى الكتاب صورا للأسلحة القديمة ، وخـرائط تفصيلية للبلاد مع إيضاح سير الفتح الإسلامى عليها،وأن يختم الكتاب بتعريف شامل للمصطلحات العسكرية الفنية التى وردت فى الكتاب ، والتى قد عرفها بإيجاز غير مخل حتى لا يصعب على غير العسكرين تفهم معانيها ، دون الدخول فى تفاصيل تعاريفها التى يعرفها العسكريون المختصون، ولكنها لا تفيد سواهم فى شىء .

الحق أن المؤلف فى الفصول الأربعة التى أضافها إلى الطبعة الجديدة قدم دراسة تحقيقية على جانب من الأهمية، ولا سيما فيما يتصل بالبربر: أصلهم وقبائلهم وحالتهم الاجتماعية ودياناتهم وجيشهم وأسلحتهم وهؤلاء البربر لا جدال فى أنهم شغلوا جزءاً مهما من التاريخ عسكريا وسياسيا قبل الفتح الإسلامى وبعده، وإن كان المؤرخون القدامى لم يهتموا كثيرا بدراستهم دراسة ذاتية، وإنما عنوا بهم وحسب فى مجال الأحداث التى ارتبطت بهم وكان المؤلف موفقا حين قدم هـــذه الدراسة الذاتية الموجزة عن البربر، كما كان موفقا فى إضافة بقية الفصول التى استوعبت أكثر من نصف صفحات الكتاب . . . وكانت جديرة بذلك...

وفى أقل من ستين صفحة قدم لنا المؤلف: « عقبة بن نافع الفهرى » نسبه وأصله، وجهاده فى مصر وليبيا والنوبة وفى بقية الشمال الأفريقى أو المغرب العربى كما قدمه لنا: بطلا شهيدا، وإنسانا عظيما وقائدا فذا، ثم مكانه فى التاريخ، ومن خلال هذه الدراسة الموجزة تبرز أمامنا صورة واضحة مشرقة عن مسار الفتوحات الإسلامية فى شمال أفريقيا، وما أبلاه المسلمون المجاهدون من بلاء حسن، وما تكبدوه من مشاق تجعلهم جديرين بأرفع أوسمة البطولة، حتى ولو لم يقدر لهم أن يحرزوا إلا جزءا مما أحرزوه من انتصارات هى أشبه ما تكون بالأساطير..

يرى المؤلف أن عقبة: « كان من أولئك الرجال الذين ابتلوا بإفراط المعجبين به قائدا إنسانا، وتفريط الناقدين له قائدا، وكان من تفريط الناقدين له قائدا، أنهم جعلوا منه قائدا مخفقا، لا هدف له من حملته الكبرى، ولا خطة له فى إدارة الحرب، وحتى لم يعمل على نشر الإسلام حسب خطة مرسومة وغاية واضحة ».

وكان أن جعل المؤلف جل اهتمامه فى الدفاع عن عقبة، فنفى أن يكون عمرو اختاره للقيادة لما بينهما من قرابة، إذ أن عمرا له أقرباء كثيرون، فلماذا يؤثر عقبة على غيره من ذوى قرباه؟ ثم من المعروف أن عقبة قد استمر فى منصبه حتى بعد عزل عمرو عن ولاية مصر، وفى عهد على حين ولى مصر محمد بن أبى بكر، وعزل عقبة فى عهد معاوية، لكن أعيد إلى منصبه مرة أخرى وبقى فيه حتى أحرز الشهادة فى سبيل الله..

أما الطعن فى قدرات عقبة القيادية فهو فى الحقيقة أتفه من أن يرد عليه ، ونحن مع المؤلف فى تساؤله : إذا لم تكن هذه المفاخر - أى الفتوحات التى تمت على يدى عقبة - بل بعضها ، كافية لتقدير قيادة عقبة ، فماذا بإمكان أى قائد أن يفعل ليستحوذ على التقدير والإعجاب ! ؟

ولم ينس المؤلف أن يشير إلى أن عقبة لم يشترك فى المنازعات السياسية التى حدثت بين على ومعاوية ، والتى تحولت إلى فتن دامية لا ريب فى أنها فتتت فى وحدة المسلمين ، فهو كقائد عسكرى كانت له رسالة حرص على أن يعمل على تأديتها غير مهتم بما يحدث فى العراق أو فى الشام أو فى مكة ..

بقى أن نقول :

إن المؤلف اللواء الركن محمود شيت خطاب الغنى عن التعريف ، والذى قدم لنا « الرسول القائد - الفاروق القائد - قادة فتح العراق والجزيرة - قادة فتح الشام ومصر - قادة فتح المغرب العربى - معجم الألفاظ العسكرية فى القرآن الكريم - المعجم العسكرى - ثم أهداف إسرائيل التوسعية فى البلاد العربية ، هذا المؤلف المحقق سد بمؤلفاته فراغا ظل قائما بالمكتبة الإسلامية والعربية ، هذا الفراغ هو التأريخ للجانب العسكرى فى مسار الدعوة الإسلامية . وليست لدراسة المؤلف المحقق أهميتها لأنه متخصص - وحسب - بل لأن له عقيدة تضفى على كل أبحاثه تقديرا كبيرا . إلا أننا كنا نود بالنسبة للكتاب الذى بين أيدينا - أن يعنى سيادته عناية أكبر بالجانب الإنسانى فى شخصية عقبة القائد ولا نظن أن السطور المعدودة فى كتاب تغطى حتى أقل جزء من الجانب المثالى والإنسانى فى شخصية القائد ..

ثم إن الفتوحات الإسلامية كانت تحمل فى يد سيفا ، وفى اليد الأخرى قرآنا ، وكما يهتم المؤرخ بالأعمال العظيمة فى الجانب العسكرى ، فالواجب أن يعنى بالمبادىء والمثل العليا التى تخللت مسار هـذه الأعمال العسكرية التى توجت بالنصر ، ولا سيما إذا كان المؤلف صاحب عقيدة قبل أن يكون صاحب قلم ؛ لذلك كنا نود أن تبرز المثل العليا فى سيرة القائد العظيم ، بالقدر المناسب ..

وقد خلت الدراسة من المقارنة بين القائد المسلم العظيم وغيره من قواد أبرزهم

التاريخ، ولا سيما القواد الذين أبرزهم فى العصـــور الذهبية للرومان والفرس والإغريق، فقد حرص المؤرخون غير المسلمين على إبراز أولئك القواد حتى جعلوا منهم أساطير تاريخية ..

هذه لمحات خفيفة، ويبقى بعـد ذلك أن المؤلف المحقق جدير بكل تقدير، حيث عنى عناية كبرى بقواد عسكريين بلغوا قمة النجاح العسكرى مع القوة المادية غير المتكافئة مع قوات العدو عدداوعدة ليكونوا بعد ذلك قدوة لجنودنا فى نضالهم ضد قوى البغى والعدوان .

وكلمة تقدير أخيرة لـ «دار الإنسان» التى بدأت نشاطها بهذا الكتاب فى مجال التأليف والتحقيق والنشر العلمى خدمة للإسلام والتراث العربى الخالد، وليس هذا بغريب عليها، وصاحبها ممن يعيشون بأقلامهم وأموالهم للعقيدة والفكرة فى ميدان الإسلام ..

* * *

● على طريق الهجرة .

للأستاذ حسن فتح الباب .

العقيد حسن فتح الباب من الكتاب المعنيين بالدراسات الإسلامية، ولا يقف نشاطه عند تأليف الكتب، بل يمتـد إلى كتابة المقالات، فى عديد من الصحف الإسلامية والأدبية ..

وفى كتابه هـذا أراد أن يقدم لنـا وقائع الهجرة فى ضوء علم الإدارة العامة ومشتقاته من تخطيط وقيـادة إدارية وعلاقات إنسانية، وفقا للمفاهيم الحديثة كل ذلك فى دراسـة مسهبة مستفيضة، إذ أن الكتاب الذى كان ضمن سلسلة البحوث الإسـلامية يقع فى أكثر من ثلاثمائة صفحة ..

وقيمة هـذه الدراسة التى استوعبها الكتاب، فى أنها دراسة مستقلة فى ضوء علم الإدارة وفروعه، باعتبار هذا العلم ـ كما يقول المؤلف ـ من أحدث العلوم الاجتماعية جميعا، على أن جانب القيادة الإدارية أيضا فى حاجة إلى العناية حيث إن ماتناوله الباحثون فى مجالة لا يغنى ..

والكتاب يقع فى خمسة فصول :

خصص المؤلف الفصل الأول للحديث عن الأصول الفكرية والعلمية فى الإسلام قاصـدا من ذلك إقامة البرهان على أن دراسة الهجرة من وجهة نظر علم الإدارة الحديث ليست بدعة من البدع، بل إنها

تنبثق من طبيعة الإسلام دينا ودولة ..

والفصل الثانى: خصصه المؤلف للتخطيط للهجرة، معرفا باصطلاح التخطيط وأبعاده فى العصر الحديث، ومتناولا دراسة الهدف من خطة الهجرة ودوافعها، والتدابير التى اتخذها الرسول تمهيدا للهجرة ثم الإعداد لها..

والفصل الثالث: خصصه المؤلف للتنظيم فى الهجرة ناسجا على نفس المنوال الخاص بالتخطيط، باعتبارهما أشبه بوجهين لعملة واحدة ..

والفصل الرابع: خصصه المؤلف لبحث الخطة والتنظيم اللذين وصفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الهجرة وأفاض فى الحديث عن تنظيم مجتمع المدينة واحتياجاته الأساسية، وفى مقدمتها: تدابير الوحدة ..

أما الفصل الأخير: - وهو أوسع الفصول - فقد خصصه المؤلف لبحث القيادة الإدارية للرسول الكريم فى دار الهجرة، معرفا بعلم الإدارة العامة وبيان أهميته القصوى فى عالم اليوم».

هذه كلمة عاجلة عن دراسة جديرة بالتقدير، وكنت أود أن يكون الكتاب فى يدى منذ أسابيع لقراءته قراءة استيعاب حتى يكون له حظه من النقد. وأرجو أن تتاح فى القريب - إن شاء الله - العودة إليه، فهذه الكلمة العاجلة عنه دفعت إليها المناسبة العظيمة، مناسبة الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التسليم.

* * *

● تجديد الفحولة فى الشعر العربى:

فى العدد الأخير من سلسلة «كتاب الهلال» وعنوانه: «شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى» أشار المرحوم الأستاذ العقاد - فى الحديث عن الشاعر المرحوم محمد عبد المطلب المتوفى عام ١٩٣١ - إلى أن هناك أمرين كان لهما فضل فى سلامة الشعر العربى فى مصر من سخافة التلفيقات اللفظية، وركاكة الألفاظ، ثم اتجاهه إلى الفحولة والجزالة منذ نيف وستين سنة:

أحد هذين الأمرين: أدبى قريب من الشعر والشعراء، وهو سريان الشعر القديم - شعر الفحول المطبوعين، المشهود لهم بالسبق فى الأستاذية والبلاغة - بين أيدى المتأدبين والقراء على أثر ظهور الطباعة وانتشار آثارها فى البلاد الشرقية.

أما الأمر الآخر: فهو دينى يتصل بالأدب والشعر من طريق دائر، ولكنه طريق ظاهر، وقد استفاد من هذه الطريق

أناس لم يستفيدوا من الذوق الأدبى المحض والملكة الفنية الخالصة ؛ إذ ليس للأذواق الأدبية والملكات الفنية من الشيوع والنفاذ ما للعقيدة الدينية بين الخاصة والعامة ، والقارئين وغير القارئين .

وليس بين شعراء هذه الفئة من يمثلها ويستغرق فيها كما مثلها واستغرق فيها الشيخ محمد عبدالمطلب ، الشاعر المبتدىء فى لفظه وأغراض كلامه ، لأنه سلك إلى هذا المذهب من طريقين : طريق الأصل العربى ، وطريق النشأة الدينية . .

كأن الأستاذ العقاد يريد أن النزعة إلى إعادة الشعر العربى إلى فحولته القديمة هى نزعة دينية ومن باب أولى الحفاظ على الشعر العمودى نفسه الذى يحفظ على اللغة العربية الفصحى قيمتها ، ومن هنا ندرك أن الحملة على الشعر العمودى والمحاولات الدائبة للدعوة إلى الشعر العامى ، لا يقوم بها إلا فئة لا أثر للنزعة الدينية فى نفوسهم . .

* * *

● روح الدين . . وإجازة العيد :

قال الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى جريدة أخبار اليوم .

« . . اليوم تنتهى إجازة عيد الأضحى المبارك ، وهى إجازة طويلة لم يرد لها - بهذه الصورة - نص فى الدين أو الأثر الذى تلقيناه عن السلف الصالح ، وقد تمنيت فى سنوات متعاقبة لو أمكن خفضها إلى يومين بدلا من خمسة ، إيثارا لروح الدين ومنهجه . . فإن العصر لم يعد يتفق مع هذه البطالة الطويلة ، وأسميها « بطالة » لا على سبيل المجاز ، بل تقريراً للواقع ، فإن تعطيل الأعمال خمسة أيام متتابعة أمر غير مقبول شرعا أو ذمة وأمانة أو أخذاً للحياة بالجد الذى ينبغى أن تؤخذ به » .

* * *

● قراءات :

« لم تكن القوة عاملا فى انتشار القرآن قطعا ، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارا فى المحافظة على دينهم ، وإذا حدث أن اعتنقت الشعوب النصرانية دين غالبيهم ، فذلك لأن الفاتحين الجدد بدأوا أكثر عدلا نحوها مما كان عليه سادتها السابقون ، ولأن دين هؤلاء الفاتحين كان من البساطة البالغة ما لم تعرفها الشعوب النصرانية حتى ذلك الحين . . » ؟

(غوستاف لوبون . من حضارة العرب)

محمد عبد الله السمان

رد على نقد :

كتب الأستاذ محمد عبد الله السمان كلمة نقد لكتابى « رابعة العدوية » فى مجلة الأزهر ، عدد شوال ١٣٩١ ، اتهمنى فيه بنقل صفحات من كتاب « رابعة العدوية » للأستاذ الشيخ محمد قمر الدولة ناصف المدرس بمعهد دسوق الدينى .

وقبل أن أسوق الأدلة على عدم صحة هذا الادعاء ، أود أن أبدى عدة ملاحظات :

أولا : أن حكاية السرقة الأدبية بضاعة يروج لها بعض الكتاب طلباً للشهرة ، وذيوع الاسم ، ومن قبل اتهم كبار الكتاب فى مصر بهذه التهمة ، أذكر منهم على سبيل المثال توفيق الحكيم الذى اتهم ظلما بأنه اقتبس كتابه « حمارى قال لى » من كاتب أسبانى ، واتهم شاعر مغمور بيرم التونسى بأنه يسرق أشـــعاره .. ومضى أدعياء الأدب إلى زوايا النسيان وبقى الشرفاء يبدعون أعمالا أدبية ممتازة .

ثانياً : القارىء لكتابى رابعة العدوية ، يلاحظ التزامى بكتابة المراجع والمصادر التى اعتمدت عليها فى هامش الكتاب ، وليس هذا الالتزام قاصرا على هـذا الكتاب ، بل إننى ماالتزم به فى جميع كتبى التى تربو الآن على الخمسين كتابا .

ثالثاً : وجه الأستاذ السمان اللوم إلى اللجنة التى تراجع الكتب بدار الشعب إذ كان المفروض - على حد تعبيره - أن تكون اللجنة على صلة ومتابعة لما ينشر من كتب وبخاصة إذا كان اسم رابعة العدوية مزدحما بالدراسات والأبحاث وكان الأولى بالأستاذ السمان أن يوجه هذا اللوم إلى نفسه ، لأنه إذا كان يتابع ما ينشر من كتب ودراسات لعرف أن صديقه الشيخ محمد قمر الدولة ناصف قد نقل كتابه من كتب سابقة ، ولكن يبدو « أن الأخوة » بينه وبين صديقه الشيخ قد حجبت عنه الرؤية الصادقة فراح يوجه الاتهامات دون دليل أو سند .

وإنى أعرض على القارىء الكريم هـــذه الأدلة لتبدو الحقيقـة أمامه واضحة جليـة .

أولا : تحدث الأستاذ الشيخ محمد قمر الدولة ناصف فى كتابه « رابعة العدوية »

الصادر فى ٦ من يناير ١٩٦٦ عن التصوف من ٨ إلى ١٠ ، وهذه الصفحات منقولة بالحرف الواحد من كتاب « تاريخ الفكر العربى » للدكتور عمر فروخ طبعة بيروت ١٩٦٢ - ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

ثانيا : ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، من كتاب الشيخ ناصف هى نفسها الصفحات من : ٩ - ١٢ من كتاب « شهيدة العشق الإلهى » تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوى الطبعة الثالثة ١٩٦٢ .

ثالثا : تكلم الشيخ ناصف فى ص ٥١ ، ٥٢ من كتابه عن رأى رابعة فى الزواج وهذه الآراء التى عرضها ، كتبها كل الكتاب الذين أرخوا لرابعة .

راجع على سبيل المثال :

١ — رابعة العدوية والحياة الروحية فى الإسلام : للأستاذ طه عبد الباقى سرور الطبعة الثالثة (١٩٥٧) ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

٢ — شهيدة العشق الإلهى ص ٥٠ ، ٥١ .

٣ — رابعة العدوية للأستاذ : محمد عطية خميس - الطبعة الثالثة ١٣٨٤ هـ ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ .

رابعا : تحدث الشيخ ناصف عن الحب الإلهى فى ص ٥٩ ، ٦٠ فى كتابه ، وهى منقولة بالحرف الواحد من كتاب شهيدة العشق الإلهى ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ للدكتور بدوى ، وفى كتاب رابعة العدوية للأستاذ طه ص ١٤١ ، ١٤٢ .

خامساً : فصل التجريد الحسى عند رابعة ، منقول من كتاب الأستاذ طه عبد الباقى سرور ص ١٧٤ وبنفس العنوان .

إن هذه الأدلة الدامغة تدل بما لا يدع مجالا للشك أن الأستاذ السمان كتب كلمته استجابة لهوى صديقه الشيخ وكان عليه أن يحكم ضميره الدينى قبل أن يشرع قلمه للهجوم على شخصى .

وأخيرا ... فإن هناك قانونا يحمى سمعة وكرامة الإنسان من التجريح والتشهير المقصود إرضاء للإخوان والأصدقاء ؟

محمود الشرقاوى

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

التسبيح بالمسبحة

من السيد / درويش إبراهيم درويش

هل التسبيح بالأنامل أفضل أم بالسبحة وهل السبحة لها أصل فى الشرع ، وهل لو قال الإنسان : سبحان الله وبحمده عدد خلقه له ثواب هذا العدد وما دليل ذلك ؟

الجواب : بوب لهذا الموضوع الشوكانى فى كتابه « نيل الأوطار » تحت عنوان (جواز عقد التسبيح باليد وعده بالنوى ونحوه) وأورد الأحاديث الآتية :

١ — عن يسيرة - وكانت من المهاجرات - قالت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكن بالتهليل والتسبيح والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات مستنطقات » .

رواه أبو داود والترمذى وأحمد

٢ — وعن سعد بن أبى وقاص أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل : سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك » .

رواه أبو داود والترمذى

٣ — وعن صفية قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يدى أربعة آلاف نواة أسبح بها فقال : « لقد سبحت بهذا ، ألا أعلمك بأكثر مما سبحت به ، فقالت : علمنى ، فقال : « قولى سبحان الله عدد خلقه » . رواه الترمذى وأخرجه أيضا الحاكم وصححه السيوطى .

ويؤخذ من الحديث الأول : أن التسبيح على الأنامل أولى ؛ لأنهن سيشهدن بذلك يوم القيامة .

والحديثان الآخران : يدلان على جواز عد التسبيح بالنوى والحصى ، وكذلك

بالسبحة ؛ لعدم الفارق لتقريره صلى الله عليه وسلم المرأتين على ذلك، وعدم إنكاره والإرشاد إلى ما هو أفضل لا ينافى الجواز وقد وردت بذلك آثار منها : ما ورد عن أبى صفية مولى النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يوضع له نطع ويجاء بزنبيل فيه حصى فيسبح به إلى نصف النهار ، ثم يرفع ، فإذا صلى أتى به فيسبح حتى يمسى وأخرج ابن سعد عن حكيم الديلمى أن سعد بن أبى وقاص كان يسبح بالحصى وقال ابن سعد فى الطبقات: أخبرنا عبد الله ابن موسى ، أخبرنا إسرائيل عن جابر عن امرأة خدمته ، عن فاطمة بنت الحسين ابن على بن أبى طالب أنها كانت تسبح بخيط معقود .

وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد الزهد عن أبى هريرة أنه كان له خيط فيه ألف عقدة ولا شك أن الخيط المعقود يشبه السبحة .

وفى هذين الحديثين الآخرين فائدة جليلة ، وهى أن الذكر يتضاعف ويتعدد بعدد ما أحال الذاكر على عدده وإن لم يتكرر الذكر فى نفسه ، وهذا من فضل الله ورحمته على عباده ، والله أعلم .

حكم أكل لحوم الخيل

من السادة/ على درويش ناظر مدرسة ميت الحارون الابتدائية ، وفريد حلاوة ناظر مدرسة كفر ميت الحارون الابتدائية والحاج عبد الحميد موسى من قرية ميت الحارون .

السؤال: يتجادل الناس فى أكل لحوم الخيل ؛ فمن قائل بالجواز ، وقائل بالمنع فما دليل كل من المجوزين والمانعين وما منشأ الخلاف . ؟

الجواب: منشأ الخلاف: هو قوله تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) فاحتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل ، وهو قول ابن عباس : وقال إنها للركوب والزينة، وإليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله ، واستدلوا أيضا بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علمنا تحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر ؛ لأن الله سبحانه وتعالى خص الأنعام بالأكل حيث قال : «ومنها تأكلون» ، وخص هذه بالركوب فقال «لتركبوها» فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل .

وذهب جماعة من أهل العلم إلى إباحة لحوم الخيل ، وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير ، وإليه ذهب الشافعى رضى الله عنه وأحمد بن حنبل واسحق ، واحتجوا على إباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق أنها قالت: (نحرنا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فرسا فأكلناه) وفى رواية قالت: (ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فأكلناه) أخرجه البخارى ومسلم . وعن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الأهلية وأذن فى الخيل. وفى رواية قال: أكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الحمار الأهلى هذه رواية البخارى ومسلم ، وفى رواية أبى داود قال : ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا مخمصة فنهانا النبى صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل .

وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بأن ذكر الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها مختصة بذلك وإنما خصت هاتان المنفعتان بالذكر لأنهما معظم المقصود وقالوا : ولهذا سكت عن حمل الأثقال على الخيل مع قوله فى الأنعام : (وتحمل أثقالكم) ولم يلزم من هذا تحريم حمل الأثقال على الخيل ، وقال البغوى : ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمته وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته .

والدليل الصحيح المعتمد عليه فى إباحة لحوم الخيل أن السنة مبينة للكتاب ، ولما كان نص الآية يقتضى أن الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الأكل مسكوتا عنه دار الأمر فيه على الإباحة والتحريم ، فوردت السنة بإباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فأخذنا بها جمعا بين النصين اهـ (من تفسير الجمل بحروفه) .

فض بكارة الزوجة بالأصبع :

من سيدة لا تريد ذكر اسمها وترمز إليه بالحروف ف .م .على، تقول : بعض قرى الريف يفضون بكارة الزوجة تارة بإصبع « الداية » وتارة بإصبع الزوج فما حكم الإسلام فى ذلك ؟ .

الجواب :

فض بكارة الزوجة بإصبع « الداية » حرام

(البقية ص ٩٦)

أنباء وآراء

تعقيب على مقال « حجاج إفريقيون »

كتب الأستاذ : حسن عيسى عبد الظاهر بلجنة السنة بمجمع البحوث الإسلامية إلى المجلة بالكلمة التالية :

فضيلة رئيس تحرير مجلة الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد :

فإنى أتابع باهتمام وشغف كتابات الأستاذ محمد جلال عباس عن الوجه الإسلامى لإفريقيا وجهده فى كشف النقاب عن نضارة الوجه الذى يحاول الاستعماريون طمس معالمه ، ونود المزيد من هذه الدراسات التى تفسح لها مجلة الأزهر - مشكورة - صدر صفحاتها.

هذا، وفى مقال (حجاج إفريقيون) للأستاذ محمد جلال عباس المنشور فى عدد ذى الحجة سنة ١٣٩١ هـ ص٩٦٩ وردت العبارة التالية ص ٩٧١ :

(وتوالت من بعدهم زيارات زعماء الفولاتى من أمثال (عثمان دون قديو) الذى ورد ذكر حجته الكبيرة وزيارته للقاهرة ومقابلته لعلمائها وفقهائها فى كتاب (إنفاق الميسور فى تاريخ بلاء التكرور) الذى كتبه (أحمدو بللو) وجاء ذكر من كان يراسلهم من علماء مصر والأزهر على لسان ابن أخيه الأمير عبد الله فى كتابه (تزيين الورقات) الخ، وأود أن أورد عدة ملاحظات على هذه العبارة للأمانة العلمية :

أولا : أن صحة اسم هذا الزعيم المشار إليه هو (عثمان دان فوديو) و(دان) معناها: ابن و(فوديو) بالفاء لا بالقاف.

ثانيا : أن الشيخ عثمان هذا لم يتيسر له أداء فريضة الحج ولم يرد فى أى من الكتابين : (إنفاق الميسور) و (تزيين الورقات) ما يشير إلى حج الشيخ عثمان

ثالثا : أن كتاب (إنفاق الميسور) لم يكتبه (أحمدو بللو) وإنما ألفه السلطان (محمد بللو) نجل الشيخ عثمان والذى تولى الإمارة بعده بمشاركة عمه عبد الله .

رابعا : أن الشيخ عبـد الله بن فودى صاحب (تزيين الورقات) ليس ابن أخ للشيخ عثمان، وإنما هو أخوه وتولى الإمارة بعده بمشاركة محمد بللو بن الشيخ عثمان .

والله ولى التوفيق ؟

* * *

● اللائحة التنفيذية لقـانون تنظيم الأزهر .

أقر قسم التشريع بمجلس الدولة اللائحة التنفيذية لقانون تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها، وأعادها إلى وزارة الأوقاف وشئون الأزهر .

● أصدر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئـون الأزهر قرارا وزاريا برقم (١٤) فى ٢٠/١/١٩٧٢ بإلغاء القرارات الوزارية : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، وهى القـرارات التى ترتب عليها وجود وحدات ذات استقلال مباشر مالى وإدارى لـكل منها .

بإلغاء هذه القرارات يختص أمين عام المجلس الأعلى للأزهر بالشئون المالية والإدارية يرأسه فى ذلك فضيـلة وكيل الأزهر فالإمام الأكبر ، بينما يختص رؤساء الوحدات بالجانب الفنى لكل منها .

● « البنك الإسلامى الدولى للتجارة والتنمية » .

اختتمت اللجنة الموسعة لدراسة نظم العمل المصرفى حسب الشريعة الإسلامية مناقشتها يوم الأربعاء ٢٤ من ذى الحجة ١٣٩١ / ٩ - ٢ - ١٩٧٢ - بشأن إنشاء «البنك الإسلامى الدولى للتجارة والتنمية» .

صرح السيـد / حسن التهامى رئيس اللجنة بأن اللجنة استعرضت النظريات الاقتصادية الإسلامية للاستفادة منهـا فى المشروع .

يعتبر عمل هذه اللجنة امتدادا لتنفيذ قرارات المؤتمر الإسلامى الذى عقـد دورته الأولى فى الرباط ، وسيبحث الموضوع فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية المقرر عقده فى جدة فى منتصف المحرم ١٣٩٢ / ٢٩-٢-١٩٧٢ .

أشاد (تنكو عبد الرحمن) رئيس وزراء ماليزيا والأمـين العام للمؤتمر بالدراسة التى قدمتها مصر ، وجاء فى حديثه : إننى لم أكن أتوقع أن تأتى بهـذا التفصيل والدقة ، وقال : إننى يمكننى الآن أن أقدم فعلا لمؤتمر جـدة دراسة قيمة فى هذا المجال .

● إسرائيل . . والفلبين . . والعرب .

قرر مكتب المقاطعة العربية الإسرائيلية حظر تداول صحيفة «مانيلا يفننج نيوز» فى العالم العربى بعد أن تبين أن السفارة الإسرائيلية فى مانيلا بالفلبين تقوم بتمويل الصحيفة ودفع أجور محرريها .

سبق أن أعلن السيد «على يادابن داتون» رئيس حزب الأحرار وممثل إقليم (كوتاباتو) بمجلس النواب الفلبينى أنه يشتبه فى وجود ضلع لإسرائيل فى التحريض على مذابح المسلمين فى جنوب الفلبين .

● جمعية تعاونية لنشر المؤلفات الإسلامية .

يسعى دكتور مصطفى وصفى المستشار السابق والخبير القانونى بمجمع البحوث الإسلامية إلى تكوين «جمعية تعاونية» تعنى بنشر المؤلفات والبحوث الشرعية ذات الصبغة القانونية ، سواء منها ما كان شرعيا إسلاميا بحتا ، أم دراسة قانونية لها صلة بالتشريع الإسلامى .

سيتبع الحساب المالى للجمعية ذات الأسهم نظاما إسلاميا خالصا ؟

على الخطيب

(بقية المنشور على ص ٩٣)

لسببين : الأول : لأن فيه نظرا إلى عورة امرأة أخرى وهو حرام ، كما أن نظر الرجل إلى عورة رجل آخر حرام ، وذلك فيما عدا الزوجين ، وأما قول السيدة عائشة رضى الله عنها : (ما رأيت منه ولا رأى منى) فذلك من كمال الأدب وحسن الأخلاق ومن باب حسنات الأبرار سيئات المقربين

الثانى : أنه قد يكون فيه تدليس على الزوج ، وهو حرام ؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم : (من غشنا فليس منا) .

وإذا كان فض البكارة بإصبع الزوج فإن ترتب عليه ضرر ؛ فهو حرام لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » أى لا تضر نفسك ولا تضر غيرك . وإن لم يترتب عليه ضرر فلا حرج فيه ، والواقع أن هذه عادة مرذولة تجب مكافحتها ، وإنا نأمل من حضرات السادة الوعاظ والمرشدين وخطباء المساجد أن يرشدوا العامة إلى ترك هذه العادات السيئة والله أعلم ؟

محمد أبو شادى

39. Who takes note	الحفيظ
40. Who appoints	المقيت
41. The Reckoner	الحسيب
42. The Graet	الجليل
43. The Bountiful	الكريم
44. The Watcher	الرقيب
45. The Responsive	المجيب
46. The Embracing	الواسع
47. The Wise	الحكيم
48. The Loving	الودود
49. The Owner of Glory	المجيد
50. Who raises the life	الباعث
51. The Witness	الشهيد
52. The true	الحق
53. The Trustee	الوكيل
54. The Strong	القوى
55. The Mighty	المتين
56. The Friend	الولى
57. The Owner of Praise	الحميد
58. The Best calculator	المحصى
59. Who brings to light	المبدى
60. Who returns the life	المعيد
61. Who will give life	المحيي
62. Who will give death	المميت
63. The Alive	الحى
64. The Eternal	القيوم
65. Who finds	الواجد
66. The Glorious	الماجد
67. The One	الواحد
68. The Eternal	الصمد
69. The Able	القادر

70. The Powerful	المقتدر
71. Who sends before	المقدم
72. Who leaves behind	المؤخر
73. The First	الأول
74. The Last	الآخر
75. The Outward	الظاهر
76. The Inward	الباطن
77. The Defender	الوالى
78. The High Exalted	المتعال
79. The Benign	البر
80. The Relenting	التواب
81. The Punisher	المنتقم
82. The Forgiving	العفو
83. The Clement	الرؤوف
84. The Owner of Sovereignty	مالك الملك
85. The Mighty and Glorious	ذو الجلال والإكرام
86. The Just dealer.	المقسط
87. The Gatherer	الجامع
88. The Absolute in independence	الغنى
89. Who makes rich	المغنى
90. The Hindered	المانع
91. The Owner of Harm	الضار
92. The Owner of profit	النافع
93. The Light	النور
94. The Guide	الهادى
95. The Originator	البديع
96. The Everlasting	الباقى
97. The Heir	الوارث
98. The Guide to right behaviour	الرشيد
99. The Stedfast	الصبور

The Attributes of 'Allah'

(The following is an explanatory translation of the 99 names of Allah. This rendering has been prepared by Mr. Hussain el-Tiby Sayed Affify. we hope that this rendering may help the English readers to understand the meaings of those names.

The Holy Quran has referred to the attributes of Allah in the following verse : ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

It means : Allah's are the fairest names. Invoke Him by them. 7 : 180) :

1.	Allah	الله
2.	The Beneficent	الرحمن
3.	The Merciful	الرحيم
4.	The King	الملك
5.	The Holy one	القدوس
6.	The Peace	السلام
7.	The Keeper of faith	المؤمن
8.	The Guardian	المهيمن
9.	The Mighty	العزيز
10.	The Compeller	الجبار
11.	The Superb	المتكبر
12.	The Creator	الخالق
13.	The Shaper out of naught	البارىء
14.	The Fashioner	المصور
15.	The Forgiver	الغفار
16.	The Omnipotent	القهار
17.	The Bestower	الوهاب
18.	Who gives livelihood	الرزاق
19.	The Judge	الفتاح
20.	The Knower	العليم
21.	Who Holds	القابض
22.	Who stretches	الباسط
23.	The Abasing	الخافض
24.	Who ascends	الرافع
25.	Who exaltes	المعز
26.	Who abases	المذل
27.	The Hearer	السميع
28.	The Seer	البصير
29.	The Arbiter	الحكم
30.	The Justice	العدل
31.	The Subtile	اللطيف
32.	The Aware	الخبير
33.	The Clement	الحليم
34.	The Tremendous	العظيم
35.	The Forgiving	الغفور
36.	The Thankful	الشكور
37.	The High	العلى
38.	The Great	الكبير

The second stage education is for professional and other trainings which require special skill. In other words it is the modern University education after reforming it and removing its defects.

The third and final stage, which is life long also, should be of the creative education. This stage includes research work and inventions.

The second and third stage education proves useful only if their wisdom is applicable on the public at large. Thus if the community is disciplined with the help of the first stage education, then the professional advice of the second stage educated people and the application of the successful experiments of the third stage educated people will prove fruitful, otherwise all will help in exagerating the chaos, which is a previaling trait of the Muslim community.

It is also a fact that Muslims of the present era have lost the sense of co-operation and co-ordination among themselves. And this created disorganization among Muslims. If Muslims develop and regain the sprit of co-operation then the possibilities of the material development of Muslim's society is in no way less than the other materially advanced communities. Because the portion of the earth Muslims possess is in no way less rewarded by Allah in the way of natural wealth than the portions occupied by non-Muslim communities.

Thus the question arises that having sufficient wealth in the form of natural resources and not short of man-power (i. e., labour force): " Why are Muslims so backward economically and weak in military strength ? " The reply should be that there is a lack of organization due to the defective educational system. In the present era the Muslims are becoming weaker and weaker, and the non-Muslim powers, who want to destroy Muslims, are becoming stronger and still stronger. As the right education is the source of strength and mother of all wealth, so in the same way the wrong education is a source of weakness and mother of evils. Because the mind is the creator of all wealth; and the education is the builder of the mind.

From the above we can see that it is vital for Muslim teachers to reform their educational system and propagate it among Muslims all over the world as the Jews and the christian communities of the west are doing. The real economic development among Muslims will also evolve by evolving their own technological know-how through the development of their own educational system.

stage right. They should speak more about this neglected aspect of Muslims education than arguing on the obscure and abstract ideas.

Since the first stage (i. e. disciplinary) education of the western communities provides the ground for the second and third stage education, it also brings a fruitful result. Thier army soldiers according to their convictions obey their discipline which brings a successful organization of an expedition.

It may be emphasised here again that the evolution of the first stage education should not be based either on the borrowed philosophy of the west nor should it be an issolated development of each Muslim country separately; but it should be one and unified system well co-ordinated internationally, because the organization and development of the whole Muslim community should be aim of the educational programme.

The child should be helped in forming the objective of his life at an early age so that he should struggle to pave his way towards that objective. A child having an objective in view shall most probably struggle and devote his attention to acquire that objective, and through through that effort he might possibily become expert and master of that line in which he has worked.

A body of Muslims' educational organization should be formed, which should be responsible for the first stage education to all Muslims in the world. To meet its expenses, every capable Muslim must contribute under some sort of social compulsion. The education is a wealth of the whole comunity, thus it should be patronised by every Muslim. We can see hows the Jews put emphasis on education in their community and how successful they are in their designs in capturing the world's trade in their grip. Muslims shall also regenerate and revive the triumph of education in Muslim community, which they use to possess in the past.

After the first stage of discipline and character building, the second stage should be of mind building. It should be evolved out of the common base of the first stage education. It is immaterial if one country develops specialisation in a few subjects and the other in other few subjects, accordidg to the convenience of teaching and natural resources of that country, and provide equal opportunities of learning for all the Muslim students from all parts of the world. This means that the whole educational programme of Muslim community must be internationally co-ordinated.

aim which can not be acceptable for a Muslim society. But we Muslims can make use of these three stages in our educational programme.

You know that the child starts learning just after his or her birth. Thus the partents should help in developing his or her understanding, instead of puzzling and confusing his or her mind by vague suggestions and baseless fears. They should help the child in forming decent and regular habits instead of developing irregular and chaotic behaviour. Step by step he or she should be helped in understanding the scope of life according to the stage of understanding. This is only possible if a programme of teaching to potential parents is started and relayed repeatedly on Radio and television in addition to the special classes for such education. An early but wrong parental training is a serious problem for teachers. The remedy of this and other social and environmental problems might be solved through educational reform and special courses for adult education.

The whole educational programme should be divided into three stages. First stage is the disciplinary education which should aim to form decent behaviour, and the foundation for the second and third stage education. Religious education must be a part of it. This foundational education should be compulsory for every Muslim all over the world under unified organization. Since the education is the mother of all wealth and foundation of a civilized society, therefore at least the first stage education should be the same for Muslims through out the world.

In the present era Muslims, in the pursuit of economic gains, lay emphases on the second and third stage education, which in fact becomes futile without the first (disciplinary) stage education, which is the foundation of the whole edifice of the educational system. The Muslims have fallen back more in this essential part of education than other communities. For example, the Protestant and Jewish communities of the west, although they do not produce much church going people, but from their kindergarten till the secondary education they set a triat of their communities, which helps them in advancing education and applying their tested experiments in developing their community environments. On the other hand talks about purposelessness of the Muslim youths and their odd behaviour in public places are not empty talks. The ULAMA AL-HAQ can play an important part and they must come forward to set this educational

From the above we can realise that the teabhers and ULAMAS are The brain of Muslim Coumunity. If Muslim community is unsucessful and not making progress and defeated in war as well as in diplomacy then the teachers of the community can be held responsible for it. Because as in the case of an individual his mind is the main guide for all his actions, so the mind of the community is the group of the teachers. As the personal wrongs of an individual can be imputed to his mind, so the wrongs of the community can be imputed to the brain of the community, which is the group of the teachers as a whole. It is the teachers who design the educational system and train the members of the community and produce the teachers for the coming generations. Therefore the teachers and Ulamas can bring reform in The Muslims Community.

Before suggesting the educational programme for Muslims community, let us discuss fey points about the educational system of the Western Societies. It is evident that the motive of Western societies are different than that of Muslims; therefore we cannot make their base as ours. Their base is atheistic nationalism based on racial supremacy of the white races, which they call it white man's burden. In practice whole nation is controlled by the interst of a few strong men of the country. Therefore, the whole organization is made machine like which is controlled by one man at the top, and the rest of the people are like part of that machine. 'What their education does' is that it produces those parts to fit in and work, if a part breaks (i.e. a person in a position dies) or is retired. By citing this example it is not suggested that all Muslims shall be converted into parts of a big machine as the westtern communities have successfully converted their members into the parts of their National machines (because there are certain grave disadvantages in making the people like a part of a machine from humanitarian point of view, and it is a separate issue); but it is suggested to look into their way of educating their people to produce the desired end. Although our ends and their ends are not the same but we can take lessons from their educational programme. To my humble opinion they have three different stages of their educational programme. The first stage is disciplinary stage, the second is mind building and the third creative education stage. These stages are not clear cut; they over lap each other but still they are distinct in their character. The Western educationalists have their

let them know how to select a good one out of the churning myriad of random ideas.

The second stage is to form an 'intent' and to steadfast with it. This is the responsibility of *UlamaAl-Haq.* Religious and psychological training helps very much in purifying the intentions of an individual. Because the religious teachings develop the faculty of discrimination between good and evil, i. e. they develop the conscience. If the religious teachings are sterile and ineffective on the individuals or in the community as a whole (this seems to be the case in the Muslim community now) then either there is a fault in the programme and the process of the teaching, or the content of the matter conveyed is defective and unacceptable to the human mind, or the teachers are inefficient and purposeless. This requires an investigation and *Ulama Al-Haq* should bear the responsibility of it. Because the character building programme has always been their responsibility. The necessary reform is required to make it effective. The strength of an individual's character depends upon how firm he stands with the good 'intent'. And this directly relates to his inner convictions. To build up inner convictions and the ability to stand with them selflessly and with sincerity can only be done with the help of the religious teachings. The religiousless teachings in this aspect will lead to the hypocrisy with selfish motives.

In the third stage of the realisation of an idea, it is self evident that to invoke knowledge of know-how and its application depends upon the skill and efficiency of the communication of the teachers. For instance if we take an example of a factory, consider an incharge of each section of production line as a teacher, then we see that at every stage of production if the incharge (Teacher) teaches his (pupil) worker to work skilfully and in the most efficient and economic way to produce, the resultant product will be the best and cheapest ; and that is the aim of the production in a factory. In the same way it can be ture in its application to an experimental process of a scientific research work. That if the research student is guided in right direction at every stage the results of the research will come out quicker and best. The same is true for the research worker in the academy where the problems of philosophical nature are solved.

It can be seen that the result, which is an ultimate of an idea, needs the guidance of a good teacher at every stage of its development towards its transformation into a reality.

An alive and a well educated man must be able to contribute with – either by way of speed or by deed, by way of counsel or by pen – some idea towards the betterment of human society. The contribution of a man towards the betterment of his own community is also a noble achievement. At a lower stage he should be able to contribute towards the betterment of his own family. If the education does not manifest these results then it is a share waste of time. Because the last stage of existence is the existence of a purposeless individual who live like an animal, i. e. he lives for the sake of existence which is mere eating, excreating, procreating and dying. Therefore the educational system, which shall be evolved, must have an aim to develop the whole Muslims Community in the world; and it should inspire every Muslim to work for that end instead of self seeking motive which is created by the existing educational system.

It is evident that only *Ulama Al-Haq* with the help of good Muslim teachers can evolve good educational programme for Muslims. Before a suggestion about educational system let us examine the process of translation of an idea into a deed or in material form. That is, first an idea is conceaved then an intent to materialise it is formed. To materialise it requires the knowledge of know - how, i. e. the knowledge of how to change the idea into a real object. The knowledge by itself does not work without the help of 'intention' and 'effort'. And thus the last stage of the materialisation comes into the form of the result of the effort.

If we look closely into the above process, we find that good teachers are required at every stage right from the conception of an idea to its result into its material form. You know that myriads of ideas, Good and bad are always churning in a human mind due to its nature as such. A well cultured human mind will pick up a right type and feasible idea out of the myriads of haphazard ideas. On the other hand an ignorant will follow an uncertain fluke, where the chances to follow an unrealistic fantasy are more than to pick up a feasible idea.

The selection of right ideas depends upon the right type of educational background, which can be acquired with the help of the right type of teachers. The importance of good type of teachers is evident right from the perception of an idea. Much of the useful human time and energy can be saved from waste if the teachers help their pupil and

A Letter To Muslim 'Ulamas'

By

NASEEM UL-ISLAM USMANI

– II –

Secondly, the purpose of the introduced system was not to develop the society by creating efficient services for the people, but to create an inefficient and corrupt system. It is not a proper place to discuss into details about the political consequences of the hybrid education system upon the Muslim community as a whole. But the imposed education system lingers on still in many Muslim Communities. It neither brought material prosperity nor improved the conditions of the Muslims in any way. On the other hand it has degenerated Muslims' morality. In power, it has weakened them to the extent that they are incapable to defend themselves at the moment – even against the power of a people who are a fraction of their number. To weaken the Muslims further the Imperialists removed the concept of 'One Ummah' from the Muslims education and introduced the concept of nationalism with a motive to divide them into small nations and shift their loyalities from International Muslim Community to the smaller nation of their own.

This shows that Muslims shall evolve and introduce a new educational system. The evolution of the Muslims educational system should be a dynamic process of its own, and should Not be borrowed from the non-Muslims systems, however charming and alluring they may be. The success of the student in acquiring education has a deep connection with his aptitude and final aims. If the education acquired is based on the confusion of a contradictory objectivity then it shall prove futile and unproductive, as that is the case with the existing educational system; and person who is educated in such a system lives in a constant inner conflict. He wavers within the conflicting ideologies. On the other hand if he is educated according to the back ground of his own faith and convictions, he remains resolute and that creates confidence in him. Lack of self-confidence and mental conflict renders a man unproductive.

ner, but most men do not know ".
(34 : 28)

« قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى
ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا مايوحى إلى
وما أنا إلا نذير مبين » .   الأحقاف ٩

" Say : I am not an innovater among the apostles, and I do not know what will be done with me or with you : I do not follow any thing but that which is revealed to me, and I am nothing but a plain warner ".
(46 : 9)

* * *

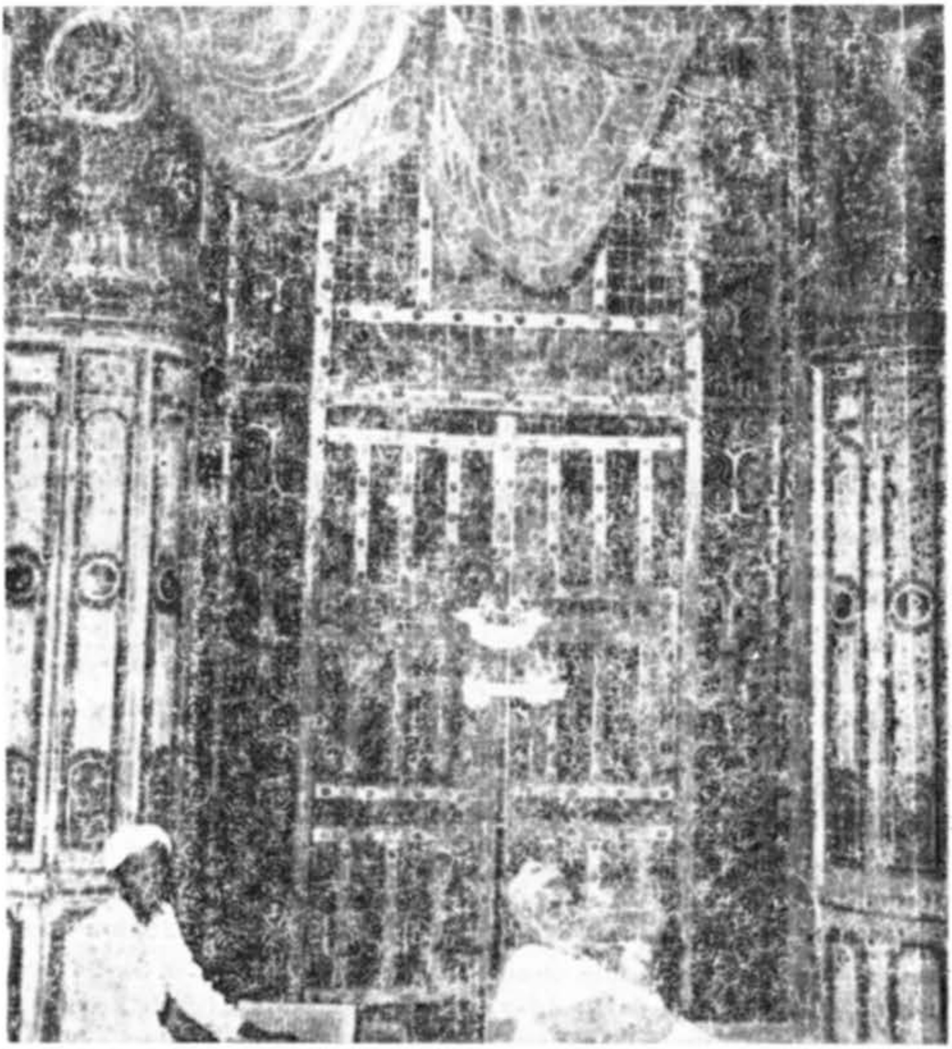

The Tomb of the Prophet Muhammad (peace be on him) at Madînah

begets not, nor is He begotten. And none is like Him". (112 : 1-4)

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ». آل عمران ١٤٤

" And Muhammad is no more than an Apostle; the apostles have already passed away before him " (3 : 144)

« قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ». الأعراف ١٥٨

" Say : O people : Surely I am the Apostle of Allah to you all, of Him whose is the kingdom of the heavens and the earth, there is no god but He; He brings to life and causes to die, therefore believe in Allah and His Apostle-the unlettered Prophet - Who believes in Allah and His words, and follow him that you may be guided aright". (7 : 158)

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » التوبة ١٢٨

" Certainly an Apostle has come to you from among yourselves; your inquities press heavily upon him. He is careful over you, and towards the believers (he is) Compassionate, Merciful". (9 : 128)

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ». الكهف ١١٠

" Say : I am only a mortal like you ; it is reveled to me that your God is only one God, therefore whoever hopes to meet his Lord, he should do good deeds, and not join any one in the service of his Lord " (18 : 110)

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ». الأنبياء ١٠٧

" And We have not sent thee (Muhammad) but as a mercy to (all) the nations ". (21 : 107)

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ». الأحزاب ٤٠

" Muhammad is not the father of any of your men, but he is the Apostle of Allah and the last of the prophets ; and Allah is Cognizant of all things ". (33 : 40)

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ». سبأ ٢٨

" And We have not sent thee (Muhammad) but to all the men as a bearer of good news and as a war-

What Kind of Nation Muslims Must Be ? – In Verses From the Quran

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . آل عمران ١٠٤

"And that there may be of you a nation who invite to the Good, and enjoin the Just, and forbid the Wrong. These are they with whom it shall be well". (3 : 104)

« يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » الحج ٧٧

"O you who believe ; bow down and postrate yourselves and serve your Lord, and do good that you may succeed". (22 : 77)

« والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » . العصر ١-٣

"By the declining day. Most surely man is in a state of loss. Except those who believe and do good works, and exhort one another to truth and exhort one another to patience". (103 : 1-3)

The Five Fundamental Principles of Islam.

To believe inwardly and to bear witness that there is only one God, and Muhammad is His Apostle. The Quran says :

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » . البقرة ١٦٣

"And your God is One God ; There is no god but He ; He is the Beneficent, the Merciful". (2 : 163).

« إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » . آل عمران ٥١

"Surely, Allah is my Lord and your Lord, therefore worship Him; this is the right path" (3 : 51).

« إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً » . النساء ٤٨

"Surely, Allah does not forgive that any thing should be associated with Him, and forgives what is besides that to whomsoever He pleases ; and whoever associates any thing with Allah, he devises indeed a great sin" (4 : 48).

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد » . الإخلاص ١-٤

"Say : He, Allah is one. Allah is He on Whom all depend. He

The Prophet biult the first Mosque in the World in the village of Quba few miles south of Madinah. From Quba he proceeded to the main city of Madinah (Yathrib) attended by a numerous body of his disciples. The Prophet entered the city on friday 16th of Rabi awwal (2nd July 622 A.D.) With his advent to Madinah a new era dawned upon the city. Henceforth the city of Yathrib changed its ancient name and was styled 'Al - Madinah al Munawwara, (the illuminated city) or 'Madinath el Nabi' (the city of the Prophet). It is shortly called Madinah.

The migration of the Prophet to Madinah was the turning point in the reorganization of the community and the spread of Prophet's mission in the different parts of the world. The Prophet created a fraternization between the different tribes of Madinah and its suberbs, and between the displaced immigrants and the inhabitants of Madinah. Further he taught that the development of the man as a whole would be better achieved in a co-ordinated society. To this end he invited the representatives of the inhabitants of the region ; Muslims, Christians, Jews and others. and he endowed the city with a written constitution. The document laid down principles of defence and foreign policy followed by the City-State of Madinah. It recognised also explicitly liberty of religion for all citizens. The Prophet journeyed several times with a view to win the neighbouring tribes and to conclude with them treaties of alliance and mutual help.

It is recalled that in the concern for the material interests of the community, the spiritual aspect was never neglected. The Prophet launched an intensive programme for the propagation of his mission. He addressed letters to the rulers of other lands inviting them to Islam and seeking their help in the spread of his reformative mission. Hardly a year had past after the migration to Madinah when the most regorous of spiritual disciplines, the fasting for the whole month of Ramadan every year, was imposed on every adult Muslim man an woman Soon after alcoholic drinks, gambling and games of chance were declrared strictly forbidden for the Muslim community. The migration to Madinah led not only to spread the voice of Islam in the parts of Arabia and foreign countries but also helped the Prophet to occupy Makkah in a bloodless manner as a benevolent conqueror.

Upon the instuction of the Prophet the greater part of the Makkah Muslims migrated to Madinah secretly and in small groups.

While the desciples of the Prophet were seeking safty in other lands from the persecution of their enemies, he himself stood bravely at his post and emidst every insult and outrage pursued his mission. The Qureysh of Makkah not only confiscated the property of the migrants, but devised a plot to assassinate the Prophet. An assembly of the Qureysh met in the assembly hall of Makkah, called 'Dar el Nadwa', and the chiefs of other clans were invited to attend. In order to rest the responsibility of the assassination of the Prophet upon all the tribes represented the assembly decided that a number of men chosen from different families should carry out the execution of the plot. Anumber of youths were selected to strike simultaneously in his bosom with their swords on a appointed date. The Prophet was well aware of the murderous intention of the Qureysh.

It became now impossible for the Prophet to remain at Makkah. He then decided to leave the town secretly in the company of his faithful friend Abu Bakr. The Qureysh were fully aware of the influence and power the Muslims in Madinah, and the danger of the migration of the Prophet and his appearance among them in Madinah. The matter had became one of life and death for his opponents in Makkah.

The Prophet departed from his house at a moment when the assassins were unaware of his intention. He went to the house of Abu Bakr and they walked together unobserved from the city of their birth to a cave in 'Mount Thawr' which was a few miles to the south of Makkah. When the news of the escape of the Prophet was spread in the city the Qureysh sent search parties everywhere in the country and handsome rewards were set upon the capture of him.

For three days the Prophet and Abu Bakr lay hide in the cave sustaining by food brought to them at night by the daughter of Abu Bakr Asma. On the evening of the third day they left the cave on two camels through unfrequented paths for Madinah. After several adventures they succeeded in reaching the territories of Madinah. They rested for few days at a village called 'Quba', and there his cousin Ali also joined them, journeyed from Makkah on foot hiding in the daytime and travelling only at night.

The leaders of paganism sent an ultimatum to the tribe of the Prophet, demanding that he should be excommunicated and outlawed. Every member of the tribe rejected the demand. Thereupon the city decided on a complete boycott of the tribe, causing stark misery among the innocent victims.

A document promulgating the pact of boycott of the Prophet and the members of his tribe had been hung in the Ka'ba. An uncle of the Prophet, Abu Lahab, however left his tribesmen and participated in the boycott along with the opponents. After three dire years some humanitarians belonging to different clans proclaimed publicly their denunciation of the unjust boycott. At the same time, as reported, the document of boycott was found eaten by white ants, that spared nothing but the words of God and Muhammad. Then the boycott was completely lifted.

Soon after the end of the three years boycott the chief of the tribe and uncle of the Prophet, Abu Talib, died. Another uncle of the Prophet, Abu Lahab who was his inveterate enemy succeeded to the headship of the tribe. In view of the increase in the hostility of the pagans of Mekkah the Prophet was obliged to quit his native town, and he went to his maternal uncles in Taif, but the wicked people of that town chased the Prophet out of their city, and he returned to Makkah.

The Prophet tried to persuade one tribe after another to allow him to carry on his mission of reform. The annual pilgrimage of the Ka'ba brought to Makkah people from all parts of Arabia. He used to preach his mission among the pilgrims and invite them to follow the new faith. Once he met half a dozen inhabitants of Madinah during the annual pilgrimage period. These Madinans who had some notion of Prophets and Divine messages decide to embrace Islam, and promised necessary help from Madinah. The following year some additionel adherents came from Madinah and took the oath of allegiance to the Prophet and requested him to provide with a teacher to spread his mission in their town.

The Prophet sent one of his most able missionary teacher, Musa'b with those pilgrims to Madinah, and his work proved very successful. Musa'b led a group of seventy-three new adherents to Makkah at the time of the pilgrimage in the following year. They invited the Prophet and his companions to their town promising the shelter and all kinds of help in order to carry on his mission. They further promised to treat him and his companions as their own brothers.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FŪDA

MUHARRAM 1392 | ENGLISH SECTION | FEBRUARY 1972

The Role of 'Hijrah' in The Spread of Islam

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

The migraticn of the Prophet Muhammad (Peace be cn him) from Makkah to Madinah took Place in 622 A.D, after the 13 years cf his missicn. It was the turning point in the history cf Islam. On the beginning cf the Hijrah year of 1392 let us have a glance cn the events led to the migration, and the developments happened after it in the course of Prophets' missicn.

The Prophet began his missicn by preaching it secretly among his intimate friends, then among the members of his family and near relatives. There after he proclaimed his mission openly and publicly in the city of Makkah and its suburbs. The numbers of his adherents increased gradually, but the opposition also grew intenser on the part of those who were firmly attached to their ancestral beliefs.

When the oppositicn to his missicn degenerated into physical torture of the Prophet and of those who had emberaced his religion he advised his companions to quit the town of pagnism and take refuge abroad. Profiting by his advice many Muslims took refuge in abyssinia, but this secret flight from their native town led to further persecution of those who remained behind.

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
٥٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثانى — السنة الرابعة والأربعون — صفر سنة ١٣٩٢ هـ — مارس سنة ١٩٧٢ م

١٢ هـ
٢٢٢ ع ٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحذر.. والسهر.. والاستعداد

للأستاذ عبد الرحيم فوده

لم يعد خافياً على أحد من العرب والمسلمين ماتدبره أمريكا وإسرائيل من وسائل الغدر والجور للقضاء على عروبتهم وإسلامهم ، بل لقد ظهر ذلك واضحاً متوقحاً أمام الرأى العام العالمى من موقفهما تجاه قرار مجلس الأمن ، وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ووساطة المبعوث الدولى لتنفيذ هذين القرارين عن طريق الحل السلمى .. ومن ثم لم يعد أمام العرب والمسلمين إلا الحرب لإزالة آثار العدوان ولقمع المطامع الاستعمارية والصهيونية التى كشفت قناعها ، وفغرت أفواهها ، وسفرت - فى غير حياء ولا استخذاء - تتصدى وتتحدى ، وتتحين الفرص للانقضاض على ما بقى لنا من أرض ، وثروات ، وحرمات . .

فالحذر والسهر والاستعداد الدائم للحرب هو ما تفرضه علينا طبيعة الظروف التى تمر بنا ، وما يأمر به الله إذ يقول : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » ، وإذ يقول: « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » ، وإذ يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل

ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بهذا الأمر ما يعرف فى الفقه باسم صلاة الخوف ؛ فإن القائد أو الإمام يقسم الجند طائفتين : طائفة تقف تجاه العدو بالسلاح لإرهابه وصده ، وطائفة تصلى خلف الإمام أو القائد ، ثم تمضى لتقف مكان الأولى ، كى تهيء لها الفرصة لإدراك الصلاة معه فيما بقى له من ركعة أو ركعتين ، كما يفهم من قول الله فى ذلك : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا » .

فالحذر ، وحمل السلاح ، والاستعداد لمواجهة العدو ، مطلوب حتى فى الصلاة إذا خيف أن يتحين فيها الفرصة ، ونحن أمام عدو ماكر خبيث ، لم يعرف فى الناس أمكر أو أخبث منه ، ثم هو - إلى ذلك - يمده الاستعمار بما يغريه بالغدر من زاد وعتاد وأسلحة ، فالحذر منه واجب ، والاستعداد له أمر تمليه ضرورة الحياة وطبيعة المعركة ، ولهذا كان الرباط كما يقول صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » فإن الغرض منه - وهو الإقامة فى الثغور والمواطن التى يظن هجوم العدو منها - هو إرهابه ورده وصده وقمع عدوانه .

وقد اتسع مفهوم الرباط باتساع مجال الحرب ، فلم يعد مقصوراً على إقامة فرق من الجنود فى المواطن التى يظن هجوم العدو منها على الحدود ؛ بل أصبح يتناول حراسة كل الأماكن التى يظن هجوم العدو عليها : كالمعهد ، والمعمل ، والمصنع ، وجميع المرافق والمنشئات العامة ؛ لأن الحرب الحديثة - بما تستخدمه من وسائل حديثة كالطائرات والصواريخ - تتوخى تدمير كل القوى التى يعتمد عليها الجيش والشعب ،

وتعمد إلى الضرب فى العمق لتصيب ظهر المقاتلين على الحدود ، وتشيع الرعب والفزع والدمار فى الداخل ، ومن ثم أصبح واجبا على الشعب كله أن يعرف دوره الخطير فى مواجهة الخطر ، وأن يتأهب لأداء هذا الدور بكل مايستطيع من قوة ، وأن يواجه الحرب النفسية التى تشن عليه من الخارج ، أو توجه إليه من الداخل ، فى صور من الإشاعات والأراجيف ، بما واجهها به المؤمنون الصادقون « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

ذلك لأنه يدافع عن حق ، ويذود عن شرف ، ويقاتل عن حرمات ، ويجاهد فى سبيل الله أعداءه وأعداء دينه وأعداء الإنسانية ، وهذه القيم العالية الغالية لا تقاس بها الحياة مع الذل والهوان ، وسيكون الله معه بعونه ونصره ، لأنه كما يقول : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ، وكما يقول : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم » .

اللهم بعزتك التى لا تذل ، وقدرتك التى لا تعجز ، ورحمتك التى لا تضيق ، « اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

عبد الرحيم فودة

● ● ●

نصيب المرأة فى الجهاد

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن الربيع بنت معوذ رضى الله عنها قالت : كنا نغزو مع النبى - صلى الله عليه وسلم - فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة. رواه البخارى.

وعن أنس رضى الله عنه قال : إذا كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سلمة وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما تفرغان فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم . رواه البخارى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه فأيتهن يخرج سهمها خرج بها ، فأقرع بيننا فى غزاة فخرج سهمى فخرجت مع النبى - صلى الله عليه وسلم - بعد ما أنزل الحجاب . رواه البخارى .

استقر فى أذهان كثير من الناس أن الإسلام يقصر مسئولية الدفاع عن الأوطان على الرجال ولم يجعل للنساء حظاً منها ، وهذا جهل بحقيقة الدين الإسلامى وواقعه التاريخى ، فحقيقة الدين الإسلامى وجوهر تعاليمه أن المرأة والرجل سواء فى المسئوليات الدينية والمدنية وفى الواجبات والحقوق إلا فى استثناءات قليلة خص بها المرأة ، وكان مرجعها إلى تكوينها الطبيعى المخالف لتكوين الرجل .

لقد كانت أوامر الدين ونواهيه شاملة للرجل والمرأة يتناول النساء منها ما يتناول الرجل إلا ما خصت به . وفى الأحاديث السابقة نماذج مما نهضت به المرأة من أعباء فى الحروب الإسلامية حيث كانت تروى الظمأى ، وتأسو الجراح وترقأ الدم ، وتجبر الكسر ، وتستثير الحمية .

وإذا كان الجهاد فى الإسلام يشمل الجهاد بالنفس والمال والفكر وتحمل المصاعب فى سبيل النصر والظفر بالأعداء . فقد نهضت المرأة المسلمة بأعباء ذلك وفى التاريخ الإسلامى أمثلة رائعة لبطولات نسائية يزدهى بها التاريخ وتفخر بها المرأة .

فقد هاجرت المرأة هجرات كثيرة مع الرجل وتحملت مرارة الغربة وفراق الأهل والوطن وصحبت الرجال فى بعض الغزوات .

وحديث نسيبة بنت كعب وبطولتها منارة من منارات التاريخ الإسلامى للمرأة، فقد ذكر المؤرخون: أنه لما خف بالمسلمين ميزان النصر يوم أحد حين تخلوا عن مواقعهم التى وضعوا فيها انتهز المشركون هذه الفرصة فحملوا عليهم ففروا إلا قليلا منهم، فانتدبت نسيبة لسد هذه الثغرة فانتضت سيفها واحتملت قوسها وذهبت تصول وتجول بين يدى رسول الله تنزع عن القوس وتضرب بالسيف وحولها من بقى من أبطال المسلمين كأبى بكر وعمر وسعد وطلحة رضى الله عنهم، وكان همها أن تدفع عن رسول الله ما يتعرض له حتى قال رسول الله: ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دونى، كما روى المؤرخون: أنها أصيبت يومذاك بثلاثة عشر جرحا ما بالت بها وطلبت من رسول الله أن يدعو لها بالجنة، فقال رسول الله: اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة، فقالت ما أبالى ما أصابنى فى الدنيا.

ومن أظرف ما روى فى التاريخ مما وقع من بطولات المرأة الإسلامية ما وقع لصفية بنت عبد المطلب فقد روى ابن هشام فقال:

كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت، قالت: وكان ابن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان قالت صفية: ومر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت قالت: يا حسان إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله وأصحابه فانزل إليه فاقتله قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته فقتلته.

هذه تعاليم الدين الإسلامى وهذا واقعه التاريخى فيما تستطيع المرأة أن تقوم به كما روت الأحاديث، على أننا لا نلزم كل امرأة وفى كل الأوقات أن تحمل عبء الجهاد وإنما نتيح لها ذلك إذا لم تشغلها حقوق الزوجية وحقوق الأسرة أو إذا لم تكن قد قيدتها تلك الحقوق بعد؟

أبو الوفا المراغى

دراسات قرآنية :

الدّعاء في الإسلام

للأستاذ مصطفى الطير

« وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .
(١٨٦ البقرة)

نشأت دعوة الإسلام بين قوم يعبدون الأصنام ويقدسونها، معتقدين أنها تضر وتنفع ، وقد كانوا يرونها جاثمة أمامهم فى الكعبة والمسجد الحرام ، وفى شتى معابدها بالجزيرة العربية ، فلما دخلوا فى دين الإسلام وانتقلوا بذلك من عبادة الأوثان إلى عبادة الديان لم يكونوا يعرفون من شئون الله تعالى إلا ماينزل به القرآن العظيم ، أو يبينه لهم الرسول الكريم عن طريق الوحى ، وقد جال بأذهان بعضهم (وهم قريبو عهد بجاهلية) أن لله مكانا كما كان لآلهتهم ، فسأل سائل منهم : أين ربنا ؟

وكان سؤاله هذا ليعرف من أمر ربه ما لم يكن يعرف ، ويبنى عقيدته على ما يستيقن .

وكما سأل بعض الصحابة رسول الله هذا السؤال سأل مثله أعرابى فقال : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فكان لا بد من وضع حد لأمثال هذا التساؤل حتى يكون المسلمون على بينة من عقيدتهم فنزل قوله تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » الآية . وبهذا الجواب الحاسم علموا أن الله تعالى ليس ببعيد عنهم ، بل هو قريب منهم ، وأن المناجاة الخافتة لله والنداء بصوت جهورى يستويان عنده سبحانه ، فالكل مسموع ومعلوم له جل وعلا ، والسؤال الخاشع الخافت أولى ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الغزوات فرفع أصحابه أصواتهم بالتهليل والتكبير والدعاء ،

فقال صلى الله عليه وسلم « إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا » .

والمراد من أنه تعالى قريب من عباده أنه قريب منهم بعلمه لا بذاته ، فإنه تعالى منزه عن المكان ، لأن من يكون فى مكان فهو مفتقر إليه ، والاحتياج من شأن الحوادث ، والله واجب الوجود منزه عن صفات الحوادث ، فهو لهذا منزه عن الاحتياج إلى مكان ، ولأنه لو كان فى مكان لما كان قريبا من الكل ، فإنه إذا قرب من شيء بعد عن شيء آخر ، والآية ناطقة بأنه قريب من كل شيء ، فثبت أن القرب بالعلم لا بالمكان ، وهذا هو معنى قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » (الحديد : ٤) وقوله « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » (ق : ٦) وقوله « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم » (المجادلة : ٧) فالمقصود من كونه تعالى معهم أنه يعلم أحوالهم وشئونهم كالمقصود من قربه منهم .

(إجابة الداعى)

ومعنى قوله تعالى : « أجيب دعوة الداع إذا دعان » أنه سبحانه يقول لمن دعاه : لبيك عبدى أو يحقق له مادعا ، فتكون إجابة الدعاء بهذا المعنى مشروطة بموافقتها لمشيئته جل وعلا ، وفاقا لقوله فى آية أخرى : « فيكشف ماتدعون إليه إن شاء » فالمطلق فى كلام الله يحمل على المقيد ، فليس بلازم دائما أن يتحقق المطلوب بالدعاء ، إذ أنه تعالى قد لا يشاء تحقيقه لحكم يعلمها ، ومنها أنه قد يدخر له الإجابة فى الآخرة ، فإن دعوة المسلم لا ترد ما لم يدع بإثم أو يدعو بقطعية رحم أو يعجل ، بمعنى أن يقول : دعوت فلم يستجب لى ؛ فطلبه إما أن يعجل له فى الدنيا ، وإما أن يدخر له فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء بقدر مادعا وعلى أى حال فالدعاء يؤذن بتسليم الداعى أمره لله معتقدا أن بيده كل شيء ، وتلك مرتبة عالية من الإيمان ، وعلى الداعى أن يعتقد أن مطلوبه إن لم يتحقق فى دنياه فسوف يجد عنه عوضا فى أخراه ، وعليه أن يصبر على بلواه إن لم يتم شفاؤه الذى دعا به ،

أو لم تفرج ضائقته المالية مثلا ، فإن فى الصبر على البلاء خير الجزاء ، وليعلم أن الله قضى من الأزل ما فيه صلاحه وصلاح المجتمع من حوله دنيويا وأخرويا وقضاء الله وحكمته أعظم شأنا من إجابة الداعى وتحقيق مطلبه فى دنياه .

(فضل الدعاء وفائدته)

وللدعاء فضل عظيم لما فيه من تفويض الأمر إلى الله تعالى ، والاعتراف بأن مرد الأمر إليه ، وحسبك فى الدلالة على فضله قوله صلى الله عليه وسلم : « الدعاء مخ العبادة » وأنه تعالى يغضب إن تركت سؤاله إذا نزلت بك شدة ، قال تعالى : « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » (الأنعام : ٤٣) .

والله يحب أن يسأله العبد جازما ، فلا يعلق سؤاله على المشيئة ثقة به تعالى قال صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغى أن يقول أحدكم اللهم اغفرلى إن شئت ، ولكن يجزم ويقول اللهم اغفرلى » .

فإن قيل : إن المطلوب بالدعاء إن كان مقدراً وقوعه فى علم الله تعالى فلابد من وقوعه وإن لم ندعه ، وإن لم يكن مقدرا وقوعه فإنه لا يقع وإن دعوناه ، فما فائدة الدعاء فى كلتا الحالتين ؟ والجواب : أنه ينفع فيما جعله الله أزلا مترتبا على الدعاء ، فلابد من حصول الدعاء ليحصل ما جعله الله مترتبا عليه .

وإن مثل ذلك كمثل الدواء ، فإذا كان لا يجوز لعاقل أصابه المرض أن يقول إذا كان مقدراً لى الشفاء فى علم الله فلابد منه وإن لم استعمل الدواء ، وإذا لم يكن مقدراً فإنه لا يحصل وإن استعملت الدواء ، بل العقل يقضى بأن يستعمل الدواء ؛ لأنه تعالى كثيراً ما يرتب الشفاء على استعماله ، فكذلك الدعاء سواء بسواء ، ولهذا الإشكال سأل بعض الأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له : « أرأيت أعمالنا هذه أهى شىء قد فرغ منه ، أم هى أمر يستأنفه الله تعالى ؟ فقال : بل هى شىء قد فرغ منه ، فقالوا : ففيم العمل إذن ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

(بعض آثار الدعاء واقعيا)

وإذا تبين لك أن الدعاء قد يتحقق فى الدنيا ، فلهذا ينبغى أن تدعو ربك فيما عز وهان من أمرك ، فإنه قد يستجيب لك

فى الدنيا ، وإلا ففى الآخرة ، وقد ورد من آثاره فى الدنيا أن نوحا لما أصرّ قومه على الكفر بعد أن دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاما سأل ربه أن لا يذر على الأرض من الكافرين ديارا فأهلكهم بالطوفان .

وأن أيوب لما دعا ربه أن يشفيه من مرضه أمره أن يضرب الأرض برجله، فضربها فنبعت منها عين ماء بارد، فأمره الله أن يغتسل من هذا المغتسل ويشرب من مائه ، ففعل فشفاه استجابة لدعائه .

ولما نفد الماء من المسلمين فى غزوة تبوك ، وكانوا فى الصحراء، والجو شديد الحرارة ، بلغ من ظمئهم وحاجتهم إلى الماء أنهم كانوا يذبحون البعير ويعتصرون فرثه[1] ليبلوا بعصارته ألسنتهم مع قلة الإبل معهم، فقال أبو بكر: يارسول الله إن الله عودك فى الدعاء خيراً ، فادع لنا قال: أتحبون ذلك؟ قالوا: نعم، فرفع يديه ودعا الله فلم يرجعهما حتى كان السحاب قد أطرهم ولم يتجاوز الماء عسكرهم ، فشربوا وملأوا ما معهم من الروايا(٢) .

«١» الفرث : السرجين فى الكرش .

«٢» جمع الراوية : وهى وعاء الماء الذى تحمله الإبل ويشبه القربة .

رواه ابن جرير والحاكم وصححه وغيرهما ورويناه بالمعنى جمعا لعناصر القصة من الروايات المختلفة ، وعن أنس قال : « أصابت الناس سنة (١) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قام أعرابى فقال : يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ، فى السماء قزعة[2] . فوالذى نفسى بيده فرفع يديه وما نرى ما وضعهما حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته فطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى يوم الجمعة الأخرى » إلى آخر الحديث.

ولهذا شرعت صلاة الاستسقاء والدعاء بإنزال المطر عند الجدب ، ومازالت تلك سنة المسلمين، وكثيرا ما يحقق الله دعاءهم ويسعفهم بالمطر .

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد أن الناس قحطوا على عهد معاوية فخرج يستسقى بهم ، فلما وصلوا إلى المصلى قال معاوية

«١» السنة : الجدب والقحط .

«٢» القزعة: السحابة .

لأبى مسلم الخولانى: قد ترى ما حل بالناس فادع الله تعالى، فكشف البرنس عن رأسه ثم رفع يديه ثم قال: اللهم إنا منك نستمطر وقد جئت إليك بذنوبى فلا تخيبنى ، فما انصرفوا حتى سقوا، فقال أبو مسلم : اللهم إن معاوية أقامنى مقام سمعه ، فإن كان عندك لى خير فاقبضنى إليك وكان ذلك يوم الخميس ، فمات أبو مسلم يوم الخميس المقبل - انتهى مرويا بالمعنى مختصرا لطوله

(أدعية مأثورة)

من الأدعية المأثورة دعاء علمه الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة وأوصاها به فقال : « عليك بالجوامع الكوامل، قولى اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، ما علمت منه ومالم أعلم ، وأسألك الجنة وماقرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك صلى الله عليه وسلم ، وأستعيذبك مما استعاذ منه عبدك ورسولك صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين »

ومنه ماعلمه فاطمة رضى الله عنها فقال: « يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به : أن تقولى يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث ، لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله » .

ومن استعاذاته صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أعوذ بك من طبع يهدى إلى طمع ، ومن طمع فى غير مطمع » وقوله : « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع[1] ونفس لا تشبع ، وأعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فإنها بئس البطانة ، ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ، ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ، اللهم إنا نسألك قلوبا أواهة مخبتة منيبة فى سبيلك ، اللهم إنى أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار » وحسبنا ما ذكرناه والله تعالى هو الموفق ؟

مصطفى محمد الطير

---

(١) أى : لا يجاب .

من هدى السنة :

نبوة صادقة

للدكتور محمد أبو شهبة

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن شهاب ، من حديث الهجرة الطويل قال ابن شهاب : وأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى [1] ، وهو ابن أخى سراقة بن جعشم ، أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول: «جاءنا رسل قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما ، من قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ، ونحن جلوس فقال : يا سراقة إنى قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا ، وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت فى المجلس ساعة ، ثم قمت فدخلت ، فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة ، فتحبسها على ، وأخذت رمحى ، فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بزجه الأرض ، وخفضت عاليه حتى أتيت فرسى فركبتها ، فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى ، فخررت عنها ، فقمت فأهويت يدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها : أضرهم أم لا ؟ فخرج الذى أكره ، فركبت فرسى وعصيت الأزلام تقرب بى ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ،

(١) المدلجى : بضم الميم وسكون الدال ، وكسر اللام ثم جيم من بنى مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة ، وعبد الرحمن بن مالك هذا اسم جده مالك بن جعشم أيضاً ، وأبوه مالك بن جعشم له إدراك ، ولم يذكره أحد فى الصحابة ، وعده ابن حبان فى التابعين ، وأما سراقة فصحابى قطعاً .

فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذى أكره !! فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : إن قومك جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزءانى، ولم يسألانى ، إلا أن قال : «أخف عنا» فسألته أن يكتب لى كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم».

* * *

تخريج الحديث : رواه البخارى فى صحيحه بهذا السند عن سراقة - باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة. وروى نحوه عن أنس فى هذا الباب .

« الشرح والبيان »

« سراقة بن جعشم » سراقة بضم السين وفتح الراء الخفيفة ، جعشم : بضم الجيم، والشين المعجمة ، بينهما عين مهملة وهو سراقة بن مالك بن جعشم، هكذا ورد فى رواية أبى ذر الصحيح ، فيكون هنا قد نسب إلى جده اختصارا ، فجعشم جده لا والده ، وقد أسلم وحسن إسلامه بعد حنين والطائف ، وكان للنبى معه قصة تعتبر من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وستأتى ، وقد عاش إلى خلافة سيدنا عثمان - رضى الله عنه -

« جاءنا كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما على قتله أو أسره » .

وقد كان ذلك لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق ليلا مهاجرين إلى المدينة ، حتى وصلا إلى غار ثور ، واختبئا فيه فلما أصبح الصباح، ودخلوا المنزل الذى كانوا يراقبون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتظرونه طول الليل جن جنونهم ، فجعلوا جعلا لمن يأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم أو صاحبه حيا أو ميتا فله عن كل واحد مائة ناقة . وهذا الجعل ليس بالشىء اليسير فى هذا الزمن، فمن ثم سعى الكثيرون فى الحصول على هذا الجعل ، ولكن الله سبحانه حال بينهم، وبين ما يريدون، ويمكرون ويمكر الله

والله خير الماكرين[1] » . فجازاهم الله بمكرهم مكرا ، ورد كيدهم فى نحرهم .

« فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس » .

هـــذا قول سراقة ، وفى رواية : إذ أقبل .. وجلوس جمع جالس ، والجملة حالية ، قام علينا : أى وقف .

« فقال : يا سراقـة إنى رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه » .

أسودة : أى أشخاصا ، أراها : بضم الهمزة أى أظنها محمـدا ومن معه ، وفى رواية موسى بن عقبة وابن إسحـاق : « لقد رأيت ركبة ثلاثة، إنى لأظنه محمدا وأصحابه » وركبة : جمع راكب .

« قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا ، انطلقو بأعيننا » .

بأعيننا أى فى نظرنا معاينـة يبتغون ضالة لهم ، وفى رواية موسى بن عقبة وابن إسحاق « فأومأت إليه : أن اسكت وقلت : إنهم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ، قال : لعل وسكت » وغرض سراقة بهذا

(١) الأنفال : ٣٠ .

التعمية والتضليل ، حتى يذهب هـو ، ويحصل على هـذا الجعل الكبير الذى يجعل صاحبه من أهل الثراء .

« ثم لبثت فى المجلس ساعة » أى مدة من الوقت ، لأنها فى لغة العرب لمطلق الوقت ، وليس المراد الساعة الفلكية التى هى ستون دقيقة .

« ثم قمت ، فدخلت ، فأمرت جاريتى أن تخـرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها على » .

الأكمة : هى الرابية المرتفعـة من الأرض ، فتحبسها على : أى تقف بها وراء الأكمة حتى يحضر إليها ، وغرضه بهذا المبالغة فى التخفى ، والتستر عن الأعين حتى لا يلحق به أحد ، فيشاركه فى هذا الصيد الثمين .

« وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت » أى من خلفـه حتى لا يشعر به أحد ، وفى الروايات الأخرى أنه أخذ سلاحه ، ولبس لأمته[1] .

« فخططت بزجه الأرض ، وخفضت عاليه حتى أتيت فرسى فركبتها » .

الزج : الحـديدة فى أسفل الرمح ،

(١) اللأمة : ما يلبسه المحارب من درع ، وبيضة على الرأس ونحوهما .

وخفضت عاليه يعنى حتى لا يلمح فيراه بعض الناس فيتبعه ، فيشركه فى الجعل . « فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم فعثرت بى فرسى فخررت عنهافقمت » .
رفعتها : أى أسرعت بهـا السير ، تقرب بى : هو السير دون العدو ، وفوق العادة ، وقيـل : أن ترفع الفرس يديها معا ، وتضعهما معا ، فخررت عنها أى سقطت .
«فأهويت يدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها : أضرهم أم لا ؟ فخرج الذى أكره » .
أهويت يدى : أى بسطتها للأخذ من الكنانة ، والكنانة الكيس من الجلد توضع فيه القداح ، والأزلام : جمع زلم وهى قطعـة من خشب كالسهم إلا أنها لا ريش لهـا ولا نصل ، الاستقسام : طلب القسمة والحظ والنصيب ، وكانت الأزلام ثلاثة : واحدكتب عليه : افعل والثانى : لا تفعل، والثالث : غفل، فإذا أرادوا سفرا ، أو تجارة أو حربا،أوغير ذلك استقسموا بها فإذا ،خرج الذى عليه « افعل » مضى لسبيله ، وإذا خـــرج « لا تفعل »امتنع ، وإذا خرج الغفل - الذى ليس عليـه شىء - ضرب مرة أخرى ، وهـذا من خرافات الجاهلية وعقائدهم التى أبطلها الإسلام فلمااستقسم بالأزلام خرج الذى يكره،وهومانهاه عن الضرر .
ولم ير سراقة فى عـــثرة فرسه ، ولا فى خروج سهمه بالذى يكره زاجرا ، فتابع السير عسى أن يحصل على الدية الكبيرة المغرية .
قال « فركبت فرسى، وعصيت الأزلام تقرب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين،فخررت عنها» .
وهـذا يدل على مبلغ ثقة رسول الله بربه ، وتوكله عليه ، وثبات قلبه فى هذا الموقف الحرج ، وهو غاية الشجاعة فى مثـله ، ولم يكن الصديق رضى الله عنه ليخاف على نفسه بكثرة التفاته ، وإنما كان يخاف على رسول الله ، أما نفسه فهى هينـة عليه فى سبيل الله . ومعنى ساخت : أى غاصت ، فخررت عنها : أى فسقطت ، تقـرب بى : أى تسرع والجملة حالية من « فرسى » وفى هـذه

الرواية إيجاز قد بينته الروايات الأخرى فى البخارى وغيره فى حديث البراء بن عازب « اللهم اكفناه بما شئت » وفى حديث أنس عند البخارى « فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم اصرعه فصرعه فرسه » .

« ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها » يعنى لم تقرب أن تخرج يديها وهذا بيان لغوص قدميها فى الأرض ، وما عانته فرسه فى هذا ، وهذا من معجزات النبوة ، والفرس قد تعثر ، أما أن يغوص قدماها إلى بطنها فهذا أمر وراء العادة .

قال « فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع فى السماء مثل الدخان » .

عثان : هو الغبار الذى يشبه الدخان. فى السماء : يعنى فى الجو . وفى رواية أخرى : غبار وهى تفسر هذه .

« فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى أكره »

لم يعتبر سراقة بما جرى ، فأغراه عظم الجعل أن يضرب القداح مرة أخرى فخرج الذى يكره ، فلم يجد بدا من المسالمة .

قال سراقة : « فناديتهم بالأمان ، فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم » .

هكذا فى الصحيح أنه ناداهم بالأمان بعد المرتين : العثرة ، والغوص وفى السيرة لابن إسحاق أنه واصل طلبهم بعد الغوص وأنه غاصت قدما فرسه فى المرة الثالثة أيضا ، فلم يجد بدا من أن يناديهم بالأمان[1] فلعل فى رواية الصحيح اقتصارا على المرتين .

قال : « ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

لقد تأكد سراقة أن رسول الله ممنوع وأن الله حافظه وعاصمه من الناس ، فهى شهادة من عدو ، والفضل ماشهدت به الأعداء ، ولو كان فى الأمر أدنى شبهة لما وقع فى نفس سراقة ما وقع ، وقد حاول الرجل النيل منهم مرارا فلم يفلح وحبسه الله عنهم ، وحال بينه وبين إيذائهم فلم يجد بدا من أن يفضى إلى الرسول بما جعلت قريش لمن قتله أو أسره هذا الجعل الكبير ، وأخبرهم بما يريد الناس من اللحاق بهم ، والظفر بهم .

« وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم

---

[١] سيرة ابن هشام ج١ ص٤٨٩ .

يرزءانى، ولم يسألانى إلا أن قال: أخف عنا،

وقد عرض عليهم سراقة بعد ما رأى -وهو العربى الكريم- الزاد والمتاع فلم يقبلا ومعنى فلم يرزءانى أى فلم ينقصانى مما معى شيئا ، ولم يسألانى . إلا أن قال أى النبى صلى الله عليه وسلم : أخف عنا أى أخف أخبارنا عمن يقابلك ممن يطلبنا ،

وفى حديث أنس فى الصحيح « فقال : يا رسول الله مرنى بما شئت ، فقال : فقف مكانك فلا تترك أحدا يلحق بنا قال - أى أنس - فكان أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له » أى حارساله بسلاحه وهكذا نرى أنه قدجاء محاربا فإذا به يرجع مسالما ، وجاء يبغى شرا ، فإذا به يدفع الشر عن النبى وصاحبه ، فسبحان الله الذى يسخر الكون لمن يشاء من عباده المخلصين الصالحين !! وقد وفى سراقة بما عاهد عليه خير الوفاء ، فجعل لا يلقى أحدا من الطالبين إلا صده ، وقال له : قد كفيتم ماها هنا حتى اطمأن إلى أن النبى وصحبه قد وصلوا إلى المدينة فصار يحدث بما رأى وما سمع .

« فسألته أن يكتب لى كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم »

لقد تأكد سراقة أن أمر رسول الله سيظهر ، وسينتشر دينه فرغب إلى النبى أن يكتب له كتاب أمان وموادعة ليكون عصمة له يوم يضطر إليه فأمر الرسول عامر بن فهيرة فكتب له الكتاب فى أدم وهو الجلد المدبوغ وهو جمع أديم، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه لسبيلهم إلى المدينة ، ورجع سراقة بكتاب الأمارة .

« ستلبس سوارى كسرى »

ولم تقف قصة سراقة عند هذه المعجزة الظاهرة ، وهى غوص قدمى فرسه غير مرة ، ورجوعه سلما بعد أن كان حربا ، بل تعدى ذلك إلى نبوءة أخرى صادقة ما كان يحول مصداقها بخلد إنسان قط إلا أن يكون نبيا يوحى إليه من ربه .

ذلك أنه لما هم سراقة بالرجوع التفت إليه النبى وقال : « كأنى بك ياسراقة تلبس سوارى كسرى » فقال سراقة متعجبا : سوارى كسرى بن هرمز ؟ ! ! قال : « نعم » فرجع سراقة وهو فى حيرة من أمر هذه النبوءة، وتواردت على نفسه شتى الهواجس ، والخواطر، والخالجات النفسية : محمد الذى خرج مستخفيا ،

مطاردا من قومه يخشى الطلب ، ويخاف الرصد ، ولا يكاد يأمن على نفسه يعدنى سوارى كسرى ! ! كسرى أنوشروان ، ملك الملوك ! ! ياللعجب ! ! .

إسلام سراقة : وتسير الأيام فى صالح الدعـــوة الإسلامية بعد جهاد وكفاح مريرين ،وتضحية وصبر نادرين ويدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحامنتصرا وتدول دولة الشرك والأصنام ، ويقابل سراقة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من حنين والطائف ، فيطلعه على الكتاب فيقول له سيد الأوفياء : «اليوم يوم الوفاء والبر ، ادن » قال : فدنوت منه ، وأسلمت .

صدق النبوءة : وتدور عجـــلة تاريخ الفتوحات الإسلامية مسرعـة ، ويأتى زمن الخليفة العبقرى الملهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه — فيفتح الله على المسلمين بلاد فارس ، ومنها المدائن ، ويثل عرش كسرى ، ويؤتى بالغنائم وفيها سوارا كسرى ، وتاجـه ، وبساطه وجواهره الغالية التى قـدرت بالوف الألوف من الدراهم والدنانير ويقف الفاروق متعجبا من أمانة القواد والجنـود فيقول : « إن قوما أدوا هذا لذوو أمانة » !! فيقول له أبو الحسن على - رضى الله عنه : « إنك عففت فعفت الرعية !! ويقسم الفاروق عمر الغنائم بين المسلمين ، ويتعفف عنها فلم ينله منها شيء ! ! .

ويتذكر عمر والمسلمون نبوءة رسول الله ، وكلمته لسراقة فأتى به ، وألبسه سوارى كسرى ، وكان رجـلا أزب — - كثير شعر الذراعين - وقال له « قل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلبهما كسرى ابن هرمز ، وألبسهما سراقة بن جعشم أعرابيا من بنى مدلج ، ثم أركب سراقة ، وطيف به المدينة ، والناس حوله ، وهو يرفع صوته مرددا قوله : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة بن جعشم أعـرابيا من بنى مدلج » ! ! .

وكان يوما مشهودا من أيام المدينة الخالدة ، وهكذا صدق الله نبوءة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة ونصر جند الإسلام المتقين المخلصين ، وجعـل وراثة الأرض لعباده الصالحين وصدق الله تعالى : « ونريد أن نمـن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمـة ونجعلهم الوارثين » ؟ .

د . محمد محمد أبو شهبة

نظرات علمية :

ابن رشد بين الفقه والفلسفة

للدكتور محمد رجب البيومي

— ١ —

حارب الغزالى الفلاسفة بضراوة عنيفة، حيث كان رجلا ألمعى النظر ، شديد العارضة ، وقد ظهر فى عصر كانت فيه الفلسفة عضداً ركيناً لعلم الكلام، يعتمد عليها فى البرهنة والتعليل ، ويتخذ من قضاياها وسيلة الإقناع والإفهام ، حتى تكدرت موارده بماالتصق به من شوائب السفسطة والتخيل ، والإحالة ، ولأمر ما كره الغزالى طريقة المتكلمين من ذوى الجدل المنطقى ، ورأى الفلسفة داءهم القاتل ؛ فنشط لدراستها دراسة ناقمة ، ثم تفرغ لكتابة مؤلفه «تهافت الفلاسفة» لينص على أن منهم من جحد الصانع ، وقال بقدم العالم، وهم الدهريون والزنادقة ومنهم من أنكروا البعث بمايتبع من ثواب وعقاب ، وهم أيضا ملاحدة يتزندقون . أما الفلاسفة الإلهيون ، فنهم أولو الرياضيات وذوو المنطقيات وأصحاب الطبيعيات والإلهيات ، ولا يبعد حديثهم جميعا عن الآفات العقلية ، والعاهات النفسية ؛ مما يقذف بالشكوك إلى النفوس فلا تستريح . وأفضل طريقة للهداية فى رأيه هى طريقة التصوف التى تبعث بالنور عن صفاء القلب ، واطمئنان الروح ؛ إذ أن الحقائق فى منطق الغزالى لا تنكشف بنظم الكلام وترتيب الدليل بل بنور يقذفه الله تعالى فى الصدر «فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة» .

وقد كان لحجة الإسلام نفوذه الكبير فى عالم الحنيفة ، فانصرف المسلمون فى الشرق عن الفلسفة وفترت العناية بمسائل الطبيعة ، ولكن مسلمى المغرب لم يعدموا رجالا كابن زهر وابن طفيل وابن رشد ينافحون عن الفلسفة بما يملكون من حجاج ، وكان ابن رشد أقوى من تصدى إلى الغزالى ، فوضع كتاب «تهافت التهافت» ليرد به على «تهافت الفلاسفة»

فيؤكد أن أبا حامد لم ينهض فى كتابه إلى بيان الحق فيما استحر فيه الخلاف بين الفلاسفة والمتكلمين ، بل سلك مسلك السفسطة فى التماس أوجه التضارب بين الأدلة كما أنه أخل بفهم الفلسفة حين اقتصر على كتب ابن سينا وحده وكان ابن رشد حاسما صريحا حين واجه الغزالى بقوله :

«وأما قوله : إن قصده من (كتاب التهافت) ليس هو معرفة الحق وإنما قصده إبطال أقاويلهم وإظهار دعاويهم الباطلة فقصد لا يليق به بل بالذين فى غاية الشر ، وكيف لا يكون ذلك كذلك ومعظم ما استفاد هذا الرجل من النباهة وفاق الناس به فيما وضع من الكتب ، إنما استفاده من كتب الفلاسفة وتعاليمهم وهبهم أخطأوا فى شىء فليس من الواجب أن ينكر فضلهم فى النظر ، وما راضوا به العقول ، ولو لم يكن لهم إلا صناعة المنطق لكان واجبا عليه وعلى جميع من عرف مقدار هذه الصناعة شكرهم عليها ... أفيجوز لمن استفاد من كتبهم وتعاليمهم مقدار ما استفاد هو منها حتى فاق أهل زمانه ، وعظم فى ملة الإسلام صيته وذكره أن يقول فيهم هذا القول وأن يصرح بذمهم على الإطلاق» .

وبعد أن اعترف ابن رشد بخطأ بعض الفلاسفة فى أشياء من العلوم الإلهية ذكر أن هذا الخطأ لا يتضح لنا إلا بقوانينهم المنطقية وأقيستهم العقلية ، ثم أخذ يتناول المسائل المختلف عليها بين المتكلمين والفلاسفة بالشرح والتفصيل تناولا يدركه من يقرأ تهافت التهافت ؛ إذ ليس من سبيلنا اليوم أن نوازن بين التهافت ونقده ، إنما نريد أن نشير إلى دفاع ابن رشد عن الفلسفة كفيلسوف ! لقد نشأ ابن رشد فى أسرة تشتهر بدراسة الفقه والتأليف فى مسائله ، كما تتولى أرفع مناصب التشريع حين تتسنم منصة القضاء لتصدر الأحكام الشرعية فى شئون الناس وكان جده ابن رشد المالكى أوحد زمانه فى الفقه، وتوجد مجموعة فتاويه فى كتاب خطى كبير ، وقد سفر للسلطان فى المغرب سفارة ناجحة وترك كتابى : المقدمات والبيان والتحصيل فى الفقه المالكى بحيث صار أحد الأقطاب الأربعة من أئمة المالكيين فى القطر الأندلسى مع الدين والفضل والوقار والحلم كما أجمع على ذلك

مؤرخوه من أمثال: الضبي وابن بشكوال وابن فرحون ، هكذا كان الجد ، ونسل من بعده الأب فشارك والده الفتيا وتولى قضاء الجماعة مكانه ، وحافظ على مجد الأسرة الفقهي ليسلمه إلى ابن رشد الحفيد فيلسوفنا الكبير الذى برع فى الفلسفة والفقه على حد سواء ، ولكن شهرته الفلسفية قد طغت على مجده الفقهي فكان ذلك ضيما كبيرا لكل من اشتغل بناحيتين مختلفتين من نواحي النظر الذهني فطغت إحداهما على الأخرى لا لقصور فى الثانية وكمال فى الأولى، بل لتوفوق فى الشهرة رجح بناحية ، وشال بناحية ؛ فقد ذكر مترجموا ابن رشد الحفيد أنه درس الفقه والأصول وعلم اللغة والكلام والأدب على أئمـــة عصره ، إذ أخذ ذلك كله عن أبيه قاضى الجماعة وعن ابن مروان ابن ميسرة وأبى بكر بن سمحون ، وكان شعلة لا تخمد فى القراءة والبحث حتى ليروى ابن الأبار عنه « أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله، وأنه سود فيما صنف وقيد وألف وهذب نحوا من عشرة آلاف ورقة ! وكان على شرفه أشـــد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا ، وقد تأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة لم يصرفها فى ترفيع حال ولا جمع مال؛ إنما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ومصالح أهل الأندلس بعامة » .

وإذا كان هذا الحفيد قد شارك فى بناء المجد الفقهي لأسرته حين تولى منصب قاضى الجماعة مكان أبيه وجده وحين ترك المؤلفات الفقهية ذات النفع العلمى المؤكد فإنه يفسح لنا مجال التساؤل عن صلة الفقه بالفلسفة فى حياته، وكيف استطاع أن يشرق فى سماء أفقين يظهران فى مرآة بعض الناس كالمتقابلين ؛ إذ أن عداء الفقهاء الفلاسفة مما ظهرت بوادره فى عصر الترجمة الأول للعهد العباسى ، ومما اندلع شراره بعد هجوم الغزالى الفقيه على الفلسفة والمتفلسفين ؟ كيف اهتدى الفقيه إلى الفلسفة ، أو كيف اهتدى الفيلسوف إلى الفقـه ؟

هذا سؤال دقيق يحاول من يسبر شخصية ابن رشد الحفيد أن يجيب عليـه بما يستطيع ، وقد حاول الدكتور أحمد أمين فى الجزء الثالث من ظهر الإسـلام أن يسفر عنه النقاب حين قال ص ٢٤٥ ط ٣

« والذى يلاحظ أنه كان من مداخل الفلسفة الفقه لسببين ، الأول : أن الفقه والاشتغال به والبحث عن استنباط الأحكام يعلم العمق ، ودراسة الفلسفة دراسة عميقة .

والثانى: أن الفلسفة لما كانت مكروهة فى الأوساط الشعبية الأندلسية كان الفقه شعاراً يتخذه الفلاسفة حتى لا يرموا بالزندقة » .

وفى رأيى أن التعليل الثانى لا ينهض فى قضية ابن رشد ، لأننا نعرف من تاريخه أنه درس الفقه لأول عهده على أيدى معاصريه حتى برع فيه براعة جعلته يتصدر الفقهاء عن جدارة ويقوم بمنصب قاضى القضاة فيراجع الفتوى ويناقش الأحكام بما يخلع الهيبة على نفوس مرءوسيه من القضاة ، وقد ألف فى الفقه قبل أن يؤلف فى الفلسفة ، فلو كان الفقه شعاراً يتخذه ابن رشد ليتستر به حين يخوض البحث الفلسفى ؛ لكان اتجاهه الفلسفى سابقا اتجاهه الفقهى ، ولكن الأمر على عكس ما تصور الدكتور أحمد أمين ، أما القول بأن دراسة الفقه تعلم العمق الذى تنشده الفلسفة وتصدر عنه فى البحث والاستنباط فذلك ما لا ينكره باحث ، إذ أن ارتكاز الفقه الإسلامى على علم الأصول قد أورث الفقهاء فى الإسلام من دقة النظر ، وسلامة الاستنباط، وجودة القياس ما يذكر لهم بالتقدير، وأذكر أن فقيد الفكر الإسلامى الأستاذ مصطفى عبد الرازق - رحمه الله - قد جعل علمى الأصول والكلام دليل العبقرية الإسلامية فى الفلسفة الدينية المستقلة عن تأثير اليونان الفلسفى ؛ إذ أصدر كتابه المعروف بالتمهيد لدراسة الفلسفة الإسلامية ليعلن أن الفلسفة الإسلامية لا تلتمس فيما كتب ابن سينا والفارابى وابن رشد ؛ بل تلتمس فيما وضع علماء الإسلام من الأصول الفقهية والقضايا الكلامية ، لأن ابن سينا ومن تابعه قد نقلوا فلسفة الإغريق كما ذكرها أصحابها الأوائل مع زيادات يسيرة فى الشرح والتحليل ، أما علماء الأصول ورجال الكلام فقد أسسوا آراء إسلامية تجد جذورها فى التراث الإسلامى الخالص، فهم لذلك جديرون أن يكونوا فلاسفة الإسلام ! وإذا فات ابن رشد أن يكون فيلسوفا أصيلا فيما نقل عن

أرسطو ، فإنه فى منطق الأستاذ مصطفى عبد الرازق فيلسوف بكتابه الفقهى الشهير «بداية المجتهد» الذى سنلم بمضمونه عن قريب .

ونشأة ابن رشد الدينية ، هى التى جعلته يفكر تفكيراً ملحاً فى الصلة القوية بين الفلسفة والشريعة ، فهو كفقيه إسلامى كبير يؤمن بالشريعة المحمدية صحة نظر ، وصدق استدلال ، وجزالة نفع ، وهو كفيلسوف مفكر يؤمن بحرية العقل ، وسلامة المنطق وجودة القياس، ويرى أن طريق الفقه فى حقيقة الأمر لا يتناقض مع النظر الفلسفى فى شىء ، وما يبدو للوهلة الأولى من التعارض الظاهرى لا يعدم طريق التوافق الموصل إلى الاطمئنان النفسى لدى عشاق النظر الصائب ، وقد أصبحت المسألة فى حاجة إلى استدلال كاشف بعد أن جاهر الغزالى بعداوة الفلسفة ورأى فى أهلها مطايا تخب براكبيها إلى الزندقة والإلحاد !

لقد كانت هذه المسألة شغل ابن رشد الشاغل فى أكثر أدوار حياته ؛ إذ تعرض لها فى ثلاثة كتب من مؤلفاته ، والكاتب لا يثنى ولا يثلث بالحديث فى موضوع واحد إلا إذا استشعر خطره الداهم ورأى من الضرورى جلاء الصواب فى أمره ، وهل كانت كتب ابن رشد :

١ — تهافت التهافت

٢ — وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال

٣ — والكشف عن مناهج الأدلة ،

هل كانت هذه الكتب الثلاثة إلا محاولة للاطمئنان النفسى ونوعا من الانسجام الضرورى بين ثقافات تتلاطم فى عقل الرجل الكبير ، يراها الناس تتضارب وتتشاجر ويراها بمجهره تتوافق وتتلاقى ولا خير فيه إذا سكت عما يرى ، بل لابد أن يفصح للناس عن مكنونه بتسطير ما يهدى إلى الصواب .

ألح ابن رشد فى تأكيد صلة الشريعة بالفلسفة ، لأن النظر الفلسفى لا يخرج عن القياس المراد به استنباط المجهول من العلوم ، وهو ما دعا إليه الله تعالى حين قال: «فاعتبروا يا أولى الأبصار» ، وحين قال : «قل انظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء» ، وإذا كان النظر العقلى واجبا يدعو إليه الشرع ، فإننا ننظر إلى من قبلنا لنعلم أخصوا عن

هذا النظر الواجب أم سكتوا ؟ فإذا ثبت أنهم بحثوا مسائل النظر العقلى وجب علينا أن نستعين بهم فيما حاولوه واهتدوا إليه باحثين منقبين ، فما كان لديهم مما يوافق الحق فهو مقبول محترم ، وما كان لديهم مما لا يوافق الحق أشرنا إليه وعذرنا المخطئين إذ لم يهتدوا إليه ، وإذن فيكون النظر فى كتب القدماء واجبا شرعيا لا محيد عنه ، ومن نهى من كان أهلا له عن النظر فيها فقد صد عن طريق يدعو إليه القرآن ، وإذا كان بعض الناس قد ضل بالنظر فى هذه الكتب فذلك لقصوره العقلى لا لفساد هذه الكتب ومن منع النظر فيها لذلك العارض فكمن يمنع الظمآن من الماء لأن قوما قد شرقوا به فماتوا ، وكم من فقيه لم يتورع بفقهه فى سلوكه الدنيوى ، أفنمنع الناس إذن عن دراسة الفقه لضلال بعض الفقهاء .

على أن من المقطوع به فى مذهب ابن رشد أن كل ما أدى إليه البرهان الصحيح لا يمكن أن يخالف ما جاء به الشرع الإسلامى الحنيف لأن الحق لا يضاد الحق بل يشهد له ويقوم به ، فإذا وجد بعض التعارض كان لا بد من تأويل يتفق مع قواعد اللغة المسلم بها من الدارسين بأن يخرج الكلام من دلالته الحقيقية إلى دلالته المجازية لوجود بعض القرائن الواضحة ، وبهذا لا يصطدم العقل بالشرع ، وقد احتاط الفيلسوف فتساءل : أيجوز أن يؤدى البرهان إلى تأويل ما أجمعوا على ظاهره ، أو ظاهر ما أجمعوا على تأويله ؟ وذلك سؤال يتطلب إجابة شافية أوضحها ابن رشد بقوله الصريح : إنه لا يصح ذلك إذا ثبت الإجماع بطريق يقينى فإذا كان الإجماع ثابتا بطريق ظنى فقد يصح .

وقد قسم المؤلف الناس إلى ثلاث طوائف : الخطابيون وهم الكثرة الغالبة ممن يكتفون بالإقناع السهل والأدلة الخطابية والمتكلمون الذين ارتفعوا حقا عن العامة ولكنهم لم يصلوا لمرتبة أهل البرهان الحقيقى ، والبرهانيون وهم أهل النظر بطبائعهم المواتية وحكمتهم العميقة المتأصلة ذاهبا من وراء هذا التقسيم إلى أن الخطابيين والجدليين لا بد لهم من الإيمان بظواهر النصوص دون تأويل ، أما العلماء من أهل البرهان الحقيقى فيدركون الخفى من المعانى بالتأويل ! وقد أنحى ابن رشد باللائمة على الغزالى وسائر المتكلمين

من أشاعرة ومعتزلة لأنهم أثبتوا التأويل فى مؤلفاتهم فذاعت بين العامة وتركت بلبلة كثيرة فى العقول وأوقعوا الناس ـ وبخاصة المعتزلة ـ فى شنآن وتباغض وحروب .

وإذا كان فى كلام الفيلسوف ما يكون موضع النقاش والتعقيب فقد أصاب الهدف حين قرر أن طريقة القرآن الكريم أفضل الطرق فى الإقناع والتدليل فمن حرفها بتأويل لا يكون ظاهرا فى نفسه فقد أبطل حكمتها وعطل القصد منها فى إفادة السعادة الإنسانية ، وحاد عن طريقة السلف من الصدر الأول؛ إذ أنهم صاروا إلى السعادة الوافية بترك التأويل ومن وقف منهم على تأويل لم يصرح به وما أتى الناس فى عقائدهم إلا من شطحات المتكلمين وتعسفاتهم المفرقة والجرى وراء أقيسة المعتزلة والأشاعرة الجافة الباردة النائية عن حرارة الإيمان وبرد اليقين.

وقد وفق الدكتور أحمد أمين (١) ، فى الإشارة إلى طرق المفكرين من المسلمين فى موضوع (الشريعة والفلسفة) إذ ذكر أن منهم من حاول التوفيق بينهما بالتأويل فاشتط ومن رمى الفلسفة وحدها بالضلال فصدر عن إيمان ، ومن رأى أن نلتزم بقواعد الفلسفة فى الطبيعيات والكيماويات وبقواعد الدين فى الإلهيات والغيبيات فلا نجور الفلسفة على الدين فى شىء ! ثم رأى الدكتور الكبير ترجيح الرأى الأخير معقبا عليه بقوله : « فلا حرج أن يدخل المسلم المسجد ليؤدى شعائر الدين كما وردت ثم يخرج منه إلى المعمل ليختبر المواد الطبيعية والنظريات العلمية» وليس لنا من تعقيب على قول الدكتور أحمد أمين إلا أن نعلن أن الدين الإسلامى يدعو معتنقيه فى جلاء إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض وارتياد المعمل لاختبار المـــواد الطبيعية والنظريات الكيماوية لا بهدى من الفلسفة وحدها بل برد إلى منبعه الحقيقى من فيض القرآن الكريم !

لقد أطلنا الحديث عن ابن رشد الفيلسوف ، وآن لنا أن نتحدث عن ابن رشد الفقيه؟

محمد رجب البيومى

(١) ظهر الإسلام جـ٣ ص ٢٥٤ ط ثالثة .

المرأة والقضاء

للدكتور محمد رأفت عثمان

القضاء فى النظام الإسلامى منصب من أخطر المناصب وأسماها ، له جلاله وقداسته البالغة ، لما يترتب عليه من حفظ حقوق الناس وصيانة أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ولهذا نجد رسول الإسلام محمدا صلى الله عليه وسلم يحذر كل التحذير من يتقلدون هذا المنصب من أن تتلاعب بهم الأهواء فيحكمون الهوى فيما يعرض عليهم من أمور الناس فيقول : «والقضاة ثلاثة : اثنان فى النار وواحد فى الجنة ، رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ورجل جار فى الحكم فهو فى النار » .

وبمثل هذا التحذير البالغ من رسول الله صلى الله عليه وسلم للقضاة من أن ينحرفوا عن الطريق السوى ، حث على استفراغ الجهد فى التعرف على وجه الحق فيما يحكمون فيه من القضايا ، وفى مقابل جهدهم هذا لهم الثواب من الخالق تبارك وتعالى سواء أصابوا وجه الحق فى اجتهادهم فى القضية المعروضة أمامهم أم أخطأوه ، ما دام القاضى قد بذل غاية وسعه فى إدراك وجه الحق ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا أخطأ فله أجر » .

وإدراكا لتبعات هذا المنصب الجليل الذى قد ينوء به كاهل أفاضل العلماء ، كان مشاهيرهم وكبارهم يحاولون أن ينأوا بأنفسهم عن تقلد هذا المنصب ، خوفا من أن تميل بهم النفس فى ساعة هوى أو ضعف ، فيقعوا فى المحظور الذى بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذا نجد من كبار العلماء كالإمام أبى حنيفة والإمام الشافعى رضى الله عنهما يعرض عليهما الحكام تقليدهما القضاء فيعتذران عنه ، بل بلغ الخوف من هذا المنصب الجليل ببعض العلماء أن كان يهرب من البلد الذى يريدونه عليها قاضياً .

وكعادة الفقهاء الإسلاميين فى العناية البالغة بكل أمر يتناولونه بأقلامهم تحدثوا

عن هذا المنصب السامى ، وبينوا شروطه وكل ما يتعلق به ، والمتتبع لكلام الفقهاء فى هذا المجال يرى أن اتفاقهم على اشتراط الذكورة فيمن يتولى منصب القضاء يكاد أن يصل إلى مرتبة الإجماع ، فلم يرد عن أحد من العلماء أنه خالف فى اشتراط الذكورة فى القاضى إلا ما نقل عن الإمام الطبرى رضى الله عنه ، وهى رواية سمعت من أحد أساتذتنا بكلية الشريعة والقانون شكه فى صحة نقلها عن الطبرى رضى الله عنه ، وحتى لو فرضنا صحة النقل وأن الإمام الطبرى قد صح عنه أنه قال ماهو منسوب إليه من صحة تولية المرأة القضاء فإنه يكون قد أتى برأى يخالفه إجماع العلماء على اشتراط الذكورة فى منصب القاضى ، كما بين ذلك الماوردى أحد كبار علماء الشافعية إذ يقول عند بيانه أن المرأة ممنوعة من تولى منصب القاضى : (وشذ ابن جرير الطبرى فجوز قضاءها فى جميع الأحكام ، ولا اعتبار بقول يرده الإجماع مع قول الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ») (الأحكام السلطانية للماوردى ص ٦٥) .

وعلى هذا الرأى : أى منع المرأة من أن تتولى منصب القاضى كان جميع أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة ، مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل رضى الله عن جميعهم .

ولعل هذا ينافى ما هو شائع عند الكثيرين من المحدثين الكاتبين فى مسائل الفقه الإسلامى من أن الإمام أبا حنيفة رضى الله عنه كان يرى أن تتولى المرأة منصب القضاء فيما عدا الحدود والقصاص أى أنها لا تمنع من ولاية القضاء إلا فى الأمور التى يجب فيها حد من حدود الله كشرب الخمور والزنا والسرقة وأمثالها وكذا الأمور التى يجب فيها القصاص ، ويجوز أن تلى القضاء فيما عدا هذين النوعين كمسائل الميراث والوصايا وأنواع المعاملات المختلفة من بيوع ورهن وكفالة وحوالة وأمثال ذلك من كل أمر تصح شهادتها فيه

والتحقيق فى هذه المسألة هو أن أبا حنيفة لم يقل ولم يقل واحد من علماء مذهبه الذين يعتمد على كتبهم فى الفقه الحنفى أنه يجوز أن تتولى المرأة منصب القاضى ، بل إن كلهم قد اتفقوا مع غيرهم

من أصحاب المذاهب الفقهية الإسلامية في أنه لا يجوز أن تتولى المرأة منصب القضاء، مستدلين في هذا كما استدل غيرهم بنص رواه البخاري والترمذي من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أنه قال: نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الجمل (أي أيام معركة الجمل التي كانت بين علي ومخالفيه وبينهم السيدة عائشة رضي الله عنها) فأقاتل معهم قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس ملكوا بنت كسرى قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» قال أبو بكرة: فلما قدمت عائشة البصرة ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمني الله تعالى به. (البخاري ج ٩ ص ٥٥، والترمذي ج ٦ ص ١١٩).

وإلى جانب هذا النص المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد الفقهاء يعللون رأيهم في عدم جواز أن تتولى المرأة منصب القاضي بأن القاضي مطالب بالحضور في محافل الخصوم والرجال، والمرأة ممنوعة من مخالطة الرجال، قال ابن قدامة: «ولهذا لم يول النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه، ولا من بعدهم امرأة قضاء ولا ولاية بلد فيما بلغنا ولو جاز ذلك لم يخل منه جميع الزمان غالباً» (المغني لابن قدامة ج١١ ص ٣٨٠).

والمتتبع لكلام علماء المذهب الحنفي في هذه المسألة يرى أنهم يبينون أنهم يتفقون مع غيرهم من أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى، في أن المرأة لا يجوز للحاكم أن يوليها القضاء ولكن لو فرض وولاها الحاكم القضاء - مع إثمه حينئذ - فإن قضاءها ينفذ إلا في القضايا التي تتصل بالحدود والقصاص.

فالحنفية إذن يفصلون بين مسألتين: أولاهما: تولية المرأة منصب القضاء، وثانيتهما: تنفيذ ما قضت به، فأما المسألة الأولى، وهي تولية المرأة منصب القضاء فإنهم قد بينوا أنه لا يجوز للحاكم ذلك وأما ما يرونه في المسألة الأخرى فإنهم يبينون أنه لو فرض وولاها الحاكم منصب القضاء مع إثمه حينئذ فقضت في بعض القضايا فإنه لا يجوز أن تنفذ الأحكام التي قضت بها في الأمور التي لا يصح فيها شهادتها وهي مسائل الحدود والقصاص، وأما ما عدا ذلك فيجوز أن ينفذ حكمها مادام موافقاً للقانون الإسلامي.

وهذا الذى نقوله هو ما تؤيده كتب أعلام الحنفية أنفسهم ، فهذا هو الإمام محمد أمين المشهور بابن عابدين يقول فى حاشيته المشهورة باسمه :

« أما الإمام (أى رئيس الدولة) فقال علماؤنا حكم السلطان العادل ينفذ ، واختلفوا فى المرأة فيما سوى الحدود والقصاص » (حاشية ابن عابدين جـ ٤ صـ ٤١٣) ، وهذا هو الكمال بن الهمام وهو أحد كبار علماء الحنفية المشهود لهم بالفضل والعلم يبين أن مراد الحنفية من قولهم : بجواز قضاء المرأة، هو جواز تنفيذ ما قضت به فى غير الحدود والقصاص إذا فرض أن وليت هذا المنصب مع إثم من ولاها حينئذ ؛ لأنه لا يجوز لها أن تتولى منصب القاضى ، فقال فى مقام رده على آراء الشافعية والمالكية والحنابلة فى هذه المسألة ، عندما استدل هؤلاء على عدم جواز تولية المرأة منصب القاضى بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » قال الكمال بن الهمام : « ما ذكر غاية ما يفيد منع أن تستقضى وعدم حله » ثم يعقب ببيان المسألة المختلف فيها بين الحنفية وغيرهم ، وهى تنفيذ ما قضت به المرأة فيقول : « والكلام (أى خلاف الحنفية مع غيرهم) فيما لو وليت وأثم المقلد « أى الذى قلدها القضاء » بذلك ، أو حكمها خصمان ، فقضت قضاء موافقا لدين الله ، أكان ينفذ أم لا ، لم ينتهض الدليل على نفيه بعد موافقته ما أنزل الله ، إلا أن يثبت شرعا سلب أهليتها وليس فى الشرع سوى نقصان عقلها ، ومعلوم أنه لم يصل إلى حد سلب ولايتها بالكلية ، ألا ترى أنها تصلح شاهدة وناظرة فى الأوقاف،ووصية على اليتامى؟ وذلك النقصان بالنسبة والإضافة ، ثم هو منسوب إلى الجنس ، فجاز فى الفرد خلافه ، ألا ترى إلى تصريحهم بصدق قولنا : الرجل خير من المرأة مع جواز كون بعض أفراد النساء خيرا من بعض أفراد الرجال ؛ ولذلك النقص الغريزى نسب صلى الله عليه وسلم لمن يوليهن عدم الفلاح ؛ فكان الحديث متعرضا للمولين ولهن بنقص الحال ؟ وهذا حق ؛ لكن الكلام فيما لو وليت فقضت بالحق؛ لماذا يبطل ذلك الحق ؟ » (شرح فتح القدير للكمال بن الهمام جـ ٥ صـ ٤٨٦) .

فالحنفية إذن لا يخالفون غيرهم فى أنه لا يجوز شرعا تولية المرأة منصب القاضى ولكنهم يقولون : إذا فرض وولاها الحاكم فإن هذا يكون مخالفا لأوامر الشرع ثم بعد ذلك ننظر فى الأحكام التى قضت بها؛ فإن كانت فيما تصح فيه شهادتها وهى غير مسائل الحدود والقصاص فيجوز أن ينفذ ما قضت به إذا وافق القانون الإسلامى وأما فيما عدا ذلك فلا يجوز تنفيذ ما قضت به .

ويجدر بنا أن نبين أن ما يذهب إليه الفقهاء الإسلاميون من عدم جواز أن تلى المرأة منصب القاضى ليس تعصبا منهم ضد المرأة ، فما المرأة إلا زوج الرجل أو أمه أو أخته أو ابنته ، وإنما هذا الرأى هو فى حقيقته بجانب استناده إلى معنى مستفاد من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه المتفق وطبيعة تكوين المرأة الجسمى والنفسى والعقلى، فالرجل بطبيعته يتفوق على المرأة فى الاستعداد للقيام بأعباء المناصب التى تحتاج إلى جهد وجلد غير عاديين ، وليرجع النساء اللآتى يرفعن أصواتهن بأن تتولى المرأة منصب القاضى ، ليرجعن إلى من يتقلد هذا المنصب من الرجال ، فيسألنهم عما يعانونه من هذا المنصب الخطير، ليعرفن أن الرجال مع ما فيهم من قدرة خاصة تفوق النساء قد ينوء كاهلهم بأعباء منصب القضاء ؛ فالقضاء منصب يحتاج إلى نوع من الجهد والجلد غير عاديين قد لا يتوافران فى المرأة بطبيعة تكوينها ، فضلا عما فى مخالطة الرجال والخصوم مما قد يوقعها فى حرج هى فى غنى عنه .

قد يقال إن فى بعض النساء من الجلد وتحمل المشاق والقدرة الجسمية والعقلية على تصريف الأمور الهامة ما قد يفوق ما عند بعض الرجال ، ولكن الكلام هنا على القاعدة الأغلبية كما فى قولهم : الرجل خير من المرأة فإنه بلا شك يوجد بعض أفراد النساء يفقن كثيراً بعض أفراد الرجال كالسيدة عائشة رضى الله عنها مثلا وبعض السيدات المشهورات فى التاريخ، ولكن هذا لا يطعن فى صحة القاعدة الأغلبية .

بقى أن يقال إن الحجة فى أمثال هذا الأمر إنما هى مبادىء الشريعة الإسلامية فإذا ما كانت مبادىء الشريعة الإسلامية تمنعه وهو ما بينه الفقهاء فلا سبيل إلى

الاحتجاج بأن ثمة بلدا إسلاميا يجيزه ؛ لأن العبرة بمبادىء الشريعة الإسلامية وما تقوله فى هذا الشأن لا تغيرها من سائر النظم ، ومصر فى مثل هذا المجال يجب أن تكون هى الرائدة ، وهى التى يجب أن يحتذى بها لا أن تقتدى هى بغيرها ، ففيها من الهيئات الإسلامية ما ليس عند غيرها : فيها الأزهر الشريف أعظم الجامعات الإسلامية على الإطلاق شموخا وعراقة ، وفيها لجنة للفتوى ودار للإفتاء ، وبها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وأما استناد المطالبين بأن تتولى المرأة منصب القاضى فى محاكم الأحداث إلى أن مشاكل الأحداث بطبيعتها ذات طابع اجتماعى يحتاج إلى توفير جو من الألفة والطمأنينة للحدث ، والمرأة فى ذلك أقرب إلى قلب الصغير وأكثر تفهما لسلوكه وعاداته ، إن الاستناد إلى هذا المعنى لا نسلمه ؛ إذ المفروض فى القاضى أى قاض أن يكون على مقدار كبير من سعة الصدر والرأفة بمن يقف أمامه كبيراً كان أم صغيراً ، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمنع القاضى من أن يقضى بين الناس إلا إذا كان فى حالة نفسية مهيأة لسماع المتخاصمين بكل رحابة الصدر ورضا النفس ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا يقض الحكم بين اثنين وهو غضبان » وقال : « لا يقض القاضى إلا وهوريان شبعان » وهذا هو ما كان يفهمه المسلمون الأوائل فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لأبى موسى الأشعرى عندما ولاه القضاء : « آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » ثم يقول له : « وإياك والغضب والضجر والتأذى بالناس » .

فكل قاض مطالب بأن يوفر جوا من الألفة والطمأنينة لكل المتخاصمين أمامه ، سواء أكانوا رجالا أم نساء ، كبارا أم صغارا .

وبعد : فما أحرانا دائما أن نسير على هدى مبادىء الشريعة الإسلامية ، وبخاصة وأننا نقف فى موقف الرادة من سائر البلاد الإسلامية التى تتطلع دائما إلى مصر معلما من معالم الإسلام بأزهرها الشريف حافظ تراثه ، وينص دستورها الآن على أن الشريعة الإسلامية مصدر رئيسى للتشريع ؟

دكتور محمد رأفت عثمان

العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ على عبد العظيم

— ١٠ —

لغة الرمز والإيحاء

عرفت العربية الأسلوب الرمزى منذ أقدم العصور ، فقد استعمله فى العصر الجاهلى الكهان والعرافون فى التعبير عما يزعمونه من الاتصال بالعوالم الخفية ، كما عرفه البلغاء ، واستعملوه فى الحكم وضرب الأمثال ؛ وعرض القرآن الكريم ألواناً من الإعجاز البيانى فيما عرضه علينا من لوحات فنية فى أسلوب رمزى دقيق ثم جاء الصوفيون فاستغلوا هذا الأسلوب فى تصوير مواجيدهم الذوقية وسبحاتهم الروحية وعوالمهم الغيبية وتركوا لنا آثارا خالدة لم تنل ما تستحقه من الدرس والبحث الدقيق .

ومع هذا فإن علماء البلاغة ومؤرخى الأدب وفحول النقاد لم يولوا هذا الأسلوب ما يستحقه من عناية وتقدير .

ولقد عرفت الآداب الغربية الأسلوب الرمزى Symbolism فى العصر الحديث، وظهر فيه شعراء مبرزون تركوا لنا آثارا رائعة جديرة بالبحث والتنويه .

وكان ظهور هذا المذهب فى الغرب رد فعل للمذهب الواقعى Realism فإن الواقعيين بالغوا فى التزام الواقعية حتى أصبح أدبهم صورة شمسية من واقع الحياة ، أوهى تقليد حرفى للطبيعة ، وكان الفنان آلة مصورة أو اسطوانة مسجلة لما يقع من أحداث ؛ أما الانفعالات الوجدانية والسبحات الروحية والومضات الفكرية والمشاعر المتشابكة والتيارات العاطفية الخفية فى أعماق النفوس البشرية فإنها عند الواقعيين لم تنل ما تستحقه من تسجيل وتصوير .

وبعد الكشوف النفسية العميقة وما حفلت به من آثار مبينة عن الغرائز والعواطف والعقل واللاشعور والعقد النفسية الناتجة عن الكبت ، والرؤى والأحلام ؛ حاولت الآداب والفنون أن تصور النفوس البشرية بما تطويه

فى أعماقها البعيدة الغور من ألوان المشاعر المتشابكة المتصارعة سواء طفت على السطح أم كمنت فى الأعماق .

وهناك مذاهب أخرى تلت المذهب الرمزى مثل : الدادية والسريالية والوجودية ليس مجال بحثها الآن ؛ ومن أهم أهداف الرمزية النفاذ إلى ماوراء المظاهر المادية لاستكناه الحقائق الخالدة المختفية خلف هذه المظاهر ، والاتجاه إلى العوالم الغيبية السامية Transcendet فإن الفنان الحق هو الذى ينشد الجوهر الأتم ويتسامى من المقيد إلى المطلق ، ومن المحدود إلى غير المحدود تدفعه اللهفة الدائمة والشوق الملح إلى الانفلات من قيود المادة وأغلالها للاندماج فى العالم المعنوى الأبدى الأزلى ، فإذا نجح فى الاندماج فيه تكشفت أمامه فى لمحات خاطفة أسرار وأسرار ؛ وهنا يلتقى التصوف فى أسمى آفاقه بالرمزية فى أروع مجاليها ؛ وكما يحلق الرمزيون فى أعلى الآفاق يغوصون فى أعمق الأغوار حيث يهبطون إلى أعماق النفوس البشرية يبحثون وينقبون ويصورون التيارات النفسية الثائرة المتصارعة تحت سطح اللاشعور ، وبهذا الاستبطان أبدعوا آيات تحليلية رائعة جلت للأبصار معالم مجهولة كانت مطموسة فى أعماق النفوس .

ولما كانت العوالم الغيبية والتيارات الوجدانية العميقة محفوفة بالظلال مغشاة بالضباب كان التعبير عنها موائما لآمادها الخفية وآفاقها المترامية وأبعادها السحيقة حتى يكون الأداء الفنى صادقا - والصدق هو الركن الأساسى للفنون الجميلة - ولهذا كان الأسلوب الرمزى قائما على الإيحاء والإبهام والتلويح المحفوف بالظلال . والقارىء البصير يستطيع أن يدركه بمشاعره لا بعقله ، وببصيرته لا ببصره ، وبخياله المشبوب لا بواقعه الملموس ؛ وهو أشبه بالموسيقى الحالمة الملهمة ، والموسيقى - على الرغم من إبهامها - تثير فينا أقوى الانفعالات ، وفى هذا يقول ولك WEELK : « يجب أن ندرس الصوت والوزن من حيث هما عنصران غير منفصلين عن المعنى فى مجموع العمل الفنى » ولهذا كانت الموسيقى عنصرا أساسيا فى الفنون المسرحية والسينمائية والألحان الغنائية ؛ ولهذا ينبغى أن نعنى بدراسة التعبير الموسيقى المصاحب للأساليب البيانية ، وسنرى فى القرآن الكريم

نماذج رائعة للأساليب الموسيقية وبخاصة فى السور المكية سواء فى السجع أم الترسل أم الإرسال ، ونجد اختلاف التوقيع والتنغيم فيها يلائم اختلاف المعانى والأهداف ؛ فالقرآن الكريم حينما يصف الأحداث المتتابعة المليئة بالأهوال فى يوم البعث والنشور يلجأ إلى الأنغام القوية المتوالية التى تقرع الأسماع فتنفذ منها إلى القلوب فتفعمها بالرهبة والجلال مثل قوله تعالى: «القارعة . ما القارعة . وما أدراك ما القارعة . يوم يكون الناس كالفراش المبثوث. وتكون الجبال كالعهن المنفوش » فقد اختار كلمة القارعة التى تقرع الأسماع والأفئدة، وكررها ليتوالى تأثيرها ونفاذها ، ولم يوضحها بل تركها مبهمة ؛ لأن الإبهام يثير الوجدان ويحفز الخيال ليتصور أى هول مروع يصحب هذه القوارع ، واكتفى بوصف آثارها المدمرة التى تجعل الجبال الراسخة الشامخة تتطاير فى الهواء كالصوف المندوف والتى تجعل البشر - سادة الأرض - كالفراش المتساقط المتهاوى على القيعان ، ومثلها قوله تعالى : « الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة . » ثم يترك التعبير الموسيقى القوى التتابع يحدث آثاره فى النفوس ، ويترك الخيال يحلق ثم يحلق ثم يتسع مداه ليتصور أهوال هذا اليوم الرهيب ، ومن الأمثلة القوية التعبير ، البليغة التوقيع ، الرهيبة التأثير قوله تعالى: « إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة. خافضة رافعة . إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا » .

وكثيرا ما نجد الأسلوب الرمزى يعتمد على الحروف الهجائية ويعطيها دلالات خاصة اصطلاحية حتى جعل الرمزيون لكل حرف منها لونا خاصا يدل عليه فالحرف A يعطى اللون الأسود ، والحرف E للون الأبيض ، والحرف I للون الأحمر ، والحرف O للأخضر ، والحرف U للون الأزرق ، وأمعنوا فى هذه الدلالات ، وفى دلالات الأرقام ولعلهم تأثروا فى هذا بالرموز العبرية للحروف ودلالتها على الأرقام .

ومن الغريب أن العرب اتجهوا هذا الاتجاه قبل الغرب بعدة قرون ، فقد ذكر ابن سينا فى كتابه الرسالة الفيروزية أن الحروف الهجائية كلها تتضمن أغراضا خاصة ، وحاول فى ضوء هذا تفسير الحروف

الهجائية الواردة فى فواتح بعض سور القرآن الكريم وجعل حرف (أ) دالا على البارىء، وحرف (ب) دالا على العقل وحرف (ج) للدلالة على الطبيعة .. وفسر «الم» بالدلالة على البارىء فى الأمر والخلق وفسر «حم» بأنها قسم بالعلم الطبيعى الواقع فى الخلق، وفسر «طس» بأنها قسم بالعالم الهيولانى الواقع فى التكوين المستقر فى الخلق .. ثم ذكر فى ختام رسالته أن ما بعد هذا أسرار تحتاج إلى المشافهة، أى أن هناك أسرارا يضن بها ولا يبوح بها إلا مشافهة لمن هو جدير بثقته أهل لها.

وتحدث الإمام الغزالى عن أسرار بعض الحروف فى كتابه «المنقذ من الضلال» فأورد مربعا يضم تسعة مربعات صغيرة وكل ضلع من المربع الكبير مقسم إلى ثلاثة أقسام تتصل بخطوط مستقيمة مع ما يقابلها من الضلع الآخر، وكل مربع صغير يضم حرفا هجائيا بحيث يكون مجموع أرقام هذه الحروف بحساب الجمل فى كل صف يساوى خمسة عشر، وذكر لهذه الحروف خواص عجيبة.

وألف ابن خلدون رسالة سماها «شفاء السائل لتهذيب المسائل» تناول فيها أسرار الحروف والأرقام، وأشار إلى مصنفات للبونى وابن عربى وغيرهما تناولت هذه الأسرار، ونقل عن البونى «أن الحروف طبائع وأسرارا سارية فى الأسماء والأكوان». ثم ذكر أن التصرف فى عالم الطبيعة بهذه الحروف والأسماء المركبة فيها أمر لا ينكر لثبوته عن كثيرين تواترا وذكر «أن أسرار الحروف لا يتوصل إليها بالقياس العقلى وإنما بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهى».

وذكر السهيلى فى كتابه القيم «الروض الأنف» فى السيرة النبوية «أن الحروف الواردة فى أوائل السور معانى جمة وفوائد لطيفة، وما كان الله تعالى لينزل فى كتابه ما لا فائدة فيه. وقد أنزله بيانا للناس وشفاء لما فى الصدور؛ فهذه الحروف الأربعة عشر التى تتكون منها فواتح السور فى تخصيصها بالذكر دون غيرها حكمة بل حكم .. وفى اقتران الألف باللام وتقدمها عليها معان وفوائد، وفى إردا فهما بالميم تارة وبالراء تارة فوائد أيضا .. والخوض فى إيراد هذه المعانى يقتضى إفراد جزء أشرح فيه ذلك ..» ولا ندرى أوفى بوعده أم

حالت الأحداث بينه وبين الوفاء، والواقع أن هذه الحروف تثير فينا مشاعر خاصة نستطيع أن نشير إلى بعضها بإيجاز :

١ — إنها رموز للدلالة على أن القرآن الكريم يتكون من كلمات عربية مؤلفة من هذه الحروف العربية المألوفة التي ينطقها العرب ويرددونها آلاف المرات في أحاديثهم وقصائدهم وخطبهم ولكنهم مع هذا عجزوا عن الإتيان بمثل هذا القرآن أو بما يماثل سورة من سوره على الرغم من التحدي الموجه إليهم، وهذا دليل على أنه من عند الله، وقد فطن قدماء المفسرين إلى هذا المعنى الكريم .

٢ — إنها باتحادها تكون الكلمات ومن الكلمات تتكون الجمل ، ومن الجمل تتكون الأبحاث العلمية الدقيقة والفصول الفنية الرائعة والنظريات الفلسفية العميقة كما تتكون المدن من البيوت والبيوت من الحجرات والحجرات من اللبنات وكما تتكون الدول من الأسرات، والأسرات من الأفراد والأفراد من الأعضاء ، والأعضاء من الخلايا الحية ، والخلايا من العناصر ، والعناصر من الذرات .

وفي هذا كله تتجلى قدرة الله الفائقة وآياته المعجـــزة وكلماته التي لا تنفد ولا تحدها الأرقام .

٣ — إن كتابة الحروف الهجائية أهم اختراع عرفته البشرية منذ أقدم عصورها حتى الآن ، وتسجيل هذه الحروف بالكتابة على الحجر أو أوراق البردي أو الكاغد أو الورق .. هو أساس تقدم البشرية وارتقائها في ميادين الحضارة فإن المعارف البشرية تنتقل بتسجيلها كتابة من إنسان إلى إنسان ، ومن الأساتذة إلى الطلاب ، ومن بلد متقدم إلى بلد متخلف ، ومن جيل إلى جيل ، وقد نزل القرآن الكريم بين قوم أميين فكانت أول آية منه تأمر بالقراءة وتشيد بالعلم وتوالت آياته تنوه بالقلم وتكبر العلم وتكرم العلماء وتدل على آيات الله الكونية وتسخيرها للإنسان عن طريق العلم ، وتذكر البشر بأن أباهم آدم امتاز عن الملائكة بأن الله علمه كل الأسماء ؛ ولهذا ما كاد القرآن الكريم يتردد على ألسنتهم ويمتزج بمشاعرهم حتى أسسوا حضارة عالمية لا يزال العالم ينعم بآثارها إلى الآن .

٤ — قد تكون هـــذه الحروف لإشعارنا بإبهامها أن هناك عوالم خفية غامضة تعجز مداركنا عن إدراكها ؛ وأننا لم ننل من العلم إلا قليلا ، وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ما ندركه بحواسنا وإلى ما لا ندركه ، فلا أقسم بمـا تبصرون . وما لا تبصرون ، وذكر بعض هـذه العوالم الخفية مثل : العرش ، الكرسى ، سدرة المنتهى ، أم الكتاب ... وإذا كنا قاصرين عن إدراك هذه العوالم فينبغى ألا يحملنا هـذا على إنكارها حتى لا نكون ممن قال الله فيهم : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » .

وهنـاك ألوان عـديدة من المشاعر والأحاسيس تثيرها فى أعماقنا هـــذه الحروف ولكن لا يتسع لها المجال .

* * *

والأساليب الرمزية فى القرآن الكريم ليست مقصورة على هذه الحروف ؛ بل تتناول فى عباراتها المعجزة الرائعة تقريب العوالم الغيبية السامية إلى الذهن البشرى بقدر ما تتسع له طاقة ومواهب الإنسان . ومن الأمثلة القرآنية على هذا الآيات التى صورت لنـا بعض مشاهـد العوالم الغيبية التى رآها الرسول صلى الله عليه وسلم فى رحلته الكونية رحـلة الإسراء والمعراج .

ولما كانت هـذه العوالم سامية عن التحديد والتقييد ؛ فإن التعبير البيانى قاصر عن توضيحها للأذهان البشرية المحدودة المقيدة بحدود الزمان والمكان ، ولكن الأسلوب الرمزى يوحى للبصائر الملهمة بومضات مشعة عن هذه العوالم السامية الغيبية وهذا ما عرضه علينا القرآن الكريم فى أوائل سورة النجم ؛ فقـد أقسم الله بالنجم حينما ينحدر فى مداره الفلكى بسرعة مذهلة ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق فيما أنبأ به من عجائب هذه الرحلة السماوية ، شأنه فى هذا كشأنه فى كل ماينطق به .. ثم يتحدث عما تلقاه من وحى سمـاوى عجيب فى هذه الليلة الخالدة أثناء هذه الرحلة الكونية العجيبة ، ولكن الآيات سكتت عن تحديد هـذا الوحى واكتفت بالإشارة الرمزية إليه «فأوحى إلى عبده ما أوحى» ، ثم أشارت الآيات إلى ما رآه النبى صلى الله عليه وسلم دون أن تحدد هـــذه المشاهد المرئية

واكتفت بالإيحاء المعبر عن عجائبها المذهلة التى يكاد العقل يعجز فيها عن تصديق ماتراه الأبصار « ما كذب الفؤاد ما رأى » واقتصر التعبير على أنه « رأى من آيات ربه الكبرى » ، ثم أشارت الآية إشارة رمزية إلى عالم غيبى مجهول سمته « سدرة المنتهى » وهو اسم مثير للدهشة والعجب وكل ما فى هـذه الرحلة الكونية مثير للعجب : ثم أشارت الآيات إلى أن هذه السدرة وقعت تحت تأثير قوة رهيبة فاعتراها من تأثير هذه القوة ما اعتراها ، ولكن ما هى هـذه القوة ؟ وما مدى تأثيرها ؟ وماذا عرى السدرة العجيبة من آثار ؟ اكتفت الآيات بالإيحاء الرمزى الذى يحفز الخيال للانطلاق فى أفسح الآفاق وأبعد الآماد لعله يتصور صفحة من هذه العوالم السامية « إذ يغشى السدرة مايغشى » ، ولكن كيف استطاع محمد صلى الله عليه وسلم وهو من البشر أن يشهد هذه العوالم ، وكيف استطاع بصره أن يراها دون أن يرتد حسيراً ؟ أشارت الآيات إشارة موحية ملهمة بأن الله أمده بقوة من عنده أعانته على تلقى هـذه الأنوار الباهرة التى تخطف الأبصار ولكن هذه القوة وقفت به عند غاية محدودة لاسبيل لمخلوق إلى اقتحامها فى هذه الحياة « ما زاغ البصر وماطغى » .

فكل عبارة فى هـذه السورة توقظ المدارك وتحفز المواهب وتثير المشاعر وتطلق ملكة الخيال للتحليق فى أسمى الآفاق عساها أن تدرك عن طريق البصيرة الملهمة ومضات من أنوار العوالم الغيبية فى الملأ الأعلى المحجوب عن العقول والأبصار .

وقد أودع الله بقدرته فى اللغة العربية خصائص تجعلها صالحة لأداء هذا التعبير الرمزى ولتبليغ وحى الله الخالد وبيانه المعجز للجن والإنس على السواء .

والقرآن الكريم يقصر أسلوبه الرمزى على ما يخبرنا به من العوالم الغيبية السامية أما إذا تناول الأحكام التشريعية أو الأحداث التاريخية أو التوجيهات الأخلاقية فإنه يعرضها فى دقة ووضوح وجلاء ؛ وهكذا تتنوع الأساليب القرآنية بتنوع المسائل التى تعرضها فتبلغ قمة الإعجاز البيانى فى كل مجال .

(للبحث بقية)

على عبد العظيم

الموارد المالية للدولة فى الفقه الإسلامى

للدكتور حسن الشاذلى

كان العالم قبل مجىء الإسلام يموج بالظلم ، ويضطرم بالطغيان ، ويمتلىء بالفساد ، فحقوق الأفراد والجماعات مسلوبة ، وحرياتهم مهضومة ، والتفرقة العنصرية وصلت إلى حد اعتبار بعض الطوائف من عداها من الطوائف الأخرى أرقاء ، أو حيوانات خلقت فى صورة إنسان لتخدم الطوائف الممتازة الأخرى ، والقواعد والنظم التشريعية التى تحكم علاقة الفرد بالفرد وبالجماعة وبالدولة ، والدولة بالدول الأخرى منعدمة تحت جبروت القوة وطغيانها وردعها ... فشاءت إرادة الله تعالى أن يبعث خاتم النبيين محمداً صلى الله عليه وسلم ليخرج البشرية جمعاء من ظلمات بعضها فوق بعض إلى أنوار تتلألأ فى جميع جنبات الحياة : فى العقيـــدة ، فى الأعمال ، فى المعاملات ، فى العلاقات الفردية والجماعية والدولية . . فجاء عليه الصلاة والسلام بالتشريع التام الكامل الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ، فأرسى الدعائم الثابتة الراسخة التى تكفل الهناء والسعادة لكل من فى الكون وما فيه . . حتى ليحس الإنسان المؤمن به ، بل يوقن أنه حين يفكر أو يتكلم أو يعمل أمام قانون واحد يعطيه ماله ، ويأخذ منه ما عليه ، يرده إن تجاوز الحد ، ويدفعه إلى المزيد إن أراد الخير ، وأنه أمام سلطان واحد لا يمكن الهرب منه أو التحايل عليه . . وأن هذا القانون لا يتغير ولا يتبدل بتغير الزمن وتعاقب الأجيال . . فمن هنا كان الاطمئنان وكان الرضا ... ولقد تدارس المسلمون هذا التشريع أفراداً وجماعات ، فكانت المدارس الفقهية ، كمدرسة أهل الرأى ومدرسة أهل الحديث رائد الجميع الوصول إلى الحق ، فلا أثر فى الدراسة لنزعات النفس وأهوائها . . وإنما الهدف هو التعرف على الحكم الشرعى بالطريق المعتد به شرعا ، ولقد

قدموا لنا رضوان الله عليهم ذخيرة ضخمة وثروة طائلة .. وإننا اليوم - وفى هذا القرن - لمحتاجون إلى دراسة هذا التشريع دراسة مقارنة تنير لنا الطريق لحل مشكلات عصرنا ، وتقرب إلى المسلمين سبل الوصول إلى الأخذ به والعمل بما جاء فيه ، وليس المقصد من الدراسة المقارنة تصيد الآراء المرجوحة أو الضعيفة أو التى لا تستند إلى دليل للعمل بها ، وإنما المقصد هو الوصول إلى الحكم الشرعى - فى أى فرع كان - الذى يستند إلى دليل صحيح ، للعمل به . . وسأبدأ بمشيئة الله تعالى وعونه وتوفيقه هذه الحلقة من الدراسة ، وفى هذا الإطار ، بدراسة «الموارد المالية للدولة الإسلامية» متمثلة فى :

١ — الزكاة بأنواعها (زكاة السوائم ، والتجارة والنقود ، والزروع والثمار) .

٢ — العشور .

٣ — الجزية والخراج .

٤ — الفىء والغنائم .

٥ — المعادن والكنوز .

٦ — الأموال التى لا مالك لها كميراث من لا وارث له .

٧ — وأخيرا : الضرائب التى يمكن للدولة أن تقررها على المواطنين مع بيان مصارف كل نوع منها .

المورد المالى الأول : الزكاة .

تعريفها : الزكاة فى اللغة لها معان ، منها النماء ، يقال : زكا الزرع يزكو إذا نما ، ومنها الطهارة ، قال تعالى : «قد أفلح من تزكى» أى تطهر .. ، وأما فى اصطلاح الشرعيين : فهى إخراج نسبة معينة من مال معين مملوك لمالك معين ودفعه لمستحقه. ومن هذا التعريف يتبين لنا أن المشرع الحكيم قد حدد تحديدا دقيقا أربعة أمور ، أولها : مقدار المال الذى يجب على المالك أن يخرجه من ماله ، وثانيها : المال الذى تجب فيه الزكاة ، وثالثها : المالك الذى يجب عليه إخراج الزكاة ، ورابعها : الجهات التى تكون مصرفا للزكاة ، ولقد وضع لذلك الشروط التى يجب توافرها فى كل ذلك كما سيأتى إيضاحه تفصيلا .

حكمة مشروعية الزكاة : شرع الله تعالى الزكاة — بجانب كونها عبادة خالصة تؤدى بالمال — تحقيقاً لمعان سامية تحقق للمجتمع مزيداً من التحاب

والتضامن ... منها ما يعود على نفس الإنسان بالخير ؛ إذ يربيه تربية اجتماعية بعيدة عن حب الذات ، فقد جبلت النفوس على حب المال واقتنائه واكتنازه قال تعالى : « وتحبون المال حباً جماً »(١) وهذا الحب قد يطغى على كل ما عداه ويجعل مالكه بخيلا شحيحاً مقتراً ، فإذا اتصف بذلك نبذه المجتمع وكرهه القريب والبعيد ... وهذا ما لا يرضاه المشرع الحكيم ، لذلك كان فى إخراج الزكاة تطهير النفس من دنس البخل ، وتعويدها البذل والتضحية ، والتفاعل مع المجتمع الذى يعيش فيه ، وتقاسم الخير مع المحتاجين ، ويترتب على ذلك نمو المحبة بين أفراد المجتمع .. ومنها ما هو منظور فيه إلى حقيقة تكوين المال ؛ إذ أن المال وإن كان ناتجا عن عمل المالك وجهده وكده ... ولكن كل مال مكتسب هو فى الواقع نتيجة جهد مشترك من أبناء الوطن جميعاً ، فمنهم الحارس لأموال الناس ، ومنهم من هيأ لصاحب المال كل دواعى نجاحه ، فيسر له القوت ، والملبس ، وأقام له الأسواق ، وأنشأ له وسائل النقل ... إلى غير ذلك من الظروف المساعدة على تنمية الأموال والتى لولاها ما نما المال ، وهذا الجهد المشترك يكون قسيما للجهد الفردى فى تنمية الأموال ، فكان أخذ جزء من الأموال للمحتاجين - بالشروط التى وضعها المشرع - حقاً ثابتاً فى هذه الأموال ، قال تعالى : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »(١) وإذا كان حقاً فيجب على الإنسان أن يطهر أمواله من حقوق الغير ، وأن يدفعها إلى مستحقيها ، قال تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »(٢) ، ... ومنها ما هو منظور فيه إلى المجتمع ، إذ أن فى إخراج زكاة المال تحقيقا لمعنى التضامن والتكافل الاجتماعى بين الغنى والفقير ، بين أفراد المجتمع الواحد ، والوطن الواحد ؛ ليسعد الجميع ويرضى ويتفانى كل فى خدمة وطنه وتنمية موارده ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ... ومنها وعد من الله الذى لا يخلف وعده بزيادة هذا المال الذى أخرجت زكاته قال تعالى : « يمحق

(١) الفجر : ٢٠

(١) الذاريات : ١٩ (٢) التوبة : ١٠٣

الله الربا ويربى الصدقات ، أى يهلك الأموال الربوية ، وأما الأموال التى أخرجت زكاتها فإنه جل شأنه سيزيدها وينميها ، فلا خوف من أن ينقص المال بالصدقة ، وإنما اطمئنان تام بأن هذا المال سيزكو وينمو أكثر مما أخرجت ، ولذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه : « ما نقص مال من صدقة » .

فرضية الزكاة :

فرضت الزكاة على المسلمين فى السنة الثانية من الهجرة - على قول أكثر الفقهاء - والدليل على فرضيتها الكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب : فمنه قوله تعالى « وآتوا الزكاة[1] » وقوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ... »[2] وقوله جل شأنه « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم[3] » وكل مال لم تؤد زكاته يكون كنزا ؛ لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل مال أديت الزكاة عنه فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، وكل مال لم تؤد الزكاة عنه فهو كنز ، وإن كان على وجه الأرض » ، وقد توعد الله جل شأنه فى الآية الكريمة من يكنزون أموالهم ، ولا ينفقونها فى سبيل الله - أى لا يؤدون زكاتها[1] - بالعذاب الشديد ، وهذا العذاب لا يكون إلا على ترك الفرض .

كما أن قوله تعالى : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم[2] » يجعل فى أموال الأغنياء حقا للفقراء ، والحق يجب أن يخرج ليصل إلى صاحبه ...

وأما السنة : فمنها قوله صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه

(١) البقرة : ٤٣ ، وقد ذكر لفظ الزكاة فى القرآن الكريم فى ثلاثين آية اقترنت بالصلاة فى ست وعشرين منها هذا عدا موضعين ذكرت فيهما بمعنى آخر غير المعنى الاصطلاحى .

(٢) التوبة : ١٠٣ .

(٣) التوبة : ٣٤ .

(١) وذلك لأن قوله تعالى : « يا أيها آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ... » (البقرة ٢٦٧) بعد الحث على الإنفاق فى سبيل الله فى الآيات السابقة يدلنا على أن أداء الزكاة إنفاق فى سبيل الله .

(٢) الذاريات : ١٩ .

سبيلا ، متفق عليه . فقد بين الحديث أنها ركن من أركان الإسلام الخمسة .
وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال : « إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » رواه الجماعة ، فقد نص الحديث على فرضية الزكاة .

وأما الإجماع : فقد أجمعت الأمة على فرضية الزكاة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم ، وأصبحت فرضيتها مما علم من الدين بالضرورة .

وأما المعقول : فمن وجوه : منها أن الزكاة من باب إعانة الضعيف وإغاثة الملهوف وإقدار العاجز وتقويته على أداء ما افترض الله عز وجل عليه ، والوسيلة إلى أداء المفروض مفروض .

وأيضا فإن الله قد أنعم على الأغنياء بالمال الفاضل عن حوائجهم الأصلية . وشكر النعمة فرض عقلا وشرعا ، وأداء الزكاة إلى الفقير هو من باب شكر النعمة فكان فرضا ؟

د . حسن الشاذلى

قال جل ذكره :

« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » صدق الله العظيم

لمحات من نظام القضاء في الإسلام

للأستاذ عمر الفاروق عبد الحليم

— ٤ —

من قضاء الرسول

كيفية القضاء :

تحدثنا فى المقالة السابقة، ضمن الحديث عن « أركان القضـاء » عن القاضى وعن المقضى له والمقضى عليه ، ونصل بالحديث الآن إلى الركن الثالث منها : عن كيفية القضاء ، ولعله فيما نرى وفى حدود الفترة التى نعرض لها ، من قضاء الرسول عليه الصلاة والسـلام ـ لعل هذا الركن أن يكون أهم أركان نظـام القضاء ، وهو المصدر الأوفى للأحـكام التفصيلية التى استقرت فى الفقه الإسلامى من بعد .

والحديث عن كيفية القضاء يعنى بيان الإجراءات التى يتخذها القاضى منذ أن ترفع إليه الخصومة ، أو يبلغ إليه أمرها وحتى يصدر حكمه فيها ، فيتضمن سماع أقوال الخصوم ، ودعوة الشهود وغير ذلك من إجراءات الإثبات وإصـدار الحـكم ، وطرق تنفيذه . ومن الطبيعى أن يختلف أمر هـــذه الإجراءات فى الحـــدود ، أو ما نصطلح الآن على تسميته بالدعوى الجزائية ـ عنه فى القضاء فى الأموال، أو الدعوى المدنية والتجارية فى نظامنا القائم. وهذا الاختلاف يوجب أن نتعرض لـكل من الدعويين فى مبحث مستقل .

١ — كيفية القضاء فى الحـدود :

ينصرف تعبير الحـدود فى الشريعة ، اصطلاحاً ، إلى طائفة بذاتها من العقوبات مقررة بنص فى الكتاب أو السنة جزاء على أفعال بذاتها تعتبر جـرائم ، ليست بالضرورة هى أقسى العقوبات أو أفدح الجرائم ، ولـكنها محـددة تحديداً قاطعا فى الكتاب والسنة . وهى بهـذه المثابة تقصر عن اصطلاح الدعوى الجـزائية فى النظم القضائية القائمـة ، والتى تتسع لتشمل بجانب الحدود ، كافة الجـرائم ، ممـا يعرف فى الشريعة الإسلاميـــة ، بالقصاص والقود، مما يعرف اصطلاحاً

بالقضاء فى الدماء ، وجرائم التعزير ، وتبيان هذه الفروق بين الجرائم يدخل فى موضوع السياسة الشرعية فى التجريم والعقاب . فلنا مندوحة فى عدم الوقوف عنده .

والذى يتتبع الأحوال التى أقام فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الحدود أو حكم فى الدماء ، أو أمر بالقصاص ، يجد من هديه فى ذلك الشىء الكثير مما يعد دستوراً فى السياسة الشرعية والقضاء ، ويتراءى له من المواقف ما قد يخدع صاحب النظرة المستعجلة بأن ثمة تناقضا بين الرحمة ، إلى حد الدعوة إلى التسامح والعفو والتغاضى عما يوجب الحد وبين الشدة فى الحق ، والإصرار على اقتضائه اقتضاء عنيفا .

ولكن النظرة المستبصرة ما تلبث أن ترد كلا من الجانبين إلى غاية سامية ، تغياها الرسول الكريم . ورمى إلى تحقيقها مستهدفا إصلاح المجتمع وتربية الأفراد وتدعيم القيم وإعلاء كلمة الله .. والعفو فى موضعه . مثل الشدة فى موضعها . قد يكون السبيل إلى الإصلاح فحين يكون الفعل المستوجب الحد سراً بين الجانى والمجنى عليه . أو غير معروف إلا فى نطاق محدود حولهما ؛ فإن العفو مندوب إليه . والستر مستحب . ومن عفا وأصلح فأجره على الله . يقول النبى عليه الصلاة والسلام فيما يروى ابن ماجه فى سننه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة » . وأما حين يظهر الفعل المستوجب الحد ويشيع أمره . ويبلغ إلى الرسول . فقد تعلق به حق للمجتمع . حقه فى أن تصان مبادئه ، وترعى حرمات أفراده . وتقام فيه حدود الله . ويخرج الأمر بذلك عن نطاق عفو المجنى عليه . بخروجه عن نطاق الستر والخفاء . روى النسائى فى سننه عن صفوان بن أمية ، أن رجلا سرق بردا له . فرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بقطعه « يعنى قطع يده » فقال صفوان . يارسول الله : قد تجاوزت عنه له ، فقال عليه الصلاة والسلام : لولا كان هذا قبل أن تأتينى به يا أبا وهب ! فقطعه . بل لقد تقف الجماعة ، أو فئة من الجماعة ، موقفا منحازا فى شأن حد من الحدود ، فهنالك لا بد من قارعة تقرع

الأسماع . وتكشف للناس ملامح الحياة الجديدة . ومقدار ما يجب أن يكون بعدها عن عصبية ... من ذلك ما رواه ابن ماجه فى سننه من حديث عائشة رضى الله عنها : أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . قالوا: ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حب الرسول . فكلمه أسامة ، فغضب الرسول وقال لأسامة : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ . ثم قام فخطب الناس فقال: « يا أيها الناس . إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه . وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .. يقول محمد بن رمح تعقيبا على هذا الحديث : سمعت الليث ابن سعد يقول فى هذا المقام . قد أعاذها الله عز وجل أن تسرق ، يعنى فاطمة الزهراء رضى الله عنها . وكل مسلم ينبغى عليه أن يقول هذا . وإنما ضرب النبى صلى الله عليه وسلم المثل بفاطمة ، لأنها كانت أعز أهله ، ولأن المرأة المخزومية كانت سمية لها.

نعم ... لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام ربانيا يقيم الحد على من استوجبه فلا تأخذه فى آثم شفقة . ولكنه ، كان مع ذلك ، إنسانا كبير القلب مطبوعاً على الرحمة تظهر عاطفته بعد أن يقيم الحد وفاء لحق الله . فيعود يتمنى لو أن الأمر لم يرفع إليه . وأنه لم يأمر بالحد .. روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا من المسلمين أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد . واعترف بزناه وهو محصن ، وشهد على نفسه أربع شهادات . فقال عليه الصلاة والسلام : اذهبوا به فارجموه فرجموه .

ثم قام صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس . قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله : فمن أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله ، فإن من يبن لنا صفحته نقم عليه الحد »

ذلك كان هديه صلى الله عليه وسلم فى القضاء فى الحدود ، فأما فيما يتصل بالقصاص والقضاء فى الدماء فإن الأمر يختلف ، فهنا حق للعباد ، ومن ثم فإن استحباب العفو والندب إليه شامل ، يستوى فى ذلك أن يستسر الأمر أو يعلن وأن يكون العفو قبل البلاغ أو بعده . يقول الإمام الشوكانى فى (نيل الأوطار) عن أنس رضى الله عنه : ما رفع إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر فيه القصاص إلا أمر بالعفو، وعن أبي الدرداء أنه صلى الله عليه وسلم قال: ما من رجل يصاب بشيء في جسده، فيتصدق به، إلا رفعه الله به درجة. وحط به عنه خطيئة. وفي صحيح مسلم عن علقمة ابن وائل عن أبيه قال: إني لقاعد مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل يقود آخر بنسعة «أي بحبل مضفور» فقال: يارسول الله هذا قتل أخي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل: أقتلته؟ فقال الآخر: لو لم يعترف أقمت عليه البينة. قال الرجل: نعم قتلته. فسأله النبي صلى الله عليه وسلم: كيف قتله؟ قال: كنت أنا وهو نحتطب من شجرة، فسبني فأغضبني، فضربته بالفأس على رأسه فقتلته. فسأله النبي: هل لك من شيء تؤديه عن نفسك؟ «أي تدفع منه ديته» قال الرجل: مالي مال إلا كسائي، قال صلى الله عليه وسلم: فترى قومك يشترونك؟ قال الرجل: أنا أهون عليهم من ذلك. فرمى إليه بنسعته، وقال: دونك صاحبك. فانطلق به الرجل. فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن قتله فهو مثله. فرجع الرجل فقال: يارسول الله بلغني أنك قلت إن قتله فهو مثله، وإنما أخذته بأمرك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما تريد أن يبوء بإثمك وإثم صاحبك «يعني أخيك» قال: يا نبي الله، بلى. قال: فإن ذاك بذاك. قال: فرمى بنسعته وخلى سبيله.

هذا الهدى النبوي العظيم تفسير لما في كتاب الله الكريم؛ فالله سبحانه وتعالى يشدد النكير على من يتعدى حدوده. يقول، عز من قائل، في سورة البقرة: «تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون». ولكنه سبحانه وتعالى. جلت حكمته يقول في شأن القصاص: «فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة»، والعفو أن يقبل الدية في العمد. ويقول سبحانه عقب ذكر القصاص في سورة المائدة: «فمن تصدق به فهو كفارة له».

وبعد: فإن الحديث عن هدى النبي صلى الله عليه وسلم في قضائه في الحدود وفي الدماء يطول وإنما نقصد إلى ملامح من هذا الهدى العظيم تكشف عن

الاتجاهات الأساسية فيه . ومن أبرز الأمثلة فى هذا الصدد نظام انفردت به الشريعة الإسلامية من دون كل الشرائع سماوية أو وضعية . يعرف بنظام « القسامة » وهو نظام فريد من بين نظم الإثبات أو الاستدلال . هدفه ألا يضيع دم قتيل لمجرد عدم الاستدلال على شخص القاتل . وإنما تقوم فيه الدية وجوبا مقام القصاص . فيستحق ولى الدم الدية من مال من قتل بينهم وليه . وإلا فمن بيت مال المسلمين . من ذلك ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن رافع بن خديج أن عبد الله بن سهل بن زيد ومحيصة بن مسعود ابن زيد خرجا إلى خيبر . وهى يومئذ صلح وأهلها يهود . وتفرقا حينا ثم إذا محيصة يجد عبدالله بن سهل قتيلا . فدفنه ثم أقبل على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه حويصة بن عبد الله فى نفر من قومهم فذكروا له مقتل عبد الله . فقال : أتحلفون بخمسين يمينا منكم وتستحقون قاتلكم أو صاحبكم . فقالوا : يارسول الله كيف نحلف ولم نشهد ولم نر ؟ فقال : أتبرئكم يهود بخمسين يمينا . فقالوا : يارسول الله كيف نأخذ أيمان قوم كفار ؟ فعقله رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده . أى دفع ديته من بيت مال المسلمين .

وفى القود ، أى الجراح كان صلى الله عليه وسلم يوصى المستقيد أن ينتظر حتى تبرأ جراحه ، ومثل ذلك ما نتبعه فى قضايانا الآن ألا تقام الدعوى فى جرائم الجرح العمد إلا أن يستقر حال المجنى عليه ويتحدد مدى الإصابة لما له من أثر فى تقدير العقوبة . روى الإمام ابن القيم فى زاد المعاد من حديث ابن جريج عن عمرو بن شعيب أن رجلا طعن آخر بقرن فى رجله . فقال يارسول الله أقدنى ، قال حتى تبرأ جراحك ، فأبى الرجل إلا أن يستقيده فأقاده ، فصح المستقاد منه وعرج المستقيد ، فشكا إلى النبى فقال : ألم آمرك ألا تستقيد حتى تبرأ جراحك فعصيتنى فأبعدك الله وبطأ عرجك .

ومن هديه صلى الله عليه وسلم أن من كان متعديا لجرح فلا دية له . ينقل صاحب زاد المعاد عن الصحيحين أن رجلا عض يد رجل ، فنزع يده من فيه فوقعت ثناياه ، فاختصما إلى النبى فقال : يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل . لا دية لك » .

« الدراسة بقية »

عمر الفاروق عبد الحليم القاضى

العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

— ١ —

يحتل المسرح فى عالم اليوم مكانة بارزة ومتقدمة فى حياة الشعوب ويمثل مظهرا كبيرا من مظاهر تقدمها الحضارى ، والفكرى ، وقد أصبحت فنونه المختلفة فى مكان الصدارة من باقى الفنون ، فهو يعتمد على فنون الرسم والهندسة والموسيقى والحركة ، إلى جانب فنون الكلمة ووسائل التعبير المختلفة ، ومن هنا كانت أهمية المسرح كوسيلة « تجميعية » لعدة فنون تمثل نشاطات اجتماعية مختلفة تؤثر تأثيرا بالغا فى أهداف المجتمع واتجاهاته ، وتحمل بصمات فكره ومعارفه .

ولقد عرفت الشعوب المختلفة ألوانا مسرحية كثيرة على مر العصور ، عرفته مصر فى عهد الفراعنة ، وعرفته اليونان فى مجدها قبل الميلاد ، وعرفه الرومان بعدها ، ثم كان له شأنه الخطير فى العصور الوسطى ، وعصر النهضة والعصر الحديث ولم يعرفه العرب ، كما تزعم الأقوال المختلفة ، مما سنستعرضه فى هذا البحث ، إلا مع مطالع القرن التاسع عشر ، ومع حملة نابليون الفرنسية على وجه التخصيص عام ١٧٩٨م .

ويعتمد الزاعمون فى رأيهم على حقائق تبدو لهم بديهية ، ولكنها مع التأمل والتفكير والبحث سوف تبدو واهية لا تقف حجة على زعمهم ، فلقد عرف العرب منذ جاهليتهم ألوانا من فنون المسرح تبدو لنا فى عصرنا الحديث ضعيفة غير أصيلة ، ولكنها كانت – وفق منطقهم وتفكيرهم – لوناً ما من ألوان المسرح إذا أخذناه بمعانيه المختلفة عبر العصور ، ومن المعروف المؤكد أن المسرح لم يستقر منذ عرفته البشرية على شكل واحد لا يختلف . بل مر بأشكال عديدة من حيث بناء خشبة المسرح ، ومن حيث شكل المسرح من الداخل والخارج ، ومن حيث لغته فكرا وحوارا وعملا دراميا متكاملا عرفه المصريون القدماء لونا من التمثيل الدينى الذى يمثل

الخلود والأسرار ، وعرفه اليونان والقدماء لونا من التمثيل الاجتماعي الذى يمثل حياتهم وأساطيرهم ومعتقداتهم ، ثم تطور المسرح من شكله الدينى فى العصور الوسطى إلى أشكاله الحديثة التى نراه عليها اليوم، وهو فى كل عصر إنما يمثل اتجاهات مجتمعه الفكرية والسياسية والاجتماعية ويعد انعكاسا لحضارتها فى شتى المجالات.

ويرجع الباحثون ظهور المسرح - فى البلاد التى ظهر فيها - إلى عدة أسباب منها الحرية الاجتماعية التى يكفلها المجتمع لأفراده بحيث يكون تعبيرهم حرا طليقا من كل قيد . وحيث إن فنون المسرح تعتمد على تلك الحرية ، فإنه من اليسير اكتشافه ؛ ومن ثم انطلاقه فى مثل تلك المجتمعات ، ومنها استقرار المواطنين فى بيئة يتوفر فيها سبب الحياة ، من تضاريس ومناخ ووسائل عيش ، ومن الاستقرار يأتى التأمل والتفكير ، ويشمل التأمل فيما يشمل وسائل الترفيه ، ومنها فنون المسرح، ومنها نظام الحياة فى الجماعة وهل يعتمد الأفراد فى تفكيرهم على القبلية التى تقوم على الفردية والتعصب أم على الجماعية التى تقوم على خدمة الجماعة ، وأن الفرد يذوب فيها بحيث تكون مصلحته من مصلحتها ، وتفكيره من تفكيرها ؟ أم القبلية وما تستتبعه من فردية وتعصب ؛ فلا قيام فيها لفنون المسرح ، لأن المسرح يقوم على الجماعية والتكاملية فى العمل ، وأن الفرد ينبغى أن يذوب فى الجماعة فيصبح جزءا من كل أو رقما فى مجموعة من الأرقام . ومنها وسيلة التفكير ، وهل هى تحليلية أم تركيبية ، فإذا كانت تحليلية فهى قادرة على التفكير المسرحى بما لها من قدرة على الوصول من الكل إلى الجزء ، أما إذا كانت تركيبية فهى عقلية محضة تعتمد على العلم لا على الفن ... هكذا يقول الباحثون ، وهناك أسباب أخرى سوف ترد فى سياق البحث .

وإذا أخذنا هذه الأسباب، وطبقناها على العرب ، لنذكر رأى الزاعمين بأنهم لم يعرفوا فنون المسرح ، ولم يكن لهم فيه تراث يذكر ، سواء فى الجاهلية أو فى صدر الإسلام ، أو فى العصور الإسلامية الزاهرة ، ابتداء من العصر الأموى إلى نهاية العصر العباسى ، تليه العصور الأخرى التى بدأت فيها

فنون المسرح تبدو جلية واضحة وخاصة منذ العصر الفاطمى إلى أواخر القرن الثامن عشر، إذا أخذنا هذه الأسباب، ثم رأى الزاعمين، لوجدنا أن هذه الفروق نظرية وليست عملية، وأنها ينقصها العمق ووسائل البحث المتأنى وأنها تتأثر بآراء غربية وغريبة تتعصب لحضارتها وتنسى أنها قامت على أكتاف حضارة عربية أصيلة، فلنعرض لجانب من هذه الآراء ونتأمل مدى عمقها وأصالتها:

يقول العقاد [١]: التمثيل فن من الفنون التى ترتبط بالحياة الاجتماعية ارتباطا وثيقا، وطالما أن بيئة العرب لم تتعدد فيها أدوار الحياة الاجتماعية، لم يعقل أن ينشأ فيها فن التمثيل أو يظهر فيها أدب المسرح، فإنما يقوم التمثيل من الناحية الاجتماعية على التجاوب بين الأفراد والأسر كلما تعددت العلاقات وتنوعت المطامع والنزعات، ولم يكن فى مجتمع البداوة - أى المجتمع العربى - مجال كبير لهذا التجاوب الكثير بين أسرة وأسرة وبين إنسان وإنسان.

يؤيد هذا الرأى كثير من الباحثين ومنهم زكى نجيب محمود [١] فيقول: ولم يعرف العرب الأدب المسرحى - بل والقصصى - لعدم التفاتهم إلى تميز الشخصيات الفردية بعضها عن بعض، وعدم اعترافهم بوجود الفرد مستقلا بذاته دون أن يكون جزءا من كل أعم منه . . . لم يعرف الشرق أشخاصا فلم يعرف المسرحية ولا القصة.

ويقول توفيق الحكيم فى مقدمة مسرحيته: الملك أوديب: «لم يعرف العرب الأدب المسرحى ولا نقلوه لأنه لم يكن لديهم مسرح، ولم يكن لدى العرب مسرح لأنهم كانوا بدوا رحلا لا يستقرون فى مكان، وطنهم تنقل على ظهور القوافل، يجرى هنا وهناك خلف قطرة غمام، وطن يهتز فوق الإبل، كل شىء فى هذا الوطن يباعد بينه وبين المسرح، لأن المسرح يتطلب أول ما يتطلب: الاستقرار».

ويقول أحمد حسن الزيات [٢] إذا علمت أن العرب فى جاهليتهم كانوا بدوا لا يستقرون فى مكان، وأن وحدة

---

(١) أثر العرب فى الحضارة الاوربية - عباس محمود العقاد.

(١) قشور ولباب - زكى نجيب محمود.

(٢) المجلة العدد ١١١ مارس ١٩٦٦ ص ١٥

مجتمعهم كانت القبيلة لا المدينة وأن بساطة دينهم وطبيعة أرضهم وضيق خيالهم وقلة أسفارهم حرمتهم الأساطير ، وهى من أغزر ينابيع القصص والتمثيل كما كان عند الإغريق - أدركت فى يسر وسهولة الأسباب الطبيعية والاجتماعية التى حالت بين شعراء العرب وبين الملاحم والمسرحيات . وعلة قصورهم فى الملحمة والمسرحية أن مزاولتهما تقتضى الروية والفكر ، والعرب أهل بديهة وارتجال ، وتتطلب الإلمام بطبائع الناس وأحوالهم وهم قد شغلوا بأنفسهم عن النظر فيمن عداهم ، وتفتقر إلى التحليل والتطويل وهم أشد الناس اختصارا للقول وأقلهم تعمقا فى البحث . .

وفى رأى محمود تيمور [1] وهو من رواد المسرحية العربية الحديثة : أن العرب لم يعرفوا المسرح زمن الجاهلية ؛ إذ كانوا يحيون قبائل متفرقة حياة بدائية ، وازدهار الفن المسرحى يتوقف على نشوء مستوى من الحضارة فى مجتمعات البشر ، . .

وحين ترجم العرب فى زمن حضارتهم ونهوضهم من الثقافات الأجنبية ما تذوقوه واستساغوه ، لم يترجموا الملاحم أو القصص التى كان يزخر بها الأدب اليونانى

وهذا يرجع إلى أسباب شتى منها : أن الشعر المسرحى فى روحانيته وفى تعويله على الوقع الموسيقى لا تتأدى خفقاته إذا ترجم إلى لغة أخرى إلا فيما ندر ، وهو يحتاج فى ترجمته إلى براعة فذة تستطيع أن تنقل الشعر فى لغته إلى الشعر فى اللغة المراد نقله إليها بما فيها من تداعى المعانى وترجمة الملاحم اليونانية كانت تقتضى أن يكون بين العرب أديب متذوق فنان يحسن لغة هذه الملاحم إحسانه للبيان العربى . .

فلنتابع هذه الآراء لبعض المفكرين العرب ، ونذكر إلى جانبها آراء بعض المستشرقين ممادرسوا الآداب والمجتمعات العربية ، فإلى لقاء ؟

محمد كمال الدين

(١) دراسات فى القصة والمسرح، القصص فى أدب العرب : محمود تيمور ، انظر أيضا المجلة العدد ١١١ ص ٢٠ ، ٢١ .

العلم القطعي يتبع سبيل القرآن

للأستاذ محمد السباعي عامر

الذى نؤمن به وندين الله تعالى عليه وقامت عليه الأدلة الصحيحة الكثيرة المشرقة، أن القرآن كتاب إرشاد وإصلاح وهداية للخلق وتشريع محكم منفرد بتحقيق السعادة الكاملة لكل من تمسك به واهتدى بنوره، وليس مرجعا وأساسا محتويا على نظريات العلوم وقوانينها وأبحاثها، وإن كان فيه من الحقائق العلمية المقطوع بصحتها عند أربابها من المسلمين وغيرهم ما لا يحصى. وما يأتى به الزمان من ذلك أكثر وأكثر.

ولم يكن اشتماله على تلك الحقائق إلا خدمة للهدف الأسمى، وهو الهداية والإرشاد. قال الله تعالى: « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا »، ولن تجد فى شىء من الحقائق العلمية قرآنا يفرض معناه على العقول فرضا بحيث لا يحتمل شيئا آخر.

وإنما هى عبارات مرنة فيها مجال فسيح لعدة معان كلها صحيحة يمكن أن يتسع لها اللفظ القرآنى العربى دون تكلف أو تعسف، ومن السهل على علماء كل عصر أن يفسروا هذا النص القرآنى على ضوء ماعندهم من المعارف الثابتة فى أيامهم، وهذا وجه من وجوه الإعجاز فى الكتاب العزيز، وهو أمر لا تناله عقول البشر وإلا لعارضوه؛ ومن أجل هذا لا يمكن أبدا أن يصطدم القرآن بما أثبته العلم إثباتا قاطعاً جازما حتى أصبح قانونا علميا صحيحا لا نظرية خاضعة للتغيير والتبديل كما أنه لا يمكن أن يصطدم بما جزم به العقل السليم قضى به؛ فليهدأ الملحدون وأشياعهم فإن هذا الكتاب ليس من صنع الخلق.. « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »، ولكى تدرك أن القرآن لا يتنافى مع العقل السليم والعلم الصحيح بل يفتح لهما أبواب الحق ويهديهما إلى الصواب اللذين أعلنهما فى دنيا الناس قبل كمال البحث العلمى والعقلى، فهما يترسمان خطا القرآن، ويسيران فى نفس الطريق الذى

يسير فيه ، فقد أنزل ليكون قدوة وإماما فى كل ما يأتى به منذ أربعة عشر قرنا قبل أن تظهر العلوم الحديثة بقرون وقرون.

ولعل القارىء الكريم فى حاجة إلى الاستدلال على صحة ماذكرنا فنقول، قال الله تعالى « وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » والمراد بالأدنى الذى طلبه بنو إسرائيل من موسى عليه السلام: البقل والقثاء والفول والعدس والبصل ، والمراد بالذى هو خير : المن وهو مادة سكرية أشبه بعسل النحل كانت تنزل على ورق الأشجار فيفصلونها ويأكلون منها فى زمن التيه . .

والسلوى هو طائر أشبه مايكون بالسمان « السمانى » كانوا يأكلون منه كذلك ، والحقيقة العلمية أن ما طلبوه أقل فائدة للجسم ، والطعام الذى لم يصبروا عليه أنفع لهم وأفضل ، فإن السكر الموجود فى المن خير من السكر الموجود فى الحبوب كالقمح والذرة من حيث قيمته الغذائية وهو أسهل امتصاصاً منه؛ فينتفع به الجسم سريعا ، والزلال الموجود فى السلوى واللحوم أكثر فائدة من الزلال الموجود فى البقول كالفول والعدس على ماهو ثابت فى علم الأغذية، والطعوم واللذة واستمتاع الذوق والشم بالمن والسلوى أتم وأشهى منها فى العدس والفول والبصل .

وقال الله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » .. هنا الإعجاز العلمى لا سيما فى قوله « حولين كاملين » وفى قوله « لمن أراد أن يتم الرضاعة » فإن النقص فى الإرضاع عن الحولين الكاملين لا يوفر كمال المصلحة للطفل فى الحالات العادية الطبيعية فلا ينافى أن النقص فى الإرضاع عن الحولين قد يكون مصلحة فى الظروف العارضة غير الطبيعية ..وإرضاع الطفل أكثر من حولين كاملين يسبب له الضعف العقلى والجسمى فيصاب بفقر الدم وضعف الأعصاب ، ومتى تمت الرضاعة بكمال الحولين فالواجب الانتقال إلى غذاء أقوى وأوفى بحاجات المولود ، فكلمة حولين كاملين تحديد علمى دقيق على أن الله تعالى يقول بعد ذلك « فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما »

وذلك فى الحالات غير المعتادة كما بينا قبل ذلك ... وتشير الجملة السابقة « يرضعن أولادهن » إلى أن لبن الأم بالذات حق من حقوق الطفل لا يصح أن يحرم منه متى أمكن ذلك . ولا يعدل عنه إلى غيره إلا للضرورة القصوى ؛ ولذلك أثار القرآن عاطفة الأم ورحمتها لترضع مولودها بقوله : « يرضعن أولادهن » وبقوله تعالى « وائتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى » وفيه تهييج وإلهاب للأمهات لترضع أولادهن حتى فى حالة الاختلاف مع أزواجهن .

وصفوة القول : أن النقص عن الحولين فى الإرضاع والزيادة عليهما لا يحقق شىء منهما الفائدة الكبرى للطفل وللضرورة حكمها ، وأنفع شىء له لبن أمه بالذات ويليه فى المنزلة لبن غير أمه من النساء ويليه لبن الحيوان المخلوط بالماء على ما هو مفصل فى مظانه ومراجعه ...

وقال الله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهم أربعة أشهر وعشرا » إن تحديد عدة الوفاة بأربعة أشهر وعشرة أيام مبنى على أصل ثابت فى علم الأجنة ؛ فقد اتضح أن هذه المدة تظهر بها جميع أعراض الحمل من حركة الجنين فى الرحم وسماع دقات قلبه بالمسماع . وقال تعالى فى وصف عذاب أهل النار يوم القيامة « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » لم يقل كلما نضجت لحومهم ؛ لأن أعصاب الحس متصلة بالجلد نفسه لا باللحم ؛ ولهذا لو فصلت جزءاً من الجلد ووضعت مسمارا محميا عليه فى النار داخل اللحم لم يشعر صاحبه بالألم إذ الألم إنما يحصل لو اتصل المسمار بالجلد نفسه فتنقل أعصاب الحس الألم إلى المخ .

ولهذا يدهشك التعليل القرآنى المعجز القائل « ليذوقوا العذاب » فهذه حقيقة علمية لم تكتشف إلا حديثا ، فمن أين للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم العلم بها لولا أنه وحى الله تعالى وتنزيله الذى يهدى به من يشاء من عباده ؟ وهل يعقل أن يضحى النبى عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام بكرامته فيحدث الناس بحديث لا وجود له فى أذهانهم وهو بعيد عن أذهان العلماء فى عصره وفى القرون الكثيرة من بعده ؟ اللهم لا وقال

(البقية ص ١٥٦)

نظرات فى شعر أبى العتاهية

للأستاذ معوض عوض ابراهيم

قل أن نجد أبا العتاهية فى قصيدة من قصائده الطوال ، أو فى مقطوعة من مقطوعاته القصار ، إلا وقد ضمنها أكثر من معنى قرآنى ، أو أدب نبوى ، أو أثر إسلامى ، أو حكمة سائرة .

وتكاد تكون هذه الظاهرة البينة سمة انفرد بها شعر أبى العتاهية. وعقدت له الإمامة فى هذا الجانب عبر تاريخ الشعر قديما وحديثا ..

وهذا الطابع الفريد من الشعر الواعظ الذى يضيء أقباس الهدى والحكمة وصوادق التجربة على طريق الناس ، تشتد إليه حاجة المجتمع الإسلامى اليوم أكثر من أى عهد مضى .. بعد أن اشتبهت على كثيرين فيه تعاليم الخير والشر ، وتداخلت حدود الفضائل والرذائل ، وكادت تصرع الوازع الدينى فى أنفسهم أعاصير تحمل اسم التجديد إفكاوزورا ، بعد أن زاحمت مفاهيمنا الخيرة أفكار تسللت إلينا من شرق وغرب ووجدت فى أقلام بعض رجال الأدب الحديث وألسنتهم ، جسورها إلينا ، فسمعنا كلاما يسمونه « أدب اللامعقول » ، وشيئا فى الشعر الموزون المقفى يسف ويسرف فى التدلى والانحراف عن الأدب النفسى الذى ينبغى أن يرعاه من يعرضون أعمالهم الفكرية على الآخرين ، وشيئا آخر يسمونه « الشعر الجديد » وهو يقصر فى بعض أحيانه - عن إبراز غرض رفيع ولا يكتسى ديباجة تبهر وتروع ، ولا ينبىء عن قدرة فنية توقظ الحس ، وتستبى النفس ، ولو أنصف قائلوه والمجندون له لسموه نثرا ، فهو مع شىء من التجوز والمياسرة - بالنثر والكلام المرسل أشبه.

والكلام على إطلاقه نثرا أو شعرا ، والأراجيز والأزجال من الحذاق المقتدرين ترتبط بالشعر بسبب ، وتزخر بصور فى الإجادة تثير الإعزاز والرضى ، والقرآن الكريم والسنة المطهرة ، وحكمة الحكماء : شواهد شرف النثر ، وجلال قدر الذين ينهجون فى نثرهم نهج كتاب الله وكلام مصطفاه ، وفحول النثر فى

جاهلية وإسلام ؛ وكم كان النبي صلوات الله عليه يستجيد خطبة قس بن ساعدة منذ سمعها قبل الرسالة . وكان يستعيدها كثيرا كلما خلا إلى أصحابه وسمر معهم .

والذين تقعدهم هممهم، ولا يقوون على التحليق فى سماوات الإبداع بأجنحة فى علم غزير، وإدراك بصير، ورقة شعور، ودقة تصوير ، وحرص على استهداف معالى الأمور ، لا يرجح بكلامهم ميزان فضل ، ولا يبالى أحد ممن يعتد برأيهم بهذا الذى يصم الآذان ويصدع الرءوس ويغثى النفوس ، مما يسمونه شعرا ، وما هو من الشعر ولا قلامة ظفر . . .

وما نخفى إعجابنا ببعض دقة الشعر الحديث، وإن كنا ننكر أن يسمى شعرا، فاللغة العربية تحدد معانى الكلمات ، وتسمية الأشياء بأسمائها، واحترام قضايا العلم والمعرفة المقررة هو الحق الذى يدعونا إليه الله تعالى ، وهو يقول على لسان شعيب عليه الصلاة والسلام «وزنوا بالقسطاس المستقيم» الشعراء ١٨٢ .

وحين نأذن على غير أساس لكل جديد بالوجود ، ونمنحه ما أريد له من أسماء وإن خالف المقاييس المعروفة الموروثة منذ عرف الناس النثر والشعر ، فإننا سندع ثقوبا فى صرح الحق يلج منها الداعون إلى اللغة العامية باسم الجماهير ، وعجز الفصحى - بزعمهم - عن الوفاء بحاجات الفكر الحديث وجوانبه المتعددة ولقد أفحمهم وألزمهم الحجة المرحوم محمد حافظ إبراهيم شاعر النيل ، وهو يقول على لسان اللغة العربية .

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وماضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

ولم يعد سرا أن دعاة العامية بيننا أحد رجلين، رجل رضى بضحضاح من المعرفة ولا يريد أن يعنى نفسه أو يكلفها مشاق الدراسة والتحصيل ، ورجل يؤرقه الحقد على الإسلام فهو يختال أن الاستجابة لدعوته تهز الفصحى ، فيضائل ذلك من سلطان القرآن على العقول ، وأسره للقلوب وخفته على الألسنة . وينفك ارتباط المسلمين بكتابهم ، فيعروه ماعرا الكتب المقدسة من قبله من أعمال الرجال

ـ وهيهات ـ فالله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه فقال :

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» الحجر ٩ .

ورحم الله الشيخ محمد البشير الإبراهيمى فهو يقول من ترجمة له فى المجلد السادس فى مجلة «حضارة الإسلام» الدمشقية الغراء .

« إن العربية هى لسان العروبة الناطق بأمجادها ، الناشر لمفاخرها وحكمها ، فكل مدع للعروبة فشاهده لسانه ، وكل معتز بالعروبة فهو ذليل ، إلا أن تمده هذه الصفة اللينة بالنصر والتأييد ، فلينظر أدعياء العروبة الذين لا يديرون ألسنتهم على بيانها ، ولا يديرون أفكارهم على حكمتها فى أية منزلة يضعون أنفسهم » ؟ !

أبو العتاهية كنية أبى إسحق إسماعيل ابن القاسم بن سويد الشاعر العباسى ، منذ قال له الخليفة المهدى : « أنت متحذلق متعته » ، حين رآه الخليفة يحب الشهرة والمجون ، مع ما عرف به من لطف هيئة وحسن هندام ولباقة وحصافة فى بكرة العمر ، وفجر الحياة .

ولا أترجم لأبى العتاهية ههنا لأقول ماله وماعليه ، ولكنى انطلاقا إلى الجانب الذى أستهدفه ، أذكر أنه كان مقلا فى الشعر العاطفى فيما قرأت له ، وكان هذا القليل الذى أتيح لى من غزله فى « عتبة » مولاة المهدى أرق عبارة وأعف إشارة ، وأنبل من هذا الذى يتصايح به أدعياء الفكر فى أقطار عربية ، وتصرخ به إذاعات كثيرة فى أغنيات تتلقفها الناشئة العزيزة بارتياح ونشوة ، وهى تخاطب فى أعماقهم جوانب خاصة ، وتثير فيهم من معانى الجنس ماهم ـ فى أدوار التكوين والإعداد ـ فى حاجة إلى غيره من عناصر الحق والخير والقوة والاحتشام والكمال التى تغلفها كلمة « الأدب » دون سواها ، وتذهب بنصيب كبير من تنويه الرسول صلوات الله عليه كما ورد فى الصحاح : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة » .

وحتى بعض ماقاله فى «عتبة» كان يبرز الظاهرة التى أشرت إليها ، فتأمل معنى قوله :

عينى على عتبة منهلة
بدمعها المنسكب السائل
يا من رأى قبلى قتيلا بكى
من شدة الوجد على القاتل ؟
بسطت كفى نحوكم سائلا
ماذا تردون على السائل ؟

إن لم تنيلوه ، فقولوا له
قولا جميلا بدل النائل [١]
أو كنتم العام على عسرة
منه ، فمنوه إلى القابل

ألا ترى الشاعر قد نظر فى البيت الرابع إلى شىء من قول الله تعالى :

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » البقرة / ٢٦٣ .

ومن قول رسول الله صلوات الله عليه « الكلمة الطيبة صدقة » ، « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم . . . » .

كما نظر فى البيت الخامس إلى قول الله « فإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » البقرة / ٢٨٠ .

ولقد أصدرت دار صادر فى بيروت ديوان شعر لأبى العتاهية ، وقدم له وعرف بالشاعر فى إيجاز وشمول الأستاذ كرم البستانى ، وأحسب أن الديوان لم يستوعب كل شعر الشاعر ، ومهما يكن من شىء فسأحاول - فى حدود الديوان - إبراز طابع أبى العتاهية ، وسيكون سبيلى فى ذلك الإيجاز ، آملا أن يعود طلاب المزيد إلى شعر أبى العتاهية فى أمهات كتب الأدب ، فإنهم سيجدون - لا ريب - شبعا وريا يوفيان على ما أردت أكثر مما أوردت.

فأبو العتاهية يعرف الله ، وإن كان فى مقتبل عمره ، قد أسام صرح اللهو كما حدث أبو نواس عن نفسه، ومعرفة الله مصدر كل نعمة ، فهو يناجيه ، ويرضى بقضائه ، ويرد إليه - سبحانه - الأمر كله ، فيقول :

إلى الله كل الأمر فى الخلق كله
وليس إلى المخلوق شىء من الأمر
إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما
تكرهت منه طال عتبى على الدهر
تعودت مس الضر حتى ألفته
وأحوجنى طول العزاء إلى الصبر
وصيرنى يأسى من الناس راجيا
لسرعة لطف الله من حيث لا أدرى [٢]

فنجدنا فى أضواء من قول الله : « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » من الأعراف ٥٤ « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » الشورى ١٩ .
« ليس لك من الأمر شىء » آل عمران ١٢٨

ويرجع أبو العتاهية بخواطره إلى ومضات من قوله تعالى :

---

(١) النائل : العطاء .

(١) أورد ناشر الديوان هذه الأبيات لأبى العتاهية ، وقرأتها لغيره فى قصة كان فيها أبو العتاهية فى حبس المهدى مع ذلك القائل .

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » .. البقرة ٢٥٧ .

« إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » الأعراف ١٩٦ فيقول :

من لم يوال الله والرسل التى
نصحت له فوليه الطاغوت

فإذا قرأنا قوله :

ما يحذر الله إلا الراشدون وقد
ينجى الرشيد من المحذورة الحذر !!

رأيناه قد استهدى بقول الله تعالى :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر ٢٨

ولفت الأنظار إلى ما أوجبه الله بقوله « يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم » النساء ٧٣ .. ثم هو ينظر إلى قوله تعالى « قل هو الله أحد ، الله الصمد » .

« أمن يجيب المضطر إذا دعاه » النمل ٦١ .

« وهو الأول والآخر والظاهر والباطن » الحديد ٣ .

« من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » الكهف ١٧ .

« لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » الأنعام ١٠٣

« إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما » طه ٩٨ .

« ويعفو عن كثير » الشورى ٣٠ فيقول :

لا رب أرجوه لى سواكا
إذ لم يخب سعى من رجاكا
أنت الذى لم تزل خفيا
لم يبلغ الوهم منتهاكا
إن أنت لم تهدنا ضللنا
يارب إن الهدى هداكا
أحطت علما بنا جميعا
أنت ترانا ، ولا نراكا

ويقول :

الحمد لله الواحد الصمد
فهو الذى به رجائى وسندى
عليه أرزاقنا فليس مع الله
بنا حاجة إلى أحد

* * *

لنا خالق يجزى الذى هو أهله
ويعفو ولا يجزى بما نحن أهله

* * *

ولم نر سائلا لله أكدى
ولم نر راجيا لله خائبا (١)

(١) أكدى : فى القاموس المحيط : أكدى بخل أو قل خيره أو قلل عطاءه والمراد هنا المعنى الثانى وفى معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا يقال أكدى الرجل ، لم يثب له مال ولم ينم .

فإذا أنست نفوسنا ببعض حقائق قول الله تعالى :

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » الحجرات ١٧

« وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » البقرة ١٩٧

« ولباس التقوى ذلك خير » الأعراف ٢٦

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد / ٢٨

ألفينا أبا العتاهية قد نفذ بحسه اللماح ، وإداركه البصير إلى بعض من هذه المعانى الإلهية فقال :

وإذا اتقى الله الفتى وأطاعه
فهناك يصفو عيشه ويطيب

* * *

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى
تقلب عريانا وإن كان كاسيا

* * *

ليس زاد سوى التقى
فخذى منه أو دعى

* * *

وماصح فرع أصله الدهر فاسد
ولكن يصح الفرع ماصح أصله

وما لامرىء من نفسه وتليده
وطارفه ، إلا تقاه وبذله

* * *

ما الفخر إلا التقى والزهد
وطاعة تعطى جنان الخلد !!

معوض عوض إبراهيم

(بقية المنشور على ص ١٥٠)

تعالى : « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال » فى هذه الآية الكريمة من الإعجاز العلمى ما يشهد بأن القرآن كله كلام الله وحده عز وجل ؛ فإن تقليب الله تعالى لأهل الكهف من جنب إلى جنب مصلحة كبرى ليعافيهم من قرحة الفراش التى تنشأ من طول النوم مدة طويلة على وضع واحد وحالة خاصة ؛ إذ قد يموت المريض لا من الجراحة التى أجريت له وإنما يموت بسبب قرحة الفراش هذه ، فأشار القرآن إلى هذه الحقيقة العلمية التى تؤخذ من تقليب أهل الكهف ذات اليمين وذات الشمال .

فسبحان من أوحى إلى عبده ماأوحى ليقيم الحجة على خلقه « ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينة » « والله ذو الفضل العظيم » ؟

محمد السباعى محمد عامر

الشّورىٰ في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

— ٥ —

دور الشورى فى إعلاء العلم :

إذا كانت الشورى - كما ذكرنا تؤدى إلى دعم أركان السلام الاجتماعى وتثبيته ، بأن يتألف الإمام مستشاريه بالحسنى كما يقتضى كتاب الله تعالى ، وبأن يختارهم من المحبين المخلصين ، فإن ذلك لا يصح أن يأتى على أساس طيهم تحت جناحه وانصياعهم لرغباته وإلا صار الأمر ، لا شورى ، بل خنوع وخضوع .

ولذلك فلا قيام للشورى ولا كيان لها إلا فى جو احترام العلم وإعلانه . والنظام الإسلامى كله لا يقوم ولا يكون إلا على أساس احترام العلماء وتقديمهم والاستماع إليهم .

* * *

والواقع أن النظام الإسلامى يقوم حقيقة على الإيمان والعلم . فإذا تصفحت كتب أصول الدين ، فى أشكالها المختلفة ، سواء كانت من جوامع الحديث ، كالجامع للصحيح للإمام البخارى رضى الله عنه ، أو صحيح مسلم أو غيره ، أو كان من كتب التصوف كإحياء علوم الدين للإمام الغزالى أو كان فى أصول الدين ككتاب الإمام عبد القاهر البغدادى أو غير ذلك ، لوجدتها تبدأ أولا بقضية الإيمان ثم بقضية العلم .

فمكانة العلم فى الإسلام تالية مباشرة لمكانة الإيمان .

بل إن الإمام البخارى فى صحيحه قد ترجم بما يشعر بتقدم أهمية العلم على الإيمان ، وذلك لأنه لا سبيل لإدراك الإيمان إلا عن طريق العلم ، وفى ذلك قال : « فضل العلم » وقوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » أى استدل على فضل العلم على على الإيمان بهذا التخصيص . ثم ترجم بقوله : « باب من قال إن العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى : فاعلم أنه لا إله إلا الله

فجعل العلم قبل العمل ، أى أنه لولا أنه يعلم معنى التوحيد لما أجداه نطقه بالشهادة شيئا ، فلا قيمة لشهادة باللسان إلا أن يكون الناطق بها عارفا فاهما المعنى ما ينطق به

وكذلك فإن العلماء فى الإسلام هم الجماعة ، فليست الجماعة فى الإسلام هى جمهور الشعب - جاهله وحابله ونابله - بل هى مخصوصة بأهل العلم .

ولذلك فإن معنى مفارقة الجماعة : أى مفارقة أهل العلم .

ومعنى ما ارتأته الجماعة أو توجه إليه رأيهم : أى العلماء .

وهذا قيد هام جداً على من قالوا : إن الإسلام دين الديمقراطية ، يقصدون بذلك ديمقراطية العصر الحديث التى تعتمـــد على الدهماء (البلوريتاريا) وتساوى بين العلماء والجهال ، وتعتمد على الأغلبية العددية .

وهو قيد على من قالوا : إن الشعب هو مصدر السلطات فى الإسلام ، فإن معنى الشعب هنا ليس جمهرة المواطنين الجامعة لـكل من كان بالغا عاقلا فقط ، بحيث تضم أهل البلاد جميعا من ذكر وأنثى تجاوز سن البلوغ ولم يكن به عاهة عقلية أو منع خاص - من حكم جنائى ونحوه - تمنعه من الانتخاب ، فليست هذه العمومية من أصول الإسلام ، وإنما الجماعة فى الإسلام هم - كما قدمنا - خصوص أهل العلم فهم وحدهم القادرون على تكوين الرأى فى المسائل السياسية والاجتماعية وهم غير قابلين للاستغلال والتمويه عليهم ويعرفون قيمة أصواتهم.

وقد أورد الإمام البخارى فى صحيحه (كتاب الأحكام) ما يستدل منه على أن المقصود بالجماعة : هم أهل العلم .

* * *

فإذا تبين أن قوام الحياة السياسية فى الإسلام هم العلماء وأن مشاركة الشعب فى الحكم لا تكون للدهماء وعامة الناس بل لعلمائه وهم القادرون على أداء هذه الأمانة ، فإنه يتبين إذن أن المشورة إنما هى متوجهة ومخصوصة بأهل العلم .

فلا يجوز فى الإسلام إجراء استفتاء شعبى عام .

بل يجب أن يكون الاستفتاء لأهل العلم .

وفى الواقع - فى أى نظام - لا يمكن أن تنفذ المبادىء إلا بواسطة العلم .

فالإيمان مثلا بالحرية ، والمساواة ، والعدالة ، وبسائر الشعارات التى تقدم عليها النظم ، يتطلب تطبيقا وتنفيذاً ، وإلا ظلت هذه الشعارات مجرد نداءات لاتصلح إلا للافتات الانتخاب ونحوها، وللخطب التى تلقى فى السرادقات وعلى المنابر .

وإنما يجب أن يصحب ذلك تحقيق وضبط من العلماء فيحددون مدى الحرية المسموح بها ومدى القيود التى تتوازن بها مع المصلحة العامة ويسنون النظم التى تكفل ذلك وتحفظه .

وكذلك فإن الحكم الحديث يقوم على التخطيط .

وبدون وضع الخطة المحكمة يظل أساس الحكم مستحيل التطبيق .

فإذا قرر النظام مثلا تمكين الشعب من وسائل الإنتاج، فان ذلك لا يتم طفرة واحدة بتأميم جميع المرافق والصناعات الهامة مثلا ؛ بل يجب أن توضع خطة محكمة لذلك بالبدء بالوسائل التى يتيسر نقلها إلى القطاع العام بدون ضرر بالحياة العامة ، والابتداء بأيها يكون أكثر أهمية وتقديمها على غيرها ، حتى إذا استوعب ذلك انتقل إلى غيره ، ويصحب ذلك بطبيعة الحال تقدير دقيق لحركة رأس المال والعمالة فى كل نوع من الإنتاج على حدة ، ثم لكل صناعة على حدة ، وهكذا لا يمكن إطلاقا تحقيق المبدأ العام إلا بالتخطيط والتوقيت الزمنى حسب الإمكانيات والظروف ، وإلا ظل المبدأ كما قدمنا مجرد شعارات لاترتفع عن النداء والتمنى .

* * *

فالدولة الحديثة هى دولة علمية .

والإسلام دولة علمية .

ومكانة العلم فى النظم الإسلامية وفى النظم الحديثة فوق كل اعتبار .

وعلى علماء الشريعة كما قدمنا فى مقال سابق - أن يبنوا رأيهم الشرعى على التقديرات الفنية التى يتقدم بها إليهم الفنيون من الإحصائيين والاقتصاديين والزراعيين وغيرهم حتى يكون الرأى محققا ممحصا قائما على سبب صحيح سليم .

* * *

فإذا قدرنا ذلك أدركنا مدى الجرم

الشديد الذى وقع على الإسلام والمسلمين من قتل علمائهم وإهانتهم .

فإن العلماء هم قادة الشعب كما بينا . وهم وحدهم القادرون على وضع المبدأ موضع التنفيذ .

فكان قتلهم تمهيداً للاستبداد وافتراس الشعب بعد القضاء على قواده ، وسبيلا إلى أن تظل الشريعة حبراً على ورق ، وحروفاميتة ، تقرأ ولا يعمل بها

وقد بدأ هذا التيار بعد الفتنة الكبرى ، وخاصة بعد أن تمكن الموالى من الحكم فى عهد العباسيين ونفذوا بمكرهم إلى أن القضاء على هذه الأمه بقتل علمائها .

وقد قال الله تعالى من قبل فى بنى إسرائيل إنهم يقتلون النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس .

فان الإمام أبا حنيفة مات فى سجنه (على الأرجح)

والإمام مالك اضطهد اضطهاداً شديدا لفتواه بقيام بيعة المنصور على الإكراه والشافعى انقذمن بقعة الدم ، بشفاعة الإمام محمد بن الحسن الشيبانى فيه .

ومحمد ابن الحسن نفسه عذب عذابا شديدا وحبس فى جب بسبب باب فى كتابه المبسوط . هو باب الإكراه .

وابن حنبل عذب عذابا شديدا فى فتنة خلق القرآن مات متأثراً بها .

ولا نعلم ولا نحصى كم من وجهاء المسلمين ومن تحتاجهم الأمة فى شئونها مات فى مثل هذا الاضطهاد ؛ أو بالبعث بمثل هذه الأحجية الفلسفية الفارغة : خلق القرآن وأزليته .

فهل هذا سبب لقتل العلماء ؟ هل يصلح الجدل فى مسألة كلامية لاصالح لأحد فيها من الوجهة العملية بها ؛ ولا يعلم حقيقة أمرها إلا الله ؛ أن يقتل العلماء جماعات على هذا الوجه ؟

إن من يقرأ محاضر محاكمة هؤلاء العلماء يفزعه هذا الجرم الشديد الذى ارتكب فى حقهم ؛ بينما أصول الحكم الإسلامى وطبيعة الشورى تقتضى إعزازهم ورفع مكانتهم .

مصطفى كمال وصفى

مع الشبـاب :

إرادة المؤمن

للدكتور عز الدين علي السيد

تناول الحديث السابق أمثلة مشرقة ، فى نماذج خاطفة ، لشباب منحوا المجد ، وحظوا بالثناء، فى سطور لا ينالها الدهر ، ولا تتهم بالمحاباة ؛ لأنها آية كتاب مجيد، أو حديث نبى أمين . ويكشف البحث فى كل مثال ، عن إرادة صلبة ، فى يقين حى ، وإيمان سليم ، واقتناع مستدل . لا إرادة طائشة ، فى خيال جامح، وإيمان خادع ، واقتناع مزلزل ، فلا أخلق بالإرادة الثانية ، من حلول القوارع ، ونزول البوائق ، والتعرض للمزعجات ..

لا بد للمرء من إرادة ، يتحدد بها سيره ، ويناط منهجه ، ويرتبط بها ما ينال من ثواب أو عقاب . .

ولكن لا بد للراشد من حكمة ، توجه هذه الإرادة ، ليكون سيره فى اتجاه النفع ، فيعتصم القلب عن لذعة الندم ، واللسان عن كلمة الاعتذار ، والجسم عن أذى العقوبة ، وحياة الآخرين عن سوء الاحترام .

فالإرادة التى ترمى نواة فى طريق الناس ، هى إما جاهلة أو شريرة ، وكم من حادث جلل تجر تلك النواة أو مثلها، والمجتمع مسئول عن جهل الجاهل وشر الشرير . ! وأضرب بالنواة مثلا لأنها الأصل لما يتفرع من الخير والشر ، وقد حفظنا قول الحق.. « إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » ، فضع النواة فى أى مقام شئت ، ثم قس عليها ما وراءها ..

والإرادة التى ترفع نواة عن الطريق أو تغرسها فى مكانها المخصب ، هى إما حكيمة أو رحيمة .. تصون ذاتها عن السقوط المحتمل بفرك النواة ، أو ترحم غيرها مما كرهته لنفسها .. والحكمة والرحمة آيتان لكل مجد كان وكل مجد يكون ..

الإسلام وتربية الإرادة :

والإسلام معنى كل العناية بتلك الإرادة الظافرة ، وبكمال توجيهها إلى الخير العام ،

لينتج عنها المجتمع المثالى ، الذى لا يحس فيه الفرد إلا سعادة البذل والفداء ؛ لأنه عطوف عليه ، حام له ، محقق رجاءه ، يرى نفسه المشـــدودة إليه بالحب غير قادرة على الانفصام ، لأنه لا مكان لحايتها إذا انتبذت مكاناً سواه ، ولا بقاء لعزها إذا فصلت عنه كافرة به .

فإرادة الفرد فى الإســـلام إرادة اجتماعية ، لا تعرف الأثرة لأن خلقها العدل ، الذى أفضل منه فى دينها الإحسان لأنه إيثار . . فإن حرمت نفس أحد هذين المقومين — العدل والإحسان — فهى جائرة عن القصد ، موصومة بالشح أو الظلم : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . فلا فلاح لشاح . . والله تعالى : « يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليما » فلا رحمة لظالم . .

وقد أمر الله بالعدل ، وعقب بالأعلى وهو الإحسان ، فقال سبحانه : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » . لينقل الإرادة أولا عن هوى النفس ، التى اتصفت بقوله : « إن النفس لأمارة بالسوء . . » حتى تأنس بالطاعة ، وتلذ بالتقى ، فتصدف فى نور العدل عن كل متاع رخيص ، يزيفه اللعين الجسور فى صورة انتصار خير منه الهزيمة ، واقتناص أكرم منه النكوص . . فإذا ساغ لها الخطو وسعدت بالنقلة ، شاقها الفوز إلى الأسمى ، فرخص عندها كل لاذ نالته ، لأن ما فوقه خير منه ، وقد وقف عنده الأنبياء والشهداء والصالحون . . الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، والذين اشترى الله أنفسهم وأموالهم فأسلموا فرحين وجوههم لوجهه « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور » .

مكان الإرادة من الخير :

فمكان الإرادة من الخير أن تهتبل فرصة ، فهى ما تدرى ماذا تكسب غداً ، ولا تعلم إن كان ينسأ لها فى العمر فتعوض ما سوفت : « وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت » . نجد الأمر من الله ورسوله صريحا فى ذلك ؛ لأن الوقت الذى انجابت عنه السحابة أشرقت فيه الشمس فهو ضاح منير ، والوقت الذى دونه غيابة المقبل عشـــيت عنه

البصائر فضلا عن الأبصار ، إلا خبطاً بالخيال وتكهناً بالظن ، والحكيم الذى ينشده الإيمان لا يضيع يوماً بغد ، إلا غداً مضموناً بوعد الله ولن يخلف الله وعده . .

يقول الله سبحانه : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

ويمتدح سبحانه من أهل الكتاب جماعة شأنهم المسارعة إلى الخيرات واغتنام فرص البر فيقول : « من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين » .

كما يصف زكريا وآله عليهم السلام بمثل ذلك فى قوله : وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين. فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين».

وهذا هو شأن المؤمن الحكيم دائما ، فى كل زمان ومكان « إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون » .

فالمسارعون فى الخيرات والسابقون بها هم الصفوة المؤمنة ، صاحبة الإرادة الصحيحة ، التى لم يعلها الشيطان بالغرة ، ولم يمرضها بالعشوة عن الهدف ، الذى هو أعلى فى طريقها من كل منار ، وأهدى لعينها من كل نجم ، لأن نداء الله قد اتحد بها فصار ذاتاً فى إهابها حين سمعت :

« سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » «ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات» « فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » .

ولأنها رأت السابقين خيراً مقاما ، وأحسن أثاثا ورئيا ، فى قوله تعالى يصف جزاءهم : « وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب

المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم» كرر اسمهم إيماء إلى شرفهم ، وأكرم جزاءهم وفاء بحقهم ..

والمصارعة إلى الخير ، والمسابقة إلى المعروف ، لا تختص بالطاعة القاصرة ، فهى فى كل ماسبق طاعة ينتقل أثرها إلى الناس ، ويتعدى نفعها إلى البشر ، فهى من جنس الإحسان الذى عنده تربو الإرادة وبه تعتز .

ألا ترى فى الآيات السابقة كيف انتصرت الإرادة على مازين للناس من حب الشهوات ؟ فأعد قراءة هذه الصفة من صفات المتقين :

« الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » إلى أى ذروة بلغت الإرادة ، التى تنفق المال المعبود عند غيرها ، تماما لتوحيد معبودها ، تنفقه فى الضراء شديدة الفقر إليه كما تنفقه فى السراء عظيمة الغنى عنه . !

وإلى أى حد وصلت الإرادة ، التى بيدها مضاعف الانتقام ، وفى طاقتها التهور فى الثأر ، فلا تستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، بل تحتسب عند الله أجرها وتكظم غيظها ، فتعفو وتصفح مؤمنة محسنة ، لتكون سراجا يهدى وشهاباً ينير ..

بل فاقرأ مرة ثانية : « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » .

ثم انظر إلى أى مدى بلغت ، حين لا تجد فيما آتت دلالة به تزهى .. ولا تيهابه تعجب .. ولا بريقابه تغتر ، بل إحساسا بالوجل ألا تكون أحسنت ، وشعوراً بالخوف ألا تكون قبلت !.

إن سر انتصار الإرادة ، كامن فى فقه حقيقة الدنيا ، وصدق اليقين بالبعث ، وكمال الإيمان بالجزاء ، فالوجل فى قلوب المحسنين عند البذل ، ثمرة العلم الثابت « أنهم إلى ربهم راجعون » .

آذى (مسطح) أبا بكر - رضى الله عنه - والنبى - صلوات الله عليه - فى أعز مايملك الإنسان وهو شرفه ، فقد كان ممن اكتسبوا إثم الإفك ، فأقسم الصديق أن يمسك يده عن الإنفاق عليه ، جزاء هذا الأذى وكان (مسطح) ابن خالته ومن فقراء المهاجرين ، فأنزل الله على رسوله : « ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون

أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » فقال أبو بكر وقد سمع كلام ربه : بلى أحب أن يغفر الله لى .. ورجع إلى مسطح نفقته وهو يقول : والله لا أنزعها أبدا ! .

وما يزال القرآن يدعم إرادة الخير فينا ، حتى لا يزيغ بنا الهوى المضل ، فننصر القريب جائرين ، أو نخذل البغيض آثمين ، فيقول لنا :

« وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » .

فالرحم لا تجيز الحيف ، والوشيجة لا تبيح الجور : « لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير » .

« الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » .

بمثل هذا ربى الإسلام إرادة المؤمنين فانتصر الحق غالباً مجتاحا ، وأبطلت أخوة الإسلام أخوة الكفر ، فسفك المسلم دم ابن أبيه الكافر فى حومة الدفاع عن الدين ، حمية للحق لا للدم ، وانتصاراً للعقل لا للجهل ، وانتصافا لله من عبادة الأوثان وتعسف الضلالة .

وأى شىء فى وجود الإنسان أغلى من روحه؟

إن الإسلام ربى المؤمنين على إرادة تبذل الروح من أجل الحق ؛ لأنها تؤمن بحياة أجل ونعيم أوفر . . صدقت ربها فعاهدته ، ثم صدقت ما عاهدته عليه من بذل فى نصرته ، فأثنى عليها فى كتابه الخالد ذاكراً نبلها : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

هذه أحرف لها ماوراءها من قاموس الإرادة فى الإسلام ، توجهنا إلى جلال الموقف ، وتنير لنا طريق النصر فى حياة تكاثفت فيها السحب وزمجرت العواصف وأظلمت الدنيا إلا من بروق المطامع ، فاختلت القوى فلا تزن الخطو ، واختفت الشمس فلا ضياء فى الطريق .. ولا منتظر لأن تعود القوى وتشرق الشمس ، إلا بالركوع فى محراب الجلالة .. والخشوع أمام الملك الحق . . فى إرادة تنتصر على الباطل ، وتنبذ حياة الشهوات .. « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

د . عز الدين على السيد

منهج يحيى بن معين فى فحص الرجال

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

إذا استقرأنا موقف النقاد المحققين من أهل العلم بالعلل القادحة خفيها وجليها من قضية توثيق يحي بن معين رحمه الله ورضى عنه لكثير من الرجال المجرحين وردهم لهذا التوثيق خلص بنا هـذا الاستقراء إلى نتائج توصلنا إلى تحديد منهاج يحي فى فحص الرجال والحكم عليهم ، وبالتالى يمكن أن يلق هذا البحث الضوء على مناهج غيره من الأئمة من فحول الناقدين ، وقلنا : لماذا نظروا ولم نقل ردوا بالصورة التى ردوا بها توثيق ابن حبان والحاكم للفرق بين ابن معين وبين هذين الإمامين لأنهما بلغا من التساهل حداً جعل توثيقهما للرجال لا يعتد به .

وقبل أن نفضى إلى ما قصدنا إليه ينبغى أن نلم بإيجاز بترجمة ليحي بن معين رحمه الله .

هو أبو زكريا يحي بن معين بن عون ابن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المرى البغدادى الحافظ قيل إنه من قرية نحو الأنبار تسمى نقياى ، وكان أبوه كاتباً لعبد الله بن مالك ، وقيل إنه كان متولى خراج الرى فلما مات خلف لابنه يحي ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فأنفق جميع المال على الحديث وسئل يحي المذكور كم كتبت من الحديث ؟ فقال: كتبت بيدى هذه ستمائة ألف حديث وقال أحمد بن عقبة راوى هذا الخبر : وإنى أظن أن المحدثين قد كتبوا له بأيديهم ستمائة ألف وستمائة ألف ، وخلف من الكتب مائة قمطر وأربع حباب شرابية مملوءة كتباً وهو صاحب الجرح والتعديل .

روى عنه الحديث كبار الأئمة منهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى وأبو داود السجستانى وغيرهم من الحفاظ . وكان بينه وبين الإمام أحمد ابن حنبل من الصحبة والألفة والاشتراك

فى الحديث ما سار بذكره السائرون من أهل الفن وغيرهم .

وقال على بن المدينى : انتهى العلم بالبصرة إلى يحيى بن أبى كثير وقتادة ، وعلم الكوفة إلى إسحاق والأعمش ، وانتهى علم الحجاز إلى ابن شهاب وعمرو ابن دينار ، وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة إلى سعيد بن أبى عروبة وشعبة ومعمر وحماد بن أبى سلمة وأبى عوانة ، ومن أهل الكوفة إلى سفيان الثورى وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس بالمدينة ومن أهل الشام إلى الأوزاعى وانتهى علم هؤلاء إلى محمد بن إسحق وهشيم ويحيى ابن سعيد وابن أبى زائدة ووكيع وابن المبارك وهو أوسع هؤلاء علماً وابن مهدى ويحيى بن آدم وصار علم هؤلاء جميعاً فى شتى الأصقاع والأمصار إلى يحيى بن معين الذى قال فيه أحمد بن حنبل: كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث .

وكان يقول : ههنا رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين - يعنى يحيى ابن معين ، وقال ابن الرومى فيما نقله عنه ابن خلكان : ما سمعت أحداً قط يقول الحق فى المشارع غير يحيى بن معين وغيره كان يتحامل بالقول . وقال يحيى : ما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترته وأحببت أن أزين له أمره ، وما استقبلت رجلا فى وجهه بأمر يكرهه ولكن ابين له خطأه فيما بينى وبينه ، فإن قبل ذلك وإلا تركته وكان يقول : كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور وأخرجنا به خبزاً نضيجا وكان ينشد كثيراً :

المال يذهب حله وحرامه
طرا ويبقى فى غد آثامه
ليس التقى بمتق لإلهه
حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يحوى وتكسب كفه
ويكون فى حسن الحديث كلامه
نطق النبى لنابه عن ربه
فعلى النبى صلاته وسلامه

وقد ذكره الدارقطنى فيمن روى عن الإمام الشافعى رضى الله عنه وسمع أيضا من عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وكان يحيى يحج فيذهب إلى مكة ويرجع إلى المدينة فلما كان آخر حجة حجها خرج إلى المدينة ورجع إلى المدينة فأقام بها ثلاثة أيام ثم خرج حتى أتى المنزل

مع رفقائه فباتوا بها ثلاثة أيام ثم مات فحمل على أعواد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت وفاته لسبع ليال من ذى القعدة سنة ٢٣٣ هـ ، هكذا قال الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ، وقد غلطه ابن خلكان فى هذا السياق وهو أنه خرج إلى مكة للحج ثم رجع إلى المدينة ومات بها ومن يكون قدحج كيف يتصور أن يموت بذى القعدة من تلك السنة ، فلو ذكر أنه توفى فى ذى الحجة لأمكن ويحتمل أن يكون هذا غلطا من الناسخ لكنى وجدته فى نسختين على هذه الصورة فيبعد أن يكون من الناسخ والله أعلم . ثم ذكر بعد ذلك أن الصحيح أنه مات قبل أن يحج وعلى هذا يستقيم ما قاله من تاريخ الوفاة ، ثم نظرت فى كتاب الإرشاد فى معرفة علماء الحديث تأليف أبى يعلى الخليل بن عبد الكريم بن أحمد ابن إبراهيم بن الخليل الحافظ أن يحيى بن معين المذكور توفى لسبع ليال بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة فعلى هذا يكون قد حج وذكر الخطيب أيضا أن مولده كان سنة ١٥٨ ثم قال بعد ذكر وفاته : إنه بلغ سبعا وسبعين سنة والله أعلم وصلى عليه والى المدينة ثم صلى عليه مراراً ، ودفن بالبقيع وكان بين يدى جنازته رجل ينادى هذا الذى كان ينفى الكذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومعين بفتح الميم وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون .

كثيراً ما يستوقفنا عند النظر فى إسناد فيه رجل مثل على بن محمد المدائنى الأخبارى الذى ذكره ابن عدى فى الكامل مع الضعفاء وقال : على بن محمد المدائنى مولى عبد الرحمن بن سمرة ليس بالقوى فى الحديث وهو صاحب الأخبار قل ماله من الروايات المسندة قال أحمد بن خيثمة كان أبى وابن معين ومصعب الزبيرى يجلسون على باب مصعب ، فمر رجل على حمار فاره وبزة حسنة فسلم وخص بسلامه يحيى فقال له : يا أبا الحسن إلى أين ؟ قال : إلى دار هذا الكريم الذى يملأ كمى دنانير ودراهم إسحاق الموصلى فلما ولى قال يحيى : ثقة ثقة.

فسألت أبى من هذا ؟ فقال هذا المدائنى ومثل محمد بن قيس الهمذانى المرهبى عن ابن عمر وعن إبراهيم النخعى وعنه سفيان بن سعيد وأبو عوانة وجدت أحمد ابن حنبل يضعفه ، ويأبى يحيى بن معين

ويوثقه . ومثل محمد بن كثير القرشى الكوفى أبى إسحاق عن ليث والحارث ابن حصيرة قال أحمد بن حنبل : خرقنا - وفى رواية : مزقنا - حديثه . وقال البخارى : كوفى منكر الحديث ، وقال ابن المدينى : كتبنا عنه عجائب ، وخططت على حديثه . يقول الذهبى : ومن مناكيره عن عطية عن أبى سعيد مرفوعاً : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »[1] فرواه ابن وهب عن الثورى عن عمرو ابن قيس قال : كان يقال : اتقوا . . . فذكره . ثم يأتى يحيى بن معين فيقول : شيعى ولم به بأس[2] . ويقول ابن المدينى بعد ذمه : ومشاه ابن معين . ومثل محمد ابن كثير المصيصى أبو يوسف وهو الصنعانى الشامى الثقفى سكن المصيصة حدث عن معمر ثم بعث إلى اليمن فأخذها فرواها . وقال أيضاً : يروى أشياء منكرة . وقال : حدث بمناكير ليس لها أصل . قال يونس[3] : ذكرت لابن المدينى محمد بن كثير المصيصى وأنه حدث عن الأوزاعى عن قتادة عن أنس قال : « رأى النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر فقال : هذان سيدا كهول أهل الجنة ... الحديث فقال على بن المدينى : كنت أشتهى أن أرى هذا الرجل فالآن لا أحب أن أراه . وقال النسائى : ليس بالقوى . وقال البخارى : لين جداً . وقال أبو داود : لم يكن يفهم الحديث . وقال صالح بن أحمد بن حنبل : لم يكن محمد ابن كثير عندى بثقة . وقال أخوه عبد الله ذكر أبى محمد بن كثير المصيصى فضعفه جداً وقال : حدث عن معمر وعزا إلى نفسه نسخته عندما بعث بها إلى اليمن - ويأتى بعد هذا يحيى بن معين فيما يرويه عنه عبيد بن محمد الكشورى ويقول : محمد بن كثير المصيصى ثقة . ومثل محمد ابن مسلم ويقال : محمد بن مهران بن مسلم ابن المثنى عن جده أبى المثنى قال الفلاس : روى عنه أبو داود الطيالسى مناكير . وقال أبو زرعة : واه . وقال ابن مهدى : لين الحديث . قال الذهبى : وقد وثقه ابن معين فيما حكاه ابن القطان . ومثل محمد بن مسلم الطائفى ومحمد بن ميمون

(١) ميزان الاعتدال حرف الميم .

(٢) لعل الصواب : ولم يك به بأس .

(٣) يونس بن حبيب أحد الأعلام .

السكرى المروزى وهو أكبر شيخ لنعيم ابن حماد قال أبو حاتم : لا يحتج به ووثقه ابن معين ، ومثل مِشرَح بن هاعان المصرى عن عقبة بن عامر قال ابن حبان : يروى عن عقبة مناكير لا يتابع عليها وقد صوبوا ترك ما انفرد به وذكره العقيلى فى الضعفاء فما زاد فى ترجمته أكثر من أن قيل : إنه ممن جاء مع الحجاج إلى مكة ونصب المجانيق على الكعبة ومع ذلك قال ابن معين عنه : إنه ثقة كما يروى ذلك عنه عثمان بن سعيد. ومثل المنهال بن عمرو الكوفى روى عن زر بن حبيش وزاذان وابن أبى ليلى ولا يحفظ له سماع من الصحابة وإنما روايته عن التابعين وروى عنه شعبة والمسعودى والحجاج بن أرطاة ثم فى الآخر ترك عنه الرواية شعبة فيما قيل لأنه سمع من بيته صوت غناء . قال الذهبى : وهذا لا يوجب غمز الشيخ . قال الحاكم : غمزه يحيى بن سعيد . وقال الجوزجانى فى الضعفاء : له سوء المذهب وكذا تكلم فيه ابن حزم ولم يحتج بحديثه الطويل فى فتان القبر . قال ابن معين : المنهال ثقة .

ومثل مهران ابن أبى عمر الرازى العطار روى عن إسماعيل بن أبى خالد وابن أبى عروبة ، وعنه يحيى بن معين وزينج وجماعة . قال البخارى: فى حديثه اضطراب وقال النسائى : ليس بالقوى ، وضعفه إبراهيم بن موسى الفراء ، وقال ابن معين: كتبت عنه وكان شيخاً مسلماً، ووثقه إلا فى حديث سفيان، ومثل موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن العلوى عن أبيه وعنه عبد العزيز الدراوردى ومروان الطاطرى وإبراهيم بن عبد الله الهروى قال البخارى : فيه نظر وقال ابن معين : ثقة ، ومثل مؤمل بن إسماعيل أبى عبد الرحمن البصرى مولى آل عمر ابن الخطاب قال أبو حاتم : صدوق [1] شديد فى السنة كثير الخطأ. وقال البخارى: منكر الحديث . وقال أبو زرعة : فى حديثه خطأ كثير وقال فيه ابن معين : ثقة . ومثل النضر بن عربى أبى روح العامرى الجزرى قال عثمان بن سعيد

---

(١) مضى قولنا فى بحوثنا السابقة فى هذا المكان أن المحدثين اصطلحوا على أن كلمة صدوق هى أدنى مراتب التعديل فهى تعدل (لا بأس به) .

الدارمى : ليس بذاك وقال ابن سعد : لم يكن بذاك . وقال النسائى : ليس بالقوى وقال ابن معين : ثقة . ومثل هرير بن عبد الرحمن بن رافع بن خديج عن جده قال الأزدى : يتكلمون فيه وفى حديثه وقد وثقه ابن معين ومثل محمد بن القاسم الذى روى له الترمذى أحاديث منها حديث «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا أم قوماً وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجلا يسمع حى على الفلاح فلم يجب» . قال الترمذى بعد أن رواه عن أنس : لا يصح . وقال أحمد : أحاديث محمد بن القاسم موضوعة ليس بشىء ، رمينا بحديثه ، وقد ثبت تكذيب أحمد لمحمد بن القاسم هذا من أوجه وتابعه البخارى وغيره وكذبه أيضا أبو داود وغيره . وقال السيوطى فى اللآلئ : وقد وثقه ابن معين وللحديث شواهد من حديث ابن عمرو عند أبى داود وابن ماجه وقال ابن أبى خيثمة قال ابن معين : محمد ابن القاسم ثقة وقد كتبت عنه .

ويقرر شيخنا المحدث عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى أن عادة ابن معين فى الرواة الذين أدركهم أنه إذا أعجبته هيئة الشيخ يسمع منه جملة من أحاديثه فإذا رأى أحاديث مستقيمة ظن أن ذلك شأنه فوثقه ، وقد كانوا يتقون يحيى بن معين ويخافونه فقد يكون أحدهم ممن يخلط عمداً ولكنه حين يعلم أن فى مجلسه يحيى بن معين استقبله بأحاديث مستقيمة ولما يبعد الخلط عنه فإذا وجدنا ممن أدركه ابن معين من الرواة من وثقه ابن معين وكذبه الأكثرون أو طعنوا فيه طعناً شديداً فالظاهر أنه من هذا الضرب ، فإنما يزيده توثيق ابن معين وهناً لدلالته على أنه كان يتعمد ، ويفيد هذا البحث فى أن من لينه يحيى ابن معين أو ضعفه فإنما يكون ذلك بعد استنفاد كل وسائل الإعذار ، ويكون من هذا شأنه إنما حكم عليه يحيى بعد تدبر وتقص ومن ثم يكون حكمه بجرحه لا يثلم بحال .

(يتبع)

محمد نجيب المطيعى

منغّصات الحياة الزّوجيّة وعلاجها في الأدب الجاهلي

للأستاذ الغزالي حرب .

نتناول في هذه الكلمة الأخطار والمنغصات التي كانت تهدد الرابطة الزوجية بالانفصام . وعرض ما تيسر من وسائل الوقاية منها . وأساليب العلاج لها في الأدب الجاهلي القديم .

في مقدمة هذه الأخطار والمنغصات :

١ — الغش والخداع من أحد الزوجين للآخر .

٢ — سوء الظن والغيرة الجاهلية الحمقاء .

٣ — المرض وتدهور الصحة .

٤ — شراسة المعاملة وسوء الخلق .

٥ — المكايدة بالضرة أو الضرائر .

* * *

١ — أما الغش والخداع فقد يكون من الزوجة أو أهلها للزوج ومن أمثلته أن الشاعر الجاهلي « جهما » خطب امرأة من بني فقعس وباع إبلاله ليمهرها بها وهو يمني نفسه بعروس حسناء « ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر — كما قال أبو فراس الحمداني - فإذا هو يفاجأ عقب دخوله بها بعجوز . . فسارع إلى طلاقها غير آسف على إبله المبيعة وماله الضائع وفي ذلك يقول :

وما لمت نفسي من فطمت بلحية
كما لمت نفسي في عجوز بني شمس
فبانت ولم أغبن - غداة اشتريتها
وبعت تلاد المال بالثمن البخس[1]

وقد يكون الغش والخداع من الزوج لزوجته ومن أمثلته :

أن العروس العربية الغيور « حرقفة العلوية » خطبها مرة بن عوف . فاستوثقت منه ألا تكون له زوجة أخرى . . . فحلف لها بكل محرجة من الأيمان أنه لم يتزوج ولن يتزوج عليها . . . فاطمأنت إليه ، وبعد بنائه بها . . . خرجا يسيران . . فإذا هي تشاهد بعض النيران فسألته : ما هذه النيران ؟ — فأجابها : نيران امرأتي الأخرى وأولادي منها فسألته أغدرا مني أول ليلة؟ فأجابها الخبيث الماكر ما غدرت بك ولكني غدرت بسواك . .

---

(١) عيون الأخبار ٤ — ٤٧ .

وقد كان للطرف المخدوع من الزوجين فى الجاهلية ، حقه فى الخلاص من هذه الرابطة :

٢ — وأماسوء الظن والغيرة الجاهلية الحمقاء فمن أمثلته غيرة آكل المرار، وغيرة الحارث بن عمرو، وغيرة الفاكه بن المغيرة على هند بنت عتبة زوجته السابقة التى رفضت العودة إليه،وآثرت عليه أباسفيان ابن حرب ـ كما فاضت بذلك صحف الأدب العربى القديم ولا سيما الأغانى والعقد الفريد ومجمع الأمثال [١] .

٢ — وأما المرض وتدهور الصحة، فكثيرا ماضاقت به صدور بعض الزوجات اللاتى لا نصيب لهن من النبل والوفاء وهنا يحدث الأدب الجاهلى عن سلمى بنت كعب وكيف طعن زوجها صخر ابن عمرو بن الشريد أخو الخنساء . . . الذى طعنه ربيعة بن ثور الأسدى طعنة ألزمته فراش المرض الشديد الثقيل حيث قامت على تمريضه والعناية به أمه وزوجه سلمى بنت عمه :

(١) الأغانى ١٥ - ٨٣ والعقد الفريد ٧٠/٣ وسيرة ابن هشام ٤ - ٢٥٥ ومجمع الأمثال للميدانى ٢ - ١٧٧ وأخبار النساء لابن الهيثم ص ٣ .

أما أمه فظلت على وفائها له وعنايتها به حتى اللحظة الأخيرة من حياته وأما زوجه فسرعان ماضاقت به ذرعا فقالت لأمه وقد سألتها عنه ذات يوم : لا هو حى فيرجى .. ولا هو ميت فينسى وسمعها زوجها صخر ، فكان كلامها هذا أشد وقعا عليه من مرضه وجاشت نفسه بمشاعره الملتاعة فى هذه الأبيات الدامية التى ترونها فى الشعر والشعراء « لابن قتيبة وغيره » :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى
وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة
عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما
وأسمعت من كانت له أذنان
وأى امرىء ساوى بأم حليلة
فلا عاش إلا فى شقا وهوان(١)

(١) انظر الشعر والشعراء تحقيق شاكر ١ - ٣٠٣ ووفيات الأعيان ١ - ١٣٢ ودائرة معارف فريد وجدى مجلد العين ص ٤٣٧ ومستقصى أمثال العرب للزمخشرى مخطوط ص ٩٩ والحماسة البصرية جمعها أبو الحسن البصرى مخطوط بدار الكتب ٥٢٠ أدب ٢٢٤

أم بأمر الحـــزم لو استطيعه
وقد حيل بـين العير والنزوان

٤ — وأما شراسـة المعاملة وسوء المعاشرة من الزوج للزوجة فهو أول ما تتحاشاه المرأة منذ اللحظة الأولى ولأمر ما رفضت أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق الزواج من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين كما رفضت الزواج منه أم أبان بنت عتبة بن ربيعـة لأنه - كما قالتـا - « خشن العيش » « شـديد على النساء » ولأنه « يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابسا ويخرج عابسا » ..وأشادت زوجة الشاعر أزهر التميمي بمكارم أخلاقه كما أشادت زوجـة ذى الأصبع العدواني بدماثة طباعـه وطلبت أبان بنت عتبـة تفضيلها الزواج من طلحة بن عبـد الله على سواه بأنه « إن دخل دخل ضاحكا وإن خرج خرج بساما » .

٥ — وأما شراسـة المعاملة وسـوء المعاشرة من الزوجـة لزوجها ... فأهم ظواهرها في أدبنا العربي القديم ما يأتي :

(ا) لومها لزوجها على غير ما ذنب أتاه

(ب) وعنادها وشغبها عليه

وذلك ما شكا منـه الشاعر الجاهلي عامر بن الطفيل منذرا بانفصال الرابطة الزوجية بينه وبين هـذه الزوجة اللوامة المشاغبة العنيدة :

وقد أصبحت عرسى الغداة تلومنى
على غير ذنب هجرها وصدودها
فلا خير في ود إذا رث حبله
وخير حبال او اصلين جديدها(١)

(ج) تبرمها بفقره وسوء حاله وذلك ما أشار إليه الشعراء الأزواج في أشعارهم ولاسيما عروة بن الورد وعبيد بن الأبرص سعيد بن عمرو بن نفيل .

(د) سلاطة لسانها ونكثها بعهدها ، وهروبها إلى قومها وذلك ما شكا منـه الحارث بن قراد وهـو أعشى بنى مازن أو غيرهم .. مستغيثا من هذه الزوجة ويا العجب بملك من ملوك العرب قائـلا ثائراً على جميع النساء :

يا سيد النـاس وديان العرب
إليك أشكو ذربة من الذرب
خرجت بفيها الطعـام فى رحب
خلفتـنى بنزاع وهـــرب

(١) ديوان عامر بن الطفيل القصيدة السادسة

أخلفت العهد ولطت بالذبب
وهن شر غالب لمن غلب [١]

تلك أهم ظواهر سوء المعاملة وخشونة المعاشرة من الزوجة لزوجها .. الذى كان يجد نفسه مضطرا إلى الخلاص منها أحيانا .. بطلقة أو طلقتين أو ثلاث [٢] وأحيانا يضربها ضربا مبرحا شديدا غير أن شاعرنا الأعشى آثر فراقها بالحسنى قائلا لزوجته أبياته الأربعة المنصفة :

فبينى حصان الفرج غير ذميمة
وموموقة فينا كذاك ووامقه
وذوقى فتى قوم فإنى ذائق
فتاة أناس مثل ما أنت ذائقه
فبينى فإن البين خير من العصا
وإلا ترى لى فوق رأسك بارقه
ويا جارتا بينى فإنك طالقه
كذاك أمور الناس غاد وطارقة [٣]

(١) لطت بالذبب : أصرت على الجد فى رحلتها وفرقتها وانظر معجم الشعراء للمرزبانى نشره الدكتور سالم الكركوى مكتبة القدس بالقاهرة ١٣٥٤ ﻫ ص ١٥ .

(٢) انظر بلوغ الأرب للآلوسى ٢ - ٤٩ والمحبر لابن حبيب ٣٠٩ .

(٣) الأغانى ٨ - ٨٠ ساسى وديوان الأعشى ١٨٣ .

٦ — وأما المكايدة بالضرة والضرائر : فكان أسلوبا من أساليب العقاب والتأديب من الزوج لزوجته كما اعترف بذلك الشاعر الجاهلى « الطيوى » قائلا لزوجته :

لقد خشيت أن يقوم قابرى
ولم تمارسك من الضرائر
ذات شذاة جمة الصراصر
حتى إذا جرس كل طائر
قامت تعنظى بك سمع الحاضر
تصر إصرار العقاب الكاسر [١]

وكانت الزوجة الأولى هى التى تبدأ غالبا العدوان وعلى كل ضرة يأتى بها زوجها .. ومن شواهد ذلك أن ذهل ابن شيبان .. كانت زوجه الأولى « الورثة بنت ثعلبة » تضرب كل ضرة يأتى بها .. فلما تزوج من رقاش بنت عمرو .. حاولت أن تضربها - كما ضربت غيرها ولكن رقاش هى التى ضربتها وغلبتها على أمرها

(١) أنظر ظهارة العرب لأحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٢ - ذات شذاة : طحلبة شدة فى خصوبتها - شدة الصراصر : كثيرة الأصوات الشديدة الصخابة الجارحة - جرش صوت تعنظى : تشتمك بصوت عال - تصر تلعب إذأنها للاستماع كالجاسوس الخطير .

فقالت الورثة بنت ثعلبة فى حسرة بالغة على قوتها وشبابها :

ياويح نفسى اليوم أدركنى الكبر
أأبكى على نفسى العشية أو أذر
فوالله لو أدركت فى بقية
للاقيت مالاقى صواحبك[1] الأخر

هـذه أهم الأخطار والمنغصات التى كانت تبدد الرابطة الزوجية بالانفصام وتنذر السعادة المنزلية بالانهيار وكان العرب فى جاهليتهم يلوذون منها بالشكوى أو الضرب أو الفراق أو الوعظ والإرشاد.

ومن الطريف أن كثيرا من الأزواج كانوا يفضلون الشكوى أو الضرب أو الوعظ على الطلاق بالرغم من ثقتهم بأن زوجاتهم كارهات لهم لأنهم - وهنا موضع الطرافة - كانوا يعتقدون أن أنجب الأولاد ولد الزوجة الفارك التى تبغض زوجها لأنه يسبقها بمائه ولا بمائها هى .. ومن هنا يخرج الولد مذكرا يشبه أباه ومن أقوال حكمائهم : إذا أردت أن تطاب ولد المرأة فأغضبها ثم قع عليها فإنك تسبقها بالماء .. وكذلك ولد الزوجة الفزعة التى يروعها زوجها بالضرب أو غيره ، قال الأصمعى : إن المرأة إذا حملت وهى مذعورة فأذكرت جاءت به لا يطاق، ويذكر أبو كبير الهذلى فى وصف ابن زوجته : « تأبط شرا » أن أمه حملت به وهى غير مستعدة لفراش لأنها كانت فزعة .. فنشأ محمودا مرضيا لم يدع أحد عليه بالهلاك .

ممن حملن به وهن عواقد
حبك النطاق فشب غير مهبل
حملت به فى ليلة مزءورة
كرها وعقد نطاقها لم يحلل[1]

وروى عن أم تأبط شرا قولها :

حملت به فى ليلة ظلماء وإن نطاق لمشدود وقولها : لقد حملت به فى ليلة مظلمة وتحت رأسى سرج وعلى أبيه درع وكذلك قالوا فى ولد الغضبى والفارك :

تسنمتها غضبى فجاء مسهدا
وأنفع أولاد الرجال المسهد[2]

---

(١) مجمع الأمثال للميدانى ١ - ٩٩ وأمثال العرب للضبى ص ٥٥

(١) ليلة مزءورة: مفزعة. وانظر تهذيب الكامل ٢/٤٩ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١ - ٨٧ والمرأة فى الشعر الجاهلى للدكتور الحوفى ص ٨٧ .

(٢) شرح الحماسة للمرزوقى ١ - ٨٥ ، ٨٨ .

ومعلوم أن هذه كلها مزاعم لا أساس لها من الصحة كما يقرر ذلك العلم الحديث.

وأهم وسائل العلاج فى العصر الجاهلى لهذه المكدرات والمنغصات:

(ا) وسيلة الوعظ والإرشاد كما صنع حاتم مع زوجته ماوية.. التى لم يجد عليها الوعظ والإرشاد ولم يستجب لها زوجها حاتم، فآثرت أن تطلقه هى وكانت العصمة فى يدها.

(ب) ووسيلة مقابلة الشغب بالشغب والشدة بالشدة والعنف بالعنف وإن انتهى به هذا العنف إلى الضرب والفراق والدعاء عليها بالهلاك، وذلك ما صنعه عمرو ابن قميئة فى تأديبه لزوجته المشاغبة قائلا لها:

ينعى على نجم شخيص نحوسه
وأشأم طير الزاجرين سنيحها

فإن تشغبى فالشغب منى سجية
إذا شيمتى لم يؤت منها سجيحها[1]

(ج) ووسيلة التخيير بين الفراق والرضاء بالحال على رجاء وأمل فى تحسن الحال. وذلك ما عبر عنه عبيد بن الأبرص وهو يحدثنا عن عروسه الغضبى التى أصبحت تمط له حاجبيها وتعرض عنه متبرمة بفقره وسوء حاله:

تملك عرسى غضبى تريد زيالى
ألبين تريد أم لدلال؟

إن يكن حبك الفراق فلا
أحفل أن تعطفى صدور الجمال

كنت بيضاء كالمياه وإذ آتيك
نشوان مرخيا أذيالى

فاتركى مط حاجبيك وعيشى
معنا بالرجاء والتأمال[1]

(د) ووسيلة التخيير بين الفراق والضرب بالعصا وإيثار الفراق على الضرب كما مر بنا فى قول الأعشى يخاطب زوجته:

فبينى فإن البين خير من العصا
وإلا ترى لى فوق رأسك بارقة

وما كان الأعشى فى كراهيته لضرب زوجته إلا واحدا من كرام كثيرين لم يرضوا لزوجاتهم حتى فى ذلك العصر الجاهلى مذلة الضرب والإهانة.. على حد قول شاعرهم:

وما أنا بالساعى إلى أم عاصم
لأشربها إنى إذاً لجهول

الغزالى حرب

(١) انظر ديوان عمرو بن قميئة ص ١٤ ومعنى شخيص نحوسه «متعدد شؤمه».

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ١٩٩.

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية :

للدكتور محمود محمد الطنطاوى

هذا الكتاب يقع فى خمسمائة صفحة من القطع الكبير، ومؤلفه مدرس للشريعة بكلية حقوق عين شمس ، أما موضوع الكتاب فهو من الأهمية بمكان ولا سيما فى الآونة الأخيرة التى كثر فيها اللغط حول الأحوال الشخصية ، وأدلى بدلوه فى الميدان كل من هب ودب ، وكأن فى التشريع الإسلامى - فيما يتصل بهذه الأحوال الشخصية - قصورا ، يجب أن تشحذ الأفكار العصرية لتلافيه، وثغرات يجب أن تشهر الأقلام التقدمية لسدها .

ولعل من تحصيل الحاصل أن نكرر أن الشريعة الإسلامية السمحة - فى هذا المضمار قد تفوقت على سائر التشريعات السابقة عليها ، وستظل أيضا متفوقة على أية تشريعات لاحقة عليها ، وأن محاولة الإصلاح المزعومة التى يتزعمها فريق من الناس ، هى ارتداد إلى الوراء ، وتكبيل للحياة بالأغلال التى رفعتها الشريعة الإسلامية عن كواهل البشرية .

لهذا كان من الأجدر بنا أن يقرأ الناس عظمة الشريعة الإسلامية فى مجال الأحوال الشخصية ، ويدركوا أنها حققت للإنسانية أسمى ما تصبوا إليه من سعادة.

قسم المؤلف دراسته إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : فى الزواج وأحكامه ، وقد تضمن أبوابا ثلاثة : مقدمات الزواج وتعريفه - أركان الزواج وشروطه وأحكامه - ثم الحقوق الزوجية .

القسم الثانى : فى إنهاء الزواج ، وقد تضمن أيضا ثلاثة أبواب : الطلاق - التفريق بالقضاء - ثم العدة .

القسم الثالث : فى حقوق الأولاد والأقارب . وقد تضمن خمسة أبواب : النسب - الرضاع - الحضانة - الولاية - ثم نفقة الأقارب .

هذه الدراسة التى بين أيدينا دراسة

منهجية يدرسها طلاب الحقوق، وقد وفق المؤلف حين حاول جهد طاقته أن تكون سهلة العبارة واضحة التقسيمات ، لتصل إلى الأفهام فى يسر وسهولة ، لكن هذه الدراسة بالإضافة إلى ذلك - مرجع واف شامل للباحثين ، ولطلاب المزيد من الثقافة التشريعية ، ومع ذلك فالمؤلف يشير فى مقدمته : « إلى أنه لا يدعى الكمال ، فالكمال لله وحده ، ويكفيه أنه أسهم بقلمه فى هذا الميدان العلمى الواسع ، ويشيد بعمل أولئك الرواد الذين كتبوا قبله فى هذا الموضوع ؛ فهم الذين وضعوا لنا المشاعل فأناروا لنا الطريق ، وإنا على دربهم لسائرون » .

لقد لاحظت أن المؤلف الجليل فى هذه الدراسة يعرض للمسائل الخلافية التى أدلى فقهاؤنا فيها بأراء شتى بأسلوب معتدل يتسم باحترام الرأى الذى لا يميل إليه احترامه للرأى الذى يميل إليه ، بدون تعصب على الرأى الأول ، وبدون تعصب على الرأى الآخر ، وهو عادة يميل إلى الرأى الوسط - إن كان هناك رأى وسط - وإلا اجتهد لإيجاد الرأى الوسط ، واختياره للرأى الوسط ، لأن الإسلام - كما يذكر - دين واقعى يعالج مشاكل الحياة علاجا يراعى الواقع الموجود ، ويهدف إلى الصلاح المنشود ، للفرد وللأسرة وللمجتمع وللإنسانية جمعاء . .

فالفقهاء مثلا اختلفوا فى موضع النظر من المرأة التى يراد خطبتها ، فمنهم من يقف عند حدود رؤية الوجه والكفين ، ومنهم - كالظاهرية - من يجيز النظر إلى جميع البدن ، وهناك رأى وسط يجيز رؤية ما يظهر من المرأة غالبا عند قيامها بأعمالها المنزلية كالرقبة والذراعين والساقين بالإضافة إلى الوجه والكفين ، وإلى هذا الرأى الوسط يميل المؤلف ، لأن الرأى الأول فيه شىء من التضييق ، والرأى المقابل فيه توسع كبير . .

ويؤيد المؤلف رأى من يقول بالكفاءة فى الزواج ويؤيد أن تكون من الأمور المعتبرة فى الكفاءة ، الديانة والمراد بها الصلاح والاستقامة ، كذلك الحرية ، والحرفة ، والإسلام ، والمال ، لكنه لا يؤيد أن يكون النسب من الأمور المعتبرة فى الكفاءة ، ويرى أن هذا كلام لا يليق بمحاسن الإسلام الذى سوى بين

الناس ، ولم يجعل أحداً أفضل من غيره بسبب أصله ، وإنما فضل الناس بعلمهم وتقواهم ؛ أما حديث : « العرب بعضهم أكفاء بعض ـ والموالى بعضهم أكفاء بعض » فهو حديث لا يصح الاستدلال به.

ولست أدرى لم سكت المؤلف عن اعتبار الحرفة والمال من الكفاءة ، فالديانة هى العمدة فى أمور الكفاءة ؟ والحديث المشهور يقول : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء ذات دين أفضل » .

وهناك الحديث الآخر : « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه . . إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ولئن كان فى الحديث مقال ، إلا أن فى غيره من الأحاديث الصحاح والآيات ما يؤيده . .

* * *

وبعد ـ فالذى لا ريب فيه أن الدكتور الطنطاوى قدم لنا دراسة مستفيضة فى الأحوال الشخصية ، ومركزة فى نفس الوقت ، وقد التزم فيها بالموضوعية بلا استغراق فى الآراء الفقهية الخلافية . . لكنا كنا نود ألا يكتفى برد الأحاديث التى استشهد بها إلى أمهات المراجع الفقهية دون الإشارة إلى درجة هذه الأحاديث ، كما كنا نود أن تعنى هذه الدراسة القيمة عناية أكثر بمناقشة المسائل التى تشغل الأذهان فى أيامنا هذه ، وكثر فيها الحديث فى الندوات والصحف والإذاعة . وفى مقدمتها مسألة الطلاق . التى أولاها بعض الحديث .

فقد لخص ما أثير من جدل حول إباحة الإسلام للطلاق ، ثم أشار إلى أنه : « لا مفر لمن أراد الإصلاح من أن يسير على هدى الإسلام وتعاليمه فى هذا الأمر الخطير . ولا شك أن الطلاق يترتب عليه الإضرار بالأولاد ، وربما أدى إلى العداوة والبغضاء بين أسرتى الزوجين . ولكن إذا قيس هذا الضرر بما يترتب على بقاء الحياة الزوجية الفاسدة من أضرار لكان أخف منها بكثير ، والعقل يسلم بارتكاب أخف الضررين ، والشرع ينادى به أيضاً » .

وأخيراً . كنا نود أيضاً أن تكون هذه الدراسة القيمة مهتمة بالبحث المقارن بين الشريعة الإسلامية وبين سواها من

الشرائع السماوية والوضعية معا، ربما كان لأستاذنا الدكتور بعض العذر، فقد روعى فى هذه الدراسة الإيجاز والحيلولة دون الإثقال على الطلبة . .

* * *

● نحو بعث إسلامى :

رسالة موجزة فى ثلاثين صفحة من القطع الصغير نشرتها دار الاعتصام ببيروت للمفكر الهندى وحيد الدين خان ونقلها إلى العربية وقدم لها الأستاذ ظفر الإسلام خان ، كما راجعها الأستاذ عبد الحليم عويس ، وهذه الرسالة - كما يقول مترجما : تمثل شيئا جديدا فى روحها ونصها ، إلى برنامج فكرى موجه إلى أمتنا الإسلامية فى كل مكان، هذه الأمة التى اعتبرت الجهاد السياسى كافيا للخروج من الضياع المحقق الذى تسير إليه شعوبنا . . إن هذا البرنامج يدلنا بعد دراسة دقيقة لواقع الأمم الناهضة ، على أن جهودنا لن تكلل بالنجاح المنشود إلا بإيجاد فكر إسلامى ، كأيديولوجية عملاقة مستقلة . . وإلا بتعليم الشعوب الإسلامية بحيث تمحى الأمية تماما بكافة أنواعها . . وإلا بتصنيع البلاد الإسلامية حتى تصبح مستقلة الاستقلال الحقيقى فى كل الشئون القومية . . والتى أهمها الاقتصاد .

إن هذا البرنامج الموجه إلى أمتنا الإسلامية - على إيجازه - يعنى موضوعات كبيرة على جانب من الأهمية ، فالمفكر الهندى قبل أن يقدم برنامجه العملى يعنى بما وصل إليه غير المسلمين ، واختار لنا اليابان نموذجا يؤكد معرفة رجالها معرفة كاملة لروح العصر الجديد ، بينما نموذجنا يخلو تماما من تلك المعرفة بروح العصر ، كما اختار اليهود أيضا، فهم لا يتعدون ٣٪ من سكان أمريكا ، لكنهم يملكون ٣٠٪ من الاقتصاد الأمريكى ، بل يملكون بعض الأشياء بنسبة ١٠٠٪ .

لذلك يقول المفكر الهندى : « لقد تخلف المسلمون فى كل مكان لأنهم أخطأوا فى تفهم طبيعة العصر، ولم يهيئوا أنفسهم طبقا لما تتطلبه روح العصر الجديدة هذه من انفساح . ومنذ قرن كامل وثمة ضجة تثار فى أرجاء العالم الإسلامى حول ما يسمونه بإحياء الإسلام . . لكن الصخب الشديد قد انتهى بنا إلى حيث نحن الآن ملقون فى غار الذل والعار .

ومما يزيد من عمق تعاستنا أن كل هذا الفشل لم يؤد إلى خلق شعـــور لدى المسلمين ، وإعادة الفكر فيما يجب عمله ، وفى الأسلوب الذى يجب اتباعه . . وكل الشعارات والنعرات التى ثبت فشلها النهائى ـ بحكم شهادة التاريخ ـ مازلنا نسمعها من حين لآخر فى كلمة جديدة أو ثوب جديد . . » .

* * *

● الكسب غير المشروع .

فى جريدة الأخبار المصرية قدمت الكاتبة الأستاذة نادية العسقلانى تحقيقا فى صفحة كاملة عن الكسب غير المشروع والحالات التى أشارت إليها الكاتبة تمثل صـــورا مثيرة . فهناك موظف صغير فى محكمة راتبه الشهرى أقل من عشرين جنيها ، يمتلك ثلاث عمارات وخمسين ألفا من الجنيهات .

وقد خرجنا من هذا التحقيق الصحفى المثير بأن الموظف الذى أثرى عن طريق استغلال وظيفته يعتبر ثراؤه كسبا غير مشروع ويقع تحت طائلة الجزاء القانونى أما الموظف الذى أثرى عن طريق نشاط اقتصادى لا ارتباط له بوظيفته فلا يعتبر كسبه إلا مخالفة مالية دون أن يمس هـذا الكسب .

إن مكاتب الأمن ، والشهر العقارى ، ومصلحة الضرائب ، والمباحث ، تشترك فى كشف حالات الكسب غير المشروع كما أن هناك مكتبا بوزارة العدل يضم خبراء حسابيين وهندسيين وزراعيين يقوم بالدور الأساسى فى بحث الحالات المحولة للتحقيق . .

رحم الله عمر بن الخطاب ، لقد سبق كل القوانين الوضعية فى ملاحقة الكسب غير المشروع ، سواء كان أصحابه موظفين عموميين كالولاة ومن إليهم ، أو كانوا من عامة الناس ، كان يضع الحراس على مداخل المدينة ، حتى إذا عاد إليها أحد الولاة أجرى تحقيقا فيما حمل من الأموال فى إطار : من أين لك هـذا ؟ فيرفض اشتغاله بالتجارة لأن مهمته الولاية ليس إلا ، كما يرفض أن يهدى للولاة لأن الهدايا بالنسبة لهم بمثابة رشوة ، ولذلك شاطر سعد بن أبى وقاص ماله وكذلك أبا هريرة وقد كانا واليين ، عندما تأكد أن أموالهما أكثر من راتبيهما . .

كانت أموال الدولة موضع رعاية عمر لأنها حق لسائر المسلمين، وليس لأحد أن يستأثر بأدنى شيء منه إلا بحق، ولو كان ابن عمر نفسه، فقد بلغه أن ابنيه عبد الله وعبيد الله أرسلا إبلا لهما إلى أرض ذات كلأ هي ملك للدولة فشاطرهما نصف هذه الإبل بعد أن رعت الإبل حتى سمنت، بل لقد شاهد فى يد أحد أطفاله درهما، وعندما علم أن أبا موسى خازن بيت المال قد أعطاه إياه وقد وجده فى الكناسة، وجه كلامه إلى أبى موسى بعد أن استرد الدرهم: «يا أبا موسى ماكان فى أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر؛ أردت أن لا يبقى من أمة محمد أحد إلا طالبنا بمظلمة ...».

بل لقد أرق رسول الله ذات ليلة، وعندما سئل عن سر أرقه قال: وجدت تمرة فأكلتها، فخشيت أن تكون من الصدقة ...» أى من أموال الزكاة: وهى ملك لبيت مال المسلمين . . . .

* * *

● أين هذا النقد المزعوم؟.

كان من اليسير على أن أتجاهل ما كتبه الأستاذ محمود الشرقاوى ـ فى العدد الماضى كرد على ما كتبته فى عدد شوال خاصا بقصة سطوه على كتاب الأخ الشيخ قمر الدولة «رابعة العدوية».

أولا: لأن الأستاذ الشرقاوى لم يقرأ كلمتى كما ينبغى أن تقرأ.. فقد اعتبرها نقدا لكتابه، مع أنها بعيدة كل البعد عن عملية النقد..

ثانيا: لأن الأستاذ الشرقاوى ـ إزاء عجزه عن الدفاع عن نفسه ـ دخل بنا فى متاهات أخرى، فأخذ يتهم الشيخ قمر الدولة بالسطو على كتب غيره ممن سبقوه.

لكنى أحسست من كلمة الأستاذ الشرقاوى المكتوبة على ورق حكومى توهمه أن ذلك يوحى بالتهديد إلى شخصى الضعيف الأعزل إلا من إيمانه ـ ويبدو أنه أحس بأن سيفه الإرهابى مهزوز فى يده، فهدد فى نهاية كلمته باللجوء إلى القانون، لذلك رأيت الرد عليه، لأرجوه فى شىء واحد هو أن يعيد قراءة كلمتى السابقة، ليدرك أننى أعلنت فى بدايتها أننى لست طرفا فى الموضوع، وأننى قلت قبيل نهايتها أن للأستاذ الشرقاوى حق الدفاع عن نفسه إن كان ثمة دفاع يملكه، وقد رحبت المجلة برده مع أنه ليس فيه أى دفاع عن نفسه.

أما ما أخذه على الأستاذ الشرقاوى ، ولامنى عليه : من أننى لو كنت أتابع ما ينشر من كتب ودراسات لعرفت أن « صديق » الشيخ قمر الدولة قد نقل كتابه من كتب سابقة ... فأود أن أقول لصديق الأستاذ الشرقاوى : إننى - أولا - ماقصدت نقد كتاب الشيخ قمر الدولة كما لم أقصد نقد كتابه أيضا ، حتى أكون يقظا لعملية السطو - وثانيا - أن الكتابة عن رابعة العدوية فى رأيى هى كتابة استهلاكية لا تعنينى ولا تعنى أمتنا فى أحوالها الراهنة ..

وكلمة أخيرة : إننى لم يحصل لى شرف رؤية أخى الشيخ قمر الدولة ولا معرفته إلا حين سلمنى الكتابين ومذكرته التفصيلية ، ولو قدر له أن يكون أخى الشقيق بل سيدى ورب نعمتى لما جاملته على حساب الحق ، والأستاذ الشرقاوى يعلم تماما أن قلمى المتواضع أرفع من أن يجامل أخا أو صديقا فضلا عن أن يستجيب لهوى إنسان كائنا من كان . .

لذلك كان خيرا لصديق الأستاذ الشرقاى أن يرد ردا هادئا يدافع فيه عن عن نفسه ، لا أن يحمل قلما - وهو شاهر سيفا - يسيل مداده غمزا ولمزا وتهديدا ووعيدا ..

وسامحه الله ..! ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه . . !

● قراءات :

قال سفيان الثورى :

« أدخلت على أبى جعفر المنصور بمنى فقال لى : ارفع إلينا حاجتك ، فقلت له : اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا فطأطأ أبو جعفر رأسه ثم رفعه . فقال : ارفع إلينا حاجتك ، فقلت : « إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعا ... فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم ، فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال : ارفع إلينا حاجتك ، فقلت « حج عمر بن الخطاب فقال لخازنه : كم أنفقت ؟ قال بضعة عشر درهما ، وأرى هنا أموالا لا تطيق الجمال حملها » .

ثم خرج سفيان رضى الله عنه .

من كتاب « إحياء علوم الدين الجزء الثانى »

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

وردت بعض هذه الأسئلة من السيد الأستاذ الدكتور بسطامى عبد الغنى عميد كلية الآداب - جامعة الحكومة الإسلامية - جاكرتا بأندونيسيا

(السؤال)

ما حكم تشريح الجثث بكليات الطب؟ وما حكم بيع الجثة للمستشفيات الإسلامية والمسيحية ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن دراسة علم الطب عمل ضرورى لمصلحة الفرد والمجتمع لما يتوقف عليه من المحافظة على الجميع من عوامل الضعف التى تعوق عن النشاط فى مجال الدين والدنيا ، وهذا يخالف ما أمر الله تعالى به فى قوله : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » يعنى سيكون عملكم للدين والدنيا مشهودا عند الله ومشهودا عند الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسيجزيكم الله على عملكم بما يراه خير جزاء .

ولذلك يعتبر تدريس علم الطب من فروض الكفاية التى تتعلق بذمة الأمة كلها ، إذا قام به البعض سقط وجوبه عن الآخرين وإذا لم يقم به البعض أثمت الأمة كلها .

وقد ورد عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يتداوى ، وكان يأمر بالتداوى ، ومن أحاديثه فى ذلك « تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء » .

ولا شك أن تعلم الطب يقتضى تعلم علم التشريح لمعرفة الداء وموضع العلة فى الجسم ولتشخيص العلاج النافع بالقدر المستطاع فى ضوء ما يهتدى إليه الطب العارف .

وكذلك تشتد الحاجة إلى تشريح الجثث فى الحوادث الجنائية لمعرفة نوع الجناية وملابساتها والتمكن من إثباتها أو نفيها عن المتهم وذلك تمكين للعدالة

أن تأخذ وضعها الحق فى الأحكام كما هو أوجب الواجبات .

وجملة القول أن التشريح لمثل هذه المقاصد أمر يرتبط كثيرا بحياة الناس فلا بد منه ولا شبهة فى إقراره .

ولا يقال : إن المسلمين فى أول زمنهم لم يكونوا يعولون على التشريح ولو كان جائزا لفعلوا ، فجواب ذلك أن المتقدمين لم يكونوا قد عرفوا التشريح بل كانت وسائل العلاج عندهم محدودة وبقدر تجاربهم فى مجتمعهم الخاص .. ثم إن العلم يتقدم بتقدم الزمن ويتسع أفقه بمواصلة البحوث الجديدة ويظهر من أسراره مع الأيام ما لم يكن معهودا من قبل . والدين يحضنا على التوسع فى العلم النافع للأخذ بكافة أنواعه المفيدة .

فإذا توصلنا إلى جديد كتعلم التشريح كان العمل به تجاوبا مع دعوة الدين إلى العلم . أما بيع الجثث إلى المستشفيات الإسلامية والمسيحية فنفيد بأنه لا يجوز بيع هذه الجثث إلى المستشفيات أو غيرها لأنها ليست مالا ، بالإضافة لما فيه من امتهان لحرمة وكرامة الميت بجعلها سلعة تباع وتشترى . والله تعالى أعلم .

(السؤال)

فى أندونيسيا بنك يسمى « بنك اللبن » وهو عبارة عن مستودع يدخر فيه لبن الأمهات ويستخدم فى المستشفيات لإرضاع عدد كبير من الأطفال وقد سبب هذا الإجراء خلافا بين رجال الدين ، فهل ثمة أخوة فى الرضاعة أم لا ؟ : بسبب تناول هذا اللبن ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأنه إذا أخذ اللبن من امرأة معينة أو نساء معينات خمس مرات متفرقات متيقنات وأرضعته الأطفال كذلك خمس مرات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع وهو الحولان من عمر الطفل ثبت التحريم بين هؤلاء الأطفال بعضهم مع بعض لأنهم أخوة من الرضاع وبينهم وبين هؤلاء النساء لأنهن أمهات لهم من الرضاع وكذا ثبت التحريم بينهم وبين من ينتمى إلى هؤلاء النساء من أصولهن وفروعهن ومن حواشيهن ، ومثل ذلك الرجال أصحاب اللبن . فإن كانت النساء غير معينات أو لم

يتيقن عدد الرضعات الخمس فلا تحريم عملا بالأصل عند الشافعية وهو الحل فإنه لا ينتقل عنه إلا بيقين، وعلى سبيل الترخص عند الحنفية فى مثل هذه الحالة فإنه وإن كان الأصل فى الرضاع عندهم التحريم إلا أنهم ترخصوا فى مثل ذلك لئلا ينسد باب النكاح ، قال فى كتاب الدر المختار مانصه: «ولو أرضعها أكثر أهل القرية ثم لم يدر من أرضعها فأراد أحدهم تزوجها إن لم تظهر علامة ولم يشهد بذلك جاز » علق ابن عابدين على قول (جاز) فقال هذا من باب الرخصة كيلا ينسد باب النكاح . وهذه المسألة خارجة عن قاعدة الأصل فى الإرضاع التحريم والله تعالى أعلم .

(السؤال)

عندنا فى أندونيسيا مسحوق من الأرز أو الشعير يحمض ثم يوضع فى مأكول ويترك ثلاثة أيام حتى يتخمر - فما حكم ذلك الطعام ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن مثل هذا الطعام لا يجوز أكله لأن الكثير منه مسكر وما أسكر كثيره فقايله حرام ، فقد نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم عن قايل ما أسكر كثيره .

وقد وردت الأحاديث النبوية بما يفيد أن الخمر عام فى كل مسكر من ذلك ماجاء عن نعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا ومن الزبيب خمرا ومن التمر خمرا ومن العسل خمرا ، وإنما نهى عن كل مسكر ، رواه أحمد .

كما جاءت الأحاديث بتحريم القايل مما يسكر كثيره ، ومن ذلك ماجاء عن سعد بن أبى وقاص أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قايل ما أسكر كثيره .

وبهذا علم الجواب والله تعالى أعلم .

(السؤال)

من السيد / كريم محمد كريم

وقف خيرى على إصلاح مسجد ومصاريف إدارته وابن السبيل، وصدرت من الأزهر فتوى بعدم جواز صرف ريع الوقف على غير مصارفه المذكورة ولكن ناظر الوقف أراد ترضية بعض أولاد الواقف وذلك بتخصيص مبلغ ٤٠ جنيها من ريع الوقف المذكور لأولاد الواقف وقرأ الفاتحة على تنفيذ ذلك .

ولكنه الآن قد راجع نفسه فيما فعل فماذا يعمل وقد حلف اليمين وقرأ الفاتحة ويريد أن يعود إلى تنفيذ شرط الواقف كما حكم الشرع ؟

الجـــواب :

أما بعد فنفيد بأن قراءة الفاتحة على تنفيذ أمر يخالف حكم الشرع لا يجوز كما لا يجوز تنفيذ ما اتفق عليه وقراءة الفاتحة من أجله ، وعليه أن يستغفر الله تعالى رجاء أن يقبل توبته والله تعالى أعلم .

* * *

السؤال من السيد/ محمد عادل (من الفلبين)

(أ) فى الفلبين بساتين لجوز الهند ويحدث فى بعض الأحيان أن يقول صاحب البستان لصاحب « النقود » إذا أعطيتنى مائة (بيزو) فيكون لك قطع ثمار جوز الهند لمدة سنة مثلا ، علما بأن جوز الهند تقطع ثماره كل شهرين أى ست مرات فى السنة ، فما حكم هذه المعاملة فى الشريعة الإسلامية ؟

(ب) فى الفلبين يحصل فى بعض الأحيان عند زراعة الأرز ووقت الحصاد أن يؤجر صاحب المزرعة عمالا لزراعته أو لحصده ، وذلك نظير أن يأخذ العامل جزءا من المحصول : فما حكم ذلك فى الشريعة الإسلامية ؟

وهل يزكى صاحب المزرعة عن جميع ماحصد قبل أخذ العمال مايخصهم أو بعده؟

الجـــواب :

أما بعد فنفيد عن الأول بأنه بمناقشة السائل قرر أن ثمرة جوز الهند لا تنقطع وهى متلاحقة وحينما يجنى ما بدا صلاحه يكون فى الشجرة ثمر خلافه لم يبد صلاحه وعلى هذا تكون هذه الثمرة غير متناهية ولا متميزة ومثل هذه الثمرة يجوز بيعها بشرطين : الأول : أن يكون فى الشجرة وقت العقد ثمر بدا صلاحه ، والثانى : أن يكون البيع مقيدا بمدة كسنة مثلا .

وهذا ما اختارته لجنة الفتوى بالأزهر من المذاهب تيسيرا على الناس .

وعن الثانى : بأن هذه الإجارة باطلة لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قفيز الطحان الذى رواه الدارقطنى ومعناه النهى عن أخذ الأجير جزءا مما يعمل فيه أجرة لعمله .

وعلى صاحب الزرع زكاة جميع ما حصد العمال والله تعالى أعلم ؟

أنباء وآراء

مأساة المسلمين فى الفلبين :

أولت « مجلة الأزهر » مأساة مسلمى الفلبين كل اهتمام وتوالت أعدادها الأخيرة تنبه إلى أمرها وتشير - فى وضوح تام - إلى عناصر تحريكها ، ولقد بلغت المأساة الآن ذروتها بانتقالها من قتل المجموعات إلى الإبادة التامة للمسلمين .

وتشير كل التقارير إلى تحالف إسرائيلى مسيحى جمعته أهداف واحدة لإبادة المسلمين ؛ ففى زيارة جولدا مائير للفلبين عام ١٩٦٤ - وكانت يومئذ وزيرة الخارجية لإسرائيل - انتهى اجتماعها بالزعماء المسيحيين إلى اتفاق تتحمل فيه إسرائيل مساعدة الفلبين بمعونات مادية ومعنوية اشترطت جولدا مائير مقابلها أن يعمل المسيحيون بكل طاقتهم على امتلاك الأراضى الإسلامية فى الجنوب ، وتسلم « فرديناند ماركوس » رئيس الجمهورية عشرة ملايين دولار مساعدة من إسرائيل أعقبتها شحنة أسلحة سلمت جميعها إلى عصابة (إيلاجوس) التى تمارس قتل المسلمين وتشريدهم .

ولما كان المسلمون - وهم أهل البلاد الأصليون - لم يعنوا فى كثير من الأحوال بتسجيل مساحات أراضيهم فطنوا إلى ما يفعله بهم مهاجرو الشمال من تسجيل مساحاتها بأسمائهم ثم انتزاع ملكيتها عن طريق المحاكم ، وأمام هذه الفطنة استعمل المسيحيون السلاح لقهر المسلمين وتشريدهم لإقصائهم عن الجنوب وانضم للعناصر الإرهابية أكبر قوتين فى الفلبين : الجيش والبوليس .

وقد استحكم التحالف الإسرائيلى المسيحى فى مخططه التنفيذى باثنين من الصهاينة هما : « مانويل أليسالدى » مستشار الرئيس « فرديناند ماركوس » لشئون الأقليات ، والجنرال « هانزمنزى » مستشار ماركوس الخاص وكلا الرجلين يمتلكان مزارع شاسعة فى جنوب الفلبين حيث يسيطر المسلمون ويقفون حجر عثرة فى سبيل توغل النفوذ الإسرائيلى .

وكان بإمكان الرجلين أن يحركا كل القوى التنفيذية والضاربة لإبادة المسلمين توافقهما فى ذلك رغبة الحكومة الفلبينية فى تشجيع التبشير .

وإزاء ما وصلت إليه الأمـــور فى الفلبين دعا فضيلة الإمام الأكبر مجلس الأزهر الأعلى ومجلس مجمع البحوث الإسلامية إلى اجتماعين طارئين اتخذت فيهما القرارات التالية :

قرارات المجلس الأعلى للأزهر :

عقد المجلس الأعلى للأزهر جلسته الطارئة الثالثة والعشرين فى الواحدة من بعد ظهر يوم الأربعاء ١٥ من المحرم سنة ١٣٩٢ هـ الموافق الأول من مارس سنة ١٩٧٢ للنظر فى الحادث الأليم الذى حل بالمسلمين فى جنوب الفلبين على أيدى العصابات الكاثوليكية وانتهى بشأن ذلك إلى القرارات الآتية :

١ — إرسال وفد من علماء الأزهر فورا إلى الفلبين للاتصال بالمسئولين والمسلمين هناك للعمل على تسكين الفتنة ووقف الاضطهاد .

٢ — إرسال برقية إلى المؤتمر الإسلامى المنعقد الآن فى جدة للعمل السريع على إنقاذ مسلمى الفلبين من هذه الاضطهادات والمذابح التى تنزل بهم .

٣ — تفويض فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس مجلسه الأعلى فى الاتصال بالحكومات الإسلامية لبذل جهودها العاجلة فيما يدفع هذه الكارثة عن المسلمين فى الفلبين .

٤ — الموافقة على اشتراك الأزهر فى المؤتمر الإسلامى الأول الذى سيعقد فى « مانيلا » فى شهر يونيو سنة ١٩٧٢م لمناقشة مشاكل المسلمين هناك .

٥ — الموافقة على زيادة عدد علماء الأزهر المبعوثين إلى الفلبين وزيادة المنح المخصصة للطلاب من أبناء هذه البلاد .

* * *

وقرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية إرسال البرقية التالية إلى مؤتمر وزراء الخارجية ؛ وقد رفعها فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام شيخ الأزهر .

السيد رئيس مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى بجدة - المملكة السعودية .

بناء على ما قرره مجلس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بجلسته الطارئة المنعقدة فى مساء يوم الأربعاء ١٥ المحرم ١٣٩٢ الموافق أول مارس ١٩٧٢ .

نبلغكم قلق المجلس إزاء ما يلاقيه المسلمون بالفلبين من عمليات الإبادة والاضطهاد ويرجو المجلس من المؤتمر اتخاذ الخطوات اللازمة لإنقاذ المسلمين من المصير الذى يتهددهم فى تلك البلاد .

وفقنا الله وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

شيخ الأزهر
ورئيس المجمع
(دكتور محمد محمد الفحام)

كذلك قرر مجلس المجمع أن تكون مسألة « المسلمين بالفلبين » موضع دراسة وبحث بالمؤتمر السابع للمجمع .

وقد تقرر عقد المؤتمر فى أول شعبان ١٣٩٢ ﻫ الموافق ٩/٩/١٩٧٢ م .

● اختتم مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى أعماله يوم السبت ١٨ من المحرم ١٣٩٢ الموافق ٤/٣/١٩٧٢ ، وحظيت قضية مسلمى الفلبين ، ومسألة الشرق الأوسط فى هذه الدورة باهتمام خاص .

وأكد المؤتمر التزام الدول الأعضاء بالوقوف ضد الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس كذلك قرر أن يجتمع وزراء خارجية الدول الإسلامية فى نيويورك قبل الدورة القادمة للجمعية العامة للأمم المتحدة لتنسيق ضغط إسلامى فعال ضد إسرائيل.

● ليبيا تصدر قانون الزكاة :

أصدرت الحكومة الليبية قانونا بفرض الزكاة فى ٩ من رمضان ١٣٩١ الموافق ٢٨ من أكتوبر ١٩٧١ اشتمل القانون على أربعة أبواب :

فصل الباب الأول : أحكام الزكاة ومن تجب عليه واستغرق أربع وعشرين مادة وبين الباب الثانى - فى عشر مواد — إجراءات تحديد الزكاة وجبايتها، واختص الباب الثالث - فى ثلاث مواد - بتفصيل العقوبات التى توقع على ما نعى الزكاة ، وتناول الباب الرابع - فى تسع مواد - أحكاما عامة حول علاقة الجهاز الحكومى وتحديد مسئولياته تجاه القانون .

ألزم القانون الأفراد بتقديم إقرار يتضمن بيانا بالأموال التى تجب فيها الزكاة وقيمة كل نوع منها (مادة ٢٦ الباب الثانى) وجاء فى المادة (٢٣) من الباب الأول (يؤدى الزكاة فى أول شهر المحرم التالى لصدور هذا القانون كل من وجد عنده النصاب فى ذلك التاريخ) .

● اللغة العربية لغة رسمية باللجنة القانونية لدول آسيا وأفريقيا .

وافقت اللجنة القانونية لدول آسيا

وإفريقيا أثناء اجتماعها فى «لاجوس» عاصمة نيجيريا على اعتبار اللغة العربية لغة رسمية. يعطى هذا القرار للمنتدبين العرب الحق فى إلقاء كلماتهم باللغة العربية.

كان المستشار عادل يونس رئيس محكمة النقض ورئيس وفد مصر إلى المؤتمر صاحب الاقتراح.

● اللغة العربية فى مراحل التعليم

أوصى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى جلسته الختامية المنعقدة فى ٦ من المحرم ١٣٩٢ - ٢١ / ٢ / ٧٢ بمزيد من العناية باللغة العربية فى مراحل التعليم المختلفة بحيث يقصر التعليم فى المرحلة الابتدائية على اللغة العربية وحدها، وتبقى هذه اللغة أساسية فى المراحل التالية، كذلك أوصى المؤتمر أن يستكمل تعريب التعليم الجامعى فى البلاد العربية.

● أتم الأستاذ مصطفى حجازى مراقب المعجمات وإحياء التراث بمجمع اللغة العربية بالقاهرة تحقيق الجزء العاشر من كتاب المحكم لابن سيده، كذلك أتم الدكتور عبد العزيز برهام الأستاذ بآداب الإسكندرية تحقيق الجزء الحادى عشر من الكتاب، وبذلك تم تحقيق الكتاب كله.

● مرت أربع وثلاثون سنة على صدور مجلة (غلاسنيق) الإسلامية اليوغوسلافية.

وقد صدر العدد الأول منها فى يناير ١٩٣٣ ثم توقفت عن الصدور خمس سنوات بدأت من عام ١٩٤٥ إلى ١٩٥٠.

والمجلة تصدرها الرئاسة الإسلامية العليا بالجمهوريات اليوغوسلافية. وتعنى بالشئون الدينية ومشاكل مسلمى يوغوسلافيا

وتضم المجلة التى تصدر بلغة مواطنيها ملحقا عربيا يقوم بتلخيصه الحاج حسين جوزو أحد زعماء مسلمى يوغوسلافيا.

وتعطى المجلة قارئها أحكاما مبسطة فى شتى المسائل الدينية.

● قامت بعثة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية إلى أسبانيا خلال الفترة من ١٢ / ٦ / ٧١ إلى ٢٥ / ٨ / ٧١ بانتقاء وفهرسة وتصوير عدد كبير من نوادر المخطوطات العربية الموجودة فى المكتبة الوطنية بمدريد ومكتبة الأسكوريال وغيرهما.

وقد حرص المعهد أن ينوه عن هذه المخطوطات تباعا فى نشرته «أخبار التراث العربى».

علی الخطیب

القــــادر

قل هو القادر على أن يبعث عليـكم عذابا من فوقـكم أو من تحت أرجلـكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون .

(الأنعام ٦٥)

(Say he is able to send punishment upon you from above you or from beneath your feet or to bewilder you with dissenstion and make you taste the tyranny one of another See sension and make you taste the tyranny one of another. See how We display the revelations so that they may understand.)

المقتــــدر

كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر . (القمر ٤٢)

(Who denied Our revelations every one Therefore We grasped them with the grasp of the Mighty the Powerful)

المقدم المؤخر

ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر .

(القيامة ١٣)

(On that day man is told the tale of that which he hath sent before and left behind.)

الأول الآخر الظاهر الباطن

هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . (الحديد ٣)

(He is the first and the Last and the Outward and the Inward and He is knower of all things.)

الــــوالى

له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال.

(الرعد ١١)

(For him are angels ranged before him and behind him who guard him by Allah's command Lo Allah changeth not the condition of a folk until they (first) change that which is in their hearts and if Allah willeth misfortune for a folk there is none that can repel it nor have they a defender beside Him.)

(to be continued)

death then life again and then unto Him You will return.)

الحى القيـــوم

الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سـنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم . (البقرة ٢٥٥)

(Allah There is no God save Him the Alive the Eternal Neither slumber nor sleep overtaketh Him Unto Him belongeth whatsoever is in the heavens and whatsoever is in the earth Who is he that intercedeth with Him save by His leave ? He knoweth that which is in front of them and that which is behind them while they encompass nothing of His knowledge save what He will His throne includeth the heavens and the earth and He is never weary of preserving them He is the Sublime the tremendous.)

الواجـــد

فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . (آل عمران ٣٧)

(And her Lord accepted her with full acceptance and vouchsafed to her a goodly growth and made Zachariah her guardian Whenever Zachariah went into the sanctuary where she was he found that she hod food He said O Mary Whence cometh into thee this (food) ? She answered it is from Allah. Allah giveth without stint to whom He will.)

المـــاجد

ذو العرش المجيد . (البروج ١٥)

(Lord of the Throne of Glory.)

الواحـــد

وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . (البقرة ١٦٣)

(Your God is One God there is no God save Him the Beneficent the Merciful.)

الصـــمد

قل هو الله أحـــد الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .
(الإخلاص ١ ، ٢)

(Say He is Allah the One Allah the eternally Besought of all He begetteth not nor was begotten And there is none comparable unto Him).

(They measure not Allah His rightful measure Lo Allah is Strong Almighty.)

المتـــين

إن الله هو الرزاق ذو القوة المتـين .
(الذاريات ٥٨)

(Lo Alla He it is that giveth livelihood the Lord of unbreakable might.)

الـــولى

ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لـكم من دون الله من ولى ولا نصير .
(البقرة ١٠٧)

(Knewest thou nct that it is Allah unto Whom belongeth the soveraignty of the h avens and earth and ye have nct beside Allah any friend or helper.)

الحميـــد

قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليـكم أهل البيت إنه حميد مجيد .
(هود ٧٣)

(They said Wonderest thou at the commandment of Allah The mercy of Allah and His blessings be upon you O people of house Lo He is Owner of Glory.)

المحصـــى

ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا. (الـكهف ١٢)

(And afterward We raised them up that We might know which of the two p rties would best calculate the time that they had tarfied.)

المبدى المعـــيد

إليه مرجعكم جميعاً وعـد الله حقـاً إنه يبـدئ الخلق ثم يعيـده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون.
(يونس ٤)

(Unto Him is the return of all of you, it is a promise of Allah in truth. Lo He produces creation then reproduces it, that He may reward those who believe and do good works with eqiuty while as for these who desbelieve theirs will be a boiling drink and painful doom because they desbelieved.)

المحي المميت

كيف تـكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتـكم ثم يحييـكم ثم إليه ترجعون .
(البقرة ٢٨)

(How disbelieve you in Allah when you were dead and He gave life to you. Then he will give you

(Ask pardon of your Lord and then turn unto Him (repentant) Lo my Lord is Merciful Loving.)

المجيـــد

ذو العرش المجيد. (البروج ١٥)

(Lord of the Throne of Glory.)

البـــاعث

وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجلا مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون. (الأنعام ٦٠)

(He it is who gathereth you at night and Knoweth that which ye commit by day. Then He raiseth you again to Life therein that the term appointed (for you) may be accomplished. And afterward unto Him is your return. Then He will proclaim unto you what ye used to do.)

الشهيـــد

ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد. (المائدة ١١٧)

(I spoks unto them o only that which thou commandest me (saying) Worship Allah my Lord and your Lord I was a witness of them while I dwelt among them and when thou tookest me Thou wast the Watcher over them Thou art Witness over all things.)

الحـــق

فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما. (طه ١١٤)

(Then exalted be Allah the True King And hasten not (O Mohammad with the Quran ere its revelation hath been perfected unto thee and say My Lord increase me in knowledge.)

الوكيل

الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. (آل عمران ١٧٣)

(Those unto whom men said Lo the people have gathered against you therefore fear them (The threat of danger) but increased the faith of them and they cried Allah is sufficient for us Most Excellent is He in Whom we trust.

القـــوى

ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز. (الحج ٧٤)

him abstain generously (from taking of the property of orphans) and whoso is poor let him take there of in reason (for his guardianship) And when you deliver up their fortune unto orphans have (the transaction) witnessed in their presence Allah sufficeth as a Reckoner.)

الجليــــل

ويبقى وجه ربك ذو الجـلال والإكرام (الرحمن ٢٧)

(There remaineth but the coutenance of your Lord of Might and Glory.)

الكـريم

فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الـكريم . (المؤمنون ١١٦)

(Now Allah be exalted the True King There is no God save Him the Lord of the Throne of Grace.)

الرقيــــب

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . (المائدة ١١٧)

(I spoke unto them only that which Thou commandst me (saying) Worship Allah my Lord and your Lord I was a witness of them while I dwelt among them and when Thou tookest me Thouwast the Watcher over them. Thou art witness over all things.)

المجيب

قال قد أجيبت دعوتـكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون.(يونس ٨٩)

(He said Your prayer is heard Do you twain keep to the straight path and follow not the road of those who have no knowlege.)

الواسع

ولله المشرق والمغـــرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم. (البقرة ١١٥)

(Unto Allah belong the East and the West and whither soever ye turn there is Allah's coutenance Lo Allah is All Embracing All Knowing.)

الحكيم

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحـكيم . (الحشر ١)

(All that is in the heavens and all that is in the earth glorifieth Allah and He is the Mighty the Wise.)

الـــودود

واستغفروا ربـكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود . (هود ٩٠)

(They made for him what he willed synagogues and statues basins like wells and boilers built into the ground Give thanks O House of David Few of My bondmen are thankful.)

العـــلى الـكبير

ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الـكبير . (الحج ٦٢)

(That is because Allah He is the True and that wheron they call instead of Him it is the False and because Allah He is the High the Great.)

الحفيـــظ

وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منهـا فى شك وربك على كل شىء حفيظ . (سبأ ٢١)

(And he had no warrant whatsoever against them save that We would know him who believeth in the Hereafter from him who is in doubt thereof and your Lord (O Muhammad) taketh note of all things.)

المقيـــت

ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولـكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلمـا تجلى ربه للجبل جعـله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين . (الأعراف ١٤٣)

(And when Moses came to Our appointed tryst and his Lord had spoken unto him he said My Lord Show me (your self) that I may gaze upon you He said You will not see Me but gaze upon the mountain if it stand still in its place then you will see Me And when his Lord revealed (His) glory to the mountain He sent it crashing down And Moses fell down senseless. And when he woke he said Glory unto you I turn unto you thee repentant and I am the first of (true) believers.)

الحســـيب

وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشـــدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبدارا أن يـكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا. (النساء ٦)

(Prove orphans till they reach the marriageable age then if you find them of sound judgement deliver over unto them their fortune and devour it not by squandering and in hast lest they should grow up Whose (of the guardans) is rich let

اللطيف الخبــــير

لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار
وهو اللطيف الخبـــير .
(الأنعام ١٠٣)

(Vision compreheneth Him not but He comprehendeth (all) vision He is the Subtile the Aware.)

الحـــليم

قالوا يا شعيب أصواتك تأمرك آن نترك
ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء
إنك لأنت الحـــليم الرشيد .
(هود ٨٧)

(They said O Shueyb doth your way of prayer command you that we should forsake that which our fathers (used to worship or that we (should leave off) doing what we will with our own property Lo thou are the mild the guide to right behaviour.)

العـــظيم

الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما فى السموات ومافى الأرض
من ذا ألذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من
علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات
والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلى
العظيم .   (البقرة ٢٥٥)

(Allah there is no God save Him the Alive the Eternal Neither slumber nor sleep overtaketh Him Unto Him belongeth whatsoever is in the heavens and whatsoever is in the earth Who is he that intercedeth with Him save by His leave ? He knoweth that which is in front of them and that which is behind them while they encompass nothing of His knowledge save what He will His throne includeth the heavens and the earth and He is never weary of preserving them He is the Sublime the Tremendous.)

الغفـــور

يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
الرحيم الغفور .   (سبأ ٢)

(He knoweth that which goeth down into the earth and that which cometh forth from it and that which descendeth from the heaven and that which ascendeth into it He is the Merciful the Forgiving.)

الشكــور

يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل
وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا
آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور .
(سبأ ١٣)

straiteneth (it for whom He will) Lo He was ever Knower Seer of His slaves.)

الخـافض الرافع

إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة . (الواقعة ٣)

(When the event befalleth There is no denying that it will befall Abasing (some) exalting (others).

المعز المـــذل

قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير . (آل عمران ٢٦)

(Say o Allah Oxner of Sovereignty thou givest sovereignty unto whom Thou wilt and Thou withdrawest sovereignty from whom Thou wilt Thou exaltest whom Thou wilt and Thou abasest whom Thou wilt In your hand is the good Lo Thou art Able to do all things.)

السميع البصــير

إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير . (غافر ٥٦)

(Lo those who wrangle concerning the revelations of Allah without warrant having come unto them there is naught else in their breasts save pride which they will never attain So take thou refuge in Allah Lo He only He is the Hearer the the Seer.)

الحـــكم

وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيراً . (النساء ٣٥)

(And if you fear a breach between them twain (the man and wife) appoint an arbiter from his folk and an arbiter from her folk If they desire amendment Allah will make them of one mind Lo Allah is ever Knower Aware.)

العـــدل

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون . (النحل ٩٠)

(Lo Allah enjoineth Justice and kindness and giving to kinsfolk and forbiddeth lewdness and abomination and wickedness He exhorteth you in order that you may take heed.)

الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . (الحشر ٢٤)

(He is Allah, the Creator, the Shaper out of naught, the Fashioner His are the most beautiful names. All that is in the heavens and the earth glorifieth Him and He is the Mighty the Wise).

الغفـــار

تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار .
(غافر ٤٢)

(You call me to disbelieve in Allah and ascribe unto Him as partners that whereof I have no Knowledge while I call you unto the Mighty the Forgiver).

القهـــار

يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء لمن الملك اليوم لله الواحد القهـــار .
(غافر ١٦)

(The day when they come forth nothing of them being hidden from Allah Whose is the sovereignty this day ? It is Allah's the One the Almighty).

الوهـاب

أم عندهم خزائن رحمـــة ربك العزيز الوهـاب . (ص ٩)

(Or are theirs the treasures of the mercy of your Lord the Mighty the Bestower ?)

الرزاق

إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .
(الذاريات ٥٨)

(Lo Allah He it is that giveth livelihood the Lord of unbreakable might.)

الفتاح العـــليم

قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم . (سبأ ٢٦)

(Say Our Lord will bring us all together then He will judge between us with truth He is the All Knowing Judge.)

القـــابض

ثم قبضناه إلينـــا قبضا يســـيرا .
(الفرقان ٢٦)

(Then We withdraw it unto Us gradual withdrawal)

البـاسط

إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصـــيرا .
(الإسراء ٣٠)

(Lo your Lord enlargeth the provision for whom He will, and

THE ATTRIBUTES OF 'ALLAH'

— In the Verses of the Quran

Prepared By :

HUSSAIN EL-TIBY AFFIFY

(Continued from Privious Issue)

The general attitude of the Quran in respect of the Attributes of Allah is expressed in the following verse :

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى
(الإسراء ١١٠)

"Say ; Call upon (the Almighty God) Allah or call upon Him Al Rahman (the Beneficent) by whichsoever yoy will invoke Him ; He has most beautiful names".   (17 : 110)

Here the Quran designates the Attributes of Allah as beautiful names. The Quran refers to them very freely throughout the Book. The followings are the Quranic expressions to those Attributes :

الله   الرحمن   الرحيم

هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . (الحشر ٢٢)

(He is Allah than whom ther is no other God the Knower of the invisible and the visible He is the Beneficent the Merciful).

الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . (الحشر ٢٣)

(He is Allah than whom there is no other God the Sovereign Lord, the Holy One, Peace, the Keeper of Faith, the Guardian, the Majestic, the Compeller, the Superb, Golorified be Allah from all that they ascribe as partner (unto Him).

الخالق البارىء المصور

هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء

and fears or lays hopes on nobody except God, Who is the real source of benefit or harm. The Almighty says :

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير. الأنعام

It means : " And if God touch you with affliction, there is none to remove it but He. And if He touch you with good, He is Possessor of power over all things. "

Equality in Islam is not only based upon Islamic creed but also upon its obligations of worship and ethics.

Prayer is practical application of equality. When praying, people stand in orderly lines behind the leader of the prayer, following his movements in complete obedience and equality. No special place for the distinguished or common people. The position of prostration in prayer is a wonderful example of equality in supplication and servitude to God. All praying persons put their forheads on the ground whatever their social position was. No one, no matter of his high rank, is relieved from prostration. All are equal in front of God, and no prayer of any of them is accepted unless he was sincere and humble. This is the reason behind the saying of the Prophet :

"The moment which brings one closest to God is that when he prostrating himself in prayer."

The prayer which is performed in lines in congregational manner is not looked upon by God on the bases of show or social position or high rank. It is rather accepted by God if it is performed with sincerity and with spiritual cleanliness from hatred and malice. Then, equality is realized in a manner that has nothing to do with authority, wealth or worldly position. When all people realize this, weather high or humble, they learn the right meaning of equality in front of God, irrespective of race, colour, nationality, or social position.

When we consider fasting, which is another kind of Muslim worship, we find that it is also obligated on all Muslims on the footing of equality. The example of the worship of pilgrimage is even more effective to train people in equality. All pilgrims put off their ordinary clothes and put on similar clothes which level off all their differences, with no signs of distinction or richness.

On such high prinsiples and beliefs, the system of equality in Islam is based.

wrote to Abu-Moosa Al-Ashari, one of his governors : "You are no more that an ordinary man in the nation, except that you are charged with heavy responsibility. Know that who is charged with Muslim affairs should be so dedicated just like the slave who is dedicated to the service of his master." The third Caliph Othman ibu Affan said in one occasion : " I am used always to repent and turn away from any mistake I committed. So let your distinguished people come to me and show me the wrong I have done. For I swear by God that if I was turned no to be on the truth side, let me be disgraceful and ashamed in the whole community."

This great Islamic revolution in political administration is the vital force which directed Muslim armies to go forth out of The Arabian Peninsula to dethrone the dictatorial systems and establish the principle of equality.

Equality in Islam is based upon Islamic faith. Muslim are taught by their religion that God is the Supreme Power in the universe ; that He is the Possessor and Owner of everything ; and that all people are servants to Him, The Holy Quran says :

إن كل من في السموات والأرض إلا
آتى الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدهم عدا.
وكل آتيه يوم القيامة فردا . — مريم

It means : "There is none in the heavens and the earth but comes to the Beneficient as a servant. Certainly He comprehends them and numbers them all. And every one of them will come to Him on the Day of Resurrection alone."

God, the Creator of mankind, endowed them with different powers and various talents to put them on trial regarding what they have and what they do. People of authority or wealth have to use the favours of God in the right way, and must not take advantage over others because of their power or wealth. God, the Almighty, says :

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون . وستردون إلى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون. ـ التوبة

It means : " And say : Work ; so God will see your work and so will His Messenger and the believers, And you will be brought back to Knower of the unseen and the seen, then He will inform you of what you did."

The real Muslim looks for all people, weak or powerful, on the same level of respect and equality ;

Prophet wishes to win them to his side. But the Revelation came with the decisive answer through the Quranic words; which mean :

"And drive not away those who call upon their Lord, morning and evening, desiring only His pleasure. Neither are you accountable for them in something, nor are they accountable for you in something, that you should drive them away and thus be of the wrongdoers."

This means that principles must accept no compromise. Whoever adopts Islam, let him clean up himself from the false pride over family descent, noble position or any such discriminatory consideration.

Islam laid down the principle of equality between the ruler and the ruled in the general rights. Administration of nation affairs is considered a social and political service for the public with a qualified authority, and with a certain compensation. This meaning was completely new in the great empires which ruled the world before Islam : Rome, Persia, and Egypt. Some of the ancient despots such as the pharoes of Egypt were even worishpped by their subjects. Compare this with what the prophet was ordered to declare about himself : that he is no more than a human like anyone else, as the Quran says :

قل إنما أنا بشر مثلكم . . . ـ الكهف

It means : "Say : I am but a human like you . . . "

The first Caliph, Abu - Bakr, addressed the nation after he was elected to his office : "O people ! I have been chosen to be your ruler while I am not the best of you. If I do right obey me, and if I do wrong, guide me. The powerful and unjust among you I consider him weak until I force him to justice, and the weak and wronged person is considered powerful with me until his right is given back to him. Obey me so long as I observe God regarding your affairs, but if I disobey Him, then I have no right of obedience against you."

Omar, the second Caliph said : "The parable of you and me is like a group in a ship in the middle of a storm sea. Their captain is obeyed so long as he sails the ship to the safety. But if he misuse his position to the danger of the group, they have to kill him if necessary. "Talha, who was among the present people hearing the words of the Caliph said : "Would it not be sufficient to remove the man from his job rather than to kill him ? " Omar said : "To kill him is more threatning and effective for those who take over after him." Omar is also reported that he

submerged in the evils of other societies such as the Roman, the Presian and the Greek. Colour discrimination was committed in Arabia, even against celebrated personalities, such as the famous poet Antara ibn Shaddad. Islam abrogated the evil of discrimination, so that Bilal, a black slave, was a respected companion of the Prophet and became the caller or "muazzin" of the Prophet. When Muslims conquered Mecca, Bilal went up the Ka'aba and raised his voice with Islamic declaration, while he could not even come near it before. It is reported that Abu-zar Al-Ghifari, the companion of the Prophet, called a negro in the middle of a hot quarrel.: "O son of the black woman!" The prophet happened to hear him, and said to him very angrily: "Do you reproach him with his mother?

Certainly you are acting in the spirit of Ignorance Time (before Islam). Know that there is not superiority for the son of the white over the son of the black except through piety and good deeds." Abu-Zarr was so sorry and repentful that he went to his wronged man to excuse himself and put his cheek on the ground and requested him to tramp it down with his feet, as a sign of his great repentance.

Islam always stood beside the weak, the unfortunate and the unprivileged to restore for them their full rights on the basis of justice and equality. It is reported that the Prophet was once sitting with some of his companions when one of a high rank in the society passed. The Prophet asked: "What do you think of this man?" They said: "This is a great noble man. His social position is so high that if he wants to propose, all families would wish to marry him; if he interceds with a person for another, he will be obeyed; and if he talks, he will be heared." The Prophet did not comment until a poor man passed and the Prophet asked them the same question. They answered, "The man is one of poor Muslims. He is a man who so humble that nobody wished to marry him, no one would accept his intercession, and not one heeds his speech."

Then the Prophet said: this poor man is better than the other one as many times as full of the earth."

When Islam made its advent in Mecca, the slaves, the poor and the unfortunate were the first to adopt it. This increased the anger and the bias of the nobility who tried unsuccessfully to oppose the new Religion. They, moreover, asked the Prophet to drive away those humble people who accepted Islam, if the

United Nations in 1948, it would be more appropriate and just to celebrate the day in which the first document in history of human rights was declared. That was the day in which the Prophet Muhammad (peace be upon him) addressed the people during his last pilgrimage, which is known as Farewell Pilgrimage. The Prophet said :

" O people ! Hear to my words, for I want now to command to you clear words. That is because I am not certain whether I may meet you again. O people ! Know that your blood and your property are inviolable just as this day of yours in this month of yours in this town of yours. Have I conveyed my message ? O my Lord ! Be a witness. And if one of you is charged with a trust, let him give it back to its owner. O people ! your women have rights against you, and you have rights against them. They live under your protection ; and you married them by the permission of God, and you made them lawful to you by the word of God. So regard God concerning women, and recommand one another regarding them with goodness. Know that your Lord is one and that your father is one. All of your are related to Adam, and Adam is created from the earth. The most noble of you with God is the most dutiful. There is no superiority for an Arab over a non-Arab, nor for a non-Arab over an Arab, nor for a red over a white, nor for a white over a red, except through piety. Have I conveyed my message? O my Lord ! Be a witness. Let those who are present communicate these words to those who are not with us".

With such wonderful and spiritual words, Muhammad declared the first document of human freedom in history. This declaration taught Muslims complete equality and freedom, so that some years later, Caliph Omar ibn Alkhattab addressed an assembly of Muslims and said : "When you find me deviating from the right way, you have to turn me back to it" A bedouin said : "Certainly O Omar ! If you do any wrong, I shall straiten your deed with my this sword."

The audience exasperated over the boldness of the bedouin, bet Omar said : "Do not stop him. You ought to say his same words, and I ought to hear them Praise be to God who made among the Muslims those who are just enough to guide Omar back to the right way even with their sowrds."

Islam made its advent in a very disturbed and confused environment, in which there were no rules of justice and equality. Arabian society

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FŪDA

SAFAR 1392	ENGLISH SECTION	MARCH 1972

The Principles of Equality in Islam

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

It is quite obvious that the most important among human rights are equality and freedom. Modern democratic nations claim that mankind are indebted to them regarding the establishment of these two basic rights and other related ones. They even quarreled as to whom among them who pioneered this field of human rights.

But we can safely state that Islam was the first religion to declare human rights, and not any of the modern democratic nations, neither the United Nations Organization. Islam stated that people are equal like the teeth of the comb, and that there is no superiority of any one over the other except through piety and good deeds. The Holy Quran says :

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير. - الحجرات

It means : " O mankind ! Surely We have created you of a male and a female, and made you tribes and families that you may know each other. Surely the noblest of you with God is the most dutiful of you. Surely God is knowing, Aware."

If the world is now accustomed to celebrate the occasion of the declaration of human rights by the

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثالث — السنة الرابعة والأربعون — ربيع الأول سنة ١٣٩٢ هـ — أبريل سنة ١٩٧٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

رسول الله وخاتم النبيين

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ — إنه محمد صلى الله عليه وسلم، جمع الله فيه ما تفرق من فضائل فى الأنبياء قبله، وختم به النبوات والرسالات، وأكمل به الدين، وأتم به النعمة، ووصفه بما لم يصف به نبيا قبله، فقال فيه: « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» وقال له: « إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » وقال جل شأنه: « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ».

نعم إنه لم يكن أبا لأحد من رجال العرب، والمؤمنين، ولكنه فى المكانة من الحب والتوقير التى لا يحظى بها أب من أبنائه. كما يقول الله: « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » ثم هو كما يقول الله فيه: « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا. وكما يقول له: « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ».

٢ — فإذا احتفل المسلمون بمولده فى شهر مولده دون أن يؤمروا بذلك فى كتاب أو سنة، فذلك تعبير طبيعى عن

شعور طبيعي يثيره التأثر بما كان له - عليه الصلاة والسلام - من أثر في حياتهم وحياة العالم ، فقد نقل قومه من عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، ونقل العالم كله كما يقول العقاد رحمه الله : من جمود إلى حركة ، ومن فوضى إلى نظام . ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية ، وأى كلام يرقى إلى قول الله فيه وفى الكتاب الذى أنزل عليه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهـدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم . . » .

٣ — إنه رسول الله وخاتم النبيين ، أرسله الله إلى الناس أجمعين ، لا لقوم دون قوم كما كان الأنبياء قبله ، بل للناس كافة كما يقول الله : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، وهذا يعنى أن الدين الذى بعث به هو الدين الذى يصلح به حال الناس من جميع الأمم والأجناس ، فى كل مكان وزمان ؛ فإنه الدين الكامل كما يقول الله : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، والنعمة التامة كما يقول : « وأتممت عليكم نعمتى » ، فليس لأحد أن يضيف إليـه أو ينقص منه ، أو يبدل فيه ، وذلك بعض ما يفهم من قول الله سبحانه : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » ، وقوله جل شأنه : « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » ، وقوله تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

٤ — ويفهم من قول الله فيه : « وخاتم النبيين » ، أنه خاتم المرسلين ، لأن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا ، فالنبى إنسان ذكر حر أوحى إليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه ، فإذا أمر بتبليغه كان نبيا ورسولا ، ومن ذلك يفهم أن خاتم النبيين هو خاتم المرسلين ، وقد ذهب المعتزلة إلى أن النبى والرسول بمعنى واحد بدليل أن الله جل شأنه خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله : « يا أيها النبى » مرة . و « يا أيها الرسول » أخرى ، وأيا ما كان الأمر فالإجماع منعقد على أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولا عبرة بالفاسقين المارقين الذين ادعوا

النبوة فى الماضى البعيد أو القريب ، مثل مسيلمة الكذاب والأسود العنسى فى آخر عهد النبي وأول عهد أبى بكر ، والحارث ابن سعيد فى عهد عبد الملك بن مروان ، وإسحق الأخرس فى خلافة السفاح ، وغلام أحمد مبتدع القاديانية فى الماضى القريب بالهند ، وميرزا على محمد ، وميرزا حسين على مبتدعى البابيــة والبهائية فى إيران ، فكل هؤلاء مارقون خارجون على الإسلام ، فليس بعد محمد نبى كما قال صلى الله عليه وسلم : (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى وأنه لا نبى بعدى) وليس بعد القرآن كتاب إلهى ، بل هـو كما يقول الله : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » .

٥ — أقول هذا ، وأذكر المسلمين به ، وهم يحتفلون بذكرى مولد النبى - صلى الله عليه وسلم - ليعرف كل واجبه تجاه النشاط المريب الذى يقوم به البابيون والبهائيون وغيرهم ممن يقول الله فيهم : « لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » . فإننا فى محنتنا بالاستعمار والصهيونيـة يجب أن نكون على حذر ويقظة للدسائس الخفية التى تحاك وتدبر فى الخفاء ، بقصد زعزعة الثقــة ، وبلبلة الأفـكار ، وإضعاف إيماننـا بديننا ، وهــو كما قال القائل :

الله أكبر إن دين محمـــد وكتابه أقـوى وأقوم قيـلا
لا تذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفأ القنـديلا

عبد الرحيم فودة

● ● ●

دراسات قرآنية :

رسول الله إلى الناس كافة

للأستاذ مصطفى الطير

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا »
[سبأ : ٢٨]

فى شهر ربيع الأنور ، استقبل هذا العالم محيا طفل وسيم ، يشرح مرآه القلوب ، ويؤنس وجهه الأرواح ، ويقر سناه العيون .

ولم يكن فى جملة مستقبليه والده الكريم ، فقد مضى إلى ربه وهو فى بطن أمه ، فأقبل على دنياه يتيما ، ثم لم تلبث أمه الشابة الحسيبة أن لحقت أباه ، فنشأ فاقد الأب ثاكل الأم ، ذلك الطفل الذى عنيناه ، هو محمد بن عبد الله .

والأيتام الفقراء لا يقام لهم وزن ، ولا يحفل لهم بتربية ، فينشئون على أخلاق ليس لها ضابط ، وغالبا لا يتجهون فيها إلى الكمال ، لحرمانهم عطف الآباء وحسن تربيتهم ، وحنان الأمهات وجميل رعايتهن .

لكن محمدا اليتيم ، لم يكن على هذا النحو من الضياع والحرمان ، فإن العناية القدسية ادخرته أزلا ليكون خاتم المرسلين ، وهاديا للعالمين ، وحاملا لواء التوحيد والأخلاق الفاضلة بين الناس أجمعين ، فلذا كفلته بحنان ، ونشأته على أكمل المناهج ، وسلكت به دربا من الأخلاق بليغ الاستقامة ، ينتهى بصاحبه إلى تحمل أعظم التبعات ، فنشأ فى صباه وفى شبابه على أعلى مستوى من المعايير الخلقية : فى صفاء النفس وطهارة الضمير ، وعلو الهمة ، وكمال السلوك ، فما حدثت منه صبوة ولا نبوة ، ولا حدثته نفسه بكبوة ، ومع أن بنى قومه كانوا يعاقرون الخمر ، ويرونها مجلبة للكرم والشجاعة ، والنخوة والنجدة والمروءة ، فإن محمدا حرمها على نفسه فى صباه وفى شبابه ، قبل أن يشرفه الله بشرف النبوة ، لأنه كان يرى فيها غير ما رأوا ، إذ كان يراها أم الخبائث ، ومفتاح الشر ، ومحطمة العقل والإرادة والجسد ، ومفسدة المال .

ومع أن بنى قومه كانوا يعكفون على أصنام لهم عابدين لائذين ، إذ حسبوها رمزاً للملأ الأعلى ، وزعموها تقربهم إلى الله زلفى إن عبدوها ، وتمنحهم الخير وتدفع عنهم الشر إن لاذوا بها ، فإن محمدا لم يذهب فى شأنها مذهبهم ، إذ كان يعتقد أنها مخلوقة لا خالقة ، ومبعدة عن الله لا مقربة إليه ، وأنها ضعيفة لا حول لها ولا قوة ، فلا تجلب خيراً ، ولا تدفع شراً ، وأن الله ليس بحاجة إلى وسيط يقرب عباده إليه ، وأن عبادتها إهدار للقيم العقلية ، وإجحاف فى حق الربوبية فلذا نشأ مجانبا لها ، بعيداً عن الاعتراف بقداستها .

ولقد كانت أبرز صفاته التى عرف بها بين قومه ، أصالة الرأى والصدق فى القول والأمانة ، فإذا حزبهم أمر لجئوا إليه فهداهم إلى حل مشكلاته ، وإذا حدثهم حديثا آمنوا بصدقه ولم يتشككوا فيه ، وإذا عزت فى الناس الأمانة . نشدوها ووجدوها كاملة فى رحابه .

هذا هو اليتيم الذى لم ينشئه على تلك الفضائل أبوان ، ولم تغرس بيئته فى نفسه الشريفة تلك الكمالات ، ولم يعلمه مناهجها الكثيرة مدرسة ولا جامعة ، ولكنها عناية الله العلى الكبير ، أعدته هذا الإعداد الشريف ، لما ينتظره من أمر جلل خطير .

(حاجة العالم إلى بعثة عامة)

كان العرب يسيرون على منهج من الأخلاط : زعموه شريعة جدهم إبراهيم عليه السلام ، وما كان شىء مما يصنعون على ما يزعمون ، فإن إبراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، فالصلاة كانت فى شريعته لله ، ولكنهم جعلوها للأوثان والحج والعمرة فى ملته كانا لله ، فجعلوها للأحجار والأنصاب ، ولم يكن فى شريعته بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولا وأد للأطفال الصغار ، ولا حرمان من الميراث للنساء والأطفال ، ولا غير ذلك مما يخالف المثل العليا ، التى تتسم بها الرسالات السماوية ، ولكنهم ألصقوها زورا بإسماعيل وإبراهيم .

وكانت الحرب بينهم سجالا ، تشب بينهم لأوهى الأسباب وأدنى العلل ، فكم من قبيلة أفنتها قبيلة ، وكم من فصيلة طحنتها فصيلة ، وكان وأد البنات عندهم من المكرمات ، يحفرون لهن الحفر بأيديهم وهن ناظرات إليهم ، ولا يعرفن الغدر الذى بيتوه لهن ، فإذا فرغوا من مدفن الجريمة ، دفعوها إليه بأيديهم ،

وهالوا عليها التراب ، بقلوب أقسى من الحجارة « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار » وماكان لهم من عذر سوى الخوف من الفقر أو العار ، ناسين أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وأن القتل للأولاد أشنع أنواع العار .

وكانت الكلمة من زعيم القبيلة كالنص الإلهى ، فهى واجبة التنفيذ ، وإن جانبت الصواب وركبت الشطط وجابت الدمار .

وكانت سوق الدعارة قائمة على ساق ، فى بيوت خاصة ترفع عليها الرايات ، وأحياناً تكون خلسة بدون استعلان ، اختيانا لأصحاب الأعراض ، وكانت وجوههم صفيقة ؛ فلا يستحيون من نسبة أولادهم من السفاح إليهم ؛ فتارة يستلحقونهم بمعرفة القائف ؛ وتارة أخرى يجعلون الحق فى إلحاقهم إلى المرأة التى يغشاها الكثيرون ؛ وفى كتب السير حديث تفصيلى عن تلك الجرائم وأحكامها لديهم ؛ وكانت الخمر تعصف بعقولهم وأجسامهم ؛ وتسىء إلى أخلاقهم وطباعهم .

والعالم من شرقه إلى غربه ؛ يمتلىء بالفتن ؛ وتموج بين شاطئيه البلايا والمحن وتسوده شريعة الغاب ومسلك السباع ؛ والأمم وقود للحرب بين أمتين عظيمتين تسيطران على شعوبه ؛ الفرس شرقا والرومان غرباً ؛ وأرزاق الناس نهب لأولئك المسيطرين ؛ وأفرادهم عبيد لأولئك الجبارين ؛ وخوف الطغاة من نقمة القادر الجبار مفقود ؛ والبعث للحساب والجزاء لا يخطر لهم على بال والديانتان السماويتان سخرتهما الشهوات لخدمة الطغاة المستبدين ؛ وحرفتهما الأهواء بثمن قليل .

فكان العالم كله بحاجة إلى بعثة عامة شاملة ، ترفع المظالم عن كواهل المعذبين وتعيد للحق قدسيته ، وتنظف العقائد من الوثنية والشرك والبنوة للخالق المنزه عما يقولون ، وتطمئن كل عامل على رزقه وتنشر الطمأنينة . وتمكن للأخلاق الفاضلة .

وقد اختار الله لحمل هذا العبء الثقيل سيد أولى العزم من الرسل ، محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فقام به خير قيام ، واستطاع بعون الله أن ينشر السلام على الأرض ويعيد الحق إلى نصابه ، ويحطم مراكز القوى ، وينشر الطمأنينة والعدالة بين الطبقات .

(أمى تختم به الرسالات)

كان المنهج الإلهى فى إرسال الرسل ، أن يبعث الله فى كل أمة رسولا منهم ،

يتـــلو عليهم آياته ، ويخرجهم بها من الظلمات إلى النور » وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » ثم شاء سبحانه أن يوحـد شريعته فى العالم ، بعـد أن اشتدت فيه المظالم فى وقت واحـد ، لأن الشريعتين السماويتين الموجودتين شريعتان إقليميتان لا يصلحان للعموم ، ولأنهما قد مسخت أصولهما ، وتغيرت نصوصهما ، فلا يعرف فيهما ماهو شريعة الله وما هو من صنع الواضعين ، ولما فيهما من نصوص لا يمكن أن تكون من وحى السماء ، كالتى تثبت البنوة لله وهو منها براء ، وكالتى تلوث الأنبياء بالمعاصى ، ولأن النصرانية نسخت اليهودية ، وأصبح أهل الكتاب بعـد ذلك يكفر بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا ، فاليهود يقولون : ليست النصارى على شىء ، والنصارى يقولون : ليست اليهـــود على شىء ، ولأن العالم ـ وهو غارق فى المظالم والمحن ـ بحاجة إلى رسالة نقية فتية بكر تصلح لجميع الطبقات وتناسب كل العصور ، يؤديها رسـول قوى أمين ، ويؤيده فيها قوم شداد العزم صلاب الإرادة ، فقراء لا يملك قلوبهم وعقولهم المـال ، ولا يبطرهم الغنى ، ولا يستحوذ عليهم الغرور ، ولا يبعثهم على الصلف أنهم من أصـلاب أنبياء متتابعين ، وهم عن سنتهم ناكبون ، وفى غيهم يعمهون .

فلذلك أبعـد الله تلك الرسـالة عن بنى إسرائيـل المتغطرسـين ، ومنحها بنى إسماعيل الغر الميامين ، واختار منهم واحدا من أنضر أرومة فيهم ، وأعرق مجد فى أنسابهم ، وأذاقه اليتم فى طفولته ليعظم إحساسه بآلام الناس ، فـإنه لا يعرف الألم إلا من تذوق طعم الألم ، ورباه ـ من غير أبوين ـ على أعلى السجايا ، ليستطيع القيام بالعبء العظيم ، وأمره فى باكورة رسالته بقيام الليل إلا قليلا لتصفو روحه أتم صفاء ، ويشتد عزمه فيكون أقوى مضاء « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منـه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقى عليك قـولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قليلا . إن لك فى النهار سبحا طويلا » .

ثم تتابع الوحى بعـد ذلك ، وتضمن قوانين رائعة فى التعامل مع الخلق والخالق خوفهم فيها من يوم المآب ، لينفذوا

ما كلفوا به رهبة من الحساب والعقاب إن لم يمتثلوا إجلالا وإعظاما لمن خلقهم وسواهم، وبنعمه المتتابعة تعهدهم ورباهم.

فإذا قرأت كتاب الله الذى أيده به، وقرأت السنة النبوية التى يبين بها الرسول الكتاب، عملا بقوله تعالى: «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم»، وجدت مناهج سائغة هنيئة، يسعد بها البشر فى كل أمة وفى كل عصر، ووجدت نصوصا مرنة صالحة للاجتهاد الذى شرعه الله للناس، وفق ضوابط يعرفها العلماء بأصول الفقه.

وما من شك فى أن رجلا عرف بالصدق والأمانة منذ طفولته، أميا لا يقرأ ولا يكتب، نشأ بين عرب جهلاء، إذا جاء بهـــذا الكتاب الذى أعجز البشر فصاحة وعلما، واشتمل على تلك القوانين العادلة الصالحة لكل زمان ومكان، لا يسع العاقل المنصف إلا أن يؤمن به نبيا ورســـولا، وبمـا جاء به شرعة ومنهاجا، وأن يستجيب لمـا دعاه إليه، ليسعد فى الدنيا والآخرة، أما الذين لا يفقهون فهم عن الحق معرضون: «وأملى لهم إن كيدى متين».

(شهادة المنصفين الأجانب)

لقد حظى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بإنصاف الكثيرين من الفلاسفة المعنيين بالمشرق، إذ شهدوا له ببعض ما هو أهله، ومن هؤلاء الكاتب الإنجليزى الأشهر: (توماس كارليل) فقد قال فى كتابه الأبطال: «لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر، أن يصغى إلى ما يظن من أن دين محمد كذب، وأن محمداً خداع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول، ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرناً، لنحو مائتى مليون مسلم من النـاس أمثالنا، خلقهم الله الذى خلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى عاشت بها هذه الملايين، وماتت عليها أكذوبة وخدعة! أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبدا، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج فى الناس فما الناس إلا بله مجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة، كان الأولى بها أن لا تخلق، ثم قال: وهل رأيتم قط يا معشر الإخوان أن

رجلا كاذبا يستطيع أن يوجـــد دينا وينشره، عجبا، والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الطوب ، فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والتراب وما شاكل ذلك، فما ذلك الذى يبنيه بيت، وإنمـا هو تل من الأنقاض، لا يستطيع أن يبقى على دعائمه اثنى عشر قرنا يسكنه مائتا مليون مسلم، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم » ملحوظة - وصل تعداد المسلمين الآن إلى خمسمائة مليون .

ويقول (الكونت هنرى) الفرنسى فى معرض الاستدلال على صدق رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

« لسنا نحتاج فى إثبات صدقه إلى أكثر مما يأتى :

(١) كان محمد أميا لا يقرأ ولا يكتب وهذا الوصف لم يعارض فيه أحد، كما لم يسترشد فى دينه بمرشد تقدمه .

(٢) وكان ينفر من عبادة الأوثان وتعدد الآلهة ، وكان يعرف بوجدانه الواحد الأحد ، لما اعتكف وحده بغار حراء يعبد الله .

(٣) ومع كونه أميا جاء ومعه قرآن يعجز فكر البشر عن الإتيان بمثله لفظا ومعنى ، ولما تلا جعفر بن أبى طالب ما جاء فى القرآن عن زكريا ويحيى على النجاشى ؛ فاضت عيناه بالدموع ، وفى اليوم التالى طاب منه تلاوة ما جاء فيه عن المسيح ففعل ، فاستغرب الملك لما علم أن المسيح عبد الله ورسوله ، فآمن .

(٤) أتى محمد بالقرآن دليلا على صدق رسالته، وهذا الكتاب سر من الأسرار، لا يدركه إلا من صدق بأنه من عند الله .

(٥) ولا ينكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر نبوة فعلا، وما بقى فيه فكر خاص به.

(٦) ما كان يميل إلى الزخارف والاستكبار والبخل، إنه كان يحلب شاته بنفسه ، ويجلس على التراب ، ويرتق ثوبه ونعله بيده ، وكان قنوعا ، خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز البر ، ولم تكن له حاشية ولا وزير ولا حشم ، لم يرغب طول حياته فى المال ، وكل ما كان يأتيه يتصدق به ، وبلغ من السلطان غاية ، ولم يكن له من علامة الملك سوى قضيب » إلى غير ذلك مما ذكره هـــذا المنصف الذى ذكر الحقائق من غير تشويه .

(الإسلام مؤتلف مع العلم والعقل)

إن دين الإسلام الذى جاء به خاتم المرسلين ، صديق للعلم وصاحب وفى للعقل ، فلا ترى بينه وبينهما تنافرا

ولا خلافا، بل مودة وائتلافا، وكما أن الإسلام يحض على تعلم العلم ويحكم العقل، فالعقل يهدى إلى الإسلام، والعلم ربيب آياته، أو دليل على صحة اتجاهاته فالحق لا يؤيده أقوى من العلم.

ولهذا كانت عصور العلم فى بغداد ودمشق وقرطبة والقاهرة، هى أزهى عصور الأمة الإسلامية، فقد كانت أمتنا فى فترة ازدهار العلوم، فى أوج عزتها، وذروة مجدها.

إن العقيدة الإسلامية لا تقف عثرة فى سبيل الفكر، وكما أن الإسلام صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات، وهو كما يهيج الرجل العملى فى أسواق لندن - مثلا - حيث الوقت هناك من ذهب، فإنه يأخذ بلب الفيلسوف الروحانى، وكما يتقبله الشرقى صاحب الخيال الشعرى فى السماء والماء، وضوء القمر وهدوء السحر، والصحراء والمدر، والزرع والشجر، يأخذ بمجامع الفكر فى الغربى الذى عكف على الإبداع فى الفن، ورسم الصور الرائعة فى الشعر والنثر، فكم من فيلسوف وقسيس، ومصور، وشاعر، وطبيب، وصيدلى، ومحام، وسياسى فى الشرق والغرب، قرأوا عن الإسلام، فبهرهم رواؤه، واستحوذ عليهم تناسبه مع الفطرة السليمة، وجذبتهم إليه عقائده وعباداته فآمنوا به راسخين، لا رغبا ولا رهبا، بل اقتناعا عميقا وحبا، فهو الرحيق السائغ، والمنطق السليم، والمنهج المستقيم ولولا ضيق المقام، لذكرت الكثير من الأعلام، وحسبنا فى هذا المقام، أن نذكر شهادة مسيحى كبير، هو: (الكونت دى كاسترى) إذ يقول:

« إن الذين يعتنقون الإسلام فى وقتنا هذا (القرن العشرين) من المسيحيين وغيرهم، إنما هم من الخاصة، سواء أكانوا من الهيئات الاجتماعية الأوربية أم الأمريكية، كما أن إخلاصهم فى ذلك لا شك فيه، لأنهم أبعد ما يكونون عن الأغراض المادية ».

هدى الله إلى الحق كل من حاد عنه، وبصره بجادته ليستقيم عليها، فهو سبحانه الهادى إلى سواء السبيل؟

مصطفى محمد الطير

من أخلاق بيت النبوة :

الدّعوة إلى القصد في المعيشة والنّفقة

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الشيخان في صحيحهما بسندهما «عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، فقلت: يا خالة، ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانهم، فيسقيناه» وهذا لفظ البخاري.

تخريج الحديث: رواه الإمام البخاري في الصحيح - كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها - وفي كتاب الرقاق - باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا.

« الشرح والبيان »

« عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: ابن أختي ».

السيدة عائشة هي أم المؤمنين وبنت الصديق رضي الله تعالى عنه، وعروة هو ابن الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته السيدة صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها.

« ابن أختي » بنصب لفظ ابن لأنه منادى حذف منه حرف النداء، وهو أسلوب عربي أصيل، أي: يا ابن أختي وأختها هي السيدة ذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه، وزوج الزبير بن العوام.

« إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين ... »

إن: هي المخففة من الثقيلة ولذلك أتى بعدها باللام الفارقة بين إن المخففة من المثقلة، وإن النافية، وهي تدخل على الجملتين الاسمية، والفعلية، فإن دخلت على الاسمية جاز إعمالها خلافا للكوفيين وإن دخلت على الجملة الفعلية وجب إهمالها والأكثر أن يكون الفعل بعدها ماضيا

ناسخا وهنا كذلك ، واسم « إن » المخففة ضمير مستتر ، والجملة بعدها هى خبرها .

والهلال : هو ما يبدو من القمر فى أول الشهر .

« ثلاثة أهلة فى شهرين » لفظ ثلاثة يجوز فيه الجر ، والنصب ، أما الجر فعلى البدل مما قبله ؛ فقد ذكر لفظ الهلال ثلاث مرات ، وأما النصب فعلى محذوف ملائم : أى نرى ثلاثة أهلة فى مدة شهرين ، وذلك باعتبار رؤية الهلال فى أول الشهر الأول ؛ ثم رؤيته فى أول الشهر الثانى ثم رؤيته فى أول الشهر الثالث ، فهى ثلاثة أهلة ؛ ولكنهما شهران فحسب .

« وما أوقدت فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار » .

«أوقدت» على صيغة المبنى للمجهول من الإيقاد مصدر الفعل الرباعى « أوقد » .

وهذا الكلام من قبيل الكناية البديعة والمراد : عدم الطبخ؛ والخبز، والاكتفاء بالتمر والماء ؛ وقد جاء ذلك صريحا فى رواية أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان يمر برسول الله صلى الله عليه وسلم هلال ؛ ثم هلال ؛ ثم هلال ؛ لا يوقد فى شىء من بيوته نار لا لخبز ؛ ولا لطبخ » رواه ابن سعد .

وقد دل قول عائشة رضى الله عنها فى الحديث « فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم » على أن ذلك يكاد يكون عاما فى أبيات زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد رضين رضى الله عنهن بما رضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قناعة ، وطيب نفس ، وزهد فى التوسع فى المآكل والمشارب، وقد جاور رسول الله صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى وله تسع نسوة عدا من توفيتا فى حياته : السيدة خديجة ، والسيدة زينب أم المساكين ، ولا يخالف هذا الحديث الحديث الآخر الذى رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الرقاق من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا ، إنما هو التمر والماء إلا أن نؤتى باللحيم » تصغير لحم والمراد التقليل ، وقد أخرجه ابن ماجه فى سننه عن أبى سلمة عن عائشة بلفظ « لقد كان يأتى على آل محمد الشهر ما يرى فى بيت من بيوته الدخان ؛ كناية عن عدم إيقاد النار ، لأن ذلك كان يختلف باختلاف الأزمان والأحوال ضيقا وسعة، ويسرا، وعسرا.

فقد عانى المسلمون قبل الهجرة وبعدها ما عانوا من ضيق العيش، والفقر، ولا سيما النبي صلى الله عليه وسلم، وآله؛ حتى فتحت عليهم الدنيا فتوسع فى المعيشة من توسع، والتزم القصد؛ والتحمل الكثيرون منهم؛ ولم تغرهم متع الحياة وطيباتها وكانت حياة النبى وآل بيته، والصفوة من صحابته الغاية فى القصد، والتوسط «فقلت: يا خالة ما كان يعيشكم؟ قالت الأسودان: التمر والماء».

القائل: هو عروة بن الزبير «يعيشكم» روى بضم الياء، وفتح العين، وكسر الياء المشددة من «عيشه» بتشديد الياء وروى بضم الياء وكسر العين من أعاشه فهو إما من عيش المضعف، أو من أعاش المهموز، أى يقوم بعيشكم وقوتكم، وفى بعض نسخ صحيح مسلم «فماذا كان يقيتكم» يعنى من القوت، والمعنى صحيح؛ وفى رواية أخرى عن عائشة «قلت: فما كان طعامكم»، وهى أصرح وأظهر فى المعنى المـــراد.

«الأسودان: التمر والماء» هو من باب التغليب إذ الماء ليس أسود؛ فغلب التمر على الماء؛ ولعل ذلك لأن أثره فى التغذية أكثر من الماء؛ والتمر ليس بأسود على التدقيق؛ ولكن يميل لونه إلى السمرة وهذا مما يتسامح فيه العرب، وذلك مثل ما أطلقوا الأبيضان: على اللبن؛ والماء؛ وهذا التغليب قد يراعى فيه الشهرة؛ أو الخفة؛ أو الشرف؛ أو تغليب الذكورة على الأنوثة إلى غير ذلك؛ ومن ذلك قولهم «العمران» لأبى بكر؛ وعمر رضى الله عنهما مراعاة للخفة والشهرة؛ والقمران: للشمس والقمر؛ مراعاة للذكورة.

«إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار لهم منايح ...»

«إلا أنه» هو بمعنى لكن الاستدراكية، وفى بعض الروايات «جيران من الأنصار - جازاهم الله خيراً ..»

«منايح» جمع منيحة - بفتح الميم، وكسر النون، وسكون الياء، بعدها حاء مهملة.

والمنيحة: لها معنيان أولهما: ناقة أو شاة تعطيها غيرك لينتفع بها: بلبنها، أو صوفها، أو وبرها، أو ركوبها، ثم يردها إذا استغنى عنها، ثانيهما: شاة، أو ناقة أو بقرة يعطيها لغيره على سبيل

التمليك والهبة المؤبدة ، والمراد هنا الأول.

« وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانهم فيسقيناه » .

يمنحون : بفتح أوله وثالثه من باب فتح ، يفتح ، ويأتى أيضاً من باب ضرب يضرب من المنحة وهى العطية، ويجوز ضم أوله وكسر ثالثه ، أى يجعلونها له منحة .

« فيسقيناه » أى يشرب منه ويسقى أهل أبياته صلى الله عليه وسلم ، والمعوزين من أصحابه .

وقد تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، وآل بيتــه فى سبيل عقيدتهم ، ودينهم ، وفى سبيل مقاومة أعدائهم من المشركين ، واليهود ما تنوء به الجبال حتى تم لهم الغلب والنصر على الأعداء ، فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لقـد أخفت فى الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت فى الله ، وما يؤذى أحد ، ولقد أتت على ثلاثون من يوم وليلة ، مالى ولبلال طعام يأكله أحـد إلا شىء يواريه بلال تحت إبطه » أخرجه الترمذى وصححه ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وكان يمكنه التوسع والتبسط فى الدنيـا ولا سيما بعد إجلاء اليهود ، وفتح خيبر وبعد أن دانت له الجزيرة العربية كلها، ولـكن كيف وهو محل القدوة والأسوة إلى يوم القيامة ، ولم يكن زهده صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وزخارفها زهـــد العاجز ؛ ولـكن كان زهد القادر والمستطيع ؛ ولو أراد أن يجعل الله له جبال مكة ذهبا لفعل؛ فقد روى الترمذى من حديث أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا ؛ فقلت : لا يارب ، ولـكن أشبع يوما ، وأجوع يوما ، فإذا جعت تضرعت إليـك ، وإذا شبعت شـكرتك » ولـكنه صلى الله عليه وسلم كان يجوع ويشد على بطنه الحجر ليشبع الناس ويأخذ نفسه وآل بيته بالـكفاف ليوسع على الناس ، ويلبس وآله الغليظ والرخيص من الثياب ليـكتسى النـاس، ويرضى بالقليل من الطعام ، ومؤن الحياة ليخصب الناس، ويشعروا بالرخاء.

ولم يـكن تقلل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وآل بيته ؛ وأصحابه حرمانا لأنفسهم من الطيبات ؛ ولا تحريماً لهـا ولا تعذيباً لأجسادهم كما يفعل بعض

الناس ؛ وكيف ؟ ! والإسلام لا يحرم الحلالات ؛ ولا يمنع المسلم من أخذ حظه من الطيبات ؛ وفى الكتاب الكريم « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »[١].

وقوله تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا »[٢] ، وقد قال لأصحابه لما اعتزموا أن يترهبوا ، ويداوموا الصيام والقيام : « ولكنى أصوم ، وأفطر ، وأقوم ، وأنام ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » ، ولكنهم أرادوا أن يكونوا القدوة لمن يأتى بعدهم ، وأن لا يذهبوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا فما عند الله خير وأبقى ، وأن لا يكونوا أسراء العادات ، ولا عبيد الشهوات ، ومن جاهد نفسه كان أقدر على جهاد أعدائه ، ومن أذل شهواته أذل الله له أعداءه .

لقد تحملوا فى سبيل نصر دينهم ، وحماية دعوتهم ، وهزيمة أعدائهم ما تحملوا : أكلوا ورق الشجر حتى تقرحت شفاههم ولفوا الخرق على أرجلهم لما تشققت من الحفاء ، والمشى على الصخور وفى الصحراء ، وكان الاثنان منهم والثلاثة فى الغزوات يقتسمون التمرة فيما بينهم ، وروى البخارى فى صحيحه بسنده عن سيدنا سعد بن أبى وقاص قال : « إنى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله[١] ، ورأيتنا نغزو وما لنا طعام إلا ورق الحبلة ، وهذا السمر[٢] ، وإن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خلط[٣] » ، ولكنهم مع هذا أذلوا اليهود ، وأجلوهم عن بلاد العرب ، وثلوا عروش القياصرة ، والأكاسرة ، وعاشوا أعزة العالم بضعة قرون .

وبعد : فيا أيها المسلمون والعرب ليكن لكم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآل بيته ، وصحابته قدوة حسنة فى تقشفهم وترفعهم عن أن يكونوا أسراء عاداتهم ، وشهواتهم ، وفى مراعاتهم

(البقية على ص ٢١٩)

(١) الأعراف : ٣٢ .
(٢) الأعراف : ٣١ .

(١) فى السرية التى خرج فيها مع عبيدة ابن الحارث فى ستين راكبا وهى أول السرايا بعد الهجرة .
(٢) نوعان من الشجر .
(٣) يعنى كانوا يتبرزون بعراً جافا من شظف العيش ، وجفافه .

أمثل الطرق فى الاكتساب

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أنس رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت الدنيا همه وسدمه، ولها شخص وإياها ينوى جعل الله الفقر فى عينه ، وشتت عليه ضيعته ولم يأته منها إلا ما كتب له منها ، ومن كانت الآخرة همه وسدمه ولها شخص وإياها ينوى جعل الله عز وجل الغنى فى قلبه وجمع عليه ضيعته وأتته الدنيا وهى صاغرة » رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه والترمذى مختصرا .

سدمه : همه وما يحرص عليه ، شتت عليه ضيعته : فرق عليه حاله وصناعته وما هو مهتم به وشعبه عليه .

نظم الإسلام شئون الإنسان كوحدة مستقلة وكلبنة فى بناء مجتمعه على تقدير لطبيعته وحاجته وحاجة المجتمع إليه ، ووضع له على هذا الأساس قواعد تنظم سلوكه ونشاطه فى كل ناحية من نواحى حياته ليرفع عن كاهله الحيرة والقلق فى توجيه هذا السلوك وذلك النشاط ، والإنسان مهما سما عقله وارتقت ثقافته عاجز عن أن يستقل بتفكيره ويتبين وجوه الصواب فى شئون حاضره ومستقبله ومن هنا يمكن أن ندرك وجه النعمة والسنة فى تفضل الله بإرسال الرسل وإنزال الشرائع ، فالرسل والشرائع وما ينبثق منها من الأحكام باجتهاد أئمة الفقه ورجال القانون إنما وجدت لخدمة الإنسان وتخفيف أثقال المعاناة والتدبير فى الوصول إلى الخير والصواب ، لقد رسم الإسلام للإنسان طريقه إلى عبادة خالقه وشكره على ما أنعم به عليه مما يتقلب فيه من لدن يولد إلى أن يموت ورسم له طريق الاستمتاع بالحياة كإنسان له غرائز ورغبات فى الحدود التى لا تؤذيه ولا تضر بإخوانه ممن لا بد له من معايشتهم ومعاشرتهم وصح أن يقال : إن الإسلام دستور كامل للحياة السعيدة .

وبالتأمل فى أى عمل يمارسه الإنسان

نجد أن الإسلام قد تناوله بالتنظيم ، فالعبادة والأكل والشرب واللبس والنوم والكلام والمشى والعمل والتعامل فى الزراعة والتجارة والصناعة ، كل هذه الأعمال قد وضع لها الإسلام حدودا لا ينبغى أن يتجاوزها الإنسان بالإفراط والتفريط حتى لا يظلم نفسه أو يؤذى غيره ، وقد انبثت هذه الأحكام والحدود فى كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ومن مجموع هذه الأحكام والحدود اكتملت الشريعة الإسلامية وتميزت عن غيرها من الشرائع السماوية وأن المسلمين عامة والناشئة منهم بخاصة فى حاجة إلى التذكير الدائم بخصائص الشريعة ومميزاتها وأحكامها وإرشاداتها فى أعمال الإنسان ونشاطه لتكون نصب أعينهم ويجعلوها موازين تصرفاتهم .

وشئون الإنسان تختلف فى أهميتها باختلاف تعلقها بحياته ومعاشه وحاجاته وكمالياته ، وقد اختلفت عناية الإسلام بضبطها ورعاية أهميتها لتسير فى طريق مستقيم يؤمن فيه الزلل والفوضى ضمانا لسلامة الجماعة .

ولما كان أهم شأن من شئون الإنسان بعد رعاية حقوق الله هو تحصيل الرزق واكتساب المال ؛ إذ عليه تتوقف حياة الإنسان وتحقيق مطالبه ورفاهيته من أكل وشرب ولباس وسكن ونحو ذلك ، ولما كان الإنسان بحكم طبيعته وضرورته حريصاً كل الحرص على الاكتساب وجمع المال ولو أرخى عنانه فى هذا السبيل لما وقف عند حد ، ولما اقتنع بغاية، لما كان الأمر كذلك عنى الإسلام أشد العناية بأن يضع من الأحكام والإرشادات والزواجر والعظات ما يخفف من حدة هذا الحرص ويكفكف من غلوائه حتى تسلم الجماعة من آثار الجشع فيه والتهالك على جمعه .

ولقد جاء بأحكام وإرشادات عامة فى هذا الشأن وخص بعض النشاط الإنسانى بأحكام وإرشادات معينة رعاية لأهميتها . فمن الإرشادات العامة الأمر بالوفاء بالعقود والعهود وإيفاء المكيال والميزان ، والنهى عن الغش والخداع فى المعاملات وعن أكل أموال الناس بالباطل ونحو ذلك، وفى هذا كرر القرآن الكريم الآيات وكررت السنة الأحاديث

ومن هذه الأحاديث حديثنا هذا الذى صدرنا به كلمتنا ، والذى فهمناه منه ، أن أساس الإحسان فى جمع المال هو مراعاة الميزان الذى وضعه له ولو اتخذه المسلم دستوره فى نشاطه وجمع ماله لما تشعبت به مسالك الضلال وناشته الشبهات من كل جانب، وقد وكل استخدام هذا الميزان لضمير المؤمن ووجدانه، وجوهر الميزان أن الإسلام أباح للمسلم جمع المال والاستمتاع بطيبات الحياة فله أن يأكل ويشرب ويلبس ويتزوج وينعم بمباهج الدنيا ومسراتها كما أباح له أن يجعل المال والدنيا من مواضع اهتمامه، ولكن لم يبح له أن يجعل اهتمامه كله مصروفا إليه ، يفكر فيه ليله ونهاره وغدوه ورواحه ويعنى خاطره بالتدبير له وينسى حقوق ربه وحقوق الجماعة عليه لأنه إن فعل ذلك أضنى نفسه ونغص عيشه وبلبل خاطره وشتت فكره ولم يبلغ مرامه فى إشباع نهمه ويرى أنه مهما أعطى فهو فقير دائم التطلع إليه شديد الأسى على مافات شاخص النظر إلى ماهو آت ، فنار الشوق إليه لا تخمد وشهوة الحرص عليه لا تفتر ، ومن انصرف عن الآخرة إلى الدنيا وكله الله إلى نفسه وحرمه نعمة التوفيق والمعونة، وأما من جعل الآخرة أكبر همه ووكده ولم ينصرف إلى الدنيا بجمعه ونظر إلى الدنيا والمال نظرة التبصر والتأمل وأدرك أن المال فى واقعه بلاغ إلى الآخرة ، وأن القليل منه يكفى والكثير يردى ، وأن ما للإنسان مقدر مقسوم، ترفق فى السعى وأجمل فى الطلب وقنع بما أصاب وتجمع له فكره وهدأ باله وسعد برضاه وقناعته ، وكان الله معه بالتوفيق والسداد ورأى أنه بالقليل مما أعطى غنى ، وهو غنى حقا بقناعته واستغنائه عن الناس :

غنى النفس ما عمرت غنى
وفقر الناس ما عمرت شقاء

إن المسلمين أحوج ما يكونون الآن إلى التذكير بمثل هذا الحديث ورعاية ما وضعه من الموازين فى جمع المال ، فقد ضعف لديهم الوازع الدينى وتضافرت عليهم أسباب الجشع والطمع وأغرتهم الدعايات الزائفة بالغنى والثراء ولوت أعناقهم أسباب اللهو والعبث ؛ فجن جنونهم بالمال يتزودون به فى سبيل الغواية فأصبح المال معبودهم وهاموا به وجعلوه

مادة أسمارهم وأحاديثهم يبتكرون فى اجتلابه وابتزازه ما يبهر السحر والساحرين ، لا يبالون مم جمع ولا فيم أنفق، وأضحوا ممن عناهم الحديث بقوله من كانت الدنيا همه وسدمه ولها شخص وإياها ينوى جعل الله الفقر فى عينه وشتت عليه ضيعته ولم يأته منها إلا ما كتب له فيها لا يكفى أحدهم التدبير لحاضره بل يعانى التدبير لمستقبله ومستقبل أولاده وأحفاده كأنما مفاتح الغيب بيده ، كأنما انقادت له المقادير لا تجرى إلا بأمره: لا تنقض له أمرا ولا تخالف له تدبيرا ، وهذا من غرور الشيطان وخداع الأمانى:

فلا يغرنك مامنت وماوعدت
إن الأمانى والأحلام تضليل

ومن يجعل الآخرة همه فإنه يراقب الله ويتوكل عليه ومن يراقب الله ويتوكل عليه كان الله معه ورزقه من حيث لا يحتسب تصديقا لوعده فى قوله تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه» .

وفى قوله عز من قائل : «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» وهذا ماعناه الحديث بقوله:(ومن جعل الآخرة همه وسدمه ولها شخص وإياها ينوى جعل الله عز وجل الغنى فى قلبه وجمع عليه ضيعته وأتته الدنيا وهى صاغرة) لقد صدق الله وصدق رسوله وخاب وخسر من أعرض عن ذكره وركن إلى نفسه وفكره «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى» .

لقد ضل الناس فى أمر المال وأهمهم أمره وأسرفوا على أنفسهم فيه ولم يتهيبوا مدخلا من مداخله ونسوا تعاليم الله فيه فمحق الله بركته بينهم وأصبح كثيره قليلا ، ولو أنهم راقبوا الله فيه ووثقوا بما عنده لبارك لهم فيه وهنأهم به تصديقا لوعده حيث يقول جل شأنه حكاية عن نوح عليه السلام «فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا» .

أبو الوفا المراغى

عقوبة منع الزكاة

للدكتور حسن الشاذلى

لما كانت الزكاة فريضة من الفرائض فإن المشرع الحكيم جعل لمن يمتنع عن أدائها ، ويرفض أن تصل إلى مستحقها جزاء وعقوبة تردعه وتزجر غيره عن منعها ، وهذه العقوبة كما تكون فى الدنيا تكون فى الآخرة .

أولا : العقوبة الدنيوية :

وتتمثل هذه العقوبة فى ثلاثة أنواع :

(١) عقوبة بدنية .

(٢) عقوبة مالية عند بعض الفقهاء .

(٣) وعد من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بمحق وإهلاك مال الممتنع فردا كان أو جماعة .

ولما كان العقاب يختلف باختلاف حال الممتنع عن أدائها من حيث كونه فردا أو جماعة لهم قوة ومنعة أو ليس لهم ذلك ، جاهلا فرضيتها ، أو عالما منكرا لهذه الفرضية أو مقرا ، فإننا نوضح عقوبة كل :

(١) العقوبة البدنية :

الامتناع عن أداء الزكاة جهلا بفرضيتها :

كأن يكون الممتنع حديث عهد بالإسلام ، أو ناشئا فى دار نائية عن الأمصار ، أو فى غير دار الإسلام فإنه يجب أن يعرف فرضيتها ، ولا يحكم بكفره فور الامتناع لأنه معذور : و « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها »[١] .

الامتناع عن أدائها إنكارا لفرضيتها :

إن امتنع مسلم أو جماعة من المسلمين ليست لهم منعة وقوة عن أدائها إنكارا لفرضيتها ، فإنه يكون بهذا الامتناع مرتدا عن الإسلام ، وتجرى عليه أحكام المرتدين ؛ لأن أدلة الفرضية ظاهرة فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة ، فلا تكاد تخفى على أحد ممن هذه حاله ، فإذا جحدها فلا يكون جحدها إلا لكفره بكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .

وإن كان الممتنع المنكر لفرضيتها جماعة لهم منعة وقوة فإنه يجب على المسلمين مقاتلتهم حتى يؤدوا الزكاة المفروضة .

الامتناع عن أدائها مع اعتقاد فرضيتها:

إن كان الممتنعون عن أدائها جماعة لهم منعة وقوة .

فكذلك يقاتلون إن امتنعوا عن أدائها مع إقرارهم بأصول الدين ، وبأن الزكاة مفروضة ، وهؤلاء يسمون البغاة .

وقد حارب أبو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين ، سواء منهم من أنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم (كأصحاب مسيلمة الكذاب من بني حنيفة وغيرهم ممن صدقوه على دعواه النبوة ، وأصحاب الأسود العنسي ومن استجاب له من أهل اليمن ، قاتلهم أبو بكر حتى قتل مسيلمة باليمامة والعنسي بصنعاء، وانفضت جموعهم وهلك أكثرهم) أو من أنكر جميع الشرائع وعاد إلى جاهليته الأولى ، كما حارب من أنكر فرضية الزكاة أو وجوب أدائها إلى الإمام .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله تعالى » . فقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا[1] كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، قال عمر : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق» رواه الجماعة إلا ابن ماجه ، لكن في لفظ مسلم والترمذي وأبي داود « لو منعوني عقالا[2] كانوا يؤدونه ..»

ويعلق الإمام الشوكاني[3] على معارضة الفاروق للصديق رضي الله عنهما في قتال المنكرين للزكاة فقط من فروض الإسلام فيقول : « واعلم أنه قد وردت أحاديث كثيرة صحيحة قاضية بأن مانع الزكاة

(١) العناق هي : الأنثى من أولاد المعز .

(٢) العقال : هو الحبل الذي يعقل به البعير ، والمراد « لو منعوني أقل شيء كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه » .

(٣) نيل الأوطار جـ ٤ ص ١٢١

يقاتل حتى يعطيها ، ولعلها لم تبلغ الصديق ولا الفاروق ولو بلغتهما لما خالف عمر ، ولا احتج أبو بكر بتلك الحجة التى هى القياس - أى القياس على الصلاة - فمنها ما أخرجه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله » وأخرج البخارى ومسلم والنسائى من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بى وبما جئت به ، فإذا فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ... » .

الامتناع عن أدائها مع اعتقاد فريضتها من جماعة ليس لهم منعة : إن منع بعض المسلمين الزكاة مع إقرارهم بوجوبها ، أو أخفوها وكتموها ثم عرف ذلك ، فإنه يكون على الإمام أن يأخذ من أموالهم الزكاة المستحقة جبراً عنهم ، وبدون رضاهم ، ويوقع عليهم عقوبة التعزير[1] .

(ب) العقوبة المالية على مانع الزكاة :

اختلف العلماء فى توقيع عقوبة مالية على الممتنع عن أدائها : فيرى أكثر أهل العلم ومنهم أبو حنيفة ومالك والشافعى وأصحابهم والحنابلة أنه ليس للإمام أن يأخذ من أموالهم أكثر من القدر الواجب زكاة ، ويرى إسحاق ابن راهويه وأبو بكر ابن عبد العزيز ، والإمام يحيى والهادوية جواز توقيع عقوبة مالية على الممتنع ، وقال فى الغيث : « لا أعلم فى جواز ذلك خلافا بين أهل البيت » وإلى هذا ذهب الشافعى فى القديم من قوليه ثم رجع عنه .

استدل القائلون بتوقيع العقوبة المالية بما روى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « فى كل إبل سائمة فى كل أربعين ابنة لبون ، لا تفرق إبل عن حسابها ، من أعطاها مؤتجرا فله أجرها ، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر إبله عزمة

(١) التعزير : هو عقوبة غير مقدرة من الشارع ، وإنما ترك تقديرها كما وكيفا للإمام أو من يقوم مقامه ، بما يتلاءم مع الجرم وحالة الجانى .

من عزمات ربنا تبارك وتعالى، لا يحل لآل محمد منها شيء »، رواه أحمد والنسائى وأبو داود ، وقال « وشطر ماله »، وهو حجة فى أخذها من الممتنع ووقوعها موقعها، ونوضح ما فى الحديث من حيث سنده ومدلوله :

الحديث من حيث سنده : تكلم المحدثون فى « بهز بن حكيم » لكن قال الحاكم حديثه صحيح، وقد حسن الترمذى له عدة أحاديث ووثقه واحتج به أحمد واسحاق والبخارى خارج الصحيح وعلق له وروى عن أبى داود أنه حجة عنده.

وأما من حيث مدلوله : فيؤخذ منه أمران :

أولهما : أنه دليل على أن الإمام له أن يأخذ الزكاة قهرا إذا لم يرض رب المال بدفعها، وإذا أخذت بهذه الكيفية فإنها تقع موقع الزكاة فلا يحتاج إلى نية المزكى أى صاحب المال هنا ...

وثانيهما : أن الحديث دليل على توقيع العقوبة بالمال، وذلك بأخذ شطر ماله زيادة عن الزكاة ؛ بل إن الحديث جعل ذلك أمرا مفروضا بقوله صلى الله عليه وسلم: « عزمة من عزائم ربنا تبارك وتعالى » أى فريضة من فرائضه .

كما استدلوا بأحاديث أخرى تفيد مشروعية توقيع العقوبة المالية على الشخص، وهى وإن وردت فى موضوعات أخرى إلا أنها تؤيد مشروعية العقوبة المالية ، ومنها ما روى عن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا وجدتم الرجل قد غل[1] فاحرقوا متاعه » (وفى إسناده مقال) . ومنها ما روى أن سعد بن أبى وقاص أخذ سلب[2] عبد وجده يصيد فى حرم المدينة، وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من وجدتموه يصيد فيه فخذوا سلبه » أخرجه مسلم، ومنها حديث كاتم الضالة أن يردها ومثلها » ... وهناك أحاديث أخرى تؤيد هذا النوع من العقاب أوردها الإمام الشوكانى فى نيل الأوطار يمكن الرجوع إليها[3] .

كما استدل القائلون بعدم توقيع العقوبة المالية والاكتفاء بأخذ المقدار الواجب

(١) الغلول : هو السرقة من المغنم كأن يأخذ الجندى بعض ما يجده مع الأعداء ويخفيه عن الإمام عند جمع الغنائم .

(٢) سلبه : هو ما معه من سلاح ومتاع .

(٣) نيل الأوطار جـ ٤ ص ١٢٢

زكاة وتعزيزه بما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس في المال حق سوى الزكاة » كما أنه لم يرو عن أبي بكر ولا عن أحد من الصحابة أنه قد وقع عقوبة مالية على مانعي الزكاة ، ولا قال بذلك ، كما قالوا في حديث بهز بن حكيم : إنه كان في بدء الإسلام ، حيث كانت العقوبات في المال ، ثم نسخ ذلك بالحديث الذي ذكرناه آنفا .

وقد تعقب الإمام النووي القول بالنسخ قائلا : إن ذلك غير ثابت ولا معروف ودعوى النسخ غير مقبولة مع الجهل بالتاريخ .

وهناك من فسر حديث بهز بن حكيم تفسيرا آخر يتفادى به إيقاع العقوبة المالية ، كما هو ظاهر نص الحديث ، فقد حكى الخطابي عن إبراهيم الحربي أنه يؤخذ من الممتنع السن الواجبة عليه (إن كان الواجب نوعا من الماشية) من خيار ماله من غير زيادة في سن ولا عدد لكن ينتقى من خير ماله ما تزيد به صدقة في القيمة بقدر شطر قيمة الواجب عليه فإن كانت قيمة الشاة الواجب إخراجها من أوساط ماله عشرة ، فإنه يختار شاة من الكرائم تساوي عشرين ، فيكون المراد بماله في الحديث : الواجب عليه من ماله ، فيزاد عليه في القيمة بقدر شطره .

وحكى الحافظ في التلخيص عن إبراهيم الحربي أيضا أنه قال في حديث بهز بن حكيم : إن الراوي وهم ، وإنما هو « فإنا آخذوها من شطر ماله » أي يجعل ماله شطرين ، ويأخذ جامع الزكاة الزكاة من خير الشطرين عقوبة لمانع الزكاة .

وقد أجيب عن كلام إبراهيم الحربي بأن هذا التفسير يصدق عليه أيضا اسم العقوبة المالية ، لأنه دفع زيادة عن الواجب على كلا التفسيرين .

وقد أوردت كتب الحديث مناقشة مستفيضة لأدلة الطرفين لا نرى المقام يسمح بعرضها فنحيل إليها ، ويكفينا في هذا المقام أن نقول إنه يؤخذ من هذه الأحاديث جميعها ما يأتي :

* وجوب قتال الممتنعين عن أداء الزكاة إن كان لهم منعة وقوة لا تجعل الإمام قادرا على أخذ الزكاة منهم بالطرق العادية في أخذ الحقوق لأصحابها .

* إجبار الممتنع عن أداء الزكاة على دفعها إن كان للإمام القدرة على إجباره كأن لم يكن لهم منعة وقوة وتعزيره كما هو رأي جمهور الفقهاء .

• على قول بعض الفقهاء يجوز إيقاع عقوبة مالية على الممتنع ، ردعا له عن العود إلى ذلك مرة أخرى ، وهى عقوبة تتلاءم مع مقصده السيء ، فحيث أراد زيادة ماله بمنع الزكاة كانت العقوبة إنقاص هذا المال.. معارضة لقصده وإخلافا له .

(ح) عقاب دنيوى آخر : وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى لم يترك الشخص الذى يمتنع عن أداء الزكاة إلى مستحقيها دون عقاب دنيوى مادى ، فإن الممتنع قد لا يعرفه الحاكم ولا يقف على حقيقة ماعنده فعند ذلك كان الرقيب الأعظم والمشرع الأكبر بالمرصاد يعاقب من يدارى ويخفى ويمتنع عن أداء ما وجب عليه فى ماله ، وهذا العقاب يؤدى إلى نقيض ما قصد إليه الممتنع ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ماخالطت الصدقة مالا إلا أهلكته» أخرجه الإمام الشافعى والإمام البخارى فى تاريخه ،وزاد الحميدى ما يفسر الحديث فقال « يكون قد وجب عليك فى مالك صدقة فلا تخرجها فيهلك الحرام الحلال» .

وأيضا فإن المجتمع كله مطالب بأداء الزكاة وعدم منعها وإلا أصابهم العذاب جميعا ، فقد روى عن بريدة الأسلمى رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين » أى بالقحط والجدب أخرجه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات .

ثانيا : العقوبة الأخروية :

توعد الله جل شأنه فى كتابه العزيز وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كل مسلم يمتنع عن أداء الزكاة بأشد العذاب فى الآخرة ، حيث صوره فى أشد صوره وجعله بحالة تنفر النفس عن أن يحل بها مثل هذا العذاب .

أما الكتاب : فقد قال الله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون[1] » ، فقد بينت الآية الكريمة أنهم سيعذبون فى النار ، وأن ما كنزوه أى ما منعوا زكاته - كما أوضحنا آنفا - سيحمى عليه فى نار جهنم ثم تكوى بها أجسامهم ولكن فى مواضع معينة ، مواضع حساسة

(١) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ .

جدا ، يكون الألم فيها مضاعفا ، وهى جباههم وجنوبهم وظهورهم .

وأما السنة : فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة فى هذا المجال منها :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من صاحب كنز لا يؤدى زكاته إلا أحمى عليه فى نار جهنم ، فيجعل صفائح ، فتكوى بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله ، إما إلى الجنة ، وإما إلى النار ، وما من صاحب إبل لا يؤدى زكاتها ، إلا بطح[1] لها بقاع[2] قرقر[3] كأوفر ما كانت تستن عليه ، كلما مضى عليه أخراها ، ردت عليه أولاها ، حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار ، وما من صاحب غنم لا يؤدى زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر ، كأوفر ما كانت فتطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها ، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء[1] كلما مضى عليه أخراها ، ردت عليه أولاها ، حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله ، إما إلى الجنة ، وإما إلى النار ... » ثم سئل عليه الصلاة والسلام عن الخيل والحمر ويمكن الرجوع إليه بطوله فى البخارى ومسلم[2] .

وصدر الحديث يفسر لنا الآية ، كما يبين لنا أن العذاب يتنوع بتنوع المال الذى لم تخرج زكاته ، ومن السنة أيضا ما روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله[3] يوم القيامة شجاعا[4] أقرع ، له زبيبتان[5] ، يطوقه

(١) البطح فى اللغة : قيل الإلقاء على الوجه وقيل البسط وقد يكون على الوجه أو لا يكون

(٢) القاع : المستوى الواسع فى سوى من الأرض

(٣) القرقر : بقافين مفتوحتين وراءين أولاهما ساكنة والمستوى الواسع من الأرض أيضا .

(١) العقصاء : الملتوية القرنين ، والجلحاء التى لا قرن لها .

(٢) نيل الأوطار للشوكانى حـ ٤ ص ١١٦

(٣) صور له ماله .

(٤) الشجاع : هو ذكر الثعابين ، أو الذى يقوم على ذنبه ويهاجم الفارس والراجل ، والأقرع : الذى لا شعر فى رأسه لكثرة سمه وطول عمره .

(٥) له زبيبتان : أى له ما يشبه النابين الطويلين يلتقم بهما شدق مانع الزكاة ، ثم ينفث سمه فيه .

يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعنى شدقيه - ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ، هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير[1] » رواه البخارى ومسلم .

ومن هذا الحديث يتضح لنا أيضا أن المال الذى لم تؤد زكاته والذى بخل به صاحبه ليسعده أصبح مصدر شقاء له كبير وعذاب أليم فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ؟

د . حسن الشاذلى

(١) آل عمران : ١٨٠ .

(بقية المنشور على صفحة ٢٠٧)

القصد والتوسط فى معيشتهم ، وحياتهم .

إن التوسع فى المآكل والمشارب ، والمبالغة فى الملابس ليس فضيلة ، وإن أجدادكم العرب كانوا يتمدحون بالتقلل من الطعام ، ويبغضون البطنة وكثرة الأكل ، ولو كان التوسع فى المعاش ، واللباس فضيلة ؛ لكان أولى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه ، وها أنتم أولاء رأيتم كيف كانوا ، وكيف صاروا سادة الدنيا وأعزتها ! ! إننا اليوم مقبلون على معركة مريرة : معركة الشرف والكرامة ، والثأر لما نيل منا ، ومن أرضنا ، ومن مقدساتنا ، فلننبذ حياة الترف ، والإسراف ، وحب التظاهر الكاذب ، ولنراع القصد ، والاقتصاد ، والتقشف ، ولنترك الأثرة والطمع ، وليكن ديدننا الإيثار ، والتحاب فى الله : « ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وليضع كل واحد منا نفسه موضع المسئولية ، إنكم إن فعلتم فسيكون لنا - والله - النصر إن شاء الله : « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » ؟

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

العربية لغة التنويع والتفريع

للأستاذ علي عبد العظيم

يقال للماهر فى الصيد : إنه يضرب عصفورين بحجر واحد ، وينطبق المثل على من يصيب هدفين بتدبير واحد ، كما ينطبق على من يعبر عن معنيين مختلفين مقصودين بعبارة واحدة بدلا من عبارتين مختلفتين ، وهى درجة سامية فى البلاغة لا يستطيع أداءها إلا قلة قليلة من البلغاء واللغة العربية بطواعيتها ومرونتها تساعد على هذا الأداء .

ومن الغريب أن علماء البلاغة والنقد الأدبى لم يلتفتوا إلى هذا الأسلوب ولم يولوه ما يستحقه من عناية وتقدير .

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب قوله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » رواه مسلم ، وفى رواية لأبى داود والحاكم : « كفى بالمرء إثما . . » ، فنستطيع أن نفهم من الحديث أن على السامع أن يتثبت مما يسمع قبل أن يتحدث به حتى لا يحمل وزر ما نقله كما نستطيع أن نفهم منه أن على السامع أن يكتم ما وصل إلى علمه لأن إذاعته قد تسبب ضرراً لمن سمع الخبر أو لمن ألقاه إلى المذيع وائتمنه عليه وقد يسبب فتنة للمجتمع ؛ وقد نفهم منه أن على السامع ألا يتحدث بكل ما يعلمه من أمور وأسرار يدق فهمها على السامعين وألا يخاطب الناس إلا على قدر عقولهم ؛ وقد نفهم منه أنه على من سمع أسرار بعض الناس ألا يتحدث بها حتى لا يكشف أصحابها أو يجعلهم مضغة فى الأفواه فإن من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، وكل هذه المعانى صحيحة وكلها من الأدب الإسلامى الكريم الذى تؤيده الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، والحديث على قصره يؤدى هذه المعانى جميعها فى بلاغة وإيجاز ، ومن الأمثلة البلاغية فى الشعر العربى قول المتنبى :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً
لمن بات فى نعمائه يتقلب

فإن هذا البيت يعطى ثلاثة معان مختلفة وكل منها صحيح ، وهى :

١ — أظلم الناس من أحسن إلى إنسان

حتى صلح حاله فانقلب المحسن حاسداً لمن أحسن إليه ، وكان الأولى أن يواصل الإحسان إليه بدلا من أن يحسن ثم يعقب الإحسان بالإساءة عملا بقوله تعالى : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » .

٢ — أظلم الناس من تلق إحسان رجل كريم ثم قابل إحسانه بالإساءة وكان الأولى به أن يقابل الإحسان بالإحسان عملا بقوله تعالى : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » .

٣ — أظلم الناس من يغلي قلبه حقداً وحسداً على من أحسن الله إليه فبات يتقلب فيما أنعم الله عليه من النعم ؛ فكان ممن قال الله فيهم : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » .

أما القرآن الكريم فقد بلغ أسمى غاية من الإعجاز البياني فى التنويع والتفريع ، فإنه لم ينزل مقصورا على الجزيرة العربية وحدها ، ولا عصر النبوة فحسب ، ولكنه صالح لكل زمان وبيئة ومكان ، وهو بهذا يخاطب الأعراب الذين كانت ثقافتهم محدودة كما يخاطب الراسخين فى العلم من الفلاسفة والباحثين والمفكرين ؛ وكلا الطرفين ينهل من معينه العذب ما يناسب ثقافته وعصره وحظه من المعارف ؛ وكلما اتسعت دائرة الثقافة وازدهرت الحضارة وتقدمت العلوم أعطانا القرآن الكريم من مائدته الحافلة ما يناسب هذا التقدم والازدهار ؛ قال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ، وقال جل شأنه : « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » ، والقارىء المتدبر لآيات الذكر الحكيم يفهم منها لأول مرة معنى خاصا ثم يكرر التلاوة فتبدو له معان جديدة ؛ وكلما تدبر وتدبر بدت له معان أخرى لم تكن لتخطر له على بال ؛ ومن هذا تعددت آراء المفسرين فى معنى كل آية يعرضون لها بحسب اختلاف عصورهم ، وتباين ثقافاتهم ، وتعدد مواهبهم الفكرية .

والأسلوب القرآنى المعجز يعطى هذه المعانى جميعها ليأخذ كل قارىء منها نصيبه المناسب ، وهذا ينطبق على الموضوعات التى يعالج فيها القرآن الكريم مشكلات فكرية أو قضايا علمية أو نظرات فلسفية أما آيات الأحكام والمناسك فإنها تحدد المعانى فى دقة وإحكام ؛ وقد أشار القرآن

الكريم إلى هذا فى قوله تعالى « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب » والأسلوب القرآنى حينما يشع عدة معان للجملة الواحدة يراعى اختلاف العصور والبيئات والثقافات والمواهب العقلية لأنه صالح لكل زمان ومكان ، وما أشبهه بالفصوص الماسية التى تنعكس عليها الأشعة فتعطى عددا بديعا من الألوان ؛ ومن الخير أن نسوق بعض الأمثلة التوضيحية من آيات الذكر الحكيم:

١ — قال تعالى: «والأرض بعد ذلك دحاها » فقد فهم العربى من كلمة (الدحو) البسط وهو معنى صحيح مستقيم لأن الله تعالى جعل سطح الأرض مبسوطا بحيث يستطيع الأنسان الانتقال فيه من مكان إلى مكان ؛ وكان من الممكن أن يكون سطح الأرض مكونا من سلاسل جبال متشابكة ووديان متفرقة بحيث لا يستطيع الإنسان اجتيازها، قال تعالى: «والله جعل لكم الأرض بساطا. لتسلكوا منها سبلا فجاجا » ، وقال تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها» ونفهم نحن بثقافتنا المعاصرة (الدحو) بمعنى الدوران يقال: دحا الشىء : دفعه، ويقال : دحا الشىء : رماه ، فالمدحاة : خشبة يدحو بها الصبى (يدفعها) فتمر على الأرض فلا تأتى على شىء إلا دفعته ومنه قولهم : داحاه ؛ راماه ؛ وتداحيا تراميا بالمداحى ، وهى لعبة رياضية تشبه ما نسميه الآن بلعبة (الجولف) :

ومن هنا نفهم من الآية الكريمة أن الله سبحانه خلق الأرض ودفعها فى مدارها الفلكى المرسوم لها ، ويؤيد هذا قوله تعالى : « وكل فى فلك يسبحون » . وكلا المعنيين صحيح .

٢ — قال تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » فالعربى يفهم كلمة «لواقح» بمعنى حوامل لأنها تحمل السحب المليئة بالماء ، ويفهمها بمعنى ملقحة بمعنى أنها تلقح الأرض بماء المطر فتهتز الأرض وتحمل أجنة النبات : « فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج» ونفهمها نحن بمعنى أنها تحمل مادة التلقيح

من أعضاء التذكير بالنبات إلى أعضاء التأنيث فيه مما يتيح لها الإخصاب فتنتج الثمار، أو تحمل الحشرات المحملة بمادة التلقيح فيتم عن طريقها الإخصاب، وكلا المعنيين صحيح: المعنى الذى فهمه العرب والذى فهمه المعاصرون.

٣ — قال تعالى ممتنا على عباده بما أنتجته الأرض من الثمار: «ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم»، وهنا يبدو لنا معنيان كلاهما فى ظاهره مناقض للآخر، ومع ذلك فكلاهما صحيح؛ المعنى الأول: ليأكلوا من ثمره طازجا ومما عملته أيديهم منه بالتقديد أو التمليح أو التحلية بالسكر أو الطهى أو العصير.. والمعنى الثانى: ليأكلوا من ثمره، وما صنعته أيديهم بل الله وحده هو الذى صنعه: «أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون»، فالأداة (ما) على المعنى الأول اسم موصول، وعلى المعنى الثانى حرف نفى.

٤ — ويماثل ما سبق قوله تعالى: «وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال»، فإن الآية تحتمل معنيين كلاهما صحيح: الأول معناه: وإن مكرهم لشديد حتى يوشك أن يزيل الجبال، والمعنى الثانى: وما كان مكرهم شديد التأثير حتى يزيل الجبال بل لا يحيق المكر السيء إلا بأهله، وعلى المعنى الأول تكون الأداة (إن) مخففة من إن التوكيدية، وعلى المعنى الثانى تكون نافية [1]، وكل من المعنيين له وجاهته على الرغم مما يبدو عليهما من التناقض.

٥ — قال تعالى: «إن كل نفس لما عليها حافظ»، فهم العرب الأولون منها أن الله يحفظ كل نفس حتى تستوفى أجلها المكتوب، وهو فهم صحيح «فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين»، ولكننا فى العصر الحديث نفهم منها - إلى جانب ذلك - عدة معان جديدة كل منها صحيح أيضا، فالطبيب المعاصر يعرف أن كل مليمتر مكعب من الدم يحتوى ثمانية آلاف

---

(١) يظن بعض الباحثين أن الأداة (إن) النافية تستدعى أداة استثناء بعدها مثل قوله تعالى: «إن الكافرون إلا فى غرور». وقوله تعالى: «وإن منكم إلا واردها»، وهو ظن لا أساس له فإن الله تعالى يقول: «قل إن أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا»، وقال تعالى: «وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين»، ولا أداة استثناء فيهما.

كرة بيضاء وعملها أن تحمى الجسم من الجراثيم الفتاكة التى تتسلل إلى الجسم للقضاء على حياة صاحبه ، كما يفهم منها أن الدموع بها خمائر حمضية تقضى على البكتيريا التى تتسرب إلى العيون ، ويفهم منها أن الهواء يضم كثيرا من الجراثيم الفتاكة ، ولكن الإنسان حينما يستنشقه تلتصق البكتيريا بالمخاط فتخرج معه ، وشعيرات الأنف تحفظ الجسم من الغبار حتى لا يتسرب إلى الرئتين ، والخياشيم تدفىء الهواء ليعادل حرارة الجسم الداخلية كما يفهم أن حامض (الأيدروكلوريك) بالمعدة يقتل البكتيريا ... وهكذا خلق الله فى كل جسم حافظا يحميه ويقيه.

ويفهم العالم النفسى منها أن الله أودع فى النفس البشرية ملكة يسميها علماء النفس بالرقيب Censor أو الحارس اليقظ ويسميها بعض الباحثين بالضمير : والرقيب أو الضمير يحاسب الإنسان على تصرفاته ويرده إلى الصواب عند الخطأ ؛ وهو يؤرق نومه ويكدر صحوه إذا تلكأ فى إصلاح خطيئته ؛ ولكن هذا الضمير الحافظ قد يمرض وقد يخدعه صاحبه فيلين وينخدع ، وتضعف مقاومته وقد يتلاشى أمام التبريرات الوهمية ، فالسارق يبرر سرقته بحاجته إلى المال ، والمرتشى يبرر قبوله الرشوة بأنه لم يفعل شيئاً أكثر من معاونة بريئة وأن غيره من الكبراء يفعلون هذا ، والقاتل يبرر جريمته بأن المقتول من أسرة قتلت أحد أفراد أسرته ؛ والقرآن الكريم يسمى الرقيب أو الضمير باسم «النفس اللوامة» كما يسمى التبريرات بالمعاذير فيقول تبارك وتعالى : « بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » ؛ فالنفس اللوامة حافظة للإنسان من الانحرافات .

والعالم المتخصص فى علم الحيوان يعرف أن الله أودع فى كل حيوان وسيلة لحفظه وحمايته من الأعداء ، فالسلحفاة تحفظها صدفتها الحجرية من العدوان ، ومثلها بعض الحيوانات البحرية ، والقنفذ تحميه أشواكه وتحفظه من أعاديه ، والغزال تنقذه سرعته الكبيرة من افتراس السباع ، وهكذا يهب الله كل كائن حى من الوسائل ما يمكنه من الحياة ويدفع عنه أذى الأعداء إلى أن تحين منيته ؛ وتبارك الله «الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى» .

٦ – قال تعالى : « والنازعات غرقا . والناشطات نشطا . والسابحات سبحا . فالسابقات سبقا . فالمدبرات أمرا . . » وإذا رجعنا إلى قدماء المفسرين وجدناهم يفسرون هذه الأقسام القرآنية فى أوائل السور بتفسيرات شتى ، فهم أحياناً يفسرونها بالملائكة ، وتارة بالرياح العاصفة وأحيانا بالسحب المتراكمة ، ولكننا نلاحظ أن هذه الأقسام تأتى ممهدة للحديث عن أهوال يوم القيامة « يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة . قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة . . » ومن هنا نجد القرآن الكريم يطالعنا بعبارات رمزية تشير إلى قوى جبارة عاتية عنيفة التأثير شديدة التدمير ؛ وساقها فى جمل قصيرة متتابعة قوية الجرس متلاحقة التوقيع والتلحين مؤكدة بالمفعولات المطلقة لتحدث آثارها الرهيبة فى أعماق النفوس ؛ إن القلوب لترتعد فرقا أمام هذه القوى الغامضة العاتية المتشحة بالظلام الموغلة فى الإبهام ؛ والنفوس البشرية تخشى المجهول دائماً ؛ والهدف من هذا الأسلوب المثير الإشارة إلى أن هناك قوى عاتية جبارة ندرك بعضها ولا ندرك بعضها الآخر – وهو الأكثر – « وما يعلم جنود ربك إلا هو » هذه القوى العاتية إذا انطلقت من عقالها دمرت كل شىء تدميرا ، والله سبحانه يمسك زمامها حتى حين ثم يطلقها من عقالها – فى الوقت المعلوم – « ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم » .

قد تكون هذه القوى هى العواصف الهوجاء ، أو الزلازل المدمرة أو البراكين المحرقة ، أو الشهب المتلاحقة أو الأشعة الكونية ، أو الأوبئة الفتاكة « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض » .

وربما كانت هذه القوى ، طاقات جبارة مجهولة لا نعلمها ولا يحفظنا منها إلا الله وحده فعلينا أن نلتمس عنده الأمن والاطمئنان عن طريق الإيمان ، وأن نفر إليه وحده مما نعرف ومالا نعرف لأنه لا مجال للأمان إلا فى ظله الوارف الفينان « ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين » .

٧ – قال تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » ولقد فهم العرب هذه الآية الكريمة على أن الله سبحانه

خلق آدم من طين ثم نفخ فيه من روحه فاستوى بشرا سويا ، وتوالت ذريته من بعده فى الصورة البشرية المعهودة، وهو فهم سليم صحيح ؛ ونستطيع نحن أن نفهم فى ضوء العلم الحديث - إلى جانب الفهم السابق - أن النبات يتغذى ببضعة عشر عنصرا يمتصها من التراب فتتحول فيه إلى خلايا نباتية ثم يتغذى الحيوان بالنبات فتتحول خلايا النبات فيه إلى خلايا حيوانية ، ويتغذى الإنسان بالحيوان والنبات فتتحول فيه الخلايا الحيوانية والنباتية إلى خلايا بشرية ، وهنا يتم التسلسل من التراب إلى الإنسان ؛ وهذا فهم صحيح .

كما نستطيع أن نضم إلى الفهمين السابقين فهما جديدا آخر ، وهو أن الإنسان مكون من الخلايا البشرية على مختلف أنواعها ، وإننا إذا حللنا هذه الخلايا إلى عناصرها الأولية فإننا نجدها فى كل مائة جزء من جسم الإنسان على النحو التالى : الأوكسجين ٦٣ - الكربون ٢٠ر٢٠ - الأيدروجين ٩٠ر٩ - النتروجين ٥٠ر٢ - الكالسيوم ٤٥ر٢ - الفوسفور ١ - الكلور ١٦ر - الفلور ١٤ر - الكبريت ١٤ر - البوتاسيوم ١١ - الصديوم ١٠ر - المغنسيوم ٠٧ر - الحديد ٠١ر - هذا إلى آثار أخرى طفيفة من نحو عشرين عنصرا أهمها : اليود والسليكون والمنجنيز...

وكل هذه العناصر الأرضية يمكن شراؤها نقية بأقل من ثمانين قرشا . ولكن يد الخلاق العظيم تناولتها ونسقتها وبثت فيها معجزة الحياة فتبارك الله أحسن الخالقين ، والإنسان لا يزال - وسيظل - عاجزا عن تكوين خلية واحدة من آلاف الملايين التى يضمها جسمه العجيب .

وهذا فهم صحيح أيضا ، فالإنسان من سلالة آدم الذى خلقه الله مباشرة من طين لازب ؛ والإنسان سليل غذائه المستمد من التراب عن طريق النبات والحيوان ، وجسم الإنسان مكون من عناصر التراب .

ولكل قارئ أن يأخذ المعنى المناسب لثقافته وعصره ومداركه ، ومن هنا يتجلى جانب هام من الإعجاز البيانى للقرآن الكريم لم ينل حتى الآن ما يستحقه من العناية والتقدير ؟

للبحث بقيــــة

على عبد العظيم

هل هى أزمة فكر ..
أم هى أزمة إيمان ؟

أحمد موسى سالم

سؤال تشرق عليه الشمس وتغيب ، وتدور من فوقه الأفلاك وتؤوب .. هل المسلمون اليوم فى أزمتهم القابضة ، ومحنتهم المزمنة ، بينما حياتهم تغيض ، وذاتهم تذبل ، وزمانهم يركض ، وعدوهم يغير ... هل المسلمون اليوم يعانون فى أعماقهم أزمة فكر ... أم أزمة إيمان !؟

سؤال يتكاثر عليه الباحثون، وينزوى له المنقبون ، ويصيح من حوله الصائحون وقد يكون الجواب عنه - مع سلامة الفطرة - أقرب إلى بداهة الخاطر ؛ وأدنى من لفتة المفيق ؛ إذا لم يكن كل كدح هؤلاء الباحثين أن يغوصوا له فى بطون الكتب ، أو أن يتسمعوا عنه من أفواه الأعداء ...

فلتكن لنا رحلة قصيرة إلى عصر الخلفاء الراشدين ... رحلة نتفكر فيها من غير تعقيدات ونحن نلتى بأبصارنا وخواطرنا إلى السماء والأرض والأفق، وليس إلى الكتب والمواعظ والمشاهد الدامية ... رحلة نستحضر بها جانبا واحداً من حركة حياة المسلمين فى ذلك العصر ؛ أو من الإطار لهذه الحركة وهو « الجهاد » ... فى تلك الأيام ؛ حيث كانت شمس الإسلام تطلع على أرض المسلمين بغير ليل ، كانت الأجيال الناشئة ... كان الأطفال من أبناء تلك الطلائع العربية المؤمنة يثبتون أول مولدهم فى « ديوان الجند » ، ويقرر لهم العطاء برسم الجهاد .. وكانوا يولدون فى مهادهم وأكفهم الصغيرة على أعنة الخيل ، وأعينهم بإدراك بصائرهم فى اتجاه المعارك ... ولم يكن الاحتفال بمولدهم - وهو من النعم العظمى - أكثر فى تلك الدور البسيطة التى نشأوا بها من بسمة الآباء تتردد معها كلمة « الجهاد » فى جرسها العذب المميز،

يسمعها الطفل أول ما يسمع من لفظ العربية بعد اسم الله .

كان الجهاد فى تلك الأيام معنى حياً من معانى الحياة النقية المنتصرة له فيها عطر وجو وشروق ... كان فيها هو التدفق للإيمان ، والتجسد للصدق ، متمثلا فى بشر صادقين مؤمنين أحياء من أمثال : خالد بن الوليد ، وسعد بن أبى وقاص ، والمثنى بن حارثة ، وأبى عبيدة ابن الجراح ، وعمرو بن العاص ، وعبدالله ابن عمر ، وعقبة بن نافع ... الذين كانت أسماؤهم وأعمالهم تهب بها الرياح ، وتخفق بها النسمات عند أطراف الثغور والحدود لإزاحة وإجلاء قوى الامبراطوريتين الباغيتين طويلا على أرض العرب : فارس والروم ... لقد كان الجهاد فى تلك الأيام - كما هو دائماً - صورة العمل الأعلى وفريضته فى حياة الإنسان المؤمن الذى يسهم برأس مال حياته من أجل أن يحرر بفضائل الإسلام أخوة له على الأرض العربية ، وما وراءها من أغلال الرق الجسدى والعقلى التى وضعها فى أعناقهم وألسنتهم وأقدامهم أصنام وأرباب وكهنة من البشر .

فى تلك الأيام ... وشمس الإسلام تطلع بكل الحق والبهاء ... مرفوعة بأيدى هذه الطليعة المؤمنة من صحابة رسول الله وتابعيه ... وبأعمالهم ... ليكونوا شهداء على الناس ... لم يكن أحد يسمع على كل تلك الأرض - التى لا زالت هى أرضنا إلى اليوم - زلزلة باطل يسقط ... وجلجلة حق يرتفع ... لقد انتفض البشر العبيد ، المخمورون بذل ألف سنة ، والموتى فى أوهام ألف فلسفة - على صحوة كريمة تحت رايات الإسلام ، وشمس القرآن . حين تدلى إليهم وحيه على أجنحة التحرير والمحررين فقاموا يتهللون بالبعث الموعود ، ويهرعون إلى النهر المتدفق ، ويحدقون بأسوة الرجال فى الأقوال والأعمال .

هنا لك أمام ترتيل القرآن ، وحمحمة الخيل ، وبساطة القادمين ، ووضاءة الحق ، ونشوة البعث ، وامتداد يد الله أمام الناس فى كل شىء ، غشى الصمت والخجل كل ما كانوا فيه قبل من شقاق المذاهب ، وظنون المجامع ، وزلفى الملوك .. لقد أغلق الكهنة والفلاسفة والقياصرة أفواههم فجأة ... مات عالمهم العقيم ...

صمت أولئك الذين خرجوا عن دعوة المسيح ليتجادلوا فى ماهية المسيح ... ذاب حقد النساطرة واليعاقبة والملكانيين وانفك صراعهم الدامى .. تقبلوا بالحمد موجة التحرير التى أخرجتهم جميعاً من سفاهة التضارب والتكفير فى شأن « الطبيعتين » ... وهل كانا قد اتحدا فى المسيح كالماء والخمر ... أم انفصلا كالزيت والماء ... أم تداخلا كالنار فى الحديدة المحماة ! ؟ ...

هنالك فى تلك الأيام - على أرضنا الطيبة - كان خلق جديد للخلق يتم بالإيمان أخذ الناس بكل « أنواعهم ومذاهبهم » يولدون مرة أخرى ولادة واحدة ... كانت مدن جديدة تعمر ، ولغة واضحة تسود ، وأفكار حية تنشط ، وعلوم عجيبة تزدهر ، وكأنما عالم آخر بكل هندسته وعمارته وأغراضه وتفاصيله - حتى زخرفة المحراب الخاصة - ينشق عنه غيب عالم قرآنى رحيب ، فى الحياة والواقع ، تقوم دعائم صرحه فوق أرض الدين بغير آلهة ولا أوثان ، ولا فلاسفة ولا وساوس ، ولا ألقاب ولا طبقات عالم نقى ، يغتسل كل يوم فلا يقلق ... ينشط إلى غايته فلا يتخلف .. يملؤه اليقين بإله واحد ، وعمل موصول ، وآخرة راصدة واعدة ... على مرمى البصر !

فى ذلك العالم الجديد كانت الآيات تتلى بأفواه المؤمنين وأعمالهم تفسرها ... وكان المجاهدون إذا وقفوا للصلاة بين يدى الله وجلت قلوبهم من خشيته ، وإذا ركبوا للجهاد ركضوا إلى الشهادة رغبة إليه .

ولكن ذلك العالم الفريد ، الذى كان غاية جميع الأنبياء ، وحقيقة عصر محمد - صلى الله عليه وسلم - لم يلبث فى سنن الله أن دب إليه الوهن بالترف ، وغشيه الفتور بالنسيان .. لقد أخذ المد القرآنى بالدين واللغة والتعريب ينحسر شيئاً فشيئاً بعد قرنين من الهجرة .. ففى دبيب النعمة تنبهت مرة أخرى تلك الوساوس التى وطئتها خيل الإسلام ... وقام الظن من وهدته يناوش اليقين على قمته ... وعندما انقسم المجتمع مرة أخرى - بعد الغنى والقوة - إلى قصور وأكواخ ... وإلى أشراف وأوشاب ظهر التناقض بين القول والعمل ... واتسع الشقاق بين الظاهر

والباطن .. وارتدت موجات الجهاد فى سبيل الله زحوفا فى الصراع على ما أثمره الجهاد فى سبيل الله ... ... عاد الخجل والألم والحنق يغشى الوجوه ... وأصبح القتال فى الصباح والمساء على السلطة والمتعة والخطبة .. لمن تكون ؟ ... ولمن لا تكون ؟

هكذا سارت الأمور قرونا طويلة .. بينما أرض المسلمين الواسعة يتخاطفها العاجزون .. ودينهم السمح يبتدع فيه المبتدعون .. والعلماء الساهرون يقلبون أكفهم ، بعد تفرق الكلمة ، وتحت وطأة الهزيمة ، يتساءلون ...ما العمل ؟

ثم نبلغ بأقدامنا وهمومنا إلى العصر الحديث ، فيندس بيننا ـ بظاهر الشفقة للمصاب والحماس للعلم ـ عدد من المستعربين الأوربيين من طلائع وصنائع القوى الصهيونية والاستعمارية ، فهم يتطوعون بأبحاثهم لخدمتنا ، ويهمسون فى آذاننا بما يرونه شفاء الغليل ، وهداية الحائر ويضعون من ذلك تحت أبصارنا مصطلحا جاذبا لانتباهنا ، وعنوانا تندرج تحته كل مشكلاتنا ، هو كما يرددونه « أزمة الفكر الإسلامى » . .

إنهم يضعون هذا المصطلح بكل بريقه المضلل على مائدة الحوار المباشر وغير المباشر مع مفكرى المسلمين .. إنهم فى هذه البؤرة السحرية يستقطبون كل أفكارهم ، ويبددون كل جهودهم ، ويأخذون المبادرة فى قضيتهم منهم ... بذلك يصبح أمل المسلمين فى إحياء حياتهم بالإسلام لا أكثر من قضية أفكار ، ودوامة حوار ... وأحد الأطراف دائما من هؤلاء عابث أو غافل أو عدو ! .

إن الذى أصاب المسلمين بحق ، والذى تضاعفت به الإصابة منذ العصر الحديث أمام صدمة استعمار الغرب ، وزحف اليهود ليس « أزمة فى الفكر » وإنما هو هذه الهرولة الذاهلة منهم بين الثوابت الصحيحة فى دينهم ، كهرولة أم اسماعيل بين الصفا والمروة فهم فى حيرتهم يسألونها عن النبع ، ويستنطقونها عن بداية الطريق إنهم يسألون الله عندها ـ وذنوبهم معهم ـ عن صحوة للإيمان ، ومفازة بالقرآن ، فلا يجدون من فرط ما أذنبوا ، وما غفلوا وما وهنوا . . رد الجواب ! .

إن الأزمة التى يعانيها المسلمون فى حقيقتها هى أزمة مزدوجة . . إنها أزمة إيمان

عارضة بذنوبهم من داخلهم .. ثم أزمة هذا الفكر غير الإسلامى فيما غشيهم وأحاط بهم ... هذا الفكر الغريب عن الإسلام وعنهم .. الذى يدعى مروجوه أنه يمثل نهجا سليما ولو بالتأويل والتشبيه هذا الفكر « المأزوم » الذى يغشى الأندية ، ويملأ الكتب ، ويزاحم على طريق محاسبة النفس ، ومواجهة العدو ، وهو يسقط علينا من فوق ، أو يصيح تحت أقدامنا من تحت ، أو يجلب علينا بوساوسه من أمام ، طمعا ـ وراء العدو ـ فى فتنة تزعزع الإسلام ، وهى تخلق له ألف وجه لتشتت القلوب عنه ، وتضلل الأفكار فيه ...

الأزمة ليست أزمة فى الفكر الإسلامى لأن الإسلام الذى هو ذروة الانتصار القلبى والعقلى للإنسان فى حياته الممتدة هو الحل العملى لكل أزمات الفكر ، وانقسامات النفس ، واهتزازات الرؤية وإنما أزمة المسلمين هى أزمة إيمان طال عليهم بها الأمد إيمان لا يزال يحال بينهم وبينه بالشغب على أفكارهم ، والحرب على لغتهم ، والطمس لتاريخهم ، والتهوين من ذنوبهم فهم فى غمرة لا يملكون معها الطريق بالوعى والأناة إلى مصادر الإيمان والدين الصحيحة والجلية فى القرآن ، وفى الآفاق وفى أنفسهم ، وفى أسوة رسولهم ...

فلو انتبهوا ووجدوا هذه الجادة الرحيبة المطمئنة إلى الله والإيمان إذن لصدقوا بالصدق ، وتطهروا للحق ... هنالك يتأتى لليقين أن يملك القلوب ، وللوساوس أن تنهزم تحت الأقدام ... ولشمس الإسلام أن تطلع فينا ومنا على عصرنا من جديد .. هنالك يأذن الله فيصبح الجهاد كما كان إطارا لحركة الحياة المؤمنة المنتصرة ، وتعود كلمته الحية فى جرسها العذب المميز فتتردد فى أفواه الآباء والأمهات المؤمنين المتهللين ليسمعها كل طفل يولد على أرضنا أول ما يسمع من لفظ العربية بعد اسم الله ؟

أحمد موسى سالم

القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضى

— ١١ —

٤ — قوله تعالى: «إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين» المائدة آية ١١٢ .

يقول (جولد زيهر) فى صفحة ٣٦ : (يسأل الحواريون بعد أن آمنوا بالله وبعيسى: «يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء»، ومثل هذا السؤال لا يمكن أن يكون صدر على لسان الحواريين ، لهذا قرأ بعضهم «هل تستطيع ربك» بتاء الخطاب مع نصب باء ربك ، بمعنى هل تستطيع سؤال ربك أى أن تجعله يفعل ذلك بناء على سؤالك إياه) انتهى .

وأقول «قوله ومثل هذا السؤال يعنى هل يستطيع ربك بياء الغيب ورفع باء ربك لا يمكن أن يكون صدر على لسان الحواريين معناه إنكار هذه القراءة وإلغاؤها مع أنها قراءة جميع قراء المدينة ومكة والشام والبصرة ، وجمهور قراء الكوفة .

وقد ثبتت بطريق التواتر الذى يفيد القطع واليقين، فلا مجال لجحدها، أو التردد فى ثبوتها ، وهذه القراءة - وإن توهم منافاتها لقوله تعالى عن الحواريين : «قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون» ، إذ لا يتصور مع الإيمان الشك فى قدرة الله تعالى؛ لأن من آمن بالله تعالى وعرف أنه قادر على كل شىء وصدق برسوله الصادق الأمين كيف يصدر منه ما يدل على شكه فى قدرة ربه ؟ .

أقول : إن هذه القراءة - وإن كانت فى ظاهرها تنافى إيمان الحواريين - لها من التأويلات الجيدة والتوجيهات القوية التى تقرها اللغة ، ويؤازرها السياق ما يلائم إيمان الحواريين أتم ملاءمة وهاك هذه التأويلات :

(ا) أن السين والتاء زائدتان، وكثيرا

ما تزاد السين والتاء فى ألفاظ العرب وأساليبهم ، فى نثرهم ونظمهم ، من ذلك قولهم ، استجاب بمعنى أجاب ، واستطاع بمعنى أطاع ، وعلى هذا يكون المعنى : هل يطيعك ربك فى إنزال مائدة من السماء إذا طلبناها ؟

قال الإمام ابن جرير : إن يطيع بمعنى يجيب مجازا ، والمعنى : هل يستجيب إن سألته ذلك ويطيعك فيه ؟ انتهى . وهذا قول السدى .

(ب) إن المراد من هل يستطيع ، هل يفعل ذلك ويحققه ؟ وهذا كقولك لرجل : هل يستطيع فلان أن يأتى وأنت تعلم أنه يستطيع الإتيان ويقدر عليه ، فالمعنى : هل يفعل هذا الفعل ويجيئنى إليه .

وفى هذا التعبير مجاز مرسل حيث أطلق السبب وهو الاستطاعة وأراد المسبب وهو الإتيان ، والمجاز بجميع أقسامه أسلوب من أساليب العرب فى نثرهم ونظمهم وجميع مقاصدهم فى الكلام ، وهو أبلغ من الحقيقة ؛ لأنه بمثابة دعوى الشىء ببينة كما قرر ذلك العلماء ، فكأنك تقول هل يأتى فلان ؟ ينبغى له أن يأتى لأنه يستطيع ذلك ، ويقدر عليه .

وهذا التعبير فى الآية كقولك أيضاً لشخص : هل تستطيع أن تقوم معى وأنت تعلم استطاعته القيام وقدرته عليه ، كما قال بعض التابعين لبعض الصحابة : هل تستطيع أن ترينى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ، وهو يعلم أنه يستطيع ذلك ، والمعنى هل تفعل ذلك وتحقق رغبتى ؟ فيكون حاصل معنى الآية هل ينزل الله مائدة من السماء بسؤالك إياه ؟ فإذا كان كذلك فاسأله أن ينزلها .

(ح) أن المعنى : هل إنزال مائدة من السماء يلائم الحكمة الإلهية حتى يكون فى نطاق القدرة الإلهية فيصح طلبه ، أو أنه ينافى الحكمة الإلهية فلا تتعلق به القدرة فيمتنع طلبه ، لأن ما ينافى الحكمة لا تتعلق به القدرة - وإن كان ممكنا فى ذاته - فلا يصح طلبه ، وقريب من هذا ما قيل إن المعنى هل إنزال مائدة من السماء قضى الله به أزلا ، وعلم وقوعه حتى تتعلق به القدرة فيجوز طلبه ، أو أنه لم يقض به أزلا ولم يعلم وقوعه فيكون محالا فلا تتعلق به القدرة فلا يسوغ طلبه ؟

(د) قال أبو حيان في البحر : « ليس المقصود من الكلام كونهم شاكين فيه ، بل المقصود تقرير أن ذلك في غاية الظهور كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول : هل يقدر السلطان على إشباع هذا ويكون غرضه منه أن ذلك أمر واضح لا يجوز العاقل أن يشك فيه . انتهى . وعلى هذا يكون الاستفهام فيه للتقرير .

(هـ) قال العلامة القرطبي : « إن القوم لم يشكوا في قدرة الله تعالى ؛ لأنهم كانوا مؤمنين عالمين باستطاعة الله تعالى لذلك ولغيره علم دلالة وخبر ونظر ، فأرادوا علم معاينة كذلك . كما قال إبراهيم : « رب أرني كيف تحيي الموتى » ، وقد كان إبراهيم يعلم ذلك علم خبر ونظر ولكن أراد المعاينة التي لا يدخلها ريب ولا شبهة ؛ لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات ، وعلم المعاينة لا يدخله شيء من ذلك ؛ ولذلك قال الحواريون : « وتطمئن قلوبنا » ، كما قال إبراهيم : « ولكن ليطمئن قلبي » انتهى فيكون سؤالهم حينئذ للاطمئنان والتثبت ، وعلى هذا فمعنى قوله تعالى : « إن كنتم مؤمنين » ، إن كنتم كاملين في الإيمان والإخلاص .

ومعنى : « ونعلم أن قد صدقتنا » ، ونعلم علم مشاهدة وعيان بعد ما علمناه علم إيمان وإيقان . ومع هذه التأويلات التي تلائم روح الآية ونحواها ، وتوائم سرها ومرماها ، ويساعدها سياق الآيات وسباقها ، وتوازرها الأساليب العربية ، والتعبيرات البلاغية ، لا يصح رفض هذه القراءة ، والتنكر لها ، واطراحها ، بل يجب قبولها ، والاطمئنان لها ، والدفاع عنها ، وفوق ذلك ، هي قراءة تثبت بالطريق التي تفيد القطع واليقين بثبوتها ، وهي طريق التواتر ؛ فلا مجال للإعراض عنها ، أو التردد في ثبوتها .

٥ — قوله تعالى : « قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون » الأنبياء آية ١١٢ .

قال (جولد زيهر) في صفحة ٣٧ في الكلام على هذه الآية : « لم يرتض أحد ثقات القراء أن يطالب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الله تعالى أن يحكم بالحق كأنما في الإمكان أن يحكم بغير ذلك ، فأراد رفع هذه الشبهة بتحويل الصيغة

بوساطة تغيير حركاتها مع الاحتفاظ بمحصولها الصوتى من صيغة الدعاء إلى صيغة التفضيل ، وبهذا ينتقل الكلام من الإنشاء إلى الإخبار هكذا « ربى أحكم بالحق » أى ربى أعظم حكما بالحق من كل حاكم ، ولن يحيك من ذلك شيء فى النفس انتهى .

وأقول: قد تضمنت هذه المقالة ما يأتى:

(ا) ادعاء (جولدزيهر) أن راوى هذه القراءة من ثقات القراء ، وهو ادعاء باطل ؛ وزعم كاذب ، فإن راوى هذه القراءة الضحاك بن مزاحم المتوفى سنة ١٠٥ هجرية ، وليس الضحاك من القراء فضلا عن أن يكون من ثقاتهم، وليست له قراءة معتمدة ، ذات قواعد ثابتة ، وأصول مقررة .

(ب) أن الضحاك هو الذى حول القراءة من صيغة الدعاء إلى صيغة التفضيل من تلقاء نفسه ، وقد سبق أن قلنا غير مرة : إن ركيزة كل قراءة النقل الثابت، ودعامتها الرواية المسندة، وأساسها التلقى الصحيح، وقد أقمنا على ذلك من البراهين ما فيه الكفاية والغناء .

(ج) فهم (جولدزيهر) أن المراد بالحق فى الآية الكريمة هو العدل بمعناه المطابق وهو وضع الشيء فى موضعه ، والبعد عن الجور والظلم، فرتب على فهمه الخاطىء ما رتب . ونقول له : إن المراد بالحق فى هذه الآية الكريمة تعجيل العقوبة للكافرين المشركين وإحلال العذاب عليهم، والنقمة بهم ، وعدم إمهالهم بتأخير العذاب عنهم، ذلك هو الحق الذى أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به على الكافرين ، وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « اللهم اشدد وطأتك على مضر » ولذلك قال ابن عباس فى الآية : « قال رب احكم بالحق » لايحكم بالحق إلا الله ، ولكن إنما استعجل بذلك فى الدنيا يسأل ربه على قومه ، وقد استجاب الله دعاءه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قومه فعجل لهم العقوبة يوم بدر .

ثم نقول له : إن هذه الآية مثل قوله تعالى: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » الأعراف آية ٨٦ سواء بسواء . فمعنى الحق فى الآيتين واحد ، ولم يختلف القراء فى قراءة هذه الآية على الوضع الذى هى عليه .

والحق أن هذه القراءة قراءة منكرة لم ترد عن أحد من القراء العشرة المتواترة قراءاتهم، ولا عن أحـــد من القراء الأربعة الذين فـوق العشرة المروية قراءاتهم بطـريق الآحاد فحكم عليها بالشذوذ. فهذه القراءة المنسوبة للضحاك متوغـلة فى الشذوذ، عميقة فى الغرابة والنـكارة، فيجب رفضها؛ واطراحها وعدم الالتفات إليها.

ثم هذه القراءة - بعد هـذا وذاك - مخالفة لخط المصاحف العثمانية. لأن فيها زيادة ياء فى كلمة «رب»، وقد أجمع العلماء على أن القـراءة التى تخالف المصاحف العثمانية بزيادة أو نقص، لا ينظر إليها؛ ولا يعول عليها؛ خصوصا وأن معنى القراءة بغير هذه الزيادة صحيح لا غبار عليه.

٦ — قوله تعالى: «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها» البقرة ١٠٦.

خلاصة ما ذكره (جولدزيهر) فى هذه الآية فى صفحة ٣٨ أنه نقل عن بعض العلماء أنه استبعد قراءة أو ننسها، بضم النون الأولى وسكون الثانية مع كسر السين من النسيان مع أنها قراءة متواترة لا مغمز فيها ولا مطعن فى طريقها.

ثم ذكر فى الآية ثلاث قراءات أخرى:

الأولى: «تنساها» بالتاء المثناة الفوقية المفتوحة وبعـدها نون ساكنة فسين مفتوحة فألف بعدها، والقراءة ليست هكذا، وإنما هى «تنسها» بحذف الألف بعد السين للجازم لأنها معطوفة على ننسخ المجزوم. وعلى كل هى قراءة بمـكان من الشذوذ لم ترد عن أحد معين ثقة مـن القراء لا من العشرة. ولا ممن بعدهم من ذوى القراءات الشاذة فلا يلتفت إليها.

القراءة الثانية: «ننسأها» بنون مفتوحة فنون ساكنة فسين مفتوحـة فهمزة ساكـنة من الإنسـاء، وهو التأخير والإرجاء، وهى قراءة متواترة كقراءة أو ننسها من النسيان.

القراءة الثالثة: - وهى منسوبة إلى سعيد ابن المسيب - ننساها كالقراءة التى قبلها لفظا ومعنى فهى من الإنساء بمعنى التأخير والإرجاء غير أن همزتها أبدلت ألفاً فقول جولد: بإسناد النسيان إلى الله تعالى خطأ فاحش؛ إذ لو كانت من النسيان لكانت «ننسها» بحـذف الألف عطفاً للفعل المجزوم على الفعل المجزوم قبله، وليس

هناك قراءة بهذا الضبط « ننساها » لا فى المتواترة ، ولا فى الصحيحة ولا فى الشاذة ولا فيما وراء ذلك .

وأما رفض سعد بن أبى وقاص لهذه القراءة ، وقوله : إن القرآن لم ينزل على المسيب ، ولا على آل المسيب فليس ذلك لفساد معناها ، بل لعدم ثبوتها .

٧ - الآية ١٠٦ من سورة المائدة :

قال فى صفحة ٣٩ : « يدور الحديث حول الوصية شفاها ، فإذا حصل أدنى شك فى صدق الشاهدين « فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين » وكأنما بدا لعامر الشعبى المتوفى سنة ١٠٣ هـ أن إيقاع الكتمان على مفعوله الذى هو « شهادة الله » غير لائق ؛ إذ كان ذلك ربما أفاد أن من الممكن كتمان شىء شهيده الله تعالى نفسه ، فتخلص من ذلك هو أو الثقات الذين ربما اعتمد عليهم فقرأ بتنوين لفظ شهادة على حذف الإضافة ، ومد همزة « آلله » على ابتداء جملة جديدة : « ولا نكتم شهادة آلله إنا إذاً لمن الآثمين » أى والله ، فالاستفهام عوض عن واو القسم . انتهى .

وأقول : فهم (جولد زيهر) أن الإمام الشعبى عدل عن القراءة المتواترة بناء على أن إيقاع الكتمان على مفعوله الذى هو شهادة الله غير لائق ؛ لأنه ربما أفاد أن من الممكن كتمان شىء شهيده الله نفسه ولم يرد عن الشعبى مثل هـذا المعنى ؛ ولا يدور بخلد الشعبى هـذا الفهم الذى فهمه جولد زيهر ، بل الذى يفهمه الشعبى ويفهمه كل من عنده أدنى مسكة من تذوق الأساليب العربية ؛ والتراكيب القرآنية أن المراد : ولا نكتم الشهادة التى أوجب الله علينا إظهارها ؛ وحظر علينا كتمانها . وأضاف سبحانه الشهادة لنفسه لأنه هو الآمر بها ، والمشرع لها .

وقراءة الإمام الشعبى من جملة القراءات المبعدة فى الشذوذ ؛ العريقة فى الغرابة ولذلك لم يعبأ بها القراء ، ولم يتلقها بالقبول أحد من أهل الأداء .

والله ولى التوفيق ؟

عبد الفتاح القاضى

مع الشباب :

لو كنت عنده لغسلت عن قدمه

للدكتور عز الدين علي السيد

« لو كنت عنده لغسلت عن قدمه ! » لأنه أعظم من حبي .. وأسمى من تواضعي وقدمه أكرم من راحتي .!

لو كنت عنده لغسلت عن قدمه .. لأن قدمه منه .. وهو نور من النور .. بل فوق النور .. وطهر من الطهر .. بل فوق الطهر .! فهو لا يزداد بي نوراً .. ولا يكمل بي طهراً .

أما يدي فهي مني .. وأنا تراب من الأرض .. يكمن فيه الظلام .. وتختبيء جراثيم الخطيئة .!

لو كنت عنده لغسلت عن قدمه .. لعل التراب يلمسه النور، فيحول ذرات من الضوء تسطع .. تشرق فيها روح السماء بارتفاعها، فتخف عن الأرض صاعدة .. وتترك فيها حظها الأسود ، من لمسة الشيطان الملح ، وتزوير الخطيئة المحتال .!

لو كنت عنده لغسلت عن قدمه .. لأني به أنا وروحي والأمل المتجدد في المجد . !

لأني به أنا وروحي أعرف قدر نفسي في نفسي .. وقدر بارئها فيها .. وقدر وجودي منها .. وأعرف ناموسها القويم وكتابها المبين .. ولولاه لما عرفته .. ولا عرفت ربي في نفسي .. ولا عرفت نفسي في ذاتي .. فعشت للكفر عبداً ، وللتعاسة قلماً .. يرقم به الشيطان في صحيفة السوء .. ثم يقهقه فيحطمه .!

ولولاه لكنت أكمه عن الحق .. لم أره فأعرفه .. ولم أسمعه فأتحرك إليه .. فأفقد كل شوق وحنين إلى عالم الغيب المنتظر .. والشوق إليه حياة فيه، والحنين إليه سعادة به .. وحياة فيه وسعادة به نقلة عن الدنيا المضلة ، وراحة من سفرها المشق .. وسعادة الخيال صورة من سعادة الحال، وتجدد الآمال بعث لشباب الأعمال!

لو كنت عنده لغسلت عن قدمه .. لأنه جاء والدنيا بغي .. تصرع العشاق مقتلة ، لا يكاد يفلت منها قلب .. وتفتن النساك مجترمة .. لا تكاد تنجو روح

تحيل بعضهم على بعض .. يجنى ، ويأثم ويجرم ، ويقود .! فطرح عن وجهها القناع الساحر ، فإذا هى شمطاء كالحة .. تلهث وجعا ، وإذا شفتاها الفاتنتان نتنان تشمئز منهما النفوس وتنفر القلوب . !

وضرب بقدمه على رأسها فسكنت .. لا تتلبظ إلا الجاهل مخدوع أو سفيه محروم!

وكشف النقاب عن وجه عروس الغيب .. فإذا بسيمة من الحسن أولها السكر عن كل لاذ عرف .. وما وراءها منه خلفها أعماق .. من بهجة منضرة ونعيم مقيم .. أسماؤها عندنا وذواتها هناك . ! « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

وصب على القلوب السكرى بحسن غيبها غيث ربها ، فغسلها من كل ماجنت من قبل ، فربا الجاهلية موضوع .. ودم الجاهلية موضوع . . وكل إثم سبق فهو موضوع .. والحياة من يومه بنت يومها ولدت به لأهلها ولادة لا تعرف ما كان وولدت روح كل مؤمن على درج أبيض من الثلج وأنقى من الدر .. خالية من الدنس. ولا عجب إن حولت الكيمياء اللون إلى اللون .. أو حللت أو ركبت ، فى ميلاده الشريف سر السر فى كيمياء الحياة ! .

القلوب الغلاظ أرق من النسيم رقة .. والنفوس الماردة على الشر أجود من الخير خيرا .. والغرائز المطلقة كوحوش الليل الهائجة عواطف مهذبة فى قيود من نور رفيق .. عرفت فيه سر الرفق فأعطت معاصمها راضية ، وأقدامها سمحة ، كما تعطى الحسناء معصمها لسوار من الماس أو خلخال من الذهب ! .

أى فتى عملاق ينطلق متشقا سيفه الصارم .. والشر يخاف بطشته والوحش يخشى سطوته . . يقصد بنت أمه وأبيه ليحول بين قلبها والحياة لأنها صبأت .. لأنها آمنت بهذا النور الذى سبق إلى قلبها فهزه وملكه ؟ .

ثم أى فتى مهور هو حين يخور كل عزم كان .. وتهوى كل همة سبقت .. ويبطش ببطشه فيسقطه من قلبه سر القرآن فى صحيفة تتلى . . ويدركه فيه سر محمد فى دعوة تدعى ؟ .

ثم أية امرأة تلك .. لا يأخذها الهول وهى تعرفه وتعرف منزع الجبروت فيه حين تقف متماسكة رابطة أمامه ، ثم تعتز بما صار نصف روحها ، بل كل روحها ، من آيات فى يدها ، فلا تسمح بأن ينالها

مس كافر حتى يطهر من عقيدته وينخلع عن كفره ؟ .

إنه عمر بن الخطاب وإنها أخته ، وقد ولد النقيض من النقيض ، بل حال الكفر إيمانا يتألق . . والقتيل المقصود قاتلا لعمر الفارع المتجبر . . ليبعث منه عمر الباكى الحليم الأواه !.

أما السيف الذى قتل ليبعث ، وأمات ليحيى ، فهو روح الله فى سورة (طه) وفى كل حرف من كتابه نزل . !

«لو كنت عنده لغسلت عن قدمه .!»

لعلى أسعد بمس قدمه .. وأنا الشقى فى متاهات نفسى .. لا أختلع نفسى من الشيطان ناهراً حتى تتفلت إلى الشيطان منى تفلت المومس من حياطة الرقباء .!

«لو كنت عنده لغسلت عن قدمه .!»

لم هذا التمنى أيها المسكين . ؟

آه ما أشد غفلتى . !

إنه عندى فلأتشبث بقدمه . !

إنه عندى .. إنه عندى .. فى مبادئه ومنهجه .. فى قوانينه وتعليمه .. فى الكتاب الذى حفظه الله من التحريف وعصمه من التزييف .. فيما ترك وخلف من آثار هو فيها الروح منها .. أليس بذلك هو عندى . ؟

إنه عنـــدى وأنا عنده، لأنه مع الله والله معه ، والله ملء حياتى . . وملء سمعى وبصرى . وكل حاسة منى وجارحة

إنه عندى وأنا عنده . . يسمعنى إذا ناديته . . وإذا صليت عليه يرد على السلام كما أخبرنى - وأنا المؤمن بكل ما قال — تنزه عن الشك فيما أخبر والظن بما قال .

إنه عندى وأنا عنده . . . فلأغسل سعيدا عن قدمه ، ولأتشبث ناعما بتلك السعادة ! .

إن غسل قدمه كناية عن حبى له . . وتعبير عن تواضعى لقدره . . وتمسكى بشرعته .. وذودى عن حوضه .. ونبذى لما كره .. وحبى ما أحب ومن أحب .

ثم لا أكون قد نفعته أو كافأته .. فيأخذنى الزهو ، ويهيم بى الغرور ، ويدخل على قلبى ما يمحق حقيقة الحب .. لحرصه ورحمته بنا أكبر منا . . وقد أعظم الله مكانه فشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ورفع فى الدارين ذكـــره ، وفتح له فتحا مبينا ، وأرسله شاهدا ومبشرا ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً . .

وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة . .

وما عليه إلا البلاغ !

أما أنا ذلك الشقى المهـــدد بالذنب ، المحارب من الأعداء ، الساكنين فى ذاتى والخارجين عنها ـ فبغسلى عن قدمه اعتصم من السوء ، وأحتمى من الرذيلة وأنعم بالأمن .. ويناديني الغيب : أبشر فإنك آمنت ... إنك آمنت .

« لو كنت عنده لغسلت عن قدمه » .

أيها الشاب .. ياولدى العزيز .. وياأخى الصغير ! أتدرى من قالها ؟ ومتى قالها ؟

إن كنت لا تعلم فاعلم أن قائلها ملك من عظماء الملوك فى الأرض ، عاقل حكيم من حكمائهم . هو (إمبراطور) الحبشة .

أما متى ؟ فحينما اشتد أذى الكفار برسولك الكريم وأصحابه صلوات الله عليهم فأذن للأصحاب بالهجرة الأولى إلى الحبشة فهاجر من هاجر ، وتابعهم إلحاح الشرك يقتص أثرهم ليردهم صرعى العناد .

لقد وقع الحوار بين النجاشى ووفد المشركين ، ثم بينه وبين المهاجرين ، فلما سمع الكلمة الكافرة والكلمة المؤمنة ، وفقه السر المنير الذى حمل المهاجر على ترك الأهل والوطن تضحية بكل غال عزيز ، وبكل راحة للجسم واستقرار فى العيش ، وأنه لن يكون إلا عقيدة محت عن القلب كل عقيدة لاستحصافها وقوتها ، وسلامة جوانبها من عيب يلم بها .

ولما عرف أن دعوة صاحبهم التى هاجروا فيها ، هى دعوة الأنبياء لصفاء الحياة وسلامها وسلامتها ، ولإخراج أهلها من الظلمات إلى الخير والهدى والفلاح .

لما أدرك ذلك رد الحق إلى التدبر وزاد المؤمنين فى دينهم إيمانا بأن قال متمنياً ، يعنى رسولك الذى لا تقدره حق قدره :

« لو كنت عنده لغسلت عن قدمه » .

وماذا يكون سلطان الملك الدنيوى عند من يعرف سلطان ربه ومقام رسله وكتبه !.

أيها الشاب : تعال معى نحتفل بمولد رسولك الكريم .

وليكن احتفالنا به غسلا عن قدمه بلزوم شريعته ، والانحناء أمام دينه ، والاعتذار إليه مما سلف ، ولنتأمل قول الله فيه : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » ؟

د. عز الدين على السيد

[١]

عندما نعود إلى تراثنا

للأستاذ فاروق منصور

هل هناك ما يسمى بالاقتصاد الإسلامى؟ إن السؤال على هذه الصورة قد يبدو ساذجا بالنسبة لدارس الفكر الإسلامى ولكنه ليس كذلك بالنسبة للدارس الاقتصادية الحديثة فى الغرب والشرق وليس كذلك أيضاً بالنسبة لتلاميذهم الذين ينكرون أن يكون هناك ما يسمى بالاقتصاد الإسلامى بدعوى أن الاقتصاد كعلم لم يتضح إلا بعد دعوة (آدم سميث) وهم بذلك الرأى يندفعون إلى التورط فى إصدار أحكام بلا حيثيات والإدلاء بأقوال بلا أدلة، فمن أين جاءهم أن الفكر الإسلامى لم يقدم من الدراسات المنظمة ما يصلح أساسا علميا فى مجالات الاقتصاد؟ ومن أين تأتى لهم أن المفكرين المسلمين لم يقدموا الأبحاث التحليلية للمجالات الاقتصادية المختلفة؟

إننا نملك الدليل العلمى على قيام المفكرين المسلمين بذلك، كما نملك المؤلفات التى تتناول الدراسات الاقتصادية فى الإسلام، كما نملك التجارب الاقتصادية والتطور الاقتصادى سواء من الناحية الفلسفية أو التطبيقية؛ فقد شهد المجتمع الإسلامى العديد من التطبيقات الاقتصادية فى مجتمع المدينة، ثم فى مجتمع الدولة الإسلامية المتسعة الأطراف، ثم فى البلاد ذات الإنتاج الزراعى الوفير كمصر بعد دخولها الإسلام ومثل الأندلس، وتعدد النشاط الاقتصادى الإسلامى ما بين زراعى وصناعى، كما تطورت النظريات الإسلامية تجاه عنصرى الاقتصاد، وهما المال والعمل.

هذا كله معروف لنا كمسلمين ومعروف لكل دارس للفكر الإسلامى وما علينا إلا أن نعيد عرض صحائفنا.

الأساس الفكرى للاقتصاد الإسلامى:

إن الذين يتجاهلون وجود ما يسمى بالاقتصاد الإسلامى من الأجانب لهم العذر لأنه قد لا يكون أتيح لهم الإلمام بالمؤلفات الاقتصادية الإسلامية على

اختلاف أنواعها المفرد منها وغير المفرد وما كان تاريخا أو جغرافية أو رحلات أو ما كان من نظم إدارية وتنظيمات سياسية شهدتها العصور الإسلامية المختلفة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والمجتمع النموذجى الذى أقامه فى المدينة قائما من الجانب الاقتصادى على أقوى الأسس، بل حتى منذ فجر الدعوة الإسلامية فى أعوام المقاطعة عندما اضطر بنو هاشم إلى أن يدخلوا إلى شعب أبى طالب فى العام الثالث للهجرة عندما قررت قريش مقاطعة آل هاشم ومن ظاهرهم . لقد اضطر المسلمون آنذاك أن يضعوا النظم الاقتصادية الكفيلة بأن تحفظ حياتهم فعمدوا إلى الادخار والإقلال من الإنفاق وكبح النفس عن الرغبة فى الطعام والشراب ، لأن ذلك لم يكن متوافرا لديهم . لقد كانت أول حرب اقتصادية واجهها الإسلام وكان على المسلمين أن يضعوا الحلول العملية التى تخرجهم من هذه الحرب ، وبذلك وجدت ظروف تحتاج إلى خطة اقتصادية ليس من الصواب أن يقال إن المسلمين ظلوا جامدين أمام الموقف فلم يضعوا له الحلول ، وتمتلىء كتب السيرة النبوية بالمواقف التى كانت تتطلب التخطيط الاقتصادى سواء فى الحرب والسلم . وفى الأحاديث النبوية الكثير من وجهات النظر الاقتصادية المستمدة من تعاليم السماء والتجارب اليومية المباشرة، ولقد جاء القرآن الكريم ليضع نظام الحياة المثلى ، فهل كان فى الإمكان أن تقوم مثل هذه الحياة بدون تخطيط اقتصادى وبدون أن يكون هناك تفكير اقتصادى ؟ .

إن القرآن الكريم قد جاء متضمنا الآيات البينات التى تكفل قيام هذا التنظيم وتضع الأساس العام الذى يجب أن يبنى عليه النظام الاقتصادى للمجتمع الإسلامى. والذى نحب أن نوجه الأنظار إليه أننا لا نقصد ظاهر الآيات التى تحدد بالنص المعاملات فحسب ولكن البناء الكلى الذى أقامه الإسلام والأسس العامة التى يمكن أن تفهم من هذه الآيات من حيث وجود نظام عام اقتصادى ووجود معاملات وتأسيس حقوق وواجبات للأفراد والجماعات إلى جانب الاشتراطات العامة التى يشترطها الإسلام كالخير والعدل والاهتمام بالجانب الخلقى

وتنمية الوازع النفسي بحيث يكون الخير العام وليس المنفعة الخاصة هدف الاقتصاد ومن ثم يكون مرفوضا من وجهة النظر الإسلامية كل ربح قائم على الاستغلال السيء أو الإضرار بالغير أو الغش والتمويه بعكس الاتجاه العام للاقتصاد غير الإسلامي الذي لا يعبأ إلا بتحقيق الربح في الاقتصاد الرأسمالي أو تحقيق صالح البروليتاريا [1] .

مصادر الاقتصاد الإسلامي :

إن الاقتصاد الإسلامي يتضح من خلال مصادر أساسية واضحة هي القرآن الكريم والسنة وكتب السيرة وأعمال الخلفاء إلى جانب المؤلفات الاقتصادية المقررة كالخراج لأبي يوسف والخراج ليحيي بن آدم والأموال لأبي القاسم ابن سلام كما نجده في المؤلفات التاريخية التي تهتم فيما تهتم بدراسة النشاط الاقتصادي للدولة وتسجيل مظاهر النشاط العام والخاص في كافة المجالات في أنحاء الدولة الإسلامية كما نجد الدراسات الاقتصادية ذات المجالات والتفاسير المختلفة في أقوال الفقهاء منذ عهد الصحابة ونجده في المؤلفات الإسلامية في علم الفقه والأصول كما نجده في المؤلفات الفقهية كالأم للشافعي ومسند أحمد وموطأ مالك ومؤلفات الإمام أبي حنيفة وتلاميذهم كأبي يوسف ومحمد بن الحسن ، كذلك في مؤلفات النووي والماوردي وغيرهم .

هذه المصادر كلها مابين مرجع أساسي يأثم من يخالفه كالكتاب والسنة وبين رأي يجب أن نتفهمه لأن الآراء الموجودة في الفقه الإسلامي لم يصدرها أصحابها عن هوى أو رغبة في تحقيق نفع خاص ولكن أصدروها مهتدين بالكتاب والسنة ومحاولين أن يتقيدوا في تفاسيرهم وفهمهم بالكتاب والسنة، هذا بالإضافة إلى ضرورة العلم بأن الأدلة التي تستمد منها الأحكام الشرعية ، وهي الأدلة الأربعة (القرآن ـ

(١) البروليتاريا تعبير قانوني روماني أطلق في روما القديمة على المواطن الذي ليس له أية صفة غير إنجاب الأطفال فليست له ممتلكات ولا حقوق .

ثم استخدم (سان سيمون) في القرن التاسع عشر التعبير ليصف من لا يملكون أي نصيب في الثروة العامة ولا يتمتعون بأية ضمانات.

ثم جاء (ماركس) فاعتبرها قوة ثورية باعتبارها نتاج تحلل المجتمع .

السنة - الإجماع - القياس) المتفق عليها من جمهور المجتهدين المسلمين ملزمة لكل مسلم، وهى طريقنا إلى تفهم الفكر الاقتصادى للخليفة العادل عمر بن الخطاب - رضى الله عنه وأرضاه - وأنار لنا الطريق لفهمه وألهمنا القدرة على اتباع ما هو أحق بالاتباع .

إننا عندما نتناول بالبحث والدراسة الفكر الاقتصادى للخليفة العادل فإننا يجب أن ندرك المدرسة التى تعلم فيها والمصادر التى بنى عليها فقهه واستمد منها نظراته . كما علينا أن نفرق بين ماقام به ملتزما نصا صريحا من الكتاب أو السنة وما تأول فيه ، ثم نحاول آخر الأمر أن نكون من هذه الاتجاهات والآراء والتنظيمات الصورة الحقيقية للمفكر الاقتصادى عمر بن الخطاب الذى تمتع بعقلية فذة وكان له من الفراسة ما لم يعرف به غيره، وقد استفاد عمر من تعاليم المدرسة الإسلامية ومن القرآن الكريم وصحبته للرسول ماملأ قلبه وعقله وأيقظ فكره وإن كانت الجوانب المعروفة عن عمر تذهل الإنسان المعاصر فإن البحث فى التفكير الاقتصادى لعمر بن الخطاب من شأنه أن يعتبر كل المفاهيم الاقتصادية .

وقد اهتم أسلافنا بالكتابة فى الاقتصاد ووضعوا الكثير من الأبحاث الجادة العميقة فيه ، ولقد كان للفقهاء المسلمين وجهات نظر دقيقة وآراء بالغة الروعة فى المجالات الاقتصادية . بل إن كثيرين منهم ارتادوا آفاقا ، وذللوا العقبات لمن جاء بعدهم ، ولا نكون مخالفين للحقيقة أو بعيدين عنها عند ما نقول : إن بعض هذه الآراء ظل معلما فى مجالاته ، متفردا فى نزعته ، فريدا فى نتائجه واتجاهاته .

الجديد ... والقديم

ومع إيماننا بما نقول ، نود أن نوضح بادىء ذى بدء أن مبعث تمسكنا بالقديم ليس لقدمه ، لأنه إذا كان القديم يمتاز بأصالته؛ ففى التقدمية حياة، وفى المعاصرة تلبية لظروف واقع ، وإدراكا لمتطلبات زمن ، واحتياجات بيئة . ولكننا لحسن الحظ نجد فى تراثنا الجمع بين الأصالة والواقعية : نجد فى سيرة عمر كمفكر اقتصادى، مثالا يحتذى، وإذا كنا نحرص على القديم - والحرص على القديم يجب أن يكون فى نظرنا التزاما وفى سلوكنا واقعاً - فإن هذا الحرص ليس تقديسا

للماضي أيا كان ، فذلك مرفوض لأن الكهنوت ليس من الإسلام ، بل البحث والنظر والتأمل، وإثراء التجارب بالممارسة هو منهج هذا الدين الذى شرفنا بحمله ، وارتضاه الله لنا « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً [1] » .

وليس حرصنا على القديم خشية الجديد أو رهبة المجهول ، وليس انعزالا عن الحياة أو انغلاقا أمام الفكر المتطور لأننا عندما نستسلم للخوف من الجديد . أو نعادى المجهول نكون غير مؤهلين للحياة نفسها ، ونكون بعيدين عن السلوك السوى الذى يرتضيه لنا ديننا ويدفعنا إليه دفعا .

ولكن تمسكنا بالقديم يأتى من تفهم واع لما بين أيدينا ، وإيمان قوى بصلاحيته للتطبيق العصرى ولأن يكون إجابة عملية وعلمية لما يثيره الواقع من أسئلة ، ويطرحه من مشاكل تتطلب حلولا .

وإذا كان العقل والمنطق لا يرفضان القديم لقدمه ، ولا يقبلان الجديد لجدته ولكن يرفضان ما هو شر أو ما لا يمكن أن يفيد أو يتوائم مع الحياة ، ويتقبلان كل ما من شأنه إضافة فائدة ، أو تحقيق غاية شريفة ، فإننا نكون بتمسكنا بهذا القديم متابعين للعقل والمنطق .

والذين يعارضون الأخـــذ بالقديم أو الاستفادة به يقفون - برغبة أو بغير رغبة - فى صف مخالفة المنطق والإعراض عن حكم العقل إلى جانب أنهم يرفضون القـديم بلا منهج علمى فى الوقت الذى يدعون فيه أنهم يفعلون ذلك تلبية لدواعى العصر ومتطلبات المنهج العلمى . إنهم يرفضون القديم دون أن يناقشوه ، ودون أن يحاولوا تفهمه أو الإلمام بأصوله ومعطياته ، وبذلك يكون حكمهم بعيدا عن الحقيقة وأولى بالإعراض عنه .

إننا عندما نؤمن بأهمية القديم وضرورة الالتزام به نراعى فى ذلك عدة اعتبارات :

أولا : مصدر هذا القديم ونوعيته .

ثانيا : النتائج العملية التى حققها ذلك الفكر الإسلامى فى ظروف معينة ندركها ونقدر كل اعتباراتها .

ثالثا : فهم طبيعتنا كبشر فى هذا العصر من الزمان ، وفى هـذا الموقع من العالم وفى هذه الخصائص البيئية ، وفى ضوء

---

(١) المائدة : ٣ .

ما يعترضنا من عقبات وما نتعرض له من مشاكل باعتبارنا أمة عربية تعيش فى القرن العشرين وتعمل من أجل قرون مقبلة وترتبط - رضيت أو رفضت - بمؤثرات وظروف من قرون سابقة.

رابعاً: أننا نلتزم بالعروبة ذلك أن العروبة والإسلام متلازمان، إذ العروبة قاعدة انطلاق الدعوة الإسلامية والعروبة لا بد أن تكون لغة وقيما وسلوكا وفكرا لسانا وحياة، تاريخا وجغرافية، والعروبة أيضا لا بد أن تكون إسلاما. فلم تعز ولن تعز إلا بالإسلام، ولم ينتشر الإسلام ولا يفهم كاملا إلا بها لسانا ودعوة، جندا وعلماء وبالجملة كل الشعب. والذين يؤمنون بالعروبة منتزعة من الإسلام كافرون بالعروبة سلوكا كما أنهم كافرون بالإسلام عقيدة والذين ينزعون الإسلام من العروبة مخطئون فى واقع المنطق والتاريخ والروح الحقيقية للإسلام وجوهر نصوصه: «كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون»[1]. وقوله تعالى: «وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير»[1]. ويقول: «وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا»[2]. «إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون»[3].

بل إن الحق تبارك وتعالى يمتدح فصاحة القرآن بأنه عربى يقول تعالى: «وهذا لسان عربى مبين»[4]، ويقول تبارك وتعالى: «وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربى مبين»[5].

ودعاة الفصل بين العروبة والإسلام ليسوا مجرد مخطئين ولكنهم منحرفون، وإذا لم نتفق جميعاً على هذا الحكم فلنحاول الرجوع إلى تاريخ المحاولات الاستعمارية والحروب العنصرية التى شنت قديما أو تشن حديثاً على الإسلام والعروبة وسنجدها كلها تقوم على مخطط واحد، وتحارب بكل أسلحتها فى سبيل هدف واحد: الفصل بين العروبة والإسلام. ولا يتأتى هذا عن مجرد حقد أو عداء للدين أو الجنس، ولكنه ينبع من دراسة

(١) فصلت: ٣.

(١) الشورى: ٧.
(٢) طه: ١١٣.
(٣) يوسف: ٢.
(٤) النحل: ١٠٣.
(٥) الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥.

واعية قام بها العدو ، وفهم عميق ، إنهم يدركون طبيعة الإسلام والعروبة ، ومدى قوتهما وترابطهما ، وكيف يأتى ضعفهما من عملية الفصل هذه ؛ لذلك يبذلون جهدهم لكى يحققوه .

خامسا : إننا نفهم طبيعة هذا العصر وطبيعة الفكر الذى جاء به ، وندرك أن هذا الفكر أنتجه أناس لم يلتزموا بما بين أيدينا من كتاب ؛ بل أنكروا كتابنا ، وجحدوا ديننا .

وعندما نقف أمام فكر أو عطاء حضارى لا يلتزم بديننا بل يجحده ولا يحرص على قيمنا بل يحاربها ؛ فإن الواجب والعقل والمنطق يحتم علينا أن نرتاب فى هذا الفكر أو هذا العطاء بدلا من أن نذعن له ، أو نستسلم دون مناقشة ودون بحث أو تحليل .

لذلك فإنه يجب أن ننمى دائما قدرتنا على الفهم ومقدرتنا على إبداء الرأى ، بل ربما كان من الأصوب أن نعمل على أن يكون رفضنا الواعى للكثير من معطيات الحضارة اللادينية أكثر من سلبيتنا ، وأن نعمل على أن يكون إعراضنا المستنير بديلا لاستسلامنا المريض أو خضوعنا الذليل .

وإذا كان الأخذ بالجديد قد يكون مفيداً ، فليس الرفض خسارة دائما ، كما أنه ليس مكسبا فى كل الأوقات ؛ لذلك فإن واجبنا جميعا أن نقوى حاسة الحكم على الأمور ونرفع من مقدرتنا على الاختيار ، والاختيار السليم لا يتأتى إلا من ضمير حى ، وبصيرة سليمة ، وإرادة حرة ، وهذه الركائز الثلاث لا يمكن أن تتوافر إلا فى ظل الإسلام عقيدة وحياة ، وإننا نجد هذه الركائز واضحة فى فكر عمر وحياته .

هذه هى الاعتبارات التى ننظر إليها عندما نطالب بالالتزام بالقديم ، وضرورة فهمه والأخذ منه ، والعجيب حقا أن أى محاولة لدراسة فكر الخليفة العادل رضى الله عنه توصلنا إلى هذا الهدف .

وإذا كان السلف الصالح قد أعطى الكثير فلأنه بنى على أساس سليم وتربى تربية سليمة ، وإذا كنا ندعو للالتزام بسلفية صالحة ، فإننا نتجه بعقولنا وأبصارنا إلى نفس الأساس الذى أقاموا عليه ، ونعود إلى المنهج الذى أثبت نجاحه .

والأساس لا يزال موجوداً ، والمنهج ما زال بين أيدينا ، إنه الكتاب وسنة الرسول ، وهذا التراث الفقهى العظيم

الذى صاغته عقول واعية آمنت بربها فزادها هدى ، عرفت طريقها والتزمت فوفقت واهتدت، ويعطينا عمر رضى الله عنه مثالا فذا لذلك فالدعوة لتراثنا لا تعنى رفض الجديد بل تعنى الاستفادة مما لدينا من كنوز ، والبحث عن الكيفية ومحاولة اكتشاف الجديد من واقع موجود وليس محاولة بنائه من فراغ .

حينئذ نستطيع أن نستفيد ونفيد ونكون قد حافظنا على القديم فلم نضيعه أو نبعثره ونكون قد أدركنا الجديد فلم نعبث فيه أو نقصر عن متطلباته أو نهمل فى توفير الأسباب الصالحة لبنائه وتوفير كل الإمكانيات التى تدعمه وتحقق إصلاحه وصلاحه ، وتكون جهودنا حينئذ مثمرة ، إذ أنها ستحقق غاية وتوصل لهدف، وتؤدى إلى خير وفلاح.

وهذا مايدعو إليه العصر، ويرى المنهج العلمى أنه السبيل الأفضل لحياة فاضلة فى عصرنا وفى كل العصور .

ولكن ... تبقى ملاحظات!

إذا سلمنا بأن فى الدعوة للأخذ من القديم الذى لدينا يجب أن يكون التزاما عصريا ارتباطا بقيمنا وتراثنا وديننا وعروبتنا التى تضم ذلك كله ؛ فإن هناك عدة ملاحظات يجب أن تكون واضحة أمامنا ، مقررة فى أذهاننا، فسلم بها جميعاً أو نحاول أن نتفق حولها ، ولا مانع من أن يكون هناك أخذ ورد بيننا ، ولكن المانع أن يكون هناك ركود فكرى أو سلبية أو تسليم أعمى .

تتمثل هذه الملاحظات فيما يلى: —

١ — أن الإسلام دين حياة جاء بمنهج لا يمكن أن تصلح حياة الناس إلا بالأخذ به متكاملا ، وأن هذا الدين قد أرسى قواعد العقيدة وحدد صورة البنيان وهيكله وجوهره ، وترك للبشر اختيار ما يصلح لهم مع التزامهم بتعاليم الله .

٢ — أن الإسلام دين تجريبى وليس مجموعة من النصوص الجامدة ، دين يفتح الباب للعقل الواعى المتمرس فى أن يفكر ويبتكر ملتزما بالكتاب والسنة وقادراً على البحث والدراسة والمناقشة والإدلاء برأى عن علم وبصيرة .

٣ — أنه إذا كان من مفاهيم الفقه الإسلامى أنه لا اجتهاد مع وجود النص فإن ذلك يستتبع أن يكون: لا كهنوت

فى غيابه، ولا تأويل لصريحه، ولا غموض لواضحه وظاهر آياته.

٤ - إذا كان الالتزام بالدين والتراث يقتضى المحافظة على روحه وجوهره؛ فإن تفهم الحاضر والاستفادة من تجاربه أمر جوهرى ما دام متفقا مع الكتاب والسنة فليس من الإسلام فى شىء إطلاق الحكم «أن كل جديد بدعة» لأن فى ذلك خروجا بالقول عن معناه المراد منه وفائدته المحددة له.

٥ - إذا كنا نريد أن نفهم الإسلام فلنفهمه من مصادره، وليس من إلزام العقل بالخضوع لكل قول أيا كان قائله ما دام ينسب إلى الإسلام أو يدعى ادعاء أنه مأخوذ منه، فالقرآن فى منهجه يعلى من حرية الإرادة ويضع الأسس التى يبنى عليها الفكر وينمى قدرات العقل على الاختيار.

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد ذلك فى الكثير من أحاديثه كما أن سنته العملية تقره بل تؤكده.

إن الإسلام لا يعرف أبداً الإذعان الذليل أو التسليم الأعمى، ولكنه يدعو للإقناع والفهم، يقول صلى الله عليه وسلم: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك».

٦ - أن الفكر الإسلامى لكى يعيش فلابد أن يعايش واقعاً؛ لأن أسلافنا رضوان الله عليهم، فعلوا ذلك، ومن يعد إلى تراثنا يدرك أى جهد بذلوه ليخضعوا الحياة لمنهاج إسلامى، وليبنوا الحياة على أساس إسلامى ويطوروا المجتمع حولهم بعطاء حضارى إسلامى.

أما أن يظل الفكر الإسلامى المعاصر يدور فى حلقات مفرغة منسلخا عن طبيعته مبعدا عن حقيقته غير مدرك لواقعه وحاجات الناس؛ فإن ذلك يسلمه للتبدد والضياع.

٧ - أن فهمنا للواقع ومجابهتنا للعصر لا يتمثل فى خضوعنا له أو تبعيتنا لمقولاته ولكن يتمثل فى حيوية فهمنا له وديناميكية إسهامنا فى تطويره، وقدرتنا على تقديم الكثير له والتغيير المستمر فيه.

٨ - إذا كان العصر الحديث ينادى بالالتزام باعتبار أن ذلك شعار حضارى فإن الإسلام يأمر به باعتباره منهاج حياة وتأكيد فطرة، وتأصيل طبيعة، وتهذيب إرادة، وأداة عمل، وفى ضوء ذلك فإننا - كمسلمين - يجب أن نحرص على أن نكون

(البقية ص ٢٦٢)

نظرات علمية :

ابن رشد بين الفقه والفلسفة

للدكتور محمد رجب البيومي

— ٢ —

كان للفقهاء فى دولة المرابطين التى تقدمت عهد ابن رشد الحفيد صولة ونفوذ إذ كانوا مستشارى يوسف بن تاشفين وأصحاب أمره ، ولا غرابة فى ذلك فالرجل ذو منحى دينى يعتز به ، ويرى فى الفقهاء حفظة الدين وحراس الإسلام فهم أصحاب الفتوى ، وولاة القضاء ، ومفزع الناس، إذ يلتمسون وجوه الهداية لما يرضى الله ، ولكن أكثر هؤلاء قد تشددوا تشددا لا يعرف التسامح ، فأحلوا قراءة بعض الكتب وحرموا قراءة بعضها دون رعاية لأبعاد النظر المختلفة فى ملة واحدة ، وكانت كتب الإمام الغزالى - على وجاهة قدره لدى أهل السنة - مما يحرمون ويقبحون لأنها فى نظرهم الضيق ملأى بالزندقة لتعرضها إلى مباحث علم الكلام على نحو لا يرضى القوم ، وقد أغروا صاحب الأمر بها فاستمع إليهم وأصدر أمره بإحراقها ، ومعاقبة من تثبت لديه قراءتها والرجل حاكم حربى لا صلة له بشئون العلم فظن أن أقوال مستشاريه صواب لا يتطرق إليه الخطأ ، واشتط مع الناس فى مرهقات مجحفة نزعت عنه رضا الصدور حتى عجات بدولته فى سرعة قاهرة وقام على أنقاضها حكم الموحدين .

وطبيعى أن يحدث العهد الجديد ما يخالف سابقه من الاتجاهات ، ففطن الموحدون إلى أثر الفقهاء فى التراث الفكرى، وكان منهم ذوو البصر بالقراءة المستنيرة والمذاهب الفكرية من دينية وسياسية وفلسفية ، فافتتحوا عهدا زاخرا بالبحث الفكرى، وأعادوا لكتب الإمام الغزالى حرمتها ، وتمكن الفيلسوف الكبير أبو بكر بن طفيل صاحب حى بن يقظان من الوجاهة والحظوة لدى الحاكمين حتى كان الصفى الأول لخليفة الموحدين يوسف ابن عبد المؤمن ، فاجتمعا على حب الفلسفة والنظر ، وشغلا كثيرا من الوقت

فى حل المعضلات المذهبية ، ثم رأى ابن طفيل أن يقدم ابن رشد إلى الخليفة لحظى عنده وأظهر من دلائل النبوغ ما أحله الصـــدر بين رجال الدولة من عمليين ونظريين .

وإذا كانت آفة المرابطين التزمت وضيق الصدر فإن آفة الموحدين الاستعلاء والتباهى بالمعرفة ، وإضافة القيادة العلمية لأنفسهم ، وقد أكثروا القول فى جهل أسلافهم ورميهم بالأمية والجفاء ، ثم جنح بهم الترف العقلى إلى تحـــكم فى الرأى جعلهم ينتقدون المـذهب الفقهى السائد لعهدهم ، وهو مذهب الإمام مالك رضى الله عنه ، ويرون فى أوجه الخلاف بين علمائه مطعنا ينفذون منه إلى التهجم على بعض مالا يرتضون من الآراء ، وكان المتوقع ممن يحبون الفلسفة ويصفون أنفسهم بالمرونة الرحبة أن يكونوا ذوى صدور متسعة لما يتقابل من الأفكار ، وأولى عقول تعلم أن اختلاف الآراء فى المذاهب الفقهية مدعاة يسر وتسهيل وباب رحمة للمسلمين ، كان المتوقع ذلك من هؤلاء ولكن عـزة الحكم ألجأتهم إلى نوع من القسر لا يحمدون به حين تصدروا الحكم على أئمة الفقهاء من السابقين ، ثم تورطوا فى نقد مخطىء لا يستقيم مع ذوى الرأى السديد ، وفى القصة التالية ما يشير إلى ضيقهم الكريه . ذكر صاحب المعجب عن أبى بكر بن الجد أحد كبار الفقهاء فى عصر الموحـدين أنه قال : « لما دخلت على أمـــير المؤمنين أبى يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن أول دخـلة دخلتها عليه وجدت بين يديه كتاب ابن يونس أحد أعـلام الفقه المـالكى بالأندلس فقال لى يا أبا بكر أنا أنظر فى هـذه الآراء المتشعبة التى أحدثت فى دين الله ، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا ، فأى هـذه الأقوال هو الحق ؟ وأيها يجب أن يأخذ بها المقلد ؟ فافتتحت أبين له ما أشـكل عليه من ذلك ، فقال لى : وقطع كلامى يا أبا بكر ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف أو هذا وأشار إلى كتاب سنن أبى داود وكان عن يمينه ، ثم قال أو السيف » .

فنحن نرى صاحب الأمر يفرض نفسه عالما يناقش الآراء الفقهية ، ويرى فى اختلافها مدعاة فساد يقابل بالسيف ، ولـكنه لم يفلح مع ذلك فى مقاومة الفقه

المالكى ؛ إذ ظل فقهاء المذهب ورجال الأمة فى المغرب متمسكين بتعاليمه على ضيق منه ، وكانت فى ابن رشد شجاعة صارخة فعمد إلى التأليف الفقهى وأصدر كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) فى جزءين كبيرين ليثبت أن أوجه الخلاف فى المسألة الواحدة مما يتحمله النص القرآنى والحديث النبوى ، ولو كان الفيلسوف ضعيف النفس لجرى مع القوم فى منحاهم الفقهى ، ولكنه كان من الإيمان والترفع بحيث صار الحق وجهته ، ولم يعدم هذه الشجاعة الأدبية البارعة حين تصدى لمهاجمة الغزالى فى دولة الموحدين ، وهى التى أشادت بحجة الإسلام وقررت إباحة كتبه وإعادة نسخها وقراءتها وتدريسها بعد أن حاربها المرابطون ! وإذا كنا نختلف مع الفيلسوف فى كثير مما قرر فإن نختلف قليلا فى تقدير شجاعته وإنصافه الرائع للفقه الإسلامى فى كتابه الحافل الجليل .

بدأ ابن رشد كتابه بمقدمة شافية توضح الغرض من تأليفه وتدل على قدمه الراسخ فى علمى الأصول والفقه معا فتحدث عن الطرق التى تهدى إلى الحكم الشرعى ، وفرق بين القياس الشرعى وغيره ، وحدد معنى الإجماع الأصولى وخاض بحوثاً دقيقة توضح مذهبه التأليفى ومنحاه الفقهى ليدل على اختلاف الآراء فى المذاهب مما يوجبه التيسير والتذليل ، وقد خالف الطريقة المتبعة فى التأليف الفقهى إلى منحى جديد من القول ، يبدأ فى كل فصل من فصول الكتاب بذكر العناصر التى سيعرض إلى دقائقها بالبحث ثم يثنى بذكر آراء الفقهاء والعلماء من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من أئمة الفقه فى المسائل الخلافية مع إيجاز يتطلبه اليسر والرفق ، فقد كان الفقيه الفيلسوف قادراً على أن يجعل كتابه موسوعة كبيرة يحشد لها جل الآراء الفقهية من لدن رسول الله إلى عصره ، ولكن ذلك مما يعوق تداول الكتاب ويجعله وقفا على خاصة الخاصة دون بقية رجال العلم ، وهو ما يتحاشاه صاحب الهدف المركز فى التبويب والتقريب .

وقد أحسن كل الإحسان فى بيان مناشىء الخلاف بين الفقهاء ؛ إذ يذكر الحكم متبوعا بما يستند إليه من نص أو قياس أو إجماع أو مصلحة مرجحاً

ما يرتضيه من القول ومعتمداً على أهدى القواعد الأصولية ، بعيداً عن شذوذ الطفرة ولجاج الجدل ، وقارئه يشعر أنه أمام فقيه كبير بلغ مرتبة الاجتهاد ، وإذا لم يمكن لمثلى أن يرتقى إلى الحكم الصائب فى عمل أصولى فقهى كعمل ابن رشد ، فإنى أكل ذلك إلى عالم المغرب الكبير أستاذنا البحاثة عبد الله كنون حيث أوضح ما نبتغى فى بحث مجمعى ألقاه فى مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قال فيه : « وأزعم أن ابن رشد فضلا عن تأثره كغيره بهذه الروح كان أيضاً متأثراً بثقافته المنطقية ومرانه على الجدل فى مقارنته للمذاهب وتخريجه للأقوال ولعل ذلك هو ما منعه من أن يكون متعصباً لهذا المذهب أو ذاك ؛ فإنه يناقش كل خلاف بروح زمنية نزيهة ، وإذا رجح فقها على فقه فإنه لا يبدى أى تنطع فى ذلك كما هى عادة فقهاء المذاهب ، والغالب أن يرى الخلافات المذهبية ناشئة من يسر الشريعة ومرونة قواعدها فيجعلك تشعر بالاطمئنان لكل المذاهب وتلاشى الخلاف فيما بينها تلاشى الضباب بأشعة الشمس ، ولا يعنى هذا تنازله عن مالكيته وعدم قياسه بفقه المذهب كما يطلب من أحد أقطابه ، كلا ، فإنه أول ما يذكر مذهب إمامه ويزيد بذكر أقوال أعلامه المشهورين التى خالفوا فيها الإمام ومداركها ، ولا يقول فى مسألة من المسائل إنه لا يعرف حكمها فى المذهب كما يقول ذلك أحياناً فيما يتعلق ببعض المذاهب الأخرى مما يدل على تمكنه من معرفة مذهبه وتضلعه فى فقهه ، وهو يأخذ على المذهب مخالفته للأصول فى بعض المسائل ، وربما يعلل ذلك بعدم بلوغ النص إلى الإمام أو عدم صحته عنده ، وكثيراً ما يلاحظ مخالفة المذهب للقواعد التى بنى عليها ، واتخذها أساساً للحكم ، وله فى العمل الذى هو أصل من أصول مذهب الإمام مالك أعنى عمل أهل المدينة كلام ضمنه كتابه « فى أصول الفقه » ، ولعله هو الذى لخصه فى كتاب بداية المجتهد عند الكلام على جمع الصلاة ورأيه فيه وسط يقبل ويرد بحسب المقامات » .

هذا بعض ما أشار إليه العلامة الأستاذ عبد الله كنون فى بحث شاف قد اتسع لتسجيل آراء فقهية جديدة

اهتدى إليها ابن رشد دون تقليد منتفعا بمعلوماته الطبية والعلمية والفلكية فى الترجيح والتدليل ، وكتاب ابن رشد بتبويبه الدقيق يصلح أن يطالعه المعاصرون فيردوا أصفى الموارد بعيداً عن كدر المتون والحواشى والتقريرات التى اتبعت فى التأليف الفقهى لمدى متطاول طال ليله وغاب ضحاه ، كما أنه يرشد إلى النظر الصائب فى توجيه الاستدلال وصحة النظر وسلامة القياس بما يعلم التفكير الصحيح ، ويرث قارىء الفقه من البصر والدقة ما لا يتاح له عند قراءة كثير من الكتب ذات الحشود والنقود على وجه ترديدى يكتفى بالنقول المزدحمة والتخريجات المتعسفة ، مما يدركه الباحثون ، ونستطيع أن ننقل عن البداية نصاً موجزاً يوحى بطريقة الرجل فى التأليف ، ولا يخلو من فائدة فقهية تتاح للقارىء دون عناء .

جاء فى الجزء الثانى ص ٢٩٢ من البداية عن ميراث ذوى الأرحام مانصه :

« وأما المختلف فى إرثهم فهم ذوو الأرحام ، وهم من لا فرض لهم فى كتاب الله ولا هم عصبة ، فذهب مالك والشافعى وأكثر فقهاء الأمصار وزيد بن ثابت من الصحابة إلى أنه لا ميراث لهم ، وذهب سائر الصحابة وفقهاء العراق وجماعة من العلماء من سائر الآفاق إلى توريثهم ، والذين قالوا بتوريثهم اختلفوا فى صفة توريثهم ، فذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى توريثهم على ترتيب العصبات ، وذهب سائر من ورثهم إلى التنزيل وهو أن ينزل كل من أدلى منهم بذى سهم أو عصبية بمنزلة السبب الذى أدلى به .

وعمدة مالك ومن قال بقوله إن الفرائض لما كانت لا مجال للقياس فيها كان الأصل ألا يثبت فيها شىء إلا بكتاب أو بسنة أو إجماع ، وجميع ذلك معدوم فى هذه المسألة ، وأما الفرقة الثانية فزعموا أن دليلهم على ذلك من الكتاب والسنة والقياس ، أما الكتاب فقوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » ، وأما السنة فاحتجوا بما أخرجه الترمذى عن عمر ابن الخطاب أنه كتب إلى أبى عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الله ورسوله مولى من لا مولى له ، والخال وارث من لا وارث له » ، وأما من طريق المعنى فإن القدماء من أصحاب أبى حنيفة

قالوا: إن ذوى الأرحام أولى من المسلمين لأنهم قد اجتمع لهم سببان : القرابة والإسلام ، فأشبهوا تقديم الأخ الشقيق على الأخ للأب ، أعنى أن من اجتمع له سببان أولى ممن له سبب واحد ، اه فأنت ترى من هذا المثال الواحد أن ابن رشد الفقيه ، هو ابن رشد المنطقى فى صحة أدائه ، وترتيب قضاياه ، ووضوح لفظه ، ودقة استيعابه . لقد تعرض إلى توريث ذوى الأرحام فذكر أن الفقهاء فى شتى المذاهب ما بين مانع ومثبت ، فإذا كان مالك والشافعى وأكثر أصحاب الأمصار قد منعوا هذا الميراث ؛ فإن دليلهم أن كتاب الله عز وجل وسنة رسوله سكتا عن توريثهم فليس لهم أن يأخذوا شيئا ، كما أن الإجماع لم ينعقد على هذا التوريث ، والفرائض لا قياس فيها فيجب أن نلتزم بالنص لا بالقياس .

أما أبو حنيفة وأصحابه فقد ذهبوا إلى توريثهم بأدلة غير صريحة استنبطت من الكتاب والسنة والقياس ، وقد ساق الرجل أدلتهم فى وضوح كاشف لا لبس فيه ، ثم قرر طريقتهم فى الإرث ، إذ تكون على ترتيب العصبات بأن ينزل كل من أدلى منه بذى سهم أو عصبته بمنزلة السبب الذى أدلى به .

وتسألنى بعد ذلك عن رأى ابن رشد فى هذه المسألة ، وكأنك تتخيل أن الفقيه قد أدلى بآراء غيره دون أن يبين اتجاهه الخاص .

ولكن الواقع أن ابن رشد قد ارتضى وجهة مالك والشافعى وزيد بن ثابت وأكثر فقهاء الأمصار فى منع التوريث لا لأنه مالكى يصدر عن مذهب مالك ، فكثيرا ما يخالف المذهب دون تردد حين يرى الحق فى غيره ، ولكن لما يفصح عنه قوله وأما الفرقة الثانية « فزعموا » لأن الزعم مما لا يصل إلى اليقين ، وما كان الرجل ليصل إلى أبعد من ذلك فى توهين رأى لا يرتضيه .

وإذا أخذ على كتاب البداية أنه قد تخطئه الدقة فى نسبة قول إلى صاحبه فذلك مالم يسلم منه كبير أو صغير ؛ إذ أن الكمال لله لا لسواه ، أما ما قيل من أنه يخص مذهب مالك بالتفصيل والشرح ، وذكر الدليل ، فهذا ما لا حيلة له فيه ؛ إذ أنه درس مذهب مالك دراسة مستوعبة جعلته من أقدر الفقهاء على توضيحه ، وعلى غيره من فقهاء المذاهب الأخرى أن

يتولوا طبع كتابه طبعة جديدة يضيفون إلى هوامشها ما ند عن الرجل من تفصيل أو تعليل ، وهذا هو الطريق الأمثل لتحقيق التراث الفقهي فى زمننا الأخير.

وبعد، فهل استطاع ابن رشد مع إمامته فى الفقه والفلسفة أن ينجو بنفسه من مكايد الحاسدين ؟ لقد كان الرجل محسودا على عقله الواسع، ونظره الصائب، وعمقه الدقيق ؛ فتألبت عناصر الشر عليه لتميل بالحق إلى غير وجهه ، فنسبوا إليه من الأقوال عن عاد وثمود ما لم تصح نسبته إليه ، واقتطعوا من كتبه الفلسفية ما يوهم المروق والإلحاد ، ورأوا أن ذلك كله لا يستطيع أن يؤلب عليه صاحب الأمر فعمدوا إلى الدس الحقير حين أبلغوا أمير الموحدين أن الرجل قد انتقص من قدره حين قال عنه فى أحد دروسه : إنه ملك البربر ، وتلك كبوة ما نظن أن مثل الفيلسوف فى سياسته الحاذقة وصداقته المخلصة لحاكمى الدولة يأتيها ، ولكنه الاختلاق الآفن قد أوغر صدر الأمير فاستدعاه إلى محاكمة جائرة خلص منها إلى لعنه وطرده ونفيه مع نفر من تلاميذه ثم إلى إصدار منشور مسهب بإلحاده ومروقه فتحاماه الناس كصاحب لعنة توشك أن تحل بمن يصحبه أو يكلمه أو يراه ، وقاسى الفيلسوف من جراء ذلك ما كان له أثره البالغ فى تكدير صفوه وظلام ليله ، وكان أوجع ما كابده فى ذلك أن ذهب مع ولده لصلاة العصر فى مسجد قرطبة فثار عليه العامة وأخرجوه مع ولده فى موقف آسف ! وكان أمير الموحدين تحقق أخيرا فساد ما نسب إلى الرجل من افتراء فعمل على تقريبه وأصدر أمره بالعفو عنه ، وكان الفيلسوف فى حالة ميئسة لارتفاع سنه وكثرة همه وتألب العامة والخاصة عليه فلم ينعم بالعفو غير أيام يسيرة اشتدت بها علته التى أسلمته للموت بعد جهاد عنيف ! وهكذا جاء العفو متأخرا عن موعده فما انتفع به الأمير فى تقريب صاحبه وما انتفع به الفيلسوف فى تبديد همه ، إذ وقف الموت حائلا دون إعادة الصفاء واقتراب الشمل :

أتت وحياض الموت بينى وبينها
وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

د . محمد رجب البيومى

من الدراسات السياسية والدستورية فى الإسلام :

مشاكل القاعدة الشعبية

للدكتور مصطفى كمال وصفى

أولا : البيئة السياسية الإسلامية

— ١ —

بينا من قبل أن نظام الحكم الإسلامى يقوم على عنصرين :

١ — هدف أعلى : قلنا إنه العدل القائم على التوحيد .

٢ — وقاعدة شعبية متضامنة .

* * *

وأول مشاكل القاعدة الشعبية : هى توفير البيئة السياسية التى يمكن تطبيق القوانين الإسلامية فيها ، والتى تحترم هذه القوانين ودواعيها ودوافعها بإخلاص وتستطيع هذه القوانين أن تجد المحل الذى يمكن أن تنصرف إليه آثارها .

فمثلا قاعدة : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . هذه القاعدة إذا لم توجد البيئة الإسلامية الحقيقية التى تنطبق فيها ، فإنها تكون مجرد شعار وإعلان أجوف ، ولا يمكن أن ترتب حكما أو جزاء على مخالفتها : فإن هذه القاعدة تتطلب وجود المؤمن القادر على أن يشد مؤمنا آخـــر .

وهو مؤمن – بطبيعة الحال – يكون ثريا ، ذا إمكانيات مادية وأدبية ، من قدرة علمية أو مهنية أو نحوها ، يستطيع بها أن يسند آخر ضعيفا محتاجا . وكذا يجب لتطبيقها أن يكون هـذا المؤمن المطالب بالكفالة الاجتماعية معتقداً ومخلصا فى تقديمها ، ولا يقوم بما يفرض عليه ظاهريا وصوريا ، ولمجرد أنه يفرض عليه ، ثم أنه يجب كذلك أن يكون هناك تعارف وإعلام بحالة الضعيف واستحقاقه للمساعدة واطلاعه عليه ، وأن توجد الوسائل المباشرة لتوصيل العون الذى يقدمه الكافل – عن قدرة وعلم – إلى المكفول ، وأن يكون ثمة جزاء على عدم اتباع هــذا الأمر ، فإذا كان المجتمع متفككا ، والأغنياء منفصلون عن الفقراء

وليست لديهم وسيلة للعلم بحالهم أو احتياجهم ، أو لم يكن هناك أغنياء البتة ، وهو أمر عاد متصوراً الآن في النظم التي تمنع التملك إطلاقاً أو تمنعه لأكثر من حد معين ، أو كان الناس لا يقدرون لزوم هذا التكافل ويحسبونه توجيها أدبيا لمن شاء أن يقدمه بلا جزاء فإن هذه القاعدة لا تكون إلا جملة أدبية، للإعجاب بها دون اتباعها .

ولذلك فإن تدريس الدين وجعله مادة إلزامية في المدارس ما دامت البيئة الإسلامية غير متوافرة ؛ تجعل صبية المدارس يحسبون أن الدين لا يزيد على مجرد أناشيد المحفوظات ونحوها وخاصة بعد ما يتخرجون في الحياة يلحظون سوء حال الرجل المتدين ، وما يقع عليه من استغلال الطلقاء له ، ممن لا يتقيدون بقواعده ويمتلكون الحرية أن يفعلوا مع الغير مايشاءون بلا وازع ويسمعون ما يكال من السخرية بمن هو متمسك بدينه . عند ذلك لا يجدى ما درسوه من الدين كمادة إلزامية ، لأنه ليس مادة إلزامية في الحياة والمعاملات .

* * *

والبيئة الإسلامية الحقيقية التي يمكنها أن تتحمل التكليف الشرعي وتصمد له ، لها تكوين سياسي خاص كما سنراه في موضعه وهذا التكوين يتطلب تشكيل النظام الإسلامي من قاع القاعدة الشعبية على وجهه الصحيح ، بارتياد المساجد وإقامة الشعائر الدينية اللازمة واتباع العوائد الإسلامية .

ومن هنا تتبين أهمية العبادات في أحكام الشريعة الإسلامية .

فقد رأيت الكثيرين من رجال القانون أو رجال الفكر الحديث يسخرون إذا فتحوا كتابا شرعيا فوجدوه يبدأ بالطهارة والصلاة والزكاة ، ثم يتطرق إلى المعاملات من بيع وإجارة ومضاربة وشركة.. ثم يعود إلى سائر الأحكام من جنايات وديات وحروب ومعاهدات .. ويقولون : ما هذا الخلط ؟ وما دخل العبادات حتى تكون مع القواعد القانونية في كتاب واحد ؟!

والواقع أن هذا السؤال سببه عدم شعورهم بأهمية البيئة الإسلامية ، وهم معذورون في ذلك، لأنه لا توجد أحكام ملزمة تؤيد العبادات وتؤكد إنشاء البيئة

المسلمة، وبذلك أصبح وجود هذه الأحكام في كتب الفقه غريبا في أعينهم، ولو كان تارك الصلاة يطبق عليه حكم الإسلام وتارك الزكاة كذلك، والمظهر للفطر يعذر لكان لهذه الأحكام أهمية قانونية كبرى تستحق التقدير، وإنما أسقطها عدم الالتزام بتطبيقها.

إن وجود أحكام العبادات في مقدمة كتب الفقه أمر عظيم الأهمية من ناحية التكوين العضوي للنظام الشرعي، فإن للعبادات وظيفة أساسية في هذا النظام، كما أن لها أهمية قصوى كذلك من الناحية الدستورية:

* * *

فأما من ناحية التكوين العضوي للنظام الشرعي، فإن العبادات عضو فعال وجزء هام جداً في نظام الإسلام لا يمكن تطبيقه بدون إقامتها.

فالأحكام الإسلامية ثلاثة أجزاء: عقيدة، وشريعة، وعبادات تربط بين العقيدة والشريعة.

فأما العقيدة، وهي الإلهيات التي يتناولها علم الكلام، فإنها أساس الأساس وهي تبين الهدف الأعلى في النظام الإسلامي على الوجه الذي عرضنا له من قبل.

فإن الإنسان لا يستطيع أن ينفذ ما أمر الله به ويمتنع عما نهى الله عنه بإخلاص إلا إذا تشربت نفسه العقيدة بصدق هذه الأوامر وحقيقتها. وإننا لا نعرف من الله ذاته، ولكننا نحاول أن نتحقق بصفاته، وصفاته هي مثل عليا مجردة كاملة، من العدل والرحمة والعزة والقدرة والعلم وغير ذلك، واعتناقنا لهذه المثل وتحققنا بها هي العبادة والانحياز للخدمة الربانية وتنفيذ المقاصد الشرعية.

ولكن التحقق من ذلك يتطلب ممارسة دائمة متصلة تدرب النفس على التشبع بهذه المثل وتقديرها، وتزكى في القلب أوار حرارتها وتجعله دائما مشتعلا بالإيمان متحمسا عالي الهمة في تنفيذ أحكام الشريعة.

والعبادة تكفل ذلك؛ لأنها تدريب دوري مستمر، بعضه يومي، وبعضه أسبوعي وبعضه سنوي، وبعضه على مدار العمر، فيظل المسلم ذاكراً لهذه المبادىء لا يغفل عنها، وبذلك يستقيم تطبيق الشريعة على الحقيقة.

فإذا كان الأمر كذلك، فإن الأحكام الشرعية، وهي النظم التي تحكم أعمال

الجوارح والعلاقات الاجتماعية، تجد البيئة الصادقة الحقيقية المعتقدة التى تقدر دوافعها وتستطيع أن تتحمل أهلية التكليف بها.

وقد أورد الإمام البخارى- رضى الله عنه وأرضاه- فى مقدمه صحيحه فى كتاب الإيمان قوله: «وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى: أن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش أبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص».

وبذلك بين أن النظام الإسلامى له أربعة قوائم لا بد أن يستقر عليها: أحدها الفرائض: وهى الأمور التى بينها الشارع بنص من عنده - فى الغالب - ويوجد جزاء على عدم اتباعها أو يأثم تاركها. ومن هذه الفرائض: العبادات المعروفة بأركان الإسلام الخمسة.

والقائم الثانى الذى يجب أن ينهض عليه نظام الإسلام هو الشرائع: وهى النظم الاجتماعية التى تحكم أعمال الجوارح وعلاقات الناس.

والقائم الثالث: هى الحدود - ليس بمعناها الجنائى الخاص ولكن بمطلقها - أى الموانع التى لا يجوز للمسلم أن يتعداها ومنها - كما بين البخارى بعضها - أن يرمى الناس بعضهم بالكفر والنفاق لأن ذلك يفتت وحدة الجماعة.

والرابع هى السنن: أى العادات والطرق والمناهج التى تتبع لزيادة الإيمان من تنظيم النوافل والأذكار ونحو ذلك.

ثم تطرق الإمام البخارى - رضى الله عنه - لتفصيل هذه الأركان الأربعة للنظام الإسلامى فقال: «دعاؤكم إيمانكم» أى أن قوة دعائكم وحرارته دليل على قوة إيمانكم أو هو منبعث عن إيمانكم، فمن كان دعاؤه حاراً كان إيمانه صادقا، وليس الدعاء هنا هو الطلب بالتفرغ، ولكنه السعى، لأن السعى دعاء عملى، وترجم تحت هذا الباب بحديث «بنى الإسلام على خمس» فمن لم يفهم ما تقدم يجب كيف يحشر حديثا عن أركان الإسلام تحت باب عن الإيمان ويتساءل عن صلة الصلاة بما ورد من الترجمة من قوله «دعاؤكم إيمانكم»، ولكن الصلاة دعاء؛ لأن لسان حال الواقف بين يدى الله تعالى أنه يسأله بحق العبودية

أن يتكفله بقدرة الربوبية ، وهكذا سائر أركان الإسلام دعاء ، وسعى الرجل على عياله دعاء ، ومشيه فى المعروف دعاء وأمره بالمعروف، دعاء ونهيه عن المنكر دعاء وكتابته لمثل ما نكتب دعاء ؛ لأنه فى كل يتوسل إلى الله أن يحقق منها ما يقصده من الخير ، فإن فعل ذلك بعقيدة وحرارة - وبأن كان دعاؤه صادقا - فإن ذلك دليل على حسن إيمانه ، وإن صدر باهتا عن تهمة كان ذلك دليلا على ما فى قلبه ، وقال ابن عطاء الله: ما من كلام يصدر إلا وعليه كسوة من القلب الذى صدر منه .

وهكذا فإن ممارسة العبادات فى الإسلام تؤدى إلى زيادة الإيمان وتقوية حرارته وتهيئة البيئة الإسلامية التى يمكن أن تستجيب لأحكام الله وأوامره ونواهيه ؟

مصطفى كمال وصفى

(بقية المنشور على ص ٢٥٠)

مسلمين يحق لنا قيمنا وشخصيتنا فى هذا العصر ، ولنا كلمتنا الإسلامية ، ورأينا الإسلامى، فلا نترك لانبهارنا بالحضارة المادية الفرصة لتميع كل حياتنا والقضاء على طبيعتنا ومحو شخصيتنا العقدية ، وأن نؤمن بأن المعاصرة ليست فى التبعية بل فى المشاركة والمساهمة الفعالة ، فلا نجرى وراء هذا الاتجاه الساذج المتمثل فى محاولة إثبات أن كل مالدى غيرنا فى الغرب أو فى الشرق فإننا نملكه أو نعرفه، ونلوى أعناق الكلمات حتى نجد دليلا ننتصر به، بل نعمل على أن نقدم نموذجا حضاريا يكون سبيلا لإحراز النصر وتأكيده ، كما أننا يجب أن نقاوم فى أنفسنا كل ضعف قد يدفعنا للموت حضاريا، وأخطر ضعف يمكن أن نتعرض له التقليل من شأننا أو الاستهانة بما لدينا أو إغلاق العقول والعيون عن الكثير من الحقائق التى يملكها غيرنا لذلك فإننا مطالبون بأن نكون مسلمين أكثر من أن نقول أننا كذلك، وأن نقدم للناس سلوكا إسلاميا وعلما إسلاميا أكثر من الدعاوى أو التشنجات أو الدعايات .

ولقد أعطانا ابن الخطاب أمثلة، ولا شك أنه بتطبيقه لما آمن به ، قد قدم الدليل على صلاحية فكره ، كما برهن بسلوكه على قوة إيمانه ، وكانت قوة إيمانه تأكيدا لقوة شخصيته ؟

فاروق منصور

دولة المماليك في مصر

للأستاذ محمود محمد شبكة

عجيبة من عجائب التاريخ الذى لا تنقضى عجائبه ولا تفنى غرائبه ، دولة المماليك فى مصر ؛ إذ كيف يستطيع قوم من الرقيق اختلفت جنسياتهم تأسيس دولة قوية البنيان راسخة الدعائم عالية الذرى، وكيف كانوا جيشاً إسلامياً تجمعت فيه كل عناصر القوة والغلبة يدافع عن العروبة وينافح عن الإسلام ، ويصد عنه غارات التتار والصليبيين ؛ مما جعلهم يستحقون الصفحات الخالدة فى تاريخ الأمة العربية .

والواقع أن المماليك بمعنى العبيد والرقيق كان لهم وجود فى التاريخ الإسلامى وذلك منذ قيام الدولة العباسية التى نهضت على أكتاف الفرس ثم ازداد بعد ذلك تضخم العنصر التركى لأن الخليفة (المعتصم) كانت أمه جارية تركية فاستعان بالأتراك واستكثر من شرائهم من أسواق النخاسة وبنى لهم مدينة خاصة بهم شمال بغداد سماها (سرمن رأى) فتوغلوا فى الدولة واستأثروا بالمناصب الهامة ونازعوا الخلفاء السلطة وكانوا شراً مستطيراً .

ثم توالى بعد ذلك نفوذ المماليك فى مصر باعتبارها ولاية عباسية فأحمد بن طولون الذى أسس الدولة الطولونية فى مصر كان والده طولون مملوكا تركيا للخليفة المأمون وقد اشترى ابن طولون الكثير من المماليك وجعلهم فى عسكره وبذلك يعتبر أول من جلب المماليك إلى مصر وقد استمرت ظاهرة شراء المماليك كذلك فى عهد الفاطميين ، ثم كان عهد الأيوبيين الذين توسعوا فى شراء المماليك واتخذوا منهم دروعا واقية واعتمدوا عليهم، فشعر المماليك بأهميتهم وحاجة الأيوبيين إليهم فازداد نفوذهم وظهرت فى الأحداث كلمتهم قوية واضحة حتى تمكنوا من خلع الملك[1] (العادل) وتولية ابن أخيه الصالح (نجم الدين أيوب)

(١) السلوك للمقريزى القسم الثانى من الجزء الثانى ص ٢٩٦ .

مكانه فحفظ لهم هذه اليد وأكبر هذا الصنيع وبنى لهم قلعة جزيرة الروضة لتكون مركزاً لهم؛ ولذلك سموا بالمماليك البحرية نظراً لسكناهم فى هذه القلعة على نهر النيل وترك الصالح قاعة الجبل ليقيم معهم وكانت (شجرة الدر) زوجة الصالح أيوب أول من تولى حكم البلاد من المماليك وكان ذلك فى مايو سنة ١٢٥٠ م واستمر المماليك البحرية يحكمون البلاد حتى سنة ١٣٨٢ م ، ثم خلفهم فى الحكم المماليك الجراكسة وهم الطائفة التى كونها السلطان المنصور (قلاوون) واختارهم من الجراكسة الذين كانوا يقيمون فى شمال بحر قزوين ، ويطلق عليهم أيضا البرجية نسبة إلى أبراج القلعة التى كانوا يقيمون فيها وقد أعدهم السلطان ليكونوا الحصون المانعة له ولأولاده وللمسلمين كما يقول المقريزى ، ثم تكاثر عددهم وقوى سلطانهم وتسلموا زمام الحكم وكان أول من حكم منهم السلطان (برقوق) فى سنة ١٣٨٣ م ، واستمر حكمهم حتى سنة ١٥١٧ م ، حيث غلبهم على أمرهم الأتراك العثمانيون .

أما عن نشأة هؤلاء المماليك فقد كانوا يجلبون صغاراً من أسواق النخاسة حيث تضم هذه الأسواق جنسيات مختلفة وعناصر متباينة ، ثم يسكنون فى قاعة الجبل فى (طباق) أعدت لهم ، كل طبقة فيها مساكن تتسع لألف مملوك من أبناء الجنس الواحد، وقد وضع لهؤلاء المماليك منهج دراسى منظم لتربيتهم وإعدادهم فقد كان لكل طائفة فقيه مصرى يحضر إليها كل يوم لكى يعلم أفرادها القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والأحكام الشرعية إلى جانب العناية الكاملة بأداء الصلاة، كل ذلك يصاحبه بعض التمرينات الرياضية الخفيفة التى تتناسب وأجسامهم الغضة فإذا ما وصل المملوك إلى سن البلوغ بدأت معه مرحلة ثانية من التمرينات الرياضية والتدريبات العسكرية العنيفة بجميع أنواعها من مبارزة وضرب بالسيوف وركوب للخيل وسباحة ، كل ذلك بطريقة منظمة تظهر المواهب وتبرز الكفاءات وتعد المملوك الإعداد الكامل لساحات الحرب وميادين القتال بحيث تمنح الحرية لكل من تثبت كفاءته ويظهر تفوقه ويعين فى منصب عسكرى ويظل يتدرج ويترقى فى المناصب حتى يصبح

أميراً وبذلك يعتبر (سلطانا مصغراً) كما يقول القلقشندى ترفعه الأحداث والأيام إلى رياسة الدولة .

ونظرا لهذه الدقة فى التربية والإعداد ظهر منهم الأبطال الشجعان الذين دافعوا عن الإسلام وخاضوا غمرات الحروب وثبتوا فى أعنف المعارك وحققوا انتصارات خالدة، ولذلك استطاع المماليك بقيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس أن يوقفوا زحف التتار الذين سيطروا فى فترة وجيزة على أغلب أقاليم العالم الإسلامى، واستعملوا كل أساليب القسوة والتعذيب من سفك للدماء وقتل للأبرياء وسقطت فى أيديهم بغداد كما قتلوا الخليفة المستعصم العباسى وآل بيته، واستولوا على بلاد الشام كلها وقد تركت هذه الانتصارات المتتابعة أثرا عميقا فى النفوس واعتقد الناس أن التتار قوم لا يغلبون واتجهت أنظار التتار بعد ذلك إلى مصر ولكن (سيف الدين قطز) استطاع أن يجمع جيشا كبيرا من المصريين والمماليك والتقى بالتتار فى معركة (عين جالوت) بفلسطين وكانت معركة حامية فاصلة ذاق فيها جيش التتار الهزيمة مرة، وبذلك سلمت الأمة العربية بل الحضارة الإنسانية كلها من شر هؤلاء المتوحشين وزالت الخرافة التى كانت عالقة بأذهان الناس من أن التتار قوم لا يغلبون ، وكان ذلك فى سنة ١٢٦٠ ميلادية ثم التقى المماليك بالتتار فى معركة أخرى تعرف بمعركة (مرج الصفر) على مقربة من دمشق سنة ١٣٠٢ فى عهد السلطان (الناصر محمد) انتهت بهزيمتهم هزيمة منكرة وكان مصير التتار فيها ما بين غريق فى نهر الفرات وما بين هارب إلى الصحراء حيث الهلاك بين صخورها وشعابها .

أما جهاد المماليك ضد الصليبيين فمن الواضح أن الحروب الصليبية استمرت مدة طويلة ولئن كان (صلاح الدين) بطل (حطين) قد استنقذ بيت المقدس من الصليبيين فإن المماليك قد طهروا بلاد الشام كلها منهم وكانت نهاية هذا العدو الغادر على أيديهم ، فهم أصحاب معركة المنصورة حيث هزم فيها الفرنسيون وأسر ملكهم، لويس التاسع فى دار (ابن لقمان) ثم معركة فارسكور، وقد استطاع (الظاهر بيبرس) أن ينزل بالصليبيين الضربات القاضية ، ففى سنة ١٢٦٣ ميلادية استرد الكرك

وقيسارية ويافا ، ثم اتجه بعد ذلك إلى أنطاكية فى سنة ١٢٦٨، وهى يومئذ من أقوى المدن الحصينة بالشام للصليبيين وأحكم حصارها ، ولم يمض وقت قصير حتى سقطت أنطاكية نهبا مقسما وغنيمة باردة للمسلمين،ووقع فى الأسر من رجالها ونسائها وأطفالها نحو مائة ألف ، بيعوا فى الأسواق، فكان ثمن الطفل اثنى عشر درهما والطفلة خمسة دراهم،وكان لهذا النصر أثره العميق فى نفوس المسلمين، ولم يبق للصليبيين موقع حصين فى الشام سوى (عكا) حيث حوصرت فى عهد السلطان خليل بن قلاوون واستمر القتال شهرا واستعمل المسلمون فى الحصار اثنين وتسعين منجنيقا ثم سقطت عكا فى مايو سنة ١٢٩١ ميلادية وأعمل السيف فى رقاب حاميتها من الفرسان فأبيدوا جميعا، وبذلك سقط آخر حصن منيع للصليبيين فى الشرق وفى السنة نفسها استولى المسلمون على صور وصيدا وبيروت وطرطوس ثم أسدل الستار على آخر فصل من فصول الحروب الصليبية فى بلاد العروبة والإسلام

وبالرغم من هذه السلسلة المتواصلة الحلقات من الكفاح والجهاد، فقد امتد نشاط المماليك إلى النواحى العلمية والدينية وذلك بأن أحيا المماليك الخلافة العباسية فى مصر نظرا لتخريب التتار لبغداد وقتل الخليفة العباسى فشجع ذلك كثيراً من العلماء على الإقامة فى مصر بعد أن صارت قبلة العالم الإسلامى ومحط أنظاره ، ويقرن السيوطى فى كتابه (حسن المحاضرة) بين الخلافة العباسية وبين النشاط الدينى والعلمى حيث يقول : (واعلم أن مصر من حين صارت دارا للخلافة عظم أمرها وكثرت شعائر الإسلام فيها وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة ، وصارت محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء ، وهذا سر من أسرار الله أودعه الله فى الخلافة النبوية حيثما كان يكون فيها الإيمان والكتاب[1]) ولقد نشط المماليك نشاطا ملحوظا فى تشجيع العلماء على التأليف وذلك كى يعوضوا العالم الإسلامى ما فقد من الكتب أثناء حملة التخريب التى قام بها التتار فى بغداد ، ويقول الدكتور سعيد عاشور فى مقدمة كتابه العصر المماليكى فى مصر والشام فى هذا المعنى : (إن الرغبة جامحة فى التعليم والتعلم ونشاط

(١) الجزء الثانى ص ٦٥ ، ٦٦ .

ليس له مثيل فى ميدان الكتابة والتأليف حتى أننا ما زلنا عاجزين حتى الآن عن نشر مئات الموسوعات والمخطوطات التى ألفت فى عصر المماليك فى مختلف ألوان المعرفة والتى تكتظ بها دور الكتب فى العالم أجمع مشرقه ومغربه) ، كما اعتنى المماليك بإنشاء المكتبات والمدارس والمساجد التى يدرس فيها العلم ، كما كان الأزهر هو المنارة التى يقصـــد إليها الوافدون من مختلف بلاد العالم الإسلامى محتفظا بمكانته قائما برسالته ومن علماء هذه الفترة ابن خلكان صاحب الوفيات وابن واصل والشهاب النويرى صاحب نهاية الأرب ، ومن أعلام التصوف سيدى أبى العباس المرسى وأبى الحسن الشاذلى والسيد البدوى .

والواقع أن إثارة المماليك للنشاط العلمى كان ناشئا عند أغلب السلاطين عن حب للعلم والمعرفة وتذوق لبعض فروع العلم ، فقد ذكر صاحب النجوم الزاهرة [١] فى وصفه للظاهر بيبرس : (أنه كان يميل إلى التاريخ وأهله ميلا زائداً ، ويقول : سماع التاريخ أعظم من التجارب) ، كما كان السلطان الغورى يعقد فى قصره ندوات أسبوعية يحضرها كبار العلماء والفقهاء يتناقشون فى مسائل العلم والدين .

أما الفن والعمارة فقد بلغا فى هذا العصر أسمى درجات الروعة والرقى ويقول فيليب حتى فى كتابه (العرب) : (إن عناية المماليك بالفن والعمارة تضاهى عناية أم دولة متمدنة بحيث صارت القاهرة من أجمل المدن فى العالم الإسلامى) ويشهد لذلك التحف النادرة التى تزدان بها دور الآثار فى بلاد العالم كله ، وذلك فضلا عن المساجد والمدارس والقباب والأضرحة ، هـــذا ومن أجمل العمائر الإسلامية فى مصر جامع السلطان الناصر حسن ، وقد استغرقت عمارته ثلاث سنوات ويعتبر هذا المسجد فى بنائه وتصميمه وزخارفه آية من آيات الفن الإسلامى .

محمود محمد شبكة

(١) جـ ٧ ص ١٨٢ .

اتهام موسى بما اتهم به عيسى

كتبت القافلة - وهى الصحيفة الأسبوعية للجامعة الأمريكية بالقاهرة - فى صدر العدد الثالث عشر بتاريخ ٢٧ من مارس سنة ١٩٧٢ موضوعا عنوانه (الملاخ يحاضر عن الفراعنة ويقول سيدنا موسى كان ابنا لرمسيس الثانى) وقد تحدث فيه عن فنون الفراعنة : ونقلت المحررة هدى بركات عنه أنه سئل عما « إذا كان صحيحاً أن سيدنا موسى كان موجوداً أيام رمسيس الثانى ؟ فأجاب بقوله : إن سيدنا موسى ابن حرام لم يبعث . وأنا اعتقد أنه ابن غير شرعى لرمسيس الثانى » .

وهذا الاتهام يذكرنا بما اتهم به اليهود عيسى عليه السلام . إذ زعموا أنه ولد من سفاح وقالوا لأمه ما يذكره القرآن عنهم - عليهم لعنة الله - : « يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا » .

وليس لنا من تعليق على هذا إلا أن نذكر المسلمين بقول الله فى موسى عليه السلام : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها » ، وقوله فى عيسى عليه السلام « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » .

العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

— ٢ —

يجمل المفكر الإسلامى أمين الخولى رأيه[١] فى عدم معرفة العرب للمسرح فى أن الحياة العربية لم تعن على وجود المسرح فى الأدب العربى الجاهلى، كما وجد فى شبيه هذه الجاهلية عند اليونان مثلا، وأن الحياة الاعتقادية العربية تختلف كذلك بسبب عدم الاستقرار عن الحيوات الأخرى عند من ظهر عندهم المسرح وراج ؛ لأن صلة المسرح بالحياة الريفية قوية وثيقة، وحيث لم يستقر البدوى لم تستقر المظاهر التجسيمية فى وثنية ولم يوجد عنده مسرح، وهذا الرأى يقترب من رأى أحمد أمين[٢] الذى يعلل غياب المسرح عن التفكير العربى والإسلامى إلى أسباب دينية، إذ أن الدين يمنع التصوير ؛ وبالتالى يمنع التمثيل، وأن الحياة الإسلامية - فى رأيهما - معا لم تكن تعن على وجود المسرح لأنها لا تجسم، بل فيهم أنها تحترم هذه الملامح الفنية التى يقوم بها وجود المسرح ويتابع أمين الخولى رأيه فيقول: إن الحياة الإسلامية الاجتماعية ومركز المرأة فيها وتصونها وحجبها لا يعين على وجود المسرح، وإذا قامت الجوارى مقام الحرائر فى الميادين الفنية، كما عرف، فبحسبهن أن يقمن بما يحقق المتع الفردية التى يتطلبها طابع الحكم وصورة المجتمع، ومع هذا لا يوجد المسرح الذى هو بطبيعته فن للجماهير، وأن الحياة العربية بوضعها السياسى وما أحدثه من طبقية فى المجتمع وفردية فى الحكم، لم يكن يهون فيه هذا التجمع الجمهورى لجمهور المسرح ورواده. ولم يكن يسهل فيه ما لابد أن يكون فى التشخيص من تعرض للأشخاص والأوضاع.

(١) المجلة العدد ١١١، فى قسم منه بعنوان: لماذا لم يعرف العرب المسرح ؟

(٢) الإسلام والمسرح: محمد عزيز وترجمة رفيق الصبان - كتاب الهلال - ابريل ١٩٧١ العدد ٢٤٣. ص ١٢.

ننتقل بعد هذا ـ ولعلنا لا نطيل ـ إلى رأى ناقد مسرحى هو عز الدين اسماعيل [١] الذى يرجع السبب فى خلو أدبنا القديم من الأدب المسرحى إلى أن المسرح القديم قد ارتبط بالأسطورة إلى حد بعيد، ففيها وجد المؤلفون إطارا يجسمون فيه ذلك الصراع بين الإنسان والقوى الإلهية ، ولما كانت هذه النزعة وثنية فى طابعها ، لم يكن من الممكن أن يقبلها الإسلام أو يقرها ، ولقد أحس الشاعر العربى القديم المأساة ، وهو لب الموضوع المسرحى ، ولكنه وقف عند هذا الحد لم يتجاوزه ، ومن ثم غلبت على شعره الطبيعة الغنائية الحارة ، ولم ينفعل بها ليصل إلى مرحلة تفقه المأساة وحبها فى قالب مسرحى . ومثل هذا الرأى يقول به زكى طليمات ـ أحد رواد مسرحنا الحديث ـ لأن أدبنا العربى على تعدد ألوانه لم يعالج المسرحية فى أية مرحلة من مراحله المتتابعة ، وفنوننا ناهضت التجسيد المادى لمظاهر التعبير الإنسانى

(١) قضايا الإنسان فى الأدب المسرحى المعاصر . عز الدين إسماعيل ، انظر أيضا مجلة المجلة العدد ١١١ ص ٣٠ ، ٣١ .

فى النحت والتصوير والزخرفة [١] ، ولم يعرف العرب المسرح فى العصر الجاهلى لأنه يعتبر مرحلة أولية لم تتهيأ لها أسباب التطور والتقدم، ولم تكن بالجزيرة العربية حضارة بالمعنى الكامل ، إنها البادية بروحها القبلية وسكانها دائمى الترحال انتجاعا للرى والمرعى ... وحين عرف العرب تراث الإغريق لم يترجموا مسرحهم لأنه أدب وثنى خالص ، ولأن العرب لم يحسوا حاجة إلى أن تصبح كتابة المسرحية من الإنتاج الأدبى للذهنية العربية ونختم الآراء العربية ـ على كثرتها ـ برأى محمد مندور [٢] الذى يذهب إلى أن التراث العربى فى الأدب يكاد يكون كله من الشعر فحسب ، أما النثر فلم يصلنا منه إلا بعض جمل من سجع الكهان منثورة هنا وهناك فى بعض كتب الأدب .. وله خاصيتان هما: النغمة الخطابية والوصف

(١) المسرح العربى فى القرن العشرين . زكى طليمات . مقال بمجلة الهلال . يناير ١٩٥٥ والمجلة العدد ١١١ ص ٢٢ ، ٢٣ ، وكتابه التمثيل .. التمثيلية .. فن التمثيل العربى مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥ . ص ٩٩ .

(٢) المسرح : محمد مندور ص ١٥ ، ١٦

الحسى وذلك بحكم البيئة ، ونوع الحياة ، ويترتب على ذلك بالضرورة استحالة إنتاج الشعر الدرامى الذى يقوم على الحوار المختلف النغمات لا على الخطابية الرنانة ، كما يقوم على خلق الحياة والشخصيات وتصور المواقف والأحداث لا مجرد الوصف الحسى الذى يستقى مادته من معطيات الحواس المباشرة ، ويرجع هذا إلى أن عبقريتهم الفنية ونوع خيالهم لم تكن مواتية لهذا الفن المركب على عكس اليونان وولعهم بالإنسان والإيمان به .

تكتمل هذه الآراء إذا ذكرنا بعض آراء المستشرقين الأجانب ، لنعرف إلى أى حد تعمقوا فى دراسة الأدب العربى وتراثه القديم ، وإلى أى حد فهموا العقلية العربية فى منازعها المختلفة ، وإلى أى حد درسوا الحضارة العربية واستقوا منها ، يقول (جوستاف فون جرنيوم)[١] :

« إن الإسلام السنى لم ينجح فى خلق فن مسرحى رغم معرفته بالثقافة اليونانية والهندية ، وهذا لا يعود إلى سبب تاريخى قدر ما يعود إلى مفهوم الإنسان فى الإسلام وهو مفهوم يمنع وقوع أى صراع درامى »

ويقول (جاك بيرك)[١] : « إن التقاليد العربية تعانى بالنسبة للمسرح من مشكلتين متكاملتين ، ولذلك جهلت التعبير المسرحى ؛ لأنها لم توفق إلى إعطائه اللغة المناسبة ، وأول هاتين المشكلتين : هى عدم تناسب اللغة العربية الكلاسيكية مع المتطلبات الداخلية للغة الدرامية ، والمشكلة الثانية : هى صعوبة اختيار واحدة من اللغات العربية الثلاثة وهى : الإشارة والتعبير ، والدلالة ، ولغة الشعر العربى تختلف دائما عن لغة الحياة اليومية ، إنها لغة كلاسيكية تشبه بستانا جميلا ، ولكنه بستان متجمد ، والمسرح بتكوينه هو اللغة التى لا تحتمل القوالب الجامدة » .

ويقول : (كارل هنديش بيكر) - المستشرق الألمانى[٢] :

« إن التراث اليونانى أدى إلى إيجاد النزعة الإنسانية فى أوروبا بما أدى بدوره

(١) مجلة ديوجين العدد ٤٨ سنة ١٩٦٤ ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، وكتابه حضارة الإسلام .

(١) العرب من أمس إلى الغد - جاك بيرك - انظر : الإسلام والمسرح ص ٢٧ ، ٣٨-٤٠ .

(٢) الإسلام جزء من تاريخ الحضارة العامة ، محاضرة لبيكر فى مؤتمر المستشرقين الألمان عام ١٩٢١ ، ومحاضرة أخرى له ١٩٣١ .

إلى عصر النهضة الأوربية ، بينما لم يؤد الإسلام إلى نفس هذه النزعة ، وترتب على هذا اختلاف فى المضمون الفعلى فى كل منهما ، ويقول أيضا : « إن العالم الإسلامى لم يأخذ من التراث اليونانى إلا ما كان ذا نزعة عقلية منطقية ، أما الأشياء التى كانت نصيب الروح اليونانية فى صياغته أكثر من نصيب العقل اليونانى مثل الشعر الغنائى أو الأدب الروائى وكل ما كان يونانيا بحتا كآلهة هوميروس ، كل هذه الأمور ظلت معلقة أمام الشرق ، بينما نجد فى الغرب أنه تأثر بهذه الأمور اليونانية الأصيلة أكثر من غيرها » .

هكذا يجمع المستشرقون - أو يكادون - على أن الفكر العربى قاصر بطبيعته وفطرته عن إنشاء التمثيل والقصص لأنه تجريدى فى نظرهم ، وينكرون عليه أنه عرف الأسطورة فى طفولته ، ورتبت على مثل هذه الآراء أحكاما أهمها : أن الشعر العربى غنائى كله ، لا يصور غير عواطف أفراد أو آحاد ، بل إن بعض المفكرين الغربيين ومنهم الكاتبان جوبينو ورينان[1] - يذهبون إلى أن هناك فوارق طبيعية بين الساميين ومنهم العرب ، والآريين - وهم أبناء الغرب وأن الجنس السامى أقل وأدنى من الجنس الآرى ، وأن العقلية العربية سامية مفرقة فى مقابل العقلية الآرية المجمعة أو الموحدة ، وأنه عقلانى تفسيرى بينما السامى غيبى معجزى .

وقد تصدى لهذه الآراء ، تفنيدا وبحثا مفكرون آخرون فى الشرق والغرب ، وعلماء من شتى البلاد ، فأدلوا بآراء موضوعية تحمل الحقيقة الواقعية ، ولا نقول الإنصاف ، لأن الحضارة العربية والإسلامية ليست بحاجة إلى إنصاف أو تأييد عاطفى ، وإنما هى حقيقة مؤكدة يعترف بها كل باحث محايد ، ويظهر أثرها فى كل ما يدعى الغرب اليوم أنه حضارته الخاصة ، ولو بحث لوجد بصمات الحضارة الإسلامية فى كل أثر من آثاره : فنية وعلمية ، وهذا ما سنحاول إلقاء بعض الأضواء عليه من خلال هذا البحث ؛ فإلى لقاء ؟

محمد كمال الدين

---

(١) أضواء على الفكر العربى والإسلامى : أنور الجندى . المكتبة الثقافية : العدد ١٤٩ ١٥ يناير ١٩٦٦ . ص ٩١ ، ٩٢ .

قلب الأم

للأستاذ على الجندى

نشرت الصحف اليومية : أن فتاة كانت تحمل طفلها ، وإذا بالترام يقبل مسرعا ! فميلت الأم بين أن تنجو بنفسها ، أو ينجو الطفل ، فآثرت الثانى على الأول ، فألقت بالطفل بعيداً فنجا ! واستسلمت هى راضية مطمئنة للموت الزؤام ، تحت عجلات الترام ! ! فقلت فى ذلك :

آثرت موتها ليفلت حيا … بالنفس تموت عنه ليحيا
مثل فى الفداء تحفظه الأجيـ … ـيال غضا - على الزمان - جنيا
عانقت حتفها اختياراً كما يلـ … ـقى كمى - تحت الهياج - كميا [1]
واطمأنت إلى الردى حين ألـ … ـفته تخطى الردى الضرى الوحيا [2]
ورمته بنظرة أودعتها … أملا واعداً ، وحبا رويا
وعلى ثغرها ابتسامة جذلى … شعشعت وجهها القسيم الحييا [3]
أعربت عن هدى يضوىء نفسا … ورضاء يلف روحا رضيا
لم يكن همها سوى أن تراه … فوق شطر الأمان جسما سوياً [4]
ولتعش أو تمت فما ذاك يعنيـ … ـها وقد جازت السهام الرميا
منحته الحياة قبل جنينا … وهى تزجى له الحياة صبيا

* * *

---

(١) الكمى : الشجاع أو لابس السلاح . والهياج - بوزن كتاب - : الحرب .
(٢) الضرى : الضارى . والوحى - كغنى - : السريع .
(٣) الجذلى : الفرحة . وشعشع : خلط . والقسيم : الجميل .
(٤) السوى : المعتدل .

وكأنى بها تنادى إله النـ ـاس فى خشية نداء خفيا
رب إنى إليك أسلمت وجهى وإلى بابك اعتزمت المضيا
فتغمد بالعفو والصفح ذنبى إن أكن قد أتيت شيئا فريا
إنه ابنى الأثير فدته نفسى وأراه بذاك كان حريا
أنت حببته إلى فأضحى لى حبيبا ومؤنساً وصفيا
هو روحى حملته تسعة كر ها ، وطوعا ألقمت فاه الثديا
فإذا ما منحته ما تبقى من حياتى ، فذاك حتم عليا
رب بارك عليه واجعله ميمو ناً ملق الهدى أمينا قوياً
وأطل عمره ، ومهد له عيـ ـشاً رغيداً رطب الظلال رخياً

* * *

أتراه يدرى بما طوقته من حنان يندى على الدهر ريا (١)
خلعت عمرها عليه ، وزفتـ ـه إليه - قبل الأوان - هديا (٢)
ليت شعرى - والشاكرون قليل - أتراه يرعى الجميل السنيا
أتراه لها يكون ذكوراً أتراه بها يكون حفيا
قبرها كعبة يحج إليه حاسر الرأس بكرة وعشيا
ساكبا فوقه أفاويق دمع يلبس الترب وشى روض زهيا (٣)

* * *

أكبر الظن أنه سوف يحيا حافظا للعهود ، برآ ، وفيا

على الجندى

---

(١) الريا - بفتح الراء وتشديد الياء : الرائحة الطيبة .
(٢) الهدى - كغنى - : العروس .
(٣) الأفاويق : ما اجتمع فى السحاب من ماء ، فهو يمطر ساعة بعد ساعة .

الذكرى.. والأمل

للأستاذ أحمد عمر هاشم

الفجر مؤتلق النسائم نادى … وثناء رب العرش هز فؤادى
يا فجر، ما هذا الحديث وسره ؟ … نور ترقرق فى البرية بادى
هذا الضياء محمدى ساطع … من جنة المأوى على العباد ..
يحكى لهم بشرى الهناء تزفها … ذكرى «ربيع» اليمن، والإسعاد
خطر النسيم معطراً بأريجه … يختال مثل المعجب المتهادى ..
والبدر أشرق فى السماء ضياؤه … متوشحاً بسنى الهدى الوقاد
والأرض نادت للسماء فهنأت … تلك السماء الأرض بالميلاد ..

ياصاحب الذكرى، وحسبك مفخراً : … أن جزت كل عوائق الأحقاد
وبدون ما وجل وقفت مكسراً … للذل، والأغلال، والأصفاد ..
هم أخرجوك فكنت خير مهاجر … لله .. تدعو فى هدى، ورشاد
حتى إذا ماجئت «مكة» فاتحا … وهناك تخفق راية القواد
قلت: «اذهبوا.» وعفوت عما قد بدا … من معشر الأعداء، والحساد

يا صاحب الذكرى وها هى أمتى … قد هوجمت من معشر أوغاد
أعداء دينك ـ يا «رسول» تجمعوا … وتوسعوا بالشر بين بلادى
هم أهرقوا تلك الدماء وأحرقوا «الأقـ … صى»، وغرهم كثير عتاد
فاسأل لنا الرحمن نصراً عاجلا … حتى نرد كرامة الأجداد
ونعيد مجداً طالما غنى به … تاريخ أمتنا مدى الآباد

يا أمتى هذا امتحان فاثبتى … وتحصنى بالدين والإعداد
عودوا إلى «الرحمن» ليس يضركم … من ضل إن سرتم بخير جهاد
«إن تنصروا الرحمن ينصركم» فلا … تهنوا، وكونوا خيرة الأمجاد
فالنصر وعد الله جل جلاله … والله ليس بمخلف الميعاد

أحمد عمر هاشم

فروق بين ألفاظ متقاربة

للأستاذ عباس أبو السعود

مما تمتاز به الفصحى وفرة الألفاظ التى تشابهت مبنى واختلفت معنى، وهذا مما يثير الالتباس على الدارسين وتتسع به مسافة الحدس والتخمين .

وتردد الكلمات بين معنيين أو أكثر يجعل كثيرا من الكاتبين فى حيرة من أمرهم ، وإذا لم يوفقوا إلى السداد كان كلامهم متنافر اللحمة ، ملتاث التعبير ، وبدا بعضه كزاً حرم طلاوة الأسلوب ورونقه، وفقد معظم جماله، لأنه لا يشف ظاهره عن باطنه ، ولا يتجاوب أوله وآخره ، حتى لقد يحس قارئه أنه ضرب من الأحاجى والألغاز .

لهذا أثبت فى مقالى هذا بعض تلك الألفاظ من وعاها نخل نثره ، وجزل شعره، وأطاعته أعنة الكلام، وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذام، لأنه يستطيع آنئذ أن يأتى فى معانيه بأخلاط الغالية ، وترقى ديباجته إلى الدرجة العالية ،فترى المعانى الدقاق، وترى الفصاحة والإشراق ووضوح المعالم وإحكام الأداء .

١ — من ذلك أنهم لا يفرقون بين الميت بسكون الياء خفيفة والميت بتثقيلها ، فيستعملونهما لمعنى واحد ، والحق أن بينهما فرقا دقيقا : فالأول هو من نزل به الموت فعلا ، وصعد روحه إلى بارئه ، يدل على ذلك قوله تعالى : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا » ، وقوله : « وأحيينا به بلدة ميتا » .

أما الثانى : فهو من لم يمت بعد ، يدل على ذلك قوله جل شأنه : « إنك ميت وإنهم ميتون » أى أن كل إنسان لا بد أن يدركه الموت ، قال الخليل : أنشدنى أبو عمرو فى هذا المعنى :

أيا سائلى تفسير ميت وميت
فدونك قد فسرت إن كنت تعقل
فمن كان ذا روح فذلك ميت
وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

٢ — ولا يفرقون بين قولهم : فلان يأتينا صباح مساء بالإضافة، ويأتينا صباح مساء على التركيب ، وبينهما فرق يختلف به المعنى ، وهو أن المراد به مع الإضافة

أنه يأتى فى الصباح فقط ، إذا تقدير الكلام يأتينا فى صباح مساء ، والمراد به عند تركيب الاسمين وبنائهما على الفتح أنه يأتى فى الصباح والمساء وكان الأصل هو يأتينا صباحاً ومساء، ثم حذفت الواو العاطفة ، وركب الاسمان وبنيا على الفتح لأنه أخف الحركات ، كما فعل بأحدعشر وثلاثة عشر إلى تسعة عشر .

٣ — ولا يفرقون بين قولهم : بكم ثوبك مصبوغاً ، وبكم ثوبك مصبوغ بالضم ، وبينهما فرق يختلف به المعنيان وذلك أنك إذا نصبت مصبوغا كان انتصابه على الحال ، والسؤال عن ثمن الثوب وهو مصبوغ ، أى مجموع ثمن الثوب وصبغه .

أما إذا رفعته فإنه يكون خبرا للمبتدأ الذى هو ثوبك ، ويكون السؤال واقعا على أجرة الصبغ لا على الثوب .

٤ — ولا يفرقون بين الأسبوع والجمعة بسكون الميم ، وكلاهما اسم لجماعة الأيام السبعة :

فالأسبوع يبدأ بيوم الأحد ، جمعه : آحاد بالمد ، وأحدان بالضم ، ثم الاثنين جمعه أثناء وأثانين ، ثم الثلاثاء بفتح الثاء وضمها ، جمعه : ثلاثاوات بقلب الهمزة واواً ، ثم الأربعاء مثلثة الباء جمعه أربعاءات ، ثم الخميس ، جمعه : أخمساء وأخمسة ثم الجمعة بسكون الميم، وبضمتين وكهمزة ، جمعها جمع كغرف ، وجمعات بالضم ، وبضمتين وتفتح الميم، ثم السبت جمعه : أسبت وسبوت .

أما الجمعة فمع أنها اسم لهذه الأيام إلا أنها تبدأ بيوم السبت، قال أبو عمر الزاهد فى كتاب المدخل : أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابى قال : أول الجمعة يوم السبت وأول الأيام يوم الأحد، هكذا عند العرب.

٥ — ولا يفرقون بين قولهم : قذيت العين قذى من باب تعب ، وقذت تقذى قذيا من باب رمى : فالتعبير الأول يقال إذا سقط القذى فى العين وهو الوسخ ، واحدته قذاة ، أما التعبير الثانى فإنما يقال إذا ألقت العين عن نفسها القذى.

كما لا يفرقون فى المعنى بين أقذى المزيد بالهمز، وقذى المزيد بالتضعيف، والحق أن بين معنييهما تناقضـــا كالتعبيرين السابقين : فإذا قلت: أقذيت العين إقذاء كان المعنى أنك ألقيت فيها القذى ، وإذا

(البقية ص ٢٨٥)

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● البهائية .. هذه النحلة المارقة :

لقد شغلت هذه النحلة المارقة الأذهان فى الأيام الأخيرة، وليس عجيبا أن تشغل الأذهان ، لكن العجيب أن هذه النحلة تباشر نشاطها منذ سنوات طويلة جهارا فى غـير تردد ولا مواربة ، والقرار الجمهورى الذى صدر عام ١٩٦٠ بحلها ، لم يصدر إلا بعد أن استفحل أمرها ، وتطرفت فى نشاطها ، بل لقد اعتقل عدد من زعمائها بعد النكسة ؛ وفى هذا دليل على أن نشاطها لم يتوقف، بل ماهو أكثر من ذلك أن بعض أعضاء هذه النحلة المارقة رفعوا قضايا أمام المحاكم الإدارية مرة بشأن التصريح للطائفة ببناء مدافن خاصة بهم ومرة أخرى بشأن تسجيل كلمة البهائية أمام الخانة الخاصة بالدين فى شهادات المواليد ، ولم يستجب القضاء بالطبع ـ لهم .. كل هذا حدث على مسار سنوات طويلة ، ومع ذلك فلا يكاد الرأى العام يعرف شيئا عن هـذه النحلة المارقة ، ولولا المحاكمة الأخيرة لأعضائها ، وأشارة إحدى الصحف اليومية إلى ذلك ، لظل الرأى العام يجهل كل شىء عن البهائية .

وفى هـذا الحيز المحدود نحاول إلقاء بعض الأضواء على هـذه النحلة المارقة ليس إلا .

إن فكرة .. « المهدى المنتظر » لعبت دورا أساسيا فى عديد من الفرق المنحرفة التى نسبت إلى الإسلام زورا ، وهـذه الفكرة تترعرع وتجد أذانا مصغية كلما مر المجتمع الإسلامى بظروف عصيبة من جور الحكم وضغوط السياسة ، وعلى الرغم من كثرة المهديين المنتظرين على مسار تاريخ الإسلام منذ قيل عن محمد ابن الحنفية : إنه المهدى المنتظر ، وإنه غائب فى جبل رضوى يقتات بالماء والعسل الذى يأتيه من عند الله ، حتى ادعى الباب فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى أنه المهدى المنتظر ـ على الرغم من ذلك

مما يحتم إعادة النظر في هذه الفكرة إلا أنها ما تزال تستهوى عقليات السذج من الناس.

فمن هو الباب؟ ومن هو البهاء؟ وإلى الأول تنسب البابية، وإلى الآخر تنسب البهائية التي هي امتداد للبابية؟ وعلى أى أسس قامت هذه النحلة المارقة؟

هناك فرقة من الفرق الشيعية الخارجة على مبادىء الشيعة، قد مهدت للبهائية، هذه الفرقة هي الفرقة الشيخية ومؤسسها هو الشيخ أحمد الأحسائى الذى ولد عام ١١٥٧ هـ من أصل عربى، وكانت فكرة المهدى تسيطر على أذهان أتباع هذه الفرقة، ومبادئها قريبة من معتقدات البهائية، وقبلها البابية.

* إن «الباب» هو السيد على محمد الشيرازى الذى ولد بشيراز عام ١٢٣٦ هـ، وفى عام ١٢٦٠ أعلن أنه «باب العلم بالحقيقة الإلهية، وأن الله تجلى فيه، فهو مرآة يرى فيها نفس الله، لكن دعوته لقيت معارضة عنيفة من العلماء، فزج به فى السجون ثم أعدم فى تبريز عام ١٢٦٦ هـ وألقى جسده فى خندق بالمدينة، ولكن أتباعه أخذوا جثمانه إلى طهران ودفنوه فيها تسعة وعشرين عاما ثم أخرج من مدفنه بناء على أمر بهاء الله خليفته.

* أما «البهاء» فهو ميرزا حسين على الذى ولد بطهران عام ١٢٣٣ هـ، فهو رأس البهائية ومؤسسها، وحامل دعوة الباب بعد موته، وقد نفى وشرد وسجن ومات ودفن بالبهجة إحدى قرى عكا بفلسطين عام ١٣٠٩ هـ

* أما معتقدات هذه النحلة التى بدأ بها الباب، فقد أرادها ناسخة للشريعة الإسلامية، فنى تعاليمه:

أولا: إلغاء جميع العقوبات التى وردت فى الشريعة الإسلامية إلا الدية..

ثانيا: الحج هو زيارة البيت الذى ولد فيه الباب، والمكان الذى سجن فيه وبيوت كبار مريديه..

ثالثا: السنة تسعة عشر شهرا والسنة ٣٦١ يوما..

رابعا: الصوم شهر أى تسعة عشر يوما فقط..

خامسا: لا تقام عندهم صلاة الجماعة إلا فى صـــلاة الجنازة..

سادسا: الزكاة مقدارها خمس العقار من رأس المال تؤدى إلى مجلس إدارة الجماعة

سابعاً : الغسل من الجنابة ليس واجبا بل مستحبا ولا توجد فى نحلتهم نجاسة بل إن مجرد اعتناقها يطهر الإنسان . .

ثامناً : الميراث : ٩/٦٠ للأبناء — ٨/٦٠ للزوج — ٧/٦٠ للوالد — ٦/٦٠ للأم — ٥/٦٠ للأخ — ٤/٦٠ للأخت — ٣/٦٠ للمعلم ، ولا حق فى الميراث لغيرهم . .

تاسعاً : الطلاق تسع عشرة مرة ، وزواج الأرامل مباح بشرط دفع دية ، ولا يتزوج الأرمل إلا بعد تسعين يوما ، والأرملة إلا بعد خمسة وتسعين يوما . .

عاشراً : إنكار الغيبيات ، ومصطلحات الآخرة — كالبعث والنشور والحساب والجنة والنار — ولهذه الألفاظ تفسيرات روحية عندهم . .

حادى عشر : القبلة عندهم ليست قبلة المسلمين ، وإنما الاتجاه فى الصلاة إلى حيث ولد الباب وحيث مات وحيث سجن .

ثانى عشر : إلغاء الجهاد والفوارق بين المؤمنين والكافرين . .

ثالث عشر : تضيف البهائية أن مجىء الرب مخلص العالم الذى لابد منه فى آخر الزمان عبارة عن تجليه فى هيكل عيسى الناصرى — لكن تجليه هذه المرة فى البهاء أتم وأكمل وأبهى ، فعيسى وغيره من الأنبياء إنما هيأوا الأفئدة لهذا التجلى الأعظم .

وبعد : فهذا قليل من كثير مما احتوت عليه تعاليم البابية والبهائية من انحراف عن الإسلام ومروق منه .

يقول الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف فى مقال له بالأخبار : « وليست البهائية مجرد دعوة تتصل بالعقيدة الدينية كما يفهم بعض الناس ، ولكنها دعوة تنطوى على أغراض خبيثة من التحلل الأخلاقى والاجتماعى ، والتحلل القومى والوطنى . وقد استغلت السياسة الاستعمارية هذه الدعوة منذ ظهرت عند منتصف القرن الماضى ، كما استغلتها الصهيونية فيما بعد ، واتخذوا منهـا أداة لإثارة القلاقل والخلافات ، وإشاعة التحلل الأخلاقى والدينى ، وإزالة العصبية الدينية والقومية حتى تكون الأرض ممهدة لأطماع الاستعمار وأغراض الصهيونية ، وتحقيق مآربها باسم الإنسانية التى تدعو إليها البهائية . . » .

ولك أن تعجب لكلمات جاءت على لسان داعية بهائية هى « زرين تاج »

الملقبة بقرة العين التي افتتنت بهذه النحلة المارقة وقامت بالدعوة لها ، وقد خرجت من عصمة زوجها بغير طلاق، وأخذت تخطب — كما جاء في كتاب « المجددون في الإسلام» للمرحوم الشيخ عبد المتعال الصعيدي ، وتدعو إلى تأييد البـــابية وتأمر بالفتك بمن يعارضهم، حتى اغتالوا عمها في صلاة الفجر وكان من كبار علماء الشيعة الإمامية ، أما كلماتها المثيرة فهي من خطبة لها بقرية بدشت في خراسان:

« أيها الناس: اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب .. وأن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو ، وأن مولانا الباب سيفتح البلاد .. وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة ، حتى لا يبقى إلا دين واحد هو دينه الجديد .. لا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم . . إذ لا ردع الآن ولا حد .. فخذوا حظكم من هذه الحياة .. فإنه لا شيء بعد الممات !!.

* * *

ثم بعـــد :

فليس من حقنا أن نسائل الصحافة ووسائل الإعلام وجميعها ملك للشعب اليوم : لماذا لم تؤد واجبها في الكشف عن هذه النحلة الخبيثة المارقة؟ فقد سألت صحفيا : لماذا لم تهتم جريدتكم بالبهائية وفضح مخازيها ، وقد أصبحت خطراً يهدد أمن الدولة بدليل تقديم أعضائها للمحاكمة ؟ وكانت إجابته مثار دهشة ، قال: «إن سياسة الجريدة تعتبر أن حرية العقيدة مكفولة بنص الدســتور » وضحكت ، فالبهائية لا تمثل عقيدة جديدة مستقلة ، ولكنها تدعى انتسابها إلى الإسلام ، ومن هنا تبدو خطورتها على أمن الدولة .. وإلا لو سلم جدلا بمنطق الجريدة لفتحنا أبواب الفتنـــة على مصاريعها .. ولأعدنا الماسونية وهي ربيبة الصهيونية وابنتها البكر ، فهل هذا منطق ؟ !

إن علماء الدين ولا سيما الوعاظ وخطباء المساجد ؛ بإمكانهم أن يكشفوا للرأى العام الإسلامى عن كل مخازى البهائية ، ويحذروا منها الشباب المثقف الذى لم ينخدع بها ، وإنما جذبه إليها الانحلال الخلق والتحلل الدينى ، وليجد فى هذين المجالين تنفيسا عن عقده النفسية المركزة.

● الأحوال والحريات الشخصية :

فى جريدة الجمهورية كتب الأستاذ حافظ بدوى يقول :

إن تسمية العلاقات الزوجية فى مشروعات القوانين الجديدة باسم - الأحوال الشخصية - مع ما فيها من خطأ التعريف القانونى ، لأن الأحوال الشخصية ، تعنى كل شيء فى حياة الناس الخاصة سواء كانت زواجا أوغير زواج - ومع هذا فإن تسميتها باسم - الأحوال الشخصية - ضربة من القدر جديرة بأن تنبه طلاب الإصلاح إلى أنهم بما يحاولونه فى : تقييد الطلاق إنما يتدخلون ، باسم العدالة ، فى الحريات الخاصة للناس ..

أليس عجيبا فى الوقت الذى ندعم فيه الحريات - العامة - نحاول باسم الإصلاح أن نتدخل فى الحريات - الخاصة - !!

يقولون إنه تدخل لخير المجتمع ، وهذا حق لا ننكره على نواياهم ، لكن هذا التدخل يكون صحيحا حينما تكون الشريعة التى سنت الطلاق ، كما سنت الزواج ، قد أغفلت بعض جوانب أخطاره أو تركتها لاجتهاد المقننين ...

والواقع أن الشريعة الإسلامية ، بل الشرائع السماوية كلها ، لم تترك جانبا من جوانب هذا الموضوع لم تعالجه أو لم ترسم الطريق إلى علاجه .. فلم هذه الاجتهادات ؟ ! !

أقول هذا صراحة ، وأنا من أشد أنصار الاجتهاد فى الدنيا والدين ، لكن الاجتهاد ينبغى أن يكون له حدود لا نخرج بها من طبائع الأشياء فى الدنيا والدين .

فمن طبائع الأشياء فى الدنيا أن هناك عواطف ، لا يستطيع أقدر القضاة أن يكشف أسرارها ، وإلا لاحتاج القضاء فى كشف بعضها إلى حلقات من علماء النفس والجنس والاقتصاد والاجتماع ، ولتحولت أصغر خصومة زوجية إلى مشكلة اجتماعية كبيرة تتدخل فيها الصحافة وكل وسائل العلم والإعلام .

ومن طبائع الأشياء فى الدين أن هناك أشياء لا يترك البت فيها لعدالة الأرض بل لعدالة السماء .. وهذا ما قصد إليه علماء الأزهر فى بيانهم الذى أذيع منذ أيام قصدا شريفا لا يصح أن ننظر إليه على أنه نوع من التعصب .. إنه فى الواقع نوع من اليقظة بالقياس إلى ما يصنعه شيوخ الأديان الأخرى ..

فكل المطلوب الآن لإصلاح ما يسمونه باسم ـ الأحوال الشخصية ـ أمران :

* توعية من يتزوجون بقدسية الحياة الزوجية .

* تدعيم ـ الزواج ـ وليس الطلاق بالضمانات الاجتماعية والشرعية والاقتصادية التى تضمن استمراره استمرارا مرضيا شريفا لا إكراه فيه .

* أن المطلوب من ـ المصلحين ـ والمقننين الآن البحث عن الوسائل التى تضمن هذين الأمرين بنجاح، وإلا تحولت القضايا الزوجية إلى ما يشبه الجريمة والعقاب ، ولا أحسب أن أحدا يريد لها هذا المآب .

● الملامح المتناقضة فى العالم الإسلامى:

قال الأستاذ عباس مسعودى رئيس تحرير مجلة «الإخاء» الإيرانية الأسبوعية تعليقا على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذى انعقد فى الشهر الماضى بجدة بالمملكة العربية السعودية ، بعد أن أشار أنه كان للقرارات التى اتخذها المؤتمر أثر فى نفس كل مسلم ، ذلك أنها تضع الأسس القويمة لتعاون اجتماعى وعلمى ومادى ، وتوحد صوت الأمة الإسلامية فى التعبير عن آرائها ، ونقل صورة حقيقية عنها ، قال :

ونحن إذا ما استعرضنا الوضع الذى يعيش فيه المسلمون اليوم ، نقف أمام لوحة تعكس الكثير من الملامح المتناقضة التى تحتاج إلى ريشة فنان حقيقى يبعث الانسجام بين ألوانها وتعبيراتها ، ولا يمكن البحث عن روح الفن الأصيلة إلا فى المبادىء السامية التى نزلت على الرسول الأكرم ، وفى الشرائع السماوية الحقة التى دعت المسلمين للتعاون والتضامن ونبذ الخصام والعمل المخلص الأمين .. إن أمام العالم الإسلامى اليوم طريقا طويلا من الكفاح والعمل . . أمامه الكثير من المشكلات التى يجب أن يزيلها وعليه أن يتعاون للخلاص من براثن التخلف الذى يغله ، وأنياب الاستغلال التى تطبق على ثرواته ، ولا يتم كل هذا إلا بالإخلاص والنية الطيبة .... وهى أقل ضريبة يمكن أن يدفعها من يسعى إلى الحياة الكريمة الطيبة » .

هذه كلمات يجب أن نعيها، وهى ليست فى حاجة إلى تعليق ، وإنما هى فى مسيس الحاجة إلى آذان مصغية ونوايا طيبة ،

وإخلاص صادق ، وهـذه متطلبات عسيرة فى وقت يلعب فيـه الاحتراف السياسى دورا رئيسيا فى حياة الوجود الإسلامى !.

* * *

● العقاد فى ذكراه الثامنة :

فى اليوم الثالث عشر من شهر مارس الماضى ، كان قد مضى على العقاد ـ وهو فى رحاب ربه ـ ثمانية أعوام ، وتطلعت إلى الصحف فى هذا اليوم عل عينى تقعان على شىء يشعر بالوفاء نحو الأديب العملاق ولم أتهيب أن أصاب بخيبة أمل ، لأننى كنت واثقا من توقعها ، فهذه الصحافة وشقيقاتها من وسائل الإعلام إذا نسيت أو تناست أن تذكر العقاد فى ذكراه ، فليس معنى ذلك أن العقاد أقل من أن تذكره أو تتذكره ، بل ـ فى رأيى أنه أغنى من أن تجود على ذكراه بـكلمات أو مقالات ، وهو الذى يعيش حيا على مدى الأيام والأعوام فى أذهان العلماء والمفكرين وطلاب المعرفة من تلامذته على القرب والبعد معا ..

فى ذكرى « سيد درويش » عجبت لأن قصة حياته أعدت فى برنامج تمثيلى كان يذاع فى وقت واحد ضمن برامج صوت العرب ، وإذاعة « مع الشعب » والبرنامج العام . بل لقـد قرأت عتبا فى الصحف على الإذاعة لأنها لم تقم بحق الوفاء لذكرى « سيد درويش » كما قرأت كلمات لإذاعى يفخر بأنه استطاع يوم وفاة الممثل «زكى رستم» أن يجمع عنه مادة قابلة للإذاعة ، ويغطى بها برنامجا طوله تسعون دقيقة .

وحتى لا نظلم الصحافة جامعة ، فقد طالعت علينا مجلة « الهلال » بمقال ضاف عن العقـــاد ونظرية الأدب النفسى للأستاذ الدكتور عبد الفتاح الديدى ، حسبنا هنا من هذا المقال هذه العبارات :

« ومما لا شك فيه ، أن العقاد تجربة من تجاربنا التى نعود إليها كلما أردنا أن نعرف ماضينا . وأن نتعرف على قدراتنا الوراثية والذهنية فى شخصه » .

« يجب أن نمهد لتفكير أدبى جديد ، ينبع من صميم الأفـكار العقادية التى لم يستطع الجيل السابق أن يتنبه إليها بالقدر الـكافى »

أليس من حق العقاد على الأوساط

الإسلامية أن تهتم بذكراه ، وهو الذى دافع عن الفكر الإسلامى وتراثه فى أكثر من كتاب وفى عشرات المقالات ؟

هل تنس الأوساط الإسلامية للعقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - العبقريات - مايقال عن الإسلام ؟ - وغيرها الكثير . .

الحقيقة أن العقاد أكبر من أن يلتفت إلى ذكراه ، ولكن الذكرى إن دلت على شىء ، فإنما تدل على شىء من الوفاء .

* * *

● قراءات :

من كلمات للأستاذ المرحوم فريد وجدى :

إن علماء أوربا - بعد أن دخلوا فى كل دور يمكن أن يدخله الإنسان المعرض لكل أصناف الفتن العلمية - عادوا الآن حيث الهدوء شامل، فاعترفوا عن بينة بأن لهذا الكون خالقا قادرا حكيما متصفا بكل صفات الكمال ، ومنزها عن كل مايشعر بالنقص . . وأنه سبحانه وضع الكون على نظام مخصوص يستطيع من ينظر إليه بروية أن يستنتج منه تلك الصفات العليا استنتاجا محسوسا ، وأن يتعلم منها أمورا يغنى الجرى عليها على قلتها وسوء فهمها - عن ألوف القواعد والتعاليم التى كانت تلقى على الناس فيحنون رءوسهم خضوعا لها ، ولكن على غير فهم لحكمها وحكمتها . . »

محمد عبد الله السمان

(بقية المنشور على ص ٢٧٧)

قلت : قذيتها تقذية ، كان المعنى أنك أخرجت منها القذى .

ومن هذا الذى عرضنا استبان أن الثلاثى الذى هو من باب تعب، والرباعى المهموز متفقان معنى، كما أن الثلاثى الذى هو من باب رمى يتفق معناه مع الرباعى المضعف ، ويشاركهما فى المعنى قولك : اقتذى الطائر على وزن افتعل، لأن معناه أن الطائر ألقى عن عينه القذى ، وذلك حين يحك رأسه ، قال حميد بن ثور :

خفى كاقتذاء الطير والليل مدبر
بجثمانه والصبح قد كاد يسطع

(يتبع)

عباس أبو السعود

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

الاستفتاء من - الاتحاد الاشتراكى العربى / لجنة مركز بركة السبع .

أولا : يقول الله تعالى : « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى . . . » .

ويقول سبحانه وتعالى « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . . . . »

فهل هناك تعارض بين الآيتين فجاءت إحداهما لنسخ الأخرى ؟

وهل وفاة عيسى - عليه الصلاة والسلام كوفاة سائر البشر أم لوفاته معنى آخر ، وأنه رفع إلى السماء بجسده وروحه ؟

ثانيا : يتوارد على لسان كثير من المسلمين بأن سيدنا عيسى سوف ينزل آخر الزمان ويتزوج ويقتل المسيخ الدجال ويحكم بالشريعة الإسلامية ثم يموت ويدفن بجوار قبر سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ؟ فهل هذا صحيح ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فالحديث عن عيسى عليه الصلاة والسلام - للإجابة عما ورد فى استفتائكم - يتضمن موضوعين :

أولهما : عن رفعه إلى الله ، والثانى : عن نزوله إلى الأرض .

وقبل أن نتحدث فى أحد هذين الموضوعين نرى أن نشير إلى أن الإيمان بالغيب أمر واجب فى عنق كل مسلم ، وقد افتتح الله به كتابه فقال : « ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

فبدأ فى وصف المتقين بالإيمان بالغيب قبل إقامتهم فروض الإيمان ، والغيب : كل مالا تدركه الحواس الخمس مما ثبت الخبر عنه عن الله تعالى أو عن رسوله - صلى الله عليه وسلم - وذلك مثل الإيمان

باليوم الآخر وبالجنة والنار وبعذاب القبر ومقيمه وما أشبه ذلك .

فكل مسلم ينكر شيئا من هذا بعد ثبوته ثبوتا قطعيا بنص من القرآن أو الحديث فهو عاص أشد العصيان ويخشى أن يكون كافرا .

ثم نقول عن رفع عيسى - عليه الصلاة والسلام - إلى الله : كثر كلام العلماء فى هذا الموضوع والذى يترجح عند اللجنة قول الجمهور من علماء الشريعة الإسلامية سواء فى ذلك أهل السنة والشيعة والمعتزلة وسواء فى ذلك علماء الفقه وعلماء الكلام وعلماء التفسير وعلماء الحديث قال هؤلاء جميعا : إن الله رفع عيسى إليه بجسمه وروحه ولم يمكن أعداءه اليهود من قتله .. بل ألقى شبهه على واحد من اليهود فقتل أو على واحد من اتباع عيسى - عليه الصلاة والسلام - ضحى بنفسه فداء لعيسى عليه الصلاة والسلام - واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .. » «وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه .. »

ويقول سبحانه وتعالى: «ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى .. » .

ووجه الاستدلال من الآيتين يرجع إلى وجوه عدة نجتزىء منها بما يلى :

أولا : جعل الله سبحانه الرفع مسلطا فى الآيتين على الضمير المراد به عيسى فقال : رافعك بضمير الخطاب، وقال بل رفعه بضمير الغيبة واللغة العربية جرت على أن الضمير يقصد به ذات من يعنى به فإذا قال قائل أنت أو أياك أو كلمتك لم يجز أن يكون المراد إلا شخص المخاطب لا شيئا مضافا إليه كعلمه أو روحه ، وإذا قال هو أو إياه أو كلمته لم يجز أن يكون المراد إلا شخص الغائب المعلوم لا شيئا مضافا إليه ، وإرادة شىء مضاف إليه مجاز يحتاج أولا : إلى القرينة ولا يجوز المسير إليه متى أمكنت الحقيقة ، وقد قلنا إن الإيمان بالغيب ومنه ذلك واجب على كل مسلم ، متى جاء به الخبر عن الله تعالى.

ثانيا : أنه سبحانه فى الآية الاولى جاء بالرفع إليه بعد نفى قتلهم إياه وصلبهم له معطوفا بحرف بل الذى يقتضى إبطال ما قبله وإثبات ما بعده وأن الثانى ضد الأول ، وكأنه يقول أن قتلهم إياه، وصلبهم له باطل لم يحصل إلا على وجه التشبيه لهم والتلبيس عليهم، والذى حصل

هو رفعه إليه ولا يكون الرفع ضدا لعدم القتل والصلب إلا إذا كان رفعا بالجسد إذ الرفع بالروح وحدها لا يضاد القتل والصلب لأنه عسى أن يكون قتيلا مرضيا عنه فيرفع الله روحه إليه كالشهداء.

ثالثا: أن الأحاديث التي وردت في صحيح البخاري وصحيح مسلم وهما أصح كتابين في الإسلام بعد القرآن الكريم تنص على أن عيسى ينزل في آخر الدنيا، وسنتعرض لهذه الأحاديث في البحث الثاني، ولا يكون نزول إلا عن صعود والصعود هو الرفع. ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أعرف الناس باستعمال الألفاظ العربية.

فإن قال قائل: أليس الله تعالى يقول في الآية الثانية «إني متوفيك ورافعك إلي» وأصل التوفي هو إزهاق الروح بالإماتة فظاهر هذه الآية أن الله تعالى يقول: أنه يتوفى عيسى ويرفعه إليه بعد ذلك، ومتى مات فالذي يرفع بعد موته هو روحه فلم يكن في الآية دليل لما ذهبتم إليه.

فالجواب على ذلك من عدة وجوه الأول: أننا لا نسلم أن معنى التوفي هو إزهاق الروح بالإماتة فحسب بل للتوفي عدة معان منها: أن يكون المراد أني آخذك كاملا جسدا وروحا كقولهم توفى الرجل ماله من الدين واستوفاه إذا أخذه جميعه فيكون معنى متوفيك كمعنى رافعك إلي ويكون العطف للتفسير ولبيان أن المراد معنى خاص من معان يحتملها اللفظ، ويجوز أن يكون المراد الإماتة بعد أن ينتهي أجله المقدر له عند الله بعد نزوله إلى الأرض وذلك لا يتنافى مع تقديم قوله سبحانه متوفيك على قوله جل شأنه ورافعك إلي لأن العطف بينهما بالواو وقد علم أن الواو تعطف السابق على اللاحق واللاحق على السابق إذ هي لمجرد الجمع بين المعطوفين من غير ترتيب.

وما يقال في هذه العبارة (متوفيك) يقال مثله في قوله سبحانه: «فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم».

وأما عن الموضوع الثاني: وهو نزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - في آخر الزمان فإنا نقرر أن القرون الثلاثة الأولى التي هي خير القرون بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»

وفيها كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم أجمعون وأتباعهم وتابعو تابعيهم بإحسان وفيها أيضا كان أئمة الهدى من أمثال أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل والأوزاعى والسفيانين وفيها كان أئمة المحدثين كالبخارى ومسلم وفيها كان شيخا أهل السنة والجماعة فى علم العقائد، وهما أبو الحسن الأشعـرى وأبو منصور الماتريدى وإن تأخرت وفاة هذين الإمامين إلى أن قضيا ما يقرب من ثلث القرن الرابع.

نقول: إن هذه القرون قد انقضت ولم يعرف عن أحد من رجالاتها خلاف فى رفع عيسى وفى نزوله فى آخر الزمان، فكان ذلك إجماعا من أهل هذه القرون على ذلك.

ويمكن أن يستدل لهذا الكلام بقوله تعالى: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته».
إذا أرجعنا الضمير فى (به) وفى (موته) إلى عيسى وكأنه قيل: وما أحد من أهل الكتاب اليهود والنصارى إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وهذا احتمال فى الآية الكريمة، وهو قريب جدا.

ويمكن أن يستدل له بقوله سبحانه (وإنه لعلم للساعة) - ٦١ سورة الزخرف أى علامة عليها، قال القاضى البيضاوى: وأنه أى عيسى ابن مريم لعلم للساعة لأن حدوثه أو نزوله من أشراط الساعة يعلم به.

وبالاستدلال بهاتين الآيتين يعلم خطأ من قال إنه ليس فى القرآن ما يؤخذ منه نزول عيسى لا تصريحا ولا تلميحا ولا إشارة، فذلك مذكور كما بينا.

ويستدل على هذا الرأى بما رواه الإمام البخارى والإمام مسلم، وقد قرر علماء الحديث أن أصح الأحاديث ما اتفق عليه البخارى ومسلم وقد رويا عدة أحاديث نكتفى منها بحديث واحد طلبا للاختصار وهو: عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنهما قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقبض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها» ثم يقول أبو هريرة - رضى الله عنه -:

واقرءوا إن شئتم « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » رواه الشيخان والترمذى وابن ماجه وابن أبى شعبة وابن مردويه وغيرهم .

وتأويل هذا الحديث غير مقبول مادمنا قد قررنا أن الإيمان بالغيب وهو ما لا يدركه الحواس أمر لا يجوز تركه وإلا لكان لكل واحد أن يؤول كل شيء لا تدركه حواسه فتضيع مسائل كثيرة مما يجب الإيمان به وفى هذا من الفساد ما لا يخفى .

ومن ردىء ما أول به هذا الحديث ما ينسب إلى الشيخ محمد عبده وملخصه أن معنى نزول عيسى فى آخر الزمان أن مبادئه التى عاش ينشرها بين الناس من الرحمة والسلام تنتشر ، وليس معناه أن شخص عيسى يظهر ، وإنما قلنا إن هذا تأويل ردىء لأن التعبير عن المبادىء بالشخص غير معهود والعلاقة بينهما بعيدة كل البعد فلا يتجوز بلفظ أحدهما عن الآخر .

هذا فضلا عن أن هذه المبادىء من أول ما دعا إليه الإسلام فى مثل قوله تعالى : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » . « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ، « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

ونزول عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى عقيدة كل العلماء الذين تعرضوا للقول به ـ على أن يحكم بشريعة الإسلام ويعلن أنه آمن بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه يدعو الناس إلى دين الإسلام كما جاء فى الحديث السابق فلا يعترض بأن محمدا صلى الله عليه وسلم ـ خاتم الأنبياء والمرسلين لأن عيسى حين ذاك ليس رسولا جديدا اهـ .

ونحن نعتقد أن الكلام فى هذه الموضوعات الآن لا ينشأ عنه إلا بلبلة الأفكار واضطرابها وما أغنانا عن ذلك والله المستعان ؟

محمد أبو شادى

أنباء وآراء

● كتب السيد/ محمود غانم غيث يقول:

أذاعت دار الإفتاء أن أول شهر المحرم ١٣٩٢هـ هو يوم الأربعاء الموافق ١٦ فبراير ١٩٧٢، وذلك فى كل من مصر وليبيا والدول العربية والإسلامية التى تقع مع القاهرة على خط جغرافى واحد (الأهرام فى ١٥ فبراير ١٩٧٢).

ثم أذاع فضيلة المفتى أن أول شهر صفر هو يوم الأربعاء الموافق ١٥ مارس ١٩٧٢، وهو نفس اليوم الموافق ٢٩ من المحرم ١٣٩٢؛ بناء على التقارير الفلكية فى البلاد العربية والإسلامية التى تقع مع القاهرة على خط جغرافى واحد (الأهرام ١٦ مارس ١٩٧٢).

فهل شهر المحرم ثمانية وعشرون يوما ؟!

نرجو من فضيلتكم أن توضحوا لنا حكم الشرع فى هذا الأمر الذى يهم المسلمين جميعا فى مصر الإسلامية التى تعرضت له فى السنوات الأخيرة لبلبلة فى تحديد الشهور العربية.

وفقكم الله لما فيه خير المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله؟

أجابت لجنة الفتوى بمجمع البحوث الإسلامية، فقالت:

الشهر العربى يكون ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين، ولا يقل عن ذلك؛ فما حدث مرده خطأ فى تقدير بدء شهر المحرم وانتهاء ذى الحجة؛ وذلك - إن ثبت هلال صفر بالرؤية - أما، وقد حدد أول صفر - بناء على تقارير الفلكيين - كما جاء فى خطاب السائل؛ فالخطأ إنما هو من التقدير الفلكى.

● تصريح . . . غير صحيح:

نشرت صحيفة الأخبار يوم الأربعاء ٢٩ / ٣ / ١٩٧٢ باب «أخبار الناس» تصريحا نسبته إلى فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام شيخ الأزهر، قيل فيه:

إن فضيلته زار معرض السيد عبدالحميد الدواخلى وشاهد ما فيه من لوحات،

وأنه سئل عن حكم الإسلام فى الفنون الجميلة من : نحت وتصوير ورسم ، وأنه أجاب :

« ليس هناك أى تحريم ، فالفنون الجميلة تعمل على إبراز وتسجيل النواحى الجمالية فى مخلوقات الله ، وقال : إن عمل الفنانين أصبح من مصادر الرزق والكسب ، ولم تعد فيه شبهة الأصنام التى تصنع للعبادة أو للشرك بالله ، كما كان الأمر فى الجاهلية ، وأضاف فضيلته - مؤكدا - أن بعض المسلمين فى صدر الإسلام كانوا يزاولون فن النحت كوسيلة للتسلية » .

ذاك مانشرته الصحيفة ، وعند عرض الموضوع على فضيلة الإمام صرح بأنه لم يصدر منه أنه أجاز النحت والتصوير بوجه عام ، وما نسب إليه من أن بعض المسلمين فى صدر الإسلام كانوا يزاولون فن النحت كوسيلة للتسلية غير صحيح .

● نصرانية تدرس الدين الإسلامى :

أسندت إدارة مدرسة الساليزيان الخاصة - بروض الفرج - تدريس مادة (الدين الإسلامى) قرآنا وتفسيراً إلى فريدة مسعد حنين .

سجل الواقعة أحد مفتشى اللغة العربية هل يقوم جورج أنطون مدير التعليم الخاص - بشمال القاهرة - بالنظر فى الواقعة ، فلعل من أمثالها مايجب استبعاده .

● الإمام الأكبر ومجمع اللغة العربية :

أقيم حفل استقبال لفضيلة الإمام الأكبر د . محمد محمد الفحام ، شيخ الأزهر فى مبنى مجمع اللغة العربية بمناسبة تعيينه عضواً به بمقتضى القرار الجمهورى رقم ١٩٧٢/٨٨ .

حضر الحفل عدد كبير من رجال العلم والثقافة ، كما حضره الدكتور طه حسين رئيس المجمع . ألقى كلمة الاستقبال د . أحمد عمار عضو المجمع ، ورد عليها فضيلته بكلمة نالت تقدير الجميع .

● أتم فضيلة العلامة مصطفى الزرقا الجزء الثالث من « الموسوعة الفقهية » والجزء خاص بـ « الحوالة » ، ويأتى فى الأهمية بعد « الأشربة » و « الأطعمة » وكانا موضوع الجزءين الأول والثانى .

نشر الجزء الأول والجزء الثانى بالكويت ، وأصدرت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية فى الأردن الجزء الثالث .

على الخطيب

and the earth when He decreeth a thing He saith unto it only Be and it is .)

البـــاقى

ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . (النحـــل ٩٦)

(That which you have wasteth away and that which Allah hath remaineth And verily We shall pay those who are stedfast a recompense in proportion to the best of what they used to do .)

الـــوارث

وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون . (الحجر ٢٣)

(Lo and it is We who quicken and give death and We are the inheritor.)

الرشـــيد

وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد . (غافر ٣٨)

(And he who believed said O my people Follow me I will show you the way of right conduct.)

الصـــبور

والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصـــبر . (العصر ١ - ٣)

(By the declining day. Lo man is in a state of loss. Save those who believe an do good works and exhort one another to truth and exhort one other to endurance.)

قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون .
(يونس ١٨)

(They worship beside Allah that which neither hurteth them nor profiteth them and they say These are our intercessors with Allah Say would you inform Allah of that He knoweth not in the heavens or in the earth ? Praised be He and high exalted above all that they associate (with Him).

النور

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. (الصف٨)

(Fain would they put out the light of Allah with their mouths but Allah will perfect His light however much the disbelievers are averse .)

الهادى

ووجدك ضالا فهدى. (الضحى ٧)

(Did He not find you wandering and direct (Thee).

البديع

بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .
(البقرة ١١٧)

(The Originator of the heavens

المغنى

ووجدك عائلا فأغنى . (الضحى ٨)

(Did He not find you destitute and enrich you) ?

المانع

هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار .
(الحشر ٢)

(He it is Who hath caused those of the people of the Scripture who disbelieved to go forth from their homes unto the first exile You deemed not that they would go forth while they deemed that their strong holds would protect them from Allah. But Allah reached them from a place whereof they recked not and cast terror in their hearts so that they ruined their houses with their own hands and the hands of the believers So learn a lesson O you who have eyes.)

الضار النافع

ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله

(Had it not been for the grace of Allah and His mercy unto you and that Allah is Clement Merciful.)

مالك الملك

قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير . (آل عمران ٢٦)

(Say O Allah Owner of Sovereignty Thou givest sovereignty unto whom Thou wilt and Thou withdrawest sovereignty from whom Thou wilt Thou exaltest whom Thou wilt and Thou abasest whom Thou wilt in Thy hand is the good Lo Thou art Able to do all things.)

ذو الجلال والإكرام

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. (الرحمن ٢٧)

(There remaineth but the countenance of thy Lord of Might and Glory.)

المقسط

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . (الممتحنة ٨)

(Allah forbiddent you not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes that ye should show them kindness and deal justly with them Lo Allah loveth the just dealers.)

الجامع

وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً . (النساء ١٤٠)

He hath already revealed unto you in the Scripture that when you hear the revelations of Allah rejected and derided sit not with them (Who disbelieve and mock) until they engage in some other conversation Lo in that case (if you stayed) you would be like unto them Lo Allah will gather hypocrites and disbelievers all together into hell.)

الغنى

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد .

(الحديد ٢٤)

(Who heard and who enjoin upon the people avarice and whosoever turnth away still Allah is the Absolute the awner of praise.)

THE ATTRIBUTES OF 'ALLAH'

– In the Verses of the Quran

Prepared By :

HUSSAIN EL-TIBY AFFIFY

(Continued from Privious Issue)

المتعـــال

عالم الغيب والشهادة الكبير المتعـــال .

(الرعــد ٩)

(He is the Knower of the invisible and the visible the Great the High.)

البـــر

إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البـــر الرحيم . (الطور ٢٨)

(Lo we used to Pray unto Him of old Lo He is the Benign the Merciful.)

التـــواب

ألم يعلموا أن الله هو يقبـل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم . (التوبة ١٠٤)

(Know they not that Allah is He who accepteth repentance from His bondmen and taketh the alms and that Allah is He who is the Relenting the Merciful.)

المنتقـــم

يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون .

(الدخان ١٦)

(On the day when We shall seize them with the greater seizure (then) in truth We shall punish.)

العفـــو

إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً .

(النساء ١٤٩)

(If you do good openly or keep it secret or forgive evil Lo Allah is Forgiving Powerful.)

الرءوف

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم . (النور ٢٠)

away from ordain- ary life, in order that to think of the truth. It was clear to him that his people were on wrong path. The idolatry and moral debasement of his people pressed heavily upon him.

THE FIRST REVELATION

Muhammed, peace be on him, had reached his forty year, It was about this time that he usually went to Mount Hiraa 'Mount of light "He had now become very restless and spoke to Khadija of his fear by some evil spirit, but Khadija encouraged him, and reminded him that he was the trustful, and a good man to whom evil spirits could do no harm.

Then one day whilst resting in the cave, an Angel appeared to him and said: Read. He replied I cannot read. The voice again said Read. For the third time the voice speaking louder said Read : Muhammed, peace be on him, said : 'What can I read'. The voice said :

إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لا يعلم .

(Read in the name of your Lord who createth. Createth man from a clot. Read thou. For your Lord is the most beneficient Who teaches by the pen. Hath taught man that which he Knoweth not.)

These words seemed to have been carved into his heart. After the Angel vanished, he left the cave and wandered down the mouutain to the desert thinking of what he had seen and heard looking to the sky, he saw again the Angel. He tried to avoid the vision, but the Angel appeared every where.

When the vision vanished Muhammed, peace be on him, returned to his house in a cloud, of fear.

He told Khadijah what he had heard and had seen. She felt a great pity for her husband.

She asked Where have you been? Muhammed, peace on him, did not answer her, but said 'Wrap me up'. Wrap me up.

Khadija became very afraid lest her husband might be sick. Muhammed, peace on him, repeated 'Wrap me up'. Warp me up.

She cried aloud. A blanket. As soon as the slave arrived with the blanket she kept Muhammed, peace be on him, wrapped up until his fear abated and was able to speak to Khadija and tell her ' I was so afraid of my self. Then Khadija said No, it will not be I swear by God. He will never leave you desolate. For you are kind to your relatives, you speak only the truth, you are ever faithful, you bear the affections of your people.

(to be continued)

him, had shown a Profit in selling her goods.

Khadija was famous for her beauty, wisdom, virtue and wealth and decided to marry this unusual type. At that time Muhammad was of 25 years and she was in her fortieth year.

Going to one of her relatives she spoke of her desire to marry Muhammed, peace on him. The relative then met Muhammed and said : What prevents you from marriage ? Muhammad, peace be on him, replied I have nothing to marry with. The relative then said : If you are summoned to a woman of beauty, riches and honour would you agree ? He said Who will accept to marry a a poor man ? She replied : Khadija.

Muhammed, peace be on him, could not believe that such a woman of her standing would ever think of let alone want to marry a man so poor.

He consulted his uncles who consented to the marriage for the cermony. The marriage was completed after Muhammed, peace be on him, had paid a dowry of twenty camels.

HIS MARRIED LIFE

The house of Muhammed on him and Khadija was a bright and happy one. Two sons, and four daughters. Their eldest son was El Quassim who died in his infancy, the other son Abdullah also died very young. The four daughters were named Zainab, Ruquah, Omm Kulthom and Fatimah. Fatimah married Aly bin Abu Talib.

Muhammed, peace be on him, was a good looking man of meduim height with a rather big head with dark black hair a wide for ehead with broad chest, a heavy beard, his face was brown with a colouring of light red and rather a long neck. He used to walk quickly with a slight forward stoop.

He listened much and spoke little he never interrupted a speeker. He was generous yet firm and decided.

Khadija loved her husband with outstanding devotion, and spent all her wealth in support of his new doctrine. Muhammed, on peace on him, was very faithful to Khadija. He did not marry another waman while Khadijah lived.

After 25 years of married life with Muhammed, peace on him, Khadijah died at the age of 65.

The month of Ramadan each year was spent by Muhammed in a cave on MountHiraa north of Mecca six milles. Taking with him food and water he stayed the whole month

Persia and the Yemen to the Roman Empire. Muhammed went to Syria once again at the age of twenty five on a similar mercantile Journey.

In both journeys he had no chance to learn or study religions or make any contact with religious people. On the first journey he was a small boy, On the second he was responsible for the commerce. After the first journey he returned to Mecca to work again as a shephered. He was proud of being a shephered for he once said "God has sent all his Prophets as shephereds Moses was a shephered, David was a shephered. I am a shephered.

The Story of the black stone and His Marriage to Khadija

Muhammed had become known for his remarkable position amongst the people of Mecca especialy for his beloved personality and honesty. He was now nearing 25 th year. At that time the Qurish tribe started rebuilding the Kaabah but when it came to the replacing of the sacred black stone each tribe claimed the honour.

War loomed again between these related tribes, at last they agreeded that the first who entered would judge between them. At that moment the first who entered was Muhammed, peace be on him, who asked for a piece of cloth in which he laid the black stone. He ordered one from. each tribe to take hold of the cloth The stone was then deposited in its proper place giving each tribe the honour of having replaced the sacred stone, and the peace spreaded instead of the war between the tribes.

It was during this period that Abu Talib approached his nephew and asked him to work for Khadija so as to earn a little more money to help him to keep his large family. Muhammed, peace be on him, replied "Do as you desire my uncle.

Abu Talib visited Khadija and asked if she would employ Muhammed, peace be on him, as he had heard that she wanted someone to take charge of her merchandise.

After that Muhammed, peace on him, was put in sole charge of Kadija's merchandise. She gave Muhammed, peace be on him, her male servant Maysarah to help him in work and travel.

This slave was deeply affected by the personality of Muhammed, peace on him, He did not hear a harsh word through out the whole journey, he alwayes received a smile. Maysarah did not feel that he was a slave whilst in the company of his master. On the return from his journey with Muhammed, peace be on him, he reported all this news to Khadija. Muhammed, peace on

Glimpses of the Life of Prophet Muhammad

By

HUSSAIN EL-TIBy AFFIFY

Muhammad, peace be on him, the prophet and the Messenger from the Allah was the son of Abd Allah by his wife Aminah, a daughter of Wahb, belonged to the family of Hashim who were the noblest tribe of the Quriesh tribes of the Arabs and is said to be directly descended from Ismail, (Peace be on him) the grand father of the Muhammad, peace be on him, was Abd el Muttalib who was the keeper of the Kaabah.

Muhammad, peace be on him, was born in the year of the Elephant the 29 the of August 5/0 A. D. at Mecca. Abd El Muttalib went to the House of Aminah and taking up the child in his arm went to the Kaabah and gave thanks to God.

It was the custom of the better classes of Mecca to send their children to be nursed by witnurses who refused to accept orphans, the nurses were afraid they would not be paid with due generosity. But Halimah took Muhammad, peace be on him, to her desert home where he remained about five years.

In his sixth year Muhammed, peace be on him, was taken to Medinah, but on the return journey Aminah fell sick and died. Here we find Muhammed, peace be on him, without parents an orphan. He was taken to Mecca by Om Ayman who became faithful nurse. It was at this time that Muhammed came under the care and guidance of Abd El Muttalib who died about two years later, so the child was handed over to his Uncle Abu Talib.

Abu Talib's love for his nephew was as great as if Muhammed had been his own son. It was an accepted duty for Muhammed, peace be on him, to work and to help his uncle. He gained experience through his work of a shephered as it had been with Moses and David a guide to a flock of sheep leeding them. The work of Muhammed, peace be on him, was being fitted into his future life of Prophet.

At the Age of twelve Muhammed, peace be on him, was being taken by his uncle on a mercantile journey to Syria selling good from

that lead to the establisment of justice was considered on legal means to that end.

One of the sources of security in the society is that systematic feeling of every person when he knows his own rights and duties and does not transgress his limits. When the ruler enforces the law in honesty, he cannot be charged with dictatorship. The ruled when they submit to just enforcement of law cannot be called weak or submissive people. A ruler may be charged with dictatorship if he rules his nation according to his personal desires and views, and the nation may be called weak if it acts under the spell of fear. Therefore, Islamic society is ruled under many regulations which define what is good and what is bad, and what is right and what is wrong.

The final objective of equality in front of law is to organize a society in which all people compose one united nation with no distinction of one over another, or a group of people over the other. This requires the abolishment of slavery and feudal systems and the special privileges of the so-called noble class, which was not abolished in some countries, such as France, until 1789.

What then is the attitude of Islam in this regard ?

Let us hear what the first Caliph said when he addressed the nation after being elected to the office of the Caliphate : "The powerful among you is considered by me as weak until I cause him to do justice, and the weak and oppressed is strong in my eye until I have his rights given back to him."

Omar ibn Al-Khattab wrote to Abu-Moosa Al-Ashaari, his ruler of Basra, Iraq : "Treat all people equally in your receieving them and in your judgment among them, so that the noble on would not think of your leaning favourably to him, and the humble one would not ceases hope in your justice." He also advised his succeeding Caliph : "Treat all people equally. Never mind him who is accused with wrong. Never fear the blame of those who reproach you. Be far from self-esteem and from taking a favourable side to anyone regarding the interests of your subjects."

The Holy Quran says :

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . (الحجرات ١٣)

It means : "O mankind ! We created you from a single male and a female, and made you nations and tribest to know each other. Surely, the most noble of you before God is the most pious."

(to be Continued)

The most important factor to establish security is the feeling of people that they are secure against injustice, and that law is legislated to defend their rights. Mere knowledge of laws is not enough in this respect. The conditions and circumstances of people should be taken into ecoount, though they need special talent which is endowed to few people. The Holy Quran says :

وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحــــرث إذ نفشت فيه غنم القـــــوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينـــــا حكماً وعلماً . (الأنبياء ٧٨ - ٧٩)

It means : "And David and Solomon, when they gave judgment cocerning the field, when the people's sheep strayed therein by night, and we were bearers of witness to their judgment. So we made Solomon to understand it. And to each of them We gave wisdom and knowledge..."

Therefore, the Righteous Caliphs used to select the judges from among the people of good insight. It is related that Omar ibn Al-Khattab heared the complaint of a woman regarding her husband and said : "My huspand is the most pious of all people. He wakes up all night in prayer, and fasts all day . . . " Then the woman stopped talking out of shame. When she was out, Kaab ibn Soor said : " O leader of the Faithful ! The woman surely presented her complaint in the most eloquent way." Omar who thought that the woman intended only to praise her husband, said : " Of whom the woman complained ? " Ka'ab said : "Her Husband" Omar sent out for the husband and wife and ordered ka'ab to give his judgment regarding their case because he comprehended something which was overlooked by the Caliph himself, and was appointed as judge in Basra, Iraq. Another example about the deep insight of judges is that which is related about Iyas ibn Mu'awiya. Four women came to him to present their cases when he said to his company after the women went away : One of them is pregnant, one is a wet-nurse, one is a virgin, and one is not virgin. When he was asked about how he came to know that, he said : The pregnant used to push her clothes away from her abdoment; the nurse continued to pat her breast ; the virgin was very shy ; and the one which is not virgin was staring at me.

Islamic law did not speak in detail about all measures which help establish justice. That was left generally to the endeavour of people and to the requiremenis of the different circumstances. Since justice is the objective of law, any means

Since it is necessary that law must take over the question of common justice lest people should protest with force against injustice.

Since the members of the United Nations have assured in the charter their faith in human rights, the dignity of the individual, man or woman.

Since the member nations have agreed to coperate with the United Nations Organization regarding the defence and care of human rights and basic freedoms.

The General Assembly sets forth the International Declaration of Human rights as a common objective for all nations and states ; so they may take continuous measures on the national and international levels to guarantee those rights. . . .

Article 1 : people are born free and equal in diginity and rights. They were endowed with reason and consciousness and therefore they must treat each other in tho spirit of brotherhood.

Article 2 : Every person may enjoy the rights and freedoms which are mentioned in this Declaration under no discrimination because of race, colour, nationality, language, religion or any other consideration.

Article 3 : Every person has the right of life, freedom and security.

Article 4 : Slavery is absolutely forbidden.

Article 5 : No one shall be subject to torture, punishment or severe actions that are not compatible with human dignity.

Article 6 : Every person has the right to declare his legal personality wherever he may reside.

Article 7 : All people are equal in front of law, and they have equal rights of protection.

In the article 12, the Declaration says that there shall be no aribtrary interference of anybody in the personal affairs of others, their residences or their personal correspondences.

In article 19, the Declaration gives all people equal rights in opinion, expression and faith.

These are examples from the International Declaration of Human Rights.

Was this document the first of its kind ? Was Islam, since its advent, some fourteen centuries ago, far from establishing such rights ?

We will try to answer these questions in our coming discussion.

Before we speak about equality in front of law, let us explain the measures which should be taken to secure justice and truth.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FŪDA

Rabī'Awwal 1392	ENGLISH SECTION	APRIL 1972

The Principles of Equality in Islam

By : Dr. Mohiaddin Alwaye

(II)

Modern laws and legislation tried to establish democracy on two bases: equality and freedom. Equality is spoken of as to be of four kinds; equality in front of law; equality in front of justice; equality regarding opportunities of work; and equality in public and national obligations such as taxes and military service. Freedom is divided into personal freedom; frcedom of ownership; freedom of residence; freedom of work; freedom of worship; freedom ef assembly; and freedom of education. To give here an example about the modern concept of these rights and freedoms, before we deal with the subject of equality in Islam, let us mention here one of the most important texts in this respect, that is the International Declaration of Human Rights which was approved by the General Assembly of the United Nation in 10th of December, 1948. The preamble of the Declaration emphasizes the dignity of men and their equal rights as a basis of freedom, equality, and justice. The preamble says: Since the acknowleging of the integrity of the family of mankind and their equal rights as a basis of freedom, justice and peace in the world.

Since the overlooking of those rights brought about barbarious actions that caused a great harm to human consciousness.

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع — السنة الرابعة والأربعون — ربيع الآخر سنة ١٣٩٢ هـ — مايو سنة ١٩٧٢ م

م ١٢
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

ندوة الأهرام مع الرئيس القذافي

للأستاذ عبد الرحيم فودة

طالعت — كما طالع القراء — ما دار من حوار بين الرئيس معمر القذافى ، والسادة الكتاب المصريين حول الطريق الثالث بين الرأسمالية والشيوعية ، والغربة الفكرية التى يعيشها العالم العربى وسط مختلف التيارات التى سلطت عليه واصطرعت فوق أرضه وتحت سمائه .. وهالنى وأثار إعجابى أن أجد فى معمر القذافى — على حداثة عهده بالتوجيه وحداثة سنه بالنسبة لمن كان يحدثهم ويحدثونه — هذا البصر الواسع بمختلف التيارات الفكرية والسياسية ، وهذا العمق فى فهم الإسلام وتصوره ، والإيمان بأنه الطريق الوسط بين الرأسمالية والشيوعية وأنه الملائم لطبيعة البشر وحياة الإنسان حيثما كان .

وبمقدار هذا الإعجاب كان استيائى — واستياء القراء دون شك — من كاتب مصرى أخذ يسأل عن سبب قيام الثورة الليبية ، وحاول أن يحصر حديث الندوة فى مشاكل ليبيا الخاصة ، وقد رد عليه القذافى بأن العالم العربى الآن أصبح كأنه فى غرفة واحدة ، ولا يمكن تجاهل ما يجرى من حولك ! وإذا كان الشيوعيون يرون الشيوعية قاسما مشتركا فالدين الإسلامى باعتباره دعوة عالمية هو قاسم مشترك .. وهنا تتدخل الكاتبة — بنت الشاطىء —

بوصفها من المدرسة الإسلامية أو المدرسة القرآنية كما قالت. فتتساءل. ما هذا الإسلام الذى نقدمه اليوم؟ وتذكر أن الإسلام هنا، غير الإسلام فى ليبيا، غير الإسلام فى المغرب. غير الإسلام فى السعودية.. وهذا كذب خبيث يراد به تنحية الإسلام عن مجال الإصلاح فى الأرض التى سطع فيها نوره والذى نقله محمد صلى الله عليه وسلم كما يقول العقاد من جمود إلى حركة، ومن فوضى إلى نظام، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية، بل كما يقول الله جل شأنه: «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم».

فالإسلام لم تنطمس معالمه فى أذهان المسلمين، وكلهم يؤمن بالدعائم القوية التى قام عليها، كما قال صلى الله عليه وسلم: (بنى الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وصوم رمضان. وحج البيت) والجهاد الذى فرضه الإسلام على المسلمين لتحرير المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يزال حقيقة من حقائقه الكبرى لم تهمل ولم تعطل مع كثرة المحاولات التى بذلت لإهمالها وتعطيلها، وآية ذلك بقاء المسلمين فى الفلبين أربعة قرون، يكافحون بروح الإسلام الأسبان والمستعمرين، والمتعصبين. وثورة الجزائر التى انتصرت وحررت أرض الجزائر، وتداعى المسلمين - على الرغم من بعض حكامهم - إلى العمل لتحرير فلسطين..

فاختلاف المسلمين فى الفروع لم يصرفهم عن الأصول التى قام عليها الإسلام. وبقاء القرآن محفوظا فى الصدور والسطور هو الضمان لاجتماعهم عليه، وعملهم به، واهتدائهم بهديه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدى: كتاب الله وسنة رسوله) وقال تعالى: «وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم»، فالغبار الذى ثار فى وجه القذافى من هذه الكاتبة وغيرها لا يحجب عن الأنظار البواعث الخفية التى تحركه، ولا يخفى وجه الإسلام عن ثمانمائة مليون مسلم يؤمنون به، ويرون صلته بالحياة كصلة الروح بالجسد؛ لأن ذلك ما يفهمونه من قول الله: «يا أيها

الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»، وقوله: «أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ...»

وليس بغائب عن بال أحد منهم أن الإسلام - وهو دين الله العام لكل الخلق والأنام - يوثق علاقة المسلم بربه على أساس الإيمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر، وعلاقته بأسرته وعشيرته على أساس المودة في القربى وصلة الأرحام، والإحسان إلى الأقربين، وعلاقته بإخوانه المؤمنين على أساس الولاء والإخاء والتعاون على البر والتقوى كما يقول: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»، وكما يقول: «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم»، وعلاقته بالناس أجمعين على أساس أنهم أسرة كبرى تتكون من أسر صغرى، وأنهم مهما تتباعد بهم سلسلة الأنساب ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة، كما يقول الله: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

أما وسائل الحياة الطيبة فهي على كثرتها تدخل في أمرين: الإيمان والعمل الصالح، ومعنى العمل الصالح كل ما يحقق المصلحة ويثمر الخير، فهو يسع كل نشاط يبذله الإنسان لكسب الطيبات وإثراء المجتمع، ومن ثم أمر الله بالسعي في مناكب الأرض وابتغاء الرزق بالسعي أياً كان نوعه، وبين جل شأنه أن كل ما في الأرض مسخر لخدمة الإنسان وتلبية حاجاته وتحقيق رغباته فقال: «هو الذي سخر لكم ما في الأرض جميعاً»، فكل ما في الأرض معد لمنفعة الإنسان بل لقد فتح الأعين إلى أن كل ما يحيط بالإنسان مسخر له؛ كما يفهم من قوله: «وفي السماء رزقكم وما توعدون».

ومعنى هذا أن الإنسان سيد هذه الأرض وما فوقها؛ وما حولها؛ وأن وسائل الحياة الطيبة الكريمة ميسرة له؛ مسخرة لخدمته؛ فإذا أغفل النظر في ذلك والعمل على الانتفاع به فشأنه كما يقول الله: «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل».

تحية طيبة للرئيس معمر القذافي.

وهدى الله الضالين إلى الصراط المستقيم؟

عبد الرحيم فودة

العلاج النفسى فى الإسلام

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الأجل فإن ذلك لا يرد شيئا ، وهو تطييب نفس المريض) . رواه ابن ماجة .

المقصود الأول من بعثة الرسل إلى الخلق هو طب قلوبهم من الشرك والوثنية والاعتقادات الفاسدة فى وجود الله وقدرته وعلمه وإرادته ، وفى وجود الخلق ، وفى الحساب والجزاء فى اليوم الآخر وغير ذلك من المصالح الدينية ، وإذا برئت قلوبهم من تلك العلل وصحت عقائدهم ، استقام لهم أمر الدنيا والآخرة ، ففساد القلوب بالاعتقادات الضالة يجعلها مرتعا للأهواء المطغية والشهوات المردية ، حيث تقودهم الشهوات والأهواء إلى الاختلاف والتدافع فينغص عيشهم ويكدر صفو حياتهم .

وللرسل إلى جانب ذلك المقصد مقصد آخر يكمله ويعيش عليه ، وهو طب الأبدان ، والإنسان جسم ، وروح ولكل منهما طبه وعلاجه ، عرف ذلك الأطباء والعلماء وأقروه ومارسوه على اختلاف الأجيال والعصور ومارسه الأنبياء بالقدر الذى تسمح به مهمتهم وظروفهم وأزمانهم وبيئاتهم ، وبالقدر الذى يفتح الباب لمن ندب لهذا الشأن من الناس حتى لا يظنوا أن ذلك الباب مغلق دونهم وليس لهم أن يطرقوه .

وفى هذا المعنى يقول العلامة ابن القيم :

« فالرسول صلى الله عليه وسلم إنما بعث هاديا وداعيا إلى الله وإلى جنته ، ومعرفا بالله ، ومبينا للأمة مواقع رضاه وآمرا لهم بها ، ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ، ومخبرهم أخبار الأنبياء والرسل وأحوالهم مع أممهم وأخبار تخليق العباد وأمر المبدأ والمعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها وأسباب ذلك ، وأما طب الأبدان ، فجاء من تكميل شريعته ومقصودا لغيره بحيث إنما يستعمل عند الحاجة إليه

فإذا قدر الاستغناء عنه كان صرف الهمم والقوى إلى علاج القلوب والأرواح وحفظ صحتها ودفع أسقامها وحميتها مما يفسدها، هو المقصود بالقصد الأول وإصلاح البدن بدون إصلاح القلوب لا ينفع، وفساد البدن مع إصلاح القلوب مضرته يسيرة وهى مضرة زائلة يعقبها المنفعة الدائمة التامة.

وطب الأبدان يكون بالعلاج بأنواع من الأدوية أحدها: الأدوية الطبيعية، والثانى: الأدوية الإلهية، والثالث: المركب منهما، وبكل ذلك عالج النبى محمد صلى الله عليه وسلم كما وردت به الأحاديث الصحيحة وقد أقر الأطباء علاجاته الطبيعية ولم ينازعوا إلا فى قليل منها أنكروه أولا ثم عادوا يعترفون به بعد أن كشف لهم العلم عن صدقه وصحته، والذى ما زال مثار الجدل والنقاش هو العلاج بالأدوية الإلهية، أعنى العلاج بالقرآن والدعاء والذكر والتسبيح، فالناس بين معترف به وجاحد له، ومما يثير العجب من هؤلاء الجاحدين أنهم يؤمنون بما يشبهه، بل بما هو دونه، ثم يجحدونه والعلاج الإلهى ما هو إلا العلاج النفسى الذى انتحله العصر ونسبه إلى نفسه وملأ الدنيا ضجيجا بالدعاية له وتعداد مزاياه، وأنشأ له المعاهد والعيادات المتخصصة به.

والعلاج النفسى هو بعث الرجاء والطمأنينة فى نفس المريض وتقويته بإحياء الأمل فى شفائه بالكلام اللطيف الموحى بالشفاء والعافية، ذلك هو العلاج النفسى وهو بعينه غاية العلاج الإلهى فليس هناك كلام أرجى للشفاء ولا أبلغ تأثيرا فى نفس المريض من كلام الله وذكره والتفرغ إليه واستنزال الشفاء من لدنه.

وقد عالج النبى صلوات الله وسلامه عليه بالأدوية الطبيعية والأدوية الإلهية لكنه لم يستعمل كلا منهما فى جميع الحالات، بل استعمل فى كل حالة ما يناسبها بحسب المرض واستعداد المريض ونفسيته وتقبله لكل من العلاجين، وقد نجحت تلك العلاجات وبرىء المرضى بإذن الله، والعلاج بالأدوية الإلهية، أعنى العلاج بالقرآن والذكر قد يثير حيوية المريض وينشط طبيعته ويزيد قوة مقاومته فيتغلب على المرض، وحذاق الأطباء يحرصون الآن على إنعاش المريض ورفع روحه

المعنوية، ويرون أن ذلك هو الجانب المهم فى العلاج .

ويختلف استعداد المرضى لتقبل العلاج الإلهى ؛ فمنهم من يستكفى به عما سواه لصفاء نفسه واعتقاد نفعه وقوة اعتماده على ربه وإيمانه ببركته وفائدته ومنهم من ليس على تلك الشاكلة فلا يغنيهم شيئا لكثافة نفوسهم وظلام قلوبهم، وهذا سر اختلاف الرسول فى استعمال الأدوية .

وقد وضع النبى صلى الله عليه وسلم أساس العلاج النفسى فى حديثنا الذى صدرنا به كلمتنا حيث قال : إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الأجل فإن ذلك لا يرد شيئا، وهو تطييب نفس المريض. فتطييب نفس المريض، وهو إنعاشه وتطييب خاطره بالكلام اللين اللطيف الموحى بتفريج الكرب وانفساح العمر وطول الأجل مما ينفس كربه ويبعث فيه الأمل فى الشفاء وامتداد الحياة ويضاعف من قوة مقاومته للتغلب على المرض، ولا شك أن العلاج النفسى بسائر فروعه وتفصيلاته إنما يقوم على ذلك الأساس الذى وضعه الحديث، والحديث كما أنه تأسيس لأصول العلاج النفسى، فيه إرشاد إلى آداب عيادة المريض، فهو يطلب من عواد المرضى ألا يحدثوهم أو يتحدثوا عندهم إلا بما يخفف من عللهم ويوحى بالأمل فى شفائهم ، وليس من أدب العيادة أن تحدث المريض بمضاعفة مرضه وأخطاره وبما تعرض له أمثاله من مخاطر كما أنه ليس من آدابها تطويل وقتها لأن فى ذلك إثقالا عليه لا تخفيفا عنه .

وإن لسلفنا العلماء رضى الله عنهم أحاديث فى العلاج النفسى الإلهى، وفى القمة منهم العلامة ابن القيم ؛ فقد تصدى لذلك فى كتابه ـ زاد المعاد ـ فقال بعد ما أورد حديثنا هذا : « فى هذا الحديث نوع شريف من أشرف أنواع العلاج وهو الإرشاد إلى تطييب نفس العليل بالكلام الذى تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة، وينبعث به الحار الغريزى فيساعد على دفع العلة أو تخفيفها، وهو غاية تأثير الطبيب وتفريج نفس المريض وتطييب قلبه، وإدخال مادة عليه له تأثير عجيب فى شفاء علته وخفتها، فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع المؤذى، وقد شاهد الناس كثيرا

من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم لهم ولطفهم بهم ومكالمتهم إياهم ، وهــذا أحد فوائد عيادة المرضى .

ومن قبيل العلاج النفسى ، العلاج بالرقى فى بعض الأمراض ، كما ورد فى الأحاديث الصحيحة ، والرقى كل كلام استشفى به من مرض أو وجع أو خوف أو سحر ، فقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى فى بعض العلل وأمر بالاسترقاء منها ، وفى الرقية إلى جانب بركتها وما أودع الله فيها من أسرار لا نعلمها تطييب لنفس المريض المؤمن يبعث الأمل فى شفائه بقدر اعتقاده فيها وتقبله لها ، وهى أخذ بأسباب الشفاء وليس فيها رفض للأسباب كما زعم بعض النـاس فذهب إلى رفضها ، ففى المسند والسنن عن أبى خزامة قال : قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال : هى من قدر الله .

والرقية سبب يقوى ويضعف باختلاف النفوس ، وتقبلها وتأثيرها يكون بحسب ذلك ، فقد يراها بعض الناس سببا قويا للشفاء فيشتد تأثره بها وتأثيرها عليه بما تبعثه من قوة المقاومة فيكون فيها البرء بسبب ذلك وقد يضعف تأثيرها فلا تستقل به فيحتاج المريض معها إلى دواء طبيعى ، فيتظاهر الأمران على مقاومة العلة ويتم الشفاء ، ونحن نعلم أن أطباء العلل النفسية لا يستعملون فى علاجهم الآن الأدوية فى أكثر الأحيان وعلاجهم وأدويتهم هو الكلام اللين الرقيق المناسب للقلة ، وكثير من الناس والمثقفون منهم بخاصة يؤمنون بهذا النوع من العلاج ويثقون فى جدواه ، فكيف ننكر جدوى الرقى وما هى إلا نوع منه ؟ على أن الرقية هى دعاء لدفع المرض ، والمرض شر من الشرور التى أمرنا الله بالاستعاذة منها ، فقال جل شأنه : « قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد إذا حسد » .

وينبغى التنبيه إلى أن الرقية يجب أن تكون بما يفهم من الكلام العربى كالقرآن وما يلحق به من الدعاء المأثور وما يشبهه على نهج ما ورد فى السنة المطهرة مما كان يقوله النبى صلى الله عليه وسلم

(البقية ص ٣٠٣)

دراسات قرآنية :

الذكر لا يجوز بغير الأسماء الحسنى

للأستاذ مصطفى الطير

« ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » ١٨٠ الأعراف

بعث إلينا السيد / حمام عبد الواحد رسالة ، يسأل فيها عن (كهيعص) هل معناها بالسريانية (كونى بونى كرمذى كرمدى بصير) وبالعربية أنت كافينى ، وهل ترجمة الاسم الأعظم بالسريانية (هيا أيا شراهيا ياحى ياقيوم) وهل يصح ذكر الله بهذه الأسماء ، فقد رأى من يذكر بها ، وقرأ جواز الذكر بها في بعض الكتب ، ويبحث عن الكتب الصحيحة التى تبحث في هذا الموضوع ، وعن درجة مثل هذه التأويلات من الصحة ، وإجابة على هذه الأسئلة نقول وبالله التوفيق .

يقول الله تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » .

وأسماء الله الحسنى هى التى وردت في كتاب الله وسنة رسوله ، وهى تسعة وتسعون اسما ، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة » أى من عدها وحفظها وذكر الله بها في خشوع ، أدخله الله الجنة .

وقد دل كل اسم فيها على الذات الأقدس ملاحظا فيه صفة من صفاته ، فالواحد دل على ذات الله بملاحظة صفة الوحدانية والعليم دل على ذات الله بملاحظة صفة العلم ، والقدير دل على ذات الله ، بملاحظة صفة القدرة ، وهكذا .

وقد يدل الاسم على الذات من غير ملاحظة وصف ، كلفظ الجلالة (الله) لأنه علم الذات ، والأعلام لا تلاحظ فيها الصفات .

وقد أمرنا الله تعالى فى هذه الآية أن ندعوه بأسمائه الحسنى التى عرفنا إياها فى كتابه ، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومعنى دعائه بها أن نناديه بها ذاكرين، أو ملتمسين منه ما نحتاجه من المطالب الأخروية أوالدنيوية، مثل ياالله اغفرلى، ويارزاق ارزقنى رزقا حلالا أو نحو ذلك

أما فواتح السور ، مثل كهيعص ، وألم ، ويس ، وطه ، وص، ونحو ذلك فإنها لم يرد فيها نص من كتاب الله ، أو سنة رسوله ،على أنها من أسمائه تعالى ، فلا يصح أن يذكر الله بشىء منها ، لأن تسمية المولى جل شأنه ليست من حقنا ، بل من حق الله سبحانه وتعالى .

وأما ما ذكره السائل من أن كهيعص معناها بالسريانية ماذكرناه نقلا عن رسالته ، وأن اسم الله الأعظم ينطق بالسريانية هكذا (هيا أيا شراهيا) فذلك كله لادليل عليه ، فمن أين جاء القائلون بما قالوه ، ولا سند له من الكتاب ولا من السنة .

ثم إن هؤلاء الذين زعموا هذا الزعم لا يعرفون حرفا واحدا من اللغة السريانية، فضلا عن الكلمات والجمل ، فكيف سمحوا لأنفسهم أن يقولوا ما يجهلون .

وعلى فرض أن معناها بالسريانية ذلك وهو مالم يقم عليه دليل ، فكيف يجوز الذكر بها ، والله تعالى عرفنا أسماءه الحسنى وطلب إلينا أن ندعوه بها ، إن الذكر بها ياولدى مجازفة محفوفة بالخطر فإنه تسمية لله بغير علم ، والله تعالى يقول: «ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » - ٣٦ - الإسراء .

واعلم أن (كهيعص) وغيرها من فواتح السور ؛ مما استأثر الله بعلم المراد منها كما قاله علماء السلف . فاطلب السلامة ياولدى فى هذا الأمر، ولا تقف ماليس لك ولا لغيرك به علم ، وبخاصة ما كان فى شأن يتصل بالمولى تبارك وتعالى .

واعلم أن بعض العلماء قالوا فى فواتح السور ؛ إنها أسماء لحروف هجائية، جىء بها لتنبيه السامع إلى مابعدها من آيات الذكر الحكيم ،فإن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن ، بدئت بها السور المكية ؛ لتسترعى انتباههم إلى ما يتلى

بعدها ؛ فإن ابتداء الكلام بها خارج عن مألوفهم . وكل شيء يخالف المألوف يسترعى الانتباه إليه ، كما هو واضح من طبائع البشر . فإن صح ما يقولون فكيف نجعلها أسماء لله تعالى نذكره بها

إنى أخشى ياولدى أن يكون ذكر الله بهذه الأسماء ، إلحادا فى أسمائه تعالى ؛ والله تعالى يقول : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » .

والإلحاد فى أسمائه تعالى هو الميل بها عما شرعه الله ؛ ويكون بواحد من ثلاثة :

١ — إطلاق أسمائه على غيره تعالى ؛ كإطلاق اللات والعزى على وثنين من أوثان المشركين ؛ وقد اشتقوا اللات من الله ؛ والعزى من العزيز ؛ فهذا نوع من أنواع الإلحاد فى أسمائه جل وعلا .

٢ — الزيادة فى أسمائه الحسنى عما ورد فى كتاب الله سبحانه أو سنة رسوله ؛ كما يفعل بعض الجهلاء الذين يخترعون أدعية أو ذكرا يسمون فيه الله تعالى بغير أسمائه المشروعة ! وذكر الله باللغة السريانية أو بكهيعص أو نحوهما من هذا القبيل تماما ؛ فكيف نسمح لأنفسنا بهذا اللون من الإلحاد فى أسمائه الشريفة .

٣ — النقص فى أسمائه ، بحذف ما علم أنه منها بالكتاب أو السنة .

قال ابن العربى محذراً من الإلحاد فى أسمائه ، بأى طريق من هذه الطرق الثلاثة : « فحذار منها ، ولا يدعون أحدكم إلا بما فى كتاب الله والكتب الخمسة ، وهى : البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وأبو داود ، والنسائى ، فهذه الكتب التى يدور الإسلام عليها ، وقد دخل فيها ما فى الموطأ[1] الذى هو أصل التصانيف وذروا ما سواها ، ولا يقولن أحدكم اختار دعاء كذا كذا ؛ فإن الله قد اختار له ، وأرسل بذلك إلى الخلق ، رسوله صلى الله عليه وسلم » انتهى كلام ابن العربى

ونرجو أن يكون فيما بيناه راحة لنفسك ، وطمأنينة لقلبك ، فإنه هو الذى يرضى الله جل علاه .

واعلم يابنى أن أعظم ذكر لله ، هو أن تذكره فى أمرك كله ؛ وذلك بأن تقيس أقوالك وأفعالك على الشرع الشريف ؛ وتقول أو تفعل منها ما يرضى

(١) الموطأ كتاب جمع فيه الإمام مالك ، ما صح عنده من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الله تبارك وتعالى راجيا ثوابه ، وتترك منها مايغضبه خائفا من عقابه ، وذلك هو الإحسان الذى أجاب به الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل ، إذ قال له «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

فإذا ذكرت ربك بأسمائه الحسنى فتذكر جلاله وكبرياءه، وعظمته ونعمته وأضمر ذلك كله فى نفسك وأنت تذكره. ليتم لك الإحسان فى ذكرك لمولاك بأسمائه الحسنى . وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه . وأذاقنا جميعاً لذة حبه وقربه، وحقق لنا أكرم المنى فى مرضاته ، ورعاك وسدد خطاك .

هذه يا بنى ذكرى «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

مصطفى محمد الطير

(بقية المنشور على ص ٢٩٩)

فقد روى البخارى عن ابن عباس عن أنس رضى الله عنه أنه قال لثابت رضى الله عنه : ألا أرقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بلى . قال : اللهم رب الناس مذهب الباس أشف وأنت الشافى ، لا شافى إلا أنت ، شفاء لا يغادر سقما .

ولا يجوز الاسترقاء بألفاظ لا يفهم معناها من الألفاظ غير العربية وذهب بعض العلماء إلى كراهته ومنعه . ومايمارسه بعض المشعوذين من الاسترقاء بمثل هذه الألفاظ هو عمل لا خير فيه ولا طائل تحته، وهو ضرب من الهذيان، قال العلامة ابن الأثير فى النهاية :

والأحاديث فى القسمين - الجائز والممتنع - كثيرة، ووجه الجمع بينهما أن الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان العربى وبغير أسماء الله وصفاته، وإذ يعتقد أن الرقى نافعة لا محالة فيتكل عليها، ولا يكره منها ما كان بخلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله تعالى والرقى المدونة .؟

أبو الوفا المراغى

من هدى السنة :

خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الشيخان فى صحيحيهما بسندهما عن أبى هريرة - واللفظ لمسلم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

ورويا فى صحيحيهما بسندهما عن جابر ابن عبد الله - رضى الله عنه - واللفظ لمسلم - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها ، إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ، ويتعجبون منها ، ويقولون : لولا موضع اللبنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا موضع اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء » .

تخريج الحديثين : رواهما الإمام البخارى فى صحيحه : كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (خاتم النبيين) . ورواهما الإمام مسلم فى صحيحه : (كتاب الفضائل) باب (ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين) . وأخرج الأول أيضا النسائى فى كتابه « التفسير »[1] : وأخرج الثانى الترمذى فى « الأمثال » .

« الشرح والبيان »

« مثلى ومثل الأنبياء من قبلى ... » . المثل ، والمثل ، والمثيل كالشبه ، والشبه ، والشبيه وزنا ومعنى ، ثم نقل من هذا المعنى اللغوى إلى معنى آخر عرفى ، وهو القول السائر الممثل مضربه - الذى ضرب فيه ثانيا - بمورده ، أى الذى قيل فيه أولا لوجود الشبه بينهما ، ولم يضربوا مثلا ، ولا رأوه أهلا للتيسير ، ولا جديرا بالتداول والقبول ، إلا إذا

(١) عمدة القارى حـ ٧ ص ٥١٢ .

كان قولا فيه غرابة ، ومن ثم حوفظ عليه ، وحمى من التغيير .

ثم استعير المثل للحال أو الصفة ، أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ، أى : صفتى وصفة الأنبياء من قبلى ، وقصتى وقصتهم كصفة وقصة رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله .. الخ .

« كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه ، وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه » .

وفى بعض روايات الإمام مسلم « ابتنى بيوتاً » وفى بعضها « بنى دارا » . وفى رواية البخارى « بنى بيتا » والمعنى متقارب وكلها داخلة تحت اسم البنيان « فأحسنه » بأن أسسه تأسيساً جيدا متينا « وأجمله » بأن جعله على حالة من الجمال تستلب اللب ، وتستهوى النظر ، فاجتمع فيه حسن التأسيس ، مع جمال الشكل .

« إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه » .

اللبنة : بفتح اللام ، وكسر الباء الموحدة بعدها نون واحدة : اللبن ، وفى لغة بكسر اللام وسكون الباء وهى القطعة من الطين تعجن ، وتجفف ، ويبنى بها ، فإذا أحرقت سميت « آجرة » .

« زاوية من زواياه » أى ركن من أركانه .

« فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . » .

هلا أداة تحضيض وحث للبانى على أن يكمل هذه اللبنة التى كان عدمها يذهب بجماله ، وفى رواية البخارى فى صحيحه « لولا موضع اللبنة » فلولا إما بمعنى هلا ، وتكون الروايتان بمعنى ، أى : لولا سوى وأكمل موضع اللبنة ، ويجوز أن تكون « لولا » شرطية ، وما بعدها مبتدأ ، والخبر محذوف ، وتقدير الكلام : لولا موضع اللبنة خاليا لكان بنيان الدار على غاية الكمال ، فهى حرف امتناع لوجود ، فامتنع الكمال التام لوجود هذا النقص فى البناء .

« فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء » فبغير هذه اللبنة لن يتم للبيت الكمال ، والجمال .

وهذا التشبيه التمثيلى من الروعة بمكان ولو سلك به تشبيه المفرد بالمفرد على جعل الأنبياء جميعا كرجل واحد مشبه برجل بنى دارا لما كان له هذه الروعة التى تأخذ بمجامع القلوب ، والعقول ، والوجدان

وهذا فرق ما بين التشبيه التمثيلي، وغير التمثيلي، فالأول يكون مستجمعا للصورة كلها، والحركة، والتأثير، ولا كذلك تشبيه المفردات بالمفردات، فمن ثم كان المذهب الأول هو الفحل والجـــزل عند العرب.

وتقرير هذا التشبيه التمثيلي أن نقول: شبه حال الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم عليه وعليهم الصلاة والسلام وما بعثوا به من عقائد، وأحكام ومكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال بحال وصفة بنيان أسست قواعده، ورفع بنيانه حتى وصل بعد تمامه إلى درجة عالية من الكمال والجمال، والجلال.

وقد دل هذا التمثيل على أن الذى أتم الدين، وأكمل الشرائع، وتمم مكارم الأخلاق حتى أوفى على الغاية في كل ذلك هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وليس هذا بعجيب، فقد كانت رسالات الأنبياء السابقين خاصة في الزمان والمكان ورسالة نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه عامة للناس كافة: أبيضهم، وأسودهم وعربهم، وعجمهم.

وكذلك كانت رسالة كل نبي تنتهي ببعثة نبي آخر بعده، أما رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهي خالدة باقية إلى يوم القيامة.

كون النبي خاتم الأنبياء معلوم من الدين بالضرورة.

وكون النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء معلوم من الدين بالضرورة، فقد تواترت على ذلك الأدلة المتكاثرة من القرآن، والسنة الصحيحة المشهورة.

ففي الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يقول الله تعالى: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما»[1] وسواء قرىء خاتم. بفتح التاء - أو خاتم - بكسر التاء - فالمراد به آخر الأنبياء. أما على الثاني فظاهر وأما على الأول فلأن الختم على الشيء يقتضي عدم دخول شيء فيه، وعدم مجيء شيء يشبهه بعده.

ومعنى كونه خاتم النبيين وآخرهم أنه لا نبي بعده، وإذا انتفت النبوة انتفت الرسالة، فكل رسول نبي ولا عكس، وقد كان التعبير القرآني محكما غاية الإحكام فلو أن الله قال: «وخاتم الرسل» لوجد

(١) الأحزاب: ٤٠

الزنادقة ، والدجاجلة ثغرة ينفذون منها إلى دعواهم الكاذبة الآثمة ؛ ولقالوا نحن لا ندعي الرسالة؛ وإنما ندعي النبوة فسبحان الله العليم بكل ما كان ؛ وكل ما يكون .

قال ابن كثير في تفسيره : « وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة ، ولعل ابن كثير يريد التواتر المعنوى فإن الأحاديث فى جملتها تدل على أنه خاتم النبيين، فمن ذلك الحديث الذى رواه مسلم أيضا فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ؛ ونصرت بالرعب؛ وأحلت لى الغنائم ؛ وجعلت لى الأرض طهورا؛ ومسجدا؛ وأرسلت إلى الخلق كافة ؛ وختم بى النبيون » .

وروى الإمام أحمد فى مسنده والبخارى فى تاريخه وغيرهما عن العرباض بن سارية قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم: (إنى عبدالله، وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل(١) فى طينته) أى إن هذا الأمر قدر فى الأزل ، وقبل أن يخلق الله الخلق وروى الإمام أحمد من حديث أبى الطفيل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا نبوة بعدى إلا المبشرات ، قيل : وما المبشرات يارسول الله ؟ قال : الرؤيا الحسنة ، أو الرؤيا الصالحة) .

وفى الصحيحين عن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله تعالى به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى) .

وفى الصحيحين أيضا عن سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج لغزوة تبوك خلف عليا على أهله ، فقال: يا رسول الله أتخلفنى فى النساء ، والصبيان ؟ قال : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى) .

وقد أجمع على ذلك المسلمون، قال الإمام الآلوسى فى تفسيره عند تفسير قوله تعالى « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن

(١) أى ملق على الجدالة وهى الأرض وذلك قبل أن تنفخ فيه الروح .

رسول الله وخاتم النبيين » : (وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب ، وصدعت به السنة ، وأجمعت عليه الأمة ، فيكفر مدعى خلافه ، ويقتل إن أصر) .

ولا يشكلن عليك أيها القارىء ماروى فى الأحاديث الصحيحة ، المتكاثرة من نزول سيدنا عيسى عليه السلام آخر الزمان حكما عدلا لأنه لا ينزل بشرع جديد ، وإنما ينزل منفذا وحاكما بشريعة خاتم الأنبياء والمرسلين، فهو كغيره من الحكام ، والخلفاء المسلمين ، ولذلك لما يعرض عليه أن يصلى بالناس إماما يأبى تكرمة للأمة المحمدية ، وبذلك يزول كل لبس أو شبهة .

(التحذير من البابية والبهائية ، والقاديانية [1] وأمثالهم) .

وليس بعد هذه الأدلة القاطعة من القرآن والسنة إلا أن تعتقد أن نبينا محمدا هو خاتم الأنبياء والمرسلين وأن لا تلقى بالا لما يزعمه بعض الدجالين [1]، وأرباب الحيل والشعوذة من ادعاء النبوة كما فعل المزعوم (بهاء الله) وكما فعل غلام أحمد القاديانى وغيرهما من الكذابين ، لأن الله قد أكمل الشريعة وأظهر الدين، وبين جميع ما يحتاج إليه البشر فى دينهم ودنياهم بالشريعة المحمدية ، فما من حكم مما يحتاج إليه البشر إلا ويلتمس بيانه فى القرآن أو السنة ، إما بطريق النص ، والتصريح ، وإما بطريق القياس ؛ والتنظير ؛ وإما بطريق الاجتهاد ؛ والتخريج على القواعد والأصول التى أخذت منهما ؛ وفهمت من روح التشريع وحكمته ؛ وهذه حجة عقلية دامغة على كونه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ؛ فمن ادعى إكمالا للدين بعد هذا فقد ضل وغوى ونأى عن الصراط المستقيم .

وقد أخبر الرسول الذى لا ينطق عن الهوى عن ظهور هؤلاء الدجاجلة الذين يدعون النبوة بعده فقال فيما صح عنه :

(١) « البابية » نسبة إلى « الباب » وهو لقب ميرزا على محمد الذى ابتدع هذه النحلة الباطلة ، والبهائية : نسبة إلى « بهاء الله » لقب لقب به ميرزا حسين على، وهو الزعيم الثانى للمذهب الذى تدعيه الطائفة المسماة « بالبهائية » أو « البابية » والقاديانية : نسبة إلى غلام أحمد القاديانى نسبة إلى بلدة تسمى « قاديان » وهى طوائف ضلت وأضلت .

(١) الدجال : الكذاب المموه على الناس .

« سيكون من بعدى قريب من ثلاثين دجالا كلهم يدعى النبوة » .

وهؤلاء الكذابون منهم من ظهر فى عهده كمسيلمة الكذاب ، وسجاح ، ومنهم من ظهر بعده كالأسود العنسى ، ومنهم من ظهر فى العصور الأخيرة كالباب ، والبهاء ، والقاديانى .

وقد بالغ أتباع الدجال « البهاء » فادعوا أن الله حل فيه ، كما زعم بعض النصارى فى عيسى ابن مريم . وهذه النحل الباطلة ترجع إلى نحلة « الباطنية » وهم طوائف من المجوس ، ومن اليهود رأوا قوة الإسلام وسلطانه ، ولم يجدوا وسيلة إلى مقاومته بالقوة ، فلجأوا إلى الزندقة ، والتستر بالتشيع ، وصاروا يحرفون فى معانى القرآن بتأويله بتأويلاتهم الباطلة التى لا يدل عليها عقل ، ولا شرع ولا لغة ، ووجدوا من الأتباع من تابعهم على باطلهم ، واغتر بظواهرهم ؛ إذ هم يلتحفون بالتظاهر بالإسلام ، ويبطنون الكفر والعقائد الباطلة ، والأفكار الزائفة .

وليس أدل على بطلان دعاوى هؤلاء المبطلين من أنهم يحرفون كلم القرآن عن مواضعه فزعموا أن المراد بقوله : « وخاتم النبيين » ، أى أنه كالخاتم فى الإصبع أى زينة النبيين ، وهو تفسير لا يشهد له عقل سليم ، ولا نقل صحيح ، ثم كيف يتفق هذا وما تواترت به السنة من أنه خاتم الأنبياء وآخرهم ؟ !

وقد اتخذوا من تملق الجماهير ، ووضع أو تخفيف بعض الأحكام الشرعية عنهم ، بل أتى « البهاء » بما زعم أنه وحى أوحى إليه كالقرآن ، وما جاءوا به لا يخرج عن عبث الصبيان ، وهذيان المحمومين وقد اتخذ أعداء الإسلام ، ودول الاستعمار من بعض هؤلاء ، كغلام أحمد القاديانى ، وسيلة لتفريق كلمة المسلمين ، وإشاعة الفرقة والانقسام بينهم ، وإفساد دينهم ، ولكن هيهات ؛ هيهات أن يكون لهم ما يريدون « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » صدق الله العظيم ؛ وبلغ رسوله الكريم ؟

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

حول ندوة المفكرين الاشتراكيين :

اين الاسلام وعلماؤه من قضايا العصر والحياة؟

للأستاذ أحمد موسى سالم

هل المآذن المشرعة إلى السماء وهى شاهدة بالتوحيد ... تنام ؟ ... فإن كانت لا تنام لأنها هى التى توقظ النوام فهل تأخذها أحيانا سنة خفيفة من النوم هل يقع ذلك حتى وإن كانت مشرعة إلى إلى الله من قلب القاهرة الإسلامية ، وفوق سقف الأزهر المعمور؟...أقول هذا متأثرا كغيرى بعادة مسئولية الأزهر - جامعا وجامعة - عن كل شىء له صلة بالدين .. وكل شىء له فى حياتنا ولا شك صلة بالدين ... ولكن الأزهر وهو هذا المسجد الجامع الكبير الذى ظل نهر العلم ينبع منه ليفيض فى كل الشعب قرونا طويلة قد صار حسابنا له وتطلعنا إليه ظاهرة فى مزاجنا القومى ، وحسنا الدينى لذلك فإنى عندما قرأت خلال أربعة أيام ملخصا لنـــدوة الأهرام التى ضمت « مجموعة من المفكرين السوفييت والعرب والمصريين » ليتبادلوا آراءهم المعلنة بصفتهم الشخصية حول « حركة التحرر الوطنى والدول الاشتراكية فى عالمنا المعاصر » عندما قرأت ذلك - وكان موضوع الدين مطروحا أكثر الوقت فى حوار الندوة بطريق مباشر وغير مباشر - وجدتنى أسأل نفسى - وربما سأل الكثيرون أنفسهم مثلى أين الأزهر؟ ...إنه لم يكن من شهودها لا بأس ... ولكن أين موقفه الفكرى الواضح من موضوعاتها العقدية والتحررية والعربية والاجتماعية التى تبودلت واستقرت حولها الأفكار والآراء ؟

ماذا بحث المجتمعون فى هذه الندوة السوفيتية العربية المصرية التى تناولت من خلال النظرة إلى دعم الصداقة - رغم الخلافات - أهم موضوعات الحاضر ، الشديدة الارتباط بالماضى والمستقبل .

لقد بحثوا عوامل الالتقاء بين حركات التحرر الوطنى والبلدان الاشتراكية فى النضال المشترك ضد الاستعمار ...

وبحثوا أوجه التباين بين الجانبين فى النظرة إلى قضية الوحدة العربية .

وبحثوا قضية فلسطين وأهمية دعم المقاومة الفلسطينية ودور الدول الاشتراكية فى هذا الدعم .

وبحثوا أخيرا قضية «التطور الداخلى» لدول التحرر الوطنى التى ليس أمامها إلا طريق واحد للتطور هو الاشتراكية مع ملاحظة الخلافات التى تثيرها قضايا التطبيق .

فلو شئنا أن نضع وصفا عاما لهذه الموضوعات الهامة ما وجدنا أقل من أن نصفها بأنها مشكلات العصر بالنسبة لنا نحن العرب أساسا ، وبالنسبة للعالم تبعا إنها الموضوعات التى يتحدد بها « الوجود والمصير» ... ومن بين ذلك وجود الدين نفسه كبصيرة لفكرنا ، وشريعة لحياتنا ومنطلق لتطورنا وتقدمنا ... أو عدم وجوده !

إنه هنا - كما قلت - يبرز ويقفز السؤال عن الأزهر ... ليس كمجمع لكهنوت الدين ... ولكن كجامعة شامخة عريقة لعلماء وعلوم الإسلام ... الإسلام الذى هو دين الحياتين : الأولى والآخرة .. دين الإيمان والشريعة والتطبيق .. دين هذه الأمة فى كل عصر .. الذى يرسم لها صورة الحكم ، ومذهب الاقتصاد ، وشكل علاقات المجتمع ، ومنطلق حركة التقدم ويقودها دائما على الطريق الصحيح للجهاد عن كل ذلك .

هنا تظهر أهمية سؤالنا الملح عن أثر الأزهر - بكل تاريخه وأصالته وتراثه - فى تشكيل المناخ الصحيح لفكر مصر والأمة العربية ، وبخاصة فى هذه المرحلة التى تتجدد فيها علينا الغارات الصليبية وراء طلائع وأعلام الصهيونية العالمية ، والتى تحمل فيها مصر كعادتها عبء قيادة المواجهة الضارية لهذه المخططات والحروب الاستعمارية . . إننا نقدم سؤالنا واضحا ومحددا هكذا : « هل للأزهر من خلال مؤسساته وعلمائه موقف فكرى ينبع من الدين واضحا ومحددا تجاه هذه القضايا البالغة الأهمية فى عصرنا ، والتى أثارتها ندوة الأهـــرام التى ضمت مجموعة من المفكرين السوفييت وقادة المقاومة والفكر التقدمى فى مصر والوطن العربى ؟! » .

قد يقول قائل : « إن مثل هـــذه الموضوعات قد تطرق إليها بحث بعض العلماء فى مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية الذى يمثل فكر الأزهر ، ويشير إلى

اتجاهه الحتمى نحو مواجهة مسئوليات العصر ، ولكنى أقول - مع علمى بذلك - أن الموضوعات التى بحثتها الندوة «السوفيتية العربية» كانت محاولة (عقائدية) للنفاذ إلى (مجموعة الموضوعات الأساسية فى حياتنا المعاصرة) وإلى بحثها بحثا توفر له التركيز المنهجى الذى يجمع بطريق تحليل الظواهر ، وتقدير المواقف بين الأسلوب العلمى والهدف العقدى ... وكان ذلك - كما حدث بالتأكيد - فى غيبة الدين وعلمائه ، ورواد فكره ! .

لقد كان الدين غائبا عن محاورات هذه الندوة التى أقامها بعض أعلام المثقفين ، والتى حققت - ولا شك - بعض أهدافها . وهذه هى ملاحظتى التى أبديها من أجل التقويم وليس لمجرد النقد . . لقد كان الدين غائبا بفكره الشامل ، ووجهات نظره التى يستضاء بها .. لقد كان فكره غائبا داخل هذه الندوة ، كما كان فكره غائبا أيضا - أو غير واضح - خارجها .. وكان هذا ولا يزال موضع دهشتى وعجبى !

أما عن غيبة الفكر الدينى داخل هذه الندوة التى تناولت موضوعاتها «الدين» ومسته بطريق مباشر وغير مباشر ، فيرجع إلى ظروف غير متعمدة ، فلقد كان أعضاء الندوة من العرب والمصريين - وقد نشرت أسماؤهم - ممن لم تسبق لهم إلا الممارسة السطحية للفكرة الدينية .. بذلك فإنهم - كما أعتقد - نقلوا إلى الجانب السوفيتى تصوراً غير كامل ، وفى الغالب غير صحيح ، عن الدين ومبادئه وأساسياته ، وانعكاس ذلك منه بالرؤية والرأى على القضايا المطروحة . . وبذلك تبدو - كما أعتقد أيضا - مخاطر هذه الصور الفكرية المهزوزة عن الدين على عنصر « الفهم الصحيح » لحقيقة العوامل التاريخية والنظرية التى تحركنا ، وتصنع تصورنا للمستقبل ، بالنسبة للجانب السوفيتى والدول الاشتراكية التى نهتم بدعم صداقتنا معها على أساس الفهم المتبادل الصحيح تجاه أهدافنا المشتركة وفى مقدمتها مواجهتنا لإسرائيل والاستعمار .

إن معنى هذا أن حصيلة هذه الندوة تكشف عن الازدواج أو التباين فى الموقف النظرى الذى يقفه « المثقفون الاشتراكيون» والذى يقفه - أو لا يقفه - علماء الدين ، تجاه هذه المجموعة من الموضوعات الأساسية فى حياتنا المعاصرة .

فما أعظم المخاطر التى تتولد من استمرار هذا التباين ... وما أعظم المسئولية التى يحملها كل مدرك لها .. وبالتالى ما أعظم مسئولية علماء الدين فى الطليعة .. !

إن أحداً ممن لامس عن قرب فكرة المفكرين الاشتراكيين عن الإسلام - سواء من السوفييت أو غيرهم - لا يستطيع أن يقرر أن الإسلام الحق مفهوم لديهم كعقيدة ذات مضمون اجتماعى تقدمى يمكن لها أن تحقق تحول حركة التحرر الوطنى إلى حركة تحرر وتطور اجتماعى بمفهوم « بناء الاشتراكية » . إن الإسلام الحق غير مفهوم عندهم ، وهم معذورون فى ذلك ، لأننا لا نزال نحاول أن نجعله - ونحن أهله - مفهوما بيننا بالاعتقاد والتطبيق ، ولما نبلغ هذه الغاية بعد ..

إن هؤلاء المفكرين الاشتراكيين لا يستطيعون - فى إطار التصورات الخاطئة والشائعة عن الإسلام - أن يعتقدوا بإمكانية قيادة الإسلام للتطور فى اتجاه التقدم على أرض العرب ، وإن كانوا - فى اعتقادى الشخصى - أكثر قابلية إلى تصديق ذلك لو أننا دعمناه ببيان « البناء الفكرى » الكامل للإسلام ، وأكدناه فى التطبيق ببناء المجتمع الجديد على أساس مبادئه ، ثم ظهر من نتائج التطبيق - كما نعتقد ذلك سلفا - مدى حيوية هذا المجتمع الإسلامى فى طبيعته التقدمية وفى عطائه المتزايد لجوهر المعانى والقيم الاشتراكية والإنسانية ..

وها كم مثالا من محاورات هذه الندوة على بعض هذا اللبس فى الفهم ، فقد ورد فى ملخص الندوة رقم (١) أن «السياسة السوفييتية التى تنتهجها فى مساندة حركة التحرر العربية أثبتت سقوط دعاوى الغرب حول: إن إقامة الاشتراكية تتعارض مع الدين ، استنادا إلى أن الإسلام لا يزال موجوداً فى الجمهوريات السوفييتية الآسيوية » .

فهذا المثال يكشف لنا عن الفارق فى النظر إلى دور الإسلام وإلى قيادته الفكرية للمجتمع ... إننا لا نستطيع أن نتصور الإسلام يتجمد كما يتجمد الدين فى البلدان الاشتراكية فى حالة « بيات عقائدى » لكى نستطيع أن نبنى بجواره أى نوع من أنواع الاشتراكية . إن الواضح لنا تماما وإلى درجة اليقين أننا لا نستطيع أن نبنى الاشتراكية ، ولا أن

تحقق أهدافها الإنسانية فى العلاقات الاجتماعية المتساوية إلا انطلاقا من الإسلام، وبالإسلام، وإلى أقصى غايات الالتزام بالإسلام، وبذلك نتصور مجتمعا سبق لنا تكوينه - قد أعددناه للحياة بالتجديدات الموافقة لما استحدثه العصر فهل يصدق المفكرون الاشتراكيون ذلك منا إذا قلناه لهم ؟ .. بالطبع لا .. ومن السبب ؟ ... نحن ولا ريب !!

ولقد أشير فى ملخص الندوة رقم (١) أيضا إلى أنه « على الصعيد العقائدى ترفض الأنظمة التقدمية فى الوطن العربى النظام الرأسمالى كطريق للتطور، وتعان سعيها إلى بناء الاشتراكية، ولا تقوم هذه الاشتراكية على الماركسية اللينينية، ولكنها تعكس فى بعض صياغتها التأثر بالفكر الماركسى » .

معنى هذا بوضوح أن الأنظمة التقدمية فى الوطن العربى - على لسان هذه الندوة - تعتزم أن تبنى الاشتراكية، ولكنها ليست الاشتراكية الماركسية اللينينية... فأى اشتراكية هى إذن ؟ وما هو احتمال أن يكون الإسلام هو مصدرها ... وما هو فى هذه الحالة مفهوم هذه العبارة: « ستعكس التأثر فى بعض صياغتها بالفكر الماركسى » ... ما هو هذا المفهوم الذى لا يمكن أن يكون واضحا ما لم يتم هذا الحوار والتوافق الأهم بين المثقفين الاشتراكيين وعلماء الدين ؟!

إن المشتركين فى هذه الندوة قد توصلوا فى محاوراتهم إلى حقيقة هامة تقول: إنه « ليس فى استطاعة طبقة أو فئة واحدة أن تحقق وحدها كل المهام التى تواجه حركة التحرر العربية فى معركتها الراهنة » فهل « المثقفون الاشتراكيون » من الذين مثلتهم هذه الندوة هم « الفئة الواحدة » التى تحمل وحدها كل « المهام الفكرية » لهذه المواجهة التاريخية الشاملة ؟... وهل يمكن أن يكون الفكر الدينى بعلمائه ودعاته معزولا عن هذه الفئة ؟ .

وبعبارة أخرى: هل يمكن أن تكون القيادة الفكرية لشعبنا - وهى تدخل الندوات والحوارات على المستويات العربية والدولية - خلوا من التصور السليم للدين الحق ! ؟

وبعبارة ثالثة أوجهها إلى علماء الدين: هل كلام وحوار وجدل هؤلاء المثقفين الاشتراكيين من العرب والمصريين عن

« حركات التحرر الوطنى » وعن «تعميق عمليات التحول الاجتماعى » وعن «تأكيد المحتوى الديمقراطى للعمل الثورى» وعن « ارتباط إنجاز الوحدة العربية بمباشرة الصدام مع الاستعمار وبناء التقدم الاقتصادى الاجتماعى » مما ورد فى ملخصات الندوة ... هل كلام هؤلاء المثقفين الاشتراكيين فى هذه الموضوعات الحيوية والمعاصرة هو « ألغاز » أو « معادلات رياضة فضائية » بالنسبة لعلماء الدين ، ورواد فكره ؟ ... أو أن هذه الموضوعات - كما هى فى الواقع قضايا يومية تعيش فيها جماهيرنا رغم تناقضاتها وتبايناتها ، وتعيشها بكل اجتهاداتها واهتماماتها ، وتبحث كل يوم عن وجه الصواب ووحدة الفكر فيها ؟

أليست هى بالذات قضايا هذا الصراع العقائدى والدموى القائم بامتداده وتصاعده بين العرب وإسرائيل ... صراع الحياة أو الموت لأحدهما ... والوجود أو العدم ... والوحدة القومية على الوطن الكبير ؛ أو الهزيمة والانسحاق تحت الأقدام ! ؟

لا شك أنه فى ضوء هذا التعقيب العابر على هذه الندوة «ولا لاتها تظهر لنا بوضوح هذه المساحة العقائدية الواسعة على أرض الدين خالية من « العمل الفكرى » المباشر لقضايا العصر ... خالية من جهد الرؤية والتنظير لرواد طلائعيين للفكر الدينى .. وهذه المساحة يجب أن يشغلها علماء الدين إلى الحد الذى ينتهى إلى سد الفجوة ؛ وإلى الحد الذى يتم به التلامس بالجدل والحوار داخل « القضايا الواحدة » بينهم وبين غيرهم من المفكرين والمثقفين .. ذلك أن هذا هو واجبهم الذى لا ينبهم أحد إليه والذى لم يعد هناك وقت أكثر لإضاعته قبل التوصل إليه !

وبهذه المناسبة أتذكر أول لقاء لى بالدكتور عبد الحليم محمود بعد توليه وزارة الأوقاف وشئون الأزهر . فلقد كان أول سؤاله لى - قبل أن أبادره بأى سؤال - (ما هى آمالك اليوم بالنسبة للأزهر ! ؟) ... لقد كان يسألنى - كما فهمت - عن آمالى بالنسبة لتوليه هو مسئولية الأزهر العريق بوصفه أحد أبنائه وعلمائه المستنيرين بثقافة الإسلام، وثقافة الشرق والغرب معاً .. لقد كانت

إجابتى مركزة وموجزة ؛ لأن السؤال بصورته هذه كان مطروحا على نفسى من قبل ... قلت له :

(إن أعظم الآمال دائماً بالنسبة للأزهر هو أن يقود فكره الصحيح فكر هذه الأمة ... فكر علمائها ومثقفيها ... فكر قادتها وساستها ... فكر رجالها ونسائها ... فكر شبابها وأجيالها ... بالقدر الذى يحتاجون إليه جميعاً ليكون دينهم هو بيان فكرهم ، ودليل عملهم ، وشريعة حياتهم ، ومنهج كفاحهم ، حتى يعيدوا بناء الماضى العظيم فى صورة الحاضر المشرق بالتحرير والتقدم والسلام العادل)

ربما أكون بهذه الإجابة نفسها على أحد علماء الأزهر النابهين ، قد لخصت فكرتى من هذا المقال ، فكرتى التى أهديها إلى جميع من يحملون علم الدين ، وعلم الكتاب ، من أجل أن تبقى المآذن المشرعة إلى السماء وهى شاهدة بالتوحيد. يقظة لا تنام .. ساهرة لا تغفل .. ترسل بتكبيراتها حياة لأمة مؤمنة ، تعمل بالإيمان ، وتؤمن بالعمل ، وهى تضىء بفكرها الدينى مجموعة القضايا الأساسية التى جاء بها العصر ، لتكافح بفتواها ، وتنتصر بجهادها ، وتتقدم على طريقها .. فلا يفتى لها .. ومالك فى المدينة ؟

أحمد موسى سالم

قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا . » (النساء : ٥٩)

منافق يشتعل من الحقد

للدكتور محمد رجب البيومي

لو رحم الإنسان أخا ذنب لرحم الحاقد فهو من نفسه فى عذاب متصل، ينام فلا يهنأ بمضجع، ويستيقظ فلا ينهض لأمر، وقد يكون غريمه ذا منزلة سامية مرموقة، وصيت مدو طائر، فلا يفتأ حديثه يتردد فى المجامع والمحافل، ولا يزال اسمه يتلألأ على الأفواه والمسامع، وحاقده الشانىء يتميز من الغيظ، ويتفتت من الحزن كلما مد بصره، فرأى الدنيا مقبلة على صاحبه، وأصاخ بسمعه فسمع الثناء الفواح من كل لسان، وقد تستبد به الغيرة، فتأتى عليه هما وهلعا، ويصرع آثما فى ساحة لا يحمد فيها مصروع!.

ولقد كان عبد الله بن أبى بن سلول عظيما من عظماء يثرب، تحتشد حوله الأتباع، ويموج فناؤه بالقاصدين، حتى رشح للإمارة فى قومه ومنى نفسه بالسلطان والرئاسة، وكان يجمع إلى صباحة الوجه وامتلاء الجسم فصاحة اللسان واتزان المنطق، غير أن الحقد طاح بمنطقه ولوى بعقله، حين تلفت فوجد محمدا صاحب الرأى الأول فى المدينة، يتجمع حوله الأنصار والمهاجرون، ويهابه أهل الكتاب والمشركون، ونظر إلى أمله فى الرئاسة وحلمه بالسلطان؛ فوجد الأمل بددا، والحلم هباء؛ فقد أعطيت القوس باريها وزان السيادة فتاها المحجل؛ فغلى الحقد فى صدر ابن أبى، وبات بلوعة حرى؛ وحسرة لم تنقطع، حتى ذهبت به إلى الجحيم.

ولم يشأ عبد الله أن يظهر حقده بادىء ذى بدء؛ فقد ظن أول وهلة حين قدم رسول الله إلى المدينة؛ أن المهاجر النازح لن يجد فى يثرب الجو الملائم لدعوته، وإذا كان قومه بمكة قد خذلوه وحاربوا فكرته؛ أفيستطيع الأباعد الغرباء فى (طيبة) أن يشدوا أزره ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأموالهم؛ هذا لن يكون فى ظن ابن أبى؛ ومن ثم فقد أظهر الرضا بالدعوة الجديدة؛ واختلف إلى مجالس محمد وأصحابه وهو يترقب اليوم الذى تدور فيه الدائرة على الدين الوليد؛ وإذ ذاك يحلم ثانية برئاسته المضمحلة وسلطانه الفقيد.

وتمضى الأيام خلف الأيام والدين الجديد يشع إشعاعا قويا ؛ يذهب سناه بأبصار الحاقدين ؛ فهذه قريش تخرج فى عدتها المعدة ؛ وذخيرتها المدخرة ؛ لتحارب صاحب الدعوة فى يثرب ويلتقى الجمعان فى بدر ؛ فتسقط راية الشرك ؛ ويندحر أعداء الله ؛ وألداء محمد اندحارا تتحدث به الركبان ، ويعود المسلمون إلى المدينـــة متوجين بالنصر متمتعين بالسيطرة والمهابة ؛ فقد أصبح رسولهم الأعظم مرهوب الجانب : يحتمى بالكتائب ، ويستظل بالسيوف .

نظر عبد الله بن أبى فوجـــد ظنه فى الفكرة الإسلامية يخيب ويضمحل فقد وجدت المنعة والعزة فى يثرب ورزقت الحظوة والتأييد فى حمى الأنصار فاشتعلت النار بين أضلاعه وخاف أن يعلن نقمته على الدين الجديد وجها لوجه ؛ فمحمد نافذ الكلمة مسموع الأمر ؛ فلا بد من طريق خاف ، يشير به الغبار فى مأمن من العيون والأرصاد ؛ ولن يكون غير النفاق ستارا مكينا يخفى نوازعه ودواهيه فتظاهر بالإسلام وأبطن الكفر الصريح وإذا اجتمع النفاق والحقد فى قلب رجل فلا راحة له من نفسه ، فهو مضطر لأن يكبت مشاعره ، فيتحفظ فى حديثه ، ويتهامس فى أمره ، ثم ينزوى عن الناس خفية ليدبر ما يتراءى له من الوقيعة ، وإنك لتشهد الصراع يبلغ ذروته حين يجلس مع المسلمين فيسمع مالا يرضى عنه من تبجيل محمـــد ، ويرى من احترامه وإكباره مالا يقره ، فيهم بإعلان رأيه والتنفيس عن أهوائه ، ثم يجابه بعزة محمد ، وذلة نفسه ، فيكظم غيظه وتدور حرب أهلية فى أطواء ضميره ، حرب بين الجهر والكتمان ، ونزاع بين التحفظ والتنفيس ، ويعصمه تفكيره فيجنح للسلامة ، وقد احتضر قلبه فى صـــدره كالطائر الذبيح ! ! .

والمنافق مهما كظم غيظه ، ولزم الحيطة والتستر ، فلا بد أن تبدو دخيلة نفسه من أقواله وأفعاله ، حيث لا يستطيع أن يتجاهل مشاعره وخلجاته ، فهو مضطر إلى الإفصاح عن حقده بكلمة عابرة ، أو إشارة طائرة ، وفى فلتات اللسان ، وتغير السحنة ، واختلاج النظرة ما يفضح أمره ويكشف حقيقته ، وقد تشتد به نزواته فيتحين المناسبة الطائرة للتفريج

عن صدره ، فيخالف الرأى إن أمر ، ويشير بغير الحق إن استشير ، ولن يجد من يرتاب فى طويته فالعصمة متعذرة على الناس، وكم يخطىء المخلص الغيور فيشير بما يجر الكارثة ، ويوقع المصيبة فإذا نفث الحاقد سمه الخاتل متظاهرا بالنصح فقد مهد العذر لنفسه لدى القوم ؛إذ صدق قلبه وأخطأ تفكيره فى ميزانهم ، وهكذا كان ابن أبى يشير بالباطل ، ويمهد للهزيمة دون أن يفتضح للعامة . وموقفه فى غزوة أحد ينهض دليلا واضحا على خداعه ، فقد تشاور محمد مع أصحابه فيما يصنعه بقريش ، وقد خرجت للثأر مجهزة معدة فقال ابن أبى لا بد أن نعتصم بالمدينة فهى منيعة عذراء لم يقتحمها مقتحم قبل ذاك وإنه ليعلم تمام العلم أن استهداف المدينة للغارة الحربية يفت من أعضاد المسلمين وما غزى قوم فى ديارهم إلا بدد شملهم ، وذهبت ريحهم غير أن الله أرأف بنبيه من أن يوقعه موقعا لا يجد المخرج منه . فتغلب الرأى القائل بالخروج إلى الأعداء وسار المسلمون مؤيدين بنصر الله وهاجت كوامن عبد الله فنكص على عقبه فى معشر من أهله ، محتجاً بأن محمدا لم يسمع مشورته ، وسبيل الخيانة فى نكوصه واضح بين ؛ إذ لا يجوز لمحارب أن يتخلف عن الجيش إذا استقر الرأى على أمر ما ، متى ارتضته الجماعة ، وأقره القائد الأول ، وأنى لعبد الله أن يتابع الحق وقد أعماه حقده عن النهج القويم ، فارتد غادراً ، وكأن خاتمة أحد الأليمة كانت حجة أخرى يبرر بها موقفه ؛ فقد رجع المسلمون إلى المدينة فى حسرة وأسف ، يبكون شهداءهم الأطهار ، وقد عظمت النكبة واشتعلت المصيبة ، وابن أبى يطير به الفرح كل مطار ، ولا يستطيع أن يظهر الشماتة جهرة ، فأخذ يعمد إلى استكناه الضمائر واستشفاف القلوب، فإذا صادف منافقا مثله خاض معه غمار التهكم والتشفى ، وإذا وجد مؤمنا صادقاً أظهر الحزن والأسف، ولئن كان حديث الهزيمة يبرد جوانحه من ناحية ، فإنه من جهة أخرى يفضح نفاقه أمام العقلاء ويؤكد عقوقه الذى كان موضع الشك.

فقد حامت حوله الشبهات يوم جلا بنو قينقاع عن المدينة ، إذ تحمس لبقائهم وقال لرسول الله بعد أن أخذ بجيبه ، أمسك على موالى !! أربعمائة حاسر ، وثلاثمائة دارع منعونى الأسود والأحمر

تحصدهم فى ليلة واحدة!! والله إنى لأخشى الدوائر ، وكان ابن أبى حليفا لبنى قينقاع فتستر بذلك وأظهر للملأ من الناس أنه يرعى الذمة ويوفى بالعهود ، ولو كان أخا عهد لاعتصم بدينه الذى يدعيه ، ولك أن تقرن موقفه هذا بموقف سعد ابن معاذ من أحلافه من بنى قريظة ؛ فقد حكم فيهم السيف وأشار بقتل رجالهم وسبى نسائهم ؛ إذ نقضوا ما عاهدوا الله عليه ، وقاتلوا محمدا فى حرجة الضيق يوم الأحزاب ، فقد تشابه الموقفان واختلف الحليفان !! ونحن نشاهد الآن أناسا يفرون من الميدان الحربى ثم يقدمون إلى المحاكمة العسكرية ليلقوا الجزاء الرهيب فلم لم يقتص الرسول ممن فرق الكلمة ولاذ بالفرار ؟؟ أكبر الظن أن هزيمة المسلمين فى أحد كانت تدعو إلى الإغضاء والتهاون مع من غدر بهم من الأنصار ، فلو نكل رسول الله بعدوه لكان من المحتمل أن ينحاز له نفر من أهله وذويه وربما انقسم الأنصار قسمين فتكون هزيمة ثانية !! لا سيما وابن أبى ما يزال مسموع الكلمة لدى فريق من الناس .

ولن نجرد الرجل من الفطانة والذكاء فقد كان يعبىء ما وهبه الله من لباقة ومرونة لمحاربة الفكرة الإسلامية ، فهو يرسم الخطة المحكمة ، ويضع التدبير الحازم لينال ماربه عند سنوح الفرصة ، وها هو ذا يشهد هزيمة المسلمين فى أحد ويرى بعينيه ما بنفوسهم من ندوب ألمية فهل يدع الأيام تمر دون أن تعمق الجراح وتتسع الكلوم ؟ أو ينتهز البادرة السانحة فيسدد ضربته القاصمة ، إنه يتردد بين الإقدام والإحجام ، ويستمع إلى عقله الحصيف فيشير عليه ألا يكون فى الصف الأول أمام الجبهة الإسلامية ، فقد يكون فى هؤلاء المكلومين من تواتيه القوة فيسحقه تحت قدميه ، فمن الحزم ألا يسعى لحتفه بظلفه ، وهناك حرب أخرى يمكن أن يشعلها على الإسلام دون أن يتحمل تبعتها بنفسه فهؤلاء يهود بنى النضير ، قد شاركوه عواطفه نحو صاحب الدعوة بل إنهم ائتمروا بمحمد وهموا أن يفتكوا به لولا عناية السماء ، وهم يترددون مثل ابن أبى بين الإقدام والإحجام ، فلم لا يشنون الحرب السافرة على محمد إبان ضعفه وحرجه ؟؟ إن ابن أبى يسير إليهم ليحالفهم على الغدر والخيانة ، ليقول لهم

فى صراحة وقحة: «عليكم بمحمد فإن معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب، سيدخلون معكم حصونكم، ويموتون عن آخرهم دون الوصول إليكم!!» ويسمع اليهود كلام المنافق فيتحمسون ويتظاهرون ثم يرجع ثانية إلى المسلمين يسترق الأسرار ويتخطف الأنباء، فإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعه وأفشاه! ويصدق الله وعده فتتهاوى معاقل اليهود وتندك حصونهم دكا مشيناً. ثم يجلون عن المدينة تاركين الذهب والعتاد ويفتضح أمر الخائن الأثيم، فيقول الله فى شأنه مع جماعة من أصحابه «ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون» ثم يشبه ابن أبى بالشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك، وتلك لعمرى سبة تقصم الظهر وتخزى الأصلاب.

أصبح رأس النفاق بعد هذه الخيانة الباقاء مضغة تلوكها الأفواه، وتلفظها الشفاه، فهما بالغ فى الاحتياط فقد برح الخفاء وكشف القناع، ونظر الرجل فإذا حديث السوء يسبقه فى كل مكان، فأحلافه اليهود يحتقرونه لجبنه وكذبه، والمسلمون يسلقونه بألسنة حداد؛ لغدره ونفاقه فلم يبق إلا أن يستجيب لنزواته ويعلن السخط واضحا صريحا، وإذا لم ينج من المسلمين بنفاقه، فلينج من حقده بالبث والشكوى، فقد برح به الكبت، وود لو وقف على مربأ شاهق ليعلن كراهته للإسلام! وكأن القدر يهىء ما يريد فقد واتته الفرصة حين تزاحم أنصارى ومهاجرى على ماء، فتشاجرا وضرب المهاجر الأنصارى، وتصايح الفريقان، ويقف ابن أبى فى القوم ليقول: «والله ما صاحبنا محمداً إلا لنلطم، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قيل سمن كلبك يأكلك لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ماذا فعلتم بنفوسكم يا قوم؟ أحللتموهم دياركم، وقاسمتموهم أموالكم، أما لو أمسكتم عليهم فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد، كلمات يمليها الحقد والغل، يقذفها حقود متآكل فى موقف ينذر بالشر وينادى بالويل،

فهؤلاء الأنصار يتكتلون فى صف واحد محنقين ، وهؤلاء المهاجرون قد صورهم الموقف فى صورة المعتدى الجاحد ؟ فلم لا يشعل ابن أبى النقاب فتدور الرحى على الغرباء اللاجئين ! وشاء الله أن ينقذ الموقف غلام صغير يتقدم إلى عبد الله فيصيح فى وجهه : « أنت والله الذليل القليل فى قومك يا ابن أبى ، ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين ! » ويتسامع الرسول بالفتنة فيتصالح الفريقان عند مقدمه ، ويلوم كلاهما نفسه على ما بدر منه وتعود كلمة الله متحدة متساندة ، وينظر ابن أبى فيجد أمله فى الوقيعة قد تبدد وانماع ، بينما قد كشف نفسه كشفا لا يجد التستر والانزواء ؟ فأى جناية كبيرة قدمها لنفسه ؟ لقد ظن أن الفتنة ستقع فيستريح من ليله الدامس ، ولكن هيهات لظلامه أن يزول فقد تمطى بصلبه وناء بكلكل ، وأردف أعجازا بعد أعجاز ؟ تلفت المؤمنون إلى محمد يترقبون ماسيصنعه بعدوه ، وقد ظنوا أنه هامة اليوم ورمة الغد ، ويثق نجله عبد الله أن أباه سيلفظ أنفاسه عن قريب ، وكان مؤمنا غيوراً فتقدم إلى رسول الله واستأذن يقول : علمت أنك تريد قتل أبى فى بعض ما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرنى أحمل رأسه إليك فإنى لأخشى أن تأمر غيرى بقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يسير بين الناس ؟ ! فيا للإيمان القوى يدفع صاحبه إلى التبرء من الأب العطوف ، ويا للصراع المؤثر بين العاطفة والواجب ، والعقل والقلب ، والهوى والدين ، أى كارثة امتحن بها هذا المؤمن الصابر ، فأضرمت نفسه وشتتت فؤاده ، لقد نظر محمد إلى موقف الابن الغيور فترفق به وبوالده ، وعفا عن المذنب الآثم وإن أنكرته آكام المدينة ، وآجامها الصماء ، قبل أن ينكره الأهل والأقرباء .

وبعد فهل أقصر ابن أبى عن غيه بعد أن صارت حياته هبة تصدق بها محمد عليه ؟ أنى له ذلك والحقد يفعل فى قلبه الأفاعيل ؟ فهو يحلم بالمكيدة للمسلمين إذا أمسى ، ويحاول أن يحقق الحلم إذا أصبح ، فيلتمس كل سبيل للدس والوقيعة ، ولقد كان قبل ذلك حريصا على سمعته فى قومه ، فأصبح فى موضع لا يرغب فيه أى إنسان ، فلا عليه إذا أطلق لإفكه العنان ، وإن علم يقينا أن جهده ضائع

بأند والمسلمون على قلب رجل واحد يذعنون لنبيهم الكريم، ويفتدونه بالمهج والأرواح، ولقد آب المسلمون من غزوة بنى المصطلق ظافرين منتصرين، فاحتفلت المدينة بأنباء النصر الجديد وتناقلت الألسن مدائح محمد واطراءه فى كل مكان، فماذا يقول ابن أبى؟ لقد ترك الغزوة فلم يخض فى حديثها الذائع، وسأل عن عائشة زوج النبى لم لم ترجع معه فى وقت واحد، ولماذا صحبها صفوان بعد أن تأخرت عن الركب؟ وما شأنه معها حتى تصطفيه دون سواه؟ سلسلة من الشكوك والريبة يحيط بها الآثم بيت النبوة الشريف، ومن العجيب أن يجد عصابة تنقل إفكه، وتطير به فى أجواء المدينة، وفيهم من له فى الإسلام جهاد وكفاح، ويستمع الرسول إلى الإفك مغيظا غاضبا، فيفزع إلى ربه شاكيا ضارعا ثم ينبلج الصبح على لسان جبريل فيحق الحق ويبطل الباطل، ويجىء عمر إلى رسول الله فيحرضه على استئصال هذا المنافق الأفك، ولكن سيد الرسل يعتصم بالحلم والصفح، فيقول لعمر ملاطفا: «وكيف بك إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ثم يغمض العين عمن أشاع الريبة فى أهــــله، بين أناس يفتدون الأعراض بالأرواح.

فلو همس هامس بكلمة مريبة يريد بها كيدا أو أشار مشــــير بلحظ يومض بالإرجاف لبرقت السيوف وصهلت الجياد.

وتوالت الكوارث النفسية على ابن أبى فنخر فى جسمه الحقد كما ينخر السل فى رئتى المصدور، وبدأ يشكو العلة الجسمية ويلتمس الشفاء فى كل مكان. ولو أراح صدره قليلا من حقده الدائب لبرىء ولكن قدر عليه أن يقضى صريع الحسد والنفاق. ومن عجب أن داءه الرهيب لم يشغله عن محمد وقومه، فكان إذا سكنت عنه العلة قليلا فكر فى المكيدة وجمع رهطا من شيعته وذويه فيخوضون فى أمر محمد وأصحابه، وقد قال قائلهم ذات يوم إن المسلمين يتهيئون لقتال الروم، فكأنما بشر عبد الله بالشفاء! فاعتدل فى مجلسه، وسطع السرور فى وجهه، وقال متهكما ساخرا: أيغزو محمد بنى الأصفر مع جهد الحال، وشدة الهجير، والبلد النائى الشاسع؟ أيحسب محمد أن قتال بنى الأصفر لعب؟ لكأنى

أنظر إلى أصحابه مقرنين بالأصفاد ؟؟ لن تخرجوا معه أبدا ، ولن تقاتلوا معه عدوا ، فسترون عاقبته عن قريب .

وطفق المريض العليل يحرض شيعته على المكث بالمدينة ، فكانوا يستأذنون الرسول فى البقاء ، فيأذن راضيا ، وهو يعلم قول الله : « لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين » .

وكان مالابد أن يكون ؟ فقد ثقلت العلة على ابن أبى ؟ واقترب منه الموت اقترابا فاجعا .

لجاء ولده المؤمن الصادق عبد الله بن عبد الله يرجو أن يستغفر الرسول لأبيه ولك أن تلمس نبل الرسول الأعظم حين تجده يتناسى جميع ما قدم له من عقوق وكفران ؟ ثم يستغفر لعدوه الألد مرات عديدة ترضية لنجله الأمين ، فأى أخلاق تلك التى ترتفع بصاحبها إلى الأوج الرفيع ولكن عمر يقف ، وينزل الوحى مناصرا الفاروق « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ثم يفارق المحتضر الحياة فلا ييأس نجله اللهيف من روح الله ، ويسعى إلى محمد يلتمس منه أن يصلى على جنازة أبيه رحمة به ، ويهم الرسول بإجابة رجائه ولكن الوحى يناديه : « ولا تصل على أحداً منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » .

مسكين هذا النجل الأسيف ؟ لقد أجهد محمدا فى غير طائل ، وما كان والده غير حاسد ، شاهد الصبح يتألق فى جبين محمد ، ففر منه إلى ليل بطىء الكواكب حالك الظلمات :

وفى تعب من يحسد الشمس نورها
ويجهد أن يأتى لها بضريب

د. محمد رجب البيومى

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

للدكتور عبد الغني الراجحي

الإحكام فى اللغة: الإجادة والإتقان، ووضع الشىء موضعه بحكمة ودقة ونظام ومنه إحكام البناء، وإحكام جدل الحبل والقرآن الكريم بهذا المعنى محكم كله كما قال تعالى: «كتاب أحكمت آياته» وكما قال تعالى: «يس والقرآن الحكيم» وكما قال تعالى: «وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم» فليس فى القرآن لفظ إلا وهو محكم الوضع فى عبارته، وليس فيه عبارة إلا وهى محكمة الوضع فى آياتها. وليست فيه آية إلا وهى محكمة الوضع فى سورتها وقد عزت آياته جميعها على أى خلل أو فساد أو اضطراب أو نقض أو إبطال يطرأ عليها لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى «وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» يقول الراغب فى غريب القرآن مادة «حكم»: (تلك آيات الكتاب الحكيم المتضمن للحكمة، وقيل معنى الحكيم المحكم، نحو أحكمت آياته، ويقال حكمت الدابة وأحكمتها وحكمت السفينة وأحكمتها) انتهى.

والتشابه والاشتباه فى اللغة: هو المشاركة بين الشيئين فى الأوصاف والكيفيات. فيقولون أشبه الولد أباه وشابهه إذا شاركه فى صفة من صفاته. ويقولون أشبه الولد أمه إذا شاركها فى صفة من صفاتها. ومن الأول قول القائل:

بأبه اقتدى عدى فى الكرم ... ومن يشابه أبه فما ظلم

وعلى الثانى قول القائل:

أصبح فيه شبه من أمه ... من عظم الرأس إلى خرطمه

ومنه قوله تعالى: (تشابهت قلوبهم) أى تماثلت فى الغى والضلال، وقوله تعالى: (والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه) وفى آية أخرى (والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه). فالتشابه هو الاشتباه لا فرق بينهما إلا فى طريقتى التفاعل والافتعال كما فى قولهم تقاتلوا واقتتلوا، وتخاصموا واختصموا، وتشاركوا واشتركوا، والمقابلة بالنفى

والإثبات بين الصيغتين فى الآية الكريمة تدل على الوحدة بينهما فى المعنى وإن اختلفت الصيغة بالتفاعل والافتعال والقرآن كله بهذا المعنى متشابه يشبه بعضه بعضا فى الصدق والإعجاز وسمو المعانى وعليه قوله تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى) والمتشابه بهذا المعنى لا يقابل بالمحكم، بل يجامعه؛ فالقرآن متشابه فى إحكامه ومحكم فى تشابهه.

ولكن لما كان التشابه والتماثل فى الأوصاف والمميزات من شأنه أن يؤدى إلى الخفاء والالتباس وعجز الذهن والنظر عن التمييز بين المتماثلين والتحديق فيهما كما قال القائل يصف خمراً فى كأس، أو كأسا فيه خمر، فيقول:

رق الزجاج وراقت الخمر
فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح
وكأنما قدح ولا خمر

لما كان الأمر كذلك ذهبوا يقولون المشتبه والمتشابه ويريدون الملتبس والخفى أمره، فيقولون اشتبهت الأمور، يعنون أنها التبست وأشكلت ولم تتضح ويقولون اشتبهت القبلة يعنون أنها خفيت عمن يريدها لا يدرى فى أى الجهات هى ليصلى إليها. وعليه قوله تعالى: «إن البقر تشابه علينا»، وقول القائل:

واعلم بأنك فى زما
ن مشبهات هن هن

ولعل لفظ الشبهة يرجع إلى هذا المعنى لما فيها من الالتباس والخفاء والحاجة إلى البيان والإيضاح. وفى الحديث الشريف الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

فالمتشابه على هذا ما لم تتضح دلالته تمام الوضوح، أو عجز العقل البشرى عن إدراك مدلوله تمام الإدراك والإحاطة بمعناه تمام الإحاطة، وهو بهذا المعنى لا يجامع المحكم بل يقابله ويعتبر قسيمه، فبعض القرآن متشابه وبعضه محكم، والمحكم أم الكتاب، واضح الدلالات مفهوم المراد، يرد إليه المتشابه فيحمل عليه ويقيد به خوفا أو أمنا من الحدس والتخمين فيه، والحيرة والضلال والخطأ فى تحديد المراد به. وهو المراد بقوله تعالى: «هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء

تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ، فقد جمعت هذه الآية الكريمة الكتاب كله بمجموع آياته فى حكم الإنزال، وأنه منزل من عند الله ثم قسمته إلى قسمين : محكم ومتشابه ، ثم فرقت بين القسمين بحسب موقف الناس حيال كل منهما : فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيعكسون المفروض من رد المتشابه إلى المحكم ، فيتبعون المتشابه معرضين عن المحكم يبتغون الفتنة والتأويل الفاسد . وأما الراسخون فى العلم فهم على العكس من ذلك يردون المتشابه إلى المحكم مؤمنين به قائلين كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا ، كأنه قال: فأما المحكم فهو أم الكتاب بين واضح يعتمد عليه المستقيمون الراسخون فى العلم يردون المتشابه إليه، ويهمله ويعرض عنه الذين فى قلوبهم زيغ، وأما المتشابه فيتبعه الذين فى قلوبهم زيغ ، بالتأويل الفاسد ابتغاء الفتنة مهملين المحكم لا يردونه إليه.

ومن هذا الذى سبق كله بجملته وتفصيله نستطيع أن ندرك السر وعدم التناقض فى وصف القرآن لنفسه تارة بأنه كله محكم وتارة أخرى بأن بعضه محكم ، ووصفه لنفسه تارة بأنه كله متشابه وتارة أخرى بأن بعضه متشابه .

هذا ويطلق المتشابه أحياناً كثيرة على كثير من الآيات المكررة فى أكثر من موضع فى كتاب الله . المعنى الأصلى فى هذه الآيات واحد والتراكيب والعبارات اللفظية يشبه بعضها بعضا لاتفاقها فى أصل المعنى وبعض الألفاظ مع اختلافها بشىء من التقديم تارة والتأخير أخرى، والحذف تارة والذكر أخرى، والتعريف تارة والتنكير أخرى ، والفصل تارة والوصل أخرى ، والفك تارة والإدغام أخرى ، وما إلى ذلك ، مما يحقق التشابه بين العبارتين فى الألفاظ والتراكيب مع وحدة المعنى الأصلى وإن تنوعت واختلفت المعانى الثانوية التى هى عبارة عن زيادات تحدث فى أصول المعانى . ويمكن أن يكون هذا النوع مشاراً إليه بقوله تعالى « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى » فتثنية الكلام للمعنى الأصلى الواحد فى أكثر من موضع مع اختلاف الألفاظ والعبارات والتشابه بينها يحقق ذلك .

ولعل ذلك ما أراده السيوطى بقوله فى كتاب الإتقان فى علوم القرآن: «وقيل المحكم: ما لم تكرر ألفاظه ويقابله المتشابه» وقد أفرده بنوع مستقل تحت عنوان النوع الثالث والستون فى الآيات المشتبهات، ذكر فيه أنماطاً كثيرة من هذه الآيات، مبيناً الحكمة والتعليل لهذه الافتراقات، جزئية جزئية، وأفرده بالتصنيف خلائق كثيرة كالخطيب الإسكافى فى كتابه (درة التنزيل وغرة التأويل فى متشابه التنزيل) والكرمانى فى كتابه المخطوط «البرهان فى متشابه القرآن»، والشيخ زكريا الأنصارى فى كتابه «فتح الرحمن فيما يلتبس من آى القرآن»، والشيخ بدر الدين بن جماعة فى كتابه المخطوط «كشف المعانى عن متشابه المثانى» والأصفهانى فى كتابه المخطوط «البرهان» وأحمد بن الزبير الأندلسى شيخ الشيخ أبى حيان فى كتابه المخطوط «ملاك التأويل القاطع لذوى الإلحاد والتعطيل فى المتشابه اللفظى من آى التنزيل»، أتى هذا الأخير فى تعليل المفارقات بالعجائب والغرائب التى تشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع ولم يسبقه إليها سابق ولم يلحقه فيها لاحق. وقد قرأت أخيراً فى مجلة الأزهر عدد رجب سنة ١٣٩١ هجرية ص ٥٠٦ أنه عثر للعالم المغربى الرياضى أبى العباس الأسدى المراكشى المعروف بابن البناء على مؤلفات فى القرآن الكريم منها حاشيته على الكشاف بعنوان «منحى التأويل فى المتشابه اللفظى من آى التنزيل» لكن لم أر ذلك بعينى ولم أعثر عليه ولعله من المخطوطات التى لم تصل إليها يدى بعد.

هذا وقد جاء فى تفسير المنار جزء ٣ ص ١٠٣ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المحكم: ما ذكره الله فى كتابه مما فصله وبينه من قصص الأنبياء، والمتشابه: ما اختلفت ألفاظه فى قصصهم عند التكرير. كما قال فى موضع فى قصة نوح «احمل فيها»، وفى موضع «اسلك فيها» وكما قال فى عصا موسى «فإذا هى حية تسعى» وفى موضع «ثعبان مبين» وهذا كما نرى داخل تحت هذا النوع الذى تعمدت الإطالة فى بيانه لأننى رأيت أكثر الدارسين لا يلتفتون إليه ولا يعطونه الاهتمام اللائق به فكانوا كما قال القائل:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته
والذنب للعين لا للنجم فى الصغر

د. عبد الغنى عوض الراجحى

مع الشباب :

يأتمرون بك ليقتلوك

للدكتور عز الدين على السيد

(١)

أيها الشاب !

إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك . ! هم العدو فاحذرهم . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

إنهم كثيرون من حولك .. قد يغوزون بهواك .. وقد يحوزون إعجابك ، يغرونك فيغرونك .. يحسبونك سهل المقادة إلى المبتغى .. خاوى الرأس من الرأى .. ويقينى بك يكذبهم ، وأنت من أنت ذكاء وأناة ، وإباء وحكمة . !

هم عصابة السوء الفاجر .. والإلحاد السافر .. والدهاء الماكر . ! بكل سلاح من حولك ، يتلصصون ويتدسسون .. لا يبغونك مالا ولا نشبا .. وقد تعبدهم من المال الحرام ما أغراهم بك ، ليسلبوك ما هو فوق المال والغنى .. والترف والثروة . !

ثقتك فى ذاتك شخصا له عزته . !

عقيدتك فى قلبك مؤمنا له كرامته . !

طموحك لمجدك شابا له قدرته وسلطانه . !

لتعود بلا ثقة فى النفس ، فتخمل وتنهار . !

بلا عقيدة فى القلب ، فتفجر وتفسق . !

بلا طموح للمجد ، فتخزى وتضيع . !

قل لهم : لا . !

لن تخدعونى عن ثقتى فى نفسى .. فلن أخمل ولن أنهار . !

لن تزلقونى عن عقيدتى .. فلن أفجر ولن أفسق . !

لن تثنونى عن طموحى .. فلن أخزى ولن أضيع . !

لا خير فى الشباب إن فقد الأنفة تحمى كيانه ..

وتعساً للشباب إن قامر به العابثون ..

وخسراً للأمة إن ضاع الشباب فى مخالب الذئاب . !

أنماط من الشر تعج بها دنياك ..

رءوس كأشجار الخريف تساقط ورقها الأصفر تظنه التبر النفيس ..

وإنما هو لون نفاقها وفقرها . !

أقلام كمحاجم الحجام مدادها الدم الفاسد ورزقها الزاد الملوث .. لايخجلها مدادها .. ولا يملها زادها . !

ألسنة فى أفواه بقرية لا تفتأ تجتر فتلوك ما حال عفونة أو نتنا .. ملتذة بما تجتر سعيدة بما تلوك . !

فقل لشجرة الخريف المهزولة : أيتها الجرداء من الخير رثائى لك يغنيني عن التقاط هداياك . !

وقل لمحاجم الحجام المهينة : إن خجلى من عدم حيائك يأبى لى أن أمد طرفى إلى مفاتنك . !

وقل للثالثة ما شئت من هذا النسق المعتذر عن إعراضك عنها ، لأنك أغنى شرفا وأثرى عقلا وأكرم إباء . !

(٢)

يا صحافة العرب ويا وسائل الإعلام .. فى دولة العلم والإيمان . ! لحساب من تشيع الفتن وتروج الضلالات ؟

لحساب من تنفخ الحبة قبة لا وزن لها إلا وزن فراغها المستمد من فراغ رءوس الدعاة ؟

ألصوت المعركة ، وتحصين البلاد ، وتكوين البطولات ، ما ينشر كل يوم ويذاع من أخبار ، وقصص ، وآراء ، وأفكار ، ومذاهب ... أقل ما توصف به الجور على كرامتنا ، والجرأة على ديننا ، والإسهام فى نصر عدونا . ؟

أهى جمع لقلوب المسلمين المفترقة يضطهدون ويذبحون فى أنحاء العالم المتحضر وسكين عدوهم أقلام الكاتبين تخذلهم وتموه الرأى عنهم وتصرف الأذهان عن واقعهم . ؟

إن أعداء الإسلام يغلبون أهله بسلاح أهله وإن منه لأقلاماً جف مداد دينها وضميرها وعزتها .

إن للحرف إيماء لا يخفى .. وللخبر مغزى لا ينسى . . وللرأى أثر يبلبل ، وصوت يزلزل .. ولا ندعى الفراهة لجميع القارئين أو السامعين . ! إن يكن ذلك مقصوداً فحسبنا منكم وكفى .. وليفهم الفاهمون . !

وإن لم يكن مقصوداً ـ وحاشاكم ـ فياحسرة الكتاب ويا خيبة الإنتاج فى أمـــة تغار على المجد وتتحرق للنصر وتسعى للفلاح . !

سيقول السفهاء : ماله يهاجم العقل فى

حضارته ، والفن فى مهارته ، وإثراء الفكر فى خصوبته . !

كلا فما أردت ولست أريد . !

فكروا كما شئتم .. وانشروا الكفر كما أردتم . . ولكن على أساس من البحث والمنطق يجبرنى على تسليم عقلى ونقض مبادئى .. لا على أساس من الخبط والمغالطة والختل بالسفسطة . . أو على غير أساس إلا التسلى بالقول مهما يكن وتسويد الصحائف بالسيئات الجسام . !

(٣)

شنشنة موروثة :

من أمثال العرب : « شنشنة أعرفها من أخزم » .

إنه شطر من بيت قاله أبو أخزم الطائى ، وكان ابنه أخزم عاقاً له ثم مات ، فنشأ أبناء أخزم على ما اعتادوا من عقوق أبيهم ، ووثبوا على جدهم يوماً فأدموه فقال :

إن بنى ضرجونى بالدم
شنشنة أعرفها من أخزم

ومضرب المثل اليوم : أن ما ينشر ويقال من تشكيك فى الأديان ، وإيهان للعقائد ، وإهانة للرسل ، واستهانة بالقيم .. ومامن شأنه أن يحطم كل عقل ناشىء ، وقلب نام ، وروح وثابة متطلعة ، ليركم ذلك وأمثاله بعضه على بعض جميعا فتخلو الأرض من الكرامة ، ويقفر الكون من الإيمان ، ويختفى عن الدنيا ، ليعيث المجرم فى الظلام ، وينطلق المفسد فى الشهوة ، وتصير حدود العيش حدود الرذيلة ، وبهجة العمر بهجة التحلل ، وأعظم الكسب أعظم الفجور ..

مضرب المثل اليوم أن ما ينشر من ذلك وما يقال هو شنشنة موروثة ألحد بها الأجداد ، ويلحد بها الأحفاد ، وهى قرحة ترم على فساد ، وجرح كلما قارب البرء عاد . !

يعود الأحفاد لينسبوا كليم الله وصفيه موسى بن عمران - عليه السلام - إلى رمسيس الثانى فرعون مصر . !

وكان الأجداد الحاملون لواء الإلحاد يتهمونه ببهتان يفترونه ، ويتهمون أمه الطاهرة ، بل ويلصقون بالله - جل علاه - سوء اختيار الأنبياء واجتباء الأصفياء .

وقد كرم الله نبيه موسى فألجم الخراصين وأظهر الحق المبين لمن أراد برد اليقين ، ومما جاء فى شأنه من النور الذى نزل :

« ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين

آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها » .

« قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » .

ومما جاء فى شأن أم موسى تكريما وتزكية : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » إلى أن قال الله فيها : « وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون » إلى أن قال سبحانه : « فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

نعم يا ربنا ! إنهم لا يعلمون ولا يريدون أن يعلموا ، فطعنوا أنبياءك فى جرأة طاغية ، وافتروا على أصفيائك فى عناد عجيب ! .

ولقد قال الأجداد ويقول الأحفاد على مريم بهتانا عظيما ، فنسبوها ـ صانها الله ـ إلى الفحش ، ونسبوه ـ عصمه الله ـ إلى النجار ، وأرجفوا بها وقد جاءت به قومها تحمله : « قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا » . فأيد الله طهرها بحجته وعرضها ببراءته ! .

أما قضية دينك الإسلام ، الذى ختم الله به الدين وكمل الرسالة ، وأظهر فى آياته ما ادخر له ليعم الزمان والمكان والإنس والجن إلى قيام الساعة ، فكم انتصب لحربه الملحدون من الأجداد ، وينتصب لحربه الملحدون من الأحفاد.. ينثرون الترهات من حوله فتحترق بناره وينشرون الظلمات فى جوه فتفتضح بأنواره « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

لقد حقدوا عليه لكماله ونقصهم ، ولحقه وزيفهم ، ولحجته وعجزهم ، فأسرفوا فى التخبط كلما لطمهم زادهم خبالا ، وكلما حجهم أمعنوا اضلالا ، فقالوا لنبيه : كاهن.. ساحر.. مجنون.. « لولا نزل هذا القرآن

على رجل من القريتين عظيم » « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ».

فلما سكت الجهل عنهم لجدهم، ولما استيقنت به قلوبهم لسعدهم، انقلب ريب قلوبهم دفاعاً عنه، واحتجاجا له، وجعلوا أرواحهم الغالية إداب روحه، وأنفسهم الراضية فداء نفسه، حتى ظهر الحق وبطل ما كانوا يفترون.

فهل أرغم أنف المستبد الغالى.. وحطم عــــزة العنيد المستشرف إلا بتكذيب المستبد نفسه، وتفييل العنيد رأيه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم؟.

سيحاول أن يخطفك ذو الأكمام الواسعة والرداء الأسود، أو أن يصيدك بتغرير غادة أو غرام أغيد. يعرض عليك الحب أو يكشف لك الود، ثم يقتادك فى شجون الحديث إلى أودية سواحر ليزلك أو يضلك فى متاهة الشبهات ...

لو رجعت إلى ذلك لوجدته فى الكتاب مسطورا.. ولو عدت إلى سدنة الإسلام ماضيهم وحاضرهم لوجـــدت ما يلجم المشكك ويخزى المريب ويشفى غلتك..

ألا أدلك على ما لقن الله رسولك فى مثل موقفك؟.

قال الله له: « قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولى دين » تدبر هذه البراءة كلها بهذا التوكيد كله!.

أتؤمن بصدق النصح من خادع نفسه؟

سيبسم لك وجه أصفر فى مقال منمق يحمـــل إليك مذهبا أو فكرة يلمع فى حروفها بهرج الحضارة.. وقد يقنع عنك المكر يشدك إليه بما يصف وما يغرى دون أن تستعان رغبته فى أخذك من دينك أو سلك من عقيدتك.

لا أقول لك: لا تقرأ.. لا تثقف عقلك بجميع الثقافات.. إنى إذن لصديق أحمق.

ولكنى أقول لك: اقرأ. وتريث.. وتلفت.. قارن.. وتبين.. واحكم!

ستراه من خلف الكلمات كامناً يترقب: هل أكل الصيد الحب؟ هل وقع الصيد فى الشبكة؟.

تاريخك فياض بالمجد.. شاه.. وانحط.. وتلطخ.. فى أيدى الأمناء من المستشرقين والتلاميذ البررة للمستشرقين.. يغرون القارئين بجمال العرض.. وخطة البحث.!

دينك الحق المبين : رسوله ، وكتابه نوره ، وهدايته . .

حيل بين الشباب وبينه بإضلالهم عن جلاله ، وصرفهم عن جماله، وإقامة النكتة المضحكة والطرفة المهلكة واللذعة الساخرة مقام الزارى به ، المخجل من التزامه ، المشوه لولاته ، الداعى إلى طرحه !

فى الصحافة .. فى الأفــــلام .. فى المجالس.. فى الكتب ..

لا تنتظر حماية لك من خارج ذاتك !

لا تنتظر وصاية على ثقافتك ممن يفسدون ثقافتك .!

اقرأ .. وافهم . وأبغض . وأحب ثم شارك.. وحام..وأقنع !كن رسولا إلى الشباب غيورا .. فأنت إلى قلوبهم أقرب ، ونفوسهم إليك أصبى .

الطيور تنقم على من يهدم أكنانها !

والحشرات تقتل من يهتك حرمتها !

والبحر يغرق من يزيل حدوده !

كل خزى ونقيصة .. وكل عار ومنكر .. وكل نكسة وهزيمة . . تعـــزى على السواء . .

إلى من يهدم الأكنان ومن يرضى بهدم الأكنان .!

إلى من يهتك الحرمة ومن يسكت على هتك الحرمة . !

إلى من يزيل الجسور ومن لا يغضب لفعله ويثور .!

تحصيل الشهـــوة لذيذ ! وألذ منه النجاة من شره . !

الفوضى والانحلال متعة . ! وأعظم منهما المتاع بالأمان . !

تحطيم المبادىء ونقض العهود والإطاحة بالقيم إقدام وجرأة ! وأكرم منها أن نسلم من زحف المجانين .!

إذا لم يكن الحلال فلا لذة للشهوة !

وإذا لم يكن الأمان فلا راحة فى الفوضى!

وإذا لم يكن العقل فبطن الأرض خير من ظهرها .!

ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد ؟

د . عز الدين على السيد

أهداف الإنسان فى توجيه الإسلام

للأستاذ على رفاعى

الإنسان مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى وآية كبرى تدل على عظمته، وهذا الإنسان الذى استطاع بهبة العقل فيه الطيران فى الهواء والبلوغ إلى سطح القمر واستطاع الغوص فى الماء، واستخدم الأثير وسيطر على كثير من الكائنات يتلاشى ويذل ويخشع أمام قدرة الله عند النازلات وفى حالات الضعف والمرض، وصدق الله حيث يقول فى كتابه الكريم مصوراً ضعف الإنسان وحاجته لافتقاره إليه: (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه) وإنما خص الضر بما يقع أحيانا فى البحر، لأنه إذا أصاب السفينة عطب لا تثبت قدم الإنسان على الماء، وإذا سبح فيه فإن طاقته لا تمكنه من عبور المحيط، وإن أمواج المحيط العالية المرتفعة وما فيه من المد والجزر، تشعر الإنسان بأنه أمام خطر كبير، وأنه لا يدفع هذا الخطر الكبير إلا الله العلى الكبير، والإنسان دخل هذه الدنيا بمشيئة الله الأزلية، ودخلها فى حال من الضعف والقصور يصعب تصويره وإن كان يسهل تصوره، ثم أخذ يتدرج فى أطوار مختلفة منها ما وصل إليه فعلا ومنها مايصير إليه، قال الله تعالى:(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) ويستطيع الباحث حصر الأهداف العليا للإنسان فى هذه الحياة فيما يأتى :

أولا : عبادة الله عز وجل ومعرفته قال تعالى :

(وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وعبادة الله عز وجل تدعو إليها

هواتف النفس ومشاعر الإنسان وإحساسه بقدرة الله تعالى، وأنه لا غالب إلا هو، ولا فاعل إلا هو، وأنه هو الذى خلق الموت والحياة، وأن سلطان الإنسان مستمد من هذه القدرة وأنه يبقى ما بقى المدد، وما بقى العون الإلهى:

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده

أجل، إن عون الله للفتى هو السند وهو الحول وهو كل شىء فى حياته:

واشدد يديك بحبل الله معتصما
فإنه الركن إن خانتك أركان

إن ضعف الإنسان وعجزه يشهد عليه سلب الحياة منه وهو أشد ما يكون علما أو طبا أو قوة بدنية أو جاها أو سلطانا إن أحاسيسه الفطرية تحمله على الخضوع لله صاحب القوة الحقيقية؛ فإنه المعز المذل، القابض الباسط.

قال الله تعالى: (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) وقال حكيم:

الله قل وذر الوجود وما حوى
إن كنت مرتاداً بلوغ كمال

وهذه العبادة تكسب القلب طمأنينة وتشرح الصدر وتحمل على التفويض والتسليم وتتيح الفرص لعوامل النصر، وتفتح أبواب الأمل، وتدعو إلى الرضا عن الله فى قضائه وقدره. ومن هنا يعيش الإنسان عيشا حميدا سعيدا، بعيدا عن القلق والكدر، ويفيض بشرا وحبورا وبهجة وسرورا (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون).

وهذه العبادة الصادقة تكسب الأنس بالله والرضا عن أحكامه؛ فتقر النفس ويسكن الفؤاد، ويطمئن الخاطر، يقول النبى صلى الله عليه وسلم « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف، ومثل هذه المعانى التى يتضمنها هذا النص النبوى الشريف هى التى حملت سلفنا الصالح من أبناء هذه الأمة العربية الإسلامية على أن يستهينوا بالصعاب، وأن يطرقوا أبواب المستقبل فى الآفاق، وأن يضربوا مجاهدين فى سبيل الله لحماية دينهم وعز أوطانهم لا يخافون شيئا ولا يهابون أحدا ولا يعتمدون بعد إيمانهم بالله إلا على

سواعدهم الفتية وعزائمهم القوية ، فمكن الله لهم فى الأرض وجعلهم سادة الأمم وقادة الشعوب ، وأسعدوا الحياة بنشر العدل والسلام والمحبة والوئام ، واتخذوا من كتاب ربهم وسنة رسوله مشعلا يضىء لهم الطريق ، ولم يجعلوه حجابا يتبركون به ولا موضعا للزراية بقراءته على القبور ، وفى عربات الترام أو على أفاريز الشوارع للتكسب والاستجداء ، وإنما اتخذوه دستورا ينفذون وصاياه ، ويعملون بأحكامه : يأتمرون بأوامره ويتركون مانهاهم عنه فسعدوا وسعدت بهم الحياة .

ثانيا : الخلافة عن الله فى الأرض

قال الله تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) .

والخلافة عن الله فى الأرض مرتبة عليا ، ومنزلة سامية ميز الله بها الإنسان عن سائر المخلوقات ، وفى ذلك تشريف عظيم للنوع البشرى ، والخلافة هيمنة وولاية وتسلط بالحق وللحق ، والإنسان بحكم خلقته مناط التكريم قال الله تعالى : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

فإذا وضع الإنسان نصب عينيه أنه خليفة عن الله فى الأرض ، وأن هذه الخلافة تقتضيه مسئوليات ضخمة ؛ فهو مسئول عن إسعاد المجتمع الذى يعيش فيه ، إن كان حاكما عدل بين الرعية ، وعمل على نشر الرخاء والأمن ووفر العمل للمتعطلين ، وحافظ على الدين وحمى الشعب من الوقوع فى المعاصى كما يحميه من المفسدين ، وإن كان فردا من أفراد الأمة قام بعمله الذى تخصص فيه بأمانة وإخلاص ليسعد المجتمع بإنتاجه ويوفر للناس الهناء والرخاء ، فشأن الخليفة أن يتعب لراحة الآخرين ، ويعمل لإسعاد الضعفاء والبائسين . وهذا هدف من أنبل

الأهداف وأشرفها ، وهو أن يعيش الإنسان لغيره لا لنفسه، سعادته فى العمل على إسعاد بنى جنسه يشعر بالغبطة إن وفق لإغاثة ملهوف أو قضاء حاجة محتاج أو استطاع أن يمنع وقوع شر عن غافل حكى عن عيسى بن مريم ، أنه رآه بعض الحواريين وقد خرج من منزل امرأة ذات فجور فقال : يا روح الله ما تصنع هنا؟ فقال : الطبيب إنما يداوى المرضى وفى الحديث الشريف : « الخلق كلهم عيال الله ، وأحب خلق الله تعالى إليه ، أحسنهم صنيعا إلى عياله » وقيل لبعض الحكماء : أى شىء من أفعال الناس يشبه أفعال الإله ، قال : الإحسان إلى الناس.

ثالثا : كشف ما فى الكون من أسرار واستخراج ما فيه من كنوز ومعرفة الصنائع على اختلاف أشكالها وألوانها حتى يحقق هذا الإنسان لنفسه ولبنى جنسه سبل السعادة فى هذه الحياة ، قال الله تعالى : (خلق لكم ما فى الأرض جميعا) فجميع ما فى الأرض بهذا النص الكريم للإنسان أن يكتنهه على قدر طاقته وعلى قدر همته وإدراكه، ثم يتصرف بعد ذلك على هدى من العقل السليم والإدراك الناضج فى نطاق ما شرع الله للناس . فما جعله الله لنا لا نتصرف فيه بالهوى والغرض إنما يكون التصرف بميزان الشرع مع نور العقل حتى تستقيم الحياة وتبتعد بأهلها عن الانحرافات التى تعقد حياتها وتلتوى بها عن سواء السبيل .

وبهذا يعمر الكون وتتحقق السعادة ويأتى الخير من كل حدب وصوب ، ولو أن القوى والمواهب التى منحها الله للبشر وجهت نحو هذه الغاية فى تعاون صادق وإخلاص ينبع من قلوب عامرة بالإيمان بالله واليوم الآخر لفتحت للناس بركات السموات والأرض .

إن الجماعة البشرية أسرة واحدة مهما تباعدت ديارها، ومهما اختلفت أجناسها وألوانها قال الله تعالى : « ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » وليت شعرى هل يدرك الناس على مختلف ألسنتهم ولهجاتهم ولغاتهم هذه الحقيقة وإنهم لآدم ، فهم إخوة ؟ !

الناس من جهة التمثيل أكفاء
أبوهم آدم والأم حواء

فإن يكن لهم فى أصلهم شرف
يفاخرون به فالطين والماء

إن الأفهام الخاطئة التى عششت فى فى بعض الرءوس من أبناء آدم ، فرقت جمعهم ومزقت شملهم وصيرتهم شيعا وأحزابا ، وبدلت الأمن خوفا وفزعا ، والمحبة عداوة وبغضا ، ولا منجاة للبشرية من هذا الهول والفزع والاضطراب إلا بنشر وإذاعة تعاليم الإسلام الذى لم يفرق بين لون ولون ، ولا بين جنس وجنس ، وإنما جعل التفاضل بالتقوى والعمل الصالح .

رابعا : التعارف بين أفراد هذا النوع وجماعاته ، فإن منطوق قول الله تعالى : (لتعارفوا) يجعل التعارف بين أبناء بنى آدم من أسمى الأهداف للحياة ، ذلك أن التعارف إذا تم على الوجه الذى ينشده الحق ويتطلبه الكمال يحقق معانى السعادة فيتم تبادل المنافع بين الشعوب والأفراد وتتعانق الأرواح وتأتلف القلوب وتشيع بين الناس معانى الإخاء والتعاون والبذل فيعطف الغنى على الفقير ، ويسعى العالم فى إرشاد الجاهل ويقوم العامل بمساندة الخامل .

وفى الحق إن الجماعة البشرية لا يتحقق لها الخير إلا إذا تعارفت وأعطت لهذا التعارف حقوقه ووقرته وكرمته ، فليس المراد من التعارف بمجرده ، وإنما يراد منه ما يقتضيه ويترتب عليه على حد قول الله تعالى فى موطن آخر من كتابه الكريم : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » .

خامسا : العمل على أن يكون كل إنسان قدوة صالحة لغيره . فرب البيت قدوة لأولاده ؛ فليكن فى سلوكه وتصرفه قدوة حسنة . والحاكم قدوة لرعيته ، فليكن قدوة حسنة فى عدله ورعايته للصالح العام . والعمدة قدوة فى قريته ، فليكن رحيما عادلا لا يقسو على الظالم ويرحم الضعيف . ورئيس المصنع قدوة لعمال مصنعه ، فليكن قدوة لهم فى الأمانة والجد والنشاط . والعالم قدوة لتلاميذه، فليكن قدوة حسنة لهم فى البعد عما يشين. وناظر المدرسة ومدرس الفصل وأستاذ الجامعة كل هؤلاء وأمثالهم يجب أن يكونوا أمثلة كريمة فى الخلق والسلوك حتى يقتدى بهم ، ولقد كان لسلوك النبى صلى الله عليه وسلم وما عرف عنه من صفات فاضلة

(البقية ص ٣٥٣)

البابيّة والبهائيّة

للأستاذ كمال الدين الطائي

في مدينة (شيرازا) من مدن إيران ولد ميرزا على محمد الذى يدعى الانتساب إلى الحسين بن على ، وبعد أن ترعرع وتلقى بعض مبادىء العلوم على الشيخ أحمد الاحسائى ، اشتغل بالتجارة ، ولما بلغ الخامسة والعشرين ادعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر ، وكان ذلك فى سنة ١٢٦٠ هـ ، وأنه أوتى علم الإمام النورانى وتبعه أناس اعتقدوا أنه حجة فيما يقول ثم ادعى بعد ذلك أنه هو الإمام المنتظر وأن الله قد حل فيه .

ولما اطلع العلماء على دعواه هذه طلبوا من أولى الأمر عقد مجلس مناظرة بينهم وبين هذا المدعى ، فعقد المجلس وناظره العلماء ، وردوا على دعواه ، وسفهوا آراءه ، ولما رأوا إصراره على الضلال وعدم رجوعه إلى الحق أفتوا بكفره .

ثم إن الحكومة اعتقلته ، وعقدوا مجلسا لمحاكمته ، وبعد أن ثبت مروقه عن الإسلام وإيقاده الفتنة فى البلاد ، صدر الحكم بإعدامه فصلب فى (تبريز) سنة ١٢٦٥ هـ — ١٨٥٠ م .

وقد ثبت أن الذى دفع (الباب) لهذه الدعوة إنما هى الحكومة الروسية ، وكان يرعاه الأرمنى الروسى (منوجهو خان) حتى إن هذا أخفى الميرزا على محمد فى بيته أربعة أشهر عندما طلبته الحكومة الإيرانية . . وأن هذا الروسى قد مون الحركة البابية بأموال طائلة ، للإخلال بالأمن فى بلاد إيران والبلاد الإسلامية المجاورة .

يقول الدكتور محمد مهدى خان فى كتابه (البهائية) : إن الحكومة الروسية رأت تنفيذ أغراضها فى إيران بتقوية القوم ، فأخذت تسامح فى بلادها وأعطت لهم حرية كاملة فى إظهار دينهم فبنوا لأنفسهم معبدين أحدهما فى (باكو) والثانى فى (عشق آباد) .

وكان من أتباعه الميرزا حسين على المازندرانى الملقب بهاء الله ، وهو رجل فارسى نسبا ، وشيعى مذهبا، متصوف ظاهرا ، ادعى أنه هو الموعود الحقيق ، والمسيح المنتظر ، وأن الباب لم يكن إلا مبشرا وداعيا له ، فمثله معه كمثل يوحنا المعمدانى مع عيسى عليه السلام .

ولقد قبضت الحكومة الإيرانية على هذا البهاء وأبعدته إلى بغداد سنة ١٢٦٩ﻫ ومعه أخوه صبح أزل . وبعد برهة من الزمن حدث شقاق بينه وبين المسلمين، فقررت الحكومة العثمانية التى كانت تدير العراق نفيهما مع أتباعهما إلى أدرنة ثم حدث خلاف بين بهاء الله حسين على وأخيه ميرزا يحى الملقب بصبح أزل ، فنفت الحكومة بهاء الله وأتباعه إلى عكة فى فلسطين ، ونفت صبح أزل وأتباعه إلى قبرص، وكان هذا من سيئات الدولة حيث سمحت لهؤلاء الإيرانيين أن ينشروا هذا الضلال فى بلادها ، مع أن حكومة إيران قاومت تلك الدعوة فى بلادها ، أما الآن فإن البهائية قد عادت إلى إيران ، وأخذت تنشر تعاليمها فى ربوع تلك البلاد ، وتبنى الحظائر فيها (أى معابدها) .

لقد أخذ البهاء وأتباعه يحرفون آيات القرآن ، ويصرفونها عن معناها الحقيق، ويستهوون بهذيانهم هذا فريقا من أبناء الإسلام كالباطنية .

وهاهو ذا الميرزا على محمد يقول فى تفسيره لقول الله : « إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » المراد من يوسف الحسين بن على والمراد بالشمس فاطمة وبالقمر محمد، وبالنجوم أئمة الحق فهم الذين يبكون على يوسف سجدا. هذا نموذج من تلاعبهم بكتاب الله ، ويفسرون آياته بمثل هذا الهراء .

إن الديانة البهائية مزيج من الديانات: البوذية والبرهمية والزرادشتية واليهودية والمسيحية والإسلامية ، ومن اعتقادات الباطنية والصوفية . ومن مبادئها :

* أن الشريعة البهائية ناسخة للشريعة الإسلامية .

* أن البهاء هو المظهر الكامل لله، وأن أستاذه ـ أى الباب ـ قد بشره به ، وأن وجود ميرزا على كان تمهيدا له .

* أن الصوم تسعة عشر يوما من شروق الشمس إلى غروبها، وأن يكون

ذلك فى الربيع بحيث يكون عيد النيروز هو أول عيد فطرهم . .

* أما الصلاة فتسع ركعات فى اليوم والليلة ؛ وتكون التكبيرة (يابهاء الله).

وأن تكون قبلتهم مدينة (عـــكا) فى فلسطين التى قبر فيها بهاء الله ؛ وقد قال هو نفسه : إذا أردتم الصلاة فولوا وجوهكم شطرى الأقدس ؛ ويقول ابنه عبد البهاء عباس أفندى : يلزمنا التوجه إلى مركز معلوم وهو مظهر الله - يريد بهـاء الله .

أما الحج فقد أبطله إلى مكة ، وأوصى بهدم بيت الله الحرام عند ظهور رجل مقتدر من أتباعه . أما أعيادهم فأولها عيد النيروز ، وعيد الرضوان ، وعيد ولادة البهاء الميرزا حسين على . وحرم البهاء الجهاد ، ونسخ حكمه ، ويقول ابنه عبد البهاء : محا آية السيف ونسخ حكم الجهـاد .

وهم لا يؤمنون بالبعث ولا بالجنـة والنـار ، ويفسرون يوم الجـزاء ويوم القيامة بمجىء ميرزا حسين على الملقب بهاء الله .. وأن الجنة والنار فى الكتب المقدسة حقائق مرموزة ، وأن الجنة هى حالة الكمال ، والنار حالة النقص ؛ فالجنة هى الحياة الروحانية ؛ والنار هو الموت الروحانى . .

ويقولون : الله سبعة أحرف مقدسة ؛ تتمثل صفاته الإلهية : القوة ، القدرة ، الإرادة ؛ التأثير ، الكبرياء ، الوحى ، القول ، الحياة .

ويقولون : ظهر الله فى كل من الباب والبهاء ؛ كما ظهر فى الأئمـة الاثنى عشر من قبل . فالرسل السابقون على البهاء إنما بعثوا الإنسانية النائمة ؛ فلما تم التنبيه واستعدت لقبول الفقـه ظهر الله أولا بمظهر الباب ؛ ثم ظهوره فى بهاء الله الذى هو المظهر الأكمل فى آخر الزمان .

وقد رحب اليهود بهذه الحركة التى فيها هدم للإسلام ، لذلك أوعزت القيادة اليهودية إلى يهود إيران أن ينضموا لهذه النحلة ، ففى طهران دخل فى هذه النحلة (١٥٠) يهوديا ، وفى همدان (١٠٠) يهودى . وفى كاشان (٥٠) يهوديا ، وفى كلياكيان (٨٥) يهوديا . وكان اليهود حريصين على انتشار البـابية والبهائية وظهور مبـــادئها ؛ ونسخ مبادىء

الإســـلام ، وإلغاء الجهاد لاستسلام المسلمين لـكل قوة استعمارية .

وقد تزلف عبد البهاء عباس أفندى إلى اليهود لاعتناق نحلته الضالة بقوله : إنه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ويجمعهم على أصول ونواميس موسى عليه السلام الذى يؤمن به الجميع .

لذلك نرى رؤساء البهائية فى العراق من اليهود وأتباعهم من الفرس .

وقال عبد البهاء يبشر اليهود بأن فلسطين ستصير وطنا لهم بعد أن أوحى إليه الإنكليز بتصميمهم على ذلك ، فيقول: سيجتمع بنو إسرائيل فى الأرض المقدسة ، وتكون أمة اليهود التى تفرقت فى الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة .

ثم يقول : فانظروا الآن تأتى طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة ، ويمتلكون الأراضى والقرى فيها ويزدادون تدريجيا إلى أن تصير فلسطين جميعا وطنا لهم .

كل هذه الأقوال كانت مستندة إلى اتصاله بالمؤتمرات اليهودية ، واطلاعه على مقرراتها وخططها .

وقد احتضن الإنكليز البهاء وابنه وأتباعه ، وقد طلبوا من البهاء التجنس بالجنسية الإنكليزية ليحافظ على حياته. أما ولده عبد البهاء (عباس أفندى) فقد كان من أخاص الناس لبريطانيا ، ولخدماته الجلى لها قدم إليه وسام العضوية البريطانية من درجة فارس لقاء مساعدته الحكومة البريطانية أيام الحرب الكونية (العالمية) الأولى .

هذا وقد أصدر القضاء المصرى حكما على البهائية والبهائيين قرر فيه أن هذه البهائية ليست ديانة سماوية ، بل ليست ديانة مطلقا ،وإنما هى آراء قصد بها هدم الإســـلام ونشر الفوضى والإلحاد بين المسلمين .

وإن مجلس الدولة فى القاهرة قد أبطل توثيق الزواج البهائى وجعله فاسدا لأنه لا يعترف بأنه دين أومذهب أو طريقة .

كما أن المحاكم العراقية قد امتنعت عن توثيق الزواج البهائى لأنها غير معترفة بهذه النحلة كدين أو كطائفة ؟

كمال الدين الطائى

العلاقات الدولية في الإسلام

للأستاذ أبو بكر ذكرى

العلاقات بين الأمم والشعوب - إن فى سلمها وإن فى حربها - قديمة جدا تحسب بألوف السنين . وعندما نتأمل موازين هذه العلاقات ونوازن أقدمها بأحدثها نجد فرقا كبيرا يقدم لنا أعظم الحجج وأقوى الأدلة على حتمية التطور الإنسانى العجيب الذى لا يشك فى حقيقته إلا جهول بحقائق التاريخ الإنسانى . وأكبر دليل على تطور الإنسانية من طور الغريزة المطلقة إلى طور الموازين العقلية مسألة الوجود العالمى أى وجود القوانين العالمية التى يراد بها تهذيب « الغرائز الإنسانية الجماعية » أى معالجة عدوان الشعوب بعضها على بعض وهى مسألة حديثة لم تعرف إلا فى القرن العشرين باسم « عصبة الأمم » تلك التى كانت أشبه بحلم لذيذ لم يلبث أن غلبت عليه الغرائز المتأصلة فى الطبيعة الإنسانية ثم ماتت عصبة الأمم ، وتحولت روحها بما يشبه التناسخ المضحك إلى الأمم المتحدة ، وهى بالرغم مما لا يزال يراودها من دائها العضال القديم قدم غريزة الذئب والنمر والأسد - تعتبر شيئا جديدا فى تاريخ الإنسانية ، إذ من ذا الذى كان يدخل فى حسابه أن تقف الجمعية العامة مع مصر بصورة رائعة وتتخطى أمريكا وإسرائيل وبقية الدول التى تدور حول أمريكا كما تدور الأجسام حول الأرض منجذبة إليها بقانون الجاذبية الحتمى لا تستطيع التفصى عنها إلا لحظات عارضة ثم تنجذب إليها من جديد ؟ ! حقا إن هذه الظاهرة الجديدة شىء مدهش ، إن هذا التفصى العالمى عن جاذبية الدولار وصدقات العتاد الحربى وفائض الطعام الذى طالما أذل لها دولا ، وعبد لها أمما يعتبر بحق بدءا جديدا لظاهرة أقوى من التطور الإنسانى وانحسارا بينا لمد الغريزة « الغابية » العدوانية على رغم ما يخامرنا من التحفظ إزاء هذه الظاهرة والأمم التى ظهرت بها ، أتمضى فى إصرار إنسانى كريم لكى تكون جديرة بهذه العظمة التى أدهشت العالم أم تكتفى

بمجرد الشعارات ، ثم تمضى فى سبات عميق ! الله أعلم .

ولا يفوتنا أن نقدر حق القـــدر ، ظاهرة أخرى سبقت الوجود العالمى الذى تحدثت عنه ، وهى ظاهرة عالميـة أيضاً وإن كانت أصغر حجما : ظاهرة إلغاء الرق التى خاصت الإنسانية من نوع من العدوان كان يبنى جدران الفساد الخلق والاجتماعى بأكثر مما تبنيه كل آلات البناء التى تعمل فى أرجاء العـالم كله . وسنتحدث إن شاء الله عن دور الإسلام فى مقاومة هـــذه الظاهرة فى حديث آخر .

وقد يظن كثير من الناس أن الوجود العالمى - وبعبارة أخرى الدولية العالمية - اتجـــاه خاص جاء به العصر الحاضر والتطور الإنسانى الحديث ، وأن الإسلام كان من قدم العهد بحيث لا يسهم فى هذه الظاهرة بنصيب يعتد به ! لا شىء أبعد عن الحق والواقع من هذا الزعم .

إن هذا « الوجود العالمى » أو السياسة العالمية لا يزال ينقصه مزايا « عالميـــة الإسلام » إن ظاهرته لا تزال تتعثر فى سبيل الوصول إلى تحقيق نظرياتها بالفعل ، فقـد تطور معها المكر والاحتيال وأساليب الدهاء السياسى الذى يريك العدو اللدود فى ثياب صديق ، واللص الفاتك فى ثياب الصوفى المتبتل ، [أكاد أتشاءم فأحسبها من قبيل حكاية ذلك الذئب الذى ظهر يوما للأوز والدجاج وفى يده مسباح ورأسه يهتز بالذكر وشفتاه ترعشان بالتسبيح ، فهش الجميع لمرآه وراحوا يسألونه عن ظاهرته الجديدة ؟! فقال : الحمد لله بنيت مسجدا وأريد أن تزورونى فيه . فلما اجتمعت فيه جموعهم أغلق عليهم كل نافذة للنجاة وأعمل أنيابه فى الفرائس اللذيذة حتى أتى عليها]

ويرحم الله أمير الشعراء شوقى إذ يقول فى ذكرى شكسبير :

يا واصف الدم يجرى هاهنا وهنا
قم انظر الدم فهو « اليوم » دأماء[1]

كانوا الذئاب وكان الجهل داءهم
واليوم علمهم الراقى هو الداء

أما عالمية السياسة الإسلامية فقـــد نزلت من السماء دينـا قيما لا عوج فيها ولا أمت ، وكل من حاول أن يخضع

(١) الدأماء : البحر .

قوانينها الإلهية الطاهرة القاهرة لنزوات الغرائز السبعية ، فإسلامه مجرد ظاهر مخالف لمفهوم الإسلام الحق .

ولننظر بعين الاعتبار إلى ما جاء فى هذا الباب من نصوص قاطعة :

أولا : جاء فى الدعوة إلى الحق أن تكون باللين والمحاسنة مهما كانت القوة التى توجهها ذات حول وطول :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ٦٤ سورة آل عمران

ثانياً : الاعتراف بالحق من فضائل المدعوين وأهليتهم للظفر بأجور أعمالهم الصالحة وللإخاء والمساواة : (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) . إلى قوله (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين) ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ السورة نفسها ، (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) ١٩ سورة المائدة .

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ..) ١٢٥ سورة النحل .

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) ٤٦ سورة العنكبوت .

ثالثا : المحافظة على العهود والمواثيق قاعدة المعاملات الدولية والفردية فى الإسلام .

(...والموفون بعهدهم إذا عاهدوا...) إلى قوله تعالى (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) ١٧٧ سورة البقرة (بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين) ٧٦ سورة آل عمران (.. وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا...) ١٥٢ سورة الأنعام (... والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ..) ٧٢ سورة الأنفال (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم

إن الله يحب المتقين) ٤ التوبة (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) ٦ التوبة (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) ٢٠ الرعد (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ...) ٩١ سورة النحل (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ..) ٩٥ سورة النحل .

رابعا : السلام هو القاعدة الأساسية فى المعاملات الدولية :

(ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان . .) ٢٠٨ البقرة (.. فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) ٩٠ سورة النساء (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ..) ٦١ سورة الأنفال (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ...) ٩٤ سورة النساء .

خامسا : الإيمان بوحدة الإنسانية من أهم الأسس للعدالة الدولية :

(كان الناس أمة واحدة ...) ٢١٣ سورة البقرة (ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) ١ سورة النساء (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ..) ١٩ يونس .

سادسا : التعويض لغير المسلم إذا وقع عليه جناية من مسلم :

(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ) إلى قوله تعالى : (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ...) ٩٢ النساء

وإنه لعدل بالغ حد العجب فضلا عن الإعجاب أن يبلغ إنصاف غير المسلم حد فرض الدية له كتعويض وعتق رقبة كفارة عن الجناية وطهارة وبراءة للذمة منها ، أين من هـذا الذين لا يزالون يذبحون مخالفيهم فى الدين أو فى العنصر ذبح الأغنام ويرون فى ذلك مايدخل السرور على أنفسهم كما لو كانوا من وحوش الغـاب فى القرن العشرين . هدانا الله بهدى الإسلام وأقام نفوسنا على صراطه المستقيم ؟

أبو بكر ذكرى

لمحات من نظام القضاء فى الإسلام

للأستاذ عمر الفاروق عبد الحليم

— ٥ —

من قضاء الرسول

يبق من بيان كيفية القضاء فى الحدود وما فى معناها مما رأيناه يدخل فى معنى الدعوى الجزائية فى النظم القضائية المعاصرة - يبق أن ننظر فى ثلاث مسائل كيف كانت الدعوى ترفع إلى النبى عليه الصلاة والسلام ، ليقضى فيها ، وذلك ما نعبر عنه الآن بإقامة الدعوى أو تكليف الجانى بالحضور أمام القضاء . وكيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحقق من صحة التهمة ، وهو ما نعبر عنه بطرق الإثبات ووسائله . وأخيرا : كيف كان ينفذ الحكم على الجانى ؟

فأما عن طريقة رفع الدعوى ، فلم تعرف تلك المرحلة من تاريخ الدولة الإسلامية ما عرفته فيما بعد من أنظمة الشرطة ، التى تختص إلى جانب حفظ الأمن ، بتحقيق الجرائم وتعقب الجناة أو ولاية الحسبة ، التى تقوم أساسا على مراقبة السلوك العام وتوجيهه إلى تحقيق المصلحة العامة واتباع الشريعة والقصاص من الخارجين على النظام ، مباشرة أو عن طريق القضاء . ذلك كله كان تنظيما لاحقا اقتضته درجة التطور والعمران التى صاحبت اتساع أقطار الدولة فيما بعد . أما فى الفترة التى نقف عندها ، فلم يكن من ذلك كله شىء ، ولم يكن هناك وال ، أو عامل مختص بأى من هذه المسائل . وإنما كان الأمر فى ذلك إلى جماعة المسلمين كلها ، فرعا من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأكثر ما يكون ذلك ظهورا فى الحدود التى لا تتعلق بصالح فرد بذاته من الأفراد ، أى التى لا يقع الجرم فيها على واحد بعينه من الناس ، وإنما يتعلق بصالح مجموع المسلمين ، ويمس القيم الأخلاقية الأساسية للمجتمع الجديد . وأخص هذه الأحوال حد الشرب ، أى تعاطى الخمر . هنا لك نرى الخبر ، فى أكثر رواياته ، إن لم يكن كلها ، مبنيا للمجهول نحو : جىء إلى النبى صلى الله عليه وسلم بفلان ، أو أتى بفلان ، بضم الهمزة

وكسر التاء ؛ لأن الذى جاء بمن استحق الحد ، لم يكن فردا واحدا معلوما . ورد فى صحيح البخارى ، من حديث قتيبة ، موصولا إلى أبى هريرة رضى الله عنهما أنه قال : (أتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب، قال صلى الله عليه وسلم « اضربوه » . قال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده ، ومنا الضارب بنعله ، والضارب بثوبه ، فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان » . وفى صحيح البخارى أيضا ، من حديث قتيبة عن أيوب بن أبى مليكة عن عقبة بن الحارث قال : جىء بالنعيمان ، أو بابن النعيمان شاربا ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم من كان بالبيت أن يضربوه . قال : فضربوه ، فكنت أنا فيمن ضربه بالنعال .

فى هذه الأمثلة ، وغيرها كثيرة، نرى الفعل مبنيا للمجهول . ونرى الحال هى الشاهد فقد جىء بمن جىء به شاربا. والشرب حال ظاهرة دالة على فعل صاحبها بتعاطى المسكر، فلا يحتاج الأمر معها ، إلى دليل.

وفى غير هذه الأحوال ، فكثيرا ما كان الذى يقارف ما يستوجب الحد يتقدم بنفسه إلى النبى عليه الصلاة والسلام طالبا توقيع الجزاء، توبة وتطهرا ورجوعا إلى الله . وقد قدمنا من أمثلة ذلك ، فى المقال الثانى : اعتراف عمرو بن سمرة بالسرقة واعتراف الغامدية بالزنا بعد إحصان ، وما كان من أمر رد الرسول صلى الله عليه وسلم لها ، ومجادلته إياها ، وإصرارها على أن يقام عليها الحد . هنا نرى الجانى يقدم نفسه ، وفى الإثبات نرى الإقرار دليل يقين .

أما فى أحوال القصاص ، أى وقوع ما يستوجب القصاص ، فالفعل هنا يقع على فرد معين معروف ، قد يكون هو المجنى عليه ذاته : كما فى الجروح ـ وقد يكون وليه كما فى القتل ، والأغلب هنا أن يتقدم صاحب الشأن نفسه بدعواه . ونحيل فى هذا إلى الأمثلة التى أتينا بها فى نهاية المقال الرابع . من حديث علقمة ابن وائل عن أبيه عن الرجل الذى جاء إلى الرسول بقاتل أخيه . ومن حديث رافع بن خديج عن قدوم محيصة بن مسعود ابن زيد ، وحويصة بن مسعود ، وعبد الرحمن بن سهل إلى النبى صلى الله عليه وسلم . وذكرهم له مقتل عبد الله بن سهل بخيبر، وقضاؤه فى ذلك بالقسامة وغيرها.

فهذه أحوال نرى صاحب الحق فى القصاص يتقدم بطلبه ، مما يصل بنا إلى البحث فيما يكون الدليل وما إجراءات تحصيله؟ وتلك ثانيـة المسائل التى أشرنا إليها فى أول المقال .

كان الأصل فى إجراءات الاستدلال سؤال الجانى عن جرمه ، وكان الأغلب كما مر بنا من أمثلة ، أن يكون جوابه الإقرار به ، وطلب توقيع الحد على نفسه وكفى بالإقرار دليلا متى وافق ظاهر الحال ؛ على أن الأمر لم يكن كذلك دائما فقد يحدث أن يتهم شخص بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويسأله فينكر ما يتهم به . وهنا قد يكون الاتهام بحد مما جعل له الشارع دليلا معنيا لا بد من توافره لثبوته . ومحل دراسة هذه الأدلة هو الحدود ذاتها وليس نظام القضاء ، وهنالك لا يوقع الحد إلا باستيفاء هذا الدليل . على أن الاتهام قد يكون بفعل يستوجب حدا لم يستوجب فيه الشارع دليلا معنيا . فهنالك يكون تحصيل الدليل باجتهاد القاضى ، وقد تقدم بنا فى المقال الثانى أن ولاية القضاء كانت مما يختص به الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ فلا يتناولها وحى السماء خلافا لولاية التشريع ، ونقلنا من حديثه صلى الله عليه وسلم قوله : (ألا إنكم تختصمون إلى رسول الله ، وإنما أنا بشر وإنما أحكم بينكم على نحو ما أسمع) .

وفى هذه الأحوال وهى قليلة . فهنالك من الأخبار ما يفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يحبس المتهم أحيانا لعله أن يراجع نفسه فيثوب إلى إيمانه فيقر بما يتهم به إن كان حقا ، وإلا فلعل من يسوق الاتهام ، وسيأتى حالا أن الحبس كان على معنى ملازمة أحدهما إلى الآخر ـ لعله أن يثوب إلى الحق فيرجع عن دعواه إن كان مبطلا .

يروى النسائى فى سننه ، عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس رجلا فى تهمة أياماً ثم خلى سبيله ، كما يروى عن أزهر بن عبد الله الحرازى ، عن النعمان بن بشير أنه رفع إليه نفر من الكلاعين أن جماعة سرقوا متاعا لهم ، فحبسهم أياما ثم خلى سبيلهم ، فأتوه فقالوا : خليت سبيل هؤلاء دون امتحان ولا ضرب ؟ . فقال النعمان : إن شئتم أضربهم ، فإن أخرج الله متاعكم فذاك ، وإلا أخذت من ظهوركم مثله (أى قصصت منكم بضربكم مثل ضربى لهم

مالم يظهر متاعكم عندهم أو يعترفوا) قالوا: هكذا حكمك ؟ قال: هذا حكم الله ورسوله.

هذا ، ومن المفيد أن نبين أنه لم يكن فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ولا فى عهد أبى بكر رضى الله عنه سجن بالمعنى المعروف الآن : : مكان ضيق معروف له حارس خاص ويغلق على السجين وتقيد حريته فيه ، وإنما وجد ذلك فى ولاية الخليفة الثانى الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حين اتسعت رقعة الدولة.

يقول الإمام ابن القيم فى كتاب الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية : أنه فى الأحوال التى ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس شخصا فى تهمة فلم يكن ذلك على معنى زج الرجل فى مكان ضيق مخصوص ، وإنما كان عبارة عن تعويق الشخص ، ومنعه من التصرف فى نفسه ، سواء فى بيت أو مسجد ، ويتوكل به ذات الخصم أو وكيله يلازمه وكان صلى الله عليه وسلم يسميه أسيرا .

أما التنفيذ ، وهو ثالثة المسائل التى أشرنا إليها ، والتى نتم بها إن شاء الله مايسره لنا من أحكام قضاء الرسول الكريم فى الدعوى الجزائية لنتحدث من بعدها عن قضائه صلى الله عليه وسلم فى الأموال أو الدعوى المدنية ، أما التنفيذ هذا فقد كان شأنه شأن إقامة الدعوى ، ليس له عامل يتولاه ولا إجراءات يتم بها بالذات فكان كل المسلمين أهل لأن يقيم الحد متى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإقامته وهنالك أيضا ، وفى شأن التنفيذ كان الأمر فى أكثر الروايات مبنى للمجهول ، فلم يكن ثمة اعتبار لشخص من يقيم الحد ولا كان الأمر بالتنفيذ يصدر إلى فرد بذاته أو أفراد مخصوصين من بين المسلمين.

ولنراجع أكثر ما مر بنا من صور إقامة الحدود ، نقرأ : « فأمر به النبى النبى صلى الله عليه وسلم فقطعت يده » . من حديث حد عمرو بن سمرة للسرقة . ونقرأ : وأمر بها لحفر (بضم الحاء) لها حتى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فى حديث رجم الغامدية بحد الزنا . ونقرأ . « وأمر النبى صلى الله عليه وسلم من كان بالبيت أن يضربوه » ، من حديث إقامة حد الشرب على النعيمان .

وأما فى القصاص : فقد كان الأصل أن الحق فيه للمصاب أو وليه ، هو الذى يتولى تنفيذه ، والذى يبين من الروايات التى ورد بها أنه كان يجب أن يتم بنفس الطريقة التى وقع بها الاعتداء . على أن

ذلك مشروط بأن تكون طريقة محددة . وأن يكون أثر الاعتداء ثابتا ومحققا ، ومحدد المقدار . أما حيث لا يكون الأمر كذلك فتختلف صورة تنفيذ القصاص عن الصورة التي وقع بها الفعل ؛ بل قد لا يكون ثمة قصاص على هذا النحو وإنما ينظر القاضي فيما يكون الجزاء . وفي الأمر تفصيل .

روى مسلم في صحيحه من حديث محمد ابن المثنى موصولا إلى أنس بن مالك رضي الله عنهما أن يهوديا قتل جارية على أوضاح لها (والأوضاح قطع من الفضة) فقتلها بحجر ، فجيء بها إلى النبي وبها رمق من حياة ، فقال لها : « أقتلك فلان » ؟ فأشارت برأسها أن لا . ثم قال لها الثانية ، فأشارت برأسها أن لا ، ثم قال لها الثالثة فقالت : نعم (والمعنى أنه في كل مرة كان يذكر لها اسما مختلفا وأن الذي ذكره أخيراً كان الجاني ، وذلك ما يتبين من روايات أخرى لنفس الحديث) فجيء به إلى النبي ، فأقر بقتلها . فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يرض رأسه بالحجارة حتى مات . ومن صور التنفيذ ما يتبين من الحديث الذي ختمنا به المقال الرابع عن الرجل الذي عض آخر فنزع يده من فيه فأسقط ثنيتيه فاختصمه إلى النبي عليه الصلاة والسلام يطلب القصاص لثنيتيه فقال له : « لا دية لك » سقناه هناك دليلا على أن المدافع عن نفسه لا قصاص عليه . أو كما نقول بلغتنا الآن أنه لا جريمة في حالة الدفاع الشرعي . ففي رواية مسلم لهذا الحديث دليل على طريقة تنفيذ القصاص . فقد روى في صحيحه عن عمران بن حصين أن رجلا عض يد رجل فسقطت ثنيتاه فاستعدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي : « ما تأمرني ؟ تأمرني أن آمره أن يدع يده في فيك تقضمها كما يقضم الفحل ؟ ادفع يدك حتى يعضها ثم انتزعها » .

ويقول الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : أن ليس المراد بهذا أمره أن يضع يده ليعضها الآخر ، وإنما معناه الإنكار عليه ، أي كأنه يقول : إنك لا تدع يدك في فيه حتى يعضها ، فكيف تنكر عليه أن ينتزع يده من فيك ؟ . ولكن هذا الإنكار مع ذلك يكشف عن طبيعة طريقة القصاص .

ومع ذلك ، فمن أحوال القصاص ما لا يمكن معه الركون إلى التماثل بين التعدي والجزاء . يقول الحق تبارك وتعالى في

سورة المائدة : «وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص» . والمعنى أن العضو من الجسم يقابله قصاصا ذات العضو (مع تفصيل لا تتسع له دراستنا) . ولكن الجروح ذات قصاص أى يقتص فيها إذا أمكن . وإلا فلا قصاص ولكن حكومة عدل ، والتعبير للعلامة القاسمى فى تفسيره المسمى محاسن التأويل . أى أنه فى بعض الأحوال التى لا يعلم فيها درجة الإصابة ككسر عظم وجرح لحم لا يكون الوقوف على نهايته ، يحكم القاضى بما يراه مناسبا من الجزاء وذلك هو معنى العبارة : وإلا فحكومة عدل ؟ (للدراسة بقية)

عمر الفاروق عبد الحليم

(بقية المنشور على ص ٣٣٩)

قبل النبوة وبعدها أكبر الأثر فى إيمان كثير من الناس برسالته وما جاء به .

ولقد كان أبو بكر رضى الله عنه قدوة فى إيمانه ولينه ورحمته ، وكان عمر رضى الله عنه قـــدوة فى عدله وشجاعته ، وسائر أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا قدوة لأمة الإسلام فى إخلاصهم لدينهم وحمايته والدفاع عنه بالنفس والمال ، فكتبهم الله فى الخالدين وأورثهم جنات النعيم . وصدق القائل :

رأيت صلاح المرء يصلح أهله
ويعديهم داء الفساد إذا فسد
يعظم فى الدنيا بفضل صلاحه
ويحفظ بعد الموت فى الأهل والولد

ومن أحسن ما قيل قول محمود الوراق :

المرء بعـــد الموت أحدوثة
يفنى وتبقى منـــه آثاره
فأحسن الحالات حال امرىء
تطيب بعد الموت أخباره

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لنكون قدوة لغيرنا فى صالح الأعمال ، وأن يهبنا السعادة بصحبة من أنعم عليهم من كملة الرجال .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبـــه ؟

على رفاعى

الإسلام والفكر الإفريقي

للأستاذ محمد جلال عباس

مقدمـــة :

كان للانتشار العظيم الذى أحرزه الإسلام فى أفريقية المداريه ، ووقوف المسلمين فى وجه الاستعمار منذ بدايته واستمرار حركة مقاومة الاستعمار فى مختلف أقطار القارة من جانب المسلمين قبل غيرهم ، دافعا للاستعمار أن يبحث عن وسائل ثقافية يحارب بها الإسلام فى القارة بالإضافة إلى وسائله العسكرية والاقتصادية الأخرى .

ووجد الاستعمار وسيلته فى تشجيع الكتاب والمؤرخين والمستشرقين على إساءة سمعة الإسلام فى إفريقية بقصد الغض من أثره الحضارى وإبعاد المثقفين عن السير فى طريقه ، وبلبلة أفكار الشعوب المسلمة فى القارة الإفريقية عن الإسلام وتشكيكهم فيه حتى يخلو المجال للثقافات الاستعمارية كى تنتشر وتحل تدريجيا محل الثقافة العربية والإسلامية التى كانت تأخذ طريقها حثيثا بين تلك الشعوب .

ومن بين الأفكار الخاطئة والمغالطات السافرة التى روجها كتاب الغرب والمستشرقون والمبشرون عن الإسلام فى القارة الإفريقية تلك المغالطة القديمة : أن الإسلام لا ينتشر إلا بقوة السلاح وفضلا عما أضافوه بالنسبة للقارة الإفريقية من أن الشعوب الإفريقية قد قبلت الإسلام ، لأنه دين مادى صرف يدعو إلى الدنيا وملذاتها، ومنها نظام تعدد الزوجات الذى لاقى عند الإفريقيين هوى فى نفوسهم واتفق مع تقاليدهم وعاداتهم .

ومن الأفكار التى نشروها عن الإسلام فى إفريقيا أنه دين يحتوى على الكثير من الغوامض التى تتفق مع السحر والشعوذة التى طبعت الحياة الروحية للإفريقيين ومن ثم قبلوه لتشابهه مع هذه الغوامض التى يؤمنون بها .

ولقد وصف الكاتب الفرنسى (مونتى) الإسلام فى إفريقية بأنه إسلام أسود لما تضمنه من غوامض، وذكر أن له خواصا تختلف عن الإسلام فى سائر جهات العالم وضمن هذا الرأى فى كتابه الذى أصدره

فى أوائل هذا القرن ، وأتى بعده كاتب فرنسي آخر يدعى (كاردير) فكتب كتابا أضاف فيه معلومات جديدة عن الإسلام الأسود مؤكدا بها المغالطات التى أوردها سابقه ، ثم أتى (فاتسنت مونتى) ابن الكاتب القديم فألف منذ سنتين كتابا آخر بنفس عنوان كتاب والده ضمنه كثيرا من المغالطات الجديدة .

وليس من شك أن مثل هذه المغالطات إذا ما تركت دون أن نرد عليها فسيكون لها تأثيرها على السطحيين، وبخاصة أولئك الذين جرهم تيار الحضارة الغربية وامتلأوا بالولاء الذهنى للمستعمرين .

ومما يجدر بالذكر فى هذا المقام أن انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية كان انتشارا تلقائيا خلا من الحروب والغزوات ولئن صحب انتشاره بعض الحروب فإنها لم تكن فتوحات إسلامية ولكنها كانت نزعات قبلية وإقليمية انتهت إلى تكوين إمبراطوريات صبغت بالصبغة الإسلامية بحكم أغلبية سكانها وأسرها الحاكمة .

ويكفى هنا أن نذكر أن إمبراطورية (غانا) حينما سقطت وحلت محلها إمبراطورية (مالى) كانت الحياة الإسلامية قد انتشرت بين الناس، وجاء ملوك (مالى) الجدد على شعوب غالبيتها إسلامية فأصبحوا مسلمين أو تمسكوا بالإسلام لما تضمنه من مبادىء تعين الدولة على القيام بأمورها وحل مشاكلها ومشاكل سكانها .

ولقد وصل الإسلام على يد تجار العرب والطوارق وانتشر بالاحتكاك المباشر بين هؤلاء التجار وبين الشعوب التى تاجروا معها ؛ فقبلوا هذا الدين عن طيب خاطر ودخلوه أفواجا دون حرب أو ضغط أو إغراء ، مدفوعين بمبادئه السامية التى أدرك فيها أهل إفريقيا حلا لمشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية .

خواص المعتقدات الأصلية للإفريقيين :

فبينما دخل الإسلام إلى القارة الإفريقية كانت الأفكار الأسطورية الدينية والفلسفية قد بلغت مدى كبيراً من التعدد والتنوع ، وذهبت إلى آفاق بعيدة من التخيلات والتصورات التى تاهت فيها عقولهم وأرواحهم فلم يكن الفكر الإفريقى قاصرا على الاعتقاد فى ألوهية الظواهر الطبيعية كما كان الحال عند الإغريق والرومان

وبلاد الشرق القديم ، ولم تكن أديانهم توله أشخاصالهم دورهم فى الحياة : كالوذية والزرادشتية والكونفوشية ، ولم يكونوا يشخصوا الظواهر الغيبيةالمؤثرة فى الحياة ، لم تكن أديانهم نوعا من تلك الأديان ولكنها كانت تدور حول مبادىء اعتقادية متعددة تتلخص فيما يلى :

١ — الاعتقاد فى إله علوى أو كائن علوى .

٢ — تقديس أرواح الشخصيات التاريخية وأرواح السلف والاعتقاد فى تأثير هذه الأرواح على حياة الفرد والمجتمع .

٣ — الاعتقاد فى خلود الروح بصور شتى .

٤ — خلع صفات روحية على ظواهر الطبيعة والاعتقاد فى وجود قوى خفية تسيرها وتحكمها .

٥ — الاعتقاد فى وجود كائنات غير إنشائية بعضها شريرة وبعضها خيرة .

وقد ارتبط بهذه المعتقدات كثرة فى المراسيم الدينية الموجهة إلى كل جوانب الطبيعة والحياة الفردية والاجتماعية .

وترتب على هذا التعدد الذى يربك العقل فى المعتقدات ، تلك الزحمة التى تشغل الحياة بالمراسيم إلى اضطراب فكرى وروحى وبينما كانت الجماعة تربط كل جوانب حياتها بالمعتقدات والمراسيم ، كان كل فرد يعيش فى ظل تنازع فكرى ونفسى بين تلك العناصر المتعددة التى يلزمه أن يعتقد فيها جميعا ، وأصبح من الصعب عليه أن يركز ولاءه الذهنى لأى من تلك المعتقدات .

وكان يعيش بذلك فى تيه من المقدسات ضالا لا يجد لروحه ملجأ إذا خلا لنفسه ثم إذا ما أعمل الفكر والنظر إلى ما حوله من معتقدات ومراسيم انتهى به الأمر إلى قبولها دون اقتناع ، واضطر فى حياته إلى مجاراة مجتمعه فيما تفرضه عليه من تقاليد ومراسيم فيغرق فيها دون وعى .

ولقد زاد من الاضطراب الروحى والفكرى عند الإفريقيين قبل الإسلام ما ارتبط بتلك العقائد من أساطير تبعث الخوف غالبا وتوحى بالأمل فى بعض الأحيان من تلك الروايات المتواترة عن الملوك والسلف مما يحتوى عبر الماضى لعالم الحياة .

ومع ذلك كان من بين المعتقدات الإفريقية عناصر تهدى الإنسان إلى الواقع وتنير له السبيل لإدراك حقيقة

الكون والإنسان ؛ فكان الاعتقاد فى إله علوى الذى لا تخلو منه أى ديانة من الديانات الإفريقية القديمة ، والإيمان بانتقال الروح إلى عالم آخر ، والاعتقاد فى الكائنات غير المرئية التى ترتبط بالخير والشر. من كل هذه المعتقدات كان لها أثرها الكبير؛ إذ هيأت للفكر الإفريقى ما يساعد على قبول الإسلام قبولا عقليا لا على الأسس التى ادعاها الكتاب الغربيون والمستشرقون ؛ فلقد احتوى الفكر الأصلى للإفريقيين على العناصر الرئيسية : الإيمان بالله واليوم والآخر والملائكة ثم الكتاب والنبيين .

فكرة الوحدانية عند الإفريقيين :

فإذا تناولنا الاعتقاد فى إله علوى نجده سائدا فى جميع الأديان الإفريقية دون استثناء ، وإن اختلف اسم هذا الإله من قبيلة لأخرى أومن شعب لآخر إلا أنها جميعا تجمع على صفات هى من صفات الله .

ومثال ذلك كان الماندى فى (مالى وغينيا) يعتقدون فى (انجوى) ويقولون بأنه وحيد بذاته قبل الخلق، ثم بث الحياة فى البشر وملأ العالم بقوى من عنده تسير الرياح وتحدث البرق وتجرى الأنهار

وكانت قبائل الكونغو فى (سيراليون وليبريا) تعتقد أيضا فى إله يسمى (انجوى) ويصفونه بأنه الأول والآخر وأنه موجود فى كل الوجود ماضيه وحاضره ومستقبله ، ويعتقدون فى أنه هو الذى يثيب البشر ويعاقبهم بالرعد والبرق وهو الذى يسبب الموت الغامض .

وإذا انتقلنا إلى (نيجيريا) نجد أن قبائل (اليوروبا) التى اعتنق غالبيتها الإسلام كانت تؤمن بإله يسمى (أولورون ومعناها بلغتهم صاحب السموات ويعتقدون أنه خالق كل شىء ويصفونه بأنه قوى عليم قدير على كل شىء .

أما فى (الكنغو) فإن قبائل (الباكونجو) تعتقد فى إله يسمى (أكونجو) هو عندهم خالق الكون وسوى الإنسان مثلما تسوى الآنية الفخارية ، وهو يجل عن الوصف وموجود فى كل الوجود ماضيه وحاضره ومستقبله ، وهو قريب من الإنسان يسمع خطاياه ودعاءه .

وفى جنوب إفريقية يعتقد (الباروتسو) فى إله يسمى (موليم) ومعناها فى لغتهم النور والمظهر الكاشف، وتسمى قبائل (الزولو)

إلها باسم (أونكولونكو) ومعناها اللغوى الأعظم والأقدر ، وعند (الباردتسى) الإله (تامى) ومعناها فى لغتهم المسبب .

وفى جنوب السودان وشمال أوغندة يسود الاعتقاد عند القبائل النيلوتية فى إله يسمى (جوك) ويمكن أن نتبين اعتقادهم فى الأغانى الشائعة عند الشلوك[1] إلى ترتل فى المراسيم ومنها أغنية تقول :

أنا أصلى لجـــوك
الجـــوك هو المعطى وهو الحافظ
آمنت بالجـــوك واستعنت به
فأصبحت مخيفا لأعـــدائى
وأصبح الأعداء يخشون الاعتداء على

وتقول أغنية أخرى يرددها الشلوك عند خروجهم للصيد[2] :

أنا أصلى لجوك أصلى له ليسدد سهامى
فأنا أرمى السهم
ولكن الجوك يوجهه إلى هدفى .

ويضيق المقام عن سرد أمثلة من صور الاعتقاد فى الإله العلوى ، ولكنها جميعا تحمل فكرة الوحدانية وقدرة الله :

« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » فى هذه الإدراكات ما جعل الإفريقيين يؤمنون بوحدانية الله وقدرته الخالقة، فقد وجد فى آيات القرآن ما يتفق مع معتقداتهم النظرية الأصيلة التى كانت عقولهم تتوه وتضل فى اكتشاف حقيقتها واستشفاف أصلها ، فوجدوا فى الإسلام وفيما جاء به القرآن ضالتهم :

« أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير . قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير »[1] .

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقـــوم يعقلون »[2] .

---

(١) وردت فى كتاب القبائل الوثنية فى السودان . تأليف سلجمان .

(٢) قارن الآية : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

---

(١) العنكبوت : ١٩، ٢٠ .

(٢) البقرة : ١٦٤ .

« ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »(١).

« ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »(٢).

لقد وجدت هذه الآيات التى تثبت قدرة الله ووحدانيته وتدعو الله بصفاته وأسمائه ما جذب قلوب الإفريقيين لها مدفوعين بما تأصل فى عقائدهم منذ عصر الجاهلية من بقايا فطرتهم الإنسانية ، وجعلتهم بذلك يقبلون على الإسلام الذى كشف بالعهد لهم عن ضالتهم التى طالما بحثوا عنها ، فأدركوا بوجدانهم الفكرى الإجابة عما كانوا يحسون به فى نفوسهم ويدركونه بعقولهم حينما تتحرر من سلطان الأسطورة والخرافة ، ففكرة الوحدانية وأصل الخلق «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم »(٣).

وبالإضافة إلى فطرة الوحدانية والإيمان بألوهية الخالق الأعظم وصفاته وأسمائه التى تتفق وعظمته وجبروته هناك معتقدات قديمة أخرى فى أديان الجاهلية عند الإفريقيين وجدت أيضاً لها فى الإسلام نظيراً قبله الإفريقيون عقلا ، واهتدوا به من ضلالهم ، ومثال ذلك وجود فكرة هبوط آدم إلى الأرض بسبب المحرمات ، وخلق الإنسان من الطين تلك الفكرة التى نجدها واضحة عند الأشانتى فى وسط (غانا) ولنظهر بوضوح فى أغنية عندهم تقول :

أيتها الأرض التى منحتنى الحياة
أيتها الأرض التى يعود إليها مسيرى
أنا أغنى لك وأخاطبك
وأنت تفهمين غنائى وحديثى

فى هذه الأغنية معنى من الآية : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى »(١).

أما الروح فإن الإيمان بها سائد عند الشعوب الإفريقية فى أصل عقائدهم ،

(البقية ص ٣٦٦)

(١) الروم : ٢٤ .
(٢) الأنعام : ١٠٢ ، ١٠٣ .
(٣) الزخرف : ٩ .

(١) طه : ٥٥ .

نتائج التملك بوضع اليد

للأستاذ سيد عبد الله حسين

– ٣ –

ثامنا : نتائج التملك بوضع اليد المدة الطويلة : (التشريع الإسلامى)

ينتج عن وضع اليد على عقار أو غيره تملك واضع اليد لهذا الشيء متى تحققت شروط وضع اليد عليه، وهى وضع اليد بالفعل مدة طويلة بدون منازعة مدعيا أنها ملكه ولم تخرج عن ملكه الخ. والأصل فى هذا الحكم قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (من حاز شيئا عشر سنين فهو له) ص ٣٢٣ ج ٢ الشرح الصغير وص ٣٢٩ ج ٢ الشرح الكبير .

ومن المسلم به شرعا أن ملكية العقار عن طريق وضع اليد المدة الطويلة تقع على رقبة هذا الشيء وعينه وذاته فلا تشمل حقوقا أخرى متعلقة بهذا العقار – فالتشريع الإسلامى وما أخذ عنه من تشريعات أخرى متفق على أن ملكية العقار وغيره تقع على ذاته لا على منافعه إذا كانت من حق الغير – فمن ملك بيتا صح له رهنه مع بقاء عينه ملكا له – ويصح له ترتيب حقوق للغير عليه كحق استعمال وسكنى وانتفاع مع بقاء العين ملكا له يبيعها أو يهبها لمن يشاء بدون تعرض لما ترتب على هذه من حقوق – فالملكية بوضع اليد المدة الطويلة تفيد ملك رقبة العين فقط دون ما عليها من حقوق – ولكل حق من هذه الحقوق مدة يسقط فيها متى تركها صاحبها ولم يستعمل حقه فيها؛ فيتملكها واضع اليد كما تملك العين بالحيازة المدة الطويلة .

ولا يسقط التملك بوضع اليد المدة الطويلة ولا يمحى الحق الشخصى الذى على العقار كدعوى البطلان لعدم أهلية التعاقد أو لنقص فى إرادة البائع أو دعوى استرداد العقار أو التعويض عن ضرر لحق البائع ؛ فلا تسقط هذه الحقوق بمجرد تملك العين بوضع اليد المدة الطويلة بل لا بد أن تمر عليها المدة المقررة لسقوطها فقد جاء فى الشرح الكبير ج ٣ ص ٢٩٤

مانصه:(وللمميز رد تصرفه نفسه إذا لم يعلم وصيه بتصرفه أو علم وسكت أو لم يكن له ولى إلى رشد) وكتب العلامة الدسوقى فى حاشيته على هذا فقال: (سواء أكان تصرفه بما يجوز للولى رده كالمعاوضة أو بما يجب عليه رده كالعتق والهبة) اهـ .

التملك بوضع اليد ليس فى الحقوق العامة التى يوجبها القانون فهوحق خاص لواضع اليد إن شاء تمسك به ودفع دعوى المدعى الملكية به وإن شاء تركه ، ولا يجب على القاضى الحكم به من غير طلب صاحبه صراحة ويعتبر التنازل عن التملك بوضع اليد حق يختص به واضع اليد أو وارثه فله أن يتصرف فيه بجميع أنواع التصرفات بعوض وبغير عوض بدون إلحاق الضرر بالغير كالدائنين له - فلهم الحق فى معارضته ورد تصرفه الضار بهم .

ويعتبر الرد إيقافا لا بطلانا فإن قضى جميع ديونه دون هذا الحق كان تصرفه نافذا وإلا أبطل تصرفه ودخل هذا الحق فى ماله ويقسم بين دائنيه - فقد جاء فى ص ٣٠٧ جـ ٥ خرشى ما نصه : (وأما رد الغرماء فهو رد إيقاف باتفاق - ورد الغرماء لتصرفات مدينهم إيقاف فإذا لم يردوها أو ردوها وبقيت بين المدين حتى أوفاهم ديونهم فإن أفعاله ماضية) اهـ وفيه أيضا (ورد الولى لأفعال محجوره إبطال باتفاق) اهـ

تاسعا : التنازل عن التملك بوضع اليد وحقوق الدائنين قبل من تملك بوضع الناس (تشريع فرنسى) .

١ — لا يصح التنازل عن وضع اليد مقدما م ٢٢٢٠ وص ٥٦١ جـ ١ فوانيه .

٢ — يمكن التنازل عن التملك بوضع اليد المدة الطويلة لأنه حق خاص، فيجب لمن يتنازل عنه أن يكون أهلا للبيع والتصرفات العقارية ، والتنازل يكون صريحا وضمنيا ص ٥٦٢ جـ ١ فوانيه .

٣ — يجوز لدائنى من تملك بوضع اليد المعارضة بالتملك بوضع اليد بمضى المدة إذا أهمل المدين التمسك بهذا الحق ص ٥٦٢ جـ ١ فوانيه .

٤ — يجوز للدائنين إبطال تنازل مدينهم عن حق التملك بمضى المدة بدعوى (بولين).

عاشرا : التنازل عن التملك بوضع اليد

وحقوق الدائنين قبل من تملك بوضع اليد

(تشريع إسلامى): إن التشريع الإسلامى قد وضع قاعدة مجمعا عليها وهى (إن التنازل عن شىء فرع عن تملكه) فإذا لم يملك المتنازل هذا الحق الذى تنازل عنه فلا تنازل له لأن المفروض أن الحق قد وجد أولا ثم حصل التنازل عنه، وذلك كتنازل وارث عن حقه فى ميراثه من أبيه مثلا وأبوه أو مورثه على قيد الحياة فتنازله باطل لأنه لم يصادف حقا يتنازل عنه.

فإذا تملك الشىء المحوز بوضع اليد فعلا بشروط التملك بوضع اليد كان له كل الحقوق التى لأى مالك، ويسرى على تصرفاته الحقوق العامة من أهلية ورشد الخ، فإذا باع وجب توفر شروط البيع، وإذا وهب وجب توفر شروط الهبة وهكذا.

فإذا أفلس شخص وكان دينه محيطا بماله أو أزيد منه ثم تنازل عن شىء تملكه بوضع اليد المدة الطويلة فيجوز لغرمائه رد تصرفه بإلغائه وإدخال هذا الشىء فى ماله الذى يقسم بينهم وفاء لديونهم، وإذا أهمل المدين فى التمسك بملكية شىء بوضع اليد جاز لغرمائه التمسك بهذا الحق وإدخال هذا الشىء فى أملاكه التى يقضى منها ديونهم، فلدائن المفلس الذى أحاط الدين بماله وزاد عنه أن يقوم مقام دائنه فى إلغاء تصرفه الضار بتركته، وفى إهماله حقا له على آخرين وعلى أى شىء ويدخله فى المال الذى سيقسم بين الغرماء.

فقد جاء فى صـ ٢٦٣ خرشى جـ٥ ما يأتى: (للغريم منع مدينه فى التبرع سواء كان الدين حالا أو مؤجلا، وللغرماء أن يمنعوه من إعطاء أحد الدائنين قبل غيره أو إعطائه كل ما بيده لأحد الدائنين ويردوا فعله ليقسم على (الديون)

-وجاء بصـ٢٦٧ جـ٥ خرشى ما نصه: (إذا كان للمفلس حق على شخص يجحده فيه وشهد له به شاهد واحد ونكل المفلس عن اليمين مع الشاهد فإن الغرماء يتنزلون منزلة المفلس ويحلفون مع الشاهد كالمفلس ويقضى لهم بذلك الدين كما كان المفلس يعمل، ويمينهم (أن ما شهد به الشاهد حق) لحلول كل واحد منهم (من الغرماء) محل المفلس فإن حلفوا كلهم تقاسموا هذا الحق ومن حلف أخذ حصته فقط).

التشريع الفرنسى:

ذكر المشرعون الوضعيون فى موضوع

الملكية بوضع اليد نظريتين هما (نظرية أو بليك - ونظرية بولين) وقد رأيت أن أبينهما شرحا من التشريع الوضعي وأبين أنهما أخذتا نصا من التشريع الإسلامي فقد جاء في القانون المدني م ١١٦٦ و١١٦٧ وشرح العلامة فوانيه ص١٨١ ج٢ ما يأتي:

١ — أن أموال المدين وقت تعاقده وبعد تعاقده ضمان لما تعاقد عليه .

٢ — فإن أهمل المدين المحافظة على أملاكه وحقوقه فلم يرفع دعواه لاستردادها وإعادتها للملكه فلدائنه الحق في الادعاء مكان مدينه وباسمه - وهي دعوى مكان الدائن وباسمه - وتسمى (دعوى أو بليك) .

٣ — وأن تصرف المدين تصرفا يريد به إضرار دائنه والإفلات من دفع ديونه فللدائن رفع دعوى إبطال تصرفاته وتسمى (دعوى بولين) .

فكلتا الدعوتين شرعتا للمحافظة على مال المدين لسداد ديونه والوفاء بتعهداته قبل الدائن فدعوى (أوبليك) لحماية الدائن من إهمال مدينه في عدم محافظته على حقوقه قبل الآخرين ودعوى (بولين) لحماية الدائن من تصرفات مدينه الضارة بضمان أمواله وترفع دعوى (أوبليك) باسم المدين والدائن نائب عنه فهي للمحافظة على حقوقه هو ، وترفع دعوى (بولين) من الدائن باسمه هو فهي تخصه من كل ناحية فترفع على المدين وعلى من تصرف له (شرح فوانيه ص ١٨٢ ج ٢ وما بعدها .

التشريع الإسلامي :

إن التشريع الإسلامي بنى أحكامه على الواقع وعلى ما يقع ملموسا بين الناس ووضع قواعد المعاملة على أسس يطمئن لها الفرد والجماعة ووضع لهذه القواعد تشريعات تقويها وتحفظها من عبث السفهاء وحيل المحتالين فتشيع الطمأنينة والثقة بين الناس وتزدهر الاقتصاديات وتنمو الثروات على أساس من الواقع فنظر للدائن والمدين بنظرة تحفظ للدائن دينه وتحفظ للمدين كرامته وحقوقه ، فقسم الشخص العامل إلى ثلاثة أقسام :

١ — رجل مستور الحال ثقة في معاملته يفي بتعهداته - هذا لا يتعرض له أحد في عمله فيتصرف كما يشاء من غير تدخل من الغير في شئونه .

٢ — رجل تداين وأحاط الدين بماله وتباطأ في دفع ديونه، فلا يجوز له التصرف

فى ماله بغير عوض - (فلا هبة ولا صدقة بغير المألوف ولا عتق ولا إقرار بدين لمن يتهم عليه) وجعل المشرع الحق للدائن فى مراقبة تصرفاته بدون تدخل فيها - فيبيع ويشترى كما يشاء .

فإن خالف هذا الرجل وتصرف بغير عوض ، فقد جعل المشرع الحق للدائن أن يبطل هذا التصرف ويرجعه إلى مال المدين ، وجعل للدائنين الحق فى منع مدينهم من إعطاء أحد الدائنين قبل غيره أو إعطائه كل ما بيده لأحد الدائنين ، ويردوا فضله ليقسم على الديون .

٣ — رجل تداين وأحاط الدين بماله وامتنع من دفع ديونه وطلب دائن حل دينه تفليس هذا المدين وكان مايملكه هذا المدين لا يفى بدينه ، ومتى تحققت كل الشروط المطلوبة حكم القاضى بإفلاسه ومنعه من مباشرة أى عمل فى ماله ونزعه من تحت يده وقسمه على الغرماء بنسبة المديونية، وجعل المشرع للغرماء الحق فى إبطال كل تصرف من الدائن وقع منه قبل الحكم بإفلاسه بشرط عدم وفاء ماله لمديونيته، فإن وفى رأس المال المحجوز عليه للدائنين بدينهم فلا حق لهم فى إبطال تصرفه السابق .

كل هذا مدون فى الفقه الإسلامى منذ البعثة النبوية (٦١٠ م) إلى يومنا هذا موجود فى كتب مذاهب المجتهدين فى باب أو كتاب معروف (التفليس) أو كتاب التفليس وسنسوق نصوصا مؤيدة لذلك .

١ — الفلس له ثلاثة أحوال :

(أ) قبل التفليس أحاط به الدين ، وهى منعه وعدم جواز التصرف فى ماله بغير عوض (كهبة وصدقة وعتق) وله البيع والشراء .

(ب) تفليس عام ، وهو قيام الغرماء عليه ، ولهم سجنه ومنعه حتى من البيع والشراء والأخذ والعطاء .

(ج) تفليس خاص ، وهو خلع ماله للغرماء . (الشرح الصغير ص ١١٠ ج٢ الشرح الكبير ص ٢٦٣ ج ٣) .

٢ — للغريم منع مدينه من التبرع سواء كان الدين حالا أو مؤجلا ، وله منعه من إعطاء غيره قبل أجله أو كل ما بيده ص ٢٦٣ ج ٥ خرشى .

٣ — للغرماء منع مدينهم من إعطاء أحد الدائنين قبل غيره أو إعطائه كل

مابيده لأحد الدائنين وبردوا فعله ليقسم على الديون ص ٢٦٧،٢٦٤ ج ٥ خرشى وقال : (إذا كان للمفلس حق على شخص فجحده فيه وشهد له به شاهد واحد ونكل المفلس مع الشاهد عن اليمين ، فإن الغرماء يتنزلون منزلة المفلس ويحلفون مع الشاهد كالمفلس ويقضى لهم بذلك الدين كما كان المفلس يعمل فيقولون فى يمينهم (إن ما شهد به الشاهد حق) لحلول كل واحد منهم محل المفلس فإن حلفوا كلهم تقاسموا هذا الحق ومن حلف أخذ حصته فقط) اهـ .

٤ — وبسبب الحجر عليه يمنع من التصرف المالى من بيع وشراء وكراء واكتراء ولو بغير محاباة ، وإذا وقع منه التصرف أوقف على نظر الحاكم ردا وإمضاء ص ٢٦٦ ج ٥ خرشى .

ويؤخذ من هذا كله أن المراد إحاطة التعامل بين النـاس بالثقة والطمأنينة والعدالة وحفظ الحقوق وأن الدائن حين داين نظر — أولا : إلى ثروة مدينـه وقدر أنها تفى بدينه وقت التعاقد .

ونظر — ثانياً : إلى الثقـة المتبادلة بين الدائن والمدين فى أداء الدين .

ونظر ـ ثالثاً : إلى أن المشرع أعطاه حق إبطـال تصرف مدينـه إذا أراد عدم الدفع .

ونظر ـ رابعاً : إلى أن المشرع خوله حق الدعوى باسم مدينه لطلب حقوقه التى أهملها المدين أو تركها عمـدا ؛ بل لم يكتف المشرع الإسـلامى بتلك الاحتياطات الحافظة لمال مدينه ولكنه تعداها إلى حرية المدين الشخصية فقرر :

١ — أن الدائن له الحق فى منع مدينه من السفر البعيد الذى يحل الدين فيه فى غيبته ويحكم له القاضى بذلك مالم يكن للمدين وكيل موسر ضامن للحق يقضيه عنـه فى غيبته ، وما لم يكن للمدين مال حاضر يمكن قضاء الدين منه عند حلوله صـ ٢٦٣ جـ ٥ خرشى .

٢ — منع المـدين من الإقرار بدين لمن يتهم على حرصه على نفعه كزوجته الحبيبة وأصله وفرعه الأقربين صـ ٢٦٣ جـ ٥ خرشى .

هـذه التشريعات الحكيمة المحكمة فى معاملات الناس قد وجدت بأصولها فى حياة الرسول الكريم المشرع الأول واجتهد فى بيان شروطها ومبطلاتها

المجتهدون فى حوالى سنة ١٠٠هـ وسنة ٧٠٠م وتعامل الناس بها فى جميع البلاد التى حل بها المسلمون وأخـــذت عنهم فى التشريعات الحديثة - ثم يأتى النائبان (اوبليك - وبولين) ويتقدمان بما يدعيان أنه من أفكارهما ويدخـل فى التشريع الفرنسى من غير ذكر مأخـــذ هاتين النظريتين. هذا يتنافى مع التاريخ والأمانة فى النقل ، ولكن هناك إجماع سكوتى بينهم على طمس معالم الحق وذكر المنهل العذب ، وهو التشريع الإسلامى الذى لا يطالب منهم أجرا ولا شكورا ، فإلى هؤلاء الذين تشربوا التشريع الوضعى وظنوا أنه المثل الأعلى ليعرفوا أنه تشريع دينهم ، وقد آن الأوان ليرجعوا إليه وهو الحق ، والله خير الشاهدين ؟

(يتبع)

سيد عبد الله حسين

(بقية المنشور على صفحة ٣٥٩)

فهم يعتقدون أنها لا تفنى ولكن الجسد هو الذى يفنى ، وأن الوجود يتحقق بالروح التى هى الإطار الشفاف الذى يمنح الإنسان وجوده الإنسانى ، وبخروجها يصبح الجسد عدما : « فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون »[1] .

كانت هذه الأصول التى جاء بها الكتاب والذى حمل أمانته إلى الأرض محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا كانت العقائد الفطرية للإفريقيين قد شابتها الأساطير والضلالات والخرافات والتى جعلت الإفريقى فى فراغ روحى وحيرة عقلية فإن ما جاء به القرآن الذى حمل أمانته للإنسان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبله الإفريقيون عقلا ووعيا جعل الإيمان بالكتاب والنبيين مكملا لإيمانهم بالله واليوم الآخر والملائكة فأصبحوا شديدى الإيمان بالرسول وسنته وشديدى التمسك بالقرآن وتعاليمه .

وهكذا نرى أن إسلام الشعوب الإفريقية لم يكن نتيجة فتح أو حرب ، ولم يكن نتيجة إغراء مادى أو لذات دنيوية ، بل كان اتفاقا عقليا مع الفطرة وجاء تنقية لها وإنقاذا للإفريقيين من من فراغ روحهم والضلالات التى شابت فكرهم ومعتقداتهم ، فقبلـــوه روحا وعقلا لا إرغاما ولا إغراء ؟

محمد جلال عباس

(١) الواقعة: ٨٣، ٨٤ .

نظرات في شعر أبي العتاهية

للأستاذ عوض عوض إبراهيم

— ٢ —

تتتابع أقوال أبي العتاهية فتزداد الظاهرة البينة في شعره وضوحاً وتألقاً، وكأنه ينظر إلى قول الرسول صلوات الله عليه: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» وقوله: «ذهبت المكارم إلا التقوى» وقوله: «كاد الحليم أن يكون نبياً» وهو يقول:

كرم الفتى التقوى، وقوته
محض اليقين، ودينه حسبه

حلم الفتى فيما يزينه
وتمام حلية فضله أدبه

ولقد طلبت فلم أجد نسبا
أبقى لصاحبه من التقوى

ويقرر الرسول أن من الطباع التي تشب وتدرج مع المرء فلا تفارقه حتى يفارق الحياة «الحرص وطول الأمل» ويقول: «خير الغنى القناعة» ويقول: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» فتأخذ بعض هذه المعالم نفس أبي العتاهية فيقول:

وليس الغنى نشب في يد
ولكن غنى النفس كل الغنى

حقاً لقد سعدت وما شقيت
نفس امرىء رضيت بما تعطى

إن الغنى هو القنوع بعيشه
ما أبعد الطامع الحريص من الغنى

الحرص داء قد أضر بمن ترى إلا قليلا
كم من عزيز قد رأيت الحرص صيره ذليلا

ويقول أبو العتاهية، وهو يتمثل - لا ريب - قول رسول الله صلوات الله عليه:

«لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها» وزيادة راوي الحديث أبي هريرة: «فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

فلم أر حظاً كالقنوع لأهله
وأن يجمل الإنسان ما عاش في الطلب

ولقد أعلى الإسلام قدر الحياة باعتبارها دار الخلافة عن الله، ومنطلق الآخرة الباقية التي تكون على قدر ما أفرغنا

فى الحياة من وسع ، وبذلنا من جهد ، وشمرنا للعمل عن ساعد ، ولكن القرآن وضع الدنيا فى موضعها حتى لا تفتن طلاب الحطام عما وراءها من نعيم مقيم وعز باق قال تعالى :

« اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد .. » الحديد : ٢٠

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة .... » آل عمران : ١٤ ، ١٥

ويقول النبى صلوات الله عليه : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ماء)

ويقول : (إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولكنه لا يعطى الإيمان إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الإيمان فقد أحبه) .

ويقول : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) .

ويقول : (الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) . فيقول أبو العتاهية :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه
فما فاته منها فليس بضائر
وإن امرء يبتاع دنيا بدينه
لمنقلب فيها بصفقة خاسر
ولا تعدل الدنيا جناح بعوضة
لدى الله ، أو مقدار نغبة طائر[1]
فلم يرض بالدنيا ثوابا لمؤمن
ولم يرض بالدنيا عقابا لكافر

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا
وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

لعمرك ما الدنيا تعد نفيسة
وإن زخرف الغاوون فيها وزبرجوا
وإن كانت الدنيا إلى حبيبة
فإنى إلى حظ من الدين ، أحوج
اصحب ذوى الفضل وأهل الدين
فالمرء منسوب إلى القرين[2]

---

(١) نغبة الطائر : الجرعة يتجرعها .

(٢) من أرجوزته الحافلة بالحكم الموصولة بموضوعنا .

ويقول الله تعالى : «كل نفس بما كسبت رهينة» المدثر : ٣٨ .

«إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها» الإسراء : ٧ .

«يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم» يونس: ٢٣ .

فنقرأ قول أبى العتاهية :

واعلم بأن المرء مر تهن بما كسبت يداه

إنما الذنب على من جناه
لم يضر قبل جهولا سواه

والبغى يصرع أهله فيدوكهم
وجميعهم من صرعه يناوه[1]

كل نفس ستوافى سعيها
ولها ميقات يوم قد وجب

الحمد لله حينما زوع الخير
امرؤ طاب زرعه وزكا

لا تجتنى الطيبات يوما من الغرس
يد كان غرسها حسكا[2]

ما أنا إلا لمن بغانى
أرى خليلى كما يرانى

لست أرى ما ملكت طرفى
مكان من لا يرى مكانى

لا ترتج الخير عند من لا
يصلح إلا على الهوان

ويقول الله تعالى : «إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا. لقد أحصاهم وعدهم عداً . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا» مريم: ٩٣ - ٩٥ .

«ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم» الأنعام : ٩٤ .

فيقول شاعرنا :

تموت فرداً وتأتى يوم القيامة فرداً

سقطت إلى الدنيا وحيدا مجردا
وتمضى من الدنيا وأنت وحيد

ونقرأ قوله تعالى: «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا» المزمل : ٢٠ .

وقول الرسول لعائشة وقد تصدقت بأمر رسول الله بالشاة وقالت : «لم يبق إلا الذراع» . فقال صلوات الله عليه : «لقد بقيت الشاة ولم يذهب إلا الذراع» .

فترى الشاعر قد أخذ بعض هذه المعانى فقال :

المال ما كان قدامى لآخرتى
ما لم أقدمه من مالى فليس ليه

(١) يدوكهم : يسحقهم .

(٢) الحسك : الشوك .

من حزم رأيك ألا
تكون للمال عبداً
ما تأته من جميل
يكسبك أجراً وحمداً

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه
تملكه المال الذى هو مالكه
ألا إنما مالى الذى أنا منفق
وليس لى المال الذى أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذى
يحق وإلا استهلكته مهالكه

ولعله يلحظ فى البيت الأخير الذين لهم حق معلوم فى مال ذى المال ، كما مدح الله المتقين فقال : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » الذاريات : ١٩.

« والذين فى أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم » المعارج : ٢٤ ، ٢٥ .

والرسول صلوات الله عليه يقول : « إن لك فى مالك شريكين : الحارث ـ وهو الشيطان ـ والوارث ، فلا تكن أضيع الثلاثة » .

ويقول الله تعالى: « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » آل عمران: ٢١ .

وفى السنة المطهرة : «من أحب فى الله وأبغض فى الله فقد استكمل الإيمان » .

فيلحظ أبو العتاهية ذلك فيقول :

لن يصدق الله المحبة عبده
إلا أحب له ومنه وأبغضا

والموت نهاية الحياة ومصير كل موجود سوى الله ، وخالق الخلق ومالك الملك هو الله وحده، بديع السموات والأرض، وفى الأنفس والآفاق تبدو شواهد قدرته ، ومشاهد وحدانيته ، أليس يقول تعالى : « قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » الجمعة : ٨ .

« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » طه : ٥٥ .

« وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون. كل نفس ذائقة الموت» الأنبياء : ٣٤ ، ٣٥ .

« وفى أنفسكم أفلا تبصرون » الذاريات : ٢١ .

وابن عمر رضوان الله عليه يقول : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء».

فيقول شاعرنا :

أؤمل أن أخلدا والمنايا
يثبن على من كل النواحى
وما أدرى إذا أمسيت يوما
لعلى لا أعيش إلى الصباح

يهرب المرء من الموت وما
ينفع المرء من الموت هرب

لمن نبنى ، ونحن إلى تراب
نصير ، كما خلقنا من تراب

ولقد أمر حتى أن يكتب على قبره ..

إن عيشا يكون آخره الموت
لعيش معجل التنغيص

وقد روى أن أبا العتاهية جلس يوما فى دكان وراق ، فأخذ كتابا فكتب على ظهره ، على البديهة :

ألا إنما كلنا بائد
وأى بنى آدم خالد
ومبدؤهم كان من ربهم
وكل إلى ربه عائد
فياعجبا كيف يعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحد ؟
ولله فى كل تحريكة
وفى كل تسكينة شاهد
وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

فلما انصرف أبو العتاهية ، اجتاز أبو نواس بالوراق فرأى الأبيات ، فسأل : لمن هذا ؟ فقيل له : لأبى العتاهية فقال : لوددتها لى بجميع شعرى !

وأبو العتاهية خليق بإعجاب أبى نواس وإن كان يستبين ـ إلى غير حد ـ أمل أبى نواس فى عفو الله فى الأبيات السائرة فى الناس ، التى وجدوها تحت مخدعه فور موته ، وقوله :

من أنا عند الله حتى إذا
أذنبت لا يغفر لى ذنبى !!

وأبو العتاهية يستوحى دعوة القرآن إلى القصد والاعتدال فى النفقة والآيات التى يذم فيها الإسراف والمسرفين ، وقول رسول الله صلوات الله عليه « ما عال من اقتصد » والأثر الإسلامى « لا خير فى السرف » فيقول :

إنما الدنيا متاع زائل
فاقتصد فيه وخذ منه ودع !

ولقد جعل الرسول صلوات الله عليه اليوم الذى لا يزداد فيه علما ، ولا يسدى فيه خيرا من غير أيام حياته ، فيأخذ أبو العتاهية هذا فيقول :

خير أيام الفتى يوم نفع
واصطناع الخير أبقى ما صنع

والنبى صلوات الله عليه يقول : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) .

فإذا قرأنا قول أبى العتاهية :

وارض للناس بما ترضى به
واتبع الحق فنعم المتبع

وثب إلى الخواطر أمثال قول الله تعالى : « قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى » يونس : ٣٥ .

وقول الرسول صلوات الله عليه : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

ولقد أنحى أبو العتاهية باللائمة على الغافلين عن مقتضيات الحياة وضرورة العمل ، والوقت يطحن الوجود غير وان ، وأولئك فى كتاب الله ألوم . فيقول أبو العتاهية :

الناس فى غفلاتهم
والوقت دائرة رحاه
فالحمد لله الذى
يبقى ويهلك ما سواه

كما نقم من أقوام حرصهم على الحياة ، والبخل بإسداء الخير فيها بعد أن قال الله تعالى : « وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » الحج : ٧٧ .

وقال النبى صلوات الله عليه (وخير الناس أنفعهم للناس) .

ومن قديم الحكم : (لا كان من عاش لنفسه فقط) .

وأكد أن بنوة الناس لآدم توجب تحابهم وتوادهم وتعاطفهم ، لا معاداة بعضهم بعضا ، وأن الكمال ينبغى أن يكون هدف المؤمن ومبتغاه . . أليس يقول الله : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » الحشر : ٩ .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار » .

وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى للجنة « وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل » .

وروى الإمام مسلم بسنده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يشب ابن آدم ، وتشب معه خصلتان : الحرص وطول الأمل » فيقول أبو العتاهية :

تعالى الله يا سلم بن عمرو
أذل الحرص أعناق الرجال

هب الدنيا تساق إليك عفوا
أليس مصير ذاك إلى زوال ؟
ولم أر فى الأمـــور أشد وقعا
وأصعب من معاداة الرجال
ولم أر فى عيوب الناس عيبا
كنقص القـــادرين على الكمال
إنك إن تستنشق الشحيحا
وجـــدته أنتن شىء ريحا !

وبعد، فقد بقى فى الديوان الكثير الطيب الذى لم نستعرضه، رعاية للإيجاز الذى ألزمنا به أنفسنا، ولعلى بعدئذ قد كشفت بصدق وسداد عن الظاهرة الفذة المستعلنة فى شعر شاعرنا، واستطعت أن أضع ذلك فى مجال القدوة لشعرائنا ومفكرينا حتى نجد جميعا فى موقف أمتنا الكبرى التى يجب أن تترفع عن الهزل وهى تعد العدة لجولة المصير مع عدو، إن كان يصدر الخنا والفساد للعالم، وترمينا دور أزيائه ومصانع تجميله بما يتلقفه عمى البصائر فرحين متهللين، فإنه فى ساحات الحروب يعمل رجاله ونساؤه وبناته وأبناؤه، ويحشد طاقات الجميع وملكاتهم للمعركة التى يعتبرها معركة بقاء له أو فناء. وما أشد دلالة المحتلة اليهودية التى كانت تعمل فى الجبهـــة اليهودية السورية برتبة جاويش، ودلالة قول دايان: «لقد انتصر الآن الجندى الإسرائيلى كان يحارب وحرارة التوراة تجرى دماً فى عروقه» !

ليت حملة الأقلام تنفعهم الذكرى ؟

معوض عوض ابراهيم

استدراك

وقع سهوا ـ فى العدد الماضى (ربيع الأول) ـ باب (بين الكتب والصحف) ص٢٨٢ تحت عنوان : الأحوال والحريات الشخصية ـ العبارة التالية : (. . . كتب الأستاذ حافظ بدوى . .) وصحة العبارة : (كتب الأستاذ حافظ محمود) .

الإسلام والصحة

محاضرة للأستاذ الدكتور محمود محفوظ وزير الصحة
[ألقيت بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر]

السيد الزميل ، والعالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود (وزير الأوقاف وشئون الأزهر) .

السيد الأستاذ الدكتور محمد الفحام شيخ الجامع الأزهر .

السيد الأستاذ الدكتور مدير جامعة الأزهر .

فضيلة مفتى الديار

الأخ المهندس عثمان أحمد عثمان

السيدات والسادة من الزميلات والزملاء

يشرفنى اليوم أن أقف بينكم ومن على منبركم ، محاضرا عن الإسلام والصحة ، وليس لى أن أفيض عن الإسلام ديناً من ناحية الشريعة ، تلك الشريعة السمحاء القوية النابعة من الأسس الاجتماعية ، أرادها الله أن تكون خاتمة مضيئة للتطور الاجتماعى ، والتقدم الحضارى للبشر عامة ، والعرب خاصة .

وفى ذلك حكمة إلهية ، إذ هبط وحيه جل جلاله على نبى أمى ، فى أمة تناهت فى بدائية الحضارة وانحطاط القيم ، وسيادة شريعة الغاب ، وعدم تكامل للقيم الإنسانية ، مما جعل للعرب فى جاهليتهم صورة إنسانية قاتمة .

ومن تلك القاعدة الحضارية ينتشر الدين الإسلامى فى هذا المجتمع ، فينظم شتات هذه القبائل : يجمعها فى صعيد اجتماعى ، ويرفعها من حضيض حضارى إلى أمة غلبت سيوفها ممالك وحضارات سابقة - الفرس والروم - فى فترة لم تتعد ثلاث أحقاب ، وذلك فى حد ذاته ، من الناحية الحضارية معجزة تضاف إلى سابق معجزات الإسلام ، من وحى يهبط على أمى ، إلى قرآن معجزة لأمة كانت صناعتها الأساسية ، إعجازا فى اللغة والأدب والتعبير - إلى تشريع وسنة ، تشمل تنظيما روحيا فى علاقة الخالق بالمخلوق ، وتنظيما إداريا لأسلوب الحكم من مجالس للشورى والرأى ، وقيادة الجند والأجناد ، وأصول الحرب

والتقاتل ، والتخاصم والتقاضى، وآداب سلوك الفرد نحو نفسه وأسرته ومجتمعه.

ثم زاد الله هذا التنظيم روعة وإبداعا إذ أوضح بلا لبس ولا تعقيد ، نظام المواريث والتعامل الاقتصادى ، بل السياسى ، ثم حقق للمرأة حقوقها الاجتماعية والاقتصادية ، وشرع لها بما لم تأت به أديان سماوية سابقة ، أو نظم اجتماعية متأخرة أو لاحقة .

وزاد هذا الدين بهاء ، أن وضع الله سبحانه وتعالى فيه أسسا اجتماعية ، شملت العلاقات الاقتصادية بين الأفراد والدولة ، أكدها بسلطان العقيدة على تصرف الفرد ، ومثل ذلك فى ربط مبدأ الصدقة المعلن منها والمستتر، كوسيلة لرفع ذنوب الفرد ، وفى ذلك سد لحاجات المعوزين المحتاجين ، وفى هذا ربط متين بين الدنيا والدين .

كل ماسبق، هى أمثلة ، وليست حصراً.

سيادتى وسادتى :

قواعد الصحة هى صحة الروح بما تعتنقه من مبادىء وأصول وقيم . أما صحة البدن فهى قسمان :

الأول منها : ما يتصل بماديات وعضويات سلوك الإنسان ، من مأكل ، ومنام ،وحركة ،وأسلوب حياته الجنسية .

أما القسم الثانى : فهو مايسمى بالناحية الغير عضوية أى الوظيفية وهى وإن اتصلت بالناحية الجسمية إلا أن أساسها ، يتوقف على الناحية الروحية ، ومدى استقرار ظاهر العقل وباطنه ، دون ماقلق أو عدم اتزان يورث الجسد مظاهر عديدة من التلف والمرض .

وفى هذا العرض ، أشير إلى العديد من المترددين على العيادات الخارجية ، الذين يشكون ظواهر المرض بدون أن تبدو عليهم علامات عضوية مسببة لما يشكون منه من أعراض .

والقلق النفسى فى الغرب أو الشرق حيث تداعت القيم وتهدمت الروح ، تحت ضغوط المدنية الحديثة ، وضغوط مادياتها لدليل واضح على صدق هذا المقال .

والإسلام حينما تعرض روحياته لتقويم كيان الإنسان ، واضح فى اتجاهه ، سليم فى نهجه ، حيث يجعل للإنسان إرادة تستند إلى معتقداته الروحية ، والقيم الإنسانية الصحيحة ، التى يرسيها الإسلام فى المجتمع ، فمن صدق، إلى محبة ، إلى إيثار المحتاج على النفس ، إلى التعاطف والتآخى

والتواد ، إلى إزالة العنصرية بين الشعوب محددا العلاقة بين الخالق والمخلوق ، التى لا يحكمها لون ، أو جنس ، أو قوة مال ، أو قوة سلطان ، إنما تتحدد هذه العلاقة بنية صالحة ، تعتمد على قيم واضحة ، تنتهى بعمل صالح ، له نتائجه المادية على المجتمع والفرد ، وبذلك فقط ، يقترب المخلوق من الخالق .

ولقد قام المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، بدعوة إلى التسامح المطلق ، وهو أمر وإن كان مرغوبا ، إلا أنه ينافى الطبيعة الحيوانية والبيولوجية فى الإنسان ، ثم دعا أيضا بالإضافة إلى ما دعى إليه بالمساواة بين العبيد والسادة ، وفى هذا دفع للعنصرية ، وكان أسلوبه فى هذه الدعوة أسلوب المقاومة السلبية .

إلا أن الإسلام ، وقد أقر مبدأ المساواة بين الشعوب والأجناس ، فإنه بذلك قد قرر مبدأ المساواة أمام الخالق ، وأرسى قواعد ثابتة لتنفيذ هذه المساواة ، إذ لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ،

أيها السادة :

إن مدخلنا إلى الصحة كما ذكرنا مدخلان : أولهما : صحة النفس ، وثانيهما : صحة البدن ، أما صحة النفس فإن مدخلها وأساسها كما ذكرنا المعتقدات والقيم ، يشد أزرها صلاة صحيحة ، وصحة الصلاة هنا تعتمد على أساسين : الأول فيهما أنها فترة زمن للتأمل وهى فى العرف العلمى تداع حر Free Association بين العقل الظاهر والباطن ، تسمح بالنقد الذاتى ، وموازنة بين أوامر الخالق ونواهيه ، وفيما تصرف فيه ابن آدم فى يومه أو فى وقته وقد قسمها الله تعالى ، على خمسة مواقيت تتفق مع النشاط الجسمى للإنسان ، متناسقة مع قدرة العقل والجسم على العمل ، إذ أنه من المسلم به فسيولوجيا أن أطول مدة يعمل فيها الإنسان باستمرار ، هى ثمان ساعات متصلة وهى تقريبا المدة بين صلاة الفجر والظهر وتلك حكمة إلهية ، لم نستطع نحن معشر الأطباء أن نصيبها ، إلا بعد أن آتانا الله من العلم قليله .

ولاشك أيها الزملاء ، أن الصلاة بشكلها الصحيح ، ستؤدى بالإنسان أن يصحح بذاته أعماله ، يرسمها ويعدلها طبقا لما أمر به الله ، وما نهى عنه سبحانه وتعالى ، لأن الصلاة هى صورة من

صـــور الإيحاء الذاتى بالتصويب Auto-suggestion والإيحاء الذاتى هو منطلق من إرادة الإنسان ينتهى به إلى تصحيح عمله، وأسلوب معاملته مع الناس ولى أن اجتهد فى تفسير الآية الكريمة، فى كل ماسبق على أسلوب التحليل النفسى الذاتى، بأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ... الخ الآية الكريمة .

أما الباب الثانى: عن الصحة - كما شرحنا سابقا - فهو صحة البدن، والقرآن والأحاديث مليئة بالتنظيمات الوقائية والصحية، وسلوك النظافة، بما ينطبق تمام الانطباق مع القواعد العلمية الحديثة، فقد حدد القرآن بما لا يقبل الشك، الوضوء والغسل، وربطهما ربطا محكما بالعبادة، وقدرها على شعب يعيش فى صحراء، يقل ماؤه، ويعز على أهله إهراق الماء فى غير شراب الإنسان والحيوان، وتبدو هنا قوة العقيدة الإسلامية واضحة جلية على مر الأزمنة، فهذا الرباط الروحى المادى بين الوضوء والصلاة حدد مسلك النظافة، وأخرج للعالمين أمة تخلصت من أوزار الروح، وأقـــذار الجسد، وإن شئنا أن نستفيض فى هـذا فغسل الأيدى قبل الطعام، وما فى ذلك من حفاظ على الجسد من الأوبئة والأمراض، إذ قال رسولنا الكريم مؤيدا هذا السلوك «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده» :

واسمحوا لى أن أذكركم أيها السادة، - ومنكم العلماء فى التاريخ وعلوم الاجتماع والشريعة السمحاء - بما كان عليه العرب قبل الإسلام من تحلل روحى، وقذى جسمى، وسلوك غير آدمى .

وإن استطردنا فى هذا المقام فقص الأظافر والتطهر من الجنابة والتطيب فى المساجد وقص الشعر واستخدام السواك حفاظا على صحة الفم والأسنان .

ولقد علمنا الإسلام وأكد علينا الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع أصول نظافة الثوب والمكان والمأكل والمشرب بل زاد على ذلك أن جعل النظافة جزءاً من العبادة يثاب المرء عليها . ثم أكد علينا أسلوبا صحيا وقائيا فى عدم تلويث الماء بفضلات الجسم، وما أحوجنا فى بلادنا هذه إلى اتباع هذه النصيحة ؛ فنها منطلق للقضاء على أكثر الأمراض الجسمية فتكا بأبناء هذه الأمة، وهى : البلهارسيا

البولية والبرازية والكوليرا والنزلات المعوية والديدان الطفيلية .

وجلي أن رجال الدين من هذا المنطلق يستطيعون أن يحدثوا معجزة فى تطوير سلوك الناس فى هذه الأمة ، بما يحقق نجاح القضاء على هذه الأمراض التى توصل الطب إلى الحد من ضراوتها ، ولم يستطع القضاء عليها كليا .

ولا تأخذكم الدهشة - أيها الزملاء - حينما تجدون أن الصحة الوقائية الحديثة ومبدأ الرعاية الصحية (الحجر الصحى) قد أرساها الرسول عليه الصلاة والسلام . حيث قال : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها . وإذا وقع بأرض وأنتم بها ؛ فلا تخرجوا منها » .

وسعد بن أبى وقاص حينما أمر جنده أن يقيموا بالجاف من الأرض ، ويبتعدوا عن الرطب منها .

هذه هى مبادىء الرعاية الصحية الكاملة الشاملة لدرء خطر الأوبئة بمنع دخولها أو بحصرها فى أماكن وقوعها ، وفى هذا المجال أذكر بمزيد من الإعزاز والفخر ، ما قام به زميلى العزيز الدكتور وزير الأوقاف ، وزملاؤه من بعثة الأزهر الشريف من تطبيق هذه المبادىء الإسلامية الرفيعة ، والفنية الدقيقة على أنفسهم ، وكانوا بذلك نعم القدوة وخير المثل بالامتثال لأوامر الشرع والصحة ، فى بقائهم فى مراكز الرعاية الصحية على أثر عودتهم من حجهم المبرور ، دون تبرم أو ملل ، ولكنى أؤكد أن الرعاية الصحية فى المستقبل ستكون متطورة بما يجعلها أمراً ، الناس فيه راغبة وليست كارهة .

إن البدانة مظهر من مظاهر المرض ، وقد أثبت الطب الحديث هذه العلاقة الأكيدة ، بينها وبين أمراض القلب والمعدة والكلى والكبد ، إن الدين الحنيف لم يغفل رسم الأسلوب الصحيح فى هذا المجال ، وغنى عن البيان ، أن الصيام والحمية وتخير أصناف الطعام وعدم الامتلاء والشبع ، والاكتفاء بالقليل من الطعام ، هى فى مضمونها وجوهرها أسس العلاج الحديث للبدانة وأمراضها .

سيادة الأخ الوزير - زملائى :

إن تقدم الشعوب لا يعتمد على امتثالها للسلوك القويم فى المعاملات المادية واليومية فحسب ؛ بل فى سلوك الأفراد : الفردى والجنسى ، فقد نظم ديننا الحنيف وشريعتنا

السمحاء عن طريق ما جاء به القرآن الكريم فى عديد من السور والآيات ، العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة وحرمها بين الجنس الواحد ، مبينا شروط الزواج عرضا وقبولا ، عقداً وصداقا ، عشرة وطلاقا ، وحدد الشرع أصول الطلاق وهو كضرورة اجتماعية ، بأنه أبغض الحلال فى ديننا ، وهو إن كان حقا للرجل ، فهو أيضا حق للمرأة ، وقد تمخضت علوم الجنس الحديثة عن تقسيم علمى دقيق ، للسلوك الجنسى للرجل والمرأة ، بأنهما تتأرجح بين السادية والخضوعية وأن حقيقة التوافق الجنسى بين الرجل والمرأة هو قدر متناسق ومتضاد ، بين السادية والخضوعيــة ، أيا كان موضعهما فى الزوجين ، وليس أدعى من احترامنا لديننا أن نرى فيــه تحقيقا لهذه الحقيقة العلمية إذ جاء فى سورة النساء الآية الكريمة : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن » . فالضرب صفــة سادية ، والهجر صفــة خضوعية ، فلو اجتمع رجل وامرأة وكانت طباعهما سادية فإن حياتهما الجنسية لا تستقيم إلا بتصرف سادى المظهر كالضرب مثلا ، وإذا كانا على طبع خضوعى فإن حياتهما لا تنسجم إلا على نسق خضوعى ، وهو الهجر فى المضجع ، إلا أن الدين الحنيف ، منع واستبشع استخدام الألفاظ الجارحة والمعــانى المؤذية والمهدرة للكرامة الإنسانية التى تؤدى إلى الفرقــة النفسية إذ أن هذا النوع من المعاملة لا يدخل تحت بابى السادية أو الخضوعية .

وإذا كان الإسلام قد أوجب على المجتمع الإسلامى التعرض بصراحة دون إباحة ، وبتوضيح دون تصريح ، لبحث شئون الجنس ، فإن القضية اليوم ، هى قضية الأسلوب بتعريف المسلمين بأصول الجنس ، وإذا كانت أوروبا تشهد الآن صراعا تربوياً عنيفاً فى أسلوب تعريف الأفراد بشئون الجنس ، إلا أن ديننــا الحنيف قد أرسى القواعد السليمة لهذا التعريف ، فهو تعريف البالغ الرشد ، وليس تعريف الأطفال والأحداث ، بل أيضاً ربط ذلك بالقواعد الروحية السليمة جاعلا من قيم الإسلام سداً منيعاً للتطرف والانحراف ، فى أسلوب تعليم الجنس . ومن هذا المنطلق يبدو

أن الأسلوب السليم هو تنشئة النشء على قواعد الدين ، قبل البلوغ تنشئة صحيحة سليمة ، على أن تدعم العلوم الحديثة البيولوجية عقل النشء بالقواعد البيولوجية للتكاثر والتناسل ثم تأتى الحلقة الأخيرة فى سن الشباب والرجولة توضح بها الأساليب الصحية للعلاقات الجنسية المرعية .

وفى هذا العرض ، أود أن أذكركم بما جاء فى قرآننا الكريم من وصف لتكوين الجنين والحمل والرضاعة والفطام أصولا وقواعد ، لم يزد العلم الحديث عليها أو فيها شيئاً يذكر .

وكان لاهتمام الإسلام بتكوين المجتمعات وتأليف قلوب الناس وجمعهم على الطاعة ، وتعويدهم النظام الفضل الأكبر فى انتشار الإسلام فى فترة وجيزة فى أكبر رقعة جغرافية فى القرن السابع الميلادى ، ولكن المسلمين حادوا عن شرعهم ونظمهم ، بما أدخلوه أو أدخل عليهم ، من عادات ومفاهيم أخرجتهم عن الطريق السوى السليم ، فتوقفت موجة الحق فى انتشارها شرقا وغربا ، ثم تجمدت الطاقات الإسلامية الخلاقة ، تحت وطأة الرجعية السلجوقية والتركمانية والتركية ، ثم انتهى الأمر بالتسلط المادى الأوروبى ، على أقدار الأمم الإسلامية ، ولكن بعض المفكرين العرب أمثال الأفغانى ومدرسته الرشيدة والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، أوقدوا نور الهداية ، وشعلة التطور ، وإنى لأراها اليوم متأججة مشتعلة برعاها الأزهر الشريف .

سيداتى وسادتى :

وليس أدعى أن نبسط لكم اليوم مشكلة العصر وهى الموازنة الدقيقة بين الدخول والإنفاق والإنتاج والاستهلاك وحين كان الإنسان فى مجتمع زراعى أو قبلى كانت هذه الموازنة الدقيقة غير ذات موضوع فالانتاج والدخل خاضعان لقدرة الفرد على جمع المحاصيل وتخزينها وبالتالى فإن النسل المتزايد أمر لامفر منه فى زيادة الدخل والإنتاج ولكن الأمور تنقلب إلى عكسها إذا قلت الرقعة الزراعية وزادت الكثافة السكانية وأصبحت الموازنة الدقيقة بين الدخل والإنفاق والإنتاج والاستهلاك أمرا يصعب تحقيقه ليس على مستوى الفرد فحسب بل على

مستوى الدولة ، وحينئذ تعمل الدولة بسرعة وبجد وبهمة لا تفتر إلى التحول الصناعى لامتصاص الزائد من الأفراد لزيادة الدخل القومى عن طريق الصناعة رائدها فى ذلك إيجاد الموازنة الدقيقة بين الإنتاج والإنفاق ورفع مستوى المعيشة ودعم الاستقلال الوطنى بتهيئة الظروف للاستقلال الاقتصادى . ومن ثم بأن يكون للدولة جيشها القوى وسندها الأبى فى دفع الضرر والحفاظ على الاستقلال .

ومن إرادة الإنسان ودعوة الإسلام للفرد أن يقدر بإرادته أموره كلها فيما جاء فى الحديثين الشريفين (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى) (اعقلها وتوكل) فالمرء مسئول بنيته أن يكون راعيا لأسرته كما وكيفا ، فيختار الأم الصالحة لأولاده وينظم عددها وفقا لجهده ورزقه غير متناس أن إرادته تخضع لمشيئة الله بتوفيقها إلى تمام عملها ، وما التوفيق إلا من عند الله . وقد أجاز فقهاء الحنفية وغيرهم من الأئمة المجتهدين فى علم الشريعة السمحاء بعض الأصول والقواعد الفسيولوجية فى منع وصول ماء الرجل إلى رحم الأنثى مقيدين ذلك بنية الزوج وزوجته وإرادتهما واتفاقهما ، أليس فى ذلك أعلى مراتب التنظيم والمسئولية الإنسانية نحو الأسرة رعاية وتنظيما وتحديدا ؟

ولا يجب أن ننسى أن الدين قد حرم علينا الإجهاض إلا لضرورة صحية ، ولكن الدين لا يحرم علينا أن نفكر فى شئوننا وندبر أمورنا بما لا يتعارض مع اقتصادنا ولا يكون ذلك إلا باتباعنا أوامر الدين ونواهيه وترشيد الأئمة والعلماء للخاصة والعامة وقد أشار القرآن الكريم إلى تحريم قتل الأولاد خشية الإملاق ، وقد يتعارض شكل ومضمون هذه الآية مع ما نورده من قواعد وأسس ، ولكن الحقيقة أن هذه الآية كان أسباب نزولها هو عادة ذميمة ليس لها سبب اجتماعى أو إنسانى تفشت فى مجتمع متبربر جاهلى كان المرء فيه لا يملك إلا أود نفسه ، وهيهات الوضع أن يكون كذلك حين تكون الدولة مسئولة عن كل المواطنين خاصهم وعامهم .

أيها السادة والسيدات

قال رسولنا الكريم : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ، وفى هذا المقام يدفعنا الرسول الكريم إلى الأخذ بكل ما سبق والعمل بدون ما ملل والاجتهاد

بدون ما كل يستوى فى ذلك اجتهاد علماء الشريعة وعلماء الطبيعة .

أستاذنا الجليل والسادة الزملاء

أختم حديثى هذا بعود إلى مشاكل التطور فبحكم تطورنا الاجتماعى وانطلاقنا الرشيد نحو التصنيع والتغيير التكنولوجى والعلمى الشامل الذى واكب الثورة الصناعية فى القرنين السابقين ثم الثورة الخضراء فى القرن الحالى والمقصود بها هنا تطبيق التطور العلمى على الإنتاج الزراعى ميكنة وتسميدا وتحسينا لنوعية البذور وتطويرا لطرق الرى والصرف وتخزين الناتج من الزرع والثمار وتصنيعها لكل هذا النتاج بحكم كل هذا التطور والتحدى الأكبر لمصير الأمة العربية وكرامتها . والإسلام دينا وثقافة وقيما قبل ذلك التحدى الذى فرضته علينا الظروف السياسية والعالمية والمحلية فنحن - شعبا وحكومة وسلطة تشريعية وسياسية - مسئولون بل مكلفون بإقامة مجتمع سليم الروح والجسد تظله القيم المثلى ليقف كما وقف دائما فى ماضيه وحاضره شامخا أبيا مستعدا للمواجهة الشاملة .

ومن هذا الموقف موقف المجابهة الشاملة مع عدو وصفه الله سبحانه وتعالى فى الإنجيل والقرآن بأنه ناشر للعداوة والبغضاء يستبيح دماء الأنبياء غارق فى العنصرية متباعد عن كل القيم الإنسانية - وجب علينا أن نتدبر الأمر ونعد العدة ونغير ما بأنفسنا حتى يعاوننا الله على تغييرها إلى أفضل صورة تتيح لنا استرداد السليب من أرضنا ورد الحقوق إلى أهلها ولن يتأتى ذلك كله إلا عن طريق تقويم ما اعوج من أنفسنا وما اعتل من صحتنا وبتحسين اقتصادنا وبتنظيم جبهتنا الداخلية .

وإن كان للدين وعلمائه ورجاله الدور الهام الأصيل فى تقويم الروح ، ولرجال الصناعة والاقتصاد الدور التخطيطى المكين فإن للصحة أطبائها والعاملين فى مجالاتها - مسئولية تقويم صحة الأبدان فالإنسان السليم هو عدة الإنتاج وعماد قواته المسلحة .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

مشاكل القاعدة الشعبية

للدكتور مصطفى كمال وصفي

البيئة السياسية الإسلامية

– ٢ –

تهيئة البيئة الإسلامية القاعدة على تحمل الخطاب الشرعى والتكليف أمر عظيم الأهميــة ولا يستقيم التشريع الإسلامى بدونه .

والعبادات – كما قدمنا – هى التى تزكى حرارة الإيمان فى نفوس الناس ، وتعىء أرواحهم للحق والامتثال لأمر الله الكريم .

وبذلك لا يعود غريبا أن نجد العبادات دائما فى مقدمة كتب الشريعة الإسلامية قبل التعرض للمعاملات والأحكام .

* * *

وتهيئة الأمة بهذا الشكل هو الذى يعطى العبادات أهميتها الدستورية البالغة على الوجه الذى قدمناه .

لأن التوعية الشعبية هى جزء من أهم أجزاء النظم الدستورية الحديثة ، وأصبحت لها المكانة الأولى فى هذه النظم .

فمنذ أن فطنت الأفكار لأهمية القاعدة الشعبية ، وتحولت نحو تقديرها أصبحت التوعية من أهم ما تعنى به النظم الحديثة ، لأنها هى التى تدعو الأفراد إلى التماسك حول المبدأ الذى تقوم عليه الدولة والتفانى فيه .

والدول الحديثة تقوم بذلك على صورة تناسب المبادىء التى تعتنقها .

فالدول تتخذ شعارات معينة كالأعلام والدروع والنصب التى تقيمها إحياء لمثلها العليا كالجندى المجهول وكبار الأبطال ، وتقيم المبانى الضخمة لمؤسساتها الوطنية الكبرى لمجلس الشعب ودور الحكومة والقضاء ونحو ذلك لتبعث الرهبة فى النفوس بآيات الفخامة وروعة الفن حتى يتشبع الناس باحترام هذه المثل والشعارات .

وهى تستعين أيضا على إثارة حماسة الشعب ، وتوعيته بالأناشيد القومية

والموسيقى والتمثيل والقصص الهادف والإذاعات الموجهة بالراديو والتليفزيون والسينما ونحو ذلك على أوسع نطاق ، كما تنشىء الوحدات الشعبية أو الأحزاب - فى بلاد الأحزاب - وتعقد المؤتمرات والحفلات ونحو ذلك لهذه التوعية التى أصبحت بلا أدنى شك من أهم مطالب الدولة الحديثة وتشرف عليه وزارات ومؤسسات ضخمة ذات ميزانيات هائلة فى معظم البلاد .

وهذا الدور الدستورى الهام فى التوعية الشعبية يقابله تماما عندنا فى الإسلام : العناية بالعبادات بأنواعها ؛ فإن الناس عندما يجتمعون فى المساجد إنما يتدارسون القرآن والسنة المشرفة ويتذاكرونها وتمتلىء نفوسهم بها ، ويتناقشون فيها ويطلعون على دقائقها فتمتلىء نفوسهم إيمانا بها . ونداءاتهم فى ذلك : الأذان ، وللمنارات والمنابر . . وأبطالهم الذين يحيون ذكراهم : هم هؤلاء العلماء والشهداء الذين تقيم لهم الأضرحة تكريما لهم ، فتذكر جهدهم للإسلام وتضحياتهم ، فليس المقصود بزيارة الحسين تزلفا به إلى الله بل إحياء لهذا المثال فى نفوس الناس . . وعالم - مثل الشاطبى - الذى أصبح مقامه لسوء الحظ بجوار أحط مواخير الفجور - تحيى زيارته فى القلب همته العالية فى تأليف الموافقات ودقته فى البحث والعلم ، والتوعية بذلك هى توعية البيئة الإسلامية الحقيقية .

وكما سنرى ، فإن التنظيم الدستورى للقوى الشعبية - يقوم على عمارة تلك الوحدات الشعبية ، وهى المساجد ، ثم الدرجة الأعلى منها وهى جوامع صلاة الجمعة ، وبذلك فإن إقامة العبادة على وجهها الصحيح من شأنه أن يؤسس بيئة إسلامية حقيقية قابلة للتكافل وإقامة أحكام الدين .

* * *

فإذا لم تقم البيئة الإسلامية فإنه يتعذر إقامة القواعد الشعبية .

لأن البيئة غير الإسلامية تنفر من الدين وتأباه وتسخر منه ، فإن كان ملزما عمدت إلى الحيل وإلى ضروب الغش والخداع للتهرب منه وإن لم يكن ملزما سخر الذين كفروا من الذين آمنوا واتخذوهم سخريا وعبثوا بهم وصاروا موضع استخفافهم واستغلالهم .

فإن المسلم المتبع لدينه بإخلاص يكون محلا لالتزامين : أحدهما : التزام دينى

بالإخلاص لله، وثانيهما: التزام قانونى بما تفرضه القوانين زيادة عما يفرضه الشرع، وهو لإخلاصه يلتزم القانون بذات الولاء الذى يلتزم به الشرع، طاعة لولى الأمر لقوله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم».

وأما الذى لا يتبع الدين فإنه يكون طليقا من الالتزامين، فهو أولا لا يرعى الله فى ذمته شيئا؛ فيخلص له المؤمن ويغدر هو به، ويستقيم معه، ويداوره!! هذا ملتزم وهذا منطلق فيرهقه أشد الإرهاق ثم يلتزم المسلم الحق بالقانون، وهذا يتدارى فيه ويسلك بين دروبه بطرق الحيلة إن أعلنه بخصومة لم يحضر.

وإن صدر الحكم تحايل فى عدم تنفيذه بالإشكالات والادعاء بعدم وجوده وتهريب أمواله، هذا فضلا عما يتقدم به فى الدعوى من وقوع الضلال وضروب الخداع، فلا يكون القانون فى يده إلا وسيلة للتلاعب ويتمسك به ولا يلتزمه! وبذلك لا جدوى إطلاقا مع هؤلاء لا بفرض الشريعة الإسلامية ولا القانون المدنى؛ لأنهم غير قابلين للطاعة.

فإذا طبقنا ذلك على أصغر منظمات المجتمع، وهى الأسرة، لوجدنا أنه إذا لم تكن الأسرة إسلامية فإنه يستحيل أن تطبق أحكام الشريعة الإسلامية فيها، وتكون غير مناسبة إطلاقا لها، لا بسبب عدم صلاحية الشريعة، ولكن بسبب عدم صلاحية المحل لهذه الأحكام الظاهرة.

وبذلك فإن الحقيقة أن دعاة تطوير قواعد الأحوال الشخصية حسب تطورات الأسرة فى العصر الحديث، إنما يريدون أن يشرعوا للفساد وأن يقروه على ما هو عليه. ونحن لا نستطيع أن نمارى فى أن الشريعة الإسلامية لا تصلح لهذه البيئة الفاسدة التى تسمى الآن بالأسرة.

والطبيب الذى يسترسل فى تدليل المريض والاعتراف بنزواته هو طبيب خائن لمهنته، لأنه يجب عليه أن يحد من شهواته ويلزمه النظام الصحيح فى طعامه وراحته ودوائه؛ لا أن يزيد له كميات المقويات ليسمح له بمزيد من النهم والشهوة.. ليس هذا علاجا بل قضاء على المريض وتعجيلا بنهايته.

إن المرأة تريد «حقوقا» تتفكك بها الأسرة وتؤدى إلى انهيارها.

والرجل يريد «حقوقا» تسمح له بالاستبداد والظلم.

والنتيجة أن الأحكام الشرعية لا يمكن أن تستقيم على هذا العبث وهذه النزوات. فإما أن تنضبط البيئة التي يراد تطبيق الشريعة فيها، وإما أن يسترسل المجتمع في الانطلاق وراء الفساد وتشريع قواعد فاسدة تلائمه.

وبذلك فإن الصياح الملحوظ الآن حول معركة الأحوال الشخصية لا يمكن حسمه بحجة قاطعة، إلا إذا وجدت البيئة الإسلامية. فإننا إذا أعطينا الزوج الظالم حقوقا تعسف بها. وإن أعطينا المرأة الفاجرة حقوقا تفوت بها، وإن مقابلة الحقــوق بالحقوق والدفوع بالدفوع، والوسائل بالمعارضات، كل ذلك لا يصلح لنظام الأسرة الذي يقوم على علاقة القلب وارتياح النفس، فنحن لا نستطيع أن نقيم بين الزوجين محضراً من المحكمة لتبادل الحجج وإثبات المواقف عن طريقه.. ولا يمكن أن نجعل القاضي حكما في المشاعر الزوجية بدلا من الزوجين. فهذا كله عبث وإفساد للحياة الزوجية، ينقلب به البيت إلى محكمة. وهو ليس كذلك.

وإذا انتقلنا إلى نظام المعاملات، الذي تزمع الدول الإسلامية تقنينه تقنينا مستمدا من الشريعة الإسلامية، نجد أن من ألزم ما يلزم إيلاء البيئة كل الأهمية؛ إذ لابد من إصلاح هذه البيئة مما استفحل بها من ضروب الغش والخداع والضلال والصراع على المادة والظلم؛ حتى يسير القانون والتربية جنبا إلى جنب في تعاون مثمر وجاد. والحقيقة أن نظام الشريعة الإسلامية في المعاملات هو أحكم نظام لعنايته الشديدة باستقرار التعامل على ظاهره، والعناية بالمراكز الظاهرة وتجنب إهدار المراكز القانونيـــة وعلاجها بعلاجات التقويم بدلا من الإهدار، وذلك - مثلا - بالحكم بأجر المثل أو ثمن المثل في أحوال فساد العقد بدلا من إبطاله كلية.

وكذلك النظام المالي الإسلامي يتطلب أولا بيئة إسلامية، وهي بيئة عمادها القيام على إيجابية الفرد في إقامة المصالح العامة وإجباره على ذلك عند اللزوم. وهذا النظام يستغني عن إثقال الدولة بأعباء التدخل المباشر وإدارة المشروعات العامة الضخمة وبالتالي الاضطرار إلى جباية الضرائب الباهظة. ولا يتيسر

(البقية على ص ٤٠٠)

الإسلام والمسلمون في أوربا

للأستاذ محمد علوى عبد الهادى

— ٣ —

(المسلمون فى بولندا)

لم تكن لى صلات شخصية بالمسلمين فى بولندا ولكن المعلومات الآتية مستقاة من تقارير ومراجع منشورة قبل الحرب وبعدها . ويبلغ عدد المسلمين فى بولندا قرابة ٢٠٠ ألف معظمهم من أصل تتارى ويتوزعون فى كافة أنحاء بولندا، وبعضهم يتقلد مناصب رئيسية هامة ؛ ولكنهم لا يظهرون إسلامهم ، ويتجمع حوالى ستة آلاف مسلم فى « كود شبتيانى » على الحدود الروسية البولندية ، وهم معتزون بإسلامهم ، ويقيمون الشعائر ويصومون رمضان ويومى عاشوراء . وهم فقراء ولكنهم برغم فقرهم يدفعون فى النسخة الواحدة من المصحف حوالى ثلاثة جنيهات والمصاحف المتـــداولة مطبوعة فى تشيكوسلوفاكيا أو روسيا ، وبعضها فيه أخطاء ، ويصرون على تعلم أولادهم اللغة العربية ، ويتولى شيخ المسجد ذلك ويتناول من الطفل الواحد جنيها شهريا، ولكن تعليمهم العربية لا يرقى إلى مستوى الإتقان الذى يؤهلهم لفهم معنى مايقرءونه ، وغاية أمانى المسلمين هناك أن يجدوا مدرسا قديرا لتعليم العربية والقرآن لأطفالهم .

وتدرس اللغة العربية دراسة أكاديمية فى جامعتى (وارسو وكراكوف) ويتولى تدريسها أساتذة بولنديون منهم واحد يهودى وينتظم فى دراستها ٤٠ طالبا فى جامعة وارسو وعشرة فى جامعة كراكوف (سنة ١٩٦٣) .

وتسمع إذاعة جمهورية مصر العربيـة الموجهة بوضوح هناك ويتمنى المسلمون لو تضمنت هذه البرامج مع القرآن الكريم أحاديث دينية مبسطة بلغتهم .

ومما هو جدير بالذكر أنه كان يدرس بالأزهر الشريف وقت قيام الحرب العالمية الثانية طلاب مسلمون من بولندا ونشر أحدهم كتيبا قيما عن الإســـلام والمسلمين فى بولندا .

(المسلمون فى فنلندا)

الشعب الفنلندى برغم أنه يعيش فى

أقصى شمال أوروبا إلا أنه سليل الشعوب التى نشأت على ضفاف نهر الأورال وشاركت التتار فى غزوهم لشمال أوروبا.

وما زال يعيش فى فنلندا جالية إسلامية تعدادها حوالى ٦٠ ألفا (١٩٥٦) ويتناقص العدد باستمرار لانعدام التعليم الإسلامى، وللزواج من غير مسلمات وهم فى شوق شديد إلى إيجاد صلات بإخوانهم المسلمين فى الشرق، وفى أشد الحاجة إلى المعونة العاجلة.

(المسلمون فى اليونان)

تعرض المسلمون فى اليونان عقب استقلالها عن تركيا لمحن شديدة ما زالت آثارها باقية إلى اليوم، والباقى على دينه من مسلمى اليونان حوالى ١١٠ ألف مسلم بنسبة ١,١٪ من مجموع السكان (إحصاء سنة ١٩٥٦) وهم يتجمعون فى شمال اليونان وعلى الأخص مدينتى «كوموتينى» «واكسانتى» والقرى المحيطة بهما. وممنوع عليهم الآن الانتقال إلى أجزاء أخرى من اليونان أو مزاولة أو نشاط من أى نوع فى غير مناطق تجمعهم.

ووضعهم الاجتماعى والاقتصادى والثقافى متأخر جداً ولا يتمتعون بما تتمتع به الطوائف الأخرى من خدمات حكومية، ويبدو أن الرواسب النفسية للعداوة بين الأتراك واليونان التى تجمعت على مر التاريخ الطويل بين الأتراك العثمانيين واليونان، ما زالت تفعل أثرها حيث ينظر مجموع الشعب اليونانى إلى المسلمين منه على أنهم أتراك من سلالة الحكام العثمانيين السابقين.

وكان لإهداء وزارة الأوقاف المصرية مصحفا مرتلا وبعض المصاحف والكتب إليهم فرحة رفعت من معنوياتهم وزادت أملهم فى أن يكون لمساندة جمهورية مصر العربية لهم أثرها المادى والمعنوى على السلطات اليونانية لتحسين معاملتهم ورفع مستواهم وهم يتطلعون بأمل إلى قبول كثير من أبنائهم فى معاهد ج.م.ع. وخاصة معاهد الأزهر وجامعته وكذلك إيفاد علماء المسلمين إليهم ولهم فوق ذلك طلب هو تقديم برامج دينية باللغة التركية من محطة إذاعة القرآن الكريم التى تسمع بوضوح هناك.

(فى بلاد أخرى)

يوجد كما ذكرنا فى بعض البلاد الأوروبية جاليات إسلامية من السكان الأصليين كبلغاريا والمجر وألبانيا.

ويتعرض المسلمون فى هذه البلاد لضغوط شديدة فى المجر وبلغاريا ينظر إلى المسلمين على أنهم بقايا المستعمر العثمانى الذى يكرهونه .

أما ألبانيا فقد تناقص المسلمون فيها منذ الغزو الإيطالى لها قبيل الحرب العالمية الثانية حتى الآن من ٩٠٪ من مجموع السكان إلى ٦١٪ فقط سنة ١٩٥٦[1] ويتعرض المسلمون هناك لمحنة حقيقية .

احتياجات المسلمين فى أوروبا من إخوانهم فى الأقطار الإسلامية

يتوزع المسلمون فى أوروبا على دول يكونون فيها سكانا أصليين أو مستوطنين أو مقيمين ، ويخضعون لحكومات إما متسامحة أو متعصبة أو محاربة لنزعات التدين ، ومهما يكن من الأمر فإن الحاجة الأساسية والملحة لهؤلاء الإخوة فى الله إنما هى « المعرفة » معرفة دينهم وتفقههم فيه ، وهم على اختلاف أقطارهم يتوجهون جميعاً للأزهر الشريف قبلة المعرفة الإسلامية ومهوى أفئدة المسلمين فى الشرق والغرب ، وتنوء سفارات جمهورية مصر العربية بالطلبات المتتابعة من هذه الجاليات لمعونتهم بإرسال علماء يفقهونهم فى الدين وبإرسال المصاحف والكتب ، ذلك بخلاف الرسائل العديدة التى كانت ومازالت ترد إلى المسئولين تطلب الفتوى أو تطلب العون العلمى ولكن ما كان لحكومة جمهورية مصر العربية أن تستطيع أن تحمل العبء وحدها ؛ فإن تحقيق رغبات المسلمين فى أركان المعمورة يحتاج إلى تمويل كثير يستلزم إنفاقا بالنقد الأجنبى .

وإذا كانت جمهورية مصر العربية ، — وقد شرفها الله بأن تكون مقرا وحاضنا للأزهر الشريف مستودع المعرفة الإسلامية فى عصرنا هذا — قادرة من الناحية الفنية على تصدير المعرفة الإسلامية إلا أن واجب الشعوب الإسلامية الأخرى أن تتعاون معها بحق الدين وبحكم شرع الله على تمويل حركة الدعوة الإسلامية فى العالم أجمع ، لقد جرت العادة على الإنفاق ببذخ لإنشاء مراكز للثقافة الإسلامية فى بعض الدول ينفق عليها لتكون صورة فاخرة للحضارة الإسلامية ولكن فاعليتها بعد ذلك تكون ضعيفة حيث تقف الرسميات حائلا دون تسرب الروح الأصلية للإسلام .

(١) أطلس دائرة المعارف البريطانية سنة ١٩٦٠

إن الحفاظ على الإسلام فى العالم اليوم سواء فى الأقطار الإسلامية أو الأقطار غير الإسلامية يحتاج إلى جهود جبارة ولا أتكلم هنا عن الدعوة بالتبشير بالإسلام بل اكتفى بالجهد الذى يحفظ المسلمين فى شتى أقطار العالم من الانهيار والانسلاخ عن دينهم .

ومنذ أن أوصلتنى الأسباب بالمسلمين فى الشرق والغرب وأنا استشعر الحاجة إلى وجود جيل من الدعاة يؤدى هذا الواجب المتشعب فى إطار تنظيم .

وإنى أتوجه بالدعاء إلى الله أن يلهم المسؤلين تبنى الدعوة الإسلامية فى أوربا والعمل على إنشاء صندوق دولى لهذا الغرض تسام فيه كل الحكومات والشعوب الإسلامية وتتكون موارده من مساهمات ثابتة من الحكومات وتبرعات سخية من الأفراد والجماعات فى شتى أقطار الأرض وتكون مهمة هذا الصندوق تبنى إيفاد مجموعات من الشباب يسافرون إلى الخارج للدعوة الإسلامية على أن يقدم إليهم صندوق الدعوة الإسلامية المقترح العون المالى .

ولعل مبادرة جمهورية مصر العربية فى إنشاء مجمع البحوث الإسلامية الذى ينظم سنويا مؤتمراً لعلماء المسلمين فى شتى أقطار الأرض وشتى الفرق ، ينجح ليس فقط فى العمل على توحيد الفكر الإسلامى وتقريب الخلاف بين الفرق المختلفة ولكن ينجح أيضا فى إنشاء سكرتارية فنية دولية تتولى تزويد الدعاة المسلمين بالعون الفنى والتعليمى بإعداد المؤلفات وسائر الوسائل التعليمية الأخرى التى يحتاجون إليها فى أسلوب يضع الكاتب فيه نصب عينيه أنه يدعو إلى الإسلام قوما غير مسلمين.

فقد لاحظت أن المؤلفات التى أعدت بالانجليزية أو الفرنسية للتوزيع فى أوربا وأمريكا كتبت بأسلوب أغفل أن الفرد المقصود بالخطاب ليس مسلما ولكنه صاحب ديانة أخرى . وأن ذهنه ملىء بآراء وأفكار ومعلومات ليس فقط عن دينه أو دين البيئة الغالبة التى يعيش فيها ولكنه ممتلىء أيضا بأفكار عديدة وتصورات معينة عن الإسلام والمسلمين تنتشر فى التراث الشعبى لمختلف الشعوب وخاصة فى أوربا .

ولكن تطوير التأليف بالصورة المأمولة سيأتى طبيعيا بعد امتزاج طبقة الدعاة المرجوة مع شعوب الأرض والتعرف على أفكارهم وأساليب تفكيرهم والمسائل العقائدية والتشريعية التى تعترضهم .

والله ولى التوفيق ؟

محمد على عبد الهادى

العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال التيه

— ٣ —

كان رأى الكاتبين : جوبينو ورينان الذى أشرنا إليه ، والذى يقوم على غلبة الجنس الآرى فكرا وذكاء على الجنس السامى - رأيا غريبا على العلم ، وترجع تلك النظرة إلى أسباب سياسية ، وليست علمية ، أريد بها تثبيت الاستعمار والفت فى عضد الملونين فى آسيا وإفريقيا ، ومحاولة تحطيم معنويات فى مجال الغزو الثقافى والفكرى الذى أطلق عليه « حركة التغريب » .

والرأى العلمى السليم فى مجال الوراثة البيولوجية هو أن الوارثة العرقية أو وراثة الدم لا تؤثر فى الاستعداد العام أو الذكاء الفطرى ، وأن العبرة بالبيئة ، لا بالدم ، فإن من أقام فى بيئة معينة وعاش حياة مجتمعها ، وتكلم لغتها وأحس إحساسها ، كان منها باللغة والمكان والإحساس ، وهى فى مجموعها أشد أصالة من روابط الدم ، ويؤيد هذا الرأى العالم دينبكر فى كتابه : « الأقوام والعروق » (1) ، ويقول إنه لا يوجد جنس أى عرق آرى ، وإن كل ماهنالك عبارة عن فصيلة لغات آرية ، والرأى على أن عقلية الإنسان ونفسيته من محصولات حياته الاجتماعية لا من مورثات دمه المادية .

وبناء على هذه النظرية ، وهى صحيحة علميا ، أشار العلماء بأن حضارة مصر وفينيقية وبابل والصين هى من أعظم الحضارات التى شهدها التاريخ وأن حضارات الساميين أعظم أثرا وأطول عمرا من حضارات الأجناس الآرية ، وأن الحضارة العربية التى أنشأها العقل السامى قد امتدت من الأندلس إلى الصين وكان لها طابعها المميز

(1) آراء وأحاديث فى اللغة والأدب : ساطع الحصرى سوريا ١٩٦١ . انظر أيضا : أضواء على الفكر العربى الإسلامى - المرجع السابق - ص ٩٢ - ٩٦ ، فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق : إبراهيم مدكور . دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٧ ص ٣ - ١٤

فى كل مجالات الإنشاء والبناء والعلوم ، وقد انصهرت فيها خلاصات الثقافات والحضارات الهندية والمسيحية والرومانية واليونانية وحولتها إلى كيانها وصهرتها فى بوتقتها ، وأنشأت حضارة عرفت بالإيجابية والبناء ، وكانت آثارها واضحة فى جامعات القاهرة وبغداد وقرطبة ، وكانت هى الأساس الأول الذى قامت عليه النهضة فى أوربا [١] .

فإذا كنا نفرغ من هذا الرأى العلمى الذى يؤيده المنطق والعقل ، لنرجع إلى آراء أخرى ، فإننا نرى أنه قد سمح للمترجمين أن يترجموا كثيرا من الآثار التى أنتجها وثنيون ، فضلا عن كونها هى ذاتها آثارا وثنية ، ألم يسمح الإسلام بترجمة كليلة ودمنة عن اللغة الفهلوية ؟ ، والشاهنامة للفردوسى الذى نقله البندارى عن الفرس فى عهدم الوثنى ؟ إن الأصل الفنى والفلسفى لعملية الإبداع ، والتى يتم فيها تصوير الشخصيات هو المحاكاة كما قال أرسطو فى كتاب « فن الشعر » ، وليس الخلق من العدم ، والمحاكاة هنا هى محاكاة الطبيعة المخلوقة من قبل الإله ، وعلى ذلك لا يمكن أن يكون الإسلام قد رأى فى تصوير الشخصيات التمثيلية تحديا لقدرة الله أو مشاركة له فى قدرته على الخلق. أما أن التراجيديات اليونانية ذات مضمون معقد وصعب ، كما تقول بعض الآراء ، فليس ذلك أصعب من كتب المجسطى لبطليموس ، أو الجمهورية لأفلاطون ، أو الأورجانون لأرسطو ، وغيرها من كتب الرواقية والأفلاطونية.

أما لماذا لم يترجم العرب المسرح اليونانى فلعل رأى طه حسين يكون هو أنضج الآراء فى هذا المقام ، وهو يقول [١] :

« لم يعرف الأدب العربى المسرح لأن الأدب اليونانى كان قد اختفى حين كان العرب يقومون بترجمة الثقافة اليونانية إذ كان محظورا ، لأن المسيحية فى ذلك الوقت كانت تراه مغرقا فى الوثنية ، ولو كان معروفا حين ترجم العرب ثقافة اليونان لما ترددوا فى ترجمته ، ولذلك نجد ابن سينا فى كتاب : «الشفاء» يذكر

(١) أنور الجندى ـ المصدر السابق .

(١) المجلة العدد ١١١ . مارس ١٩٦٦ .
انظر أيضا كتاب طه حسين : تجديد ذكرى أبى العلاء : دار المعارف ـ الطبعة السادسة ١٩٦٣ (المقدمة) .

التراجيديا فيسميها المدح ، ويذكر الكوميديا فيسميها الهجاء ، وقد عرفها بالطبع من كتب أرسطو » .

ويؤيد هذا الرأى أيضا رأى محمد عزيزة[١] إذ يقول: «كان المسرح اليونانى فى القرن التاسع والعاشر الميلاديين قد كف عن الحياة بعد أن هاجمته الكنيسة بضراوة، وساعد على قتله انحطاط الآداب كما أن الأعمال اليونانية التى أثارت اهتمام العرب فى ذلك العصر كان لها طابع علمى وفى مثل هذه الظروف لم يكن العرب يبدون الاهتمام بالأدب كأدب .. »

ولقد أتاح الإسلام لفنون التشكيل والتصوير والنقش و عمارة والكلام أن تطرد بروح العالم الجديد الذى بشر به الإسلام ، وقد تلقى العرب فى مواطنهم بعض النماذج المتأثرة بالمسرح الإغريقى حين تدهور هذا الفن وحين تحطمت صيغة الحياة التى ورث ازدهاره فى بلاده الأصيلة [٢] .

(١) الإسلام والمسرح: ترجمة رفيق الصبان ص ١٦٨ - ١٧١ .

(٢) التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية عبد الرحمن بدوى. مكتبة النهضة ص٣-٣٣ .

وهذا رأى آخر للشاعر صلاح عبد الصبور يقول فيه : «كانت الحضارة العربية قبل الإسلام معاصرة للحضارة الإغريقية وقد نشأت دول عربية متتابعة سواء فى اليمن أو الشام أو شمالى الحجاز منذ عام ١١٠٠ ق . م إلى عام ٢٦٠ م ، واتصلت مصائرها بمصائر القوى العظيمة فى العالم القديم ؛ وبنى بعضها السدود وجند الجيوش ، ومنها الدول المعينية والسبئية والحضرمية ، وما زالت الحضارة القديمة بائدة تحت الأرض لم يكشف عنها الغبار بعد [١] . ولعل السر ينجلى بأكمله حين يكتشف المكتشفون هذه الحضارة البائدة، أما نحن فنعتقد أن علاقات وثيقة كانت تقوم بين هذه الحضارات كلها ، ولا يمنع ذلك من تبادل الثقافات، وكانت الثقافة المسرحية إحداها ولا شك .وذلك مثلما وجدنا المؤرخ اليونانى (هيرودوت) يكشف عن علاقات وثيقة بين مصر الفرعونية ، واليونان الوثنية قبل الميلاد ونقل لنا فى مذكراته أنه حين زار مصر رأى الطقوس المسرحية بنفسه ، وشهد

(١) مجلة الفنون . المجلد الأول . العدد الثانى - ربيع ١٩٧١ .

بأصالتها، وبأن اليونان قد تأثروا بها مع ما انتقل من تجارة المصريين إليهم، ومع ما كان يحمله الزائر اليونانى حين قدومه إلى مصر ثم حين عودته إلى بلاده، ولقد اعترف ذلك المؤرخ بأن اليونان ما هم إلا تلامذة للمصريين، ولكنه يعود فى مذكراته فيعمل على البر بوعده بعدم البوح بأسرار طقوس المسرحية المصرية رغم أنه شاهدها، ولو ذكرها هيرودوت لعرفنا مدى تأثر اليونان بثقافة المصريين المسرحية ولكن نعود مرة أخرى إلى المكتشفين لننتظر معهم أسرارا أخرى تكشف هذه العلاقة الوثيقة بين الثقافتين اليونانية والمصرية القديمتين.

ثم نعود إلى العرب لنوجز رأيا للأديب يحيى حقى [1] يرد به على من تهجموا على العرب قديما ويفند بعض آرائهم، ويقول: إن فكرة البداوة والصحراء غير معقولة ولا تتمشى مع ما للعرب من حضارة، وما لهم من استقرار فى مدن مثل: مكة والطائف ويثرب وينبع ومنى وخيبر، أما فكرة العقلية التركيبية عند العرب، وفكرة التحديد، فهى غير صحيحة أيضا، فلم يثبت العلم شيئا من ذلك وإلا فأين من ذلك معلقات امرىء القيس الطويلة، وأين منهم الأوصاف الدقيقة للفروق فى الألوان، ثم يقول إن العرب ليسوا ضيقى الخيال أو قليلى الأسفار، فلقد كانت لهم مكتبة قديمة زاخرة بمؤلفات كثيرة عن الرحلات ووصف البلدان، وليس العرب أهل بديهة وارتجال كما يدعون، فأين إذن حوليات زهير وتنقيحات النابغة، وليس العرب أهل اختصار للقول فهم أحيانا يتهمون بالتطويل والإفاضة، أما قلة التعمق فهذه كتب الفقه ترهقنا بإيغالها فى التحليل لأدق التفاصيل، ولكن هذا يحتاج إلى وقفة نرجوها فى تاريخ العرب وحضارتهم مجالها معنا مستقبلا، فإلى لقاء .؟

محمد كمال الدين

(١) مجلة المجلة ـ العدد ١١١ ص ٣١، ٣٢

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● مذهب الكرامية

للأستاذة : سهير محمد مختار

المؤلفة معيدة بكلية البنات جامعة الأزهر. وهذه الدراسة هي رسالة تقدمت بها لنيل الماجستير، تناولت فيها - في حوالى أربعمائة صفحة - مذهب الكرامية - إحدى فرق التجسيم، وقد تسللت « الكرامية » إلى الفكر الإسلامى واختلطت به منذ أوائل القرن الثالث الهجرى - واستمرت عدة قرون ..

ذكرت المؤلفة في مقدمة البحث أن من أهم المباحث التي أثارها علماء الكلام وحركوا العقول للجدال فيه « مبحث الصفات الإلهية » فقد ذهب المعتزلة إلى القول بتنزيه الله عن الصفات حتى لا يؤدى إثباتها إلى القول بأكثر من قديم، ولم يرض خصومهم بمثل هذا القول واتهموهم بأنهم معطلة، وقالوا بوجوب إثبات الصفات الإلهية حسب ظاهر النص ردا على المعتزلة، غير أن بعض المفكرين جاوز مطلق الإثبات إلى الحديث عن الكيف في الصفات، فكان منهم مشبهة وكان منهم مجسمة » .

ثم أخذت المؤلفة تفرق في إيجاز بين هذين المذهبين، فالمشبهة هم الذين قاسوا صفات الله تعالى على ما ألفه الناس من صفاتهم، والمجسمة هم الذين ذهبوا في الصفات إلى المدى الذى يجعل الذات الإلهية كغيرها من الذوات : ومن بين المفكرين القائلين بالتجسيم « محمد بن كرام » وإليه ينسب المذهب الذى كان موضوع دراسة المؤلفة .

ويحسن بنا أن نوضح الخطوط الرئيسية لمذهب الكرامية، ليلم القارىء به إلماما سريعا موجزا :

لقد نشأت الكرامية بإقليم خراسان وهو يومئذ موطن لكثير من الفرق، للشبهة والمجسمة والحشوية، ومرتعا خصبا للمذاهب الثنوية والمانوية والزرادشتية والمزدكية بالإضافة إلى مذاهب المجوس .

الكرامية يرون الله - عز وجل - جسما ماديا لا كالأجسام، وجوهرا لا كالجواهر وأنه محل للحوادث التي لا توجب له وصفا ولا هي صفات له ، وهذه الحوادث هي إرادته الكائنات - ويقولون بوحدة الوجود المادية التي طرفاها (الله والعالم) متأثرين بفلاسفة اليونان ، كما تأثروا بهم في القول بحلول الحوادث في الذات الإلهية وتأثروا بالمجوس والتنويه في القول بتناهي الله من الجهة التي يلاقي منها العرش وهي جهة السفل ، كما صرحت بأن الله مستقر على العرش استقرارا مكانيا .

وقالت الكرامية : بالتحسين والتقبيح العقليين ، أي أن العقل أساس الحكم على الأشياء بالحسن أو بالقبح ، ثم يأتي الشرع مصدقا ومؤيدا للعقل ، وهذا أدى بهم إلى القول بتمجيد الإنسان ، بل إلى القول بأن الناس محجوجون بعقولهم إلى أن تأتيهم الرسل، والإيمان عند الكرامية قول بلا عمل ولا يزيد ولا ينقص ؛ وبعض الأولياء مفضلون على الأنبياء الرسل ، ليسوغوا الحديث الذي وضعوه يأتي في نهاية الزمان رجل يقال له محمد ابن كرام تحيا به السنة ، وقد جوزوا البيعة لإمامين في قطرين في وقت واحد .

هذه بعض الخطوط الرئيسية في عقيدة الكرامية ، ناقشتها المؤلفة في استيعاب وتحقيق ، وقامت بتنفيذ انحرافاتها. وذلك في الفصول السبعة الأخيرة من الدراسة أما الأربعة الأولى، فقد خصصت الفصل الأول لظروف نشأة الكرامية مشيرة إلى النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، والدينية ، ونظام الحكم، وظهور الفرق بالإضافة إلى النواحي الثقافية والعلمية والأدبية ، وخصت الفصل الثاني بدراسة مفصلة عن ابن كرام ، أما الفصل الثالث ، فقد عرضت فيه لفرق الكرامية التي تشعبت عنها ، كالإسحاقية، والهيصمية ، والمهاجرية والعابدية ، والزرينية ، والحيدية ، والتونية ، ثم السورمية ..

، في الفصل الرابع عرضت للتيارات التجسيمية التي سبقت مذهب الكرامية فالمؤلفة تقرر أولا : أن الكرامية كأي مذهب - أخذت أفكارا ممن سبقوها وتأثرت بهم ، ولما كانت أم فكرة ظهرت فيها هي فكرة التجسيم حتى تكاد تكون الأساس الذي بني عليه الكراميون

مذهبهم الكلامى والفلسفى ، فقد حاولت المؤلفة تقصى فكرة التجسيم ما مصدرها عند الكرامية ، ومن الذين أثروا فيها حتى أخذتها عنهم ونقلتها إلى فرقها التى تشعبت عنها .. ؟

لقد سبق الكرامية تيارات دينية ، وأخرى فلسفية ، فمن التيارات الدينية ، اليهودية ، فقد انبعثت فكرة جسمية الله لدى اليهود فكان لديهم جسما بالمعنى المادى وأدام القول بجسمية الله إلى إضفاء التشبيه عليه ، فكان إلها مجسما ماديا ، إنسانيا كذلك كان التجسيم واضحا فى فكرة حلول الله فى المسيح وتجسيد الكلمة عند المسيحيين ، هذا بالنسبة للأديان السماوية أما أشباه الديانات ، فمنها « الغنصرية » والغنوص كلمة يونانية الأصل معناها المعرفة ، ثم أصبح لها ـ كما تذكر المؤلفة ـ معنى اصطلاحيا وهو التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا ، وكذلك المانوية أو الثنوية القائلة بأن مبدأ الوجود اثنان : نور ، وظلمة ، وقد أخذت الكرامية بفكرة تناهى الله من جهة السفل من قول المانوية ، كذلك الحشوية الذين قالوا : إن الله جسم لا كالأجسام وهو مركب من لحم ودم لا كاللحوم والدماء وله الأعضاء والجوارح ، وتجوز عليه الملامسة والمصافحة والمعانقة ـ ثم الشامية بفرقتيها : (الحكمية) أتباع هشام بن الحكم مولى بنى شيبان المتوفى عام ١٩٠ هـ ، أتباعه يتبعون قوله فى أن معبودهم جسم وله نهاية وحده (والجواليقية) ، أتباع هشام بن سالم الجواليقى ، وهؤلاء يقولون بأن الوجود جسم ؛ وأنه لا شىء فى العالم إلا الأجسام ؛ وبأن الله على صورة الإنسان وله حواس خمس ...

وهكذا تتقصى المؤلفة أراء الفرق التى أثرت فى الكرامية : الحوارية ، أتباع أبى داود الجواربى أو الحوارى ، والمغيرية اتباع المغيرة بن سعيد العجلى الذى أدعى الإمامة ثم النبوة ، ثم الشيطانية ، أتباع شيطان الطاق الرافضى ، الذى عاش فى زمان جعفر الصادق ، وقد قال : إن ربه على صورة الإنسان لكنه ليس جسما ، لكى يتجنب الإلزامات التى تقع على المجسمة ، فوقع فى التشبيه . .

ثم بدأت المؤلفة فى تقصى التيارات الفلسفية ، فالكرامية تأثرت بفلاسفة اليونان : إفلاطون الذى سبق المجوس

إلى القول بحلول الحوادث فى ذات القديم وأرسطو القائل: بأن هناك جواهر كثيرة فى حين أن بن كرام يقول: بجوهر واحد هو الله ، لكنه يعنى بالجوهر القائم بالذات ، أى أن ذاته هى جوهره ، وجوهره هو ذاته ، وقولهما معا يؤدى إلى وحدة الوجود المادية ، كذلك تزداد كفة تأثر الكرامية بفلاسفة اليونان رجحانا فى القول بأن الله جوهر ، وبخاصة الرواقيون القائلون: بتجسيم الله ، وبوحدة الوجود المادية .

وكما تأثرت الكرامية بما ذكر ، حتى اعتبرت مذهبا تلفيقيا ، جمع مقالاته من اليهودية والمسيحية والمانونية ، وفلاسفة اليونان ، فإنها تأثرت أيضا ببعض الفرق الإسلامية المشهورة : الخوارج ، والمرجئة والمعتزلة والأشاعرة فى نواح أخرى من مذهبها عدا ناحية التجسيم ، تأثرت بالخوارج فى مسألة النبوة ، فالرسالة والنبوة معنيان قائمان ، بالرسول والنبى غير إرسال الله إياه ، وغير عصمته ، وغير معجزته - كما تأثرت بالمرجئة ، فهما متفقتان على أن الكفر بالله هو التكذيب له والإنكار له باللسان ، ولا يكون إلا باللسان دون غيره من الجوارح ، وعلى هذا فالمنافق عندهما مؤمن حقا ، وهما متفقان أيضا على أن الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ كما أنه لا يزيد ولا ينقص - وكذلك تأثرت الكرامية بالمعتزلة ، وهما متفقتان معا على القول بوجوب اعتقاد موجبات العقول. فالعقل يحسن ويقبح قبل ورود الشرع وتجب معرفة الله بالعقل ، كما اقتربت الكرامية من الأشاعرة فى القول بالقدر .

وبعد - فيجب الاعتراف أولا بأن الدراسة التى قدمتها المؤلفة الأستاذة سهير ، دراسة مستوفاة فى موضوعها ، والاعتراف إلى جانب ذلك - بأن المؤلفة بدت من خلال هذه الدراسة المضنية كالباحثة عن المتاعب ؛ مما حملها على الإسهاب فى موضوعات كان يكفى الاهتمام - وحسب - بالجانب المتصل بآراء الكرامية ؛ وقد نسلم بأن فى هذا الإسهاب إضافة ثقافية وفكرية للقارىء ؛ لكنه كان على حساب قضية أخرى ذات أهمية ؛ هى محاولة الربط بين هذه الدراسة الموضوعية وبين الحياة ؛ الفكرية فى العالم الإسلامى . ؟

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

السيد الأستاذ رئيس نيابة طنطا الكلية للأحوال الشخصية :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فردا على كتابكم رقم ١٠٥٣ بتاريخ ١٥ / ٣ / ١٩٧٢ والمحال إلينا من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى ٢٥ / ٣ / ١٩٧٢ بشأن إفادتكم عن الأساس الدينى الذى بنى عليه التفريق بين زوجين من طائفة البهائيين — نتشرف بإبلاغ سيادتكم بأن مذهب البهائية مذهب باطل ليس من الإسلام فى شىء بل إنه ليس من اليهودية أو النصرانية ، ومن يعتنقه من من المسلمين يكون مرتدا خارجا عن دين الإسلام .

فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام ويأباها كل الإباء منها ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب والألوهية لبعض آخر ، وأن الإيمان هو متابعة هذا المذهب والكفر هو مخالفته وأن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان إلى غير ذلك ...

ومن المقرر شرعا أن من يخرج عن الإسلام لا يقبل منه التدين بدين ما ويجب على جماعة المسلمين أن يلزموه العودة إلى الإسلام فهم على حالهم الحاضر ليسوا على دين ما، وزواج أحدهم بواحدة منهم أو من غيرهم غير صحيح ويجب إبطاله والتفريق بين الزوجين فورا .

والله تعالى أعلم ؟

السؤال من السيد / الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

١ — هل يجوز للمسلم أخذ فائدة عن أمواله المودعة فى بنك أجنبى لينتفع هو بها أو ليصرفها فى جهات البر ؟ علما بأنه إذا لم يأخذ هذه الفائدة آلت إلى أصحاب رءوس الأموال الأجنبية التى تستعمل سلاحا ضد المسلمين .

٢ — ما حكم الإسلام فى المعاملات

المالية التي تقوم على أساس الفائدة كالمداينات التي تجري بين كل من :

(ا) الشركات الإسلامية بعضها مع بعض

(ب) الشركات الإسلامية والشركات الأجنبية .

(ج) القطاعات العامة بعضها مع بعض.

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين: أما بعد فإن جميع هذه المعاملات لا تتفق مع قواعد الشرع لأنه إن كان قرضا فقد جر نفعا للمقرض وإن كان مضاربة فليس طريق المضاربة المشروعة كما يسير عليه البنك .

كما نفيد بأن الربا محرم بين الناس جميعا في جميع الأزمان لا فرق بين غنيهم وفقيرهم سواء كان بين الأفراد بعضهم مع بعض أو بينهم وبين الهيئات .

وإيضاحا للإجابة عن السؤال الأول نفيد بأن إيداع الأموال في البنوك الأجنبية - بلاد الكفر - في أصله حرام لا يجوز لمسلم الإقدام عليه وإذا أقدم عليه فهو آثم .

وأما الفائدة عن هذه الأموال فإذا كان الأمر يدور بين أخذها أو تركها يوجهونها وجهة تضر المسلمين فإنه يجوز أخذها وصرفها في مصالح المسلمين ارتكابا لأخف الضررين مع الإثم .

والله تعالى أعلم ؟

محمد أبو شادى

(بقية المنشور على ص ٣٨٦)

إقامة النظام المالى الإسلامى على وجهه إلا بإصلاح الفرد وقيامه بالمصالح - وهى فرض كفاية - قياما كافيا يستقيم معه النظام المالى الإسلامى على وجهه الحقيقى .

ونحن لا نقول ذلك إلا لنبين أن الطريق الأول والأساس الذى يجب أن نبادر إليه هو إصلاح البيئة الإسلامية وإقامتها على حقيقتها حتى تكون مستعدة لتلقى القواعد الشرعية عند سنها . والاقتصار فقط على التقنين الإسلامى مع حرية الخمر والفسق والفجور والسفور عبث لا يؤدى إلى شىء .

فإن مشاكل القاعدة الشعبية هى فى المكانة الأولى من إعادة النظام الإسلامى ؟

مصطفى كمال وصفى

محمد إسكندر راسل وب
أمريكي يتحدث عن إسلامه

تسألني : لماذا وأنا الأمريكي المولود في بلد يدين اسميا بالمسيحية ، ونشأت في بيئة تقطر مسيحية أو على الأصح تتشدق بالمسيحية الأرثوذكسية على منابر الوعظ لماذا تخيرت الإسلام هاديا لي في حياتي؟

وأستطيع الإجابة على الفور .

إني اتخذت هذا الدين سبيلا لحياتي ؛ لأنني - بعد دراسات طويلة - وجدته خير الأديان ، والوحيد من بينها الذي يلبي الاحتياجات الروحية للجنس البشري .

وأود أن أقرر هنا بأني عندما... بلغت العشرين عاما ... ضاق صدري بجمود الكنيسة وكآبتها فهجرتها إلى غير رجعة .

وكنت - لحسن حظي - ذا عقلية فاحصة ، أميل إلى أن أتحرى الأمور ، وأن أجد لكل شيء علة وسببا ، ووجدت أن الناس بين علمانيين ورجال دين عجزوا عن إقناعي بوسائل عقلية ومنطقية بحقيقة هذه العقيدة ، ولكن كلا من الفريقين كان يقول : إن هذه أمور غامضة وخفية ، أو يقول : إنها مسائل فوق مستوى إدراكي.

ومنذ أحد عشر عاما بدأت أهتم بدراسة الديانات الشرقية ، وقرأت ما كتبه (مل) (وكانت) (ولوك) (وهيجل) (وهكسلي) واستمعت إلى محاضرات وأحاديث لكثير غيرهم من الكتاب والمفكرين يتحدثون كأنهم أوتوا الحكمة عن الذرة والخلية ، ولكن أحدا من هؤلاء جميعا لم يستطع أن يحدثنا عن الروح في ماضيها أو مآلها بعد الموت ... إن اعتناقي للإسلام لم يكن عن ضلالة أو نزوة خاطئة ، أو انقياد أعمى أو اندفاع عاطفي ، ولكن كان ذلك وليد دراسة دقيقة فاحصة أمينة غير متأثرة برأي أو ميل سابق . ونتيجة لرغبة وعزم على معرفة الحقيقة .

إن روح العقيدة الإسلامية الحقة تكمن فى الخضوع لإرادة الله، وحجر الزاوية فيها الصلاة، والإسلام دعوة إلى الأخوة العالمية وإلى المحبة بين العالمين جميعا، وإلى الخير للناس كافة، ويتطلب طهارة العقول وطهارة العمل، وطهارة الحديث، ويدعو إلى طهارة البدن ونظافته.

إن هذا الدين من بين جميع الأديان التى عرفها العالم هو - ولا شك - أبسطها، وهو فى نفس الوقت أقدرها على السمو بالبشرية.

(من كتاب لماذا أسلمنا) — ص ٥٥

● سبعون ألف مسلم بغير مسجد: تلقى فضيلة الإمام الأكبر الخطاب التالى من السيد / الأستاذ حسين إبراهيم (مصرى من القاهرة).

حضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام شيخ الإسلام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

فقد سمعت حديثا لأحد سفراء الدول الإسلامية فى الولايات المتحدة، وهو سفير لبلاده — أيضا — فى جمهورية فنزويلا إحدى دول أمريكا الوسطى اللاتينية — جاء فيه عن فنزويلا قوله: «إن فى هذه الجمهورية أكثر من سبعين ألف مسلم ليس لهم مسجد واحد».

فهل لى كمسلم مؤمن أن أتوجه برجائى لفضيلتكم على أن تقوموا بعمل خيرى مع سائر الدول الإسلامية للقيام ببناء مساجد أو مسجد واحد يذكر فيه اسم الله ويتلى فيه كتاب الله وتقام فيه شعائر الإسلام، ويسد حاجة المسلمين بهذه الجمهورية أسوة بما أنشىء من مساجد فى الولايات المتحدة وغيرها من الدول الأجنبية وفقكم الله وأثابكم.

علی الخطیب

●●●

تعلن مجلة الأزهر للقراء الكرام أن العدد التالى من المجلة سوف يصدر فى غرة رجب إن شاء الله ؟

also during a battle that the Prophet hit Sawad ibn Ghozayya on his abdomen to push him back to stand straight in the line with the other fighters. Sawad said : "you hurt me, O Messenger of God, so let me do it to you." The Prophet responded when Sawad kissed the abdomen of the Prophet instead of hitting it, saying :

" I fear to be killed in the battle, so I want to touch your body before I die"

Omar ibn Al-Khattab declared to the nation : " I did not command my governors to punish you or to take your money. Whoever was forced among you by such coercion, let him come to me for retaliation."

One of the most wonderful examples about equality in front of law is the story of Jabala ibn Al-Ayham. Gabala was a noble man of high rank before Islam and after its advent. He was a Christian who adopted Islam. Once he was going round Kaaba when a humble bedouin pushed him and stepped on his clothes unintionally.

Gabala slapped the bedouin angrily ; and the latler complained to Caliph Omar ibn Al-Khattab, who judged with retaliation unless the bedouin forgives for his opponent. Jabala said : "How could this happen while he is of the common people and I am of the noble and distinguished people ? " Omar said : "Islam made you equal" This was the cause of the apostasy of Jabala who was imbedded with false pride and class distinction.

Another good example is that of the son of Amr ibn Al-As, the conquerer of Egypt and its governor. This son was playing a race with an Egyptian boy, when the latter beat him. The son of 'Amr hit the boy and said to him : How could you beat the son of the noble ? the Egyptian left Egypt to present his case to the Caliph Omar in Medina. The Caliph sent for Amr and his son, and upon their arrival, he ordered the Egyptian : Beat the son of the noble in retaliation. But the Egyptian forgave him when he saw the wonderful justice of the Caliph. Thereupon the Caliph said to his governor 'Amr : "How could you think to treat the people as slaves while they were born free ?"

These are just few examples of equality and justice in Islam.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FŪDA

Rabī'Thani 1392	ENGLISH SECTION	MAY 1972

The Principles of Equality in Islam

By : Dr. Mohiaddin Alwaye

(III)

The Prophet applied these noble principles on his own people. He said: "O people of Quraysh ! God removed from you the false Pride of the people of the Ignorance Time and their wide claims over family descent." He also said : "He is not of us who calls to fanaticism." And : "No fanatisiom or bias in Islam."

These principles were accurately applied during the time of the Prophet and his righteous Caliphs. It is reported that one of the noble women stole something and the people thought that the Prophet will not punish her because of her noble position. They sent his close companion Osama ibn Zaid to intercede on her behalf at the Prophet. But the prophet addressed the people saying :

"O people, nations before you were doomed to perdition because they used to let the thief go unpunished if he was of a noble family, and punish him if he was of a humble origin. Oh no ! I swear by God that if Fatima, my daughter has stolen, I should cut her hand."

The prophet who was immune from committing sins addressed the believers before he died and said : "If I whipped the back of any of you, let him do the same to me, and if I called somebody names let him do it to me." It happened

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشا في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس — السنة الرابعة والأربعون — رجب سنة ١٣٩٢ هـ — أغسطس سنة ١٩٧٢ م

دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسراء.. والمعراج.. والمسجد الأقصى

للأستاذ عبد الرحيم فودة

١ — يحتفل المسلمون في هذا الشهر من كل عام بذكرى الإسراء والمعراج، ويذكرون بهما قول الله فيهما « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » وقوله جل شأنه: « أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى ».

٢ — وقد كان الإسراء والمعراج في عام اشتد فيه الحزن على النبي صلى الله عليه وسلم، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، فشعر باختناق النور الذي بعث به في صدره وصدور القلة المضطهدة من أصحابه، وزاد شعوره بالضيق والهم موت عمه أبي طالب، وزوجه خديجة، فأراد الله أن يفرج عنه همه وغمه، وأن يريه من آياته الكبرى ما تقر به عينه، ويقوى به إيمانه، وتزداد به الثقة بأن الله سينصره وسيظهر به دينه على الدين كله ولو كره الكافرون.

٣ — لهذا كانت الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم العروج به إلى السموات ، واستقباله فيها من الملائكة والأنبياء بما يشعره بشرف قدره ، وسمو مكانته ، وعلو منزلته ؛ حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ، ورأى من آيات ربه الكبرى ؛ ما صغر فى عينيه كل القوى التى تألبت عليه وتحزبت ضده ، ثم عاد يحدث قومه بما رأى ، لا يعبأ بما يلقاه من إنكار واستهتار ورعونة وطيش ، بل يجد فيما يحتمل من عناء وبلاء إغــراء بالصبر ، وثقة بالنصر ، وحبا للجهاد ، كما يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم : (والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ماقعدت خـــلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغـزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل) .

٤ — ويلوح للمتأمل فى هذا الحادث الكبير أنه كان كذلك بشارة سارة بما سيؤول إليه المسجد الأقصى وما حوله من ربوع الشام المباركة، فقد فسر الواقع التاريخى ذلك بإشراق نور الإسلام فيه وفيما حوله ، وارتفاع أعلامه فى سمائه وسماء ما حوله فى عهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ولم يكن هـذا المسجد بناء مشهودا مقصودا حين دخله المسلمون مع عمر ، وإنما كان بقايا أنقاض متناثرة وآثار أطلال بالية ، وكانت الصخرة فيه مطمورة بالتراب . فشرع المسلمون فى إزالته عنها وجددوا بناءه بما أقاموا فيه من مساجد ، ومعاهد .

٥ — ذلك أن عمر رضى الله عنه شخص إلى مدينة القدس بعد أن حاصرها المسلمون بقيادة عمرو بن العاص، ويئس المدافعون عنها من النصر ، فكتب أهلها إلى عمر برغبتهم فى الصلح على أن يكون هو الذى يتولى عقده ، فسار حتى دخل كنيسة القيامة ، ولما حان وقت الصلاة قال للبطريق : أريد الصلاة . فقال له : صل موضعك . فخرج عمر وصلى على درجة من درجات سلم باب الكنيسة ، ثم قال للبطريق : لو صليت داخلها أخـــذها المسلمون من بعدى . وقالوا : هنا صلى عمر ثم قال البطريق : أرنى موضعا أبنى فيه

مسجدا . فأشار إلى الصخرة وتوجه اليها عمر ، وشرع فى إزالة التراب عنها ، واقتدى به المسلمون . ثم أمر ببناء المسجد الذى عرف باسمه ، وفى عهد عبد الملك ابن مروان أنشئت قبة الصخرة آية من آيات الفن الرفيع ، ثم أدخلت على المسجد تعديلات وتجديدات فى العصر العباسى ، وفى العصر الأيوبى ، والعصر المملوكى أنشئت بداخله وحوله عدة مدارس أكدت صبغته العلمية والدينية وجعلت منه جامعة إسلامية .

٦ — ذلكم هو المسجد الأقصى الذى اقترن اسمه بالمسجد الحرام فى آية الإسراء وصلى فيه النبى إماما للأنبياء ، ثم عرج به منه إلى السماء ، وهو أولى القبلتين ، وثالث المساجد التى تشد إليها الرحال ، ومكانته من قلوب المسلمين حملتهم على أن يبذلوا دماءهم أنهارا فى الدفاع عنه ، وحماية مقدساته .

وقد وقع فى قبضة أعداء الله وأعداء دينه وأعداء الإنسانية بعامة ، كما وقع من قبل فى قبضة الاستعمار المتستر تحت راية الصليب ، ولكن الأمل فى تحريره وتطهيره أقرب مما يظن المغترون بالقوة من الأعداء والشاعرون بالضعف من الجبناء ، فليذكر المسلمون موقف النبى من أعدائه قبل الإسراء به وبعده ، وليذكروا موقفهم تجاه أعدائهم ، وهم يحتفلون بذكرى الإسراء ليتأكد فى قلوبهم الإيمان بالله ، والاعتزاز به ، والثقة بنصره ، والجهاد فى سبيله ، والاطمئنان إلى أنه جل شأنه ، كما يقول : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، وكما يقول : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .؟

عبد الرحيم فوده

قال الله تعالى :

« لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » آل عمران : ١٨٦

على هذا الأساس تبنى الأسر

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لما خطبنى النبى صلى الله عليه وسلم قلت له : فى خلال ثلاثة ، أما أنا فكبيرة السن ، وأنا امرأة معيل ، وأنا امرأة شديدة الغيرة ، فقال : أنا أكبر منك ، وأما العيال فإلى الله ، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها عنك ، فتزوجها فلما دخل عليها قال : إن شئت سبعت لك وإن سبعت لك سبعت للنساء ، فرضيت بالثلاث . الحديث فى الصحيح من طرق ...

لقد كان فى حياة زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين وسلوكهن ومعاشرتهن له دروس . لو فقهها المسلمات واتخذنها قدوة ومثلا لنعمن فى حياتهن وساد أسرهن جو من الصفاء والوئام ولما تعرض للهزات التى تعصف بهن وتقلق خواطر آبائهن ومن يعنيه أمرهن ، ولا غرابة فى أن يكون زوجات الرسول على هذا النهج الكريم من السلوك الطاهر الشريف فقد اختارهن الله وصانهن وطهرهن وحاطهن بالرعاية والتأديب ليجعلن قدوة للمسلمات . قال تعالى : « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

وقال جل شأنه : « يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا » وليس فى استطاعتنا الإحاطة بفضائل أمهات المؤمنين وإحصاء ما امتازت به كل منهن . وحسبنا أن نتصدى للحديث عن واحدة منهن لنقتبس من سلوكها فى حياتها قبل الزواج وبعده ما نضعه أمام فتياتنا وزوجاتنا نورا يستضئن به فى حياتهن عسى أن يتوافر لهن بفضل ذلك ما يحمدن عواقبه ويستطبن آثاره ، ونساء النبى صلى الله عليه وسلم فى الشرف

والطهر وحسن العشرة على غرار واحد وكلهن كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، وإحدى هؤلاء الفضليات الطاهرات اللاتى نتشرف بالحديث عنها أمنا أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ، وأم سلمة ممن سبق إلى الإسلام واحتملت فى سبيل إسلامها من العنت والأذى ما احتملته القلة السابقة من المسلمين ، فقد كتب لها شرف الهجرتين : الهجرة إلى الحبشة ثم الهجرة إلى المدينة .

وقيل : إنها أول ظعينة دخلت إلى المدينة مهاجرة ، وجمعت إلى شرف الإسلام وشرف التزوج من رسول الله شرف المنبت والمحتد فهى بنت أبى أمية بن المغيرة الذى لقب بزاد الركب ، لأنه كان أحد الأجواد ، إذا سافر لم يحمل أحد من رفقته زادا اكتفاء بزاده .

وقد تزوجت أم سلمة مرتين كانت فى كلتيهما مثلا نادرا فى النساء ، إخلاصا وصراحة وإباء ووفاء ، تزوجت من أبى سلمة رضى الله عنه فأحسن إليها وأحسنت إليه وتعلق كلاهما بالآخر حتى جال فى خاطرها فكرة أن يتعاهدا على أنه إذا فقد أحدهما الآخر فلن يقترن بغيره وفاء بحق العشرة السعيدة وضمانا أن يكون لها فى الجنة كما كان لها فى الدنيا أخرج ابن سعد قال : قالت أم سلمة لأبى سلمة : بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما فى الجنة ، وكذا إذا ماتت امرأة وبقى الرجل بعدها . فقالت : أعاهدك ألا أتزوج بعدك ولا تتزوج بعدى . قال : أتطيعيننى ؟ فقالت : ما استأذنتك إلا وأنا أريد أن أطيعك قال : فإذا مت فتزوجى ، ثم قال : اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلا خيرا منى لا يخزيها ولا يؤذيها فلما مات قالت : من هذا الذى هو خير من أبى سلمة ، وكانت تتوقف عند الدعاء بما يشعر أنها تطلب خيرا منه فكانت إذا دعت بهذا الدعاء المأثور فى المصائب إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك أحتسب مصيبتى فأجرنى فيها وأبدلنى بها خيرا منها ـ توقفت عند جملة وأبدلنى خيرا منها ، وتتساءل عمن هو خير من أبى سلمة ؟ ومازالت أم سلمة تتوقف عند هذه الفقرة من الدعاء حتى تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم ، فعرفت أن هناك من هو خير من أبى سلمة مع عظم قدره

وحسن عشرته ووفرة حبه ومزيد بره .

تلك لمحة من قصة زواج أبى سلمة من أم سلمة وهو زواجها الأول، ويمكننا لأول وهلة أن نستخلص منها شيئين : أحدهما إخلاص أم سلمة ووفاؤها وفاء عزمت أن تضحى فى سبيله بمتاع الدنيا ولذة الحياة فاقترحت أن تعاهد أباسلمة على ألا تتزوج بعده ، والشىء الثانى ذلك التسامح الذى بدا من أبى سلمة حين طلب منها أن تتزوج بعده ولم تدفعه العصبية ولا الأنانية أن يستجيب لاقتراحها : ألا تتزوج بعده انقيادا منه لتعاليم الإســـلام ورعاية لمقتضيات البشرية .

أما قصة زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفجؤنا الغرابة فيها من أولها وتتجلى فيها صراحتها وإخلاصها واعتدادها بنفسها فى صـورة لم نعهدها فى بنـــات جنسها وخصوصا فى مثل ظروفها التى تستحب فيها المداراة وتستثقل الصراحة ، وهى ظروف الخطبة والخطبة ممن ؟ ؟ ! ! الخطبة من أشرف وأكرم إنسان فى الوجود ، هو رسول الله الذى كان يتطلع إلى أفقه عقيلات قريش بل عقيلات العرب عامة .

لقـد خطبها النبى صلى الله عليه وسـلم فماذا كان موقفها حينئذ ؟ كان بوسعها وهو المعهـود فى أمثالها الأرامل أن تهتبل الفرصة ولا تلبث أن تعقد العقدة لتفوز بالمجد والشرف والجاه والسؤدد ،

ولـكن صراحتها ونقاء سريرتها أبت إلا أن تـكاشف رسول الله بدخيلة نفسها وما فيها من أمور قد لا يرغب فيها ولا تطيب معها العشرة ليكون الزوج الـكريم على بينة من الأمر ولتبنى الأسرة على أسس واضحة من المـكاشفة والمصارحة.

لقـد قالت لرسول الله : أنا كبيرة السن، وأنا امرأة معيل، أى كثيرة العيال، وأنا شديدة الغيرة، أى تثور نفسى وأغضب إذا انصرف زوجى إلى غيرى .

هذا ما كشفته أم سلمة من نفسها لرسول الله ليعلم حقيقتها وليبنى قراره على أساسها ، وماذا كان موقف الرسول ؟ لقد كان موقفه ألا يعبأ بما ذكرته لأنه ليس طالب دنيـــا ولا راغبا فى متعة فمقاصده من الزواج أجـل وأسمى فلن تصرفه هذه الأمور وإن صرفت غيره ، وكان لـكل علة فيما ذكرت أم سلمة دواء ، أما كبر السن ، فإنه أكبر منها

وأما العيال فإن له ولهم رازقا وأما الغيرة، فقد رجا أن يزيله الله بدعائه ولم يبق بعد ما يحول دون الزواج وتم فضل الله على أم سلمة بزواجها من رسول الله وحظيت عنده كما تحظى أحب نسائه إليه، روت هند بنت الحارث قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لعائشة منى شعبة ما نزلها منى أحد، فلما تزوج أم سلمة سئل: ما فعلت الشعبة؟ فعرف أن أم سلمة قد نزلت عنده فلما دخل بها رسول الله قال: إن شئت سبعت لك وإن سبعت لك سبعت للنساء، أى إن شئت أقمت عندك سبع ليال ثم أقيم عند كل من نسائى سبعا كما أقمت عندك وإن شئت أقمت عندك ثلاثا فقط ثم أدور على نسائى يوما يوما، وليلة ليلة فرضيت بالثلاث.

هذه لمحة خاطفة عن قصة زواج رسول الله بأم سلمة ويستوقفنا فيها أمور، فيها عبر وعظات وأحكام وتوجيهات، هى الهدى والنور وهى السداد والرشاد؛ أحدها: وجوب المكاشفة بأحوال الخطيبات خلقا وخلقا وكبرا وصغرا وغنى وفقرا حتى تقوم الأسرة على أساس واضح من الصراحة وبيان الحقيقة ولتنقطع الأعذار مستقبلا بدعوى الجهل بحقائق الأمور واستبهام الأحوال، وهذا الأمر من أهم الأمور فى استقرار الأسر بعد بنائها ولعله السبب فى استقرار الأسرة الريفية وقلة الصعاب فى شئون الزواج حيث تلم كل أسرة بأحوال الأخرى لصغر البلاد وتلاحم أهلها بالقربى والجوار والمعاملة، والأمر الثانى: وجوب التروى فى شئون الزواج لخطورة الخطأ فيه وعمق آثاره وليس من الصواب أن تقتحم شئونه اقتحاما كما فعلت أم سلمة حيث لم تستجب لرغبات رجال أعزة فى الاقتران بها حتى أتم الله عليها النعمة بشرف زواجها من رسول الله. الأمر الثالث: أنه ينبغى أن يكون فى اختيار الزوجات شىء من التساهل فى توافر الصفات التى تلتمس عادة فى الزواج، وطلب الكمال قد يكون ضربا من الأحلام، وقد قرأنا فى الحديث كيف تجاوز النبى عما ذكرت أم سلمة من كبر السن، وكثرة العيال، وحسبنا فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «تنكح المرأة لحسبها ولمالها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

تلك أمور استخلصناها من زواج أم سلمة رضى الله عنها ، برسول الله ، فإذا أضفنا إليها ما استخلصناه من قصة زواجها بأبى سلمة من وفاء وإخلاص وإيثار وجعلنا منها جميعا ميزانا لتصرفاتنا فى شئون الزواج لخف الميزان ووجدنا أنفسنا أبعد ما نكون منها وبخاصة فى سرعة البت فى إجراءات الزواج ، وفى التمويه فى أحوالنا المالية والاجتماعية عند السير فيه وفى التشبث بالمثاليات فى الشبان والشابات شكلا وتعليما وغنى عند التفكير فيه وترتب على هذا جميعه تعقد أمور الزواج وفشله فى أحيان كثيرة، ولو راعينا ما أشرنا إليه مما استخلصناه من قصتى زواج أم سلمة لاستمكن بناء الأسرة فى مجتمعنا وهان ما نعانيه من مشكلات فى بناء الأسرة واستقرارها .

وفى قصة زواج رسول الله بأم سلمة ناحية هامة تتصل بموقفنا الحاضر؛ فقد استشهد زوجها أبو سلمة فى معركة من المعارك الإسلامية فكان زواج رسول الله بها جبرا لكسرها وأسوا لجراحها وتكريما لذكرى زوجها البطل، فهو نوع من تكريم أسر الشهداء، حق على المسلمين أنه يتخذوا منه الأسوة والقدوة . هذا والحديث بعد من أحاديث الأحكام يستدل به الفقهاء على حكم القسم بين الزوجات وحق الزوجة الجديدة فى مزيد من الوقت عند البناء بها دون الزوجات الآخريات ولهم فى ذلك الحكم خلاف محله من البسط والتفصيل كتب الحديث والفقه ؟

أبو الوفا المراغى

قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » . الأنفال ٢٤

دراسات قرآنية :

الأشهر الحرم والنسيء

للأستاذ مصطفى الطير

« إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين. إنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين » (٣٦، ٣٧ التوبة)

البيان

أيها القارىء الكريم :

يلتقى بك هذا المقال فى غرة شهر رجب الحرام، ولقد أحسست قبل كتابته أن بك شوقا إلى معرفة الأشهر الحرم، ومعنى كونها حرما، وسبب وصفها بذلك، فرأيت أن أكتب لك فيه إشباعا لنفسك التواقة إلى المعرفة، وإرواء لظمئك إلى العلم.

معنى الآية الأولى : ٣٦

إن عدة الشهور القمرية فى حكم الله اثنا عشر شهرا، ثابتة فى كتاب الله — وهو اللوح المحفوظ — عند ما خلق السموات والأرض، ولا تزال كذلك حسبما خلقها الله ودبرها وفق حكمته، بلا تغيير ولا تبديل « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ».

فالسنة القمرية جعلها الله اثنى عشر شهرا هلالية، منذ سخر الله القمر لإضاءة سطح الأرض، يبدو فى كل منها الهلال دقيقا مقوسا كحاجب الطفل أول الشهر، ثم ينتقل فى منازله حتى يكتمل ويصير بدراً كامل الاستدارة والضوء، ثم يتناقص مع الليالى حتى يستدق ويعود كالعرجون القديم، ثم يغيب فلا يظهر طول الليل آخر الشهر، وتسمى ليالى غيابه ليالى المحاق، ثم يعود إلى الظهور والمرور بتلك المراحل فى الشهر التالى،

وهكذا، فسبحان من دبر فأحكم التدبير «فتبارك الله أحسن الخالقين».

وقد جعل الله فى السنة القمرية أربعة أشهر حرما، أحدها فرد وهو (رجب) وثلاثة منها سرد، وهى (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم).

وعلة تسميتها بأسمائها أن رجباً من الترجيب وهو التعظيم، فقد كانوا يعظمونه ويقدسونه، وذو القعدة من القعود، لأنهم كانوا يقعدون فيه عن القتال والترحال، وذو الحجة من الحج، لأنهم كانوا يحجون فيه، أما علة تسمية المحرم فظاهرة.

ومعنى كونها حرما أنها يحرم فيها القتال، أو أنها محرمة أى معظمة، والذى كان فى بدء الخليقة إنما هو تقسيم السنة القمرية إلى اثنى عشر شهرا، حسب الدورة القمرية الوثيقة الصلة بالشمس والأرض، أما تحريم هذه الشهور الأربعة، فهو أمر طارىء وليس من بدء الخليقة، ولعل بدء تحريمها كان فى شريعة إبراهيم عليه السلام، وذلك حين فشا القتال بين الناس فى عهده لأوهى الأسباب، فشرع الله تحريمها فى شريعته ليكفوا عن إراقة الدماء فيها، لعلهم يراجعون أنفسهم، ويثوبون إلى رشدهم، ويسوون خلافاتهم، فيسود السلام بينهم.

وأول السنة القمرية المحرم وآخرها ذو الحجة، وكان العرب يؤرخون لحوادثهم بليالى الشهور القمرية، فيقولون حدث كذا لخمس ليال خلون من ربيع الأول - مثلا - أو لسبع بقين منه - وهكذا. كما كانوا يؤرخون بالحوادث، كقولهم حدث كذا عام الفيل أوعام الرمادة[1] ولم يكن لهم تاريخ يعد بالسنين.

وكان المسلمون يؤرخون بأعوام الحوادث البارزة، فيقولون حدث كذا عام الهجرة، أو سنة الإذن أو عام الابتلاء، واستمروا على هذا إلى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فاستحدث التاريخ الهجرى.

وسبب اتخاذه عام الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامى، أنه رفع إليه صك تاريخه شعبان، فقال أى شعبان هو؟ ثم قال

(١) كان عام الرمادة فى خلافة عمر بن الخطاب، وقد هلكت فيه الناس والأموال

إن الأموال قد كثرت فينا ، وما قسمناه غير مؤقت ، فكيف التوصل إلى ضبطه ، فقال له ملك الأهواز - وكان قد أسر وأسلم على يده - : إن للعجم حسابا يسمونه (ماهروز) يسندونه إلى من غلب من الأكاسرة ، ثم شرحه له ، فقال عمر رضى الله عنه : ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه وتضبط به أوقاتهم ، فذكروا له تاريخ اليهود والفرس ، فلم يرتض واحدا منهما ، واستحسن أن يؤرخوا بهجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فجزاه الله خيرا على ذلك الرأى السديد ، الذى خلد به تاريخ الهجرة النبوية ، وأعلى به مقامها بين المسلمين ، ولاشك أنها جديرة بهذا التكريم ، فهى مبدأ التحول العظيم فى مسار الإسلام .

وبما أن الهجرة كانت فى ربيع الأول فقد رأى بثاقب فكره أن يرجع بالتاريخ إلى أول العام القمرى وهو المحرم .

(ذلك الدين القيم) .

أى ذلك التحريم للأشهر الأربعة الحرم ، هو الدين المستقيم دين إبراهيم عليه السلام ، وكان العرب متمسكين به وراثة عنه ، فكان الرجل يلقى فى تلك الأشهر قاتل أبيه ، فلا يثيره لقاؤه ليأخذ بثأره منه ، احتراما لحرمتها .

وأما الخروج عن ذلك فليس من الدين القيم ، كما كانوا يفعلون عندما يريدون بدء القتال أو الاستمرار فيه ، من تأخير حرمتها إلى ما يليها من الشهور الحلال ، ويطلقون على هذا التأخير النسيء - وسيجىء الحديث عنه .

(فلا تظلموا فيهن أنفسكم) .

أى فلا تسيئوا فيها إلى أنفسكم بالقتال احتراما لشريعة الله وحقنا للدماء ، وقد كان النهى عن القتال فيها أول الإسلام ثم لما اشتد تألب الكفار على المسلمين ، وعظمت ضراوتهم فى قتالهم فسخ ذلك بقوله تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) وقوله : (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) - ١٩٤ - البقرة ، ونحو ذلك من النصوص .

لكن الفقيه السلفى عطاء بن أبى رباح كان لا يرى القتال فيها ، ما لم ينتهكها المشركون ويقاتلونا فيها لقوله تعالى :

(الشهر الحرام بالشهر الحرام) الآية ، ولأن الدفاع عن النفس والدين مطلوب فى كل وقت بلا خوف .

وأيد أصحاب القول بالنسخ رأيهم بأن النبى صلى الله عليه وسلم ، حاصر ثقيفا بالطائف ، وغزا هوازن بحنين فى شوال وبعض ذى القعدة الحرام .

ولعل عطاء بن أبى رباح يؤول ما صنعه النبى صلى الله عليه وسلم بهؤلاء المشركين ، بأنهم كانوا فى حكم المقاتلين ، لأنهم أعـــداء متربصون ، ينتظرون غرة من المسلمين لينقضوا عليهم ، فبادرهم قبل أن يبادروه تقيــة ، أو لعله يرى أن الرسول بدأهم فى شوال وهو حلال ، فلما جاءه ذو القعدة الحرام ، وهو على حاله معهم ، لم يجد مناصاً من الاستمرار فى قتالهم حتى يتم النصر ، والضرورات تبيح المحظورات .

(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافـــة) .

أى وقاتلوا المشركين جميعا كما يقاتلونكم جميعا ، وليس المقصود أن القتال متعين على كل فرد من المسلمين ، مهما كان عدد العدو ، فإن مثل ذلك يعطل المصالح ، ويضر بمرافق الأمة ، ويضعف الجيش ، لأن العمل المدنى فى الداخل معوان لعمل الجنـدى فى المعركة ، لإمداده بما يحتاج إليه من المؤونة والمال ، فلو تعطل لوهنت قوة الجيش فى الجبهة ، فلا بد من أن يسير العمل المدنى إلى جانب العمل الحربى فالمقصود من الآية أن يتحزب المسلمون على أعدائهم ، وتجتمع كلمتهم ضدهم ، أما الذين يقاتلون العـدو فإنهم يكونون فى العدد والعدة على حسب حال العدو .

(واعلموا أن الله مع المتقين) .

ختم الله الآية الكريمة بهذه الجـــملة للإيذان بأن تقوى الله من أسباب الظفر بالرغائب ، والمعنى : واعلموا أن الله مع المتقين ، بالتوفيق لمـا فيـه مصلحتهم الدنيوية والأخروية ، ومن ذلك النصر على الأعـداء .

وتقوى الله تكون بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه والاستعانة به ، واللياذ إليـه فيما عز وهان ، وإدراك أن اتخاذ الأسباب بغير اعتماد على الله من أسباب الغرور والهزيمة ، ومن تقوى الله الإعداد للقاء العدو ، بالتدريب اللائق والسلاح الفائق ، والشجاعة الممتازة ، والإقدام

في غير إحجام، وتجاوب الجنود مع القادة، وإخلاص قلوبهم لله، وإيثارهم رضاه على حظوظ أنفسهم، والتصرف السريع في وقت الالتحام، وحصر الفكر والإرادة في المعركة وكسب الحرب، وتنحية كل معاني الحنين إلى الراحة والرفاهية عن النفس حتى يأتي الله بنصره، وبغير ذلك يبعد النصر وتدنو الهزيمة.

فعلى جنودنا البواسل أن يتمسكوا بتقوى الله على هذا النحو الذي شرحناه، فالله كفيل بنصر المتقين.

(إنما النسيء زيادة في الكفر).

النسيء: التأخير، تقول نسأت الشيء نسأ ونسيئا ونساء ونساءة، أي أخرته[1].

والمقصود بالنسيء الذي جعله الله زيادة في الكفر، هو تأخير المشركين التحريم من الشهر الحرام إلى الشهر الحلال الذي يليه، كتحريمهم شعبان بدلا من رجب.

وسبب ذلك أن العرب كانوا أصحاب غارات، إما للثأر، وإما للاسترزاق، فقد كان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر تباعا، لا يغير فيها بعضهم على بعض، ويقولون: لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئا لنهلكن فكانوا إذا صدروا عن منى عقب الحج، يقوم زعيم من بني كنانة، فينسأ لهم الشهر الذي يريدونه، أي يؤخر تحريمه.

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت النساءة في حي من بني مالك بن كنانة، وكان آخرهم رجلا يقال له القلمس، وهو الذي أنسأ المحرم، وكان ملكا في قومه، وأنشد شاعرهم: ومنا ناسيء الشهر القلمس.

ويروى أنه كان ينادي الناس بمنى فيقول: أنا الذي لا يعاب ولا يجاب، أي لا ينسب إلى حوب - وهو الذنب - ولا يرد لي قضاء فيقول الناس: أنسئنا شهرا - أي أخر حرمة الشهر الحرام إلى سواه - فيفعل حتى استدار التحريم على السنة كلها.

وفي السنة التي حج فيها الرسول، كان التحريم قد عاد إلى أوضاعه وشهوره التي كانت على عهد إبراهيم عليه السلام.

روى الإمام أحمد عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبة

---

(١) ويستعمل النسيء أيضا بمعنى المنسوء والمعنى المصدري هو المراد هنا، وجاء فيه أنسأته إنساء بمعنى أخرته تأخيرا، ففعله ثلاثي ورباعي.

حجة الوداع (ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان، ثم قال: ألا أى يوم هـذا، قالوا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. ثم قال: أى شهر هـذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى، ثم قال: أى بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليست البلدة؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم: قال ـ وأحسبه قال: وأعراضكم ـ عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هـذا، فى بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا لا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت؟ ألا ليبلغ الشاهد الغائب منكم، فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من يسمعه).

وكان الحى الكنانى الذى فيه النساءة هو حى بنى فقيم كما قاله القرطبى قال شاعرهم:

لقد علمت معد أن قومى
كرام الناس أن لهم كراما
ألسنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما
فأى الناس لم ندرك بوتر!
وأى الناس لم نعلك لجاما[1]

ومن طرق نسيئهم ما حكاه مجاهد قال: كان المشركون يحجون فى كل شهر عامين لحجوا فى ذى الحجة عامين، ثم حجوا فى المحرم عامين، ثم حجوا فى صفر عامين وكذلك فى الشهور كلها، حتى وافقت حجة أبى بكر التى حجها قبل حجة الوداع ذا القعدة من السنة التاسعة، ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل حجة الوداع، فوافقت ذا الحجة فذلك قوله فى خطبته (إن الزمان قد استدار) الحديث ـ قال القرطبى: أراد به أن أشهر الحج رجعت إلى مواضعها، وعاد الحج إلى ذى الحجة، وبطل النسىء.

وقد اعتبر الله نسيئهم بأى لون زيادة

(البقية ص ٤٢٢)

(١) أى: وأى الناس لم تكفهم كما يكف الفرس باللجام.

قصة الإسراء والمعراج

للدكتور محمد أبو شهبة

إليك أيها المسلم الحريص على الحق وحبه، والبغض للباطل وأهله، وعلى تلقي الثقافة الإسلامية من منابعها الصحيحة وفي صورتها الجميلة التي لم تشوهها التزيدات في الرواية، والموضوعات من الأحاديث، ولم يشبها الخيال الجامح حتى غدت الحقيقة إلى الخيال كحبة بالنسبة إلى قبة.

إليك قصة الإسراء والمعراج استقيتها من مجموع الروايات الصحاح، والحسان ومن أوثق كتب الأحاديث والسير، وقد أخذت نفسي أن أعرض عن الأحاديث المكذوبة، والروايات الضعيفة والحكايات المنتحلة، لأن في الأحاديث الصحيحة والحسنة، والروايات المقبولة، ما يغني عن المختلق المكذوب، والضعيف المردود، وليست الحضرة النبوية السامقة والحياة النبوية اليتيمة الفذة في حاجة إلى شيء من ذلك وها هي ذي خلاصة القصة، فأقول وبالله التوفيق:

بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم بائتا ذات ليلة غراء، ببيت السيدة الهاشمية أم هانئ، بنت عمه أبي طالب، بين عمه حمزة المغوار، وابن عمه جعفر الطيار، إذ فرج (١) سقف البيت، وهو مضطجع بين النائم واليقظان، فنزل عليه ثلاثة نفر من الملائكة الأطهار: جبريل عليه السلام، ومعه اثنان من الخيرة الأبرار، فاحتملوه حتى أتوا به الحجر (٢) بالمسجد الحرام.

فشق جبريل عليه السلام صدره الشريف، وأتى بطست من ذهب مملوء بماء زمزم الميمون المبارك، فغسل به قلبه الشريف، ثم أفرغ في قلبه صلى الله عليه وسلم، ما شاء الله له أن يفرغ من ينابيع الإيمان والحكمة، وذلك استعدادا لما يشاهده في هذه الليلة المباركة من

(١) شق وفتح.

(٢) هو القطعة التي احتجزت واقتطعت من الكعبة لما ضاقت بقريش النفقة، وهو الآن محاط بجدار بعلو متر علامة عليه.

الآيات الإلهية ، ولما سيلقى عليه من أنواع الفيوضات الربانية .

ثم جيء له بالبراق ، وهو مخلوق من مخلوقات الله العجيبة، على صورة الحيوان لكنه ذو سرعة فائقة ، وقدرة خارقة ، على قطع المسافات الشاسعة ، له من اسمه نصيب ، فهو كالبرق ، بل هو أشد منه في الإسراع ، حتى إنه ليضع قدمه عند منتهى الإبصار ، وأخلق بمثله أن تطوى الفيافي والقفار، في ساعة من ليل أو نهار .

فركبه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فسار به وهو مزهو بهذا الشرف الرفيع ، وجبريل الأمين ، آخذ بركاب النبي الكريم ، وفي الطريق مر الأمين ، والأمين[1] بأرض ذات نخل وزروع ، فقال جبريل للنبي : انزل فصل ، فنزل فصلى[2] ، فقال له جبريل : أتدرى أين صليت ؟ قال : الله أعلم، قال: صليت بطيبة[1] وإليها المهاجرة ، ثم سارا فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : انزل ، فصل ، فنزل فصلى، فقال له جبريل: أتدرى أين صليت ؟ قال : الله أعلم، قال : صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليما ثم سارا فقال جبريل للنبي : انزل فصل فنزل فصلى ، فقال له جبريل : أتدرى أين صليت ؟ قال : الله أعلم ، قال : لقد صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام .

وفي مسراة صلى الله عليه وسلم أراه الله من الآيات ما أراه ، وضربت له الأمثال ، التي تفيض بالعبر والعظات ، كان النبي يرى المشهد العجيب ، الدقيق المعبر ، فيعجب منه ، فيستفسر عنه من جبريل، فيجيب إجابة الأمين، المخبر عن العليم الحكيم ، رب العالمين ، ليكون من وراء ذلك العظة الباقية إلى يوم الدين وما زال البراق يطوى الأرض طيا حتى أتى بيت المقدس ، فربطه صلى الله عليه وسلم بالحلقة التي كان يربطه بها الأنبياء

(١) الأمين الأول: هو نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وقد عرف بذلك منذ شبابه والأمين الثاني : هو أمين الوحي جبريل .

(٢) لا يشكلن عليك أن الصلاة لم تفرض إلا بعد ذلك هذه الليلة لأن الذى فرض الصلوات الخمس ، أما أصل الصلاة فكانت معروفة وكان النبي يصلى ركعتين في الغداة ، وركعتين في العشى ويتعبد بذلك .

(١) هي المدينة المنورة طابت ، وطاب المقام فيها .

ثم دخل المسجد الأقصى، فوجد المسجد على سعته غاصا بأنبياء الله، وملائكته الأطهار، ترحيبا بالقادم الكريم.

ثم أقيم للصلاة شكرا لله فى هذا المقام، فتدافع الأنبياء أيهم يصلى إماما فأخذ جبريل الأمين، بيد الأمين المأمون فقدمه إماما، فصلى بهم ركعتين، فلما قضيت الصلاة، وقد بلغ العطش من النبى مبلغه جاءه جبريل بإناء من لبن، وإناء من خمر، فاختار اللبن، فقال له جبريل: اخترت الفطرة، ولو اخترت الخمر لغوت أمتك!!

وإنه لتشريف وتكريم أن يحشد الله الكريم، أنبياءه ورسله الكرام، للقاء خاتمهم وآخرهم، وحامل لوائهم، فما عرفت الدنيا حفلا أكرم من هذا الحفل ولا قادما كريما أشرف من هذا القادم، وإنه لمقام يعجز عنه وصف الواصفين، مهما أوتوا من بلاغة ولسان مبين.

ثناء الأنبياء على ربهم:

وفى هـــذا المقام المشهود، واللقاء الموعود أثنى بعض الأنبياء على ربهم بمحامد هو سبحانه أحق بها وأهلها، وآلاء ونعم تمن عليهم وعلى أممهم بها وبحسبنا فى هذا المقام ذكر ما أثنى به نبينا محمد على ربه فقال [1]: «الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين، كافة للناس بشيرا ونذيرا، وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شىء، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتى أمة وسطا وجعل أمتى هم الأولون، وهم الآخرون وشرح لى صدرى، ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى، وجعلنى فاتحا وخاتما».

المعراج: ومن هنالك، ومن هذه البقعة المباركة التى هى مثابة الأنبياء ومهاجرهم، وأولى القبلتين، وثانى المسجدين بناء، وثالث الثلاثة المساجد فضلا وشرفا ـ عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم ومعه صاحبه جبريل، فعرجا حتى وصلا إلى السموات العلا، وعند أول سماء استفتح جبريل، فقيل له: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم قال: مرحبا به فنعم المجىء جاء، ففتح لهما فإذا آدم عليه السلام، فقال جبريل:

(١) من أراد أن يقف على ثناء الأنبياء غير نبينا فليرجع إلى تفسير الإمام ابن جرير الطبرى فى تفسير آية الإسراء.

هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : مرحبا بالنبي الصالح ، والابن الصالح .

وهكذا كلما وصل إلى سماء أخرى ، استفتح[1] جبريل ، وحصل السؤال بمثل ما حدث في السماء الأولى ، وجاء الجواب بمثل ما جاء أولا ، فيؤذن لهما في الدخول والارتفاع .

فوجدا في السماء الثانية : ابني الخالة يحيى ، وعيسى - عليهما الصلاة والسلام .

ووجدا في السماء الثالثة : من أعطى شطر الحسن يوسف عليه الصلاة والسلام

ووجدا في السماء الرابعة : من كان صديقا نبيا ، ورفعه الله مكانا عليا ، إدريس عليه الصلاة والسلام .

وفي الخامسة: من جعله الله وزير صدق لأخيه : هرون عليه الصلاة والسلام

وفي السادسة : كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام .

وفي السابعة : خليل الرحمن ، وأبا الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وهنالك رفع للنبي صلى الله عليه وسلم البيت المعمور ، هو بيت في السماء مثل الكعبة في الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدا .

إلى سدرة المنتهى[1] : ثم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى ، وهي شجرة عظيمة لا ندرى كنهها وحقيقتها ، وقد غشيها من جلال الله ، وعجيب خلقه ما غشيها ، فما يستطيع أحد من خلق الله - مهما أوتي من بيان - أن ينعتها من حسنها ، وبديع صنعها ، ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ! إلا أن ثمرها كقلال هجر[2] وأوراقها كآذان الفيلة[3] وهنا لك عند سدرة المنتهى انتهى جبريل إلى مقامه المعلوم ، ثم عرج بصاحب المقام ، المحمود ، والشفاعة العظمى ، في بحار من الأنوار ، وسبحات من سبحات الجلال والجمال ، والكمال وفضاء لا يعلم مداه

(١) أى طلب أن يفتح لهما

(١) سميت بذلك لأنه ينتهى إليها كل ما يصعد به من الأرض ، وما ينزل به من السماء ، قيل : لم يجاوزها أحد من نبي مرسل أو ملك مقرب إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وزاده تشريفا وتكريما إلى يوم القيامة

(٢) قلال : جمع قلة ، وهجر : مكان في الجزيرة معروف بصنعها .

(٣) يعنى في الشكل والكبر .

إلا علام الغيوب، حتى ارتقى إلى مستوى سمع فيــه صريف(١) أقلام الملائكة الكرام.

وهنالك أراه الله من آياته الكبرى ما أراه، وأفاض على قلبه من فيوضاته الإلهية ما أفاض، وتفتح القلب الواعي الكبير للفيوضات، وتملت العينان من الجلال، والجمال ما شاء الله لها أن تتملى «ولقد رآه نزلة أخرى. عند سـدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السـدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى»(٢).

فرض الصلوات الخمس: وهنالك وفى هذا المقام الكريم، العزيز المنال فرض له عليه وعلى أمتـه خمسين صلاة فى اليوم والليلة، فرجع الحبيب، ومر على موسى الكليم فقال له موسى: يا محمد بم أمرت؟ قال: بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، وإنى قد بلوت بنى إسرائيل قبلك، وعالجتهم أشـد المعالجة على ما دون ذلك، فما استطاعوا فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

فرجع الحبيب إلى ربه فسأله التخفيف عن أمتـه، فوضع عنها عشرا، ثم عاد النبى، ومر على موسى، فقال له مثـل مقالته الأولى، فرجع إلى ربه سائلا التخفيف، ولم يزل النبى يرجع بين موسى وبين ربه جل وعـلا حتى قال الحق تبارك وتعالى.

«يا محمد: إنهن خمس صلوات فى اليوم والليلة، وهن خمسون فى الثواب»، فنزل النبى صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى موسى عليه السلام فأخبره بمقالة الرب جل وعلا فقال موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال له السيد الحيى، الرضى: «سـألت ربى حتى استحييت ولكنى أرضى وأسلم».

فلما جاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداه الرب جل وعـلا «أمضيت فريضتى، وخففت عن عبادى»، ثم عاد صلى الله عليه وسلم محفوفاً بالإكرام،

---

(١) الصريف: صوت القـلم، والمراد الأقلام التى تكتب بها الملائكة مايشاء الله من تدبيره فى الأكوان.

(٢) النجم ١٣-١٨.

والعناية الربانية ، وعليه هالات من الجلال ، والجمال والتجليات الإلهية حتى نزل إلى بيت المقدس ، فركب البراق ومعه جبريل ، وعاد من حيث جاء إلى البلد الحرام ، وهو فى غاية من السكينة والوقار .

ومن هذه الليلة المباركة صارت الصلاة فرضاً مفروضاً على كل مسلم ومسلمة ، وركناً من أركان الإسلام ، تشهد لمؤديها بالإخلاص ، والمواظب عليها فى أوقاتها ، بطهارة القلب ، واستقامة السلوك ، وصلاح الأحوال، فلله أنت - ياليلة الإسراء والمعراج - فلو لم يكن لك من الفضل إلا فرض الصلوات الخمس لكفى !!

د. محمد محمد أبو شهبة

(بقية المنشور على صفحة ٤١٦)

فى الكفر ، لأنه ليس من شرع الله ، ولما كانوا يعتقدون حله ، فلذا جعله الله كفرا ، لأن من أحل ما حرمه الله فهو كافر ، وبذلك ازدادوا كفرا فوق كفر ويجوز أن يراد بكفرهم بالنسىء عصيانهم الشديد فتهويلاً لأمره عبر عنه بالكفر.

(يضل به الذين كفروا)

أى يضلهم الشيطان بهذا النسىء ، إضلالا فوق إضلالهم بالشرك .

(يحلونه عاما ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله) .

أى يحلون الشهر الحرام فى موضعه عاما بأن يؤخروا حرمته إلى الشهر الذى يليه ، ويردون إليه حرمته عاما آخر وهم فيما يفعلون يحافظون على عدد الأشهر الحرم وهو أربعة بأى وضع كان ، ليوافقوا عدة ما حرم الله ، وفاتهم أن نقل التحريم من شهره إلى شهر آخر إثم كبير .

(زين لهم سوء أعمالهم)

زين لهم الشيطان أعمالهم السيئة وحسنها لهم فأخذوا برأيه ونسأوا التحريم

(والله لا يهدى القوم الكافرين)

أى لا يمنحهم الاهتداء إلى الحق ماداموا مصرين على الباطل، غير آخذين بأسباب الاستقامة ، نسأل الله صلاح الحال وحسن المآل ، والله أعلم ؟

مصطفى محمد الطير

الإسراء والمعراج فى القرآن والسنة

للأستاذ عبد المنعم الإدفوى

ثبت الإسراء بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ، وثبت المعراج به عليه الصلاة والسلام من بيت المقدس فالسموات السبع إلى سدرة المنتهى بالقرآن أيضا وبالسنة ، وقد ثبت صدق القرآن الكريم - وكله صادق بشهادة الواقع والتاريخ فى كل ما تناول - فى غيبيات كثيرة منها أنه حكم على بعض المشركين بأنهم سيموتون على الكفر ، قبل أن يلاقوا يومهم الذى يوعدون ، وذلك خلال فترة لا تقل عن ثلاثة عشر عاما ، وكان من اليسير أن يقروا فى هذه الحقبة الطويلة بوحدانية الله ونبوة رسوله ، ولا يكلفهم هذا الإقرار ، سوى النطق بالشهادتين ، ولكن الله عليم بأنهم لن يسلموا ، وقد كان .

ومن هؤلاء المشركين - وما أكثرهم - أبو جهل والوليد المخزومى وأبو لهب وامرأته أم جميل والعاص بن وائل السهمى وأمية بن خلف والأخنس ابن شريق ، وعقبة بن أبى معيط والأسود ابن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى . وهناك آيات عديدة نزلت فيهم على أنهم من أهل النار ، فى حين أن القرآن لم يتعرض لبعض المشركين يومئذ ، ومنهم أبو سفيان وخالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وغيرهم لأن الله تبارك وتعالى يعلم أنهم سيموتون على الإسلام ، وقد كان .

هكذا كان موقف القرآن الكريم من هؤلاء وهؤلاء فى الحكم على مصائرهم مسبقا وغيبا ، فإذا جاء القرآن يثبت الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجسد حيث لا يبدو الإعجاز فى الإسراء بالروح وحدها ، فإن ذلك سينتهى إلى حق يعلو على الجحود والنكران ويتأبى على الإفك والبهتان ويتسامى على الترهات والأباطيل .

وإلا فأى فرق بين إثبات الكفر للمشركين قبل أن يموتوا عليه بزمن طويل وبين الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم بالجسد مع أنهما أمران غيبيان .

يقول الحافظ بن كثير فى مؤلفه « تفسير القرآن العظيم » : إن الإسراء كان بالبدن والروح لأن قوله تعالى : «سبحان الذى أسرى بعبده» يعنى التسبيح وهو لا يكون إلا عند الأمور العظام ولو كان الإسراء مناماً لم يكن فيه كبير شىء . ولم يكن مستعظما ، ولما بادر كفار قريش إلى تكذيبه . . وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ... إلى أن يقول : وأيضا فإنه حمل على البراق وهو دابة ، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح .

إن تبليغ الرسالة أمانة تنوء بحملها السموات والأرض والجبال ، والرسول محتاج دائما إلى تأييد الله حتى يبلغها ، فإذا تعرض الرسول للتكذيب من جانب أعداء الله ، وإذا أصيب فى أعظم نصرائه ومؤيديه بوفاة عمه أبى طالب وزوجه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وإذا بذل كل طاقاته التى أمره الله أن يبذلها فى معالجة الصعاب ، وإذا أصبح اعتماده كله بعد ذلك على خالقه وحده دون من فى الأرض جميعا ـ تجلى الله له فأراه آياته الكبرى وأمده بفيوضاته ، وزوده بما به يبلغ الغاية فى أداء الأمانة التى كلفه بها ، ومن هنا كان الإسراء والمعراج تأييدا للرسول وتثبيتا لقلبه وجنانه ومشاعره وتجديدا لعزمه . كل ذلك فى إطار الحفاوة التى لم يحظ بمثلها رسول من قبل .

والإسراء والمعراج برسول الله ، وإعلانه فى وجه المشركين يكشف الفرق بين الرسول ومدعى الرسالة وبين النبى والمتنبىء ذلك أن الرسول يستهين بما يلقى وان انتهى ما يلقاه إلى السخرية والاستهزاء، فهو صاحب رسالة لامفر من أن يؤديها على الرغم من السخرية والاستهزاء ، وليس كذلك مدعى الرسالة أو المتنبىء لأنه غير مزود بمدد من الله يعينه على الصمود فى وجه معارضيه ، ولهذا يعمد كل منهما ـ مدعى الرسالة والمتنبىء ـ

إلى التخلى عن دعواه ، فور أن يتعرض للسخرية والاستهزاء ، طلبا للسلامة والعافية ، وقد حدث ذلك للمتنبئين من بنى اسرائيل والعرب .

ولكن رسول الله الكريم محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، كان يعلم علم اليقين أو عين اليقين أن مشركى مكة وغيرهم لا يصدقون الإسراء والمعراج به على أية صورة من الصور ، غير أنه لما كان ذلك الحادث حقيقة كبرى غدا عليهم صباحه ، فأخبرهم الخبر فقال أكثر الناس : هذا والله الأمر المبين .. والله إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهراً مقبلة .. أفيذهب محمد فى ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة .

بل إن الرسول ذهب إلى أكثر من هذا ، إذ حلف على أن يحدث قريشا بمسراه ، وليصدق من يصدق ويكذب من يكذب .

روى عن أم هانئ بنت أبى طالب فى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول : ما أسرى برسول الله عليه الصلاة والسلام إلا وهو فى بيتى .. نائم عندى تلك الليلة فى بيتى ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا — أيقظنا — رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال :

يا أم هانئ : لقد صليت بكم العشاء الآخرة ، كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه .

ثم قد صليت صلاة الغداة معكم كما ترين ثم قام - والرواية لأم هانئ - ليخرج فأخذته بطرف ردائه فتكشف عن بطنه كأنه قبطية مطوية ، فقلت له يانبى الله : لا تحدث بهذا الحديث الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ، قال : والله لأحدثنموه - فقلت لجارية لى حبشية اتبعى محمداً رسول الله حتى تسمعى مما يقول للناس ، وما يقولون له ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس ، أخبرهم فعجبوا !

وإلى هنا كان لابد أن يطلبوا منه البرهان ، قالوا : ما آية ذلك يامحمد .؟

فإنا لم نسمع بمثل هذا قط .. قال : إن من آية ما أقول لكم إنى مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا ، قد أضلوا بعيراً لهم فجمعه فلان . . وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى كان قريباً من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك البعير الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولو كان الوضع على غير ماقال الرسول لسارع المشركون إلى تكذيبه، ووجدوها فرصة يهتبلونها للتشنيع عليه بين جميع الناس ، ولملأوا عليه الدنيا ضجيجا وتشويشا ، ولكنه الرسول الصادق المصدوق الذى لم يكذب حياته البتة على الناس ، وهم لا يملكون له نفعا ولا ضرا، فكيف يكذب على الله الذى يملك وحده الضر والنفع والذى اصطفاه لحمل أعظم رسالة فى الأرض .

على أن الأمر أبعد من هذا، وهو أن الله تبارك وتعالى هو الذى أسرى برسوله جسدا وروحا لأنه قال أسرى بعبده كما سبق ، فالقضية لا تقبل التكذيب ، لأنها صادرة عن الله ومن أصدق من الله حديثا .

ثم إن الله تبارك وتعالى الذى حاط رسوله بعنايته وكلأه برعايته لم يترك سبيلا للمتعجبين عن سراه ، فقد ظن المنكرون أن حادث الإسراء كفيل بأن يزلزل إيمان أبى بكر ، فكيف بغيره ، فقد ذهب الناس إلى أبى بكر فقالوا له:

هل لك ياأبابكر فى صاحبك يزعم أنه قد جاء الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ، فقال لهم أبو بكر ـ ليتأكد ـ إنكم تكذبون عليه، فقالوا بلى ها هو ذا فى المسجد يحدث الناس به ؛ فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك ؛ فوالله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار ؛ فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال يانبى الله : أحدثت هؤلاء القوم : أنك أتيت بيت المقدس

هذه الليلة ، قال : نعم ، قال : يانبى الله فصفه لى فإنى قد جئته ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرفع لى حتى نظرت له ؛ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبى بكر ويقول أبو بكر : صدقت ؛ أشهد أنك رسول الله ؛ كلما وصف له منه شيئا قال : صدقت .. أشهد أنك رسول الله حتى انتهى .

وقد حاول أبو جهل أن يتخذ من حادث الإسراء موضعاً للسخرية بالرسول ، فقد مر به وجلس إليه ، وقال هل كان من شيء ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : وماهو ؟ قال إنى أسرى بى الليلة ، قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، وهنا لم يرد أبو جهل أن يكذب الرسول مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه ـ هكذا فكر أبو جهل بعقلية أصحاب الأفئدة الهواء ـ قال عدو الله : أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : هيا معشر بنى كعب بن لؤى قال : فانتفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما : قال: حدث قومك بما حدثتنى به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى أسرى بى الليلة فقالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال نعم ، وتستطيع أن تنعت لنا المسجد وفى القوم من رآه ؟ فلما نعته الرسول .. قال القوم أما النعت ، فوالله لقد أصاب ، إذاً فماذا بقى حتى يؤمنوا ، إنها المكابرة وإنه الإصرار على الكفر .

(المعـــراج)

وأما المعراج بالرسول من بيت المقدس إلى السموات السبع ، ثم إلى سدرة المنتهى فقد ورد كما يقول « صاحب نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين» فى صحيح السنة وأصح أحاديثه ما رواه الشيخان ـ البخارى ومسلم ـ ونقله القاضى عياض فى شفائه ـ كتابه ـ عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتيت البراق ، وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ـ بصره ـ حتى أتيت بيت المقدس ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فأتانى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن

فاخترت اللبن ، فقال جبريل : أخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء .

وقد روى المعراج عن بعض الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى بنص القرآن ، هذا بالإضافة إلى نصوص القرآن الواضحة الدلالة على المعراج .

وكان المعراج رحلة خير وبركة للمسلمين؛ إذ لقى فيها عليه الصلاة والسلام ترحيبا وحفاوة من الأنبياء ، والمرسلين فى كل سماء عبر الرحلة الميمونة ، رسولا اكتمل فى رسالته دين الله إلى الناس الذى جمع عقيدة التوحيد عقيدة المرسلين جميعا ، وشريعة يصلح عليها البشر ، وبذلك استحق الرسول أن يكون أول الرسل وخاتمهم وأن تكون أمته خير الأمم .

يقول العقاد فى مؤلفه «الله»: فالفكرة الإلهية فى الإسلام فكرة تامة لا يتغلب فيها جانب على جانب ، ولا تسمح بعارض من عوارض الشرك والمشابهة ، ولا تجعل لله مثيلا فى الحس ولا فى الضمير بل له المثل الأعلى ، وليس كمثله شىء .

فالله واحد لا شريك له ، ولم يكن له شركاء فى الملك. فتعالى الله عما يشركون وسبحانه عما يشركون، والمسلمون هم الذين يقولون : ما كان لنا أن نشرك بالله، ولن نشرك بربنا أحداً .

وأنت تعلم أن القرآن الكريم مفعم بآيات التنزيه على نحو غير مسبوق فى الكتب السماوية الماضية ، ومن ذلك تدرك تمام الإدراك كيف كرم الله رسوله محمداً عليه السلام بالمعجزات ومنها الإسراء والمعراج .

ثم تأتى خاتمة المطاف ، فيكرم الله رسوله بفرض الصلاة التى هى عماد الدين من أقامها أقام الدين ومن هدمها هدم الدين ، وهى الصلة التى تربط العبد بربه وتشده إلى رحمته، وهى التى تريح الإنسان من أثقال الحياة وغواشيها وهمومها وتطهره من أدرانها وأرجاسها وتوفر له الأمن والاستقرار والاطمئنان ، وصدق رسول الله حين كان يقول عند كل صلاة : أرحنا بها يا بلال ؟

عبد المنعم حسن الإدفوى

لزوم أداء الزكاة فور وجوبها

للدكتور حسن الشاذلى

لما كانت الزكاة إحدى الفرائض التى فرضها الله على المسلمين، كالصلاة والصيام والحج ، وقد اقتضت حكمة المشرع أن يجعل لكل فريضة وقتا محدداً لأدائها ، فهل للزكاة وقت محدد لأدائها ؟ وقبل أن نجيب على ذلك نود أن نشير إلى أن بعض الفرائض حددت النصوص الزمن الذى تؤدى فيه : كالصيام [١] ، حيث بينت أن أداءه يكون فور شهود شهر رمضان، وإلا كان قضاء لا أداء ، وكالصلاة ، فقد بينت النصوص وقت أداء كل صلاة من الصلوات الخمس بداية ونهاية ، ويكون للمكلف أن يؤدى الصلاة فى أول الوقت ويجوز له أن يؤخرها عن ذلك دون إثم عليه ، قبل دخول الوقت الثانى ، وكالحج فقد حدد المشرع وقت أدائه ، ولكنه أوجبه مرة واحدة فى العمر إذا توافرت شروطه التى حددها، وتحقق هذه الشروط أمر نسبى ليس له زمن معين ، فهل إذا تحققت يجب أداؤه على الفور أم على التراخى؟ وكذا الزكاة حدد المشرع شروط وجوبها ، دون أن يحدد زمن أدائها ، فهل عند تحقق شروط وجوبها يجب أداؤها فورا أم على التراخى؟ للفقهاء رأيان فى كل [١] ونوضح هنا آراءهم فى الزكاة تفصيلا :

الرأى الأول : يرى بعض الحنفية (أبو يوسف - فى رواية عنه - وأبو بكر الرازى) أن الزكاة تجب على التراخى، أى أن المالك للنصاب [٢] ليس ملزما بأدائها

(١) فقد حددته الآية الكريمة «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . . . » البقرة ١٨٥

(١) يرى محمد من علماء الحنفية والشافعية: أن الحج يجب على التراخى ، لأنه وظيفة العمر ، فكان العمر فيه كالوقت فى الصلاة ، ويرى جمهور الفقهاء (أبو حنيفة وأبو يوسف والمالكية والزيدية والإمامية): أن الحج واجب على الفور، لأنه يختص بوقت خاص والموت فى سنة واحدة غير نادر ، فيتضيق احتياطا .

(٢) النصاب : هو المقدار المحدد شرعا من الأموال الذى تجب فيها الزكاة .

فور حولان الحول ، بل له أن يؤديها في أي وقت إلى نهاية عمره ، وقد قالوا في الاستدلال لهذا الرأي : إن الله تعالى يقول : « وآتوا الزكاة » والأمر بإيتاء الزكاة هنا مطلق ، غير مقيد بزمن ، وهو لا يقتضي الفور ولا التراخي ، وإنما يقتضي مجرد طلب المأمور به ، وإذا كان يقتضي هذا فإنه يجوز للمكلف كل من الفور والتراخي ، وإذا جاز له تأخير الأداء فإن جميع العمر يكون وقت الأداء ، وإذا لم يؤد إلى آخر عمره يتضيق عليه الوجوب ، فيأثم إذا مات ولم يؤد .

الرأي الثاني : يرى جمهور الفقهاء (الحنفية[1] ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، والزيدية ، والإمامية) : أن الزكاة تجب على الفور ، أي أنه يلزم المزكي أداؤها فور تمام الحول على النصاب فإذا أخرها - من غير ضرورة - فإن هذا التأخير لا يحل له ، ويصبح مسيئا آثما ، وتؤخذ منه ، وقد استدلوا لرأيهم بعدة أدلة :

١ - قال الحنابلة : إن الأمر المطلق يقتضي الفور ؛ ولذلك يستحق العقاب كل من تأخر في الامتثال بما أمر به ، فقد أخرج الله تعالى إبليس من الجنة ، وسخط عليه ، ووبخه بامتناعه عن السجود عندما أمره به ، ولو أن رجلا أمر خادمه أن يسقيه ، فأخر ذلك عنه ، استحق العقوبة ، ولأن جواز التأخير ينافي الوجوب ، لكون الواجب مما يعاقب على تركه ، ولو جاز التأخير لجاز إلى غير غاية ، فتنتفي العقوبة بالترك[1] .

ومن هذا يتضح لنا أن ما استدل به الرأي الأول هو استدلال بأمر مختلف فيه بين الأصوليين .

٢ - قال فقهاء الحنفية ومن وافقهم : إن مطلق الأمر كما في قوله تعالى : « وآتوا الزكاة » لا يقتضي الفور - كما هو المختار في الأصول - بل يقتضي تجدد طلب المأمور به ، كما قاله أصحاب الرأي الأول . إلا أن الأمر بأداء الزكاة إلى الفقير قد صاحبته قرينة تقتضي فورية الأداء ، وهذه القرينة هي : أن الزكاة فرضت لدفع حاجة المحتاجين الذين بينتهم الآية الكريمة « إنما الصدقات للفقراء والمساكين

(١) حقق الكمال بن الهمام في فتح القدير جـ ١ ص ٤٨٣ رأي الحنفية ، وانتهى إلى أنه ثبت عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد القول بفورية أداء الزكاة .

(١) المغني والشرح الكبير جـ٢ ص٦٦٨

والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم»(١) وهذه الحاجات معجلة وناجزة، لأنها لو لم تجب على الفور لم يحصل المقصود من إيجابها على وجه التمام، ولذلك يجب أن يكون وجوب الزكاة ناجزا.

٣ — كما استدلوا بالقياس فقالوا: إن الزكاة عبادة تتكرر فى كل عام فلا يجوز تأخيرها إلى وقت وجوب مثلها - عند مجىء حول آخر - كما لا يجوز تأخير الصلاة والصوم إلى وقت وجوب مثلها.

٤ — أنه لو جاز تأخير الزكاة لأخرها المالك بمقتضى طبعه ثقة منه بأنه لا يأثم بالتأخير، إذ النفس قد حبب إليها جمع المال وحيازته وتتقاعس عادة وطبعاً عن إخراجه، وهذا يؤدى إلى ضياع حقوق الفقراء والمحتاجين، والإضرار بهم، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار».

ومن هذا يتضح لنا قوة الرأى الثانى ورجحانه خاصة وأن تأخير أداء الزكاة لا يتمشى مع ما نص عليه فى زكاة الزروع والثمار - وهى نوع من الزكاة - من أن أداء هذه الزكاة يكون يوم الحصاد، قال تعالى: «وآتوا حقه يوم حصاده»(١) فالأداء يكون فورياً لا متراخياً.

وأيضاً فإن تأخير أداء الزكاة يؤدى إلى اضطراب هذا المورد المالى الذى جعل الله له مصارف غاية فى الأهمية فمنها ما يؤدى إلى الأخذ بيد الضعفاء حتى يقووا، ومنها ما يدفع فى مرتبات الجامعين للزكاة، ومنها ما يجهز به الجيش من آلات ومعدات وغير ذلك ... فلو فتحنا باب جواز تأخيرها لأصبح هذا المورد قابعا فى جيوب الجشعين لا ينتفع به سواهم، ولما عرفت الدولة ما لها وما عليها، وليس بهذا المسلك تبنى الدولة وترقى.

ولذلك فإننا نؤيد لزوم أداء الزكاة فور وجوبها، وكل من يؤخرها عن وقت الأداء المحدد له يكون مستحقاً للعقوبة: مالية كانت أو غير مالية، كما أوضحنا فى مقالنا السابق (عدد ربيع الأول سنة ١٣٩٢هـ) والله ولى التوفيق؟

حسن الشاذلى

(١) التوبة: ٦٠.

(١) الأنعام: ١٤١.

خطأ الخلط بين المبادئ الإسلامية وسلوك بعض الخلفاء

للدكتور محمد رأفت عثمان

كان المسلمون يلقبون رئيس الدولة في العصور الإسلامية الأولى بالخليفة وأمير المؤمنين والإمام الأعظم ، وكان ثمة ظروف وأسباب أدت إلى ظهور هذه الألقاب للقائم بأمور المسلمين .

ولما كان رئيس الدولة الإسلامية قد لقبه المسلمون في العصور الإسلامية الأولى بالخليفة وأمير المؤمنين والإمام الأعظم فقد عرف المنصب الذي يتولاه باسم الخلافة وإمارة المؤمنين والإمامة العظمى وقد سار من تقلدوا هذا المنصب في عصر الخلفاء الراشدين الأربعة — أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم — على النهج المستقيم ، فلم يحيدوا عن تعاليم الإسلام وقانونه ، فلم تشغلهم المطامع الدنيوية والنزوات البشرية عن النظر في مصالح الأمة ، والسير في حكمها بالطريقة المثلى التي أمر الشارع الحكيم بها ، حتى خلا وقت حكمهم أو كاد أن يخلو من النزاعات السياسية ، عدا ما كان من ردة بعض العرب في مستهل خلافة أبي بكر وامتناع بعضهم عن دفع الزكاة المفروضة ، وما كان من الفتنة أواخر أيام عثمان وعلي رضي الله عنهم جميعا .

وعلى الرغم من أنه لا يوجد واحد من المسلمين أو من غير المسلمين ، ينكر أنه كان لنفر ممن تسنموا قمة السلطة التنفيذية في بلاد المسلمين بعد عصر الخلافة الراشدة مواقف تبعدهم عما يحتمه الإسلام من مثالية بين الحاكم والمحكوم — على الرغم من ذلك فإننا نرى من يجرؤ على الخلط بين سلوك هؤلاء الحكام ومبادىء الشريعة الإسلامية ، فإذا ما نزع حاكم إلى الاستبداد ، وتسلط على رقاب الناس ، قالوا : إن نظام الحكم في الإسلام نظام استبدادي ونسوا أن للإسلام مبادئه الواضحة ، التي تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم لمصلحة الأخير لا لمصلحة الحاكم .

كان هذا هو نهج بعض الباحثين من المستشرقين ، حتى اغتر ببحوثهم بعض حملة الأقلام من أبناء هذه الأمـــة ، فأصبحوا ينادون بأفكارهم ويرطنون برطنهم ، فيقول السير توماس أرنولد ـ فى صدد كلامه عن الخلافة ، أى رياسة الدولة الإسلامية ـ : « والخلافة التى عرفت هكذا كانت حكما استبداديا ، يضع قوة غير محدودة فى أيدى الحاكم ، وتطلب طاعة مطلقة من رعاياه ، ثم يحاول أن يعلل لماذا كانت الخلافة الإسلامية هكذا ـ كما يراها ـ استبدادية ، فينسب إلى الملكية الفارسية التأثير فى الخلافة الإسلامية بعد أن قضى العرب على سلطان الدولة الفارسية ، فيقول : « وربما كان طابع الخلافة الإسلامية الاستبدادى من تراث الملكية الفارسية ، التى حازت الجماعة المسلمة ممتلكاتها ، لأن المجتمع العربى قبل الإسلام لم يعرف قط أى شكل من هذه النظم السياسية ، ولم تتجانس مع عقيدة القرآن فى تساوى جميع المؤمنين » ثم يحاول أن يستدل على ادعائه أن الخلافة أى رياسة الدولة الإســـلامية تنزع الاستبداد بأحاديث رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبين أن طاعة الأمير من طاعة الرسول ، وتأمر بالسمع والطاعة لرئيس الدولة وإن ظلم ؛ ثم يقول : « وكأن هذه النظرية تدل على أن الله يعين السلطة الزمنية بكاملها وواجب الرعية الطاعة ؛ سواء أكان الحكم عادلا أو ظالما ؛ لأن المسئولية أمام الله ؛ والرضا الوحيد الذى تستطيع أن تشعر به الرعية ؛ هو أن الله سيجازى الأمير الظالم على أعماله السيئة ؛ مثلما يكافىء الأمير الصالح » (الخلافة للسير توماس أرنولد ص٢٤ وما بعدها) .

ويقول آخر : هو الأستاذ مرجليوث « أيا كان الحاكم الذى يستقر الرأى على الاعتراف به ؛ فإن الرعايا المسلمين ليست لهم أية حقوق ضد رئيس الجماعة القائم » .

ويقول الأستاذ ماكدونالد : « لا يمكن على الإطلاق أن يكون الإمام (أى رئيس الدولة الإسلامية) حاكما دستوريا بالمعنى الذى نعرفه » (النظريات السياسية الإسلامية للدكتور محمد ضياء الدين الريس ص ٣٠٠) .

ويقول الأستاذ موير : « المثال والنموذج للحكم الإسلامى هو الحـــاكم المستبد

المطلق » (النظريات السياسية الإسلامية صـ ٣٢١) .

هذه هي آراء بعض المستشرقين؛ ونحب أن نسأل بادىء ذي بدء الأستاذ أرنولد: إذا وجدت خلافة - كما يقول - لا تتفق مع تعاليم القرآن؛ فكيف يمكن لباحث منصف أن يسمى هذه الخلافة خلافة إسلامية ؟ إنه يبدو أن الأستاذ أرنولد قد خفى عليه أن الخلافة التي ظهرت مقوماتها الإسلامية الأصيلة في عهد الخلفاء الراشدين؛ غير الخلافة التي ظهرت بملامح الاستبداد والتسلط في فترات معينة لنفر على طول التاريخ الإسلامى وعرضه .

إن الإنصاف يقتضى أن يقال : إن للقرآن تعاليمه الواضحة التي توجب تساوى جميع الناس في جميع الحقوق؛ فإذا ماقامت رياسة تتفق مع هذه التعاليم التي جاء بها القرآن ؛ فهي التي تنطبق عليها الصفة الإسلامية ؛ ولا يستطيع أى طاعن أن يطعنها حينئذ في سموها وكفالتها لجميع الناس التساوى في جميع الحقوق .

وأما إذا لم تتفق هذه الرياسة مع تعاليم القرآن ، فإنه لا يصح القول بأن هذه الخلافة خلافة إسلامية ، لأنه إذا كانت قد صادمت تعاليم كتاب الله الذى هو دستور الدعوة الإسلامية فهل يصح أن ينسب إلى الإسلام ما هو متصادم مع دستوره ؟

إن هؤلاء القوم يظنون أنه ما دام الشارع قد أمر بطاعة الرئيس الأعلى للأمة فإن للرئيس أن يسير بأمور الدولة على هواه ، ويصدر من الأوامر مايتفق وأغراضه ، ونسوا أن الإسلام فرض من الضمانات القوية ما يكون - إذا وجدت هذه الضمانات التي أمر بها الشارع - مانعا من أن يكون الرئيس مستبدا سائرا في تصرفاته على طريق الهوى ، وأهم هذه الضمانات :

أولا : عدم الإتيان بأحد إلى الحكم إلا بتوافر شروط وصفات خاصة، تجعله أقرب إلى أن يكون مثالا طيبا في دينه ودنياه .

ثانياً : وجوب أن تكون في الأمة جماعة تختص بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، تراقب أعمال الحاكم كما تراقب أعمال المحكومين ، فإذا مارأت مااعوج من الأمور قامت وجوبا بالتنبيه على هذا

الاعوجاج، وطالبت بإصلاحه، يقول الله سبحانه: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» (سورة آل عمران آية ١٠٤)

وهذا فضلا عن أن كل مسلم مطالب شرعا بمحاولة أن يغير ما يراه منكرا، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (حلية الأبرار وشعار الأخيار للنووى ج ٦ ص ٣٢٩) ويقول صلى الله عليه وسلم: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله تعالى أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» (المرجع السابق ص ٣٢٩) ويقرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن أفضل الجهاد نصح الرئيس الظالم، فيقول: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (الفتوحات الربانية لمحمد بن علان الصديقى ج ٦ ص ٣٣٦).

فالرئيس فى الإسلام إذا حدثته نفسه بأن ينحرف عن الجادة تخوله العيون تراقبه وترشده إلى طريق الحق، وإلا تكون قد ارتكبت خطئا عظيما بتركها واجبا شدد الإسلام فى طلبه.

فهذه الرقابة التى جعلها الإسلام للمسلمين على رؤسائهم إذا نفذت كما أمر الإسلام فإنها تنبه إلى ما يمكن أن يرتكبه المنحرفون من جرائم، مما يكون - فى الأغلب - عائقا لتجرؤ الرؤساء على ارتكاب ما نهى الشارع عنه.

ثالثاً: إذا انحرف الرئيس الأعلى للأمة بالحكم عن طريق الحق، فسار على هواه فى تسيير أمور الدولة ولم يستمع إلى نصح الناصحين استحق العزل من منصبه ومحاكمته، فيجب على أهل الحل والعقد فى الدولة - وهم كبار القوم من زعماء، وعلماء، وأهل الخبرة فى نواحى الحياة المختلفة - أن يعلنوا عزله عن الحكم إذا أمنوا وقوع الفتن التى يمكن أن تترتب على هذا الإعلان.

وأما فيما يتصل بمسألة السمع والطاعة الواجبين للرئيس، فإن الإسلام قد نظم هذه المسألة بالمبدأين الآتيين:

الأول: السمع والطاعة للرؤساء إذا وافقت أوامرهم ونواهيهم أوامر الشرع ونواهيه، وحينئذ فلا جدال فى أن طاعة الرؤساء تكون من طاعة الله ورسوله،

وأن من يعص الرئيس فقد عصى الرسول ، كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن عصى الأمير فقد عصانى » (صحيح البخارى ج٤ ص٤٠) لأن الأمير (أى الرئيس) إذا أمر بما أمر به الرسول ونهى عما نهى عنه فطاعته حينئذ من طاعة الرسول ، وطاعة الرسول من طاعة الله .

الثانى : عدم السمع وعدم الطاعة فى المعصية ، كما نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » صحيح البخارى ج٤ ص ٤٠) يقول العلامة ابن القيم فى مقام بيان تحريم قبول الآراء التى تعارضها النصوص بعد أن ذكر قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » (سورة النساء آية ٥٩) قال ابن القيم : « فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا ، سواء كان ما أمر به فى الكتاب ، أو لم يكن فيه ، فإنه أوتى الكتاب ومثله معه ، ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالا بل حذف الفعل وجعل طاعتهم فى ضمن طاعة الرسول ، إيذانا بأنهم إنما يطاعون تبعا لطاعة الرسول ، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » وقال : « إنما الطاعة فى المعروف » وقال فى ولاة الأمور : « من أمركم منهم بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة » (إعلام الموقعين لابن القيم ج١ ص٤٨) .

وأما قول الأستاذ أرنولد : « إن الملكية الفارسية قد أثرت فى الخلافة الإسلامية وطبعتها بطابعها الاستبدادى فعلى فرض تسليمه فإن ذلك لا ينفى كون الخلافة الإسلامية بعيدة عن صفة الاستبداد ، لأنه لا يصح أن ينسب شىء

إلى الإسلام إلا ما كان يتزيى بزيه ، فإذا ما خلع هذا الزى فمن الخطأ أن نعزو هذا الشيء إلى الإسلام ، فإن الشورى قاعدة من القواعد التي يرتكز عليها النظام الإسلامى ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بمشاورة أصحابه .

وسار على هذا المبدأ الخلفاء الراشدون من بعده ، ومسئولية الحكام أمر مقرر فى النظام الإسلامى ، كما أن العدل أحد الأسس التي تميز هـذا النظام بصورة لا يمكن أن يرقى إليها أى نظام آخر .

وعلى ذلك فإن الباحث الذى يريد أن تتضح له السمات التي تميز الخلافة الإسلامية لابد أن ينظر إلى هـذه الخلافة فى أيام صفائها ونقائها من الشوائب التي علقت بها بعد عصر الخلفاء الراشدين ، ولا يصح أن يتخير الباحث أى عصر يروقه فيحكم على الخلافة الإسلامية بالسمات التي تميزها فى هذا العصر الذى تخيره ، وقد تكون هذه الخلافة فى هذا العصر المختار بعيدة كل البعد عن القواعد التي وضعها الإسلام بسلوك هـؤلاء الخلفاء سلوكا يتنافى مع هذه القواعد .

فإذا وجد فى عصر من العصور من الخلفاء من استبد برأيه ، وأطلق لنفسه العنان فى التسلط ، أو فيما هو أكثر من ذلك ، فليست هذه الخلافة الإسلامية ، ولا تمت إلى الإسلام بسبب ، وإنما هى رياسة على المسلمين ليست ملـتزمة فى سياستها لهم بقانون الإسلام ، وبالقطع لا يمثل مثل هـذه الرياسة الصورة التي يريدها الإسـلام ، ومسئولية ذلك إنما تقع على المتسببين فى انحراف الحكم عن الطريق الذى بينـه الله ، ولا يمس ذلك الانحراف النظـام الإسلامى بشيء من النقصان من قريب أو بعيد .

وكان يمكن أن يسلم ادعاء الأستاذ (أرنولد) لو أنه أتى بما يثبت أن الإسلام يؤيد الحكومة المستبدة ، واستشهاده بالأحاديث الشريفة التي توجب السمع والطاعة لا يصح أن يكون برهانا على ما يدعيه ، وقد بينا أن هذه الأحاديث الكريمة تأمر بالسمع والطـاعة فى كل ما ليس بمعصية ، وكونها أمرت بالصبر على ظلم الحكام لا يعطى الحق لأى باحث أن يدعى أنهـا ترضى بهذا الظلم ، فقـد بينت النصوص الكثيرة مسئولية هؤلاء

(البقية ص ٤٦١)

من صفحات التاريخ :

إنصاف السهروردي الشهيد

للدكتور محمد رجب البيومي

أجل ، هو الفيلسوف الشاب الشهيد وقد خاف أعداؤه أن يسجل له التاريخ استشهاده العظيم ، فهبوا يصفونه ، بالفيلسوف القتيل ! كيلا يكون مصرعه المثير مثلا للبطولة الخارقة ، والعزيمة الأبية ولكن هيهات ! ! فقد ذهب خصومه زبدا رابيا فى خضم الزمن ، ومن بقيت له آثاره من حديث تلاك سيرته مشفوعة بالقلوم والاستغفار ، أما الرجل فقد نزل من قمم التاريخ فى ذروة سامقة ينظر الناس إلى علوها الشاهق ، من سفوحهم المتطامنة ، فيروعهم هذا الارتفاع البعيد ، ويقارنون بين مكانته السالفة فى دنيا الرعاع ومنزلته اللاحقة فى رحاب الزمن ، فيعلمون أن التاريخ ناقد بصير لا تخدعه الأراجيف الموهومة بل يزن الناس متجردا من حزازة المنافسة وغلواء الغيرة ، ثم يجىء لكل موضعه اللائق بموهبته وكفايته .

وقد علا مكان الفيلسوف من التاريخ بحيث تنحنى له الرءوس خاشعة فى محراب الألمعية المتوقدة ، والنبوغ الوهاج ؛ بل إن مصرعه الفاجع قد أضفى على سيرته لألاء ساطعا ، وغمر آثاره العلمية بعبير منعش يسرى فى الأرواح الظامئة مسرى السلاف فى الأعطاف . لقد كانت مواهب الفيلسوف مثار الروعة والعجب ولم لا ؟ وقد رزق ذهنا لماحا أدرك به علوما كثيرة متنوعة فخاض فى الفلسفة والأصول وعالج مسائل الطب والكيمياء والجبر ، كما أوتى لسانا طلقا ساحرا بارع الحجة قوى الدليل ، وترك من المؤلفات - على قصر عمره - مباحث كثيرة تشرح أدق المسائل وتتخذ من الفلسفة والتصوف وعلم الكلام سبلا مختلفة للحديث ، ولو بسط له فى العيش لا حتل فى مجال التفكير الإنسانى قاطبة مكان القادة الموجهين ، ولكن مصباحه المتوهج قد انطفأ فجأة فخبا الضوء اللامع وغاب الشعاع النفاذ ! .

لقد انطفأ المصباح المتوهج غب

مأساة حزينة ، هى مأساة المفكر الحى المتوثب ، يسير إنتاجه فى الكون مسير الشمس ، فيعشى العيون ويثير كوامن الحقد فى نفوس لا تقدر مواهب الله فى مخلوقاته ، فتتجمع وتتكتل لتقذف التهم الآثمة ، وتعدد المفتريات المجحفة ، ثم تتحشد وتتواثب لتقيم قيامة العامة ، ويموج الحشد الأبله فى مظاهرة صاخبة ، فيثير الاضطراب والبلبلة ، ويقيم الدنيا ويقعدها على رأس المفكر الحى الوثاب ، ثم تحين المأساة فيجازى الرجل بما يجازى به القتلة من المجرمين والفجرة من المتوحشين !! وإذ ذاك تهدأ العاصفة ، وينطفىء الحقد المتوقد ، ثم يتعاظم الصغار المهازيل ويشمخون !! بعد أن خلا الميدان العلمى من فارسه المحجل ، وبطله المظيم .

وقد اعتدنا أن نسمع من الكاتبين ، كثيراً عن استشهاد الفيلسوف الكبير سقراط ، وما قوبل به من خيانة وعقوق فهم يسوقونه مثلا رائعاً للمفكر الحر ، ويذكرون كيف قضى ليلته الأخيرة فى جدل علمى ماتع حول الروح والخلود والنعيم .

ومن يدرس استشهاد السهروردى يره سقراط آخر ، يقدم على الموت ببسالة فلا يأسى على انطفاء مصباحه ونضوب معينه فى عنفوان الشباب ، ومقتبل الحياة مع أن الفيلسوف الإغريقى قد جاوز السبعين ، ورأى فى عمره المديد ما بغض إليه الحياة والأحياء ، أما استخفاف السهروردى بالموت فى نضارة العمر وربيع الشباب فمثل رائع لا يقاس بنظير ، إذا قورن بما كان يرتجى منه فى ميدان النبوغ المبتكر ، وإذا درست شخصيته النادرة من خلال مؤلفاته ، فعلم ما كان يزدحم فى صدره من آمال مورقة ، تقصفت أعوادها وبترت سيقانها ، تحت إعصار رهيب من الظلم والجحود !!.

نشأ يحيى بن حبيش السهروردى ببلدة من أعمال أذربيجان ، بعراق العجم ، وقد شب طموحاً للمعرفة ، مشغوفاً بالدراسة والتحايل ، فتلقى العلم بالمراغة ، ودرس الحكمة والفقه على أستاذه العظيم مجد الدين الجيلى ، الفقيه الأصولى المتكلم أستاذ الفخر الرازى ، فانتفع بكثير من آرائه ، وتوجيهه ودرس معه العلوم النقلية دراسة شاملة ولكنه تطلع إلى الفلسفة والمنطق ، فضاقت المراغة بطموحه

ولم يعد أستاذه يشبع نهمه العقلى الطماح فارتحل إلى أصبهان يبحث عن أساتذة المنطق، وينتقل فى حلقات الفلسفة، حتى انفتق نبوغه عن ذهن متألق وضاء، فأعجب به أستاذه «الظهير الفارسى»، واختصه بأسراره، فقرأ عليه كتاب البصائر فى المنطق، كما درس المشائية، وترجم رسالة الطير إلى اللسان الفارسى! وامتزجت فى تفكيره دراسة العلوم النقلية بالعقلية معاً فخلقت منه فيلسوفا من طراز خاص، كما كان للتأمل الباطنى والاستشفاف الروحى أمواج ثائرة تصطخب فى خاطره فخلط الفلسفة بالتصوف، وبنى مذهبه الصوفى على نظرية «الإشراق» اليونانية وقد توسع كثيرا فرجع بتصوفه إلى عناصر أجنبية تتضمن لقاحا متشعب المنحى والاتجاه، وانتشر له دوى فى مجتمعه، فخطب وتصوف وتفلسف، ونظم الشعر وخاض فى الجدل والفقه والأصول، وأصبح بثقافته الواسعة يمثل جيلا كاملا من العلماء!!.

وقد ضاقت أصبهان بالرجل أيضاً!! فرحل إلى حلب تسبقه شهرته الواسعة ومؤلفاته العديدة، فعرف فضله عالم كبير من جلة علمائها هو الشيخ افتخار الدين شيخ المدرسة العلمية بها، فقربه واجتباه ونقل إلى الملك الظاهر مديحه وإطراءه، فاتصل به السهروردى، وتوثقت الصلة بين السلطان والفيلسوف، فأضافت إلى مجده العلمى مجدا آخر.

ونحن نعلم أن مؤلفى الفلسفة يقفون كثيرا موقف المؤرخين فيسجلون فى مؤلفاتهم ما سبق تداوله من الآراء حقاً كان أو باطلا، ليحفظوا التراث الفلسفى من ناحية، وليراقبوا تطوره العقلى من ناحية ثانية، وقد يكون بعض هذا التراث باطلا يظهر تهافته، ولكنه إحدى حلقات البحث الفلسفى، وله ثقله الهام فى ميزان التطور المذهبى. ومؤلف فيلسوف كالسهروردى لا بد أن يذكر بعض هذه الفلسفات التى تناقض الدين لتأخذ مكانها الزمنى فى بحثه واستنتاجه، وقد يعقب عليها بالنقض والتجريح، وقد يدعها تصيح بفسادها الواضح فى أذن القارىء البصير!! وهنا مربض الخطر، ومكان الانتقام، فقد تصيد المغرضون من آراء الفلاسفة ما ينهض بحجتهم فى ملأ لا يفهمون النثر الأدبى، بله المنطق

الفلسفى النظرى ، ثم ذهبوا يوضحونه توضيحا يشهد بالإثم والعقوق ، وقد تم لهم ما أرادوه ، ووقف المفكر اللامع ينظر مدهوشا إلى تطبيع يساق وينحدر إلى الصخب والجلبة دون تمييز صائب أو فقه بصير .

ونحن نتساءل فنقول : ما اللباب الأصيل لفلسفة الرجل ، وعلى أى شىء بنى مذهبه الروحى؟ فإذا أردنا الجواب فلن نعالج بالبيان الأدبى مذهباً فلسفياً تجنى على حقائقه العلمية نصاعة الأسلوب ورونق الديباجة ، ولكننا ننقل عن صاحب كشف الظنون حقيقة مذهب الرجل إذ يقول :

« إن للدين والفلسفة موضوعا واحدا وهو الخير الأسمى ، الذى هو فضيلة وسعادة معاً ، ومعرفة هذا الخير الأسمى، تتضمن معرفة الله وصفاته وتنزيهه ، وهذه المعرفة يمكن أن تحصل من طريقتين : إحداهما : طريقة النظر ، وثانيتهما : طريق الزهد والذوق الصوفى . والذين يسلكون الطريق الثانى إذا كانوا يعتقدون الإسلام ويستغلون تعاليمه على أوجه الاستغلال فهم الصوفية . أما إذا لم يكونوا كذلك ، وكانوا يصطنعون الذوق ، ويأتون فى مذاهبهم بما يتنافى وأحكام الشرع فهم الإشراقيون » .

هذه الآراء وأمثالها كانت شائعة معروفة فى الأوساط العلمية ، وقد جاهر كثير من المتصوفة فى الإسلام بآراء كانت تثير مناقشات حامية بين الفقهاء والمتصوفة من ناحية نقلية ، وبين المتكلمين والمتصوفة من ناحية عقلية ، ولئن هوجم الشبلى والبسطامى وابن الفارض والجنيد وسهل التسترى وأبو الحسن الشاذلى على اختلاف مشاربهم الصوفية ، فقد كان لهم - مع خصومهم - أعوان يذبون عنهم ويحوطون مواقفهم بالمؤازرة، ولم يقتل من المتصوفة على كثرة شطحاتهم الغريبة غير عظيمين كبيرين ، هما : الحلاج والسهروردى ، وكلا الرجلين أعدم متهما بالكفر والمروق فى منطق العامة والرؤساء ولكن التاريخ يذكر بأسانيده الثابتة أن الخداع السياسى مع الحلاج ، والحقد الشخصى مع السهروردى كانا - وحدهما - الباعث على الاغتيال والإعدام ، دون نظر إلى رأى شاذ ، أو تصوف جامح شموس.

على أن السهروردى لم يعدم من أعوان الحق فقهاء يظاهرونه فى محنته

إلا أن أصواتهم الخافتة قد تلاشت فى محيط يزخر بلجب العامة ، وصيحات الرعاع ، فتطايرت الأنباء إلى صلاح الدين الأيوبى بالقاهرة معلنة أن ولده الملك الظاهر قد اجتبى فيلسوفا ملحدا زنديقا ! وأن مظاهرات الاحتجاج تنهض بين الحين والآخر فى آفاق حلب ، وأراد السلطان الغيور أن يطفىء اللهب المشتعل فأمر ولده بمحاكمة الفيلسوف وإبعاده وقد اطمأن الملك الظاهر إلى علم صاحبه وقوة منطقه ، فأمر بتشكيل محكمة علمية.

وسار الفيلسوف إلى المحاكمة مرفوع الرأس موفور الثقة ، وقد ظن أن النقاش سيدور فى مسألة شائكة ، مما أثاره فى بعض كتبه الفلسفية كحكمة الإشراق أو هياكل النور أو المعارج ، أو اللمحة أو المطارحات ، أو المقامات أو الألواح إلى غير هذه الكنوز التى تضمنت أثمن ما وعاه العقل الإنسانى من معان ، وقد سطرها صاحبها فى سن مبكرة فأدهش وراع ! ! هذه النفائس الخالدة التى تقف عقول الكثرة الكاثرة من المثقفين إزاءها كما يقف الطفل الصغير على ساحل محيط جياش اللج دفاق الموج . وقد كان أعضاء المحاكمة أطفالا ، فلم يخوضوا شبرا من المحيط ، ولووا أعناقهم عن الموج الجائش والطوفان الغامر ؛ وتناظروا فى مسألة هينة يكفى الفصل فيها بكلمات يسيرة ، لو عدل الحاكم المغرض ، فأنصف البرىء !؟.

قال رئيس المحاكمة : لقد قلت فى بعض تصانيفك : إن الله قادر على أن يخلق نبيا وهذا مستحيل .

فقال السهروردى : لاحد لقوة الله فإن القادر إذا أراد شيئا لا يمتنع عليه .

قال الرئيس : إن الله قادر على كل شىء إلا على خلق نبى فيستحيل .

فأجاب الفيلسوف : أيستحيل الخلق مطلقا أم لا ؟ .

وما فاه المتهم بهذا السؤال حتى قامت عليه القيامة ؟ وصاح الصائحون :

كفر الرجل كفر الزنديق ! ! مع أن توجيه السؤال يشعر بما يفض النزاع ويحسم الخلاف فالسهروردى يريد أن يقول إن إمكان الخلق جائز بالقوة لا بالفعل . وهذا ما عناه بالإطلاق وعدمه ، ومن يلم بقليل من علم المنطق يدرك أن خلق النبى بالقوة أمر لا جدل فيه ؛ ولكن هكذا تعشى العيون عن الصواب .

فأى نقاش هـــذا الذى يبدئون فيه ويعيدون ؟ ثم يصدرون الحكم بإعدام

الفيلسوف أو يحرصون على أن يوصف بالمقتول كيلا يتطرق استشهاده على ذهن يحاول الإنصاف .

لقد اضطر الملك الظاهر إلى تنفيذ الحكم طاعة لأمر والده ، وترك الفيلسوف يختار ميتته بإرادته ، فماذا صنع المسكين؟

لقد اختار أن تقفل عليه حجرته فى محبسه الدامس ، ويترك بدون طعام أو شراب ، حتى يموت صبرا فيهرأ الجوع والظمأ أحشاءه الطاوية بمثل الخناجر المسمومة ساعات أية ساعات . . فيالها من ميتة قاسية يختارها متصوف زاهد ألف المجاهدة والحرمان ، وتدرب على الجوع والظمأ مرتفعا بروحه فوق مطالب الجسد ، ورغائب الغريزة ، ليخلص من الشوائب والأثقال ، لقد اختار سقراط قبله السم العاجل ليلفظ أنفاسه فى لحظات ، أما السهروردى فقد آثر أن يتعذب عذاباً بطيئا يمتد إلى أيام وليال فيصل إلى مثله الأعلى وقد خلع عنه أوضاره المهلكات .

لقد حاول الفقهاء تشويه عقيدته ... فى مباحثهم - بعد مصرعه ولكنه وجد من التاريخ إنصافا حميدا ، فها هو ذا صاحب روضات الجنات يقول عنه : « الشيخ المعظم ، والفيلسوف المكرم ، العالم الربانى ، والمتأله الروحانى ، كان فى المكاشفات الربانية أمة ، والمشاهدات الروحانية نهاية ، كما يقول صاحب (طبقات الأطباء) عنه : كان أوحد زمانه فى العلوم والحكمة جامعا للعلوم الفلسفية ، بارعا فى الأصول الفقهية ، مفرط الذكاء ، فصيح العبارة ، ولكن كان علمه أكثر من عقله » .

ويقول ياقوت : كان السهروردى فقيها أصوليا أديبا شاعرا ، حكيما نظارا ، ولم يناظر مناظراً إلا ألجمه .

وقد أخذ حظا وافرا من دراسة المستشرقين ؛ فعرضوا مضايق حياته وحللوا عناصر مذهبه ؛ وناقشوا مقدمات فلسفته ؛ ولكن بعضهم يسير بالفروض المحتملة إلى غاية مخطئة ؛ فيزعم « فون كريمر » و « هورتن » أن الرجل كان يعتنق المذهب الباطنى بدليل قوله فى مقدمة حكمة الإشراق : « العالم ما خلا قط عن الحكمة وعن شخص قائم بها ، عنده الحجج والبينات » .

ونحن نرى أن هذا الزعم لا يستند إلى دليل صحيح ؛ فلو كان الرجل باطنيا لما احتاج الفقهاء إلى تأليب الجمهور عليه

فى زمان صلاح الدين الذى تعقب الباطنيين تعقبا ماحقا. بل كانت باطنيته - إن صحت - سببا هينا فى استئصال شأفته دون مناظرة ومحاكمة وجدل؛ ولم نسمع أحداً من الفقهاء قد اتهمه بذلك، أما هذا النص المأخوذ من كتابه فلا يعنى غير اتصال الأبحاث الفكرية والحقائق الخالدة وانتقالها من جيل إلى جيل على يد العلماء؛ وهو بذلك يقصد نفسه مع من سبقه من الفلاسفة؛ من لون سقراط؛ فكيف نحمل على الرجل ادعاءات جديدة!! غير ما وجه إليه من افتراء.

لقد كان الفيلسوف متعاليا متعاظما؛ وهذا مجال النقد فى خلقه، ولعله قاس معاصريه من الفقهاء بمقياس اطلاعه، فلم يلووا على شىء!! وما ورد عنه من قول للآمدى: «لقد رأيت فى المنام كأنى شربت ماء البحر كله، أو ملكت الأرض» فلا يخرج عن المجاز الدال على سعة العلم، وغزارة المادة. وللصوفية فى كل العصور رموز مبهمة، وإشارات غامضة تتطلب الإيضاح؛ إذ يذهبون مع الألفاظ مذهبا لا يقتضيه مدلولها اللغوى الصريح لا سيما فيما يتعلق بالذات العلية؛ حيث تتجه سهام النقد والتجريح. وقد قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى الشافعى فى فتواه عن عقيدة ابن الفارض: «يحمل كلام هذا العارف - رحمه الله ونفع ببركاته - على اصطلاح أهل طريقته؛ إذ أن اللفظ المصطلح عليه حقيقة فى معناه الإصطلاحى مجاز فى غيره كما هو مقرر فى محله، ولا ينظر إلى ما يوهمه تعبيره فى أبيات التائية من القول بالحلول والاتحاد؛ فإنه ليس من ذلك فى شىء!! وهذا يصدر عن العارف إذا استغرق فى بحر التوحيد والعرفان! بحيث تضمحل ذاته فى ذاته، وصفاته فى صفاته، ويغيب عما سواه».

ونحن نقول هل يسع عمر بن الفارض ما لا يسع السهروردى؛ فيعترف للأول بالإمامة الروحية، ويتوافد الملوك والسلاطين على موكبه، بينما يلاقى الثانى حتفه فى ظلمات الجحود والكفران، وإذا جاز ذلك فى قوم ملأت قلوبهم الحزازات والأحقاد، أفيجوز أن ينتقل إلى باحات التاريخ!! وهو الذى يقوم المعوج، ويمحص الحق ويدحض الأكاذيب!!.

د. محمد رجب البيومى

الولاية المقيدة للسلطة العامة في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

يذهب كثير من المستشرقين بحسن نية أو بسوئها إلى أن النظام الإسلامى هو نظام استبدادى ، وأن حكومته حكومة استبدادية بطبعها ، وهذا القول ليس من قبيل عدم معرفة الواقع فحسب بل من تصور عكسه فهو مما يسمى بالجهل المركب . .

ومن ذلك ما قاله (أرنولد) فى دائرة المعارف الإسلامية كلمة خليفة (بالإنجليزية)

« إن حكومة الإسلام هى حكومة أتوقراطية (أى تقوم على حكم الفرد) وهم يدعون أنها تقوم على الوحى الإلهى . . وقد جعل واجبا دينيا مؤكدا على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة الاستبدادية التى يقوم الخليفة على رأسها » .

وقال المستشرق سانتلانا :

« إن الإسلام هو حكومة الله المباشرة ، يحكمها من يرعى شعبه ، فالدولة يمثلها الله ، حتى الموظفون العموميون هم موظفون عند الله . »

وعن المستشرق موير :

« إن المثال النموذجى للحكم الإسلامى هو الحاكم المستبد المطلق » .

وكذلك قال مارجليوث :

« إن الاستبداد والأتوقراطية مسلم بهما ، كأساس للحكم فى الإسلام ، وقد ظل ذلك بلا مناقشة حتى بدأ مد الثورة الفرنسية يصل إلى المنطقة الحارة ، ولم يظهر فكر دستورى فى البلاد الإسلامية حتى ذلك الوقت[1] » .

وقد تأثر المستشرقون فى ذلك بما كان سائدا فى أوروبا من استبداد الملوك الذين كانوا يستندون على ما يسمى بالتفويض الإلهى أو الحق المقدس للملك فكان الملك يزعم أنه خليفة الله فى الأرض وأنه ليس لأحد أن يناقشه ما يفعل وأنه لا يخطئ ؛ وبذلك فقد رفعوا راية الاستبداد والتحكم ، وكانوا غلاة فى ذلك . وقد أدى ذلك إلى الثورة عليهم ،

---

(١) راجع كتاب النظريات السياسية الإسلامية للدكتور ضياء الدين صفحة ٣٢٠ وما بعدها (طبعة ١٩٦٠ — مكتبة الأنجلو)

بل إلى الثورة على الدين ذاته عندهم وإعلان الكفر به ، لما وجدوه من تسويغ الظلم وتبرير الاستبداد وقد أعلنت الثورة الفرنسية على ما هو معروف حرية العقيدة وسقوط الأديان والكفر بها

وبذلك فإن هؤلاء المستشرقين يسندون تصورهم للنظام الإسلامي على هذه الخلفية التي رسخت في قلوبهم عن استبداد ملوك العصور الوسطى في أوروبا . فهؤلاء كانوا يزعمون الخلافة عن الله في الأرض، والدولة الإسلامية يحكمها خليفة ديني ، وقد قال الله تعالى في محكمه : « يا داود إنا جعلناك خليفة » فأسرعوا في حكم الخاطىء على الإسلام لمجرد هذا الاشتراك اللفظي ، وهم - بطبيعة الحال - محدودو الثقافة الإسلامية لا يعرفون أصول الإسلام ولم يتغلغلوا في فروعه .

ولكن الواقع أن نظام الإسلام أبعد ما يكون عن الاستبداد والتحكم .

وذلك أن إمام المسلمين ، وإن سمي خليفة، إلا أنه مقيد بالشريعة ولا يستطيع الخروج عليها ، وهو في ذلك مقيد به كأحدنا بل أشد ، لاتساع دائرة ولايته وهو ليس وحده الخليفة، بل كلنا خلائف في الأرض ، وجعلنا الله مستخلفين في ماله وفي عباده ، فكلنا - إماماً ومأموماً - مكلفون بالشريعة ومسئولون بين يدي الله وفي الناس عما استرعانا لقوله صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

وهذا الفرق : التكليف والمسئولية هو الذي يفصل حكومة الإسلام عن حكومات التفويض الإلهي أو الحق المقدس في العصور الوسطى بأوروبا ، وهو يدلنا على مدى التلاعب الذي أحدثه من أخفوا كلام الله وبدلوه في المسيحية . إذ لا شك أن المسيحية كالإسلام في أصولها فإن الدين عند الله الإسلام أي بمعناه الواسع الذي يجعل إبراهيم حنيفا مسلما ويجعل أنبياءهم أنبياءنا وشرعهم شرع لنا ما لم ينسخ ، ولكن الأحبار والرهبان أخفوا الدين عن الناس وبدلوه، وأظهروا منه ما يساعد الحكام في هواهم ، فأظهروا الخلافة وأخفوا قيودها !! ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فقد استشهدوا بقوله تعالى : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض » . ونسوا قوله تعالى : « فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون

عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ».

* * *

وليس من المجدى أن نبين أصول تقييد الولاية العامة فى الإسلام.

فليس يصح فى الإفهام شىء
إذا احتاج النهار إلى دليل

فذلك أصل مقرر تنادى به جميع أصول الشريعة وفروعها.

وإنما ندخل فى الموضوع مباشرة لنبين العوامل والأسس التى يقوم عليها تقييد الولاية فى الإسلام، ثم نبين بعدها جزاءات تجاوز السلطة والتعسف فيها وجهات الطعن والوسائل التى تتخذ لدى ذلك سواء برد التصرف الباطل، أو بمسئولية من قام به وخاصة فى الأحوال الجسيمة كالغصب والإكراه، وقد علمنا أن الإمام محمد بن الحسن الشيبانى سجن فى جب بسبب باب الإكراه من كتابه الكبير الذى عرضه السرخسى باسم المبسوط، فقد قيل للخليفة وقتها أن محمد ابن الحسن رماك بباب سماه الإكراه، فحبسه فى الجب لذلك.

وقبل أن نعرض هذه الفصول التى يقوم عليها هذا البحث نبين أن الولاية المقيدة هى أساس النظم السياسية والدستورية الحديثة، وأن جميع الحركات والأفكار السياسية قد استهدفت تقييد الولاية العامة لصالح الحرية الشعبية.

فالسلطة العامة والحرية مجالان متميزان يقتسمان النظام الدستورى إذا اتسع أحدهما انكمش الآخر، فبقدر اتساع السلطة العامة وانفراطها تنكمش الحريات وتنزوى.

ومهما امتدت هذه السلطات فإن ذلك يكون على حساب الحريات؛ ولذلك فالحكم الاستبدادى يقوم على اتساع السلطات العامة وانفرادها بالحكم دون مناقشة من أفراد الشعب، وبقدر ما تتنفس الحريات العامة وتمتد بقدر ما تتقيد الولاية العامة وتنحصر؛ لأن الحريات العامة لا تتأكد إلا بسيادة القانون: أى خضوع السلطة العامة للقانون؛ فالحريات قانونها النظام والتحديد، والنظام والتحديد يحتاجان إلى قانون، وهذا القانون لابد من أن يقيد السلطة العامة ويقيدها، ومن هنا تأتى أن انتصار الحرية لابد من أن يقيد ولاية السلطة

العامة ويمنعها من الافتيات على الأفراد واقتراس حرياتهم .

وربما كان تقييد الولاية العامة هو أهم معالم وصف النظام الدستورى الحديث فإنه إذا كانت هذه الولاية مطلقة ، كانت الدولة استبدادية ، وإن كانت مقيدة فإنها تخرج عن وصف الاستبداد . .

والدولة فى خضوعها للقانون تسمى بأحد اسمين :

دولة قانون : أى دولة تسودها المشروعية ويحكمها القانون ، وهى الدولة التى تتقيد فيها السلطة العامة بالقانون كما ذكرنا .

ودولة الأمن أو الضبط : وتسمى أيضا دولة البوليس ، وهى التى تخضع لاعتبارات الضبط والأمن دون تنظيم سابق مقرر . وهذا النظام يسود الدول المؤقتة التى تحكم أوقات الثورات والاضطرابات . كما إنه فى أوقات الضرورة والطوارىء تتسع السلطة الاستثنائية للدولة على أساس تحكيم اعتبارات الأمن والضبط . وكذلك فإن الدول المتخلفة التى لا تعرف نظاما توصف بأنها من حكومات الأمن أو الضبط لأنها تخضع لهوى الحكام .

وبذلك فإن تقييد السلطة العامة يعتبر من أهم لوازم النظام الحديث ولا تستحق الدولة وصفها القانونى إلا إذا كانت دولة مشروعيـــة يسودها القانون ، وإلا إذا كانت الولاية العامة مقيدة فيها للصالح العام .

ومجال الحياة العامة الذى يتنازعه خير السلطة وخير الحرية ، لا يتوازن إلا بتقييد السلطة العامة وإعطاء المتنفس للحرية كما قدمنا ، فتقيد الولاية العامة شرط أساسى لاستعمال الحرية وتوفرها وتحققها ، ولا يتيسر القول بوجود الحرية فى ظل الولاية المطلقة .

* * *

فإن تبين ذلك تقرر ما يلى :

أولا : إن السلطة العامة فى الدولة الإسلامية ليست للحكومة وحدها بل للأفراد كذلك ، وهذه خصيصة يتمتع بها النظام الإسلامى . فالقانون والنظام ـ فى النظم الموضوعية ـ وليدان لقيام الدولة فالدولة هى علة القانون والنظام عندهم . وقد غالى البعض ـ ممن نسميهم بأصحاب النظرية الشكلية ـ فى ذلك حتى جعلوا المعيار فى الائتمار ليس إلى الحق والعدالة

بل لطابع الدولة على التصرف العام . فسلطتها هى علة الخضوع ومعيار العدل مهما كان محتوى القانون ظالما . ولكن الإسلام نزل ليسود فى كل زمان ومكان . وقد يوجد زمن لا دولة فيه ولا نظام ، ولكن لابد - مع ذلك - أن يكون الإسـلام . فالدولة لا تخلق النظام فى الإسلام ، بل الإسلام هو الذى يخلق الدولة والنظام . فإن قامت الدولة فيها ونعمت وإن لم تقم قام بالأمر جماعة المسلمين ؛ ولذلك كثيرا ما نجد فى كتب الفقه قوله : فإن كان ثمة إمام وحاكم - عند وجوده - رفعوا إليه ، وإلا رفعوا إلى جماعة المسلمين يحكمون فيهم . فليست الدولة شرطا أبدا لوجود السلطة العامة فى الإسلام بل هى مقررة على أى حال فتأمل واحفظ هذا جيدا فإنه فصل بين نظام الإسلام والنظم الحديثة فى كثير من الأمـور . ولكن هنا لا نعرض لولاية غير الدولة حتى لا يتسع البحث وينفرط .

ثانيا : الولاية : هى اختصاص شرعى يتولى الأمر والقيام عليه بما يصلحه . فهى ليست تنفيذا فحسب كما يذهب البعض ، بل هى تدبير أيضا .

الولاية إما عامة أو خاصة . فالولاية العامة هى ولاية الإمام وعماله والقاضى . والخاصة كولاية الوصى والقيم والوكيل (الأشباه والنظائر للسيوطى) ولكننا نقصد هنا الولاية العامة تبعا لتقيدنا فى الموضوع بعرض أصـول دستورية وسياسية للنظام الإسلامى .

* * *

فإذا نظرنا بعد ذلك لعوامل تقيد السلطة العامة فى الإسلام ، لوجدناها تأتى من أربعة أبواب أساسية :

أولها : صيانة السلطة التشريعية وتقيد السلطتين : التنفيذية والقضائية .

ثانيها : هيمنة المقاصد الشرعية على النظام الإسلامى عامة ، مما جعل الولاية العامة منوطة بمصلحة الرعية .

ثالثها : خضوع الدولة للشريعة العامة التى يخضع لها الأفراد .

رابعها : قوة حقوق الأفراد فى التعقيب على السلطة العامة وظهورها فى النظام الإسلامى .

والله سبحانه وتعالى المعين ؟

مصطفى كمال وصفى

القراءات في نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

— ١٢ —

(٨) قوله تعالى : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ...) البقرة ١٣٧ قال فى صفحة ٣٩ : ويتبين مدى ما دعا إليه الخوف والتقوى من مثل هذه التصويبات التنزيهية فيما جرى على هذه الآية ، حيث قيل عن اليهود: «فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ... » فقد غلبت على نفوس الأتقياء المتخوفين شبهة لا أساس لها أصلا عند الإمعان اللغوى ، هى أن منطوق اللفظ يضع على ذلك مثلا تدَّعى اليهود أنهم يؤمنون به ، وهم يبعدون الشبهة التى تخامرهم بتغيير مستأصل ، فيحذفون لفظ « مثل » الذى أثار الشبهة ، ويقرأون : « فإن آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا » انتهى .

وأقول : ليس فى الآية - مع وجود لفظ مثل - شبهة ، ولا شبه شبهة ، وليس فيها ما يشعر بأن لله تعالى ندا ونظيرا ؛ لأن معنى الآية : « فإن آمن اليهود بالله تعالى ، ونبيكم ، وبعامة الأنبياء قبله ، وبسائر ما أنزل الله على رسله من الكتب إيمانا مثل إيمانكم ، وصدقوا مثل تصديقكم ولم يفرقوا بين رسول ورسول كما لم تفرقوا فقد اهتدوا كما اهتديتم ، فالمماثلة فى الآية إنما وقعت بين الإيمانين : إيمان اليهود ، وإيمان المؤمنين .

ولم تقع المماثلة بين المؤمن به ، وهو الند والنظير بالنسبة لليهود ، والبارى بالنسبة للمؤمنين ، ويقرب من هذا ما قاله العلامة النيسابورى : (إن قوله تعالى : فإن آمنوا بكلمة الشك دليل على أن الأمر مبنى على الفرض والتقدير ، أى فإن حصلوا دينا آخر مثل دينكم ، ومساويا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا ؛ لكن لا دين صحيحاً سوى هذا لسلامته عن التناقض بخلاف غيره ، فلا اهتداء إلا بهذا ، ونظيره قولك للرجل الذى تشير إليه : هذا هو الرأى

الصواب ، فإن كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به ، وقد علمت أن لا أصوب من رأيك؛ ولكنك ترمد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن مارأيت لا رأى وراءه) انتهى .

وقد أجمع القراء على ترك هذه القراءة لمخالفتها جميع المصاحف العثمانية بسبب نقص هذا اللفظ «مثل» منها ، فلا عبرة بها ، ولا نظر إليها .

(٩) قوله تعالى :

«وما كان لنبى أن يغل ...» الآية ١٦١ من سورة آل عمران .

ذكر في صفحة ٤٠ أن في هذه الآية قراءتين : الأولى «يغل» بفتح الياء وضم الغين مبنيا للفاعل ؛ والثانية «يغل» بضم الياء ؛ وفتح الغين مبنيا للمفعول ؛ والقراءتان متواترتان ؛ قرأ بكل منهما كثير من الصحابة والتابعين ؛ ومن مشاهير القراء المعتبرين .

ومعنى القراءة الأولى : ما صح وما استقام وما أمكن لنبى - بمقتضى منصبه الرفيع ، ومكانته السامية - أن يخون في الغنائم أو غيرها ، فهذا حكم عام ينفى عن جميع الأنبياء إمكان أن يخونوا ، ويحتجزوا شيئاً من أموال الغنائم أو سواها .

والمقصود في الآية : الرد على من اتهمه - صلى الله عليه وسلم - وحاشاه - من ضعفاء الإيمان ، ومن المنافقين بالخيانة في الغنائم ، فكأن الله تعالى يقول : لا يجتمع منصب النبوة السامى ووصمة الخيانة الدنيئة في شخص واحد ، بل يتنافيان ؛ لأن أى نبى معصوم من دنايا الأخلاق ، ووضيع الصفات ، فلا يحل أن يتوهم في النبى ذلك ، فالآية تقريع لمن اتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما يترفع عنه ، وينأى به قلبه الكبير عن فعله .

ومعنى القراءة الثانية : وما صح لنبى أن يخون ؛ أى ينسب إلى الغلول والخيانة . وقال بعض المحققين : معنى هذه القراءة : ما صح لنبى أن يوجد غالا ، ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا . وهذا مأخوذ من قولهم : أغللته إذا وجدته غالا ، كما يقال : أحمدت فلانا وجدته محموداً ، وأبخلته وجدته بخيلا فالهمزة للدلالة على وجدان الشىء على صفة ، وعلى هذا المعنى تتحد القراءتان ، وتعضد

كل منهما الأخرى ، وليس فى القراءة الأولى ، ولا فى الثانية ما يمس مرتبة النبوة ، وينال منها .

(١٠) قوله تعالى : «حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين» الآية ١١٠ من سورة يوسف فى هذه الآية ثلاث قراءات :

الأولى : «كذبوا» بضم الكاف ، وتشديد الذال مكسورة .

الثانية : «كذبوا» بضم الكاف وتخفيف الذال مكسورة .

الثالثة : «كذبوا» بفتح الكاف والذال مخففة .

والقراءتان الأوليان متواترتان ، والثالثة شاذة .

وقد تكفل العلماء قديما وحديثا بتوجيه القراءات الثلاث ، فوجهوا الأولى بأن الضمير فى «وظنوا» يعود على الرسل ، والظن بمعنى العلم واليقين ، والضمير فى «أنهم» يعود على الرسل أيضا ، وكذلك الضمير فى «كذبوا» يعود عليهم ، والمعنى : أيقن الرسل أن أممهم كذبوهم تكذيباً لا يرجى معه الإيمان أصلا ؛ لأن هؤلاء القوم لا خير فيهم ، وليس عندهم استعداد للإيمان ، فحينئذ دعا الرسل على القوم ، فنصر الله الرسل ومن آمن بهم ، وأنزل عذاب الاستئصال بالمكذبين . أو المعنى : تيقن الرسل أن أممهم كذبوهم فيما وعدوهم به من العذاب ، ونصرة المؤمنين عليهم لطول البلاء بالمؤمنين ، ويصح على هذه القراءة أن يكون الظن على حقيقته .

والمعنى : وظن الرسل أن الذين آمنوا بهم كذبوهم ، وهذا تأويل عائشة أم المؤمنين للآية ، قالت عائشة : «هم أتباع الرسل الذين آمنوا بهم ، وصدقوهم ، فطال عليهم البلاء ، واستأخر عنهم النصر ، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن أتباعهم كذبوهم جاءهم نصرنا عند ذلك» ، انتهى .

وأما القراءة الثانية فوجهت بوجهين :

الأول : أن الضمير فى «وظنوا» يعود على القوم المكذبين للرسل ، المدلول عليهم بذكر الرسل ، لأن الرسل تستدعى مرسلا إليهم ، أو لتقدمهم فى الذكر

فى قوله تعالى : « فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » قال الألوسى : « فيكون الضمير للذين من قبلهم ممن كذبوا الرسل » انتهى

والضمير فى « أنهم » يعود على الرسل وكذلك الضمير فى كذبوا ، يعود عليهم والمعنى : وظن القوم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من النصر على أعدائهم .

قال فى البحر : « وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبهم من ادعى أنه جاءهم بالوحى عن الله تعالى بنصرهم ، وبعقاب أعدائهم إن لم يؤمنوا ، انتهى .

الثانى : أن الضمير فى « وظنوا » وفى « أنهم » وفى « كذبوا » الضمائر الثلاثة تعود على القوم المكذبين .

والمعنى : وظن القوم المكذبون المرسل إليهم أنهم قد كذبوا من جهة الرسل بمعنى أن الرسل قد كذبوا عليهم فى ادعائهم النبوة ، وفى النصر عليهم ، وفى نزول العقاب بمن لم يؤمن بهم ، فلم يصدقوا فى شىء مما ذكر .

وعلى هذين الوجهين يراد بالظن حقيقته.

وأما القراءة الثالثة : فقد وجهها فى البحر بقوله :

« أى وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما قالوا عن الله تعالى من العذاب ، والظن على بابه » انتهى .

وقال القرطبى فى تأويل هذه القراءة : « وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا لما رأوا من تفضل الله عليهم بتأخير العذاب عنهم ، ويجوز أن يكون المعنى : وأيقن الرسل أن قومهم قد كذبوا على الله بكفرهم » انتهى .

وقال الألوسى فى تأويل القراءة :

ضمير « ظنوا » للأمم ، وضمير « أنهم قد كذبوا » للرسل ، أى ظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوهم به من النصر ، أو العقاب ، وجوز أن يكون ضمير « وظنوا » للرسل ، وضميرا « أنهم قد كذبوا » للمرسل إليهم ، أى ظن الرسل أن الأمم كذبتهم فيما وعدوهم به من أنهم يؤمنون ، والظن على كلا الاحتمالين بمعنى اليقين » انتهى .

وفى المحتسب لابن جنى « وظنوا أنهم قد كذبوا فيما أتوا به من الوحى إليهم » انتهى .

قال الإمام بن جرير :

« وهذه القراءة « كذبوا » لا أستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من قراء الأمصار على خلافها، ولو جازت القراءة لاحتملت وجها من التأويل وهو : حتى إذا استيأس الرسل من عذاب الله قومها المكذبة بها ، وظنت الرسل أن قومها قد كذبوا ، وافتروا على الله بكفرهم بها .

ويكون الظن موجها حينئذ إلى معنى العلم على ما تأوله الحسن وقتادة » انتهى.

وهذه القراءة « كذبوا » - وإن كان لها معنى صحيح، وتأويل حسن لا يناقض معنى القراءتين الأوليين المتواترتين - شاذة عريقة في الشذوذ ، وحسبنا دليلا على ذلك أنه لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة المشهورين ، ولا أحد من القراء الأربعة المحكوم على قراءتهم بالشذوذ.

وقد قررنا غير مرة أن القراءة إذا لم تثبت بطريق التواتر ، أو بطريق الآحاد بشرط الشهرة والاستفاضة ، والتلقي بالقبول لا يعتد بها ، ولا تعتبر قرآنا ، وهذه القراءة لم تثبت بطريق التواتر ولا بطريق الآحاد مطلقا ، فلا يعبأ بها ؛ ولا يعول عليها ولنرجع إلى مناقشة الكاتب فنقول :

يقول في صفحة ٤١ : « لا شك أن هذه القراءة « كذبوا » بفتح الكاف والذال خفيفة ، هي القراءة الأصلية ».

وأقول : ليس في القراءات قراءة أصلية وأخرى فرعية عنها ، ولم يذهب إلى هذا التقسيم أحد من علماء القراءات مطلقا لا من السلف ، ولا من الخلف . وليس للكاتب سند في هذا التقسيم لا من النقل ولا من العقل ، وإنما الذي اتفقت عليه كلمتهم : أن القراءة إن ثبتت بطريق التواتر قبلت . وقطع بكونها قرآنا ، وإن ثبتت بطريق الآحاد ولكن ذاع أمرها، وشاع بين القراء خبرها وتلقوها بالقبول ، قبلت ، وعدت من القرآن أيضا ، وإن نقلت بطريق الآحاد ، ولم تظفر بالاستفاضة والذيوع ، والتلقي بالقبول ، رفضت ، وحكم عليها بالشذوذ ولا تعتبر من القرآن أصلا . كقراءة الأربعة الذين فوق العشرة . أما إذا لم يكن لها سند صحيح ، ولا رواية ثابتة كهذه القراءة « كذبوا » ، فإنه يحكم عليها بالشذوذ الشاذ والنكارة النكراء والرفض

التام، ولا يقام لها فى موازين القراءات وزن أو اعتبار.

إذا عرفت هذا فدعوى جولدزيهر أن القراءات قسمان: أصلية وفرعية دعوى لا تستند إلى دليل، ولا إلى شبه دليل. ولم يوافقه عليها أحد من علماء القراءة.

ثم إنه أول الآية تأويلا أملاه عليه قصده السيء، واتجاهه المريض ونزعته الجائرة، حيث يقول: «بيد أن الأنبياء قد ظنوا أنهم كذبوا، أى صدر عنهم الكذب، وهذا أمر لا يستطيع مؤمن صادق الإيمان أن يتحمله ويتقبله، وقد مر بك أن للقراءة تأويلا يساعده سياق الآية، ولا يخدش مقام الأنبياء بالكذب والافتراء. ولو أنه كان حسن النية، سوى القصد، لأول هذه القراءة بما أول هو به القراءة المتواترة، حيث جعل ضمير «وظنوا» راجعا للقوم، ويكون المعنى على هذه القراءة - كذبوا -: وظن القوم أن الأنبياء كذبوا، ولكنها القلوب المريضة أعمتها الأهواء.

ومما يدل على سوء قصده، وعدم نضجه فى التفكير والبحث، أنه ساق قصة أم المؤمنين عائشة الصديقية دليلا على أنها تناولت هذه القراءة «كذبوا»، وما تدل عليه من أن الأنبياء ظنوا أنهم كذبوا، وحاولت إيجاد حل لهذا الإشكال مع أن الذى ثبت فى كتب السنة عن عائشة أنها تناولت قراءة «كذبوا»، واستبعدتها ورجحت عليها قراءة «كذبوا».

وأيضا ساق قصة مسلم بن يسار، وسؤاله سعيد بن جبير عن قراءة «كذبوا».

والواقع أن مسلم بن يسار سأل سعيد ابن جبير عن تأويل لقراءة «كذبوا» كما هو صريح كتب السنة، فقد روت أن مسلم بن يسار قال لسعيد بن جبير: يا أبا عبد الله، آية بلغت منى كل مبلغ «حتى إذا استيأس الرسل..» الآية، فهذا الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا، فقال له سعيد: يا أبا عبد الرحمن، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم، وظن قومهم أن الرسل كذبتهم جاءهم نصرنا، فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين، فقام مسلم إلى سعيد واعتنقه، وقال له: فرج الله عنك كما فرجت عنى؟

عبد الفتاح القاضى

الإسلام والمسلمون فى أوربا

للأستاذ محمد علوى عبد الهادى

— ٤ —

ألقينا فى المقالات السابقة نظرة سريعة على أحوال المسلمين فى بعض بلدان أوروبا والاتصال مستمدة من واقع الخبرة الشخصى .

وقد سعيت طوال مدة إقامتى بها إلى التعرف على حقيقة آراء الأوربيين ومعتقداتهم ، ونستعرض فى هذا المقال ما تبين لى من حقائق لعل فيها جديدا يساعد المخلصين الساعين للدعوة إلى الإسلام فى سلوك الطريق الصحيح للدعوة إلى الإسلام .

وقد ذهبت إلى أوروبا وفى ذهنى أفكار معينة نتيجة كتابات من سبقونى إليها ، منها أن أوروبا أصبحت ملحدة نبذت الأديان وكفرت بالكنيسة ، وصور الكتاب والصحافيون ورجال الأدب الصراع الذى دار بين الكنيسة وبين رجال العلم والفكر ، والصراع الذى دار بين أمراء الكنيسة وبين الشعوب فى فرنسا وروسيا تصويرا يلقى فى النفس أن الشعوب الأوربية قد نبذت المسيحية والكنيسة وأسرفت فى الكفر والإلحاد .

وهذا التصوير للأسف يكاد يملأ عقول المفكرين والبسطاء من الناس فى مصر وفى شتى بلاد العالم الإسلامى .

ولكن الحقيقة كما تبينتها غير ذلك .

وهذا ما دعانى إلى كتابة هذه السلسلة من المقالات التى أرجو أن يتدبرها كل من يعنيه الأمر .

فواقع الأمر أنه إذا كان هناك إلحاد أو كفر بالكنيسة ، وأنا أقول الكنيسة ولا أقول الدين أو النصرانية ، فإن ذلك ينحصر فى فئات قليلة من الطبقة المسماة بالذهنيين Intellectuels وهم من حصلوا على قدر من التعليم العالى وثارت فى نفوسهم عوامل الشك ، أو من الأتباع المخلصين لبعض النظم الثورية المعاصرة أو القديمة أما الجموع الساحقة من الشعوب الأوربية من الفلاحين أو العمال أو الطلاب فلا زالوا ثابتين على الإيمان بمعتقداتهم القديمة .

حقيقة كان للثورات الاجتماعية والحروب المتصلة عبر الأجيال الطويلة منذ القرون الوسطى حتى الآن أثرها فى هز أركان سلطان الكنيسة ولكن ذلك لم يقوض أركانها .

ويلاحظ القارىء أننا نقول الكنيسة ولا نقول الدين أو المسيحية ذلك أن طبيعة التدين كما يفهمها الرجل الأوروبى أو الأمريكى تختلف اختلافا بينا عما نفهمه نحن المسلمين بل وحتى الشرقيين .

وليس من مهمة هذه المقالات أن تتدخل فى تفاصيل الفهم الأوروبى للتدين؛ فذلك مجاله أبحاث واسعة لا تتسع لها هذه المقالات . ولكن لاحظت وتأكدت أن اختلاف طبيعة التدين عند الرجل الأوروبى عنها عندنا نحن المسلمين ، كانت ولا زالت سببا يعوق انتشار الإسلام فى أوروبا ، رغم أن جميع الباحثين فى الماضى يجمعون على أن بساطة الإسلام كانت سببا فى انتشاره ذاتيا فى آسيا وأفريقيا دون أى دعوة موجهة من صاحب السلطان ولقد كانت هناك محاولة متواضعة فى جامعة الأزهر لإجراء مزيد من البحوث لفهم طبيعة التدين فى أوروبا أو شرح العلاقة بين الفرد وربه ، وبين الفرد والكنيسة - ونقصد بالكنيسة هنا ذلك الكيان المترابط ، والتنظيم الدقيق والعلاقات الإدارية المتينة لجموع رجال الدين المسيحى - ولكن بكل أسف وئدت هذه المحاولة فى مهدها .

على أن هذا الاختلاف وإن كان معوقا لانتشار الإسلام فى أوربا؛ فهو ليس مانعا له أو حائلا دونه ، ولكن الأمر يحتاج إلى بذل مجهود لفهم الرجل الأوربى ثم تقديم الإسلام إليه بالشكل الذى يفهمه .

صورة الإسلام عند الرجل الأوربى البسيط :

تختلف صورة الإسلام لدى الرجل الأوربى اختلافا بينا باختلاف نصيبه من التعليم والثقافة والخبرة .

فنى البلاد الاستعمارية حيث أتيح لبعض الأفراد الاختلاط بالمسلمين من أبناء المستعمرات تكوين صورة قريبة من الوضوح عنها فى البلاد أو القرى التى لم يختلط أبناؤها بالمسلمين .

وقد كانت صدمة شديدة لى أن أسمع آراء وأفكاراً ومعتقدات عن الإسلام لدى بعض البسطاء من أهل النمسا تخالف

الواقع مخالفة شديدة . ولكن التتبع التاريخى لمصدر هذه المعلومات فتح آفاقا للدراسة ، ما أجدر قومى أن يتابعوها ويستزيدوا منها ، وما أجدر المسئولين عن تدريس التاريخ فى مدارسنا أن يراجعوا المناهج المبتورة التى يدرسونها للتلاميذ .

وجدت فى النمسا مجموعة ضخمة من القصص الشعبى أشبه ما تكون بقصص ألف ليلة وليلة عندنا تعرف بقصص (كارل ماى) وهى ستة وستون مجلدا كبيرا عبارة عن قصص لرحلات ومشاهدات عبر البلاد الإسلامية فى آسيا وأفريقيا وتركيا وتضم بين صفحاتها العديد من المعلومات الخاطئة عن الإسلام . ولقد أتيح لى أن ألم بالمجلد الأول من هذه المجموعة وعنوانه « عــــبر الصحراء » يتحدث عن رحلة للراوية عبر بلاد الشرق الأوسط فى مصر والسودان والحجاز والعراق وسوريا . والقصة تدور على لسان المؤلف وتابع له هو فى نفس الوقت دليل له عربى اسمه « حالف » ويبدو أنها حدثت فى العقد الأول من القرن التاسع عشر ، وفى كل صفحة من صفحاتها حوار بين الراوى وتابعه العربى الذى يناديه دائما « سيدى » وينقل التابع للسيد المعلومات الخاطئة أحيانا كثيرة كما يفهمه رجل الشارع العادى ويفسر له الكثير من عادات الأقوام الذين يمر بينهم تفسيرا كله جهل وخلط ، ومن مثل هذه المعلومات يستمد رجل الشارع النمساوى معلوماته عن الإسلام ، وإذا حدث وصادف رجل أو سيدة نمساوية زائرا مسلما لبلادهم وسألوه فيما سمعوا وقرأوا من معلومات عن الإسلام فإن المسلم بكل أسف عاجز عن أن يشرح أو يفسر .

وفى فرنسا وجدت أن مصدر معلومات رجل الشارع العادى وخاصة فى القرى البعيدة هى مجموعة من الأغانى الشعبية تتداولها ألسنة العجائز ، فيها تصوير عدائى للإسلام ، ولو أن القوم بفضل الاتصال الطويل بالمسلمين فى شمال أفريقيا لعدلت بعض الشىء .

وقادنا البحث فى مصدر هذه الأغانى إلى بحث تاريخى ممتع عن علاقة أوروبا — والكنيسة الكاثوليكية على رأسها — بالإسلام ، وفى هذه الدراسة فائدة عظيمة الذين يعنيهم أمر الدعوة إلى الإسلام وللسادة الذين يرسمون سياسة العالم

الإسلامى من حيث علاقته بالدول الأوربية والأمريكية .

ذلك أن مشاعر الأوربيين التى كانت ولا زالت تقودها وتغذيها الكنيسة الكاثوليكية تطورت تطورات عديدة خلال القرون الطويلة منذ بدء المواجهة بين الإسلام فى الشرق وأوربا الكاثوليكية فى الغرب .

نمو روح العداء الأحمق نحو الإسلام:

عندما ظهر الإسلام وتمت الفتوحات الأولى فى العراق وسوريا ومصر ، كانت هذه الشعوب تتبع كنيسة معادية لكنيسة روما الكاثوليكية ، وفى السنوات الأولى للفتح كانت مشاعر كنيسة روما : أن الإسلام إنما هو صيغة جديدة للدعوة التى نادى بها فى القرن الرابع الميلادى أسقف الإسكندرية (آريوس) عن بشرية المسيح وأنه مجرد رسول من الله سبحانه وتعالى ، تلك الدعوة التى رفضها مجمع نيقية المقدس .

ولكن توطد أركان الإسلام فى شمال أفريقيا ثم فى أسبانيا واعتناق الكثير من الناس له دون ضغط نبه الكنيسة إلى خطر الإسلام على سلطانها ، لذلك بدأت مشاعر الحذر والترقب تجاه هذا العدو الذى يوشك أن يكتسح أوربا .

وشهد النصف الأول من القرن الثامن الميلادى موجات الفتح والغزو فى أسبانيا وفرنسا وجنوب إيطاليا . وتذكر كتب التاريخ المدرسى أن موجة الفتح الإسلامى انحسرت بعد معركة (بلاط الشهداء) ولكن هذا غير صحيح فإن ما بقى من القرن الثامن والقرن التاسع شهد موجات عديدة من الغزو توغلت فى جنوب فرنسا ووصلت إلى بعد عدة أميال من باريس شمالا وإلى حدود إيطاليا شرقا ، ثم تحولت إلى موجات متلاحقة من الغزوات البحرية على شواطىء فرنسا وإيطاليا ، حتى إن بابا روما اضطر إلى دفع جزية سنوية إلى عرب شمال أفريقيا ليدرأ خطرهم عن روما فى أوائل القرن العاشر ، وبفضل قوة الأساطيل الإسلامية تحول غرب البحر المتوسط إلى بحيرة إسلامية ، للأساطيل الإسلامية التى كانت لها السيادة المطلقة على مياهه ولم تجرؤ أى مركب غير إسلامية على الإبحار فيه إلا تحت الحماية الإسلامية .

على أنه مما يدعو إلى الأسف أن الفاتحين المسلمين فقدوا الدافع الأصيل

الذى صاحب موجة الفتح الأولى واقتصر جهدهم على موجات يعقبها انسحاب مما لم يساعد على انتشار الإسلام فى البلاد المفتوحة كما تم فى آسيا وأفريقيا .

وصاحب ذلك ظهور قوة الفرنجة. فقد انحسرت موجات الغزو والبربرية التى أسقطت الإمبراطورية الرومانية الغربية ، وساعد انتصار (شارل مارتل) على عبد الرحمن الغافقى فى سنة ٧٣٢ (سنة ١١٥ هـ) على تقوية دعائم قبائل الفرنجة التى أخذت تحاول قهر باقى القبائل التى تسكن أوروبا الغربية حتى استطاع (شارلمان) قهرها . وكان هـذا مسيحيا متعصباً وكان يرافق جيوشه العديد من القساوسة الذين يدعون القبائل المهزومة إلى المسيحية ويلزمونهـا قهراً وبحكم قوة السلاح إلى اعتناقها .

وعندما تم لشرلمان إخضاع أوروبا الغربية جاءته دعوة من بعض الخونة ليهاجم أسبانيا المسلمة فسار إليها بجيشه ولكنه لاقى هزيمة ساحقة عند وادى رونسفال يوم ١٥ أغسطس سنة ٧٧٨ وفقد كل مؤخرة جيشه فى مذبحة شاملة أثارت الشجن والأسى فى نفوس أنصاره.

وكانت هذه الهزيمة سببا فى انفجار شعور بالحزن والأسى فى قلوب المسيحيين من أهل تلك البلاد وتغنوا بها فى أغانى عديدة لا زالت تتداولها الكتب حتى الآن . وأشهرها أغنية تعرف بأغنية (رولاند) وهو أحد القادة الذين ماتوا فى تلك المعركة ، واستمرت هذه الأغانى تتناقلها أفواه النـاس فى منطقة جبـال البرانس حتى عهد نابليون حيث سمعتها الجيوش الإنجليزية التى ذهبت لإجلائه عن أسبانيا .

ومع أغنيـة رولاند انتشرت عدة أغانى وأساطير أخرى تحكى خرافات عن شرلمـان ونواده ودفاعهم عن النصرانية وبجاهدتهم الكفار والعرب . وهى أغانى تعرف فى الآداب الفرنسية والأسبانية والإنجليزية والإيطالية والألمانية بأغانى الإشارات Chansons de Gestes وهى ملاحم شعرية باللغـات الدارجة القديمة تتكون الأغنية الواحدة من عدة آلاف من بيوت الشعر ، وتصور هـذه الأغانى والأساطير المسلمين تصويراً سيئا بعيـداً عن الحقيقة أو العقل وترميهم بكل ما هو شنيع .

ولقـد تغنى المنشـــدون الجوالة

Jongleurs بهذه الأغانى ونشروها بين القبائل الأوربية التى كانت حديثة عهد بالمسيحية فكان لها أثرها فى انتشار الكراهية للإسلام مما كان دافعا لقيام الحملة الصليبية الأولى .

ونمت هذه الأغانى على مر السنين مثيرة الحقد والكراهية نحو الإسلام والعرب طوال أيام الحملات الصليبية ، وبدا أثرها واضحا فى بعض الآداب الأوربية مثل ما كتبه (دانتى) فى كوميديته عن سيدنا محمد ؟

(للبحث بقية)

محمد علوى عبد الهادى

(بقية المنشور على ص ٤٣٧)

الجبارين والعقاب الذى ينتظرهم ، كقول الحق سبحانه : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » (سورة إبراهيم آية ٤٢) وكقوله سبحانه : « إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم » (سورة الشورى آية ٤٢) وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنما الإمام جنة ، يقاتل من ورائه ، ويتقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا ، وإن قال بغيره فإن عليه منه » (صحيح البخارى جـ ٤ صـ ٤٠) .

ومن ناحية أخرى فإن على الأمة ـ ممثلة فى أهل الحل والعقد ـ أن تعلن عزل هذا الرئيس إذا أمنوا وقوع الفتن التى يمكن أن تترتب على هذا العزل ، وأما إذا لم تؤمن الفتن فإن قيام الأمة بعزله مؤد ـ فى الغالب ـ إلى التشابك المسلح بين أنصار الحاكم المستبد ومريدى خلعه وفى ذلك من الضرر البالغ الذى يصيب الأمة من جراء الحرب الأهلية ما يفوق الضرر الحاصل من هذا الحاكم ، وحينئذ فإنه دفعا لأشد الضررين يصبر ـ مؤقتا ـ على جور هذا الجائر حتى تؤمن الفتن فيعلن عزله أهل الحل والعقد ؟

د . محمد رأفت عثمان

العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ على عبد العظيم

١٢ — لغة الدقة والتحديد

كما أن اللغة العربية لغة الرمز والإيحاء، ولغة التنويع والتفريع، فإنها -مع هذا- لغة الدقة والتحديد، ولا تعارض فى هذا، فلكل مقام مقال ولكل هدف وسيلة، والبليغ يراعى دائما مقتضى الحال؛ ودقة التعبير وتحديده يتجلى فى كل لغة فى اختيار الألفاظ المعبرة عن كل معنى دقيق بحيث يدل اللفظ عليه دلالة لا تحتمل اللبس أو الإبهام أو الاشتراك؛ وللألفاظ العربية دلالتها الحقيقية كما أن لها دلالتها المجازية، وقد وضع الإمام الزمخشرى معجما عربيا قيما سماه «أساس البلاغة» تناول فيه المفردات اللغوية فذكر معانيها الحقيقية ثم أتبعها بذكر معانيها المجازية، وقد طبع هذا المعجم عدة مرات، وجاء -بعد الزمخشرى- المحدث الكبير ابن حجر الهيثمى فوضع معجما كبيرا أكمل فيه، ما فات الزمخشرى، وسماه «غراس الأساس»، وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة توبنجن بألمانيا، كما توجد منه نسخة خطية بمكتبة طلعت بدار الكتب بالقاهرة ونسخة أخرى مصورة عن النسخة السابقة، ولعل أحد الباحثين يتولى تحقيقه ونشره ليعم به الانتفاع.

* * *

وإذا راجعنا المعاجم اللغوية أو كتب فقه اللغة راعنا ما نجده فيها من ثروة لغوية ضخمة تناولت أدق التفصيلات فى جميع الشئون المادية والمعنوية.

ومن الأمثلة على ذلك ما يقوله العرب عن الحسن، قال ابن الأعرابى: الصباحة فى الوجه، والوضاءة فى البشرة، والجمال فى الأنف، والحلاوة فى العينين؛ والملاحة فى الفم، والظرف فى اللسان والرشاقة فى القد، واللباقة فى الشمائل..

ومثل ذلك قولهم فى الأمراض: الداء اسم جامع لكل مرض. فإذا أعيى الأطباء فهو عياء، فإذا ازداد على الأيام فهو عضال، فإذا تعذر برؤه فهو عقام. فإذا استحال برؤه فهو نجيس، فإذا تطاول عليه الزمان فهو مزمن، فإذا كان مستترا فهو دفين...

ومن هـذا القبيل قولهم فى مراتب الشفاء: إذا وجد المريض خفة فهو متماثل للشفاء ، فإذا زاد صلاحه فهو مفرق ، فإذا تماثل ولم يستكمل قوته فهو ناقه ، فإذا تكامل برؤه فهو مبل (من أبل من مرضه إذا تم شفاؤه) فإذا رجعت إليه قوته كاملة فهو مرجع ... ومن ذلك قولهم فى ترتيب سن المرأة : هى طفلة مادامت صغيرة ، فإذا مشت بنشاط فهى وليدة ، فإذا شبت وبدا ثديها فى الظهور فهى كاعب ، ثم ناهد ، فإذا بلغت الحلم فهى معصر ، فإذا توسطت الشباب فهى خـــرد ، فإذا جاوزت الأربعين فهى مسلف ، ثم نصف ، فإذا وجدت مس الكبر فهى شهلة ، ثم كهلة ، فإذا تقدمت سنها وفيها تماسك فهى شهبرة ، فإذا علت بها السن فهى حيزبون ... حتى الأمور المعنوية التى يعسر تحديدها وضعوا لها مراتب دقيقة ، فالشجاع إذا كان قوى القلب رابط الجأش فهو مزير . قال العباس بن مرداس :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفى أثوابه أســـد مزير

فإذا كان جريئا على الليل فهو مخش ومخشف ، فإذا كان مقداما على الحرب عليما بها فهو مجرب ، فإذا كان به عبوس الشجاعة والغضب فهو باسل . فإذا كان قويا معجزا للمهاجمين فهو بهمة ؛ فإذا كان يقضى على كل هجوم عليه فهو بطل؛ فإذا كان يركب رأسه لا يثنيه شىء عما يريد فهو غشمشم . أما مراتب الجبن فإنهم يقولون : رجل جبان وهيابة . ثم مفئود إذا كان ضعيف الفؤاد ؛ ثم خيرع إذا كان ضعيف القلب والبدن ، ثم منخوب إذا كان نهاية فى الجـــبن ؛ ثم رعديد إذا كان يرتعد من الرعب ؛ والعرب يراعون الدقة والتحديد حتى فى أوصاف الجماد فيقولون فى الامتلاء : فلك مشحون ؛ كأس دهاق ؛ بحر طام نهر طافح ؛ عين ثرة ؛ جفن مترع ... ويقولون فى تقسيم الخلاء : أرض قفر: ليس بها أحد ؛ وجرز : ليس فيها زرع؛ دار خاوية : ليس فيها أهل ؛ غمام جهام: ليس فيه ماء ؛ بطن طاو : ليس فيه طعام قلب فارغ : ليس فيه شغل ؛ خد أمرد : ليس فيـــه شعر ؛ امرأة عاطل : ليس عليها حلى ...

ولم يدع العرب عضوا من الأعضاء

الدقيقة أو الملابس أو المطاعم أو أوصاف الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد أو العناصر الطبيعية الأرضية والسماوية إلا وضعوا لها أسماء محددة تحديدا دقيقا وحسبنا ماذكرناه. ودقة اللغات تتجلى فى مجالين كبيرين. أولهما: التشريعات القانونية لأنها تتناول العقود والمعاهدات والعلاقات العامة والخاصة والمعاملات الاقتصادية وتنظيم المحاكمات القضائية فإذا لم تكن ملتزمة الدقة التامة والتحديد الفاصل فإنها تحدث فوضى اجتماعية شاملة ينهار معها كل نظام، وقد اشتهرت اللغة الفرنسية بهذه الدقة حتى أصبحت لغة المعاهدات الدولية وأصبح القانون الفرنسى مرجعا هاما فى القوانين الدولية.

والمجال الثانى فى الدقة والتحديد هو: المجال العلمى، فالقوانين العلمية تعتمد على الدقة التفصيلية الدقيقة، وعلى الأرقام المحددة فلا تكاد تغفل شيئا وإن صغر حجمه أو دق وزنه، وقد استعمل العلماء المقاييس الدقيقة التى بلغت حدا متناهيا فى الصغر حتى لا يحدث خطأ أو يقع لبس أو إبهام.

فما موقف اللغة العربية من هذين المجالين؟.

أما فى مجال التشريعات القانونية، فقد ثبت أن القانون الفرنسى متأثر إلى حد كبير بالشريعة الإسلامية وبخاصة فى فقه الإمام مالك رضى الله عنه، وقد انتقل فقهه إلى فرنسا عبر الأندلس فى القرون الوسطى وعن فقه الإمام مالك أخذ القانون الفرنسى نظام المحلفين، وكان يعرف فى الأندلس بنظام المفتين، والمفتون (جمع مفت) من هيئة القضاء يرجع إليهم القاضى فيما أشكل عليه من ملابسات[1] ومعظم القانون المدنى الفرنسى متأثر بالفقه الإسلامى؛ أما فى العصر الحديث فحسبنا أن نذكر القرارات الآتية:

١ — قرر مؤتمر القانون الدولى المنعقد فى لاهاى سنة ١٩٣٧ م ما يلى:

(ا) اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا من أهم مصادر التشريع العام.

(ب) اعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور.

(ج) اعتبار الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها.

---

(١) راجع تبصرة الحكام لابن فرحون المتوفى سنة ٧٩٩ هـ والمطبوع بمصر سنة ١٣٠٢ هـ

(د) استعمال اللغة العربية فى المؤتمر والتوصية بالاستمرار على ذلك فى الدورات القادمة .

٢ — فى مؤتمر أسبوع الحقوق الإسلامى الدولى المنعقد فى باريس سنة ١٩٥١ أصدر المؤتمر قرارا نصه : «إن المبادىء الإسلامية قد سمحت للحقوق بأن تستجيب للرغبات التى تتطلبها الحياة الحديثة» .

٣ - أصدر المؤتمر الدولى للقانون والإنماء الاقتصادى والاجتماعى المنعقد فى بيروت فى ديسمبر سنة ١٩٦٨ القرار التالى : «يجب أن تكون التشريعات تعبيرا حقيقيا عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، واعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا لجميع التشريعات العربية لما امتازت به من مرونة كبيرة» .

٤ — فى مؤتمر الحقوقيين فى أثينا سنة ١٩٢٧ صرح عميد كلية الحقوق اليونانية : بأن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم إليها ، إذ أنه استطاع على الرغم من أميته أن يأتى للعالم بتشريع سنكون - نحن الغربيين - أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفى سنة .

٥ — صرح (أدموندبورك) من أكبر رجال القانون فى العالم بأن القانون المحمدى قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه ، وهو قانون نسج بأحكم نظام حقوقى وأعظم قضاء علمى وأعظم تشريع عادل لم يسبق للعالم قط إيجاد مثيل له .

٦ — قال الباحث القانونى الإيطالى (بيولدكازلى) : يجب على مصر أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية فهى أكثر اتفاقا من غيرها مع روح البلد القانونية .

٧ - أصدر العلامة الخبير (لوثرجيولك) وزميله القانونى الكبير (جيمس جيولك) سنة ١٩٦٢ تقريرا ذكرا فيه : أن الشريعة الإسلامية من أصلح الأسس للحكم الناجح فى العصر الحديث [1].

وحسبنا ما ذكرناه من شهادات كبار رجال التشريع والقانون فى العصر الحديث ويقوم كبار العلماء والمشرعين الآن بجمع التراث التشريعى فى الإسلام فى موسوعة كبرى صدرت منها بضعة أجزاء فى مصر ومن المنتظر أن تجاوز الخمسين جزءا

(١) من بحث قيم لصديقنا الأستاذ الشيخ محمود عبد الوهاب فايد .

صدرت باسم موسوعة ناصر ، كما تقوم الكويت الآن بمشروع مماثل لهذا المشروع ويوم يتم هذان المشروعان سيعرف العالم كله مدى الثروة التشريعية الكبرى التي جاء بها الإسلام واستوعبتها اللغة العربية ذات الثروة اللغوية المعدومة النظير .

* * *

أما فى مجال العلوم ، فحسبنا أن نذكر إجمالا أن اللغة العربية استوعبت فلسفة وعلوم الإغريق كما استوعبت الحضارة الرومانية والسريانية والفارسية والهندية والصينية وأضافت إليها زيادات كبرى ، وأبدعت علوما عديدة وحضارة مزدهرة وثقافة شاملة استمرت قرونا عديدة ، وهى أهم مصادر النهضة العلمية الحديثة باعتراف كبار الباحثين فى الشرق والغرب على السواء ؛ وحسبنا أن نذكر نبذا من أقوالهم فى هذا المقام :

١ — يقول (سيديو) العلامة الشهير : إن العرب هم فى واقع الأمر أساتذة أوربا فى جميع فروع المعرفة .

٢ — يقرر المستشرق (نيكلسون) أن المكتشفات الحديثة لا تحسب شيئا مذكورا إزاء ما نحن مدينون به للرواد العرب الذين كانوا مشعلا وضاء فى القرون الوسطى المظلمة وبخاصة فى أوربا .

٣ — يقول (سارتون) : إنه لعمل عظيم جدا أن ينقل إلينا العرب كنوز الحكمة اليونانية ويحافظوا عليها ، ولولا ذلك لتأخر سير المدنية بضعة قرون ، ولقد زادوا على العلوم التى أخذوها ، وإنهم لم يكتفوا بذلك بل أوصلوها إلى درجة جديرة بالاعتبار من حيث النمو والارتقاء .

٤ — ويقول العلامة (وايدمان) : « إن العرب أخذوا بعض النظريات عن اليونان وفهموها جيدا وطبقوها على حالات كثيرة ومختلفة ، ثم ابتكروا نظريات جديدة وبحوثا طريفة ، وهم بذلك قد أسدوا إلى العلم خدمات لا تقل عن الخدمات التى قدمها للحضارة الحديثة نيوتن وفاراداى وزنيمن »

وفى هذا بلاغ لمن يسلبون العرب كل فضل ، ويحاولون نسبته إلى الإغريق القدماء ؛ ولقد كان العرب أمناء كل الأمانة فى أبحاثهم العلمية فنسبوا إلى الإغريق ما نقلوه عنهم ، ثم درسوه دراسة علمية دقيقة فاقتبسوا الصحيح ونبذوا الزائف

ثم أضافوا إلى الصحيح أضعاف أضعافه مما ابتكروه وأضافوا به ثروات كبرى إلى التراث الإنسانى الخالد، أما الإغريق فقد تتلمذوا على قدماء المصريين وسلبوهم كل كشف حضارى وكل فكر علمى ونسبوه إلى أنفسهم وحدهم كما قرر هذا العلامة الكبير (غوستاف لوبون).

ولولا جهود العرب العلمية والفلسفية لبدأت النهضة الأوروبية فى القرن الرابع عشر متخلفة عن موعدها ستمائة عام من حيث ابتدأ العرب نهضتهم العلمية الكبرى فى القرن الثامن كما يقرر هذا كبار الباحثين الغربيين.

وما ترك العرب مجالا من مجالات البحث أو الدراسة إلا ولجوه معتمدين على الأساليب العلمية الدقيقة التى لم يهتد إليها الغرب إلا بعدهم بقرون عديدة وظنها بعض الباحثين من مبتكرات الغرب ونسبها إلى (باكون) ولكن البحوث العلمية المعاصرة أثبتت سبق العرب إلى ابتكار هذه الوسائل؛ بل إنهم زادوا على طريقة باكون التى لم تتوفر فيها جميع الضوابط العلمية اللازمة فى الأبحاث والدراسات. لقد أدركوا الطريقة المثلى وأخذوا بالقياس والاستقراء والتمثيل والاعتماد على الواقع المحسوس لا على الفروض والأوهام، وحسبنا أن نشير بإيجاز إلى بعض الكشوف العربية الهامة التى كانت أساسا للكشوف العلمية الحديثة:

١ — أنشأ ابن الهيثم علم الضوء بالمعنى الحديث لأول مرة فى تاريخ العالم، وأثره فى البصريات لا يقل عن أثر نيوتن فى الميكانيكا فى القرن السابع عشر للميلاد وفى هذا يقول مايرهوف: «إن عظمة الابتكار العربى تتجلى لنا فى البصريات».

٢ — ابتكر العرب فى الكيمياء عمليات التقطير والترشيح والتصعيد والتذويب والتبلور والتكليس، وكشفوا بعض الحوامض والمركبات، وهم أول من استحضر حامض الكبريتيك، وحامض النتريك، وماء الذهب، والصودا الكاوية وكربونات الكلسيوم، وكربونات الصوديوم، ومن أبرز زعماء العرب فى علم الكيمياء جابر بن حيان الذى قال فيه برتيلو: «لجابر بن حيان من الأثر فى الكيمياء ما لأرسطو فى المنطق».

٣ — أسهم العرب بأكبر نصيب فى العلوم الرياضية، وهم الذين ابتكروا الصفر

وعلى هذا الابتكار قفزت العلوم الرياضية قفزة كبرى فى سبيل النمو والازدهار . وهم أول من أقام علم الجبر على أسس علمية سليمة وفى هذا يقول كاجورى : « إن العقل ليدهش عند ما يرى ما عمله العرب فى الجبر » وهم أول من سماه بهذا الاسم وعنهم أخذ الغرب هذه التسمية ، وأول من ألف فيه محمد بن موسى الخوارزمى فى عصر المأمون ، ولولا العرب لما تم وضع علم المثلثات على المنهج العلمى المعروف الآن .

٤ — أكبر جغرافى العالم فى القرون الوسطى الإدريسى العلامة العربى الشهير ، وظل كتابه « نزهة المشتاق » مرجعا علميا فى الجامعات العلمية الكبرى فى الشرق والغرب على السواء عدة قرون ، وقد سجل فيه خبر محاولة العرب ارتياد المحيط الأطلسى « بحر الظلمات » ويذهب كثير من الباحثين إلى أن العرب كشفوا أمريكا قبل خرستوف كولمبس بأربعمائة عام ، وممن قرر هذا حديثا العلامة الكبير م . د كفرير .

٥ — أما الطب فقد ابتكروا فيه ابتكارات علمية خالدة ، وظلت كشوفهم الطبية ومصنفاتهم العلمية أكبر المراجع فى جميع الجامعات العالمية قرونا عديدة ومن أشهر هذه المصنفات كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) للزهاوى وقد تمت ترجمته إلى اللاتينية فى القرن الخامس عشر وظل المرجع الكبير فى الجراحة وتجبير العظام فى جميع الجامعات عدة قرون ، وقد كشف العرب الدورة الدموية قبل (وليم هارفى) بمئات السنين ، فضلا عن كشوفهم فى الصيدلة وعلم النبات [1] .

ونحن نعلم أن ابن خلدون هو الذى أنشأ العلوم الاجتماعية ، ووضع قواعدها الكبرى فى مقدمته الخالدة التى ترجمت إلى جميع اللغات .

ولقد استوعبت اللغة العربية جميع الحضارات السابقة وأنشأت حضارة عظمى لا يزال العالم يستمد منها معارفه حتى الآن ؟ (للبحث بقية)

على عبد العظيم

---

(١) صدرت مصنفات عديدة فى هذه الأبحاث من أهمها (العلوم عند العرب) لقدرى طوقان ، وقد أصدرت اليونسكو سفراً قيما عن أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية نشر بالقاهرة سنة ١٩٧٠م .

عمر بن الخطاب وفكره الاقتصادى

للأستاذ فاروق منصور

٣ ـ الاقتصاد الإسلامى ولغة العصر

إننا نؤمن بأن عمر رضى الله عنه كان مفكرا اقتصادياً ، ونؤمن بأنه قد أسهم بتفكيره الاقتصادى فى إقامة هذا التراث الإسلامى الضخم الذى نفخر به ، ونرى فى الأخذ منه والتفقه فيه ضرورة دينية وقومية وحضارية . كما أن فى ربط حياتنا به إثراء لهذه الحياة ودفعا بها إلى النماء والتقدم ، كما نؤمن بأن عمر رضى الله عنه قد أعطى للحضارة الإنسانية عطاء كبيرا فى مجال الاقتصاد ، وأن علم الاقتصاد قد أخذ من الفكر العمرى أشياء كثيرة سواء فى عصر عمر ، أو فيما تلاه من عصور ، أخذ من التجارب التطبيقية كما أخذ من الآراء النظرية التى تناقلتها المؤلفات الفقهية الإسلامية ومن الدراسات الحديثة التى دارت حول فقه عمر ، سواء أشارت أو لم تشر بأنها أخذت من عمر كما سنوضحه بالأسانيد والأدلة . وعندما نؤمن بهذا الفكر العمرى وهذا الإسهام لابن الخطاب ، فإننا نؤمن إيماناً مبصراً ، ولا نتعصب تعصباً أعمى ، نذهب إليه عن اقتناع وإدراك ، ونسلم به فى اطمئنان وثقة ؛ لأنه إذا كان الإيمان كما حدده الإسلام بأنه « ما وقر فى القلب وصدقه العمل » ، أو الإقرار بالقول والتطبيق بالسلوك ، فإن دعواتنا كلها يجب أن تكون كذلك : مستندة إلى العقل معززة بالدليل العلمى ، وإلا نقضنا المنهج الإسلامى من حيث نبغى التمسك به ، والدعوة إليه .

هذا الطراز الفريد !

وعندما نقول إن عمر بن الخطاب كان مفكرا اقتصادياً فالدافع إلى ذلك ليس الحب لعمر ، فالحب وحده قد لا ينهض دليلا ، أو لا يسمح بتقديم الدليل العلمى وليس عمر بحاجة لأن نجمع له صفات لم تكن له ، أو نضيف إليه ما لم يكن عنده لأنه رضى الله عنه بشخصيته الفذة ، وجوانبه الإنسانية المتكاملة ، غنى عن كل مجد ينسب إليه ، أو مديح بشرى نحاول أن نزجيه .

لقـــد تفرد عمر بمواقف وصفات لو وزعت على مئات الرجال لكانت فخرا لهم، ولاستطاعوا أن ينالوا بها الحمد وطيب الذكر وعاطر الثناء .

إن عمر بن الخطاب ليس هو الإنسان الذى تحتاج سيرته إلى الإضافة إليها ، التزود عليها ، أو انتحال الأمجاد أو اختلاق الروايات .

إن الإنسان ليذكر اسم عمر بن الخطاب فيمر على ذاكرة من يعرف التاريخ الإسلامى ، أو يعى أقل القليل من أمجاد العرب شريطاً من الذكريات المذهلة ، والمواقف الباهرة والمبادىء السامية .

إن عمر قد عاش حياة فريدة، وخلف لنا تراثا فريداً حتى ليعجز العقل الإنسانى المعاصر أن يعى كيف اجتمعت كل هذه الصفات لعمر ، وكيف أن بشرا استطاع أن يقدم الدليل على عمق الإيمان، وتوقد الفكرة ، ودقة البصيرة ، وحدة الإرادة ويسيطر على النفس ويحول الضعف قوة والمجد الدنيوى شيئا هينا مهما كان .

إن بشرا لم يفعل ذلك من قبل ، ولم يجتمع ذلك إلا لعمر رضى الله عنه .

فالقول بأن عمر كان مفكرا اقتصاديا حقيقة علمية لها من الأدلة ما يعززها ومن الشواهد ما يؤيدها .

فلنعرف أولا هذا الدين :

وإذا كنا نؤمن بصدق هذه القضية ، فإن إيماننا كأفراد أو جماعات لا يكفى ، ولا ينهض دليلا لإقناع الآخرين بصحتها خاصة إذا كان هؤلاء الآخرون قد بعدت بهم عقيدتهم ، أو بعدت بهم دراساتهم ومناهج العلم التى تلقوها عن الإسلام ومنابعه الفكرية وتراثه الفريد .

ولكن نجاحنا فى الإقناع يتوقف عمليا على أسس يجب أن نحرص على التزامها ، وهذه الأسس هى :

١ — أن نفهم هذا الدين الذى نؤمن به فهماً حقيقياً نستطيع معه أن ندرك حقائقه ، ونعى قضاياه ، ونفهم حلوله وأساليبه فى البناء .

٢ — أن ندرك أن طبيعة الإسلام تختلف اختلافا كبيراً عن طبيعة وظروف القوانين الوضعية والتشريعات البشرية سواء فى الشرق أو فى الغرب ، وأن علينا أن نكون متفهمين لهذه الطبيعة عندما نقرأ أو نكتب أو نتحدث، التماسا للصواب وتمسكاً بالمعرفة اليقينية ، وابتعادا عن الخطأ أو الوقوع فى الشبهات .

٣ - أن ندرك أن دين الله هو الإسلام وأن الرسالات السماوية كلها لم تتعدد أو تتطور، بل جاءت كلها خطوات على طريق واحد، وحلقات متصلة لتبلغ البشر الدين الواحد الذى ارتضاه الله لنا وهو الذى وصفه الحق تبارك وتعالى بأنه الدين.

يقول تعالى:

«وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين. قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل، وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم».

«ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون».

ويقول تعالى: «أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون. قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين».

ويقول تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون».

لذلك فليس من صائب القول ذلك الزعم بأن الأديان متعددة والخالق واحد، بل الصواب أن الخالق واحد والدين واحد، والرسالة واحدة، ولقد توالى الأنبياء ليبلغوا كلمة الله وليقدموا لأهل كل عصر أو بيئة ما يصلح شأنهم من تعاليم ربهم ويعد البشرية لتلقى الدين الواحد إننا فى ضوء هذا التحديد نستطيع أن نصل إلى أبعاد التشريع الإسلامى والعقائد والمفاهيم الإسلامية ونستطيع أن

نقارن بينها وبين غيرها من النظريات والمبادىء والأنظمة .

إننا عندما نستوعب طبيعة الدين الواحد ندرك أن كل التشريعات السماوية لا يتضح إلا فى ظل تعاليم الإسلام ، وأن ما جاء به الإسلام هو الحق من الله ، وهو الحل النهائى أو الأمثل لكل ما يعترض الإنسان ، وهو الدعامة القوية التى يجب أن يستند إليها الإنسان ويلتحم بها كلما هم بممارسة تجاربه الدنيوية فى كافة مجالاته وشتى أنشطته ، مااختلف به العصر وتعددت عليه المواقع الجغرافية والظروف المناخية .

المنهاج . . . وليست النظرية :

٤ — إننا يجب أن ندرك أن الإسلام منهاج حياة وليس نظرية أسلوب معايشة وليس مجرد تقنينات يعد الإنسان لمواجهة واقع ولا ينشىء واقعا يلزم الإنسان أن يحياه والخلاف كبير بين الأمرين .

٥ — كما يجب أن نفهم أن الإسلام سلوك ومعايشة ، وليس قواعد وقوانين ، فلا يكون الإسلام إلا بالتطبيق ، ولا يكون المسلمون إلا باتباعهم المناهج الإسلامية ، والتزامهم ما جاءهم من الحق تبارك وتعالى .

الوضوح منهج قرآنى :

٦ — إذا كان الإيمان يبدأ بالفهم ويتحقق فى ظل المعرفة اليقينية الكاملة فإن الإقناع لا يتأتى إلا بالوضوح ، وكلما بلغنا درجة فائقة من الوضوح كلما زاد تأثيرنا ، ونجحنا فى إقناع الآخرين بما نؤمن به أو نعتقده .

ولا يتحقق الوضوح إلا باستخدام الأسلوب الواقعى واللفظة الصريحة ، وتقديم الدليل العلمى المنتزع من التجربة أو الحقائق الثابتة ، أو التى يمكن اتباعها .

وإذا كان العلم المعاصر يأخذ بهذا ، فإن الإسلام قد سبق إليه ، والمتأمل فى آيات الكتاب الحكيم يجدها ترشدنا إليه وتهدينا له .

٧ — إننا عندما نتحدث فى مجال علم من العلوم يجب أن نكون قادرين على التدليل بالبراهين التى يرتضيها هذا العلم ، وعلى ألا تخالف حكما إسلاميا ، ونكون مدركين تمام الإدراك المصطلحات العلمية التى يستخدمها والتى اتفق رجاله على التفاهم بها . فإذا كانت للكيمياء رموز معادلاتها ، ومسميات أحماضها وقلوياتها ، ومسميات التفاعلات

الكيميائية ونتائجها ، كما أن للفيزياء تعاريفها فيقال مثلا : إن الصوت هو الحركة التى يحدثها الوتر المهتز فيسبب إحساسا بالسمع . وأن العدسة المحدبة تحدث انكساراً لأى شعاع يسقط عليها مغايراً لما تحدثه العدسة المقعرة .

فإن ذلك من شأنه أن يوقفنا أمام معان محددة : ماذا يراد بالحركة ؟ ما معنى الوتر المهتز ؟ ما معنى الصوت ؟ ما معنى الضوء ؟ ما معنى العدسة المحدبة ؟ ما معنى العدسة المقعرة ما الفرق بين الانعكاس والانكسار ؟ إن تلك التعاريف يدركها اليوم الطالب المبتدىء فى دراسة الصوت والضوء ، وفى علم الميكانيكا ، ولا يمكن أن يتم التفاهم فى علومها إلا باستخدامها ، وإلا أخفقنا فى التعبير . ومثلها أيضا فى علم الاقتصاد فهناك مصطلحات محددة للعلم منها مثلا : الندرة ، عناصر الإنتاج ، الثروة فائض القيمة ، المنافسة ، الاحتكار التوظيف ، التنظيم ، المنظم الاقتصادى ، التنمية ، القيمة ، مرونة الطلب ، الإيراد الحدى ، التوازن ، السيولة ، التقويم ، التجميد ، فالكلام فى علم الاقتصـــاد لا يتضح إلا باستناده على هذه المصطلحات وتسليمه ابتداء بالمعانى المحددة لها ، وما يمكن أن يؤدى إليه التعـــريف فى دقة بالغة .

إن هذه الأسس السبع هى التى تؤدى بنا إلى بلوغ درجة الإقناع .

العلم قبل الإفتاء أسلوب إسلامى :

وعندما ندرك معنى ديننا وطبيعته ، ونفهم حقيقة ما بين أيدينا ، ونتفهم الأسلوب العلمى الذى أصبح واضحاً ومحدداً ونعرف التعاريف والمصطلحات العلمية لكل علم ، نستطيع أن نقدم فيه ما لدينا ، ونقول إن الإسلام قد عرف هذا الفرع من العلم ، وقد سبق إليه ، أو أنه لم يعرفه ، أو أن العلماء المسلمين قد قالوا فيه برأى هو : كذا ، والخلاف بينهم وبين رجال هذا العلم المعاصرين يتمثل فى أمور نحددها ، ويأتى من أسباب يمكن الاهتداء إليها . ونحن جميعا نعلم أن أسلافنا قد أخـــذوا بمنهج التعليم والتفقه قبل الإفتاء وعلينا أن نسير سيرتهم وننهج نهجهم ويقتضينا هذا أن نسلم بأن لكل لفظ معنى علميا محدداً يؤديه ولا يفهم إلا فى حدوده ؛ فليس من العلم إذن أن نقول إن هذه اللفظة عندنا مثلها ، ولكن الصواب أن ندرك الأمر

(البقية على ص ٤٧٧)

العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

— ٤ —

إذا ألقينا نظرة سريعة وموجزة على بلاد العرب ، لنصل إلى مقارنة نودها بين طبيعة سطحها ومناخها وطرفا من تاريخ أهلها وبين بلاد أخرى عرفت المسرح منذ نشأتها مثل مصر فى عهد الفراعنة ،ومثل اليونان فى تاريخها القديم فقد تيسر لنا مثل هذه النظرة المقارنة للوصول إلى حقيقة مؤداها أن الشعوب فى بدايات تكوينها البشرى والعمرانى تتشابه إلى حد كبير مع بعضها البعض فى معظم السمات التى تتصل بطرق العيش ووسائل التفكير البدائية ، ثم صعوداً فى مدارج المعرفة إلى حد قد تتعقد فيه هذه السمات فتنفرد كل أمة بخصائص تقتصر عليها ، ولا نكاد نجد لها شبيهاً فى أمة أخرى .

تعتبر بلاد العرب شبه جزيرة واسعة تحدها الجزيرة العربية وبعض بلاد الشام وفلسطين شمالا ، والمحيط الهندى جنوبا والبحر الأحمر وبعض بلاد الشام غربا، والخليج الفارسى (العربى) وخليج عمان والعراق شرقا ، وهى بلاد صحراوية قليلة الأمطار ، قاحلة ، فيما عدا اليمن التى ينزل بها مطر موسمى تزرع عليه أشجار البن والنخيل والفاكهة ، وكانت هذه البلاد فى مطلع نشأتها قبل الميلاد بعشرين قرنا على الأقل تشمل اليمن وتهامة والحجاز ونجد واليمامة ...

ولذلك نجد سكان البلاد العربية ينقسمون إلى نوعين : حضر يسمون العرب،وبدو يسمون الأعراب :وأصلهم جميعاً سام بن نوح الذى قطن بجزيرة العرب، وكان العرب نوعين : عرب بائدة ، وعرب باقية ، فالعرب البائدة هم العرب القدماء الذين منهم عاد وكانت بالأحقاف وثمود وكانت بالحجر ، وأميم وكانت ببادية أبار بين عمان والأحقاف،وعبيل وكانت بيثرب ، وطسم وجديس باليمامة، وعمليق بعمان والحجاز ، وتهامة ونجد وتيماء وبتراء وفلسطين ، وهم القوم

الجبارون الذين منهم جالوت الذى قاتل نبى الله داود فقتله داود ، ووبار وجرهم الأولى وكانت باليمن وجميع هؤلاء قد بادوا واحتجب تاريخهم ولم يبق من أخبارهم إلا القليل . أما العرب الباقية فهم نوعان : عرب عاربة ، وهم عرب اليمن من أبناء قحطان بن عابر ، وقد تفرق بعضهم ونزلوا ببعض جهات الجزيرة العربية ومنهم جرهم الثانية التى نزلت بمكة واستولت على الحجاز وتزوج منهـا اسماعيل بن إبراهيم ، وقد ألحدوا فى الحرم فأبادهم الله ، وعرب مستعربة ، وهم عرب الحجاز من أبناء إسماعيل ، وكان عبرانى الأصل واللسان ، ودخل فى العرب وأخذ بلسانهم وتزوج منهم ، وكانت اللغـة العربية لسانهم جميعاً ، ما عدا إسماعيل بن إبراهيم قبل دعوته ، وإنما نطق بها لما رحل إلى الحجاز وتزوج من جرهم ، وهى قبيلة يمنية ، وتعلم منهم وتكلم بلسانهم .

وصارت العرب إلى عدة قبائل ، والقبيلة نظام عربى اجتماعى تعتبر أسرة كبيرة ، يعتقد كل أفرادها أنهم من أب واحد وأم واحدة وهى فى الغالب تسمى باسم الأب كربيعة ومضر والأوس والخزرج ، وقد تنتسب للأم مثل خندف وبجيلة ، وقد تسمى باسم مكان كغسان ، وكان لكل قبيلة رئيس أو سيد إليه يرجع الفصل فى المنازعات ، وله الاحترام والإجلال وكانت حرية الأفراد فيها كبيرة وواسعة كما كان لكل قبيلة شاعر أو شعراء يتغنون بمحامدها ومناقبها ، وكل فـرد يتعصب لقبيلته التى تحمى كل فرد فيها وتدافع عنه حتى ولو أخطأ فى حـق قبيلة أخـرى ، وكانت العلاقة بين القبائل فى عداء مستمر وإن كانت تتبادل فيما بينها علاقات تجارية وفكرية مختلفة .

ولقد اتصل العرب بغـيرهم من بلاد أفريقيا وأسيا ومصر ، وبفضـل إنشاء إمارتى الحيرة (الفارسية - والغساسنة - الرومية) اتصل بهما العرب ، وتبادلوا معهما التجارة ، ونقـلوا مدنية الفرس والروم وثقافتهم وأخبارهم وأقاصيصهم وقـد تأثر الأدب العـربى بشعرائهما ومفـكريهما ، ومما يذكر أن أهل الحيرة علموا قريشا الزندقـة فى الجاهلية ، والكتابة فى صدر الإسلام ، وكان الغساسنة واسطة بين عرب الجزيرة والروم يعلنون

حضارتهم وينقلون أخبارهم ، ووفد عليهم كثير من شعراء الجزيرة كالنابغة الذبيانى والأعشى وعلقمة وحسان بن ثابت وغيرهم

ثم نصل من ذلك كله إلى عقائد العرب فى الجاهلية لنعرف أنهم كانوا يعبدون إما الشمس أو القمر أو النجوم أو الجن أو الزندقة التى تقول بإلهين : إله النور وهو أصل كل خير، وإله الظلمة وهو أصل كل شر ، وبعضهم أنكر الأديان فكانوا دهريين، وأكثر العبادات عبادة الأصنام والأوثان ، وفى ذلك يقول هشام بن محمد الكلبى فى كتابه الأصنام[1] « وكان الذى سلخ بهم - أى العرب - إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من قلة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصيابة بمكة . فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة .. ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم وكانوا يستسقون بها المطر ويستنصرون بها على العدو ، فاتخذ بنو لحيان سواعا ، واتخذت كلب ودا ، واتخذت مذحج وأهل جرش يغوثا ، واتخذت حيوان يعوقا ، واتخذت حمير نسرا ، وهذه الأصنام الخمسة كان يعبدها قوم نوح ، وذكرها الله فى كتابه الكريم : « قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا . ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا . وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا » . (سورة نوح الآيات ٢١ إلى ٢٤) .

وكان أقدم الأصنام مناة وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة ، ويعبدها هذيل وخزاعة ثم كانت اللات بالطائف ، وهى صخرة مربعة ، ثم كانت العزى بقريش يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح ، وتقول : واللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، فإنهن الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى ، وورد ذكرها أيضا فى القرآن الكريم : « أفرأيتم اللات

---

(١) مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة الطبعة الثانية ١٩٢٤ . ص ٦ وما بعدها والكتاب من سلسلة أحياء الآداب العربية تحقيق أحمد زكى ،

والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى. تلك إذن قسمة ضيزى . إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان (النجم ١٩ — ٢٣).

ومن أصنام قريش أيضا هبل ، وكان فى جوف الكعبة وحولها ، وكان تمثالا من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى ، ثم جعلوها من ذهب ، ومنها أيضا أساف ونائلة ، حجران وضعا عند الكعبة ليتعظ بهما الناس ، ومنها مناف وذو الخلصة ، بين مكة واليمن فى تبالة

وقد روى الكلبى عن أبيه أن الأصنام أول ما عبدت أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ، وكان بنو شيث يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه ، فقال رجل من بنى قابيل بن آدم : «يا بنى قابيل إن لبنى شيث دوارا يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شىء ، فنحت لهم صنما ، فكان أول من عملها (ص ٥٠ - ٥١ من كتاب الأصنام للكلبى) .

وكان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوما صالحين ، ماتوا فى شهر الجزع عليهم ذوو أقاربهم ، وأقاموا لهم خمسة تماثيل على صورهم ولقبوها وعبدوها . وصارت لما تليهم من أجيال وقرون معبدا وشفاعة عند الله ، وبذلك عظم أمرهم وزاد أنصارهم ، واشتد بهم كفرهم وضلالهم ؟ (يتبع)

محمد كمال الدين

(بقية المنشور على صفحة ٤٧٣)

كاملا ، ثم نحكم هل هو موجود فى الفكر الإسلامى أم لا سواء كان لدينا نفس اللفظة المحددة له ، أم لا .

فالألفاظ قد تتغير وتتبدل ، ولكن معنى الشىء نفسه أو ما يفهم منه يظل ثابتاً ، إن لفظة فائض القيمة مثلا تعبير عصرى ، ولكن ما يقصد بهذه الكلمة من معان اقتصادية معاصرة شىء عرفه الاقتصاد الإسلامى بل سبق فى الاهتداء إليه . وقدم نظرية متكاملة فيه . وغيره كثير فى مجالات الاقتصاد المختلفة ؟

فاروق منصور

البُرْدَة وَنهج البُردة في الميزان

للأستاذ السيد قرون

ولدت « البردة » للبوصيرى كبيرة وخطيرة ، وتعاونت كثير من الوسائل فى إذاعة فضلها ، وهى من أدب العصر المملوكى ، وهو عصر يوصف شعره بأنه شعر الألفاظ والزينة ، والبردة بمنجاة من هذا الوصف ، فالبوصيرى حل عليه ذلك العصر وعمره (٤٨) عاما ، فقد ولد سنة ٦٠٨ هـ وكان سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ .

ولم تخطىء البديهة والفطنة والعاطفة حين قدمت البردة على كل شعر قاله ، وعدد أبياتها (١٦٠) بيتا ولما كان البوصيرى بدأ البردة بقوله :

أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

نجد « أحمد شوقى » فى العصر الحديث يسير على هذا المنوال ، غير أنه تحاشى البديع لذاته :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وشوقى كان قادراً وشاعرا ، رأى البوصيرى يقول :

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل
ولا أرقت لذكر البان والعلم

فأخذ البان والعلم فى مطلع « نهج البردة » .

والذين درسوا الأدب العربى يعرفون أن كل معارضة للبردة جاءت دونها إلا معارضة شوقى ، فقد كانت فى مستواها ولا يعيبنا أن نقول : إنه تفوق عليها فى بعض المواضع .

فماذا فى القصيدتين من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وماذا فيهما من الأعمال الخالدة والمبادىء السامية ؟ تناول البوصيرى : الغزل وشكوى الغرام والتحذير من هوى النفس ، فى مدح النبى فى مولده ، فى معجزاته ، فى شرف القرآن فى الإسراء والمعراج ، جهاد النبى ، التوسل برسول الله ، فى المناجاة وعرض الحاجات .

وتناول شوقى هـذه النواحى وزاد عليها : الحـديث عن صاحب البردة ، والحضارة الإسلامية ، وعـدد أبياتها (١٩٠) بيتا .

والغزل عند البوصيرى صناعى بحت أما شوقى فكانت له ملاعب صبا ومجالات هوى ، ومع ذلك فهو مضيق عليه فى الغزل بأمر الخديوى ، ووجد الفرصة سانحـة حين عارض البوصيرى ، وهو غزل صناعى أيضا ، وغـزل شوقى له رونق ولـكنه لا يحرك وجدانا ولا يبعث على صبابة ، ولا يعاب عليه إلا ما كان « العقاد » . يأخذه عليه من حيث عنايته بجسم المحبوبة وهذا ما نجا منه البوصيرى .

ويدخل البوصيرى بعد غزله فى صراع مع نفسه ، فيصفها بأنهـا أمارة بالسوء لا تتعظ بنذير الشيب والهرم وهى جموح والمعاصى تزيد من شهوتها .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمـه ينفطم

وخلاصة ذلك :

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهم

ولـكن ماذا قال شوقى عن نفسه ؟ .

لقد كان قريبا منهـا ، عاطفا عليها ، ناصحا لها ، حريصا على نجاتها ؛ فدنياها تظهر خلاف ما تبطن ، وهى :

مخطوبة ـ قد كان الناس ـ خاطبة
من أول الدهـر لم ترمل ولم تئم
لا تحفلى بجناها أو جنايتها
الموت بالزهر مثل الموت بالفحم

وسلك مسلك البوصيرى ، فقال :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وأنا أرى أن البوصيرى أبلغ أداء ، لأن تقويم النفس عنده جاء فى صورة ملموسة محسوسة : طفل فى حاجة إلى تربية إن أهملته ضاع وإن عنيت به كان نجيبا ، أما : « قوم النفس ... » فجاءت أمراً والأمر ينفر الإنسان منـه .

وخرج شوقى من حوار نفسه إلى مدح أفضل الرسل :

لزمت باب أمير الأنبياء ومن
يمسك بمفتاح باب الله يغتنم

وأظن أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يحب كلمـة (أمير) ولـكن شوقى لا بد

أن يقولها ، فقد نشأ بباب أمير وكانت وظيفته مع الأمير ، وهو حسن النية لا شك ، يحب الرسول حبا جما ، وهو مؤمن صادق الإيمان فماذا قال فى أمير الأنبياء ؟ .

لقد كان مقتصدا فى مدحه ، لكن اقتصاده لا يقل روعة عن سخاء البوصيرى فمحمد ـ عنده ـ صفوة البارى وبغيته فى الخلق ، ومحمد ذو سنا وسناء ، وهو عريق النسب ، زاد نسبه شرفا .

نموا إليه فزادوا فى الورى شرفا
ورب أصل لفرع فى الفخار نمى

وخرج من هذا إلى حياته حين رآه (بحيرى) وحين تحنث فى غار حراء ، وراقبه رائحا وغاديا بين الغار والبطحاء ، وعاش وهو يسامر الوحى قبل مهبطه :

ونودى اقرأ تعالى الله قائلها
لم تتصل قبل من قيلت له بفم

وهنا وجبت سجدة الشعر ـ كما يقول الأقدمون ـ بيت لم يقع عليه شاعر قبل شوقى ، فهو صاحبه لا ينازعه فيه منازع ، وهو من واقع حياة محمد لأنه زخرف فيه ولا خيال ، جميل جليل ، يجمع قصة موكب النور من حيث بدأ .

أما مدح البوصيرى فكان تدفق عاطفة منسابة لا شواطىء لها ، وهو محبب إلى النفس ، يخفق له الفؤاد ، فمحمد لولاه ولم تخرج الدنيا من العدم ، وهو سيد السماء والأرض ، والجن والإنس ، والعرب والعجم ، وصفه بكل وصف جميل ، وانتهى إلى :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

ثم انتقل إلى الحديث عن مولده ، فذكر الأحداث المبثوثة فى كتب السيرة من تصدع إيوان كسرى وجفاف بحيرة (سامرة) .. الخ ، وتابعه شوقى فى تلك المعجزات ولكنه زاد فصور حال العباد فأجاد .

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام فى صنم

والأرض مملوءة جورا مسخرة
لكل طاغية فى الخلق محتكم

مسيطر الفرس يبغى فى رعيته
وقيصر الروم من كبر أصم عمى

(يتبع) السيد قرون

لا عدوى ولا طـــيرة

بقلم الدكتور : على العمارى

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد) . (رواه البخارى) .

وعنه ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا عدوى ولا صفر ولا هامة ، فقال أعرابى : يا رسول الله ، فما بال الإبل تكون فى الرمل كأنها الظباء فيجىء البعير الأجرب فيجربها كلها ؟ قال : فمن أعدى الأول ؟) .

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل الحسن ، قالوا : وما الفأل الحسن ؟ قال : كلمة طيبة) . (أخرجه الخمسة إلا النسائى) .

* * *

تقرر هذه الأحاديث الكريمة أمرا واحدا على كل مسلم أن يعتقده ، وأن يبالغ فى اليقين به ، ذلك الأمر هو أن كل شىء بقضاء الله وقدره ، وقد كان هذا التقرير ضروريا فى بدء البعثة المحمدية ولا يزال إلى يومنا ضروريا ، ذلك أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يترك وسيلة يخلص به ضمير المسلم من الشرك بالله ، ومن توهم أن أحدا غيره سبحانه يصيب الإنسان بشىء ، وحرص ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل الحرص على أن يظهر للمسلمين الحقيقة الأزلية الثابتة ، وهى أن المؤثر الوحيد فى هذا العالم هو الله سبحانه .

فلا عدوى مؤثرة بنفسها ، وإنما تؤثر إذا أراد الله لها التأثير ، ولا تشاؤم من شىء يمكن أن تكون له حقيقة ، عليها يثبت الغرض أو ينتفى ، وليس فى الواقع حقيقة للهامة التى كان يزعم عرب الجاهلية أنها طائر ينشأ من عظام القتيل أو هامته ، ولا يزال يصيح : اسقونى حتى يؤخذ بثأره ، وفى ذلك

يقول ذو الأصبع العدوانى يخاطب ابن عمه :

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى
أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

وليس معنى نفى العدوى أنه لا وجود لها ، وإنما معناه أنها لا تؤثر إلا بإرادة الله تعالى ، فالعدوى موجودة ، والصحيح قد يمرض من أثر العدوى من المريض، وقد نهى النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يورد صاحب الإبل المريضة إبله ، على إبل صاحب الإبل الصحيحة مخافة العدوى ، وفى ذلك يقول الحديث الشريف : (لا يوردن ممرض على مصح) .

وقد رجع سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بمن معه من المسلمين ، ولم يدخل عن قرية (سرغ) بالشام لما أخبر أن بها وباء ، وقد قال لسيدنا أبى عبيدة بن الجراح الذى قال له : أفرارا من قدر الله إلى قدر الله يا عمر ؟ قال له : أفر من قدر الله إلى قدر الله .

وفى هذا المقام ورد ذكر قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » والأحاديث تبدو فى الظاهر متعارضة ولكن من الممكن السهل التوفيق بينها ، فالعدوى ثابتة ، ولكن على المؤمن أن يعتقد أنها ليست أمراً حتما ، وإنما تؤثر بتأثير الله تعالى .

والنبى - صلى الله عليه وسلم - نهى المسلمين أن يتعرضوا للعدوى ، وأن يتوقوا منها ، ولكنه حرص على أن تظل عقيدتهم سليمة فنبههم إلى أنها بذاتها غير مؤثرة .

ومن أقوى الدلائل على أن النبى صلى الله عليه وسلم أراد الأمرين أنه لم ينه الحديث حتى أمر بأن يفر المؤمن من المجذوم فراره من الأسد ، ففى ذلك تحذير من العدوى .

ويخطىء من يظن أن عدم اعتقاد المؤمن فى تأثير العدوى نوع من التواكل وليس من التوكل ، وذلك أن الحديث يشير إشارة واضحة إلى ربط الأمور بمصادرها الحقيقية ، فحقيقة الإصابة من المرض إرادة الله تعالى ، وحقيقة النجح أو الإخفاق فى الأمور إلى الله أيضاً وإلى الأسباب الظاهرية، فالذين يعترضون

على الجزء الأول من الحديث النبوى الشريف (لا عدوى) يغفلون عن الجزء الثانى (ولا طيرة) ففى هذه العبارة إشارة واضحة إلى أن كل الأمور لها أسباب لا ينبغى إغفالها، ولا يحق لمن يؤمن بالله وبرسوله، وبسنة الله فى الكون أن يرجع أو يمضى لمجرد أنه تطير، فرأى طيرا يعطيه مياسره أو ميامنه.

فالاعتقاد بعدم تأثير العدوى إلا بإرادة الله، والارتفاع بالعقل أن يخضع لمسير طير، أو لرؤية شىء كريه، هو عين التوكل على الله تعالى.

(وبعد) فقد دعانى إلى كتابة هذه الكلمة ما قرأته فى صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٧٢/٧/٢١ تحت عنوان (العقلية الإسلامية بين عشوائية الحظ وحتمية الأسباب، للكاتبة الدكتورة عائشة عبد الرحمن.

فقد وقعت الكاتبة فى أخطاء كان من الحتم أن ننبه إليها:

أولا: أنها اعتبرت الإيمان بهذا الحديث نوعا من التواكل، وإننا بهذا ندور فى حلقة مفرغة تعود بنا إلى الغيبية المعطلة للأسباب، وكان الأولى بها أن تفهم من الحديث ما فهمه علماؤنا السابقون منه، وأن توفق بين النصوص.

ثانياً: أنكرت أن قول الرسول: (وفر من المجذوم كما تفر من الأسد) مما ثبت إسناده إلى الرسول وذلك إذ تقول عن الدكتور سعيد عبده: (إن الحديث بقية اعتمد فيها على ذاكرته - والذاكرة تخون - وفر من المجذوم فرارك من الأسد)، وإذ تقول بعد كلام طويل: «وحديث (لا عدوى) حديث صحيح، وله تتمة نتلمسها فى كتب الحديث الأمهات فتنتفى خيانة الذاكرة، ثم تذكر تتمة الحديث، وليس فيه عبارة (وفر من المجذوم)، وهى بذلك تنكر هذه العبارة. والحقيقة أن الحديث - وفيه هذه العبارة - ورد فى البخارى وهو - طبعاً - من الأمهات.

ثالثا: ذكرت قول النبى صلى الله عليه وسلم: لا يورد ممرض على مصح، وشرحته هكذا: أى مريض على صحيح. وهذا الشرح غفلة عن نص الحديث، فمعناه: نهى صاحب الإبل المراض أن يورد إبله الماء على صاحب الإبل الصحاح. وليس المراد: لا يورد مريض على صحيح، لأنه

لامعنى للإيراد حينئذ ، وممرض غير مريض ، ومصح غير صحيح . إذ أن ممرض ومصح مأخوذان من أمرض وأصح ، أى صار صاحب إبل مريضة أو صاحب إبل صحيحة .

رابعا : رأت على فرض أن حديث (لا عدوى) لم ينسخ ، ولم يكن راويه (أبو هريرة) قد نسى أن تحمل (لا) فيه على (النهى) ، لا على (النفى) ، وفى ذلك تقول : (فإن لم يكن نسيان ولا نسخ فإن حديث : « لا عدوى ولا طيرة » يكون ـ والله أعلم ـ محمولا على النهى لا على النفى ـ بمعنى : تجنب العدوى ، والطيرة واتقائهما ، ومن ثم يكون الحديث : « لا يدخل ممرض على مصح » مفسرا لحديث (لا عدوى) ، على محمل النهى عن التعرض للعدوى ، أو تعريض الناس لها ، وكذلك لا ينفى الرسول صلى الله عليه وسلم (التطير) بقوله : (لا طيرة) فالتطير موجود ، كما أن العدوى موجودة والحديث ينهى عنهما .

وأرانا مضطرين للرجوع إلى أبسط قواعد النحو ، فمن المعروف أن (لا) الناهية لا تدخل إلا على الأفعال ، والأفعال المضارعة بالذات ، ولذلك جعل النحاة دخولها علامة على أن الفعل الداخلة عليه مضارع ، ولم يعرف أبدا دخولها على الأسماء .

وإذا كانت (لا) فى قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يورد ممرض) للنهى ، فإنها فى (لا عدوى) لا يمكن أن تكون إلا للنفى .

ونلاحظ أن الكاتبة غيرت فى رواية هذا الحديث إذ ذكرت (لا يدخل) وربما فعلت ذلك ليصح لها تفسير (ممرض ومصح) بمريض وصحيح ، إذ النهى عن الدخول يستقيم معه أن يكون (ممرض) بمعنى مريض ، على ما ذهبت إليه خطأ .

ومن قواعد النحو الأولية ـ أيضا ـ أن (لا) التى لنفى الجنس يكون خبرها محذوفا ، فهنا فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : (لا طيرة) الخبر محذوف ، وليس تقديره (موجودة) حتى تقول الكاتبة أن التطير موجود فكيف ينفيه الرسول ، وإنما تقدير الخبر هنا (صادة) مثلا كما جاء فى حديث معاوية بن الحكم السلمى ، قال : « يارسول الله أمورا

كنا نصنعها فى الجاهلية . كنا نأتى الكهان قال : فلا تأتوا الكهان . قلت: كنا نتطير قال : ذلك شىء يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدنكم » .

فقول النبى - صلى الله عليه وسلم - : (لا طيرة) معناها : لا طيرة صادة عن القصد ، أو مانعة من الغرض ، أو معتد بها ، أو ما أشبه ذلك ، ولم يرد النبى أن يقول: لا طيرة موجودة ولا يحتمله كلامه صلى الله عليه وسلم ، حتى نفر من التناقض إلى القول بأن (لا) (ناهية) .

وهذا على حد قول النبى - صلى الله عليه وسلم - : « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » قدر الإمام الشافعى - رحمه الله - الخبر (صحيحة) أى صلاة صحيحة ، ولذلك قال - كما فى تفسير الفخر الرازى - : قراءة الفاتحة واجبة ، فإن ترك منها حرفا واحدا ، وهو يحسنها لم تصح صلاته ، وبه قال الأكثرون .

وقدر الإمام أبو حنيفة الخبر (كاملة) أى لا صلاة كاملة إلا بفاتحة الكتاب ، ولذلك لا تجب عنده قراءة الفاتحة فى الصلاة ، والصلاة بدونها صحيحة ، ولكنها ناقصة .

والأمثلة على ذلك كثيرة من لغة العرب.

خامسا : وشر ما يقع فيه الكاتب إهمال النصوص التى تتعارض مع رأيه ، واقتصاره على النص الذى يؤيد هذا الرأى ، وهذه - لعمرى - مزلة علمية ، لها خطرها ، وبخاصة إذا كان الكاتب يعالج قضية دينية .

نظرت الكاتبة فى (صحيح مسلم) فرأت أحاديث كثيرة بروايات مختلفة ، وبرواة مختلفين فى قضية (العدوى) فتجاهلت كل الروايات ، واقتصرت على رواية واحدة تؤيد - فى زعمها - الرأى الذى ذهبت إليه .

فحديث (لا عدوى) رواه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أبو هريرة ، والسائب ابن يزيد ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وجابر بن عبد الله - رضى الله عنهم - ، ورواية جابر: لا عدوى ولا طيرة ولا غول ، وفى أخرى : ولا غول ولا صفر . وأنس بن مالك - ومن رواياته: لا عدوى ولا طيرة ؛ ويعجبنى الفأل ، قيل : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة .

ومن رواة هذا الحديث - أيضا - عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما -

والذين أخذوا الحديث (لاعدوى) عن أبي هريرة كثير، منهم: أبو سلمة بن عبد الرحمن؛ ومن قوله: ولعمرى؛ لقد كان أبو هريرة يحدثنا أن رسول الله قال: لا عدوى. ومنهم سنان بن أبي سنان الدؤلى، والعلاء عن أبيه عن أبي هريرة، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ومحمد بن سيرين.

كل هذه الروايات، وكل هذه الأسانيد ألقت بها الكاتبة وراء ظهرها، وضربت بها عرض الحائط، واقتصرت على رواية واحدة، تلك التي تقول إن أبا هريرة كان يروى (لاعدوى) ثم صمت بعد ذلك عن قوله: (لاعدوى) وأقام على (لا يورد ممرض على مصح) فأنكر عليه ابن عم له، وقال له: قد كنت تحدثنا، كنت تقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (لاعدوى) فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك، ثم قال الراوى: فلا أدرى أنسى أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر.

هكذا اقتصرت الكاتبة على هذه الرواية لتوهم أن أبا هريرة نسى روايته، أو أن الحديث (لا يورد ممرض على مصح) نسخ (لاعدوى) لتصل إلى غرض وهمت أن الوصول إليه يمنع التواكل الذى يقع فيه المسلمون، مع أنه لا تواكل؛ لما قدمنا من النصوص التى توجب على المسلم أن يأخذ بالحذر فى مخالطة المرضى.

ومن عجب أن الكاتبة قدمت لهذا الكلام بقولها: (وحديث لاعدوى حديث صحيح وله تتمة نتلمسها فى كتب الحديث الأمهات، فتنتفى خيانة الذاكرة. وهذا كلام صحيح، ولكن لماذا حاولت إيهام أنه منسوخ أو منسى، ولماذا لم تذكر من تكملات الحديث غير هذه التكملة، وقد أشرت فيما سبق إلى بعض روايات الحديث؟

فعلت ذلك وكأنه لم يرو الحديث إلا أبو هريرة، وكأنه لم يأخذ عن أبي هريرة إلا ابن عمه الحارث بن ذباب: وأبو سلمة ابن عبد الرحمن؛ وكأنه لا تتمة لهذا الحديث إلا التتمة التى ذكرتها؛ مع أن كل ما أشرت إليه فى موضع واحد مع التتمة المذكورة فى شرح النووى على صحيح مسلم.

وأشد غرابة من كل ذلك أن النووى رحمه الله قد تعرض لحديث أبى هريرة فقال: (قال جمهور العلماء: يجب الجمع بين هذين الحديثين، وهما صحيحان، وطريق الجمع أن حديث (لا عدوى) المراد به نفى ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أن

المرض والعاهة تعدى بطبعها ، لا بفعل الله تعالى ، وأما حديث: لا يورد ممرض على مصح ، فأرشد فيه إلى مجانبة مايحصل الضرر عنده فى العادة بفعل الله تعالى وقدره) ثم قال : (ولا يؤثر نسيان أبى هريرة لحديث لا عدوى من وجهين: أحدهما : أن نسيان الراوى للحديث الذى رواه لا يقدح فى صحته عند جماهير العلماء ، بل يجب العمل به ،والثانى : أن هذا اللفظ ثابت من رواية غير أبى هريرة)[1]

كل هذا كان أمام الكاتبة ، وهى تكتب مقالها ، ولكنها تعمدت إغفاله ليصح لها ما أرادت ، ولم تعط أية عناية لرأى جمهور العلماء ، وكان الأولى بها وبضاعتها من الدراسة الدينية لا تكاد تذكر بجوار معارف هؤلاء العلماء أن تقف عند أقوالهم ، أو على الأقل - إن بالغت فى الثقة بدراستها الدينية - أن تناقش هذه الأقوال .

أما أن توهم القراء أنه لا شىء غير ما ذكرت ، وتحاول أن تصل إلى رأى تظنه صحيحا بطريق إهمال النصوص ، وإهمال أقوال العلماء فذلك مما كان تربأ بالكاتبة عنه .

وإذا كنا نقبل مثل هذا الصنيع على مضض من كاتب مبتدىء لا يتعاظمه أن يخدع القراء ، ولا يؤرق ضميره أن يدلس علمياً فإننا لا نقبله من كاتبة عرفت عند جمهور القراء بأن لها دراسات إسلامية، ونحن نحمد لها كثيراً مما كتبت، ولكن لا يمكن أن نغض الطرف عن مثل هذا الذى تفعل من تضليل القارىء المسلم ، والحيلولة دونه ودون الرأى الصحيح فى أية مسألة من المسائل .

ولو أن القول فى مثل هذه المسألة كان موضع اجتهاد لقلنا إن للكاتبة رأيها ، وإنها تفهم النصوص على حسب ما يهديه إليه تفكيرها ، ولكنها مسألة مرتبطة بنصوص أهملتها الكاتبة، وبأقوال الجمهور العلماء لم تلق الكاتبة إليها بالا .

والحق أنى معجب ببعض ما كتبت ابنة الشاطىء فى كتب أخرى ، ولكنى غير مستريح لتطاولها على النصوص أحيانا واتخطئتها للعلماء أحيانا أخرى ، فى حين يكون فهمها هو الخطأ ، واستقراؤها هو الناقص .

والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

د. على العمارى

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٤ صـ٢١٤

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية :**
للواء الركن : محمود شيت خطاب

لا أظن أن اللواء الركن : محمود شيت خطاب فى حاجة إلى التعريف به ، فهو من رجال السيف والقلم القلائل ، الذين يعتز بهم الإسلام والعروبة ، وجهاده - الذى ارتبط بماضيه ويرتبط بحاضره من أجل قضايا الإسلام والعروبة - يعرفه الخاصة والعامة ، ولئن كانت الظروف السياسية وغيرها ، دعته إلى إلقاء «السيف» جانبا ، إلا أن هذه الظروف أهون من أن تفرض عليه التخلى عن قلمه ، والقلم قد يفعل ما تعجز عنه آلاف السيوف ، فقد قدم لنا عديدا من قادة الإسلام العسكريين ، وجلى لنا شخصياتهم ، من كل جوانبها ، كما قدم لنا دراسات عن العسكرية الإسرائيلية لنعرف عدونا كما ينبغى أن نعرفه ..

واللواء الركن : محمود شيت خطاب ، عضو المجمع اللغوى بالقاهرة ، والمجمع العراقى ، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ثم رئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية بجامعة الدول العربية ، وفى كل هذه المجالات له نشاط ملموس ، وإنتاج فكرى على جانب من الأهمية .

وكتاب .. «الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ، من تأليف الأمير محمد بن منكلى نقيب الجيش فى سلطنة الأشرف (٧٦٤ هـ — ٧٧٨) ، قام بتحقيقه والتعريف به ، اللواء الركن : محمود شيت خطاب ، معتمدا فى تحقيقه على نسختين خطيتين : الأولى موجودة فى معهد المخطوطات ، وهى منقولة بالتصوير عن نسخة مكتبة (أيا صوفيا) فى القسطنطينية ، والنسخة الثانية منقولة بالتصوير عن نسخة أيا صوفيا أيضا ؟ لكن يظن أنها بخط المؤلف كتبها عام ٧٧٠ هـ .

ومن الإنصاف أن نضع بين يدى القارىء أولا ، ما كتبه سيادة اللواء الركن فى تمهيده للكتاب ، كخبير فى الشئون العسكرية ، قال :

« هذا كتاب مخطوط يعتبر بحق من التراث العربى الإسلامى العريق من الناحية العسكرية ، فيه معلومات عسكرية قيمة جداً ، وهو يدل بوضوح على تقدم أسلافنا فى العلوم العسكرية النظرية ، والذين يطلعون على التراث العسكرى للعرب المسلمين ، ويدققون فيه بإمعان ، يدهشون أشد الدهشة لما وصل إليه العرب المسلمون قديما من معلومات عسكرية أصيلة ، ويعجبون أعظم الإعجاب بالفكر العسكرى للعرب المسلمين فى العصور الخالية ..

والواقع أن النبوغ العربى الإسلامى لم يقتصر على علوم القرآن والحديث والفقه والفلسفة والرياضيات ، بل شمل العلوم العسكرية أيضا ، بل إن العلوم العسكرية عندهم لا تقل شأوا عن العلوم الأخرى بحال من الأحوال ، ولكن المحققين والباحثين أدوا بعض واجباتهم فى مجال التراث العربى الإسلامى فى العلوم المختلفة والآداب والفنون ، دون أن يبذلوا جهداً يذكر فى تحقيق التراث العربى الإسلامى ودراسته فى العلوم العسكرية حتى اليوم .

وربما يتبادر إلى الأذهان ، أن العلوم العسكرية القديمة أصبحت متخلفة عن العلوم العسكرية الحديثة ، نظراً لتطور الأسلحة ، وظهور غير التقليدية منها كالقنابل الذرية والأجهزة الالكترونية والصواريخ العابرة للقارات ، ونظراً لتبدل أساليب القتال تعبوياً وسوقيا ، ولكن مبادىء الحرب لا تزال باقية كما هى منذ أقدم العصور ، وقد تبدلت الأساليب فقط ، لذلك كان التراث العسكرى مفيداً ولا يزال للعسكريين ، كما أن نشر التراث من أهم واجبات المحققين والباحثين فى أية أمة تحرص على ماضيها وتحترمه ، وتريد أن يكون لها حاضر يبنى على أسس قديمة رصينة ، ومستقبل يرتفع على قواعد سليمة ... » .

ويشير سيادة اللواء الركن : محمود شيت خطاب إلى مكانة المؤلف ومكانة كتابه فيذكر أن المؤلف - رحمه الله -

كان يعمل فى الجندية. ويبدو أنه كان مثقفا ثقافة عسكرية متينة ، حريصا على أمته وعقيدته، مدافعا عنهما بسيفه وقلمه ثم يقول:

«وقد استمتعت كثيرا بقراءة هذا الكتاب وتحقيقه ، لأنى أفدت منه شخصيا معلومات عسكرية جديدة ، لعل أهمها ما يمكن أن نطلق عليه : السجية العسكرية أو الأخلاق العسكرية ، ولأنى اكتشفت أن أجدادنا الغر الميامين كانوا علماء من الطراز الأول فى العلوم العسكرية ، ولأن هذا الكتاب وغيره من التراث العربى الإسلامى فى العسكرية قدم إلى الجواب الشافى عن تساؤلى: كيف انتصر أجدادنا على أعدائهم الكثيرين ؟

والفصل الذى اخترته من هذا الكتاب هو « صفة أهل المشورة ، وأهل المشورة هم الذين يشاورهم القائد فيما يحزبه من أمور الحرب ، ويطلق عليهم اليوم : ضباط الركن وهم الذين يكونون فى مقر القائد لاستشارتهم دون الالتزام بآرائهم ، ولكى يفصلوا قرار القائد على شكل وصايا عمليات أو أوامر عمليات تصدر للمرءوسين للنهوض بعملية عسكرية أو عمليات عسكرية فى الميدان ..

وليس هذا الفصل أهم فصول الكتاب بل هو ليس من أهمها ، ولكنه يبرز ما ذكرته سابقا بأنى تعلمت السجية أو الأخلاق العسكرية من جملة ما تعلمته من هذا الكتاب .. »

أما ما أشار إليه المؤلف من صفة أهل المشورة فهو فى صورة مبادىء :

أولا : أن يكون تقيا لله عز وجل .

ثانيا : لا يستفزه الطمع فيستمال ..

ثالثا: أن يكون محبا صادقا لمن استشاره.

رابعاً : أن تكون محبته خالصة لله ، صادقة ، باذلا نفسه للذى استشاره .

خامسا : لا يذيع سر من استشاره ولو جبر

سادسا : لا يحدث نفسه بإعجاب ، لكونه صار ممن يستشار ، وظن لنفسه تميزا ، فهذا رجل مغرور بنفسه أحمق .

سابعا : لا يدل على من استشاره ، وكلما قرب منه ازداد احتشاما ، واعتقد فيمن استشاره المنة له فى ذلك لاختياره له بهذه المنحة ..

ثامنا — لا يذيع السر ، ولو مات من استسره بسر ، فإن أفشاه فهو عند أهل المروءة يعد من الخائنين الخائبين .

تاسعا — أن تكون عنده خبرة فيما يستشار فيه جملة وتفصيلا ...

عاشرا — وهو البغية العزيزة الغريبة التى لا تكاد توجد إلا فى بعض الأعصار وسبب ذكرى لها ، لأنه ممكن وجودها فى الأنفس المتجوهرة بنور الله عز وجل وصاحب هذه الطريقة إذا استشير فيما يعلمه ، ربما استمع هاتفا: إما من داخل صفاء باطنه النزيه أو من خارج إحدى الجهات يرشده لوجه الصواب فى المسألة، أو يرى مناما يدل على مقصوده ...

حادى عشر — إن كان من أهل الكشف ، أو من أصحاب الأحوال الصادقة ، ممن قد صحب الأشياخ وترقى بصحبتهم لاحتمال أن يفجأه خاطر شيطانى فيظنه ملكيا أو العكس ، وهنا مزلة أقدام » .

ويختتم سيادة اللواء الركن البحث بقوله :

هذا فصل صغير من كتاب: « الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية» يظهر بوضوح قيمة الكتاب العلمية واتجاهه التربوى الأخلاقى لغرس الفضيلة فى النفوس ، وإذا قارنا شروط المستشار التى أوردها محمد بن منكلى فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى مع شروط المستشار أو ضابط الركن التى توردها الكتب العسكرية ، فى أواخر القرن الرابع عشر الهجرى ، لوجدنا أن تلك الشروط متشابهة تقريبا فى التراث العسكرى العربى الإسلامى القديم وفى المصادر العسكرية الأجنبية والعربية ، الحديثة، بل إن هذه المقارنة تظهر أن شروط المستشار فى تراثنا تتميز على شروط ضابط الركن فى المصادر الحديثة بالتركيز على الناحية الأخلاقية فى المستشار والتأكيد عليها والحث على الالتزام بها .

ما أحوجنا إلى بعث تراثنا العسكرى العربى الإسلامى من جديد ، ما أحوجنا إلى تفهمه ووضعه فى حيز التطبيق. إن ذلك سيبدل حتما العسكرية من حال إلى حال..»

بقيت كلمة أخيرة: أن على عاتق سيادة اللواء الركن: محمود شيت خطاب واجبا، وهو خير كفء للقيام به: أن يحقق الكتاب كله ويخرجه إلى حيز الوجود فمكتبتنا الإسلامية العربية فى أمس الحاجة إلى كتب التراث فى المجال العسكرى .

● الفصل والوصل بين الإصالة والتجديد: دراسة منهجية مقارنة للأستاذ الدكتور عبد الحميد محمد العبيسى، مدرس البلاغة والنقد بجامعة الأزهر، فى رسالة موجزة تقع فى ثمانين صفحة، بدأ بها سلسلة دراساته البلاغية والنقدية، أما هذه الرسالة التى بين أيدينا فقد أرادها المؤلف - كما أشار فى مقدمته - دراسة للفصل والوصل فى صورته الأخيرة، تأتى على طريق التحصيل والاستيعاب، وتلتزم المزاوجة بين منهجى عبد القاهر والسكاكى، فتلبى عاطفة البلاغى الناقد من هذا، وتستجيب لدواعى عقله من ذاك ولا ريب فى أن نجاح الدرس البلاغى الآن يتوقف على هذه المزاوجة التى تستهدف العاطفة والعقل معا..

الحقيقة أن المؤلف استطاع فى هذه الصفحات المعدودة أن يقدم دراسة وافية مركزة عن هذا الموضوع، موقعه من البلاغة والنقد، والأطوار التاريخية له وبيان معنى كل من الفصل والوصل، وأحوال كليهما، والجامع بين الجملتين، ثم قدم فى نهاية البحث اثنى عشر نموذجا تطبيقيا، كنت أود أن يتولى الإجابة عن بعضها إن لم يتسع الكتاب للإجابة عن جميعها..

ويبقى بعد ذلك أن لهذه الدراسة تقديرها، من حيث الإيجاز الشافى، والأسلوب السهل المروض لمادة يشق على الأذهان استيعابها حتى ليتهيب لغير المحتاجين إليها القرب منها أو الخوض فيها.

● محمد صلى الله عليه وسلم:

« أريج من سيرته وقبس من شريعته »

رسالة فى بضع وثمانين صفحة لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان، عميد معهد المحلة الكبرى الأزهرى، تناول فيها المؤلف شخصية محمد صلوات الله وسلامه عليه، ذاتا وخلقا، صاحب رسالة وداعية من دعاة الإصلاح، مستشهدا بكتاب الله وسنة رسوله، وشهادات بعض مفكرى الغرب المنصفين.

وقد ألمت الرسالة إلماما سريعا بسيرة الرسول، ومع ذلك فقد استوعبت كثيرا من القصص والأحاديث، وكم كنا نود لو تكرم المؤلف بإثبات رواية الأحاديث ومصادر القصص، حتى ولو كانت هذه الأحاديث والقصص من المشهور على ألسنة العلماء من الوعاظ وأئمة المساجد وغيرهم.

● هذه الأندية، أهي رياضية أم ماذا ؟
أتابع ما يكتبه الكاتب اللامع الجاد الأستاذ ناصف سليم فى صفحة الرياضة بجريدة الجمهورية ، لاهتمامه بالسلوك والأخلاق بالنسبة لرواد الأندية وما يجرى داخل الأندية ، ومنذ أيام كتب مشيرا إلى أن مجلس الشعب وافق على التعديل الذى طرأ على القانون ٢٦ لعام ١٩٦٥ الخاص بالأندية والهيئات ، بعد أن بذلت لجنة رعاية الشباب المنبثقة عن لجنة الخدمات جهدا كبيرا فى إعداده ولم تأخذ برأى المغرضين ودعاة الانحلال وكان أهم ما تضمنه القانون الجديد هو تحريم الخمر والقمار فى الأندية تحريما قاطعا.

وأبدى الكاتب تخوفه، ومع أن القانون قد صدر ، وأنه سيوزع على الأندية - إلا أنه غير متفائل، لأن إيمان القائمين على أمر الشباب فى الأندية هو الأساس وهم الذين يملكون التنفيذ ، وهؤلاء حريصون على استمالة كل عضو من أجل صوته فى الانتخابات ؛ إذن فلا بد أن يكون تنفيذ القرار فى يد جهة أقوى من إدارات الأندية التى تبحث عن الأصوات ، فإذا كان القرار جادا فلا بد من هدم كل البارات الموجودة فى الأندية ، إذا رضيت بأن تكون أندية رياضية ترعى الشباب . .

كم أشفقت على الكاتب الصحفى الجاد الأستاذ ناصف سليم وأنا استقرىء الذاكرة ، فقد نشرت إحدى دور الصحف فى مجلة أسبوعية لها شهرتها بتاريخ ١٢/٧/١٩٦٢ لكاتب مشهور كلمة تحت عنوان « حاجة تكسف » مؤداها أن نقابة المحامين قررت إلغاء البار الموجود بالنادى ، وتحويل المكان إلى مصلى . . ! ويومها لم أتصور على الإطلاق أننا فى بلد دينه الرسمى الإسلام، لم يكن من المنطق أن نطلب من مثل هذا الكاتب أن يتذرع بلمسة من حياء ، فإن مما أدرك الناس من النبوة الأولى — كما يقول الرسول - « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

● قراءات :

« القوة المادية وحدها لا تؤمن بقاء المجتمع ، فلو أن القوة المادية وحدها فى الصحة ، والثراء ، والأولاد ، والإعداد للحرب أو الدفاع تساعد على بقاء المجتمع وصفاء نفوس أفراده وعلى إشاعة السلام والمودة بينهم لكانت

(البقية على صفحة ٤٩٥)

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر

السؤال من السيد/ الحاج عمر شيخ خميس أمام وخطيب مسجد القلاب / باللاذقية

هل يجوز للمؤذن استعمال مسجل أو اسطوانة لأحد المؤذنين ، وإذاعته بدلا عنه ؟ وهل صحيح أن صدى الصوت الخارج من المسجل أو الأسطوانة لا تعتبر أذانا شرعيا لأنه صدى الصوت وليس بالصوت الحقيقى أم أن الغاية من الأذان هى إعلام الناس ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأنه يجوز ذلك وهو حاصل ولم يعترض عليه أحد من العلماء ، وسبب ذلك أن الأذان معناه الإعلام والمقصود به تبليغ البعيد عن المسجد دخول وقت الصلاة ، وذلك حاصل على أبلغ وجه باستعمال مسجل مع مكبر الصوت والحديث الذى يروى فى مشروعية الأذان ، كان محاورة بين النبى - صلى الله عليه وسلم - وبين الصحابة فى طريقة إبلاغ البعيدين عن المسجد دخول وقت الصلاة ، والله تعالى أعلم .

* * *

السؤال من السيد / محمد الحسنين فرج

توفيت امرأة عن ابن وبنتين لأخ شقيق وعن بنات أخ شقيق وأولاد أخت شقيقة ، فمن يرث وما نصيبه ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن التركة كلها لابن الأخ الشقيق تعصبا ولا شىء لبنات الأخوين الشقيقين ولا لأولاد الأخت الشقيقة ؛ لأن الجميع من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات ، والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / محمد خضر القواس

١ — توفى رجل عن زوجة وبنتين وأم وإخوة أشقاء .

٢ — توفيت الأم عن أربعة أبناء وثلاث بنات وبنتى ابن توفى قبلها .

فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد عن الأول بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنتين الثلثين فرضا لعدم من يعصبهما يقسمان بينهما بالتساوى وللأم السدس فرضا كذلك لوجود الفرع الوارث أيضا ، والباقى للإخوة الأشقاء تعصيبا للذكر ضعف الأنثى .

وعن الثانى : بأن فى تركة هـــذه المتوفاة وصية واجبة لبنتى الابن المتوفى قبلها بمقدار ماكان يستحقه الابن لو كان حيا وقت وفاة أمه فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ فتقسم التركة ١٣ جزءاً - جزءان منها وصية واجبة لبنتى الابن وهو نصيب والدهما لو كان حيا وقت وفاة المورثة والباقى وهو ١١ جزءاً هـو الميراث للأبناء والبنات الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى فيخص كل ابن جزءان ولكل بنت جزء والله تعالى أعلم .

محمد أبو شادى

(بقية المنشور على صفحة ٤٩٣)

هذه القوة هدفا فى ذاتها ، ولم تكن وسيلة لغاية أخرى بعدها

هذه القوة المـادية . . إذا تركت من غير توجيه إلهى ، أو إذا رفضت هـذا التوجيه بأنها طبيعة من شأنها أن تكفر بنعمة الله إذ واتتها ، وبهذا الكفر تظلم نفسها ، إذا تنحدر إلى السقوط والضعف بعد رفعة وقوة » .

من كتاب « الإيمان » للأستاذ الدكتور محمد البهى ؟

محمد عبد الله السمان

أنباء وآراء

● الشريعة الإسلامية قانون الدولة بليبيا :

أنجزت لجان تعديل القوانين بجمهورية ليبيا العربية كثيراً من القوانين بما يتفق مع مبادىء الإسلام الأساسية .

يرأس اللجنة العليا لمراجعة التشريعات الأستاذ على على منصور رئيس المحكمة العليا بالجمهورية الليبية .

وقد ألقى الرائد بشير هوادى عضو مجلس الثورة - كلمة - فى أعضاء اللجنة - جاء فيها :

إن ثورة الفاتح من سبتمبر عميقة الجذور ، وهى لم تأت - بجديد فى ميدان الشريعة الإسلامية - ولكنها عازمة على تطبيق ما أمر به الخالق فقط .

إن الشريعة الإسلامية نبراس يهتدى به فى جميع أنحاء العالم ، ويجب أن نستعين بكل فقهاء الإسلام وأن نأخذ باجتهاداتهم ودراساتهم ، وهذا يتطلب منا أن ننفتح على بقية الأقطار الإسلامية .

ثم كرر قوله بأن الدستور فى الجمهورية العربية الليبية سيكون من وحى القرآن الكريم والسنة المحمدية .

● حجر الأساس لجامعة الأزهر — فرع اسكندرية :

وضع فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف - نائبا عن رئيس الجمهورية - حجر الأساس لجامعة الأزهر - فرع اسكندرية .

تم ذلك صباح السبت ١٨ من جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ الموافق ٢٩ يوليو ١٩٧٢ .

● فروع لجامعة الأزهر :

أقر مجلس الدولة التعديلات الجديدة التى أدخلت على قانون تنظيم الأزهر وهيئاته ، نصت التعديلات على جواز إنشاء فروع لجامعة الأزهر بالمحافظات على أن يبدأ ذلك بتحويل كلية البنات الإسلامية إلى فرع من فروع جامعة الأزهر عن طريق تحويل أقسامها إلى كليات .

● «محاولات التفرقة بين الشعب».

أعلن الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة والإعلام أن مصر قد تعرضت لحملة نفسية عنيفة دبرتها الدوائر الاستعمارية والصهيونية ضد الجبهة الداخلية.

وجاء فى بيان الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى الشعب المصرى:

أرجو الله تعالى مخلصا أن يقوى روح الوحدة بين أفراد شعبنا الحر الأصيل فى جميع عناصره.

أيها الشعب المصرى: أرجو ألا يشغلنا شاغل عن معركة المصير، وأن نتنبه إلى مايريده أعداؤنا من الإيقاع بين عنصرى الأمة، من إشاعات كاذبة تثير الفرقة بين عنصريها، والتاريخ يحدثنا أن اشتداد الأزمة يجمع دائما بين المسلمين والمسيحيين، كما حدث فى ثورة ١٩١٩ ومعركة ١٩٥٦، ولم لا؟ والكل يعيش فى وطن واحد، هو مصر كنانة الله فى أرضه، آمالهم واحدة وآلامهم واحدة وعدوهم واحد، وصديقهم واحد، وكلهم أمام الدولة سواء فى الحقوق والواجبات.

وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين»، والله ناصرنا وموفقنا وهو نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كذلك أعلن السيد/ ممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية فى إحدى لجان المؤتمر القومى، قال: إن الموضوع لم يأخذ أكبر من حجمه، وأنه عولج بمنتهى الحكمة، واتسم بالسماحة، وثبت أنه كان حلقة من مخطط يتجه إلى تفتيت الجبهة الداخلية، ولم تحدث استجابة إلا فى حدود ضيقة جداً.

وأعلن «سيد مرعى» الأمين الأول باللجنة المركزية؛ قال:

إن الإشاعات حول هذا الموضوع كثرت وحققنا فيها كتنظيم سياسى ووجدنا أن فيها مبالغة كبيرة نتيجة لتسرب عنصر أجنبى يشكك فى الوحدة بين المسلمين والمسيحيين.

إن ديننا يحتم علينا احترام الدين المسيحى ولكن الذى حدث هو انتشار عامل جديد بيننا بحسن نية أو بسوء نية، ومطلوب

منا كتنظيم سياسى أن نضع هذه الموضوعات فى أحجامها الطبيعية .

كذلك طلب أعضاء المؤتمر القومى :

تشكيل لجنة لتقصى الحقائق برئاسة ممدوح سالم تضم عددا من المسلمين والمسيحيين من أعضاء اللجنة المركزية ومجلس الشعب لبحث ما أثير فى هذا الموضوع ، وتقدم توصياتها إلى مجلس الشعب تمهيداً لإصدار تشريع بإنشاء محاكم لمحاكمة أى جريمة ضد الوحدة الوطنية .

● مصلى بكل قسم شرطة بمدينة الإسكندرية .

اعتمدت وزارة الداخلية ١٢٠٠ جنيها لإنشاء زاوية للصلاة فى كل قسم شرطة بالإسكندية .

● دراسة عن حى غرب فى الإسكندرية

نشرت « الأخبار » فى ١٥ من جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ الخبر التالى :

« يعد الآن أول استفتاء بين سكان المناطق الشعبية عن احتياجات كل قسم ومربع سكنى بالإسكندرية فى حى غرب ، كما ستعقد ندوات مفتوحة حول مشاكل الإسكان والتعليم بالحى » ا هـ .

حى غرب هو الذى تعرض أكثر من غيره للمحاولة ذات الجذور الاستعمارية لتفريق وحدة الشعب .

● نشرت جريدة الأخبار فى ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢/٨/٢ م الخبر التالى :

مسابقة دولية لتلاوة القرآن الكريم كوالالمبور - و . أ . ف

أعلن فى عاصمة ماليزيا أمس أن الدعوة قد وجهت إلى ٢١ دولة للاشتراك فى المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم التى تبدأ فى كوالالمبور يوم ٢٦ أغسطس الحالى .. وهى المسابقة التى تنظمها حكومة ماليزيا كل عام لنشر تعاليم الإسلام وتنمية التضامن بين الأمة الإسلامية .

● قررت وزارة الأوقاف ضم مسجدى كوم المرصى بالمنيا ، وسيدى عبد الحق بطنطا لإشراف الوزارة .؟

على الخطيب

● ● ●

mankind. To make this point clear we have to say that when Moses called people to worship God in the religion called Judaism, his message was for the children of Israel and in his message too he said that Jesus would come and that they would have to follow him and accept his call. In my understanding this means that Judaism as a religion terminated when Jesus came. When Jesus came his message was for the children of Israel too, to correct the wrong which they had put into the divine religion and to gudie them into the right way, explaining to them the wrong which they had done. But it is known to everybody that they denied his message and tried to kill him, though some of them certainly accepted his call.

Included in the message of Jesus he gave news of the coming of Muhammad and said that when Muhammad came his religion would be the religion of God and everyone would have to follow him. This mean that Christianity as a religion terminated when Muhammad came. A short consideration shows that one who believes in Islam as the message sent to the Prophet, Muhammad, believes also in the message of Jesus, Mosses, Abraham, Noah and others. For God said : "The true religion in the sight of God is Islam", and Islam was the religion of all the prophets, and Abraham was Muslim too because the Holy Quran said Abraham was not a Jew, was not a Christian, but he was a strict Muslim. We can understand from this that Islam was established before the Prophet Muhammad, but the message of the Prohpet was considered as a seal of the message of God for all human beings. This will be clear from the verse which was revealed in the last three months of the life of the Prophet Muhammad : "Today I have perfected your religion for you and I have completed my grace upon you and I have accepted Islam as a religion for you."

and Christianity; the majority of people around Arabia at that time were Christian. Therefore you find the Holy Quran speaks many times about Jesus and Christianity. The important point which the Holy Quran discusses regarding Jesus is his relations to God. The Quran makes it clear that Jesus never said he was the son of God and denies those who considered Jesus as a God. This is not correct in the ideas of Islam. Jesus was a Prophet who came by a miracle and the Holy Quran makes this clear. It contains a chapter called "Mary". This chapter explains how Jesus came and gives the brief argument between Mary the people who accused her. When you read this chapter you feel how Islam respects Mary and Jesus. Islam gave clear and satisfactory answers for those who say that Jesus is the son of God, because he has no father. The Quran says: "The likeness of Jesus in the sight of God is the likeness of Adam. God created him from dust and He said "Be" and he became a man." When we speak about Jesus in this way it means we respect him greatly even more than those who look on him as a God, because we do not consider Mohammad more than a Prophet or Messenger, and if any Muslim has any doubt about the truth of Jesus and his mother as it is mentioned in the Holy Quran, or denies his message, that means he is not a Muslim, but is as one who denies the message of Mohammad.

There is also a point about the crucification of Jesus. The Quran says clearly that Jesus was not put on the cross, the Jews tried to crucify him, but God saved him and they put another man on the cross. The Holy Quran says which means :

"That they said (in boast), 'We killed Christ Jesus the son of Mary, The Apostle of God' ; - but they killed him not, Nor crucified him but so it was made to appear them and those who differ therein are full of doubts, with no certain knowledge, but only conjecture to follow, for of a surety they killed him not : Nay, God raised him up unto Himself; and God is exalted in power, Wise".

When we say that Islam has a close connection with previous divine religions and accepts them as religions coming from God, it means we believe in real Judaism as it came through Moses, and in real Christianity as it was revealed to Jesus, because neither of them differ from Islam, and both were religions for a certain time and for special nations, not for ever, nor for all

struggled for a long time to make Arab tribes accept this point because tribalism prevailed among them, It was hard for them therefore to accept the Prophethood. The Meccan tribes strongly rejected the call of the Prophet because they felt this call of equality between all human beings would put them on the same level with others whom they considered to be beneath them.

Before we explain the principles of Islam, we have to know something about the Quran and the life of the Prophet, Muhammad during twenty-three years. Thirteen of these years were spent in Mecca and the other ten in Medina. It is a Muslim principle that these Quran in the Arabic language is the word of God, not of Muhammad. Muhammad only received them and informed his companions what he had received. That means the Quran is not the work of a human being, but a divine work and its contents are the ideas of God. Therefore, nobody, not even the Prophet, Muhammad, himself, has the right to change one word, or to rearrange the verses or chapters.

Much care has been taken since the Quran was revealed to prevent any change or any addition or omission. The Prophet used to recite what he received after the revelation was finished and he had seven writers to write down immediately what had been received. It was written during the life of the Prophet Muhammad, and this will show a difference between the Quran and other previous divine books like the Bible - Old and New Testaments.

As we mentioned before, the Quran was revealed in Mecca and Medina. Anyone who considers the Quran carefully can note easily that the revelation which came in the Meccan period emphasise the worshtp of God as the only true worship, and explains the wrong of those who worship idols or other creations. Previous nations and previous Prophets were mentioned in this period, too, in order to correct wrong ideas about these religions which had arisen in the course of history; and to explain to the Arab people that the nations who denied the message of the Prophets before them received serious punishment from God. The Quran reminded people of this fact so that they would take care not to follow those ways.

The revelation of the Medina period is different. It gave much care to human relationships, family life and social matters and the way of government according to Islam.

As we said before, the message of Islam is closely connected with the previous divine religions, Judaism

same religion has He established for you as that which He enjointed Noah which we have sent by inspiration to thee and that which we enjoined on Abraham, Moses and Jesus, namely that you should remain steadfast in religion and make no divisions therein as those do who worship other things than God. Hard is the way to which they callest thee. God chooses to Himself those whom he pleases, and guides to himself those who turn (to Him). Therefore Muslims have to believe in all the prophets who came before Muhammad and to accept their religions as divine religions that came from God. If anyone of the Muslim people has any doubt about that, that means he is not Muslim.

Islam is worship and work, behaviour and character, belief and law, not worship only as some people understand the meaning of religion. That means you can say Islam is a complete way of life, because the real Muslim is controlled by Islam in all his life - deeds, sayings, treatment, behaviour and work, as well as worship. Islam considers work done in a good manner as a kind of worship. A Muslim will be rewarded for this, whatever kind of work it is, e. g. a mother looks after her children well. This is a kind of worship in Islam and she will be rewarded, but if she neglects them she will be asked why, before God. This example will show now Islam controls the lives of Muslim people.

Islam considers all human beings as one family. All of them are equal. There is no reason for some nation to be above another, or those of white colour to feel they are above black or coloured people. Those are artificial differences between human beings because all of them come from one pair of male and female. They are all children of Adam and and Adam was created from dust. A human being needs but to have a clean heart and to do goods deeds towards other human beings, for Islam to consider him a good Muslim (or to be in a state of grace). These principles are taken from the verse of the Holy Quran : "Mankind, we have created you from a single pair of male and female and made you into nations and tribes that you may know each other".

All mankind are equal. The Prophet (peace be upon Him) emphasised this fact in His farewell pilgrimage speech, He said : Oh people, all of you are the children of Adam, and Adam was created of dust. There is no reason for an Arab to feel he is above a non-Arab, Or non-Arab to feel he is above an Arab, or the white man to feel he is above the brown or the black, except by fear of God (taqwa). "The Prophet

ISLAM
— A General Review

BY

DR. MUHAMMAD EL-GEYOUSHI

Islam is the religion which was revealed through the Prophet Muhammad (peace be upon Him) 1400 years ago in Mecca to call all human beings to the worship of one God only. The meaning of Islam is peace and submission to God.

The Prophet, Muhammad, was asked by the Angel Gabriel about Islam, faith and Ihsan, and in his answer he gave the complete meaning of Islam as a religion. He said that Islam is to bear witness that there is no other Diety but God : He is one only and Muhammad is His Messenger ; to pray regularly and to give to the poor Zakaat ; to fast in the month of Ramadhan and to visit Mecca at least once for the pilgrimage.

This answer included the five pillars of Islam. The second point in the question was about faith. The Prophet (peace be upon Him) answered that faith means believing in God, His Angels, His holy books, His messengers, predestination, its sweetness and its bitteress, since all of this comes from God ; and to believe in the Day of Judgment. On the third point in the question, what is Ihsan, the answer given by the Prophet indicated the great strength of worship. He said : to worship God as you behold Him. If you cannot behold Him, certainly He beholds you.

We Muslim people have to believe that the Prophet, Muhammad was the last prophet of God and the Holy Quran was the last book from God and there is no revelation after the Quran and Islam is the last and complete religion. Therefore, if anyone believes there is a prophet after Muhammad, or there is a revelation after the Quran, this means he is not Muslim.

Islam in fact is not very far removed from the other divine religions, Judaism and Christianity, as what is revealed to the Prophet, Muhammad, was revealed also to the Prophets who came before him, for the Holy Quran says : "The

thy Lord will raise thee to a position of great glory) 17 : 78 - 79

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى . . . وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى . (طه ١٣١ ، ١٣٢)

(Bear them patiently what they say, and glorify thy Lord by the praising of Him before the rising of the sun and before its setting, and during hours of the night do also glorify (Him) and during parts of the day, that thou mayest be well pleased. And enjoin prayer on thy followers, and steadily adhere to it ; We do not ask thee for sustenance ; We do give thee sustenance, and a happy issue shall there be to piety) 20 : 131, 132

أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون . (العنكبوت ٤٥)

(Recite that which has been revealed to thee of the Book and keep up prayer ; Surely prayer keeps (one) away from indecency and evil, and certainly the remembrance of Allah is greatest, and Allah knows what you do). 29 : 45

فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون . (الروم ١٧ — ١٨)

(Therefore glory be to Allah when you enter upon the time of the evening and when you enter upon the time of the morning. And to Him belongs all praise in the heavens and the earth, and at nightfall, and when you are at midday.) 30 : 17 – 18

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود. (ق ٣٩-٤٠)

(Therefore be patient of what they say, and celebrate the praise of thy Lord before the rising of the sun and before the setting, And glorify Him in the night and after the prayers) 50 : 39 – 40

واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ، ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم . (الطور ٤٨ — ٤٩)

(And wait patiently for the judgment of thy Lord, for surely thou art before Our eyes, and celebrate the praise of thy Lord when thou risest. And in the night, give Him glory too, and at the setting of the stars.) 52 : 48 – 49

حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ، فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون . (البقرة ٢٣٨ - ٢٣٩)

(Observe strictly the prayers, and the Middle Prayer, and Stand up full of devotion towards Allah. But if you are in danger, then (say your prayers) on foot or on horse-back ; and when you are secure, then remember Allah as He has taught you what you did not know) 2 : 238 – 239

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
(البقرة ٢٧٧)

(Surely they who believe and do good deeds and keep up prayer and pay the poor – due – they shall have their reward from their Lord, and they shall have no fear, nor shall they grieve) 2 : 277

وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً . (النساء ١٠١)

(And when you journey in the earth, there is no blame on you if you shorten the prayer, if you fear that those who disbelieve will cause you distress ; surely the unbelievers are your open enemy) 4 : 101

فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا . (النساء ١٠٣)

(Then when you have finished the prayer, remember Allah standing and sitting and lying on your sides; but when you are secure (from danger) keep up prayer ; surely prayer is a timed ordinance for the believers.) 4 : 103

وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل
(هود ١١٤)

(And keep up prayer in the two ends of the day and in some pauts of the night . . .) 11 : 114

وأقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ، ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا .
(الإسراء ٧٨ — ٧٩)

(Keep up prayer from the declin-ing of the sun till the darkness of the night and the morning recitation; surely the morning recitation is witnessed. And during a part of the night forsake sleep by it, beyond what is incubent on thee. ; may be

to be mentioned therein — His praises are celebrated therein mornings and evenings,) 24 : 36

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً، وسبحوه بكرة وأصيلا .
(الأحزاب ٤١ - ٤٢)

(O you who believe ! remembre Allah with frequent remembrance, And glorify Him morning and evening.) 33 : 41 - 42

يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . (المنافقون ٩)

(O you who believe ! Let not your wealth ; nor your children, divert you from the remembrance of Allah ; and whoever does that, these are the losers.) 63 : 9

إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا ، إن لك في النهار سبحاً طويلا ، واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا . (المزمل ٦ - ٨)

(Surely the rising by night is the firmest way to tread and the best corrective of speech. Surely thou hast in the day-time a long occupation. And remember the name of thy Lord and devote thyself to Him with entire devotion.)

73 : 6 - 8

فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً ، واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا .
(الانسان ٢٤ - ٢٦)

(Therefore wait patiently for the judgment of thy Lord, and obey not any sinner or disbeliever amongst them. And remember the name of thy Lord morning and evening. And during part of the night adore Him, and give glory to Him a long part of the night,) 76 : 24-26

قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى.
(الأعلى ١٤ - ١٥)

(Prosperous is he who purifies himself, And remembers the name of his Lord and prays,) 87 : 14-15

THE PRAYER :

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين . (البقرة ٤٣)

(And keep up prayer and pay poor due and bow down with those who bow down.) 2 : 43

واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين . (البقرة ٤٥)

And seek assistance (of God) through patience and prayer, and most surely it is a hard thing except for the humble ones.) 2 : 45

THE REMEMBRANCE OF ALLAH
In the Verses of the Holy Quran

إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض..

(آل عمران ١٩٠ - ١٩١)

(Most Surely in the creation of the heavens and the earth and the alternation of the Night and the Day there are signs for men of understanding. Those who remember Allah standing and sitting and lying on their sides and reflect on the creation of the heavens and the earth. . .) 3 : 190 - 191

ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين . (الأعراف ٥٥)

(Call on your Lord humbly and Secretly ; surely He does not love those who exceed the limits.) 7 : 55

واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ، إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون . (الأعراف ٢٠٥ - ٢٠٦)

(And remember thy Lord within thyself humbly and fearing and in a voice not loud in the morning and the evining, and be not of the heedless ones. Surely those who are with thy Lord are not too proud to serve Him, and they praise Him and prostrate before Him.) 7 : 205 - 206

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب.

(الرعد ٢٨ - ٢٩)

(Those who believe and whose hearts are set at rest by the remembrance of Allah ; now surely by Allah's remembrance are the hearts set at rest. (As for) those who believe and do good, a good final state shall be theirs and a goodly return.) 13 : 28 - 29

فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال .

(النور ٣٦)

(In the houses Allah has permitted to be reared and His name

to enter the Mosque even as they entered it the first time, and to lay waste all that they conquered with an utter wasting". (17 : 2 - 7)

After a year of the event of the Ascent, the Prophet and his followers migrated to Madina. It should be remembered that the Hijrah does not mean flight or even migration. It was a clear division of the Prophet's mission, and greeting to the new future ofthe true faith. The Muslims were promised by God to enter Makkah in peace and safety :

لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين.

It means : "You shall indeed enter the Sacred Mosque, if Allah will, in full security".

This entry was materialised soon and the Prophet entered his native city as conquercor without bloodshed and he proclaimed a general amnesty. Thus, the miraculous Ascent of the Prophet and his migration, were so arranged by Allah, the Almighty, for very good reasons.

﴿ المسجد الأقصى ﴾

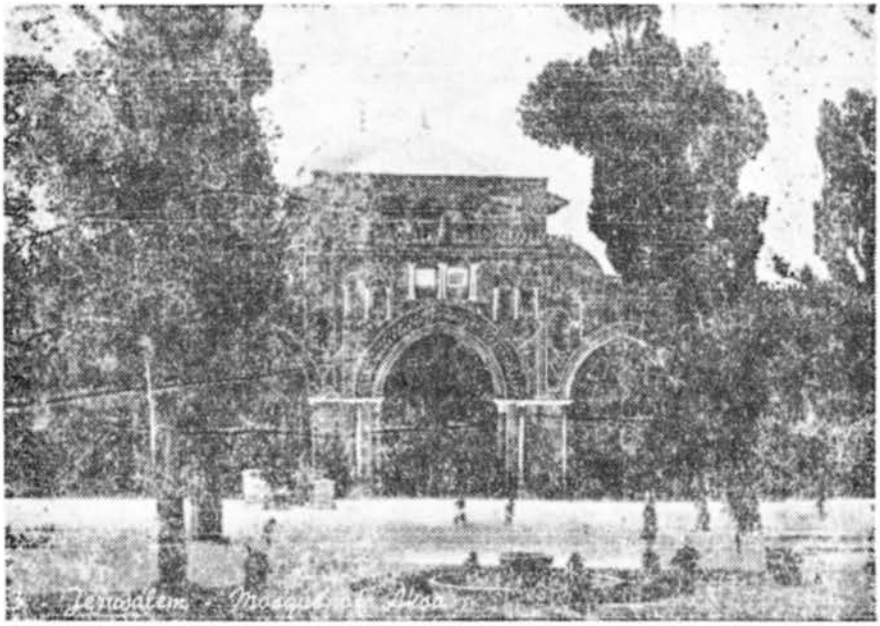

('Al-Aqsa' Mosque of Jerusalem)

أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان
وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم
وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر
نفيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن
أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا
وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول
مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا .
(الإسراء ٢ - ٧)

It means: "We gave unto Moses the Scripture, and We appointed it a guidance for the children of Israel, saying: Choose no guardian beside Me (they were) the seed of those whom We carried (in the ship) along with Noah. Lo! he was a grateful servant: And We decreed for the children of Israel in the Scripture: Ye verily will work corruption in the earth twice, and ye will become great tyrants. So when the time for the first of the two came, We roused against you servants of Ours of great might who ravaged the country, and it was a promise performed. Then We gave you once again your turn against them and We aided you with wealth and children and made you more in soldiery. (Saying): If ye do good for your own souls, and if ye do evil, it is for them (in like manner). So when the time for the second (We roused against you others of our servants) to ravage you, and

﴿ المسجد الحـــرام ﴾

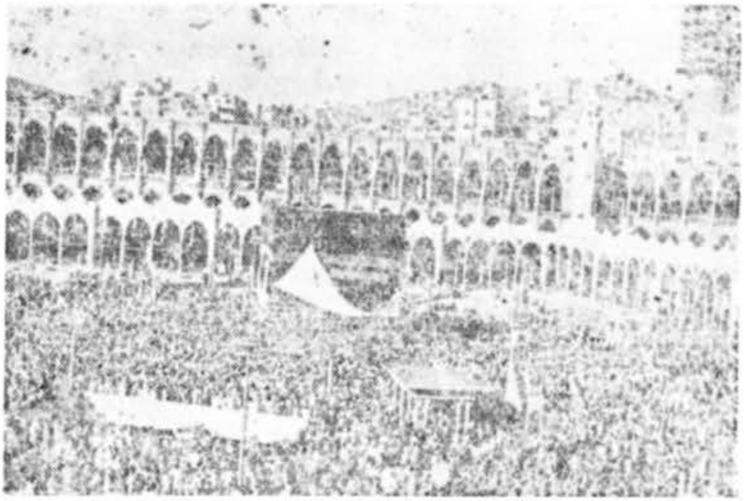

(The Sacred Mosque of Makkah)

Quran says :

«...المسجد الأقصى الذى باركنا حوله...»

(... Farther Mosque (Jerusalem) the precincts of which We have blesssed . . .) In this way the event of the 'Ascent' also connected 'Jerusalem' with 'Makkah'.

At this moment of time, the Muslims all over the world celebrating the 'Night of Ascent' of the Prophet, it is necessary that the celebration should remind them their connection with the Palestine', and their obligation to this country.

The Prophet classed the Mosques of Makkah, Jerusalem and Madina as of equal value to Muslims. Jerusalem is the second most holy city in Islam. It is considered next in importance to Makkah. Traditions stated that the Prophet ascended to heaven on his horse, 'Al-Buraq' from the Rock. His foot-print (Qadam Muhammad) may be seen still. There is a round hole in the middle of the Rock where the prophet's body, it is said pierced its way upward and near by is shown the saddle of Al-Buraq in the shape of several marble fragments.

Palestine is one of the holiest spots on the earth and dear to the hearts of all Muslims. The passing years only retained original place of Al-quds (Jerusalem) in the faith of Islam, and increased the respect and reverance in which it is held by all Muslims.

Today Jerusalem appeals to the Muslims all over the world to perform their obligatory duty towards this holy city. It is now occupied and ruled by an enemy determind to irrevocably change its physical appearance and drive out it sons ruthlessly. These objectives are being persued in many ways with the utmost speed. Now Jerusalem struggles to survive. Only the immeadiate concreted action by everyone concerned the world over will save Jerusalem from the demographic and spiritual obliteration by the hands of Zionist Israelites.

The Surah Al-Isra (17) of the Quran begins with the verses relates to the story of the Prophet's Journey by night from Makkah to Jerusalem, whence he was ascended to the heavens. This was followed by verses, relate to the story of Isralites:

وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ، ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ، وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا

Some people are making doubts and suspicions about the nature of the Ascent, whether the Prophet was carried by night to Jerusalem whence he was caught up through the heavens, by bodily and spiritually or it was a spiritual Ascent ? In fact there could not be such doubt about the ability and the command of the Lord of the Universe. The Holy Quran says :

إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء ، وإليه ترجعون . (يس ٨٢-٨٣)

It means : "But His command, when He intendeth a thing is only that He saith unto it : Be ! and it is. Therefore Glory be to Him in whose hand is the dominion over all things ! unto Him Ye will be brought back" (36 : 82 - 83)

This journey took place during part of one night, and was over before the dawn broke. On the next day, when the Prophet informed the people of Makkah about this journey they became enraged and they accused the Prophet Muhammad, calling him a liar, and they tried to use the strangeness of this event as proof to persuade people to give up the religion. They even tried to influence Abu Bakr (may Allah bless him) with this : "Do you know what your friend has said ? They asked.

"What did he say" ? Saip Abu Bakr.

"He claims that he went to Jerusalem during the night and returned before dawn", they said ; A journey of one month each way ! How can this be done in a few hours of the night ? " Abu Bark replied.

" If he said so, then he is telling the truth" The people of Makkah were astonished. "Do you believe him, then." ? they asked. "why not" Abu Bakr answered. "I would believe more than that about him. I believe that the revelation came from heaven."

On this journey, when the Prophet was taken up to heaven he received the compulsory prayer, which Muslims perform five times a day.

The Quran describes both the sacred Mosque of Jerusalem and the Holy Mosque of Makkah as 'blessed one'. The Holy Mosque of Makkah is mentioned in the Quran as the first house built for mankind for worship. The Quran says :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين »

(Lo ! The first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca (Makkha) a blessed place, a guidance to the people) About the Sacred Mosque of Jerusalem, the

time for the paophet, and it seemed there was no helper or protector in Makkah. Therefore he decided to go the twon of 'Taif' in which the tribe of Thaqif' lived, to call them to Islam, hoping that he would find a helper from among them. He started the journey from Makkah to Taif with his servant, Zaid, and the Prophet kept his journey secret, because he did not know the people of Taif would accept his call or not. When he arrived in Taif he began by meeting the heads of this tribe, discussing with them the matter of belief, and inviting them to the religion of Islam. But unfortunately their response was not good, and he had to bear the hardship of receiving their refusal, He asked them to keep his discussion with them a secret in order to keep the people of Mecca from knowing about this failure in Taif.

They would not agree to this, and their words to him were very rude. One man swore by Allah that if the Prophet spoke the truth, then he was their superior and should not speak to them, because discussion between them would be unsuitable. But if on the other hand, the prophet was a liar, then he was the inferior of the tribesmen, and it was not suitable for the tribesmen to keep the company of such an inferior !

When the Prophet (peace be on him) began to leave the town, the people ordered their slaves and naughty children to line the street on either side of his way and to stone him as he walked, until the Prophet's blood flowed and covered his heels. His servant, Zaid, tried to protect him, but was unable. After the Prophet left the town he was in a most unhappy state, and sat dawn under the shade of some trees.

After this journey, it was clear there was no help at all from anyone on earth for the Prophet. When he came near to Makkah the news of the failure of his journey had got there before him, and he couldn't enter Mecca without first sending a message fo a man called Al-Mutim Ibn Adwi, asking him to be his protector, as was the custom of the Arab tribes at that time. It was in this situation that the journey from Mecca to Jerusalem and from Jerusalem to Heaven took place, to give spiritual aid to the Prophet, and to assure him that Allah was with him always, even if there was no one to help him from the creation ; and at the same time, through this journey he saw many signs to show him the power of God, to give him more aid : as the Holy Quran says: "To show him from among Our signs". (لنريه من آياتنا)

Prophet Solomon (peace be on him) with birds, Jinn and the throne of the Queen of Sheba etc. The Quran mentioned in the story of Solomon withe the Queen of Sheba :

قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر .
(النمل ٣٨ - ٤٠)

It means : "He (Solomon) Said: O chiefs ! which of you will bring me her throne before they come unto me, Surrendering ? A stalwart of the Jinn Said : I will bring it thee for you before thoue rise from thy place Lo ! I verily am strong and trusty for such work. One with whom was knowledge of the Scripture said : I will bring it thee before thy gaze returneth unto thee. And when he saw it in his presence (Solomon) Said : This is of the bounty of my Lord, that He may try me whether I give thanks or am ungrateful" (27 : 38 – 40)

This story should remove such doubt about the Ascent of Prophet Muhammad (peace be on him). If a stalwart of the Jinn was able to bring the throne of the Queen of Sheba unto Solomon from Yemen before he could rise from his place, and one, with whom was Knowledge of the Scripture, has done such work before Solomon's gaze returned unto him, then how it will be diffcult to believe that the Lord of the Worlds carried His Choicest servant and His messenger by night from Makkah to Jerusalem ?

But we have to know why this event took place at this particular time in the life of the Prophet, and what was the significance of it, and exactly what happened during that night. It is recalled that during the space of one year the Prophet lost his uncle, Abu Thalib, who used to Protect him from the aggression of the people of Makkah, and also his wife, Khadija, who was a good wife to him, and who used to smooth for him the various difficulties he had to face from people outside the house.

The loss of these two persons in one year caused a lot of sorrow for the Prophet (peace be on him) and he called this year the 'year of sorrow'. After the death of Abu Thalib the people of Qureish harrassed the Prophet more and more, and when he went home he did not find anyone to make it easy for him as Khadija used to do. It was a hard

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FŪDA

RAJAB 1392	ENGLISH SECTION	AUGUST 1972

Al-Mi'râj – The Ascent of the Prophet

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

The story of the Ascent of the Prophet was a great miracle of his prophethood as well as a good news fortelling a victory of his followers over their enemies. It is recalled that this historical event took place when the Prophet and his followers were facing cruel perscutions and threats from their opponents. The opposition to his preaching had grown rigid, the Prophet had little success among the people of 'Makkah'.

What important event happened at this Night ? This was the night of 27th 'Rajab' in the year 11th of the Propht's Mission. In the 'Night of Ascent' the Prophet was carried from the Sacred Mosque of Makkah to the sacred Mosque of Jerusalem. The Holy Quran Says :

سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير. (الإسراء ١)

It means : "Glorified be He who carried His servant by night from the Inviolable Mosque (Makkah) to the Farther Mosque (Jerusalem) the precincts of which We have blessed, that We might show him some of Our signs. Lo ! He only He, is the Hearer, the Seer." (17 : 1)

The beginning of the verse by the word 'Subhan' is indicating that the Chrisher of the Universe is Exalted over disability. Moreover, the Quran and the other Scriptures narrate the miraculous story of

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة

« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السادس — السنة الرابعة والأربعون — شعبان سنة ١٣٩٢ هـ — سبتمبر سنة ١٩٧٢ م

م ١٢
٢٢٢٦٤ع
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

تحت راية التوحيد ...

للأستاذ عبد الرحيم فودة

١ — كانت الأمة العربية قبل الإسلام تخضع في العراق والحيرة لنفوذ الفرس، وفي الشام ومصر والمغرب لنفوذ الروم، وفي اليمن والجنوب لنفوذ الحبشة حينا ونفوذ الفرس أحيانا، وفي داخل الجزيرة العربية لعداوة تمزق الوشائج، وتفرق الشمل، وتوهن القوى وتجعل بأسها بينها، فغاب وجودها في الزمن، وضل عملها في التاريخ. وهان أمرها في الحياة، ولم يكن ذلك لضعف في الأخلاق، وهوان في النفوس، ووهن في العزائم، فقد كان العرب منذ كانوا أباة يأبون الضيم، ويبذلون دماءهم سخية في سبيل الكرامة والحرية، بل كانوا كما قال شوقي رحمه الله فيهم :

لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس كانت لهم أخلاقهم دينا

ولكن اختلافهم مكن للعداوة بينهم، ومكن لأعدائهم منهم، حتى بعث الله فيهم رسولا منهم ؛ فنقلهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الله، وجمعهم على الولاء والإخاء والحب، وقادهم تحت راية التوحيد إلى الجهاد بالأنفس والأموال، فكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم، حتى صارت إليهم مقادة العالم، ووصلوا إلى القمة التي لم تصل إليها أمة، وحققوا بجهودهم وجهادهم

وسمو أخلاقهم قول الله فيهم : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ».

٢ — ولا شك أن الوحدة فيما بينهم كانت حجر الأساس فى بناء صرح دولتهم فقد كان من أول ما عمله النبى فى المدينة بعد الهجرة أن آخى بين المهاجرين والأنصار وألف بين قلوب الأوس والخزرج ، وجمع جميع المواطنين على وثيقة نص فيها : على أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وأن جميع السكان متضامنون فى حماية الناس وصيانة أرواحهم وأموالهم ، جميعا جبهة واحدة ضد من يعتدى عليهم ، وأنهم لا يصح لأحدهم أن يطعن الآخر بعقد صلح منفرد دون رغبته وعلمه ، وأن المدينة دار أمان للجميع إلا من ظلم وأثم .

٣ — فهذه الوثيقة تسوى بين جميع المواطنين فى الحقوق والواجبات ، وتجعلهم متضامنين فى الدفاع عن أرواحهم وأموالهم ، وتشيع فى جوهم الأمن ، وفى مجتمعهم الاستقرار ، وهى لم تكن عملا سياسيا يقصد به مجرد المسالمة مع اليهود وغيرهم من مشركى العرب فى المدينة ، وإنما كانت عملا يمليه العدل ، وحسن الجوار وهما من الإسلام فى الصميم من أحكامه ، كما يفهم من قول الله : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » وقوله : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

٤ — ولكن اليهود - وهم كما يقول الله فيهم : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض » - رأوا فى هذه الوحدة الوطنية خطراً عليهم ، وقطعا لأطماعهم ، وقضاء على كيانهم ، وظهر ذلك فيما صدر عن (شاس بن قيس) حين رأى جمعا من الأوس والخزرج متآلفين متحابين فقال: ليس لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، وفيما أظهروه من الحزن والضيق والغيظ حين انتصر المسلمون فى غزوة بدر ، وفيما دبروه من مؤامرات كان منها محاولة قتل النبى بحجر يلق عليه فى بنى النضير ، والخيانة بنقض المعاهدة والاتفاق مع الأحزاب فى غزوة

الخندق ، ومن ثم كان مصيرهم الجلاء عن المدينة وما حولها ، كما يقول الله : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب » .

٥ — وقد مضى العرب تحت راية التوحيد يفتحون البلاد شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، ويفتحون صدور أهلها بالنور الذى بعثه الله فيهم واختارهم للجهاد فى سبيله كما يقول : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » ، حتى ملأوا الدنيا عدلا ، ونورا ، وعلما ، وأضاءوا لأوربا طريق الخلاص من ظلام الجهالة والضلالة والتخلف ، ثم بعدوا عن مصادر القوة فى دينهم ، فتفرقوا بعد وحدة ، وضعفوا بعد قوة ، وتخلفوا بعد تقدم ، ووجدوا أنفسهم أمام خطر داهم يتربص بهم ، ويتحين الفرص للقضاء عليهم ، ومن ثم أصبح واجبا عليهم أن يعودوا إلى الراية التى وجدوا فى ظلها القوة والعزة والكرامة والمجد ، وهى راية التوحيد والوحدة ، فإن العصمة والنجاة ، كما يقول الله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

٦ — نقول هذا ونحن نستقبل إعلان الوحدة بين مصر وليبيا ونرى فيها بشارة سارة بما ينتظر هذه الأمة من نصر وخير وصدق الله إذ يقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » ، وإذ يقول : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » ؟

عبد الرحيم فوده

من أصول الإيمان...

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن أنس رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة من الإيمان: الكف عمن قال: لا إله إلا الله، ولا تكفره بذنب ، ولا تخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عـــدل عادل ، والإيمان بالأقدار) أخرجه أبو داود .

مجمل ماقاله العلماء فى تعريف الإيمان الكامل استنادا إلى ما جاء فى القرآن والسنة : أنه التصديق بوجود الله وماله من صفات الكمال ، والتصديق بملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر والمجازاة فيه وبالقدر خيره وشره، فقد روى البيهقى عن عمر: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره) وإذا كان التصديق بالكتب جزءا من مفهوم الإيمان فكل ماجاء فيهما من التكاليف يتصل بالإيمان ويجب فعله إن كان مأمورا به وتركه إن كان منهيا عنه ، ومن هنا اتسع مفهوم الإيمان وشمل كثيرا من أعمال العباد ، واتضح معنى قوله صلى الله عليه وسلم (الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان) .

ولقد تفاوتت شعب الإيمان باختلاف أهميتها ومكانها من خير الفرد والجماعة وكان منها ما هو بمنزلة الركن الذى لا يقوم البناء إلا به ، ومنها ما هو دون ذلك ومن تلك الأركان ما ورد فى هذا الحديث وأول تلك الأركان : كف الأذى عن المؤمن فلا يتعرض له بسوء فى نفسه ولا أهله ولا ولده ولا ماله، ويكفى فى الإيمان أن يقول: لا إله إلا الله فإذا قالها الإنسان فقد آمن وعصم نفسه واكتسب حقوق المؤمنين، ولا يجب بعد ذلك البحث عن سريرته وما يستبطنه لنعلم هل طابق اعتقاده قوله أو خالفه؛ فإن ذلك مفوض إلى ربه وسيحاسبه عليه كما علمه ولا يخرجه عن الإيمان الذى ثبت له على الصورة السابقة أن يقترف معصية أو يكسب خطيئة ، فهذا عصيان لا كفر ، كنص الحديث حيث يقول: ولا تكفره بذنب ولا تخرجه من الإسلام بعمل . ومن هذا

الحديث يتبين لنا خطأ ما ذهبت إليه بعض الطوائف الإسلامية من التكفير بالخطايا والذنوب ، نعم إن ارتكاب الآثام لا يخرج عن الإيمان ولكن يخل به وينقص من كماله ، فالإيمان الكامل المنجى من العذاب هو الذى يتوافر فيه الركنان : العقيدة والعمل ، فإذا فقدت العقيدة فقد الإيمان وكان المتجرد منها إما كافرا أو منافقا وحكمهما واحد وهو الإبعاد والطرد ؛ كافرا إن رفض لسانه النطق بالشهادة كما رفض قلبه التصديق ومنافقا إن جحد قلبه وأقر لسانه ، وإن فقد العمل فقد كمال الإيمان ولا يخرج بذلك عن حظيرة المؤمنين .

والركن الثانى من أركان الإيمان التى وردت فى الحديث الجهاد ؛ ويعنى الجهاد القتال فى سبيل الله ، أى لإعلاء كلمة الله وحماية دعوته ودفع الفتنة فى دينه ، ويلفت الحديث نظرنا إلى أهمية الجهاد بأمور ، أحدها أنه من أصول الإيمان والثانى : أنه جعل وجوبه محتما على المسلمين فى جميع الأحوال ومهما كانت سير ولاتهم من جور أو ظلم لا يبطله جور جائر ولا ظلم ظالم ولا عدل عادل والثالث : أنه باق إلى يوم القيامة ، وربما لفتنا الحديث إلى معنى آخر يتعلق بالجهاد أيضاً وهو أنه من لوازم الدعوة الإسلامية ارتبط بها منذ كانت وسيظل مرتبطا بها إلى يوم القيامة حيث يقول : والجهاد ماض منذ أن بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال ، وفى هذا تنبيه للمسلمين إلى أن يكونوا دائماً على استعداد وعلى درجة من الوعى واليقظة وعلى قدر من الكفاية والقوة وأن يعتبروا أنفسهم كأنهم دائماً فى حالة حرب يتمرسون بها ويعانون شئونها حتى لا يؤخذوا على غرة ولا تذهلهم المفاجأة ، والتاريخ شاهد على صدق هذه اللفتة النبوية فما فتىء المسلمون منذ أن وجد الإسلام غرضا لأعدائهم من شعوب الشرق والغرب يتعالون فى اعتداءاتهم بشتى العلل ومختلف الأسباب ولكل عصر علة ، ولكل ظرف سبب ، ولكن السبب الحقيقى هو بغض الإسلام والكيد له ومحاولة طمس مبادئه : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

والركن الثالث من أصول الإيمان التى وردت فى الحديث ؛ الإيمان بالقدر خيره وشره ، والقدر فى بعض التفسيرات

الإسلامية : هو إيجاد الله الأشياء على قدر مخصوص وتقدير معين فى ذواتها وأحوالها. وفى تفسير آخر أنه عبارة: عن تعلق علم الله وإرادته أزلا بالكائنات قبل وجودها فلا حادث إلا وقد قدره الله ، أى سبق به علمه وتعلقت به إرادته ويذكر القدر مقرونا بالقضاء غالباً كما عبر عن ذلك بعض العلماء فقال :

وكل شىء بقضاء وقـــدر
وكل مقدور ليس عنه مفر

ولذلك قال بعض العلماء : إنهما واحد وتعريفهما ماسبق ، وقال آخرون إنهما مختلفان ، والقدر ما ذكر ، أما القضاء فهو إبراز الله الكائنات فيما لا يزال على وفق القدر .

ومهما كان الأمر ، فالإيمان بالقدر ، وأن ما وقع كائن على وفق تقدير الله وأنه واقع لا محالة - يمنح للمؤمن طاقة من السكينة والرضا يواجه بهما الشدائد فلا تطير نفسه شعاعا ولا تتوزعه الحيرة والألم والأسى والندم فينصرف بما وقع عن شئونه الأخرى فتضطرب حاله وتتنغص عليه حياته ، كما أن الإيمان بالقدر يزود المؤمن بزاد من الإقدام والشجاعة والمضاء فى الأمور عند توافر العزيمة فلا يقف منها موقف المتهيب المتردد والرعديد الجبان يقدم رجلا ويؤخر أخرى.

غير أن الإيمان بالقدر لا يعفى المؤمن من مسئولية التفكير والتروى وتحرى الصواب حسب الإمكان، والإقدام لأول الخاطر تهور لا تؤمن مغبته.« بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ».

وقد وهب الله الإنسان عقلا واختيارا يميز بهما بين ما يرى باجتهاده أنه خير وما يرى أنه شر ولو اعتمد على القدر وأغضى عن التروى والتدبير لعطلهما وهما أسمى ما وهب الله من النعم كما لا يعفيه القدر من المؤاخذة على ما اجترح من السيئات ، لأن القدر غيب عنه ولا يعلم بما قدر حتى يقع ، وعليه أن يضبط بعقله واختياره زمام شهواته ما وسعه ، فإذا وقع ما وقع مما يكرهه الله ويكرهه هو فعفو الله واسع وباب الرجاء مفتوح والله عليم بذات الصدور ، عليم بمشاعر الندم على الخطايا وبمشاعر الاستهتار والرضا بمـا قبح من الأعمال ، ولـكل عامل جزاؤه، « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ».

هذا وللعلماء كلام مستفيض فى قضاء الله

(البقية على ص ٥١٦)

حقيقة الإسلام ومنزلته من الأديان السماوية

للدكتور محمد حسين الذهبي

(حقيقة الإســـلام)

الإسلام هو ذلك الدين السماوي الذي أوحى الله به إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بتبليغه إلى الناس كافة ودعاهم إلى الأخذ به، والعمل على وفق أصوله العقدية وفروعه التشريعية العملية.

وإذا كان الإسلام - في اللغة - معناه الانقياد، فإن هذا المعنى أيضا - ملحوظ في الإسلام بمعناه الشرعي إذ أنه انقياد لله وخضوع، فالمسلم لا يكون مسلما إلا إذا أذعن لله، وانقاد لدعوته، واستجاب لجميع ما كلفه به من عقيدة وعمل.

والدين الإسلامي هو خاتم الأديان السماوية، وهو دعوة الله إلى الثقلين (الإنس والجن) عامة، وهو خالد خلود الزمن، باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أما أنه خاتم الأديان السماوية :

فذلك ثابت بصريح القرآن والسنة، فقد جاء في سورة الأحزاب : الآية ٤٠ قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »، كما تواترت الأحاديث - تواترا معنويا - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مصرحة بأنه خاتم الأنبياء، فقد روى الإمام أحمد بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي »

وروى البخاري ومسلم - واللفظ لمسلم - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين ».

وإنا لنجد، بكل يسر وسهولة، في هذا الحديث الأخير دليلا عقليا على كون محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء

والمرسلين ، وعلى أن دينه - دين الإسلام هو خاتم الأديان السماوية — ذلك أن الإنسانية فى كل مراحلها السابقة على الإسلام لم تكن قد بلغت رشدها فكانت الشرائع تمشى معها على تدرج ملحوظ ، اقتضته حكمة الله العليم بمصالح عباده .

ولما بلغت الإنسانية رشدها ، كان لا بد لها فى هذا الطور - طور النضج والكمال - من شريعة ناضجة كاملة ، تناسب وضعها وتمشى مع طبيعتها ، فكانت الشريعة هى الإسلام ، وكان مبلغ هذه الشريعة هو محمد - عليه الصلاة والسلام - وماذا بعد الكمال ؟ . . . لا شىء إلا أن تمشى الإنسانية فى طريقه إلى نهايتها ؛ حيث لا حاجة إلى تعديل أو تبديل .

وأما أن الإسلام دعوة الله إلى الثقلين

عامة : فذلك ثابت بصريح القرآن والسنة أيضا ، فقد جاء فى سورة الأنعام الآية (١٩) : « وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » وفى عموم (من بلغ) يدخل الإنس والجن جميعا .

وجاء فى سورة الأعراف : الآية ١٥٨ قوله تعالى : « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » ، وهذه تعم الإنس كلهم وجاء فى سورة الأحقاف : الآيات ٢٩-٣٢ قوله تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين » فهذه الآيات ، وما جاء فى معناها فى سورة الجن ، وكذلك فى سورة الرحمن تفيد أن دعوة الإسلام للجن جميعا .

وروى الإمام مسلم بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون » وفى بعض الروايات : « . . . وكان النبى يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس عامة » .

ثم إنه يترتب على كون الإسلام دينا عاما أنه ناسخ لما سبقه من الأديان السماوية ، وفى هذا روى الإمام مسلم بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » .

ومصداق هذا قول الله عز وجل فى سورة آل عمران : الآية ٢٠ « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » وقوله فى سورة آل عمران أيضا الآية ٨٥ : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

هذا وليس معنى كون الإسلام ناسخا لما سبقه من الأديان أنه يجحد صحتها لا ، بل إنه ليعترف بها على الوجه الذى جاءت به من عند الله دون تحريف أو تبديل ، ويدعو أتباعه إلى الإيمان بها ، كما جاء ذلك صريحا فى قوله تعالى فى سورة البقرة آية ١٣٦ : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

وأما أن الاسلام دين خالد وباق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فذلك نتيجة حتمية لختم الرسالات برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإتمام هيكل الدين بلبنة الإسلام الذى جعله الله خاتم الديانات .

(منزلة الاسلام من سائر الأديان السماوية)

جميع الأديان السماوية من لدن آدم عليه السلام إلى مبعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم تقوم على أساس واحد : هو الدعوة إلى الإيمان بالله والآخذ بما جاء عنه من تعاليم تقود الإنسانية إلى طريق الخير والرشاد ، فأصول العقيدة والشريعة واحدة فى جميع الأديان ، كما يصرح بذلك قوله تعالى فى سورة الشورى الآية : ١٣ « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين

ولا تتفرقوا فيه». وقوله فى سورة النساء (الآية ١٦٣) : «إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا».

وإنما تختلف الديانات فى تفصيلات الشرائع العملية بما يلائم زمان كل منها ويتفق مع مصالح أتباعها، فما يصلح لزمان قد لا يصلح لزمان آخر، وما يلائم طبيعة قوم قد لا يلائم طبيعة قوم آخرين ومن هنا كانت منزلة الإسلام بالنسبة للأديان السماوية السابقة عليه منزلة المؤيد المقرر لما جاءت به الديانات الأخرى من أصول العقيدة والشريعة، ولكنه يخالفها بما ينفرد به من نظم التشريع وألوان العبادات وكيفيات المعاملات التى تلائم عصره وتتفق وصالح الإنسانية فى مرحلتها الأخيرة : مرحلة النضج وبلوغ الرشد، والإسلام من هذا الجانب - جانب التشريع العملى - هو الحجة على غيره من الأديان، وإليه وحده المرجع فيها، كما يصرح بذلك قوله تعالى فى سورة المائدة الآية (٤٨) : «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق».

قال العلامة أبو السعود العمادى فى تفسيره لقوله تعالى : (ومهيمنا عليه) ما نصه : «ومهيمنا عليه» أى رقيبا على سائر الكتب المحفوظة من التغيير، لأنه يشهد لها بالصحة والثبات، ويقرر أصول شرائعها، وما يتأبد من فروعها، ويعين أحكامها المنسوخة ببيان مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها. ولا ريب فى أن تمييز أحكامها الباقية على المشروعية أبدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من أحكام كونه مهيمنا عليه».

وعلى الجملة فالدين الإسلامى دين يجدد دعوة الأديان السابقة فى أصولها، ويؤكد وحدتها فى جوهر الدعوة إلى الله وإلى حياة أفضل، ثم هو بعد ذلك مصحح لما وقع فيها من تحريف وتبديل، ومكمل لها بما شرعه من أحكام ومعاملات دعا إليها تطور البشرية وبلوغها مرحلة الكمال».

د. محمد حسين الذهبى

الوحدة الوطنية

للأستاذ مصطفى الطير

« لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »
(البقرة : ٢٥٦)

البيان :

جزى الله الرئيس محمد أنور السادات عن وطنه خيرا ، فقد برهنت سياسته فى أمته على أنه شديد الحرص على مصلحتها عظيم الهمة فى دفع الملمات عنها ، بعيد النظر فى شئونها الداخلية والخارجية ، فكم رفع من مظالم عن الأفراد والجماعات وكم رد من حقوق لجميع الطبقات ، وكم ذاد عنها من مكاره دبرها الأعداء ، وكم جلب لها من العاطفين والأصدقاء ، وكم رفع من قدسية حقها بين العالمين .

إن عهد هذا الرئيس الموفق يتسم بمعالجة الأمور بالحكمة والحزم ، وارتفاع منارة العلم والإيمان ، وسيادة القانون وكراهة الطغيان ، واليقظة الواعية لكل صديق وعدو ، ولكل معمر ومدمر .

لقد ألمت بالوطن الغالى فى الفترة الأخيرة ملمة شديدة الخطر عليه ، فقد نشط بعض الغافلين فى تخريب الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط ، فجنحوا إلى التعصب الممقوت والتفريق السافر ، واستخدام الدين فيما لا يقره الدين ، ولا يسمح بممارسة النظام العام ولا القانون ، ولما كان الإغضاء عن تلك البوادر الخطرة يترتب عليه من الآثار المدمرة مالم يدرك هؤلاء الغافلون مداه ، فلهذا بادر السيد الرئيس ، فهتف بصوته المدوى فى جنبات الوادى ، على منبر المؤتمر الوطنى ، يدعو بنى وطنه إلى الوحدة الوطنية ، ونبذ كل دواعى الفرقة والشقاق لتكون الأمة بجميع عناصرها ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، أمام عدو شرس طامع فى بلادهم ، مجتمع الكلمة على عداوتهم ، فإن الاتحاد قوة ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

ولقد كشف الرئيس للأمة ، أن تلك الظاهرة التى بدرت ، منشؤها أولئك الطامعون فى بلادنا ، فقد ضبط رجال

الأمن منشورات واردة من أمريكا ، تبعث على الفتنة ، وتوقد نار الفرقة ، بين عناصر الأمة .

فيالها من دعوة كريمة يتحتم على كل مخلص لبلاده أن يلبيها بتفاعل نفسى ، وإخلاص قلبي حتى نفوت على أعدائنا وقوعنا فى الشرك الذى نصبوه ، ونسلم من المصير الذى أرادوه ، إن العدو لا يجد سبيلا لتحقيق مآربه من عدوه ، أيسر من تفرق كلمته ، واشتغال أفراده وجماعاته عن مآربه بخلافاتهم ، ومصارعة بعضهم لبعض : حتى يضعف أمرهم ، وتزول شوكتهم ، فإنه حينئذ ينقض عليهم فيفترس بلادهم ، وهم بخلافاتهم مشغولون وفى غفلتهم وتباغضهم يتخبطون ، فيتحكم فيهم بجبروته ، ويقضى فيهم بغطرسته وإذلاله ، فيفيقون حينئذ وهم يرسفون فى قيود العبودية والابتزاز ، ويستيقظون وقد ضاعت منهم الحرية والكرامة والمجد ويندمون على ما كانوا فيه من صغائر المآرب - ولات ساعة مندم - .

إن أمتنا تدرك بوعيها الممتاز ، أن وحدتها هى سفينة النجاة فى بحر المؤامرات والحروب ، نفسية كانت أو ميدانية ، وتعلم من تاريخها القريب والبعيد ، أن السلامة كتبت لهم بسبب هذه الوحدة التى عجز الأعداء منذ القدم عن تحطيمها .

فحين الاحتلال البريطانى لبلادنا ، أراد الإنجليز تطبيق قاعدتهم المشهورة - فرق تسد - فجعلوا يوغرون صدور كل فريق من المسلمين والأقباط ضد الآخر ، وفعلوا كل ممكن فى ذلك ففشلوا ، فقد تنبه الجميع لخطر الفرقة والخلاف ، فطرحوا سعايات القوم ووشاياتهم وراءهم ظهريا ، ونسوا ما كان بينهما من صغائر ، عمل العدو المشترك على تضخيمها واستغلالها ، وضربوا أروع الأمثال فى التماسك والترابط ، حماية للوطن المشترك من أطماع عدو لا يتورع عن استغلالهم أجمعين .

لقد كنت فى شبابى - أثناء ثورة سنة ١٩١٩ - أرى القمص سرجيوس يخطب على منبر الأزهر ، إلى جانب الشيخين الجليلين - الزنكلونى والقاياتى - كما كانوا يخطبون فى كنائس الأقباط ، ومثل ذلك كان يحدث فى أنحاء البلاد .

وبلغ من أمر هذه الوحدة أن الدائرة التى يقطنها مسلمون وليس بينهم مسيحيون ، كانت تنتخب عنها نائباً مسيحياً يمثلها فى مجلس النواب ، كما حدث

فى دائرة (المنزلة دقلهية) فقد انتخبت عنها الأستاذ (ويصا واصف) - عضو الوفد المصرى - ومثل ذلك كان يحدث فى بعض الدوائر التى يكثر فيها المسيحيون ، إذ كانوا ينتخبون عنهم أعضاء مسلمين .

وعن طريق هذه الوحدة بين المواطنين تدرجت مصر فى مراحل الاستقلال ، حتى جلا الغاصب عن بلادنا .

ومثل ذلك كان فى هجمات الصليبيين المستعمرين على بلادنا مرة بعد أخرى ، فقد كانت الوحدة بين عنصرى الأمة ظاهرة مقررة ، لم يرو التاريخ عنها ما يشينها وينتقص منها .

ونحن الآن أحوج ما نكون إلى هذه الوحدة الوطنية التى جنينا من قبل ثمارها فالعدو الذى نحاربه شرس خطير ، تشد أزره أمريكا - إحدى القوتين الكبيرتين فى العالم - فإذا صمدنا متحدين كما يصمد أهل فيتنام متحدين ، فإنا واصلون بإذن الله إلى النصر الحاسم والفتح المبين .

إن عدونا الذى يحاربنا يكفر بالمسيحية كما يكفر بالإسلام ، ويكذب المسيح كما يكذب محمدا عليهما السلام ، ويمتهن مقدسات المسيحيين كما يمتهن مقدسات المسلمين ، ويحتل جزءاً كبيراً من الوطن العربى ، من أغلى ما يحرص عليه المسلمون والمسيحيون على سواء .

فالقدس وسيناء مقدستان فى الإسلام والمسيحية ، وفيها الذكريات الرفيعة عند المسلمين والمسيحيين ، والضفة الغربية للأردن وغزة وهضبة الجولان - فضلا عن قداستها - من أنفس الأراضى الخصبة ذات المركز الحيوى الممتاز فى الوطن العربى ، وكل هذه البقاع الكريمة وقعت فى يد هـذا الغاصب الفاجر ، الذى لا تنتهى أطماعه بازدرادها ، بل سيجعل منها مركزاً للانقضاض على سائر الوطن العربى ، ليحقق أحلامه القديمة التى يخطط للحصول عليها منذ أمد بعيد .

ولا يمكن التغلب على هـذا العدو الماكر بغير الوحدة الوطنية ، والتعاون التام على دفعه عن بلادنا ، واسترداد ما سلبه منا .

وأى تهاون فى ذلك يعتبر جريمة نكراء ، لا يغفرها الخلف للسلف ، ولا ينجو مقترفها من لعنة التاريخ ، وأى عابث بهذه الوحدة يجب أن ينزل به أشد العقاب بلا شفقة ولا رحمة ، حتى يكون عبرة للخائنين اللاعبين بالنار .

إن عدونا المشترك يعتبر نفسه فوق

البشر ، وأنه الجنس المختار من الله ، وهم لذلك يحسبون أنفسهم أهلا لاستعباد سواهم ، كما يصوره لهم تلمودهم المصنوع وصلفهم المخدوع ، ويعتقدون أن قتلهم للأبرياء ، وبقرهم لبطون الحوامل ، وإهلاكهم الضعفاء والشيوخ ، وإبادتهم الأطفال الصغار ، وهتكهم الأعراض وسلبهم الأموال ، واعتداءهم على المقدسات ، كل ذلك مباح لهم ، بحجة أنهم شعب الله المختار ، فلهم أن يفعلوا بالناس ما يشاءون (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) .

إن تلمود هؤلاء اللصوص السفاحين يقول (لولا اليهود لا نعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس ولما أمكن لباقى المخلوقات أن تعيش ، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان ، هو بقدر الفرق بين اليهود وباقى الأمميين[1]

وأقبح من ذلك ما يقوله الحاخام اليهودى (باربانيل) : (الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية وأما باقى الشعوب فمثلهم كمثل الحمير) .

فهؤلاء المغرورون كيف يؤمن جانبهم وكيف لا يقف أبناء هذا الوطن أمامهم صفا واحـــدا ، ليردوهم عن صلفهم واستعلائهم ، ويعيدوهم إلى حال الذلة والصغار والمقت التى عاشوا فيها عبر القرون

لقد عرف المواطنون ما صنعوه بقرية (دير ياسين) الفلسطينية ، إذ قتلوا الأطفال والشيوخ والشباب ، وبقروا بطون الحوامل ، وفى كل يوم يصل إلينا من شنيع جرائمهم فى البلاد التى احتلوها ما تشيب منه النواصى ، وتحترق له القلوب

إن هـؤلاء قوم لا يعترفون بالقيم الخلقية الرفيعة ، فهم ينشرون التحلل الخلقى ، ويبيحون أعراضهم ليصلوا إلى أغراضهم ، ويحتكرون ثروات الناس فى أيديهم ، فكيف نسمح لمن هذا شأنهم أن ينالوا منا بتفرقنا ، واختلافنا على صغائر الأمور .

إننا اتحدنا أمام الإنجليز وهم مسيحيون فأحرى بنا أن نتحد أمام الإسرائيليين وهم يخالفوننا جميعا فى الدين والقيم الخلقية ، ويكفرون بمحمد والمسيح عليهما السلام وقد قالوا فى المسيح وأمه ما برأهما الإسلام منه ، ولعن أولئك اليهود من أجله .

لقد ظللنا نحن المسلمين والأقباط ، أربعة عشر قـــرنا إلا قليلا على مودة

---

(١) من الجزء الخاص بفلسطين المسمى باسم (المشنا) عثر عليه سنة ٢٣٠ ميلادية .

ووفاق ، نؤدى شعائرنا فى المساجد ، والكنائس أحراراً ، وتحكم بعدالة مشتركة ولكل مناحق التملك وحق التعلم وحق التوظف فى الدولة حسب تكافؤ الفرص ومناسبة الموظف للوظيفة ، وظللنا على ذلك النمط عبر تلك الأحقاب والدهور وشعار المسلمين مع المسيحين منذ الفتح الإسلامى ، قوله تعالى: (لا إكراه فى الدين).

وليس هذا شأننا مع أقباط مصر وحدهم ، فإنه هو المنهاج الذى طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسلكه من بعده حكام المسلمين وولاتهم ، فى كل بلد أشرق فيه نور الإسلام .

جاء رجل أنصارى من بنى سالم بن عوف يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن له ولدين اعتنقا المسيحية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وأنهما قدما عليه بعد طول غياب ، وأنه أخبرهما بمبعثه وطلب منهما أن يؤمنا به كما آمن ، ولكنهما أصرا على ما هما عليه ، وكان معه ولداه أثناء حديثه مع رسول الله ، فأنزل الله تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » الآية ، فأمره الرسول أن يدعهما وشأنهما ، وأن لا يكرههما على الإسلام فخلى سبيلهما .

وكذلك فعل عمر بن الخطاب حين فتح بيت المقدس ، وعمرو بن العاص حين فتح مصر ، وغير ذلك من صحائف المجد التى تشرف الفتوحات الإسلامية وتقدم البراهين على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف كما قاله مرضى القلوب عمى العيون ، دجالو الأديان ، ولكنه كان ينتشر بسماحته وسلامة مناهجه ، وحسن سلوك معتنقيه ونظافة عقائده .

وكما جاء دين الإسلام بعدم إكراه أحد على اعتناقه جاءت المسيحية بذلك ، وإذا كان الأمر كذلك ، فليس فى مصلحة كلينا أن يتدخل فى دين غيره ، وأن يكره أحداً على دينه ، ولقد عشنا متحابين متعاونين ، مدى تلك الأحقاب والدهور الغابرة ، لا يمارس أحد منا ضغطاً غير مشروع أو أسلوباً غير كريم ، فى التأثير على من يعتنق ديناً غير دينه ليظفر به ، فغير معقول أن ترجح كفة الميزان لإحدى الطائفتين بأفراد لم يصلوا إليه بالفكر الحر ، والسياحة الطويلة بين البراهين والمبادىء ، والاقتناع العميق فى أعماق

النفس والروح ، فإن من يعتنق دينا لغرض ، لا يلبث أن يتخلى عنه لغرض آخر .

فخير لنا جميعا أن نترك الناس أحرارا دون تأثير غير مشروع عليهم ، وأن نعود إلى ما كنا عليه من محبة وتعاون سراً وعلنا ، فإن ذلك خير لنا ومكسب كبير للوطن الذى نعيش على أرضه .

كم رأينا وسمعنا من التعاون الصادق بين المسلمين والأقباط فى بناء المساجد والكنائس ، فحينما يبنى المسلمون مساجدهم يساهم المسيحيون فى بنائها ، وحينما يبنى المسيحيون كنائسهم يساهم المسلمون فى بنائها .

ومن ذلك أننا بنينا مسجدا بالجهد الذاتى بحى السنارى بالمطرية ، وكان بحمد الله على أحدث طراز وأجمل منظر ولقد ساهم فيه ثرى مسيحى مساهمة كريمة إذ طلب إلينا أن يقوم بيياضه من الخارج وبياض منارته على الطريقة العربية ، فأجبناه إلى ما طلب شاكرين ، فقام مهندسه المسيحى بالمهمة خير قيام ، على حساب ذلك الثرى الكريم ، وحدثنى السيد بطرس قسيس الكنيسة الإنجيلية بعين شمس ، ونحن عائدان من ندوة فى الاتحاد الاشتراكى بالمطرية موضوعها الوحـــدة الوطنية ـ أن سخاء المسلمين فى تبرعهم لكنيسة كان أبرز من سخاء أبناء الكنيسة ، وأنه كان يباهى بسخائهم ليثير الحمية بين إخوانه المسيحيين .

ومن مظاهر التعاون فى دور العلم ، أنى حينما كنت عميدا لمعهد دمياط الدينى احتجنا إلى قطعة أرض فسيحة لبناء معهد جديد عليها ، فوقع الاختيار على قطعة أرض زراعية على شاطىء النيل ، يملكها مسلم ومسيحى ، فاشترينا فدانا ونصفا من المسلم ، ولما وجدناه غير كاف ، طلبنا فدانا من المسيحى ، فلبى ذلك السيد طلبنا ، برغم أنه كان يريده فى بعض شأنه ، واشتريناه منه بثمن يقل كثيرا عن قيمته الحقيقية فى ذلك الموقع الممتاز وقد تيسر لنا بسماحة هذين السيدين ـ المسلم والمسيحى ـ وتسامحهما فى تقدير الثمن أن نحصل على موقع ممتاز لبناء المعهد الجديد .

التراث الدينى يدعو إلى هذا التسامح :

ولقد ورث كلانا هذا التسامح عن تراثنا الدينى ، فحينما قدم وفد نجران المسيحى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة ، وحانت صلاتهم ، سمح لهم

أن يؤدوها فى مسجده، وأباح لهم أن يفعلوا ذلك مدة إقامتهم، حتى يعودوا إلى بلادهم.

وحينما هاجر المسلمون من مكة إلى الحبشة، فرارا من بطش المشركين، أكرمهم مسيحيو الحبشة مدة إقامتهم حتى عادوا من هجرتهم.

ولما فتح عمرو بن العاص مصر، رأى الأقباط منه مالم يروا من الرومان من حسن المعاملة والإكرام، فإنه لما رأى البطريرك (بنيامين) أبعد عن مكانه فى عهد الرومانيين، استدعاه وأعاده إلى عمله وأعطاه عشرة آلاف دينار ليبنى بها كنيسته، ووفر للأقباط الأمن والطمأنينة على دينهم وأموالهم وممتلكاتهم وعاملهم كما يعامل المسلمين، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: (لهم مالنا وعليهم ماعلينا) وقوله: (استوصوا بأقباط مصر خيرا، فإن لكم فيهم نسبا وصهرا).

وهكذا جرى الأمر بين المسلمين والأقباط منذ الفتح الإسلامى إلى اليوم كما جرى على الحذر من اليهود الماكرين.

ولقد وجدنا فى ديننا مايشدنا إلى ذلك بقوة، إذ قال تعالى: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون).

وإذا كان الأمر جرى بيننا وبين مواطنينا الأقباط على هذا النحو من التسامح والتعاون، فإن علينا أن نؤكد ذلك فى هذا الوقت الذى نحارب فيه عدوا شرسا، حريصا على تحقيق مطامعه بشتى الوسائل، وأخصها الدس والوقيعة وحمل كل فريق على أن يحذر الآخر ويخافه ويكيد له، فهم بارعون فى الحرب النفسية.

ونرجو أن لا نرى بعد ذلك منشورات وكتيبات تطعن فى دين الإسلام، وأن لا يدأب موظفون مسيحيون أو غير موظفين على تشكيك المسلمين والطعن فى عقيدتهم كما حدث من بعض موظفين بتفتيش الزهراء بكفر الشيخ، وجاءتنا شكوى من تجاوزهم الحد فى هذا السبيل.

وأن لا يحدث من رجال الدين المسيحى مثل ما حدث من راهب الدير الشرقى، حين أعطى نقيبا مهندسا خمس صفحات طعن فيها فى الإسلام، رغبة فى تشكيكه وهو فى جبهة القتال، يدافع عن الوطن المشترك، وعن ديننا وأعراضنا وأموالنا،

وغير ذلك من الصور التى تفرق ولا تجمع وتبذر بذور فتن كقطع الليل المظلم .

نرجو مخلصين أن يزول كل هـــذا وأمثاله ، وإنا من جهتنا على أشد الوفاء لقوله صلى الله عليه وسلم : (استوصوا بأقباط مصر خيرا) وبقوله : (لهم مالنا وعليهم ما علينا) .

وليعلم الجميع أن المعركة مع العدو تحتاج إلى سلامة النفس وطمأنينتها وقوتها فى الجبهة الداخلية كما تفتقر إلى سلامتها وقوتها فى الجبهة الميدانية ، فإذا كانت إحداهما ضعيفة ، أثرت على الأخرى ، وسببت لها الضعف والهوان ، والهزيمة والخذلان .

كفى الله الكنانة شر الفرقة والهزيمة ، ووفقها للصمود أمام الحرب النفسية ، وبارك وحدتها وأعلى كلمتها ، ووفقها للاستمساك بقوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) .

مصطفى محمد الطير

(بقية المنشور على ص ٥٠٤)

وقدره وفى التوفيق بينه وبين مظاهر الاختيار فيما يعمل العبد وأن القضاء ليس صفة قهر وإلزام بل هـــو صفة كشف وإحاطة ، يرجع إليه من شاء فى كتب التفسير والحديث وعلم الكلام على أن فى الاقتصاد فى البحث عن القضاء والقدر السلامة والسلام .

قال العلامة الشيخ محمد عبده :

أما البحث فى التوفيق بين ما قام عليه الدليل وبين إحاطة علم الله وإرادته وبين ما تشهد به البداهـة من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار فهو من طلب سر القدر الذى نهينا عن الخوض فيه ، واشتغال بما لا تكاد تصل العقول إليه ، وقد خاض فيه الغالون من كل ملة خصوصا المسيحيين والمسلمين ثم لم يزالوا بعد طول الجدال وقوفا حيث ابتدأوا ؟

أبو الوفا المراغى

من هدى السنة :

منهج الرسول عليه الصلاة والسلام فى الجهاد

للأستاذ منشاوى عبود

عن أبى إبراهيم عبدالله بن أبى أوفى رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم ، فقال : (يا أيها الناس ، لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافيــة ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : (اللهم منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم ، وانصرنا عليهم) متفق عليه .

تعريف بالراوى :

هو عبد الله بن أبى أوفى ، واسم أبى أوفى : علقمة بن خالد بن الحارث ابن أبى أسيد الأسلمى ، هو وأبوه صحابيان بايع عبد الله بيعة الرضوان ، وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد ، ولم يزل بالمدينة حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تحول إلى الكوفة ، وهو آخر من توفى بها من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانت وفاته سنة ست وثمانين هـ ، وروى له ٩٥ حديثاً .

اللغة :

(فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو) أى أيام غزواته وحروبه ، وهو متعلق بقوله الآتى : (انتظر) والعدو خلاف الصديق الموالى ، ويقع بلفظ واحد على الواحد المذكر والمؤنث والمجموع ، والمراد منه فى الحديث الكفار .

(انتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم) ، أى أخر القتال حتى إذا مالت الشمس عن كبد السماء إلى جهة المغرب وهو وقت الزوال قام فيهم منبها لهم على ما فيه صلاحهم .

(واسألوا الله العافية) ، كثرت الأحاديث فى الأمر بسؤال العافية ، والعافية مصدر جاء على فاعلة ، وهى لفظ جامع يفيد السلامة من جميع الآفات فى البدن ظاهراً وباطنا فى الدين والدنيا والآخرة .

(فإذا لقيتموهم فاصبروا) ، أى إذا حصل لقاء مع الأعداء فاصبروا على قتالهم ، ولا تجبنوا عن حربهم .

(واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) ، أيقنوا أن ثواب الله والسبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيف ، فقاتلوا عدوكم بصدق نية ، واثبتوا ، فالضارب بالسيف فى سبيل الله يدخل الجنة بذلك ، وهذا كما فى الحديث الآخر: (الجنة تحت أقدام الأمهات) ، يعنى أن من بر أمه ، وقام بحقها دخل الجنة .

(منزل الكتاب) الـ فى (الكتاب) يجوز أن تكون للجنس ، فيراد جنس الكتب المنزلة إلى الدنيا ، ويجوز أن تكون للعهد ، فيراد به القرآن .

(ومجرى السحاب) ، الواقع لهم .

(وهازم الأحزاب) الأحزاب : جمع حزب ، وهم الطوائف من الكفار الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكانت وقعة الأحزاب فى السنة الخامسة من الهجرة .

البيـــان :

منهج نبوى فى الجهاد ، وقيادة رشيدة وتوجيه حازم ، وخطة حربية محكمة تكفل السلامة من شرور الأعداء قبل لقائهم ، وتحقق النصر عليهم عند مقاتلهم

ويمكن أن نجمل هذا المنهج السديد ـ أخذاً من الحديث ـ فى الأمور الآتية :

تخير الوقت المناسب للقتال ـ الحالة التى ينبغى أن يكون عليها الجنود قبل لقاء العدو ـ الحالة التى يجب أن يكونوا عليها عند لقائه ـ استحضار المقاتل لكريم منزلته عند الله ـ الالتجاء إلى الله تعالى وطلب النصر منه بعد بذل الوسع فى إعداد القوة والتزام الوسائل الكفيلة بهزيمة الأعداء .

ويوضح هذه الأمور كلها ما دل عليه الحديث الشريف من أنه صلوات الله وسلامه عليه فى غزواته وحروبه للعدو تخير الوقت المناسب للقتال، فأخره حتى زالت الشمس عن وسط السماء ليبرد الوقت على المقاتلة ، ويخف عليهم حمل السلاح ، فيكون ذلك أعون لهم على الثبات ، ومواصلة القتال ، ولسنا فى حاجة إلى الاستدلال على أن الوقت المناسب له كبير الأهمية فى كسب المعركة فوقائع التاريخ خير شاهد على صدق هذا وتقريره بما لا يدع مجالا للشك والارتياب

وبعد أن زالت الشمس قام عليه الصلاة والسلام خطيباً فى القوم منبها لهم على ما فيه صلاحهم ، فنهاهم عن أن يتمنوا لقاء العدو ، لأن المرء لا يعرف مآل أمره بعد هذا اللقاء ، ولأن فى هذا التمنى اتكالا على القـــوة وإعجابا بها ،

والمؤمن ينبغى أن يستيقن أن النصر لا يكون إلا من عند الله القاهر فوق عباده ، كما قال جل شأنه : (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) ،وطلب منهم أن يسألوا الله العافية، وهى كلمة جامعة تتناول السلامة من جميع الآفات فى البدن ظاهرا وباطنا فى الدين والدنيا والآخرة .

ولكن إذا تحتم لقاء العدو ومقاتلته أمرهم أن يثبتوا فى المنازلة ، وأن يصبروا على المحاربة، فإنه تعالى مع الصابرين بالمعونة والتأييد ، وقد وعد جنده بالظفر فقال : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون).

وأعلمهم صلى الله عليه وسلم أن الضرب بالسيف حالة الزحف والاشتباك أقرب وسيلة إلى الحصول على ثواب الجنة ونعيمها الخالد، «وفى هذا حض لهم على الاستبسال بأبلغ عبارة وأروع بيان لأن المجاهد إذا استحضر فى قلبه العلم بحسن عاقبته ، وما ينتظره من رفيع المنزلة وكريم الجزاء هانت عليه نفسه ، وتفانى فى مغالبة عدوه وقهره ، وبعد أن استجمع صلوات الله وسلامه عليه أسباب النصر الظاهرة من أخذه العدة من السلاح وغيره ، وتخيره الوقت المناسب للقتال، وتحذيره الصحابة من تمنى لقاء العدو ، وطلبه منهم أن يسألوا الله العافية، وأمره لهم بالصبر عند تحتم اللقاء - ضم إلى هذا كله التضرع إلى الله تعالى ، وإظهار الافتقار إلى عونه وإمداده ، إذ أن مرد الأمور كلها إليه ، فدعاه بتعجيل النصر على الأعداء ، وإنما قدم أمام دعائه من أوصاف الله تعالى : (منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب) لأن هذه الأوصاف تدل على كمال قدرته سبحانه ، فهى تناسب تحقيق النصر لاعتماده على القوة والقدرة .

وإنما خص الدعاء على الأعداء بالهزيمة ونصرنا عليهم دون إهلاكهم رجاء أن تكون سلامة نفوسهم وسيلة إلى إيمانهم وفى هذا أبلغ شاهد على ما منحه صلوات الله وسلامه عليه من عظيم الرأفة والرحمة، وصدق الله تعالى حيث قال فى شأنه: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، والحديث يهدف إلى توجيهات سامية نجتزىء منها ما يأتى :

١ - على قائد الجيش أن يتخير الوقت والوسيلة لنجاح خطته الحربية .

٢ - تحذير المسلمين من تمنى لقاء العدو ، فإنهم لا يدرون العاقبة ، وقد

(البقية على ص ٥٢٤)

مفاهيم الاستعداد والحذر فى المدرسة الإسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

فى هذا العصر الذى تقدمت فيه العلوم تقدما مذهلا أدى بدوره إلى تقدم فنون الحرب واسلحتها وأساليبها، أصبح مصير الأمم متوقفا على درجة استعدادها لرد عدوان أعدائها عليها وردعه .

وأخطر ما تتعرض له الأمم فى هذا المجال هو المباغتة ، لذلك نراها تسعى بأقصى جهدها لكى تمنع العدو من مفاجآتها وذلك بأن تؤسس استراتيجيتها العسكرية على استخدام مختلف وسائل الاستطلاع المتقدمة وعلى وجود قواتها المسلحة أو جزء منها على درجة عالية من الاستعداد للعمل الفورى . . وليس أدل على ذلك مما نسمع عنه اليوم من أقمار التجسس التى تدور فى الفضاء حول الأرض لكى تنبىء أصحابها فورا بما يتخذه أعداؤها من استعدادات حربية أو غيرها وكذلك ما نسمع عنه اليوم من أساطيل بحرية مدججة وغواصات ذرية وقواعد إطلاق الصواريخ عابرات القارات ، وطائرات الاستطلاع الالكترونى وقواعد جوية تحتشد فيها القوات المستعدة للانطلاق فورا إلى حيث يراد توجيهها وما إلى ذلك من وسائل الاستعداد الحربى .

ونحن إذا أمعنا النظر فى تعاليم المدرسة الإسلامية وجدنا أنها تحض على الحذر والاستعداد لملاقاة الأعداء ، وتقدم فى هذا المجال أحكم النظريات وأقوى الأساليب التى نحن أحوج ما نكون اليها فى صراعنا المصيرى .

لقد عنى الإسلام أشد العناية باتخاذ الحيطة والحذر وبما نسميه درجة الاستعداد العالية لحرمان العدو من المفاجأة ، قال تعالى « ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم » ولعل أبلغ ما يؤكد ذلك ماورد فى القرآن الكريم بشأن الصلاة فى الحرب فقد أمر الله تعالى بأدائها فى وقتها ولكنها تكون ركعتين بدلا من أربع ، وأمر بأن تصلى طائفة مع الرسول

بينما الطائفة الأخرى فى موقف الحراسة حتى إذا فرغت الطائفة الأولى اتخذ كل من الفريقين حالة الآخر قال تعالى: «وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة». وهكذا أوجب على المصلين أن تكون معهم أسلحتهم وجعل الطائفة الثانية للحراسة حتى لا يفاجئهم العدو فيكون سوء العاقبة.

ثم تأمل فى معنى الرباط فى قوله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» لقد كان معنى الرباط فى الماضى هو ربط الخيل فى الثغور التى يتوقع هجوم العدو منها بقصد الاستعداد لرده وصده وقمع عدوانه إذا حاول العدوان، فكان المرابطون يقضون الليل والنهار ساهرين شاهرين سيوفهم وأسلحتهم متأهبين للقتال لا يغادرون أماكنهم حتى يحل غيرهم محلهم.

وهذا النوع من الجهاد له وزنه الكبير وشأنه الخطير فى تقدير الإسلام، كما يظهر من قول النبى صلى الله عليه وسلم: «من رابط يوما فى سبيل الله كان له كصيام شهر وقيامه». وكما يفهم من قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون».

ولا شك أن الرباط كان يستهدف ثلاثة أمور، أولها: الحراسة القوية للحدود والثغور، وثانيها: إرهاب العدو بالوقوف أمامه والتأهب لقتاله، والظهور بمظهر القوة فى المواطن التى يظن فيها الضعف، والثالث: استمرار الاستعداد والمران والتدريب على فنون الحرب حتى تكون الأهبة كاملة والخبرة قوية والجهود متحفزة.

ولا شك أن الرباط بمفهوم العصر الذى نعيش فيه أصبح واسع المدلول وممتدا ليشمل كل مساحة الدولة وليس الحدود فقط، ذلك لأنه لم تعد هناك فى هذا العصر بقعة من الأرض فى منأى عن متناول العدو، وأصبحت الحرب الحديثة لا تدور فقط بين الجيوش المتصارعة فى ميدان القتال بل امتدت إلى عمق الدولة بكل ما فيه من منشئات حيوية ومصانع وكبارى

وسدود ومطارات وتجمعات سكانية ، ومرافق ، وهكذا أصبح الرباط واجبا قوميا على أبناء الأمة جميعا الذين ينتظمون فى أجهزة الدفاع الشعبى ، والدفاع المدنى والإسعاف والمطافى .. الخ بالإضافة إلى أفراد القوات المسلحة .

ورسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام قد بين فضل المرابط والقائم بالحراسة . عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد - فى الجهاد - فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها » أخرجه الشيخان .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله تعالى ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله تعالى » أخرجه الترمذى .

ويقرر الرسول الكريم المعيار الصحيح لدرجة الاستعداد لدى المجاهدين فى أنها القدرة على العمل الفورى فى مواجهة المواقف المفاجئة فيقول عليه الصلاة والسلام : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة - يعنى صيحة خطر - طار إليها » .

وبتحليل هذا الحـــديث الشريف نلاحظ الآتى : —

• كلمة « ممسك » فى عبارة « رجل ممسك بعنان فرسه » تعنى درجة أعلى فى الاستعداد من مجرد ركوب الفرس وتنطوى على معنى الاستعداد الكامل والمستمر للانطلاق بمجرد الإشارة .

• كلمة « طار » فى عبارة « كلما سمع هيعة طار إليها » ذات مدلول يختلف كثيرا عن كلمة اندفع أو اتجه أو تقدم أو أسرع وتعبر عن أسرع شكل من أشكال التحرك على الإطلاق وتعتبر أكثر ألفاظ الحركة دلالة على السرعة .

• ثم كلمة « خير الناس » التى تنطوى على تكريم المجاهد الذى يقف فى أعلى درجات اليقظة والاستعداد ، ومنشأ التكريم هنا هو مقدار العناء والجهد البدنى والعصبى الذى يتعرض له المقاتل فى فترة استعداده القصوى ، الأمر الذى يستحق معه التكريم وتلك هى عدالة الإسلام .

• وتنطوى تلك الكلمة أيضا على تحريض المجاهدين جميعا على أن يكونوا فى أعلى درجات الاستعداد للقتال الفورى حتى لا يؤخذوا على غرة فيقع الضرر للجيش والأمة ثم ليكونوا خير الناس.

والمدهش أن هذا الوضع بالضبط «وضع الرجل الممسك بعنان فرسه» هو الذى يتخذه اليوم مثلا طيارو المقاتلات الاعتراضية الذين ينطلقون لقتال طائرات العدو المغيرة. فهم يكونون داخل طائراتهم التى تقف على أول ممر الطيران مزودة بصواريخها وذخيرتها ووقودها ويكون هؤلاء الطيارون ممسكين بعجلة القيادة، وآذانهم مفتوحة لصيحة الإنذار التى يطيرون فورا على أثرها.

وهذا الوضع أيضا هو الذى تتخذه أية قوة احتياطية خفيفة الحركة على درجة استعداد عالية للتحرك فور إنذارها إلى غير ذلك من أمثلة درجات الاستعداد العالى.

ثم إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد قدم لنا بنفسه مثلا على درجة الاستعداد العالية حينما سبق أهل المدينة جميعا ذات ليلة إلى مصدر صوت قوى غير عادى أفزعهم فانطلق بعضهم نحو الصوت فإذا هم برسول الله عائد من هناك راكبا فرسا عاريا والسيف فى عنقه وهو يقول «لن تراعوا»، وهكذا كان أولهم استعدادا وأسرعهم إلى النجدة.

وإذا أردنا أن نحدد الشروط والخصائص التى يجب أن تتوفر فى ضابط الاستطلاع أو المخابرات فإننا لا نجد خيرا من تعاليم المدرسة الإسلامية.

فقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان العبسى رضى الله عنه لمثل هذه الوظيفة دون غيره من أصحابه وذلك لأن حذيفة كان يتمتع بمزايا الكتمان الشديد، فلا يفشى سره لأحد وبحضور البديهة فلا يرتبك فى المواقف الحرجة، وبتقديره العميق لأهمية صيانة المعلومات العسكرية عن الأعداء فلا يفشى نياته ونيات المسلمين وأهدافهم وبالذكاء الخارق وبموهبة حب الاستطلاع.

ولقد كان للرسول الكريم فى المدينة عيون وأرصاد يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمصلحة العامة فى السلم والحرب على حد سواء فاختار مثلا حذيفة بن اليمان العبسى ليأتيه بأخبار المنافقين.

ولم يكن حذيفة وحده يؤدى هذا الواجب ، بل كان من واجب كل مسلم أن يؤدى واجبه فى مراقبة المشبوهين والمنحرفين والمنافقين وأعداء الإسلام والمسلمين .

وكما كان للنبى صلى الله عليه وسلم عيون وأرصاد داخل المدينة المنورة ، ليضمن بهم تماسك الجبهة الداخلية للمسلمين فى قاعدتهم الأمينة (المدينة) وليحول دون انهيار حصونه من الداخل فى المدينة المنورة .

كذلك كان له عيون وأرصاد خارج المدينة المنورة . فى مكة المكرمة ، وفى القبائل العربية المعادية وفى أرض الروم وبلاد فارس ، يخبرونه عن كل صغيرة وكبيرة تضر أو يمكن أن تضر بمصالح الإسلام والمسلمين العليا .

هذا ما يفسر لنا أسباب انتصاره على أعدائه الكثيرين ، ذلك لأنه كان يطلع على نياتهم العدوانية قبل وقت مبكر ، فيعمل من جانبه على إحباط ما يبيتونه للإسلام من غدر وخيانة ودسائس ومؤامرات .

وذلك أيضا يفسر لنا أسباب عدم استطاعة المشركين ويهود وأعداء المسلمين أن يباغتوا قوات النبى صلى الله عليه وسلم فى الزمان والمكان والأسلوب ، بينما استطاع الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام أن يباغت أعداء الدين الجديد فى معظم غزواته وسراياه .

كانت عيونه وأرصاده خارج المدينة المنورة من المسلمين الذين يخفون إسلامهم أو من ذوى قرباه ورحمه ؟

محمد جمال الدين محفوظ

(بقية المنشور على ص ٥١٩)

يكون فى عدم القتال بقاء هيبتهم فى نفوس أعدائهم .

٣ ـ الحث على الصبر والثبات عند الزحف والمقاتلة .

٤ ـ استحضار المجاهد لما ينتظره من كريم المنزلة ، ووافر الجزاء ، خير ما يحمله على الشجاعة والبطولة .

٥ ـ بعد الأخذ فى الأسباب ، وإعداد العدة لملاقاة الأعداء ينبغى الالتجاء إلى الله تعالى ودعاؤه بالنصر ، إذ أن مرد الأمور كلها إليه سبحانه .

رزقنا الله تعالى حسن الاقتداء برسوله والاعتزاز بتعاليمه ، وأمدنا سبحانه بروح منه حتى نظفر بعظيم نصره وتكريمه ، فإنه مولانا ، ونعم المولى ونعم النصير ؟

منشاوى عثمان عبود

علماء عظام يجددون مشرق الإسلام

للأستاذ أحمد موسى سالم

منذ أشرقت شمس الإسلام من الجزيرة العربية كان شروق شمسه على العالم، ونفاذ دعوته فى أركان الأرض، وصمود قبلته لتوحيد المسلمين هى بداية جريان الأحداث على طريق «رشد الإنسان» من وجهة نظر علماء الدين، فكان جهادهم لذلك فى بدايته وغايته أن تبقى شمس الإسلام مشرقة، ودعوته نافذة، وقبلته صامدة، وهكذا مرت قرون وقرون لم ينقطع فيها ظهور أولئك العلماء العظام الذين يتجدد بهم - علما وعملا - شروق هذا الدين الحق، محفوظا بشريعته، وحيا بلسانه، وخالدا بكتابه، ومأمولا لغده، وعاصما لمن اعتصموا به من مصائر عاد وثمود ...

ولقد كان ظهور هؤلاء العلماء العظام موصولا فى حكمة الله بأزمان الحاجة إليهم، فبقدر ما كان الطامعون فى السلطان أو المنحرفون به يحدثون أحداثا، ويبتدعون بدعا، كان هؤلاء الأئمة والقادة من حفظة العلم، وحملة الكتاب يظهرون على رأس الجماعة ليعودوا بها إلى الجادة وليحيدوا بها عن البدعة، وليردوها بعد الشك واليأس والروع إلى نقاء الفطرة، وحرم الإيمان، وعزمات اليقين، باذلين على طريق القدوة بأعمالهم، والأمانة فى علمهم واجتهادهم كل ما يملكون من جهد ونفس، وصبر، ومال ...

وعند ما بدأت الغيوم تتكاثف فى سماء الخلافة الإسلامية على عهد بنى العباس، وأقبلت الفتن تتقاطر من كل صوب؛ وقضى رأى الخليفة المعتصم أن يبقى تأييد الدولة لمذهب المعتزلة - كما كان رأى أخيه المأمون - وأن يتزايد الاعتماد على الجنود من الترك بدلا من العرب الذين أخرجهم من ديوان الجهاد - كان رأى أكثر الناس تفاؤلا أن الدولة إلى انهيار عاجل، وأن المسلمين إلى ضيعة محققة، ونهاية محتومة . . . ولكن الأحداث التى تتلاحق تنفك وهى تصنع أحداثا أخرى، والبدعة التى «اعتصم» بها المعتصم فى قول المعتزلة

بخلق القرآن تموت وتظهر بدعة سواها. فلقد كان ثمة فى فورة المتغيرات حق ثابت هو الدين، ولواء مرفوع هو الجهاد ونصرة مؤكدة فى رجل عالم يواسى الناس بنفسه، ويرفع أسوته لهم بحياته ... وهكذا عندما ابتدع المأمون بقول المعتزلة ظهر له ابن حنبل، ثم مات المأمون قبل أن يقدر عليه. وعندما لج المعتصم فى عناده بهذه البدعة على سيرة أخيه فعذب من عذب، وقتل من قتل، صبر له أحمد بن حنبل صبر كرام الشهداء وسلاطين العلماء. صبر على سفهه بالجدل وعلى تألهه بالملك، كما صبر على الضرب والحبس والتعذيب .. وكانت النصرة بعد العسرة للدين الحق .. فلقد ماتت البدعة، ومات المعتصم، وأخذت الخلافة العباسية بدورها تتهيأ للموت، بينما عاش ابن حنبل فلم يمت إلى اليوم.. وعاش بحياته وأسوته حق كبير وخلق كثير؟

لقد دخلت الدولة بهذا التفلسف الغث، والشذوذ فى تناول الحياة، وغلبة الأجنبى على الجيش دور النزع، ومرحلة المحاق، فلم تلبث الجماهير بالداخل أن ضجت من عدوان الجنود الترك فهبت تدافع عن نسائها وأولادها وأموالها فى معارك دامية معهم؛ كما أن الزحوف الكثيفة لهمج التتار أطبقت عليها من الخارج، طامعة ومجنونة ومستثارة إلى التدمير والقتل.. فكانت النهاية العاجلة للدولة التى لم يغن عنها جنودها المرتزقة شيئاً .. واستقبلت الأمة المؤمنة محنتها الجديدة بالصبر ..

ففى سنة ٦٥٦ هجرية ١٢٥٨م قتل التتار آخر الخلفاء العباسيين «المستعصم بالله»، وقتلوا أكثر أهل بغداد، وأحرقوا المدينة العامرة، وأزالوا معالم الحضارة والثقافة الإسلامية، ووضعوا علوم سبعة قرون مستنيرة فى أعماق نهر دجلة حين جعلوا من الكتب النفيسة جسراً لقواتهم، وموطئاً لأقدام رعاعهم .. فهؤلاء الذين كانوا بزعامة (هولاكو) يسجدون للشمس من دون الله، ويهمهمون بالحديث همهمة المعاتيه كانت لهم مهمة واحدة يرفعونها شعاراً لهم، هى تدمير الجزء المضىء من العالم بحضارة الإيمان، وكان هذا الجزء المضىء هو عالم الحضارة الإسلامية فوق أرض العرب ..!

ولكن الصدمة المروعة ، والمصير المشترك أيقظا مصر والشام ، وكانا في وحدة ، فرفضت جماهيرهما أن تموت الخلافة وإن كانت بغير سلطان أو جيش ولقد كان الحل القهرى أن تنقسم الخلافة لتبقى .. أن تنقسم إلى من يمثلان القرآن والسلطان بعد أن انشطرا بالفتن والوهن والأحداث .. وهكذا في سنة ٦٥٩ هجرية - ١٢٦٠ م قدم إلى مصر الأمير « أبو القاسم أحمد » عم الخليفة العباسي الشهيد ، فخرج إلى استقباله سلطان مصر يومذاك الظاهر بيبرس ، ومعه جماهير العلماء ، ورجال الدولة ، وأبناء الشعب. وعندما استقر الأمير القادم بقلعة الجبل أقيم احتفال شرعي لمبايعته بالخلافة ، وكان أول من بايعه كبير علماء مصر وأمامها عز الدين بن عبد السلام ثم بايع السلطان والقاضي والأمراء ...

كان عز الدين بن عبد السلام أحد النجوم الثاقبة في رأس هذا الجيل من العلماء الذين تكاثر ظهورهم في محنة المسلمين . فلقد ضرب المثل لمن بعده في استحضار هيبة الله وهو يخاطب ذوى السلطان فيهين من تعاظمهم ، وينزل من كبرهم حتى لا يؤذيهم الغرور ..

جلس مرة إلى الملك المظفر قطز فدعاه إلى التعجيل بلقاء التتار بالشام فأقر ذلك وطلب موافقة العلماء على أن يجمع ما يلزمه من المال من الشعب ، فقال له عز الدين قولته المشهورة :

« إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على الحاكم قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم بشرط أن لا يبقى في بيت المال شيء من السلاح والسروج الذهبية والفضية للأمراء . وتبيعوا كل مالكم من النفائس وأن تتساووا مع العامة ، أما أخذ الأموال من العامة مع بقايا هذه الأموال والآلات الفاخرة بأيديكم . . فلا » !!

وهكذا بصدق رأى « عز الدين » وصلابته في الحق ، وشجاعته في النصيحة زحفت الجيوش المصرية لتسحق المغيرين التتار في الواقعة التاريخية « عين جالوت » سنة ٦٦١ هـ - سنة ١٢٦٢ م ، وكان عز الدين قد توفى سنة ٦٦٠ هـ قبل أن يشهد هذا النصر العظيم .

ثم ظهر بعد ذلك من الوازعين بالقرآن ، - وفي إبان محنة المسلمين بالتتار والبدع والمنكرات - أحمد بن عبد الحليم

ابن تيمية ، الإمام الورع ، والمقاتل الجسور ، والعالم الثبت ، الذى خرج من وطنه الشام سنة ٧٠٠ هـ قاصداً مصر ليستثير السلطان إلى متابعة الجهاد ضد التتار ، ويستنهضه للخروج إليهم بالشام ، وكان من قوله له يذكره بكلام الله : « إن لا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوما غيركم » .

.. وقد ألقى ابن تيمية بنفسه فى غمرات القتال تحت راية قومه جنباً إلى جنب مع الجيش المصرى ، وكان ذلك فى موقعة « شقحب » سنة ٧٠٢ هـ سنة ١٣٠٢ م التى تم فيها النصر الساحق للمسلمين . .

وكانت لهذا العالم العظيم مجالات أخرى متعـددة ومضنية فى حرب البدع والمنكرات ، والانحلال بالرأى والعقيدة جاهد فيها كلها بنفسه ، صابراً غير جازع ، ومستبشراً غير يائس ، ومتشدداً غير متهاون ، وهو ينتقل - كما وقع لابن حنبل - من عزل إلى حبس ، ومن حبس إلى نفى ، حتى مات محبوسا بقلعة دمشق حيث كتب أعظم كتبه الخالدة فى فترات حبسه ، وحيث وصف نفسه وجهاده فكأنما وصف العالم المؤمن المسلم كيف تكون أمانته وشجاعته فى الدفاع عن الدين والشريعة والحرية والحق ، وذلك حيث قال :

« ما يصنع أعدائى بى . . . جنتى وبستانى فى صدرى أين رحت ، فهى معى لا تفارقنى . إن حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، وإخراجى من بلادى سياحة » ؟

* * *

وأخيراً لقد كان لسقوط بغداد أثره - عـدا آثاره الكثيرة - على تراث الحضارة العربية ، والثقافة الإسلامية الذى كاد أن يغتاله سلوك همج التتار عند ما أغرقوا أكثر كتبه النفيسة فى مياه دجلة ... ولكن جيلا من « العلماء العظام » بمصر فطنوا إلى هذا الخطر ، ونشطوا إلى مسئوليتهم عنه ، فكانت هذه الثورة العلمية السلمية التى تم بها فى عصر زاهر للموسوعات تدوين العلوم الإسلامية والعربية كلها وحفظها . وبذلك أمنت الأمة العربية على مقوماتها ، وبقى تيار « الوعى العربى » متصلا من مشرق الإسلام حتى الجيل المعاصر ، وأضيف إلى ثبت العلماء العظام الخالدين أعلام جدد يتصدرهم أمثال المقريزى ، والنويرى ، والقلقشندى ، وابن منظور ، وابن خلدون ، والعمرى ... وغيرهم كثيرون وكثيرون يجددون كل يوم مشرق الإسلام ؟

أحمد موسى سالم

الإمام الماوردى ... الفقيه الرائد

للدكتور محمد رجب البيومى

— ١ —

أبو الحسن الماوردى من القلائل الجديرين بالقول السائر « هو البحر من أى النواحى أتيته » فقد تعددت مواهبه فى شتى ضروب المعرفة لوقته ، إذ رزق التبحر فى الفقه والنحو والأصول والتفسير والحديث ، وكتب فى ذلك كله كتابة المجدد المبتكر ، إذ أن آثاره العلمية ذات طابع مستقل يدل على الانفراد والنشاط المتوثب ، فليس الرجل نسخة مكررة ككثير ممن نرى ونقرأ من المؤلفين بل هو العلم الفرد الذى يتكلم ليقع كلامه موقع النور من الظلمة ، والذى يكتب لتظل كتابته موضع النظر والتأمل لا تبلى لماجدة أو يضائل من قيمتها تكرار. وقد عرفته الحركة الفكرية الدينية فى عشرينيات هذا القرن معرفة جعلت نوره يتلألأ فى القرن الرابع عشر الهجرى تلألأه فى القرن الخامس من الهجرة أيام كان قاضى القضاة فى عاصمة الإسلام وعلم الأعلام فى الفتوى والقضاء ؛ إذ أن كتابه « الأحكام السلطانية » كان المرجع البارز بين المراجع الإسلامية فى القانون الدستورى حين ظهر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) فى مصر داعيا إلى فصل السياسة عن الدين ، وجاعلا من الإسلام دين عبادة روحية لا دين عبادة وقيادة ، ودنيا وأخرى ، فنشط ذوو الغيرة على الحق إلى نقضه ، وأمدتهم كتب السلف بما يريدون من البرهان ، وكان كتاب الأحكام السلطانية للماوردى ذروة شامخة تعلو للعين ، إذ أشبع الحديث عن الخلافة والإمامة ومسئولية الحاكم وشروط توليته وعزله وعن الشورى والبيعة وما يراد بأهل الحل والعقد فى الإسلام كما أفاض فى نقاط دقيقة مثل إمامة المفضول دون الفاضل ، ومبايعة حاكمين فى وقت واحد ، والعهد لأكثر من اثنين ، ونيابة الوزراء عن الخلفاء متطرقا إلى دقائق ما يتعلق بأعمال الوزارة والولاية والقضاء والإمارة فى منطق جزل

محكم تؤيده الأدلة القوية وتمده الشواهد التاريخية بما يقنع ويمتع تطبيقا واستنباطا وتعليلا ، فكان الماوردى بذلك من القلائل الذين أفردوا ما يعرف الآن بالقانون الدستورى بكتاب خاص يضبط قواعده ويجمع شوارده ، وليس معنى ذلك أن كتب السلف قد خلت مما تعرض له أبو الحسن فى الأحكام السلطانية ، فهى تحوى جل ما ذكر ولكن على توزع وتفرقة بين علوم مختلفة ، إذ أن هذه النظريات السياسية كانت نهبا مشاعا بين رجال الفقه وعلماء الكلام وكتاب التاريخ حيث يتحدث كل كاتب بما يناسب موضوعه ، فكان الماوردى من النفر بل فى الطليعة من النفر الذين جعلوا من هذه الشوارد المتباعدة قانونا خاصا بذاته يفسر علاقة الحاكم بالمحكومين فى ضوء الإسلام ويجعل من أحداث الصدر الأول أمثلته التطبيقية الواضحة ، وقد حذا حذوه من جاءوا عقبه أمثال الغزالى والرازى وابن تيمية فى كتاباتهم الخاصة بالسياسة الشرعية ، حتى اكتملت لدينا مكتبة رائعة فيما يعرف بالقانون الدستورى يطيب لنا أن نفاخر بها من يقباهون بدراسة النظم السياسية فى أوروبا المعاصرة ليقدروا مكان السابقين .

وقد تعرض أستاذنا الكبير أحمد أمين رحمه الله إلى الحديث عن كتاب « قانون الوزارة » للماوردى فأثنى على أبى الحسن بما هو أهله ثم تطرق إلى موازنة غير عادلة بين الماوردى وما كتبه أرباب القانون الدستورى فى أوربا ، فقال بالعدد ٣٦١ من مجلة الثقافة :

« من عادة العقل الغربى الميل إلى التحليل ، فلو كتب فى موضوع حلله حتى يستقصيه ، يظهر ذلك جليا فى تأليفه وأدبه فى المقالات والروايات ونحوها ، ومن عادة العقل الشرقى الميل إلى التركيب وخاصة فى العصور الوسطى قبل أن ينهج النهج الغربى فى العصور الحديثة فهو أميل إلى الكليات وأميل فى الأدب إلى الأمثال والحكم ، فلو كتب كاتب غربى فى قوانين الوزارة لذكر المبادىء العامة وحللها ، وأبان تفاصيلها وطبقها على المعروف منها فى زمانه ، أما الماوردى فقد ذكر بعض هذه المبادى ولكنه لا يلبث أن يلجأ إلى الحكم والأمثال والشواهد الأدبية من

غير أن يتعرض لتفاصيل الموضـــوع والاستشهاد بأحداث الزمان » .

وهـذه موازنة غير عادلة كما ذكرنا ، لأن الكاتب الكبير يوازن بين كتابة القرن الخامس الهجرى وكتابة القرنين الثالث عشر والرابع عشر دون اعتبار لفارق الزمان الطويل ، ولتقدير ما تمخضت عنه السنوات المتتابعة من تجديد المنحى وعمق المتناول ، وبماذا يرد الأستاذ حين نذكر له أن الزمن الذى أشبع فيه الماوردى الحديث عن أصول هـــذه النظريات السياسية كان لا يجد أوربيا واحدا يبدع الحديث فى هذا الاتجاه ، ثم إن الحكم الشامل على العقلية الشرقية بالميل إلى التركيب دون التحليل يظلم أمثال أبى حيان التوحيدى وابن طفيل والغزالى وإخوان الصفا وابن حزم وغيرهم من أعلام الكتابة التحليلية ظلما لا يقبله الأستاذ أحمد أمين ، فإذا أضيف إلى ذلك أن كتاب (قانون الوزارة) قد كتبه الماوردى لوزير معين يؤثر الاستماع إلى نصائحه فاقتضاه نوعا من اليسر المتساهل فى السرد ، علمنا أن الحكم على منهج الماوردى العام بما سطره فى قانون الوزارة ذو حيف شديد .

وقد نشر الأستاذ (محمد كرد على) ترجمة موجزة لأبى الحسن بالعدد ٧٧٩ من مجلة الرسالة ص ٦٤٤ مجلد سنة ١٩٤٨ تحت عنوان : « من مغمورى العلماء » ، وهو ما عجبت له أكثر العجب لأن الماوردى لم يكن مغمورا فى حياته أو بعد مماته إذ كان فى حياته أول من لقب « بأقضى القضاة » ، وهو لقب لا يستحقه غير صاحب مقام خطير فى الناس ، وقد ذكر مترجموه أنه سفر للخليفة فى مسائل سياسية هامة تكللت بالنجاح ، ومثل هـذا السفير المرموق بين الخليفة وخصومه لن يكون مغمورا ، كما كان موضع احتفاء أولى الأمر من رجال الدولة البويهية فى بغداد وهم وحدهم ذوو النفوذ السياسى الذى يخضع له أمير المؤمنين ويخشاه ! فكيف يكون مغمورا ؟ كما حفظت كتب التراجم تاريخه بعد وفاته ؛ فتحدث عنه ياقوت وابن خلكان والسبكى والخطيب البغدادى وتناقلت آراؤه فى غضون المؤلفات التالية لكبار الباحثين من بعده ما بين مؤيد ومعارض ؟ هل يريد الأستاذ (محمد كرد على) أنه لم ينل من الذيوع والسيرورة لدى العامة ما يستحق ؟ ولكن

الحكم هنا للصفوة من الباحثين وهو عندهم شهير غير نكير .

على أن شيئا عجيبا قد تكرر حدوثه لبعض مؤلفات هذا العملاق ، إذ سطا عليها مؤلفون جرءاء فعزوها لأنفسهم عزوا فاضحا كان موضع الدهشة لمكتشفيه ونحن نعلم أن طريقة التأليف فى العصور السابقة كانت تجيز للاحق أن ينقل من السابق الكثير وأن يلخص وأن يحتذى كما يشاء ، ولكنه بالغا ما بلغ من الجرأة لم يكن ليسطو فينقل الأبواب والفصول دون وجل ! وهذا ما نعلمه الآن عن ثلاثة مؤلفات للماوردى سطا عليها الساطون دون تريث ، وفى الحديث عنها عبرة لمن يعتبر .

وسنبدأ بالكلام عن الأحكام السلطانية فنذكر أن السخاوى نقل عن الحافظ ابن حجر قوله :

« فصل فيمن أخذ تصنيف غيره فادعاه لنفسه ، وزاد فيه قليلا ونقص منه ، ولكن أكثره مذكور بلفظ الأصل ! البحر للرويانى أخذه من الحاوى للماوردى والأحكام السلطانية لأبى يعلى أخذها من كتاب الماوردى لكن بناها على مذهب أحمد، وكتابا الماوردى وأبى يعلى مطبوعان متداولان ، فمن حقنا أن ننظر لهذا الاتهام فى ضوء الوثائق الصحيحة دون اعتساف ، ومن الإنصاف أن نذكر أن كاتبا بغداديا هو الأستاذ (أحمد عبد الباقى) قد تصدى لتحقيق هذا الأمر بالعدد ٣١٩ من مجلة الثقافة المصرية فكشف عما نوجزه فى هذه النقاط :

١ — تقارب عبارة الكاتبين واتفاقهما نصا فى غير النذر اليسير مما يختص بمذهبى المؤلفين وهو ما أشار إليه العلامة ابن حجر بإيجاز .

٢ — كان الرجلان متعاصرين وقد توفى الماوردى سنة ٤٥٠ وتوفى أبو يعلى سنة ٤٥٨ ولكل منهما منزلته إلا أن حديث الماوردى أذيع ومكانته أجهر .

٣ — لم يشر أحد من مترجمى أبى يعلى إلى كتابه الأحكام السلطانية غير ابنه فقط أما مترجمو الماوردى فقد أجمعوا على تأليفه كتاب الأحكام .

٤ — يحتمل أن أبا يعلى رأى أن الأحكام للماوردى أفضل مؤلف فى بابه فاعتمد عليه وأخذ يمليه على طلبته بحذف وإضافة يسيرين ، فنقله الطلبة عنه معزوا إليه .

وقد قرأت الكتابين كما قرأهما الأستاذ أحمد عبد الباقى واقتنعت بما ذكره فى غير النقطة الرابعة ، إذ لا يعقل أن يغفل أبو يعلى اسم مؤلف قام بتدريس كتابه عدة سنوات عن غير قصد متعمد ، ولسنا ممن يولعون بتنقص الفضلاء ، ولكن الحق حق .

هذا عن كتاب الأحكام السلطانية ، أما الكتاب الثانى : فمؤلف « فى الحسبة » سطا عليه عالم محدث من رجال العصر المملوكى هو محمد بن محمد بن زيد القرشى المعروف بابن الأخوة ت ٧٢٩ هـ فأخرجه تحت عنوان « معالم القربة فى أحكام الحسبة » وطبعته لجنة جب الإنجليزية ١٩٣٧ بتحقيق الأستاذ (روبن ليوى) أحد الأساتذة بجامعة كمبردج ، وقد قال المحقق : إنه أوسع كتاب فى موضوعه وأنه يلحظ تشابها كبيرا فى فصول كثيرة من كتاب ابن الأخوة تتفق مع كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لابن البسام ، وكتاب الرتبة فى طلب الحسبة للشيرازى ، ثم يتساءل هل اعتمدت الكتب الثلاثة على مصدر واحـــد أم أن ابن الأخوة بنى كتابه على إحداها ، وهو تساؤل لم يستطع المحقق الإنجليزى الجواب عنه ؟ إنما استطاع الباحث العربى الأستاذ أحمد سامح الخالدى رحمه الله أن يقول فيه القول الفصل حين أعلن بالعدد السابع من مجلة الثقافة سنة ١٩٣٩ أن الكتاب مأخوذ - باستثناء الصفحة الأولى من الكتاب والصفحتين الأخيرتين منه كذلك - من كتاب الأحكام ، فى الحسبة الشريفة للماوردى وهو مخطوط بالمكتبة الخالدية التى يملكها الأستاذ ، كما أثبت الأستاذ الخالدى أن النسخة المخطوطة لديه يوجد عليها ما يفيد انتشارها فى عصر ابن الأخوة وكان الماوردى قد استعان فى كتاب الحسبة بفصل نشره فى الأحكام السلطانية فجاء ابن الأخوة ونقل الفصل حرفا حرفا مما يقطع بالسطو المتعمد .

أما الكتاب الثالث : فقد سطا عليه الرويانى الفقيه كما ذكر السخاوى نقلا عن الحافظ بن حجر والمعروف أن الحاوى يقع فى عشرين مجلدا ، وقد قال ابن خلكان عنه : « إنه لم يطالعه أحد إلا شهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب ، وقد اختصره المؤلف فى كتاب أسماه الإقناع كما ذكر ياقوت ، وكان لأبى الحسن فيه اجتهاد

غير قليل حتى صاح به بعض المقلدة من الشافعية أن يتبع ولا يبتدع فأجابه أن يجتهد ولا يقلد؟ فهل نقل الروياني كتاب الرجل بقضه وقضيضه ما اجتهد فيه وما تابع؟ أم اكتفى بنقل الاتباع دون الابتداع؟ ذلك سؤال لا يقدر على الإجابة عليه إلا من قرأ الكتابين، وأين هما؟ إن كتاب الماوردى لا يزال مشتت الأجزاء فى مكاتب العربية بين آلاف المخطوطات حيث ينتظر من ينشط إلى جمعه وتحقيقه، أما كتاب الروياني فمفقود!

إذا كان الماوردى لم يسترح ممن سطوا على مؤلفاته، ونحلوها أنفسهم دون تورع فإنه لم يسترح ممن تلمسوا له الهفوات، وقعدوا له كل مرصد كابن الصلاح الفقيه المتشدد الشهير؛ إذ نقل عنه السبكى فى الجزء الثالث من طبقات الشافعية ما نصه قال ابن الصلاح: «هذا الماوردى عفا الله عنه يتهم بالاعتزال، وقد كنت لا أتحقق ذلك عليه وأتأول له وأعتذر عنه فى كونه يورد فى تفسيره فى الآيات التى يختلف فيها أهل التفسير، تفسير أهل السنة وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيان ما هو الحق منها.

وأقول لعل قصده إيراد ما قيل من حق وباطل، ولهذا يورد من أقوال المشبهة أشياء مثل هذا الإيراد حتى وجدته يختار فى بعض المواضع قول المعتزلة وما بنوه على أصولهم الفاسدة، وتفسيره عظيم الضرر لكونه مشحونا بتأويلات أهل الباطل تلبيسا وتدسيسا على وجه لا يفطن له غير أهل العلم والتحقيق، مع أنه تأليف رجل لا يتظاهر بالانتساب إلى المعتزلة بل يجتهد فى كتمان موافقتهم فيما هو لهم فيه موافق».

وإذا كان الأخذ ببعض آراء المعتزلة اتهاما خطيرا فى عصر ابن الصلاح فما نظننا اليوم فى حاجة إلى التمسك به بعد أن نخلت المذاهب الإسلامية نخلا، وبعد أن عرفت سير المتحررين والمتشددين من الرجال وما كان مثل الماوردى ممن يتعبد بآراء قوم دون قوم، إنه مفكر حر يأخذ ويدع من كل ما يشاء وفق ما يتجلى لمنطقه من الاتجاه، وقد اضطر ابن السبكى فى الطبقات إلى أن يدفع اتهام ابن الصلاح بقوله: «ثم هو ليس معتزليا مطلقا فإنه لا يوافقهم فى جميع أصولهم مثل خلق القرآن كما دل عليه تفسيره فى قول الله

(البقية ص ٥٥٣)

القراءات في نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

— ١٣ —

(١١) قول الله تبارك وتعالى :

« أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون » [الآية ١٢ من سورة يوسف]

اختلف القراء العشرة في كلمتي : « يرتع ويلعب » ، فقرأ بعضهم بالياء في الكلمتين وقرأ بعضهم بالنون فيهما ، والكلمة التي أعارها « جولدزيهر » اهتماما كلمة « ويلعب » فذكر أن قراءتها بالياء أكثر ألفة لدى القراء ، ثم استدل على ذلك بأن القراءة الأساسية في نص الزمخشري والبيضاوي هي قراءة « ونلعب » بالنون ، ثم حكم على هذه القراءة بأنها القراءة الأصلية ، واستند في حكمه إلى الآية (١٧) من نفس السورة ، وهي : « قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق ... » حيث لم تقرأ كلمة « نستبق » إلا بالنون بإجماع القراء ، ثم استدرك على ذلك بقوله : « بيد أن هناك سبباً وجيهاً في اطراح هذه القراءة ، فإن الطبري الذي ذكر في تفسيره أن قراءة « ونلعب » بالنون هي قراءة بعض البصريين خلافا للكوفيين ، وأنها أيضاً قراءة أبي عمرو - احتفظ لنا في نفس الوقت بهذا الخبر المدرسي - قيل لأبي عمرو : كيف يقولون : « نلعب » وهم أنبياء ؟ قيل : لم يكونوا يومئذ أنبياء ، فاطراح القراءة البصرية التي جعلها ثقات ذوو مكانة في علوم القرآن كالزمخشري وغيره أساساً لتفسيرهم صدر إذاً عن باعث التعظيم لأولاد الأنبياء الذين قدر لهم أن يصيروا أنبياء ، واللعب الذي تظاهروا بأنهم يريدون مزاولته لا يتفق مع ماقدر لهم من رفيع المقام ، ولا يمكن أن يظن بالقرآن نسبة هذا الميل إليهم ، ولم يلق من قال بهذا التصويب بالاً لما جاء بالآية (١٧) » انتهى .

وخلاصة كلامه أن قراءة « ونلعب » بالنون هي القراءة الأساسية عند الزمخشري والبيضاوي ؛ لأن كلا منهما بدأ بها في تفسير الآية ، وبعد أن فسرها على هذه القراءة قال : « وقرىء « يرتع ويلعب »

بالياء فيهما ، فدل ذلك على أن القراءة الأساسية عندهما بالنون ، وهى - القراءة بالنون - القراءة الأصلية فى نظره ؛ لأنها متناسبة متناسقة مع الآية (١٧) «نستبق» التى لم تقرأ إلا بالنون، ولكن على الرغم من أن قراءة النون هى القراءة الأساسية عند الزمخشرى والبيضاوى ، والقراءة الأصلية فى نظره ، فإن هناك ما يقتضى إهمالها ، والتغاضى عنها ، ذلك أن إسناد اللعب إلى إخوة يوسف يتنافى مع ماقدر لهم من أعلى منصب وأرفع مقام ، هو منصب النبوة ، ومقام الرسالة ، ولا يمكن أن يظن بالقرآن أنه يسند الميل إلى اللهو واللعب إلى أولاد الأنبياء الذين هيئوا للنبوة ، وأعدوا للرسالة ، فحينئذ يكون الصواب فى قراءة هذه الكلمة «ونلعب» بالياء ، وإن كانت قراءتها بالياء لا تتسق مع «نستبق» هذا محصل كلامه .

وردا عليه أقول :

١ — إذا كان بدء تفسير الآية على قراءة يدل على أن هذه القراءة هى القراءة الأساسية فى نظر المفسر كما صنع الزمخشرى والبيضاوى ، فإن كثيرا من أئمة التفسير قد بدءوا تفسير الآية «يرتع ويلعب» بالياء ، وناهيك بشيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبرى ، وبالعلامة القرطبى ، والعلامة الألوسى ، وغيرهم من أعيان المفسرين ؛ إذاً كلتا القراءتين أساسية .

٢ — تناسب قراءة النون وتناسقها مع «نستبق» لا يقتضى أصالة هذه القراءة بل قصاراه أنه يقتضى ترجيحها على قراءة الياء ، ولئن سلمنا أن هذا التناسق سبب يقتضى أصالتها فإن هناك سببا أقوى يقتضى أصالة قراءة الياء ، وهو ما قاله إمام المفسرين ابن جرير الطبرى : «وأولى القراءتين عندى بالصواب قراءة من قرأ الحرفين كليهما بالياء ، لأن القوم إنما سألوا أباهم إرسال يوسف معهم ، وخدعوه عما ليوسف فى إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هناك ، لا بالخبر عن أنفسهم » انتهى فالمقصود من الكلام تبرير خروج يوسف واصطحابه معهم ، ببيان مايترتب على خروجه من مصلحته الشخصية ، من تمتعه بما تشتهيه نفسه ، وتلذذه بالفواكه اليانعة ، والثمار الجنية ، والهــواء الطلق كما يشاء فى خصب وسعة ، واغتباط ومسرة ، فإذا

كان التناسق سببا يقتضى أصالة قراءة النون فما ذكرنا سبب أقوى يقتضى أصالة قراءة الياء ؛ على أننا قد بينا فى الأبحاث السابقة أنه ليس فى القراءات مطلقا قراءة أصلية ، وأخرى فرعية ، بل القراءة إن ثبتت بطريق التواتر ، أو بطريق الآحاد واشتهرت بين القراء وقوبلت منهم بالقبول قبلت ، واعتبرت قرآنا وإلا ردت ورفضت .

٣ — يزعم « جولد زيهر » أن قراءة : « ونلعب» بالنون - وإن كانت هى القراءة الأساسية فى نظر العلماء الثقات ذوى المكانة فى علوم القرآن كالزمخشرى ، وهى القراءة الأصلية عنده - قد اطرحت ، وأهملت وتغوضى عنها . والباعث على إهمالها ، والتغاضى عنها ، أن فيها إسناد اللعب الى أخوة يوسف ، وهو يتنافى مع تعظيم أولاد الأنبياء الذين قدر لهم أن يصيروا أنبياء ، ولا يمكن أن ينسب إليهم القرآن الميل إلى اللعب المنافى لرفيع مقامهم ، وسامى مكانتهم .

ياسبحان الله ! ! ! إن القرآن الذى لا يمكن أن ينسب اللعب - فى نظر جولد زيهر - إلى إخوة يوسف قد نسب إليهم أشنع الجرائم ، وأبشع الجرائر .

اقرأ - إن شئت - ما حكاه الله عنهم من قولهم : « إن أبانا لفى ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين . قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين » .

فأنت ترى فى هذه الآيات أن القرآن قد نسب إليهم الغيرة والحسد ليوسف وأخيه ، ونسب إليهم رمى أبيهم - وهو أب ونبى ورسول - بالضلال المبين ، ونسب إليهم التآمر على قتل يوسف ، نسب إليهم هذه الجريمة النكراء ، قتل غلام برىء ، لا ذنب له إلا أن أباه شغف به حبا ، وليس الغلام أجنبياً عنهم ، إنما هو أخوهم ، وهم جميعاً أبناء رجل واحد ، والقتل أكبر الكبائر بعد الشرك بالله تعالى ، نسب إليهم القرآن التآمر على قتل يوسف ، أو طرحه فى الفلاة تتقاسمه ضوارى الوحوش ، وهو أخو القتل ، وكان أرقهم شعوراً من اقترح أن يلقوه فى غيابت الجب

يلتقطه بعض السيارة ، بعداً عن جريمة القتل ، نسب القرآن إليهم إعمال الحيلة ، والمكر ، والدهاء ، والمخادعة ، والتصنع ، نسب إليهم الكذب فى أحط صوره ، وأقبح مظاهره ، استمع إلى القرآن يندد عليهم بذلك كله :

« وجاءوا أباهم عشاء يبكون . قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب » .

ألقوا إلى أبيهم هذا الخبر « فأكله الذئب » ، إن هؤلاء لم يرحموا شيخوخة أبيهم يعقوب ، وتخطوا حدود الاتزان والحكمة ، وقطعوا حبال الإنسانية والرحمة ، وقتلوا معانى الأخوة والمحبة ، فإذا كان القرآن الكريم قد سجل عليهم هذه السلسلة من المثالب والمآسى : من حقد وحسد ، إلى تآمر على القتل أو ماهو بسبيل إليه ، إلى مكر ودهاء ومخادعة ، إلى تمويه وتضليل ، إلى افتيات وكذب ، إلى قطع لوشائج القربى وأواصر الرحم ، إلى قطع لروح التراحم والتعاطف ، إلى تباعد عن معانى الإنسانية كلها ...

إذا كان القرآن وقد سجل عليهم هذا كله ، أفلا يستطيع أن ينسب إليهم الميل إلى اللعب ؟ إن هذا لشىء عجاب .

على أن العلماء الذين يصفهم « جولد زيهر » بالثقة والتثبت فى علوم القرآن - وهم كذلك فى الواقع - كالزمخشرى ، والبيضاوى ، وسواهما قد فسروا اللعب فى الآية بالاستباق ، والانتضال ، ونحوهما مما يتدرب به على لقاء الأعداء ، بدليل قولهم : « إنا ذهبنا نستبق » وليس المراد به لعب اللهو ، وإلا لم يقرهم يعقوب عليه ، وسموه لعبا ، لأنه على صورته ، وجمهور العلماء على أنهم لم يصيروا بعد أنبياء ، وكونهم أولاد نبى لا يمنعهم من ارتكاب ما سجله القرآن عليهم ، وحسبنا دليلا على ذلك ابن نوح عليه السلام .

والحاصل أن كلتا القراءتين متواترة ، وليست إحداهما أساسية والأخرى غير أساسية ، وليست إحداهما أصلية ، والأخرى فرعية ، ولكل منهما معنى يلائم سياق الآيات وسباقها .

والله تعالى أعلم ؟

عبد الفتاح القاضى

طبيعة الحيـاة ووظيفة الإيمان

للأستاذ معوض ابراهيم

حياة الحى منذ كان الناس نسيج من الأفراح والأتراح، ومزيج من الأكدار والمسار ، وهى فى حقيقة أمرها آمال وآلام ، يتراوح بينهما الأقـــوام ، ولا ينفكون عن ذلك أبدا ، إلا أن يمتحن المرء فى عقله ، ويسلبه الله أغلى مواهبه بعـد الإيمان بالله ، تلك اللطيفة الربانية التى تعصم الإنسان من الشرور فى أودية الهوى ، كما يمسك العقال الناقة ، وكما يحكم السيارة دولاب القيادة فلا ينطلقان على غير إرادة صاحبهما، وإذا كنا نميز بالعقل بين ما ينفع وما يضر، وندرك فرق ما بين الخير والشر ، فإن فاقد الإدراك السليم يرى الأمور على غـير وجهها الصحيح ، وقد يبكى حين تغمر الناس نعم الله، وقد يضحك عندما يمسهم مكروه أو تفدحهم شدة ، تلك حياة الحى لا ريب ..

طبعت على كدر ، وأنت تريدها
صفوا من الآلام والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى المـاء جـذوة نار !!

ولقد قرأ أحد أوائلنا قول الله تعالى: « لقد خلقنا الإنسان فى كبد »(١) فقال :

« لم يخلق الله خلقا يـكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف المخلوقات»(٢)

وهو إجمـال فصله عالم آخر لم يذكر ما كنا فيه من ظلمات ثلاث فى بطـون الأمهات حتى قدمنا إلى فسحة الدنيا، فقال:

« أول ما يكابد الإنسان قطع سرته ، ثم إذا قمط قماطا ، وشد رباطا ، يـكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ، ولو تركه لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه ، ثم يكابد الفطام الذى هو أشـد من اللطام ، ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد المعلم وصولته ، والمؤدب وسياسته ، والأستاذ وهيبته ، ثم يكابد التزويج ، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد ، ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ، ثم الكبر والهرم، وضعف

(١) البلد : ٤ .

(٢) تفسير القرطبي .

الركبة والقدم، فى مصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول إيرادها ، من صداع الرأس ووجع الأضراس ، ورمد العين وغم الدين ، وألم السن ، وتعب الأذن ، ويكابد محنا فى المال والنفس ، ولا يمضى يوم إلا ويقاسى فيه شدة ويكابد مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم مساءلة الملك وضغطة القبر وظلمته ، ثم البعث والعرض على الله إلى أن يستقر به القرار ، إما فى الجنة وإما فى النار [1] » .

والإمام وإن أغفل الومضات الوضيئة فى حياتنا ، وأسدل الستار على اللحظات التى ربح فيها التاجر ، ونجح فيها الطالب ، وقارب فيها الكمال العامل ، وأدرك فيها بعض الآمال أقوام وأقوام ، فإنه لم يذكر أشق المشاق ، والصعاب التى تكاد تذيب القلوب لولا الإيمان واليقين بأن « لله فى كل طرفة عين مائة ألف فرج قريب » .

ومن هذه المشاق تحكم الظالمين ، وسلطان الدون ، وجوار من لا يعطفهم إلى الحق مروءة ولا دين ، ورحم الله الإمام ابن القيم الجوزية إذ يقول . . وبحق : « إن لقاء من لا تألف هو حمى الأرواح » ، وهو الغربة والضياع اللذان ألمح إليهما القائل :

وما غربة الإنسان فى البعد والنوى
ولكنها فى قرب من ليس من شكلى
وإنى غريب بين « بست » وأهلها
وإن كان فيها منزلى وبها أهلى

لقد عرف الحياة الأنبياء والمرسلون والعلماء والمصلحون ، كما خلقها الله ، يسرا يطارد عسرا ، وشدة تقوم على أنقاض فرج ، وسعة تعفى على آثار ضيق وواجهوا جميعا صفوها وكدرها وذاقوا حلوها ومرها ، وقال الصادق المصدوق صلوات الله عليه :

« لو كان العسر فى كوة لأرسل الله إليه يسران فأخرجاه » .

والنبى يستملى ذلك من قول الله تعالى إليه : « ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذى أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك . فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا » [1] .

والعربى القديم يقول : « غمرات ثم تنجلين » . . ومن أصدق ممن خلق الحياة

(١) تفسير القرطبى .

(١) الانشراح : ١ - ٦

وكشف النقاب عن طبيعتها ، وضرب فى ذلك الأمثال فقال :

« إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون »[1] .

وحياة أكرم الخلق على الله محمد صلوات الله عليه مثال باهر ، لصراع الرغائب والمصاعب ، وتعاقب ما يفرح وما يفزع ، فقد قدم إلى الحياة يتيما ، واسترضع بعيدا عن أهله فى قبيلة بنى سعد ولم يستتم طفولته فى أحضان أمه آمنة بنت وهب ، فقد فارقت الحياة وهو فى السادسة من عمره ، وتضاعف اليتم على النبى ، لتتم عليه منة مولاه فى سورة الضحى « ألم يجدك يتيما فآوى » فكان يجد فى كل قلب حبا ، ويصادف أينما اتجه حنانا وحدبا ، فلما اصطفاه مولاه وأرسله رحمة للعالمين ، كذبه الذين عرفوه

(١) يونس : ٢٤.

منذ نعومة أظفاره وشرخ شبابه العيوف عما يريب ، الصادق الأمين ، وكان أعنفهم به أقرب الأقربين له ، واحتمل صلوات الله عليه الأذى فى نفسه ، وكان يناجى ربه فى أعصف المواقف فيقول : « إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى » .

ولقد عزاه الله من أذى يتضاعف ويتصل فقال :

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل »[1] .

وقال : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين »[2] .

وامتحن صلوات الله عليه فى خديجة أوفى زوج وأبر عشير ، واحتسب بناته فى حياته ، إلا فاطمة التى نسأ الله فى عمرها إلى شهور بعد أن آثر النبى الرفيق الأعلى واستأثرت رحمة الله بأبنائه ووسدهم الثرى بيديه أرغب ما يكون فى بقاء واحد منهم حتى لا تتضاعف شماتة قريش بموتهم

(١) الأحقاف : ٣٥ .

(٢) الأنعام : ٣٤ .

ولا يقولوا ماردده الله عليهم فقال: « إن شانئك هو الأبتر »[1].

فلما مات إبراهيم، جرعه موته أشد الهموم، وقال كلماته الخوالد:

(..وإنا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون وإنا لله وإنا إليه راجعون).

ومر بجبل أحد فى هذه الأيام الحزينة: فقال: « يا أحد والله إنى لأحمل من الهم ما لا تحمل » وما نستقصى هموم النبى صلوات الله عليه فهى شجون ولكننا نعرض بعضها عظة وبلاغا للذين يجهلون طبيعة الحياة، ويريدها كل منا على هواه لا كما خلقها الله ..

روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: « أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده، فتشاءم بالإسلام، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: أقلنى، فقال صلوات الله عليه: إن الإسلام لا يقال، فقال الرجل: إنى لم أصب فى دينى هذا خيرا، ذهب بصرى ومالى وولدى .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم:

« يا يهودى إن الإســلام يسبك الرجال كما يسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة ».

وأنزل الله تعالى قوله: « ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين »[1].

والحرف فى الآية بمعنى السراء والضراء إن اليهود، والذين يعيشون بعقليتهم يريدون الحياة صفقة رابحة دائما وما كانت كذلك يوما ولن تكون، فهى تجارة فيها ربح وخسارة، وما تزال هموم الناس فيها على قدر هممهم، والمعصوم صلوات الله عليه يقول « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل ».

وإذا كان الشاعر يقول:

..... فالسيل حرب للمكان العالى ..

فما أصدق القائل:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

فإنسان يزعجه استفحال دائه، وآخر يؤرقه تعذر شفائه، وذلك يضنيه تخلف بلده، وهذا يفتن فى أهله وولده، وذلك

---

(١) الكوثر: ٣.

(١) الحج: ١١

يشعر بالوحشة وهو بين جلاسه، وذاك يحس بالغربة وهو بين صحبه وناسه وهذا يسوءه أن الباطل يستعلى باجتماع أقوام عليه وأن الحق يستخذى ويهون — إلى حين ـ لأن أهله يخالفون عن أمره ولكن الهموم كالسرور لا تدوم :

قل لمن يحمل هما .·. إن هما لا يدوم
مثلما تفنى المسرات .·. كذا تفنى الهموم

وقديما قرأت قصة رمزية فيها ذكرى للذاكرين، مؤداها أن أهل قرية من القرى شكوا إلى أحد عقلائهم ما يستبد بهم من شدائد، فدعاهم إلى أن يخرجوا جميعا في يوم حدده، إلى واد مبارك قريب في قريتهم، فلما خرجوا معه إلى ذلك الوادى، دعاهم أن ينزع كل إنسان همه، ويلقيه فى أرض الوادى واستجابوا له وتجمعت من الهموم كومة ذات أوزان وحجوم، ثم أمر كل أمرىء أن يختار من هذه الكومة هما جديداً، فلا بد للحى من هم وطال تفرسهم فيما اجتمع بين أيديهم من شواغل الآخرين ومشكلاتهم ومتاعبهم، وكان عجبا : فلقد عاد كل واحد بهمه الذى طالما ضاق به ذرعه، عاد به سعيداً راضيا حين وجده أخف الهموم !! وهكذا تصدق الحكمة القائلة :

« لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع ».

.. لا يخلو إنسان، من كان وأين كان، من هم. والإيمان بالله، واليقين فى رحمته بعباده والاعتصام بالصبر، الذى أعلى قدره، وأعظم أجره، وذكره فى كتابه نيفاً وسبعين مرة وقال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »(١).

هى التى تضاعف من إلف الحياة، وتخفف من وقع الشدائد، وتلطف من لذع الخطوب، وتورث المؤمن الرضى بالله، والأنس بما قدره سبحانه وقضاه، والاطمئنان إلى أن لله فى كل شديدة نعمة :

كم نعمة لا يستقل بشكرها
لله فى طى المكاره كامنة !!

قال الرياش : ما اعترانى هم وأنشدت قول أبى العتاهية :

هى الأيام والغير
وأمر الله ينتظر
أتيأس أن ترى فرجا
فأين الله والقدر ؟!

إلا سرى عنى، وتنسمت ريح الفرج !

(١) الزمر : ١٠ .

.. ولقد لاذ المؤمنون بحمى الله من هموم تعاظمت ، ودافعوها جهدهم بما شرع الله من وسائل وبما وضع من أسباب ، فوجدوا الله أقرب إليهم من حبل الوريد ، وأحنى عليهم من أنفسهم . أليس الله تعالى يقول : « إن الله بالناس لرءوف رحيم » [1] . ويقول : « وكان بالمؤمنين رحيما » [2] .

.. قال تعالى : « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين . وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين . وأدخلناهم فى رحمتنا إنهم من الصالحين . وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين . وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » [1] .

.. وكان الصالحون يجدون فى شدائدهم من يربط الله بهم على قلوبهم ، وكذلك يجدون إلى آخر الزمان ، قال تعالى : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » [2] .

وقال : « إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » [3] .

قال أبو العيناء : كان لى خصوم ظلمة ، فشكوت إلى أحمد بن أبى دؤاد . فقلت : إن القوم قد تضافروا على وصاروا يداً على . فقال : « يد الله فوق أيديهم » [4] .

فقلت : إنهم كثيرون وأنا واحد . فقال : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » [5] . أهل يخلو من الهم مؤمن ؟ قال تعالى : « ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » [6] . والشدائد التى تأخذ

(١) البقرة : ١٤٣ (٢) الأحزاب : ٤٣

(١) الأنبياء : ٨٣-٩٠ (٢) النحل : ١٢٨
(٣) الأعراف : ١٩٦ (٤) الفتح : ١٠
(٥) البقرة : ٢٤٩ (٦) العنكبوت : ١-٣

المؤمنين فى شتى جهاتهم تردهم إلى الله وتفتح أبصارهم على سواء السبيل . . وهى تمحصهم وتكفر ذنوبهم حتى يلقوا الله وليس عليهم شاهد مذنب ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يصيب المؤمن من نصب ولا هم حتى الشوكة يشاكها إلا كان هذا كفارة له » .

ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه يلقى الشدة فيقول : (اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه) ويقول : (إنى لأن أكون فى شدة أتوقع بعدها رخاء أحب إلى من أن أكون فى رخاء أتوقع بعده شدة) .

وعلى المؤمنين أن يؤدوا واجبهم للدين والدنيا فى إخاء واثق وتواد صادق وفهم صحيح لطبيعة الحياة لا يبهرهم معه إيغالها ولا يقهرهم أوبارها وليقولوا بإيمـان مع الشاعر :

ولرب نازلة يضيق بهـا الفتى
ذرعاً وعند الله منهـا المخـــرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت
وكنت أظنها لا تفرج

والمؤمن يجد نفسه بحق أمام وظيفة الإيمـان ، أنفس ما أعطى الله عباده . يقول رسـول الله صلوات الله عليه : (إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولكنه لا يعطى الإيمان إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الإيمان فقد أحبه).

وما أجل حب الله يتبلور فى وضوح وظيفة الإيمـان بالرضى عن الله على كل حال شاكرا أنعمه ، صابرا على ابتلائه كما يقول صلوات الله عليه :

« عجبا لأمر المؤمن إن أمره كلـه له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان ذلك خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان ذلك خيرا له » . . وفى رواية أخرى « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وحاجة الحياة ماسة إلى شعور المؤمن بدينه ، واستهداء هداياته ، ليربط الله بذلك على قلبه إلى كل مجال وعلى أى حال وهو يؤدى واجب الخلافة عن ربه فى عمارة أرضه ، وإصلاح كونه ، وحماية حقه ، واقتداء مقدساته ، حتى تطيب الحياة وتكون منطلقا إلى جميل العاقبة عند الله ، ونعم عقبى الدار ؟

معوض عوض إبراهيم

من المبادئ الفقهية التي سبق بها الإسلام

للأستاذ عبد العزيز عبد الرازق صبري

جاءت الشريعة الإسلامية السمحة بالمبادىء الجوهرية لإقرار العدالة والرحمة بين الناس . وهى من أحدث المبادىء التى عرفها علم العقاب حتى الآن ، ولم يخل منها دستور أو تشريع جنائى وضعى فى أية دولة من دول العالم كافة ، ومن هذه المبادىء :

« قاعـــدة أن لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص وعدم سريان النص الجنائى على الماضى » .

وهذه القاعدة واضحة جلية لا تحتاج فى تفسيرها إلى كبير عناء . فمؤداها فى شطرها الأول : أن لا يعاقب الإنسان على فعل ارتكبه إلا إذا وجد نص قانونى سابق على وقوع ذلك الفعل يجرمه ويعاقب عليه بعقوبة ما .

وفى شطرها الثانى : أن الأحكام الجنائية لا تسرى على الماضى وإنما يبدأ سريانها من تاريخ صدورها وعلم الناس بها ؛ لأن الأصل فى الأفعال الإباحة مالم يرد نص بالتحريم ، ومن ثم فإن أفعال المكلف لا تعتبر محرمة ما دام لم يرد نص بتحريمها . فمثلا من باع لآخر تمثالا من ذهب ثم صدر فى اليوم التالى قانون يحرم الاتجار بالماديات والتماثيل ويعاقب من يخالف ذلك بالحبس فإن هذا القانون لا يسرى على البائع فى هذه الحالة لأن فعله كان مباحا وقت البيع .

وهذه القاعدة هى من أهم المبادىء الجوهرية اللازمة لإقرار العدالة والطمأنينة بين الناس مما جعلها نبراسا تهتدى به القوانين الوضعية فى الوقت الحاضر ؛ ذلك أن مؤداها هو أن النص الجنائى الذى يجرم عملا أو سلوكا معينا ويعاقب عليه لا ينسحب أثره إلى الماضى بمعنى أنه لا يعاقب من ارتكب هذا العمل أو سلك ذلك السلوك قبل العمل بالنص المذكور وإلا فإننا نكون قد عاقبناه على أمر لم يكن محرما وقت ارتكابه . وفى

ذلك ما فيه من إحراج للعدالة وزعزعة للطمأنينة بين الناس. فلا يكاد أحد يقدم على عمل من الأعمال قد يكون صالحا للجماعة حتى يبادر بالإحجام عنه خشية أن يصدر قانون لاحق يجرمه؛ وبذلك يصاب نشاط الأفراد بنوع من الشلل من شأنه أن يعصف بمصالح الناس ويؤدى إلى انهيار المجتمع بأسره.

والشطر الأول من هذه القاعدة وهو الذى يقضى بأن لا عقوبة ولا جريمة إلا بنص، سنده هو القرآن الكريم. فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» آية ١٥ من سورة الإسراء - وقال تعالى أيضا: - «وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون» آية ٢٠٨ من سورة الشعراء. وقال كذلك جل وعلا: «وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون» - آية ٥٩ من سورة القصص.

ومدلول هذه الآيات الثلاث بطريق اللزوم العقلى، هو عدم سريان التشريع الجنائى على الماضى؛ لما يترتب على ذلك من توقيع العقاب على أفعال مباحة كان الإنسان فى حل من إتيانها قبل تحريمها، وقد كان العرب يحتسون الخمر ويتعاملون بالربا ويقتلون الصيد وهم حرم حتى نزلت نصوص القرآن الكريم بتحريم ذلك، ولم يعاقب أحد منهم على فعل ارتكبه من هذه الأفعال قبل نزول التحريم[1].

وأما سند الشطر الثانى من تلك القاعدة وهو الذى يقضى بعدم رجعية أثر القانون الجنائى، فهو القرآن الكريم أيضا لقوله تعالى فى سورة النساء: «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا». آية ٢٢ - وقوله جل وعلا أيضا فى الآية التالية: «وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف». فعند ما نزلت هاتان الآيتان الكريمتان أضحى نكاح زوجة الأب أو الجمع بين الأختين أمرا محرما بعد أن كان جائزا، وترتب على ذلك التفريق فى كل زواج من هذا القبيل

---

(١) انظر روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى الجزء الخامس عشر، ص ٣٦ وما بعدها.

دون أن يكون للنص أثر رجعى من الناحية الجنائية لقوله تعالى : « إلا ما قد سلف »[1] .

وقد وجدت هذه القاعدة بشطريها المتكاملين فى الشريعة الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرنا عند ماجاءت بها نصوص القرآن الكريم كما قدمنا، ولم تكن معروفة فى العصور القديمة؛ حيث كانت العقوبات تحكمية، وكان فى وسع القضاة أن يعاقبوا على أمور لا ينص عليها القانون ويطبقون عليها ما يرونه ملائما من العقوبات التى يختارونها من بين ما جرى به العرف أو قررته الأوامر، ثم جاء القانون الرومانى فى عهديه : الجمهورى والامبراطورى فحرم ذلك على القضاة .

وما لبثت القاعدة بعد ذلك أن وجدت طريقها إلى كثير من دساتير العالم فظهرت فى انجلترا فى وثيقة العهد الأعظم التى أصدرها الملك « جون » سنة ١٢١٥ م . حيث نص فى المادة ٣٩ منه على أنه : « لا يمكن إنزال عقاب ما بأى إنسان حر إلا بمحاكمة قانونية من أنداده وطبقاً لقانون البلاد » . ثم نقلها المهاجرون الانجليز إلى أمريكا الشمالية حيث سجلت فى إعلان حقوق الإنسان الصادر فى فيلادلفيا سنة ١٧٧٤م . ثم تلقفتها الثورة الفرنسية وضمنتها إعلان حقوق الإنسان الصادر فى سنة ١٧٨٩ م ثم أدخلتها فرنسا فى دستور ٢٤ يونية سنة ١٧٩٠ م ونص عليها فى المادة الرابعة من قانون نابليون الصادر سنة ١٨١٠ م . وبعد ذلك أخذت بها كافة دساتير العالم وقوانينه ، ومنها دستور الجمهورية الإيطالية الحديث الصادر فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٧ .

وهكذا يبدو من هذا الاستطراد المتقدم أن الشريعة الإسلامية التى هى من صنع الحكيم الخبير الذى أحاط بكل شىء علما كانت أسبق الشرائع إلى تقرير مبدأ : أن لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص وعدم رجعية أثر التشريع الجنائى ؟

د . عبد العزيز صبرى

(١) ويبدو من ذلك أن عدم رجعية أثر النص الجنائى أمر مقصور على النصوص الجنائية فقط وأنه يجوز فى غير المواد الجنائية أن ينسحب أثر النص على الماضى .

كيف كان عمر مفكراً اقتصادياً ؟

للأستاذ فاروق منصور

عندما نقول اليوم إن عمر بن الخطاب كان مفكرا اقتصادياً ، فإننا نعنى أنه كان له الفكر الاقتصادى المنظم ، والفهم الاقتصادى القائم على قواعد . كما كانت لديه القدرة على إحداث تنظيمات اقتصادية ، أو ممارسة تجارب اقتصادية فى الحياة العملية كإنسان ، وكحاكم مسئول عن دولة . وأنه على الرغم من اختلاف الظروف والعصر إلا أن ماقاله ، أو أشار به ، أو دعا إليه ، أو نفذه ، يدخل تحت ما نسميه اليوم بعلم الاقتصاد .. وأن الاقتصاد المعاصر مدين فى أمور كثيرة إلى عمر ، وأنه أخذ عنه فى مجالات متعددة وبدرجات متفاوتة وفقا للظروف والاحتياجات .

عقبات على الطريق :

وإذا كان الكثيرون قد حاولوا البرهنة على أن الاقتصاد الإسلامى قد سبق علم الاقتصاد المعاصر ، أو حاولوا البرهنة على وجود ما يمكن أن يسمى بالاقتصاد الإسلامى . فلقوا كثيراً من المعارضة ، أو الإغفال ، أو النقد ، فإن ذلك يرجع فى الحقيقة إلى أسباب منها :

١ — أن الفكر الاقتصادى الإسلامى لم يقدم للناس حتى الآن تقديماً متجمعاً وأن هذا الفكر ما زال مبعثراً فى كتب الفقه ، ويحتاج لجهد علمى كبير لتجميعه وتنسيقه ، كما أن مؤلفاته المفردة فى تراثنا لم تحقق تحقيقاً جيداً ولم تقدم للناس تقديماً إعلاميا منظما ، والدراسات الحديثة التى قدمها باحثون جامعيون فى هذا المجال لم يتح لها حتى الآن أن تنشر .

٢ — أن كثيراً من دارسى الفقه الإسلامى لم يتح لهم فى غالب الأمر دراسة علم الاقتصاد دراسة علمية تمكنهم من فهم هذا العلم وإدراك المعانى التى تستهدفها مصطلحاته ، لذلك فإن هؤلاء الدارسين عندما حاولوا أن يتحدثوا عما بين أيديهم من تراث فكرى لم يوفقوا ولم يحققوا ما كان مرجواً لهم ، أو مطلوباً منهم .

٣ — أن أغلب العقول الاقتصادية فى العالم العربى بلغت درجة لا بأس بها من الفهم لعلم الاقتصاد، ونجحت نجاحا نسبيا فى تطبيق العلم على الحياة ولكنها لم تنجح فى معرفة أوليات الفكر الإسلامى ومبادئه.

ولم تحاول حتى الآن الاتصال بالمراجع الإسلامية الأساسية التى تقدم الصورة المتكاملة للاقتصاد الإسلامى ومجالاته ومقولاته اللهم إلا القليل منهم وتحت ظروف خاصة.

عندما عجز القادرون؟

وإذا كان هؤلاء الرجال وهم عقليات علمية قد نجحوا فى فهم الاقتصاد المعاصر وطبقوه فى حياتنا، فإنهم - وهذا أمر يحسب عليهم - قد قصروا فى فهم الاقتصاد الإسلامى أو أقاموا بينه وبينهم أسواراً تعزلهم عنه، وتحول بينهم وبين الإفادة منه بصورة فعالة ومؤثرة.

والأسباب التى دفعتهم لهذا الموقف كثيرة: بعضها مفروض عليهم، وبعضها الآخر صنعوه هم بأنفسهم، وربما ساعدوا على استمراره بدلا من أن يعملوا على وقفه ووضع الحلول العملية التى تجنبهم وتجنب الآخرين مثل هذا الخطأ.

٤ — أن بعض الذين كتبوا فى الفكر الاقتصادى الإسلامى كانوا كحاطب ليل لم يحسنوا اختيار ما يقدمونه، ولم يتعبوا أنفسهم فى عمليات البحث العلمى الجاد، فقالوا قولا غامضاً أثار الحيرة أحيانا وقالوا أحياناً قولا ساذجاً أثار السخرية فأعرض الناس عنهم، بل ربما أعرض بعضهم عن الفكر الإسلامى كلية، إذ اعتقد - وهو معذور - أن الفكر الإسلامى، هو هذه الأقوال الساذجة أو الغامضة التى يقولها أو يكتبها أولئك الكاتبون والذين يسمون كتاباتهم اقتصاداً إسلامياً أو تفكيرا اقتصاديا منسوبا إلى الإسلام، دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة الرجوع لأى مرجع اقتصادى معاصر، ودون أن يحاولوا حتى فهم المصطلحات الاقتصادية المعاصرة وأحيانا دون أن يفهموا المعنى العلمى لكلمة: «علم الاقتصاد». ولم يحدث ذلك فى مجال علم الاقتصاد فقط، ولكن فى مجال كثير من العلوم.

لكى نحقق ما نريد؟

فإذا أردنا اليوم أن نحدث الناس عن فكر عمر الاقتصادى، أو أردنا أن نقنع الآخرين بأن عمر كان مفكرا اقتصادياً

أو أن الإسلام قد عرف علم الاقتصاد واهتدى الباحثون فى ضوء القواعد الفقهية إلى بعض نظرياته واستحدث الكثير منها. كما أن المسلمين فى خلال حياتهم فى مجتمعاتهم وتنظيماتهم فى دول متعددة المسميات مختلفة البيئات قد قاموا بتطبيقات اقتصادية ما زالت لها آثار واضحة فى حياتنا المعاصرة.

إذا أردنا أن نقنع الآخرين بهذا كله فإننا يجب أن ندرك معنى المصطلحات التى يستخدمها العلم: أن نفهم ماذا يراد بعلم الاقتصاد؟ وماهى المصطلحات الاقتصادية المعاصرة؟

إننا فى ضوء ذلك يمكننا أن نخاطب العقل الحديث، ويمكننا أن نقنع الإنسان المعاصر بقيمة مالدينا، وبإمكانية الفكر الإسلامى تقديم الكثير من الحلول لمشاكل عالمنا، تلك المشاكل الكثيرة والمعقدة والمتشابكة، والتى يصعب على أى نظام غير الإسلام أن يحلها بلا جراح، أو ينجح فى علاجها بلا مخلفات، وبلا مؤثرات قد تكون أشد خطرا من المشكلة نفسها.

المضمون ... وليس المصطلح:

لا شك أن المصطلحات الاقتصادية المعاصرة ربما لم تكن معروفة من قبل، كما أن بعضها بكل تأكيد قد استحدث بتسميته الحالية فى هذا العصر الحديث. فإذا ما زعمنا بأن الفكر الاقتصادى الإسلامى قد عرف هذه المصطلحات بنصها نكون مدعين، ولن نجد الدليل العلمى، وتلك حقيقة قد غابت على بعض من كتبوا فى الاقتصاد الإسلامى.

إن بعض هذه المصطلحات قد وضعها علماء معروفون فى علم الاقتصاد فى القرون المتأخرة، ومعروف للمبتدئ فى علم الاقتصاد أن هذا المفكر الاقتصادى الانجليزى، أو الفرنسى، أو الألمانى، أو الروسى، قد وضع فى عام محدد هذا الاصطلاح، وكان يقصد به كذا، وقد ظل لهذا المصطلح المعنى المحدد له، أو أنه غير، وأن الذى غيره هو العالم المعروف جنسيته، واسمه، وحكمته فى التغيير.

هذا أمر واقعى يمنعنا من القول بأن الفكر الإسلامى قد عرف المصطلحات الاقتصادية المعروفة الآن بنصها.

ولكن إذا أردنا أن نكون محددين وواضحين - والتحديد أمر اقتصادى - فإننا يجب أن نهتم بالمضمون وليس بالمصطلح. أن نناقش النظرية فى ضوء ما تحققه، وما تحاول أن تقدمه. فنظرية

فائض القيمة مثلا عندما ندرسها، نحاول أن نفهم ماذا يقصد بالفائض؟ وما المقصود بالقيمة؟ وكيف كون ماركس نظريته فى فائض القيمة؟ وماذا يريد ماركس من هذه النظرية؟

فإذا ما وضح لنا الأمر وأدركنا ما تستهدفه نظرية فائض القيمة أمكننا بالبحث والتنقيب بين المؤلفات التى يحفل بها التراث الإسلامى لعلنا نجد ما يشابهها أو يتعارض معها، وبمحاولة دراسة أوجه الشبه أو الاختلاف يمكننا القول عليا بأن الفكر الاقتصادى الإسلامى قد اهتدى إلى هذه النظرية ربما يكون قد صاغها صياغة تقترب من الصياغة الحديثة وربما تكون صياغته أدق. وربما يكون قد اهتدى إلى النظرية وطبقها ولكنه لم يهتم بصياغتها ووضعها فى القالب النظرى وعندما لا نجد النظرية فى الفقه الإسلامى فإننا يمكننا أن ندرك الأسباب التى حالت دون اهتمام الفقه الإسلامى بها أو عاقته عن بلوغها كأن تكون متعارضة مثلا مع الدين الإسلامى أو متصادمة مع روحه أو نصوص الكتاب والسنة.

أو تكون النظرية قد نشأت لظروف حضارية طارئة لم تحدث فى ظل المجتمع الإسلامى فى إبان ازدهار الحضارة الإسلامية وفى أيام وجود الفقه الإسلامى المزدهر القادر على إثراء الحياة بمقولاته ووضع النظريات والقواعد التى تحكم حياة الناس.

إن ما يفيدنا إذن فى بحثنا معرفة المضمون نفسه وتفهم الأحداث وليس معرفة المصطلح أو اللفظ خاصة إذا أدركنا أن اللفظ نفسه يتغير معناه من عصر لعصر وقد يكتسب اللفظ أحياناً معنى حضاريا مختلفا كما أن الأسلوب اللغوى يختلف من عصر إلى عصر ومن لغة إلى أخرى، ولكن ما يبقى هو المضمون أو ما تهدف النظرية تحقيقه.

... وكان الإسلام قبلهم!

إن علم الاقتصاد علم متكامل يستهدف تنظيم الموارد الإنسانية بحيث تلبى رغبات البشر المتزايدة، فى ضوء موارد محددة ورغبات متزايدة تدفع الندرة والحاجة إلى التنظيم ويكون للتنظيم أسسه ووسائله ربما تختلف الكيفية من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى مجتمع ولكن يبقى الهدف وهو محاولة تحقيق ما يفيد النـــاس وما يصلح حياتهم

وما يحقق لهم الرخاء ويوفر لهم أسباب المعيشة المستقرة بقدر الإمكان.

لذلك فإننا لسنا مطالبين بأن نبذل الجهد فى محاولة البحث عن ألفاظ ولكننا مطالبين بتقديم الأدلة التى تثبت أن الاقتصاد الإسلامى كان له من النظريات والمنقولات والتنظيمات والتطبيقات ما يبرزه ويمكن أن يثبت فعلا أنه كان علماً متكاملا أو أن ما بذله المسلمون فى هذا المجال يمكن أن يكون علماً ومن ثم لا يكون « آدم سميث » أو غيره هو المؤسس الأول لعلم الاقتصاد بل يكون الاقتصاد قد تأسس وعرفت مجالاته وتكونت صورته الواضحة وقسماته المحددة قبل « آدم سميث » .

وإذا كان ذلك ميسوراً لنا فإن أمراً آخر يجب أن يشد انتباهنا هو أن نقوم بمحاولة علمية لتقديم الاقتصاد الإسلامى فى ثوب عصرى لا لنقول هـــذا هو الاقتصاد الإسلامى أو أن الاقتصاد الإسلامى عرف ماعرفه علماء الاقتصاد المعاصرين . بل لنبرهن عمليا على أن الإسلام دين حى وأن الفكر الإسلامى فكر حى وأن الفقه الإسلامى بمقدوره أن يصنع الحياة المعاصرة ويخدم الإنسان ؟

فاروق منصور

بقية المنشور على صفحة ٥٣٤

« ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » ، وغير ذلك ويوافقهم فى القدر وهى البلية التى غلبت على البصريين وعيبوا بها قديما » وكلام ابن السبكى لا يدفع الاتهام بل يقرره لأن ابن الصلاح يعترف أن الماوردى يختار فى بعض المواضع قول المعتزلة وقد لامه على ذلك أشد اللوم ! فإذا قال ابن السبكى إنه ليس معتزليا مطلقا فهو يمشى مع ابن الصلاح فى طريق لا يختلف إننا نطلب من ابن السبكى شططا لو كلفناه أن يقول فى مثـــل زمانه « لا يضير الماوردى أن يأخذ من آراء المعتزلة مالا يجد له مخالفة صريحة من نص واضح وأثر صحيح » ، وهو ما نقوله اليوم بعد أن استنار الطريق ، وأصبح رجال الاعتزال فى نظر الباحثين علماء أفاضل يصيبون ويخطئون لا مرقة يلحدون ؟

د . محمد رجب البيومى

منهج جديد لعلم الكلام

للأستاذ يحيى هاشم

تشهد المجتمعات الإسلامية الحاضرة تطورا ثقافيا وتفسيرا حضاريا سريعا نتيجة لبعث إسلامى جديد أولا ، ثم نتيجة التقاء المجتمعات الإسلامية الحاضرة بمجتمعات أخرى غريبة عنها إثر عمليات الاستعمار والاستقلال ... ، ونتيجة للصراع العنيف الذى يدور ما بين المثل العليا فى كل من الجانبين .

وتتصف المجتمعات الإسلامية الحاضرة - أيضا - بشدة تقبلها للأنماط الثقافية المحدثة للتغيير ، نتيجة أن هذه المجتمعات تعانى لونا من التخلف بالنسبة للمجتمعات التى انفتحت عليها ، فمن ثم كان المجال مهيأ لتقبل كل ما يفد من تلك المجتمعات .

وفى عصور التغير الحضارى السريع تتعرض أسس الحضارة المعنوية لأنواع كثيرة من الخطر .

وفى المجتمع الإسلامى - فى أى عصر كان - تقوم العقيدة الإسلامية أساسا لهذه الأسس المعنوية .

ومن الثابت أن عقائد المسلمين تعرضت لخطر العقائد المناوئة والنمو الحضارى السريع ، فى عصر بناء الحضارة الإسلامية فى القرنين : الأول والثانى من الهجرة .

وهنالك قام علم الكلام بدور إيجابى أصيل فى المحافظة على العقيدة الإسلامية أولا ، ثم فى الاحتفاظ لها بدور قيادة الحضارة ثانيا ، وذلك بالرغم مما كان له من آثار سلبية فى نواح أخرى .

وفى اعتقادى أنه فى العصر الحاضر تتعرض عقائد المسلمين لخطر مثل ذلك الخطر إن لم يكن أشد منه عنفا .

ففى الفلسفات الحديثة والمعاصرة من جدلية مادية ، وبرجماتية ، ووضعية ، ووجودية ، دعوات صريحة إلى الإلحاد .

وحول المنهج العلمى تنسج أوهام من الإلحاد ، باسم إنكار كل ما لا يخضع للتجربة ، وباسم التطور الذاتى ، وحتمية قوانين الطبيعة ، وعدم قبول المادة للفناء ... الخ .

وفى الفكر الاجتماعى سحابات من الإلحاد : إذ تقوم بعض الدعاوى فى هذا

المجال على إنكار الدين ، واعتباره طورا متخلفا من أطوار التقدم الاجتماعى ، أو إنكار دوره - على الأقل - فى عملية التنظيم الاجتماعى ، وفصل ما بينه وبين السياسة ، وما بينه وبين الأخلاق .

وفى قضايا التشريع نزوع إلى الإلحاد : حيث يهاجم الدين فى نظرته إلى الرق ، وإلى تعدد الزوجات ، وإلى قوامة الرجل على المرأة ، وزيادة نصيبه على نصيبها فى الميراث ، وفى عقوباته التى يقررها فى جرائم السرقة والزنا والقتل .

وفى تدوين التاريخ تيارات من الإلحاد حيث يقدم الإسلام على أنه نتيجة لصراع الطبقات ، ومظهر من مظاهر التطور الاقتصادى : يصنف فيه الصحابة إلى يمين ويسار ، ويقدم فيه رسول الله على أنه رسول لقيمة من قيم التطور الاجتماعى ، كالحرية أو غيرها من القيم الإنسانية ، وتقدم الأديان بعامة على أنها السبب الأصيل فيما حدث من الحروب على مر التاريخ .

وفى أساليب التربية نزوع إلى الإلحاد : فالفرائض الدينية تخضع للحرية الفردية ، والحرية قيمة من القيم يعمل بها إزاء كل السلطات ، حتى سلطة الدين ، والتجربة أسلوب لتكوين الشخصية يمارس حتى بالنسبة للمحرمات ، والترفيه عن النفس وتفريغ الكبت الجنسى بالاختلاط أصل من أصول التوجيه التربوى ...

وفى فنون الأدب إشارات إلى الإلحاد حيث توجه الاحتجاجات الصارخة ضد القدر ، وتصور بعض الشخصيات الروائية وهى تبحث عن الله بحثا مضنيا فاشلا ، وحيث تقدم شخصيات رجال الدين والشخصيات العادية المتدينة فى صورة ممجوجة ، تثير التهكم والسخرية ، وتقدم الأديان بعامة على أنها فشلت فى حل مشاكل الإنسان .

وفى بعض البحوث الإسلامية ذاتها تطلعات إلى الإلحاد : إذ ينكر دور السنة فى التشريع ، ويقدم القصص القرآنى على أنه نوع من الفن الروائى ، لا يعبر عن الواقع التاريخى ، وتدرس القراءات على أنها نوع من الاجتهاد البشرى وحيث تقوم الدعوة إلى إغفال النصوص المتعلقة بالجزئيات والاكتفاء بالمبادىء العامة التى يرضى عنها العقل ولا تختص بدين من الأديان .

وفى تكييف العلاقة بين الإسلام والأديان الكتابية الأخرى تورط

فى الإلحاد : حيث يسوى بينها جميعا فى الإيمان بالله ، ويسوى بين الولى هنا والقديس هناك ...

وتقف وراء تيارات الإلحاد هذه منظمات ومؤسسات وقوى تتسم بالضراوة والحنكة والتنظيم الدقيق ، والعمل الدائب ، والكراهية العميقة للإسلام خاصة ...

هنا نجد شبها قويا بين تيارات الإلحاد العصرية هذه والتيارات الإلحادية التى واجهها المسلمون فى عصر نشأة علم الكلام وهو عصر بناء الحضارة الإسلامية .

وهنا نجد أن المسلمين اليوم بحاجة ملحة إلى قيام علم ، يقوم بمهمة حراسة العقائد الإسلامية ، على الوجه الذى قام به علم الكلام فى عصر النشأة ...

فهل يقوم بهذه المهمة اليوم علم الكلام الذى تطور على مر القرون؟ والذى وقف فى تطوره عند عصر الإيجى والتفتازانى؟

واقع الأمر ينفى ذلك ؟

والسبب فيما أرى : هو أن علم الكلام انعزل عن التيارات الثقافية والعلمية المعاصرة ، وانحسر إلى قاعات الدرس بالمعاهد العلمية المتخصصة ، وصار يردد قضاياه الأصيلة دون أن يعنى بالتيارات الإلحادية التى تموج فى حياة المسلمين فى العصر الحاضر (١) .

وبعبارة أخرى : أنه فقد خصائص علم الكلام فى عصر نشأته وحيويته .

والسبيل إلى قيام علم الكلام بمهمته الخطيرة فى مواجهة تيارات الإلحاد العصرية فى ميادينها المختلفة ، هو فى العودة إلى تلك الخصائص ، وهى تتلخص فى :

توجيه العناية إلى المسائل ذات الصبغة العملية ، إذا ما تبين أنها تمس أصول الدين .

وتوجيه العناية إلى وقائع البيئة والامتزاج بها ، والمشاركة فى صنعها ، والعمل على توجيهها فى كل ما يمس أصول الدين أيضا .

وفهم مهمته على أنها تنصب على قيادة التطور الحضارى للأمة الإسلامية فى طريقه الإسلامى الصحيح .

وبعبارة أخرى عليه أن يعود لتعريف الفارابى لعلم الكلام وهو : (صناعة

(١) يبدو أن علم الكلام وصل فى مرحلة من مراحله إلى عصر خال من الإلحاد ، فمن ثم بردت أسلحته الدفاعية ، ثم صار بعد ذلك إلى تلك العزلة ، انظر المقدمة لابن خلدون ص ٤٦٧ .

الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل)[1].

هنا يمكن لعلم الكلام أن يضم بين دفتيه الكلام في فلسفة الوجود، ونظرية المعرفة وحركة التاريخ.

كما يتناول تقرير المنهج العلمي على وجهه الصحيح، والتصدي لدعاوى التطور الطبيعي، وحتمية القوانين الطبيعية.

ودور الدين في عمليات التنظيم الاجتماعي ورأى الدين في الرق وتعدد الزوجات وقوامة الرجل على المرأة، وزيادة نصيبه على نصيبها في الميراث، والعقوبات الإسلامية لجرائم السرقة والزنا والقتل.

والصراع بين الطبقات، والتطور الاقتصادي كعامل من عوامل التغير، الاجتماعي، ومهمة الرسول في إبلاغ الرسالة الإلهية.

والحرية الفردية في علاقاتها بأساليب التربية.

ودور السنة في التشريع والقصص القرآني، والقراءات وخلود الأصول

(١) إحصاء العلوم ص ١٠٧.

الدينية القطعية في تفاصيلها الجزئية ومبادئها العامة على السواء.

وفي إقامة العلاقة بين الإسلام والأديان الأخرى على أساسها السليم.

يتناول علم الكلام هذه الموضوعات جميعا من الزاوية التي أشار إليها الفارابي في تعريفه لعلم الكلام وهي: زاوية الانتصار لتعاليم الإسلام فيها باعتبارها من الأمور التي صرح بها الشارع وباعتبار أن إنكارها أو التشكيك فيها يعتبر طعنا في العقيدة الإسلامية، بطريق مباشر أو غير مباشر.

يقول الفارابي «وهذه الصناعة تنقسم جزءين أيضا: — أي كعلم الفقه - جزء في الآراء، وجزء في الأفعال، وهي غير الفقه لأن الفقيه يأخذ الآراء والأفعال التي صرح بها واضع الملة مسلمة ويجعلها أصولا، فيستنبط منها الأشياء اللازمة عنها، والمتكلم ينصر الأشياء، التي يستعملها الفقيه أصولا من غير أن يستنبط منها أشياء أخرى»[1]:

وبجانب ذلك فإنني أضيف خصائص أخرى، أرى أن يتصف بها علم الكلام

(١) إحصاء العلوم ص ١٠٧.

الذى ننشده ، وأسوقها موجزة لتكون محل نظر أعمق ، ودراسة أوسع :

١ — من ذلك أن ينهج علم الكلام فى تقرير مسائله منهجا يستهدف الإقناع بوسائله الجدلية : العقلية والوجدانية على السواء[1] .

٢ — ومن ذلك أن يعترف بسطوة النزعة العقلية فى الإنسان ، وبأنها تمتنع على أساليب القمع والإنكار ، وأن لها مسارب فى النفس الإنسانية تلجأ إليها إذا لم تواجه مواجهة صريحة فعالة .

وفى هذا الصدد أرى أن يفسح لهذه النزعة أوسع مجالات النشاط - كضرورة تحتمها طبيعة العقل الإنسانى - فى إطار علم الكلام الحديث ، على أن يسترشد فى ذلك بمبدأين : الأول : أنه ليس من حق هذا العقل أن يرفض أصلا من أصول الدين يدخل فى دائرة الإمكان الذهنى[2] والثانى : ألا يتخذ شيئا مما وصل إليه أصلا من أصول الدين ما لم يتأيد بنص صريح فى الدين ، وإنما يتناوله على سبيل « البور والنظر »[1] فحسب .

٣ — ومن ذلك أن توجه عناية كبرى إلى دراسة مسائل العقيدة ، كما وردت بالكتاب والسنة ، يستوحى فيها النص فى بساطة بعيدة عن تعقيدات المذاهب ، التى فرضتها ظروف ثقافية ، ربما كان عصرنا منصرفا عنها .

٤ — ومن ذلك أن توجه عناية كبرى إلى الاستدلال على العقائد عن طريق دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم[2]

٥ — ومن ذلك أن توجه العناية إلى دراسة ما جاء به القرآن الكريم من عدم إقرار لما ذهب إليه الرسول صلى الله عليه

---

(١) ذهب إلى ذلك أيضا فضيلة الدكتور : محمد يوسف موسى فى كتابه « القرآن والفلسفة » انظر من ص ٥٢ - ٦٤ .

٢ — الإمكان الذهنى كما هو معروف : أن يعرض الشىء على الذهن فلا يعلم امتناعه بل يقول يمكن هذا لا لعلمه بإمكانه بل لعدم علمه بامتناعه .

(١) هذا ما كان عليه بعض المعتزلة انظر الانتصار للخياط ص ١٥ ، ٢١ والمراد بالبور الاختبار كذا فى القاموس المحيط .

(٢) دعا إلى ذلك فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه « الإسلام والعقل » ص ١٠٤ وأشار إلى أهمية ذلك من قبل الجاحظ فى الفصول المختارة على هامش الكامل للمبرد جـ ١ ص ٢٨٥ إذ يأسى لأنه لم توجه حتى عصره عناية كافية لذلك .

وسلم فى بعض الأمور ، قبل أن ينزل إليه الوحى فى شأنها ، وذلك لدلالته على المصدر الإلهى للقرآن الكريم[١] .

٦ — ومن ذلك أن يحتاط فى اختبار طالب علم الكلام ، بحيث يوجه توجيها نفسيا وعقلياً على مراحل مدروسة دراسة تربوية دقيقة ، تجعله على استعداد للخوض فى مسائله دون أن يتعرض لنوع من الاضطراب أو الشك[٢] .

وأخيراً :

فإنى إذ أدعو إلى قيام علم الكلام فى عصرنا الحاضر على النحو المذكور ، لا أجد أنى فى تعارض حقيق مع من ينادون بمنهج تربوى إسلامى، يقوم على تربية المسلم على أساس التسليم بأصل الأصول فى العقيدة الإسلامية ، ومن ثم يصير المسلم إلى التسليم بالأصول الأخرى ، وبالتفاصيل ، والجزئيات ، تسليما تبعيا لا يحتمل المناقشة ، فأما إذا صار إلى المناقشة فى ذلك فإنه يكون أمارة أن التأسيس العقدى لديه لم يكن سليما . .

أقول : لا أجد أنى فى تعارض حقيق مع هذا المنهج ، لأنى أحسب أنه يستهدف تربية المسلم ، وليس الدفاع عنه ، ونحن إذا أخذنا بالناحية الإيجابية وحدها فى تربية المسلم وتغافلنا عن النواحى السلبية ، التى لابد أن تتسرب إليه من أعداء دينه ـ وهم فى العصر الحاضر أطول باعا وأقوى أسلوبا ـ نكون مثاليين إلى درجة لا يسمح بها الواقع الذى نعيشه ، بل لم يسمح بها واقع المسلمين فى عصر النشأة ، وهم إذ ذاك أقرب منا إلى عصر النبوة ونورها .

إن نصرة الدين بالدفاع عنه فى كل مجال من مجالاته ضرورة نواجه بها أعداء الدين ، ونقطع الطريق على المسارب الخفية ، التى تستهدف التسلل إلى المسلم الذى نحاول تربيته على الأساس المذكور ، كما تستهدف الانحراف بالحضارة الإسلامية التى نرجو لها أن تظهر على الأفق إثر فجر قريب .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ؟

يحيى هاشم حسن فرغل

---

(١) من ذلك ما ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٢١٤، ١٩٢، ١٧٨، ١٦٢، ١١٢ ، ٢١٧ .

(٢) الإمام الغزالى فى كتابه « فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة » انظر ص ١٧٤ من مجموعة رسائل الإمام الغزالى. نشر مكتبة الجندى .

التّملّك بالاستيلاء

للأستاذ سيد عبد الله حسين

بعـــد أن ذكر المشرع الوضعى : (الملكية بوضع اليد أو وضع اليد المفيد للملكية) كما ذكرها المشرع الإسلامى كما ذكرنا فى مقالاتنا السابقة - ذكر هنا تكملة لما سبق كما فعل المشرع الإسلامى نظرية (الاستيلاء من طرق التملك) وخص تطبيقها فى الملك المنقول لا فى العقار - تماما كما فرق بينهما المشرع الإسلامى فقال :

الاستيلاء من طرق التملك : التشريع الفرنسى - ص٥٦٩ ومابعدها ج١ فوانيه .

قررت المادة ٥٣٩ ق،م (إن كل ملك لاصاحب له يتبع أملاك الدولة العامة) .

وأكدت المادة ٧١٣ ق.م (الأملاك التى لا مالك لها تكون ملكا للدولة) .

فتكون القاعدة العامة (إن كل عقار له مالك - وكل عقار لا مالك له يكون ملكا للدولة) .

وعلى هـــذا فقد طبقت نظرية : (الاستيلاء من طرق التملك على الأملاك المنقولة فقط) .

فالاستيلاء هو وضع اليد على شىء لا يملكه أحد - فيتعين لتحقيق ذلك وجود أمرين :

١ — وضع اليد على شىء .

٢ — أن يكون هذا الشىء غير متعلق بأحد - والاستيلاء يكون فى ثلاثة أشياء (ص ٥٧٠ نفس المصدر) :

أولا : الشىء المتروك اختياراً ليتملكه أول مستول عليه على الطرق العمومية والتى تجمع بمعرفة الكناسين ولمامى الورق والخرق - أما اللقطات الأرضية أو النهرية أو البحرية فإنها تباع ويكون ثمنها ملكا للحكومة فى مدة معينة إلا إذا طلبه أصحابه كذلك فى مدة معينة .

ثانيا : الصيد البرى والصيد البحرى ، وهما المثلان الحقيقيان للاستيلاء لكنهما قد قيدا بقوانين يجب اتباعها .

ثالثاً : واجد الكنز أو مكتشفه - وهو كل شىء مخفى أو مدفون ولا يمكن لأحد إثبات ملكيته وإنه اكتشف بطريق الصدفة .

وحكمه قانوناً : إن اكتشفه صاحب

الأرض فهو ملكه تبعاً للأرض ، وإن اكتشفه فى أرض الغير فله نصفه والنصف لمالك الأرض ، ولهذا يجب أن يكون الاكتشاف بطريق الصدفة ، فإن كان الاكتشاف بتعب وبحث ونفقة من المالك فهو له بلا نزاع . اه .

التشريع الإسلامى :

من الأمور الثابتة والمسلم بها فى التشريع الإسلامى أن كل شىء على وجه الأرض خلق لمنفعة الإنسان فرداً أو جماعة فما لم يكن للفرد كان للجماعة لذلك قيل فى الملكية : ملكية فردية إذا كانت لشخص معين ، وملكية جماعية إذا كانت لعدة أشخاص، وهذه الملكية الجماعية قد تكون لعدد محدود كأهل قرية فى مراح ومسرح ومحتطب وتجرين الخ ، وقد تكون لجماعة غير محدودة ، وهى أملاك الدولة كالأنهار والبحار والطرق العامة والأرض والجبال التى لم تكن مملوكة لأحد ، وهذه يجمعها ويضع يده عليها ويصرفها فى مصالح المسلمين أو فى مصلحة المجموع من رعايا الدولة ، ما يسمى (ببيت المال) أو (خزانة الدولة) ، فقد جاء فى الشرح الكبير ص ٤٦٨ ج ٤ ما يأتى :

(ثم يليه بيت المال) أى ثم يليه فى الإرث بالعصوبة ، بيت المال الذى لوطنه مات به أو بغيره من البلاد كان ماله به أو بغيره - إلى أن قال : وظاهر كلام المصنف فى أن بيت المال عاصب فهو كوارث ثابت النسب وهو المشهور كان منتظما أو غير منتظم - وقيل إنه حائز للأموال الضائعة لا وارث وهو شاذ .

وعلى الاحتمالين فبيت المال يملك كل شىء لا مالك له ، بل ويرث من لا وارث له أو ما بقى من التركة .

فلم يقرر المشرع الوضعى إلا ما قرره التشريع الإسلامى منذ ١٣٩١ سنة فأكثر (من أن كل ما يملك إما مملوك لفرد وإما مملوك للدولة) .

فالاستيلاء مقرر فى التشريع الإسلامى وهو فى المنقول (وقد سبق أحكام وضع اليد على العقار) ، وضع اليد على شىء لا يملكه أحد ، وبذا يخرج الاغتصاب والسرقة فهى على أملاك الآخرين ، وهو يتحقق فى الشىء المباح للجميع ، ويكون لمن سبق فى أخذه - كصيد البر والبحر فهو لمن استولى عليه أولا .

وتقييد صيد البر أو البحر بقوانين ولوائح لا يجعل الصيد حراما ، ولكن

تجب طاعة الحاكم فى غير ما حرم الله ، لأنه لا يمنع ذلك إلا لمنفعة المجتمع كتحريم صيد السمك الصغير فى البحيرات لأن هذا يقضى على الجنس وليس هـذا من المصلحة العامة ، وكذلك صيد الطير فى الغابات فى زمن التزاوج والإفراخ لأنه يقضى على الجنس .

وجاء فى ص ٢٨٣ جـ ٢ شرح صغير : (فاصطياد السمك من الماء والطير والوحش من البرارى قبل دخوله فى حوز الغير مال غير معصوم ولا محترم شرعا فهو لمن أخذه أولا) اهـ .

فقد جاء فى صـ ٢١٠ خرشى جـ ٢ ما يأتى : (وما لفظ البحر فلواجده بلا تخميس) فكل ما لفظه البحر مما لم يتقدم عليه ملك لأحـد كالعنبر واللؤلؤ فيكون لواجده بلا تخميس ، فلو رآه جماعة فبادر إليه أحـدهم فإنه يكون كالصيد يملكه المبادر له ، أى آخذه لا رائيه ، فالرؤية لا أثر لها فى باب الاستحقاق بخلاف اليد) اهـ .

أما الشىء المتروك اختيارا على الطرق ليتملكه أول مستول عليه ، فهو على أمرين : إما أن يكون تبرعا وهبة فيكون لمن قبضه شرعا لأن الهبة تتم بالقبض ، ولكن هـذا إذا كان الواهب معلوما ، فإن كان مجهولا فقد وضع المشرع قواعد عادلة يتبين بها المتبرع ممن فقد هذا الشىء وهو يطلبه ووضع المشرع الإسلامى لذلك (باب اللقطة) ومضمونه :

أولا : اللقطة كل مال معرض للضياع كان ذلك فى عامر الأرض أو غامرها والجماد والحيوان سواء إلا الإبل صـ ٢٥٣ جـ ٢ ابن رشد ، والمراد به المنقول من الأموال .

ثانيا : إن كانت اللقطة شيئا لا يلتفت إليه عادة كقروش قليلة ، وعصا وسوط وقليل تمر أو زبيب ، أو طعام قليل ، فللاقطه أكلها والانتفاع بها بدون ضمان .

ثالثا : وإن كانت اللقطة تفسد لو تركت بدون أكل كلحم وفاكهة فلواجده أكله ولا ضمان عليه كمن وجد شاة أو بقرة بصحراء وتعذر نقلها وكانت بمحل خوف من سباع أو ضباع فللواجد أكلها ولا ضمان عليه .

رابعا : فإن كان للقطة قدر ومنفعة ويشح ربها بها ويطلبها ـ فيجب على الملتقط تعريفها ـ وهل التعريف سنة أو أيام خلاف ؟

وإن كانت اللقطة مالا له قيمة وإن قل ولم يظهر مالكها فلمن وجدها حبسها عنده بعد التعريف سنة وله التصدق بها أو التملك لها فإن ظهر مالكها فله أخذها بعد دفع ما أنفقه الملتقط عليها وإن لم يجدها أخذ قيمتها بعد احتساب نفقتها .

وكل هذا احتياط من المشرع الإسلامى للمال الملتقط خصوصا إذا كان له مالك قد ظهر، وهذا يظهر الفرق بين من يريد الهبة ومن ضاع ماله وهو يطلبه فالمتصدق والواهب لا يظهر ولا يطالب بشيء وقد جاء بص ١٢٣ . ج ٧ خرشى ما يأتى :

(يجب التقاط مال الغير حفظا له وتعريفه سنة إلا التافه والذى لا بال له كالعصا والسوط - وله حبسها بعده أو التصدق أو التملك ضامنا فيهما) وبعد ١٢٧ منه (وله أكل ما يفسد ولا ضمان عليه لربه كشاة بفيفاء وبقر بمحل خوف أما الإبل فتترك إلى أن قال - وخير ربها بين فكها بالنفقة أو إسلامها فإن باعها الملتقط فليس لربها إلا الثمن) اه .

والأصل فى هذا التشريع الحديث الصحيح : (اعرف عفاصها ووكاءها ثم عرفها سنة فإن جاء صاحبها (يعنى أخذها) وإلا فشأنك بها، قال فضالة : الغنم يارسول الله ، قال: هى لك أو لأخيك أو للذئب قال فضالة : الإبل قال : مالك ولها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها) ص ٢٥٣ ج ٢ ابن رشد .

فإذا جاء المشرع الوضعى ليأخذ هذه الأحكام حتى من غير ذكر مصدرها طمسا للحقيقة فالواجب على علماء المسلمين بيان هذا فى تشريعهم والعمل على إبطال زيفهم بإظهار الحقيقة، ولله فى خلقه شئون ولا فرق فى الملتقط بين كناس ولمام ورق وخرق وبين عابر سبيل فيجرى عليهم جميعا أحكام اللقطة فيما له قيمة وما يطلبه الناس وما يتسامحون فيه .

ولا فرق أيضا بين لقطات البحر والنهر والأرض التى لم تكن ملكا لأحد فهى لواجدها فإن كانت لأحد فتجرى عليها أحكام اللقطة .

مسألة الكنز :

حكم الكنز فى التشريع الإسلامى واسع ومتشعب فلم يترك مسألة إلا أعطاها حكمها وذلك :

أولا : دفن الجاهلية (أى مالها) ولو لم يكن مدفونا - من عثر عليه صدقة بلا نفقة ولا عمل فيه الخمس لبيت المال

فيما لا يحتاج إلى تصفية - وفيه ربع العشر لبيت المال إن بلغ نصاب الزكاة بعد التصفية والأربعة أخماس أو ما بقى بعد الزكاة لواجده مالك الأرض إن كانت ملكا لأحد وإن كانت فى أرض لا مالك لها كموات الإسلام فهى لواجده .

فقد جاء فى ص ٢٠٩ وما بعدها خرشى ما نصه :

(والمشهور أن الركاز وهو دفن الجاهلية يخمس ولو لدون النصاب وسواء كان عرضا أو عينا كالجواهر والنحاس والرصاص ونحو ذلك - فإن احتاج الركاز لكبير نفقة أو كبير عمل ففيه الزكاة - وباقى الركاز بعد الخمس أو الزكاة لمالك الأرض وإلا فلواجده متى كانت فى أرض لا مالك لها كموات أرض الإسلام) .

ثانيا : المال الذى يوجد من دفن مسلم أو ذمى — فهو لقطة فيعرف سنة فإن ظن انقراض أهلها فمحلها بيت المال من أول الأمر - ولو اشترى رجل أرضا من أهل صلح أو عنوة فوجدفيها ركازا كان للبائع لا للمشترى كما روى عن مالك ، وحكى عن ابن القاسم أنه يكون للمشترى - أما دفن المصالحين فهو لهم بلا تخميس) اهـ - يراجع ص ٤٩١ ج ١ من الشرح الكبير. وص ٤٨٦ وما بعدها ج ١ الشرح الكبير.

ثالثا : ما لفظه البحر مما لم يسبق عليه ملك لأحد فلواجده بلا تخميس فلو رآه جماعة فبادر إليه أحدهم كان له خاصة كالصيد يملكه المبادر بأخذه - راجع ص ٤٩٢ ج ١ الشرح الكبير - وجاء بص ٢٠٩ ج ٢ خرشى وما بعدها ما يأتى:

(ودفن مسلم وذمى لقطة فتعرف وما لفظه البحر كعنبر فلواجده بلا تخميس - فكل ما لفظه البحر مما لم يتقدم عليه ملك لأحد كالعنبر واللؤلؤ فيكون لواجده بلا تخميس فلو رآه جماعة فبادر إليه أحدهم فإنه يكون كالصيد يملكه المبادر له أى آخذه لا رائيه فالرؤية لا أثر لها فى باب الاستحقاق بخلاف اليد) اهـ .

وبعد هذه النصوص القاطعة تكون نظرية الملكية بوضع اليد سواء فى العقار أو المنقول بالشروط السابقة نظرية إسلامية دما ولحما — وإنى أقدمها لمن يرى أن التشريع الوضعى لا علاقة له بالتشريع الإسلامى ليعلم الحق فيتبعه ويعدل عن الغش والباطل فيحتقره والله خير الشاهدين ؟

سيد عبد الله حسين

حُكم المرتدّ في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

للأستاذ توفيق علي وهبة

أولا : في الشريعة الإسلامية :

الردة : هي عودة الشخص المسلم إلى الكفر بعد اعتناقه دين الإسلام .

ولقد حرم الإسلام الرجوع عن الإسلام والعودة إلى الكفر ، والنصوص الواردة في تحريمها كثيرة منها :

(ا) يقول الله سبحانه وتعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

(ب) ويقول جل في علاه : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه » .

(ج) ويقول تباركت كلماته : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم » .

ومن السنة الشريفة :

يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » ويقول : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، وزنا بعد إحصان ، وقتل نفس بغير نفس » .

أركان جريمة الردة :

لجريمة الردة أركان ثلاثة :

١ - ارتداد الشخص عن دين الإسلام وترك التصديق به والرجوع عنه ، ويكون ذلك بأحد طرق ثلاث : بالفعل أو بالامتناع عن فعل ، أو بالقول ، أو بالاعتقاد أما الفعل فهو : أن يأتي المرتد أمرا يحرمه الإسلام كالسجود للصنم أو للشمس أو القمر أو لحيوان أو غير ذلك مما يخالف عقيدة الإسلام أو إلقاء المصحف أو كتب الحديث ووطأها استهزاء بها وإنكارا لما فيها واستحلال ما يحرمه الله .

أما الامتناع عن فعل ، فيكون بترك ما أمر الإسلام به ، كتارك الصلاة مع جحوده لها ، أو مانع الزكاة أو تارك الصوم أو الحج المنكر إياها أو الامتناع عن كل ما أوجبته الشريعة الإسلامية وأجمع الفقهاء على وجوبه .

ويكون القول بصدور ما يفيد جحود الربوبية وإنكار وجود الله أو جعل لله شركاء ، بأن يدعى أن له صاحبة أو ولدا أو يدعى النبوة أو ينكر الملائكة أو البعث والحساب أو القرآن .

أما الاعتقاد الذى يؤدى بالإنسان إلى الارتداد عن دين الإسلام فيكون باعتناق ما يخالف الإسلام كالاعتقاد بألوهية غير الله أو تكذيب رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

٢ — أن يكون المرتد مسلما بالغا عاقلا غير مكره على الردة لقوله سبحانه جل وعلا :

« إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » .

٣ — القصد الجنائى بأن يكون المرتد قاصدا ترك الدين الإسلامى والعودة إلى الكفر أو النطق عمدا بالقول الكفرى أو اعتناق دين آخر مع علمه أن الردة عن الإسلام محرمة وهى معلومة من الإسلام بالضرورة لأن من يعتنق الإسلام لا يحل له أن يتركه إلى غيره .

عقوبة المرتد :

يرى جمهور الفقهاء أن المرتد يحبس ثلاثة أيام يستتاب فيها فإن تاب أخلى سبيله وإن تمسك بردته قتل ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » .

ويرى بعض الفقهاء أن المرتد إما أن يتوب فى الحال وإلا ينفذ فيه الحد ولكن رأى الجمهور هو الراجح ، إذ الواجب حبسه ثلاثة أيام يستتاب فيها وإلا ضرب عنقه ، ويذهب البعض إلى عدم قبول توبة الذين عرفوا بالزندقة لأن انحراف فكرهم ونفوسهم واستهتارهم بتوهين الدين لا يجعل لاحتمال الصدق فى توبتهم موضعا لأنه لا يدعو إلى توهين العقيدة إلا من كان قلبه غير مطمئن بالإيمان فإن نطقوا بكلمات التوبة إنما يكون ذلك فرارا من العقوبة ليس إلا .

يقول الإمام القرطبى فى معرض تفسيره للآية الكريمة : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

يقول رضى الله عنه : « قالت طائفة : يستتاب المرتد فإن تاب وإلا قتل . وقال بعضهم : ساعة واحدة . وقال آخرون: يستتاب شهرا . وقال آخرون: يستتاب ثلاثا ، على ما روى عن عمر وعثمان ، وهو قول مالك رواه عنه ابن القاسم . وقال الحسن: يستتاب مائة مرة ، وقد روى عنه ، أنه يقتل دون استتابة ، وبه قال الشافعى فى أحد قوليه، وهو أحد قولى طاوس وعبيد بن عمير . . ثم يقول: وذكر أبو يوسف عن أبى حنيفة أن المرتد يعرض عليه الإسلام فإن أسلم وإلا قتل مكانه إلا أن يطلب التأجيل ، فإن طلب ذلك أجل ثلاثة أيام، والمشهور عنه وعن أصحابه أن المرتد لا يقتل حتى يستتاب » .

العقوبة التبعية :

هناك نوعان من العقوبات التبعية توقع على المرتد إذا حكم بقتله :

أولها : مصادرة أمواله :

ولقد اختلف العلماء فى أموال المرتد ، فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه والحسن ، والشعبى ، والحكم ، والليث وأبو حنيفة ، وإسحاق بن راهويه : ميراث المرتد لورثته من المسلمين . وقال مالك وربيعة وابن أبى ليلى والشافعى وأبو ثور : ميراثه فى بيت المال . وقال ابن شبرمة وأبو يوسف ومحمد والأوزاعى فى إحدى الروايتين : ما اكتسبه المرتد بعد الردة فهو لورثته المسلمين ، وقال أبو حنيفة: ما اكتسبه المرتد فى حال الردة فهو فىء ، وما كان مكتسبا فى حالة الإسلام ثم ارتد يرثه ورثته المسلمون ، وأما ابن شبرمة وأبو يوسف ومحمد فلا يفضلون بين الأمرين ، ومطلق قوله عليه الصلاة والسلام : « لا وراثة بين أهل ملتين » يدل على بطلان قولهم . وأجمعوا على أن ورثته من الكفار لا يرثونه ، سوى عمر بن عبد العزيز فإنه قال : يرثونه .

ثانيهما : نقص أهليته للتصرف :

يرى جمهور الفقهاء وقف تصرفات المرتد فى أمواله لتعلق حق الغير بها ، فإذا أسلم نفذت ، وإذا قتل كانت تصرفاته باطلة .

ويرى البعض أن تصرفات المرتد باطلة بطلانا مطلقا لصدورها من غير مالك . والراجح هو رأى الجمهور ، وهو وقف

التصرف ، فإذا أسلم نفذ وإذا مات على ردته أصبح تصرفه باطلا ..

العقوبة البدلية :

ينفذ على المرتد عقوبة بديلة فى حالتين :

(١) إذا سقطت العقوبة بتوبة المرتد فللقاضى أن يوقع عليه عقوبة تعزيرية مناسبة أو يعفو عنه حسب ما يراه من ظروف القضية .

(ب) إذا سقطت العقوبة للشبهة يحبس المرتد حتى يعود إلى الإسلام .

هل تقتل المرأة المرتدة :

اختلف الفقهاء فى قتل المرأة المرتدة فيرى مالك والأوزاعى والشافعى والليث أن تقتل مثل الرجل سواء بسواء ، وحجتهم ظاهر الحديث « من بدل دينه فاقتلوه » ومن تصلح للذكر والأنثى ، كما يحتجون بحديث النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان .. الخ » فعم كل من كفر بعد إيمانه رجالا كانوا أو نساء .

وقال الثورى وأبو حنيفة وأصحابه : لا تقتل المرتدة وهو قول ابن شبرمة وإليه ذهب ابن علية وهو قول عطاء والحسن واحتجوا بأن ابن عباس لم يقتل المرتدة ، ومن روى حديثا كان أعلم بتأويله ، وروى عن الإمام على مثله ، كما احتجوا بأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والصبيان .

والرأى الأول هو الراجح ، فالمرتد أو المرتدة إن لم يعودا إلى الإسلام بعد التوبة يقام عليهما الحد ، ولا فرق بينهما ... ولقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر برجم الغامدية التى زنت ، وهذا يدل دلالة واضحة وصريحة أنه لا فرق بين الرجال والنساء فى إقامة الحد وكان نهى النبى عن قتل النساء والصبيان فى الحرب لأنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم لضعفهم ، ولم ينه عليه الصلاة والسلام عن قتل النساء فى الحدود أو فى القصاص ، وإلا أصبح المجتمع فوضى ، فكل من يريد ارتكاب جرم والفرار من العقاب يدفع امرأة لارتكابه ، وهو يعلم أنها لن تقتل إذا كانت العقوبة القتل وليس ذلك من العدالة فى شىء .

لذلك اقتضت شريعة الله أن يكون العقاب واحدا للرجال والنساء ، إذا أجرموا نكالا لهم على ما اقترفت أيديهم وزجرا لغيرهم وردعا .

ثانيا - موقف القانون الوضعى :

لم يتعرض القانون الوضعى لبيان حكم المرتد عن الإسلام ، ولم يثر موضوع الردة من الوجهة القانونية أو الشرعية أمام القضاء إلا فى مسائل الأحوال الشخصية . وقد ذهبت أكثرية الأحكام الصادرة فى هذا الشأن بعدم إقرار المرتد على ردته .

ولكن المثير حقا ما ذهبت إليه محكمة القاهرة الابتدائية للأحوال الشخصية لغير المسلمين فى القضية رقم ١٩٥٢ لسنة ١٩٥٧ بتاريخ ١٥ / ٣ / ١٩٧١ والتى أخذت فيها بوجهة نظر النيابة العامة بإقرار المرتد على ردته حيث تقول :

« وحيث إن هذا الرأى الذى ذهبت إليه النيابة فى مذكرتها من الاعتداد بارتداد المدعى عن الدين الإسلامى من حيث ترتيب الأثر المترتب على تصرفه بالنسبة لعقد الزواج محل النزاع هو من الأمور التى تتسق مع النظام العام لأن حكم المرتد فى الإسلام أخذا بما تواضع عليه علماء الشريعة يتجافى مع قاعدة أساسية أقرها الدستور من إباحة حرية الاعتقاد » . ؟؟

« ولما كان ذلك وكان الثابت من الدعوى أن الطرفين المتداعيين قبطيان أرثوذكسيان ويدينان بهذا المذهب وقت رفع الدعوى الماثلة تعين طبقا لحكم القانون تطبق شريعتها على موضوع النزاع » .

والأكثر غرابة من ذلك أن المادة السادسة من مشروع قانون المواريث كانت تنص على أن (يمنع من الإرث اختلاف الدين . أما المرتد فلا يرث من غيره ، ويرث المسلم كل ما تملكه قبل ردته ويكون للخزانة العامة ماتملكه بعد الردة) .

ولقد حذف هذا النص وجاء فى المذكرة الإيضاحية ، وقد اعترض بعض أعضاء اللجنة على الفقرة الثانية من تلك المادة الخاصة بإرث المرتد وتمسكوا بمخالفتها للمادة ١٢ من الدستور التى تكفل حرية الاعتقاد للجميع وقالوا إنه إذا كانت الضرورة اقتضت مخالفة النص الصريح الوارد بالقرآن الذى يقضى بقتل المرتد لمخالفته لنص الدستور الصريح فإن الضرورة أيضا تقضى مخالفة الأحكام الشرعية الخاصة بإرث المرتد لأنها وردت مشبعة بالروح الدينية التى ظهر أنها تخالف الدستور » ؟؟؟ !!!

إن هذا الذى ذهبت إليه محكمة القاهرة

الابتدائية فى حكمها المشار إليه وماذهبت إليه لجنة قانون المواريث لا يستقيم مع أحكام الشريعة الإسلامية بل هو مخالفة صريحة للقواعد الشرعية وانتهاك لكل القيم الدينية والأخلاقية بل واعتداء صارخ على الدستور الذى يتسترون به ويخفون أغراضهم وراءه .

إن المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية تنص على أن (تصدر الأحكام طبقا للمدون فى هذه اللائحة ولأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة ماعدا الأحوال التى ينص فيها قانون المحاكم الشرعية على قواعد خاصة فيجب فيها أن تصدر الأحكام طبقا لتلك القاعدة)

ولقد نص القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ والخاص بإلغاء المحاكم الشرعية وضم اختصاصها إلى المحاكم الوطنية على استمرار العمل بالمادة ٢٨٠ من اللائحة سالفة الذكر .

وعلى هذا ، وطالما أنه لا يوجد نص على حكم المرتد فتكون المحاكم ملزمة بتطبيق أرجح الآراء فى المذهب الحنفى وهى لا تقر المرتد على ردته ... أضف إلى ذلك أن الدستور الذى يستند إليه أصحاب الرأى القائل « بإقرار المرتد على ردته » ينص على أن دين الدولة الرسمى « هو الإسلام » ومن ثم وجب عدم الاعتداء على هذا الدين أو مخالفة أحكامه وخاصة الأحكام الأصولية التى لا يجوز مخالفتها ومنها حكم المرتد الثابت بالقرآن الكريم وبسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن مخالفة الأحكام القطعية المعروفة من الدين بالضرورة يعتبر خروجا عن الدين ويستتاب المخالف وإلا كان مرتدا عن دين الإسلام .

والإسلام لا يقر المرتد على الدين الذى يعتنقه ولو كان دينا يقال إنه سماوى وهو بارتداده عن الإسلام برغبته واختياره دون إكراه يكون قد ارتكب جريمة يعاقب عليها بالقتل .

وحكم المرتد فى الشريعة الإسلامية من النظام العام الذى لا تجوز مخالفته .

ولسنا نرى أى تناقض بين نص الدستور على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام وإباحته حرية الاعتقاد ، ذلك أن الإسلام نفسه يترك الإنسان حرا فى معتقداته التى ينشأ عليها ولا يجبره على اعتناقه ، يقول الله سبحانه وتعالى « لا إكراه فى الدين » ويقول تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ويقول جل شأنه « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » وصنيع الإسلام هذا ؟ أوضح برهان على أنه الدين الصحيح الذى

يتناوله العقل بهدوء واطمئنان وينسجم مع الفطرة فإذا اعتنق الشخص الإسلام دون إكراه أو إجبار ثم عاد إلى الكفر أو إلى اعتناق دين آخر لا يعد ذلك من حرية الاعتقاد وإنما هو عبث واستهتار لامبرر له وانتهاك لحرمة الإسلام واعتداء صارخ على النظام العام وعلى المجتمع ومقتضياته ، ومن ثم وجب قتل هذا المرتد عقابا له وردعا لغيره .

وإذا كان النص فى الدستور على اعتبار الإسلام دين الدولة من النظام العام وجب بالتالى أن تكون الأحكام الإسلامية من النظام العام الذى لا يجوز الاعتداء عليه .

وكنا نود أن تكون لجنة قانون المواريث أكثر جدية من ذلك ، فبدلا من أن تعطل حكم الشريعة فى ميراث المرتد مستندة إلى قانون وضعى مهما كانت قوته ، كان الأجدر بها أن تطالب بتعديل الدستور لكى يتمشى مع الشريعة الإسلامية لأن توقف حكم الشريعة بحجة مخالفة الدستور وإن كنا قد أوضحنا أن النصين الواردين بالدستور عن الدين الإسلامى وعن حرية الاعتقاد غير متناقضين وإنما يكمل كل منهما الآخر ولقد جاء القصور من الذين يفسرون القوانين بأهوائهم ويطوعونها لما يريدون.

وإذا كانت اللجنة التى عدلت قانون الميراث رأت أن حكم القرآن فى المرتد لا ينفذ ، كان عليها أن تطالب بقتل المرتد فبدلا من أن تلغى الحكم الخاص بميراثه كانت تقول : إن حكم الميراث كذا وإننا نرى أن حكم الإسلام لا ينفذ فى المرتد ويجب تنفيذه لأن المجلس التشريعى الذى أقر قانون الميراث هو المسئول عن وضع حكم المرتد موضع التنفيذ .

تلك هى جريمة الردة عن الإسلام كما بينها الشرع الإسلامى الحكيم . أما بالنسبة للقانون لحد الردة معطل ولا يطبق كما رأينا . وإننا ندعو جميع البلاد الإسلامية أن تعود إلى شريعة الله فتحل ما أحلت وتحرم ما حرمت وأن تقيم الحكم والقانون على أساس من كتاب الله وسنة نبيه الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام .

والله سبحانه وتعالى الموفق والهادى إلى سواء السبيل ؟

توفيق على وهبة

العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

— ٥ —

استمر العرب فى جاهليتهم على عبادة الأصنام ، والتقرب بها إلى الله ، ويهمنا من أمرها أن عبادتهم لهـا كانت تغلفها طقوس ومراسيم وعادات تشبه إلى حد ما تلك الطقوس التى كان يقوم بها المصريون واليونانيون القـدماء لآلهتهم ، وكانت مناسك الحج لديهم تعد صورة من صور (الدراما) لتمثيل ذكريات إبراهيم الخليل وسيرة زوجته هاجر وابنه إسماعيل ، فالممثلون هم جماعة الناس الذين يقومون بالمناسك ، وهم فى نفس الوقت الجمهور المشاهد ، والسعى بـين الصفا والمروة تخليد لذكرى هاجر أم إسماعيل ؛ إذ كانت تـتردد بينهما باحثة عن المـاء لتروى به عطشها وعطش ابنها ، وهو دور درامى يقوم به الرجال والنساء جميعا ، ولذلك يميل على أحمد باكثير[1] إلى جعل هذه الظاهرة الدرامية خاصة بالعرب ، وليس لهـا مثيل فى البـلاد التى عرفت الدراما بمعناها المعروف الآن ، لأن العرب كانوا يميلون إلى التوحيد ، أما الأمم الأخرى فـكانت تميل إلى تعدد الآلهة وتقديسها وإسناد الصفات البشرية إليها ، إذ كان هؤلاء الآلهة فى الأصـل من البشر ممن كانوا ملوكا عظاما أو أبطالا فى تاريخهم فلما ماتوا اتخذوهم آلهة وعبدوهم .

وهذه الظاهرة ـ مع ظواهر أخـرى سيأتى ذكـرها ـ تجعلنا نرى أن الدراما العربية لهـا سمات تنتمى إلى خصائص العـرب الاجتماعية والنفسية والثقافية ، وليس بالضرورة أن نطبق عليها قواعد الدراما اليونانية أو المصرية أو غـيرها من القواعد الدرامية ، لقد كان للمجتمع العربى مميزات انفرد بها كما كان للمجتمع اليونانى أو المصرى القـديمين ، ومن التعسف أن نطبق عليه ما نطبقه على غيره من مقاييس ومعايير درامية ، ومن هنا يكون من الأوفق ألا نقارن ـ دراميا ـ بين العرب وغيرهم . وإن كان من المفيد

(١) مجلة المجلة العدد ١١١ ص ٣٠ .

أن تكون هـــذه المقارنة لنعرف أن الخصائص الدرامية توجد فى كل أمـة بمقدار، وأن تربة أى شعب تلائم الدراما بخصائص هذا الشعب، بمعنى أن الدراما فى أى مجتمع تستمد خصائصها من ذلك المجتمع، وتتفق مع ميـوله واتجاهاته الفكرية، وفى دراستنا للفكر العربى سنجد أن له مميزات خاصة به تجعل الدراما لديه تتسم بسمات معينة تأخذ مقوماتها منه، وتتشكل وفقها.

ومن السمات الفكرية للأمـة العربية مواسمها الأدبية التى كانت تعاصر موسم الحج، حيث يأتى الناس من كل فج إلى قريش بمـــكة، فيتناقلون الآداب ويتناشدون الأشعار الحماسية، ويتحدثون بشرف أصلهم وكرم محتدهم، وكانت هـذه الأسواق الأدبية ثلاثة: سوق ذى المجاز، وسوق مجنة، وسوق عكاظ يستغرق أولها ثلاثة أيام، وثانيها سبعة وثالثها شهرا كاملا، غير عشرين يوما فى مناسك الحج، وكانوا يقيمون حكاما بينهم - مثل القضاة - لنقد الشعر وبيان غثه من سمينه، وتفضيل شاعر على آخر وكان لهذه الأسواق أثرها البارز فى ترقية اللغة العربية وتوحيدها بين القبائل المختلفة اللهجة، متبعين فى ذلك لغة قريش لسيادتها على لغـة الحجاز ونجـد، ولعظيم مكانة أهلها عند جميع العرب[1] كما ازدهر الشعر المقفى وتناول الحيـاة العادية والشئون الحيوية للعربى، وبرز شعـراء أمثال امرىء القيس، وطرفة بن العبد، وزهير ابن أبى سلمى، والنابغة الذبيانى، والمهلهل عبيد بن الأبرص، والسموءل، وليلى العفيفة وغيرهم، ويهمنا فى ذلك ما تضمنته قصائدهم وملاحمهم الشعرية من أفكار درامية توشك أحيانا أن تكون حـوارا تمثيليا لا ينقصه غير التمثيل ومنصة مسرحية، ومع ذلك فعنصر الدراما متوفر إلى حد بعيد، فالشاعر هنـا ممثل يلقى بقصيدته أمام جمهور من النظارة، وقد يحدث رد من شاعر آخـر أو حـوار من مستمع يجعل الأفكار تتصارع فيما يشبه الحوار الدرامى.

(١) تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى: حسن إبراهيم حسن - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٥٣ ص ٧١ - ٧٥ من الجزء الأول.

وإلى جانب الشاعر كان هناك القصاص أو المنشد أو المغنى الذى يقلد بصوته الأشخاص الذين تدور القصة حولهم، بل يطلعنا التاريخ الأدبى للعرب قبل الإسلام وبعده، أن الحكام والأثرياء كانوا يتخذون فى احتفالاتهم من يقوم بتقليد الحاكم أو الأمير، ومن يرد عليه وكانت هذه المشاهد الدرامية على قصرها تهدف إلى تمثيل موقف معين يتسم فى الغالب بالفكاهة والسخرية المسلية، ويحتوى على عظة أو درس أخلاقى، ولقد عـــرف العرب لونا من القصائد المطولة تسمى المعلقات تحتوى على أفكار قريبة لمجال القصة، ولكن من المؤسف حقا أن النثر الجاهلى لم يصلنا منه الكثير لأن أحدا لم يعن بتدوينه أو حفظه كالشعر ولم يدون منه ما دون - وهو قليل - إلا فى العصر العباسى، وقد وصلنا من نثرهم قصص تروى أخبارهم وأيامهم ومفاخرتهم، كذلك لم يصلنا شىء من أدب اليمن - والذى وصل بلغة عدنان - إذ كانت لهم لغة تخالف لغـــة العدنانيين رغم عوامل توحيد لغات العرب ثم سيادة لغة قريش فى النهاية وقد دون ما كتب بالعربية، أما ماعداه فلم يكن يهتم بتدوينه أحد.

فإذا أضفنا إلى ذلك أحـــداثا تاريخية راحت ضحيتها ملايين الكتب العربية مثل مكتبة سلطان بخارى التى كانت تحوى حمل أربعمائة جمل ومكتبة الواقدى التى كان بها ستمائة صندوق تساوى حمل مائة وعشرين جملا، ومكتبة دار الحكمة التى أنشأها الحاكم بأمر الله وكانت تضم مليونا وستمائة ألف مجلد ومكتبة طرابلس الشام وكانت تحوى ثلاثة ملايين مجلد تحت عناية قضاة آل عمار، وكان يعمل بها مائة ناسخ بمرتبات كبيرة وقد وقعت هذه المكتبات وغيرها فى أيدى الصليبيين عام ٥٠٣ هجرية فأحرقوها وصارت رمادا كما أحرق الكاردينال كنيس مطران طليطلة فى ساحة المدينة سبعين مكتبة عربية تحتوى إحداها على ستمائة ألف كتاب وكانت فهارس دواوين الشعر فيها تملأ ٨٨٠ صفحة، وآخر تلك المآسى ما أحرقه الفرنسيون من مخطوطات ومطبوعات وجدوها بمكتبات قسطنطينة عندما احتلوا الجزائر عام ١٨٣٠ م. ولا ننسى أيضا

ما أحرقه الكاردينال الأسبانى شيمثر من كتب العرب وتبلغ مليونا وخمسة آلاف مجلد فى ساحات غرناطة وكلها من التراث العربى ، كما أحرقوا حمولة ثلاث سفن مشحونة بالمجلدات العربية الضخمة وكانت متجهة إلى ديار سلطان مراكش فسكبوها وألقوا كتبها فى قصر الأسكوريال سنة ١٦٧١ م (١٠٨٢ هـ) حتى لعبت بها النيران فأكلت ثلاثة أرباعها ، ولم يستخلصوا منها إلا الربع الأخير وقدره ميخائيل العقيدى الطرابلسى الذى رتبها وكتب أسماءها واحد وخمسين وثمانمائة وألف كتاب حوت معظم معارف العرب ولم يستوعبوها كلها ، ولما فاجأ التتار بغداد بالهجوم بعد قتل الخليفة ، المستعصم آخر خلفاء العباسيين جعلوا دأبهم السلب والنهب وأخذوا كتب العلم فى خزائنها وألقوها بنهر دجلة وعبرت عليها جنودهم [1] .

ولنتصور أن كل هذا التراث وصلنا ، فمن المؤكد أننا كنا سنحصل منه على بغيتنا فى الوقوف على كنوز العرب الثقافية والفكرية ، وليس من المستبعد أننا كنا سنجد فيه ترجمات مسرحية عن اليونانيين ، وما أدرانا بمسرحيات عربية خالصة ، ألم تصلنا شذرات من ترجمة العرب لإلياذة هوميروس ؟ ولكتاب الشعر لأرسطو ؟ وبعض محاورات أفلاطون وأرسطو ؟ وكلها أعمال درامية فى المقام الأول ... ولعلها إذن تكون دعوة إلى مواصلة البحث والتنقيب فيما وصلنا من تراث ، ولنأمل مع الآملين فى غد أكثر إشراقا قد نكتشف فيه بعض ما فقدنا .

(يتبع)

محمد كمال الدين

---

(١) أدبيات اللغة العربية : محمد عاطف - محمد نصار وغيرهما . المطابع الأميرية ١٩٠٩ ص ٥٠

من أدب الحروب الصليبية

للأستاذ محمود شبكة

في الحروب الصليبية عظات وفيها عبر فهي تؤكد أصالة الشعب العربي وصلابة عوده ونفاسة معدنه وقدرته على الكفاح والنضال وصد العدوان مهما بلغت قوته واشتدت شراسته ، وذلك أن الشعب العربي مؤمن إيمانا عميقا بربه وبحقه في الحياة الحرة الكريمة كما يريدها له الله ، فكم مرت به أحداث وانتابته محن ولكنه خرج منها وقد ازداد قوة وحدة ومضاء ، فهو كالذهب الإبريز يزداد بالنار صقلا وجلاء فالنار تزيل صدأه وتنفي خبثه وتكسبه النقاء والصفاء .

وإذا كانت إسرائيل وأصدقاؤها يظنون أنها قد مكن لها في الوطن العربي وأنها بلغت من القوة والتمكن مبلغا تستطيع معه الثبات والبقاء فإن يكون مصيرها إلا المصير الذي انتهى إليه الصليبيون من قبل ، فالأمه العربية من قديم مقبرة للغزاة وعلى صخرتها تحطمت جيوشهم وتبددت أحلامهم :

ما رماني رام وراح سليما
من قديم عناية الله جندي

كم بغت دولة على وجارت
ثم زالت وتلك عقبى التعدي

فلقد جاء الصليبيون إلى الشرق تحركهم دوافع وأطماع استعمارية واقتصادية ولكنهم تستروا تحت راية الصليب يتظاهرون بأن هدفهم استخلاص الأماكن المقدسة من المسلمين بالشام ولكن الحقيقة التي لا شك فيها أن هذه الحروب كانت استعمارية بحتة بعيدة كل البعد عن الدين ، وحسبنا دليلا على ذلك سلوك هؤلاء الغزاة نحو سكان الشام فلقد أظهروا في معاملتهم ألوانا من الوحشية والقسوة تتنافى كل التنافي مع تعاليم الديانة المسيحية التي تحث على التسامح والمحبة ، ومن ذلك مافعله هؤلاء الصليبيون بالمسلمين يوم أن سقط في أيديهم بيت المقدس ، فقد ذبحوا سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى دون وازع من دين أو خلق ، وبمثل هذه الوحشية

كانت معاملتهم للمسلمين فى كل البلاد التى فتحوها .

وقد بدأت الحملات الصليبية فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى فقد زحفت الحملة الصليبية الأولى على الشام فى سنة ١٠٩٧ ميلادية ومكث الصليبيون فى الشام زهاء قرنين من الزمان حتى طردوا نهائيا فى سنة ١٢٩١ ميلادية حينما استخلص السلطان الأشرف بن قلاوون عكا من أيديهم .

وطوال هذه المـــدة كانت المعارك الحربية الطاحنة بينهم وبين أبناء الأمـة العربية قائمـة على قـــدم وساق لم يخب أوارها ولم تنطفىء نارها وظهـر فى هذه المعارك أبطال عرفوا بشجاعتهم وحسن قيادتهم للجموع المستميتة فى الدفاع من أبناء الأمة العربية .

وكان للأدب دوره الفعال فى إذ كاء نار الحماسة فى النفوس وإشعال نيران البغض والكراهية للأعـــداء وإلهاب الوميض الثورى فى ضمير الشعب العربى . وسجـل الشعراء والأدباء الانتصارات الخالدة فى هذه المعارك الضارية وأشادوا بقـــوة المسلمين وعنف المعارك التى خاضوها ، وتغنى الشعراء بمجد الإسلام وعظمته وذكروا المسلمين بأنهم أحفاد أبطال مغاوير ثلوا عروش الظلم وقوضوا ممالك الطغيان وأذلوا أعداء الله .

وقد حظيت معارك : الرها ، وحطين وبيت المقـدس ، ودمياط ، وعـكا ، بالنصيب الأوفى من أدب ذلك العصر كما يقول الدكتور أحمد بدوى فى كتابه : (الحيـاة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية) [١] .

ومعركة الرها كان بطلها عمـاد الدين زنـكى ، وكان لانتصار المسلمين فى هذه المعركة وعـودة الرها إلى حوزة العرب أعظم الآثار فهى أول مدينـة كبيرة تسترد من الأعداء ، وكان ذلك فى جمـادى الآخرة سنة ٥٣٩ هجرية ، ولقد أراد عماد الدين زنـكى أن ينتقم من الصليبيين جزاء وفاقا لما قدموه للمسلمين من قتل وذبح غداة احتلالهم بيت المقدس ولـكن طبيعة المؤمن وسماحة المسلم أبت عليه أن يقابل العدوان بالمثل ، ولقـد سجل الشعراء هـذا النصر المؤزر الذى اعتبر فاتحـة خـير وبراعة استهلال ،

(١) ص ٤٥٤ .

ومن هؤلاء محمد بن نصر القيسرانى ، إذ يقول :

هو السيف لا يغنيك إلا جلاده
وهل طوق الأملاك إلا نجاده
وعن ثغر هذا النصر فلتأخذ الظبا
سناها وإن فات العيون اتقاده
سمت قبة الإسلام فخرا بطوله
ولم يك يسمو الدين لولا عماده

ثم يتحدث عن عظمة الفتح وأثره فيقول :

وجامحة عز الملوك قيادها
إلى أن ثناها من يعز قياده
فأضرمها نارين : حربا وخدعة
فما راع إلا سورها وانهداده
فيا ظفرا عم البلاد صلاحه
بما كان قد عم البلاد فساده

وتعتبر معركة حطين بقيادة البطل صلاح الدين الأيوبى من أعظم المعارك بين العرب والفرنج ، وكان عدد الصليبيين فيها خمسة وأربعين ألفا أبيدوا جميعا فى المعركة ولم ينج منهم سوى ألف وكان عدد المسلمين اثنى عشر ألف مقاتل وكانت المعركة فى سنة ٥٨٣ هجرية ، وقد تم بعدها فتح بيت المقدس .

وكان القاضى الفاضل غائبا بدمشق ، فكتب إلى صلاح الدين عند ما بلغه نبأ النصر : ليهن المولى أن الله قد أقام به الدين القيم وأنه كما قيل: أصبحت مولاى ومولى كل مسلم وأنه قد أسبغ عليه النعمتين : الباطنة والظاهرة ، وأورثه الملكين : ملك الدنيا وملك الآخرة ، كتب المملوك هذه الخدمة والرءوس إلى الآن لم ترفع من سجودها ، والدموع لم تمسح من خدودها ، وكلما فكر الخادم أن البيع تعود وهى مساجد ، والمكان الذى كان يقال فيه : إن الله ثالث ثلاثة ، يقال اليوم فيه : إنه الواحد ـ جدد لله شكرا تارة يفيض من لسانه وتارة يفيض من جفنه .. تلك المكارم لا قعبان من لبن ، وذلك الفتح لا عمان واليمن وذلك السيف لا سيف ابن ذى يزن .

وقال العماد الأصبهانى الكاتب :

حطمت على حطين قدر ملوكهم
ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا
غداة أسود الحرب معتقلو القنا
أساور تبغى من نحور العدا نهسها
أتوا شكس الأخلاق خشنا فلينت
حدود الرقاق الخشن أخلاقهم الشكسا

بواقعة رجت بها الأرض جيشهم
دمارا كما بست جبالهم بسا

ثم يتحدث عن كثرة أسرى العدو فيقول :

سبايا بلاد الله مملوءة بها
وقد شريت بخسا وقد عرضت بخسا
يطاف بها الأسواق لا راغب لها
لكثرتها كم كثرة توجب الوكسا

وقال الشريف محمد نقيب الأشراف بمصر يصف فرصة العالم الإسلامي باسترداد بيت المقدس :

أترى مناما ما بعينى أبصر
القدس يفتح والفرنجة تكسر
ومليكهم فى القيد مصفود ولم
ير قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذى
وعد الرسول فسبحوا واستبشروا
فتح الشام وطهر القدس الذى
هو فى القيامة للأنام المحشر
من كان هذا فتحه لمحمد
ماذا يقال له وماذا يذكر
ملك غدا الإسلام من عجب به
يختال والدنيا به تتبختر

ويتحدث الحسن الجوينى عن انتصارات صلاح الدين فيقول :

جند السماء لهذا الملك أعوان
من شك فيه فهذا الفتح برهان
متى رأى الناس ما تحكيه فى زمن
وقد مضت قبل أزمان وأزمان
هذى الفتوح فتوح الأنبياء وما
لها سوى الشكر بالأفعال أثمان
أضحت ملوك الفرنج الصيد فى يده
صيدا وما ضعفوا يوما ولا هانوا
تسعون عاما بلاد الله تصرخ والإسـ
لام أنصاره صم وعميان
للناصر ادخرت هذى الفتوح وما
سمت لها همم الأملاك مذ كانوا
لو أن ذا الفتح فى عصر النبى لقد
تنزلت فيه آيات وقرآن

وفى سنة ٦١٥ هجرية هاجم الصليبيون دمياط للمرة الأولى ليتخذوا منها منفذاً إلى احتلال مصر، وتحت وطأة الحصار وعنفه سلمت دمياط وكان لتسليمها أثر سيء فى نفوس المسلمين فى أنحاء العالم العربى، ونشط المسلمون لمحاربة الصليبيين وتجمعوا من كل مكان بقيادة الملك الكامل وجرت مفاوضات بين الكامل وبين الصليبيين حول الجلاء عن دمياط ولكنهم ركبوا رءوسهم ولم يستجيبوا لمطالب المسلمين، ولما بدأ الصليبيون فى التحرك

نحو القاهرة متخذين طريقهم على شاطىء النيل وكان ذلك فى موسم الفيضان أمر السلطان بقطع السدود وفتح المسلمون عليهم الترع من كل مكان ، فأصبح العدو محصوراً بين الماء من جهة وبين قوات المسلمين من جهة ثانية عندئذ حاول الفرنج الهرب إلى دمياط وأرسلوا إلى الكامل يطلبون الجلاء دون مقابل فأجابهم إلى طلبهم ورحلوا عن دمياط ورجعت المدينة إلى أهلها وكان ذلك فى سنة ٦١٨ هجرية .

وقد صور البهاء زهير سرور المسلمين وفرحهم مادحا الملك الكامل ذاكرا فضله فى الدفاع عن الدين وصيانة البلاد فى قوله :

بك اهتز عطف الدين فى حلل النصر
وردت على أعقابها ملة الكفر
فقد أصبحت والحمد لله نعمة
يقصر عنها قدرة الحمد والشكر
يقل لها بذل النفوس بشارة
ويصغر فيها كل شىء عن النذر

ثم يتحدث عن الفرحة الغامرة التى عمت الوطن العربى كله فيقول :

وما فرحت مصر بذلك وحدها
لقد فرحت بغداد أكثر من مصر
فلو لم تقم لله حق قيامه
لما سلمت دار السلام من الذعر
وأقسم لولا همة كاملية
لخافت رجال بالمقام وبالحجر
فمن مبلغ هذا الهناء بمكة
ويثرب ينهيه إلى صاحب القبر
فقل لرسول الله إن سميه
حمى بيضة الإسلام من نوب الدهر

ويصف شجاعة الكامل أثناء المعركة ويذكر الحصار الذى أسلم العدو إلى الهزيمة فيقول :

ثلاثة أعوام أقمت وأشهرا
تجاهد فيهم لا بزيد ولا عمرو
صبرت إلى أن أنزل الله نصره
لذاك قد استحققت عاقبة الصبر
وليلة غزو للعدو كأنها
بكثرة من أرديته ليلة النحر
سددت سبيل البر والبحر عنهم
بسابحة دهم وسانحة غر

ويعتبر ابن النبيه هذا النصر بداية طيبة لتحرير الشام فيقول :

هكا وصور إلى رؤياك عاطشة
فانهض فقد أمكنت منهن خلوات
الله أكبر أن تمسى مزامرهم
تتلى وتنسى من القرآن آيات
وأن يخور على القرآن عجلهمو
جهراً وتختفى آذان أو تلاوات

وفى عهد السلطان الصالح أيوب بن الملك الكامل هاجم الصليبيون دمياط للمرة الثانية وقد أصيبوا بالهزيمة مثلما حدث فى المرة الأولى وذلك فى معركة المنصورة، ثم فارسكور فقد كان مصير الجيش الصليبى كله إلى القتل والأسر وعلى رأس الأسرى مليكهم لويس التاسع حيث سجن فى دار ابن لقمان بالمنصورة وفى ذلك يقول ابن مطروح متهكما عندما جاءت الأنباء باعتزام ملك فرنسا غزو مصر للمرة الثالثة :

قل للفرنسيس إذا جئته
مقال صدق من قئول فصيح
آجرك الله على ما مضى
من قتل عباد يسوع المسيح
قد جئت مصر تبتغى أخذها
تحسب أن الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين إلى أدهم
ضاق به عن ناظريك الفسيح

إلى أن يقول :

وقل لهم إن أضمروا عودة
لأخذ ثأر أو لقصد صحيح
دار ابن لقمان على عهدها
والقيد باق والطواشى صبيح

ويأتى فى نهاية هذه المعارك فتح عكا وبذلك الفتح دالت دولة الصليبيين فى الشام واستراح المسلمون من شرهم ووضعت الحرب أوزارها وسلم الوطن العربى لأهله بعد كفاح مرير وجهاد طويل شاق ، وكان لهذا الفتح المبين آثاره البعيدة المدى فى نفوس أبناء الأمة العربية وتغنى به الشعراء وأنشدوا المطولات ومن هؤلاء شهاب الدين محمود إذ يقول :

هذا الذى كانت الآمال لو طلبت
رؤياه فى النوم لاستحييت من الطلب
كانت تخيلها آمالنا فترى
أن التفكر أعجب العجب
سوران : بر وبحر حول ساحتها
دارا وأدناهما أنأى من القطب
مصفح بصفاح حولها أكم
من الرماح وأبراج من اليلب
ففاجأتها جنود الله يقدمها
غضبان لله لا للملك والنشب
كم رامها ورماها قبله ملك
جم الجيوش فلم يظفر ولم يصب

ثم يتحدث عن قوة المعركة وتوفيق المسلمين فيها مادحا السلطان الأشرف خليل :

(البقية على ص ٥٨٤)

فروق بين ألفاظ متقاربة

للأستاذ عباس حسن أبو السعود

— ٢ —

قدمنا خمسة من هذه الألفاظ، ويسرنا أن نعرض فى هذا العدد بعضا آخر منها لعل فى ذلك ما يفتح أمام الخاصة والدارسين أبواب الصواب والإجادة، وييسر لهم أن يضعوا اللفظ موضعه، ويعطوا المعنى حقه من الوضوح وحسن الأداء.

٦ — فهم لا يفرقون بين الثلة بضم الثاء، والثلة بفتحها: فالأولى معناها الجماعة من الناس، ومنها قوله تعالى: «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين»، أما الثانية فهى جماعة الغنم كما فى قول الشاعر:

آليت (١) ربى لا أسالمهم
حتى يسالم رب الثلة الذيب (٢)

تقول: أثل فلان فهو مثل إذا كثرت عنده الثلة، وبنو فلان مثلون أى أصحاب غنم كثيرة، وكساء جيد الثلة أى جيد الصوف، سمى باسم ما هو منه، كتسمية المطر بالسماء فى قوله تعالى «وأرسلنا السماء عليهم مدرارا»، أى المطر.

وتقول: قد أثل فلان إذا كثر عنده الصوف، فنى الحديث فى ماشية اليتيم «للوصى أن يصيب من ثلتها ورسلها»، أى من صوفها ولبنها، تقول: رسلت فصلانى إذا سقيتها الرسل.

٧ — ولا يفرقون بين أمعن، وأنعم، والحق أن الأول معناه المبالغة والاستقصاء والإبعاد، تقول: أمعن فلان فى الأمر إذا بالغ فيه، وأمعن الضب فى جحره إذا غاب فى أقصاه، وأمعنوا فى سيرهم إذا أبعدوا وبالغوا، وأمعن الفرس فى جريه إذا تباعد فى عدوه.

أما الثانى فلا يتفق مع الأول فى معناه إلا فى قولنا: أنعم فى الأمر إذا بالغ فيه ولكنه يختص بمعان كثيرة، منها الإجادة كما فى قولك: إذا عملت عملا فأنعمه أى فأجده، ومنها الزيادة كما فى قولك: أحسن فلان وأنعم أى أجاد وزاد على الإحسان، ومنها المن والتفضل كما فى قولك

(١) آليت ربى: أى حلفت بربى وأقسمت به.
(٢) الذيب. الذئب حيوان معروف يهمز ويلين.

أنعم الأمير على عبده بالعتق ، ومنها النعمة كما فى قولك: أنعم الله على فلان، ومنها النعومة كما فى قولك : أنعم الله صباحه ، ومنها الإجابة بنعم كما فى قولك سألته حاجة فأنعم لى بها أى قال : نعم ، ومنها إقرار العين بالحبيب كما فى قولك: أنعم الله بك عينا أى أقر الله عينك بمن تحبه ، ومثلها فى ذلك نعم الله بك عينا . ونعمك عينا ،ومنها الحفاء كما فى قولك: أنعمهم إذا آتاهم حافيا ؛ ويقال أيضا : تنعم فلان إذا مشى حافيا .

٨ — ولا يفرقون بين الضر بضم الضاد ، والضر بفتحها ، ويزعمون أنهما لمعنى واحد ، والحق أن لكل منهما معنى خاصا به: فالمضموم معناه المرض والهزال وسوء الحال، كما فى قوله جل شأنه: «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو» وقوله: «إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره» أما المفتوح فمعناه ضد النفع كما فى قوله سبحانه «يدعو لمن ضره أقرب من نفعه» وقوله «ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا» .

قال الأزهرى : كل ما كان سوء حال وفقرا وشدة فى بدن فهو ضر بضم الضاد، وما كان ضد النفع فهو بفتحها .

٩ — ولا يفرقون بين فعلى كبير بمعنى عظيم ، وكبير بمعنى طاعن فى السن ، فيستعملون أحدهما مكان الآخر، والواقع أن فعل الأول يجب أن يكون مضموم الباء ، تقول : كبر يكبر كبرا من باب قرب [1] إذا عظم فهو كبير ، ومنه قوله تعالى: «وأن الله هو العلى الكبير» أى العظيم ، ويقال للكبير بهذا المعنى أيضا كبار وزان غراب ، وكبار وزان رمان ومن هذا قوله تعالى : «ومكروا مكرا كبارا» ويجمع كبير على كبراء كما فى قوله: «وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا» .

أما فعل الثانى: فيجب أن يكون مكسور الباء ، تقول : كبر الولد يكبر من باب تعب كبرا وزان عنب ، ومكبرا وزان مسجد ، فمن الأول قوله تعالى: «وقد بلغت من الكبر عتيا» ، ومن الثانى قول الحارثة بن حرجة :

فأبدت معارفها والرسو
م داء دفينا على المكبر

واسم الفاعل كبير أيضا ومنه قوله عز وجل: «قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا

---

(١) ومن ذلك قوله تعالى: «كبر على المشركين ما تدعوهم إليه» ، وقوله : «كبرت كلمة تخرج من أفواههم» .

كبيرا ، أى مسنا تقول : هو كبير وهم كبار ، وفى التفضيل هو الأكبر ، وهم الأكابر وفى التنزيل : « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها »، وهى الكبرى وهن الكبر قال تعالى : « إنها لإحدى الكبر » .

والكبرة بالفتح علو السن ، قال :

عجوز علتها كبرة فى ملاحـــة
أقاتلتى يا للرجال عجـــوز ؟

ويقال هذا كبرة أبيه بكسر ، وهذا صغرة أبيه بكسر أول كل منهما لأكبر ولده وأصغرهم.

١٠ — ولا يفرقون بين المروحة بفتح الميم ، والمروحة بكسرها ، فالأولى : هى المفازة ، والموضع تخترقه الرياح ، تقول : قعد فلان فى المروحة ، أى فى المفازة أو فى مهب الريح ، أما الثانية : فهى آلة يتروح بها كالمروح بغير هاء ، تقول : روحت على ابنى بالمروحة .

عباس أبو السعود

(بقية المنشور على ص ٥٨١)

بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت
بك الممالك واستعلت على لرتب

ما بعد عكا قد لانت عريكتها
لديك شىء تلاقيـــه على لغب

فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها
مدت إليك نواصيها بلا نصب

كم قد دعت وهى فى أسر العدا زمنا
صيد الملوك فلم تسمع ولم تجب

أدركت ثأر صلاح الدين إذ غضبت
منـــه لسر طواه الله فى القلب

وجئتها بجيوش كالسيول على
أمثالها بين آجام من القضب

وحطتها بالمجـــانيق التى وقفت
إزاء جدرانها فى جحفل لجب

وجالت النـار فى أرجائها وعلت
فأطفأت ما بصدر الدين من كرب

وأفلت البحر منهم من يخبر من
يلقاه من قومه بالويل والحرب

هذه لمحات من أدب الحروب الصليبية يظهر فيها صدق العاطفة وحرارة الإيمان وقوة الانفعال تستبين منها ما تعرض له أسلافنا من عدوان المعتدين وما كان لهم من جهاد صادق ودفاع مستميت جنوا ثمرته نصرا قرت به أعينهم واطمأنت به قلوبهم مما يملأ نفوسنا بالأمل ويعمرها باليقين فى تحقيق النصر على عدونا وما النصر إلا من عند الله ؟

محمود محمد شبكة

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● طبقات المفسرين للداودى :
تحقيق : على محمد عمر

هذا الكتاب الذى نشرته « مكتبة وهبة بالقاهرة ، من خيرة تراثنا الإسلامى الذى نعتز به ، وهو يطبع لأول مرة ، وقد جاء فى مجلدين بلغت صفحاتهما أكثر من تسعمائة صفحة .

والمصنف هو : الحافظ شمس الدين محمد ابن على بن أحمد الداودى المصرى من علماء النصف الأول من القرن العشرين ، فقد توفى عام ٩٤٥ هـ ، أقام بالقاهرة ، وتتلمذ للسيوطى المتوفى عام ٩١١ هـ ، وترجم له فى مجلد ضخم ، وقد ترك من المؤلفات غير هذه الترجمة ، وطبقات المفسرين الذى بين أيدينا : ذيل على طبقات الشافعية للسبكى والاتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوى صاحب الكشاف .

يرى المحقق : أن تراجم علماء التفسير ظلت مبثوثة فى ثنايا كتب التاريخ والأدب والطبقات المختلفة ، لا يجمعها كتاب واحد كمثيلاتها من تراجم الأدباء والنحاة والشعراء .. حتى جاء السيوطى فوضع كتابه (طبقات المفسرين) لكنه لم يتم كما أراده ، وكان عدد التراجم ١٣٦ ترجمة ، لا تفى بحاجة الباحثين ، وكذلك صنف فى طبقات المفسرين الشيخ أبو سعيد الكوزة الحاتى المتوفى ٩٨٠ هـ ، وكذلك صنف غيرهما ، لكن جهودهم - ولا شك - كانت مبتورة ، أما الداودى فقد جاء بعمل فريد ، وقدم إلى الناس إحدى الموسوعات العربية ، ذلك أن كتب الطبقات إنما تعالج طبقة معينة كالحفاظ أو المحدثين أو النحاة ... أما طبقات المفسرين للداودى فقد شمل هؤلاء وغيرهم كما يرى المحقق أن مما يميز كتاب الداودى عن غيره جمعه فى إسهاب تراجم أعلام المفسرين حتى أوائل القرن العاشر للهجرة من كل المصادر التى وقعت لمؤلفه .

ونحن مع المحقق فى أن كتاب طبقات المفسرين للداودى يقف شامخا بين كتب التراجم التى سبقته ، وفى أنه إحدى الموسوعات العربية حيث بلغ عدد التراجم فيه ٧٠٤ ، وهى منقولة بالنص عن الكتب التى استعان بها ... لكن لنا وقفة موجزة عند مدلول كلمتى « طبقات المفسرين » فدلولها عند الداودى ومن سبقه من مصنفى الطبقات هو التراجم لأعيان المهنة الواحدة ، فطبقات الشعراء مثلا هى تراجم لأعيان الشعراء ، وهكذا تراجم تسلط الأضواء الضرورية على العين من الأعيان على الأقل ، ومع ذلك فهذا المنهج لم يتقيد به الداودى كما ينبغى فعدد من أعيانه لم يكتب عن الواحد منهم إلا سطرين أو ثلاثة أو أربعة ، وعدد آخر من أعيانه لا يمكن وضعهم فى طبقات المفسرين كأن يكون أحدهم صنف وحسب فى الناسخ والمنسوخ أو فى أحكام القرآن ، أو فى أمثال القرآن أو فى فضائل القرآن ، بل إن عددا كبيرا من أعيان الداودى اكتفى بالنسبة لهم بالاشارة إلى أن لهم تفاسير دون أن يذكر عبارة واحدة عن هذه التفاسير ، لذلك يعتبر كتاب الداودى وغيره أشبه ما تكون بعمليات الإحصاء ، ومع ذلك فطبقات الداودى موسوعة لها تقديرها بالإضافة إلى أن المكتبة الإسلامية وكل باحث فى مسيس الحاجة إليها ..

هذا وقد أصبح لكلمتى « طبقات المفسرين » مفهوم حديث ، إذ يقصد بها تقييم أعمال المفسرين ، ودراسة مناهجهم فى التفسير ، والمكتبة الإسلامية – على ما أعتقد – فى أمس الحاجة إلى مثل هذه الدراسات ، وأظن ولا أستطيع التأكيد أن تراثنا خلو منها أو على الأقل خلو من كتاب جامع لها .

بينما نرى فى العصر الحديث مثلا « مذاهب التفسير » للمستشرق اليهودى جولد تسيهر و « التفسير والمفسرون » للعالم الجليل فضيلة الشيخ محمد الذهبى وكيل مجمع البحوث الاسلامية و « التفسير ورجاله » للمغفور له الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور مفتى تونس ، وقد نشر مجمع البحوث الإسلامية هذا الكتاب ضمن سلسلة البحوث الإسلامية ، والكتاب على صغر حجمه ، جدير بكل تقدير ..

بقيت كلمة لا بد منها ، وهى كلمة منصفة للجهد الكبير الذى بذله محقق هذا الكتاب ، الأستاذ محمد على عمر بمركز

تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .
وهو جهد يفرض علينا تقديره وإكباره فهو لم يكتف فى تحقيقه هذا الكتاب بالرجوع إلى مخطوطاته ، فقد رجع أيضا إلى كثير من المراجع نقل منها المصنف ، فإذا علمنا أن هذه المراجع بلغت زهاء أربعة آلاف مرجع أدركنا قيمة الجهد الذى بذله المحقق ، هذا وقد توج تحقيقه بمجموعة من الفهارس : التراجم والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والقوافى وإنصاف الأبيات ، والقبائل والأمم والفرق ، والأماكن والبلدان والمياه ، والأيام والوقائع والحروب ، ومراجع المصنف ثم مراجع التحقيق .

غير أن المحقق ترك كثيراً من الكلمات الصعبة دون شرح ، كما ترك عددا من الأحاديث دون تخريج ، ثم إن المصنف كثيرا ما كان يترك بعض الأعيان بدون ترجمة ، فيكتفى المحقق بالإشارة أحيانا إلى مصادر هذه الأعيان ، وكان خيراً لو ترجم لكل منهم ولو بسطر أو بسطرين وهذه الملاحظات السريعة لا تنقص قدر المحقق الموفق الأستاذ محمد على عمر فى جهد بذله بكل تقدير .

• • •

● قراءات :

« إن جميع الثورات والانقلابات والحروب التى وقعت منذ بدء عصر التسامح مع اليهود ، وهو الذى يمتد عبر القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ، تكاد تكون من صنع اليهود أنفسهم ، لجأوا إليها تنفيذا لتعاليم التوراة والتلمود التى تحض على القضاء على غير اليهود ، كلما استطاع اليهود إلى ذلك سبيلا » .

من كتاب : « الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام » لعبد الله التل .

محمد عبد الله السمان

● ● ●

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر

السؤال من السيد / الأستاذ عبد المنعم محمد الحكيم

فقد الملازم أول سمير محمود منصور فى العمليات العسكرية سنة ١٩٦٧ ، وتوفى والده فى عام ١٩٦٨ ، ثم صدر قرار من وزارة الحربية باعتبار المفقود المذكور شهيداً - فما حكم ميراث هذا الشهيد من أبيه ؟ وما حكم ميراث الأب من ابنه الشهيد ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن شرط الوارث أن يكون متحقق الحياة بعد وفاة المورث .

وشرط المورث أن يكون متحقق الموت فى حال حياة الوارث .

وبما أن المفقود مظنون الحياة فإنه لا يورث - أى لا يرثه أحد - وبما أنه مظنون الوفاة فإنه لا يرثه أحد .

ويتبين من هذا أن المفقود الملازم سمير محمود منصور والمقرر وفاته فى ١٩٧١/٦/١٠ لا يرث أحداً ولا يرثه أحد فيما بين التاريخين المذكورين والله تعالى أعلم .

* * *

السؤال من السيدة / اعتماد صيد إبراهيم حمودة :

١ - باع المرحوم والدى ١٢ قيراطا و ١٢ سهما لوالدتى ولى ولأختى بمبلغ مذكور فى عقد بيع ابتدائى على أن تقسم هذه الأرض بالتساوى بين الجميع . ولكن عقد البيع هذا لم يسجل بالطرق الرسمية وأن الأم قامت بدفع قيمة هذه الأرض - هذا مع الإحاطة بأن والدنا ترك أخا شقيقا .

٢ - توفيت إحدى البنات عن أم وأختين شقيقتين وعم شقيق .

٣ - توفيت بنت أخرى عن أم وأخت شقيقة وعم شقيق .

فما حكم هذه التركة ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فنفيد عن الأول : بأنه يتضح من العقد أن البيع لم يكن حقيقة بل قصد به توزيع التركة قبل الوفاة على الزوجة والبنات الثلاث دون الأخ الشـــقيق باعتبار أنه وارث فى هذه التركة وعلى ذلك فإن عقد البيع يكون وصية تنفذ فى ثلث التركة فقط ويقسم هـذا الثلث بين الزوجـة والبنات الثلاث بالتساوى بينهن والباقى وهو ثلثا التركة هو الميراث : للزوجة منه الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الثلاث الثلثان فرضا لعدم من يعصبهن يقسمان بينهن بالسوية والباقى للأخ الشقيق تعصيبا .

وعن الثانى : أن للأم السدس فرضا لوجود عدد من الأخوات ، وللأختين الشقيقتين الثلثين فرضا لعدم من يعصبها أو يحجبهما يقسمان بينهما بالتساوى والباقى للعم الشقيق تعصيبا .

وعن الأخير بأن للأم الثلث فرضا لعدم وجود الفرع الوارث أو عدد من الإخوة أو الأخوات ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أو يحجبها والباقى للعم الشقيق تعصيبا والله أعلم .

* * *

السؤال من السيد / مهدى درامى

(من مواطنى مالى)

هل وصول الإنسان إلى سطح القمر أمر مستطاع ؟ وهل يجوز ذلك شرعا ؟ وما دليل ذلك من الكتاب والسنة ؟

هل ترث المرأة المعقود عليها ولم يدخل بها من الرجل الذى عقد عليها ؟

أرجو بيان حكم الشرع حيث يوجد خلاف عندنا فى جمهورية مالى .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد : فنفيد عن السؤال الأول : بأنه ليس فى القرآن ولا فى السنة ما ينفى وصول الإنسان إلى سطح القمر ولا ما يوجبه فهو جائز عقلا وشرعا .

وحيث وقع ذلك كما تدل عليه أخبار الذين صعدوا ونزلوا وشاهدتهم بواسطة التليفزيون قائمين على سطح القمر كل ذلك يدل على أنه لا مانع منه شرعا .

وعن الثانى : بأن كل رجل عقد على

(البقية على ص ٥٩١)

مجلة الأزهر
فى الجامعة الامريكية بنيويورك

تلقينا الخطاب التالى :

« العربية لغة الإسلام والمسلمين ، ولغة ثقافية عالمية رفيعة

بقلم الدكتور خليل ا . ع . سمعان أستاذ قسم اللغات الكلاسيكية والسامية بجامعة ولاية نيويورك فى بنغمطن - Binghomton

نتابع منذ زمن ليس بالقصير أبحاث الأستاذ « على عبد العظيم » فى اللغة وفقهها وعبقريتها وقيمتها الدينية ووضعها الاجتماعى ، إنها أبحاث قيمة مفيدة تدل على اطلاع وعلم واسعين .

وإننا إذ نهنىء الأستاذ « على عبد العظيم » نود أن نلفت نظره إلى بعض ما أسهم به العلماء العرب والمستشرقون فى تعريف الغرب والشرق باللغة العربية : لغة الإسلام والمسلمين ، ولغة الثقافة والعمران العربيين ، هؤلاء العلماء كان منهم المسلم وغير المسلم .

وإنا لنذكر هنا على سبيل المثال : كانتينو ، وفليش ، وفوك ، وبرالمن ، وكاتب هذه السطور الذى نشر فى مكتبة الشيخ محمد أشرف فى الأهوار باكستان : Arabic Phonetics وفى دار إى . جى . بريل فى لايدن بهولاندا Linguistics in the Middle Ages, 1969 ، وفى مجلة المجمع العلمى العربى فى دمشق مجلة اللغة العربية المجلد ٤٢ الجزء ٤ بحث بعنوان (على هامش دعوى الصعوبة فى تعلم العربية) وفى المجلد ٤٣ الجزء (١) بحث بذات العنوان ، وفى المجلد ٤٤ الجزء ٤ بحث ثالث بعنوان : « دراسات فى العربية والألسنية) .

وإننا لنتشرف بلفت نظر الأستاذ (على عبد العظيم) إلى آراء فى العربية ربما كان منها فائدة . والله ولى الأمر .

وقد اطلع الأستاذ على عبد العظيم صاحب هذه الدراسات على خطاب

الدكتور سمعان فعقب عليه بما يلى :

أشكر الأستاذ الدكتور سمعان على ما وجهه إلى من ثناء لا أستحقه ، وإنما الذى يستحقه هو « مجلة الأزهر » التى حملت على منبرها العالمى صوتى إلى أنحاء العالم وأعلن اغتباطى باتفاق فى الرأى مع الدكتور العلامة ومع من ذكرهم من كبار الباحثين الأعلام بالجامعات الغربية وأعد هذا من معجزات اللغة العربية التى نالت التقدير والإعجاب من العرب وغير العرب ومن المسلمين وغيرهم ، وأن هذا لدليلا جديدا أضيفه إلى ماسقته من أدلة عديدة على أصالة اللغة العربية وسموها ورسالتها العالمية القديمة والمرتقبة

وأرجو أن تسعدنى الظروف بالاطلاع على ما كتبه الأستاذ البحاثة الدكتور خليل سمعان وما كتبه الأساتذة الأجلاء الذين ذكرهم للانتفاع بثمرات أبحاثهم الممتازة ودراساتهم القيمة .

والله ولى التوفيق ؟

على عبد العظيم

(بقية المنشور على ص ٥٨٩)

امرأة عقدا شرعيا صحيحا فهو زوجها وهى زوجته بمجرد العقد دخل بها أو لم يدخل ؛ وإذا مات أحدهما بعد العقد وقبل الدخول ورثه الآخر بإجماع علماء المسلمين ؛ إن كان الميت الرجل فللمرأة الربع أو الثمن وإن كان الميت المرأة فالرجل النصف أو الربع والله تعالى أعلم .

* * *

السؤال من السيد / مأمون جمعة

توفيت امرأة عن زوج وابن وأم وأب فمن يرث وما نصيبه ؟

كما أن ابنها عمره ١٥ يوما فلمن تكون حضانته لأم أمه أم لأم أبيه ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد : فنفيد بأن تركة هذه المتوفاة توزع على الوجه الآتى :

للزوج الربع فرضا لوجـــود الفرع الوارث ، ولكل من الأم والأب السدس فرضا لوجود الفرع الوارث أيضا ، والباقى للإبن تعصيبا .

وعن حضانة الصغير نفيد بأن أم الأم أحق بهذه الحضانة من أم أبيه والله تعالى أعلم ؟

محمد أبو شادى

أنباء وآراء

الإسلام فى العالم

يتزايد - فى إطراد - عدد معتنق الإسلام فى العالم، ونقدم - فى هذا العدد - آخر أنباء هذا الجانب.

● فى اليابان

يتزايد عدد المسلمين فى اليابان بين الأوساط المثقفة، وقد حرص مسلمو اليابان على إقامة صلة مباشرة لهم بالأزهر الشريف، فتوالت بعثاتهم إليه بين ذكور وإناث، وحصل أحد الطلبة اليابانيين على الإجازة العالية من كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ويعتبر فضيلة الشيخ « الطيب المختار مى دى أمى » أول يابانى يحصل على هذه الدرجة العلمية وأول « فقيه » يابانى درس الإسلام عقيدة وشريعة.

وبالدراسات الخاصة بمجمع البحوث الإسلامية - الأزهر الشريف - حاليا تدرس الآنستان اليابانيتان « عزيزة توموكو مايتو » و « صالحة لوفوميكو إكيغمى » اللغة العربية والقرآن الكريم والشريعة الإسلامية.

ومن الشخصيات الإسلامية البارزة فى اليابان « عبدالله يو مو را »، و « محمد سليمان تاكيو تشى »، و « عمر مى تا »، و « على محمد مورى »، والآنسة « فاطمة كازو »، ويتزعم الحركة الإسلامية فى اليابان دكتور « عبد الكريم سايتو » الذى يمثل مسلمى اليابان فى المؤتمرات الدولية الإسلامية.

● فى تايلاند

تمكن المسلمون التايلانديون من إقامة مدرسة إسلامية ومركز أسهمت « السعودية » فى بنائهما وفى مصر حاليا بعثة من طلبة تايلاند المسلمين تدرس بالأزهر الشريف، وقد تقدم بعض أفرادها لنيل « ثانوية الأزهر » هذا العام ويستعد لدخول جامعة الأزهر.

● فى ماليزيا

اعتنق الإسلام آلاف عدة من قبيلة « كتدازان » فى احتفال جماعى، أقيم فى ولاية (صباح) بشرق ماليزيا، وتعد قبيلة كتدازان « إحدى القبائل الكبرى بهذه الولاية.

● وفى أندونيسيا

أذاعت وكالة الأنباء « انتارا » الأندونيسية أن حوالى أربعة آلاف من الوثنيين فى « داياك » بمقاطعة « بولونجان » فى جزيرة « كاليمنتان » الشرقيـة اعتنقوا الإسلام طواعية واختيارا .

● وفى مصر

بلغ عدد معتنقى الإسلام من نصارى مصر حسب سجـل لجنة الفتوى التابعة لمجمع البحوث الإسلامية حتى نهاية ١٩٧١ ثمانين وثلاثمائة شخص منهم تسعة وثلاثون ومائتان من الذكور والباقى من السيدات والآنسات .

فى يناير واحد وعشرون منهم ثلاثة عشر رجـــلا ، فبراير ثمانيـة عشر منهم اثنا عشر رجلا ، مارس أربعة وثلاثون منهم عشرون رجلا ، إبريل خمسة وثلاثون منهم واحد وعشرون رجلا ، مايو خمسة وثلاثون منهم واحد وعشرون رجلا ، يونيو اثنان وأربعون منهم ثمان وعشرون رجلا ، يوليو ثمان وثلاثون منهم أربعة وعشرون رجلا ، أغسطس واحد وثلاثون منهم واحد وعشرون رجلا ، سبتمبر واحد وثلاثون منهم عشرون رجلا ، أكتوبر تسعة وعشرون منهم ثمانية عشر رجلا ، نوفمبر أربعة وثلاثون منهم ثلاثة وعشرون رجلا ، ديسمبر اثنان وثلاثون منهم ثمانية عشر رجلا .

وجدير بالذكر أن لجنة الفتوى إحدى مراكز تلقى رغبات المواطنين المصريين الراغبين فى اعتناق الإسلام بالقاهرة ، وتعتبر مكاتب الشئون الدينية المنتشرة بالمحافظات مراكز تلقى هـذه الرغبات خارج القاهرة ويتحصل معتنق الإسلام على شهادة من لجنة الفتوى تثبت إسلامه وينص فيها إذا كان رجلا على أن أبناءه دون البلوغ صاروا مسلمين تبعا لأبيهم .

● وفى لندن

بلغ مجموع الذين اعتنقوا الإسلام ثمانين شخصا فى السنوات الخمس الأخيرة معظمهم فى سن الأربعين ، وينتمون إلى دول عدة منها : انجلترا وألمانيا وهولندا وروسيا .

● وفى أمريكا

أذاع دكتور محمد عبد الرؤف مدير المركز الإسلامى فى واشنطن بيانا عن معتنقى الإسلام بالولايات المتحدة حتى نهاية ١٩٧١ . مادة البيان :

« أن مائتى رجل وامرأة قـد اعتنقوا الإسلام خـــلال عام ١٩٧١ وسجلوا اعتناقهم للإســلام رسميا فى سجلات مسجد واشنطن » .

مراكز إسلامية جديدة فى العالم

● فى استراليا ...

وافق فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر بالقاهرة على سفر دكتور على سامى النشار الأستاذ بآداب الإسكندرية، ودكتور عبد الفتاح بركة المدرس بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر - إلى أسبانيا لبحث مشروع إنشاء مركز إسلامى يلحق به مسجد جامع يفى بحاجة مسلمى استراليا بمدينة (سيدنى).

● وفى ألمانيا الغربية ...

أنشأ مسلمو ألمانيا الغربية مركزاً إسلامياً بمدينة (آخن) يضم مسجداً كبيرا وقاعة محاضرات ومكتبة وساحة رياضية، ويحمل المسجد اسم الصحابى الجليل (بلال بن رباح) رضى الله تعالى عنه.

ولا يزال هذا المركز تموله تبرعات الطلاب، وللمركز - مع المسلمين - لقاءات دورية وندوات شهرية منتظمة، وتدرب كثير من الطلاب فيه على إقامة الشعائر الدينية.

● ... وفى لندن :

تقوم الجالية الإسلامية بلندن مع المملكة السعودية والكويت ببناء مركز إسلامى كبير يضم مسجداً ومكتبة بميناء « باوساوث شيلدر »، بالقسم الشمالى الشرقى من الجزيرة البريطانية.

ارتفعت تكاليف المشروع إلى اثنتين وستين ألف جنيه استرلينى.

اشتركت فى المشروع بعض دول الخليج إلى جانب بعض الدول الإسلامية.

ينتفع بهذا المشروع نحو ستة آلاف مسلم يقيمون فى ميناء « جيوبايسل » المجاور.

● ... وفى بلجيكا :

يعمل النشاط الإسلامى ببلجيكا فى اتجاهين :

إنشاء مركز إسلامى ببروكسل التى تبلغ السفارات الإسلامية بها إحدى وعشرين سفارة، وقد عمل المسلمون على تكوين منظمة إسلامية تحقق إقامة : (ا) مركز إسلامى. (ب) مسجد جامع. (ج) مقبرة إسلامية وتأسست بالفعل هذه المنظمة باسم « المركز الإسلامى الثقافى ببروكسل » واعترف بها - كنظمة اجتماعية - بمقتضى مرسوم صدر بالجريدة الرسمية لبلجيكا سنة ١٩٦٨ بالعدد ٣٦٩٥، ويتكون مجلس المنظمة من سبعة وعشرين عضوا، ومن إمام المسجد، وخمسة أعضاء منتخبين يمثلون الجاليات الإسلامية المقيمة ببلجيكا (البقية على ص ١٦ من القسم الإنجليزى)

pleases; the flash of His lightning almost takes away the right. Allah turns over the night and the day; most surely there is a lesson in this for those who have sight. And Allah has created from water every living creature: so of them is that which walks upon its belly, and of them is that which walks upon two feet, and of them is that which walks upon four; Allah creates what He pleases; surely Allah has power over all things". (24 : 43 — 45)

وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا ، الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فسأل به خبيرا . (الفرقان ٥٨ - ٥٩)

"And rely on the Everliving Who dies not, and celebrate His praise; and Sufficient is He as being aware of the faults of His Servants" "Who created the heavens and the earth and what is between them in six days (periods), and He is firm in power, the Beneficent God: so ask respecting it one aware".

تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ، وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً . (الفرقان ٦١ - ٦٢)

"Blessed is He Who made the stars in the heavens and made therein a sun and a shining moon. And He it is Who made the night and the day to follow each other for him who desires to be mindful or desires to be thankful".

(25 : 61 — 62)

(بقية المنشور على ص ٥٩٤)

واستلم المجلس من الحكومة البلجيكية عام ١٦٦٩ بناية فخمة على شكل مسجد فى أحسن مواقع العاصمة (بروكسل) ووضع لهذه البناية التاريخية تصميما هندسيا لتكون مركزا إسلاميا بهذه العاصمة .

كذلك تقوم الجاليات الإسلامية بنشاط موسع إلى جانب النشاط السابق، وذلك باكتراء المحلات الكبرى فى الأحياء الآهلة بهم ليحولها إلى مساجد للصلاة و(كتاب)للأطفال ، وتكونت منهم لجنة فى مدينة (أنفرس) وبوسائلها الذاتية استطاعت أن تستأجر لمدة تسعة وتسعين عاما ، وبإيجار رمزى - أرضا - لتقيم عليها مسجدا تتوفر فيه كل احتياجات المسلمين من مدرسة ومكتبة وقاعة محاضرات ؟

على الخطيب

وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ، وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون ، وهو الذى يحي ويميت وله أختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون . المؤمنون ٧٨ - ٨٠)

"And He it is Who made for you the sears and the eyes and the hearts : little is it that you give thanks. And He is who multiplied you in the earth, and to Him you shall be gathered. And He it is Who gives life and causes death, and (in) His (control) is the alternation of the night and the day ; do you not then understand ? (23 : 78-80)

الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم .
(النور ٣٥)

"Allah is the Light of the heavens and the earth ; His Light is as a niche in which is a lamp, and the lamp is in a glass, the glass is as though it were a glittering star ; it is lit from a blessed tree, an olive neither of the East nor of the West, the oil of which would well – nigh give light though no fire touched it, – light upon light ! Allah guides to His light whom He pleases ; and Allah is Cognizant of all things" (24 : 35)

ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما تفعلون ، ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير . ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج . . . .
(النور ٤١ — ٤٥)

"Do you not see that Allah is He Whom do glorify all those who are in the heavens and the earth, and the (very) birds with expanded wings ? Each one Knows its own prayer and its (way of) glorying ; and Allah knows what they do. And Allah's is the Kingdom of the heavens and the earth, and to Allah is the eventual coming".
(24 : 41 – 42)

" Do you not see that Allah drives along the clouds, then gathers them together, then piles them up, so that you see the rain coming forth from their midst. ? and He sends down of the clouds that are (like) mountains wherein is hail, afflicting there with whom He pleases and turning it away from whom He

شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حباً متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ، وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون.
(الأنعام ٩٥ - ١٠٠)

" Verily Allah it is Who cleaves out the grain and the date - stone ; He brings forth the living from dead and He is the bringer forth of the dead from the living ; that is Allah ! how are you then turned away ? He causes the dawn to break ; and He has made the night for rest, and the sun and the moon for reckoning : this is an arrangement of the Mighty, the Knowing. And He it is Who has made the stars for you that you might follow the right way thereby in the darknesses of the land and the sea ; clear have We made Our signs to men of knowledge." "And He it is who has brought you into being from a single soul, and has provided for you an abode and resting – place. Clear have We made Our signs for men who understand. And He it is Who sends down water from heaven ; and We bring forth by it the buds of all the plants, and from them bring We forth the green foliage, and the close growing, grain, and palm tress with sheaths of clustering dates, and gardens of grapes, and the olive and the pomegrante, alike and unlike ; behold its fruit when it yields the fruit and the ripening of it ; truly herein are signs unto people who believe. And they made the jinn associates with Allah, though He created them ; and in their ignorance have they falsely ascribed to him sons and daughters; glory be to Him ! and highly, exalted is He above what they attribute to Him" "Wonderful Originator of the heavens and the earth ! How could He have son when He has no consort, and He (Himself) created everything, and He is the knower of all things. That is Allah, your Lord, there is no god but He ; the Creator of all things therefore worship Him alone, and He takes care of all things. Vision comprehends Him not, and He comprehends (all) vision ; and He is the Subtile, the All-Informed". (6 : 95 — 100)

وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا . (الإسراء ١١١)

"And say : Praise be to Allah, Who has not taken a son and Who has not a partner in His Kingdom, nor any protector from contempt, and proclaim His greatness. magnifying Him" (17 : 111)

الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب .
(آل عمران ٢٦ - ٢٧)

"Say : O Allah, Possessor of the kingdom ! Thou givest the kingdom to whomsoever. Thou pleasest and takest away the kingdom from whomsoever Thou pleasest, and Thou exaltest whom Thou pleasest and abasest whom Thou pleasest ; in Thy hand is all good, for Thou art Alimighty" "Thou makest the night to pass into the day and Thou makest the day to pass into the night, and Thou bringest forth the living from the deed and Thou bringest forth the dead from the living, and Thou givest sustenance to whom Thou pleasest without measure". (3:26-27)

وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ، وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ، وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا .
(الأنعام ٥٩ - ٦٢)

"And with thim are the keys of the unseen, none know them but He ; and He knows what is in the land and sea and there falls not a leaf but He knows it nor a grain in the darknesses of the earth, nor any thing green or dry but it is noted in a clear book (God's Knowledge). And He it is Who takes your souls at night (in sleep) and He knows what you acquire in the day, then He raises yod up therein that an appointed term may be fulfilled ; then to Him is your return, then He will inform you of what you were doing". "And He is the Supreme, above His servants, and He Sends guardian angels to watch over you ; until when death comes to one of yon, Our messengers cause him to die, and they will not neglect Our commands. Then are they sent back to Allah, their True Sovereign; now surely His is the judgment and He is swiftest taking account".
(6 : 59 – 62)

إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون ، فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ، وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ، وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ، وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل

CONCEPTION OF GOD
In Verses from the Holy Quran

ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم
وجه الله إن الله واسع عليم ، وقالوا اتخذ
الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات
والأرض كل له قانتون ، بديع السموات
والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له
كن فيكون . (البقرة ١١٥ - ١١٧)

"And Alla's is the East and the West, therefore wither you turn, thither is Allah's face (Presence); Surely Allah is Immense and All-Knowing. And they say : Allah has taken to Himself a son. Golry be to Him ; rather, whatever is in the heavens and the earth is His ; all are obedient to Him. Wonderful Originator of the heavens and the earth, and when he decrees a thing, He only says to it, "Be" and it is" (2 : 115 — 177)

والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم . (البقرة ١٦٣)

الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى
الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون
بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه
السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو
العلى العظيم . (البقرة ٢٥٥)

"And your God is one God ! there is no god but He ; He is the Beneficent, the Merciful". (2 : 163)

"Allah is He besides whom there is no god, the Everliving, the Self - Subsisting by whom all subist ; slumber does not overtake thim nor sleep ; whatever is in the heavens and whatever is in the earth is His; who is he that can intercede with Him but by His permission ? He knows what is before them and what is behind them, and they cannot comprehend any thing out of His knowlege except what He pleases; His Throne extends over the heavens and the earth, and the preservation of them both tires Him not, and He is the Most High, the Great" (2:255)

قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء
وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء
قدير ، تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى

material existence, the sun and stars. heaven and earth, river and mountains, all are created to serve the ends and purposes of man. But if this universe does not suit him, God may shatter it in a accordance with his will and demand. (*1*)

Man can even elevate himself to that lofty height where God asks his will before assigning to his destiny. Life consists in love and creation, and man, in order to be alive, should be creative and should become the master of heaven and earth. He should dissolve all that does not suit him and with his creative power and force should create a new world. Free personality cannot live in and reconcile itself to the world that is not created by his own efforts.

According to Iqbal, there is no contradiction between the creative freedom of man and his destiny. The destiny is a sphere of creative activity itself; it involves creative power, spontaneous activity and original behaviour.

(*1*) *Iqbal : Bal - i - Jibril. P. 80 / 90*

Human destiny as a sphere of initiative and creative activity is a limitation to divine activity but this limitation is self — imposed by God. In creating the creatures God limits his own creative power. But the limitation of divine reality has no analogy with the limitation of the finite Egos and does not rob him of his infinity and omnipotence.

God remains Almighty and — All - powerful. Man's position is unique; his path lies between freedom and determinism. Man owes (*1*) his being, his existence, his body, life, and soul, his destiny, his powers and possibilities to the Divine Creation and the Divine Command. He is destined to actualise his powers and possibilities in this universe and is given the power of initiative by The Divine Reality. But his destiny and position is unique. He is free to select and make a choice of the possible alternatives or of the possible courses of activities. When the choice is made, God helps him to realize it. Hence he is, in this sense, responsible for his action and deeds and reaps their fruits.

(*1*) *Iqbal : Zabour - i - Ajam. P. 220 / 230.*

relation of God with the universe. He says *(1)* that our body owes its existence to the soul while our soul has its source in the divine Reality. But what is the meaning of will in the philosophy of Iqbal ?

The finite Ego is not a fatally articulated or rigidly determind reality. It enjoys real freedom and genuine creative power. In the philosophy of Iqbal, we have no place for determinism. The reality in itself does not yielp to mechanistic determinism, to mathematical formula and geometrical fixity. It is not bound up with mechanical necessity, with physical laws, with the determining conditions externally or uniformily as is depicted by the mechanical or kinetic theories of matter, which resolve the whole universe into molecules and atoms and interpret the mental and psychological phenomena in their light, thus reducing the matter and mind both to rigid determinism. Determinism and necessity are realative. They are due to the constitution of nature at the phyical and psychological level. Freedom, on the other hand, is absolute, eternal and really real. It is the very essence of the divine absolute will (*2*),

(*1*) *Iqbal : The Reconstruction 130 / 140.*

(*2*) *Iqbal : The Reconstruction 110 / 120.*

The freedom is a fact disclosed by the observation of the psychical experience and by the study of the intelligent behaviour. Here the approach is psychological which reveals the finite Ego as a pur duration, which as an indivisible whole perpetually creates and enriches itself, or in the words of Bergson, (*1*) grows like the plant of a fairy tale, transforming its leaves and flowers from moment to moment. For Iqbal this growth and development is determind from within (*2*) It reveals the element of self – guidance and directive control in man. As a matter of fact, the very conception of life involves freedom. Its is the free creative activity and necessarily implies freedom and originality. Man may change his self into dust that is destined to be blown away by every gust of wind, at the same time he may transform it into stone which breaks the glass. If he transforms it into ocean, (*3*) it has unfathomable depth. If he develops the wings of a crow, he is led to the graveyard ; if he develops the wings of the eagle, he rises to the most celestial height. (*4*) The physical and

(*1*) *Bergson : Mind Energy. P. P. 17 / 20.*

(*2*) *Iqbal : The Reconstruction P. 119 / 120.*

(*3*) *Iqbal ; Jawaid Name P. 120 / 130*

(*4*) *Iqbal : Zabour - i - Ajam. P. 110.*

word "Adam" as a concept for the man in his capacity of God's vicegerent on earth. Man has his origin in this earh and the fall of Adam in the legend only symbolizes "Man's" rise from a primitive state of instinctive appetite to the conscious possessions of a free self, capable of doubt and disobedience . . . . man's transition from simple consciousness to the first flash of self-consciousness, a kind of working from the dream of nature with a throb personal causality in one's own being".

Iqbal agrees with Bergson, *(1)* He uses the very words of Bergson. Bergson says : "I pass from state to state, I am warm or cold, I am mercy or sad. I work or do nothing. I look at what is around me or I think of something else. Sensations, feelings, volitions, ideas — such are the changes into which my existence is divided and which colour it in turns. I change then without ceasing. But, Iqbal's view is different from those presented by Hume *(2)* and william james *(3)* Connsious experience as conceived by him is not a mere bundle of sense — perception as it is for Hume. It is not a mere collection to totality of impressions, Perceptions feelings, memories and ideas. The inner life revealed as such is not a mere collection or totality of separate and independent states, or the bits consciousness mutually reporting each other, Criticising James theory, he says *(1)* that he does not throw any light upon the essence and reality of the Ego. He pictures conscious experience as constituted of passing thoughts and thus totally ignores the continuity and relatively permanent element in the experience.

According to Iqbal, the inner life, that is, our conscious experience, is revealed to us a mobility, a constant change and continuous flow, is an organic whole, and has a unity continuity and individuality. Iqbal assures : there is no metaphysical dualism of the soul and the body. The soul is related to the body as God is related to the universe. As the universe is the objectification of God, the body is the objectification of the soul. Iqbal elucidates the position when he says that the body has its source and ground in our soul as our soul has its source and ground in God. He defines the relation of the soul with the body on the analogy of the

---

(1) Bergson : Creativ Evolution P. 1 / 5 / 10.

(2) Philosophic works of Hume vol. 1 (1825) P. 300.

(3) William Hames ; Text book of psychology (1892) P. 159/160

---

(1) Iqbal : The Reconstruction P. 100/120.

placed him, a moist germ, in a safe abode; then made We the moist germ a clot of blood; then made the clooted blood into a piece of flesh; Then made the piece of flesh into bones; and clothed the bones with flesh: then brought forth man of yet another make. *(1)* Thus man owes his existence to divine creation and divine commande. God, Iqbal says, does not creat man in some supersensual abode or paradise, first moulding him out of clay and then breathing in him soul from outside. He is not a mere contriver working upon his material from outside. He does not work upon illusory clay. He is the living and Dynamic Reality.

Thus, according to Iqbal, man is created by God and at the same time he evolves out of matter. Life emerges from matter gradually, with unicelluar organism as its first manifestation and with man as its crowning and highest masterpiece placed at the top of the ladder. He believes in evolution. Bnt matter, according to him, is not the same as presented by the materialists.

Matter itself is the outcome of the Divine creative will; it is the outward expression of the divine life, the absolute Reality or Ego. The ultimate Ego is immanent in it and makes the emergent emerge out of it. It has the possibility to rise under the divine guidance from one level to another, to ascend higher and higher in the scale of reality*(1)*. It is this upwards advance, this creative, integrative and transformative process which gives rise to an unending series of new events and novel forms, to higher organisations and greater complexities, which leads to the emergence of new level and higher stages of life, mind and consciousness.

Thus Iqbal puts forth the theoary of evolution, to show that the evolutionary process is in conformity with the Quranic idea of the creation of man. The legend of the fall man, as the Quran narrates it, does not deal with the origin of man or the first appearance of man on this earth. *(2)*

Adam also does not mean the concrete human individual, the first human living being created in Heaven and expelled from it to earth as a reality entirely foreign to it. The Quran uses the word (Bashar) and (Insan), when it describes the origin of man, while it uses the

(1) Iqbal : The Reconstruction P. 110 — 120.

(2) Iqbal : The Reconstruction P. 80/100/115/120.

experiences come and go but the soul - substance remains the same for ever. But this definition of the self does not give us any clue as to its nature. There is behind all the multiple experiences an inner unity also. It is this unity which is the pivot of all experiences. It is the nucleus of our existence. Psychology does not grasp this inner nature of of the self.

Leaving rationalism and empiricism alone, we must, says Iqbal, turn to the inner depths of our own consciousness, and have reccurse to intution. To say that the Quranic idea of Destiny and fate goes against freedom is not true, *(1)* for Destiny is not the fixed programme for the Ego. The Ego is free to choose and to act. Destiny is the inward reach of the Ego. The Ego is limited by its inner possibilities. Limitation, however, does not necessarily impose determinism upon us. The Ego is free within its possibilities. The Ego is not only free, it is immortal, and this it is, Iqbal tend to hold, what intution tells us. With regard to freedom of will, the Holy Quran has been emphasized, lest man should forget his own responsibility for his conduct. Indeed, the whole trend of

---

إنا كل شيء خلقناه بقدر (القمر ٤٩)

(1) All things we have created with a fixed destiny (54 ; 49)

Quranic ethics points in this direction. "Say the truth is from your Lord, whosoever may wish, he may believe ; and whosoever may whish, he may disbelieve," says the Holy Quran. *(1)*

Man is absolutely conscious of being master and the organisor of his own career. He is given power, by which he can accomplish his own desires, in virtue of the moral freedom which he enjoys. However, according to Islam, the power of self - government, with which we are endowed, is a trust, and not a free gift. It not only entrusts our own destiny to ourselves, but it actually trusts, or seems to trust, the whole final outcome of God's creative work to our treatment of it.

Iqbal tries to bring about a compromise between the theistic conception of the creation of man and the theory of evolution. And to serve this purpose he interprets the theistic conception of creation as presented by the Quran in the light of the evolutionary theory. He accepts the Quranic view, according to which Ego emerges within the spatio - temparal order out of fine clay. God says "Now of fine clay have We created man : there We

---

(١) وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . (الكهف ٢٩)

and the freedom of will. The self is at once the starting, and the basic point of his thought, it is the self which affords him a highroad to metaphysics, because it is the intution of the self which makes metaphysics possible for him. Iqbal claims himself to have had this intution. The self is a Veritable reality. It exists and exists in its own right. We know by intution that its is most real. The intution takes us to the very roots of our existence and assures us directly of our own reality. The empiricsts and the rationalists both, however, fail to reveal to us the true nature of our own self. The empiricists regard the self as a mere come — and — go if psychical states. But by placing these states apart from each other they lose sight of the unity which binds them together in one whole.

Thus however much, as Bergson points of contact and exploring the intervals, the ego always escapes them, so that they finish by seeing in it nothing but the vain phantom. *(1)*

The rationalists too are incapable of grasping the true nature of the self. Iqbal's philosophy is thus the philosophy of Egohood. So, he is sure that the intution of God must be characterised after the intution of the self.

Iqbal says that we can intut the self. We can directly see that the self is real and existence. Indeed our self hood is the most real thing we can know. Its reality is a fact. We directly apprehend it and affirm its reality on the basis of a direct intution of it. This intution, however, is possible only in moments of great dicision, action and deep feeling. Action, effort and struggle open to us the deep recesses of our own being. We directly perceive our own self to be existent, The self is revealed as the centre of all our activity and action. This centre is essentially the core of our personality. It is to be named as Ego. It is the Ego which is at work in our likes and deslikes, judgments and resolutions. This Ego is directly revealed to be existent and real. Intution alone, gives the surest ground for the existence and the reality of the self as Iqbal said.

But now what is the nature of the self ? Al ghazzali for instance regards the self to be a separate entity over and above the mental states and experiences. *(1)* It is a substance, which is simple, indivisible, and immutable. The multiple

(1) Bergson; Matter and mind p. 25/57.

(1) Alghazzali ; Jhiai p. 85.

THE FREEDOM OF WILL
IN THE PHILOSOPHY OF IQBAL [1876 – 1938]

BY

Dr. ABDUL KADER MAHMOUD

Iqbal's Philosophy is in the Twentieth Century, perhaps by far, the most consistent attempt to reconcile religion and philosophy in Islam. The great merit of his work is that he has reconstructed religous thought in Islam, and carried out the task which centuries ago our great scholastics like Nazzam Ashari and Al ghazzali set to themselves in the face of Greek science and philosophy.

His work of reconstruction, however, does not get its inspiration from greek thought. On the contrary, he even goes to the extent of subjecting greek thought to a trenchant criticism and points out that the spirit of greek philosophy is purely speculative. Iqbal rather takes his inspiration from modern philosophy. Modern philosophy is, specially since Kant, essentially — empirical. Speculation, without experience, however, can never lead to the sure foundations of knowledge and reality. Experience is a necessary step twoards all knowledge. The spirit of Islam too is essentially empirical. The world for it is real Islam, as Iqbal points out, laid emphasis on experience long before modern sciences learnt to do so. *(1)*

Islam, rather has wide insight more than the spirit of modern sicnces, as that of some modern schools of philosophy is, however, very dogmatic. They do lay emphasis on sense experience. But they tend to hold that the sensible alone is real. They close their eyes to the possibility of any reality beyond sense — experience. *(2)* Islam on the contrary holds that beyond the sensible there is a new horizon the horizon of transcendent reality. It accepts, as Iqbal said, the sensible to be real, but what it insists upon is that the sensible or the empirical is not the only reality.

Iqbal's philosophy, in its main strain, is the philosophy of the self

(1) Iqbal : Lectures by Iqbal p. 140/147/177.

(2) Iqbal : The construction of the Religious Thought p. 110.

Progress, but it is also the establishment of certain principles, the enforcement of certain dispositions, the cultivation of certain temper of mind, which the conscience is to apply to the ever-varying exigencies of time and place. The wonderful adaptability of Islamic rules to all ages, places, nations and circumstances; their entire agreement with the light of reason and the absence of all mysterious ideas, prove that Islam represents the latest developments of the religious faculties of human being. It combines within itself the prominent features in all ethnic and general religions compatible with the reason and moral intuition of man.

Islam tries to attain the object of perfection by grasping the principle that man will be judged by his work alone. This belief leads the Muslim to the practice of self denial and universal charity, and the belief in the Oneness of God, in His Mercy, Love and His Sustainment leads him to self humiliation, patience and firmness in the trials of life.

The universal character of Islam is clear from the concluding verses of the second chapter of the Quran:

لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . . .

(البقرة ٢٨٤ - ٢٨٦)

It means : "Unto Allah (belongeth) whoatsoever is in the heavens and whatsoever is in the earth ; and whether ye make known what is in your minds or hide it, Allah will bring you to account for it. He will forgive whom He will and He will punish whom He will. Allah is able to do all things. The messenger believeth in that which hath been revealed unto him from his Lord and (so do) the believers. Each one believeth in Allah and His angels His scriptures and His messengers — We make no distinction between any of His messengers — and they say : We hear, and we obey, (Grant us). Thy forgiveness our Lord. Unto Thee is the journeying. Allah tasketh not a soul beyond its scope. For it (is only) that which it hath earned, and against it (only) that which it hath deserved".

(2 : 284 — 286)

These verses of the Quran expressed the power and sovereignty of God and the univesality of His Religion.

Quran is directly revealed from the Creator of Fitrat. and the Will of God made manifest in his creation. So the Quran would lead to discoveries of the secrets of Nature, and a careful study of Nature will help the proper interpretation and understanding of the Quran. Whenever any contradiction between human knowledge and the Holy Quran arises, the human interpretation of Nature must be rejected as mistaken. As human knowledge increases the Quran unfolds itself gradually like a flower leaf.

The principal basis on which the Islamic system is founded, are mentioned in the second chapter of the Quran :

ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين
يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من
ربهم وأولئك هم المفلحون . (البقرة ١-٥)

It means : "Alif. Lam. Mim. This is the Scripture whereof there is no doubt, a guidauce unto those who ward off (evil). Who believe in the unseen, and establish worship, and spend of that we have bestowed upon them ; And who believe in that which is revealed to unto thee (Muhammad) and that which was revealed before thee, and are certain of the Hereafter. These depend on guidance from their Lord. These are the successful". (2 : 1 — 5)

We can summerize the essential points of these verses as follows :

— There is no doubt that the Quran is revealed from the Creator; Sustainer and Lord of all the worlds, as a guidance to the mankind.

— This Quran is not such as can be produced by other than God; and the Prophet is but a plain warner and he teaches that which is revealed to him by inspiration.

— The belief in the Oneness of God, His immateriality, His mercy and His supreme power. Charitv and brotherhood among mankind.

— The Holy Quran directs the people to believe in all revelations and the prophets of God since the birth of mankind.

– The necessity of belief in the accountability for human actions in another Existence. The Quranic code of life guides man in the right path and it leads him to the channel of progress.

It is the distinctive characteristic of Islam ; that it is not merely a system of positive moral rules, based on a true conception of human

strive his best to put it into practice:

قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

(الأنعام ١٦٢ - ١٦٣)

It means : "Say : Lo ! my worship and my sacrifice and my living and my dying are for Allah, Lord of the worlds. He hath, no partner. This am I commanded, and I am first of those who surrender (unto Him)". (7 : 162 – 163)

The efforts of those who strive with all due striving are ultimately crowned with success, as the Quran has promised ;

ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا .

(الإسراء ١٩)

It means : "And whose desireth the Hereafter and striveth for it with the effort necessary, being a believer, for such their effort findeth favour (with their Lord)" (17 : 19)

The Holy Quran contains principles of the religion of Islam. It is a concrete and complete system dealing with all walks of human life. It interpretes the true nature of man and establishes peace between him and his nature and regulates his course of life according to the nature (Fitrat) in which God has created man ; that is 'Will of God'; that is 'Islam'. The Holy Quran says :

فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . (الروم ٣٠)

It means : "The nature framed of Allah, in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not". (30 : 30)

Holy Quran is the first source of Islam. It contains the fundamentals of the law of Nature which governs man. The Quran and Nature are in perfect harmony, because 'Deen' or religion is defined in the clear verses of Quran as the 'Fitrat' or Nature.

If any conflict between Quran and Nature appears, it is not because of the conflict is real but because human study of Nature and of the Holy Quran is not perfect some people try to interpret the Quran to adjust it with the human interpretation of Nature. They claim that the Knowledge of man is final and unfailing. This attitude definitely indicates the weakness of faith in the revelation of God. The Holy

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FŪDA

SHA'BAN 1392 | ENGLISH SECTION | SEPTEMBER 1972

WHAT DOES 'ISLAM' MEAN?

– Absolute 'Submission' To the 'Will of God'

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

The very word 'Islam' means to 'submit', 'surrender', and 'yeild'. The significance of the Religion of Islam is characterized in Absolute submission to the 'Will of God'. A true believer must ever strive to learn and understand 'God's' will, because he knows that God alone is the Lord and Master of all things in the heavens and on the earth, and He is the Owner of life and death. He is the Sovereign and sole Ruler of the Universe. The Quran commanded the Prophet to say :

قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير.
(آل عمران ٢٦٠)

It means : "O God ! Lord of Power (and Rule), Thou givest power to whom Thou pleasest, and Thou strippest of power from whom Thou pleasest ; Thou endowest with honour whom Thou pleasest; Thou bringest low whom Thou pleasest. In Thy Hand is all good. Over all things Thou hast power". (3 : 26)

Thus, the Government of the whole creation and its maintenence and sustenence is in the Hands of God. "Who rules all affairs from the heavens to the earth" (32 : 5)

When a man has gained the immediate insight into this 'Truth' he would willingly submit to God's will and His order. After the acquisition of this knowledge he should

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشا في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السابع — السنة الرابعة والأربعون — رمضان سنة ١٣٩٢ هـ — أكتوبر سنة ١٩٧٢ م

م ١٢
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم ماذا بعد ...

للأستاذ عبد الرحيم فودة

سؤال جال في صدري وفكري . ولا يزال يجول في صدور كثير غيري . ممن تابعوا باهتمام بحوث مجمع البحوث وقراراته ، ورأوا فيها الثقافة الواسعة المتنوعة ، والبصر النافذ بحال العالم الإسلامي ومشكلاته . والعلاج النافع لمختلف علله وأزماته ، ثم العمل اللازم الحاسم لمواجهة الخطر الذي يتحداه ويزحف إليه ، ويتحين الفرص للقضاء عليه .

ولكن الجواب عن هذا السؤال ليس في مقدور مجمع البحوث ، ولا هو من طبيعة عمل علمائه ، وإنما هو في مقدور الشعوب العربية والإسلامية والحكومات التي تقوم عليها ، وتلتزم الأمانة والصدق في التعبير عنها . والتحدث باسمها ، وتشعر بالخطر الداهم على مصير دين وحضارة وعالم يبلغ تعداد آحاده ثمانمائة مليون مسلم ، لو قذف كل واحد منهم حجرا على عدوه لقضى عليه واستراح منه .

إن المسلمين كما يقول النبي صلى الله

عليه وسلم : « تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » وكما يقول عليه الصلاة والسلام : كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وكالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، فكيف يهون عليهم ما يقع على إخوانهم فى فلسطين ، وفى الفليبين . وفى كل مكان يتعرض فيه المسلمون للمحن والفتن والدسائس .. ؟

إنهم لم يهونوا إلى الحد الذى يهون فيه ذلك عليهم ، ولن يسكتوا عنه إلى الأبد . وهم يرون الخطر محدق بهم ، ويكاد يطبق عليهم ، ويسمعون أصوات علمائهم ترتفع بالإنذار والتحذير . والدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله . وتحرير المستضعفين من إخوانهم فى الدين .

وقد هزتهم القوارع إلى الأخذ بوسائل القوة ، بعد أن أحسوا ما جنى عليهم التخلف فى مجال العلم والحضارة والحياة الطيبة ، فضعفوا بعد قوة . وهانوا بعد عزة . وطمع فيهم من كانوا يحتمون بهم ، وهذا الشعور بالخطر ، واليقظة لما يراد بهم ، والإيمان بضرورة التجمع والاتحاد لمواجهة الصهيونية والاستعمار سيشتد تأثيره وعمله حتى تعود إليهم كرامتهم ويعودوا كما كانوا « خير أمة أخرجت للناس » .

وإذا كان ليل التخلف والجمود والضعف قد طال عليهم ، فقد آذن أن ينجلى ، وظهرت تباشير صبحه فى حركات التحرر التى قامت فى مصر ، والجزائر ، وليبيا والسودان والجنوب العربى ، والعراق ، وسوريا ، وهو على طوله لا يقاس بطول الليل الذى أغرق بظلامه أوربا فى العصور الوسطى ، بل لا يقاس بما كان للعرب والمسلمين فى التاريخ من مجد وسؤدد وحضارة نقلت العالم من ظلام الجهل والفوضى والهمجية إلى نور العلم والنظام والمدنية .

وأيا ما كان ظلام هذا الليل فإنه لا يدعو إلى اليأس والقنوط ، وبخاصة عند من يؤمنون بالله ، ويعتقدون أن الأيام كما يقول سبحانه : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، وأن اليأس كما يقول جل شأنه : « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ، وقد حكم المسلمون

الأندلس ثمانية قرون ، وحكموا الهند كذلك ثمانية قرون ، وكان ذلك تصديقا لوعد الله حيث قال : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ولا يزال وعد الله قائما ، ولا يزال الإســـلام كما يقول الله فيه : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ولا يزال كتاب الله وسنة رسوله كما يقول الله فيهما : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

وإذا كان اليهود فى أنحاء العالم قد تلاقوا على مقررات حكماء صهيون التى وضعوها فى مؤتمر بال عام ١٨٩٧ ، وبذلوا كل ما استطاعوا من مال وجهد وذكاء ودهاء فى سبيل تحقيقها ، وتعاونوا على الإثم والعدوان من أجل تطبيقها فما أجدر المسلمين ، وقد غشيهم من الأحداث ما غشيهم أن يتلاقوا على قرارات مؤتمر علمائهم ، وهى تدعوهم لما يحييهم ويصون عرضهم وأرضهم ودينهم وحضارتهم .

إن ذلك كائن لا محالة ، وسيكون الله معهم لأنهم يدافعون عن حق ، ويذودون عن شرف ، ويجاهدون فى سبيله أعداءه وأعداء دينه ، وقد قال - وقوله الحق - : « والذين جاهـــدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .؟

عبد الرحيم فوده

● ● ●

المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية

فى صبيحة غرة شعبان عام ١٣٩٢ هـ الموافق لليوم التاسع من سبتمبر عام ١٩٧٢ م بدأ المؤتمر جلسته الأولى الافتتاحية بالقاهرة ، برئاسة الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر ، وبحضور الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر مندوبا عن السيد رئيس الجمهورية والدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، والسادة الأعضاء الممثلين لجميع الدول الإسلامية .

وقد ألقى الإمام الأكبر كلمة الافتتاح تلا فضيلته فضيلة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان نائبا عن الوفود ، ثم ألقى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية كلمة المجمع ، وكان مسك الختام كلمة السيد وزير الأوقاف نيابة عن رئيس الجمهورية ، وقد قدم المتكلمين الدكتور عبد المنعم النمر .

واستمر انعقاد المؤتمر السابع بجلستين فى الصباح والمساء كل يوم حتى يوم الأربعاء الخامس من شعبان سنة ١٣٩٢ هـ والموافق لليوم الثالث عشر من سبتمبر سنة ١٩٧٢ ، حيث ألقيت البحوث من أعضاء المؤتمر ، وكان لقضايا الأقليات المسلمة المضطهدة فى آسيا وإفريقيا وأوربا وقضية فلسطين النصيب الأكبر من البحوث والمناقشات الجادة الهادفة .

وفى صبيحة يوم الخميس أنهى المؤتمر جلسات الفترة الأولى حيث اتخذت القرارات والتوصيات التى شملت قضايا الإسلام ومشكلاته ، وكانت الوفود على موعد مع السيد رئيس الجمهورية باستراحة القناطر الخيرية ، حيث استقبلهم سيادته وقام بمصافحتهم واحدا واحدا ، واجتمع بهم ، بقاعة الاستراحة ، وقد ألقى فيهم كلمة حارة مسهبة ، وقد قدم الوفود إلى السيد الرئيس فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر بكلمة موجزة ، كما ألقى كلمة الشكر أمام السيد رئيس الجمهورية نيابة عن الوفود الأستاذ صالح بويصير وزير خارجية ليبيا السابق .

وهذه كلمة رئيس الجمهورية . . .

كلمة السيد رئيس الجمهورية في وفود المؤتمر

أرحب بكم باسمي شخصياً كأخوة وكأهل نجتمع اليوم في لحظة من أدق لحظات حياتنا التي نعيشها أو عشناها في الماضي، وإننا نعلم عبر التاريخ أن الإسلام كان هدفاً مستهدفاً دائماً للاستعمار وللغزاة. واليوم نحن نعيش أخطر معركة في حياتنا كأمة إسلامية وهي أمة واحدة كما قال لنا سبحانه وتعالى في كتابه .

إننا نتعرض لأخطر امتحان نمتحن به في إيماننا وفي صلابتنا .. في حفاظنا على مقومات إسلامنا كما نتعرض أكثر من ذلك لأخطر غزوة لا تستهدفنا نحن وحدنا وإنما تستهدف كل القيم التي أرادها الله في رسالاته السماوية كلها ، ومن قبل تعرضنا لمثل هذه الغزوات - كما ذكر بحق الأخ صالح - غزوة صليبية جاءت تتستر تحت اسم الصليب ولكنها في داخلها استعمار يريد التهام الأرض ، وتعرضنا أيضاً لغزوة تترية ، وفي كل هذا صمدت أمتنا وخرجنا بعون الله وتوفيقه منتصرين.

واليوم علينا أن نواجه هذه الغزوة الشرسة ، غزوة الصهيونية مع الاستعمار لأنها لا تستهدف عقيدتنا وحدها ، وإنما تستهدف أرضنا ومستقبلنا ومصيرنا وحياة أجيالنا المقبلة .. وأن تسيطر على كل شيء .

لقد مرت علينا غزوات من قبل واستطعنا بعون الله وثبات إيماننا أن ننتصر فيها ونزيح كابوس الاستعمار .. واليوم كيف نستطيع أن نواجه الغزوة الجديدة الشرسة التي تجمع في داخلها كل شراسة ودناءة الصهيونية إلى جانب ضراوة أطماع الاستعمار .. كيف نواجه هذه الغزوة ؟

من قبل قلت لكم وقلت لأمتنا كلها إننا في هذه البلد مصر .. مصر التي عرفتموها جميعاً عبر التاريخ وعبر الأجيال وأزهركم الذي عرفتموه عبر التاريخ والأجيال .. سنظل بعون الله أمناء على الرسالة لن نفرط فيها مهما

كانت التضحيات ولن نسلم بما يقولون إنه أمر واقع .. لن نيأس.. لن نتخاذل لن نستسلم مهما كانت التضحيات ومهما طال الزمن .

عرفتم مصر وأزهركم عبر القرون الماضية .. الرسالة هي الرسالة والشعب هو الشعب والأمانة هي الأمانة لن نفرط أبداً مهما كانت التضحيات ولكن علينا لمواجهة هذه الغزوة الشرسة أن نتسلح بسلاح العصر الذى نعيش فيه .. لا يمكن أن نتخلف ونحن نواجه صهيونية دنيئة غادرة واستعمارا شرسا لئيما .. من أجل ذلك ناديت بدولة العلم والإيمان ، فالعلم وحده من غير الإيمان قد يقينا شر هذه الغزوة ماديا لكنه لن يستطيع على المدى الطويل أن يبنى النفوس التى يجب أن يبنيها مجتمعنا كما نشأنا وكما تنص عليه رسالتنا وما اختمر فى هذه الأرض من مبادىء وتقاليد وقيم .

والإيمان وحده فى مواجهة الغزو لا يكفى لأن لدى عدونا من مستحدثات العصر ما يستطيع به أن يكسب جولة وجولة وجولة إذا لم نتسلح بالسلاح الذى يتسلحون به .

من أجل ذلك ، العلم والإيمان شرطان أساسيان لنجتاز هذه المحنة التى نعيشها اليوم الأمة الإسلامية لم تفرق العلم عن الإيمان .. كان العالم عالم فلك ورياضة إلى جانب تفقهه فى علوم الدين .. هذا ما نقله الغرب عنا منذ البدء ، والعلم والإيمان متلازمان فى رسالتنا وعقيدتنا وما أحرانا اليوم أن نعود إلى ما كنا عليه من العلم والإيمان .. ومهما كانت قوى البغى ومهما تبدت شراسة الاستعمار أو دناءة الصهيونية فى أساليبها وغدرها فلن ينال هذا من صمودنا . .

.. كم من أمم كبرى اليوم .. بل إن القوتين الكبريين أمريكا والاتحاد السوفيتى . . أمريكا تلقت هزيمة فى ١٩٤١ وكانت أقوى دولة فى العالم تلقت هزيمة على يد اليابان .. والاتحاد السوفيتى أيضاً حينما هاجمته جيوش النازى تلقى هزيمة وقام الشعب الأمريكى وقام الشعب السوفيتى برد تلك الغزوات وبدفع ثمن تحرير الأرض والصمود .

فإذا كنا نحن نواجه ظرفا عصيبا فى تاريخنا وحياتنا وهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ فهى لا تعنى أننا انتهينا أو سلمنا .. لقد

خرج الشعب المصرى فى ٩و١٠ يونيو وهو أعزل من كل شىء إلا من الإيمان ليقول لا لا أسلم .. ولن تهزم إرادتنا كشعب .. انتصرت إسرائيل عسكريا ولكنها لم تهزم إرادتنا كشعب ولم تهزم صمودنا وتصميمنا ويقيننا ولن تهزمهم بإذن الله .

ولكن لكى نعد للمعركة المقبلة لابد لنا من أن نستحضر كل مقومات عقيدتنا وتاريخنا ولضالنا وكفاحنا فى أسلوب نبنى به دولة العلم والإيمان .

بالعلم نواجه السلاح والسلام ... وبالإيمان نقول بيقين لعدونا نحن لا نخاف شيئاً أبداً الآن .. كل شىء بيد الله سبحانه ونحن نؤمن أننا فى دفاعنا عن عقيدتنا وأرضنا ومستقبل أجيالنا إما أن ننتصر أو نستشهد وفى كلتا الحالتين منتصرون بعون الله .

يقتضينا هذا أن تكون نظرتنا إلى العالم من خلال عقيدتنا نظرة جديدة .. لابد أن نربى الطفل والشاب والراشد على مبادىء وقيم أخشى أن تكون قد أهملت فى الفترة الماضية .. لابد أن نعمل جميعا كل منـــا فى مكانه لنبنى المجتمع الإسلامى الجديد القائم على العلم والإيمان. لا نهمل العلم أبداً وعلينا فى نفس الوقت أن نرسخ من الإيمان .

إن هذه المرحلة بلاء ابتلينا به وامتحان نمتحن فيـه أدعو الله أن يوفقنا جميعاً لكى ننجح فى هذا الامتحان ونجتاز هذا البلاء كما اجتزنا ما ابتلينا به من قبل فى غزوات سابقة وأن نخرج من هذه الغزوة الشرسة أقوى فى يقيننا وإيماننا وتمسكنا ببناء المجتمع الإسلامى الجديد على أساس من العلم والإيمان فلا يجب أن نتخلف مرة أخرى .

أمر آخر هام وجوهرى فى رسالتنا لماذا الحقد والفرقة والتشتت .. لن نستطيع أن نبنى بالحقد أبدا .. دعونا نضرب كل هذا ونعود لجوهر عقيدتنا. الحب والصفاء والأخوة والقوة التى تتولد بالإيمـان وبالثبات وباليقين .. دعونا نعود إلى جوهر رسالتنا : الإيمان هو ما وقر فى القلب .. الإيمان أخوة .. محبة .. يقين .. غيرة على قيمنا وعلى حياتنا وأرضنا أيضا .. وعلى مستقبل مجتمعنا الإسلامى .. على إيمان إيجابى كامل.

(البقية ص ٦٠٩)

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام في افتتاح المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين :
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين، الذي أرسله الله رحمة للعالمين وهدى للناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

السيد نائب السيد رئيس الجمهورية .

السادة الأجلاء أعضاء المؤتمر .

إخواني الفضلاء وأبنائي الأعزاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

فبعون الله تعالى وفضل توفيقه، افتتح المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية:

وأهلا بكم معشر العلماء الأعلام في وطنكم مصر .. كنانة الله في أرضه .. وقلب العروبة النابض . .

وأهلا بكم في القاهرة التي شرفت باحتضان الأزهر . وحماية رسالته ، الأزهر الذي كان . . ومازال . . ولن يزال إن شاء الله . . الحصن الحصين للتراث الإسلامي . . والحارس الأمين للغة العربية . . لغة القرآن . . لغة محمد عليه الصلاة والسلام .

أهلا بكم في رحاب الأزهر . . الذي مازال علماؤه دعاة إلى الإســــلام . . وأمناء على القرآن يزورون شتى الشعوب الإسلامية ليبلغوا رسالة الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ويوثقوا روابط الإخاء بين المسلمين . .

مرحبا بكم في القاهرة . . الصامدة الصابرة . . الماضية بعزم وإصرار في سبيل استنقاذ الأرض . واستخلاص الحق . . وتأديب الطغاة . .

مرحبا بكم في جمهورية مصر العربية ، التي يسعدها أن تستقبلكم . . وعلى رأسها رئيس يؤمن بالله ، ويعتز بدينه ، ويقود سفينتها بعون الله إلى بر النصر وشاطىء العز ومستقر السلام . .

أهلا بكم من أعماق القلب . . ومن قرارة النفس . .

ولا نزيدكم بهذا شرفا.. فحسبكم أن الله شرف أقداركم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أشاد بمكانتكم.. حسبكم قول ربكم - وأنتم العلماء - «إنما يخشى الله من عباده العلماء».

وقوله جل شأنه: «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون».

وقوله جل شأنه: «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين».

وكل آية من تلكم الآيات تاج على رأس كل عالم حبس نفسه على خدمة الإسلام، وانفق وقته وجهده في التفقه في الدين، والدعوة المخلصة، إلى شرعه الشريف ونوره المبين، وحبله المتين ونهل من المنهل العذب الذي دعا الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - إليه، وهو ينزل عليه قوله: «وقل ربي زدني علما».

ثم حسبكم هذه الطائفة من الأحاديث الناطقة بمدى حفاوة النبي - صلى الله عليه وسلم - بورثته من العلماء العاملين:

«من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة» (رواه مسلم).

«ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى وما استقام دينه حتى يستقيم عقله» (رواه الطبراني).

«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير» (رواه الترمذي).

«يا أبا ذر.. لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم - عمل به أو لم يعمل - خير لك من أن تصلي ألف ركعة.

مرحبا بكم يا من رشحتكم مكانتكم في شعوبكم للانتظام في هذا المجتمع الوقور، المجتمع الإسلامي العظيم.

يا ورثة الأنبياء: من أجل هذا الفضل والتماسا لأسباب الهدى والنور وتنسيقا لجهود العلماء العاملين، وعرفانا بمكانتكم في شعوب الأرض قاطبة شرفنا بدعوتكم إلى هنا لنتلاقى الأفكار، ونتبادل الدراسات، ويستأنس كل منا بجهاد

إخوانه ودراساتهم فى سبيل الله ، لتكون كلمة الله هى العليا فتسعد بذلك البشرية فى عاجلها وآجلها ، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير .

أما فرحى وسرورى واغتباطى بلقائكم فحدثوا عنه ولا حرج . فلا أجد عبارات تعبر عنه وتشرحه ، وتنى به وتصوره .

وهل بقيت من اللذات إلا
محادثة الرجال ذوى العقول ؟

يا ورثة الأنبياء :

يطيب لى وأنا أتحدث إليكم أن أعرض على أسماعكم رأيى فى بعض الأمور التى تشغل بال المسلمين . . وأن أفتح بذلك أبوابا من الجهاد بالقلم واللسان ، وأن أشارك بهذا من سبقونى إلى بعض هذا الفكر . . وكل ما أرجوه أن يملأ الله قلوبنا إخلاصا . وأن يمدنا بعونه وتأييده وتوفيقه ، حتى نلقاه سبحانه وتعالى يوم الفصل بقلوب سليمة .

يا ورثة الأنبياء .. ويا أعلام الهدى :

الموضوعات التى أحب أن أتدارسها مع حضراتكم فى هذه الدورة هى ما يأتى :

توالت أحداث التاريخ عبر أربعة عشر قرنا على تصديق قول الحق - تبارك وتعالى - : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » .

ولذلك وجب علينا أن نكون دائما على يقظة مسترشدين بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا » .

فيجب التصدى للذين يتصيدون المسلم البعيد عن الثقافة الإسلامية أو الواقع تحت ضغط الفقر والحرمان والفاقة والديون ، لصده عن دين الله ، عن طريق إثارة الشبهات المختلفة الباطلة ، لإخراج الناس من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر منتهزين انشغالنا بمواجهة العدوان الصهيونى ، باذلين فى سبيل ذلك طائل الأموال وأحابيل الشيطان .

ويجب التصدى للذين ينفثون سموم الفرقة بين المسلمين لضرب وحدتهم وتفريق جماعتهم وتعويق آمالهم .

ويجب التصدى لمؤامرات المستعمرين وأذناب المستعمرين . . حماية ليومنا وغدنا وأعراضنا وأموالنا وأنفسنا .

هذا هو واجبنا فى الوقت الذى نحشد فيه طاقتنا لمقاومة الصهيونية الغادرة وتحرير أرضنا وتطهير قدسنا .

ونحن إذ نحارب العدوان مهما كانت صورته ومظاهره .. نستنكر العدوان باسم الأديان . ومن عجب الأمور أن الصهيونية التى تسفك الدماء وتزهق الأرواح وتخون العهود وتغدر بالمواثيق تتستر بالدين الذى دعا إليه موسى عليه السلام .. ودينه منهم براء .

وليست الصهيونية وحدها هى التى تتستر بالدين .. فهناك فى الفلبين طائفة مستترة بالدين المسيحى تسعى لإبادة المسلمين .. فهل تسمح المسيحية التى نادى بها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أن تكون شعارا لهذا الإجرام المتعصب الحاقد الأعمى ؟ .

لقد دأبت طائفة من الذين ينسبون زورا إلى المسيح - عليه السلام - والمسيح منهم براء على الفتك بالمسلمين فى الفلبين على مرأى ومسمع من حكومتهم .

ولم تقتصر على الفتك بهم وقتلهم .. بل تجاوزت حد الجريمة إلى التمثيل بهم بعد قتلهم .. بل إلى التمثيل بهم أحياء .. وقطع أجزاء من أجسامهم كالآذان .. والأيدى .. لا نقول ذلك رجما بالغيب فعندنا من الصور ما يثبت صحة هذه الدعوى .. ولقد احتججنا مرات لدى الرئيس فرناندو ماركيس - فى العام الماضى - والاحتجاج أضعف الإيمان فلم نجد أثرا لهذا الاحتجاج .. ولا رفعا لهذا الظلم الفاحش .. وقد قيل أن الملك يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم .. وقد حملت إلينا الصحف أخبار الآعاصير والفيضانات التى شردت نحو مليونين من أهالى الفلبين .

وصدق الله العظيم إذ يقول :

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .

« ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

أيها العلماء الفضلاء :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

فعلينا إذن أن نغير وجهتنا من استيراد قوانين من صنع البشر على حساب ديننا .. ، وأن نخضع خضوعا كاملا لله رب العالمين ولشرعه الحكيم ..

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

علينا أن نقيم حد السرقة ، بعد أن

فشلت كل العقوبات التي تضمنتها القوانين الوضعية وكثيرا ما أدت حوادث السرقة إلى القتل .. وأن الدول الإسلامية كالسعودية .. التي قامت بواجبها في إقامة هذا الحد يعيش أهلها آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم . .

وصدق الله العظيم إذ يقول :

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » .

فهل بعد هذا النص الصريح من تأويل؟

والنبي صلى الله عليه وسلم - يقول :

« والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

فهل من حضارة القرن العشرين أن نعطل كتاب الله وسنة رسوله مجاملة للصوص وأنصار اللصوص ؟!

يا ورثة الأنبياء :

مثل هذا يقال عن حدود الله الأخرى كحد الزنا ، والقذف ، والحرابة وشرب الخمر ، وحسبنا هذا الزجر الذي لا يسعنا مخالفته :

« ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مبين » ، « ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما » .

هذه كلمة الله ينبغي أن نتذاكرها . . ونتابع تنفيذها ، إذ ندعو مجمع البحوث الإسلامية إلى وضع قانون إسلامي تناله يد كل شعب إسلامي يريد أن يسعد بإعلاء كلمة الله وتحكيم شريعة الله . . ألا قد بلغت ، اللهم فاشهد .

يا حماة الشريعة الغراء :

ألا ترون معي أنه يجب علينا أن نبين للناس رأي الإسلام فيما جد ويجد من المعاملات المصرفية ، كالتأمين، بجميع أنواعه، وكشهادات الاستثمار والادخار والإقراض وغيرها ؟

إن من لديهم مدخرات من المسلمين في حيرة بالغة ، أين يضعون هذه المدخرات ؟ هل يكنزونها في بيوتهم ؟ أو يودعونها المصارف ، ويؤدون زكاتها من غير فائدة تعود عليهم ؟ أم ماذا ؟ .

حيرة ينتظر المسلمون جميعا رأي مجمع البحوث فيها وهو يمثل خيرة العلماء، وقمة الباحثين في الأصول والفروع والعقيدة .

وما ينبغي أن تكثر أسئلة المتدينين

حول هـــذه المسائل ، ثم تظل حائرة طول هذه المدة .

علينا أن نطالب بالحد من العرى والإباحية والمظاهر التى لا تليق بدين ما فضلا عن الإسلام .

إننا فى بلد إسلامى .. دينه الرسمى الإسلام ، ولا يصح مطلقا أن يكون واقعنا الذى نعيش فيه مخالفا للدين الذى ارتضاه لنا ربنا .

إننا حينئذ نناقض أنفسنا ، ونعطى لأعدائنا الفرصة للطعن فى الإسلام حين يخلطون بين مبادىء الإسلام وأفعال المسلمين .

وحين نحد من مظاهر الإباحية والانحراف .. نحفظ شبابنا من الضياع ونحميه من التردى فى حمأة الرذيلة ... فالشباب هم عماد أمتنا والمدافعون عنا .. هم عدتنا وعتادنا .. ومن هنا — وجب علينا الاهتمام بالشباب على أنهم حصن الأمة وقلعتها ودرعها الواقية .

إن العدو لا يألو جهدا فى إثارة غرائز الشباب وصرفهم إلى اللهو واجتذابهم نحو إضاعة الأوقات والإقبال على الشهوات لأنهم إذا نجحوا فى ضرب شباب الأمة فقد جردوها من سلاحها .. وعدتها .. وعتادها ..

وعلينا أن نتجه بشبابنا إلى الحياة الجادة التى تقوم على الدين والعلم والأخلاق والجهاد فى سبيل الله .. وأن نحبب إليهم الفضيلة .. ونكره إليهم الرذيلة ..

أيها العلماء الفقهاء :

لقد فضلكم الله على كثير من خلقه . وهذا التفضيل يقتضى مزيدا من المسئولية ومزيدا من التبعة .. ويجعلكم مكلفين بأن تعيدوا للإسلام مجده ودوره فى قيادة المجتمع فيكون الإسلام هو القائد لفكر أمتنا .. وهو المنظم لواقع حياتنا وهو مرشدنا إلى سبيل السلام .

أيها الإخوة أعضاء المؤتمر :

إنه لمما يسعد قلوب المؤمنين أن تتجه ليبيا إلى الإسلام عقيدة وشريعة .. ودينا ودولة .. فتحرم ما حرم الإسلام .. وتحل ما أحل .. وتعتقد فى صدق وإخلاص أنه الطريق الوسط بين الرأسمالية .. والشيوعية .. وأنه الملائم لطبيعة البشر وحياة الإنسان حيثما كان .

وكما سعدنا بهذا .. سعدنا أكثر

بالوحدة المؤمنة التي قامت بين مصر وليبيا استجابة لقوله تعالى : —

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

وقوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

حيا الله هذه الوحدة .. وحيا بطليها المؤمنين : أنور السادات ومعمر القذافى ، وجعلها طريقا للنصر ، ومفتاحا للعزة ، وقوة للعرب والمسلمين ، وجعلها نواة لوحدة شاملة كاملة ، وبداية للجهاد المقدس لرد العدوان وتحرير أرضنا المغصوبة ، وأوطاننا المسلوبة ، ومقدساتنا التى لوثها الأعداء فى مسرى النبى ومهبط الأنبياء .

لا نشك أبدا فى أن القدس وجميع الأراضى العربية ستعود - إن شاء الله - يوما ما إلى العرب وإلى المسلمين .. لأن العربى شعاره دائما :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

لا يرضى بالذل وهو الذى يقول :

ولا يقيم على ضيم يراد به
إلا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له أحد

والمسلم لا يرضى بالمقام على الذل وأنى يكون ذلك والله يقول :

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

وشعاره دائما :

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

وحيا الله جندنا المرابطين على الحدود يذودون عن أوطانهم .. ويدافعون عن مقدساتهم حياهم الله برا وبحرا وجوا .. وكتب لهم النصر على الأعداء .

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

أيها العلماء الفضلاء أعضاء المجمع :

لقد أصدرتم قبل ذلك قرارات وتوصيات .. وسوف تصدرون فى هذه الدورة قرارات وتوصيات وعليكم أن تراجعوا ما سبق من القرارات والتوصيات لتروا ما نفذ منها وما لم ينفذ .. ثم تتابعوا تنفيذ ما تصدرون .. وتحقيق ما تقررون .

إن قراراتكم خلاصة لأفكار ناضجة .. وعقول راشدة أضاءها الإيمان .. وعمرها الإخلاص وشرفها العمل لله والجهاد في سبيله .

فكونوا رسلا لبلادكم .. وأدلة خير لشعوبكم .. والله معكم يؤيدكم بنصره .. ويجزيكم عن دينه خير الجزاء .

وإنه ليطيب لى . . ويسعدنى . . أن نبعث باسمكم جميعا بالتحية الخالصة وبالشكر الجزيل .. إلى حامل لواء دولة العلم والإيمان : الأخ المؤمن الرئيس أنور السادات .. الذى شمل برعايته هذا المؤتمر فأناب عنه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحليم محمود .

سدد الله خطاه .. ووفقه إلى ما فيه خير البلاد والعباد .. وأعانه على خوض معركة المصير وحقق على يديه النصر المبين والفتح القريب .

سدد الله خطاكم .. وأدام عنايته بكم ورعايته لكم .. ورضاه عنكم .. وعطفه عليكم .. وتوفيقه إياكم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

بقية المنشور على صفحة ٦٠١

بعد هذا أعود فأكرر ترحيبى بكم على تراب هذه الأرض التى عرفتموها وعرفتم تاريخها فى الحفاظ على الدعوة والنضال فى سبيلها.. فى هذا المكان وهو يمثل قطعة من ريف مصر.. من الأرض الطيبة التى تؤمن بكل القيم الشريفة والنبيلة الطيبة التى أنبتت هذا الشعب وصاغت له عبر الأجيال من خلال رسالات السماء سماحة وصلابة وقوة وأصالة ..

أعود فأرحب بكم باسم هذه الأرض وباسم شعبها وباسم أزهرنا .. وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يكون لقاؤنا المقبل على هذه الأرض وقد طهرت .. وأختتم كلمتى لكم بحديث لبعض الصوفية بدأت به ولايتى « رب علمت فقدرت فلك القوة والقهر وبيدك الخلق والأمر فكن معنا يا رب بالقرب »

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

كلمة الوفود

لسماحة الشيخ حسن خالد
مفتي جمهورية لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ..

فضيلة نائب السيد الرئيس ..

أيها السادة العلماء ..

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .

إنه لشرف عظيم أن توكل لي كلمة الوفود الإسلامية الكريمة في هذا المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية .

وإنا لنتوجه إلى الله تعالى بالشكر لتيسير انعقاد هذا المؤتمر، ثم إلى جمهورية مصر العربية وعلى رأسها سيادة الرئيس أنور السادات حفظه الله ، التي عملت وما تزال تعمل لتعزيز الإسلام ونصرة مبادئه وقضاياه ، غير عابئة بما تواجهه في سبيل ذلك من تضحيات يقذف بها الاستعمار والصهيونية العالمية الغادرة ، وتاريخ مصر الحافل بأمثال هذه التحديات والمصاعب التي مر بها ليسجل لها باعتزاز الأدوار البطولية التي قام بها أبناؤها في القديم والحديث في كفاحها ضد شرور الاستعمار والانتصار عليه .

وإن هذه النكبات والمصاعب والتحديات لا تزيدها مع الزمن إلا صمودا ومضاء وقوة وثقة بحقها ودفاعا عن كيانها .

أيها السادة : لقد كان للأزهر في هذه الأدوار البطولية القدح المعلى والنصيب الأوفى . قاد علماؤه معاركها وتقدموا صفوفها النضالية في عصر النهضة ، فكان للأمة الإسلامية بذلك مشعلا يضيء الطريق مؤكدا لها أن لا انفصال لجهاد عن جهاد وأن نضالنا السياسي التحرري جزء من نضالنا الاجتماعي وهما معا جزء من جهادنا الإسلامي العام .

ولئن كان للأزهر الشريف الريادة في مجال مقاومة الاستعمار دفاعا عن الوطن وتعزيزا لكيانه وإعلاء لمقامه وتثبيتا لبنيانه فقد كانت له اليد الطولى كذلك في تثبيت الأجيال المتعاقبة من زهرة شباب المسلمين في أرجاء الدنيا تعلمهم وتزكيهم وتخرجهم علماء أبرارا لينتشروا

فى بقاع الأرض داعين الله رافعين لواء الحق لا يخشون فى الله لومة لائم .

وقد كان أخيرا من أكبر أعمال هذا الأزهر وأكثرها فضلا إنشاء هذا المجمع الكريم والدأب بإخلاص وجد على عقد مؤتمراته سنة بعد أخرى ميسراً لأولئك العلماء الأجلاء اللقاء الفكرى العلمى المجرد ومقدما أصلح الدراسات وأخلصها حول مشاكل هذا العصر وتحدياته التى تمخضت عنها تطورات المجتمع الحديثة .

ولقد سبق طرح العديد من مشاكل العصر فى المؤتمرات السالفة وعولجت بجهد وموضوعية من مختلف العلماء الأفاضل ودارت حولها المناقشات ولكن بعضها بقى بلا حل جذرى أو أى موقف حاسم ينير للأمة الطريق ويضع لها العلاج ويؤكد فيه للناس أجمعين أن الإسلام كما نعلم ويعلم كل منصف دين صالح لكل زمان ومكان .

أيها السادة : إن السرعة المذهلة التى تغير بها وجه العالم لا تحتمل منا الإبطاء والتسويف فى حركة فكرنا الإسلامى المعاصر وأن القفزات العلمية الاجتماعية الإنسانية الهائلة لم توائمها قفزات مماثلة فى تفكيرنا الدينى وهذه هى مهمة المجمع العظمى .

ونحن موقنون أن مرد هذا ليس إلى قصور فى الإسلام وقواعده العامة وإنما هو تقصير من المسلمين أنفسهم وإن كانت ضربات الاستعمار فى الماضى وهيمنته على مقدرات أمتنا الإسلامية ، تبرر لنا شيئا من ذلك التقصير ، فإن هذه الحقبة من الزمن التى آلت فيها مقدرات الأمور إلى رجال مؤمنين مخلصين لم تعد تبرر لنا أى تقصير ، بل أصبحت تدعونا إلى مد هؤلاء القادة المخلصين بكل ما نستطيع تقديمه إليهم من جهد وسهر وعطاء يرضى الله ورسوله والمؤمنين .

لقد شاهد عصرنا الحاضر إنجازات علمية مدهشة فى الشرق والغرب ، وتعقدت معها أساليب الحياة وأصبحت تمثل خطورة على حياة الإنسان المعاصر حتى أفضت إلى الأمم الفتية إلى ما أفضت إليه من حضارة علمية مذهلة ، كل ذلك بسبب الانقلاب الأساسى فى منهج التفكير ووسائل العمل واعتماده على المنهج العلمى .

ونحن - أيها السادة - أحق الناس باعتماد هذه المناهج العلمية وجنى ثمرتها اليانعة نظرا لما فى كتابنا الكريم من دعوة صريحة إلى النظر العقلى الخاص والتفكير

الجاد فى كل ماخلق الله من عوالم وأحياء للأخذ بالأسباب التى تدفعنا إلى دعـوة العلم لدى الناس سواء بقيت وسيلة وغاية بينما هذا الدور دعـوة ووسيلة إلى غاية فى تحقيق عبادة الله العلى القدير وتحقيق قيمة الإنسان الكريم فينجلى البصر والبصائر فينال شرف مكانته فى هذا الوجود .

أو ليس جديرا - أيها السـادة - أن نكون من خلال هذه المعطيات الإسلامية من جوهر الإسلام العظيم وتاريخ المسلمين المجيد، والأزهر الشريف بالذات، قادرين على الاستفادة من مؤتمرنا هذا بما يؤمن المجتمعات الإسلامية المنتشرة فى أرض الله عطـاء علميا سخيا ويحسم الخلاف فى مشاكل العصر .

ولم يخصص المجمع لـكل قضية مؤتمرا على حدة تطول مدته أو تقصر، ولا ينتهى إلا وقد أنجز الحكم فيها والتقى المجتمعون كافة أو غالبيتهم على رأى يطمئنون إليه ويرتضونه .

أيها السادة .. إن مجتمعاتنا الإسلامية اليوم تفور بالمشاكل التى تنتظر الحلول وتعج بالحركة تبغى التطوير والتحسين والإبداع وتتطلب مزيدا من التفكير المثمر والعمل الناضج .

ومن أبرز هذه المشاكل مشكلة الشباب المسلم الذى بدأنا نلمس فيه ظاهرة الجفوة إزاء الإسلام ومبادئه وفلسفته ، وإنها جفوة تتسع يوما بعد يوم حتى أصبحت فى شبـه يقين ، وإنها تـكاد تنتهى إلى انفصال بينهم وبين الإسلام، لأن مستقبل الإسلام مرهون بمـا يـكون فى صدور هؤلاء من حب لله ولرسوله ، وارتباط وثيق بمعالم الإسـلام وأخلاقه ونظرته الإسلامية للحياة والمجتمع والـكون .

أيها السادة ..

إن أساليب الوعظ من فوق المنابر لم تعد كافية لإدخال تعاليم الإسلام فى قلوب هؤلاء الشباب ، بل إنها بالنسبة لما نرى من وسائل الدعاية والإعلام والتـأثير النفسى الحديث على الأفراد والمجتمعات ليجعلنا نوقن بأن هذه الأساليب قد أصبحت متخلفة ، وأصبح من الواجب علينا الاستعانة بكل الأساليب ، فضلا عن أساليب الدعوة والتأثير على مشاعر الناس وأفكارهم ولاسيما هؤلاء الشباب ثمرة وجودنا وأملنا المشرق وحكام المستقبل.

أيها السادة ..

إن مجتمعنا الإسـلامى اليوم مفتقر أكثر من أى وقت مضى إلى ترسيخ دعائم

الإسلام فيه ، وتنظيم وتحقيق العود إلى التمسك بما أمر الله والانتهاء عما نهى عنه وهذه ليبيا العظيمة اليوم بقيادة شبابها المؤمن المخلص فى مقدمتها الرئيس معمر القذافى - حفظه الله - قد شقت الطريق واعتمدت أنجح مبادىء التعاون بين الحكام والعلماء لتطبيق الشريعة الإسلامية وتحقيق أعظم المكاسب العملية وتطوير المجتمع الإسلامى الحديث وذلك بالتعاون مع مصر بحكامها وأزهرها وعلماء المسلمين قاطبة .

فليكن التعاون فى هذا السبيل نبراسا لنا ومثلا يحتذى للعمل بكل طاقاتنا لإنجاح تجربتها وإيصالها إلى تحقيق آمالها وآمال الأمة الإسلامية فى كل مكان .

أيها السادة . .

إننا نعلم أن العدو قد تمرد لمحاربتنا ولإعاقة تقدمنا وتطورنا ، وعقد العزم على أن يحول بيننا وبين أى نمو إسلامى جديد ، فلنعد للتاريخ التجربة الإسلامية الرائدة فى مسيرتها الأولى لنكون بوحدتنا وجديتنا وإخلاصنا وتحابنا وتعاوننا ، وتركيز دعائم تجربتنا الإسلامية الحديثة الموفقة بإذن الله أقوى من هذه الحرب ومن ذلك التحدى .

إن أخطر التحديات المعاصرة لمجتمعنا وقيمنا الإسلامية هو هذا الكيان الإسرائيلى الذى زرعه الاستعمار بيننا ظلما وبغيا وقهرا فاغتصب أرضنا وشرد شعبنا وما زال يعبث بمقدراتنا وهيبتنا ويعمل على تشويه أخلاقنا وآدابنا ليرسى قواعده وليمكن له فى الأرض « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

إن شراسة هذا التحدى الإسرائيلى لا تقهره - أيها السادة - إلا روعة النضال والاستشهاد ، فلنعبىء طاقاتنا ولنجمع صفوفنا للسير قدما فى هذا الطريق الذى يحمل مشعله اليوم جيل من شبابنا الأحرار .

أيها السادة . . فترة جديدة وفرصة أخرى تنفتح أمامكم وأمامنا جميعا للعمل الإسلامى الجاد ، لنستفيد منها ونقدم لأنفسنا ولأمتنا ما تفتقر إليه من عطاء فكرى وعلمى عظيم ؛ لتعزيز المجتمع الإسلامى ولتدعيم مركز انطلاقه وإنجاح مقاصده . وليوفق الله مؤتمرنا أمانة وأعضاء وعاملين لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

السيد نائب رئيس الجمهورية ، السيد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر :

أيها السادة :

كلما أتيح لهذا المؤتمر أن ينعقد فى دورة من دوراته، وكانت فرصة لقائنا بكم ، غمرنا شعور عميق، وعمنا فيض من الثقة واليقين بأن لقاءاتنا لا بد أن تكون مثمرة ومشاوراتنا لا بد أن تكون فعالة بناءة ، وبأن ما نواجهه وما تواجهه مجتمعاتنا الإسلامية من مشكلات وقضايا فى أى جانب من جوانب حياتها ، سيجد الحلول الحاسمة الموفقة - إن شاء الله - فى هذا اللقاء ، أو فى لقاءات أخرى متتابعة.

ومتى صفت النفوس ، وخلصت النيات ، وصدقت العزائم ، ومتى تسلحنا بجميل من الصبر، ومزيد من المصابرة ، وفيض لا ينقطع من الإصرار والمثابرة ؛ فلا بد أن نصل - بإذن الله - إلى نتائج حاسمة وحازمة ، تبشر بمستقبل أفضل لأمتنا الإسلامية ، وتحقق إرادة الله فى الأرض أن تكونوا خير أمة أخرجت للناس ، وأن تسود رسالة الإسلام ، وتعلو رايته ، وتنتصر - بإذن الله ، وبفضل جهودكم الموفقة - عقيدته وشريعته .

ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم)

فرحبا بكم علماء المسلمين ، وقادة الفكر ، ونخبة الباحثين .

مرحبا بكم فى جمهورية مصر العربية وعلى أرض القاهرة الظافرة المنتصرة بإذن الله .

مرحبا بكم فى رحاب الأزهر الشريف تعانقكم مآذنه وتحتفى بكم ألويته، وتتردد فى أصداء أروقته وقاعاته أصوات خالدة

فى تاريخه العريق ، تاريخ ألف عام ، فى أروع القصص ، وأخلد الأمجاد ، وسجل العلوم والمعارف الإسلامية ، والتراث الإنسانى الخالد .

أيها السادة :

لقد سبقت هذه الدورة السابعة بست دورات لمؤتمركم هذا، اتخذت فيها قرارات وتوصيات تفى بجوانب الحياة المختلفة للمسلمين ، بعضها تشريعى وبعضها إعلامى ، وبعضها توجيهى .

وقد وضعت كل هذه القرارات والتوصيات من مجلس المجمع ورئيسه وأمانته العامة موضع العناية الفائقة والاهتمام البالغ .

وإنه لمما يبعث فى نفوسنا الشعور بالثقة فى الله ، وفى أنفسنا وفى مستقبل إسلامى مشرق ، أن ما يصدر عن مؤتمراتكم هذه من قرارات وتوصيات، يجد صدى إيجابيا فى محيط الواقع الذى نعيشه فى مختلف المجالات الحيوية للمجتمعات الإسلامية .

فنى مجال التشريع :

نرى أن الشريعة الإسلامية فى جانب حيوى وهام من رقعة العالم الإسلامى ، وعلى رأسه جمهوريتا مصر وليبيا ـ قد أصبحت مصدرا أساسيا للتشريع .

وإذا كان المؤتمر فى دورته الرابعة قد أصدر توصية للمجمع (بوضع الدراسات ومشروعات القوانين التى تيسر على المسئولين فى البلاد الإسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية) فإننا نسجل هنا ما اتخذ من إجراءات بناءة فى هذا الاتجاه : ـ

فنى جمهورية ليبيا العربية :

عقدت الاجتماعات ، وألفت اللجان التى تعمل على وضع الشريعة الإسلامية فى صيغة قانون معاصر تيسر الأخذ بأحكام الشريعة ، وتستهدف وضعها موضع التطبيق .

وفى جمهورية مصر العربية :

دب النشاط فى مجلس المجمع ولجانه وأروقته من أجل هذا الهدف نفسه ، ووضعت الدراسات المناسبة الدقيقة التى تتوخى أنجح الطرق فى التخطيط لتنفيذ هذه التوصية .

وتضع الأمانة العامة بين أيدى حضراتكم ثمرة الجهود التى بذلت حتى الآن فى هذا المجال، فقد تم طبع المشروع

التمهيدى لتقنين المذاهب ، كصورة مبدئية تعرض لإبداء وجهات النظر فيها ، حتى تأخذ صيغتها النهائية قبل أن تقدم إلى المجتمع الإسلامى لتطبيقها فى واقع حياته العملية .

وإننا لنأمل أن يتم فى القريب العاجل تقنين بقية المذاهب المعمول بها ، لكى تبدأ بعد ذلك المرحلة الثانية فى هذا المشروع ، وهى : وضع قانون موحد مختار من المذاهب المختلفة ، ومن أصول الشريعة ، يقوم على أساس من الاجتهاد ورعاية المصلحة ، وتقدير كامل للمشكلات التى تعيشها المجتمعات الإسلامية ، بل والإنسانية فى جميع أنحاء العالم .

وبذلك يقدم المجمع للأمة الإسلامية مجموعة من مشروعات القوانين ، تختار من بينها كل بيئة ما يلائمها ، وما تعتقد أنه الأنسب لظروفها مع عدم مخالفته لشريعة الإسلام .

وإننا لنعتقد أن ما يبذله المجمع فى سبيل ذلك من وقت وجهد يتناسب مع أهمية هذا العمل وخطورته ، ويلتقى كذلك مع مسئوليته الكبرى التى اضطلع بها السادة أعضاؤه ، وتحملوها أمام الله وأمام الناس بجد وجدارة وأمانة .

وإذا كان مؤتمركم الموقر قد أصدر قراره فى دورته الثالثة فى شأن تحديد أوائل الشهور العربية ، والذى رأى فيه - تحقيقا لمبدأ الوحدة الإسلامية ، واستنادا إلى الأحكام الشرعية الصحيحة - أنه لا عبرة باختلاف المطالع وإن تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة فى جزء من ليلة الرؤية وإن قل .

فإننا لنسجل هنا ما اتخذته دار الإفتاء فى جمهورية مصر العربية من مواقف أظهرت بها التزامها بهذا القرار ، ورعايتها لتنفيذه ، وإننا لنأمل أن يظهر هذا الالتزام ، ويستقر فى بقية البلدان العربية والإسلامية الأخرى .

وفى مجال النشر والإعلام :

حرصت الأمانة العامة على تنفيذ توصيات مؤتمركم الموقر بتأليف ونشر كتب مناسبة للشباب وللمثقفين غير المتخصصين فى العلوم الإسلامية ، توضح جوانب القوة فى الحضارة الإسلامية ، وفى الصلة بين العبد وربه ، وبين الفرد والمجتمع ، وتوجه الشباب المعاصر الوجهة

الإسلامية الصحيحة التي تسترشد بالإسلام مبدأ ونظاما وسلوكا في واقع الحياة العملية.

ولقد ألف المجمع في هذا العام لجنة من أعضائه تختص بمتابعة التيارات والظواهر التي تؤثر في تكوين الرأى في المجتمع الإسلامي لدراستها، وبيان رأى الإسلام، وتوجيهه في شأنها، ولقد كان ذلك استجابة لما صدر عن مؤتمركم في عديد من دوراته من ضرورة الاهتمام بهذا المجال وذلك إلى جانب الأجهزة الإدارية بالأمانة العامة للمجمع التي تهتم بمتابعة ما ينشر أو يذاع من فكر أو رأى في مختلف صور النشر والإذاعة والإعلام، ولقد كان للمجمع مواقف تذكر وتشكر في هذا الشأن لقيت استجابة طيبة من المسئولين الرسميين؛ وارتياحا تاما من جمهور المسلمين؛ كما يحق لنا أن نشير في هذا المقام إلى ما جاء في ميثاق الشرف بجهاز الإذاعة والتليفزيون من التزام بالقيم الدينية والإسلامية فيما يصدر عنها من أعمال؛ وذلك كنوع من التجاوب بين ما يصدر عن مؤتمركم الموقر من قرارات وتوصيات وبين ما يصدر عن الجهات المسئولة عن الإعلام في جمهورية مصر العربية من قرارات وأعمال.

وإننا لنأمل أن يزداد التعاون بين المجمع وبين المسئولين في هذا الشأن؛ لا في جمهورية مصر وحدها؛ وإنما في جميع بلاد العالم الإسلامي؛ لكي تصير الصورة المثالية للمجتمع الإسلامي واقعا ملموسا متسقا مع عقائده وقيمه؛ وأسسه الحضارية وتقاليده المرعية؛ ومناسبا في الوقت نفسه لما قرره الدستور الدائم في جمهورية مصر العربية؛ وبعض دساتير الدول الإسلامية الأخرى؛ من التزام بالقيم الدينية والروحية ورجوع إلى الشريعة الاسلامية؛ كمصدر للقانون والنظام.

وفي مجال العناية بدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف:

أعد المجمع (التفسير الوسيط) الذى أوصى به مؤتمركم في دورته الرابعة وصدر منه العدد الأول؛ وسيوالى نشره تباعا في وقت وجيز.

ولقد ألف المجمع لجنته التي تتولى - استجابة لتوصية من مؤتمركم في دورته الثالثة - جمع الأحاديث التي يظن أن ظاهرها غير مراد؛ للعمل على تحقيقها

وشرحها ؛ وهى تباشر نشاطها فى هذا الصدد وأعدت بالفعل مجموعة من البحوث التى تخدم هذا الغرض وستجد طريقها إلى النشر فى وقت قريب إن شاء الله .

وفى مجال الدعوة إلى الإسلام ؛ وتوثيق الروابط بين الشعوب الإسلامية ودعم مكانتها ، ومواجهتها للتيارات المضادة لها ؛ وهو الأمر الذى كان موضع عناية خاصة من مؤتمركم فى دوراته المختلفة .

فإن المجمع يوالى إرسال بعوثه ودعاته الذين يوجههم إلى مختلف أنحاء العالم فى آسيا وإفريقيا وأوروبا وأمريكا ؛ كما أن حرصه على عقد مؤتمركم الموقر فى كل عام يمثل مظهرا من مظاهر الاهتمام بهذا المجال ولا يزال المجال فسيحا لبذل مزيد من الجهود على أساس من التخطيط السليم والتعاون الفعال ؛ والتنسيق الدقيق بين هيئات الدعوة فى مختلف البلاد الإسلامية .

لقد أخذ أعداء الدعوة الإسلامية يعملون بجد وإحكام من أجل زحزحة المسلمين عن عقائدهم الصحيحة ، ويسلكون إلى ذلك مسالك ظاهرة وخفية ، ويتسترون باسم البحث العلمى تارة ، وباسم إقامة حوار أو تقارب تارة أخرى ، كما أنهم حيث يأمنون وتقوى شوكتهم يسلكون طريق العنف والإرهاب بصورة أو بأخرى .

وفى هذا الشأن فإن المجمع لم يدخر وسعا من أجل استنهاض همم المسلمين وتنبيههم إلى خطورة ما يجرى فى هذا المجال ، وبخاصة بالنسبة لما تتعرض له الأقليات الإسلامية فى بعض بلدان آسيا وأفريقيا ، كما ألف لجنة علمية للكشف عن زيف دعوى البحث العلمى الذى تتستر به سلسلة من الكتب التى تصدر تحت اسم (دروس قرآنية) و (فى سبيل حوار إسلامى مسيحى) واتخذ الإجراءات من أجل إصدار كتب إسلامية تبين وجه الحق فى هذا المجال ، ووجه عناية خاصة بهذا الشأن لإصدار مجموعة من كتب التراث التى اتسمت بالبحث العلمى الدقيق الرصين للإمام الغزالى وابن تيمية والقرافى وغيرهم من الأئمة والعلماء .

وفى القضية الإسلامية الكبرى فى العصر الحديث قضية الاعتداء الإسرائيلى على القدس وفلسطين والأرض العربية ، فإن المجمع لم يدخر وسعا فى سبيل تعريف

المسلمين فى مختلف أنحاء العالم بخطر قيام إسرائيل على الإسلام والمسلمين بل على الإنسانية كلها ، ودعوتهم إلى مؤازرة الشعب العربى فى استرداد أرضه باعتبار ذلك كله واجبا دينيا مقدسا وفقا لنص توصية صدرت عن مؤتمركم الأول .

فأصدر من أجل ذلك الكتب والبيانات والنشرات، وعقد الاجتماعات والمؤتمرات وأعلن فرضية الجهاد ، وهو مايزال يبذل نشاطه المرجو فى هذا السبيل .

وإن المكاتبات التى وصلت إلينا من أعضاء المؤتمر خارج جمهورية مصر العربية فى هذا الصدد تدعو إلى الثقة فى المشاعر الإسلامية النبيلة ، التى تنبض بها قلوب المسلمين فى مختلف أنحاء العالم نحو هذه القضية العظمى وتطمئن المسلمين عن قيادة الأمة الإسلامية ، إلى أن لديهم رصيدا ضخما من التأييد المعنوى والمادى يتيح لهم قوة كبرى ويمكنهم من فرض إرادتهم على أعدائهم لو أحسنوا تنظيم صفوفهم ، واستغلال طاقاتهم .

أيها السادة :

لقد أردت بهذه الكلمة المختصرة أن أشير إلى أن توصية واحدة ، أو قرارا واحدا من توصيات مؤتمركم وقراراته فى دوراته المختلفة لم يبعد عن دائرة عناية المجمع واهتمامه .

فقد أفرغت هذه التوصيات والقرارات جميعها فى خطة عمل مرحلية ، موزعة على لجان المجمع ، المكونة من السادة أعضائه، وخبرائه وباحثيه لتباشر نشاطها فى سبيل تنفيذها .

وإن اجتماعنا الخالص المخلص المؤيد بالإصرار البالغ والعزم القوى على أن تأخذ هذه التوصيات والقرارات طريقها إلى التنفيذ ، بعد العمل على إزالة ما قد يكون فى طريق بعضها من عقبات أو إجراءات ليؤكد النتيجة الحتمية لهذا الإصرار وهو أن تصير كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

تلك هى مسئوليتنا جميعا يشارك فى حمل أعبائها معكم السادة أعضاء المجمع والمسلمون فى مختلف أنحاء العالم ، شعوبا وأفرادا وهيئات .

فلنضطلع بمسئولياتنا ، ولنؤد أمانة الله لدينا ، وحقه علينا متمسكين بهديه ، مستنصرين بنصره ، معتصمين بحبله المتين ، وكتابه المبين .

(البقية على ص ٦٢٣)

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود
وزير الأوقاف وشئون الأزهر
نائبا عن السيد رئيس الجمهورية

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها الإخوة المؤمنون : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ وبعد .

فإننا نحمد الله العلى القدير ؛ ونثنى عليه بما هو أهله ؛ أن وفقنا إلى هذا الاجتماع الذى يتم للمرة السابعة ؛ فى رحاب الأزهر الشريف ؛ فى سلسلة الاجتماعات التى يعقدها مجمع البحوث الإسلامية كل عام تحت راية الإسلام ؛ ومن أجل إعلان كلمته هادية إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

وإنى لأحمل إليكم أيها الإخوة المؤمنون تحية السيد الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية الذى يعبر لكم عن ترحيبه بقدومكم وتشريفكم أرض مصر ؛ ونزولكم إخوة كراما على شعبها الذى يحمل لكم ولشعوبكم الإسلامية التى تمثلونها كل مودة ومحبة وإعزاز .

وإن السيد الرئيس ليؤكد لكم تقديره للشقة التى تحملتموها لحضور هذا المؤتمر عاقدين العزم على وضع اللبنات القوية فى سبيل نهضة الأمة الإسلامية ؛ حتى تتخلص من آثار الاستعمار الفكرية ؛ ومن آثار الاستعمار المادية ؛ ويقدر لكم رسم المنهج الإسلامى الذى تقوم عليه الأمة الإسلامية فى سيرها نحو الكمال : رسم منهج إسلامى أصيل ؛ منهج غير مستورد لا من الشرق ولا من الغرب ؛ وإنما يقوم على المبادىء الإسلامية صافية طاهرة نقية ؛ نابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

أيها الإخوة المؤمنون :

إن الأمم الإسلامية تشعر الآن بحاجتها إلى إصلاح يتفق فى منهجه وموضوعه مع المبادىء الإسلامية .

إنها تريد منهجا فى الجو الإسلامى .

ومنهج الإصلاح فى الإسلام - فى إجماله وعمومه - واضح لا لبس فيه ؛ إن القرآن

أشار إليه منذ اللحظات الأولى للوحى.

إن الكلمة الأولى للوحى هى: اقرأ، إنها إشارة إلى الوسيلة العادية الطبيعية للعلم. وتكررت كلمة اقرأ فى الآيات الكريمة التى ابتدأ الله سبحانه وتعالى بها الوحى؛ وذكر الله فى هذه الآيات أنه سبحانه: «علم بالقلم»، وأنه سبحانه: «علم الإنسان مالم يعلم».

ثم أخذت الآيات الكريمة - فيما بعد - تتوالى فى الحث على العلم؛ وفى الإشادة بالعلماء؛ وأصبح الشعار الإسلامى: «رب زدنى علما».

بيد أن «اقرأ» أو العلم قيد فى الإسلام منذ اللحظة الأولى بقيد واحد، إنه قيد بأن يكون: «باسم ربك»، وبذلك كان العلم فى الإسلام منطلقا لا تحده حدود ولا تقيده قيود، اللهم إلا أن يكون: «باسم ربك»، وكل ما كان «باسم ربك» فإنه فى سبيل الخير، وفى صالح الإنسانية.

وإذا كانت «اقرأ» إشارة إلى العلم فإن «باسم ربك» إشارة إلى الإيمان.

والمنهج الإسلامى فى الإصلاح الاجتماعى - إذن - إنما هو: نشر العلم وتجديد الإيمان.

والقرآن الكريم إذا كان قد أشار إلى هذا المنهج فى الآيات الأولى للوحى الشريف فإنه أعاده على صور شتى، وأساليب تختلف فى الإيجاز والإسهاب

إن من حكمة بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه:

«يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم»

وهذا: علم وإيمان.

ويقول سبحانه:

«هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين».

إنها رسالة العلم والإيمان.

والصلة بين العلم والإيمان - فى الجو الإسلامى الصادق - صلة هى من القرب بحيث لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر.

فخشية الله تلازم العلماء المؤمنين:

«إنما يخشى الله من عباده العلماء».

أما شهادة التوحيد: وهى قمة الإيمان فإن العلماء المؤمنين يفوزون بشهادتها: وقد قرنهم الله به وبملائكته فى شهادتها فقال: «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم».

وإذا كان العلم فى الجو الإسلامى يتضمن جميع زوايا المعرفة، فإن الإيمان

بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان.

وإن من شعب الإيمان القوية : تحقيق الأخوة الإسلامية ، والارتباط بين المسلمين على أساس من مبادىء الإسلام يقول سبحانه : « إنما المؤمنون إخوة » :

أيها الإخوة المؤمنون: إن الاستعمار قسم الأمة الإسلامية ، ووضع حدودا وفواصل بين الإخوة وإن كل حدود وفواصل فى الأقاليم بين الإخوة إنما هى حدود وفواصل لا يعترف بها الإسلام

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

وإن من الإيمان — إذن — أن نحقق الأخوة الإسلامية » :

وإن من الإيمان أن نحقق الوحدة الإسلامية على أساس من الأخوة الإسلامية

أيها الإخوة المؤمنون : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« صنفان من أمتى إذا صلحا صلح الناس : العلماء والأمراء » :

وإن من صلاح العلماء أن يبشروا فى بيئتهم بمنهج الإصلاح الإسلامى فى المجتمع :

أولا : نشر العلم فى جميع زوايا المعرفة حتى تصبح الأمة الإسلامية تنافس فيه كبريات الدول :

ثانيا : تجديد الإيمان بحيث يصبح إيجابيا فعالا :

ثالثا : وهذا ينبثق عن الإيمان: تحقيق المبدأ الإسلامى السامى - مبدأ الأخوة - الذى أعلنه القرآن الكريم ، وأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .

وقوله :

« المسلم أخو المسلم ، لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام : عرضه وماله ودمه ، التقوى ها هنا ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » .

رابعا : وهذا أيضا ينبثق عن الإيمان: العمل على إعادة الارتباط الوثيق بين

الإخوة فى صورة اتحاد أو فى صورة واحدة.

أيها الإخوة المؤمنون :

إن تفصيل هذه المبادىء تفصيلا مستفيضا، وتحقيقها واجب علينا باعتبارنا من أعضاء مجمع البحوث، وواجب علينا باعتبارنا من العلماء الذين يرجون الله أن يكونوا من العاملين.

وواجب علينا باعتبارنا من المسلمين الذين يعملون فى سبيل الله، ومسئولية الدعوة إنما تقع علينا جميعا، تقع علينا باعتبارنا أفرادا، وتقع علينا باعتبارنا مؤتمرا.

فإذا ما عملنا على تحقيقها فى مجتمعاتنا وفى المسلمين عامة فإننا نكون قد أدينا فرضا يحبه الله ورسوله، ويرضى الله ورسوله.

أيها الإخوة المؤمنون :

لقد أعزنا الله بالإسلام وشرفنا به، وكلما اقتربنا من المبادىء الإسلامية اقتربنا من العزة والشرف، وسرنا على الطريق الأقوم.

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

(بقية المنشور على صفحة ٦١٩)

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ».

أيها السادة .. إنه لا يسعنى فى نهاية هذا الحديث وقبل أن أختتم حديثى أرى من واجب الوفاء والعرفان بالجميل وأصحاب الجميل أن أتقدم بالشكر للسيد المهندس سيد مرعى الأمين الأول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى الذى تفضل مشكورا بالإذن بإقامة المؤتمر السابع فى قاعة اللجنة المركزية ووضع تحت إذن الأمانة العامة للمؤتمر كل ما تحتاجه من إمكانات فى هذا السبيل.

وكذلك نشكر أمانة الدعوة والفكر ونشكر جميع العاملين مع السيد الأمين الأول ومع هذه الأمانة ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يمن عليهم وعلينا جميعا بنعمة التوفيق لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته ؟

البحوث التى اشترك بها أعضاء المؤتمر فى الدورة السابعة

١ – التأمينــــات . . . . فضيلة الشيخ محمد أحمد فرج السنهورى
٢ – الأسس الاقتصادية التى تقوم عليها المصارف فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
٣ – الشريعة الإسلامية وشهادات الاستثمار
بأنواعها الثلاثة . . . . فضيلة الشيخ على الخفيف
٤ – الإسلام ووحدة العرب . . . . . . فضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضى
٥ – التصوف والحيـاة . . . . فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود
٦ – معالم من الفكر الإسلامى فى التفكير
الأوربى الحديث والمعاصر . . « « محمد عبد الرحمن بيصار
٧ – الحريات والحقوق فى الإسلام . . . فضيلة الدكتور بدوى عبد اللطيف
٨ – الإسلام وحل مشكلات المجتمع . . . فضيلة الدكتور محمد البهى
٩ – الدعوة إلى الإسلام . . . . فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة
١٠ – إسرائيل كركيزة للاستعمار بين المسلمين
وواجب المسلمين نحو مشكلات الاحتلال
الصهيونى بعد استنفاد الجهود السلمية . للواء الركن محمود شيت خطاب
١١ – واجب المسلمين نحو بيت المقدس . . الأستاذ الدكتور إسحاق موسى الحسينى
١٢ – ملامح المجتمع المثالى . . . . الأستاذ عبد الحميد حسن
١٣ – التربية الدينية التى يحتاج إليها العـــالم
الإسلامى المعاصر . . . . الأستاذ الدكتور إبراهيم اللبان
١٤ – الاستثمارات المالية الحديثة . . . . الأستاذ الدكتور زكريا البرى
١٥ – الإسـلام وأرباح شهادات الاستثمار
وودائع صناديق الادخار . . فضيلة الشيخ يس طه سويلم
١٦ – أهمية الاقتصاد الإسلامى وذاتية السياسة
الاقتصادية الإسلامية . . . الأستاذ الدكتور محمد شوقى الفنجرى
١٧ – الأسس الاقتصادية التى تقوم عليها المصارف الأستاذ الدكتور غريب الجمال
١٨ – دور الاستعمار فى تمزيق الكيان الإسلامى « « سيد نوفل

١٩ – كيف يتكون المسلم فى ظل مناهج الإسلام — السيد الفريق عبد الرحمن أمين
٢٠ – إسرائيل كركيزة للاستعمار بين المسلمين — الأستاذ الدكتور حسن ظاظا
٢١ – من أساليب الدعوة الإسلامية: الجدل القرآنى — فضيلة الدكتور عبد الغنى الراجحى
٢٢ – جمع القرآن الكريم وثبوته بالقطع واليقين ودحض الشبه التى أثيرت حوله — فضيلة الدكتور محمد محمد أبو شهبه
٢٣ – الولاية المقيدة للسلطة العامة فى الإسلام — الأستاذ الدكتور مصطفى كمال وصفى
٢٤ – حالة الإسلام والمسلمين فى أوربا وبصفة خاصة فى فرنسا — صاحب السعادة أبوبكر حمزة
٢٥ – موقف الإسلام والمسلمين فى أوربا فى ضوء العقائد السائدة والمثل المتبعة — الدكتور إسماعيل بالتش
٢٦ – الإسلام والمسلمون فى جمهورية تشاد — الإمام موسى إبراهيم
٢٧ – حالة المسلمين فى بعض الدول الإسلامية فى أسيا وأفريقيا — الأستاذ بودرى هاشم
٢٨ – فكرة عن المسلمين الذين يعيشون تحت يد الاستعمار الإسرائيلى وعن المسلمين فى قبرص — الدكتور مصطفى رفعت
٢٩ – الدعـــوة الإسلامية وكيف نوجهها فى جهادها المعاصر — الأستاذ سوفيان دراسى
٣٠ – الإسلام والمسلمون فى أوغندا — الشيخ عبد الرازق متوفى
٣١ – الثقافة والتربية والاتجاه العصرى للمسلمين فى أندونيسيا — الحاج إمام زركش
٣٢ – أوجه إعجاز القرآن — لسماحة الشيخ عبد الستار السيد
٣٣ – الدعاية المنظمة وأثرها الفعال — لسماحة الشيخ عبد الله غوشه
٣٤ – الاستبداع والابتداع فى الاستصلاح والاستحسان — لسماحة الشيخ محمد الهادى بلقاضى
٣٥ – دور الاستعمار فى تمزيق الكيان الإسلامى — لسماحة الشيخ محمود صبحى
٣٦ – واجب المسلمين نحو مشكلات الاحتلال الصهيونى بعد استنفاد الجهود السلمية — لسماحة الشيخ عبد الحميد السايح
٣٧ – التكافل الاجتماعى فى الإسلام — لسماحة الشيخ عمر أحمد الخواص

دور الاستعمار في تمزيق الكيان الإسلامي

للأستاذ محمود صبحي

الكيان الإسلامي ومعناه:

الكيان الإسلامي هو الجسم العام للأمة الإسلامية وداره التي يتحرك فيها كأمر الله تعالى.

والإيمان بالله واليوم الآخر هو الروح الذي يقوم عليه الكيان الإسلامي؛ ذلك لأن الإيمان لا يكون إلا عن عقيدة تتجاوب معه وتنفعل به وينفعل بها فيندفع المسلم في سبيل تحقيق ما كلف به دون التفات لأي غرض شخصي، فتراه يعلن عن عقيدته في عزة وإباء عاملا بمقتضاها في سره وعلنه، ثم يقوم بنشرها داعياً إليها في إطـــار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ملتزما بقول الله تعالى «والعصر إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

والمسلم حين يفقد هذه العقيدة يصبح لا وزن له فلا يستطيع أن يسهم في حياة المجتمع وقد فقد ما يحيى به نفسه هو «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم». فلا يحصل المسلم على التضحية والإيثار إلا بالعقيدة السليمة «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم».

وأعداء الإسلام جميعا يوقنون بما كان ولا يزال من آثار العقيدة في حياة الأفراد والأمم. فرد الصليبيين على أعقابهم خائبين كان بإيمان الصادقين من المسلمين، وصد التتار في هزيمة منكرة كان بالإيمان القوي، وما كان من عقبة بن نافع وموسى ابن نصير وطارق بن زياد وعبد القادر الجزائري وعبد الكريم الخطابي وزعيم دولة الموحدين وصقر قريش وتيمورلنك وأحرار الجزائر أخيراً وأحرار ليبيا ووقوف مصر أمام الاعتداءات المتوالية فضلا عما كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وتابعي التابعين في حروب فارس والروم. كل ذلك كان من آثار الإيمان.

« الدار فى الإسلام ووجوب حمايتها فى إطار الوحدة »

كان المعتدون على دار الإسلام يحسبون كل حساب لقيام المسلمين بنهضة عامة باسم الوحدة الإسلامية لاستعادة ما سلب منهم، وكانوا يحسبون كل حساب لتعلقهم بالدولة العثمانية وقد اعترفوا لها بمنصب الخلافة الإسلامية ، فما زالوا يجاهدون هذه الخلافة وتلك الوحدة بأنواع الجهاد المقرر فى الشريعة الإسلامية وهى السيف والمال واللسان والقلم أى العلم حتى صرفوا وجـوه الشعوب الإسلامية عن الوحدة الإسلامية إلى الجامعتين الجنسية والوطنية ، وهدموا هيكل الخلافة العثمانية بأيدى حماتها من الترك أنفسهم، ودفعوا حكومة هذا الشعب الإسلامى الباسل من حيث لا تدرى إلى محاربة الدين الإسلامى نفسه بأشد من محاربتهم هم له بمدارسهم التبشيرية وغير الدينية وبكتبهم وصحفهم ونفوذهم .

فاعتقدوا أنه قد تم لهم بهذا فتح العالم الإسلامى وأنه لم يبق عليهم لإتمام هذا الفتح إلا القضاء الأخير على مهده الدينى وعلى شعبه وأنصاره ، ونصوص جمهور الفقهاء تقرر : (أن كل ما دخل من البلاد فى محيط سلطات الإسلام ونفذت فيها أحكامه وأقيمت شعائره قد صار من دار الإسلام) ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوبا عينيا، وإلا كانوا آثمين بتركه، وإن استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنهم وجوب القتال لاسترداده وإن طال الزمان ، فعلى هذا الاتجاه يجب على مسلمى الأرض إزالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشىء من الأقطار الإسلامية وإرجاع حكم الإسلام إليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وعجزهم الآن عن ذلك لا يسقط عنهم وجوب توطين أنفسهم عليه، وإعداد ما يستطيعون من النظام ، والعـدة له ، وانتظار الفرص للوثوب والعمل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

وهذا الرأى يوافق القاعدة التى قالها أحد وزراء الإنجليز للتنـازع بين المسلمين والنصارى فى الغلب والسلطان وهى (ما أخذ الصليب من الهلال لا يجوز أن يعود إلى الهلال ، وما أخذ الهلال، من الصليب يجب أن يعود إلى الصليب).

وعلى هذا الرأى يجرى اليهود الذين يعملون على إعادة ملك إسرائيل إلى بلاد فلسطين ، بل يعملون على جعل ملك

الأرض وسيلة لهم فهم يحاولون سلب رقبة الأرض من أهلها العرب فى فلسطين وما حولها بمساعدة الاستعمار الذى مكن لهم من اغتصاب بعض ما كانوا يحلمون به .

فمنذ أشرق نور الإسلام على المعمورة واليهود يتربصون به الدوائر ؛ إذا رأوا فيه خطرا على مستقبلهم « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون » .

وعندما كانوا يعتقدون فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم أنهم أقوى من المسلمين قاموا سافرين بالتصدى لوقف قافلة الحق عن المسير ، فلما انهزموا وذهبت ريحهم بدأوا فى وضع خطط الكيد فى السر وحصروا همهم فى الوشاية بين المسلمين والمسيحيين ، وأعلن الصليب الحرب على الهلال وقد انضم اليهود إلى الصليب فى القضاء على الكيان الإسلامى ، واتفق الصهاينة والمستعمرون على ضرورة تقسيم الرقعة الإسلامية إلى مناطق نفوذ لا تخرج عن دائرة المستعمرين ؛ وعلى تحويل الدولة العثمانية إلى دويلة تكون ضمن النفوذ الاستعمارى ولا تزال ضراوة الاستعمار والصهيونية قائمة جادة فى تفريق الكلمة الإسلامية وفى إحداث الشقاق بين الدول العربية والإسلامية والضحية غافلة عن الذئاب التى تلبس لبوسهم وتتحمس لقضيتهم حسب الظروف والملابسات كما كان من (جلوب ولورانس) وللقضاء على الكيان الإسلامى كان أول تحالف رسمى بين اليهود والمسيحيين عام ١٥٠٥م فقد كتب دافيد روبنس مشروعا وقدمه إلى البابا فحواه احتلال العالم الإسلامى وانتزاع الأرض المقدسة من المسلمين واحتلال اليهود لفلسطين .

وقد استفاد الاستعمار من هذا التحالف فقدم اليهود كل ما عرفوه عن المسلمين من مواطن الضعف والقوة ، إذ كان اليهود يقظين فى جمع هذه المعلومات إبان اختلاطهم وتغلغلهم فى الدول الإسلامية ثم كان التحالف بين اليهود والمسيحيين بضم التوراة ، والإنجيل باعتبار التوراة كتاب العهد القديم والإنجيل كتاب العهد الجديد . وبهذا حقق اليهود ما كانوا يصبون إليه من القضاء على المسيحية أولا ، وثانيا أشباع نهمهم بالحصول على الذهب من وراء القوة المسيحية التى استعمرت الشعوب ، ثم فى النهاية تحقيق هدفهم الأكبر وهو الاستيلاء على فلسطين التى اغتصبوها قديما بحد السيف وسفك الدماء كما اغتصبوها حديثا بالقهر والمكر والخديعة ثم بالسيف .

وما أشبه الليلة بالبارحة ، فلما رأى الاستعمار أن الدول الإسلامية أخذت تستقل وتتطلع إلى حقها المشروع فى الحياة أقام السدود والعقبات أمام اتحاد المسلمين وتعاونهم وبالرغم من أن الاستعمار يتكتل فى الغرب وفى الشرق على حد سواء ، فإن المسلمين كلما صاح فيهم صائح بضرورة التعاون هبت رياح الاستعمار تزمجر وتأبى أن يكون شىء من ذلك ، واليوم ترى التلويح بالقوة بل باستعمالها يهدد أى كيان إسلامى كما حدث للباكستان من تمزيق .

وقد استطاع الاستعمار بعد ما نجح فى إسقاط الوحدة الإسلامية أن يجعل نار البغضاء بين الدول الإسلامية عموما والدول العربية خصوصا متأججا ؛ فالاستعمار يخشى أن يشرق النور الإسلامى متحدا تحت راية القرآن الذى يحكم على المسلمين أن يكونوا شخصا واحدا وأمة واحدة ووطنا واحدا يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد واحدة على من سواهم فى الحق وبالحق وللحق .

وقد عرف الاستعمار من تجاربه مع المسلمين فى الماضى أن قوة المسلمين فى اتحادهم فقد قامت دولة إسلامية قوية فى شمال أفريقيا والأندلس بالاتحاد ، وضاعت الأندلس المسلمة بالفرقة ، وقد استطاع العدو طرد المسلمين منها وإرجاعها نصرانية ، كما استطاع أن يحول غالبية دول البلقان إلى مسيحية بعد أن كان غالبيتها مسلمين وكان ذلك لعدم اتحاد المسلمين وضاعت الدولة التيمورية بالتفرق والانقسام .

نعم فإن الاستعمار كانت كل هزائمه بسبب قوة المسلمين المتحدة ، وكل انتصاراته كانت بسبب تفرق المسلمين .

وقض مضجع المستعمر ما كان من تعاطف المسلمين مع إخوانهم المسلمين وخصوصا إبان احتلالهم للهند .

وأرجو أن تقفوا معى قليلا ونحن نستعرض صورة من صور مقاومة المسلمين الهنود للانجليز عندما كان الانجليز يعملون فى الشرق الأوسط على تمزيق المسلمين ، وحتى يعرف الفرق بين المسلمين اليوم وبينهم بالأمس وخصوصا فى هذا اليوم الباكى الذى نرى فيه دولة إسلامية كبرى تتمزق أوصالها ويتحكم فيها أعداؤها وهى دولة الباكستان .

فإن الحكومة الهندية الإنجليزية لما أرسلت بلاغها الرسمى فى فبراير ١٩٢٢ إلى الحكومة المركزية فى لندن تؤكد فيه المطالب الهندية فى مسألة الخلافة وتحذرها

من سياستها الخرقاء فى معاملة الدولة العثمانية والبلاد الإسلامية تأثر به الرأى العام الإنجليزى أيما تأثر حتى تدحرجت وزارة المستر لويد جورج القاهر لدولة ألمانيا وسقطت سقوطا مخزيا وكانت قد امتازت بعداوة الأتراك والمسلمين واستعمار البلاد الإسلامية المحتلة باسم الوصاية، فكيف كانت حركة عدم التعاون السلمى فى الهند؟

قامت هذه الحركة بعد هدنة الحرب الكبرى مباشرة، فظلت زمنا محصورة فى قيام المظاهرات وحشد المحافل واجتماع المؤتمرات وإرسال الوفود إلى انجلترا وأوربا وغير ذلك من الطرق السياسية المعهودة، ولما لم تنتج هذه الأعمال شيئا تشاور المسلمون فى الهند لوضع خطة العمل أعلنوها فى أغسطس ١٩٢٠م وهى عدم التعاون السلمى، الذى هو داخل تحت الأوامر الشرعية لأنه قسم من أقسام ترك الولاء للمحاربين والذى يسمى بالانجليزية: «كوابريشن».

ومعنى «كوابريشن» المساعدة والمشاركة فى العمل فكان الغرض منه تقطع من بريطانيا جميع تلك العلائق التى تساعدها فى حكمها واستبدادها وقيامها فى البلاد، لأن الهند ليس فى وسعها أن تقوم بحركة سلبية ولأنها تريد أن تقدم مثالا عمليا لمقاومة القوة بالطرق السلبية.

وكانت لائحة عملها كما يلى:

١ – ترد إلى الحكومة جميع مناصبها وألقاب شرفها وأوسمتها.

٢ – تقاطع جميع مدارسها وكلياتها وتؤسس للصبيان المدارس الوطنية والشباب يشتغلون بنشر الحركة وترويجها.

٣ – تقاطع جميع المحاكم العدلية فلا يذهب إليها المحامون ولا أصحاب الدعاوى بل تؤسس المحاكم الوطنية فتفصل فيها الدعاوى على الطرق البسيطة.

٤ – تقاطع إصلاحات الحكومة التى تمن بها على البلاد فلا يرشح أحد نفسه للمجالس النيابية ولا يستجيب لها أحد.

٥ – تقاطع البضائع الإنجليزية ولا سيما القماش منها، ويجب على الوطنيين أن يغزلوا القطن بأيديهم فينسج منه القماش وهو الذى يستعمله الناس.

٦ – يجب ترك الخدمة العسكرية لأن الدولة البريطانية تستعمل الجيش الهندى لاستعباد هذه البلاد وغيرها من البلاد الحرة.

٧ – يجب أخيرا أن يمنع كل ما يدفع إلى الحكومة من أموال الضرائب وغيرها

فلا يؤدى إليها فلس واحد وإن سجنت وعذبت .

لا يخفى عليكم أيها الإخوة خطر هذه اللائحة ، فإنها لم تكن إلا لدعوة إلى الإيثار ونسيان الذات وتحمل الخسائر والتعرض للنوائب ، إذ لا يلبيها أحد إلا وينفض يده من وسائل معيشته فيذر نفسه وأهله للضنك والفقر والفاقة ثم يعرض عن كل ما عند الحكومة من الرتب والمنافع والشرف والفخار ، وبعد ذلك يعرض نفسه الحبس والتعذيب وقد يلقى إلى القتل والصلب إلا أن البلاد رحبت بها وتقبلتها بقبول حسن فأخذت جماعات تاركى التعاون تظهر من كل جهة وتعلن هذه الأمور وتعمل بها والحكومة تراها بعينها ولا تعرف كيف تصد تيارها

الأسباب التى مهدت وتمهد فى تمكين الاستعمار من تمزق الكيان الإسلامى :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

إن واقعا مضنيا عاشته الشعوب الإسلامية مدة طويلة يجب علينا أن ننظر إليه نظرة جديدة وجدية حتى نستطيع القضاء عليه أو على الأقل التخفيف من حدته ، وفيما يلى تلخيص لأهم الأسباب التى مهدت وتمهد فى تمكين الاستعمار من تمزيق الكيان الإسلامى وهى :ـ

أولا : الأسباب الدينية :

١ ــ تأثير عقيدة الجبر على أفكار الأمة.

٢ ــ تأثير المزهدات فى السعى والعمل وزينة الحياة .

٣ ــ تأثير فتن الجدل فى العقائد الدينية.

٤ ــ الاسترسال للتخالف والتفرق فى الدين .

٥ ــ تشديد الفقهاء المتأخرين فى الدين خلافا للسلف .

٦ ــ تشويش أفكار الأمة بكثرة تخالف الآراء فى فروع أحكام الدين .

٧ ــ فقد إمكان مطابقة القول للعمل فى الدين بسبب التخليط والتشديد .

٨ ــ إدخال العلماء المدنيين على الدين مقتبسات كتابية وخرافات وبدعا مضرة.

٩ ــ إفساد الدين بتفنن المداحين بمزايدات ومتروكات وتأويلات .

١٠ ــ خلع المنجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالمرهبات .

١١ ــ إيهام الدجالين والمداحين أن فى الدنيا أمورا سرية وأن العلم حجاب .

١٢ — اعتقاد منافاة العلوم الحكمية والعقلية للدين .

١٣ — تهاون العلماء العاملين فى تأييد التوحيد .

١٤ — الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء .

١٥ — التعصب للمذاهب ولآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلك السلف.

١٦ — الغفلة عن حكمة الجماعات والجمعة وجمعية الحج .

١٧ — نبذ الحرية الدينية جهلا بمزيتها.

١٨ — تكليف المسلم نفسه ما لا يكلفه به الله وتهاونه فيما هو مأمور به .

ثانيا : الأسباب السياسية :

١ — السياسة المطلقة من السيطرة والمسئولية .

٢ — تفرق الأمة إلى عصبيات وأحزاب سياسية .

٣ — حرمان الأمة من حرية القول والعمل وفقدانها الأمن والأمل .

٤ — فقد العدل والتساوى فى الحقوق بين طبقات الأمـة .

٥ — ميل الحكام للعلماء المدنسين وجهلة المتصوفين .

٦ — حرمان العلماء العاملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم .

٧ — اعتبار العلم عطية يحسن بها الحكام على الأخصاء ، وتفويض خدم الدين للجهلاء .

٨ — تحريف معنى أخذ الأموال من الأغنياء وإعطائها للفقراء .

٩ — تكليف الحكام بعض القضاة والمفتين أمورا تهدم دينهم .

١٠ — إبعاد الحكام الأحرار والعباقرة وتقريبهم المتملقين والأشرار.

١١ — فقد قوة الرأى العام بالحجر والتفريق .

١٢ — انتهاج أكثر الحكام سياسة الاستبداد عناداً واستكباراً .

١٣ — انغماس غالبية الحكام فى الترف ودواعى الشهوات .

١٤ — إهمال الحكام للجبهات الداخلية بعدم الدعم النافع المفيد .

١٥ — حصر الاهتمام السياسى فى الضرائب والجندية فقط .

ثالثاً : الأسباب الأخلاقية :

١ — الاستغراق فى الجهل والارتياح إليـه .

٢ — اليأس من اللحاق بالفائزين فى الدين والدنيا .

٣ــ الإخلاد إلى الخمول ترويحا للنفس.
٤ــ فقد التناصح وترك البغض فى الله.
٥ــ انحلال الرابطة الدينية الاحتسابية.
٦ ــ فساد التعليم وضعف الوعظ والخطابة والإرشاد.
٧ــ فقد التربية الدينية والأخلاقية.
٨ــ فقد قوة الجمعيات وآثارها الطيبة.
٩ ــ فقد القوة المالية الاشتراكية بسبب التهاون فى الزكاة.
١٠ ــ ترك الأعمال بسبب ضعف الآمال.
١١ ــ إهمال طلب الحقوق العامة جبنا وخوفا من التخاذل.
١٢ــ غلبة التخلف بالتملق تزلفا وصغارا.
١٣ــ تفضيل الارتزاق بالوظيفة الحكومية على الصنعة.
١٤ــ معاداة العلوم العالية ارتياحا للجهالة
١٥ ــ التباعد عن المكاشفات والمفاوضات فى الشئون العامة.

رابعاً : أسباب إدارية سياسية :

١ ــ مواطن الخلل فى السياسة والإدارة فى الممالك والإتاوات وسائر الحكومات الإسلامية خصوصا فى السنين الأخيرة عندما اندفعت لتنظيم أمورها فعطلت أصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الإبداع
٢ــ عدم توجيه المسئولية إلى رؤساء الإدارة والولاة عن أعمالهم مطلقا.
٣ــ تشويش الإدارة بعدم الالتفات لتوحيد الأخلاق والمسالك فى الوزراء والولاة والقواد.
٤ــ تفويض الأمور المختصة فى القيادات ببعض البيوت لمن لا يحسن إدارتها خضوعا لنظام موروث فى بعض الحكومات الإسلامية.
٥ــ التزام توليه بعض المناصب المختصة دينية أو عسكرية لمن يكون مبغوضا ومعروفا بالملق من العلماء أو الجند.
٦ــ التمييز الفاحش بين أجناس الرعية فى الغنم والغرم.
٧ــ التسامح فى المكافأة والمجازاة تهاونا بشئون الإدارة حسنت أم ساءت.
٨ــ تضييع حرمة الشرع وقوة القوانين لعدم اتباعها وتنفيذها والاصرار على أن تكون الإدارة نظامية اسما، إدارية فعلا.
٩ــ التهاون فى مجاراة عادات الأهالى وأخلاقهم ومصالحهم استجلابا لمحبتهم القلبية فوق طاعتهم الظاهرية.
١٠ــ الغفلة أو التغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الجيران بسبب عدم الاهتمام بالمستقبل.

١١ - الضغط على الأفكار المتنبهة بقصد منع نموها وسموها واطلاعها على مجارى الإدارة محاسنها ومعايبها .

١٢ - تمييز الأسافل فضلا وأخلاقا وعلما وتحكيمهم فى الرقاب الحرة وتسليطهم على أصحاب المزايا، وهذا التهاون بشأن ذوى الشئون يستلزم تسفل الإدارة .

خامسا : أسباب عامة :

١ - عدم تطابق الأخلاق بين الرعيه والرعاة .

٢ - الغفلة عن ترتيب شئون الحياة .

٣ - الغفلة عن توزيع الأعمال والأوقاف

٤ - الغفلة عن الأذعان للارتقاء .

٥ - الغفلة عن موازنة القوة والاستعداد.

٦ - ترك الاعتناء بتعليم النساء .

هذا هو الاستعمار الداخلى بحق ، وقد أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم فى أصل مهم بقوله : رجعنا من جهاد أصغر إلى جهاد أكبر فهذا القول يعبر عن الجبهة الداخلية فما هى إلا بنيان يتألف من لبنات الأفراد ، ويشمل ذلك بناء الأسرة ، وكل جماعة فى الأمة يناط بها عمل من أى نوع حتى يقوم البنيان شامخا وإن تباينت أحجاره وخامات بنائه ، ومن هنا وحدة لا يجد الاستعمار الخارجى أى ثغرة ينفذ منها لتمزيق البناء ؛ إذ يجد الوحده الوطنية متماسكة فى الأعمال والأخلاق والمقدمات والنتائج .

وسائل تسليح المسلم لمواجهة هذه الأخطار :

إن ما عليه العالم اليوم لا يفيد فيه أساليب التربية المتبعة الآن ، بل لا بد من اتخاذ أساليب تسلح المسلم بسلاح من جنس سلاح ما عليه الناس اليوم .

فتحفيظ القرآن وحده ، أو تحفيظ المتون الدينية وحدها ، أو قراءة الفقه وحده ، كل ذلك لا يسلح المسلم بسلاح يحميه من غارات الأعداء على دينه ، وإنما لا بد من مزج هذه التعاليم بالعلم والفلسفة وكشف الشبهات بوسائل إيضاح .

ويجب أن يكون للإسلام وسائل إعلام خاصة تقدم الشبهة فى صورة مسرحية أو تمثيلية ، ثم عرض الدين مع ما يعارضه من إلحاد فى مقارنة واضحة ملموسة تظهر فائدة الدين لحياة الإنسان وأخذه بيده من الحضيض إلى قمة السعادة .

ويجب أن يكون الاهتمام بالشباب منذ المراحل الأولى ؛ حتى يستطيع أن يرد على

السارقين له والمشوشين عليه ، فالتلقين للأطفال يكون معه تلقين الحقائق الدينية وأضدادها فى أسلوب واضح سهل يتفق مع عقليته واستعداده .

ومعلوم أن الإسلام يقول : الدعوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى ، وهذا يعنى أن يملك الطفل والشاب البرهان الساطع .

إن منافذ الشر اليوم مفتوحة على الدنيا لا يمكن الوقاية منها فالمواصلات وأجهزة الإعلام جعلت وصول الشر يتغلل فى كل بقعة من العالم ، والبعثات الطلابية والتجارية وغيرها من أهم العوامل التى تبلور الشر من مريديه لأعدائهم ومن هنا كان التحصن من هذا الوباء الخطير لا يتحقق إلا بالتلقين والتعليم من متخصصين فى ميدان الإيمان مع إتصال كل من يخشى منهم على الشباب فى مراحل التعليم المختلفة؛ إذ لا فرق بين الوقاية من الأمراض الجسمية والأمراض الروحية

فرافق الصحة تجعل الحجر الصحى خوفا من نشر المرض فأولى أن يكون الحجر الدينى كذلك ويجب أن يمد شباب مثقف واع يحتضن العمال وغيرهم فى حقول أعمالهم يبصرهم بما يتهدد دينهم وأوطانهم ويعرفهم عن الذين يدسون السم فى الدسم ويسقونهم الرذيلة ليقضوا عليهم فى النهاية ويحتلوا أرضهم وديارهم لا يقال إن الحرية رائد البحث فهذا حق وقد حث عليه الإسلام ولكن إنما يكون هذا مع الفاهمين المتسلحين بالمعرفة . لو نظرنا إلى شباب الجامعات فالأسف يملأ جوانحنا فإن شباب الجامعات فى معارفه العامة وخصوصا الدينية منها لا تملأ صفحة واحدة تساوى ثلاثين سطرا ، ومن هنا كان علينا وعلى كل حاكم غيور على دينه أن يوقن دون ريب أن وصف الداء لا ينتفى بدون العلاج .

وللحفاظ على الكيان الإسلامى أيضا ليتسلح المسلم بسلاح لمواجهة ما يحيط به من أخطار يجب الأخذ بقوة بما يلى :

١ — الطابع الذى ينبغى أن يسود الدراسات والأبحاث فى الجامعة والمناقشات فى المؤتمرات العامة التى تتصدى للمناقشة والبحث العلمى الأكاديمى، وكذلك المقالة والمؤلفات الخاصة بذلك كلها يجب أن تكون فى إطار سليم .

٢ — العمل على ايجاد تماسك قوى

جدا داخل العالم الإسلامى وجمع شتاته المتمثل فى المذاهب المختلفة والأحزاب المتباينة والمؤسسات التى تمارس الدعوة إلى الإسلام .

٣ — المواجهـــة الصادقة لهؤلاء المبشرين والمستشرقين وعملائهم فى البلاد الإسلامية هذه المواجهة تحتم علينا التحرى عن مؤسسات التبشير وحصرها ودعوة المشرفين عليها للاجتماع بهم ومناظرتهم وإظهار باطلهم أمام الجمهور فى الأماكن العامة فى كل بلد إسلامى توجـــد فيه مؤسسات للتبشير .

٤ — إصدار سلسلة من الكتب والمقالات توضح مفاهيم الملل والنحل التى عليها غير المسلمين ؛ فإن كثيرا من الشباب المثقف يجهل ذلك تماما لمواجهة مثل ما قرأنا فى مجلة الهلال فى أواخر عام ١٩٧٠ من مقال للبطريرك شنودة الثالث يقرر فيه أن القرآن يقر المسيحية التى هم عليها الآن ويجب على المسلمين اعتناقها

٥ — حل المسألة الاجتماعية على صورة تمحى معها المظالم التى تفيض بها جوانب المجتمع الإسلامى .

٦ — المسيرة بهدى العلم والمعرفة فمن المحال أن يشق المرء طريقه فى الحياة بغير علم . ومن المتعذر أن يعقد النصر بلواء إنسان فى معركة الحياة دون أن يكون مسلحا بسلاح العرفان، وهذا المبدأ ينطبق على الأفراد والأمم، فالمتعلم يصارع الجاهل ليصرعه . والدولة المتحضرة تستعبد الشعوب المختلفة عن ركب الحضارة ، ولو صح فى الأفهام أن الشرق شرق والغرب غرب وأنهما لا يلتقيان بل يسترق أحدهما الآخر ويستغله فما ذلك إلا لأن الغرب يستضىء بنور العلم والعرفان على أن الشرق ما برح يتخبط فى ظلمات الجهالة ، يؤيد ذلك عندما شكت الأقلية لأحد زعمائها الخوف من الأغلبية فى الوطن الواحد فأجاب الداهية المحنك إنكم تستطيعون لا أن تصدوا طغيان الأغلبية فحسب بل تتحكموا فى رقابهم بثلاثة أسلحة « العلم والمال والتضامن » فإذا أخذتم بقسط من العلم وكانوا هم محرومين منه بسطتم عليهم سلطانكم وإذا أثقلتم كواهلهم بالديون ناءوا تحت أعبائها فباتوا أسرى فى قبضة أيديكم، وإذا تضامنتم وتخاذلوا كتب لكم السيادة عليهم؟

محمود صبحى

الإسلام والمسلمون في جمهورية تشاد

للأستاذ موسى ابراهيم

إن جمهورية تشاد تضم الآن إمارات متعددة طالمـــا ارتفع فى ربوعها لواء الإسلام وقامت على أرضها دول إسلامية متعاقبة منذ أن أشرقت علينا أنوار الإسلام الحنيف وأكرمنا الله بأن هدانا إلى اتباعه على أيدى الدعاة الأوائل الذين تتابعت مواكبهم المباركة منذ فجر الدعوة الإسلامية كالغيث يحي الله به الأرض بعد موتها ، وصدق الله العظيم (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلناه له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) .

وإذا لم يكن المجال الآن متسعاً للسرد التاريخى وتتبع الإسلام فى مسيرته المباركة نحو هذه البلاد حتى عم نوره أرجاءها من أقصاها إلى أقصاها فإننى سأكتفى بأن أضع أمامكم - وأنتم رسل الوطن الإسلامى الكبير - صورة لواقعنا الحالى محاولا فى إخلاص أن ألمس فى حديثى الجوانب المختلفة حتى تخرج فى النهاية بفهم مشترك وتصور سليم لواقع بقعة عزيزة من بقاع الإسلام فرض عليها ولأزمان طويلة أن تكون بمعزل عن بقية الوطن الإسلامى وأن تقطع كل الصلات بينها وبين إخوتها فى العقيدة والثقافة والتاريخ .

يعيش فى جمهورية تشاد الآن ما يزيد على أربعة ملايين من المواطنين يدين بالإسلام من هذا العدد ما يزيد على خمسة وسبعين فى المائة أما الخمسة والعشرون فى المائة المتبقية فهى قسمة بين من استطاعت الكنيسة بمالها من إمكانيات أن تحولهم من الوثنية إلى الدين المسيحى وبين من بقى إلى الآن على الوثنية التى لا تعرف ربا ولا تدرك إلها .

هذه هى الحقيقة الماثلة أمام الجميع التى لا ينكرها أحد ، حتى أولئك الذين يحرصون على طمس الحقائق لا يجرؤن على تجاهلها وإن كانوا ينزلون بهذه النسبة قليلا ولكنهم على كل حال يقرون بجوهر الواقع ولا يدفعونه .

بل إنه يمكننا أن نضيف إلى ما سبق

أمرين هامين هما أيضاً من الحقائق المسلمة من كل المنصفين .

أولهما : إن هذه النسبة التى ذكرناها فى زيادة مستمرة ، فلا يكاد يمضى يوم حتى يحضر إلينا من يعلن عن اقتناعه بالدين الحنيف ويرغب فى إشهار إسلامه والانضمام إلى جماعة المسلمين طائعاً مختاراً رغم انعدام وسائل الدعوة والتبشير بالإسلام ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ثانيهما : إنه بحمد الله لم يسجل التاريخ نكوص أى مسلم عن دينه وردته عن عقيدته ، وهذا أمر طبيعى فالإسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وتغيير الفطرة أو طمسها أمر عسير مهما حاول المحاولون ومهما أوتوا من وسائل الترغيب والترهيب .

والآن لنلق نظرة سريعة على الجوانب الإيجابية فى حياة هذا العدد من المسلمين ثم ننتقل بعدها إلى الجوانب السلبية فى حياتهم والتى جئنا إلى مؤتمركم الموقر يحدونا الأمل فى أننا سوف نجد منكم ما نرجوه من عون ومساندة للتغلب عليها والتخلص منها .

إن واقع بلادنا ينطق بالحقائق التالية :

أولا : إن اللغة العربية لغة القرآن هى لسان الشعب التشادى وأينما ذهبت وحيثما حللت شمالا أو جنوبا ستجد اللسان العربى وستستطيع أن تتفاهم باللغة العربية. هذه حقيقة يدهش منها كل من ذهب إلى ديارنا المرة الأولى وقد حدثنى بذلك الكثيرون ممن وفدوا إلى بلادنا وفوجئوا بهذا الواقع الذى ما كانوا يتخيلونه .

حقيقة أن لساننا مختلط ببعض اللهجات المحلية التى مازالت باقية إلى الآن وحقيقة أن لغتنا قد تأثرت باللسان الفرنسى بسبب فرضه على التعليم ويتحكم اضطرارنا للتعامل مع أصحابه ونحن فى ذلك مثل جميع الشعوب التى مرت بظروف خاصة تسبب عنها هذا التداخل اللغوى الذى ينتهى به الأمر إلى تكوين لغة عامية خاصة بهذا الشعب أو ذاك . ولكن الحقيقة أيضا هى أن اللغة العربية ما زالت لغة الشعب وأن التفاهم بها سهل ميسور لكل من يفد إلى بلادنا .

ثانيا : إن العناية بالقرآن الكريم حفظا وتجويدا من أهم الأمور التى يوليها التشاديون أعظم الاهتمام فعلى امتداد

الوطن مدنه وقراه توجد الآن الحلاوى -الكتاتيب. يذهب إليها الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن ويجودونه . وقلما تجد تشاديا مسلما لم يحفظ القرآن أو جزءا منه فى صباه . وإن نظرة المجتمع إلى الشخص الذى لا يحفظ شيئا من القرآن نظرة استصغار واستخفاف لدليل على ذلك، لحامل القرآن كفء لأرفع الأنساب أما غيره فقلما يجد من يثق فيه أو يرضى بمصاهرته . ويجب أن نوضح هنا أن هذه العناية شيء توارثه الأبناء عن الأجداد وتوجد من غير توجيه أو تنظيم أو تشجيع من أحد بل هى منبثقة من ضمير الشعب وكأنها جزء من فطرته وبعض من كيانه .

ثالثا : الشعائر الإسلامية قائمة مرعية فى طول البلاد وعرضها وصوت المؤذنين يتردد قويا خمس مرات كل يوم، وصلاة الجماعة والجمعة والصوم والحج كل ذلك بفضل الله من الجوانب المشرقة فى بيئتنا التشادية .

رابعاً : إن حياة شعبنا الاجتماعية تسودها الروح الإسلامية فالتقاليد والسلوك وشعور الأخوة والتكافل وحقوق الجوار وصلة الرحم وكل مايميز المجتمع المسلم ما زال بحمد الله من سمات شعبنا المسلم المعتز بإسلامه .

هذه بعض الجوانب الإيجابية المشرقة فى حياة شعبنا ولكن لا يجب أن ينسينا ذلك جوانب أخرى هى من الإسلام لبه وروحه ، فإن شعبنا عانى وما زال يعانى مما دبر له المستعمرون ومن خططهم الحاقدة التى دبروها فى عناية متوخين أن يقتلعوا جملة جرثومة هذا الدين وان يجتثوا جذوره ويطفئوا جذوته وقد حشدوا لذلك كل ما يملكون من دهاء وبطش وإرهاب وهذا حديث طويل نكتفى فى هذا المجال بأن نبرز منه الحقائق التالية :

١ - منذ أن وطئت أقدام المستعمرين أرض وطننا فى أواخر القرن الماضى لم يواجهوا مقاومة ولا تمردا إلا من العناصر الإسلامية والقيادات الدينية ، ولقد استطاع المسلمون أن يكبدوا الغزاة خسائر فادحة وأن يرغموهم على دفع ثمن باهظ لعدوانهم . ويكفى دليلا على ذلك أن الفرنسيين لم يتمكنوا من إحكام قبضتهم على البلاد ولم يستطيعوا الاستيلاء على

كل مناطقها إلا بعد سبعة عشر عاما ظل المسلمون خلالها يقاومون فى عناد وإصرار مستعذبين الموت فى سبيل الله مضحين بالنفس والمال والولد لهم من عقيدتهم وإيمانهم أعظم حافز على الفداء والبذل وعندما استتب الأمر للغزاة لم ينسوا الدروس التى لقنها لهم المسلمون ولم يغفلوا عن أن الإسلام هو الروح الذى أمد هؤلاء بكل هذه الطاقة الجبارة والإصرار الأكيد ومن هنا صمموا أن يبذلوا كل مايملكون فى سبيل قتل هذا الروح وإطفاء نوره وبذلك فقط يستذلون هذه الشعوب ويتحكمون فى مصائرها وقد وضعوا لذلك خططا متكاملة أرادوا بها أن يحققوا غايتهم تلك وكانت عناصر تلك الخطط ما يلى :

١ - عزل الشعب التشادى عن بقية العالم الإسلامى عزلا محكما .

٢ - تفريغ البلاد من العلماء والقيادات الدينيـــة .

٣ - محو الثقافة الإسلامية العربية واستبدالها بالثقافة الغربية .

٤ - محاربة الإسلام كعقيدة بالتبشير بالمسيحية وكسلوك بالقضاء على القيم والآداب الإسلامية وإشاعة الفساد والانحلال .

ولم يكن تنفيذ هذه الخطط بأقل أحكاما من وضعها ، فقد جندوا كل طاقاتهم وسخروا كل إمكاناتهم لإنجاح هذه السياسة ويجب أن نكرر هنا أنه لشىء معجز حقا أن يظل للإسلام بقية فى تلك البلاد رغم مابذل فى سبيل محوه وإزالته وأن دل ذلك على شىء فإنما يدل على تلك القوة الذاتية التى يتميز بها الإسلام والتى يستعصى بها على كل محاولات المحو والإزالة

ولنعرض سريعا صورا من هـــذه الأعمال الباغية التى ارتكبها المستعمرون.

١ - لقد كان أول خطوة أقدم عليها المستعمرون هى ملاحقة القيادات الدينية ورجال الدين التشاديين قتلا ونفيا وتعذيبا وقد ارتكبوا من أجل ذلك من الجرائم ما تقشعر منه الأبدان بحجة أن هؤلاء هم المسئولون عن المقاومة التى أبداها المسلمون ضدهم متناسين أنهم معتدون دخلاء وأن المسلم يأبى عليه دينه الخضوع والذل وأنه مطالب بالدفاع عن وطنه وحريته ودينه وأن ذلك جزء من عقيدته ولكن ما لهؤلاء ومنطق الحق - ولقد كان من آثار هذا الإرهاب الذى أشاعوه والقسوة الوحشية التى لجأوا اليها أن تم

لهم ما أرادوا فعله وتدفقت أفواج اللاجئين إلى الدول المجاورة طلبا للنجاة والأمن ولعلنا نتصور عنف تلك المذابح إذا علمنا أن عـــدد التشاديين الذين لجأوا إلى السودان وحده نتيجة لهذا الارهاب يبلغ مليونين من المواطنين أى أنهم استطاعوا أن يفرغوا البلاد من نصف سـكانها أو يزيد - وبطبيعة الحال كان هؤلاء من صفوة العناصر الوطنية التى أيقنت أنهـا هدف الحملة المقصود .

٢ — وقد صاحب ذلك عـزل تام للشعب التشادى عن بقية العالم الإسلامى ومنع أى صلة بيننا وبينه ، ذلك لأنهم يعتبرون أن استمرار الصلات بيننا وبين إخواننا المسلمين جـديرة بأن تحيى فينا روح الأمل وتمدنا بالزاد الروحى الذى يكفل استمرار النضال وحفظ الشخصية الإسلامية التى يرون فيها خطرا ماحقا لوجودهم . ومع أن شعبنا قد قاوم ذلك واستطاع أعداد منه أن يصلوا إلى مصر وغيرها للعلم إلا أن ذلك كان يتم تحت ظروف قاسية ضيقت دائرته بالإضافة إلى العقبات التى تغلق طريق العودة أمام من يحاولها ، والمصير المظلم الذى ينتظر العائد إذا نجح فى الوصول إلى الوطن وهـكذا خلت البلاد من أعـلام العلمـاء وهوى لواء العلم من فوق ربوع وطننا الحبيب .

٣ — لم يكتفوا بذلك بل وضعوا ونفذوا الخطط الرامية إلى محو الثقافة الإسلامية العربية واستبدالها بالثقافة الغربية عن روح الشعب والمنافية لطبيعته وتقاليده فأنشأوا المـدارس تحت رعاية الكنائس المسيحية تلقن الجيل الجـديد لغتهم وثقافتهم . وقد رفض المسلمون هذا اللون من التعليم لأنهم رأوا فيه طريقا تؤدى إلى محو الإسلام وإذابة الشخصية الإسلامية فاقتصرت هذه المـدارس على غير المسلمين تقريبا . وقد صاحب ذلك تحريم الكتب العربية وحرق ما وجدوه لدى العلمـاء منها وكانت حيازة كتاب عربى جريمة يتعرض مرتكبها لشتى أنواع المضايقات والمطاردة فى رزقه وأمنه .

بالإضافة إلى ذلك فقد عمدوا إلى محاربة أى جهد يقوم به المسلمون لإيجاد تعليم عربى إسلامى وأغلقوا كل معهد أنشىء لهذا الغرض ، وقد ترتب على هذا الوضع الخطير أن حجب عنا تيار الثقافة الإسلامية المتجدد وأصبحنا ندور فى حلقة مفرغـة

وصار كل زادنا الثقافى هو ماتعيه صدور العلمـــاء على قلتهم وما نقرؤه فى كتب ألفت فى العصور الوسطى لزمن غير زماننا ، ولا تواجه مشـاكل العصر ولا تقف أمام التيـارات الثقافيـــة والفلسفية الجديدة التى غزتنا مع الحضارة الغربية واتصال أبنائنا بأوروبا ودرنا حول أنفسنا .

وأصبح المسـلمون اليوم بين اثنين : أحدهما : يرفض كل جديد ولو كان حقا لأنه لا يجـده فيما بين يديه من الكتب الإسلامية العتيقة والآخر يرفض كل قديم لأنه يتنافى مع ما تعلمه وأصبح حقيقة مسلمة لديه ، إن الإسلام الصالح لـكل زمان ومكان والذى تضمن من المبادىء ، ما يواجه كل مشكل وما يحل كل معضل لا نعرف عنـــه الكثير ، وأصبحنا فى عجز كامل إزاء الإديولوجيات الأجنبية الغربية عن ديننا ويكفى مثالا على ذلك أن الغالبية العظمى من مسلمى تشاد يرون أن من يصدق بأن الإنسان قد غزا الفضاء أو وصل القمر فهو كافر لأن ذلك يتعارض مع الدين ومع الصورة التى استقرت فى الأذهان منذ القـدم وأن السماء ذات أبواب لا تفتح إلا بإرادة الله إلى آخر ذلك مما يتعارض مع الواقع العلمى المحسوس الآن .

٤ — ثم أقدموا على ما هو أدهى وأمر من ذلك فى محاربة الإسلام فقـد عمـدوا إلى خطة ذات شقين : الأول : محو الإسلام كعقيدة بالتبشير بالمسيحية والثانى : هو القضاء على القيم الإسلامية بإشاعـة الفساد والانحلال وتيسير سبل الانحراف والرذيلة ، وإذا كانوا قد فشلوا فى الشق الأول فلم يستطيعوا تحويل مسلم عن دينه فإنهم قد نجحوا نجاحا كبيرا فى الشق الثـانى ، وأنشئت البـارات وبيوت الرذيلة وأفسـدت الضمائر تحت وطأة الحاجة والعوز وهم الذين يملكون كل ثروات البلاد .

وقد ورثنا نتيجة لـكل ما سبق ذكره تركة مثقلة وجيلا لا يعرف من الإسلام إلا اسمه منقطعا عن تراثه الروحى وثقافته الإسلامية ، مما جعلنا الآن فى وضع إن لم تتوحـد الجهود لعلاجه وإصلاحـه فإن المستقبل محفوف بشر الأخطار وأقساها .

هذا هو واقعنا الآن جيل جديد ضائع منقطع الصلة عن قيمه وثقافته ، ثم

نقص مروع فى الكفاءات القادرة على التربية والتعليم ، ثم انعـــدام وسائل الإصلاح ونشر العلم ، وطريق مسدود أمام التعليم الإسلامى والعربى .

ماذا نريد الآن .

أيها السادة :

بعد أن سردت عليكم حقيقة ما نعانيه فإننا الآن وقد ولى الاستعمار وتغـيرت الظروف وأخذت الأمور تميل مرة أخرى ناحية الاعتـدال وتمهد الطريق لمواصلة المسيرة فى ظروف أفضل، فالسلطة الآن فى يد أبناء الوطن وصـلاتنا طيبـة مع جيراننا العرب والمسلمين، ووجودى الآن بينكم دليل على هذا التحول كما أن تشاد قد استقبلت فى هذا العام مبعوثا للأزهر وهيأت له ما هو جدير به من معاملة طيبة لائقة ومقام كريم ، فإننا نتقدم إليكم نناشدكم ممتثلين هدى نبينا صلى الله عليه وسلم : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، وقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

نتقدم إليكم وإلى الأزهر الشريف وإلى العالم الإسلامى قاطبة أن يمد إلينا العون كى ننهض بالواجب ونتدارك الأمر قبل فوات الأوان .

ويمكننا أن نوجز ما نريده من الأزهر الشريف خاصة والعالم الإسلامى عامة فى مطلبين أساسيين :

الأول: إمدادنا بالزاد الثقافى الإسلامى الذى جاء ثمرة لحركة التجديد الإسلامية والذى يعرض الإسلام فى ثوب جديد يستطيع أن يجابه الأفكار الجديدة التى تأثر بها الجيل الجديد، ويزيل تلك الجفوة المتوهمة بين الدين والتطور والتنـاقض المفتعل بين الإسلام والعلم ، حتى يستعيد شبابنا إيمانه مقتنعاً بأن الإسـلام قد حوى خيرى الدنيـا والآخرة وأن تلك الفلسفات وإن تضمنت شيئا من الخـير يشوبها الكثير من الشر .

الثانى : إمدادنا بالأساتذه القادرين على سـد حاجتنا من العلماء يصححون للناس عقيـــدتهم ويعلمونهم دينهم وقرآنهم وحديث نبيهم ولغة دينهم .

كل ذلك فى إطار الاتفاقيات الثقافية التى أبرمت بيننا وبين مصر وغيرها من الدول العربية الشقيقة . وإننا نتطلع إلى اليوم الذى نرى فيه مركزاً ثقافيا إسلاميا يقود حركة البعث الإسلامى فى تشـاد ويصل ما انقطع بين هذه البلاد المسلمة وبين أخواتها فى الدين والعقيدة ؟

موسى إبراهيم

(٤)

حالة المسلمين فى بعض الدول الإسلامية فى آسيا وأفريقيا

للأستاذ بودرى هاشم

قبل أن أتطرق إلى صلب الموضوع أود أن أقدم بعض الملاحظات على سبيل التمهيد .

لخدمة الغرض من كلمتى هنا أود أن أفرق بين العالم الإسلامى والعالم غير الإسلامى وفى رأيى أن العالم الإسلامى هو العالم الذى يضم كل الدول التى بها أغلبية مسلمة وحكامها مسلمون أما تلك الدول التى تعيش فيها أغلبية مسلمة ولكن تحكمها أقليات غير إسلامية فأود أن أصفها بأنها دول غير إسلامية . وبقية دول العالم التى لا تدخل فى نطاق هذا التعريف دول غير إسلامية .

بعد ذلك أود أن أؤكد على الفروق بين المسلمين وغير المسلمين لأننا أخذنا نفقد شخصيتنا يوما بعد يوم نتيجة لما يتعرض له الإسلام ومؤسساته من دعاية لا تتوقف وهجمات متصلة بغير انقطاع من جانب غير المسلمين .

إننا نحن المسلمين متفردون-متفردون لأننا على حد قول القرآن الكريم خير أمة أخرجت للناس فقد قال تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» ، ونحن متفردون لأننا (شهداء على الناس) لله .

ونحن متفردون لأننا طبقا للآية الكريمة «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» .

ونحن متفردون لأننا من يقول الله فيهم : «تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» .

إننا متفردون لأن لدينا الكتاب المقدس الوحيد الذى أنزله الله وحفظه وهو القرآن الكريم .

هذا هو المجتمع المثالى الذى يريد منا الله أن نقيمه على الأرض .

ولنبدأ الآن واضعين ذلك فى أذهاننا لنبدأ فى تحليل وتقييم أحوال المسلمين فى العالم الإسلامى والعالم غير الإسلامى وكذلك المبادىء العلنية والخفية التى تدين بها الحكومات والشعوب غير

الإســـلامية والطرق والوسائل التى تستخدمها هذه الحكومات والشعوب فى حربها ضد الإسلام .

النشاطات التبشيرية :

يمكن أن نقسم هذه الأنشطة إلى نوعين رئيسيين :

أولا : أنشطة هدفها الدعـــوة إلى المعتقدات غـير الإسلاميـة ونشرها بين المسلمين .

ثانيا : الدعاية المضادة للمسلمين بين المسلمين وغير المسلمين .

وبالنسبة للنوع الأول نقول: إن بعض الحكومات غير الإسلامية وإن كانت لا تلعب دوراً مباشراً إلا أنهـا تقـدم المساعدات الفعالة للهيئات التبشيرية لمتابعة سياساتها وتستخدم وسائل ملتوية لتحطيم الإسلام .

وبالنسبة للنوع الثانى : فإن الدعاية المضادة للإسلام نوعان :

النوع الأول لاستهلاك المسلمين .

أما النوع الثانى فهو الأخطر لأنه يتم فيه استخدام كتاب المسلمين المقدس ، وتعطى له تفسيرات تتناسب وأهداف المبشرين مما يقوض دعائم المثل الإسلامية عند الشعوب الإسلامية ويسخر منهـا ، ويحدث هذا بصفة خاصة بالنسبة لحوادث معينة تتعلق بالنبى (صلى الله عليه وسلم).

وبالإضافة إلى ما تقدم فإن المبشرين يستغلون أحوال المسلمين الاجتماعيـة والتعليمية فيغرونهم بالوظائف والفرص التعليمية وغير ذلك من المزايا المـادية .

وذلك حتى يضطر المسلمون تحت وطأة الظروف إلى التخـلى عن دينهم واعتناق معتقدات غير إسلامية . وهذا النوع من العمل التبشيرى يجرى على نطاق واسع فى دول جنوب شرق آسيا وقد شاهدت ذلك بنفسى فى أندونيسيا بعد الانقلاب الشيوعى منذ بضع سنوات .

تكافؤ الفرص :

يفاخر العالم غير الإسلامى بأن تكافؤ الفرص فيه من المبادىء الأساسية ولكن لننظر إلى ما يحدث فى الواقع العملى .

(ا) الوظائف :

يفضل غير المسلم على المسلم دائما رغم تمتعه بكل المؤهلات المطلوبة ، والتمـييز صريح وعلنى والعـدالة الوطنية يضرب بها عرض الحائط .

(ب) التعليم :

فرص التعليم وخاصة التعليم العالى ليست متكافئة على الاطلاق . بل إن دخول المراكز التعليمية يعتبر دائما مشكلة من المشاكل ، وحتى إذا سلمنا بأنه من الممكن دخول المدارس فإن نظام التعليم يلحق الضرر بالثقافة الإسلامية والفكر الإسلامى ، والحق أن التعليم من أهم الأسلحة القوية التى تستخدمها الحكومات غير الإسلامية والمبشرون للدعوة إلى أيدلوجيتهم الخاصة . والمسلمون إما أن يتشربوا ثقافة وفكر غير المسلمين أو يتركوا التعليم ويظلوا على أميتهم وفى كلتا الحالتين فإن المسلمين محكوم عليهم .

(جـ) السياسة :

المسلمون الذين يفترض أنهم متكافئون من جميع الجوانب ومن حقهم أن يتمتعوا بنفس الحقوق والامتيازات التى يتمتع بها المواطنون الآخرون فى الدولة غير الإسلامية ـ لا مكان لهم فى المجالس الريفية أو مجالس المدن أو المجالس القومية وغيرها من المجالس على مستوى الدولة فيما عدا حالات استثنائية للغاية .

إن أى أقلية مسلمة فى بلد أغلبيته من غير المسلمين لا يمكن أن يراودها الأمل فى أن تمثل فى أى من الهيئات التشريعية أو التنفيذية للحكومة أو فى أى من أجهزة الحكومة إلا من خلال الأجهزة غير الإسلامية التى تكون بصفة عامة مضادة لصالح المسلمين .

العمالة فى القطاعين العام والخاص :

إن فرص دخول الخدمة العامة سواء كان ذلك فى مجال الهندسة أو الصحة أو التعليم وغير ذلك من خدمات الدولة فرص زهيدة للغاية ، والعقبات التى توضع ضد المسلمين بصفة خاصة تضر بتقدمهم ورفاهيتهم ، والأمر بالنسبة لموظفى القطاع الخاص ليس أحسن حالا .

البوليس ـ السجون ـ القوات المسلحة (الجيش ـ البحرية ـ الطيران) .

إن أى مسح إحصائى للأفراد العاملين فى هذه الخدمات المشار اليها فى جميع الدول غير الإسلامية يكشف عن أن نسبة المسلمين فيها ضئيلة للغاية وحتى إذا دخل عدد من المسلمين أيا من هذه الهيئات فإنهم لا يحصلون إلا على المناصب الصغيرة ولا يسمح لهم بالفرص التى تمكنهم من الوصول إلى المراكز الأعلى .

(البقية ص ٦٦٦)

واجب المسلمين نحو الاحتلال الصهيونى

للأستاذ عبد الحميد السايح

الصهيونية أخطر أنواع الغزو:

إن الإسلام قد تعرض لغزوات كثيرة، ولا يزال يتعرض لتلك الغزوات والفتن بصور وأشكال مختلفة، وإن من أفظع ما تعرض له المسلمون غزوات التتار فى عهد (تيمورلنك) و (جنكيز خان) وهجمة الحروب الصليبية، ولكن مع ما تعرضت له ديار الإسلام فى تلك الهجمات من بربرية وتدمير وعدوان وتنكيل فإن الصهيونية أشد خطرا، وأفظع بربرية، وأقسى تدميرا وفتكا، وأبعد أثرا، وذلك بالنسبة لمخططاتها الجهنمية وأهدافها وأساليبها فى التنفيذ، لا نقول ذلك جزافا أو خيالا، وإنما نعتمد فى ذلك على ما شاهدناه حين كنت تحت سيطرتهم فى أول احتلالهم الأخير للقدس وباقى البلاد العربية الإسلامية. وأخبار الثقات وما أمكن الاطلاع عليه ومعرفته، من وثائقهم ومستنداتهم وتصريحات زعمائهم.

وكما يقول المليونير العالمى (هنرى فورد) فى كتابه « اليهودى العالمى » : الصهيونية هى أكثر النشاط اليهودى الراهن دعاية وإعلانا، وهى كواقع سياسى مشكلة تفوق فى ضخامتها أية مشكلة عالمية أخرى.

ويحسب الكثيرون أن الصهيونية بدأت فى عهد زعيمها الحديث (تيودور هرتسل) لكن الحقيقة أنها حركة قديمة مرت بأدوار عديدة، منها :

١ - حركة المكابيين التى أعقبت العودة من السبى، والتى كان من أول أهدافها العودة إلى صهيون (جبل فى القدس) وبناء هيكل سليمان من جديد.

٢ - حركة باركوفيا سنة ١١١٧-١١٣٨م وقد حث هذا اليهودى جماعته على السعى للتجمع فى فلسطين وإعادة بناء الهيكل، وتأسيس دولة يهودية، وتنصيب ملك عليها من نسل داود.

٣ - حركة دافيد روبين وتلميذه سولومون مدلوخ سنة ١٥٠١ - ١٥٣٢م وقد كان هذان الصهيونيان يسعيان إلى تجميع اليهود وإعادة توطينهم فى فلسطين.

٤ – حركة منشة بن إسرائيل سنة ١٦٠٤ - ١٦٥٧ م وكان يدعو إلى توطين اليهود فى بريطانيا ، توطئة لإعادتهم إلى فلسطين .

ويبدو أن هذه الحركة الأخيرة كانت النواة الأولى للصهيونية الحديثة ، التى وجدت لها أرضا خصبة فى بريطانيا ، ترعرعت فيها ونمت ، واستطاعت فى مدى ثلاثة قرون أن تسخر جميع قوى الإنكليز من أجل تحقيق أهداف اليهود.

جمع « وان » رئيس وزراء بريطانيا فى سنة ١٩٠٧ م كامبل بانرمان دعا إلى مؤتمر ضم الدول الاستعمارية حينئذ وهى بريطانيا وفرنسا وهولندا وأسبانيا وبلجيكا والبرتغال وإيطاليا ، لبحث الجهة التى يمكن أن تكون الخطر على الاستعمار وقد تضمن تقرير ذلك المؤتمر ، أن الخطر الذى يهدد الاستعمار الغربى يكمن فى البحر المتوسط ، والذى يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية شعب واحد ، يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، (الدين واللغة) وبما فى أراضيه من كنوز وثروات يفتح لأهلها مجال التقدم والرقى فى طريق الحضارة والثقافة .

ولمواجهة هذا الخطر أوحى المؤتمر بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة ، والإبقاء على تفككها ، والعمل على فصل الجزأين الأفريقى والأسيوى فى هذه المنطقة أحدهما عن الآخر وإقامة حاجز بشرى ، قوى وغريب ، فى نقطة التقاء الجزأين ، يمكن للاستعمار أن يستخدمها أداة لتحقيق أغراضه .

وإنك لتشعر حينما تقرأ هذا الخبر ، بأن الصهيونية وراء هذا التقرير وما تضمنه من اقتراحات ولذلك فإنه بعد عشر سنين من ذلك التاريخ استطاعت الصهيونية العالمية ، أن تستحصل على وعد بلفور فى ٢ نوفمبر (تشرين ثانى ١٩١٧م) مع أن الحرب العالمية الأولى لم تنته بعد ولم تكن جيوش الانكليز قد دخلت القدس حينئذ ، إذ أن الحرب العالمية الأولى قد وضعت أوزارها فى تشرين ثانى سنة ١٩١٨ (نوفمبر) أى بعد سنة من صدور وعد بلفور ، ودخلت تلك الجيوش القدس فى كانون أول سنة ١٩١٧م (ديسمبر).

وكان من أثر ذلك كله الدعم البريطانى المكشوف للصهيونية وتهيئة المناخ الملائم لتمكينهم وسيطرتهم على المسلمين والعرب

ثم التخلى عن المسئولية ووضع الأمر بين يدى هيئة الأمم المتحدة ، تمهيدا لإعلان قيام إسرائيل وإتمام المسرحية الكبرى، التى مثلت ولا تزال تمثل فى أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، الذى تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة الاستعمار الحديث فى القرن الحالى .

ولا تزال حتى الآن آثار بارزة فى الأوساط البريطانية الرسمية والشعبية للنفوذ الصهيونى وعندما دخلت الجيوش البريطانية القدس وأشرف القائد البريطانى اللورد اللنبى قال كلمته المشهورة : الآن انتهت الحروب الصليبية .

٥ — نقل المؤرخ اليهودى ايلى ليفى أبوعسل فى كتابه « يقظة العالم اليهودى» نص خطاب خطير وجهه أحد حكمائهم إلى بنى قومه سنة ١٧٨٩ م وقد ورد فى الخطاب تصريحات خطيرة ومخططات تكشف عن بعض ما تهدف إليه الصهيونية من ذلك قوله :

« هيا بنا لتجديد هيكل سليمان »

أما البلاد التى تنوى قبولها باتفاق مع فرنسا ، فهى إقليم الوجه البحرى فى مصر مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت، ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر فهذا المركز يجعلنا قابضين على ناحية تجارة الهند ، وبلاد العرب وأفريقيا الشمالية والجنوبية .

ولا شك أن بلاد الحبشة لا تتأخر عن إقامة علاقاتها التجارية معنا ، على الرضا والارتياح ، وهى البلاد التى كانت تقدم للملك سليمان الذهب والعاج والحجارة الكريمة ، ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا الخ .

والكتاب فيه الشىء الكثير عن أخطار الصهيونية ومخططاتها ، يجدر بكل مسلم أن يطلع عليه ليطلع على حقيقة الأمر .

والحركة الصهيونية كحركة سياسية دينية تضاف إلى الدين اليهودى الذى يقوم على أساسين هما التوراة والتلمود، ومقررات حكماء صهيون (البروتوكولات) - هى الأساس الثالث فى أسس الديانة اليهودية التى يمارسها اليهود .

وطبعا هذه الديانة غير الرسالة التى نزلت على موسى عليه السلام، وحرفوها ووضعوها حسب أهوائهم ورغبات حاخاماتهم، وكتبوها بعد مضى أكثر من عشرة قرون على رسالة موسى عليه السلام.

ماذا تريد الصهيونية وما أهدافها؟

تحاول إسرائيل الصهيونية أن توهم العالم بأنها دولة راغبة فى السلام، ولذلك فإنها تعرض على جيرانها العرب أن تتفاوض معهم لحل النزاع بينها وبينهم، ولو كان عندها ذرة من حسن النية للعيش بسلام لانسحبت أولا من المواقع التى احتلتها سنة ١٩٦٧ م مع أنها لا تريد الانسحاب من أى شبر أرض، وإنما تريد التوسع، والمماطلة حتى يصبح احتلالها أمرا واقعا يسلم فيه العرب ويمل العالم البحث فيه.

إسرائيل كيان عدوانى:

الحقيقة أن إسرائيل فى إنشائها ووجودها كيان عدوانى غريب على أرض من صلب ديار الإسلام، ولا يستند إلى أية صفة شرعية حقيقية، والمطالع على الكيفية التى تم فيها إنشاء إسرائيل والموافقة عليه فى الأمم المتحدة يقتنع بأنها تمثل سطوة القوة الأمريكية فى عهد (ترومان) وتلاعبه وتهديده للدول الصغرى التى كانت فى أشد الحاجة للعون الأمريكى يضاف إلى ذلك كله غيبة القوة الإسلامية ووضع ثقلها فى الميزان، سواء أكانت عربية أم غير عربية، وقد استمرت فى أعمال العدوان منذ إنشائها وحتى اليوم، وقد أجلت القسم الأكبر من سكان البلاد الأصليين وأغلبيتهم الساحقة من المسلمين ٩٠٪ وبعضهم من المسيحيين لا يتجاوزون ١٠٪. منهم من أجلى عن وطنه بالقوة والإرهاب، ومنهم من أحيط بالتهديد والتعذيب والسجن حتى اضطر لمغادرة البـــلاد.

وتأمل فى دولة مضى على إنشائها ربع قرن من الزمن ولم تضع لها دستورا، ولم تعين لها حدودا، ويقول زعماؤها، إن حدودنا حيث يوجد جيش الدفاع الإسرائيلى وقد نشرت بعض الأوساط الصهيونية فى أوروبا بأساليبها الخاصة، خارطة تعبر عن إسرائيل الآن بعد حرب سنة ١٩٦٧ م وإسرائيل كما يخططون لها، أو فى القريب العاجل، كما هو مكتوب فى رأس الخارطة باللغـــة الإنجليزية والعربية، وهى تشمل المدينة المنورة ومكة المكرمة واليمن والكويت والخليج العربى كله، فليتدبر المسلمون حتى يتفهموا حقيقة أخطار الصهيونية على وجودهم وعقائدهم ومقدساتهم.

موقف الصهيونية من الأديان الأخرى .

بروتوكولات حكماء صهيون توضح بعض المخطط الصهيونى ، ويجب أن يطلع عليها كل مسلم حتى يدرك مدى الخطر الذى أعد للمسلمين ، على عقائدهم ووجودهم وأخلاقهم ، وقد جاء فى البروتوكول الرابع عشر ما يلى :

١ — متى ولجنا أبواب مملكتنا فلا يليق بنا أن يكون فيها دين آخر غير ديننا ، وهو دين الله الواحد ، المرتبط به مصيرنا ، من حيث كوننا الشعب المختار ، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا ، فيجب علينا أن نكنس جميع الأديان الأخرى على اختلاف صورها وإذا أدى هذا إلى ظهور الملحدين فذلك لن ينال من آرائنا شيئا .

٢ — سيتولى فلاسفتنا بالشرح والتوضيح الكشف عما تنطوى عليه معتقدات الغريم (غير اليهود) الدينية من عوار ، غير أنه لن يسمح بأن يطرح ديلنا للبحث ، ابتغاء الوقوف على مقاصده وغاياته الصحيحة ، إذ أن هذا علمه محصور بنا ، مقصور علينا وحدنا ، نحن دائما حريصون على أن لا نبوح بأسرارنا لغيرنا .

وتحقيقا لأهداف هذا البروتوكول أقدمت إسرائيل على إحراق المسجد الأقصى المبارك ، ولا تزال ماضية فى الحفريات حوله وتحته ، تزلزل أركان بنيانه ، وحينئذ يتسنى لها إقامة هيكلها المزعوم على أنقاضه ، وتواجه العالم بأمر واقع جديد .

أهمية القدس .

للقدس أهمية عظمى ومكانة كبرى لدى المسلمين عموما ، للأسباب التالية :

١ — قدوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إليها حين الإسراء ، وعروجه منها إلى السموات العلا .

٢ — مسجدها الأقصى أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها .

٣ — قبلة المسلمين الأولى قبل التوجه للكعبة المشرفة .

٤ — وجود رفات عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين والشهداء الأبرار الذين جاهدوا فى سبيل إسلاميتها والحفاظ عليها ، مثل الصحابى الجليل شداد بن أوس والصحابى عكاشة وعبد الله القرشى وأبى مدين الغوث

المغربى ، والجراح من قواد صلاح الدين الأيوبى ، ومجير الدين الحنبلى صاحب كتاب الأنس الجليل وآخرين كثيرين من زعماء وعلماء ومجاهدى العالم الإسلامى .

وقد تثبتت إسلامية القدس والسيادة عليها منذ فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لها ، وكان ذلك مبدأ اهتمام المسلمين بشئونها ورعاية سكانها وتأمين حقوقهم .

ولما دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بيت المقدس قال لكعب الأحبار : أين ترى أن أصلى ؟ قال كعب : إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك فقال له عمر : ضاهيت اليهودية ، ولكن أصلى حيث صلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء وبسط رداءه وكنس الكناسة فى ردائه وكنس الناس - الإمام أحمد والقرى لقاصد أم القرى .

ومنذ ذلك الحين وملوك المسلمين وأمراؤهم والميسورون منهم يتسابقون فى إيجاد أثر لهم فى القدس ، يتقربون به إلى الله ، مثل إنشاء مسجد ، أو بناء سبيل لسقى الماء أو وقف عقارات على جهات خيرية لسكان القدس أو الواردين إليها .

وقد أخرج الإمام أحمد عن ذى الأصابع قال : قلنا يارسول الله إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا ؟ قال عليك ببيت المقدس فلعل أن ينشأ لك ذرية تغدو إلى ذلك المسجد وتروح .

وأخرج الإمام أحمد أيضا عن ميمونة بنت سعد قالت : « يانبى الله ، افتنا فى بيت المقدس؟ فقال لها : أرض المنشر والمحشر ، ائتوه فصلوا فيه ، فإن صلاة فيه كألف صلاة ، قالت : أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه ؟ قال فليهد إليه زيتا يسرج فيه ، فإنه من أهدى كان كمن صلى » .

وأخرج البخارى ومسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله : أى مسجد وضع فى الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى .

وأخرج البخارى ومسلم أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة

مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى ».

وروى البيهقى عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى بيت المقدس أفضل أو فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى أرض المحشر والمنشر ، وليأتين على الناس زمان ، ولقيد سوط ، أو قال : قوسى الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له أو أحب إليه من الدنيا جميعا .

وفى زاد المسلم نقلا عن كتاب المدخل لابن الحاج فى فضل زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ما نصه : وينبغى له حين خروجه من المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام أن ينوى السفر إلى المسجد الأقصى بنية الصلاة فيه وزيارة الخليل عليه الصلاة والسلام أ هـ

وحين وقع الإسراء والمعراج، وحين أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالذهاب إلى بيت المقدس والصلاة فيها لم تكن القدس تحت حكم الإسلام وإنما كانت تحت حكم الفرس أو حكم الرومان مما يوحى بأن على المسلمين أن يعملوا على نشر الإسلام فى تلك البقاع ، والاحتفاظ بها تقديرا لقدسيتها وحين تسلمها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت تحت حكم الرومان ، ولم يكن لليهود حينئذ فيها أى سلطان ، بل طالب البطريرك (صفرنيوس) من أمير المؤمنين أن ينص فى وثيقة الأمان أن لا يساكنهم فيها أحد من اليهود، وذلك لفرط ما رأوا من فسادهم وعبثهم وتدميرهم للبلاد ، وفعلا تضمنت وثيقة الأمان ذلك الشرط ولكن يظهر فى مستقبل الأيام ، أراد المسلمون أن يعملوا على أن تكون هذه المدينة ملتقى أصحاب الأديان السماوية يتمتعون فيها بحرياتهم الدينية ، وطقوسهم وعباداتهم فسمحوا لهم بالعودة إليها، وذلك لأن المسلمين بمقتضى عقيدتهم وقرآنهم يؤمنون بجميع الأنبياء والمرسلين ويقدسونهم ، قال تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير): ٢٨٥ البقرة.

وهذا يوضح أن المسلمين هم المؤهلون بحكم عقيدتهم التى يدينون بها لحكم

القدس ، وليصونوا مقدسات المسلمين وغير المسلمين ، وكل حل يخرج عن نطاق هذه الدائرة يعرض المنطقة كلها لخطر عظيم واضطراب كبير ، حتى يعود الحق إلى نصابه .

واجب المسلمين :

نحن الآن أمام واقع معروف ، احتلت فيه إسرائيل الصهيونية باقى فلسطين وأجزاء أخرى من دول عربية إسلامية ، هى سيناء مصر والمرتفعات السورية ، ومع أن المسلمين لا يعترفون ويجب أن لا يعترفوا بأى كيان إسرائيلى صهيونى فى فلسطين أو أية بقعة أخرى من ديار الإسلام والعروبة ، لأن وجودهم فيها غير شرعى ولا يستند إلى حق مطلقا ، إلا أنه بعد عدوانها الأخير سنة ١٩٦٧ ، وبناء على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ اتجهت الدول العربية المتجاورة ، بصفتها أعضاء فى الأمم المتحدة إلى قبول القرار المذكور ، وهو الذى يقضى بانسحاب إسرائيل من جميع المناطق التى احتلتها فى عدوانها الأخير ، لأنه لا يجيز لأى فريق أن يحصل على أى مكاسب نتيجة الاحتلال بالقوة ، وهذا ما تضمنته وثيقة هيئة الأمم المتحدة ، ومنذ صدور القرار والدول العربية المشار إليها تعلن قبولها لقرار مجلس الأمن ، والتعاون مع مندوب الأمم المتحدة السفير يارنج ، وذلك لتجنب العالم أخطار الحرب وتدميراته ، وحتى لا تتصادم مع الأمم المتحدة ، غير أن إسرائيل لم تعلن قبولها بالقرار ، ومع هذا فقد حاولت جمهورية مصر العربية أن تفتح آفاقا للسلام بمبادرتها المعروفة ، التى تؤدى إلى فتح قناة السويس ، وانسحاب إسرائيل من جميع المناطق على مراحل ، واتصالاتها بأمـيركا ومندوبيها على أمل أن يتحقق إزالة آثار العدوان ، ويعود الوضع إلى ما كان عليه قبل ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، إلا أن جميع المحاولات قد فشلت ووصلنا إلى طريق مسدود لا أمل فيه لحل سلمى أو سياسى بسبب غطرسة الصهاينة وغرورهم وعنادهم وإصرارهم على التوسع وعلى بقائهم فى القدس ، والمرتفعات السورية ، والاستيلاء على قسم كبير من أراضى سيناء ، حتى يبقى شرم الشيخ تحت سلطانهم تدعمهم وتؤيدهم فى ذلك كله الامبريالية

الأميركية ، على وجه سافر مكشوف ، فيه التحدى الواضح العلنى ، لا يحسب فيه أى حساب للأمة الإسلامية ولا للأمة العربية .

وبذلك أصبح الوضع فى غاية الخطورة يتطلب من المسلمين عملا جديا سريعا ، غير الفتاوى والقرارات وإعلان الجهاد المقدس ممن لا يملكه ، وأضع بين يديكم الاقتراحات التالية :

١ — على نطاق المصالح الأميركية وهى القوة الكبرى الداعمة للوجود والعناد الإسرائيلى ، والتى تستفيد سنويا ما لا يقل عن ألف مليون دولار عن طريق البترول الذى يفجر من أرض الإسلام فضلا عن مصالحها الاقتصادية الأخرى فى العالم الإسلامى ، وعن نفوذها فى عدد من الدول الإسلامية ، هذه المصالح كلها يجب أن تهدد ، وأن تشعر أميركا أن كل مصالحها مع العالم الإسلامى غير مضمونة ، وأن كل علاقاتها معه غير مأمونة ، ما لم تثب إلى رشدها ، وتتحمل مسئوليتها كدولة كبرى فى هذا العالم ، ويجب أن تستعمل نفوذها فى وقف الغطرسة الصهيونية حالا ، ومنعها من الاستمرار فى عدوانها وغيها وضلالها ، وأن تنسحب من جميع المناطق المحتلة ، وعلى رأسها وفى مقدمتها القدس الشريف ، وكل دولة تمتنع عن الاستجابة لذلك يعلن اسمها ويحاول معها إقناعها بضرورة السير فى ما تقتضيه مصالحها والمصلحة الإسلامية العليا .

٢ — على النطاق الشعبى : إن العالم الإسلامى الذى يعد بمئات الملايين ، يفقد مئات الألوف سنويا نتيجة فتن محلية أو كوارث كونية ، فيجب عليه وعلى كل جماعة منه أن تختار عدداً من شبابها ، ليدربوا على أعمال الفداء أو ينتموا إلى التنظيمات الفدائية ، أو ينتسبوا حالا لكتائب المتطوعين ، التى أعلن عنها ويستعد هؤلاء بعد التدريب الكافى ، ليكونوا من طلائع المجاهدين ، الذين يسترخصون الموت فى سبيل الله ، وفى سبيل القدس والأقصى ، وفى سبيل عزة الإسلام والمسلمين . أليس من العيب الفاضح أن يتقدم عدد من اليابانيين ليكونوا طلائع فداء لفلسطين ولا نجد فى شباب المسلمين المئات من هذا القبيل؟

وعلى كل يجب أن يكون هؤلاء طلائع

وعامل إزعاج وإرباك للعدو ، ضمن خطة توضع من قبل المختصين ، ويتفاهم على كيفية تطبيقها ، حتى تؤتى أكلها ، وتنتج الثمرة المرجوة منها ، ولا يضيع دماء المسلمين هدراً هدراً .

ويجب أن تؤمن عائلات هؤلاء الناس فيما لو استشهدوا فى سبيل الله ، وأن يكون لهم على كل حال مورد يقيهم ذلة السؤال والحاجة .

فى ذات الوقت يجب أن تبرز فكرة صندوق الجهاد المقدس ، وقد قدم الأخ اللواء محمود شيت خطاب فى الدورة الماضية مخططا مدروسا للصندوق ، وللتعبئة العسكرية نرجو أن يخرج من الأدراج إلى التنفيذ والتطبيق العملى .

٣ — على النطاق الرسمى : يجب على كل دولة إسلامية أن تتقدم لدولة مصر ، والدول المعنية الأخرى بما يمكنها تقديمه من رجال وسلاح ومال ، حتى تقوم ببعض ما يجب عليها إزاء هذا الخطر الماحق ، وحتى يمكن أن تبرأ الذمة أمام الله والناس أجمعين .

٤ — العلماء : ولا يجوز أن يقتصر دور علماء المسلمين فى هذا المقام على الفتوى وإصدار القرارات ، بل يجب أن يساهموا عمليا فى الجهاد بأنفسهم وأولادهم وأموالهم وليذكروا موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه ، فى مقاومة التتار والصليبيين وموقف شيخ الإسلام العز بن عبد السلام رضى الله عنه فى ذلك أيضا ، وموقف الشيخ عز الدين القسام رضى الله عنه ، فى محاربة الإنكليز ، حتى استشهد فى سبيل الله ، وليذكروا مواقف الصحابة الأخيار الذين جاءوا بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله ، ونحن نعتقد أن كثيرين من علماء المسلمين من يملكون المال الوفير ، والبنين الكثيرين والقدرة البدنية . فماذا هم فاعلون ؟ وكيف يمكن أن يكون لأقوالهم تأثير إذا لم يبدأوا بالتنفيذ على أنفسهم ، قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون» .

وأنا أعتقد أن بروز علماء المسلمين بعمائمهم وزيهم الدينى على رأس طلائع الفداء والجهاد سيؤدى بكثير من المسلمين أن يتقدموا الصفوف ، وينخرطوا فى هذا العمل المقدس .

والله ولى التوفيق ، ونعم المولى ونعم النصير ؟

عبد الحميد السايح

هذه الحرب .. ضد الإسلام والمسلمين

للأستاذ صالح مسعود بوصير

حين نلتقى فى رحاب الأزهر الشريف إنما نلتقى على بساط من الإيمان العميق الإيمان بالله الذى حفظ الأزهر لدينه وتراثه طيلة عشرة قرون ، والإيمان بالكرامة حيث أنشأ الأزهر أجيالا متلاحقة حافظت على وجودها الكريم والإيمان بالأوطان حيث قاد الأزهر فى عصوره دائما دعوة الجهاد وأسهم فيها ولا زال التاريخ يحدثنا عن جهاد الأزهر ضد الغزاة الفرنسيين وعن مصرع كليبر بيد الأزهرى سليمان الحلبى ولا زال يحدثنا عن احتلال خيل نابليون للأزهر لأنه يريد أن يطفىء نار الثورة فى مصر وهى لا يقضى عليها إلا بالقضاء على منبعها ، وأصلها ودافعها وهو الأزهر الشريف . وفى كل معركة كان للأزهر وعلمائه موقف محدد سواء فى مجابهة التتار أو مقاتلة الصليبيين وسارت من الأزهر فى تلك الأحوال قواعد متبعة فكان علماء الإسلام عبر تاريخنا وفى كل مكان - رجال رأى وفكر ورجال قتال واستشهاد ولهذا علوا يومئذ سادة للشعوب ، وقادة للجماعات لا يرد لهم رأى ولا يسقط لهم طلب ولا تدانى لهم مهابة .

ولا غرابة فى ذلك فالأزهر حصن قوى من حصون الإسلام ، والإسلام دين ودنيا ، والإسلام عزة وكرامة ، والإسلام عقيدة وحياة ، وكما يحفظ التاريخ للأزهر هذا الفضل والجهد ، فإنه يحفظ لشعب مصر العربى المسلم فضل الحفاظ على الأزهر ، وتمكينه من أداء رسالته ، وهذا أمر يأتى على عادته فقد كان شعب مصر دائما القلب النابض لهذه الأمة ، ما هان ولا استكان فى سبيل نصرها ، وبذل الدماء فى ميدان تضحياتها وإنقاذها حين تردت عواصم كبرى ، وتربع الغزاة فوق جثث حكامها وسالت الدماء أنهارا فى ديارها واتخذت الكتب النفيسة جدران ومعابر ، وضاع كل أمل حينئذ وارتجت النفوس لولا أن حقق هذا الشعب معجزته الخالدة فى عين جالوت .

ولهذا كله فإن الدورات المتلاحقة

لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية عمل يستحق الثناء الوافر يقدم إلى رجاله العاملين الذين يهيئون ويخططون وعلى رأسهم الإمام الأكبر شيخ الإسلام فضيلة الدكتور الفحام شيخ الجامع الأزهر، وما دمنا نتفق أن الإسلام عقيدة وعمل وأنه دين ودنيا وأنه المنهاج لحياة فاضلة يسعد فيها الفرد وتسعد فيها الجماعة، فإن شئون المسلمين فى العالم، تلك التى جاءت فى جدول هذه الدورة تصبح الشغل الشاغل للكثيرين ممن يشتركون أعضاء أو ضيوفا على هذا المؤتمر، وليس أكثر من مؤتمر يجمع قادة الفكر من علماء الإسلام ليس أكثر منه اهتماما ولا أقوى علاقة بأحوال المسلمين.

والقضية الفلسطينية وهى قضية العرب كل العرب وقضية الإسلام كل الإسلام هذه القضية تمر الآن بلحظات خطيرة من تاريخنا، فلقد صمتت إلا نادرا كل جبهات القتال، وهدأت إلا عابرا طلقات المدافع، وبعدت بعدا كبيرا عن معنى الهجوم وأخذ الثأر وتحرير الديار، وما انطلقت إلا دفاعا محدودا عما تبقى من الأرض فى قلب الأوطان الضائعة أجزاء منها، بل وأخرج أبناء فلسطين من الأردن وصرعوا برصاص حانق اتخذ من بعض الأخطاء ذريعة كافرة، وطرد المخطىء مع البرىء، وصرع المجاهد مع المغامر، وفتك بكل من أعد نفسه لضرب الكيان المعادى فهدأت بذلك هدوء القبور جبهة تمتد ستمائة ميل، وفيها إلى العدو مواطن للضعف وطريق سلم لتحديد الهدف، وأسهم عربى حاكم فى أمن الصهيونية وأراحها من ضربات الفدائيين والمجاهدين تماما كما أراحت الثورة العربية فى الحرب العالمية الأولى الإنجليز من مجابهة الأتراك المسلمين فى جزيرة العرب والشام، حتى انتصروا ففتكوا بنا واستعمرونا أجيالا طوالا، فهل يغفل ذلك الحاكم العربى عن أن بتحقيق إسرائيل ستتمكن من استعمارنا وإذابة حضارتنا ووجودنا؟، إن الجواب على هذا السؤال مخجل للباحث محزن للمخاصين، وفى هدأة الحدود العربية المتاخمة لإسرائيل ينهض شبابنا الفدائيون، فيحيون كرامة العرب والإسلام وأحرار المجاهدين الصادقين، هم ينطلقون لضرب العدو فى الداخل وهم يلاحقونه فى الخارج وهم يزحفون

بطائرات العدو حتى يوقفوها فى مطار اللد فيجابهونه علنيا وعالميا، وليسوا سفاحين ولا قتلة، ولكنهم طالبو حقوق وحين يطلبون فك سراح أسراهم فإنما يفعلون ما يفعل عزائم الرجال فى صدور الأبطال، وهم قبل عشرة أيام يقدمون أرواحهم فى (ميونيخ) وأمام وفود العالم الرياضية، يقدمون أرواحهم فى سبيل الله ويبيعونها بيع السماح فى سوق الفداء والإخلاص، يقفون برشاشاتهم قرابة العشرين ساعة لاغذاء ولا ماء، ولكنها العيون المترقبة والزناد المربوط إلى الأصبع، والمطالبة بأن تطلق عصابة الصهيونية أعدادا من الأسرى، ولو فعلت لما قتل أحد من الرهائن ولا سفكت الدماء، ولكن الأعداء فى ألمانيا والأعداء فى تل أبيب يتآمرون لقتل المجاهدين وإطلاق سراح أبنائهم، وها هى ذى ثورتنا الليبية وشعبها العربى المسلم يستقبلون الأبطال الخمسة ليناموا نومة الشهداء فى أرضنا التى ضمت عمر المختار ومئات الآلاف من الشهداء.

لقد حقق شبابنا الهدف من الجهاد واسترخاص الأرواح فى سبيل الله فقدموا أرواحهم مسرعة إلى الله، كأنى بهم فى ذلك اليوم الطويل وسط جموع حاقدة ترسل عليهم اللعنات والاعتراضات، كأنى بهم وهم وحدهم يقفون أبطالا فى ذلك المجتمع الغريب البعيد يقولون للألمان رسميا لقد شطب من تفكيرنا حساب الأموال والأرواح، كأنى بهم يتمثلون عمار بن ياسر وهو يعتلى جواده وينادى هل من مرافق إلى الجنة، اليوم ألقى الأحبة محمدا وصحبه.

وبيت القصيد من حديثى هذا حولهم، هو أن تلك الدنيا التى ضجت ضدهم تحركها الصهيونية وعملاؤها يجب أن تسمع ردا من أعظم مؤتمر إسلامى يزينه العلماء ورجال الفكر؛ ويجب أن يصدر منكم قرار عالمى تسخر له وسائل الإعلام ويثبت أن إسرائيل وحدها التى رفضت إطلاق سراح المعتقلين المطلوبين هى التى قتلت رهائنها وذلك برفضها الاستجابة للفدائيين بإطلاق سراح من طلبوا، وأن إسرائيل التى مارست الإرهاب وأبادت جماعات وقرى ومدنا، لا يجوز أن تمنع على غيرها ما تبيحه لنفسها، وأن هؤلاء الفدائيين لن توجد قوة فى العالم للحد من نشاطهم على مختلف أوجه النشاط

الذى لا يخطر على قلب بشر، لن يتوقفوا إلا إذا أعيد الحق إلى نصابه ويمكن للشعب الفلسطينى من حقه فى وطنه وأراضيه، وأود أن تخاطبوا العالم: هيئاته ومفكريه ورجال الدين فى أوروبا وأمريكا أن يدرسوا الموضوع من أساسه وأن يعرفوا سبب تحرك الفدائيين وأنه ليس رغبة فى الإجرام، ولكنه بحث عن الوطن المسلوب وملاحقة الغزاة الذين استهانوا بكل قانون وهدموا كل شريعة.

قولوا للعالم - أيها العلماء والمفكرون - إن الصهيونية علت وبغت وطغت ولن تعامل إلا بمثل عملها وعلى العالم أن يسهم فى درء شرها والحد من طغيانها لينتشر السلام فوق أرض السلام والإسلام، إن قولة منكم - يا علماء الإسلام - عالية صادقة غير متأثرة بسياسة ولا دبلوماسية ستكون مفيدة وستعيد لوجه العلماء الكريم ذكريات العز بن عبد السلام وابن تيمية وأمثالهم من الصادقين.

قولوا هذه القولة دون بحث «واجبات العالم الإسلامى تجاه الصهيونية بعد استنفاد الجهود السلمية، إن هذا التعبير إذا وجد السياسيون علة وسببا وعذرا فى قوله لا يجوز أبدا أن يصدر من مؤتمر العلماء قادة العقول والحفاظ على سيرة الرسول المجاهد الأول والمدافع الأول «مربى حضارتنا وقائد نهضتنا».

ليس هناك من حل إلا المعركة طال الزمن أو قصر، وقومية المعركة ضرورة لازمة وليس هناك عمل إلا تأمين الفداء، تأمينا من إسرائيل وزبانيتها، وتأييدا علنيا أشبه بتأييد ثورتنا الليبية له؛ حيث يرابط شبابها فى خطوط قتال الفدائية فى لبنان وسوريا وتستقبل بعد كل معركة الشهداء منهم ليكونوا سبيلنا المستمر إلى العمل الصحيح؛ ولقد طورت الثورة الليبية قومية المعركة حين نقلت أسماع البعض عن هذا النداء فنادت بقومية الثورة وبدأت بنفسها كما أسلفت؛ ثم سهلت السبيل لشباب العرب والإسلام فأعلنت استعدادها لتدريب ورعاية كل من يتقدم لحمل السلاح فى سبيل تحرير فلسطين وإعلاء كلمة الله؛ وهكذا إذا تأخرت الحكومات لأسبابها لم يعد هناك عذر أمام المخلصين الراغبين فى الجهاد من هذه الأمة وقد فتحت لهم الثورة الليبية ذراعيها مرحبة وإمكاناتها مؤيدة.

وماذا ننتظر للإسلام إذا لم يكن هذا هو عملنا، لا تنتظروا بدون قتال وفداء إلا عصوراً من الآلام وحياة من الذل وقرونا من التشرد للجميع دون استثناء.

وليس هذا القرار وحده هو الذى ينتظره العالم الإسلامى من مؤتمركم العظيم هذا، بل إن مشكلة قبرص والوضع الإسلامى هناك خليق به أن يلقى العناية الحقة والكبيرة وخليق بهذا المؤتمر أن يعلم أن الثورة الليبية أقامت أزمة حادة فى مؤتمر رؤساء دول عدم الانحياز فى لوزاكا عام ١٩٧٠ وواجهت رئيس قبرص ومعه غيره من رؤساء مؤيدين له.. واجهته بمعارضة تاريخية وأقامت الحجة عليه حتى فشل مشروعه المؤيد من (هيلاسلاسى) رئيس الكفر وصديق كل أعدائنا (نيريرى) و(كاوندا) وغيرهم، وفشلت كل محاولة بذلوها لإقرار أن قبرص والمؤيدين من شعب واحد لا حقوق لأقليات فيه وأن اتفاقيات سويسرا التى حفظت حقوق الأتراك تعتبر لاغيـــة، ولكن تلك المعارضة الخالدة تدفعنا أن نقول للإخوة القبارصة المسلمين وهم على ود وحماية من تركيا: قولوا لتركيا أن ما يشغلنا فى قبرص يجب أن يشغلها فى فلسطين، وما يحدث فى أرض المسلمين لديكم حدث مثله وأكثر فى أرض المسجد الأقصى، قولوا لتركيا أن مجدها إنما بنى بالإسلام وأنه بالإسلام يعود وأن هذا العـــالم الإسلامى لن يتجاهل قبرص كما تتجاهلنا تركيا، وهو لن يتخلى عن قبرص ولن ينفض يده من شعب تركيا المسلم، وفى هذا المجال أقترح أن يتم اتصال مع حكومة قبرص مباشرة وأن يطلب إليها إتاحة الفرصة لوفد من مجمعكم هذا، حتى يزور المسلمين هناك ويتعرف على أحوالهم ويشاهد بالعيان ويسمع لكل الأطراف ويعمل على حماية المسلمين والتفاهم مع الآخرين، ومن أجل هذا فإن قراراً من المؤتمر بدعوة رئيس قبرص إلى تفهم أحـــوال رعاياه والحفاظ على صداقة العالمين العربى والإسلامى وخلق لجان لمساعدة الأتراك القبارصة. إن كل هذا سواء تم قبل الوفد المقترح أو بعده سيكون خطوة عملية فى سبيل قاعدة الإسلام فى البحر الأبيض المتوسط.

إنهم القبارصة لا يتركون بابا إلا ولجوه - فى المؤتمر الآسيوى الأفريقى

المنعقد بطرابلس عام ١٩٧١ حاولوا استصدار قرار لصالحهم وضد الأتراك وفى المؤتمر الأسيوى الأفريقى بدمشق حاولوا استصدار قرار مماثل ولكن وفد ليبيا جابههم وأعلن أنه سيوزع على الأعضاء مناظر البطون المبقورة والأعين المسحولة والمساجد المهـــدمة والأسر المشردة ليعرف المؤتمرون أى ديمقراطية يطالب بها القبارصة هناك وأنها ليست إلا عملا من أعمال إذابة المسلمين فى مجتمعهم اليونانى . إنهم يبذلون كل جهد فلا نتوقف فى هذا المؤتمر عن بذل كل جهد للإخوة فى قبرص .

وإذا كان الإسلام فى قبرص يلقى هذا العنت فإنه أيضا يلقاه فى بلغاريا وفى الفليبين، أما الأولى فقد شرح أحوالها سماحة مفتى ليبيا ، أما الثانية فقد جست خلالها ولاقيت جموع المسلمين فيها وهى تتحدث عن جماعات قتلت فى المساجد وآخرين أجلى الحى منهم عن أراضيهم ، بل إن المسيحية المتعصبة هناك تلاحق من يعتنق الإسلام بالعقاب وبالأذى .

لقد حرقوا عمارة ذات سبع طوابق تمثل متجرا كبيرا متكاملا أحـــرقوها لأن صاحبها المسيحى أعلن إسلامه وألقى محاضرة دافع فيها عن الإسلام، ولن أطيل عن الفلبين فقد أعطاها الإمام الأكبر حقها، ولكن رئيس الجمهورية ماركوس يدعى أنها ليست حربا دينية بل هى نزاع على الأرض، وماذا يريد بهذا؟ إنه يريد أن يخدع العالم أنها مسألة سهلة منشؤها نزاع قبلى أو جهوى عن مساحة أرض أو مزرعة، وبذلك يصرف أنظار العالم عنها ويعتبرونها قضية صغيرة لا يؤبه بها، وبذلك يتحقق الهدف فى إذابة المسلمين قتلا أو تمسيحا، والادعاء بأنها ليست حربا دينية ، قول مستغرب ، ما هى الحرب الدينية إذا لم تكن استهداف المسلمين وحدهم للقتل والتشريد ،ونزع أراضيهم والغدر بهم فى مساجدهم وتحطيم ديارهم ما هى الحرب الدينية إذا لم تكن اختيار بيوت المسلمين وحدهم وطبع علامات عليها يتم نسفها بعد حين، ما هى الحرب الدينية إذا لم تكن الأفعال الإجرامية ضد المسلمين وحدهم وتقوم بها عصابة اللاخس الفليبية المسيحية وحدها ومساعدة من شرطة الحكومة وجيشها؟ ماهى الحرب الدينية إذا لم تكن إقصاء المسلمين عن مناطقهم الانتخابية وزرع زعماء المسيحية

ليكونوا نوابها، وبالتالى تتم إذابة المسلمين ما هى الحرب الدينية إذا لم تكن جميع الشباب المسلم فى جيش الفلبيين وسوقه ليحارب إخوانه وحين رفض سلطوا عليه الرشاشات فقتل جميعهم إلا فردا نجا ووصل محافظة فلبية وفضح فيها إجرام الحكم وأزاح الستار عن المأساة، ولكن كل هذا لم يردع رئيس الجمهورية ماكارلوس آسف! إن البقر تشابه علينا إنه ماركوس فى الفلبين، وليس ماكارلوس وما زالت الدماء تسيل كل يوم فى ذلك البلد المسلم الذى قاوم البرتغال وقاوم اليابان وقاوم الولايات المتحدة واعترف بحكمه الذاتى فى مناطقه الإسلامية الباقية ثم ذبحتها حكومة الفلبيين وعملت على إذابتها فى مجتمع غريب عنه فكرا وخلقا ودينا وإنه لمحزن أن يصرح مبعوث رسمى من بلد عربى أنه لا توجد حرب دينية فى الفلبيين، وكأن الحرب الدينية هى فقط التى يعلنها بطرس الناسك قبل قرون عديدة.

إن مؤتمركم هذا ـ وهو قمة مؤتمرات الإسلام ـ خليق به أن يحرر مذكرة واضحة قوية صادقة إلى رئيس الفلبيين يقيم عليه الحجة ويطالبه بوقف الإجرام وتسليم أراضى المسلمين لأصحابها والاعتراف لهم بحكم ذاتى يحفظ تقاليدهم ودينهم، وخليق بمؤتمركم هذا أيضا أن يطالب الدول الإسلامية أن ترفع هذه القضية إلى هيئة الأمم وأن تطلب إليها بعثة للتحقيق تسهم فيها الدول العربية وتطلب أيضا جنودا يحافظون على الأمن كما يحدث اليوم فى قبرص، ولا يقول أحد إنها أمور داخلية، فحق الأقليات محفوظ لدى كل مجتمع متمدين حين تعجز دولته عن حفظه.

ولا يبعدنا هذا الحديث عن الإسلام المهدد فى أندونيسيا وهى مأساة تجرى على مرأى من حكام أندونيسيا وسادتها، لقد قررت الكنيسة منذ عشر سنوات تمسيح أندونيسيا خلال خمسين عاما، ولقد كانت فرص الحديث مع الرئيس سوهارتو فى مؤتمر رؤساء عدم الانحياز بلوزاكا وكم حزنت حين سمعت منه أنه مسلم يعتز بإسلامه ولكن أندونيسيا حين سنت دستورها اختارت النظام العلمانى وبذلك فلا يعترف بالإسلام دينا رسميا للدولة ولعل هذا هو السبب ـ أيها الإمام الأكبر وأيها السادة العلماء ـ هذا هو السبب

فى استفحال خطر الشيوعية هناك، والمذابح الدامية التى شملت البلاد وأزهقت عشرات الآلاف من الأرواح، وإذا كنا نعلم أن قرابة نصف مليون أندونيسى قد تمسحوا فى بعض مناطقها فإن الخطر حتما مستمر الزحف والتدمير، وبذلك فؤتمركم هذا مطالب بدراسة شاملة لقضية أندونيسيا وطريقة العلاج لها، ومطالب أيضا برسالة تاريخية إلى رئيسها تحملونه فيها تبعة الإسلام هناك، وإنه إذا كان الدستور قد وضعه جماعة انحرفت واستطاع هو أن يزيحها من الحكم فما أحرى به أن يكسب شرف التاريخ ويعيد لأندونيسيا المسلمة وجهها الصحيح ويقرر فى دستورها أن دينها الرسمى هو الإسلام ثم يسهم مع شعبه فى كل عمل بناء لخير الإسلام والمسلمين.

لا أريد من كلمتى هذه أن تكون نظرة شاملة لكل قضايانا الإسلامية ولكنه جهد المقل إسهاما مع أساتذتنا العلماء الذين يحيطون بالأمور من جوانبها كلها. وبعد هذا الذى أجملت أود لهذا المؤتمر الكريم:

١ — أن تكون قراراته قوية قوة الإسلام فى صدور المخلصين وأن تكون توصياته معبرة عما يختلج فى صدور الجميع من آلام الحاضر وآمال المستقبل.

٢ — أن لا يغفل برأيه أوضاعنا السياسية فإن كل نجاح مرتبط بها وإذا استمرت هزيمتنا طمع فينا الأعداء وتسرب وجودنا وانهار.

٣ — أن تتوالى جهوده فى سبيل الدعوة الإسلامية والتعاون مع الهيئات المهتمة بذلك فى العالم الإسلامى.

٤ — أن يصدر قرارا إجماعيا يعطى من العناية والأهمية القدر اللازم حتى ليكلف مندوبين بحمله إلى الملوك والرؤساء وتسليمه يدا بيد كى لا يسمح بطبع المصحف الكريم فى أى بلد من العالم الإسلامى إلا بعد مراجعته وإقراره نهائيا من هيئة علمية ينشئوها مجمع البحوث وهو ممثل للعالم الإسلامى كله وأن تكلف هذه الهيئة بمراجعة النسخة الأولى من كل طبعة قبل إقرار توزيعه.

٥ — أن يستصدر قانون بحقوق هذه الهيئة وواجباتها وعقوبتها فى حالة التقصير أو الإهمال.

إن هذا القرار على غاية من الأهمية

فإن طبع المصحف أصبح عملا تجاريا هينا وإن بعضا من الطبعات مليئة بالأخطاء الخطيرة ، ولنكن صادقين مع أنفسنا أنها ليست إسرائيل فقط التي حرفت القرآن فهي قد فعلته عمدا ووزعته في أفريقيا بل شاركها عديد من مطابعنا المعروفة في عواصمنا العديدة ولدينا الشواهد والدليل، حيث طبعت المصحف في إهمال واستعجال ورغبة في التجارة والإثراء ، فجاءت طبعاته مضرة لدراسة شبابنا للقرآن الكريم، ولقد قدمت لنا طبعة بغية شرائها وتعميمها فوجدناها مليئة بالأخطاء المضرة وبعثنا بها إلى جهة إسلامية في مصر فقررت منعها ولكن ما زالت مطروحة ومتداولة .

٦ — إن اللغة العربية لغة الإسلام وتعبير القرآن وهي سبيل إلى وحدة الفكر الإسلامي وبذلك فإن نشرها في العالم الإسلامي عمل على جانب كبير من الأهمية ويقيني أنها لو اتخذت في باكستان لغة رسمية حين نادى بذلك زعيم الباكستان الراحل (محمد على جناح) عام ١٩٤٧ وسعى في سبيلها المرحوم (عبد الوهاب عزام) سعيا حثيثا فلم يجد لدى العرب آذانا صاغية ولا قلوبا واعية ، يقيني لو تحقق ذلك لما قامت الحركة الانفصالية في باكستان ولكانت أقوى من أن تتأثر بالإقليمية الضيقة وأعتى من أن تسخرها الأحقاد الهندية . وهاهي ذى الصومال لم تكتب لغتها بعد وهي حائرة بين الحروف العربية والحروف اللاتينية ، والصومال بلد مسلم ياحبذا لو تم به اتصال وإقناع واتخذت الأسباب لتمكين حروف لغة القرآن من أن تكون حروف ذلك الشعب الصومالي وهاهي ذى إحدى ولايات الباكستان قررت في الشهر الماضي جعل اللغة العربية لغة . رسمية فياليتنا نسرع بتشجيعها وتأييدها بجموع من العلماء والمدرسين وأحمال من الكتب والمصاحف والمطبوعات ، وبذلك نسهم في دفع الرغبة لدى الولايات الأخرى في باكستان الطيب المخلص الشجاع .

٧ — ثم أود أن يكون في أمانة المؤتمر مكافون بمتابعة تنفيذ القرارات والتوصيات .

٨ — أن ينشىء المجمع مكتبا إعلاميا يتولى نشر مطبوعاته وتوزيعها على الهيئات والسفارات والجماعات والجامعات في

العالم كله وبذلك نخلق صلة عالمية بين مؤتمر الإسلام هذا وبين المهتمين فى العالم .

٩ — أن يعطى المجمع عناية كافية لأوغندا التى أصبحت معقلا من معاقل الحرية والإسلام وأن نمدها بالكتب العربية والمترجمة طبعات سهلة الفهم والنقل وأن يقيم أحسن العلاقات معها إكبارا لهذا الجهد الأفريقى الذى تبديه أوغندا ورئيسها وعملا على الانتشار فى كل أفريقيا من ذلك المنطلق .

١٠ — أن يطالب بتغذية المناهج المدرسية بالقصص والتاريخ الإسلامى وأن تكون مادة الدين أساسية فى مدارس أطفالنا ضمانا لحسن تنشئتهم تنشئة إسلامية وعملا على تكوينهم تكوينا سليما .

١١ — أن يطالب بتدريس الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية فى المراحل الجامعية وفى جميع الوطن العربى والإسلامى مادة هامة أساسية محددة .

وبعد كل هذا ندعو الله لنا ولحكامنا بالتوفيق والسداد ، وأن يرعى بتوفيقه الرئيس أنور السادات الذى رعى هذا المؤتمر وأيده ، وأن يهب الإمام الأكبر ورجال الأمانة العامة وجمعكم الكريم هذا صحة كاملة وعملا موفقا وأن يجزى الجميع خير الجزاء « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ؟

صالح بويصير

(بقية المنشور على ص ٦٤٦)

الصحافة :

إن تغطية أنباء الأنشطة الإسلامية فى صحف الدول غير الإسلامية وخاصة تلك الأنشطة المتصلة بالدول الإسلامية فى الشرق الأوسط تغطية ضئيلة للغاية . وحتى إذا كان لدى المسلمين شكوى حقيقية فإنهم لا يستطيعون إثارتها عن طريق الصحافة أو شرح أسباب هذه الشكوى للناس ؛ وذلك بسبب القيود المشددة التى تفرض على تغطية الأنباء الخاصة بهم .

وإلى جانب ذلك فإن أباطرة الاحتكارات الصحفية بمساعدة الحكومات الإمبريالية غير الإسلامية يتآمرون لمنع المسلمين من أن تكون لهم صحافتهم وصحفهم الخاصة بهم ؟

بودرى هاشم

دور الاقتصاد الإسلامى

للدكتور محمد شوقى الفنجرى

للاقتصاد الإسلامى دور بالغ الأهمية يتمثل فى ثلاث حلقات :

أولا : بالنسبة لمعركة القضاء على التخلف من خلال التنمية الاقتصادية .

ثانيا : بالنسبة للعالم الإسلامى .

ثالثا : بالنسبة للعالم أجمع .

ونبين ذلك فيما يلى :

(الفرع الأول)

دور الاقتصاد الإسلامى بالنسبة لمعركة القضاء على التخلف من خلال التنمية الاقتصادية

١ – التنمية الاقتصادية ذات بعد جماهيرى :

إن معركة اليوم الاقتصادية، هى معركة القضاء على التخلف عن طريق التنمية الاقتصادية ، ومن المتفق عليه لدى أساتذة التنمية الاقتصادية ، أنه لا يكفى فى هذه المعركة هيمنة الدولة باعتبارها ممثلة للمجتمع على ما يسمى بالقطاعات المسيطرة على الاقتصاد القومى، والمقصود بها القطاع المالى (البنوك وأعمال التأمين) والتجارة الخارجية والصناعات الأساسية ووسائل النقل الرئيسية ، كما لا يكفى إعداد خطط التنمية ومتابعة تنفيذها على المستوى الرسمى، وإنما يتطلب الأمر التعبئة الشاملة للشعب كله لتحقيق التنمية بأعلى المعدلات ؛ ومقاومة كافة صور الانحراف والاستغلال ؛ وبحيث تستقر خطط التنمية فى وعى المواطنين؛ وتنتقل منه إلى الممارسة الفعلية . وهو ما كنا نأمل تحققه حسبما ورد فى الباب الثامن من الميثاق بقوله (إن وعى كل مواطن بمسئوليته المحددة فى الخطة الشاملة كذلك إدراكه المحدد لحقوقه المؤكدة من نجاحها ، هو فضلا عن كونه توزيعا للمسئولية على نطاق الأمة كلها بما يعزز احتمالات الوصول إلى الأهداف ، هو فى الوقت ذاته عملية انتقال ثورية بمعنى العمل الوطنى من العموميات الشائعة المبهمة والغامضة إلى وضوح ذهنى وعملى يربط

الإنسان الفرد فى نضاله اليومى بحركة المجتمع كلها ويشده فى اتجاه التاريخ كما أنه يوجه به حركة التاريخ فى نفس اللحظة).

فالرأى الآن منعقد على أن عملية التنمية الاقتصادية ليست عملية فنية فحسب ولكنها عملية ذات بعد جماهيرى. ومن هنا كان الحرص على إشراك الجماهير على كافة مستوياتها فى مناقشة مشروعات التنمية الاقتصادية ، وفى متابعة نتائج تنفيذها.

٢ – التنمية الاقتصادية والجهاد المقدس:

وإذا كان من المسلم به أن حركة الشعب كله شرط أساسى لإنجاح أية تنمية وأية معركة شاملة ضد التخلف ، فإنه لا بد أن نتعرف على مشاعر كل شعب ونفسيته وتاريخه لتعبئة كل قواه وطاقاته للمعركة ضد التخلف ومن أجل التنمية. ولا شك أنه بالنسبة للشعوب الإسلامية يعتبر الإسلام عاملا أساسيا إن لم يكن العامل الرئيسى ، لإنجاح كل معركة تخوضها هذه الشعوب.

لقد استطاع جمال الدين الأفغانى أن يربط بين فكرة الجهاد المقدس والتخلص من الاستعمار. وبقوة تعاليم الإسلام ووضوحها فى العزة والحرية خاضت الشعوب الإسلامية حركتها من أجل الاستقلال. وما كانت تستطيع أندونيسيا وباكستان والشام وليبيا والمغرب والجزائر وغيرها أن تقدم عن رضا وإصرار ، ملايين الشهداء إلا بتأثير تعاليم الإسلام «ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما» (النساء – ٧٤) «ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون» (البقرة – ١٥٤).

ولما كانت المشكلة الأساسية التى تواجه الشعوب الإسلامية اليوم هى مشكلة التخلف الاقتصادى ، فإننا نرى ضرورة ربط التنمية الاقتصادية بفكرة الجهاد المقدس تفجيرا للطاقات المختزنة فى الفرد المسلم ، وتحقيقا للتنمية الاقتصادية بإحالتها إلى ممارسة دينية ، ذلك أن قوام المجتمع الإسلامى ، مجتمع المتقين ، هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» (آل عمران – ١١٠) والأمر بالمعروف يتضمن فى رأينا بصفة أساسية العمل على تحقيق التنمية الاقتصادية

والنهى عن المنكر يشمل أساسا القضاء على أهم صوره ألا وهو التخلف الاقتصادى ذلك التخلف الذى يؤدى إلى كثير من المساوىء الاجتماعية والانحرافات الخلقية.

لذلك فإنه لا بد أن نعلنها حربا مقدسة ضد التخلف ومن أجل التنمية الاقتصادية فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله). وسئل عليه السلام: ما هو الأفضل فى الإسلام؟ فقال: (الإيمان بالله واليوم الآخر، والقتال فى سبيل الله). ويقول عقب عودته من إحدى الغزوات: (عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) والجهاد الأصغر هو الحرب، والجهاد الأكبر هو إقامة المجتمع على أساس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ويقول عليه الصلاة والسلام (الجهاد قائم حتى يوم القيامة)، ذلك أن الحياة كلها صراع بين حق وباطل، وبين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون. فالجهاد هو غاية الإسلام وذروة سنامه، وسواء أكان جهادا حربيا أو جهادا سلميا مقصوده واحد هو دفع الظلم وإقامة مجتمع المتقين مجتمع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتخلف.

والجهاد المقدس فى مجال الاقتصاد الإسلامى، هو الجهاد ضد التخلف ومن أجل التنمية الاقتصادية.

ومن هنا تبرز أهمية الاقتصاد الإسلامى ودوره فى معركة التخلف والتنمية الاقتصادية بأن تصبح خطط التنمية بالنسبة للشعوب الإسلامية جهادا مقدسا وممارسة دينية.

٣ — حقيقة التحدى الإسرائيلى:

وتزداد أهمية الاقتصاد الإسلامى ودوره فى معركة التخلف والتنمية الاقتصادية خاصة بالنسبة للدول العربية، وذلك متى لاحظنا أن التحدى الذى تلقاه من قبل إسرائيل ليس تحديا حربيا فقط، وإنما هو أساسا تحد اقتصادى، فإسرائيل تنشد السيطرة الاقتصادية على المنطقة العربية، ومعركتنا مع إسرائيل ليست مقصورة على إزالة آثار العدوان، وإنما هى تتصل بتخلفنا الاقتصادى وما يتطلبه من ضرورة التنمية الاقتصادية العاجلة، والتى يجب أن نجند لها كافة قوى وإمكانيات الشعوب العربية. إن الخطر الذى نواجهه ليس قوة إسرائيل ولكن تخاذل العرب وتخلفهم لاسيما اقتصاديا

بالرغم من أن لديهم إمكانيات بشرية وأدبية غير محدودة .

ومن هنا نتبين أهمية الوحدة العربية الشاملة ، وأنها وحدة حتمية مقدسة . وأنه لا يتطلبها التاريخ فقط ، وإنما يستلزمها المستقبل قبل التاريخ فى عصر لم تعد فيه للكيانات الصغيرة مكان، وفى ظروف أصبحت فيه مستلزمات التنمية الاقتصادية تتجاوز طاقة الدولة الواحدة ولنضرب مثلا لذلك بأن بعض الدول العربية كالسعودية أو ليبيا أو الكويت أو أبى ظبى تتوافر لديها رؤوس الأموال اللازمة للتنمية فى حين ينقصها اليد العاملة والخبرة الفنية ، بخلاف دول أخرى كمصر لديها اليد العاملة الزائدة والخبرة الفنية فى حين ينقصها رأس المال، فيمكن أن يكمل كلاهما الآخر ، وتتحقق بذلك التنمية الاقتصادية ونقضى على التخلف الذى هو جوهر صراعنا مع إسرائيل . فإننا إذا عوضنا التخلف الاقتصادى لا تعد إسرائيل ومن يكون وراءها خطرا علينا وسنكون قادرين على المواجهة وستكون النتيجة فى النهاية لصالحنا .

وإنه لكى يتم ذلك لابد أن ندرك جيداً ، أن الوحدة العربية الشاملة لا تفرض ، كما أنها لا تكون بالشعارات والعواطف، ولا تتحقق بالطرق السياسية ومختلف الأشكال الدستورية وإنما تتحقق هذه الوحدة عمليا ، وتتأكد أساساً عن طريق ربط الدول العربية بعضها ببعض اقتصادياً .

إن وحدة ولايات الشعوب الألمانية لم تتحقق إلا عن طريق ربطها بالسكك الحديدية ، وباتفاق الزولفرين الذى هو اتحاد جمركى . وأن التمهيد لوحدة أوربا الاقتصادية لم يتحقق إلا عن طريق اتفاق البنلوكس بين هولندا وبلجيكا ولوكسمبرج وأن التمهيد الآن لوحدة أوربا السياسية يأخذ مجراه عن طريق السوق الأوروبية المشتركة وأن نهوض اليابان بعد هزيمتها المنكرة فى الحرب العالمية الثانية وتحديها اليوم لأمريكا وفرض إرادتها على المجتمع الدولى ، إنما كان نتيجة حتمية لمخططها الجديد الرشيد « السياسة فى خدمة الاقتصاد » ، « وليس الاقتصاد فى خدمة السياسة » .

وأياما كان الأمر، فإنه يجب أن نعلنها حربا مقدسة ضد العدوان الإسرائيلى وضد

التخلف الاقتصادى وأن نربط معركتنا من أجل إزالة آثار العدوان ومن أجل التنمية الاقتصادية بفكرة الجهاد المقدس وأن ترتبط الدول العربية ببعضها اقتصاديا كخطوة أولى أساسية وأقصر طريق يؤدى حتما إلى ارتباطها سياسيا .

(الفرع الثانى)

دور الاقتصاد الإسلامى بالنسبة للعالم الإسلامى :

١ - الاقتصاد الإسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى يتوافر له التجاوب لدى الشعوب الإسلامية :

يشمل العالم الإسلامى أكثر من ٦٠٠ مليون مسلم (منهم نحو ٨٥ مليون عربى) أى نحو ١٥ ٪ من سكان هذا الكوكب أو قل إن واحدا من كل ستة أو سبعة أشخاص فى العالم يدين بالإسلام، والإسلام بعد هذا فى توسع ديناميكى مضطرد بعيد المدى ، بل لعله اليوم أكثر الأديان نموا عدديا فهو من ناحية يكسب كل يوم أرضا جديدة وقوى مضافة على امتداد جبهة عريضة فى أفريقيا ، وربما فى آسيا المدارية بالإضافة إلى العالم الجديد شماله وجنوبه . . ومن المرجح أن قوته النسبية فى ديموغرافية العالم ستتمدد باستمرار، وقد لا تحل دورة القرن إلا وقد أصبح خمس البشرية من المسلمين[1]

ولا شك أننا حين نختار منهاجا للإصلاح ، يتعين أن نعتبر الظروف الموضوعية للأمة وتركيبها النفسى والتاريخى .

ومن هنا تبرز أهمية الاقتصاد الإسلامى ودوره بالنسبة للعالم الإسلامى ، بوصفه المنهج الاقتصادى الذى ترتبط به حضاريا جماهير هذا العالم ويتوافر له التجاوب والاطمئنان النفسى .

٢ - الاقتصاد الإسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى تتوافر له الفاعلية وقوة التنفيذ :

يضاف إلى ما تقدم أن أساس الاقتصاد الإسلامى هو الشريعة الإسلامية وهى أحكام يؤمن المسلمون بقدسيتها وحرمتها ووجوب تنفيذها بحكم عقيدتهم الدينية وإيمانهم .

(١) انظر الدكتور جمال حمدان ، العالم الإسلامى المعاصر، الطبعة الأولى سنة ١٩٧١ دار عالم الكتب ، ص ١٢ .

إن الإسلام دين نزل من السماء على خاتم النبيين، وإنه لا يقتصر على مجرد العبادة والهداية الروحية ولكنه أساسا أسلوب للحياة وتنظيم سياسى واجتماعى واقتصادى للمجتمع.

ولاشك أن ارتباط الاقتصاد الإسلامى بالعقيدة الدينية، يخلق الجو والمناخ لتقبل أحكامه وضمان قوة تنفيذها وإذا كان ألف باء أى تحرك أو إصلاح اجتماعى أو اقتصادى هو غرس أفكاره ومبادئه فى العقول والنفوس قبل محاولة إخراجها إلى ميدان العمل، وهو إعداد المناخ وتهيئة الناس للإقبال - عن اقتناع - على هذا الإصلاح والمشاركة فى هذا التحرك قبل محاولة حملهم عليه بقوة القانون وسلطان الدولة، فإنه يجدر بنا أن نستفيد فى هذا المجال من العقيدة الدينية فى الإسلام التى هى عقيدة التقدم والتطور والصالح العام، والإيمان فيها - على نحو ماسبق ذكره - ليس إيمانا مجردا أو ميتا فيزيقيا (غيبيا) وإنما هو إيمان محدد مرتبط بالعمل والإنتاج «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية» (البينة: ٧)، ويرتبط بالعدل وحسن التوزيع «اعدلوا هو أقرب للتقوى» (المائدة: ٨)، وإن أكبر تكذيب للدين هو ترك أحد أفراد المجتمع يعانى الضياع والحرمان «أرأيت الذى يكذب بالدين. فذلك الذى يدع اليتيم. ولا يحض على طعام المسكين» (الماعون ١ - ٣). فيجدر بنا أن نقيم اقتصادنا على أساس تعاليم الإسلام لنضمن له الفاعلية وقوة التنفيذ، وهو غاية ما يتطلع إليه أى تنظيم اقتصادى ينشد النجاح والاستمرار.

ومن هنا تبرز - من زاوية أخرى - أهمية الاقتصاد الإسلامى ودوره بالنسبة للعالم الإسلامى، بوصفه المنهج الاقتصادى الذى ترتبط به عقائديا جماهير هذا العالم وتتوافر له الفاعلية وقوة التنفيذ.

٣ - الاقتصاد الإسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى يحقق لجماهير العالم الإسلامى الوحدة والانسجام.

وثمة نقطة أخرى تحتم على المسئولين فى العالم الإسلامى، إعمال الاقتصاد الإسلامى والتزامه وهى القضاء على هذا التمزق الذى يعانيه أفراد الأمة الإسلامية موزعين بين ضميرهم الدينى وقوانينهم الوضعية

حقا إن أغلب دساتير الدول الإسلامية تنص على أن الإسلام هو دين الدولة الرسمى وقد تنص على أن الشريعة الإسلامية هى مصدر التشريع أو المصدر الرئيسى له. ولكن ستبقى هذه النصوص مجرد شعارات جوفاء ، ما لم يقم علماء الإسلام بإبراز تعاليم الإسلام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وبيان كيفية إعمالها بحسب ظروف كل زمان ومكان، ما لم يقم الحكام من جانبهم بوضع هذه التعاليم موضع التطبيق وعلى رأسها فى المجال السياسى الشورى وحرية إبداء الرأى ، وفى المجال الاقتصادى ضمان حد الكفاية لكل مواطن وإذابة الفوارق بين الأفراد .

ومن هنا تبرز من زاوية أخرى أهمية الاقتصاد الإسلامى ودوره بالنسبة للعالم الإسلامى بوصفه المنهج الاقتصادى الذى يحقق لجماهير هذا العالم الوحدة والتناسق بين حياتهم المادية والروحية .

(الفرع الثالث)

دور الاقتصاد الإسلامى بالنسبة للعالم أجمع

١ ـ ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية:

يتجاذب العالم اتجاهان : الاتجاه الفردى (الرأسمالى) والاتجاه الجماعى (الاشتراكى) ، وقد رأينا أن لكل منهما سياسة اقتصادية معينة ، لها محاسنها ولها مساوئها .

وقد سبق أن أوضحنا أن للإسلام اتجاها خاصا ، وأن له سياسة اقتصادية متميزة ، وهى سياسة إن اتفقت مع السياسات الاقتصادية الأخرى فى بعض الخطوط والفروع ، إلا أنها سياسة منفردة ، ذلك أنها :

أولا : سياسة تجمع بين الثبات والتطور ، فهى سياسة ثابتة خالدة من حيث أصولها العامة وضمانها ـ منذ البداية ـ الحاجات الأساسية للفرد والمجتمع بغض النظر عن درجة تطوره وأشكال الإنتاج وهى سياسة متغيرة ومتطورة من حيث تطبيقاتها العديدة لهذه الأصول بحسب الزمان والمكان .

ثانيا : وهى سياسة تجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة ، وكلتاهما لديها أصل ، فهى لا تهدر المصلحة العامة شأن النظم الفردية ، ولا تهدر المصلحة الخاصة شأن النظم الجماعية ، وإنما هى ـ منذ البداية ـ تعتمد بالمصلحتين على درجة واحدة وتحاول دوما التوفيق بينهما .

على أنه إذا تعذرت هـــذه الملاءمـة أو الموازنة بين المصلحتين، وهو ما لا يكون إلا فى الظروف الاستثنائية أو غير العادية كحالة الحرب أو الأوبئة أو المجاعات ؛ فإنه فى مثل هـــذه الحالات يضحى بالمصلحة الخاصة من أجل المصلحة العامة وهنا فى هذه الظروف الاستثنائية قد يتجاوز الحل الإسلامى على نحو ما رأينا أكثر المذاهب الجماعية تطرفا على أن تقدر الضرورة بقدرها .

ثالثا : وهى سياسة تجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، حيث تعتبر الفرد فى مباشرته نشاطه الاقتصادى البحت ، متعبدا طالما كان هذا النشاط مشروعا ومستهدفا به وجه الله تعالى . بل إنه يكافأ ويثاب على ذلك النشاط بقدر اتقانه لعمله وبقدر ما يعود به من منفعة على أكبر عدد من الناس .

فليس هناك فى الإسلام اصطدام بين المادة والروح ، وليس هناك انفصال بين الاقتصاد والدين . بل هناك ارتباط وثيق بينهما يحقق فلاح الدنيا والآخرة فالدنيا هى مزرعة الآخرة ، والإنسان هو خليفة الله فى أرضه ، وغاية النشاط الاقتصادى هو تعمير الدنيا وإحياؤها .

٢ — جدلية السياسة الاقتصادية الإسلامية :

فالسياسة الاقتصادية فى الإسلام - كما يتضح لنا - سياسة شاملة منضبطة تنظر إلى جميع الجوانب الإنسانية وتدخل فى اعتبارها كافة الحاجات البشرية وتوفق بينها بأسلوب جدلى (دينا لكتيكى) .

ولكنه أسلوب جدلى خاص ؛ ذلك أن الإسلام يقـــر التناقضات الاجتماعية الموجودة فى الحياة : الثبات والتطور ، مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، المصالح المادية والحاجات الروحية إلا أن نقطة الخلاف الأساسية فى نظرنا بين الإسلام وكافة المذاهب والنظم الوضعية السائدة تتمثل فى أن هذه التناقضات الاجتماعية تعتبر فى نظر الإسلام كالسالب والموجب للتعاون والتكامل لا للصراع والاقتتال. ومن ثم فهو على خلاف كافة المذاهب والنظم الوضعية السائدة يعمل على الإبقاء على تلك التناقضات والتوفيق بينها إلا على جحد أو نفى إحداها للأخرى ، على أنه فى بعض الحالات الخاصة قد يغلب إحداها على الأخرى ولكن بصفة مؤقتة وبقدر الضرورة وذلك لإعادة التوازن وتحقيق التعاون الذى هو مبتغاه .

وإذا كانت السياسة الاقتصادية الإسلامية ـ على نحو ما سبق بيانه ـ توفق بين كافة المصالح المتعارضة بما يحقق الصالح العام ، وتقدم الحل العملى للمشكلة الاقتصادية ، وبالتالى لمشكلة الحرب والسلام ، فإنه من الخير أن تدلى هذه السياسة بدلوها ، وأن يسهم الاقتصاد الإسلامى فى حل مشاكل العالم .

ومن هنا تبرز أهمية الاقتصاد الإسلامى ودوره بالنسبة للعالم أجمع . وإذا كان هذا الدور لم يتحقق حتى الآن ، فمرده قصور علماء المسلمين عن بيان معالم الاقتصاد الإسلامى وإبراز ذاتية سياسته وتفوقها .

٣ ـ دور الاقتصاد الإسلامى فى رأى بعض العلماء الأجانب :

على أنه رغم الأضواء الضئيلة والمحاولات المحدودة لإبراز بعض جوانب المذهب الاقتصادى الإسلامى فإننا أصبحنا نسمع أخيرا أصواتا أجنبية تدعو إلى الأخذ بالمذهبية (الأيدلوجية) الإسلامية ، وكان ذلك لمجرد أن وضحت أمامها إحدى جوانبها سواء من ناحية جمعها بين المصالح المادية والحاجات الروحية أو عدم تضحيتها بالمصالح الخاصة أو المصالح العامة ، ومحاولة التوفيق بينها وجمعها بين الثبات التطور وجدليتها الخاصة .

ولا ندرى إلى أى مدى تكون حماسة العالم المستنير للمذهبية الاقتصادية الإسلامية إذا اتضحت له سياستها مكتملة ، وإذا قدمت له حلولها التفصيلية وتطبيقاتها العملية .

فهذا هو الاشتراكى الإنجليزى والفيلسوف العالمى (برنارد شو) يردد بعد دراسة دقيقة قوله : « إنى أرى فى الإسلام دين أوربا فى أواخر القرن العشرين [1] » ، ومن قبله يقول المفكر الألمانى الكبير (جوته) : « إذا كان هذا هو الإسلام ، أفلا نكون كلنا مسلمين » .

وهذا هو أستاذ الاقتصاد الفرنسى (جاك أوسترى) ينتهى فى مؤلفه الصادر سنة ١٩٦١ (الإسلام فى مواجهة النمو الاقتصادى) : إلى أن طريق الإنماء الاقتصادى ليس محصورا فى الاقتصاديين المعروفين : الرأسمالى والاشتراكى ، بل هناك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد

(البقية على ص ٦٩٣)

(١) انظر مالك بن نبى ، مشكلة الأفكار فى العالم الإسلامى ، طبعة القاهرة سنة ١٩٧١ مكتبة عمار .

ملامح المجتمع المثالى فى نظر الاسلام

للأستاذ عبد الحميد حسن

المجتمع المثالى هو الذى يسعد فيه الفرد فى كنف الجماعة ، يظلهما الائتلاف والتعاطف ، وينتشر بينهما التعاون والتكافل الاجتماعى ، ويسود بينهما العدل ، وتجمع بينهما المساواة والحرية الشاملة فى القول والعمل ، فى حدود القوانين التى تنظم الحياة ، وتمنع البغى والعدوان .

وينجم عن كل ذلك أن تنعم الأمة بالسعادة ويشملها الرضا واطمئنان القلب فيتجه الأفراد إلى الله بقلب سليم ، ويعملون لخيرى الدنيا والآخرة .

ولقد رسم الإسلام لذلك أقوم طريق وتعهد الفرد والأسرة والجماعة والإنسانية جمعاء ، بالتربية المبنية على النهج القويم السليم .

وسنجمل القول فى الدعائم التى أقام الإسلام عليها وسائل النهوض بكل أولئك جميعا .

* * *

أولا : الفرد :

وأهم الدعائم فى تربية الفرد الاهتمام بتنمية عقله وصفاء ضميره وغرس الإيمان القوى فى قلبه .

ويتجه الإسلام فى تربيته العقل اتجاها فطريا يسير على المنهج التربوى الصحيح ويرسم لذلك خطة حكيمة يجدر بالمربين أن يسلكوا سبيلها ، فهى خير ما يصل بالإنسان إلى أرشد طريق وأهدى سبيل .

فالإسلام يلجأ إلى الطريقة الحسية التى تبدأ بتوجيه الحواس ، وأهمها السمع والبصر ، إلى ناحيتين أساسيتين فى المحيط الحيوى للإنسان ، وهما :

١ — ما فى الأرض وما فى الآفاق من آيات الله تعالى .

٢ — وما فى الإنسان من قوى كثهرة النفس وأسرارها .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى « وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون » (الذاريات : ٢٠، ٢١) .

وفى قوله جل شأنه «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم» (فصلت ٥٣).

وفى قوله عز اسمه «إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين. وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون» (الجاثية ٣، ٤).

ثم حث فى آيات كثيرة من القرآن الكريم على النظر فى مظاهر الكون، وفيما خلق الله من حيوان ونبات وجماد يقول سبحانه:

١ — «إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» (البقرة ١٦٤).

٢ — ويقول جل اسمه «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب» (ق ٦ - ٨).

٣ — ويقول عز من قائل «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون» (المؤمنون ١٢ - ١٦)

٤ — ويقول جل شأنه «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون» (النحل: ٧٨).

٥ — وقال عز من قائل «فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا. متاعا لكم ولأنعامكم» (عبس ٢٤ - ٣٢)

إلى غير ذلك من الآيات البينات.

* * *

وهذه الطريقة التى رسم القرآن الكريم منهجها تحقق كثيراً من المقاصد والأهداف التربوية.

١ — فهى تربط تربية العقل بالإيمان، وتسير بهما جنبا إلى جنب؛ وبذلك يكون الإيمان نابعا من النظر والبحث فى آلاء الله.

٢ — ويقترن ذلك بالاعتراف بنعم الله فيتجه الإنسان إلى شكر خالقه وإلى اليقين بأنه هو المعبود بحق وهو الملجأ فى السراء والضراء ، وأنه لا خضوع إلا لله ، وهذا هو أساس الشعور بحرية الإنسان وبأنه لا سيطرة لأحد عليه وبذلك تقوى صلة المخلوق بخالقه ويطمئن قلبه بذكر الله والاتجاه إليه .

٣ — وفوق ذلك ، أن النظر فى ملكوت الله وتعاقب الليل والنهار وسير الكواكب على أحكم نظام « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » (يس ٤٠) . كل هذا يطبع الإنسان بطابع النظام فى شئونه الحيوية والدينية فى صلاته وقيامه وصيامه .

٤ — والإسلام يدعم هذا المنهج التربوى الذى يحث على النظر والتفكير فى الكون وفى الإنسان ، بمنهج تطبيقى عملى ، وذلك فى ركنين من أركان الدين وهما : الصلاة والصيام .

فنى الصلاة يتجه الإنسان إلى ربه رب العالمين يحمده على جليل آلائه ويشكره على جزيل نعمائه ، ويطلب منه الرحمة والهداية إلى الصراط المستقيم .

وفى الصيام يصفو القلب ويتيقظ الضمير ، ويوقن الإنسان بأن الله وحده هو المطلع على جميع أعماله ، وأنه يعلم سره ونجواه ، فيكون ذلك رادعا وواقيا وحافزا على عمل الخير .

٥ — الحث على العمل الصالح :

العمل الصالح دعامة الحياة الصالحة ، وهو الطريق إلى الإنتاج وكثرة الخيرات التى يتوقف عليها صلاح المجتمع .

والقرآن الكريم يحث على العمل الصالح ويذكره مقرونا بالإيمان فى آيات كثيرة .

يقول سبحانه « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم » . (يونس ٩) .

ويقول جل شأنه : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » (النساء ١٢٤) .

ويقول عز اسمه : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم

فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا» (النور:٥٥)

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تدل على مكانة العمل الصالح وجزائه عند الله .

من كل ما قدمناه يتضح أن الإسلام قد رسم لتربية الفرد منهجا مثاليا يجعله لبنة قوية فى المجتمع المثالى وفى البناء المحكم المتين للأسرة وللأمة .

الأسرة :

وهى الدولة الصغيرة والخلية الأولى للمجتمع الكبير ومجالها يتسع حتى تشمل الجار القريب والجار البعيد والصاحب بالجنب .

ويهتم الإسلام بالحث على إشاعة الإحسان بين أفراد الأسرة وعلى رعاية الجار سواء كان من الأقارب أو من غيرهم أو كان غير مسلم . يقول سبحانه : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب » (النساء:٣٦).

وفى الأثر النبوى: [1] « قيل: يارسول الله ، من أبر ؟ قال: أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذى يلى ذاك (أى قريبك الذى يقرب ممن ذكروا) حق واجب ورحم موصولة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه [2] (البائقة : الغائلة والشر) .

وقد جعل الإسلام رعاية الأسرة للرجل وللمرأة معا ، فهما اللذان يشرفان

(١) ورد الحديث بلفظ : (أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب) من رواية أحمد وأبى داود والترمذى والحاكم عن معاوية بن حيدة . وسببه كما فى الترمذى عن بهز بن حكيم قال : حدثنى أبى عن جدى قال : قلت : يا رسول الله من أبر ؟ قال : وذكره ، وقال الترمذى : حسن صحيح . قال الزين العراقى : وجاء فى حديث بعد الأب (ثم أختك وأخاك) ورواه ابن ماجة عن أبى هريرة قال : قلت : يارسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة قال : وذكره وهو فى مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ (أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك) اهـ

(٢) رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه .

على تربية الأولاد ورعايتهم وتنشئتهم على أقوم طريق ، فكلاهما راع وكلاهما مسئول عن رعيته .

وإذا سارت تنشئة الأبناء والبنات فى الأسرة على الطريقة المثلى كان ذلك أساسا صالحا لتنشئة جيل صالح رشيد ينهض بالأمة ويعلى شأنها ويتجه بها إلى الطريق السوى .

وقد أوضح الإسلام ما يكفل للأسرة الحياة الراضية ، وينشر بين أفرادها روابط المودة والرحمة ويوثق الصلة بينهم ويشيع فيهم خلال الخير .

وإلى جانب هذه الروابط العاطفية قد وضع الإسلام للأسرة كل ما تحتاج إليه من قواعد التشريع فى الزواج والنفقة والميراث وكذلك الحقوق والواجبات التى ينبغى القيام بها ، وأرسى دعائم الوفاق وتجنب الخلاف ، وسعى إلى حل ماعسى أن ينجم من شقاق بالتحكيم الذى يعود بالحياة الزوجية إلى الهدوء والاستقرار .

الأمـــة :

بعد أن يضع الإسلام الطريقة القويمة لتربية الفرد ، وهـــو اللبنة الصغرى ، والطريقة المثلى لتنشئة الأسرة وهى اللبنة الكبرى للمجتمع ، يضع الأساس القوى المحكم لإعداد الأمة وهى المجتمع الكبير ويضع لذلك بناء متينا سعت الأمم فى عصورها المختلفة جاهدة لكى تصل إلى ما يقرب منه ، فلم تظفر بذلك ، وظلت أحقابا تتعاورها الأهواء والغايات المادية التى تغرى بالأحقاد وتثير المطامع وتوقظ الضغائن وتطلق العنان للجور والبطش وللتكتلات التى تستهدف التعاون على الشر وعلى الاثم والعدوان ، وتجعل حياة الأمم والأفراد جحيما تشتعل ناره ويتصاعد أواره .

ولقد أرسى الإسلام للمجتمع المثالى الدعائم المتينة وأقام عليها البناء الشامخ للمجتمع الفاضل . ولو سارت الإنسانية طبقا للنظام الإسلامى لحمدت السرى وانجلت عنها عماية الغى والضلال ولزال ما ارتطمت فيه الدول الآن من البغضاء والشحناء وتخوف العدوان .

وإنا نشير إلى أهم الملامح التى أوضحها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا .

أولا : إن القرآن الكريم حافل بالآيات التى ترسى الدعائم القوية للمجتمع المثالى الصالح :

١ — يقول سبحانه : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى

عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » (النحل ٩٠) وفى هذه الآية يأمر الله تعالى بثلاث ، وينهى عن ثلاث ، والعدل فى قمة ما يأمر به سبحانه والعدل: أن يعطى الإنسان ما عليه ويأخذ ماله، والإحسان: أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له ، فالإحسان زائد على العدل ، فتحرى العدل واجب وتحرى الإحسان تطوع (مفردات الراغب - الأصبهانى).

ولو تعامل الناس فيما بينهم على أساس العدل والإحسان لاستقامت أمورهم وعم الوئام وزال الشقاق وعاشوا عيشة راضية مطمئنة .

والدعامة الثالثة فيما تأمر الآية به : هى إيتاء ذى القربى ، وهذا من أقوى الدعائم لإشاعة المودة والرحمة بين أفراد الأسرة .

٢ — وفى آية أخرى من القرآن الكريم نجد التركيز الشامل الجامع لأمهات الفضائل وذلك قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » - آل عمران ١٠٤ .

٣ — خطبة حجة الوداع :

وقد بين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهم أسس الدين .

ومن أوزما فيها قوله صلى الله عليه وسلم :

(ا) أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته .

(ب) فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

(ج) فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا .

(د) إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه .

(هـ) أنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده، كتاب الله وسنة نبيه .

(و) أن ربكم واحد وأن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى [1] .

---

(١) خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وردت من عدة روايات عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم وممن رواها من أئمة الحديث: أحمد والطبرانى والبزار وأبو داود بألفاظ مختلفة وفى الصحيح طرف منها . ورواها مطولة ابن هشام . والفقرات الموردة هنا من عدة روايات.اهـ

وبعد هذه الدعائم التى يضع الإسلام أساسها نجد ثلاث دعائم يعنى بها الإسلام وهى ركائز قوية لكل مجتمع صالح رشيد وهى : العلم والعمل والمال .

(أ) أما العلم: فقد رأينا - فيما أشرنا إليه من قبل - أنه من الدعائم القوية فى توجيهات القرآن الكريم للفرد فى النظر إلى ما فى ملكوت الله وما فى الإنسان وخلقه وتكوينه . فهذه التوجيهات من أقوى دعائم العلم والابتكار والاختراع وهى منبع جميع العلوم والمعارف الإنسانية فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وإن هذه التوجيهات لمن مفاخر الإسلام وعظيم مآثره .

(ب) وأما العمل : فقد رأينا - فيما أوضحنا من قبل - مدى عناية الإسلام به وما أعده من جزاء العاملين .

(ج) وأما المال : فهو دعامة البناء الاقتصادى للأمة - وللقرآن الكريم فى شأنه جولة توضح قيمته فى الحياة وتبين طريقة الانتفاع به وتداوله بين الناس.

وأول ما يلاحظ فى نظرة الإسلام للمال هو أنه ملك لله ، وأن الأغنياء هم حراس عليه، وأن الفقراء لهم فيه حق معلوم

يقول سبحانه : «آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» (الحديد ٧)

يقول جل اسمه: «والذين فى أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم» (المعارج ٢٤، ٢٥)

ومما يسترعى الملاحظة أن القرآن الكريم يقرر أن إعطاء الفقراء إنما هو إقراض لله ، يقول سبحانه : «من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم» (الحديد ١١) .

وفوق كل هذا نجد أن من أركان الإسلام «الزكاة» ، وهى سياج وقائى يقى الأغنياء مما عسى أن يخالج قلوب الفقراء والمعوزين من أحقاد أو ضغائن .

• • •

الوحدة والاتحاد :

إن المجتمع المثالى هو الذى يعمه التضامن والتماسك ويظله الاتحاد والترابط، فالاتحاد قوة والتفرق ضعف ينذر بالفناء ،وقد دعا الإسلام إلى الاتحاد ونهى عن التفرق والتنازع .

يقول سبحانه: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» (آل عمران ١٠٣) .

ويقول جل شأنه: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» (الأنفال ٤٦).

ويقول صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وشبك بين أصابعه [١] .

ويقول صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٢] .

وأن الوحدة تنبثق عن الإيمان ، ذلك أن الإيمان يوحد الصفوف ويجمع المؤمنين حول هدف واحد ويوجههم وجهة واحدة ويربطهم بحبل الله المتين وبالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وبذلك تربط بينهم الوحدة ويكون بعضهم أولياء بعض ويتعاونون على البر والتقوى ، وإذا حزبهم أمر أو هاجمهم عدو أو أصابهم مكروه كانوا يدا واحدة على من عاداهم.

وإننا فى عصرنا الحاضر أشد ما نكون حاجة إلى الاتحاد والتضامن ، فأعداؤنا كثيرون وقد جمعوا جموعهم ووجهوا إلى صدورنا سهامهم واحتلوا من أوطاننا أجزاء حبيبة إلى قلوبنا ، وأن الاتحاد هو عدتنا وقوتنا ، وقد وضعنا أسسه المتينة ، فلنسر على بركة الله إلى الغاية التى صممنا على الظفر بها بعون الله وهى النصر. وليكن شعارنا هو العزائم القوية والقلوب الثابتة واليقين القوى بالله ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

الاستعداد الحربى :

إن الاستعداد الحربى من أقوى الدعائم التى يقوم عليها كيان الأمة ويرتبط ارتباطا وثيقا بأمنها وعزتها وكرامتها ، فإن الظلم من شيم النفوس إذا انحرفت عن الجادة ، وإن التنازع على مرافق الحياة وخيرات الأرض هو من طبيعة البشر ، وإن الصراع بين الحق والباطل وبين الخير والشر هو دأب هذه الحياة .

وقد حرص الإسلام على أن يضع هذه الحقائق موضع الرعاية لكى يكفل للمسلمين الأمن والاطمئنان على أوطانهم وعلى عقيدتهم وعلى أرواحهم وعلى أموالهم .

(١) رواه مسلم والترمذى والنسائى بدون (وشبك بين أصابعه) وتتمته كما فى البخارى (ثم شبك بين أصابعه) .

(٢) رواه مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وذكره وفى رواية للرامهرمزى فى (الأمثال) فإنى سمعت بأذنى هاتين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكره .

ولذلك حث على الاستعداد الحربى لصد ما عسى أن يدور فى رءوس المعتدين من هجوم مبيت أو مفاجىء على الآمنين .

وإن هذا الاستعداد أو السلم المسلح هو الذى يمنع العدوان ، فالاستعداد الحرب أنفى للحرب ، وهذا هو الذى يرهب العدو ويصده عن التفكير فى الاعتداء يقول الله تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » (الأنفال ٦٠) .

والإسلام يحرص على السلم إذا رغب الأعداء فى ذلك ، يقول جل شأنه :

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (الأنفال ٦١) .

وإذا أبرمت بين المسلمين وأعدائهم معاهدات للإصلاح ولإقامة العدل ونشر الأمن فإن الإسلام يرتبط بها . يقول عز وجل : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون » (النحل ٩١) .

وقد أوضح الإسلام ما يتصل بالحرب والسلم فى آيات من القرآن الكريم ، وفى سورة الأنفال طائفة من ذلك ، وتاريخ الإسلام حافل بأعمال الأبطال والمجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وبما أعد الله لهم من ثواب .

* * *

وإنا فى ظروفنا الحاضرة إزاء تكتل الأعداء والمستعمرين لفى حاجة إلى الاهتمام بالاستعداد الحربى لقهر العدو وقمع غروره وشروره والله ناصرنا .

(وبعـــد) :

فهذه لمحة عابرة موجزة عن خصائص المجتمع المثالى فى نظر الإسلام ، وإن المجال فسيح فى هـــذا الصدد لمن أراد الاستزادة .

والله يرعانا ويسدد خطانا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد الحميد حسن

قرارات وتوصيات الفترة الأولى للمؤتمر

بتوفيق من الله تعالى ، وبهدى من دينه القويم ، قد اجتمع المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية تحت راية الإسلام وفى رحاب الأزهر ، فى فترته الأولى التى بدأت من أول شعبان سنة ١٣٩٢هـ التاسع من سبتمبر سنة ١٩٧٢م حتى السادس من شعبان سنة ١٣٩٢ هـ - الرابع عشر من سبتمبر سنة ١٩٧٢ م .

ممثلا لنحو أربعين قطرا ومجتمعا إسلاميا فى القارات الثلاث : آسيا وأفريقيا وأوربا .

وقد اجتمع الأعضاء مع إخوانهم أعضاء المجمع الممثلين للبلاد الإسلامية واستمعوا إلى البحوث التى ألقيت ، وإلى الدراسات التى قدمها الأعضاء عن أحوال المسلمين فى بعض البلاد .

وقد تبادلوا الرأى فى ذلك كله ثم وصلوا إلى القرارات والتوصيات الآتية يحدوهم فيها شعورهم بمسئوليتهم أمام الله تعالى ، وأمام جموع المسلمين فى العالم ، فى هذه الفترة العصيبة التى يجتازها العالم الإسلامى والأمة العربية ، فترة امتحنت فيها بأحداث يرى المؤتمر أنها بواعث على النهوض بواجب الدفاع عن الوطن الإسلامى ومقدساته ، عقيدة وحضارة ، وأرضا وأهلا ، فى هذه المرحلة المصيرية من تاريخه .

وفى سبيل إعلاء كلمة الله .

وتجاوبا مع مشاعر المسلمين .

وتحقيقا لإرادتهم فى واجب الدفاع عن كل ماهو مقدس ، يفتدونه بأنفسهم وأموالهم من عقيدة ووطن وعرض ، وتراث وحضارة . .

يعلن المؤتمر :

أولا : إعلان عام :

يؤكد المؤتمر ما سبق أن أعلنه فى دوراته السابقة من أن الجهاد بالأنفس والأموال أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين ، لا يجوز أن يتخلف عنه من ينتسب إلى هذا الدين القويم .

وأن هذا الواجب لا ينتهى إلا بعد تحرير الأرض المقدسة والقدس الشريف ، والمسجد الأقصى ، وجميع الأراضى الإسلامية العربية التى احتلتها إسرائيل .

ثانيا : بخصوص فلسطين :

يقرر المؤتمر أن العدوان الصهيونى على فلسطين والبلاد العربية الأخرى لا يزال هو الموضوع الرئيسى الذى يشغل مؤتمر علماء المسلمين فى مجمع البحوث الإسلامية حتى يزول العدوان ويعود الحق إلى نصابه ، وتصان المقدسات الإسلامية والمسيحية عند المسلمين والمسيحيين على السواء، ويطمئن المسلمون وباقى المواطنين فى ديارهم .

وبما أن إسرائيل ممعنة فى عدوانها وغطرستها ، واستهانتها بكل القيم الإنسانية ، والقرارات الدولية ، دائبة فى مظالمها بقصد القضاء على آثار الحضارة الإسلامية ، والعربية ، وتشويه معالمها .

فإن المؤتمر يوصى :

١ — جميع الحكومات المحيطة بأرض فلسطين المحتلة بأن تضاعف إعدادها لمقاومة العدوان ، ومجابهة الغطرسة والطغيان ، وتهيىء جيوشها وأبناءها جميعاً شبابا وشيوخا ، رجالا ونساء، للقيام بدورهم فى المعركة حيثما كانت، جهاداً مقدساً فى سبيل الله والوطن .

٢ — كما يوصى جميع الحكومات الأخرى والشعوب ، والمؤسسات والهيئات العربية والإسلامية ، أن تقدم المعونة الفعالة على جميع المستويات التى تتطلبها ضراوة المعركة .

كما يوصى الحكومات الإسلامية بمد يد العون المادى والأدبى للعمل الفدائى .

٣ — كذلك يقرر المؤتمر أنه لا يصح ولا يقبل بحال من الأحوال أى حل أو تسوية لا يعيد القدس إلى سيادتها الإسلامية العربية ، ولا يعيد كذلك الأراضى العربية المحتلة ، ولا يعيد سائر الحقوق العربية الإسلامية إلى أصحابها .

٤ — وفى سبيل ذلك يوجه المؤتمر النداء الآتى إلى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية والعربية :

« يوجه علماء المسلمين الممثلون لنحو أربعين قطرا ومجتمعا فى مؤتمرهم المنعقد فى القاهرة ، تحت راية الإسلام ، وفى رحاب الأزهر فى الدورة السابعة للمؤتمر العام لمجمع البحوث الإسلامية » .

يوجهون نداءهم هذا إلى الملوك والرؤساء للدول الإسلامية والعربية ، أن يتخذوا موقفاً حازماً إزاء الاعتداءات الصارخة من إسرائيل ، على الأقطار الإسلامية والعربية فى صور من الوحشية والهمجية ، لم تجرؤ إسرائيل على اقترافها

إلا بسند من دول تمدها بالمال والسلاح والتأييد وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية التى أيدت عدوان إسرائيل واستعملت « الفيتو » ضد قرار يمنع تكرار العدوان .

وآخر هذه الاعتداءات البشعة ، هو العدوان على سورية ولبنان ، مما حرك مشاعر البشرية فى جميع أنحاء العالم .

ونحن فى مؤتمرنا هذا نتوجه إلى أصحاب السلطة الشرعية فى البلاد الإسلامية والعربية ، بحق ما لهم من ولاية ، وبحق مالنا من نصيحة يأمرنا بها الإسلام - أن يوحدوا كلمتهم ، ويعدوا اعدتهم ، ويجمعوا قوام ، ومواردهم ، لمجابهة العدو ، وأن يستعملوا حقوقهم ضد مصالح المؤيدين لإسرائيل ، فى بلادنا .

وأن يستخدموا ما منح الله بلادهم من أسباب القوة الرادعة للدول المؤيدة لإسرائيل استخداما يؤكد أملنا فيهم ، ويحقق مصلحة أوطاننا المهددة ويبرهن للمعتدى ومناصريه أن دماء المسلمين والعرب لن تذهب هدرا .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

ثالثاً : تحية دولة اتحاد الجمهوريات العربية والوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا :

يحيى المؤتمر الخطوات الموفقة التى قام بها بعض الرؤساء المسلمين والعرب فى سبيل جمع الكلمة على أسس دستورية عملية ، فى صورة اتحاد ووحدة بين دول عربية إسلامية .

فيحيى تحية صادقة دولة اتحاد الجمهوريات العربية بين مصر وليبيا وسوريا .

ويحيى كذلك تحية خالصة إعلان الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا ويحيى المؤتمر دول الاتحاد والوحدة على ما نصت عليه فى دساتيرها من أن دين الدولة هو الإسلام ، وعلى أن الشريعة الإسلامية مصدر أساسى للتشريع فيها .

ويهيب المؤتمر بسائر الدول التى يتألف سكانها من مسلمين أو من أغلبية مسلمة أن تحقق الكرامة الإسلامية بالنص فى دساتيرها على أن دين الدولة هو الإسلام ، وعلى أن الشريعة الإسلامية هى مصدر التشريع فيها .

مع الأمل الصادق أن تكون هذه الخطوات معالم واضحة على طريق الوحدة الشاملة للعرب ، والرابطة

الجامعة للمسلمين جميعا، يوحد أهدافهم السياسية والاقتصادية والفكرية، ويحفظ لهم كيانهم تحت لواء الإسلام.

رابعا: عن الدعوة الإسلامية:

يوصى المؤتمر الحكومات والشعوب والهيئات الإسلامية بما يلى:

١ – التوسع فى إنشاء المراكز الثقافية فى المجتمعات التى تحتاج إليها لإرشاد المسلمين وتبصيرهم بشئون دينهم، وتطهير العقائد مما يكون قد علق بها من شوائب الباطل والخرافات.

٢ – التوسع فى المنح الدراسية بمستويات التعليم المختلفة لأبناء المجتمعات الإسلامية التى من الخير لها أن يتلقى بعض أبنائها العلم فى المعاهد الإسلامية الكبرى فى البلاد القادرة على تقديم هذه المنح.

٣ – تطوير أساليب الدعوة لتكون جديرة بتحقيق هدفها، فى أسلوب عصرى ملائم لكل بيئة ومجتمع.

٤ – توصية الحكومات الإسلامية أن يكون فى سفاراتها – فى البلاد التى تستحق رعاية روحية – ملحق يحمل رسالة الإسلام لمن يريد أن ينتفع بها.

٥ – يوصى المؤتمر مجمع البحوث الإسلامية أن يتخذ خطوات فعالة لتنسيق الجهود المشكورة التى تقوم بها عدة هيئات فى سبيل خدمة الإسلام والمسلمين.. وذلك:

(ا) بالتنسيق بين مختلف الهيئات والمكاتب التى تدعو إلى الإسلام.

(ب) بالتنسيق بين المؤتمرات الإسلامية المتعددة بالاتصال فى سبيل ذلك بمؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية.

٦ – يوصى المؤتمر الدول والمجتمعات الإسلامية بتعميم التربية الدينية فى مناهج الدراسة فى التعليم العام.

٧ – كما يوصى بإنشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم، والسنة النبوية لأبناء المسلمين وبناتهم مع دراساتهم المختلفة.

٨ – دعوة وسائل الإعلام فى البلاد الإسلامية صحفا وإذاعة مسموعة ومرئية، والسينما والمسرح إلى الاهتداء بالمبادىء الإسلامية القويمة، ورعاية القيم الأخلاقية الرفيعة التى تبنى حياة الشعوب اليقظة الناهضة، وخصوصا أطفالها وشبابها، بحيث لا تحرم قراءها وسامعيها ومشاهديها من المتعة الفنية والفكاهة الجميلة، والترويح عن النفس، من غير أن تشتمل على ما يؤدى – من غير قصد – إلى خدمة أغراض الصهيونية والاستعمار فى هدم أخلاقنا وتضييع قيمنا.

٩ — إلى أن يتحقق تنفيذ قرار المجمع فى مؤتمره الخامس الذى يوصى بتأليف هيئة إسلامية عالمية ، تشرف على طبع المصاحف قبل صدورها - يوصى المؤتمر الحكومات الإسلامية بأن لا تسمح بطبع المصحف الشريف أو إعادة طبعه أو تداوله ، إلا بعد اعتماد ما يقدم لطبع النص المقدس من هيئة دينية على أعلى مستوى لديها .

وأن تعاقب من يصدر طبعات مخالفة للنص المعروف .

١٠ — فى الوقت الذى يشكر فيه المؤتمر إذاعة جمهورية مصر العربية على استجابتها لتوصية المؤتمر الخامس بتقوية محطة إذاعة القرآن الكريم، يعود بتكرار التوصية بزيادة تقويتها لكى تسمع فى جميع أنحاء العالم الإسلامى .

١١ — يوصى المؤتمر الحكومات الإسلامية أن تعنى عناية خاصة بمناهج المعاهد الدينية ، بحيث لا تقتصر على تدريس العلوم الشرعية ، بل تشتمل كذلك على تدريس اللغة العربية وآدابها ، تدريسا يمكن طلابها من الفهم الدقيق للعلوم الشرعية .

١٢ — يؤكد المؤتمر ماسبق له من توصية بأن تكون اللغة العربية (وهى لغة القرآن الكريم والدين) لغة تدرس فى مدارس البلاد الإسلامية غير الناطقة بالعربية .

خامسا : فى الاقتصاد :

يعلن المؤتمر :

١ — أن الاقتصاد الإسلامى نظام متميز عن غيره من المذاهب الاقتصادية ، يقوم على أصول ثابتة ، أوردتها نصوص كلية فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، تكفل الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية وتوجب السعى فى الحياة بالعمل الفكرى والبدنى ، وتحمى الكسب الحلال ولا تحد من حرية السعى أو الكسب أو الابتكار إلا بالالتزام بأوامر الشريعة ، وما تقتضيه من حماية مصالح الجماعة مع ملاحظة بأن لكل قطر أن يطبق من التنظيمات والتطبيقات الاقتصادية المنبثقة عن هذه الأصول الثابتة ، ما يوافق حاجته وظروفه .

٢ — ويوصى المؤتمر الجامعات والمعاهد العلمية فى الدول الإسلامية أن تهىء الوسائل وتنشىء الكراسى العلمية لتدريس النظام الاقتصادى فى الإسلام ، والنظم المترتبة عليه ، كما تقتضيه ظروف البيئة الخاصة ؛ حتى يكون رجال الاقتصاد فى بلادنا على علم باقتصاد دينهم ليتحرروا وتحرر بلادهم من ربقة الاقتصاد الأجنبى .

٣ — يوصى المؤتمر القائمين على مشروع البنك الدولى الإسلامى بالإسراع بإنشائه.

٤ — يوصى المؤتمر مؤتمر وزراء الخارجية للعالم الإسلامى أن يعمل على إنشاء منظمة مالية إسلامية تسهم فيها كل دولة بما يجب شرعا فى الركاز المستخرج من الأرض ، من بترول ومعادن وغيرها ، لتستخدم هذه الأموال فى تمويل مشروعات التنمية الزراعية والصناعية فى البلاد الإسلامية الفقيرة ، بالقرض الحسن أو غيره من النظم الاقتصادية التى يقرها الإسلام ، وذلك تحقيقا لمبدأ التكافل الاجتماعى الذى أمر به الإسلام ، لا بين أفراد المجتمع الواحد فحسب ، بل بين جميع المجتمعات الإسلامية من حيث هى وحدة متكاملة .

٥ — يوصى المؤتمر أن يستكمل مجمع البحوث الإسلامية دراسة ما كان موضوعا أمام المؤتمر عن موضوع شهادات الاستثمار ، والإيداع فى صناديق الادخار ويعلن رأيه للعالم الإسلامى .

سادسا : بشأن المجتمعات الإسلامية التى تعيش فى دول غير إسلامية :

يوصى المؤتمر بأن يؤلف المجمع لجنة دائمة تعنى بشئون المسلمين التى تعيش فى دول غير إسلامية عموما ، وتستعين فى ذلك بكل من يمكن الاستفادة به فى هذا السبيل من أعضاء المجمع أو من غيرهم .

وأن تكون الصدارة فى أعمال هذه اللجنة لأحوال المسلمين فى الفلبين وقبرص وبلغاريا وزنجبار وأريتريا .

البلاد الإسلامية التى تحتاج إلى المعونة.

١ — وردت برقية إلى المؤتمر تضمنت إحراق الجامعة الإسلامية الوحيدة بالفلبين.

« يعلن المؤتمر أسفه لهذا الحادث الأليم ، ويوصى الحكومات والهيئات والشعوب الإسلامية بتقديم المعونة اللازمة لتجديد الجامعة ، وتمكينها من مواصلة رسالتها فى خدمة الفكر الإسلامى والدعوة الإسلامية » .

٢ — يوصى المؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بمساعدة المسلمين فى البلاد التى تحتاج إلى المعونة وإمدادهم بحاجاتهم من المطبوعات ومن الأساتذة والدعاة ، وغير ذلك من وسائل تحقيق النهضة الثقافية الإسلامية ، ونشر الوعى الدينى واللغة العربية

سابعا : بشأن طلب الجالية الإسلامية فى النمسا .

يوصى المؤتمر مجمع البحوث الإسلامية أن يدرس الاقتراح المقدم من مندوبها ويصدر فيه فتوى .

قرارات وتوصيات
الفترة الثـــانية للمؤتمر

فى ظل العناية الإلهية ، وتحت لواء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وفى رحاب الأزهر الشريف ، وتحقيقا لأهداف مجمع البحوث الإسلامية .

انعقد المؤتمر السابع للمجمع فى فترته الثانية ، برياسة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الأزهر ، وبحضور أعضاء المجمع من جمهورية مصر العربيـــة ومن البلاد الإسلامية الشقيقة ، ودامت جلسات اجتماعه من يوم الاثنين العاشر من شعبان سنة ١٣٩٢ هـ - الثامن عشر من سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٧٢م ، إلى يوم الأربعاء السادس والعشرين من شعبان سنة ١٣٩٢هـ الرابع من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٢ م .

وكان المؤتمر قد اهتم فى فترته الأولى بدراسة موقف المسلمين من محنة فلسطين وعدوان إسرائيل على أراضى البلاد الإسلامية العربية ، وبدراسة الدعوة الإسلامية وتوحيد كلمة العالم الإسلامى فى أهدافه ، وبمناقشة أوضاع المسلمين فى البـلاد التى يمثلون فيها أقليـات ، وبدراســـة بعض النظم الاقتصادية الحديثة لتحديد رأى الإسلام فيها .

وفى الفترة الثـانية خصص المؤتمر جلساته لمجموعة أخرى من الدراسات الإسلامية ، تابع فيها بعض ما عرض فى الفـــترة الأولى ، وأضاف إليه بحوثا أخرى .

فألقيت فيه ، ونوقشت ، البحوث الآتية :

واجب المسلمين نحو بيت المقـــدس وإسرائيل كركيزة للاستعمار بين المسلمين ، وملامح المجتمع المثالى فى الإسلام ، وكيف يتكون المسلم فى ظل مناهج الإسلام ، والتربية الدينية التى يحتاج إليها العـالم الإسلامى المعاصر ، وجمع القرآن الكريم وثبوته بالقطع واليقين ، وشركات التأمين من وجهة نظر الشريعة الإسلاميـة ،

وعرض ما تم بشأن الدرسات السابقة فى مؤتمرات المجمع عن موضوع التأمينات ، وحكم الربا فى الشريعة الإسلامية ، وبعض الأسس الاقتصادية التى تقوم عليها المصارف المصرية، والولاية المقيدة للسلطة العامة فى الإسلام .

ويبدأ المؤتمر توصياته بتأكيد ماقرره فى فترته الأولى من الدعاء إلى الله تعالى أن يبارك الخطوات الموفقة التى سارت بتحقيق اتحاد الجمهوريات العربيـــة ، وبإعلان الوحدة الاندماجية بين جمهورية مصر العربية ، والجمهورية العربية الليبية .

أولا : بخصوص فلسطين :

١ — يوصى المؤتمر أن تجمع المخطوطات التى تؤرخ لبيت المقدس حيثما توجد لتنشر نشراً علميا يطلع عليه العالم الإسلامى ، وسائر من يهم المسلمين اطلاعهم على تراثنا المقدس .

٢ — يوصى المؤتمـــر بطبع بحث « إسرائيل كركيزة للاستعمار بين المسلمين » فى كتاب مستقل مع ترجمته إلى اللغتين : الإنجليزية والفرنسية .

٣ — يرحب المؤتمر بترجمة كتاب « يقظة الأمة العربية » للسيد نجيب عازورى إلى العربية ، ويوصى المؤتمر بأن يعمل مجمع البحوث الإسلامية على إعادة نشره باللغة الفرنسية وترجمته منها إلى الإنجليزية ، وأن يضاف إلى هـذه الطبعات تعليقات كافية ، بما يحتاجه التطور الزمنى للقضية العربية .

ثانيا : بخصوص التربية الدينيـــة والقرآن الكريم :

١ — يوصى المؤتمر جميع الجهات الرسمية القائمة على إعداد مدرسى التربية الدينية ، ببذل مزيد من العناية فى إعداد معلم التربية الدينية . وأن تعنى بالتربية الدينية علما وسلوكا .

٢ — يوصى المؤتمر القائمين على التعليم الدينى فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بالعناية الجادة بتحفيظ القرآن الكريم للنشء المتعلم . وقد أحال المؤتمر هـذا الموضوع على لجنة من أعضائه لدراسته وتقديم اقتراحاتها للمجمع .

ثالثا : بخصوص الاجتهاد فى النظم الاقتصادية الحديثة :

قرر المؤتمر إحالة قواعـــد تنظيم الاجتهاد الجماعى والفردى إلى لجنة

البحوث الفقهية بالمجمع لتحديدها ، على أن ينضم إليها من يرى من أعضاء المجمع مشاركتها فى ذلك ، وكذلك من ترى الاستعانة برأيه من غيرهم من الخبراء .

ثم بعد إقرار هذه القواعد تدرس للموضوعات التى قرر المؤتمر إحالتها عليها فى فترته الأولى ، وكذلك الموضوعات الآتية التى أحالها عليها فى فترته الثانية ، وهى :

بعض الأسس الاقتصادية التى تقوم عليها المصارف المصرية ـ التأمينات ـ شركات التأمين من وجهة نظر الشريعة الإسلامية ـ حكم الربا فى الشريعة الإسلامية .

• • •

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

(بقية المنشور على ص ٦٧٥)

الإسلامى الذى يبدو فى نظره أنه سيسود عالم المستقبل ؛ لأنه أسلوب كامل للحياة يحقق كافة المزايا ويتجنب كافة المساوئ .

وهذا هو المستشرق الفرنسى (رايموند شارل) يعلق سنة ١٩٦٩ على رسالتنا المقدمة باللغة الفرنسية للحصول على دكتوراه الدولة بعنوان (دراسة لاشتراكية الإسلام ومشكلة تخلف العالم الإسلامى) فيؤكد بدوره أن الإسلام رسم طريقا متميزا للتقدم ، فهو فى مجال الإنتاج يمجد العمل ويحرم كافة صور الاستغلال ، وفى مجال التوزيع يقرر قاعدتى « لكل تبعا لحاجته » كحق إلهى مقدس تكفله الدولة لكل فرد بغض النظر عن ديانته أو جنسيته و « لكل تبعا لعمله » مع عدم السماح بالتفاوت الشديد فى الثروات والدخول .

هذا ونلمس اليوم لدى بعض المستشرقين إلحاحا فى ضرورة العودة إلى الإسلام وإلى دراسة قواه الكامنة ، خاصة السياسية والاجتماعية والاقتصادية منها ؟

د . محمد شوقى الفنجرى

أضواء على المؤتمر

هذا المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية الذى بدأ انعقاده فى صبيحة اليوم الأول من شعبان هذا العام والموافق لليوم التاسع من سبتمبر عام ١٩٧٢ ، سبقته ستة مؤتمرات قبله ، فقد انعقد المؤتمر الأول فى يوم السبت ٢٣ من شوال عام ١٣٨٣ هـ الموافق ٧ مارس ١٩٦٤ وحضره أكثر من ثمانين عالما يمثلين لأربعين دولة، وكانت البحوث الإسلامية التى ألقيت فى الفترة الأولى زهاء عشرين بحثا، واتخذت فى هذا المؤتمر عدة قرارات وتوصيات لها أهميتها، والواقع أن المؤتمر الأول كان بمثابة استكشاف لأحوال الإسلام ، واستبانة لقضايا المسلمين ومشكلاتهم ، ليس هذا وحسب؛ بل كان أيضا نقطة انطلاق إلى ما بعدها .

وبالرغم من الإمكانيات المحدودة والمتواضعة معا ، فإن هذه المؤتمرات استطاعت أن تفعل شيئا ولا نقول إنها استطاعت أن تفعل كل شيء. فبالرغم من أنها بلغت فى هذا العام سبعة مؤتمرات ، إلا أن آمال الإسلام والمسلمين فى هذه الظروف العصيبة أكبر من أن تحققها سبعة مؤتمرات ذات إمكانيات محدودة ومتواضعة . وهذا لم يحل أن هذه المؤتمرات استطاعت أن تفعل شيئا بل أشياء :

● استطاعت - مثلا - أن تربط أذهان الشعوب المسلمة بها وأن تنبه هذه الأذهان إلى المشكلات العديدة المعقدة التى لايزال الإسلام يعانى وشعوبه الكثير منها ، معاناة تتحول فى الأعماق إلى آلام مبرحة وفى الصدور إلى أنات مكبوتة وفى الأعين إلى دمعات حزينة .

● واستطاعت هذه المؤتمرات - ثانيا - أن تبرز إلى حيز الوجود قضية التحديات العنيفة التى يواجهها الإسلام مصوبة إلى عقيدته ، وتواجهها الشعوب المسلمة مصوبة إلى وجودها .

● واستطاعت هذه المؤتمرات - أيضا - أن تحرك فى مشاعر المسلمين مأساة الأقليات المسلمة التى تضطهدها الأكثرية غير المسلمة ، والأكثرية المسلمة التى تضطهدها الأقلية غير المسلمة

● وأخيراً وليس آخرا ، استطاعت هذه المؤتمرات ، أن تضع على بساط البحث والمناقشة قضايا ترتبط بحياة المجتمعات الإسلامية ، قضايا استحدثت فى شئون السياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها ..

* * *

أجل ، لقد سبق هذا المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية ستة مؤتمرات كان لها شأن أى شأن ، لكن المراقب لهذه المؤتمرات الستة السابقة والمتابع لها، لا يسعه إلا أن يعترف بأن هذا المؤتمر السابع كان جديراً بأن يلفت الأنظار إليه، أنظار الذين شهدوا جلساته وأنظار الذين سمعوا عن جلساته ، لا لأن جلساته فى هذه المرة بلغت درجة كبرى من الحرارة وحسب ، بل أيضاً ، لأن كثيراً من النقط قد وضعت — ربما لأول مرة — على الحروف ، وكان يجب أن توضع على الحروف ، ولست مبالغاً إذا قلت : إن كثيراً من الكلمات التى ألقيت بحرارة فى جلسات الفترة الأولى قد حركت فى مستمعيها المشاعر وهزت الأعصاب وأثارت الخواطر ..

إن كلمة الإمام الأكبر الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر فى الافتتاحية ، كانت بمثابة الشرارة الأولى التى انطلقت مدوية فى جرأة وصراحة، فقد أشار فضيلته إلى أن أحداث التاريخ عبر أربعة عشر قرنا توالت على تصديق قول الحق - تبارك وتعالى - «ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا .. » ، لذلك وجب علينا أن نكون دائماً على يقظة مسترشدين بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم .... » .

وإزاء ذلك يجب التصدى للذين يتصيدون المسلم البعيد عن الثقافة الإسلامية ، أو الواقع تحت ضغط الفقر والحرمان ، لصده عن دين الله ، عن طريق إثارة الشبهات المختلقة الباطلة ، لإخراج الناس من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر ، منتهزين انشغالنا بمواجهة العدوان الصهيونى ، باذلين فى سبيل ذلك طائل المال ، وأحابيل الشيطان .. !

وأثار فضيلته مأساة المسلمين فى الفلبين وندد بتلك الطائفة من الكاثوليك

المنتسبة زورا إلى المسيح ، فدأبت على الفتك بالمسلمين هناك على مرأى ومسمع من حكومتهم ، بل تجاوزت حد الفتك إلى التمثيل بالمسلمين أحياء وأمواتا ، وقال فضيلته : لقد احتججنا فى العام الماضى لدى رئيس الدولة والاحتجاج أضعف الإيمان - فلم نجد أثرا لهذا الاحتجاج ، ولا رفعا لهذا الظلم الفاحش .

وقال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر :

« علينا أن نقيم حد السرقة ، بعد أن فشلت كل العقوبات الوضعية ، وإن دولة إسلامية كالسعودية التى قامت بواجبها فى إقامة هذا الحد ، يعيش أهلها آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وصدق الله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » فهل بعد هذا النص الصريح من تأويل ؟ هل من حضارة القرن العشرين أن نعطل كتاب الله وسنة رسوله مجاملة للصوص وأنصار اللصوص؟ ومثل هذا يقال عن حدود الله الأخرى .

وألقى فضيلة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان كلمة الوفود ، وبعد أن أشاد بدور الأزهر الشريف فى مواجهة التحديات المسلطة - دون هوادة - على الإسلام والشعوب المسلمة ، أثار نقطة على جانب من الأهمية ، أشار إلى أن عديدا من مشاكل العصر قد سبق طرحه فى المؤتمرات السابقة بجد وموضوعية من مختلف العلماء الأفاضل ، ودارت حولها المناقشات ، لكن بعضها بقى بلا حل جذرى أو أى موقف حاسم ينير للأمة الطريق ويضع لها العلاج ، فإن السرعة المذهلة التى تغير بها وجه العالم لا تحتمل منا الإبطاء والتسويف فى حركة فكرنا الإسلامى المعاصر ، وإن القفزات العلمية الاجتماعية الإنسانية الهائلة ، لم توائمها قفزات مماثلة فى تفكيرنا الدينى ، وهذه هى مهمة المجمع العظمى .

وأشار فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الأمين العام لمجمع البحوث والذى أدار جلسات المؤتمر بحذق ومهارة ، أشاد فى كلمة الافتتاح ، إلى أن أعداء الدعوة الإسلامية يعملون بجد وإحكام من أجل زحزحة المسلمين عن عقائدهم الصحيحة ، ويسلكون إلى ذلك مسالك ظاهرة وخفية ، ويستترون باسم البحث العلمى تارة ، وباسم إقامة حوار أو تقارب تارة أخرى ، كما أنهم حيث يأمنون وتقوى شوكتهم يسلكون طريق العنف والإرهاب بصورة أو بأخرى .

أما فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر، والذى كان نائبا عن السيد رئيس الجمهورية فى جلسة الافتتاح، فقد أشار فضيلته إلى أن الاستعمار قسم الأمة الإسلامية، ووضع حدودا وفواصل بين الإخوة، وأن كل حدود وفواصل فى الأقاليم بين الإخوة، إنما هى حدود وفواصل لا يعترف بها الإسلام: «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون». وإن من الإيمان - إذن - أن نحقق الأخوة الإسلامية على أساس من الأخوة الإسلامية.

هذا مادار فى جلسة الافتتاح التى كانت حارة وجادة بحق، أما فى جلسة المساء، فقد بدأها فضيلة الأمين العام للمجمع بتلاوة نص الخطاب الذى أرسله فضيلة الشيخ عبد الستار السيد وزير الأوقاف السورى الذى يعتذر فيه عن حضور هذا المؤتمر لظروف قهرية، ويشير فيه إلى أنه ليس معنى عدم حضور سيادته أن سوريا ليست ممثلة فيه، بل هى ممثلة بمندوب آخر هو فضيلة الشيخ صالح غبور.

كما نوه الأمين العام باعتذارات بعض السادة أعضاء المؤتمر الذين لم يتمكنوا من الحضور بسبب المرض مع التمنيات لهم بالشفاء والعافية.. ثم وافق المؤتمر على اقتراح الأمين العام: قراءة الفاتحة على أرواح شهداء الثورة الفلسطينية الذين استشهدوا أخيرا فى أوربا.

وتقدم الأستاذ إسماعيل باليتش مندوب المسلمين بالنمسا لإلقاء كلمته، والتى أشار فيها إلى المشكلة التى يواجهها المسلمون فى جمهورية النمسا وكذلك التى يواجهها الإسلام هناك، فقد بلغ عدد المسلمين بالنمسا اليوم ثلاثين ألفا اضطر الكثيرون منهم إلى إلحاق أبنائهم بالمدارس النمساوية وخوفا من ضياع أطفال المسلمين من أن يتنصروا أو يصبحوا ملحدين قدم المثقفون المسلمون هناك مذكرة إلى الحكومة النمساوية يطلبون فيها الاعتراف بالإسلام فعلا وعملا، ورحب المسئولون بهذه الرغبة بشرط الحصول على فتوتين من الأزهر أو من جهة إسلامية مسئولة:

أولاهما: أن لا يعترض الإسلام على وجود قانون مدنى يمنع تعدد الزوجات وأن وجود هذا القانون فى النمسا لا يعد تحديدا للحرية الدينية لأتباع الإسلام.

ويرى الأستاذ باليتش أنه من الممكن إصدار الفتوى بذلك الشأن، لأن تعدد الزوجات شرعا حالة استثنائية، ويمكن

الإفتاء اعتمادا على أحكام الاستحسان أو الضرورة أو منفعة المسلمين العامة، أو على حكم آخر من أحكام الشريعة الإسلامية المعروفة . . وقد حول هذا الاقتراح على إحدى لجان المجمع لإبداء الرأى .

ثانيهما : الفتوى بأنه يكفى لحماية حقوق المسلمين هناك، الاعتراف بمذهب واحد من المذاهب الإسلامية المعروفة سواء أكان المذهب الحنفى أم الشافعى ..؛ إذ لا يوجد - فيما يظن - فروق جوهرية بين المذاهب الإسلامية المشهورة .

وقال فضيلة الأستاذ بودرى هاشم عضو وفد سيلان فى كلمته :

أريد أن أؤكد على الفروق بين المسلمين وغير المسلمين، لأننا أخذنا نفقد شخصيتنا يوما بعد يوم نتيجة لما يتعرض له الإسلام ومؤسساته من دعاية لا تتوقف ، وهجمات متصلة بغير انقطاع من جانب غير المسلمين.

ثم أشار فضيلته إلى الدور الخطير الذى لا يزال يؤديه التبشير الصليبى فى ديار المسلمين، لاستهلاكهم والتشويش على عقائدهم بما يعطون لكتاب الله من تفسيرات تتناسب وأهداف أولئك المبشرين مما يقوض دعائم المثل الإسلامية العليا عند الشعوب المسلمة ، كما أشار إلى أن الحكومات غير الإسلامية وإن كانت لا تلعب دورا مباشرا إلا أنها تقدم المساعدات الفعالة للهيئات التبشيرية لمتابعة سياستها ، وتستخدم وسائل ملتوية لتحطيم الإسلام . . ووعد فضيلته بأنه سيبعث إلى المؤتمر البحث فى صورته الكاملة ، ثم أهدى نسخة مترجمة من القرآن الكريم لتودع مكتبة الأزهر الشريف .

وتلا الأستاذ بودرى عضو وفد سيلان السيد سفيان سالم درامى عضو وفد مالى، فأشار إلى الدور الذى لعبه الإسلام فى إفريقيا وإلى أنه لولا أن أطل الاستعمار بوجهه الكريه فى القرن الخامس عشر على إفريقيا على أيدى البرتغاليين والصليبيين ثم بقية الشعوب الأوربية بعد ذلك ، لكان للإسلام فى إفريقيا اليوم وضع غير الوضع الذى هو عليه الآن ، ولكن وبالرغم من هذا الحقد الصليبى الذى استمرت أوربا تشنه على مسلمى أفريقيا قرابة خمسة قرون - ظلت الحركة الإسلامية تكسب كل يوم نظرا بعيدا ، وظل الناس فى كل مناسبة يدخلون فى دين الله أفواجا .

وفى نهاية البحث قدم سيادته إلى المؤتمر خمسة عشر اقتراحا لعلاج مشكلة

الإسلام والمسلمين تجاه الغزو الفكرى والعدوان الصليبى ، راجيا أن تكون موضع نظر أعضاء المؤتمر.

ثم أعلن فضيلة الأمين العام للمجمع تشكيل أعضاء لجنة الصياغة حتى يمكنها بعد الموافقة عليها أن تمارس عملها فى وقت مبكر وحتى تنتهى من التوصيات والقرارات مع انتهاء آخر جلسة، وكان تشكيل اللجنة من ثمانية أعضاء : الشيخ حبيب بلخوجة (تونس) والشيخ عبد الحميد السايح (الأردن) والشيخ محمود صبحى (ليبيا) ثم الأساتذة : عبد الحليم الجندى ، ومحمد أبو زهرة ، ومهدى علام ، ومحمد أحمد خلف الله (مصر)

ثم تكلم فضيلة الشيخ عبد السلام عظيمى عضو وفد أفغانستان فقال :

إننا قد اجتمعنا هنا لنلقى الضوء على أهم مشاكل الحياة المعاصرة ، لنصل بعد ذلك إلى مناهج علمية موحدة لإحياء تراثنا الإسلامى المتيد ، وتوحيد مساعينا فى سبيل التقدم العلمى والفكرى فى هذا العصر المتفجر بالثورات العلمية والفكرية ومجابهة تيارات الغزو الفكرى التى أحاطتنا من جميع النواحى التى تهدد كياننا الدينى وسلامة أراضينا بين وقت وآخر، ولا شك أن المسلمين اليوم فى شتى بقاع العالم فى أمس الحاجة إلى توحيد كلمتهم ، وأن يكونوا يدا واحدة على جميع من عاداهم به .

أما الأستاذ حسين جوزو مندوب يوغسلافيا ، فقد ألقى كلمة مست شغاف القلوب ، فأشار إلى أننا لانزال نهتم بماضينا أكثر من اهتمامنا بحاضرنا ومستقبلنا وإلى أنه من الخطأ الفادح أن نبرر حالتنا السيئة بالاستعمار وأن نرد إليه كل ما أصابنا من كوارث وهزائم ونكسات ، وإن كنا لاننكر تأثير العوامل الخارجية ، وأن الاستعمار مزق الأمة الإسلامية شر ممزق ، وجعل العالم الإسلامى ينكر بعضه بعضا ، وفعل مافعل بحقده بتراثنا الثقافى والسياسى معا إلا أننا يجب أن نلوم أنفسنا أولا ، فهذا الاستعمار كان نتيجة طبيعية لأمة جهلت نفسها وتنكرت لقيمها واستثقلت تكاليف اليقظة والسعى والجهاد ، إننا فعلنا بأنفسنا أكثر مما فعله الاستعمار بنا وحقيقة أن قصة خروجنا من الأندلس هى قصة خروجنا من فلسطين وسيناء والجولان وغزة ، إنها لم تكن قصة انتصار عدو قوى علينا بقدر ماكانت قصة هزيمتنا أمام أنفسنا .

ثم قدم الأستاذ إمام زركش مندوب أندونيسيا بحثا مستفيضا عن الوضع المؤسف فى بلاده ، وكيف أن التبشير الصليبى لا يزال يقوم بدور خطير هناك وكيف استطاع هذا التبشير أن يؤثر فى الشباب المسلم إلى درجة ترك البعض دينه وقدم كتابا يعرض هذه المشكلة عنوانه «غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا» وطلب السيد رئيس المؤتمر إيداع الكتاب فى أمانة المؤتمر . .

* * *

وفى اليوم الثانى انعقدت الجلسة الثالثة فى الصباح ، وفيها تحدث فضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف عن حكم الشريعة فى شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاث ، وانتهى من بحثه إلى أن هذه الشهادات فيما وصل إليه نظره واجتهاده - جائزة . .

وفى نفس الموضوع قدم الأستاذ الشيخ يس سويلم طه بحثه ، وانتهى إلى ما انتهى إليه سلفه .

ثم أعلن الأستاذ الدكتور الأمين العام للمجمع ورود رسالة وصلت إلى المؤتمر من فضيلة مفتى ليبيا وأنها تتعلق بأمر هام ، وهى تتضمن أحوال المسلمين فى بلغاريا وما يلقونه من اضطهادات هى شبيهة بما يلقاه المسلمون فى الفيلبين ، وعلى أيدى الكاثوليك أيضا .

وفى جلسة المساء ، ألقى الدكتور شوقى الفنجرى بحثا عن ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية ، ثم أعطيت الكلمة للأستاذ رفعت مصطفى مفتى قبرص ، وكانت كلمة صارخة مدوية تناولت مأساة المسلمين فى قبرص ، ذاكرا ما قام به الأروام من تخريب عام فى البلاد ، واغتيال عام ضد جماعة المسلمين ، واعتدائهم على المساجد موضحاً ذلك بصور وزعت على السادة الأعضاء .

ثم أعطيت الكلمة لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ليعقب على بحثى الأستاذ على الخفيف والشيخ سويلم ، فعارض رأيهما وأشاد ببحث الدكتور الفنجرى .

ثم تتابعت جلسات المؤتمر فى الأيام الباقية فى الصباح والمساء ، حيث ألقى عديد من البحوث الجادة فى السياسة والاقتصاد والمشاكل التى يتعرض لها الإسلام والمسلمون فى شتى بقاع الأرض كما دارت فى هذا الصدد كثير من المناقشات المحتدة ، وبخاصة فيما يتعلق بمأساة فلسطين ومسلمى الفلبين وقبرص وبلغاريا

والحبشة ، وكان لكلمة الأستاذ صالح بويصير عن الزحف الصليبي والاستعمار على ديار المسلمين أثرها البالغ في نفوسنا.

وفي يوم الخميس اليوم الختامي للمؤتمر توجهت الوفود إلى استراحة القناطر الخيرية للقاء مع السيد رئيس الجمهورية الذي رحب بهم وألقى فيهم كلمة قوية .

وفي صبيحة يوم الجمعة السابع من شعبان والخامس عشر من سبتمبر لبى أعضاء المؤتمر دعوة السيد محافظ السويس لزيارة الخطوط الأمامية ، وليروا ما فعلته الصهيونية الآثمة بهذه المنطقة من تدمير وحشي ، سيظل أثره صفحة سوداء للصهيونية ومن وراءها لن تمحى من التاريخ ، وهناك ألقى خطبة الجمعة فضيلة الشيخ الشاذلي بلقاضي (تونس) في مسجد الشهداء الذي خف إليه الكثير من الضباط والجنود المرابطين . وتكلم بعد الخطبة والصلاة كثير من المتكلمين : السيد المحافظ مرحبا بالوفود ، والشيخ عبد الحميد السايح ، والشيخ بن الهادي بلخوجة والأستاذ موسى الصــــدر ، والأستاذ عبد العزيز المبارك ، والأستاذ على عبد الرحمن ثم الأستاذ صالح بويصير وزير خارجية ليبيا السابق ، وكانت كلمات الجميع على درجة من الحرارة تليق بجلال الموقف ، وبعد .

* * *

فهذه مجرد أضواء على المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية ، اتسعت له صفحات المجلة المحدودة ، وإن كان لا بد من كلمة أخيرة ، فإن هذا المؤتمر في دورته السابعة قد أرسى وجوده ، فالبحوث والكلمات التي ألقيت ، والمناقشات التي دارت حول أهم المشكلات ، كانت على درجة من الحرارة والقوة ، كذلك كانت التوجيهات والقرارات متسمة بالصراحة والجدية ، ولا ينقصها إلا العمل على التنفيذ ، ولقد أشار الأمين العام للمجمع في مؤتمره الصحفي قبيل انعقاد المؤتمر ، إلى أن المجمع ومؤتمراته لا يملكان إلا التوصية واتخاذ القرارات والسعي جهد المستطاع لتجد طريقها إلى التنفيذ ، ونحن نقول : إن الشعوب المسلمة على عاتقها واجب نحو هذه المؤتمرات وقراراتها وتوصياتها ، أن تضغط على حكوماتها لتجد الكلمات سبيلهـــا إلى التنفيذ والله الموفق ؟

محمد عبد الله السمان

أنباء المؤتمر

● تركزت بحوث المؤتمر - فى دورته السابعة - حول موضوعين رئيسيين .

(١) أحوال المسلمين فى العالم، وقد أوضحت البحوث والدراسات التى ألقيت بالمؤتمر فى الفترة الدولية ما يتعرض له المسلمون فى العالم من محنة عصيبة من القتل والتمثيل والتشريد على صعيد عالمى يبدأ من الفلبيين بأقصى الشرق ويمتد غربا فيشمل بضعة دول فى أوربا منها - على التحديد - :

ألبانيا ، وبلغاريا، وقبرص

(٢) الاقتصاد المعاصر فى ضوء التعاليم الإسلامية ، وقد ألقيت بالمؤتمر - فى نفس الفترة - أربعة بحوث تناولت هذا الجانب فى دراسات فقهية واقتصادية جادة تتجه - جميعا - إلى محاولة وضع الحلول لعدة مسائل اقتصادية منها : الاستثمار وأرباح الإيداع والبديل الإسلامى فى التعامل المصرفى .

● لم يصدر المؤتمر أحكاما بشأن الموضوعات الاقتصادية ، وإنما أحيلت - جميعا - إلى اللجنة الفقهية لمجمع البحوث الإسلامية ، للبحث والدراسة وإصدار حكمها فى ذلك ، وما نشر ببعض الصحف حول هذا الموضوع ليس صحيحا .

● أذاع فضيلة مفتى ليبيا رسالة عن أحوال المسلمين فى بلغاريا مستقاة من:

(أ) أوامر مجلس القيادة العليا للحزب الشيوعى البلغارى .

(ب) صحف الحزب الشيوعى وعلى رأسها صحيفة بيريسكوريلو وصحيفة بابيريفسكوم . وتهدف الحكومة والحزب الشيوعى إلى :

١ - أن يتخلص المسلمون من أسمائهم الإسلامية تماما وإلا منعوا من قيد أسمائهم فى السجل المدنى ، ورفعت أجور العمال من المصانع ، ومنعت الأم المرضعة من صرف مستحقاتها من الجمعيات التعاونية

٢ - منع اللقاءات الدينية الموسعة خوفا من إلقاء الخطب أو المحاضرات الدينية عليهم لما فيها من حثهم على التمسك بدينهم .

وفى يومى ٢٨ و ١٩٧٢/٦/٣٠ صدرت الأوامر بتنفيذ ذلك فى المناطق : سموليا نسكو و بازار جيتشكو و بلاقويفكر اسكا مصحوبة باسم (تريندفيل أورجيف) سكرتير الحزب الشيوعى بمنطقة بياقو ولتعتبر هذه المحاولات ناجحة فى بعض المناطق ، فقد أذاع أورجيف :

« أن مئات المسلمين البلغار قد اتخذوا أسماء بلغارية بحتة ، وفى الوقت القريب سيعلن شعبنا البلغارى المسلم براءته بالقوة من هذه الأسماء وينقطع عن تفهمه الدين ».

وقد عضدت الكنيسة فى أوربا هذا العمل لما فيه من إجبار المسلمين على التخلص من دينهم .

● جاء فى كلمة (إسماعيل باليتش) مندوب مسلمى النمسا :

« أن عدد المسلمين فى تزايد مستمر ، وأنهم بلغوا نحو ثلاثين ألف نفس، وقد رفع مسلمو النمسا مذكرة إلى حكومتها طلبوا فيها الاعتراف بالكيان الإسلامى فى النمسا ليمارس المسلمون حياتهم فى إطار إســـلامى » .

● آخر إحصائية عن انتشار الإسلام والنصرانية بين الوثنيين فى إفريقيا تؤكد أن نسبة انتشار الإسـلام إلى النصرانية هى ٨٧ مسلم إلى أفريقى واحد .

الإحصائية نشرتها مجلة الكريستيان سانيس مونتيور .

● طالب الشيخ موسى إبراهيم إمام مسلمى (تشاد) الأزهر الشريف بإمداد مسلمى تشاد بالزاد الثقافى الإسلامى فى ثوبه المناسب للعصر . وبالأساتذة القادرين على سد حاجة مسلمى تشاد من اللغة العربية والشريعة الإسلامية. وقال :

قد ورثنا تركة مثقلة وجيلا لا يعرف من الإسلام إلا اسمه منقطعا عن تراثه الروحى وثقافته الإسلامية (يشير إلى نتيجة الاستعمار الفرنسى الطويل لبلاده) مما جعلنا الآن فى وضع إن لم تتوحد الجهود لعلاجه وإصلاحه فإن المستقبل محفوف بأشـــد الأخطار وأقساها . ثم أضاف :

إننا نتطلع إلى اليوم الذى نرى فيه مركزا ثقافيا إسلاميا يقود حركة البحث الإسلامى فى تشاد ويصل ما انقطع بين هذه البلاد المسلمة وبين أخواتها فى الدين والعقيدة .

● طالب السيد مسعود صـــالح

أبو بصير بضرورة تأييد المسلمين المجاهدين في إريتريا وزنجبار ، والبلدتان تتعرضان لحملات صليبية تستهدف إبادة المسلمين فيهما منذ وقت بعيد .

● يرى فضيلة الإمام الأكبر - رئيس المؤتمر - إن إيمان أعضاء المؤتمر بإيجابية القرارات والسعى بها لدى حكوماتهم وشعوبهم كفيل بتحقيق هذه القرارات. كذلك يضعها موضع التنفيـــذ وجود ميزانيـــة تفي بحاجات التبليغ والنشر والدعوة .

● أعلن الدكتور رفعت مصطفى مفتي قبرص : أن الاستعمار البريطانى للجزيرة ألغى الأحكام الشرعيـــة التى كانت سائدة فى الجزيرة مما أدى إلى ضعف قوى المسلمين فيها . اه .

ولا يزال المسلمون حتى اليوم معرضين فى قبرص لحملات الإبادة بشتى أنواع التخريب فى المساجد والمنازل، والتضييق على المسلمين مستمر لحملهم على ترك البلاد.

● أذاع الأمين العـــام للمؤتمر د . محمد عبد الرحمن بيصار أنه قد تم طبع المشروع التمهيدى لتقنين المذاهب ، وذلك لإبداء وجهات النظر فيه قبل أن يأخذ صيغته النهائية .

ويبدأ فى المرحلة القادمة وضع القانون الإسلامى الموحد الذى تختار مواده من بين المذاهب الفقهية المعروفة ؟

على الخطيب

(ليـلة القـــدر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من قام ليلة القدر إيمـانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وعن عائشة أنها قالت : « قلت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » .

scattereth in the earth are portents for a folk whose faith is sure" (45:3).

In other verses, God urged people to consider the manifestations of the universe and the creations of God :

1 — "In the creation of the heavens and the earth, and the difference of night and day, and the ships which run upon the sea with that which is of use to men, and the water which Allah sendeth down from the sky, thereby reviving the earth after its death, and dispersing all kinds of beasts therein and the ordinance of the winds, and the clouds obedient between heaven and the earth : are signs (of Allah's sovereignty) for people who have sense" (2 : 164).

2 – "Have they not then observed the sky above them, ho We have constructed it and beautified it, and how there are no rifts therein? And the earth have We spread out, and have flung firm hills therein, and have caused of every lovely kind to grow thereon. A vision and a reminder for every penitent slave"(50:6)

3 — "Verily, We have created man from a product of wet earth, then placed him as a drop (of seed) in a safe lodging then fashioned We the drop a clot, then fashioned We the clot a little lump then fashioned We the little lump bones, then clothed the bones with flesh, and then produced it as another creation. So blessed be Allah, the Best of Creators.

Then Lo ! after that ye surely die. Then Lo ! on the Day of Resurrection ye are raised (again)" (23 : 12-16).

4 — "And Allah have brought you, forth from the wombs of your mothers knowing nothing and gave you hearing and sight and hearts that haply ye might give thanks" (16 : 78).

5 – "Let him consider his food: How We pour water in showers then split the earth in clefts and cause the grain to grow therein and grapes and green fooder, and clive-trees and palm-trees, and garden-closes of thick foliage, and fruits and grasses : Provision for you and your cattle" (80 : 24-32)

(to be continued)

Features of the Ideal Society in Islam

By

Prof. ABDEL HAMID HASSAN

Member of the Academy

In the ideal society, the individual derives happiness as a member of the community. Such society must be pervaded with understanding, sympathy, cooperation, social interdependance, justice, equality, freedom of speach and work within the limits of law governing life and preventing injustice and aggression.

Consequently, the whole nation will be prevaded with happiness, satisfaction and peace will turn to God with good hearts and work for both the present life and the next.

Islam has drawn for this the best road and provided the individual, the family, the community and all mankind with education based on sound approach. We shall state briefly the bases upon which Islam established the means for promoting all factore :

1 — The Individual :

The most important bases for education of the individual are concentrated in the attention paid to development of his mind, conscience and to implant strong faith in his heart.

In educating the mind, Islam pursues an instinctive approach that is characterized by sound educational methods. In so-doing it lays down a wise plan which should be followed by the educators as it is the best way for guidance. Islam resorts to the senses for education, that is, directing the senses, especially hearing and sight, to two basic aspects in the vital sphere of men namely :

1 — The examples set forth by God on earth and elsewhere.

2 — The potential power of man and its secrets.

The Quran referred to this in God's saying which means : "And in the earth are portents for those whose faith is sur, and in yourselves Can ye then not see ? " (51 : 20). And : "We shall show them our portants on the horizons and within themselves". (41 : 53) And : "Lo ! in the heavens and earth are portents for believers. And in your creation and all the beasts that He

in the United States of America, in Argentina, Canda and Chile. These centres also supply the Afro-Asiatic literature on the Islam written in English, French and Spanish language.

The most important Muslim periodical publications in Europe of today are : the "Glasnik Islamske Zajednice" (Bulletin of the Islamic Community of Yugoslavia, Serajevo), Preporop (al-Ba'th al-Islami, Sarajevo), Zemzem (Sarajevo), The Islamic Review (Woking - London), The Muslim Student (London), Impact (London), La Pensée chitte (Parise), Der Islam (Frankfurt am Main, organ of the Qadiani-Ahmadiyya, sectarian), Al-Muhagirun (Munich, organ of the ministry of Muslim refugees), Die Stimme des Islam (Berlin), the book-series "Muslimische Bibliothek" (Vienna) and "Der Gerade Weg" (as-Sirat al-mustaqim, organ of the Muslim Social Service in Vienna).

All the mentioned endeavours towards consolidation of the Islamic religious life in the West will remain a drop in the Ocean as long as the Islam has not been accorded legal recognition in the western world. The Academy of the Islamic Research should make the fight for this recognition one of its first and foremost tasks. The Moslems in the Christian Occident, where there is so much takl of the ecumenticity of all the revelation religions, must at long last be granted those very rights which the Christian communities in the Islamic regions have been enjoying as a matter of course for many years. As long as this basic condition has not been satisfied, all talk of ecumenticity is a mere farce.

I appeal to this year's session of the Academy to incorporate a corresponding passage in its final resolution, and to inform the Islamic world opinion of the plight of the Muslims in the western diaspora. Any effective help will be gratefully acknowledged by the Muslims in these countries. *(1)*

---

(1) From his paper presented to the Seventh Conference of the Islamic Research Academy.

In Spain, as is well known, Muslims are even denied a mosque. All these cases are anachronisms of our time that could well be eliminated by the concerted efforts of conscious Christians, Jews and Muslims.

Apart from the developments in Jugoslavia, the most earnest endeavours made in the West in the Qustion "Islamic Education" are those recorded in a number of English cities, also in Paris and Marseille, as well as in Munich and Nurnberg where official Imams are at work who are also responsible for the religious tuition of the children. In Germany, for instance, although there is no Islamic religious tuition in the schools, the two refugee Imams of Munich and Nurnberg give private tuition and organize annual Summer camps for Muslem children in which religious tuition is given a promininent place.

The mosques and centres of the sectarian Ahmadiyya - movement in Europe and America do quite a lot to further religious education, but I believe their work concentrates more on adults. Such mosques exist in London, Zurich, Frankfurt a Main, Hamburg, Den Haag and Copenhagen. The mosques of the Lahore-group of the Ahmadiyya at Woking and Berlin have contributed valuable work in the past decades. An exceptionally gratifying chapter in the history of Islamic development in the West is the work by the Islamic Centre at Hamburg, set up and run by Shiitic Muslims whose Imam is increasingly concentrating on the education and care of the young.

To round off the picture drawn in this brief paper which makes no claim to completeness, it should be mentioned that the Islamic press in the West also contributed to the education of the children, although her readership is hardly recruited among the children; the influence however, may well be of an indirect nature, with interested parents as the intermediaries.

In America this press consists in a few books on the Islam written by the local Muslim intellectual leaders such as the Albanian Imam Ismail Wehbi at Detroit, the Head of the Islamic Centre at Whshington Dr. Muhammad 'Abdarra'uf, Prof. Dr. 'Abdarrashid Reichert (University of Sao Paolo in Brazil), and many others. Nor should one forget in this connection the tmportant publications of the very active muslim Student Federation and of the Association of the Muslim Scholars of the U. S. A. and Canada, the Moslem Religious and Cultural Home at Chicago and a few other centres

for all pupils of the elementary and secondary grade, i.e. primary, secondary and grammar schools. For the Muslims, religion was taught by well-trained teachers. In the grammar, schools, Muslim religious instruction was usually in the hands of qualified university graduates. Apart from religious worship (Ibadat), the curriculum provided 2-3 periods per week in dogmatics (Aqaid), ethics (Akhlaq) apologetics (Ilm al-kalam) and history of the Islam during the 4 or 12 years respectively of school education. Excellent textbooks written by eminent experts were available, such as the catechisms for the primary grade by Sulejman Mursel and Hamdija Mulic, the manual of apologetics by Muhamed Handzic, a graduate from the Al-Azhar University at Cairo, the book on worship and jurisprudence (fiqh) by Muhamed Serdarevic, Ethics by Saban Hodzic and the History of the Islam by Besim Korkut.

The change in political circumstances in the post-war years brought the collapse of the entire system of religious education in Jugoslavia, a similar situation to that in all of eastern Europe. Religious tuition in restricted form was relegated to the mosques. Up to recent years, the authorities prohibited any form of education in houses of worship. In the meantime these rules have been considerably relaxed and there are signs of consolidation of religious education.

In Jugoslavia as in the entire western world, the part played by parents in the religious educstion of the children has greatly diminished. Anyhow, most parents lack the necessary educational standards. In addition, the general rhythm of living and the fascination the mass-media exercize on the general public nip the best of resolutions in the bud. It is a great disadvantage that, throughout the West, Islam is not given voice in the massmedia. On the other hand it is not surprising that the best performances in religious education could be achieved on the country where western civilization and the resultant secularization have not yet gained overriding influence, and where people are still conscious of their ephemerality.

An enormous obstacle for organized Islamic education on the European continent lies in the circumstance that, with the exception of Belgium, no country recognizes Islam by law as a religious community within the meaning of a church protected by the state. Thus Muslims cannot provide religious tuietion for their children at schools

The Islamic Educational System In The West

By : Dr. ISMAIL BALIC *(Vienna)*

The characteristic features of the Islamic educational system in the West are its internal unbalance and fragmentariness. The reasons therefore are to be found in the very history of the formation of Muslim communities. There is a lack of tradition, no exchange of experience, virtually no financial means and, first and foremost, no central, systematic and purposeful administration. This education sometimes gives the impression of hopeless amateurishness. Improvisation is predominant. There is a shortage of teachers qualified in religion and pedagogics. Nor are there any examples of high-principled, eminent Islamic personalities who were successful in estblishing the all-important sysmbiosis of the western and Islamic educational ideals. Thus the Islamic educational system in the West – and if I say West I mean Europe in particular, — is in a sorry state.

However the situation has not always been so depressing; just think of the former flourishing educational system of the Arabs in Spain. Also the largest indigenous Islamic community in Europe, that of Jugoslavia, could pride itself of the notably high standard of its religous education. As in this particular case a long tradition plays a part in the development of the forms of education, I should like to dwell on the Jugoslav example at some length.

Prior to 1946, the religious education of children of pre-school age was provided in 2-year courses run on school principles, so-called Mektebs. Here the children were introduced to the principles of Islam, were taught the articles of faith and prayers, and were acquainted with Arabic writing, the prerequisite for reading the Quran in the original. The children also learnt the social behaviour and basic requirements of ethics. Maktebs for girls also taught handicraft and were often attended by older children (between the ages of 7 and 14).

Religious instruction in the kingdom of Jugoslavia was compulsory

Appeal
To World Public Opinion and the U. N. Commission on Human Rights

The Seventh Conference of the Islamic Research Academy held in Cairo and whose delegates represent about forty countries and Islamic communities, declares its condemnation of the Israeli aggression against unarmed civilians : women, children and men, in defiance of all human principles.

Therefore, the Conference urges World Organisations to assume full responsibility for their duties of making a stand against aggressors and forcing them to comply with the resolutions that had been issued, by proclaiming the right, and requiring the aggressors to desist from their reckless contempt of justice.

The Conference gives a warning that to be heedless of such acts of aggreesion, aided by certain States, might later be considered as an international precedent, in peace and war, violating public international law, and, thereby, making the law of the jungle the sole rule to be resorted to between nations.

can be aided in this taske by anyone helpful in this respect, whether from amongst the members of the Academy or not.

Foremost to be dealt with by this committee would be the affairs of Muslims in the Philippines, Cyprus, Bulgaria, Zanzibar, and Eritrea.

Muslim Countries in Need of Aid.

The Conference recommends that the Islamic Research Academy would provide Muslims, in need of certain educational and cultural services, with publications, teachers, preachers, and other means that promote Islamic cultural revival, disseminate the knowledge of Arabic, and intensify Islamic consciousness.

VII — As Regards the Request of the Muslim Community in Austria :

The Conference recommends that the Islamic Research Academy would study the proposal submitted by the delegate of the Austrian Muslims, and issue a decision.

VIII — According to the cable presented by the Delegation of the Philippines to the Conference, reporting the news of burning down the sole Islamic University in the Philippines, the Conference solemnly regrets such odious crime; and recommends that Muslim Governments, Peoples, and Organisations would present what is needed for rebuilding that university, so as to be enabled to resume its mission of serving the call and culture of Islam.

ons of the Shari'af and what is required for the safeguarding of public interests,

Yet, it is to be remarked that great allowance is made for every country to work out from these firm and basic principles whatever econ-economic systems and applications she might find to be most adaptable to its needs and specific circumstances.

2. The Conference recommends that the universities and institutes of Muslim countries would take the necessary measures to estoblish chairs for giving courses in Muslim economy and the economic systems that can be derived therefrom, as required by the environmental circumstances of every country.

These studies are meant to make our economists well-versed in that sort of economy which is closely linked with the teachings of the Islamic faith. Thus, they would be able to rectify their outlook and to liberate their countries from the impact of foreign economic doctrines.

3. The Conference recommends that those in charge of the international Islamic Bank project take the necessary steps for hastening its establishment.

4. The Conference of foreign affairs ministers of Muslim countries is requested to establish an international Islamic organisation, authorized to collect the (Zakat) portions that are legally due from the metel and mineral wealth : ore, oil, etc of each country. The funds would be used in subsidizing agricultural and industrial plans of develofment in poor Islamic countries.

These projects are to be implemented through loans free of interest or by devising any other economic system conformable to the tenets of Islam. In this way is realized the principle of social interdependence which is enjoined by Islam not only between individuals, but also among all Muslim communities considered as an integrated whole.

5. The Conference recommends that the Islamic Research Academy would pursue studying what had been under discussion, as regards "investment certifieates", and money deposited in savings-banks. With the completion of that study, the Academy is requested to announce to the Islamic World its final viewpoint.

VI — As Regards Muslim Communities Living in non-Muslim Countries

The Conference recommends that the Islamic Research Academy would form a standing committee to be in charge of attending the affairs of Muslims in non-Muslim countries. It

television, the cinema, and the stage, are called upon to be guidid in their work by the right principles of Islam, and to observe the recognised values of morality upon which the life of progressive nations is based.

Nevertheless, these media must not deprive readers, listeners, and spectators of being entertained by artistic productions and refined witticisms. The latter should not comprise anything unintentionally embodied to serve the designs of Zionism and Imperialism that are mainly intended to corruptour morals and debase our values.

9. Until the recommendation of the fifth Conference of the Islamic Research Academy, respecting the issuing of the Holy Quran, be implemented, the present Conference urges Muslim Goverumeuts to forbid the printing or the reprinting of the Holy Quran, unless the publication be authorized by a competent religious organisation.

Otherwise, anyone issuing editions divergent with the well-established text would be liable to punishment.

10. The Conference, while thanking the Egyptian Broadeasting Corparation for its response to the fifth Conference's recommendation to reinforce the Broadcasting station of the Holy Quran, arges making further reinforcement, so that the recital of the Holy Quran might be heard all over the whole world of Islam.

11. The Conference recommends that Muslim Governments would take special care of the study programmes of the religious institutes which should not be confined to Shari'at disciplines, since for a thorough grasp of the latter, the study of the Arabic language and literature is most requisite.

12. The Conferenee emphasizes what had already been recommended that Arabic, the language of the Holy Quran and the Islamic Faith, has to be tought in the schools of non-Arab Muslim Countries.

V — On Economics :

The Conference declares :

1. that Muslim economy is characterized by certain traits rendering it quite unlike other econamic doctrines, since it is based on general rules explicitly stated in the Holy Qur'an and the Prophetic Sunna, and meant to secure for man self-respect and social justice. He is told to strife in life ; to do his bodily and mental work; and his earnings therefrom are to be guaranteed.

No limits are set as to his freedom in striving, gain, or initiative, save compliance with the injuncti-

It is to be hoped that these steps be the outstanding landmarks in the way leading to an all-embracing unity for the Arabs, as they would be the connecting link of Muslims identifying their political, economic, and cultural aims, and safeguarding their very existence unedr the banner of Islam.

IV — On The Islamic Call :

The Conference recommends that Muslim Governments, Peoples, and Orgauisations :

1. Establish further cultural centres which prove to be needed by certain Muslim communities, for the guidance of Muslims, teaching them the essentials of their Faith, and purifying their beliefs from the blemishes of falsehood and superstition.

2. Further scholarships, covering the different educational levels should be awarded to the studeuts of Muslim Communities. It would be beneficial that some of these students be allowed to join higher Islamic institutes in the countries that might be willing to offer such scholarships.

3. Developing the methods of propagating Islam in ways that are worthiy of realizing its aims. Such methods have to be so modernised as to be most adaptable to all environments and social Conditions.

4. Muslim governments are enjoined to have in their Embassies to the countries requiring spiritual guidanee, attaches, competent in conveying the mission of Islam to those who avail themselves of its teachings.

5. The Conference urges the Islamic Research Academy to take effective steps to coordinate the efforts made by numerous organisations, so as to serve Islam and Muslims. This can be done in accordance with the following :

a) Effecting coordination between different organisations and centres working in the propagation of the Islamic call.

b) Coordinating the work of the memerous Islamic conferences, through contacting the conference of foreign affairs ministers of the Muslim States.

6. The Conference exhorts Muslim States and communities to introduce religious knowledge into the whole system of public education.

7. Also to be recommended is the establisment of centres where Muslim boys and girles can memorize the Holy Quran and the Prophetic Sunna, alongside of their various studies.

8. Information media in Muslim countries : the press, broadcasting,

this appeal to the Kings and Heads of Muslim and Arab States to adopt a firm attitude towards the shocking Israeli acts of aggression against Muslim and Arab Countries.

Such monstrous crimes, Israel would never have been able to commit, had it not been provided with money and weapons by certain States, formeost among which is the United States of America which unceasingly upholds the Israeli aggression, as it had, besides used the veto against a United Nations resolution prohibiting further aggression.

The last of these barbarous aggressive acts is the one that had been committed against Syria and Lebanon which has greatly shoked human feelings all over the world.

Hence, we, in our Conference, make an appeal to those in authority, in the Muslim and Arab Countries, as we owe them the advice commanded by Islam, to unify their efforts, to make full preparotions, and to muster their forces and resources, so as to confront the enemy and to make use of all their rights within our countries against the interests of those aiding and abetting Israel.

We further appeal to you to use all the means at your disposal to make a stand against the States aiding Israel. Such repelling should be accomplished in a way that would realize our hopes, and maintain the vital interests of our threatened countries, and to prove to the aggressor that the shedding of Muslim's blood would never take place without retaliation.

"And say : Act ! God Will behold your actions, and so will His messenger, and the believers." (IX 105).

III — Homage to the Confederation of the Arab Republics, and the Merger of Egypt and Libya.

The Conference pays tribute to the succeseful steps that had been taken by some Arab and Muslim Heads of state to attain unity on practlical constitutional bases, such as the Confederation of the Arab Republies of Egypt, Libya, and Syria, and the Merger of Egypt and Libya. It is because their constitutions had stipulated that the religion of their respective countries is Islam, and that the Shari'at is the main basis of legislation.

The Conference urges other Muslim States, or those whose inhabitants form a Muslim majority to make manifest Islamic dignity, by stipulating in their constitutons that the state religion be Islam, and that the Shari'at be their basic source of legislation.

Muslim, not to be neglected by anyone belonging to this right Faith.

That such a duty could not be accomplished save after having liberated the Holy Land, the exalted Jerusalem, the Aqsâ Mosque, and all the Muslim and Arab territories that had been occupied by Israel.

II — As Regards Palestine.

The Conference declares that the Zionist aggression against Palestine and other Arab countries is the main topic with which the Conference of the Ulemas of the Islamic Research Academy are concerned until the aggression be done away with, legitimate rights restored, and both the Muslim and Christian shrines be safeguarded, and Muslims and the rest of citizens live in security in their countries.

And owing to the fact that Israel is persistent in aggrassion and arrogance, disregarding all human values and international decrees, with the malicious intent of obliterating the vestiges of Islamic and Arab civilization, and disfiguring their landmarks, the Conference calls upon.

1. All the Arab countries surrounding the occupied territories of of Palestine to step up their efforts, to strive against the aggressors, to oppose their arrogance and tyranny, and to mobilize their armies and all their citizens: youny and, men & women, to take their part in battle, wherever it might be, as this is a holy jihâd in the Way of God, and for the sake of their fatherland.

2. The Conference calls upon all the other Governments. Peoples, and Arab and Muslim organisations to offer their effective aid, as required by the intensity of the struggle.

Also is recommended that Muslim Governments extend to guerrilla activities all moral and material support.

3. The Conference hss decided, as well, that it would never accept any solution or settlement unless it includes the restoration of Jerusalem to its former Arab and Muslim sovereignty, together with recovering the Arab occupied territories, and giving back all the other Arab & Muslim rights to their legitimate holders.

4. For this reason, the Conference directs the following appeal to Kings and Heads of Arab and Muslim States :

The Ulemas, representing about forty Muslim countries and communities, holding under the banner of Islam, and within the precincts of the Azhar, the seventh Conference of the Islamic Research academy, direct

The Resolutions And Recommendations

In the Name of God, Most Gracious, Most Merciful.

With the Help of God, and with the Guidannce of His Right Faith, the seventh Conference of the Islamic Research Academy was convened under the banner of Islam, and with in the precincts of the Azhar.

The first session of the Conference started in 1st. Sha'bân, 1392 A. H. (9th. Sept., 1972 A. D.) and ended on 6th. Sha'bân 1392 A. H (14th. Sept., 1972 A. D.).

In the Conference, there were representatives of about forty Muslim countries and communities in the three continents : Asia, Africa, and Europe.

The conferees met with their colleagues, Members of the Islamic Research Academy representing Muslim countries. They listened to the papers that had been read, and the studies presented by Members, dealing with the affairs of some Muslim Countries.

Views had been exchanged and discussed. Then, the Members adopted the following Resolutions and recommendations.

They are fully aware of their responsibility before God, and the whole body of Muslims all over the world, during this crucial crisis thr. ough which the Muslim World and the Arab Nation are passing and are being tested by events of great moment. These are considered by the Confeerence as motives to fulfil the duty of defending the Islamic fatherland, its sacred shrines, faith, culture, and people, in this phase of Muslims' history upon which their destiny depends.

It is in the way of exalting God's Word to the uppermost, and in response to the feelings of Muslims, and in bringing to pass their will to fulfil their duty of safeguarding everything that is sacred : faith, country, honour, heritage, and civilization, the Conference solemnly declares :

I - A General Declaration.

The Conferance emphasizes what had already been declared in its previous sessions that jihâd with one's life and wealth has become a duty incumbent upon every capable

Muslim countries such as petroleum and other materials. This Organisation would extend aid to the Islamic countries and the Islamic communities in the face of catastrophes.

Sheikh Ali Abdul Rahman, the member of the Sudanese delegation called for the establishment of a faculty for the propagation of the Islamic Faith to include three sections one for the propagation of the faith among the heathens, the second for the European countries and the third for the Islamic countries.

Sheikh Abdulla El Shekheily, member of the Iraqi delegation appealed to the Conference to lay down the rules which the Muslims should tollow in the economic dealings especially bank dealings.

Among the researches considered by the conference are :

1) The Importance of Islamic Economy.

2) Social Solidarity in Islam.

3) Islam and the Unity of the Arabs.

4) The role of Imperialism in teering the Islamic unity.

5) Freedoms and Rights in Islam.

6) The Impact of Islamic thought on contemporary European though

7) The Miraculous Character of the Quran and Development of its Miraculous Aspects with the Development of cultures.

8) Islam and its solution to the Problems of contemporary society.

9) The duty of the Muslims towards the Problems of Zionist occupation.

10) The duty of the Muslims towards Jerusalem.

11) Isreal is the stanchion of Imperialism in the Muslim world.

12) Features of the Ideal Society in Islam.

President Sadat welcomed the Delegates:

President Anwar Sadat met with the delegations of the Seventh Conference of the Islamic Research Academy, on September 14, 1972. The President welccmeed the members of the delegations in the name of the Egyptian people and in the name of Al-Azhar. He said :

"You know that Egypt and Al - Azhar has stood for along the past centuries, and still stand for today. The message is still the same, and the people are still the same and the trust they bear is also the same. We cannot tolerate backwardness while we are facing the treachery of Zionism and the evils of imperialism. For this reason I appealed for the creation of the state of Science and Faith. Science alone, without Faith is not enough"...

On Thursday, September 14, 1972 the Conference issued the following Resotulions and Recommendations :

original members of the Islamic Research Academy.

Researches and Discussions:

The Conference discussed a number of political and economic questions and other subjects related to the role of the Islamic law (Sharia) in organising the various aspects of everyday life. The Palestine cause figured at the top of the subjects included in the agenda of the conference. The Palestine cause was tackled by the previous conferences and a nnmber of recommendations were taken on this question.

The Conference listened to two papers on Islsmic economy and premium bonds. Sheikh Ali El Khafif, Member of the Islamic Research Academy read a paper entitled "The Sharia and Premium Bonds". He said that premium bonds do not contradict or violate the principles of the Islamic Jurisprudence.

That the National Bank guarantees the capital and the profits does not imply any violation of the Islamic Jurisprudence as the Bank volunteers to undertake this on its own accord without beeing mentioned by the law No. 8 for 1965.

Sheikh El Khafif then surveyed the history of speculation in Pre-Islamic and in Islamic times. He said that the Prophet travelled to the North to speculate with the capital of El Sayeda Khadija.

Usury is forbidden by Islam and if there is no usury connected with speculation then speculation is not prohibited.

Some were of the opinion that innovation in these matters is not legitimate but the dealings of men are always changing and developing which justifies making use of any innovation so long as this innovation does not contradict the essence of the Islamic law, Sheikh Khafif said.

Sheikh yasin Suwailam Taha, Member of the Legal Opinion Committee in Al-Azhar spoke about Islamic Law and the profits of the premium bonds of the investments and of the saving funds. He Compared the point of view of the four Islamic sects on lending and on speculation.

He said that the profits of these priminm bonds and of the savings are legetimate according to the Sharia.

Dr. Mohammed El Bahei the former Minister of Wakf and Al-Azhar Affairs, read a paper on "Islam and the Problems of Contemporary Society". He called on the Ulemas to exert all efforts for the establishment of an Islamic Financial organisation to be financed from the surplus of the resources of the

Malaysia, Sirraleone, Togo, Iraq, Jordan, Somalia, Kuwait, Kenya, Hungary, India, Japan, Lebanon, Yogoslavia, Chad, Austria and Palestine.

Opening Session :

The seventh conference of the Islamic Research Academy was opened by the Grand Sheikh of Al-Azhar, and the President of the Academy, Dr. Muhammad El Fahham. Dr. Abdul Halim Mahmoud, Minister of Wakfs and Al-Azhar Affairs, was delegated by President Anwar Sadat to attend the conference. The Grand Sheikh of Al-Azhar welcomed the delegates and called on them to come forward to guide their people to the path of progress, and to creat hopes and Kindle courage in their hearts. He also called on Muslims to confront of those who spread their poisons to cause rifts and dissension among their ranks.

The Grand Sheikh of Al-Azhar and the chairman of the Conference condemned all types of aggression launched in the name of Religion. He also called for revival of the Islamic laws in relation to combating crimss. He reminded the scholars that the Muslim community all over the world are anxious to hear about the accomplishments of the conference ; especially concerning the problems with which they are faced in the contemporary world.

Then the Mufti of Lebanon, Sheikh Hassan Khalid, spoke on behalf of the delegates attending the conference. He pointed out that the Islamic Research Academy was a forum which brings Muslim Scholars from different parts of the world under the banner of Al-Azhar.

Later, Dr. Mnhammad Abdul Rahiman Beissar, Secretary General of the Academy, delevered a speech, in which he reviewed the accomplishments of the Academy. He said that the conference would concentrate on the problems of the contemporary Islamic Society because such problems need to be solved. He emphasized the duty of Muslims in the face of Isreali aggression on Jerusalem, Palestine and other Arab territories.

The deliberations of the opening session ended with the speech by Dr. Abdul Halim Mahmoud, Minister of Wakfs and Al-Azhar Affairs. He stressed the need of building the sociey on the basis of Science and Faith.

The Conference which lasted till October 4, 1972, was divided into two stages. The first stage lasted till September 14, and attended by all the delegations. The second stage, which lasted till the end of the Conference was exclusively for the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FŪDA

RAMADAN 1392 | ENGLISH SECTION | OCTOBER 1972

The Seventh Conference of the Islamic Research Academy

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

The Islamic Research Academy of Al-Azhar was established in 1961. This Academy, comprising a select number of Scholars with profound Knowledge of Islamic principles and Jurisprudence, undertakes the study of all that pertains to Islamic heritage, and reviews the research papers dealing with the problems of the contemporary Islamic society.

The Seventh conference of the Academy opened in Cairo on September 9, 1972. It was attended by 70 distinguished scholars representing 36 countries from different parts of the world. The agenda of the conference included, mainly the researches dealing with the subjects of social and economic nature. The conference considered the problems connected with banking, investment, insurance and social solidarity in Islam. It discussed a number of researches on Islamic unity and the impact of Islamic thought on other contemporary thoughts. The conference also discussed the Isreali aggression on Jerusalem and other sanctuaries.

The Countries Attended :

The countries that participated in the seventh conference were as follows : the Uninion of Arab Emirites, Afganistan, Uganda, Belgium, Tunisia, Algeria, Syria, Ghana, Philipines, Upper Volta, Cyprus, Libya, Mali, Nigeria, England, Indonesia, Russia, Sudan, Senegal, Cylon,

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٠٩١١
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن — السنة الرابعة والأربعون — شوال سنة ١٣٩٢هـ — نوفمبر سنة ١٩٧٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

م ١٢
ع ٢٢٢٦٦
دوريات

أسماء الله الحسنى ...[1]

للأستاذ عبد الرحيم فودة

إنما هي التي ورد ذكرها في كتابه وفي حديث رسوله صلى الله عليه وسلم. وقد أمرنا الله أن ندعوه بها حيث قال: « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه »، وهي تدل على ما يليق بجلاله وجماله وكماله. فلا يجوز أن ينادى بغيرها من الأسماء التي يضعها البشر، لأنهم لا يقدرون الله حق قدره ولا يستطيعون أن يسموه أو يصفوه بما يدل عليه دلالة حقة، فإنه — جل شأنه — « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »، وهم كما يقول سبحانه: « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه »، وأنى لهم أن يصفوه بما يدل عليه وهو جل شأنه (ليس كمثله شيء) وقد أمرنا أن نسبحه ونقدسه وننزهه عما يتصف به غيره من صفات مخلوقاته؛ حتى ما يشترك مع صفاته في التسمية كالعلم، والقدرة، والسمع والبصر ..؟

لهذا يجب أن ننتبه لما ينشر من

انحرافات فى تسميته تعالى بأسماء لم يرد بها نص فى الكتاب والسنة مثل : قلب الرب . وتواضع الله ، وما إلى ذلك من العبارات التى تدس فى الصحف بقصد أو بغير قصد ، فقد كان المشركون يقعون فى ذلك الخطأ . ويسمونه بما لا يجوز عليه فيقولون : يا أبا المكارم ويا أبيض الوجه . وكانوا - كما قيل - يشتقون من أسمائه أسماء للأصنام التى يعبدونها ؛ فيسمون اللات من الله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان ، وهذا هو الإلحاد الذى ذكره الله حيث يقول : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » .

أما هذه الأسماء التى أمرنا الله أن ندعوه بها ، فقد ورد فى الحديث أنها تسعة وتسعون ، ومعنى دعائه بها أن نناديه بها وأن نطلب منه بكل اسم ما يتناسب معه . كأن يقال : يا رحيم ارحمنى . ويا رزاق ارزقنى ، ويا هادى اهدنى . ويا تواب تب على . ويا عزيز أعزنى أو احكم لى ، ويصح دعاؤه باسم أعم وهو الله ، فإنه متضمن لكل اسم من هذه الأسماء ، إذ معناه أنه المعبود بحق لاتصافه بكل كمال وتنزهه عن كل نقص ، ومعانيها جميعها تفسير لهذا المعنى الكبير ، كما يفهم من قوله تعالى : « هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

ولا شك أن كل اسم من هذه الأسماء له تفسيره فيما تقع عليه الأعين وتحسه الحواس ، وتدركه العقول ، فالنظر فيما أنعم به علينا من جلائل النعم ودقائقها ، كالماء ، والهواء والشمس والقمر ، والليل والنهار ، وما لا يقع تحت إحصاء ولا يبلغه استقصاء يكشف لنا معنى الرحمن الرحيم ، كما يفهم من قوله تعالى : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل

تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

وهكذا يمكن تفسير معنى الحكيم بالنظر فى خلق السموات والأرض ، وفى خلق الإنسان كما يفهم من قوله تعالى : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما إلا بالحق » وقوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ، وكلما عظم حظ المؤمن من العلم بما حوله عظم حظه من فهم معنى هذه الأسماء التى أمرنا الله أن ندعوه بها ، وشعر بأنه - دون غيره - الخالق الرازق الحقيق بأن يعبد ويحمد وأنه الرب ، أى السيد المطاع والمالك المتصرف ، والمربى المصلح ، ثم هو - مهما يبلغ علمه - يشعر بالعجز عن الإحاطة بصفة من صفاته ، ويزداد إذعانا لله وإيمانا به ، وخشية له ، كما يفهم من قوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، وصدق الله إذ يقول : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ؟

عبد الرحيم فوده

قال الله تعالى :

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » . صدق الله العظيم

دراسات قرآنية :

يا خير أمة أخرجت للناس أين أنتم ؟

للأستاذ مصطفى الطير

« يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »
(٧) من سورة محمد
« وإن تتولوا يستبدل قوما غـــيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »
آخر سورة محمد

أين أنت يا خير أمة أخرجت للناس؟ أبحث عنك فى شمال الأرض ، فلا أسمع عنك خبرا ، وأفتش عنك فى جنوبها فلا أرى لك أثرا ، فإذا اتجهت نحو مشرقها فلا أجد لك آية ولا ذكرا ، وإذا يممت نحو مغربها عدت بالقلب كسيرا وبالعين عبرى .

كنت ـ يا خير أمة أخرجت للناس ـ كوكبا دريا يهدى الناس إلى سواء السبيل ، وملاذا منيعا يحتمى بحماه اللائذون ، ومأمنا مرهوبا يأوى إليه الخائفون ، وعملاقا جبارا يرتعد منه المتذئبون والمتنمرون ، فماذا جرى حتى أصبحت ذكرى ، ولم تعودى تلك الحقيقة الكبرى . قال لى قائل : أفلست تراهم يملئون نواحى الغبراء ، ويعدون بمئات الملايين فكيف لا تراهم وهم يكثرون ولا يقلون ، وينتشرون ولا ينكمشون ، ويزيدون ولا ينقصون .

قلت له يا صاحبى : هـــؤلاء الذين تتحدث عنهم أسماء بلا مسميات ، وأثر بعد عين ، وغثاء فوق منحدر الوادى ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، ويقولون مالا يفعلون ، تتناوشهم الذئاب ، ولا يتألم أخ الملة بأخيه ، وتتنابهم الأحداث وهم عن اتقائها غافلون ، أليس هؤلاء هم الذين قال فيهم الرسول المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم « يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قيل يا رسول الله : فمن قلة نحن يومئذ ،

قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن فى قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت، رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان.

أليس هذا الحديث يمثل واقع المسلمين اليوم، فهل تعتقد ياصاحبى أن المسلمين وهم على ماهم عليه الآن، هم الذين عناهم الكبير المتعال بقوله: «كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله». أترى أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله حق الإيمان، فوالله لوكانوا كذلك لنصرهم الله كما نصر أسلافهم، ولأعزهم كما أعز من قبلهم «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين».

(المسلمون بعد وفاة الرسول)

انتقل محمد إلى الرفيق الأعلى، وقد أرسى قواعد التوحيد فى الجزيرة العربية، وجمع الناس فيها على دين واحد ودولة واحدة، يسود العدل بين قويهم وضعيفهم، ويتجلى المجتمع الفاضل بين طبقاتهم، أمرهم مجتمع، وكلمتهم واحدة، لاطمع يفرق بينهم، ولا حفيظة تشق صفوفهم، رهبان بالليل، فرسان بالنهار، إن طمع فيهم طامع، هبوا سراعا لتأديبه وردعه، وإن سالمهم مسالم، كانوا إلى السلام أسرع منه.

(المسلمون فى عهود الخلفاء)

ولما ولى أبو بكر الخلافة بعده، ومنع الزكاة ضعاف الإيمان ومحدثوه، وارتد ناشئوه ومتأخروه، شمر عن ساعد الجد، وآزره المهاجرون والأنصار وقدامى المؤمنين من القبائل، وكان دستوره الذى رسمه، أن يقاتل مانعى الزكاة، وقد قال فيهم مقالته المشهورة «والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليها»، وأن يقاتل المرتدين حتى يفيئوا إلى الإسلام، وأن يقاتل مدعى النبوة، حتى ينتهى أمرهم ويكون الدين لله.

وفى خلافته القصيرة الأمد، قضى على جميع الفتن التى جدت عقب الفجيعة الكبرى بوفاة الرسول، واستتب الأمر للإسلام فى الجزيرة العربية، واستشهد فى تلك الحروب، العديد من القراء وكرام الرجال فى معركة اليمامة وغيرها، وكانت الشهادة فى سبيل الله أحلى عندهم من نعيم الحياة ثم قام عمر بن الخطاب بالأمر بعده فنظم الدولة الإسلامية، واختار لها ولاة

من عظام الرجال، الذين لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، وفتح مصر والشام ، وعلا صوت المؤذن هنا وهناك : الله أكبر ، لا إله إلا الله ، وغزا بلاد الروم وقضى على شوكتهم فى آسيا ، وأكمل ما بدأه أبو بكر من الجد فى نشر الدعوة .

ويهمنى أن أقدم مثلا لجهاد المسلمين فى عهده ، وتفانيهم فى سبيل دينهم ، لعل فى ذكره عبرة للمعتبرين ، وموقظا لأهل الكهف الراقدين .

(فدائية السلف الصالح)

لما كان القائد سعد بن أبى وقاص قبالة المدائن[1] ورأى نهر دجلة يحول بين جيوشه وبينها ، خاطب جنوده قائلا : قد عزمت على قطع هذا البحر إلى العدو فماذا ترون ؟ فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد ، فافعل . فندب الناس للعبور ، واختار منهم ستمائة من أهل النجدات ، وجعل عليهم عاصم بن عدى ذا البأس الشديد ، فاختار عاصم منهم ستين فارسا ، وجعلهم على خيل ذكور وإناث ليكون أسلس لسباحة الخيل ، ثم اقتحم بهم دجلة ليحمى المسلمين الذين يعبرون بعده ، فلما رآهم الفارسيون ، أخرجوا لهم مثلهم ، فخاضوا دجلة وكانت مليئة بالماء فلقيهم عاصم وصحبه وقد قربوا من الشاطىء ، فقتلوا وأغرقوا أكثرهم وفر من سلم منهم مشوها ، وتلاحق بعدهم باقى الستمائة ، ولما رأى سعد عاصما ورجاله على الشاطىء يحميه ويذود عن المسلمين، أذن للجنود أن يقتحموا وقال: قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزمن عدوه ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وتلاحق الناس فى دجلة ، وإنهم ليتحدثون كما يتحدثون فى البر وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطىء شىء لكثرتهم.

وكان يساير سعداً فى الماء سلمان الفارسى ، فعامت بهم خيولهم وسعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليه ،وليظهرن دينه وليهزمن عدوه إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات ، فقال سلمان :الإسلام جديد ، ذللت والله لهم البحور ، كما ذلل لهم البر ، أما والذى نفس سلمان بيده ، ليخرجن ، منه أفواجا ، كما دخلوا فيه

(١) كانت عاصمة لملك كسرى وفيها إيوانه.

أفواجا ، فخرجوا منه كما قال سلمان ، لم يفقدوا شيئا ، ولم يغرق منهم أحد ، ثم حملوا على المدائن ففتحوها ، وقال في ذلك أبو بجيد نافع بن الأسود .

وأحلنا على المدائن خيلا
بحرها مثل برهن أريضا
فانتثلنا خزائن المرء كسرى
يوم ولوا وخاض منها جريضا

ولما دخل سعد الإيوان قرأ قوله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع » إلى قوله « قوما آخرين » من سورة الدخان ، وصلى فيه صلاة الفتح ثماني ركعات لا يفصل بينهن .

ومن بعد أبي بكر وعمر فتح الخلفاء الممالك ، ووسعوا رقعة الأرض الإسلامية ونشروا فيها كلمة التوحيد ونور العلم والأخلاق ، وحكموا الناس بشريعة الله العادلة ، فهابهم القريب والبعيد والقوي والضعيف .

وكان الناس من وراء دولة التوحيد والعلم والأخلاق ، ما بين قبائل همجية ، ودول بدائية فاقتبسوا مع الزمان من نورهم واغترفوا عبر الأجيال من ينابيع معارفهم .

(تبدل الحال من بعد السلف الصالح)

ثم تبدلت الأمور وحال الحال فبعد أن كانوا أمة واحدة أمرها مجتمع أصبحوا أمما كثيرة أمرهم متفرق وصدق فيهم قول الشاعر :

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

إنك تجد الآن خير أمة أخرجت للناس ، عشرات الأمم ، وقد فرقت بينها الأهواء ، ومزقتها العداوة والأغراض إن رضيت دولة منهم أمرا سخطته أخرى يرون مصالحهم متعارضة ، ويعلم الله أنها لم تكن من قبل متناقضة ، إنك ترى بأسهم بينهم ، وكان الأجدر به أن يكون بين عدوهم .

تولى بعضهم أعداء الإسلام كيداً لإخوانهم فخانوهم ، ثم باعوهم من بعد لأعدائهم ، وهاكم مثلا لما يحدث من غفلتهم ، ذاك الشريف حسين ، انضم إلى الحلفاء ضد الخلافة الإسلامية ، وجند الجنود لحربها معهم ، وكان موقفه من أسباب هزيمتها .

كان يطمع في أن يكون خليفة للمسلمين بعد هزيمة الخليفة التركي ، وأن يرث أرضه العربية فيقيم فيها خلافة ، حتى إذا

ثم لا لمفاء النصر ، مزقوا البلاد العربية وقسموها فيما بينهم ، ومنحوه شريطا من أرض الشام يقع فى شرق الأردن ، فما أفدح الجريمة ، وما أصغر الغنيمة !!

إنهم لم يكتفوا بهذا العقاب الذى منحوه فى صورة ثواب ، بل منحوا فلسطين اليهود ، حين رأوا مصلحتهم فى أن يمنحوهم إياها ، ولا عليهم فى سبيلها أن ينكثوا وعودهم ، ويغدروا فى عهودهم

ولما نهض العرب لانتزاع الأرض العربية من اليهود ، نهضوا مشتتين غير متفقين ولا متفاهمين ، يضمر بعضهم خلاف ما ينويه سواه .

ومع أن الأسلحة كانت غير كافية ، لم يكن بعضها صالحا بل كان فاسدا ، صنع ليقتل من خلفه لا من أمامه ، اشتراه سماسرة ملك فاسد ، انتقم الله منهم شر انتقام ، وذهبوا جميعا إلى الجحيم .

ومع كل تلك العوامل ، انتصرت جيوش العرب البواسل ، وأصبحوا على أبواب تل أبيب ، فتدخل الأقوياء وطلبوا الهدنة ، وكان قائد الحملة العربية هو صاحب الشريط الأردنى ، فقبل هذا القائد الهدنة والجيوش العربية منتصرة ولو صدق بهم اللقاء ثلاثة أيام ، لما وجدت دولة إسرائيل ، ولتبخرت من أدمغة ذويها الأحلام .

لقد قبل هذا القائد الهدنة لقاء ما منوه به من أمانى ، لم تلبث أن لحقت بسوابقها الكواذب ، فهل يخرج السكر من العلقم وهل يخرج الزيت من الحجر الأصم .

ثم قسموا فلسطين ، وكانت اللد والرملة من حصة حاكم الشريط الاردنى ولكنه تبرع بهما لإسرائيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم تطورت مشكلة فلسطين وتعقدت بعد نكسة سنة ١٩٦٧ ووقوع فلسطين كلها فريسة فى فم اليهود ، واتسع هذا الفم النهم لازدراد بقاع أخرى من الأوطان العربية المجاورة ، ولا يزال يطلب طعاما جديدا لا يقف عند حد أو مدى .

إنهم لا يزالون يتطلعون لأراض أخرى ، فى الشمال والجنوب ، وفى الشرق والغرب ، والعرب عن هذه الحقائق ذاهلون ، ويشنون دولهم لاهون وعن اجتماع الكلمة ووحدة الصف معرضون .

إن الغرض الأساسى يا أبناء إسماعيل

هو أن تجتمع كلمتكم على صد هذا العدو الذى أنتم جميعا هدفه الأساسى ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

والطريق إلى ذلك أموال تبذل ، وجيوش تشترك ، وقيادة توحد ، وكلمة فى المجتمع الدولى تتفق ، بحيث لا يجد أولئك الأقوياء سبيلا لتمزيقكم وتفريق كلمتكم وتوهين قواكم ، إنكم تملكون أسباب الضغط على أولئك الأقوياء ، بما تحتويه بلادكم من إكسير الحياة لمصانعه وقواه الفتاكة ، لحتى متى ترجئون جمع الكلمة ووحدة الصف ، وبذل المهج والأرواح فى سبيل المعركة إن لم يكن عنها محيص ، ومن قبل ذلك ومن بعده أن تكونوا حيث يرضى الله على كلمة الإسلام .

أى مانع من أن تكون فيكم عالك وجمهوريات متعاطفة ، يحنو بعضها على بعض ، ويسعد بعضها لرخاء بعض ، أى مانع من أن تعين كل دولة أختها على النهوض ، كونوا أيها الأمجاد كيف شئتم من ألوان الحكم التى ترضونها لأنفسكم ولبلادكم ، ولتكن لكم فيما وراء ذلك سياسة إسلامية موحدة ، يسود بينكم التشريع الإسلامى ، وتربط بينكم عقيدة التوحيد ، ومبادىء القرآن المجيد والسنة المطهرة ، كونوا كالجسد الواحد ، إذا شكا منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر ، وتلك هى أضعف أواصر الوحدة ، حتى ييسر الله أمرها كاملا حين يهيىء لها أسبابها ، وتتداعى إليها القلوب .

(اتحاد الجمهوريات العربية)

وإنه لما يثلج الصدور ويريح القلوب أن تتهيأ الأسباب وتتوفر الدواعى لدى جمهوريات مصر وسوريا وليبيا إلى الاتحاد وأن تتجاوب النفوس فيها إليه فيسعى بعضهم إلى بعض ويدرسون قواعده وأسسه ، ثم يعلنون عن رغبة قوية عارمة اتحاد هذه الجمهوريات وينشئون وزارة اتحادية ومجلس أمة كذلك ، وتجرى الأمور رتيبة بدون معوقات ولا حساسيات بينها ، ثم يلى ذلك خطوة أكبر وهى وحدة مصر وليبيا ، ولم ينس أولئك الغر الميامين الذين خطوا بأمهم هذه الخطوات الموفقة ، أن يعلنوا فيما بينهم أن أساس التشريع ومصدره هو الشريعة الإسلامية .

يالها من خطوة مباركة فى سبيل وحدة الأمة العربية ، ثم فى سبيل وحدة كبرى للأمة الإسلامية ، واستعادة مجد المسلمين وتلألؤ عزهم وفضلهم وفضل دينهم فى سماء الدنيا ، لك الحمد يا الله على توفيقك لزعماء هذه الجمهوريات إلى اتخاذ هذه الوثبة الكبرى فى غمرة المحن ، ولك الشكر على نقلك لمسلمى هذه الدول من شعاب الطريق إلى الجادة الهادية نحو الهدف الأسمى ، وعلى إشاعة الغبطة والراحة فى صدور المؤمنين « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم »[1] .

(محنة المسلمين فى الفلبين)

إنى أعتقد أن المسلمين فى بقاع الأرض يصعدون الزفرات ، وتنطوى نفوسهم على الحسرات حين يسمعون عن إخوانهم المسلمين فى الفلبين ، أن أكثرية هناك تخالفهم فى الدين ، تحرق عليهم مساجدهم وجامعاتهم وبيوتهم ، وتتبعهم فى الطرقات والمزارع ، تذبحهم وتبتر أعضاءهم ، بين سمع حكومتهم وبصرها ، وتحرم من عاش منهم الراحة والعيش الهنىء ، وتهدر كراماتهم وتستبيح حرماتهم ، فى حين أن الأقليات فى بلاد المسلمين يأخذون حقوقهم كاملة ، ويتمتعون بما يتمتع به إخوانهم المسلمون من المزايا ، ويغض الطرف عن هفواتهم التى يجترحونها ، لعلهم يثوبون إلى رشدهم من قريب حين يرون تسامح المسلمين معهم ، وتركهم للوازع القلبى بين جوانحهم .

إنكم تقولون أيها المسلمون : كيف ساغ لهؤلاء أن يصنعوا بإخوانكم ما يصنعون وقد طلب دينهم أن يبذلوا المحبة ولو لأعدائهم ، وهم يسمعون من فم الدنيا أن إخوانهم يعيشون فيما بينكم فى حرية وأمن وسلام .

إنى أحس أنكم فى غاية الحرج ، لأن الدول الإسلامية لا تستطيع أن تتقدم من الضنك الذى احتواهم ، وتقولون فى أنفسكم : لو كانت أمتنا فى سابق مجدها لما كان يجرؤ هؤلاء الذين يزعمون أنهم دعاة السلام ، أن يمسوا واحدا منهم بسوء ، ولو فعلوا لذاقوا المنون على أيديكم ، أخذا بيد الحق المهيض ، ونصرة

(١) الممتحنة : ٤ ، ٥ .

لهؤلاء المظلومين المطاردين من أولئك البرابرة المتجبرين .

وإننى أقول لكم : أما آن لكم أن تترجموا هذه الأحاسيس بخطة عمل ، لكى تستعيدوا مجدكم وهيبتكم فى المجتمع الدولى ؟

(التجمع العربى ثم الإسلامى)

إن التجمع العربى ثم الإسلامى هو السبيل إلى هيبتكم فى هذا المجتمع الدولى الغافل عن مآسى المستضعفين ، وبغير وحدتكم أو ترابطكم القوى -على الأقل- لن تصلوا إلى اطمئنان على مستقبلكم فى مجتمع دولى ظالم ركب هواه ، وغلب مصالحه على مصالح سواه، إنكم لاتجدون فيه مظلوما أنصف، ولامعتديا عوقب.

إن الأمم المتحدة هيكل بغير روح ، ومعبد بغير صلاة ، وقبلة بغير قداسة ، وميزان بغير عدالة ، وبغير القوة لا يصل أحد إلى حق ، ولا قوة بغير تجمع ، ولا عزة لمن سلك سبيل التنازع «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» .

(عبرة الأندلس)

هذه الأندلس الأموية العظيمة ، التى نشرت العلم والعرفان فى غرب أوربا ، وكانوا يومئذ فى جهالة القرون الوسطى هذه الأندلس التى خرجت أكابر العلماء فى كل فن من فنون العلم ، وزخرت مكتباتها بنفائس المؤلفات ، وشع من أفقها نور العلم على الخافقين ، لما نخر فى جسمها سوس التفرق ، وأصبحت دويلات يحكم كل دويلة ملك ، شغل ملوكها بأبهة الملك الكاذبة ، وعكفوا على اللذات والشهوات ، فضعفت قوام ، وذهب ريحهم ، وكاد بعضهم لبعض ، واستعانوا على هـــذا الكيد بجيرانهم الطامعين فيهم من غير دينهم ، فأعانوا بعضهم على بعض ، واحدة بعد أخرى ثم ازدردوهم دويلة بعد دويلة ،حتى إذا لم يبق منهم سوى بنى الأحمر فى إقليم غرناطة كانت الحرب بينهم وبين هذه الدولة المجاورة الطامعة متتابعة ، وكانت دولة بينهم وبين خصومهم ، فيوما لهم ويوما عليهم ، وكان بنو الأحمر حين يهزمون يغلقون دورهم ، ليعودوا إليها فى اليوم التالى حيث ينصرون .

فلما جاءت الطامة الكبرى ، أغلقوا دورهم ثم لم يعودوا إليها ، ثم مزقهم

أعداؤهم شر ممزق كما مزقوا سواهم ممن سبقهم ، وشردوهم فى الآفاق كما شردوا من قبلهم ، ونصروا من بقى منهم ، واستولوا على مساجدهم العجيبة وقصورهم ورياشهم الفاخرة ، التى لم تر الدنيا مثلها وقضوا على نفائس العلم فى مكتباتهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولما انتهت المعركة مع بنى الأحمر إلى الهزيمة الحاسمة ، صعد ملكهم فوق ذروة جبل هناك ، وجعل يبكى ملكه المضاع ، وعرضه المفقود ، فقالت له أمه العظيمة :

ابك مثل النساء ملكا مضاعا
لم تحافظ عليه مثل الرجال

يقول المرحوم العلامة المؤرخ زكى (باشا) إنه لما زار إسبانيا ، رأى عيدا لهم يسمى عيد الفطير ، وعلم منهم أن بنى الأحمر يوم أن هزموا تركوا فطيرا صنعوه فى عيد شعبى صادف هذا اليوم الحزين ، فوجده الغزاة المنتصرون فأكلوه ، وجعلوا هذا اليوم عيدا شعبياً يأكلون فيه الفطير ، على نحو ما كان عليه أهل الأندلس .

أترون أيها المسلمون : لو بقى الأندلس على وحدته ، أكانت تحدث له هذه الكارثة الرهيبة ، كلا ، ما كان يمكن أن يحدث هذا الخطب ، بل كان يظل كالمنارة الهادية ، والطود الأشم .

(انصروا الله ينصركم)

أيها المسلمون : وأيم الله : لو نصرتم الله لنصركم كما نصر أسلافكم ، « ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، ونصر الله يكون بنصر دينه كما قال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

فالذين ينصرهم الله ، هم الذين إن مكنهم فى الأرض أقاموا الصلاة ولم يضيعوها ، وآتوا الزكاة ولم يبخلوا بها ، وأمروا بما عرفوه مطلوبا فى دينهم ، ونهوا عما أنكره كتابهم وسنة نبيهم ، وإذا أمروا بمعروف كانوا أسبق إلى فعله ، وإذا نهوا عن منكر كانوا أسبق إلى تركه ، فإن فعلتم نصركم الله على أعدائكم ، وإلا فلا تلوموا إلا أنفسكم .

(الشباب المسلم بحاجة إلى التبشير)

إن المسلمين بحاجة إلى التبشير فى بلادهم وبخاصة شبابهم ، إنهم ولوا ظهورهم إلى الدين ونبذوا القيم الخلقية الإسلامية، وتخلقوا بأخلاق ينكرها العرف الإسلامى والتقاليد القومية والعربية ، إنك اليوم لا تعرف الفتى من الفتاة ، وربما كانت الفتاة إلى الفتيان أقرب شبها فى زيها ، إنك لا تدرى سر هذه الميوعة فى نفوسهم ، أهو التخنث أم هو التقرب إلى نفوس الفتيات بالمظهر المتقارب؟!

إن الفتيات لا يحببن سوى الرجال فى مظهرهم وعاداتهم وجدهم .

إن كتب الجنس التى تعرض علانية تغزو غرائزهم ، وتحطم معانى الجد والشهامة فيهم ، وتصرفهم إلى هدم أخلاقهم ودينهم ، وتدمر الأمل المعقود عليهم فى أعمهم .

إن التمثيليات الماجنة ، والأفلام المنحرفة ، تمزق أخلاق الأسر ، وتبنى جيل الصغار على استباحة القبلات الحارة ، والعناق الطويل ، والحب الفاجر .

إن الشباب يتعرض لغزوات الإلحاد من كتب الملحدين ونشراتهم ، يجدونها بيسر وسهولة ، ويستسلمون لما فيها من التحلل من كل رباط بالثواب والعقاب ، والجنة والنار ، وهيمنة الحى القيوم على الملك والملكوت ، وإن من المجتمع المسلم من يفاجأ بأولاده أو إخوته منحرفين ملحدين .

إن ترك الشباب لهذه العوامل بدافع حرية الرأى ، أخطر على الأمم من الغزاة الأجانب ، إنهم سيكونون يوما ما من أكبر عوامل الهدم فى الأمم الإسلامية .

فلماذا يترك الأمر لهؤلاء وأولئك دون رقيب أو حسيب ، ودون قانون رادع وعقاب زاجر ، أينتظر بهم حتى تحدث الطامة الكبرى، وتحدث الكارثة العظمى؟!

اعصموا الشباب بمنع كتب الجنس من التداول ، وكتب الإلحاد من الانتشار ، والأفلام الصارخة من العرض ، والتمثيليات الماجنة من الإذاعة ، وسنوا القوانين الملزمة بالاستقامة والحفاظ على الأخلاق والعقائد ، أدركوا الأمر قبل أن يستفحل الخطر ، ويصعب درؤه ، ولا شك أن الوقاية أيسر من العلاج .

إن الشباب لا يغشى المساجد ولا أندية الوعظ ، حتى يحفظ بالهداية من الغواية ، فلا بد من عقد الندوات الدينية لهم فى جامعاتهم ومدارسهم ، وأن يكون حضورها كحضور المحاضرات ، وأن يكون الدين مادة تدرس فى كل شعب الجامعات والمعاهد العليا .

(كلمة إلى الأبناء والآباء)

يا أبناء الوطن الإسلامى : أنتم أمل أممكم ، وعزة أوطانكم ، ومجد بلادكم ، فانهضوا بدينكم ، واعرفوا حقوق أوطانكم ، وتخلقوا بالخلق النظيف فيما بينكم ، ودعوا استيراد العادات البغيضة من غير بلادكم ، وادرسوا دينكم لتعرفوا ما فيه من محاسن وروائع ، وتتخلقوا بما فيه من أخلاق زكية ، وآداب رفيعة ، واحتشموا فى ثيابكم ، فإن الحشمة لا تمنع جمال المظهر .

وأنتم أيها الآباء مسئولون عن أبنائكم وبناتكم ، فإن صلحوا صلح أمركم ، وإن فسدوا كانوا شر عليكم وعلى وطنكم ، فنشئوهم على الخلق الفاضل ، والأدب الكريم ، والاستمساك بالفضيلة ، وأداء الصلاة ، وصحبة الأخيار ، وتجنب الأشرار ، وكونوا قدوة لذويكم ، فلا تأمروا بالمعروف وأنتم تاركوه ، ولا تنهوا عن المنكر وأنتم فاعلوه ، لا تتركوا فرائض الله ، ولا تغشوا حرمات الله ، وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا ، وأرشدوا فرشدوا ، واعلموا أن الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى ، وما بينكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل بكم : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم » ، ومن لم يعملوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم ، ضربهم الله بالذل وسلط عليهم عدوهم ، وصدق الله إذ يقول : « وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

مصطفى محمد الطير

●●●

من هدى السنة :

لكل نبي معجزة .. والقرآن معجزة المعجزات

للدكتور محمد أبو شهبة

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما بسندهما عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: « وما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

تخريج الحديث : رواه الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب فضائل القرآن - باب كيف نزل الوحى وأول ما نزل - وفى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب بعثت بجوامع الكلم مع الشك فى بعض الألفاظ وهو قوله : « ما مثله أومن أو آمن عليه البشر ... » ورواه مسلم فى كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، ورواه النسائى فى التفسير ، وفضائل القرآن .

ما يتعلق بالسند : روى البخارى الحديث فى الموضع الأول عن شيخه عبد الله بن يوسف قال : حدثنا الليث قال : حدثنا سعيد المقبرى ... الخ .

ورواه فى الموضع الثانى عن شيخه عبد العزيز بن عبد الله : قال : حدثنا الليث عن سعيد يعنى المقبرى عن أبيه ... الخ ، ورواه مسلم عن شيخه قتيبة بن سعيد قال : حدثنا ليث عن سعيد ... الخ ، وقد روى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة ، وسمع الكثير عن أبى هريرة من غير وساطة أبيه ووقع الأمران فى الصحيحين ، وهو يدل على تثبت سعيد وتحريه .

« الشرح والبيان »

« ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ... » .

المراد بالأنبياء الذين كلفوا بتبليغ شرائع إلى الخلق سواء أكانت رسالاتهم خاصة أم عامة ، وهى رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى رواية مسلم « ما من الأنبياء من نبى . . » ، فمن زائدة لتأكيد الاستغراق والشمول لأن النكرة إذا وقعت فى سياق للنفى تعم فجاءت « من » فزادتها عموما ، و «نبى» مبتدأ أى ما نبى كائن من الأنبياء.

« إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر » .

جملة أعطى خبر المبتدأ و « ما » اسم موصول وهى المفعول الثانى لأعطى والمفعول الأول صار بعد البناء للمجهول نائب فاعل ، ومثله مبتدأ وجملة آمن . . خبره والجملة من المبتدأ والخبر صلة الموصول ، و «الآيات» جمع آية والمراد بها المعجزة ، وقد وردت فى استعمالات القرآن الكريم بمعنى المعجزة ، فنى الكتاب الكريم : « وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى »⁽¹⁾ ، أى آية الآيات ومعجزة المعجزات وهو القرآن ، وفى الكتاب أيضا : « وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون »⁽²⁾ . فالمراد بالآية المعجزة .

« ما مثله آمن عليه البشر »

المثل يطلق ويراد به نفس الشىء وعينه ، ويطلق ويراد به مساويه ومشابهه ، ولا يشترط أن تكون المشابهة والمماثلة تامة ، بل قد تتحقق بوجه من الوجوه ، وهو كاف فى تحقيق المشابهة أى مشابهة ما ، ويكون المعنى ما هو آمن عليه البشر ، أو ما مثله ولو بوجه ما آمن عليه البشر .

« آمن » معظم الروايات فى الصحيح جاءت بلفظ آمن أى صدق لأن الإيمان فى اللغة : هو التصديق والإذعان . وفى رواية البخارى فى « كتاب الاعتصام » « ما مثله أومن أو آمن عليه البشر » .

« فأو » للشك من الراوى ، أى اللفظين قاله النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا من تثبت الرواة ، وشدة تحريهم فى الرواية .

أما « أومن » فهو بضم الهمزة ، وسكون الواو ، وكسر الميم من الأمن ، وأما الثانية فهى بمد الهمزة ، وفتح الميم من الإيمان ، وعلى هذه جاءت معظم الرويات كما ذكرت آنفا .

و « عليه » على بمعنى اللام أى صدق لأجله البشر ، وإنما آثر التعبير بعلى لتضمنها معنى الغلبة والقهر ، أى يؤمنون

(1) طه : ١٣٣ (2) الأنعام : ٣٧

بذلك مغلوبا عليهم بحيث لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم .

والمعنى : أن كل نبى من الأنبياء أعطاه الله من المعجزات الشيء الذى من صفته أنه إذا شوهد اضطر المشـــاهد له إلا الإيمان به وذلك إذا كان منصفا ، وإلا فقد تكون المعجزة قوية فى إعجازها ، ملزمة فى دلالتها ، ولكن قد يجحد بها مشاهدها ، ويعاند ، وذلك كما قال تعالى: « وجحدوا بهـا واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين »[1]

والمعجزة : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى صراحة أو ضمنا يجريه الله سبحانه على يد مدعى النبوة ؛ فإذا قام إنسان وادعى النبوة ، وقال : الدليل على صدقى أن يجرى الله سبحانه على يدى مايخالف المألوف من عادته ، ثم يتحدى الناس زرافات ووحدانا أن يأتوا بمثل ما أتى به ، وفيهم الكثيرون ممن هم على شاكلته ، بل ومن هم أشهر منه وأكثر ممارسة لما جاء به ، ثم لم يكن منهم إلا العجز ، وعدم الاستطاعة ـ فلا شك أن هذا دليل قوى ، وبرهان ساطع على صدقه ، وأن ما جاء به من عند الله تبارك وتعالى .

والمعجزة فى دلالتها على صدق النبى قائمة مقام قول الله سبحانه فيما لو أسمعنا كلامه « صدق عبدى فيما يبلغ عنى » فمتى ظهرت المعجزة على يد إنسان وقارن ظهورها دعوى النبوة علم بالضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقا لمن ظهرت على يده ، لأن من المحال أن يؤيده الله وهو كاذب ، إذ تأييد الكاذب تصديق له ، وتصديق الكاذب كذب ، والكذب محال على الله سبحانه وتعالى .

معجزات الأنبياء ملائمة لأزمانها :

وقد شاء الله تبارك وتعالى أن تكون معجزات الأنبياء ملائمة لما اشتهر فى أزمانهم حتى إذا ما عجز الناس عن الإتيان بمثلها كان ذلك أكبر شاهد على صدق من ظهرت على يديه ، ولا سيما أنها تظهر على يد من لم يعرف بالتبريز فيما اشتهر فى زمنه .

ألا ترى أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لما أرسل إلى قـــوم اشتهروا بالسحر والطلاسم ، وبعض العلوم الخفية أعطاه الله بعض آياته مناسبة وملائمة

(١) النمل : ١٤ .

لما اشتهر فى زمنه، فكانت آيته الكبرى هى العصا، تكون فى يده عصا جامدة لاحس فيها، فيلقيها فإذا هى حية تسعى تلتهم ما أمامها.

ولذلك لما حشر فرعون السحرة بحبالهم وعصيهم حتى خيل إلى الرائى من سحرهم أنها تسعى، وألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون - كان أول من آمن بالله هم السحرة لأنهم علموا علم اليقين أن عصا موسى عليه السلام ليست من السحر فى شىء؛ لأن أدرى الناس بالشىء هم أهله، وأيقنوا أن ذلك لن يكون إلا من فعل القهار الذى لا يغالب، اقرأ قول الله فى سورة طه: «قالوا يا موسى إما أن تلقى، وإما أن نكون أول من ألقى. قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى. فأوجس فى نفسه خيفة موسى. قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى، وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى. فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى [1]».

(١) سورة طه - ٦٥ - ٧٠

فلم يجد فرعون - كما هو شأن المغلوب المكابرة - بدا من أن يرميهم بأنه كبيرهم الذى علمهم السحر، وتوعدهم بتقطيع أيديهم، وأرجلهم من خلاف، وتصليبهم فى جذوع النخل، فلم ينل منهم التهديد، ولا الوعيد لأنهم آمنوا عن يقين فقالوا كما قال الله تبارك وتعالى: «لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا: إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر، والله خير وأبقى [1]».

وكذلك أعطى اليد فكانت يده أدماء تميل إلى السمرة فيضعها تحت إبطه فإذا هى تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى. [2]

وسيدنا عيسى عليه السلام لما بعث فى وقت كثر فيه الاشتغال بالطب وعلومه وإلى قوم برعوا فيه كانت آياته مناسبة لما اشتهر فى عصره - فكان يخلق لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا

(١) ٧٢ - ٧٣

(٢) أعطى الله سيدنا موسى تسع آيات قال تعالى: «ولقد آتينا موسى تسع آيات» الإسراء الآية ١٠١ وقال فى سورة النمل: =

بإذن الله ، ويبرىء الأكمه[1] والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله ، قال عز شأنه وتقدست صفاته : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون ، وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين[2] » .

مع أن عيسى عليه السلام لم يكن ممن عرفوا بالنبوغ فى الطب ولا ممن يمارسون هذه الصناعة ، فظهور مثل هذه الخوارق على يديه دليل على أنها من صنع الله ، وأنه صادق فيما ادعاه .

وخاتم النبيين وسيد البشر رسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليه لما بعث فى وقت اكتمل فيه العقل البشرى ، وبلغت فيه البشرية سن الرشد واختير من قوم عرفوا بتملك زمام الفصاحة والبلاغة ، والتصرف فى فنون القول ، وضروبه ، حتى كان غاية الشريف منهم أن يكون شاعـرا مفلقا ، أو خطيبا مصقعا كانت آيته الكبرى قرآنا يتلى بلغ أقصى درجات الفصاحة والبلاغة مع الإصابة فى القول ، والحكمة فى التشريع والصدق فى المعانى ، والنبل فى المقاصد ، والسمو فى الأخلاق والآداب .

« وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى » .

وحيا أى كلا ما معجزا ، حكيما أوحى إليه به من ربه وحيا جليا على لسان جبريل عليه السلام ليس لجبريل ولا للنبى صلى الله عليه وسلم فيه حرف وإنما هو

= « وأدخل يدك فى جيبك - فتحة الثوب من عند العنق - تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات إلى فرعون وقومه ... » الآية ١٢ . وهذه الآيات هى (١) العصا (٢) واليد (٣) والجراد (٤) والقمل (٥) والضفادع (٦) والدم (٧) والطوفان (٨) والسنون أى الجدب والقحط (٩) ونقص الثمرات . والعلماء وإن اتفقوا على العدة إلا أن بعضهم يضع بعض الآيات مكان البعض الآخر كفلق البحر فإن بعضهم عده بدل « نقص الثمرات » على اعتبار أن السنين ، ونقص الثمرات شىء واحد انظر تفسير ابن كثير عند تفسير آية الإسراء

(١) الأكمه الذى ولد أعمى .

(٢) آل عمران : ٤٨ ، ٤٩ .

من كلام رب العالمين « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » [١] .

المراد به أنه أوتى القرآن معجزة عظمى وآياته باقية على وجه الدهر ، لا تفنى آياته ، ولا تنقضى عجائبه ، وقد كانت معجزات الأنبياء السابقين حسية تنقضى بانقضاء أزمانهم فهى لمن شاهدها أما معجزة نبينا الكبرى فكانت معنوية فحسب ولذلك سر .

(١) ذلك أن رسالات الأنبياء السابقين كانت لبعض الناس ولزمان مؤقت محدد فهى محدودة بحدود الزمان والمكان ، خلا رسالة نبينا محمد فهى للناس كافة ، ومستمرة إلى يوم القيامة قال سبحانه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين [٢] » ، « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » [٣] . « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » [٤] .

وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم ، وغيرهما « وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .

٢ — وأيضا فقد جاءت الرسالة المحمدية فى وقت بلغت فيه البشرية الكمال العقلى كما ذكرنا ، فاقتضت الحكمة الإلهية أن تكون آيته الكبرى معنوية باقية ما بقى إنسان ذو عقل وفكر على وجه الأرض .

والحصر المفهوم من كلمة « إنما » فى قوله صلى الله عليه وسلم : (وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى) ليس حقيقيا وإنما هو ادعائى لأن القرآن هو معجزة المعجزات ، وآية الآيات ، فكأن المعجزات الحسية الأخرى لا تذكر بجانب القرآن الكريم .

وإذا كان الكلام سيق هذا المساق ، وخرج هذا المخرج فليس لأحد أن ينكر ما عدا القرآن العظيم من المعجزات الحسية التى ثبتت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فقد ثبتت له صلى الله عليه وسلم من المعجزات الحسية مثل ما ثبت لإخوانه الأنبياء بل وأكثر مما ثبت لهم ، منها ما ثبت بالقرآن الكريم المتواتر كالإسراء

(١) الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥ .
(٢) الأنبياء : ١٠٧ . (٣) سبأ : ٢٨ .
(٤) الأعراف : ١٥٨ .

تصريحا، والمعراج تلويحا، وانشقاق القمر، ومنها ماثبت بالأحاديث المتواترة والصحيحة كنبع الماء من بين أصابعه الشريفة، والبركة فى القليل حتى يغنى غناء الكثير كالطعام، والماء ونحوهما وبحسبى فى هذا المقام أن أنقل نصين عن إمامين كبيرين،

١ - أحدهما عن الإمام الكبير الشافعى - رحمه الله - نقل البيهقى عنه أنه قال: «ما أعطى الله نبيا شيئا إلا وأعطى محمدا صلى الله عليه وسلم ما هو أكثر منه، فقيل له، أعطى عيسى بن مريم إحياء الموتى، فقال: حنين الجذع أبلغ؛ لأن حياة الخشبة أبلغ من إحياء الميت!! ولو قيل: كان لموسى فلق البحر عارضناه بفلق القمر! وذلك أعجب لأنه آية سماوية وإن سئلنا عن انفجار الماء من الحجر؟ عارضناه بانفجار الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، لأن خروج الماء من الحجر معتاد، أما خروجه من اللحم والدم فأعجب، ولو سئلنا عن تسخير الرياح لسليمان!! عارضناه بالمعراج»(١).

وهكذا لو نهجنا منهج الإمام الكبير الشافعى لما عجزنا عن أن نجد لكل معجزة لنبى سابق مثلا لها أو أبلغ منها لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعسى أن تكون لى عودة لهذا الموضوع الجليل.

٢ - ثانيهما عن الإمام الحافظ ابن حجر - رحمه الله - قال فى الفتح: «وأما ما عدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام، وانشقاق القمر، ونطق الجماد فمنه ما وقع التحدى به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحد، وبمجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شىء كثير، كما تقطع بوجود جود «حاتم» وشجاعة «على» وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد، مع أن كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر، وانتشر، ورواه العدد الكثير، والجم الغفير، وأفاد الكثير من القطع عند أهل العلم بالآثار، والعناية بالسير، والأخبار وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه المرتبة، لعدم عنايتهم بذلك، بل ادعى مدع أن غالب هذه

(البقية على ص ٧٣٨)

---

(١) مناقب الشافعى رضى الله عنه ص ٣٨.

أسوة في محاسبة النفس

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن حنظلة بن الربيع الأسدى رضى الله عنه - وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: لقينى أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت نافق حنظلة، قال سبحان الله!! ماتقول؟ قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيرا. قال أبو بكر: رضى الله عنه فو الله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيرا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذى نفسى بيده لو تكونون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات).

أخرجه مسلم والترمذى بروايات مختلفة.

نافق حنظلة: النفاق فى إجماله: مخالفة الظاهر الباطن والقول العمل. رأى العين: يقال جعلت الشيء رأى عينك أى بمرأى منك. عافسنا الأزواج: المعافسة: المعالجة والممارسة والملاعبة والمخالطة. الضيعات: قال الهروى: ضيعة الرجل ما يكون منه معاشه من صناعة أو نخل أو غلة أو غيرها. كذلك أسمعنيه الأزهرى، قال شمر: ويدخل فيها الحرفة والتجارة فيقال: ماضيعتك؟ فيقول: كذا.

وقال ابن الأثير فى النهاية: الضيعات أى المعايش، لسنا فى حاجة إلى بيان فضل

الصحابة ومنازلهم فهم حواريو رسول الله فى السلم وجنوده فى الحرب وقفوا إلى جانبه والتفوا حوله وحملوا معه أعباء الدعوة فبشروا بها ودعوا إليها وبذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيلها فناظروا فيها وقاتلوا لها، وكانوا فى سلوكهم مرائى صافية لما آمنوا به ودانوا له، وكانوا فى إخلاصهم وأخلاقهم صورا صادقة لصاحب الدعوة وإمام الأمة؛ فلا عجب أن يظفروا بثناء الله عليهم وتشريفه إيام ويفوزوا بما وعدهم من المنازل حيث يقول جل شأنه: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذى آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما».

ويقف رسول الله منهم موقف المنافح والمدافع إيفاء لحقهم ورفعا لشأنهم فيقول فيما رواه مسلم: (لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه).

آمن هؤلاء الصحابة بدعوة الإسلام - عقيدة وشريعة - وخالطت بشاشة الإيمان قلوبهم وحكمت شريعته سلوكهم وحملوا مشاعلها إلى آفاق الأرض يستبدلون بظلامها نورا وبظلمها عدلا وبخوفها أمنا فاستجابت لهم الأمم فتحضرت بعد بداوة وتعلمت بعد جهالة وكتب بهم التاريخ فصلا رائعا فى تاريخ البشرية محا بآيته ما شابه من ظلم وظلام.

لم تكن دعوة هؤلاء الصحابة الأعلام أقوالا ترددها أفواههم وشعارات تتصايح بها ألسنتهم بل كانت إيمانا راسخا وعملا جادا وبرهانا على رسوخ ذلك الإيمان.

لقد كانت قواعد الإسلام نصب أعينهم موازين مرفوعة لأعمالهم وتصرفاتهم، إذا بدا من أحدهم ما يرى أنه حاد به عن تلك المبادىء. فما أسرع ما يستيقظ ضميره ويعود باللائمة على نفسه يحاسبها ويعاتبها ويعالج هفوتها ولينهضها من كبوتها، وفى حديثنا الذى

صدرنا به كلمتنا مثل من أمثلة المحاسبة والمعاتبة يضربه لنا أحد صحابة رسول الله هو حنظلة بن الربيع، فقد لقيه أبو بكر رضى الله عنهما فسأله عن حاله فأجابه فى أسف وحيرة، أن حاله سيئة وأنه غير راض عن نفسه؛ لأن سلوكه خارج مجلس رسول الله يخالف سلوكه فى مجلسه، لأنه إذا كان فى مجلس رسول الله وذكره بالجنة والنار وجل قلبه وغشيته الخشية واستغرقه الخوف حتى كأنه يراهما رأى العين وتهون عليه الدنيا ويضمر فى نفسه أن يخلصها لله ويجعل نشاطه كله له لا يسعى فى عيش ولا يخالط أهلا ولا يلاعب ولدا، فإذا خرج من لدن رسول الله غلبته الطبيعة ونوازع النفس وحب الحياة وعالج ذلك، وتلك حالة من النفاق لا يرضاها لنفسه ولا تلائم الإيمان، لأن الإيمان كما يرى أن يكون المؤمن على حال واحدة من الخشية والخوف فى جميع الأماكن وفى كل المواقف فإذا اختلفت أحواله باختلاف مواقفه كان منافقا، ذلك كان تفسير حنظلة للإيمان وتلك شكواه من نفسه إلى أبى بكر وقد كان ذلك التفسير غريبا لدى أبى بكر لأنه لو صح ذلك التفسير لما سلم من وصمة النفاق أحـــد، لأن الناس كلهم هكذا يخافون ويتعظون ولكنهم كأناس يأكلون ويشربون ويتزاوجون فرأى أن يرجع فيه إلى رأى صاحب الدعوة وشارحها ومبين مشكلها صلى الله عليه وسلم فذهبا معا، أبو بكر وحنظلة وعرضا عليه تفسير حنظلة للإيمان وصورة المؤمن الصحيح فى نظره، فأفتاهما رسول الله بما يعدل نظرة حنظلة.

وأن ما كان منه ليس نفاقا ولا يتنافى مع الإيمان ولا يوصم المؤمن من أجله بالنفاق لأن المؤمنين أناس من البشر لهم ميولهم وغرائزهم ولهم حاجاتهم من العيش والشهوات لا تمكن الحياة بدونها ولا بد من الاستجابة لها، وإذا واتت المؤمنين الفرصة — ولن تواتيهم — فى أن ينعزلوا عن الناس وعن الحياة وينقطعوا للعبادة والذكر فلن يكونوا من البشر بل يكونوا صنفا آخر من المخلوقات تسخر الملائكة لتحييهم فى طرقاتهم وفرشهم، ولكن تلك منزلة لن تكون لبشر، فالبشر هم البشر كما خلقهم الله ينزعجون إذا وعظوا ويستقرون إذا أمنوا ويأكلون

ويشربون إذا جاعــوا أو عطشوا ويفرحون ويلعبون إذا دعا داعى السرور والفرح وأوقاتهم موزعة بحكمة الله بين شئون الدنيا والآخرة ، والانتقال من حال إلى أخرى استجابة لتلك السنة لا تعد نفاقا ولا تخل بإيمان المؤمن ولكن للنفاق تفسيراً آخــر وميادين أخرى ليس منــه ما شكا حنظلة ولا ما خشى منه أبو بكر .

تلك شكوى حنظلة التى جعل منها أبو بكر فتيا رفعها إلى رسول الله وتلك فتوى رسول الله ، وفى الشكوى والفتوى جوانب من فضائل الصحابة وحرصهم على سلامة عقائدهم وسلوكهم ومحاسبتهم أنفسهم وجوانب من تقييم الإسلام للإنسان ونظرته إليه نظرة الرفق والحنان ، فنى الحديث أن حنظلة أسرع إلى نفسه بالمعاتبة والمحاسبة حين حسب أن ما وقع منه مما شرح فى الحديث كان نفاقا أتهم به نفسه وخشى منه على إيمانه وأن أبا بكر خشى مما خشى منه حنظلة حتى رأى أن يحسم الأمر بالرجوع إلى رسول الله ، وفى الحديث بيان لموقف الإسلام من النفس البشرية وتقــديره لحاجاتها ومتطلباتها وحسب الإسلام من طاقة الإنسان ساعة يخلصها لله وله بعد ذلك ساعات للعيش وشئون الدنيا وليس من الإسلام مخاصمة الدنيــا والحرمان من طيباتها ، « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

ويزيد ذلك بيانا قول سلمان الفارسى لأبى الدرداء رضى الله عنهما حين شكت إليه زوج أبى الدرداء انصرافه عنها وانقطـاعه للعبادة ـ « إن لربك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقـا ، ولأهلك عليك حقـا فأعط كل ذى حق حقه » وقد أقر النبى صلى الله عليه وسلم ما قال سلمان .

وبعد . فهـذا مثـل لمحاسبة الصحابة أنفسهم ؛ لعل لنا فيه أسوة وما أحوجنا إلى المحاسبة فقـد قست منـا القلوب وساءت الأعمال ، ولا حول ولا قـوة إلا بالله العــلى العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

أبو الوفا المراغى

حول تطور المجتمع الإسلامى :

القضية والمنهج

للأستاذ ابراهيم الخولى

« تطور المجتمع الإسلامى المعاصر » من القضايا التى يدور حولها الجدل ، ويكثر النقاش بحثا عن طريق أو منهج يسير عليه هذا المجتمع وهو يحاول الخروج من مرحلة تاريخية أصيبت حياته فيها بالجمود والتخلف !.

ومهما يكن الوضع الذى توضع فيه هذه القضية ، وبغض النظر عن الدوافع وراء هذا الجدل . . وعن التيارات التى تبدو من خلاله . . فإن مسألة الطريق أو المنهج ليست إلا وجها آخر لتغطية يؤثر الكثير من أطراف الحوار أن يدوروا من حولها رهبة من مواجهتها بشكل مباشر : .

وتحرى هذه القضية يرجع عند التحليل الأخير الى صلاحية الإسلام لقيادة مجتمعنا المعاصر . . . وليست عناوين البحث عن « طريق » البحث عن منهج سوى ستار يراد به إخفاء الوجه الحقيقى للموضوع لأن كشف هذا الوجه صراحة يثير من المحاذير ويكشف عن البواعث ما يعقد الموقف .

فلو أن القضية طرحت بوجهها الحقيقى الذى ينصب عليه الحوار الدائر متسترا تحت عناوين أو مفاهيم تستخدم دون تحديد . . فقيل مثلا : إن المجتمع الإسلامى المعاصر يبحث عن نظرية اجتماعية أو عن نظام اجتماعى ويبنى عليه أو عليها تطوره ! لو قيل هذا بهذا الوضوح والتحديد لأثار من ردود الفعل لدى جماهير المسلمين ما يعبر عنه سؤال كهذا

ألا يملك مجتمع الإسلام اليوم . وهو يستظل براية القرآن - نظرية اجتماعية يجد فيها ضالته التى ينشدها ؟ ! إن القول بحاجة المجتمع الإسلامى إلى نظرية اجتماعية أو نظام اجتماعى خارج إطار القرآن الكريم يعنى تجاهلا أو جهلا بكتاب الله - من جانب - كما يعنى - من جانب آخر - أن ما فى القرآن فى نظر الباحثين عن النظرية باسم الطريق والمنهج أصبح متخلفا عن روح العصر لا يلائم ولا يفى بمطالب التطور المنشود ، ويعنى كذلك أن هؤلاء يعرفون من النظريات أو النظم

ما هو أكثر تقدما وصلاحية من الإسلام لقيادة مجتمعه المعاصر فى تطوره ومن يرى مثل هذا الرأى يتجه إلى هذا السؤال: ماذا تقترح على المجتمع المسلم من تلك النظريات التى هى - فى زعمك - أكثر صلاحية وملاءمة؟ وبأى مقياس رجحت كفتها عندك فذهبت تستوحيها وضربت صفحا عن القرآن الذى وصفه الله بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأيا كانت الإجابة المقترحة ، ومهما أفتن صاحبها فى محاولة الإقناع بها فلسوف تصطدم فى العقل المسلم بما استقر فيه استقرارا لا ينال منه التشكيك .. من أن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم بشهادة الله ، وأن من التمس الهدى فى غيره أضله الله بشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكيف يستطيع مسلم أن يفتح عقله وقلبه لجدل أو حوار يصدر منذ اللحظة الأولى عن اتجاه ينم عن اعتقاد بأن كتاب الله لا يستطيع أن يقدم لنا ما يجعلنا فى غنى عن استيراد نظريات مهما قيل فى شأنها فهى من صنع بشر احتمال الخطأ منهم ليس بأقل من احتمال الصواب - وإفلاس العالم اليوم فى حل مشكلاته رغم ما يسوده من نظريات الغرب ، ونظريات الشرق دليل شاهد على ما لهذه النظريات من قيمة حقيقية بعيدا عن الدعايات والادعاءات .

وإن كشف القناع عن موضوع الحوار الحقيق ووضع العنوان الصحيح للقضية الحقيقية التى يدور حولها الحوار المتستر كفيل بتعرية الاتجاهات والأفكار والدوافع التى تحاول جاهدة أن تخفى وجهها ببراقع كلها ثقوب ما تلبث أن تطل منها عيون الحقيقة المرة التى يراد سترها.

كل دعوى وكل رأى وكل تفكير ينتهى إلى ادعاء أن المسلمين بحاجة إلى ما يقود التطور فى مجتمعهم خارج إطار قرآنهم - كل ذلك وما هو من قبيله مصيره الرفض والإدانة من جماهير المسلمين فضلا عن المفكرين المسلمين .

إن القرآن هو نعمة الله الكبرى التى أتمها الله على المسلمين ، وأكمل بها دينهم لهم . . وهذا القرآن يهدى إلى الرشد كل من التمس الرشد منه ، فردا أو جماعة .. على مستوى أمة واحدة ، أو على مستوى العالم أجمع . والعمل بهذا القرآن دستورا للحياة تلتزم تعاليمه وتطبق فى جدية وإخلاص ، كفيل أن يصنع المعجزات

« ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى » - (أى لكان هذا القرآن) هذا الموقف من القرآن الكريم قدر مشترك بين عامة المسلمين وخاصتهم ، والفرق أن الخاصة يملكون تعليل وتفسير ما يؤمنون به من ذلك ، بينما العامة لا يملكون القدرة على التعليل وإن شئت الدقة لا يملكون القدرة على التعبير عما استقر فى نفوسهم كأساس لهذا الإيمان الذى ملك عليهم نفوسهم .. وهو إيمان لا يقل فى قيمته .. ورسوخه عن إيمان الآخرين !

والذين يطرحون القضية جميعا - على اختلاف دوافعهم وأهدافهم - يدركون هذه الحقيقة جيدا .. ويعلمون أن إزالة الأقنعة عن الموضوع تعنى رفضه رفضا مطلقا .. ومن هنا يكون تعمد الالتواء والتعمية والصياغات غير المحددة ، واستخدام المفاهيم المشتركة بين مدلولات متفاوتة ليكون من هذا الغموض ما يكسر من حدة موقف الجماهير بالحيرة التى تقع فيها عقولهم ، وبالإيهام الذى قد يوحى لكثير من مثقفيهم بأن المسألة مسألة شكلية تتصل بالطريق أو المنهج فهى فى الأساس مشكلة الأسلوب .. وكيفية التطبيق .. أما ماذا تطبق ، فخارج عن نطاق الحوار ! !

لكأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحذرنا من مثل هذا بقوله : « أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان وهل النفاق إلا أن تخفى خلاف ما تظهر وينطق اللسان بما لا يستقر فى العقل والوجدان ؟ ؟

إننا نتساءل : ما المقصود بالطريق أو المنهج الذى يقال إن البحث عنه والحوار حوله ؟ ! وقد كان أدب الحوار يلزم منذ البداية أن يتحدد موضوعه تحديدا لا مجال للغموض معه .

وقد يلقى ضوءا على هذا أن نتذاكر معا أن مفهوم « الطريق أو المنهج » لا يقف فى عرف الاستعمال المعاصر عند أشكال التطبيق أو وسائله .. وإنما هو قبل ذلك مضمون يفرض أسلوب تطبيقه ووسائل تنفيذه فهو الأصل وهى فرع عليه .. ولا توجد نظرية اجتماعية أو نظام أو فلسفة .. فى الشرق أو فى الغرب إلا ومضمونها يفرض أسلوب التطبيق ووسائل الممارسة التى تجعل من النظرية واقعا وحياة !!

فهل نحن نبحث عن طريق أو منهج خال من مضمون ! هل عندنا مضمون لا يعرف له طريقا أو منهجا للتطبيق ؟ !

إن مفهوم الطريق أو المنهج هو مرادف أو مساو لمفهوم : « النظام الاجتماعى » « أو النظرية الاجتماعية » دون فرق . .

ومن الشائع فى الفكر المعاصر استخدام هذه المفاهيم : « الطريق الرأسمالى » بمعنى النظام الرأسمالى و « الطريق الشيوعى » بمعنى « النظام الشيوعى » و « الطريق الثالث » تعبيرا عما تمارسه الدول النامية مراعى فيه أنه يختلف عن هذا وذاك بدرجة أو أخرى ! !

بل كثيرا ما يستخدم مصطلح أسلوب الإنتاج الرأسمالى كمرادف « للنظام الرأسمالى » وأسلوب الإنتاج الشيوعى كمرادف « النظام الاجتماعى الشيوعى » دون فروق ! !

الطريق أو المنهج أو الأسلوب إذن مصطلح يتضمن ما نعنيه بالنظرية الاجتماعية أو النظام الاجتماعى المعين ومن الخطأ الوقوف به عند المعانى اللغوية لكلمة طريق أو منهج حتى يتاح لنا فهم ما يدور عند استخدام هذه المصطلحات ! !

والإسلام هو الآخر منهاج وطريق بهذا المفهوم ، فهو نظام اجتماعى كامل أو إن شئنا الدقة هو المثل الأعلى للنظام الاجتماعى ، الذى يريد الله للبشرية أن تتسامى لبلوغه والوصول إليه ! مع فارق طبعا يتمثل فى أنه من وضع الله

والإسلام بهذا المعنى يعطى عند التحليل السريع مضامين ثلاثة أساسية :

(١) فكرة - ولا يقصد بها المعنى الشائع المألوف ، بل يقصد بها ما يقابل ما اصطلح على التعبير عنه بمثل هذه المفاهيم فلسفة - نظرية - إطار نظرى الخ ومع أن من الممكن استعارة مصطلح من هذه - فمن الخير أن يظل قدر من التفرقة يحمى من الخلط بين ما هو من الله ، وما هو من ثمرة تفكير الإنسان !

(٢) حركة - تحمل الفكرة ، وهى فى حالة نشاط . . تهىء لها سبيل التطبيق وتمكنها من صوغ الحياة وفقا لها . . . هذه الحركة لها مسار يوازى ويواكب مسار الفكرة - فى اتساق محكم .

هذه الحركة لا تسير عفويا . . ولا عشوائيا . . وإنما يقف وراءها منهج .

(٣) منهج يقف وراء الحركة وما تحمل

من فكرة .. يحدد المسار ويضبطه بحكم التفاعل بين العنصرين فى دقة وتكامل .

هذه الأبعاد الثلاثة : الفكرة والحركة والمنهج (بمعناه الدقيق هنا) تشكل فى تكاملها وتفاعلها الإطار العام للإسلام كما يتبدى لنا من خلال تجربة التغيير الاجتماعى الأولى التى أنجزها الإسلام فى صدره الأول .. وغير من خلالها مجتمع شبه الجزيرة إلى واقع جديد فى بعديه : المادى والروحى على السواء ! (مما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد) .

أليس غريبا بعد هذا ـ أن يقال : إن المجتمع الإسلامى يبحث عن طريق أو منهج ؟ ! .

أليس هو ينتمى إلى الإسلام ويتخذ منه عنوانا وسمة تميزه عما عداه .. وتحدد شخصيته ؟ وإذا كان هذا الانتماء حقيقة بالفعل وفى الواقع فإن القول بحاجة المجتمع الإسلامى إلى البحث عن منهج التطور يحتاج إلى إيضاح !!

إن دعوى الحاجة إلى منهج أو طريق لا تقوم إلا على أحد احتمالين أو فرضين لا ثالث لهما : فإما أن هذا المجتمع أو بالأحرى ـ مفكريه ـ لا يجدون فى الإسلام ما يلبى هذه الحاجة ويشبعها ـ وبالتالى، فالبحث مشروع يستمد شرعيته من هذه الضرورة التى لا يختلف عليها وهى أنه لابد لهذا المجتمع أن يتطور حتى لا يبقى فى مكانه بينما الدنيا كلها تتحرك .. فى سباق مع الزمن عنيف ورهيب !

وإما أن هذا المجتمع أو بالأحرى ـ مفكريه ـ لم يعد حريصاً على استمرار انتمائه للإسلام ، ولا يعنيه فى سبيل تحقيق التطور المنشود أن تكون قيادته للإسلام أو لغيره .. فالمهم أن نخرج من هذا التخلف !!

وفى الحق أن هذه المرحلة من حياة المجتمع الإسلامى هى أخطر مراحله ، وما سوف يسفر عنه من نتائج بالغة الخطر على مستقبله وما يحيط بنا اليوم يحتم علينا أن نتبصر أى طريق نختار .. وعلى أى منهج نسير .. وبدون هذا التبصر فنحن معرضون للوقوع فى خطأ تاريخى قد يسىء إلينا وإلى تاريخنا .. وديننا وأمتنا .. بل وإلى الإنسانية التى تنتظر دورنا من أجل سلامها وخيرها .. والحد من صراعات النظم فيها .. بما يسجل على هذا الجيل ما لم يسجله التاريخ على أى جيل سبق !!

إن ما نراه على صعيد الحركة الفكرية المعاصرة فى العالم الإسلامى إذا ترك للزمن يكشفه ويعمقه .. ويوسع من دائرة انتشاره، قد يفاجىء الكثيرين منا بما لم يكن فى الحسبان لو قدر لتلك البذور التى تلقى بين حنايا الفكر الإسلامى وفى منعطفاته - أن تنمو - وهناك من يتعهدونها بالإنماء - وتثمر .. وتصبح شجرة الزقوم .. التى لا تحيا إلا فى الجحيم ولا تخرج إلا فى أصله !! ولعل ماحدث فى أكبر دولة إسلامية معاصرة من حرب أهلية بين موحدين .. ومن انقسام لسنا ندرى إلى أين تمتد آثاره .. لعل ماحدث هناك يكون نذيرا لنا فى كل بلد مسلم بين يدى خطر يتزايد كل يوم وإذا استمرت الأمور تجرى - هكذا - فى أعنتها فإن هول المفاجأة سيكون فى مستوى ما نحن فيه من غفلة وركون إلى الدعة ..!

ولست من أنصار التهويل، ولا أريد أن أشق على الناس، لكن المسألة جد وليست بالهزل، إن وضع هذه القضية «صلاحية الإسلام لقيادة مجتمعه المعاصر فى تطوره» موضع الجدل والمناقشة بين المفكرين والمثقفين على نحو يحتمل الإجابة بنعم .. أولا : لا ينبغى أن ينظر إليه كما ينظر إلى أية قضية أخرى - إنه يعنى - من وجه آخر - سؤالا غير مباشر، هل يبقى المجتمع الإسلامى على انتمائه للإسلام ! يعرف هذا جيدا من لهم خبرة بالتحولات الفكرية والاعتقادية فى حياة المجتمعات، ولهم إلمام بكيفية رصدها وقياسها وتحليل عواملها.

لقد كانت هذه القضية - عند الأجيال السابقة - على درجة من الوضوح تصل إلى حد البداهة، التى قد لا يحتاج معها إلى سرد البراهين وإقامة الأدلة، فهل هى اليوم على هذه الصورة ؟!

ولو طرحنا على المفكرين والمثقفين فى عالمنا الإسلامى هذا السؤال، ما هو الطريق أو المنهج الذى ترونه أنسب لتطور المجتمع الإسلامى فى هذه المرحلة من تاريخه؟ لوجدنا من يتجهون فى إجاباتهم نحو الإسلام قلة قليلة بجانب كثرة عناصره سوف تكون إجاباتهم أخلاطا شتى .. وطرائق قددا.

والسؤال على هذا الوجه قد يكون وسيلة جيدة ترينا إلى أى مدى يتصل

الفكر المباشر بالإسلام أو ينفصل عنه وتتكشف لنا جوانب مما يسمى بالأزمة « الفكرية » عند جيلنا !

ولو أننا طرحنا السؤال على وجه مباشر وقلنا : هل يصلح الإسلام لقيادة المجتمع المعاصر فى تطوره ؟! لحصلنا على إجابات من نوع مختلف .. فى دلالته ، ولسوف تتنوع هذه الإجابة ما بين نعم واثقة حاسمة .. ولا حادة صريحة !! وبين لا ، ونعم تتفاوت المواقف ، من موافقة سلبية لا تملك لها سندا أو دليلا ، إلى تردد حائر لا يكاد يستقر ، إلى دهشة قد لا يستطيع صاحبها ولا غيره لها تفسيرا !

وما نصل إليه من خلال السؤال الأول هو تعرف على اتجاهات وتيارات وكشف لمصادرها !!

وما نصل إليه من خلال السؤال الثانى هو تعرف على مواقف ، لا تدل على اتجاهات فكرية فحسب ، وإنما تدل فوق ذلك على التزام مذهبى معين ، لا يقف صاحبه عند حدود ذاته ، وإنما هو يتحرك بفكره على نحو ما يهدف التأثير على اتجاهات الحركة الفكرية العامة ، ودفعها دفعا فى اتجاه معين ، تبرز آثاره فى المحصلة الأخيرة لفكر المجتمع ويستطيع من يريد أن يرصدها ويقيسها عن طريق وسائل النشر ، والإعلام ، أو عن طريق تتبع الرأى العام وقياسه !!

ولست أريد هنا دعوة إلى التدخل عن طريق السلطة أو الدولة . أو حدا من حرية الفكر والرأى ، وإن كان هذا المدى من حرية الفكر والرأى مسألة قابلة للنقاش . . وإلا فهل يستطيع من يطرحون « صلاحية الإسلام للقيادة فى مجتمعاته » على بساط البحث ويجدون الجرأة على أن يجيبوا بلا . هل يستطيع أحدهم أن يشير لنا إلى كاتب فى الشرق أو فى الغرب يستطيع أن يطرح قضية الانتماء أو الالتزام بالمذهب الاجتماعى السائد فى دولته ؟ إلى غيره ثم يقبل منه دعوى لقاء ولائه له ؟

هل يستطيع كاتب فى الشرق أن يقول إن الشيوعية لا تصلح أو يدعو إلى مناقشة مفتوحة فى هذا ثم لا يكون مصيره مصير باسترناك .

وهل يستطيع كاتب فى الغرب فى أمريكا مثلا : أن يعلن أن النظام الاجتماعى من أساسه غير صالح ويجب أن يتغير تغيرا

نقيضه إلا إذا كان مؤمنا بنظام آخر يحل ولاءه للنظام القائم محل تساؤل ؟

على أن الأمر فى مجتمع الإسلام يختلف؛ ذلك أن الحوار مهما اتخذ من موضوعات هناك لا يخرج عن إطار قضايا ترجع فى أصولها إلى نظم وضعيه صنعها بشر.. ويرفضها بشر كذلك.. أما هنا فالأمر يتجاوز ذلك ويصل إلى قضية الاعتقاد نفسها وهى تعنى بالنسبة للمجتمع الإسلامى أن يبقى أو ألا يبقى انتماؤه للإسلام

مهما يكن من أمر فهذه الظاهرة التى نراها فى الفكر الإسلامى المعاصر، يزداد وضوحها ويسهل فهمها إذا تذكرنا أن الأمة الإسلامية تمر بمرحلة تاريخية ليس مكانها فيها مكان الصدارة.. ولا دورها فيها دور القيادة كما كانت يوما ما ! ؟ بل ربما كان دورها دور التابع فى كثير من أقطارنا الإسلامية المبعثرة على خريطة عالم لا يعرف سوى منطق القوة.. ولا يجد لها سبيلا سوى التكتلات والتجمعات الكبيرة ! !

هى مرحلة تاريخية باستطاعتنا أن نخرج منها ونتخلص من آثارها لو اكتشفنا أسبابها.. وعرفنا كيف نقضى عليها ! !

وهذا الواقع الذى نراه.. بكل أبعاده إنما هو من آثار فترة طال بها الأمد.. انفصل فيها المجتمع الإسلامى تحت عوامل شتى. عن مصدر التوجيه الذى لا حياة له بدونه وهو « القرآن » ! !

وقبل حدوث ظاهرة الانفصام هذه فى حياة الأمة الإسلامية ويوم كانت للقرآن الكلمة المسموعة فى توجيه الحياة كان للمسلمين مكان مختلف.. وكان دورهم فى الحياة مختلفا !! ومن حسن الحظ أن هذا المكان ما زال شاغرا وهذا الدور ما زال ينتظرهم ليستأنفوه من جديد.. من أجل الإنسانية المعذبة.. التى استراحت من آلامها ردحا من الزمن يوم كان قياد العالم للإسلام !!

إن تفسير الواقع الراهن فى البلاد الإسلامية بأنه من آثار الاستعمار وما خلفه فيها من نتائج إنما هو تفسير بالسبب القريب الذى إن فسر مرحلة من تاريخ هذه البلاد فإن يفسر مرحلة أخرى..

والنظرة الشاملة للتاريخ الإسلامى تبرز لنا سببا أبعد وأعمق غورا وآثارا بحيث يستطيع أن يفسر لنا سلسلة النكبات والكوارث التى حاقت بنا..

هذا السبب فى نظرنا هو « الانفصام » الذى أشرنا إليه بين المجتمع الإسلامى ومصدر التوجيه الذى لا يكون مجتمعا إسلاميا بدونه .. هو انفصال العقل المسلم عن توجيه القرآن فى مجال العقيدة .. وفى النظرة للكون والحياة وانفصال الوجدان المسلم عن القيم والمعانى الإنسانية ، والمثل الأخلاقية ، التى كان يستمدها من توجيه القرآن ! !

ثم انفصال السلوك عند المسلمين عن ذلك التوجيه القرآنى فى العقيدة والأخلاق والمعاملات حتى أصبح هذا السلوك - إذا قيس بمقاييس - القرآن - عاجزا عن تبرير انتماء صاحبه للإسلام !!

وهل الاستعمار نفسه ووقوع المسلمين فى قبضته إلا أثر من آثار ذلك « الانفصام » ونتيجة غير مباشرة له ؟

إن هذا هو منطق التاريخ .. ما يعتبر سببا لغيره فى مرحلة قد يكون نتيجة لسبب أو أسباب تنتمى إلى مرحلة سابقة !!

الانفصام أو الانفصال عن القرآن فى التفكير والتوجيه هو علة العلل كلها فى المجتمع الإسلامى .. هو السبب فيما أصابه فى أمسه .. وهو التفسير لما يعانى فى يومه .. والقضاء على هذا الانفصام هو مفتاح الطريق لصنع مستقبله ! !

ابراهيم الخولى

(بقية المنشور على ص ٧٢٥)

الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظرى لم يكن مستبعدا .

« فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

رتب هذا الكلام على ما تقدم من كون معجزته الكبرى القرآن وهى مستمرة ومتجددة إلى يوم القيامة ينتفع بهذه المعجزة من غاب ، ومن حضر ، ومن وجد فى زمانه صلى الله عليه وسلم ومن سيوجد بعد إلى يوم القيامة ؛ فمن ثم حسن ترتيب الرجاوة المذكورة على ذلك وقد تحققت هذه الرجاوة ، فإنه أكثر الأنبياء تابعا له ، ومقتديا به ، فلله الحمد على ما أنعم ووفق ؟

د . محمد محمد أبو شهبة

خطأ الطبيب وإهماله بين الشريعة والقانون

د. محمد رأفت عثمان

يخطىء بعض الأطباء فى تشخيص المرض الذى يشكو منه المريض فيصف له دواء قد يضر به ، وقد يبالغ الأمر ببعضهم ألا يعطى العمل القائم به ما يستحقه من العناية ، كأن يجرى عملية جراحية لمريض بصورة غير الصورة الواجب القيام بها ، أو ينسى أداة من أدوات الجراحة داخل بطن من أجريت له العملية الجراحية ، وفى كل الحالات قد يترتب على الخطأ أو الإهمال مالا تحمد عقباه من انتكاس صحة المريض أو وفاته ، الأمر الذى يثير سؤالا عن مدى مسئولية الطبيب الذى أخطأ أو أهمل فأدى خطؤه أو إهماله إلى حدوث ضرر للمريض الذى حاول علاجه .

وسنحاول بيان موقف الفقه الإسلامى تجاه هذه القضية ، ثم نتبع ذلك ببيان اتجاه القانون الوضعى ، ثم نقارن بين موقف كل من الفقه الإسلامى والقانون .

فأما من ناحية بيان موقف الفقه الإسلامى ، فنستطيع أن نقرر أن فقهاء الإسلام قد اتفقوا على أمرين هامين :

الأمر الأول : أن المعالج إذا كان جاهلا بأمور الطب فزاول علاج الناس فنتج عن علاجه موت أحد المرضى أو تلف عضو من أعضائه يكون مسئولا ويستحق العقاب ، وذلك لأن الشريعة الإسلامية إنما أباحت للطبيب العارف بأمور الطب أن يزاول عمله حرصا على حياة الناس ، وتوفير كافة الأسباب المؤدية إلى خلاصهم من آلامهم وأوجاعهم ، ولو لم تبح الشريعة الإسلامية للطبيب العارف بأمور الطب أن يعالج الناس ، وعاقبته على ذلك لترتب على ذلك — فى الغالب تعريض حياة الناس وصحة أبدانهم للخطر ، وهو أمر ممنوع فى الشريعة الإسلامية لقوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » .

ولهذا نرى الأمر يرد من رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بأن يتداووا ،

فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أنس عنه : « إن الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا » (فتح البارى جـ ١٠ ص ١٠٤) .

وأما إذا زاول الجاهل بأمور الطب هذا العمل الجليل فهو حينئذ يكون قد تطاول على أمر ليس مباحا له ، متعدٍ على ما ليس من اختصاصه ، ولذلك فقد وجب عقابه إذا نتج عن عمله إضرار بالمريض الذى عالجه ، وهذا بإجماع العلماء يقول ابن قيم الجوزية : الطبيب الجاهل إذا تعاطى علم الطب وعمله ، ولم يتقدم له به معرفة ، فقد هجم بجهله على إتلاف الأنفس وأقدم بالتهور على ما لم يعلمه ، فيكون قد غرر بالعليل فيلزمه الضمان لذلك ، وهذا إجماع من أهل العلم ، ويقول الخطابى : « لا أعلم خلافا فى أن المعالج إذا تعدى فتلف المريض كان ضامنا ، والمتعاطى علما أو عملا لا يعرفه متعد » .

وقد استند العلماء فى إجماعهم على وجوب عقاب الطبيب الجاهل الذى أضر بالمريض إلى حديث مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « من تطبب (أى تكلف الطب وهو جاهل به) ولم يكن بالطب معروفا فأصاب نفسا فما دونها فهو ضامن » (زاد المعاد لابن القيم جـ ٣ ص ١٠٩ ، سبل السلام للصنعانى جـ ٣ ص ٢٥٠) .

الأمر الثانى من الأمرين اللذين اتفق عليهما الفقهاء الإسلاميون : هو أنه لا عقاب على من قام بالعلاج لمريض فمات هذا المريض أو تلف عضو من أعضائه ، إذا توافر لعمله عدة شروط :

١ — أن يكون من قام بالعلاج له الدراية التامة بأمور الطب .

٢ — ألا يكون قد قصر فيما توجبه عليه مهنة الطب .

٣ — ألا يكون الضرر الذى حصل للمريض قد نتج عن خطأ وقع من يد الطبيب ، كما إذا كان الجراح قد أراد أن يختن طفلا وبدلا من أن يقطع الجلدة المعروفة زلت يده فقطع رأس العضو مثلا ، وما شابه ذلك .

٤ — أن يكون الطبيب قد حصل قبل مباشرته العلاج على إذن من المريض نفسه إن كان بالغا عاقلا ، أو إذن وليه إن لم يكن المريض بالغا عاقلا أو كان فى حالة لا تسمح له بإعطاء الإذن .

فإذا ما توفرت هذه الشروط التى ذكرناها فليس على الطبيب عقاب على

ما قام به من عمل ، وعلى هذا فإذا قام الطبيب مثلا بإجراء جراحة ختان لصبى فى وقت وسن مناسبين لهذه العملية ، وقد أذن له ولى الصبى فى ذلك ، وأعطى العملية ما يجب لها ، ومع ذلك كله مات الصبى أو تلف عضو التذكير فليس على الطبيب عقاب فى ذلك باتفاق العلماء ، يقول ابن قيم الجوزية : إن الطبيب الحاذق الذى أعطى الصنعة حقها ولم تجن يده ، فتولد من فعله المأذون من جهة الشارع ومن جهة من يطب تلف العضو أو النفس أو ذهاب صفة فهذا لا ضمان عليه اتفاقا . (زاد المعاد لابن القيم جـ ٣ صـ ١٠٩) .

وأما إذا تخلف شرط من هذه الشروط الواجب توافرها فى عمل المعالج ، كان كان من قام بالعلاج من الجهلة الذين يتطفلون على هذه المهنة الجليلة ، ويتهجمون على المساس بالجسم الإنسانى ، لا يمنعهم من ذلك وازع من خلق أو دين ، أو كان المعالج طبيبا لكنه قد قصر فيما توجبه عليه صنعته ، أو أخطأ فى العلاج الذى اتبعه ، أو لم يكن الطبيب قد حصل على إذن من المريض أو من وليه قبل أن يبدأ فى علاجه ، فالاتجاه القوى فى الفقه الإسلامى فى كل هذه الحالات أنه يجب مؤاخذة من قام بالعلاج ، ويعاقب على العمل الذى أقدم عليه .

على ذلك نص فقهاء المالكية والشافعية (التاج والإكليل جـ ٦ صـ ٣٢٠ ، ٣٢١ ، نهاية المحتاج للرملى جـ ٧ صـ ١٨٣ ، حاشية الشبراملسى جـ ٧ صـ ١٨٣) .

وأما فقهاء الحنابلة فبعضهم يوافق الشافعية والمالكية فى هذه الشروط التى اشترطوها فى هذا المجال ، وهى وجوب توافر الإذن من المريض أو من وليه للطبيب المعالج ، وأن يكون القائم بالعلاج عالما بأمور الطب ، وألا يكون قد قصر فيما توجبه عليه هذه الصنعة .

فإذا تخلف أحد هذه الشروط فعلى المعالج تقع مسئولية وفاة المريض أو الضرر الحاصل له ، والبعض الآخر من فقهاء الحنابلة وهو ابن قيم الجوزية يرى احتمال أن الطبيب لا يضمن مطلقا ، أى سواء أكان قد حصل على إذن من المريض أو من وليه أو لم يحصل على إذن من واحد منهما ، ما دام قد توافر فيه شرطا العلم بالطب ، وإعطاء الصنعة حقها . (زاد المعاد لابن القيم جـ ٣ صـ ١١٠) .

ولكن كيف نعلم أن الوفاة أو إتلاف عضو من أعضاء المريض كان نتيجة لخطأ الطبيب؟ بين الفقهاء الإسلاميون أن ذلك ممكن بأحد أمرين :

إما أن يعترف الطبيب نفسه بالخطأ الذى وقع فيه ، وإما أن يقرر شاهدان طبيبان تتوافر فيهما الشروط المطلوبة فى الشاهد: أن العلاج الذى قرره لم يكن متناسبا مع المرض .

ثم يبين الفقهاء طريق معرفة كون المعالج طبيبا أو جاهلا مدعيا للطب، فيقولون : إن معرفة ذلك تتحقق بأحد طريقين :

إما بشهادة طبيبين متصفين بالعدالة يشهدان أن فلانا هذا له الدراية بالطب وإما باشتهار من يقوم بالعلاج بمعرفة الأمراض وعلاجها ، لكثرة من حصل له الشفاء بمعالجته إياه . (نهاية المحتاج للرملى جـ٧ صـ١٨٣ ، حاشية الشبراملسى جـ٧ صـ١٨٣) .

وبعد ، فهذا هو الاتجاه القوى فى أقوال الفقهاء الإسلاميين فى مجال مساءلة الطبيب أو عدم مساءلته إذا أخطأ أو أهمل ، ونتج عن خطئه أو إهماله إضرار بالمريض .

وإذا ما انتقلنا من الفقه الإسلامى إلى القانون الوضعى لنرى اتجاهه إزاء هذه المسألة ، رأينا أن القانون المصرى ينظر إلى مزاولة الطبيب لعمله باعتبارها من قبيل استعماله لحق قد كفله له القانون ، وغير الطبيب لم يعطه القانون هذا الحق فإذا ما حاول غير الطبيب كالتومرجى أو الحلاق المساس بجسم المريض يكون حينئذ معتديا على حق غيره ، ويكون قد استحق العقاب . (النظرية العامة للجريمة للدكتور أحمد فتحى سرور ٢٢٥) .

وثمة شروط لا بد من توافرها بحكم القانون حتى لا يقع من مارس العمل الطبى تحت طائلة العقاب ، وهذه الشروط هى:

أولا : أن يكون القائم بالعلاج مرخصا له بإجراء العمل الطبى .

ثانيا : أن يكون من قام بالعلاج قد مارس هذا العمل قاصدا علاج المريض .

ثالثا : أن يحصل المعالج على رضا المريض ، أو رضا وليه .

رابعا : ألا يكون الطبيب قد وقع منه خطأ أو إهمال . (الأسس العامة لقانون العقوبات للدكتور سمير الجنزورى صـ١٩٣) .

وتكاد أن تكون هذه الشروط هى الشروط التى اشترطها الفقهاء الإسلاميون فى المعالج حتى لا يكون مستحقا للعقاب وبقليل من التأمل ندرك أن مضمون الشرط الأول فى القانون الوضعى هو مضمون الشرط الأول فى الفقه الاسلامى فالفقه الإسلامى يشترط أن يكون القائم بالعلاج طبيبا ، والقانون يشترط أن يكون القائم بالعلاج مرخصا له بإجراء العمل الطبى ، والحادى إلى اشتراط كلا الشرطين كل فى ناحيته ، هو منع تهجم أدعياء الطب على هذا العمل الجليل ، وإلا تعرضت صحة الناس وحياتهم للخطر وغاية الأمر أن المشرع الوضعى رأى أن المسألة تحتاج إلى تنظيم هذا العمل ، بعد أن نمت الخبرة الطبية وأصبح لها دور يمارس فيها تعليم هذا العمل الجليل ، وسدا للذرائع حتى لا يتهجم الأدعياء على هذه المهنة فيتجرأوا على مزاولة علاج الناس فيتسببوا فى الإضرار بصحتهم وقد يودون بحياتهم - اشترط المشرع الوضعى حصول القائم بالعلاج على ترخيص بمزاولته للعمل الطبى ، فالغرض من الشرط الأول فى الفقه الإسلامى والقانون الوضعى واحد ، هو التأكد من أن المعالج الذى يعالج المرضى ليس من الجملة أدعياء الطب بل هو طبيب له صفات الأطباء .

وأما الشرط الثانى فى القانون الوضعى ، وهو قصد العلاج فهو شرط ملاحظ فى المسألة من أول الأمر فى الفقه الإسلامى ، لأن فرض المسألة التى يتكلم فيها الفقهاء الإسلاميون هو مدى مسئولية الطبيب إذا عالج فنتج عن علاجه إضرار بالمريض ، فلا حاجة إذن إلى النص على هذا الشرط فى الفقه الإسلامى ، مادام موضع الكلام هو العلاج الذى ينتج عنه الإضرار بالمريض ، فإذا لم يكن الحادى الطبيب إلى عمله هو قصد العلاج فقد خرج الكلام إلى مسألة أخرى هى التعدى على إنسان سواء أكان ذلك باتفاق مع هذا الإنسان أم بغير اتفاق معه .

فاشتراط القانون الوضعى أن يكون الغرض هو قصد العلاج هو أيضا مشروط فى الفقه الإسلامى من أول الأمر فى مجال هذه المسألة التى معنا الآن .

بقى بعد ذلك الشرطان : الثالث

(البقية ص ٧٤٨)

من قضايا الفقه :

الضّرر والضِّرار

للأستاذ محمد الشرقاوى

من المفاهيم المقررة فى أصول الشريعة وفروعها أن الضرر ، والضرار ، والإضرار .. كلها داخلة فى إطار الحظر الشرعى بحيث تجب مدافعتها وإزالتها ، والخلاص من آثارها وتوابعها على قدر ما توافى الطاقة ، ويحقق التوازن المعقول بين آحاد الأضرار المتزاحمة ، والمفاسد المتعارضة ، وتقديم الراجح منها على المرجوح ، وإباحة المحظورات والمحرمات تحت ضغط الضرورات والحاجات الملحة مع التقيد فى ذلك بما تندفع به الضرورة والحاجة ، ونبذ مازاد عنه ، والالتزام بحالات العذر المفضى إلى المشقة والحرج فى الانتفاع بالرخص الشرعية التى تتوخى السماحة والتيسير ، والموازنة بين الضرر وما يساويه أو ما يزيد عنه ؛ حيث ينعدم الاختيار فى الأول . ويجب اللجوء إلى أخف الضررين فى الثانى ، والتمييز بين ما هو مفسدة محضة أو مصلحة خالصة حتى يقدم درء المفاســد على جلب المصالح عند التعارض .

ولقد عنى الفقهاء عناية ملحوظة بهذا اللون من البحث العلمى ، وبذلوا جهودا مشكورة فى استنباط القواعد الأساسية من مصادرها الشرعية ، وإحاطتها بإطار متكامل من المبادىء العامة ، والأصول الفقهية التى تشكل معها وحدة متناسقة من العمل الفقهى المدعم بالدليل ، والمنظم بالعقل ، والتفكير الصائب ، والتفريع الدقيق ، ومن تلك القواعد قاعدة الضرر وما يلابسه من اعتبارات متباينة تتردد بين المصلحة الراجحة أو المضرة المساوية أو المرجوحة وما إلى ذلك مما يستدعى تدخل العقلية الفقهية لتغليب المصالح العامة على الخاصة ، ودفع الأشد من المفاسد بالأخف منها ، وتحديد ما استثنى من ذلك وما لم يستثن ، ثم فرعوا على تلك الأصول المسائل الملائمة ، والفروع

المتولدة ، وقد عبروا عن ذلك بقولهم « الضرر يزال » . وقد اعتبرها السيوطى أساسا لكثير من أبواب الفقه ومسائله وفى ذلك يقول[١] : اعلم أن هذه القاعدة ينبنى عليها كثير من أبواب الفقه ، من ذلك الرد بالعيب ، وجميع أنواع الخيار لاختلاف الوصف المشروط ، والتعزير ، وإفلاس المشترى ، والحجر بأنواعه على القول المفتى به ، والشفعة التى شرعت لدفع ضرر القسمة عند السيوطى ، وللجار لدفع ضرر الجار السوء زيادة على ذلك عند ابن نجيم[٢] والأول يمثل رأى الشافعية ، والثانى يمثل رأى الحنفية ، والقصاص ، والحدود وضمان المتلفات ، والجبر على القسمة بشرطه ، ونصب الأئمة ، والقضاة ، ودفع الصائل ، وقتال المعتدين من المشركين والبغاة والخارجين على القانون حتى فرعوا عليها[٣] :

أن من اشترى شجرة تعلو فروعها على جدران جيرانها وإذا ارتقاها المشترى اطلع على عورات الجيران فإنه يؤمر بأن

(١) الأشباه والنظائر للسيوطى ص ٧٦

(٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٣٤

(٣) البزازية .

يخبرهم وقت الارتقاء ليستتروا ، مرة أو مرتين ، وإلا فإن الحاكم يمنعه من الارتقاء.

والمصدر الأساسى الذى انبثقت عنه هذه القاعدة هو قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار[١] » ، وهو حديث حسن[٢] والمعنى : لا يباح فى الإسلام أن يضر المرء نفسه أو غيره ومما ينطوى ضمن هذا الحديث الشريف قولهم فى قواعد الفقه العامة : « المشقة تجلب التيسير » .

بيد أن ثمت حالات تعترى المرء فى حياته يجد فيها نفسه متورطا إلى الحد الذى لا يستطيع معه الخلاص من حتمية تناول المحرمات ، وتستغلق دونه كل كل أبواب الفكر ، ومسالك البصر ، ومنافذ التصرف ؛ بحيث لا يبقى له خيار إلا بين أمرين ، أحلاهما مر .. فإما تعاطى المنهيات على الرغم منه ، وإما الموت أو تلف الأعضاء وهنا نجد فى تضاعيف الشريعة السمحة مايلبى حاجة هذه المآزق

(١) أخرجه مالك فى الموطأ مرسلا ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ، والبيهقى والدارقطنى ، وابن ماجه .

(٢) المواهب السنية صـ ١٥٠ .

لحرجة ، وينقذ هذا المتورط من حمأة التردى بين الجمود المؤدى إلى الهلاك أو التلف ، وبين اقتحام المحرمات .. وذلك حين نقرأ قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم »[1] ، ومن هنا ربط الفقهاء بين المبدأ المستوحى من هذه الآية الكريمة وأمثالها من قوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »[2] ، وقوله : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج »[3] ، وبين القاعدة الأم : « الضرر يزال » فقالوا : « الضرورات تبيح المحظورات » وضربوا لذلك مثلا : أكل الميتة عند المجاعة المجحفة وإساغة اللقمة المعترضة فى الحلق بالخمر إذا تعينت الخمر للإساغة ، والتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه بالقتل أو القطع أو التعذيب الشديد المفضى إلى الخطر ، ومثل الضرورة الحاجة الشديدة سواء كانت عامة أو خاصة والحاجة هى وصول الإنسان إلى درجة من المشقة لا يترتب عليها الهلاك أو التلف ولكن توقعه فى الجهد الجهيد ، وهذه تفتح أمام صاحبها باب الرخص الشرعية مثل الفطر فى رمضان للمسافر والمريض والحامل ونحو ذلك .

إلا أن استعمال هذا الحق فى تناول المحرمات فى حالة الضرورة لا ينبغى أن يفهم على أوسع معانيه .. بل هو مقيد بقدر ما تندفع به الضرورة ؛ ولذلك ذكروا فى قواعدهم المتصلة بقاعدة هذا البحث « ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها » ومثلوا لذلك : بالمضطر إلى أكل الميتة أو احتساء الخمر .. فإنه لا يتناول منهما إلا قدر سد الرمق أو إزالة الغصة ، بحيث لا يشبع فى الأولى ، ولا يروى فى الثانية ومن أمثلة ذلك : المستشار فى خاطب تقدم لخطبة فتاة - إذا كان فى نظر المستشار غير كفء - فإنه يكتفى بالتعريض لا بالحقيقة ، وبالتلميح لا بالتصريح مثل أن يقول : لا يصلح لك ، أو التمس غيره ، أو دعنا منه .. أو ما إلى ذلك مما يبعد عنه شبهة الغيبة المحرمة بقدر الإمكان .

.. على أن من الأضرار ما يؤدى ارتكابه إلى دفع أضرار أخرى أبلغ من الأولى فى حساب المفاسد ، وأعظم منها

(١) البقرة . (٢) البقرة .
(٣) الحج .

فى تعداد الآثار والعواقب ، وهنا نجد أنفسنا أمام مبدأ آخر مكمل للقاعدة الأساسية وهو : «يتحمل الضرر الخاص لأجل دفع الضرر العــــام » وقولهم : « الضرر الأشد يزال بالأخف » أو « ارتكاب أخف الضررين واجب» ومن أمثلة ذلك : جواز ضرب صبيان المسلمين أو نسائهم أو أسراهم إذا تترس بهم الأعداء فى المعارك ولم يكن من المستطاع تلافى ضربهم بأى وسيلة من الوسائل، وصار كسب المعركة رهنا بهذا العمل المحرج ، وجواز إزالة المبانى الآيلة للسقوط التى تهدد حياة ساكنيها أو جيرانها ، أو السابلة فى الطريق العام، وجواز الحجر على البالغ العاقل الحر عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فى ثلاث: المفتى الماجن ، والطبيب الجاهل ، والمكارى المفلس (والمكارى هو المؤاجر) دفعاً للضرر العام ، وجواز الحجر على السفيه فى كل الأحوال عند صاحبى أبى حنيفة : أبى يوسف ومحمد وعليه الفتوى، وكذلك بيع مال المدين المحبوس عند الصاحبين لقضاء دينه دفعاً للضرر عن الغرماء وهو المعتمد ، ومن ذلك التسعير على الجشعين من تجار السوق السوداء ، وبيع المواد التموينية التى بأيدى المحتكرين دفعا للضرر عن جمهور المستهلكين ، ومن ذلك : ما لو وقع شخص فى نار ولا يخلصه منها إلا الإلقاء فى ماء يغرقه ورآه أهون عليه من الصبر على لفحات النار فله الانتقال إليه فى الأصح وكذا كل ضرر عام كما فى الكافى، وفى شرح منظومة ابن وهبان من الدعوى أمثلة كثيرة لهذا اللون من الأضرار المتعارضة ..

ومن مكملات هذا البحث قولهم : « درء المفاسد أولى من جلب المصالح » أى إذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم دفع المفسدة فى أغلب الأحوال .. لأن عناية الشارع بمنع المنهيات أشــــد من المأمورات يتضح هذا من قوله صلى الله عليه وسلم : «إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه » ولهذا تسامح الشارع فى ترك بعض الواجبات بالمشقة كالقيام فى الصلاة ولم يتسامح فى الإقــــدام على المنهيات وخاصة الكبائر .. وقالوا فى تعليل ذلك: «إن النهى راجع على الأمر حتى استوعب النهى كل الأزمان ، ولم يقتض الأمر

التكرار إلا بدليل آخر ، ومن أمثلة ذلك : مشروعية التخلف عن الجمع والجماعات بسبب المرض أو الخوف ، أو تمريض من لم يجد أحدا يمرضه غيره، وكراهة المبالغة فى المضمضة والاستنشاق للصائم مع أنهما مسنونتان لغيره، وتخليل الشعر فى الطهارة مع كراهته للمحرم ، وقد تراعى المصلحة إذا غلبت على المفسدة ، ومن ذلك الصلاة مع تعذر شرط من شروط صحتها كانعدام الستر أو عدم الاهتداء إلى مكان القبلة حيث تجوز الصلاة بدونه تقديماً لمصلحة الصلاة الراجحة على هذه المفسدة المرجوحة ومنها الكذب لمصلحة تزيد على مفسدته مع استعمال التورية بقدر الإمكان كالكذب للإصلاح بين الناس ، وعلى الزوجة لإصلاحها وفى الحرب .

وبعد فقد تبين مما سبق أن الأضرار ممنوعة فى الإسلام سواء كانت شخصية أو متعدية إلى الغير وأن متعلقات هذه القاعدة . أولا : الضرورات تبيح المحظورات . ثانياً : الضرورة تتقدر بقدرها . ثالثا: ارتكاب أخف المفسدتين عند التعارض واجب . رابعاً : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ؟

محمد محمد الشرقاوى

(بقية المنشور على ص ٧٤٣)

والرابع فى القانون وهما منصوص عليهما صراحة فى كل من الفقه الإسلامى والقانون الوضعى .

وبهذا يتبين أن الفقه الإسلامى قد قد سبق القانون الوضعى بقرون عديدة فى تنظيم هذه المسألة التى نحن بصددها الآن ، مما يضيف تأكيدا جديدا إلى التأكيدات التى أضحت اليوم غير محتاجة إلى كثير بيان لكون الفقه الإسلامى ثريا بالقواعد التى تنظم سلوك البشر وتفى بحاجات المجتمع فى كل عصر، ولا غرو، فما استمد الفقهاء الإسلاميون - جزاهم الله خير الجزاء - فقههم إلا من هذه الشريعة التى أراد لها رب العالمين أن تكون خاتمة لسائر الشرائع ، وأن تصل بالبشر إلى النهج القويم الموصل لسعادتهم فى الدنيا والآخرة ؟

د . محمد رأفت عثمان

القاديانيّة والأحمديّة

للأستاذ كمال الدين الطائي

ولد في (قاديان) من بلاد الهند غلام يدعى أحمد بن غلام مرتضى بن سلطان محمد سنة (١٢٥٢ هـ - ١٨٣٩ م) من أسرة مغولية ، هذا ما ادعاه هو نفسه ، ثم ادعى أنه من أسرة فارسية حيث يقول : والظاهر أن أسرتي من المغول ولكن الآن ظهر علي من كلام الله أن أسرتي حقيقة أسرة فارسية ، وأنا أومن بهذا لأنه لا يعرف أحد حقائق الأسر مثل ما يعرفها الله تعالى . . ويقول في كتاب آخر من مؤلفاته : (أنا فاطمي من بني فاطمة بنت الرسول رضي الله عنها ، وأسرتي من أولاد إسحاق) وبعد أن ترعرع وتعلم اللغة العربية احتضنه الانكليز الذين كانوا يحتلون الهند واستخدموه في دار المندوب السامي البريطاني ، لذلك كانت دعوته منصبة على تأييد الانكليز وعدم جواز الخروج عليهم .

وفي سنة (١٨٧٦ م) بعد وفاة والده الذي كان له كرسي في ديوان الحكومة الانكليزية ، وكان - كما يقول ولده - من أوفياء الحكومة الانكليزية حتى ساعد الإنكليز في ثورة (١٨٥٧م) مساعدة طيبة عندما ثار المسلمون على الانكليز .

ادعى هذا القادياني أن الله اختاره كما اختار سائر الأنبياء ، ثم أعلن أنه المسيح المنتظر ، وهنا ثار عليه العلماء وطالبوا مناظرته لإظهار زيغه وضلاله ، إلا أن الحاكم الانكليزي قد منع مناظرته ، وأرغم العلماء الذين أرادوا مناظرته على ترك المدينة التي يقيم فيها القادياني .

ثم ألقى خطبة سماها أتباعه بـ (الخطبة الإلهامية) ويعدونها من معجزاته ، وادعى فيها الوحي وقال : (هي حقائق أوحيت إلى من رب الكائنات) ، ويقول فيها أرأيتم إن كنت من عند الله ثم كذبتموني فما بالكم أيها المكذبون فأنعم الله على هذه - يريد الأمة الإسلامية - بإرسال شبل عيسى وهل ينكر بعده إلا العمون ، كان عيسى علما لبني إسرائيل ، وأنا علم لكم أيها المفرطون.

ولقد ادعى النبوة والرسالة ، وأول

حديث : لا نبي بعدى ، بأنه لا يأتى بعده نبى من غير أمته .

وقد منع أتباعه من تزويج بناتهم لمن لا يدين بدينه .

وفى سنة ١٩٠٧ م قامت حركة وطنية فى (البنجاب) فانحاز (غلام أحمد) إلى الانكليز وطلب من أتباعه موالاة الانكليز ومساعدتهم على إخماد الحركة الوطنية .

وقد مات سنة ١٩٠٨ م فى (لاهور) ونقله أتباعه إلى (قاديان) ودفن بها. مات بمرض الكوليرا ، وقد ذكرت الصحف الهندية أن النجاسة كانت تخرج من فمه قبل الموت ومات وكان جالسا فى الخلاء لقضاء الحاجة .

ويقول هذا القاديانى فى كتابه (ترياق القلوب) . لقد قضيت معظم عمرى فى تأييد الحكومة الانكليزية وتصرفاتها ، ولقد ألفت فى منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر (الانكليز) من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة ، وقد نشرت جميع هذه الكتب فى البلاد العربية ومصر والشام وتركيا ، وكان هدفى دائما أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة - الانكليزية - ثم يقول : لقد ظللت منذ حداثة سنى وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلسانى وقلبى لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الانكليزية والنصح لها ، والعطف عليها ، وألغى فكرة الجهاد التى يدين بها بعض جهال المسلمين ، والتى تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة .

ومن تعاليمه : لا يجوز لأحمدى أن يصلى على غير أحمدى ، مع أن الله يمنع أن يصلى على المنافقين ، فكيف على من كفر بمأمور من الله .

فاذكروا دائما أن الحكومة الانكليزية هى رحمة وبركة لكم ، فهى الدرع التى تقيكم ، إن الانكليز خير ألف مرة من المسلمين الذين هم أعداؤكم .

وأنه يحمد الله حيث ولد تحت راية انكليزية بعيدا عن المسلمين .

ثم يقول فى كتابه (الاستفتاء): إن الله خاطبه بقوله : أنت منى بمنزلة توحيدى وتفريدى ، أنت منى بمنزلة عرشى ، أنت منى بمنزلة ولدى .

ثم قال فى مقال له : فالواقع أن الله القدير قد أبلغنى أن مسيح السلالة الإسلامية أعظم من مسيح السلالة الموسوية ، إنى خلقتك من جوهر عيسى ، وإنك

وعيسى من جوهر واحد وكشىء واحد .

ثم يقول هذا المجنون المحترف فى كتابه (البشرى) : إن الله يصوم ويصلى وينام ويصحو ، ويكتب ويوقع ، ويخطىء ويصيب ، ويجامع ، ويولد ، وقال لى الله إنى أصلى وأصوم وأصحو وأنام (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) هذا ماقاله الدجال.

ويقول فى كتابه (ترياق القلوب) : أنا رأيت فى الكشف بأنى قدمت أوراقا كثيرة إلى الله تعالى ليوقع عليها ويصدق الطلبات التى أقترحها ، فرأيت الله وقع على الأوراق بحبر أحمر ، وكان عندى وقت الكشف رجل من مريدى يقال له عبد الله ، ثم نفض الرب القلم ، وسقطت منه قطرات الحبر الأحمر على أثوابى وأثواب مريدى عبد الله .

وجاء فى كتابه (ضحية الإسلام) أنه رأى نفسه كأنه امرأة ، وأن الله أظهر فيه قوة الرجولية .

ويقول فى كتابه (سفينة نوح) : لقد نفخ فى روح عيسى كما نفخ فى مريم وحبلت بصورة الاستعارة، وبعد أشهر لا تتجاوز عدة أشهر حولت عن مريم وجعلت عيسى ، وبهذا صرت ابن مريم . .

ويقول فى كتابه (البرية) : إن الله نزل فى ، وأنا واسطة بينه وبين المخلوقات كلها ، أنت منى ، وأنا منك ، ظهورك ظهورى .

ويقول فى خطاب سيالكوت : إن من نعم الله أن يجىء الأنبياء وأن لا تنقطع سلسلتهم وهذا قانون الله لا تستطيعون أن تجابهوه . .

وجاء فى كتابه (عين المعرفة) : أن الله أنزل لإثبات رسالتى آيات لو وزعت على ألف نبى لثبت بها رسالتهم ، ولكن الشياطين من الناس لا يصدقون هذا .

ويقول : أنا وحدى أعطيت كل ما أعطى لجميع الأنبياء .

ويقول : إن الذى لا يجىء إلى القاديان أخاف على إيمانه .

ثم يدخل لابتزاز الأموال ويقول : أخذنا أرضا لمقابر القاديانية وبشرنى الله بأنها الجنة وقال : أنزل فيها كل رحمته ، فكل من يريد أن يدفن فى هذه المقابر عليه أن يرسل مبلغا من المال حسب طاقته ، وأيضا واجب عليه أن يوصى بعشر تركته للقاديانية .

وبعد وفاة غلام أحمد انقسم أتباعه إلى فرقتين : قاديانية ورئيسها ابن غلام

أحمد وتدعى أنه نبى مرسل ، والفرقة الثانية أحدية ورأسها محمد على ويدعى أن غلام أحمد ليس نبيا بل مجدد هذه للملة ليخدع المسلمين ويسهل إدخالهم إلى القاديانية ، وقد نشرت جريدة الفضل القاديانية: كلمة عن محمد على قالت فيها ليس الأستاذ محمد على وحده الذى يشتغل بالجاسوسية على حساب الانكليز بل زوجته المحترمة أيضا تشتغل بهذه الخدمة.

ومن تعاليمهم: أن عيسى عليه السلام هو ابن يوسف النجار لا من روح الله، وينفون جميع المعجزات، ويؤولون جميع الآيات التى وردت فيها معجزة لنبى من الأنبياء.

ويعتقدون أن (قاديان) ثالث الأماكن المقدسة ، فسجدها يماثل مسجد مكة ، والحج إليها كالحج إلى مكة .

وأن الحج هو الحضور إلى المؤتمر السنوى فى القاديان، ويقول: إن مؤتمرنا السنوى هو الحج، وأن الله اختار المقام لهذا الحج القاديان ، وممنوع فيه الرفث والفسوق والجدال، لأنه لا تتم مقاصد الحج فى مكة الآن ، وأن الله ينزل فى قاديان .

ثم يتجاوز هذا المجرم على مقام السيد المسيح ، وقد نشرنا بعض زيغه ليطلع عليه المغرور بهم ، ولولا ذلك لما نشرنا حرفا منها لأنها كلها لخش وتجاوز وضلال يقول هذا الضال : إن عيسى ما استطاع أن يقول لنفسه إنه صالح لأن الناس يعرفون أن عيسى رجل خمار سوء السيرة.

ثم يقول ـ قبحه الله ـ: إن عيسى كان يميل إلى المومسات لأن جداته كن من المومسات.

ثم يقول ـ أخزاه الله ـ: إن عيسى كان ساحرا ، وكل ماظهر عنه كان بسبب هذا السحر .

والقاديانيون يكفرون كل من لا يصدق الدعوة القاديانية من المسلمين .

ويعتقدون أن غلام أحمد وأتباعه أفضل من جميع الأنبياء وأتباعهم .

وقد كان لهذه الطائفة نشاط كبير فى العراق بدعوى أنها تخدم الإسلام ، ولتعمل لنشره فى العالم .

ولما اطلعت على كتبهم وما فيها من ضلال وإضلال ، أخذت فى الرد عليهم فى المجلات التى كنت أشرف على تحريرها وواصلت الحملة إلى أن قضى الله على دعاتها فى العراق ، ورجع من غرروا به إلى حظيرة الإسلام والحمد لله .

كمال الدين الطائى

يوم الجائزة

للأستاذ أحمد عمر هاشم

يأتى العيدان عقب فريضتين جليلتين فعيد الفطر عقب فريضة الصيام ، وعيد الأضحى عقب فريضة الحج إلى بيت الله الحرام .

ويستقبل المسلمون فى كل عيد ليلة تحيا فيها القلوب خاشعة خاضعة ، منيبة ضارعة ، والكل يبيت شاكرا لله ، مكبرا له على ماهداه ، حتى إذا ما تنفس فجر يوم العيد سالت الطرق المؤدية إلى بيوت الله حامدة مكبرة ، مسبحة شاكرة مهللة ومستغفرة ، والمسلمون فى هتاف روحى عذب يعلنون فيه تنزيههم لربهم وتوحيدهم له ، مرددين نشيدهم العظيم : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده .

وبهذا يعترفون لربهم قيوم السماوات والأرض أنه وحده هو الكبير المتعال فهو أكبر من كل عزيز وغال فى الوجود ، فهو خالق الوجود والمدبر لأمره وصاحب الأمر والنهى ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله أحسن الخالقين.

ثم هم يعلنون كذلك توحيد الله ربهم ، فلا إله إلا الله ، هو وحده القادر والقاهر فوق عباده ، إنها عقيدة التوحيد التى رفع الرسول صلى الله عليه وسلم رايتها ، وأكمل بناءها الذى بدأه الأنبياء من قبله ، فتمم بها ولها مكارم الأخلاق .

لا بد من شكر الله بعد توفيقه لأداء فريضة الصيام فى رمضان لأن رمضان هو الشهر الذى أنزل فيه القرآن ، وابتدأت فيه الدعوة الإسلامية وصافح الوحى قلب الرسول الحبيب صلوات الله وسلامه عليه ، ولا بد من شكر الله على ما توج به المسلمين من نصر مبين على عدوهم فى أول لقاء مسلح واجه فيه جند الإسلام أعداء الله ، فكانت الكرة على عدوهم وأمدهم الله بملائكته المسومين فاطمأنت قلوب المسلمين بنصر ربهم ، ولا بد من شكره أيضا على ما أتمه الله تعالى من فتح كان عزة « وسعادة » للإسلام والمسلمين ، وشاء الله تعالى فى العاشر من

رمضان من السنة الثامنة أن يفتح على رسوله مكة، وأن يدخلها ظافرا، ويصبح أعداؤه بين قبضة يده، ويحطم الأصنام والأوثان، ويطهر البلد الحرام، والبيت والمقام من دنس الوثنية، والتطامن للأصنام مرددا: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا».

وبهذا تحقق صدق الله تعالى بوعده ونصره لعبده، وإعزازه لجنـــده، وهزيمته للأحزاب وحده.

وفى العيد مع طهارة الظاهر وجماله طهارة الباطن وجماله ونقاؤه، حيث يتطهر المسلمون من كل عيب ورذيلة، ويتحلون بالفضائل، ومكارم الأخلاق، فلا مجال فى نفوسهم للرياء والأضغان والأحقاد، وإنما تواصل وتعاطف وتحاب وتواد.

يصلون الأرحام، ويعطفون على الفقراء والأيتام، فتعم الفرحة جميع القلوب فلا مجال للحزن والأسى، أو الحاجة والحرمان، بل تسود الفضائل والمكرمات المجتمع الإسلامى الذى نقاه الصوم، وتهذبت فيه العزيمة، وقويت به الإرادة، ووصل الصائمون إلى درجة التقوى التى فيها خافوا ربهم، وراقبوه فرضى عنهم ورضوا عنه، وفازوا برضوانه وذلك هو الفوز العظيم.

وفى ليلة العيد إعلان من ساحة الرحمة الإلهية، لمثوبة الله ورحمته، ومغفرته لذنوب عباده وحتى يشيع هـذا التكريم للصائمين يشترك فى التكريم أهل السماء والملائكة، كلهم يشتركون فى تكريم الصائمين المخلصين.

فينادى الله تعالى الملائكة، معلنا عليهم هـذا الجزاء الوافر، والأجر الكبير، حيث إنهم قد أدوا ما كلفوا به.

فكان جزاؤهم أن يغفر الله تعالى لهم، جزاء إخلاصهم وإخباتهم، وتضرعهم وأدائهم لواجبهم.

روى أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إذا كانت ليـلة الفطر، نادى الله تعالى ملائكته فيقول. يا ملائكتى ما جـزاء أجير وفى عمـله ؟ .. فيقولون: إلهنا وسيـدنا.. جزاؤه أن يوفى أجره.. فيقول أشهدتكم أنى قد غفرت له).

وقد جاء العيد فى الإسلام، ليبدل الله تعالى به اللهو والعبث، والصخب والهرج والمرج وما لا جدوى فيه، يبدل ذلك بخير منه، ولا شىء خير من يومى العيد حيث تنال الجائزة.

وإن لكل من عيدى الفطر والأضحى فى الإسلام معانى ومثلا ، ومبادىء وقيما فيهما الخير كل الخير .

يروى عن أنس رضى الله عنه أنه قال « قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فى الجاهلية ، فقال : إن الله تبارك وتعالى قد أبدلكما بهما خيرا منهما ، يوم الفطر ويوم النحر » وتتلاقى للصائمين فرحتان عظيمتان بأدائهما فريضة الصيام ، وتظهر الفرحة الأولى عند الفطر ، حيث يفرح بما وفقه الله تعالى له وهداه له من أداء العبادة .

والفرحة الثانية عند لقاء ربه سبحانه وتعالى ، حيث تكفل بجزاء الصائمين وحده سبحانه ، فأضافه إلى نفسه وتكفل بجزائه .

« الصوم لى وأنا أجزى به » من أجل هذا العطاء الوافر كانت فرحة الصائمين . يقول عليه الصلاة والسلام : (للصائم فرحتان . فرحة عند فطره . وفرحة عند لقاء ربه) ويوم العيد هو يوم الجائزة ، تنادى ملائكة الله تعالى المسلمين أن يهرولوا إلى ساحة الكرم ، وأن يقبلوا على فضل ربهم الكريم .

وتتلقى الملائكة عباد الله على أبواب الطرق ، تتلقاهم ملائكة الله مرحبة ومكرمة ، ومشيدة بما أعد لهم من فضل ومكرمة ، ومثوبة ومرحمة . .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : اغدوا معشر المسلمين إلى رب كريم ، يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم فإذا صلوا نادى مناد : ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم فى المساء يوم الجائزة » .

وقد جعل الله تعالى فى العيد استرواحا للنفوس ، وارتياحا للقلوب ، وتسرية نقية طاهرة لها .

وأباح للمسلمين فى يوم العيد من المرح الحلال ، والسرور النقى ما يجعلهم ، ينشرحون ويفرحون .

وقد وضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه ذلك كله :

عن عائشة رضى الله عنها فيما رواه الإمام أحمد والشيخان : أن الحبشة كانوا

(البقية ص ٧٦٤)

القائد والقيادة في المدرسة الاسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

في ضرورة القائد :

القيادة ظاهرة اجتماعية ذات جذور عميقة تتصل بطبيعة الإنسان وتراثه الثقافي ، ومشاركته لمن حوله في مجتمعه . فالوجود المشترك لشخصين أو أكثر يخلق نوعا من الحاجة إلى من ينظم العلاقات القائمة بينهم وفي هذه الحالة يتولى أحدهم القيادة .

وهكذا يرى علم النفس أن طبيعة الحياة تجعل من حاجتنا إلى قادة أمراً لابد منه وأنه لا تكون جماعة إلا ويجب أن يكون لها قائد .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائد جيش الإسلام الأول قد قرر هذا المبدأ محدداً وواضحا حين قرر ضرورة وجود قائد للجماعة حتى ولو كانت صغيرة جداً قال عليه الصلاة والسلام «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم» .

حق القائد في الطاعة :

ومن ناحية أخرى فلابد أن يقرر لهذا القائد حق الطاعة أي طاعة المرءوسين له . وفلسفة الطاعة هنا تكمن في أنها لصالح الجماعة أولا وأخيراً أي أنها ليست نوعا من الخضوع لأوامر «مستبد» فالقائد يقود الجماعة لتحقيق هدفها ولا يستقيم ذلك إلا بطاعة أفراد الجماعة لأوامره .

ولقد كرمت المدرسة الإسلامية القائد خير تكريم ووضعته في أسمى منزلة فحق القائد في الطاعة ثابت مقرر في أكثر من آية في القرآن الكريم قال تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» .

«وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون»

«من يطع الرسول فقد أطاع الله» .

«ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»

«ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين»

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« اسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبد حبشى » .

ويقول : « إنما الطاعة فى المعروف » .

« لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

معيار اختيار القائد :

بعد أن اتضح لنا الآن ضرورة وجود القائد وحق القائد فى الطاعة يصبح من ألزم الأمور أن يكون هناك معيار لاختيار القائد - ذلك الرجل الذى سيتولى تلك المسئولية العظمى وهى القيادة والذى حكمنا على الجماعة بطاعته .

ولقد قررت المراجع العلمية شرطين رئيسيين عند اختيار القائد هما :

● كفاءته كقائد من حيث توفر صفات القيادة فيه وتوفر قدرته على التأثير فى مرءوسيه .

● تمتعه بحب مرءوسيه له .

ولقد انعكس هذان الشرطان انعكاسا تاما على تعريف القيادة العسكرية حيث تعرف بأنها هى فن التأثير على الرجال وتوجيههم نحو هدف معين بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وولاءهم وتعاونهم .

فمن هذا التعريف نلاحظ نوع الطاعة المقصودة وهى الطاعة المقترنة بالثقة والاحترام والولاء والتعاون . وهذا لا يتأتى للقائد الذى تنقصه الكفاءة والذى لا يحبه مرءوسوه .

والمدرسة الإسلامية تقرر المعيار الأمثل لاختيار القائد وهو الكفاءة والحب .

وهذا مايتضح من تحليل قول الرسول القائد عليه الصلاة والسلام .

(أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس علم أن فى العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله وغش جماعة المسلمين . وأيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه) .

فهذا الحديث يضم الشرطين الرئيسيين للقائد وهما الكفاءة والحب .

الكفاءة فى القسم الأول من الحديث وهى أساس التفضيل عند الاختيار إلى درجة أن الانحراف عنها يعتبر غشا لله وللرسول ولجماعة المسلمين .

ثم الحب فى القسم الثانى من الحديث الذى تبلغ أهميته كشرط فى اختيار القائد إلى حد رد صلاة الإمام الذى يكرهه الناس فلا يثاب عليها .

فى صفات القائد :

هناك صفات معينة يلزم توافرها فى القائد حتى يستطيع أن يؤدى عمله بكفاءة وأن يرفع معنويات رجاله وأن ينجح فى قيادتهم نحـــو الهدف المحدد وفى تحقيقه على أكمل وجه . ولقد قام الباحثون بدراسة وتحليل حياة القادة العسكريين لاستخلاص هذه الصفات والجدير بالذكر أن أحدا من القادة لم تجتمع لديه كل الصفات وأن النقص فى بعضها كانت تعوضه دائما قوة فى البعض الآخر.

ويرى علماء النفس أن أهم صفات القيادة هى :

أن يكون القائد قادرا وكفءاً فى عمله .

أن يكون دءوبا على العمل وعلى بذل الجهد المتواصل .

أن يكون حازما وجديرا بالثقة .

أن يكون مستعدا على الدوام لاتخاذ القرارات وتحمل المسئولية .

أن يكون قادرا على تمالك نفسه وخاصة فى المواقف العصبية .

أن يعمل على تكامل شخصيته وتماسكها .

أن تتوفر لديه القدرة على التعلم .

ويرى علماء النفس أيضا :

ان الذين يعملون على إفادة أكبر جزء ممكن من المجتمع الإنسانى يعتبرون أرقى الشخصيات جميعا . وهم فى الغالب أقربها إلى درجات التكامل .

« وأن درجة تكامل الشخصية تتناسب تناسبا « طرديا » مع اتساع دائرة المجتمع الذى يربى الفرد لإسعاده »

ومن جهة أخرى فبعض المراجع العلمية تورد تفصيلا لصفات القيادة فى الآتى :

قوة الشخصية ـ اليقظة ـ حسن المظهر ـ الشجاعة ـ الحسم ـ الثقة ـ قوة التحمل الحماس ـ قوة التأثير ـ التواضع ـ الروح المرحة ـ المبادأة ـ النزاهة ـ الذكاء الحكمة ـ العدل ـ الولاء ـ المشاركة الوجدانية ـ اللباقة ـ إنكار الذات ـ إجادة التعبير والخطابة .

ويقول الفيلد مارشال ويفل فى كتابه « القادة والقيادة » :

يجب أن يكون القائد عفيفا وقورا قنوعا يتحمل المشاق فى الأعمال . متوسط العمر فصيحا ـ رب عائلة . وينتمى إلى بيت ذى شهرة . ومؤدبا ودودا سهل الاقتراب منه رزين الطبع ... ويقول كذلك إن القائد الناجح يجب أن يكون

على خلق يعرف ما يريد ثم تكون له من الشجاعة وقوة العزيمة ما يمكن له من تحقيق أهدافه .

ويقول القائد العسكرى المشهور مونتجمرى :

القائد الجيد هو الذى يعرف أولا : ماذا يريد والذى يرى غرضه واضحا وأن يحشد لغرضه كل قواه .

وهو الذى يجعل رجاله يعيشون فى جو المعركة فاهمين لما يدور فيها متنبهين لكل ما هو مطلوب منهم .

وهو الذى يتيح لمعاونيه ورجاله معرفة المعلومات بقدر المستطاع أولا بأول ، وهو الذى يرفض المركزية ويجعل رجاله يعملون فى التفصيلات ولا يدع لنفسه غير التوجيهات العامة ، وهو الذى يحسن اختيار معاونيه ويجيد توجيههم بمجهود يسير ، وهو الذى يبقى فى خط النار حتى يتم النصر ، وهو الذى يعنى بالروح المعنوية ، والضبط والربط والاحترام الشخصى وثقة الجنود به وبأسلحتهم وهدفهم ، وهو الذى يتمعن فى فهم أخلاق جنوده والشعور والعواطف التى تؤثر فيهم ، وهو الذى يقود جنوده بروح قائد الفريق فيعملون متآخين لإحراز النصر المبين ، وهو الذى يستطيع وضع رجاله كل فيما يليق له ، أى بوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب والعمل المناسب .

وأخيراً يقول مونتجمرى كلمة حكيمة للقادة « الذين يفخرون بشهاداتهم » : « لا يوجد كتاب ولا نصوص موضوعة يستطيع بها القائد أن يحرز ثقة جنوده وتقديرهم ولكن المرجع الأساسى هو شخصية القائد . . . » .

ويقول مونتجمرى أيضا : إن القائد يجب أن يتحلى بصفات كثيرة مثل الإقدام والصبر والشجاعة ، من شأنها أن تنفخ الثقة فى الجنود ، ولكن الصفة التى يحتاج إليها فوق كل شىء هى تلك الشجاعة الأدبية وذلك الحزم ، ورباطة الجأش عندما تصبح العاقبة فى حال اضطراب لا يقين منها فإن العامل الأقوى فى نجاح القائد هو رباطة جأشه وإشعاعة لتلك الروح فى رجاله عند ما يكون هو فى قرارة نفسه على غير ثقة تامة من عاقبة معركته ويجب أن يكون القائد مطلعا اطلاعا تاما على رجاله حتى يضع كلا منهم فى المكان

اللائق به ، ثم إنه من الواجب عليه أن يراقب قلبه عن كثب فإن القتال فى حقيقته معركة بين عزيمتين: عزيمته وعزيمة خصمه قائد جيش العدو ، فإذا اضطرب قلبه عند مايرى العاقبة على غير مايتمنى، فالمحتمل أن المنتصر هو الخصم .

محمد المثل الكامل :

وإذا كانت الصفات المثالية للقائد قد جاءت نتيجة لدراسة شخصيات أبرز القادة فى التاريخ كما أسلفنا وهى مجموعة من مزايا شخصيات كثيرة لا شخصية واحدة حيث إنه ليس من الممكن أن تجتمع كلها فى شخص واحد ، فإن كل هذه الصفات بل وصفات أخرى غيرها قد اجتمعت فى رسول الله قائد جيش الإسلام الأول ، لذلك فهو المثل الكامل وهو القدوة المثلى قال تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

القائد وتحمل المسئولية :

إن المبدأ الذى قرره الرسول القائد فى قوله : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ، هو أحكم وأشمل المبادىء فى هذا المجال ، فهو هنا يضع الأساس الأول فى مهمة القائد ألا وهو المسئولية وقدم لنا بنفسه المثل الأعلى فى ذلك فى تحمله مسئوليته الهائلة منذ بعثه حتى وفاته صلى الله عليه وسلم تلك المسئولية التى لم يكن هناك من يشاركه فى تحملها ، لقد كان أصحابه يعاونونه فى كل شىء لكنه كان يتحمل مسئولية كل شىء .

انظر كيف تحمل مسئولية ثمان وعشرين غزوة وعشرات من السرايا ، وصراعات اقتصادية واجتماعية وسياسية على الصعيد المحلى والعالمى ، ومجتمع جديد يتكون بكل جوانبه ومشكلاته ومتناقضاته ، وتصاعد أحداثه ومقابلته لقضايا الحياة اليومية من توفير للأقوات إلى قضاياه الكبرى المصيرية .

ولقد اقتدى بالرسول القائد فى تحمل المسئولية وتقديرها من أتى بعده من قادة المسلمين حتى قال عمر بن الخطاب : « لو عثرت دابة بشط الفرات - لخشيت أن أسأل عنها يوم القيامة لماذا لم أمهد لها الطريق ؟ » .

فعلينا أن نتخذ مرجعنا العلمى فى صفات القائد من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه وأن نتخذ منهاجنا العلمى فى إعداد القادة من تعاليم مدرستنا الإسلامية ؟

محمد جمال الدين محفوظ

القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضى

— ١٤ —

(١٢) قال فى صفحة ٤٤ .

« كذلك يروى أن تصويبا للنص أنقذ لواحد من أبناء يعقوب سمعته المهددة » .

فنى الآية (٨١) من سورة يوسف قال إخوة يوسف لأبيهم - بعد أن وجد يوسف السقاية التى وضعها عن تدبير مقصود فى رحل أخيه بنيامين - « إن ابنك سرق » ، وعلى هذا يكون فى ذلك إقرار بخطيئة بنيامين ، وقد محت هذه الخشونة قراءة الكسائى : « إن ابنك سرق » أى نسب إلى السرقة ، وبهذه القراءة قرأ أبو الخطاب الجراح فى إحدى ليالى رمضان ، إذ كان يؤم الخليفة المستنصر فى الصلاة ، وقد عبر الخليفة الذى كان يهتم بالمسائل الدينية بعد الصلاة عن إعجابه بقراءته إذ قال : إن هــذه القراءة فيها تنزيه أولاد الأنبياء عن الكذب » انتهى .

وأقول : يؤخذ من قوله أن تصويبا للنص الخ أن قراءة : « سرق » بفتح السين والراء مخففة خطأ ، وقراءة : « سرق » بضم السين ، وكسر الراء مشددة هى الصواب ؛ لأن القراءة الأولى تفيد صراحة صدور السرقة منه ، وتحقق اتصافه بها ، ووصمه بشفاعتها ، وهو ابن رسول .

وأما القراءة الثانية فإنها وقت سمعة بنيامين من جريمة السرقة ، وأفادت أنه إنما نسب إلى السرقة ، ورمى بها ، ولا يلزم من رميه بالسرقة صدورها منه .

وهذا من الكاتب خطأ محض ، وبعد عن الصواب ؛ لأن قراءة : « سرق » هى القراءة المتواترة التى أجمع القراء الأربعة عشر ومنهم الكسائى - عليها ، وما روى عن الكسائى أنه قرأ بالقراءة الثانية ، فرواية عنه فى منتهى الشذوذ ، لأنها لم تثبت بطريق التواتر ولا بطريق الآحاد ، ولم تنسب لقارىء ما ، حتى أن العلامة أبا الفتح ابن جنى فى كتابه

«المحتسب» الذى وضعه فى بيان القراءات الشاذة لم يعرج عليها ولم يشر إليها ، فلم يقم لها علماء القراءات وزنا ، فلا تعد من القرآن الكريم .

نعم إن القراءة الأولى أفادت صدور السرقة من بنيامين ؛ لأن إخوته رأوا الصواع وقد أخرج من متاعه، ولم يعلموا أنه قد دس فيه من غير شعور أحد منهم بذلك .

ولذلك قالوا : « وما شهدنا إلا بما علمنا » أى وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما تيقنا من مشاهدتنا الصواع فى رحلة « وما كنا للغيب حافظين » أى وما كنا للعواقب عالمين ، فلم ندر حين أعطيناك الموثق أن ابنك سيسرق، وكونه ابن نبى لا يمنع صدور هذه النقيصة منه .

ثم إن قوله تعالى : « وما شهدنا إلا بما علمنا » لا يتأتى ، ولا يكون لذكره وجه إلا على القراءة المتواترة « سرق » بالبناء للفاعل ؛ لأن قول الأخوة لأبيهم: « إن ابنك سرق » حكم على ابنه بنيامين بأنه سارق ، ومثل هذا الحكم يحتاج إلى بينه . فيكون قولهم : « وما شهدنا إلا بما علمنا . . » بمثابة البينة ، يعنون : ولم نحكم على ابنك بأنه سارق إلا بعد تيقننا من سرقته ، بمشاهدتنا الصواع فى متاعه .

وأما على القراءة التى ذكرها ، فلا يكون لذكره وجه ، لأن الرمى بالسرقة والاتهام بها لا يحتاج إلى بينة حتى تقول الإخوة : « وما شهدنا إلا بما علمنا » . فكم من أبرياء اتهموا بما هم منه برآء ، فإذا قال الأخوة لأبيهم : إن ابنك رمى بالسرقة ، واتهم بها ، فإن أباهم لا يطالبهم ببينة على هذا الاتهام ؛ لأن مجرد الاتهام بالسرقة لا يخدش كرامة الشخص ، ولا ينزل بقدره .

بخلاف الحكم على الشخص بأنه سارق فلا يحكم على الشخص بمثل هذه الجريمة إلا بعد ثبوتها ، وقيام الدليل عليها ، والتأكد منها .

وأما نقله عن الخليفة المستنصر إعجابه بهذه القراءة ، وقوله فى شأنها : « إن هذه القراءة فيها تنزيه أولاد الأنبياء عن الكذب » فنحن نشك فى ثبوت هذا النقل ، إذ لم يروه أحد من العلماء الأثبات الذين يتحرون الدقة فيما ينقلون ثم إن قول الخليفة : « إن فى هذه القراءة

تنزيه أولاد الأنبياء عن الكذب ، ليس على ما ينبغى ، إذ كان الظاهر أن يقول إن فى هذه القراءة تنزيه أولاد الأنبياء عن الخطيئة ، أو عن السرقة ، أو نحو ذلك ؛ لأن القراءة المتواترة فيها إسناد السرقة إلى بنيامين صراحة ، وليس فيها ما يشتم منه كذب إخوة يوسف ؛ لأنهم لم يسندوا السرقة إلى أخيهم بنيامين إلا بعد أن رأوا بأعينهم إخراج الصواع من رحله ، ولم يدس الصواع فى رحل بنيامين إلا فى حال غفلة منه ومن إخوته ، فهم لم يشهدوا إلا بما عاينوا دون ما خفى عنهم فلا يتوهم فيهم الكذب أصلا من القراءة المتواترة ، حتى تكون القراءة الثانية مبرئة لهم من الكذب ، منزهة لهم من وصمته وعاره .

١٣ — قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (الآية ١١٩ من سورة التوبة) .

قال فى صفحة (٤٥) :

« فعبارة الحث على الصدق هنا يبدو أنها لم تكن حاسمة على وجه كاف عند بعض الأتقياء ، فقد يكون الرجل مع الصادقين ولا يكون منهم ، ولذلك آثروا قراءة «وكونوا من الصادقين» ، انتهى

وأقول ردا على ذلك :

أولا : إن كلمة « مع » تؤذن بالاجتماع والمصاحبة ، وليس المراد الأمر بالاجتماع مع الصادقين فى زمان أو مكان بالأجسام والأشباح ، وإنما المراد الأمر بالاصطحاب والمشاركة فى الأوصاف ، فيكون المراد الأمر باصطحاب الصادقين الذين صدقوا الله عز وجل فى مقاصدهم وأقوالهم وأعمالهم ، ومشاركتهم فى أوصافهم وترسم خطاهم ، والسير على مناهجهم .

ولا شك أن المرء إذا صاحب طائفة واجتهد فى أن يحذو حذوهم ويقتفى أثرهم ويحاكيهم فى كل ما يأتون وما يذرون ، فإن أخلاقهم تنتقل إليه ، وأوصافهم تسرى فى شعوره وأحاسيسه ، وطباعهم تجرى فى دمه وعروقه ؛ فلا يلبث أن يكون صورة صادقة منهم ، فإن الشأن فى النفوس البشرية أن تتأثر بمن حولها وتنشأ كالوسط الذى يحيط بها ، فللبيئة تأثيرها على النفوس وسلطانها على القلوب وبناء على هذا لا يكون هناك فرق بين التعبير بمن والتعبير بمع .

ثانيا : أن المراد : اتقوا الله فى الدنيا بامتثال أوامره ، وأداء فرائضه ، وتجنب منهياته والوقوف عند حدوده ، وكونوا مع الذين صدقت نواياهم وأعمالهم فى الجنة ، فيكون عطف « وكونوا مع الصادقين » من عطف المسبب على السبب ، أو من عطف اللازم على الملزوم .

ونظير هذه الآية سواء بسواء : « ومن يطع الله والرسول - أى فى الدنيا - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » الآية ٦٩ من سورة النساء .

ويحصل معنى الآية : اتقوا الله فى الدنيا تكونوا مع الصادقين فى الجنة يوم القيامة.

ثالثا : هذه القراءة عريقة فى الشذوذ ، متوغلة فى الغرابة فلم يقرأ بها قارىء من القراء الأربعة عشر .

وهى مخالفة لجميع المصاحف العثمانية ، لأنها مجمعة على « وكونوا مع الصادقين »

وقد أجمع المسلمون على أن كل قراءة خالفت المصاحف العثمانية لا تعتبر قرآنا ، ولا تحل القراءة بها ، لا فى الصلاة ، ولا خارجها ، والله تعالى أعلم .

عبد الفتاح القاضى

(بقية المنشور على ص ٧٥٥)

يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عيد ، فتطلعت من فوق عاتقه فطأطأ لى منكبيه فجعلت أنظر إليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت » ورووا عنها أيضا قالت : دخل علينا أبو بكر فى يوم عيد وعندنا جاريتان تتغنيان بيوم بعاث (يوم مشهور من أيام العرب) فقال أبو بكر : عباد الله ، أمزمارة الشيطان ؟ قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا ، وإن اليوم عيدنا .. » وهى رواية عروة أنه قال : لتعلم يهود المدينة أن فى ديننا فسحة أنى أبعث بحنيفية سمحة » .

هذا هو العيد ، ومفهومه فى الإسلام وهكذا تكون جائزة الصائمين المخلصين فاللهم امنح أمتنا جائزة النصر القريب ، والفتح المبين ، فلا يأتى العيد القادم إلا وهو عيد مزدوج نحتفل فيه بجائزة السماء ونصر الله لنا رافعين رايات النصر مكبرين من بيده النصر وهو الله ذو الفضل العظيم؟

أحمد عمر هاشم

الولاية المقيدة للسلطة العامة فى الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفى

— ٢ —

ذكرنا أن تقيد السلطة العامة هو ميزان الحكم على تقدم النظام السياسى وليد سيادة القانون وأهم عوامل انتصار الحرية فيه ، لأن انحسار السلطة العامة وتضيقها يؤدى إلى تنفس الحرية وتفريجها فالسلطة قيد على الحرية . والحرية « دفع » يبديه أفراد الشعب فى مواجهة السلطة ليمنعونها من التدخل غير المشروع فى شئونهم . وعلى العكس فإن إطلاق السلطة العامة يتأتى من غمط القانون والمشروعية ويؤدى إلى الاستبداد وكبت الحريات . فهو أسوأ علامات الظلم فى أى نظام .

وهناك ثلاث حقائق فى النظام الإسلامى يترتب عليها تقيد السلطة العامة فى الإسلام .

الحقيقة الأولى : أن الدولة فى الإسلام هى وليدة الشريعة .

الحقيقة الثانية : أن النظام الإسلامى يمكن أن يعيش بدون دولة .

الحقيقة الثالثة : أن الشريعة الإسلامية تسود جميع الأوضاع فى الدولة الإسلامية هذه الحقائق الثلاث متضافرة تؤدى إلى ضرورة تقييد السلطة العامة فى الإسلام كأمر طبيعى ونتيجة حتمية لا تكلف فيها ، وبحيث يكون الطبيعى ، والأصل أن السلطات العامة فى الإسلام مقيدة ، وأن إطلاقها أمر غير طبيعى ومخالف لأصول الشريعة .

فإذا كانت الدولة ذاتها وليدة الشريعة ولا يعدو أن تكون وضعاً من الأوضاع الناشئة عنها ، وكانت القيود النظامية واجبة الاحترام ، ومفروضة سواء وجدت سلطة رسمية أم لم يوجد وكانت هذه القيود تهيمن على جميع الأوضاع فى الإسلام — صغيرها وكبيرها — فإن النتيجة الحتمية اللازمة لذلك هى خضوع السلطات العامة الإسلامية عند وجودها لسلطان القانون، وتقيد المسلمين كأفراد بقيود الشريعة بباعث من الإسلام مباشرة

ولو مع عدم وجود سلطة مجبرة فى ذلك لأنهم هم أنفسهم : جماعتهم وعلماؤهم يشكلون فيما بينهم سلطة عامة عند عدم وجود سلطة رسمية إسلامية .

وبذلك فإن دعوى بعض المستشرقين كأرنولدومويو ،ومرجوليوث وغيرهم أن النظام الإسلامى هو نظام استبدادى هى دعوى لا أساس لها ولا تقوم . لأنه متى تطرق الاستبداد إلى نظام يدعى أنه إسلامى فإنه على الفور يكون فاقداً لخصيصة من أهم الخصائص التى تميز النظام الإسلامى وهو تقييد السلطة العامة ، ونصر سيادة القانون والحرية تبعا لذلك .

الحقيقة الأولى : الدولة الإسلامية وليدة القانون : وهذه الحقيقة نجدها بارزة من الناحية التاريخية الواقعية كما أنها واضحة تماما من النصوص .

فإن النبى صلى الله عليه وسلم لما أذن الله تعالى فى الهجرة إلى المدينة أخذ على الأنصار عهداً فى العقبة وضع فيه أركان النظام فقال : « بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئاً (وهذا يعنى خضوع الدولة لما يأمر به الله) وألا تسرقوا (وهذا لعصمة الأموال) ولا تزنوا (لعصمة الأعراض) ولا تقتلوا أولادكم (لعصمة الدم) ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم (وهذا لأمن المعاملات ومنع الغش) وألا تعصونى فى معروف ، (وهذا لإشاعة الخير وفعله).

ولما هاجر إلى المدينة أصدر كتابه المشهور لأهلها من الأنصار واليهود كما جاء القرآن والسنة يوضحان أسس النظام الإسلامى فى سير المسلمين مع غيرهم وفى معاملاتهم وعاداتهم وجناياتهم وأنكحتهم وغير ذلك ، وبذلك فإن الشريعة الإسلامية هى التى أنشأت الدولة ووضعت القواعد التى تحكمها وتخضع لها على الدوام .

وهذا النظر يختلف تماما عما هو مقرر فى النظم الوضعية إذ الملحوظ دائما أن النظام ينشـأ ، ثم يضع ما يروقه من القوانين . فإذا تأسست دولة (ليبرالية) مثلا فإنها تشرع فى إصدار القوانين التى تحمى رأس المال . وإذا تأسست دولة اشتراكية فإنها تقوم بالتشريع لصالح العمال . .

ما يكون مشروعا فى ظل بعض النظم لا يعود مشروعا فى ظل الدولة التالية لها

ولذلك فإن الواضح فى الوضعين أن القانون وليد الدولة وأنها هى التى تصنعه وتصوغه طبقاً للمبادىء التى تعتنقها. وهذا الرأى قد تسلط على بعض الأذهان فانبثق عنه القول بما نسميه «شكلية القانون». فهم يقررون أن علة احترام القانون وأساس سيادته هو شكله: أى صدوره من الدولة وعليه طابعها وختمها. فإن هذا الإصدار هو الذى يحمل الناس على احترامه ويلزمهم بأحكامه. وليس وراء ذلك علة ولا سبب. فالمشرع مطلق الحرية كامل السيادة فى أن يشرع كيف يشاء والناس مجبرون على طاعة القانون لأنه صادر من السلطة التى تملكه. والنتيجة الخطيرة لذلك: هى أنه لا يمكن أن يقال عن القانون إنه ظالم. فكل ما يقره القانون عدل مهما كان مضراً ومهما كان معيبا، ويجب طاعته على أية حال أيا كانت النتائج التى تترتب على تطبيقه، لأن القانون هو القانون، وعلة احترامه شكله ومصدره. وهذه النتيجة. كما هو معروف. يعانى منها الأفراد فى المجتمعات الحديثة. فهم يشهدون الظلم والضرر نتيجة لتطبيق القانون، ولكنهم يخضعون له لأن حكمه نافذ بقوة شكله وبسبب سيطرة الدولة، والشكل تحميه الدولة برضاها عن هذا القانون، ولا سبيل لتعديله مهما كان ظالما ما لم ترتض الدول ذلك. ولذلك فقد كثرت المظالم على العمال فى عهود الدول الرأسمالية القديمة وكانت القوانين تساعد فى تشديد ذلك على العمال حماية لأصحاب الأموال. فربما فرض القانون أجوراً زهيدة وحرم العامل من التعويض العادل عن إصابته وفرض الرسوم الباهظة والقيود على التقاضى. ورغم ذلك كله فإن الأفراد يضطرون لتقبل ذلك لأن السلطة تحمى هذه السياسة. والقانون وليد السلطة عندهم والعكس يقال فى النظم المقابلة للرأسمالية

أما عندنا فى الإسلام فإذا صدرت قوانين ظالمة فإنها لا تسير لقوله صلى الله عليه وسلم: «من جاء فى عملنا هذا بما ليس منه فهو رد». فمعيار العدالة ظاهر واضح لا يخل القانون به ولا يغير ميزانه لأن السلطة عندنا وليدة القانون فهى لا تستطيع أن تعلو عليه ولا أن تسمو على القانون فتغير أوضاعه وتقيده.

ونحن نظن أن هذه النتيجة التى نعرضها

جوهرية وأساسية وتمثل خلافا عميقا بين النظم الوضعية والنظام الإسلامى .

وبذلك فإن النظريات الحديثة التى قامت لتبرير أساس الدولة وقيامها وأساس السلطة ، ممن قالوا إن الدولة تصنع نفسها بنفسها ومن قالوا بشكلية القانون ومن قالوا إن السلطة أساسها الواقع وغير ذلك كل هذا التخبط والاعتراض كشفه الإسلام بنوره .

نعم : هناك من قال بوجود مثل عليا تهيمن على المجتمعات ويتعين على المشرع احترامها ، وذلك مثل أصحاب نظرية القانون الطبيعى والنظرية النظامية (النورماتيفية) لكلسن ونظرية التضامن الاجتماعى لدوجى ونظرية المنظمة لهوريو وغيرهم .

ولكن هذا النظريات هى مجرد مبادىء وشعارات لا قيمة لها ولا يتيسر للمحاكم أن تطبقها : لأن القانون الطبيعى والتضامن الاجتماعى ونحو ذلك خيالات غير محددة ، والقاضى يحتاج لنص مكتوب لكى يفصل بمقتضاه ، ولذلك ظلت هذه النظريات أحلاما وأمانى ولا قيمة لها فى العمل الدارج . قد تقوم بعض المحاكم الكبرى (كمحكمة نورمبرج أو محكمة العدل الدولية) بإنزال هذه المبادىء العليا أحيانا ولكن ذلك يكون بشكل غير ثابت ومتغاير وربما اختلف باختلاف العصر والتيارات السياسية .

أما فى الإسلام . فالنظم العليا والمثل مقررة واضحة لا غموض فيها ، ويمكن للقاضى أن يرجع إليها بوضوح واطمئنان ليخذل أى انحراف وقتى فى التشريع ، فنحن دائما فى كل زمان ومكان نستطيع باستمرار أن نقول : هذا الوضع مخالف للإسلام أو مطابق للإسلام ، فبين يدينا كتاب منير .

وسبب ذلك كله هو هذه الملاحظة : أن الدولة عندنا وليدة الشريعة ، وأى تصرف تصدره الدولة أو يصدره أحد الأفراد إنما هو خاضع للشريعة ومحكوم بها ، ولذلك فإنه دائما كانت السلطة العامة والتصرفات بأنواعها - عامة وخاصة - مقيدة بالقانون (الشريعة) ولا يمكن أن تخرج عنها ؟

مصطفى كمال وصفى

من المبادئ الفقهية التي سبق بها الإسلام

للأستاذ عبد العزيز عبد الرازق صبري

— ٢ —

استعرضنا في المقال السابق قاعدة عدم إمكان العقاب إلا بنص. وعدم سريان التشريع الجنائي على الماضي، وكيف أن الشريعة الإسلامية الغراء هي مصدر تلك القاعدة ومنها شقت طريقها إلى كافة قوانين ودساتير العالم.

غير أن تلك القاعدة المشار إليها، لا يؤخذ بها على إطلاقها. بل يرد عليها استثناء هام لا مناص منه رحمة بالناس وإقرارا للعدل بينهم. ومؤدى هذا الاستثناء أنه إذا ارتكب الإنسان فعلا يعاقب عليه القانون بعقوبة مغلظة ثم صدر في أثناء محاكمته أو بعد الحكم عليه قانون جديد يجعل هذا الفعل غير معاقب عليه أو يخفف العقوبة المقررة له فإن هذا القانون الجديد هو الذي يتبع دون غيره. أي أن التشريع الجنائي يسري على الماضي إذا كان أصلح للمتهم.

وهذا الاستثناء العادل الرحيم سنده قائم في الفقه الإسلامي من الأثرين التاليين:

أولا: بلغ هلال أن أمية أن امرأته على صلة بغيره فقذفها به. وأبلغ النبي صلى الله عليه وسلم طالبا إقامة حد الزنا فطلب منه النبي عليه الصلاة والسلام البينة وإلا أقام عليه حد القذف وقال له: «ياهلال ... البينة أو حد في ظهرك» والحد هنا ثمانون جلدة تنفيذا لحكم الله فيمن يرمون المحصنات ولم يأتوا بأربعة شهداء. وامرأة هلال محصنة ولا يغير من الموقف أن المبلغ هو الزوج. فذهل هلال. إذ كيف يرى المنكر في بيته وليست له عليه بينة. ويقتل إن قتل ويجلد إن قذف، وإن سكت فإنما يسكت على مضض، فنزل قول الله سبحانه وتعالى: «والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين. والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين» الآيات ٦، ٧، ٨ من سورة النور.

وعلى أثر ذلك نفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم الآيات الجديدة التي تضمنت كما هو واضح حكما في صالح المتهم فنفذ حكمها فيه رغم أن واقعة القذف المنسوبة إليه وقعت قبل نزول الآية وفي ظل نص يوجب إقامة الحد .

ثانيا : كان الظهار في الجاهلية وفي أول الإسلام طلاقا أي أنه كان تصرفا يترتب عليه فسخ عقد الزواج وإنهائه ولم يكن يعتبر جريمة حتى ظاهر أوس بن الصامت من زوجته خولة فقال لها : « أنت على كظهر أمي » فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقالت يارسول الله طالت صحبتي مع زوجي وأكل شبابي ونثرت له بطني ، حتى إذا كبر سني ، وانقطع ولدي ، ظاهر مني ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « حرمت عليه » . فقالت أشكو إلى الله فاقتي فقال لها « حرمت عليه » . فعادت تكرر ما قالته من قبل ، وعند ذلك نزل الوحي . ولما قضى الوحي طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها وتلا عليه قوله تعالى : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ، الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور ، والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله . وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم » الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ من سورة المجادلة .

وقد طبقت هذه الآيات على أوس ابن الصامت ، فقد سأله الرسول عليه الصلاة والسلام : أتستطيع أن تعتق رقبة ، قال لا - قال أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال لا - قال : فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا - قال لا - إلا أن تعينني فأعانه رسول الله فأطعم ستين مسكينا وراجع زوجته .

وهكذا تكون آيات الظهار قد طبقت في واقعة حدثت قبل نزول النص أي أنها طبقت بأثر رجعي وانسحب أثرها إلى الماضي ، وذلك كما تضمنته من حكم فيه مصلحة للمتهم .

ومن أمثلة القوانين الوضعية التي

(البقية ص ٨٠٠)

البُردة ونهج البُردة في الميزان

للأستاذ السيد قرون

— ٢ —

ولابد للبوصيرى أن يتكلم عن الجهاد فى بردته ، ولشوقى أن يتابعه فى طريقته وعند ما أخذت فى تأمل النصين فى هذا المجال رضيت بما يلهج به نقاد عصرنا الحديث من أن الشاعر لابد له من تجربة ، ويعنون بالتجربة أن الشاعر ينبغى له أن يعيش فى موضوعه بعقله وشعوره ، وحبذا لو بلاه وعاناه ، ولذا فضل النقاد حافظا على غيره فى شعر البؤس وشكوى الزمان ، وابن الرومى فى العصر العباسى فطن إلى هذا الأمر حين سئل لماذا لا تجيد الوصف على شاكلة ابن المعتز ، فكان جوابه الدقيق « إنه يصف ما عون بيته » .

نقول هذا لنشير إلى مدى نجاح البردة ونهج البردة فى وصف جهاد النبى وصحبه .

وأول ما يلاقينا به البوصيرى قوله عن الدعوة المحمدية :

راعت قلوب العدا أنباء بعثته
كنبأة أجفلت غفلا من الغنم

ثم :

ما زال يلقاهم فى كل معترك
حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

ودوا الفرار فكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم

وهو كلام غير مستقيم مع ما نعرفه عن غزوات الرسول ، فكان ينبغى أن يوضح موقف الغفل من الغنم ويبين أيام الصدام ، وميادين القتال ، وبعد أن ينتهى يقول « ما زال يلقاهم » الخ .

ولكنه حين يصف بطولة محمد وأصحابه يجيد ، فيقول :

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم
ماذا رأى منهم فى كل مصطدم

وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا
فصول حتف لهم أدهى من الوخم

المصدرى البيض حمرا بعد ما وردت
من العدا كل مسود من اللمم

وجمال الأبيات راجع إلى حسن استخدامه لمحفوظاته من الشعر العربى القديم .

أما شوقى فهو من معدن البوصيرى وقد يكون أرق منه ، ولا مناص له من أن يتحدث عن الرسول وغزواته وبذل صحابته :

قال شوقى يخاطب الرسول :

شم الجبال إذا طاولتها انخفضت
والأنجم الزهر ما واسمتها تسم
والليث دونك بأسا عند وثبته
إذا مشيت إلى شاكى السلاح كمى
تهفوا إليك وإن أدميت حبتها
فى الحرب أفئدة الأبطال والبهم
محبــة الله ألقاهـا وهيبته
على ابن آمنة فى كل مصطدم

البيت الأول بين مكانة الرسول ، والبيت الثانى بين شجاعتـه وأنه أشجع من الأسد عند وثبته ، والأبطال يحبون الرسول وإن أدمى حبات قلوبهم ، وهى محبة وهيبة من صنع الله .

وهى أبيات جميلة ولكنها لا تمثل الواقع، والجهاد المرير الذى لاقاه الرسول فى حروبه ، سال دمه ، وكسرت رباعيته فى أحد ، وعداوة قريش له كانت لداء .

والمعروف أن العرب كانوا يلقبون محمدا بالأمين، ويخاطبونه بابن عبد المطلب، ولم أر فى كتب السيرة من دعاه بابن آمنة؛ وكان حقا عليه أن يذكرها فى موضع تظهر فيه رحمـة الرسول بالضعفاء والفقراء والصبية .

ووجد شوقى البوصيرى يقول :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

وهو يشير إلى جهود النبى فى تعليم المسلمين القراءة والكتابة ، وقوله « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

وشوقى أراد أن يأتى بحسن التعليل وهو من البديع فقال :

ذكرت باليتم فى القرآن تكرمة
وقيمة اللؤلؤ المكنون فى اليتم

أشار إلى الدرة اليتيمة تعليلا وأشار إلى قوله تعالى « ألم يجدك يتيما فآوى » قضية .

وهذا لا دخل له فى الحرب والجهاد ، وساق أبياتا تعد حشوا ، ولا رابطة بينها مثل :

الله قسم بين الناس رزقهم
وأنت خيرت فى الأرزاق والقسم

وهل لنا أن نذكر موقفه فى الغنائم ؟ ومن أين ولا سابق ولا لاحق يشير إليها ؟ إنمـا هـو عز عليـه ألا يقول كما قال البوصيرى :

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم

وهو فى موضعه ، لأن البوصيرى يمدح الرسول بالزهد هناك .

ويستمر شوقى فى حديثه عن الغزوات ويبين حكمة الجهاد فيقول :

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم

جهل وتضليل أحلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

لما أتى لك عفوا كل ذى حسب
تكفل السيف بالجهال والعمم

والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعا ، وإن تلقه بالشر ينحسم

وهنا نجد شوقى يدافع عن الإسلام ، فالإسلام لم يقم بحد السيف ، وإنما قام بالحجة والبرهان من سمت الرسول وروائع القرآن ، ولما لم يجد مفرا من امتشاق الحسام أتاه مكرها ، وتاريخ الإسلام سجل ناطق بحقيقة الغزوات ، فكل غزوة كانت دفاعا لا هجوما ، والإسلام دين الفطرة ، وليس من المعقول أن يرى الإنسان عقيدته ووطنه وعرضه كل ذلك معرض للمهانة والذلة والإبادة ثم يجلس ساكنا ينتظر الموت والموت البطىء .

وقد رأى شوقى بحوثا فى الغرب ، وجدالا من علمائه وفلاسفته حول العقيدة الإسلامية وأن أصحابها فرضوها على الشعوب بالحروب ، فكان على شوقى المسلم الدارس الشاعر أن يدفع ذلك القول ، لأنه «جهل وتضليل أحلام وسفسطة» وبين أن المسيحية فى حياتها الأولى ، لاقت هوانا ، واضطهادا ، وكانت طريدة الشرك فى كل مكان حلت فيه مسالمة :

لولا حماة لها هبوا لنصرتها
بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم

ويقول البوصيرى :

ثم الرضا عن أبى بكر ، وعن عمر
وعن على وعن عثمان ذى الكرم

والآل والصحب ثم التابعين ، فهم
أهل التقى والنقى والحلم والكرم

وتبعه شوقى قائلا :

من فى البرية كالفاروق معدلة
وكابن عبد العزيز الخاشع الحشم

وكالإمام إذا ما فض مزدحما
بمدمع فى مآقى القوم مزدحم

الزاخر العذب فى علم وفى أدب
والناصر الندب فى حرب وفى سلم

أو كابن عفان والقرآن فى يده
يحنو عليه كما تحنو على الفطم

ويجمع الآى ترجيبا وينظمها
عقدا بجيد الليالى غير منفصم
جرحان فى كبد الإسلام ما التأما
جرح الشهيد، وجرح بالكتاب دمى
وما بلاء أبى بكر بمتهم
بعد الجلاجل فى الأفعال والخدم

وشوقى فى هذه الأبيات كانت تعوزه السيطرة على عاطفته، فينسق، ويرتب ويجمل ويفصل كعادته فى الاحتفال بما يصوره ويبينه، فقد خلط كبار الصحابة خلطا عجيبا مع أنه أعطى كل امرىء منهم مايميزه، وكان ينبغى لفنه أن يجاور الشعر ويداوره، ويعاوده المرة بعد المرة فى الحديث عن هؤلاء البررة حتى يتأتى له أن يرتب وينظم، ويدقق، ويلحظ الأحداث، ويتحاشى ما يضر النظم ويوهى الشعر فلا يكون الأول آخرا، ولا يدخل عمر ابن عبد العزيز بينهم وإن اشتهر بالحلم والعدل والزهد فلو فعل ذلك مع ما أتى به من مناقب كل صحابى لكانت تلك الأبيات روعة رائعة .. انظر إليها :

الفاروق لا مثيل له فى البرية عدالة، وخطيب الصحابة وعالمهم، والفارس على بن أبى طالب وعثمان له أثره بعد المسلمين بماله فى السلم والحرب، وعنايته بجمع القرآن وكتابته فى مصحف واحد هو الإمام ومزية أبى بكر فى حروب الردة لا تنكر، وجلائل أعماله تذكر فتشكر.

وقد سلم له اللفظ وتأليف العبارة، ولكن التأخير ومجافاة الترتيب قلل من التأثير ونظرة الإعجاب وشوقى فى هذه الأبيات فى حال اعتزاز وفخر، فما كان له أن يحشر بينها مقتل عثمان.

هل فى القصيدتين وحدة ؟

إن نقاد العصر الحديث لهجوا بالوحدة العضوية فى الشعر، وأن تكون القصيدة فى غرض واحد متماسكة البناء، ليس فيها ما يسمى ببيت القصيد، فهى تقرأ ككل، ولا ينظر إلى كل بيت كجزء، وفى مقدمة الداعين إلى هذا المفهوم أصحاب الديوان : العقاد والمازنى، وعلى طريقتهما زميلهما شكرى.

وهؤلاء النقاد يحكمون على مثل هذا الشعر (البردة - نهج البردة) بأنه لا وحدة فيه، وأنه متعدد الأغراض فى القصيدة الغزل، وحديث النفس والمدح، والتاريخ، والتوسل والمناجاة

وما إلى ذلك مما يصلح لأن يكون كل غرض قصيدة على حدة .

ويجب أن نعرف مفهوم الوحدة ، فلا نقسر الشاعر قسرا على شروط المقال وتماسكه، فأساس المقال وهو أثر العقل والعاطفة ترفيه عنه ، والشعر أساسه العاطفة والعقل حارس له . وعلى هذا الأساس ننظر فى القصيدتين : كيف كانت العاطفة فيهما ؟ وكيف كان العقل يؤدى واجبه نحوهما ؟

إن قصيدة البوصيرى : البردة يسيطر عليها شعور واحد هو التوسل إلى رسول الله ومدحه وما ذكر الغزل وملامة النفس إلا من جوها ، فلا معشوقة لديه غير الأماكن التى يذكرها ، وما عدده سوى نفسه التى بين جنبيه ، وما مدح الرسول إلا امتداد لعاطفة صادقة فى الحب . وتجد البوصيرى لم يضطرب شعره . وكأن الحارس كان يقظا . وكأنه جعل لكل جانب من عاطفته مقطعا من شعره . فإذا غاب الحارس ، وقليلا ما غاب ، بدا الشعر فى حاجة إلى حيل يشد بعضه ببعض ولم يتبين ذلك جليا إلا حين تغزل . وقد أشرنا إلى ذلك وبينا سببه .

وشوقى له عاطفة صادقة مؤمنة . ولا ننقصه حقه لأننا عاصرناه . فإذا كانت له صبوات كما ذكر هو . فقد تاب وأناب . واستغفر ربه ورجا حسن المآب غير أنه حين وضع البردة أمامه ليعارضها . والمعارض منافس بدت الوحدة عنده غير بارزة الاتصال ومع التأمل والأناة تجد تيارا هادئا وموجات تبين عن وحدة معقولة مقبولة .

ولو أن أمير الشعر تخلى عن المعارضة التامة «حذوك النعل بالنعل» وجعل نهج البردة على نظام المقطوعات . فصارت كل مقطوعة تجلو جانبا من عاطفته لاستراح من القافية فكثيرا ما حرك الساكن لأجلها . وقد يكرر لفظة بعينها نسيها . وعذره أن البوصيرى وحد القافية وكرر الألفاظ لأجلها ومع ذلك فقد أجادا . رحمهما الله بقدر ما أديا للأدب والأريحية الإسلامية من جميل القول وبارع الشعر . وما زلنا فى انتظار من يسير على النهج . ويبلغ القصد والله الموفق ؟

السيد حسن قرون

قصة القصة عند العرب

للأستاذ أحمد موسى سالم

كنت مترددا فى نشر هذا البحث فى مجلة الأزهر بسبب هذا اللبس الشكلى حول صلة الموضوع بالأدب أكثر مما يبدو من صلته بالدين ، ولكن من حيث ثقتى بأن جوهره دينى - كما سيتبين القارىء فيما بعد - رأيت أن أنشره فى مجلة الثقافة الدينية الخالصة ، التى تصدر عن أقدم جامعة إسلامية فى العالم المعاصر ، فهو أولى بها ، وهى أولى به . . .

ولقد شاء الله من البداية ، من غير توقيت متكلف - أن أبدأ فصول هذا البحث فى شهر رمضان ، الذى بدأ فيه نزول القرآن الكريم ، والقرآن الذى هو آية الله ، وآية اللغة ، ومنبع القصص الحق هو مصدر الأدلة الأساسية التى ينشأ بها ويعتمد عليها هذا البحث فى القصة العربية ، ذلك أن القرآن الكريم كما أحكمه الله بيانا وحجة قد استقر بكل آياته على قاعدة واحدة أصلية فى حركة الكون وفى حياة الإنسان السوى هى « الصدق » ، والصدق الذى يتجاوز هنا هذه الفضيلة المستحبة فى المواعظ إلى أنه الحقيقة الكاملة للدين ، والدعوة الشاملة للقرآن هو الضوء والحد والمقياس والغاية فى لظرنا إلى مقدمة ودلالات ونتائج هذا البحث الأول من نوعه وفى موضوعه.

إنه من هذه النقطة البسيطة يسهل على القارىء أن يكتشف ويتصور من بادىء الأمر مدى ارتباط هذا البحث الأدبى فى ظاهره بالقاعدة الأصلية للدين وهى الصدق ، وبالتجسيد البيانى للصدق وهو القرآن ، كما يستطيع القارىء بالتالى أن يكتشف ويتصور أهمية هذا المقياس النفسى والاجتماعى الصحيح الذى سوف نقيس به ونحلل ونحكم ونقارن بين أنواع الأخبار والحكايات والقصص والأساطير والروايات المتخيلة والمسرحيات مما هو عند العرب وعند الأمم الأخرى فى الشرق والغرب ، ، وفى القديم والحديث ، داخلا فى ذلك قصص القرآن وحكايات العهد القديم ، لنميز بينها فى الأساس والمنهج والهدف ،

ولنخرج من ذلك إن استطعنا ببعض الأحكام أو النظريات أو القوانين فى اللغة والأدب وعلم الإنسان ، وعلم النفس الاجتماعى ، مع رقعة واسعة من الضوء يلتقى بها البحث لبيان هذه الصلة الوثيقة بين صحة فهم الإسلام وما يجب من صحة فهم اللغة العربية ، وصحة فهم التاريخ العربى قبل الإسلام .

على أنه مما تقتضيه هذه المقدمة أن أذكر أن لهذا البحث أيضا قصة ، وأنه من المفيد أن ألخصها للقارىء ليستحضر المناخ الذى هيأ له . . فلقد كانت بداية اهتمامى به فى الثلاثينات ، أى منذ نحو أربعين عاما ؛ وكانت نظرتى فيه من أول الأمر أدبية خالصة قبل أن ينفتح به الطريق أمامى إلى جذوره فى مبادىء الدين وأساسياته .

كنت فى ذلك الوقت أجرب فى الشباب الباكر قبل العشرين أول عمل لى فى الصحافة محررا غير حزبى بالطبع فى جريدة كوكب الشرق الصباحية اليومية ، التى كان يملكها أحمد حافظ عوض لحساب الوفد ، والتى كان يكتب فيها فى تلك الفترة فى نفس الاتجاه السياسى الدكتور طه حسين مع مجموعة من تلامذته .. فى تلك الظروف التى بدا فيها لأجيال جديدة أن العمل الحزبى يعمل على السطح ، ويدق الهواء بينما آلام الشعب فى أعماقه ، حيث تحبس القيود الاستعمارية حركة فكره ، وحرية ذاته - نشرت فى الكوكب قصة نقدية قصيرة بعنوان « خيال » حاولت بها أن أكشف عن هذه الصورة المضحكة لهؤلاء المتأدبين الذين يتهافتون على تقليد المنهج الغربى فى كتابة القصص بأسلوب غث وفج ، فترى أحدهم يحكى عن حسن وزينب أحداثا وصورا ترجمها حرفيا عن قصة إنجليزية تحكى عن جون ومرجريت مع البعد الشاسع بين الطرفين فى الوقائع والمشاعر بل وفى الموقف السياسى والإنسانى ..!

كان هؤلاء المتأدبون - ولا يزالون إلى اليوم بكل أسف - يأتون فى هذا التقليد المهين ، وهذه العبودية الأدبية لأوروبا بالغرائب والمآسى ، دون أن يفطنوا إلى شىء ، وقد سكروا - رغم أعمالهم المسروقة - بخمر التمنى للشهرة وتحقيق الأعمال الخالدة !.. وكانت مجلتا الرسالة والرواية تصدران فى تلك الأيام بجهد المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات

حيث كانتا فى فترة نادرة من حياة النهضة الفكرية العربية أشبه بدجاجتين كبيرتين حانيتين حضنتا بإخلاص كثيرا من البيض لتفريخ وتخريج ما يتهيأ فقسه من أدباء وشعراء وقصاصين، ولكن أكثر البيض فسد فى مناخ المجتمع، وبعضه كان بيض غربان ونسور، وبعضه كان بيض طواويس وببغاوات، وأما المحاولات التى نجحت فقد تخرج بها عـــدد من القصاصين والمسرحيين الكبار الآن، الذين - رغم كل شىء - كانوا أبرع إتقانا فى تقليد الأساليب الأوربية، وضياعا فيها .. من غيرهم !!

فى ذلك الزمان تفتح اهتمامى بالقصة العربية .. ما جذورها ؟.. ما طبيعتها ؟ ما خصائصها ؟. ما نماذجها فى التراث؟. أسئلة صعبة أسرع غيرى فى الجواب عليها وقطعت سنوات طـــويلة فى محاولة الجواب الصحيح .

وفى ذلك الزمان أتيحت لى دراسة بالمجان فى رأس وخيال أحد القصاصين الكبار كانت هى البداية لتفكيرى السليم كان زميلا كبيرا ومسئولا عن الأدب وأشياء أخرى فى جريدة الكوكب .

وكان كهلا يعيش رغم يسر حاله عزبا لا يعرف الأبوة ولا البيت، وكان كالعادة يشرب الخمر، ويطمع فى المزيد من الشهرة بعد أن عرضوا له رواية مسرحية — سبق تأليفها عشرات المرات على مسرح الأوبرا . كان رأسه مليئا بخرافات كثيرة يحسبها حقائق علمية عن مستقبل القصة بمفهوم الذوبان فى محاكاة الغرب . وكان من باب التفضل والإحسان قد سمح بأن يضع مواهبى الناشئة فى رعاية عبقريته المشعة حتى أرى الطريق وأواصل السير ! وكانت بداية الضلال أن اختار لى شيخا علما من أعلام القصة الأوربية هو «تولستوى» لأكون بالتلمذة، والمثابرة على دراسة أعماله، وتاريخ حياته، وكتب النقاد فيه مريدا له التقمص من شخصيته بقدر ما أستطيع ! ! . . . وهكذا كانوا يفكرون ! .

ولا زلت أذكر أنى قلت يومذاك للأستاذ الكبير - الذى أفلست فيما بعد جميع مشاريعه القصصية - «إنى لا أحب لنفسى أبدا أن أكون تولستوى أو دوستويفسكى أو غيرهما . إنى أشعر

بالغثيان من هذا التصور . إن كلا من هذين العملاقين مستقر فى إنتاجه على جذور عامة للفكر الأوربى ، بعيدة المدى فى التاريخ ، وهو يمثل امتدادا ونشاطا خاصا لهذه الجذور بالمزاج الروسى . إن كلا منهما تعبير متنوع الألوان عن لغة ومعتقدات وتراث أمة بذاتها ، أو أمم شديدة التشابك فى قارة موحدة التاريخ ، وجذور اللغات ، ومتقاربة فى الأصل الجنسى . . . أما ما يعنينى فهو أن أكون كما ينبغى أن أكون (صحيح الانتماء إلى هذه الأمة العربية وإلى هذا الوطن المصرى مشتركا مع غيرى فى تجديد الذات الصحيحة لإنسان هذه الأمة من طريق التعبير الملائم لها .

قال : « إن العرب لم يعرفوا القصة الفنية ، ولم يفكروا فى بنائها ، بينما هى أرقى إنسانيا وفكريا من الشعر ومهمتنا هى تطويع آدابنا لهذا الفن الرفيع فى هذا العصر » .

قلت له : « فى ظنى إن العربى المسلم كان مثالا للإنسان السوى فأنا لا أفرض رأيى عليك . وفى ظنى أيضا — حتى تقتنع — أن العربى قبل الإسلام كان سيد اللغة والتعبير الكامل . ولا بد أن نبحث هل كان خلو الأدب العربى قبل الإسلام وبعده من « القصة الخيالية » هو من باب النقص ، أو من باب الكمال هل كان فقرا فى هذا اللون ، أم غنى عنه ؟ . . هذا رأيى حتى الآن ! » .

قال لى الزميل الكبير على أثر ذلك - وكان ينطق الراء غينا على طريقة أهل باريس « إنك بهذا الرأى الأخرق ستثير ثائرة المثقفين عليك ، وأنا أولهم ، وسنحاربك حربا شعواء !! » .

وسارت دراستى للتراث وللظواهر المحيطة بى تنمى رأيى فى هذه القضية ، حتى كان أوائل الأربعينات فبدأت - رغم تهديد الأستاذ الكبير - فى نشر عدد من المقالات حول القصة عند العرب وعند غيرهم ، فى ضوء أن القصة عند جميع الشعوب وبجميع فنونها هى انعكاس بالصدق أو بالكذب ، بالحقيقة أو الخيال لرؤيتها للواقع ، متأثرة فى ذلك بمعتقداتها وأحوالها الاجتماعية .

وكان رد الفعل لهذه المقالات بين الأدباء المصريين هو مع الأسف جدار من الصمت ، ومزيج من التبلد وعدم الاكتراث ، بينما استقبلتها سورية والعراق

وحتى الشاطىء الشرقى للجزيرة العربية باهتمام وتمحيص . كنت قد نشرت هذه المقالات فى مجلة الأنصار العربية الإسلامية الواسعة الانتشار فى تلك الفترة فى البلاد العربية . وأعتقد فى غير مبالغة أنه كان لهذه المقالات أثرها فى نظرة أكثر جدية إلى التراث القصصى عند العرب ، وفى تنشيط عدد من الدراسات المفيدة فى هذا الموضوع قام بها مفكرون فى سورية ولبنان أكثر تقديرا وأبعد نظرا فى فهم هذا التراث . بينما بقى رأى عامة المتأدبين فى مصر يدور حول تحسين وتطوير وسائل تقليد وتمصير الفنون القصصية الأوربية ، وفرض ذلك على المجتمع العربى ، واعتبار ذلك أسهل من جهد الاتجاه الطبيعى إلى الأدب القوى ومن التنافس الشريف على إحيائه من خلال ربط الماضى بالحاضر برؤية عصرية .

ثم انقطعت صلتى بالنشر عدد سنين ، وإن لم تنقطع ملاحظتى لما يجرى فى ميدان الأدب المفتوح من كل جوانبه على ساحة المجتمع ، وما يجرى عليها من تطورات سياسية ، وتغيرات فكرية ، ومحاولات مستمرة لبناء أساسى قوى وديني ينمو فوقه المجتمع الجديد .

واليوم أعود لهذا البحث فأعرضه على قراء العربية من منبر ملائم ، وفى ظرف ملائم معتقدا بأن « قصة القصة عند العرب » ، وما يتبعها من قصة القصة فى العالم هى أجدر القصص فى حياتنا وحياة البشر بالدراسة والاهتمام والمعرفة فهى قصة الدين الحق الذى يحدد بالصدق حدود الحياة ، فى مقابل الديانات الوضعية التى تطمس بالوهم حدود هذه الحياة ... إنها قصة الكفاح العلمى فى مقابل العزاء الخرافى ، وقصة الرؤى الصادقة فى مقابل أضغاث الأحلام ... إنها قصة الشروق الصبوح للحقيقة حيث تظهر الأشياء فى مواقعها بغير خلط فى مواجهة الظلمات الكثيفة التى يتساقط بعضها فوق بعض ، فلو أشعل السارى فيها عود ثقاب أطفأته الريح ، ولو أخرج المستهدى بها يده لم يكد يراها !

ثم لعلى بعد كل ذلك أن أكون قد مهدت بالحكاية الحقيقية لبعض ظروف البحث طريقا رحبا أمام القارىء ليتابعه باهتمام ، ويرى فيه رأيه بانصاف ، وليعقب عليه كما يشاء ، وذلك من بداية العدد القادم إن شاء الله ؟

أحمد موسى سالم

قصيــــدة

قطرات فى حب الله

شعــر : محمــد كمال هاشم

طاف بالعطر قلت : هات نصيبى
يا حبيبى وجــدد الترتيــلا
فالنداء الخفى نفحة طيب
آه يا قلب كم أردت الوصــولا
رن صوت يقول للروح :
إنا سوف نلقى عليك قولا ثقيلا
قالت الروح :
هــاته فهو زادى
ليتنى أنهل الشراب الجميــلا
ليتنى أبلغ الفناء فأحيا
ليتنى مثلكم شددت الرحيــلا

* * *

شفنى الوجد يا رفاقى
فهاتوا نفحــة الوصل
أسكرونى طويلا
ذوبونى فى غمرة النور
إنى كدت من فرط نوره أن أسيلا
أنا فى حبــه غناء ولحن
أينما سرت كنت وقعا جميــلا

* * *

فاذكروا الله كلما جن ليل
إن ليــل الصفاء أمسى قليــلا

(البقية ص ٧٨٥)

العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال النجعي

— ٦ —

ذكرنا أن العرب في جاهليتهم(١) كانوا يعبدون الأصنام، تقليدا لمن سبقهم، واستجلابا للمطر أو دفعا للبلاء اعتقادا منهم بقدرتها، أو تزلفا بها إلى قوى أشد منها بطشا، وأعلى منزلة، والعرب في هذا ليسوا مبتدعين أو مبتكرين، فلقد سبقتهم وعاصرتهم أمم اتخذت آلهة أربابا يعبدونها من دون الله، بل لقد كانت لكل قوة من قوى الطبيعة إله أو آلهة تمسك بمقدراتها، وتتصرف فيها كيف تشاء، كان ذلك عند المصريين القدماء، وعند اليونانيين والرومانيين، وجميع الأمم التي سبقت الإسلام مما لا داعي لذكر تفاصيله في هذا المقام.

وجاء الإسلام الحنيف بشرعته السمحاء فحرم عبادة الأوثان، وسخر منها، «إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى» (النجم ٢٢)، «فاجتنبوا الرجس من الأوثان» (الحج ٣٠) «إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون» (العنكبوت ١٧)، «إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا» (العنكبوت ٢٩)، وما كان تحطيم إبراهيم لأصنام قومه إلا تعبيرا عن عدم جدوى عبادتها أو التقرب إليها: «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» (المائدة ٩٠).

وفي هذا المعنى تدور بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها ما رواه أسامة بن زيد حين قال: دخلت مع

---

(١) مجلة الأزهر عدد رجب ١٣٩٢ - أغسطس ١٩٧٢ ص ٤٧٤ - المقال الرابع.

رسـول الله الكعبة فرأى فيها صـورا فأمرنى أن آتيه فى الدلو بمـاء فجعل يبل الثـوب ويضرب به الصور ويقـول : قاتل الله قوما يصورون مالا يخلقون ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : إن أشد الناس عذابا يوم القيامه المصورون ، إن الملائكة لاتدخل بيتافيه كلب ولا صورة ، وعن قتيبة قال : حدثنا الليث عن بكير عن بسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن أبى طلحة صاحب رسول الله قال : إن رسول الله قال : إن الملائكة لا تدخـل بيتا فيه صورة ، قال بسر ثم اشتكى زيد فعـد ناه فإذا على بابه ستر فيه صـورة فقلت لعبد الله ربيب ميمونة زوج النبى فقال : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول فقال عبد الله ألم تسمعه حين قال إلا رقما فى ثوب » ، ويروى عن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال : إنى أصور هـــذه التصاوير فأفتنى فيها فقال سمعت رسول الله يقول : كل مصور فى النـار يجعل بكل صورة صورها نفسا تعذبه فى جهنم . فإن كنت لابد فاعلا فاجعل الشجر ومالا نفس له . وعن أبى هريرة أنه دخل دارا فرأى اعلاها مصـورا يصور فقـال : سمعت رسول الله يقول : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلق ، فليخلقوا حبـة وليخلقوا ذرة [١] » .

ونحن نذكر هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة لأنها ذكرت فى مطلع الإسلام حين نزل فى قوم مازالوا عاكفين على دين آبائهم ومازالوا يتمسكون به ، وكان لابد من أوامر صارمة بترك الشرك وعبادة الأوثان وكل ما من شأنه أن يصرف الناس عن عبادة الله أو يشغلهم عن فروض دينهم الجديد ، أو يعود بهم إلى عبادة الأوثان ، وما ينصرف عن التماثيل أو الصور يمكن أن ينصرف على باقى الفنون مثل قول الشعر : « والشعراء يتبعهم الغاوون » ، أو الموسيقى أو اللهو واللعب - كالتمثيل أو التقليد أو المحاكاة بالقول أو الفعل .

والشيخ الإمام محمـــد عبده فتوى أصدرها عام ١٩٢٢ بشأن المصورين ، فقال إن هذا الحديث جاء أيام الوثنية ، وكانت الصور تتخذ فى ذلك العهد لسببين اللهو والتبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين ، والأول مما يبغضه الدين .

(١) التصوير الإسلامى ومدارسه : جمال محرز المكتبة الثقافية العدد ٦١ مايو ١٩٦٢ .

والثانى مما جاء الإسلام لمحوه والمصور فى الحالين شاغل عن الله أو ممهد للإشراك به ، فإذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة ، كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر فى المصنوعات كما فى حواشى المصاحف وأوائل السور إن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل [1] .

وهناك فتوى أخرى للشيخ محمد رشيد رضا نشرتها مجلة المنار فى الثلاثين من ذى الحجة عام ١٣٣٠ هجرية [2] ويقول فيها : « إن الدين الإسلامى يحرم ما كان فيه قصد التعظيم الدينى وما كان شعارا دينيا للكفار إذا قصد به التشبه بهم ، ومن يقول إن علة تحريم التصوير واتخاذ الصور هو محاكاة خلق الله تعالى يلزمه تحريم تصوير الشجر والجبال والأنهار والأراضى والشمس والنجوم والآلات والأدوات والدوائر والخطوط ، ومعنى الأحاديث النبوية أن الله تعالى يظهر للمصورين عجزهم يوم القيامة تمهيدا لعقابهم على مساعدة الناس بتصاويرهم على عبادة غيره ، وإذا استعمل فى العبادات يفسدها لأنه يحولها إلى وثنية ، وقد نهى النبى عن الصور والتصوير قبل نزول جميع القرآن ووصوله إلى الناس لقرب عهدهم بالوثنية

فلما دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وانتشر الإســـلام فى بقاع الدنيا ، وانفتحت القلوب لرسالته السمحاء ، واستقر الإيمان فى القلوب والعقول ، ولما كان فى اللهو البرىء متعة للنفس والجسد لا يصرفهما عن عبادة الله ، كان موقف الإسلام من الفن موقف المحبذ المشجع ، فكان الرسول يستمع للغناء والتوقيع بالدف ، وكان يسمح بلعب الأطفال ولا يرى فيها غضاضة لتربيتهم كما كان يسمح برياضة المبارزة وركوب الخيل وتعلم الرماية ، وكان يقول: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلت عميت » :

ولقد أصبحت الفنون - بشتى أنواعها - من قبيل الترويح عن النفس ، بل من قبيل التعليم والإرشاد ، لا تصرف الناس عن الدين ولا تدعو إلى الشرك بالله ، وفن المسرح من هذا القبيل أيضا

(١) ، (٢) المرجع السابق ص ٩ إلى ٢١ .

بل إن المسرح فى المجتمع يجب أن يكون وسيلة تربية بمعناها الجدى لا وسيلة تبذل واستصراخ الشهوات، والمسرح عند بعض الأمم السابقة بدأ من الدين نفسه ، يصور تعاليمه وبعض أحداثه وقصصه ، وولد على باب المعبد فى مصر القديمة ، وفى اليونان القديمة أيضا ، وفى الهند والصين ، وكان مسرح العصور الوسطى ذا بداية دينية أيضا ، وهو فى ذلك إنما يصور حال المجتمع فى عصر من العصور بما عليه أهله من عادات وتقاليد ، وبما يؤمنون به من دين سماوى أو دنيوى ، بل إن المسرح الإسلامى ظهر فى فترة مبكرة يصور أحداث مقتل الحسين فى كربلاء ، وظهر المنشدون فى العصور الإسلامية الأولى يروون أحـــداث التاريخ الإسلامى ، وقصص الأنبياء وأبطـال المسلمين ، كما ظهر القصاصون فى المساجد وفى الأسواق والمنتديات، وفى قصور الحكام والأمراء يروون بالحوار المنثور ، والشعر المنظوم مايعد صورة صادقة للمجتمع الإسلامى فى تلك الحقب ، ثم تطورت الدراما الإسلامية ومنها أخـذ المسرح الأسبانى والإيطالى والألمـانى كثيرا من مبادئه وأسسه ، وكانت أغلب موضوعاتها مستمدة من القصص والروايات العربية والإسلامية ، وتطـور الأمر إلى اليوم لتجد المسرح الإسلامى يأخـذ وضعه الفنى السليم ، ومكانته الناهضة ، وهـذا ماسنفصل الحديث فيه ، فإلى لقاء ؟

محمد كمال الدين

(بقية المنشور على ص ٧٨١)

وإذا أشرقت على الكون شمس
سبحوا الله بكرة وأصيلا
واعلموا أنه قريب لداع . . .
أنه كان وعـــده مفعولا
يا إلهى تفتح الزهـــر حولى وشـدا الطير للورود طويـلا
صنع الورد من شذاه أريجا سكب الغيم فوقـــه سلسبيـلا
تاهت الفلك يا إلهى وبحرى زاخـــر والخليل يبكى الخليـلا
وأنا قطـــرة من الحب يارب ولن أرتضى بحبى بديـــلا

محمد كمال هاشم

الإمام الماوردى ... الفقيه الرائد

للدكتور محمد رجب البيومى

— ٢ —

عاش الماوردى ستة وثمانين عاما عيشة رجل مفكر يتأمل ما حوله ويعرف أحداث عصره معرفة المحلل الشارح ، وقد ولى من المناصب القضائية ما فسح له فرصة الاتصال بالحاكم والمحكوم فهو فى مجالس الخصومة يلم بتيارات مجتمعه ويقف على أسباب التناحر بين المتنازعين ويسبر علل الخصام بجرأة ، ثم هو فى اجتماعات الرؤساء يدرك تطلعات الطامعين وآمال المتعجلين وما يحاك وراء ذلك من دسائس وينصب من حبال ، وقد حاز ثقة الخليفة فكان سفيره المتكلم بلسانه لدى بعض من شغبوا عليه فأحسن أداء مهمته بما رزق من حسن تصرف وسعة حيلة ، وقارىء التاريخ الإسلامى يدهش لبراعة نفر من كبار القضاة أمثال الماوردى والباقلانى أتقنوا أساليب الدبلوماسية النزيهة فيما زاولوه من اتصال فى أعلى المستويات ، ومصدر هذه البراعة الفائقة لدى هؤلاء أنهم علماء عاملون لم يحصلوا العلم ليكونوا أوعية حافظة له فحسب ، بل ليتحول نمطا من السلوك الإنسانى النادر يفتق الحيلة ويعصم من الشطط ويدعو بالتى هى أحسن .

هذه العظمة الخلقية كان الماوردى يحس أثرها فى نفسه ، ويعلم أنه جدير بها لا عن تكبر واستعلاء بل عن كفاءة واستحقاق ، وهو أول من لقب بقاضى القضاة بين الزملاء فأورثهم شغبا عليه ، وجاهره أبو الطيب الطبرى والصيمرى بالخلاف فلم يكترث فى شىء ، وقد أثبتت الأيام أنه أكفأ وأقدر إذ تعرض لامتحان دقيق خرج منه ظافرا منصورا لم تهن صهزته فجاهر بالحق دون مهابة ، بينما تقاعس منافسوه وآثروا العافية فلم يصمدوا للريح العاتية كما صمد شامخا غير عابىء ، ونلخص موقفه الرائع حين نذكر أن جلال الدين بن بويه طلب من الخليفة أن يزاد فى ألقابه شاهنشاه الأعظم بمعنى ملك الملوك الأعظم فأجابه الخليفة إلى ما أراد وخطب له الخطباء بذلك على المنابر

فهاجت العامة واعترض بعض الفقهاء مقررا أن « ملك الملوك » لا تقال لغير الله ، فاضطر جلال الدين بن بويه أن يلجأ إلى كبار الفقهاء ليفتوا بجواز التلقيب ، فأفتى الصيمرى أن مثل ملك الملوك يعتبر فيه القصد والنية بمعنى أن تكون نية الملقب به متجهة إلى ملوك الأرض وحدهم ، أما أبو الطيب الطبرى فأفتى بالجواز قياسا على قاضى القضاة ووافقه على ذلك الفقيه التميمى من كبار الحنابلة ، ولكن الماوردى انفـــرد بالمعارضة الشديدة ، وقاطع جلال الدين وانقطع عنه ، إذ يرى أن فى إطلاق ملك الملوك عليه ما يملى فى الغرور والاستعلاء ثم إن الله مالك الملك بما فيه من كائنات ومن فيه من ملوك فكيف ينازعه بشر ما فى صفته ، واستمر الهياج من العامة فطلب جلال الدين لقاء الماوردى فذهب إلى لقائه على وجل ، وبعد مناقشة هادئة تراجع جلال الدين قائلا : « أنا أتحقق أنك لو حابيت أحداً لحابيتنى لكريم ما بينى وبينك من الصلات ، وما حملك إلا الدين والإسلام فزاد ذلك محلك عندى » ! وهذا موقف يذكر لجلال الدين بالإنصاف إذ وجد من الخشية مادفعه إلى التراجع مع الماوردى إعترافا بنزاهته ! أما عظمة أبى الحسن الماوردى فى تشدده البالغ فلا تقف عند حد .

هذا القاضى الموسوف الألمعى قد تعمد الكتابة فى القانون الدستورى للإسلام - على وعورتها الشائكة - ليضع الموازين بالقسط تجاه الحكام والرؤساء وكأنه شاء أن يلقى بدلوه فى الدلاء ، ليقول لمن يتجاوزون الحد فى مناصبهم اللامعة : إن الشرع قد رسم الحدود ، وحدد الحواجز لحصر دائرة كل رئيس فى حيز لا يتعداه ، وتلك جرأة محمودة لا أدرى كيف غابت عمن انتقدوه بأنه ذكر الشروط وحدد الحقوق والواجبات دون أن يمثل بحوداث عصره ؛ إذ كان عليه فى رأيهم أن يعرض نماذج من الإدارة الفاسدة والسياسة الغاشمة فى عصره ليكون نقده صريحاً لا لبس فيه ، وقد فات هؤلاء أن الماوردى سلك سبيل الحكمة فيما كتب ، إذ لو تعرض للتطبيق العملى من واقعه المشاهد ، لصودرت دروسه وحوربت كتبه ، وما استمع إلى حديثه مستمع ، وهو أعقل من أن يخطو خطوة

تقضى على برنامجه الإصلاحى لأول وهلة فرأى من الحزم أن يترك التمثيل بالواقع جانبا ، وحسبه أن أشار إلى ما يجب أن يكون ! وفى المقارنة الصامتة بين الواقع والمأمول مايقوم مقام التنديد والانتقاد.

عالج أبو الحسن مواد الفقه الدستورى فى كتاب «الحاوى» ثم خصص بها كتابه المشهور «(الأحكام السلطانية) وفصل جانبا بارزاً منها فى كتاب (قانون الوزارة) ، كما كرر حديثه عن حقوق السلطان وواجباته فى صفحات هامة من كتاب (أدب الدنيا والدين) والحاح الماوردى فى الحديث عن هذه الأحكام فى أربعة كتب من مؤلفاته يدل على حرصه البالغ على إيضاح الحقوق والواجبات حرصا ملك عليه منافذ تفكيره ، فجعله شغله الشاغل فى الدرس والتأليف ، وقد أكد أن الإمامة حق المسلمين جميعاً وأنها عقد رضاة واختيار لا عقد إكراه وإجبار ، وأن الحاكم لا يكتسب لنفسه حقوقا خاصة أو امتيازات محددة وأنه يتولى باتفاق أهل الحل والعقد « فإذا اجتمع أهل العقد والحل والاختيار تصفحوا أحوال أهل الإمامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلا وأكملهم شروطا ومن يسرع الناس إلى طاعته ولا يتوقفون عن بيعته ، فإذا تعين لهم من بين الجماعة من أداهم الاجتهاد إلى اختياره عرضوها عليه فإن أجاب إليها بايعوه عليها ، وانعقدت ببيعتهم له الإمامة فلزم كافة الأمة الدخول فى بيعته ، والانقياد لطاعته وإن امتنع من الإمامة ولم يجب إليها لم يجبر عليها لأنها عقد رضاة واختيار لا يداخله إكراه ولا إجبار ».

وأهل الحل والعقد الذين يختارون الإمام لمنصبه قد ميزهم الماوردى بشروط واضحة هى : العدالة والعلم والرأى ، قاصداً بالعدالة : الاستقامة والأمانة والورع ، وبالعلم : مايتوصل به إلى معرفة المستحق لهذا المنصب عن جدارة ، وبالرأى : مايهدى إلى اختيار الصالح عن بصر وتجربة ، أما عددهم فأكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة يرون أن أقل عدد تنعقد به الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة مستدلين على ذلك بأن بيعة أبى بكر رضى الله عنه قد انعقدت بخمسة ، وأن عمر

من بعده جعل الشورى فى ستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة، وهذا رأى المتكلمين والفقهاء من أهل البصرة وعلى رأسهم الماوردى ، أما مذهب أهل السنة وهو مذهب الأكثرية فقد رأوا أن تحديد عدد معين موضع انتقاد إذ لا دليل عليه وحكم الواحد نافذ بدليل أبى بكر حين عقد وحده البيعة لعمر . .

وقد طالت المجاذبة فى هذا الصدد لدى المحدثين والقدماء من الدارسين حتى وجه « أرنولد » اتهاما للماوردى ، لأنه - فى رأى هذا المستشرق الفاضل - بطريقة ماهرة قد بذل جهده ليجعل نظرية الانتخاب تنطبق على ما كان يتبعه الخلفاء فى وقته ، وهو اتهام تصدى له أستاذنا الكبير محمد ضياء الدين الريس فقال مفندا إياه فى كتابه الرائع «النظريات السياسية الإسلامية » ص ١٧٣ ط ثانية :

« والواقع أنه لا محل لتوجيه مثل هذا الاتهام ، ولا لإثارة اعتراض ، فهؤلاء الناقدون وأمثالهم قد خدعوا بالظاهر ولم يفهموا المذهب على حقيقته فأهل السنة لم يكونوا ليقولوا إن عقد الإمامة يصح أن يعقده واحد إلا إذا كانوا يفترضون أن من المسلم به والمفهوم بداهة أن هذا الواحد لا يمثل نفسه فقط ولا يعبر عن رأيه وحده ، وإنما يمثل رأى الأمة أو أهل الحل والعقد جميعا ويعبر عن آرائهم ، فهم لا يقصدون - ومثلهم من يجوز انعقاد الإمامة بعدد قليل - أن هذا الواحد بذاته أو العدد بذاته هو الذى تتقرر بإرادته صحة العقد ، إنما يفهمون أن هذا العدد يمثل للإرادة العامة أو لرأى الأكثرية، فكأن المسألة ليست إلا حالة تمثيل أو تفويض ، وما دام من الممكن أن يتصور عقلا - بل إن هذا يحدث أيضا فى بعض الظروف التاريخية أن الأمة قد تضع ثقتها فى واحد أو أكثر وترضى أن يكون معبرا عن رأيها ، أى أنها تكون قد فوضته فى التصرف فى بعض حقوقها حتى وإن لم يكن هذا التفويض قد عبر عنه بالقول بل كانت كل الأحوال والظروف الملابسة تدل عليه فإنه لا يكون حينئذ إلا من المعقول أن نعترف بمثل هذه الإنابة والتفويض.

وكان القائلون بهذا الرأى ينظرون حينما أصدروا حكمهم إلى وقائع تاريخية لا شك فيها هى التى أثبتت أن مثل هذا

التمثيل قد يحدث فيها أن أبا بكر رضى الله عنه لم يكن بايعه فى باديء الأمر إلا نفر قليل من الصحابة ثم قفت الأمة على آثارهم . وأظهرت موافقتها على هذا الاختيار بإقبالها على بيعة من اختاروه فى اليوم التالى ، ومنها أيضا عقد أبى بكر لعمر رضى الله عنه ليكون خليفة بعده ، وكان أبو بكر موضع ثقة الأمة جميعا فأقرت له الأمة رأيه وصادقت على مبايعته بالإجماع فلا غرابة ولا شذوذ إذا حكمنا بأن عقد الإمامة فى مثل هذه الظروف يصح أن يعقده رجل واحد ، والاختيار فى نهاية الأمر إنما هو اختيار الأمة ، ومبدأ الانتخاب قائم كما هو ، مسلم به ، لم يخرج عليه أحد » .

هذا رد الأستاذ ضياء الدين الريس نقلته على طوله لأنى لم أجد أحسن منه فى موضوع حيوى كثر الخبط فيه على غير بصيرة ، وهو موضوع يتجدد بقراءة تاريخ الحقبة الأولى من صدر الإسلام وما أكثر ما يقرأ هذا التاريخ المجيد .

قسم الماوردى كتابه هذا إلى عشرين فصلا تتحدث عن الإمامة والوزارة والإمارة والجهاد وولاية الحروب والمظالم والقضاء ونقابة ذوى الأنساب وإمامة الصلوات وولاية الصدقات والفىء والغنيمة والخراج وإحياء الموات واستخراج المياه والحمى والإرفاق والإقطاع والجرائم والحسبة ، وهى بحوث يظن بها التعقيد والجفاف لأن الذين توارثوا القول فيها شرقا وغربا قد ركزوا أحكامها فى نصوص صلبة ذات محترزات ، ولكن قارىء الماوردى لا يكاد يشعر بما يعهده لدى غيره من الجفاف الناضب لأن المؤلف يملك من دقيق العبارة ما يميل به إلى الوضوح .

مهما تشعبت به الفروع الفقهية تشعبا يميل إلى حصر الفروض المحتملة وتخيل الحوادث الطارئة ، ونضرب المثل لذلك بقوله فى الباب الخاص بأحكام الحسبة :

« وأما ما ينكر من حقوق الآدميين المحضة فمثل أن يتعدى رجل على حد جاره أو فى حريم لداره أو وضع أجذاع على جداره فلا اعتراض للمحتسب فيه ما لم يستعده الجار ، لأنه حق يخصه فصح منه العفو عنه ، والمطالبة به ، فإن خاصمه فيه كان للمحتسب النظر فيه إن لم يكن بينهما تنازع وتناكل ، وأخذ المعتدى بإزالة تعديه ، وكان له تأديبه

عليه بحسب شواهـــد الحالة ، ثم يمضى فى التمثيل فيقـول : « ولو انتشر أغصان الشجرة إلى دار جاره كان للجار أن يستعدى المحتسب حتى يعديه على صاحب الشجرة ليأخذه بإزالة ما انتشر من أغصانها فى داره ولا تأديب عليـه لأن انتشارها ليس من فعله ، ولو انتشرت عروق الشجرة من تحت الأرض حتى انتشرت فى قرار أرض الجار لم يؤخـذ بقطعها ولم يمنع الجار من التصرف فى قرار أرضه وإن قطعها ، وإذا نصب المالك تنورا فى داره فتأذى الجار بدخانه لم يعترض عليه ولم يمنع منـه ، وكذلك لو نصب فى داره رحى أو وضع فيـه حدادين أو قصارين لم يمنع لأن للناس التصرف فى أمـلا كهم بمـا أحبوا » .

وهذا تفريع دقيق بناه الفقيه الـكبير على القاعـدة الفقهية المعـروفة « لاضرر ولاضرار » ، وأحسب أن من الفقهاء من عارضه فى بعض الأحكام معارضة ترتكز على القاعدة عينها إذ أن لـكل وجهة هو موليها وهذا الاختلاف البارز فى فروع الفقه الإسلامى ممـا يزيده خصوبة ونماء بل ممـا يثبت أن حرية الفكـر الإسلامى لا تقف عند حد ضيق فى مضمار التشريع بل تمتد لتنعم بسعة النظر ورحابة التعليل.

وقد لاحظت تنوع الأسـلوب لدى الـكاتب الـكبير فيما كتبـه عن الإمام فى « الأحكام السلطانية » مقارنا بكلامه عنه فى « أدب الدنيا والدين » ، وهـو تنوع أوحى به مقتضى الحال لأن كتاب « الأحكام » قـد وضع للخاصـة من دارسى الفقه الإسلامى أما كتاب « أدب الدنيا والدين » فقد وضع للجمهرة من المتأدبين لذلك كثر فيه الاستشهاد بالشعر وروائع الحكمة النثرية دفعا للملل وترويحا للنفس وإن تضمنت الفصول السياسية من اللباب بعض ما تضمنه فصل الحاكم فى « الأحـكام » اختصارا واقتصارا ، أما « قوانين الوزارة » فهو بأدب الدنيا والدين أشبه وإلى سهولته ويسره أدنى وأقرب ، وعبارته من الدقة والوضوح بحيث ترضى المتشرعين والأدباء معا ، ففيها من التقسيم العقلى والتحليل النفسى مايستحسن أن نستشهد عليهما بمثل قوله :

« وأنت أيها الوزير - أمدك الله بتوفيقه - فى منصب مختلف الأطراف ، تدبر غيرك من الرعايا وتتدبر بغيرك من الملوك ،

(البقية ص ١٠ من القسم الأفرنجى)

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● بدائع الفوائد :

لابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ)

هـذا الكتاب الجليل الذى نشرته مكتبة القاهرة بالأزهر ، هو من تراث الفكر الإسلامى الخصيب ، وتبلغ عدد صفحات أجزائه الأربعة حوالى ألف ومائتى صفحة ، أما المؤلف فهو غنى عن التعريف ، فلا يجهل مسلم مثقف قدر محمد بن أبى بكر الدمشقى المعروف بابن قيم الجوزية أحد كبار المفكرين الإسلاميين ، وركن من أركان الإصلاح الإسلامى ، ومن العلماء القلائل الذين صدعوا بكلمة الحق دون أن يخشوا فى الله لومة لائم .

تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جاهد معه ، وشاركه السجن فى قلعة دمشق ، وهو الذى وفى لعلمه بعد موته ، فهذب كتبه ونشر على الناس فكره ، أما مؤلفاته العديدة فقد أثرت بها المكتبة الإسلامية العربية ، صنف فى الفقه والأصـــول والعقائد والتفسير والأخلاق ومن ذا الذى يجهل من تصانيفه : زاد المعاد أو أعلام الموقعين . أو الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية . أو شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل أو الفوائد الذى بين يدينا الآن ؟

والحق أن هذا الكتاب الجليل الذى يعتبر من أمهات كتب التراث الإسلامى هو دراسة مستفيضة لشتى مسائل الفكر الإسلامى ، دراسة قد استوعبت الفقه واللغة والتفسير والعقيدة والحـــديث وعلومه وغيرها ، ولم تخل من المناقشة لآراء الغير والرد عليها ، كما لم تخل من أبحاث قيمة فى علوم البلاغة - فهو يعرض الآية القرآنية أو الحديث النبوى ، أو المسألة الفقهية ، أو المسألة البلاغية أو القضية الكلامية ، فيلم إلماما دقيقا بكل أطرافها ، وبذلك كان الكتاب دائرة معارف إسلامية فكرية ، ومرجعا شاملا لا يلجأ إليه الباحث المضطر وحسب ،

بل أيضا المثقف الراغب فى أن يزود فكره بالثقافة الإسلامية الناضجة ..

إن القارىء لهذا الكتاب - وكل مصنفات ابن قيم الجوزية - يدرك مدى ما يتمتع به هذا العالم الجليل من سعة اطلاع تثير الدهشة والعجب، ففى بداية الجزء الثالث مثلا عرض لقوله تعالى : «ادعوا ربكم تضرعا وخفية - إلى قوله تعالى - إن رحمة الله قريب من المحسنين» فاستغرق تحليله لهاتين الآيتين عشرات الصفحات، عنى فيه بالدعاء : شروطه وأركانه وأنواعه، كما عنى بمدلولات الألفاظ والأساليب البلاغية، حتى إن القارىء ليحس بمتعة ذهنية دون أن يدركه أدنى قدر من الملل .

وبعد - فقد كنت أود أن لا يخلو هذا الكتاب القيم من مقدمة تشتمل على ترجمة وافية عن المؤلف العالم الجليل - كما تشتمل على تعريف واف أيضا بمنهج المؤلف الفكرى من خلال التعريف بالكتاب ..

كذلك كنت أود أن يعنى الأستاذ - محمود غانم غيث الذى قام بتصحيح هذه الطبعة الثانية ومراجعتها، أن يعنى قليلا بفهارس الكتاب وتبويب موضوعاته ..

● كتاب الكفاية في علم الرواية .

تصنيف : الحافظ الخطيب البغدادى

وهذا كتاب آخر من تراثنا الإسلامي الذى نحن فى أمس الحاجة إليه، وقد قامت بنشره (دار الكتب الحديثة) بالقاهرة فى أكثر من ستمائة صفحة من القطع الكبير، وقدم له الشيخ محمد الحافظ التيجانى بمقدمة مسهبة، كما قام بمراجعته الأستاذان : عبدالحليم محمد عبد الحليم وعبد الرحمن حسن محمود، وكم كنت أود أن يقدما أيضا للكتاب ليعرفانا به وبمنهجهما فى مراجعته، مع أن لهما جهداً مشكورا فى الضبط والتعليق .

إن المصنف من العلماء الأفذاذ الذين أثروا بفكرهم المكتبة الإسلامية والعربية، فهو الحافظ المحدث والحجة أبو بكر أحمد بن أحمد بن على .. البغدادي محدث الشام والعراق، ولد بقرية درزيجان من سواد العراق عام ٣٩٢ هـ وتوفى ببغداد عام ٤٦٣ هـ، أما مصنفاته فقد أوصلها بعضهم إلى مائة مصنف فى شتى العلوم والفنون، ومن لا يعرف له : تاريخ بغداد، والكفاية الذى بين

أيدينا ؟ ومن يجهل مصنفاته العديدة فى الحديث وفنونه ؟ حتى لقد قال عنه ابن حجر : « وقل فن من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتابا مفردا ، فكان كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة : كل من أنصف ، علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه » .

أما كتاب « الكفاية » فهو فى قوانين الرواية جميعها ، جاء فى ثلاثة عشر جزءا فى مجلد واحد ، ولا أعتقد أن الخطيب البغدادى لم يترك لمن بعده من يصنف شيئا فى قوانين الرواية ، فقد ناقش أكثر من مائة وستين مسألة ، وقد استوعب بعضها بضع صفحات ، ومن أهم ما ناقشه : الجرح والتعديل ، ورواية الحديث على اللفظ ، وتعارض الأخبار وترجيحها ، ومراسيل سعيد بن المسيب ، وتخصيص السنين لعموم محكم القرآن ، والأخبار وتقسيمها ، ورواية الحديث على المعنى . .

كنت أود أن يعنى المراجعان لهذه الدراسة الضخمة المستوفاة بتسجيل معانى الألفاظ الصعبة ، وبتراجم موجزة لبعض الأعلام التى وردت بالكتاب ، والقارىء فى مسيس الحاجة إليها - كعنايتهما بضبط الألفاظ ، ويا حبذا لو أن المراجعين قد أضافا - إلى جهدهما المشكور - فى نهاية الكتاب فهارس للأعلام ثم للأحاديث ، فالفهارس من ألزم اللوازم فى تحقيق كتب التراث القيمة . .

وبعد - فما لا ريب فيه أن العناية بكتب التراث فى مجال الحديث النبوى هى إحدى الضرورات التى لا غنى عنها للمكتبة العربية ، فلدينا والحمد لله الكثير من هذا التراث ؛ لكن معظمه لا يزال فى حاجة إلى الإحياء ، بل إن كثيرا منه أيضا لا يزال مخطوطا وحبيس المكتبات الأجنبية فى الشرق والغرب على السواء ، ولا سيما من كان منه متخصصا فى علوم الحديث ، والمكتبة العربية والإسلامية لا تزال فقيرة إليه .

* * *

● بحوث ومناقشات :

تأليف : زيد بن عبد العزيز بن فياض

من الكتب الحديثة أصدرت دار مكتبة الحياة ببيروت هذا الكتاب للعالم الأديب السعودى الأستاذ زيد ، الذى

تقدم من قبل المكتبة الإسلامية والعربية « الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية - نظرات فى الشريعة - واجب المسلمين فى نشر الإسلام - الوحدة الإسلامية - الدين والعلم - صور من الجهاد » وغير هذه من الدراسات الطيبة . .

عرض المؤلف فى كتابه هذا الذى يقع فى زهاء مائةوأربعين صفحة-لأكثر من ثلاثين موضوعا ، وعلى الرغم من أن هذه الموضوعات أشبه ماتكون بالخواطر التى سبق نشر معظمها أو إذاعته ، إلا أنها جديرة بالاهتمام - فمثلا عرض المؤلف لبعض الإذاعات العربيـــة التى تؤكد للشعوب العربية - بما تذيعه من إسفاف باسم الفن - أنها - أى هذه الإذاعات - لم تفق من نومها بعد ، لتدرك أن الأمة العربية تمر بمرحلة عصيبة من أخطر مراحل حياتها ، فيجب عليها أن تلتزم بشىء من الجد ، كما عرض المؤلف لتحقيق مسهب أوردته (وكالة رويتر) عن هجرة : المثقفين العرب إلى الخارج ؛ فإن سبعين فى المائة من العلماء العرب الذين يسافرون إلى الخارج للتخصص لا يعودون إلى بلادهم - كما تشير منظمة اليونسكو إلى ذلك فى تقرير لها ، ويقول المؤلف : إن هذه حقائق مذهلة وخطيرة فى نفس الوقت ، وهى قمينة بأن تثير شعورا من الأسى والأسف على ماوصلت إليه الحال فى بعض البلدان العربية ، فانعكست آثارها على كل ميدان بما فيها الميادين العلمية والثقافية .

وعرض المؤلف للغزو الفكرى ، فأشار إلى أن هناك مخططا ثقافيا رهيبا يحاك للبلدان الإسلامية لغزو الأمة المسلمة فى عقر دارها ، وتحطيم معنويات المسلمين ، وتشويش أفكارهم بالمبادىء الهدامة والآراء المضللة - وهذا الغزو المحبوك يوالى ضرباته بعنف وقسوة على مستويات متعددة ، لذلك فهو يحتاج إلى يقظة وجهد لمقاومته ، وإبطال مفعوله قبل أن يستفحل الداء ويتعذر العلاج .

الحقيقة أن فى الكتاب بحوثا ودراسات على جانب من الأهمية ، كان الكاتب فيها حريصا موفقا ، كما أن فيه أيضا قليلا من الخواطر ، كنت أود أن يكون مكان هذا القليل فى كتاب آخر ، حتى تكون موضوعات كتابه هذا مطابقا تماما لعنوانه ، ومع ذلك ، فالقليل الذى أشرت

إليه لا يمس كثيراً قيمة الكتاب النقدية والإصلاحية معا .

● فى مجتمعنا ٢٧٤ خرافة . .

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة نجوى الفوال تحقيقا صحفيا واسعا فى عدد أخبار اليوم الذى صدر فى ١٩٧٢/٨/١٢ جاء فى هذا التحقيق المسهب أن ٩٦ ٪ من سكان الريف و٦٢ ٪ من أهل المدينة يؤمنون بالخرافات ،وأن فى مصر وحدها أربعة آلاف دجال ، وأن الخرافات - لا تقف عند حدود الأميين فقط ، بل يعتقد فيها الكثير من المتعلمين، ففى دراسة عن «الزار» أجراها أحد أساتذة الطب النفسى تبين أن ٢٠ ٪ من المترددات على الزار من خريجات الجامعة .

وقد سألت المحررة الأستاذ زكريا البرى رئيس قسم الشريعة بحقوق القاهرة ، والدكتور بيصار أمين مجمع البحوث الإسلامية - رأى الشريعة الإسلامية فى الاعتقاد بالأولياء وفى السحر وقدرة الأرواح ، فقال الأستاذ البرى :

إن الاعتقاد فى أولياء الله الصالحين له مفهومان: الأول الاعتقاد فى صلاحهم وحب اتباع سلوكهم وزياراتهم ، وهذا الاعتقاد سليم ؛ والثانى : الاعتقاد بأن لهم دخلا فى تصريف شئون الدنيا ؛ وهذا أمر لا يقره الإسلام ؛ والاعتقاد فى هذا يبعد الإنسان عن الإسلام ومعناه إشراك عباد الله مع الله فى تدبير شئون الكون ، وهذا خطأ كبير . .

أما الدكتور بيصار فيرى أن نص القرآن جاء فيه تكذيب صريح لادعاءات السحرة ، وذلك فى صورة لقاء موسى مع السحرة ؛ فقد نص القرآن صراحة على أن سحر هؤلاء السحرة لم يكن سوى تخيل . فالسحر ليس شيئا واقعيا على الاطلاق ؛ ولا يمكن أن يكون له أثر على تغيير طبيعة أى شيء . .

ومما يثير العجب فى هذا التحقيق الصحفى أن المحررة أشارت إلى أن الكثير من الخرافات يرتبط بالديانات؛ وفى عناوين بارزة ؛ نسبت إلى اليهودية: ممنوع خياطة الملابس يوم السبت ؛ وإلى المسيحية: الماشية التى ترعى يوم الغطاس تموت،ونسبت إلى الإسلام: كل شيء وله تخصص فى شفاء الأمراض ؛ مع أنه ليس فى الإسلام ولا فى توجيهات القرآن والسنة شيء مما نسبته إلى الإسلام ؛ بل على العكس ؛ فالإسلام الذى حرر العقول

أعلنها حربا شعواء على الخرافات والشعوذة والدجل ..

ولإزاء هذا التحقيق المسهب، نرى أنه لا يزال هناك واجب ملقى على علماء الدين ولا سيما الوعاظ وأئمة المساجد وشباب الأزهر فى الريف بالذات فقد ذكر المقدم يحيى عبد الخالق بشرطة الآداب ، أن هناك مكاتب للتنجيم كعلم من علوم الفلك، ر خصصا بها، ثم يترتب على هذا هتك عرض النساء المترددات عليها مدعيا أصحابها أن الجان هو الذى يفعل ذلك كعلاج للعقم ، وهنا تقف صعوبة إثبات هذه الحالات عقبة أمام رجال الآداب ، ثم إن أحد الأطباء الشرعيين يروى أن دجالا أصبح أبا لنصف أولاد القرية من خلال « حجاب الخلفة» الذى يعطيه لنساء القرية . .

● قراءات :

« إن التحرك الإسلامى مظلوم عند الكتاب ، مهضوم عند الباحثين دولتان كبيرتان تقتسمان العالم المعروف فى القرن السابع الميلادى بالقوة الحربية ، لكل منهما خبرة قرون فى الحروب - وبدون مقدمات.. فجأة.. تقوم من العدم دولة، لم تكن من قبل دولة ولا شبه دولة، فتمحو من خريطة الوجود دولة الفرس من المشرق ، وتزيح حدود دولة الروم إلى المغرب عشرات الآلاف من الأميال بأعداد قليلة من الجند ، وفى سنوات تعد على أصابع اليدين ! ! حدث لا نظير له فى تاريخ العالم ، ثم لا تجد فى المكتبة ما يشرح لنا وجهة نظر علم الحرب — والحرب علم - كيف حدث هذا ؟ كيف أزالت جيوش المسلمين من سجل الدول العظمى التى تقتسم العالم دولتى الفرس والروم فى أقل مما تزول به الأفراد فضلا عن الدول ولا سيما الكبرى منها » .

من كتاب : « الطريق إلى المدائن » للأستاذ أحمد عادل كمال ؟

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادي

الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر

السؤال من السيد / محمد جمال مصطفى

قال لزوجته سنية بنت هند بنت محمد خضري طالق ، وتكرر ذلك أكثر من ثلاث مرات في مجلسين متعاقبين - فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد : فنفيد بأن يقع بما ذكر في السؤال طلقتين رجعيتين إن لم يسبق ذلك طلاق آخر فله مراجعة زوجته ما دامت في العدة فإذا انقضت عدتها حلت له بعقد ومهر جديدين برضاها وتبقى معه على طلقة واحدة والله تعالى أعلم .

* * *

السؤال من السيد / السيد السيد محمود البربري

توفى رجل عن زوجة وأربعة أبناء وست بنات وعن أولاد بنت توفيت قبله فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد : فنفيد بأن في تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأولاد البنت التي توفيت أمهم قبل والدها بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة وقت وفاة المورث في حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ فتقسم التركة ١٢٠ جزءا - سبعة أجزاء منها وصية واجبة لأولاد البنت تقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى وهو نصيب أمهم لو كانت على قيد الحياة وقت وفاة جدهم والباقي ١١٣ جزءا هو الميراث : للزوجة منه الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث والباقي للأبناء الأربعة والبنات الست الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى . والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / الحاج كوندى سلي مادى (من مواطنى جمهورية سيراليون)

١ — هل أكل لحم القرود حلال أم حرام ؟ وما حكم استعمال جلودهم ؟

٢ — هل قتل النمر حرام أم حلال ؟ وما حكم استعمال جلد النمر والاتجار فيه؟ وحكم أكل لحمه ؟

٣ — هل كلب البحر حرام أم حلال بالنسبة للحمه ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فنفيد بأنه لا يحل أكل لحم القرود والنمور لأنها حيوانات مفترسة ومثلها كل حيوان مفترس ومنها كلب البحر كذلك .

أما جلود القرود والنمور فإنها تطهر بالدباغ ومثلها كل ميتة أو حيوان لا يؤكل يطهر جلده بالدباغ ويحل الانتفاع به وبيعه وشراؤه إلا جلد الكلب والخنزير فإنهما لا يطهران أبدا والله تعالى أعلم ؟

* * *

السؤال من السيد / الأستاذ نابى سالو (من مواطنى جمهورية غينيا) :

١ — أيهما أحسن إرسال اليدين فى الصلاة أم قبضهما ؟

٢ — هل يجوز أن يصلى المسلمون على المسلم البالغ العاقل الذى ينتحر عمدا ؟ وهل يجوز قراءة الشهادة عليه ؟ وهل هناك أمل فى دخول المنتحر الجنة ؟

٣ — ما هى السور المفضلة فى القراءة فى كل ركعة من ثلاث ركعات صلاة الشفع والوتر ؟

٤ — هل يجوز غسل الجنابة بالصابون بحيث يتلوث الماء فى الإناء بهذا الصابون عند الغسل ؟

٥ — ما هى عدد الركعات المفضلة صلاتها فى صلاة نوافل رمضان ؟

٦ — وهل صلاتها فى المسجد مع الجماعة أحسن أم فى البيت ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد : فنفيد عن الأول بأن كلاهما قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وباعتبار أنه سنة لم يداوم النبى صلى الله عليه وسلم بل فعله وقوله لبيان الجواز .

وعن الثانى : نعم تجب الصلاة على كل من مات مسلما ولو كان عاصيا .

ويفعل معه ما يفعل مع غيره من كافة

المسلمين من دعاء واستغفار وغيرهما ، وما دام قد مات على الإسلام فمآله الجنة ولا شك .

وعن الثالث : بأنه يجب ألا يكون هناك خلاف حول تفضيل سورة على أخرى تقرأ بعد الفاتحة فى الصلاة أيا كانت والسنة تحصل بأى آية من القرآن أو سورة صغيرة .

وعن الرابع : بأنه إذا اغتسل الإنسان من الجنابة بالماء والصابون واختلط الصابون بالماء فى الإناء يعفى عن اليسير منه دون الكثير .

وعن الخامس : بأن النوافل المفضلة فى رمضان هى صلاة التراويح والإكثار من التهجد . وصلاة التراويح عشرون ركعة غير الوتر بعد صلاة العشاء . كما ورد عن الرسول أنه صلاها فى المسجد ثمان ركعات .

وعن صلاة الجماعة فى المسجد فإنها أفضل منها فى البيت إلا أن يكون فى صلاته فى بيته إماما لأهله تعليما لهم والله تعالى أعلم ؟

(بقيه المنشور على صفحه ٧٧٠)

أخذت بهذه القاعدة وقننتها فى المواد الجنائية ، قانون العقوبات المصرى حيث نص فى المادة الخامسة منه على ما يأتى :

« يعاقب على الجرائم بمقتضى القانون المعمول به وقت ارتكابها ، ومع هذا إذا صدر بعد وقوع الفعل وقبل الحكم فيه نهائيا قانون أصلح للمتهم فهو الذى يتبع دون غيره .

وإذا صدر قانون بعد حكم نهائى يجعل الفعل الذى حكم على المجرم من أجله غير معاقب عليه . يوقف تنفيذ الحكم وتنتهى آثاره الجنائية .

غير أنه فى حالة قيام إجراءات الدعوى أو صدور حكم بالإدانة فيها ، وكان ذلك عن فعل وقع مخالفا بقانون ينهى عن ارتكابه فى فترة محددة ، فإن انتهاء هذه الفترة لا يحول دون السير فى الدعوى أو تنفيذ العقوبات المحكوم بها » .

وهكذا نرى أن المبادىء التى جاءت بها الشريعة الإسلامية السمحة إنما تهدف كلها إلى تنظيم المجتمع الإسلامى والمحافظة على كيانه والسير به قدما نحو التقدم والارتقاء .

د . عبد العزيز عبد الرازق صبرى

أنباء وآراء

● منع الخمر فى تونس :

تقرر منع تعاطى المشروبات الكحولية بجميع أنواعها - ويشمل المنع شرب (البيرة) - فى مقاهى تونس .

اعتبر هذا القرار نافذا ابتداء من الثامنة مساء يوم ١٩٧٢/١١/٦ هددت سلطات الأمن بإغلاق المقهى الذى يخالف القرار .

● القذافى إمام المصلين فى عيد الفطر :

أمّ العقيد معمر القذافى رئيس جمهورية ليبيا العربية المصلين بمسجد (مولاى محمد) بطرابلس ؛ فصلى بهم صلاة عيد الفطر ، ثم ألقى خطبة العيد ، فتحدث فيها عن ضرورة الوحدة فى كل وقت لاسيما فى وقتنا هذا .

● انتشار الدعارة فى إسرائيل :

ألقى وزير داخلية إسرائيل « شلومو هيليل » بيانا عن عدد الشبان والشابات الذين يهجرون بيوت آبائهم ، وأعلن أن الحكومة تشعر بقلق من جراء تزايدهم فبينما كانوا نحو ٥٧٥ فتاة فى ١٩٦٩ صاروا نحو ٦٨٣ فى عام ١٩٧١ قال : إن الأمر ينتهى بهؤلاء الفتيات إلى احتراف الدعارة .

● مذابح المسلمين فى الفلبين :

لا تزال أعمال العنف التى تقوم بها حكومة الفلبين ضد المسلمين قائمة ، وقد ذهب ضحية الإبادة (٦٠٠) مسلم بمدينة ماروای فى يوم الأحد ١٩٧٢/١٠/٢٢ . واستولت الحكومة على أكثر من عشرة آلاف هكتار من أخصب الأراضى الزراعية وطردت المسلمين منها.

● اللغة العربية لغة جواز السفر إلى ليبيا :

أبلغت الحكومة الليبية سفاراتها بالخارج بضرورة تحرير جواز السفر إلى ليبيا باللغة العربية ، وتلقت السفارات الليبية تعليمات برفض منح تأشيرة دخول لكل جواز سفر غربى ليس محررا بالعربية .

● معاجم مكتب التنسيق بجامعة الدول العربية .

(البقية ص ٨٠٦)

الشباب فى المجتمع

بيان لفضيلة الإمام الأكبر

الدكتور الشيخ محمد محمد الفحام شيخ الأزهر

عقد فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه ظهر يوم الإثنين ٧ من شوال ١٣٩٢ هـ الموافق ١٣ من نوفمبر ١٩٧٢ مؤتمرا صحفيا ألقى فيه البيان التالى :

الشباب هم فى كل مجتمع عصب الأمة وساعدها القوى ، وقلبها النابض بالحياة وروحها الوثابة .

الشباب فى واقع الأمر يعيشون مرحلة القوة من مراحل العمر ، بين ضعفين : ضعف الطفولة ـ وضعف الشيخوخة . . وقد صور الله عز وجل ذلك بقوله : « الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة » . ومن أجل ذلك كانت عناية المصلحين والمفسدين بالشباب . . فالمصلحون الغير على الأمة والمتطلعون إلى مستقبلها يعنون ببناء الشباب فى عقائدهم وعقولهم وأبدانهم ، وأخلاقهم ، وأعداء الأمة المفسدون يرون فى الشباب قوة يرهبونها وطاقة يخشونها ، ولذلك يتصيدون الشباب لتحطيم عقائدهم وزلزلة إيمانهم وضرب كيانهم وإنهم يخططون لذلك بذكاء وعبقرية مستعينين بالدراسات النفسية ، للقضاء على الشباب ، وأملنا فى الشباب ، فيستغلون فى أبنائنا فورة الغرائز وقلق النفس والتطلع إلى المجهول والطموح المتدفق والنزعة القوية إلى التحرر والرغبة فى تأكيد الذات . . . فيتملقون شهواتهم على حساب دينهم ومقدساتهم إلى درجة أصبح معها أمر الشباب يدعونا إلى نظرة أبوية حانية ، ممزوجة بنظرة تربوية بانية وتوجيه وطنى سليم يشعل الحماس فى همم الشباب لانقاذ العرض وتطهير الأرض وحماية العقائد وإنقاذ الأمة فى حاضرها ومستقبلها من لصوص الأمجاد الذين يجدون فى بلوغ آمالهم ويغرقوننا

بالهزل وتوافه الأمور عن مسموم أغراضهم وخبيث تخطيطهم .

أنواع من الشباب :

من الشباب بجنسية : فتيان وفتيات نوع متدين ، له جماله وجلاله ، وله نشاطه فى مواقعه المختلفة ، فى الكليات الجامعية ، والمعاهد العليا ، والمدارس والمساجد ، والتجمعات العمالية تفيض قلوبهم طهرا وإيمانا ، فيختارون أسلم وسائل التعبير، عن أقوم العقائد وأنضج الأفكار ، فإذا هم يقيمون المعسكرات الروحية ويعقدون المؤتمرات الدراسية ويستضيفون الدعاة لمعالجة شتى الموضوعات ويعقدون الندوات المفتوحة ويطرحون الأسئلة الملحة والمستفسرة وقد رأيناهم وسمعنا عنهم فى كل مكان ، وعلى هذا النوع من الشباب نعقد الآمال ومن خلال جهودهم نرى مستقبل الأمة مشرقا بساما وضيئا ، لكن بجانبهم نوعا آخر متطرفا فى تصوره للدين وهذا النوع إذا يسر الله له من يقوده إلى مجالات الاعتدال ، فإن له من عاطفة التدين ما يمكن أن يلحقه بالنوع الأول ، وهذه العملية القيادية تحتاج من المصلحين إلى إعداد وتخطيط .

وهناك نوع ثالث من الشباب ، تتجاذبهم تيارات القلق وتتقاذفهم عواصف هوجاء تهب عليهم أحيانا من داخل النفس وتباغتهم كثيرا من خارج أنفسهم وهؤلاء منهم إيجابيون فى الهدم، يتعاطفون مع كل تيار دخيل على العقائد، غريب على الأخلاق وعلى المظاهر ، فإذا هم وقد فتحوا صدورهم لكل مستورد مستنكر ، لا يستوقفهم شىء من المقدسات ولا يلويهم شىء من صالح التقاليد والعادات

ومن الشباب سلبيون، تذوى همتهم، وتنطفىء شعلتهم، ويذوب حماسهم لأنهم فى حيرة من أمرهم ، لا يعرفون إلى الغايات الكبيرة سبيلا .

ولعلى بهذه المحاولة قد حددت بإجمال، أنواعا من الشباب ، وأبرزت ملامح كل نوع تمهيدا لالتماس العلاج .

إن كثيرا من الشباب يقفون فى مهب العواصف الهوجاء ، تعتريهم الحيرة ولا يعصمهم أمامها إدراك لدلائل الإيمان وفهم لبراهين اليقين .

وقد يتعلل هؤلاء بأن الجو العام من حولهم لا يساعدهم على التدين ، وسوف نتحدث إن شاء الله فى مؤتمر قادم عن

الجو العام الذى يعيش فيه الشباب ، ولكننا اليوم نسارع فنقرر أن تدين الشباب لا يتوقف على وجود البيئة المتدينة، مع تسليمنا بأهمية البيئة وأثرها، فقد خلد القرآن الكريم نماذج مؤمنة من الشباب ، تحدوا بإيمانهم كل ما يحيط بهم من عوامل الفساد ، ذلك لأن التدين يثمره إدراك الأدلة وفهم البراهين ، بحيث لا تكون البيئة المتدينة مهما كانت أهميتها إلا عاملا مساعدا ومثل هذا الإيمان النابع من الفهم المشرق ، هو الصخرة التى تتمزق عليها محاولات المضلين ـ أما التدين الذى يأتى ثمرة المتابعة العمياء فسرعان ما يتلاشى فى مواقف الامتحان .

إنى أطرح أمام الشباب هذه النماذج الخالدة من أرباب العقائد الراسخة ، برغم بيئتهم الفاسدة ، وفى مقدمتهم فتية آمنوا بربهم ، وزادهم الله هدى ، هم أصحاب الكهف الذين لم يعجبهم ماعليه قومهم من إهدار الآدمية وعبادة الجماد حين قالوا : « هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا » فهم رفضوا التقليد الأعمى ، وتساءلوا عن المنطق السليم الذى يسيرون فى ضوئه بخطوات ثابتة إلى أكرم الغايات .

ولفتياتنا ونسائنا نقدم المثل الرائع الذى اعتبره القرآن نموذجا للمؤمنات ، امرأة استبدلت نضعف الأنوثة قوة العقيدة ، وأرادت أن تعيش فى رحاب الرجل بشرط أن يعيش الرجل فى رحاب الله ، وتحدت دولة الكفر بصلابة الإيمان ، فظلت أنباؤها منارة كفاح يخلدها قول ربها «وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة، ونجنى من فرعون وعمله ، ونجنى من القوم الظالمين » .

ونقدم للذين غرر بهم دعاة الشر ، فقطعوا فى خدمة الباطل أشواطاً ، وربما ارتزقوا من وراء خدمة الشيطان، نبأ الفئة العجيب أمرها ، التى عاشت يوما مشهوداً أعجب أيامها ، فكانوا فيه أول الأمر متطرفين ، لا يعرفون للاعتدال معنى فى خدمة الضلال ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فلما أشرقت عليهم شموس المعرفة ، وجدت من إذعانهم للحق ، بطولة نادرة المثال ، وكم تنكر للحق بعض

الذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، أتدرون من هؤلاء؟ إنهم سحرة فرعون الذين رشحتهم كفاءتهم البارعة فى الإيهام والخداع والتضليل أول الأمر لينتخبهم من شتى المدائن، عيون فرعون، وتساءل السحرة وقد تجمعوا - عما يشغلهم من الحطام الفانى - فقالوا لفرعون: «أإن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين. قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين». وفى يوم الزينة وقد حشر الناس وقت الضحى، لموقف مشهود له ما وراءه عرف هؤلاء السحرة ما كانوا يجهلون من الحق، فلم يطل وقوفهم على مفترق الطرق، بل: «ألقى السحرة ساجدين. قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون». وتقاضاهم هذا الإيمان حياتهم وكلفهم كل أمل لهم فى الدنيا فما بخلوا على عقائدهم ببذل الأنفس والأموال، وواجهوا التقطيع والتصليب بشجاعة نادرة، وإيمان عميق، يهزأ بالنار والحديد ويستخف بالبغى والطغيان فقالوا لفرعون: «لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا. إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر. والله خير وأبقى. إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا. ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا. جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى».

ولو صح أن البيئة هى كل شىء، لما استطاع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينتزع من بيئة الشرك، خير أمة أخرجت للناس، ولكنه بناها بعون الله الذى أيده بنصره وبالمؤمنين، الذين لم يتعللوا بحتمية وجود البيئة المناسبة، بل صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله فأفلحوا، وكان كل فرد منهم أمة فى شخص، ومن أروع نماذجهم: على بن أبى طالب، وأسماء بنت أبى بكر، وأسامة ابن زيد، وأبناء عفراء.. وغيرهم ممن ازدانت بهم صحف التاريخ.

أبنائى وبناتى:

إن الإسلام الذى صنع هؤلاء جميعاً، لا يزال بحمد الله ماثلا فى كتاب الله، وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وفى سنة رسول الله الذى لا ينطق

عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، وفى سير المؤمنين الذين قرظهم الله تعالى بقوله : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

وإذا كنا اليوم قد تكلمنا عن أنواع من الشباب، وبينا أن تدينهم المنشود يبدأ من منطلق الفهم الرشيد لدعوة الإسلام والإذعان السديد لما عرفوا من الحق

فإننا نأمل أن يكون لنا لقاء فى الأسبوع القادم - إن شاء الله - نستجلى به جوانب هذا الموضوع الكبير ، الجدير بكل عناية واهتمام ، ونرجو فى نفس الوقت أن تنطلق أصوات المصلحين هاتفة بالشباب - غير الإذاعة والصحافة والمنابر والندوات والمحافل - أن يجيبوا داعى الله، ليتجملوا بقوة العقائد وطهر البواطن، مع قوة السواعد وعنفوان الشباب .

إنى لآمل أن نهتف جميعا بفتياتنا أن تكون كلمة الله ارجح فى ميزانهن من كلمة بيوت الأزياء ودعاة السفور لعل ذلك يوقظ فى الفتيات شعور الحرج من السفور، وفى الرجال شعور الغيرة على الأعراض التى هى أعز وأغلى من الحياة .

وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب

وفق الله مجتمعنا ومواطنينا إلى سبل الرشاد . . وهيأ الله لقائد هذه الأمة من أمره رشدا ، حتى يحول شعار دولة العلم والإيمان إلى واقع حافل بأنوار العلم وشواهد الإيمان . . وذلك طريق النصر . . وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) .

شيخ الأزهر

(دكتور محمد محمد الفحام)

(بقية المنشور على صفحة ٨٠١)

بعث المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى بالمملكة المغربية إلى مجلة الأزهر بثلاثة معاجم أعدها ضمن معاجمه العديدة الميسرة لتنشيط التعريب

وهذه المعاجم هى : المعجم المنزلى ، ومعجم الأطعمة ومعجم الحساب الابتدائى

● مدينة للعلماء فى ليبيا

قررت ليبيا إنشاء مدينة للعلماء مجهزة بكافة أجهزة البحث العلمى فى مختلف المجالات .

ستكون هذه المدينة مركزاً لعمل المؤسسة الاتحادية للطاقة الذرية التى أوصى مجلس شئون البحث العلمى بإنشائها ؟

على الخطيب

Our enemies and many ; they have occupied our lands and directed their weapons against us. Unity is our only force and we have laid strong foundations for it. So let us march forwards to the object that we set for us with the help of God. Let our slogan be the unity of strong determination and firm hearts and belief and faith in God.

MILITARY PREPAREDNESS ;

This is one of the strongest foundations upon which the entity of the nation is based. It is also closely linked with its security and dignity. Injustice is one of the traits of deviated souls ; and conflict over the utilities of life and the plenty of earth is in the nature of people. Conflict between right and wrong and between evil and goodness is one of the characteristics of life.

Islam has been keen to place these facts under full attention to ensure security for the Moslims in their nations, creed, souls and money.

Therefore it urged for military preparedness to confront the ill-int.ntions of the aggressors who might be hatching a surprise and premeditate attack on the secure Muslims.

Such preparedness or armed peace prevents aggression. Preparing for war is a sort of prevention of war. It deters the enemy and prevents it from meditating aggression. God says : "Make ready for them all thou canst of (armed) force and of horses tethered, that thereby ye may dismay the enemy of Allah and your enemy, and others beside them whom ye know not Allah knoweth them" (8 : 60).

(بقية المنشور على ص ٧٩١)

فأنت سائس موسى تقوم بسياسة رعيتك وتنقاد لطاعة سلطانك، فتجمع بين سطوة مطاع ، وانقياد مطيع ، فشطر مكرك جاذب لمن تسوسه ، وشطره مجذوب لمن تطيعه ، وهو أثقل الأقسام الثلاثة محملا وأصعبها مركبا ، لأن الناس ما بين سائس ومسوس وجامع بينهما » . ثم مضى يتحدث عن مسئوليات الوزير وعن علاقته بمرءوسيه ورؤسائه وصلته بالشعب مفصلا واجباته فى الدفاع عن السلطان والرعية ومتحدثا عن وزارتى التفويض والتنفيذ بما أحسن علاجه من قبل فى كتبه الدستورية جميعها ، فلو قيل : إن الماوردى كان أستاذ القانون الدستورى فى عصره بما سطر من مواد ، ونفذ من أحكام ، وعالج من مسائل لكان قولا يدل عليه تراثه الحافل وتاريخه الأبى ، ونظره البعيد ؟

د . محمد رجب البيومى

It is important in advising the individual to consider what is in the universe of God, and what is in man his creation and constitution.

These directives are the most important foundations for learning, invention and discovery. These are the sources of all human knowledge and learning in the past, present and future. These directives are the price of Islam and constitute some of the most important relics

a) Work : We have already clarified the extent of attention given to work by Islam and the rewards it has prepared for workers.

b) Money : It is the basis of the economic structure of the nation. The Quran has shown its value in life ; ways of benefiting from it and its circulation among people.

If should be noted at first that for Islam money is owned by God and that the rich people are guardians of this money and that the poor have a certain right to it. God says : "Believe in Allah and His messenger, and spend of that whereof. He hath made you trustees". (57 : 7) And He also says : "And in whose wealth there is a right acknowledge for the beggar and the destitute"· (70 : 25).

It is worthy of note that the Quran states that giving to the poor is an act of lending to God. He says: "Who is he that will lend unto Allah a good loan, that He may double it for him and his may be a rich reward ? (57 : 11).

UNITY AND UNION

The ideal society is that which is pervaded with solidarity and adherence and which is overshadowed by union interdependance. Union is force and dispersion is weakness that portends destruction. Islam called for union and sanctioned conflict and dispersion. God says : "And hold fast, all of you together, to the cable of Allah, and do not seperate"· (3 : 103). He also sayes: "And Dispute not one with another lest ye falter and your strength depart from you" (8 : 46). The Prophet says : "The believer to the believer is like a structure in which each brick supports the other". He also says : The example of the believers in their sympathy and love is like one body if part of the body is sick the rest will get sick as well".

Unity emanates from faith ; faith unifies the ranks and brings the Muslims together around one object and links them with the strong link of God. If they are subjected to a danger by an enemy they will emerge in one bloc against it !

In the present age we are in pressing need for unity and solidarity.

owes and takes less than he deserves. In this sense it comes above justice (Al Ragheb Al Asbahany).

If men deal with each other according to justice and kindness their affairs would be straightened ; love and kindness would prevail and discord would disappear. The third basis which is enjoined in this verse is giving to kinsfolk. This is one of the most important Pillars for spreading of love and mercy among members of the family.

2 — In another verse we find a comprehensive concentration on the best virtues : "And there may spring from you a nation who invite to goodness, and enjoin right conduct, and forbid indecency. Such are they who are successful". (3 : 104).

3 — The Speech of the Farewell Pilgrimage.

In this speech the Prophet showed the most important bases of religion. He said :

a) I recommand you worshippers of God with a fear of God and I urge you to obey Him.

b) Whoever has been entrusted with something must perform it to the person in question.

c) Fear God in women and to do them goodness.

d) The believers are brothers ; no one should take from his brother's money without his approval.

e) I have left among you things which if you adopt, you will never miss the right path after me ; the Book of God and the sunna of His Prophet.

f) Your God is one, your father is one. All of you belong to Adam and Adam is made from dust. The best amongst you is he who fears God most. There is no distinction between an Arab and a non-Arab except on the basis of his fear of God.(1)

After these pillars we find three strong pillars laid down by Islam for the ideal society : these are learing, work and money.

1 — Learning : we have seen already that it is one of the strong bases in the directives contained in the Glorious Quran for the individual.

---

(1) The speech of the Prophet in the Farewell Pilgrimage came in many versions by many of the Prophet's companions. It was related by Ahmed Al Tabarany, Al Baraz and Abu Dawud in different wordings. It was also related by Matwala Ibn Hisham The paragraphs shows here come from various versions.

The Prophet, God's Prayers and Peace be Upon Him, also said "He will not enter paradise who does not secure his neighbour against evil".*(1)*

Islam provided protection of the family through man and woman alike. They both supervise the upbringing and protection of children. Each of them is a caretaker and each is responsible for his subjects.

If the upbringing of children in the family is conducted in an ideal manner this would form a base for the production of a sound and developed generation promoting the nation and directing it into the righteous path.

Islam has set forth the elements that are bound to ensure a satisfactory life for the family, and which would spread the feelings of love, sympathy and understanding among its members.

Apart from emotional links, Islam has laid down the necessary legislation rules for marriage, alimony and inheritance, as well as the rights and duties that should be undertaken. It also laid down the bases of understanding and detante and sought to settle problems and conflicts with arbitration so that the family may live in stability and quiet.

---

(1) Related by Muslim quoting Abou Horeira.

The NATION :

Having formulated the sound base for education of the individual, and the family, Islam proceeded to lay down the sound foundation for preparation of the nation, which is the bigger community. The strong sturcture Islam set up for the nation has been sought by many countries, but they failed to achieve it and remained for ages indulged in material pursuits, hatred and greed.

Islam has built the sound pillars for an ideal society and if humanity pursued such system it would have been able to suppress injustices and evil ; all states would have live away from the hatred and greed and aggression. We shall refer to the salient features produced by Islam since 14 centureies.

First : The Quran abounds with verses that lay down strong bases for the ideal and reformed society.

1 – "Allah enjoineth justice and kindness and giving to kinsfolk and forbiddeth lewdness and abomination and wickedness. He exhorteth you in order that ye may take head" (16 : 90). In this verse God enjoins three things and forbide three things. Justice comes at the top of the former as it gives man what he deserves and takes from his what he owes. Kindness ordains that man should give more than he

Good actions are the basis of good life ; they are the path towards production and plenty on whose foundation the reform of life is affected.

The Quran urges men to carry out good actions which are associated with faith in many verses. God Almighty says : "Lo ! those who believe and do good works, their Lord guideth them by their faith. Rivers will flow beneath them in the gardens of Delight". (10 : 9) "And whoso doeth good works, whether of male or female, and he (or she) is a believer, such will enter paradise and they will not be wronged the dint in a date-stone" (4 : 124). " Allah hath promised such of you as believe and do good works, that He will surely make them to succeed (the present rulers) in the earth ever as He caused those who were before them to succeed (others) : and that He will surely establish for them their religion which He hath approved for them, and will give them in exchange safety after their fear" (24 : 55). There are also many other verses which denote the prominent status of good works and the reward of God thereto.

Thus it become clear that Islam has drawn an ideal approach for the education of the individual so that the latter may become a strong pillar in an ideal community and in the sound structure of the family and the nation.

The FAMILY :

The family is the small state and the first cell of the bigger community. It widens to embrace the neighbour whether near or far and the fellow-traveller.

Islam is anxious to spread goodness among the members of the family and for showing care towards the neighbour whether of kin or not of kin, or if he was not Muslim. God says : "And worship Allah. Ascribe nothing as partner unto Him. (Show) kindness unto parents and unto near kindred, and orphans and the needy and unto the neighbour who is of kin (unto you) and the neighbour who is not of kin and the fellow-traveller" (4 : 36).

In the Prophet's legacy the following episode was quoted : "It was said : O Prophet of God who is to receive maximum attention. He answered" Your mother and father, and sister and brother and your kin who comes after (i. a.) your relative who is closer to those who were metioned). This is an established right and is designed to bring together the close relatives.*(1)*

---

1 — Related by Ahmed, Abi Dawud, and Al Tarmazy.

Features of the Ideal Society in Islam

By

Prof. ABDEL HAMID HASSAN

Member of the Academy

— II —

This is in addition to many other verses.

Such method with which the Quran drew a systematic approach serving many educational aims and objectives such as :

1 — Linking the education of the mind with faith : thus faith would emanate from study and consideration of the acts of God.

2 — This is accompanied by recognition of the donations of God. Man would thus turn to his Creator with thanks, fully aware that He is to be worshipped truly, and that He is the shelter in happiness and misery and that there is no submission but to God. This is basis of man's sense of freedom, and that there is no power over him by another man. Hence the close link between man and his Creator.

3 — Consideration of the universe of God and the succession of night and day, as well as the progress of stars according to a well-knit system, provides man with a system for his earthly and religious affairs. God says "It is no for the sun to overtake the moon, nor doth the night outstrip the day. They float each in an orbit". (36 : 40)

4 — Islam supports this educations approach which urges for examination and study of the universe and man. It is an applied and practical approach in two basis foundations of religion namely prayers and fasting.

In prayer man turns to his God thanking him for his donations and seeking mercy and guidance to the straight path.

In fasting the heart feels at rest, and the conscience is aroused ; man realises then that God alone is watching all his actions, knownSi his secrets and appeals. This in itself constitutes a deterrence and protection as well as an incentive to the performance of good actions.

5 — Persuation towards good actions :

It means : "Whoso Obey God and the messenger, they are with those unto whom God that shown favour — the Prophets, the truth loving and martyrs and the righteous. The best of the company are they" (4 : 69). The reference in the Verse is to all bearers of truth and the righteous and is not confined to individuals belonging to any particular race or community, nor to the followers of any particular religion.

With a view to understanding the significances of the message of the Holy Quran we should remember the following points :

— The original text of the Holy Quran is still preserved in all its original language word by word, Records of revelation and order of revelation of the Holy Quran were so faithfully made that even today one can say with precision the actual time and place of revelation of each verse.

— The Quran was received by its followers through authentic and successive transfer from generation to another in writing and by heart.

The language of the Quran is in living Arabic so that it can be safely presumed that no interpolation or change is possible. The case is not so with regard to old and extince languages.

— The text of the Quran is not mixed with the traditions of the Prophet or with commentaries of the interpretpretors. So there is no fear of mixing the words of God with human interpretation. The Quran as a living miracle of Islam and the Prophet, has retained its purity without the least change, for the lest one thousand and four hundred years :

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »
(الحجـــر ٩)

"Lo ! We even We, reveal the Reminder and lo ! We verily are its Guardian" (15 : 9).

The Holy Quran is the first source of Islam and the fountain head of its laws. It contains the fundamentals of the law of nature which governs man. The Quran and original nature are in perfect harmony because the true religion is defined in the clear verses of Quran as the 'Fitrat' (فطرة) or Nature of God, in which He has created man. (Q 30 : 30)

universe is the creation of the one supreme Being, and that it is He Who sustains it, then, why do they deny that the spiritual way of life prescribed by Him is but one. That is why the Quran repeatedly calls upon all those who have responded to its message not to divide themselves into sects or return to the darkness from which the Quran had taken them out. It points out that it has brought those who were fighting each other to the path of devotion to God and has welded them into a brotherhood.

Why then was there opposition to the Quran in the time of the Prophet ? Those who set themselves in opposition to it were the followers of religions which privailed at the time. Some of them possessed revealed scriptures and some not. What was the basis of their opposition ? The Qureysh of Mecca did not like it, because it expressed itself against idolatory. But the opposition of Jews Christians of Arabia was not because the Quran condemned either Judaism or Christianity, but it was because it refused to condemn Judaism as as against Christianity vice versa. The followers of each faith desired that the Quran should declare the faith of their rivals as false. And since the Quran would not do that no one was pleased with it. The Quran was opposed to groupism or sectarionism, but the Quran came for.ward to re-present to the world at large the universal truth sponsered by all religions : Devotion to God and righteous living. That is the only way to restore the sense of humanity to mankind and revive the idea that for all mankind there is but one Providence, and that we should all in unity bow our heads at His threshold only, and develop a feeling of unity and solidarity. Such is the picture of the Straight Path which the Quran furnishes and advices every man to ask of God to show it to Him.

The Quran affirms that the call of all prophets was an invitation to the straight path. This path is clearly distinquishable from other paths. The distinction is emphasised when the Quran says : The Path of those to whom God has been gracious and not of those who have incurred His displeasure nor of those who have gone astray. Such is the picture of the straight path which the Quran furnishes, and advises every man te ask of God to show it to him. That is the path of those to whom the Quran refers :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا »
(النساء ٦٩)

means complete and unqualified submission to the will of God. It observed that the religion of God was not meant to divide man from man but that, on the other hand, it was there to inspire the feeling of fellowship between one and another and let them all live bound together by the common tie of devotion to Him.

The Quran says the divine truth is an universal gift from God. It is not exclusive to any race or any people or religious group. Truth bears no national boundary, nor professes any racial or geographical loyatties like the sun created of God it shines in every corner of Glob, and shines equallay well on everyone. The Quran has repeatedly pronounced that discrimination between prophets is a denial of religion of God. There are only but two ways open for man. One is the way of recognition of all the prophets without distinction : the other is that of rejection. The rejection of the even one Prophet amounts to rejection of every other as well. The Holy Quran says :

« آمن الرســول بما أنزل إليــه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسـله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا
سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» .
(البقرة ٢٨٤)

It means : "The apostle believeth in that which hath been revealed to him from his Lord, as do the faithful also. They all believe in God and His Angels, and His Books, and His Apostles : We make no distinction between any of His Apostles. And they say : We have heared and obey. Thy mercy, Lord! for unto Thee must we return". (2 : 285). Here the Quran Says : God is one, His truth is one, and this has been conveyed to man in different languages and times. If you accepts the basic message in one place and reject the same message in another, such an attitude is indeed a denial of the message itself.

The Quran points to the way of the true believers :

« والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على
هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .
(البقرة ٤ - ٥)

It means : "And who believe in what hath been revealed to you and in what hath been revealed before you, and full faith have they in the hereafter. These are those who follow the guidance of their Lord, it is they who prosper" (4 : 4 - 5). The Quran calls upon the people to consider carefully that if they do not deny that the creation of the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FŪDA

Shawwâl 1392 | ENGLISH SECTION | November 1972

The Message of The Quran

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

The Quranic assertion is that salvation is the result of devotion to Almighty God and righteous living. It does not rest on any racial or group affiliation or on the observance any custom or ceremonial. The acceptance of this principle opened the door of salvation to every human being.

The Quran declared that the primary aim of the true religion is to direct mankind to Oneness of God and universal brotherhood. At the time of the advent of the Quran the religious concept of the different peoples of the world had not over stepped the group stage. The mankind was divided on the religious basis into races, tribes and families, it was divided on the economic and social basis. Each religious group claiming that its own religious concept was the true one. The salvation was only for the followers of it. Since the outer form of living with each religious group was thus different from that of every other. The natural result of such an attitude was hatred of others and bloodshed.

The Quran came foreward with the view that as the laws of nature regulated and sustained the machinery of the universe there is a spiritual law of life which regulated and governed the life of man. This law is one and the same for everyone. The Quran asserted that the Dîn (religion) Prescribed by God is but One. It styles it Al-Islam, which

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ فى جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤ ، ٩٠٥٥٠٦

الجزء التاسع — السنة الرابعة والأربعون — ذو القعدة سنة ١٣٩٢هـ — ديسمبر سنة ١٩٧٢م

مقالة المجمع الرئيسية

الموسم الكبير

للأستاذ عبد الرحيم فودة

إنه موسم الحج . أقدم وأعظم موسم فى تاريخ الوجود الإنسانى، لأنه أقيم ويقام حول أقدم وأعظم بيت من بيوت الله، فإن أول بيت جعل معبداً ومسجداً لله وحده هو كما يقول الله : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » وهذا البيت وصفه الله بأنه العتيق أى القديم الكريم ، وأضافه إليه تكريما له وتعظيما لشأنه حيث قال : « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » ، وقرن به اليمن والأمن والخير والبركة كما يفهم من قوله : « فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ، وقوله : « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » ، وسماه البيت الحرام وجعل حجه فى الأشهر الحرم ، ثم هو فى أحب أرض الله إلى الله وإلى خاتم أنبيائه ورسله كما قال عليه الصلاة والسلام وهو يودعها - مهاجراً إلى المدينة : (والله إنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت) ، وقد صانه الله وحماه من كيد الذين حنقوا

عليه وضاقوا به وحاولوا هدمه لتحويل أنظار الحجيج عنه إلى الكنيسة التى بنوها بصنعاء فباءت محاولتهم بالفشل ، وكان مصيرهم كما يقول الله : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول » .

وهكذا شاء الله أن يبقى هذا البيت حرما آمنا ، لا يفزع فيه طير ، ولا يروع فيه إنسان ، ليكون قبلة المصلين فى كل بلد يعيش فيه مسلم ، وليكون الكعبة التى يتجهون إليها ويطوفون بها حاجين أو معتمرين ، ثم ليكون من الإسلام كما قال عليه الصلاة والسلام : (هذا البيت دعامة الإسلام ، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده بأجر وغنيمة) .

كل هذا وغيره - مما لا يتسع المجال لذكره - يفسر لنا قدر موسم الحج ، وقدر اهتمام المسلمين به . واحتفالهم له ، وتطلعهم إليه ، فهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وتباعد مواطنهم ، تتلاقى وفودهم فى هذا الموسم حول بيت الله : « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » ، وليذكروا فى هذه الأرض أخلد وأمجد ما عرفت الدنيا من ذكريات ، ولا شك أن ما حل بالمسلمين من كوارث ، وما يقاسونه من خطوب ، وما ينتظرهم من أحداث ، خليق بأن يهز مشاعرهم وضمائرهم إلى ضرورة التعاون على البر والتقوى والجهاد فى سبيل الله بالأنفس والأموال ، فقد ختم الله بذلك سورة الحج فى القرآن الكريم حيث قال : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

بل إنه جل شأنه جعل الجهاد بالأموال والأنفس هو التعبير الصادق على الإيمان

(البقية على ص ٨٤٨)

القعود عن القتال هو التهلكة

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن أسلم أبي عمران - رحمه الله - قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم وخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة ابن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا سبحان الله ؟! أيلقى بيده إلى التهلكة فقام أبو أيوب الأنصارى فقال: يا أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرادون رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أموالنا قد ضاعت فإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا: «وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» وكانت التهلكة: الإقامة على الأموال وإصلاحها وترك الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم أخرجه. الترمذى

الصحابة رضوان الله عليهم هم الطليعة الإسلامية الأولى الذين كان لهم شرف صحبة رسول الله والذين عاصروا نزول القرآن وعرف أكثرهم أسباب نزول آياته وكان لهم من صفاء أذهانهم وقوة ملكاتهم في العربية ما جعلهم أهلا لفهم القرآن وتأويله وبيان المراد منه على اختلاف في الاقتدار على ذلك، والقرآن من حيث إنه نص عربى في أعلى مراتب البلاغة العربية حمال ذو وجوه ولأمر ما كثرت عموماته فكانت محكا للأفهام والعقول، وكانت مجالا للتيسير والترخيص، وفي هذا الحديث بيان لبعض ما اختلف الصحابة في فهمه وتأويله من القرآن مما يتصل بأصل من أصول الإسلام العامة ويرتبط بقضية من قضايانا المصيرية وهى قضية الجهاد وحماية الأمة مما يهددها ويقرر مصيرها إلى آماد بعيدة، ويبين ما هى التضحيات التى يفرضها هذا الجهاد على المسلمين، فقد جاء في الحديث

أن المسلمين كانوا فى معركة مع الروم أعنى معركة القسطنطينية فلما التقى الصفان وحمى وطيس القتال أخذت الحمية الدينية أحد المجاهدين المسلمين فاقتحم صفوف الروم ودخل بينهم غير مبال بما يتعرض له من الأخطار ، وفى سبيل الله وفى سبيل العقيدة وفى سبيل الإنتصار للحق تهون الصعاب وتستعذب الآلام وتحتمل المكاره.

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

فلما رأى بعض المسلمين ما خاطر به ذلك المجاهد قالوا : لقد ألقى بنفسه إلى التهلكة ، وهذا ما نهى الله عنه فى قوله «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» ذهابا منهم إلى أن المراد بالإلقاء إلى التهلكة التعرض للمخاطر فى أى موقف من المواقف ولو فى صف القتال فى الجهاد الإسلامى «فالنص عام فى النهى عن التعرض لكل خطر ، فلما سمع أبو أيوب الأنصارى ذلك التأويل وكان يعلم لتأويله معنى آخر غير ذلك المعنى الذى ذهبوا إليه لعلمه بأسباب نزول تلك الآية أرشدهم إليه ونبههم عليه ببيان سبب نزولها؛ وهو أن المراد بالإلقاء باليد إلى التهلكة الإمساك عن الإنفاق فى سبيل الله - يعنى الإعداد للجهاد - خوف العيلة والفقر والاشتغال عن الجهاد بتثمير الأموال ، لأن فى هذا توهينا للمسلمين إذ ينصرفون بذلك عن الاستعداد فتضعف شوكتهم وتهن قوتهم على حين يقابلهم العدو بعكس ذلك فيرجحهم بقوته ويعلو عليهم بعدته واستعداده وذكر لهؤلاء المؤولين سبب نزول الآية فقال: نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله : إن أموالنا قد ضاعت وأن الله أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا فى أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ردا علينا ما قلنا « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو . وبهذا أقام الدليل على صحة ما ذهب إليه من المعنى المراد .

ذلك ما جاء فى الحديث خاصا باختلاف بعض الصحابة فى تأويل الإلقاء إلى التهلكة الوارد فى قوله تعالى «وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» والمتأمل فى الحديث يرى أنه اشتمل على جملة من المبادىء الإسلامية الهامة

المتصلة بفهم القرآن وتفسيره والمتصلة بالجهاد وصدق إيمان المرء بما يؤمن به .

أول هذه الأمور : اختلاف الصحابة فى فهم نصوص القرآن دون حرج فى ذلك ودون أن ينكر أحد على الآخر فما دام النص محتملا فلكل أن يذهب إلى أحد احتمالاته ما دام له مرجح مقبول .

الثانى : أن اقتحام المخاطر فى الجهاد ليس مستنكرا بل هو الإقدام المحمود والأمر المحتم حين لا يكون منه بد لنصرة الإسلام وحماية الأوطان به تتفاوت درجات المجاهدين يوم القيامة ، وفى التاريخ الإسلامى صور مشرقة للمخاطرة بالأنفس فى الجهاد فى سبيل الله ، فقد ورد فى الحديث : أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أرأيت إن قتلت فى سبيل الله صابرا محتسبا ؟ قال : فلك الجنة فانغمس فى العدو حتى قتل .

ومن العمليات الانتحارية ما فصله بعض المسلمين فى قتال اليمامة فقد روى أنه لما تحصنت بنو حنيفة بالحديقة، قال: رجل من المسلمين ضعونى فى الحجفة ، وألقونى إليهم ففعلوا وقاتلهم وحده وفتح الباب. والحجفة ترس من جلد .

الثالث: أن الجهاد فريضة إسلامية عامة والقعود عنها بالنفس أو المال للمستطيع جريمة دينية خطيرة، لا يقتصر خطرها على القاعد وحده وإنما تتأثر بها الأمة فى كل ناحية من نواحيها ولا يشفع فى القعود عنها، ولا يسقط العقاب عليها أن يشتغل القاعد بتثمير الأموال أو بغيره من الأعمال إذا اقتضت ظروف المعركة أن يسهم بنفسه أو ماله أو بأعز ما يملك فالمعركة أولا وكل شأن بعدها فى الموضع الثانى فقد روى عن ابن عباس فى بعض تفاسيره للآية : أنفق فى سبيل الله ولو لم يكن لك إلا سهم أو مشقص- نوع من السهام- ولا يقولن أحدكم : لا أجد شيئا .

الرابع: هو ذلك المثل الذى ضربه أبو أيوب الأنصارى فى البطولة والتضحية والعمل بما آمن به فلما فهم رضى الله عنه أن الإلقاء إلى التهلكة المراد به القعود عن الجهاد وأن ذلك منهى عنه وبغيض فى الإسلام ، أخلص نفسه ونذر حياته للجهاد وظـــل مطوفا فى آفاق الأرض مناضلا ومكافحا فى سبيل نصرة الإسلام مافاتته غزوة إلا إذا كان مشغولا بغيرها حتى وافاه أجله غريبا عن أهله بعيدا عن

(البقية على ص ٨٥٤)

دراسات قرآنية :

سورة الإخلاص

للأستاذ مصطفى الطير

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد » (سورة الإخلاص) .

مقدمة :

كان الناس قبل مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أصحاب عقائد متباينة ، لا تمت إلى الحق بصلة ، فأهل مكة وسائر العرب كانوا يعبدون آلهة من الأحجار والأنصاب ، ولم يكونوا في عبادتها على مذهب واحد ، فلكل طائفة معبود أو أكثر ، ولذا تنوعت بينهم الآلهة وتعددت وبلغت مئات ، وأحيانا كانوا يجمعون على عبادة بعض آلهتهم .

لخزاعة وقريش أول من عبد الصنمين (إسافا ونائلة) ، ثم عبدهما العرب من بعدهم ، وهذيل عبدت (سواعا) ، وكلب عبدت (ودا) ، ومذحج عبدت (يغوث) ، وخوان عبدت (يعوق) ، وحمير عبدت (نسرا) .

ومن أقدم أصنام العرب (مناة) ، وكان صنمها على ساحل البحر بناحية المشلل بقديد - بين مكة والمدينة - وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح القرابين له ، وكانت الأوس أشد العرب تعظيما له ، فإذا نفروا من منى أتوه وحلقوا رءوسهم لحلوا وأقاموا عنده ، لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك ، وفي ذلك يقول بعض من يعظمها .

إني حلفت يمين صدق برة
بمناة عند محل آل الخزرج

وطيء كانت تعبد (الفلس) ، وثقيف كانت تعبد (اللات) ، وهي صخرة مربعة بالطائف ، وعبدتها العرب معها ، ثم عبدوا العزى بعدها ، وكانت العزى أعظم معبودات قريش ، وكانوا يكذبون على الله فيزعمون أن اللات والعزى من بنات الله ، كما كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ولما مرض سعيد بن العاص مرضه الذي مات فيه ، دخل عليه أبو لهب

يعوده ، فوجده يبكى ، فقال : ما يبكيك يا أبا أصيحة ، أمن الموت تبكى ولا بد منه ؟ قال : لا ولكنى أخاف أن لا تعبد العزى بعدى - وذلك لأن الرسول هاجمها وعابها - قال أبو لهب : والله ماعبدت حياتك لأجلك ، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك ، فقال أبو أصيحة : الآن علمت أن لى خليفة ، وأعجبه شدة نصبه فى عبادتها.

وكانت العزى ثلاث سمرات (نوع من الشجر) ببطن نخلة ، وكانت ، الشياطين تتحدث من ورائها ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم خالدبن الوليد فقطعها بعد فتح مكة ، وكان يقول عندما قطعها :

يا عز كفرانك لا سبحانك
إنى رأيت الله قد أهانك

ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم : « أما إنها لن تعبد بعد اليوم » وكانت لهم أصنام كثيرة غيرها.

ولما دخل الرسول المسجد الحرام بعد الفتح وجد حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنما ، فجعل يطعنها بسنة القوس[1] فى عيونها ووجوهها ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ، ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وأحرقت

وكما كانت لهم أصنام حول الكعبة ، كانت لهم أصنام فى جوفها ، أعظمها (هبل) ، وكانت يده اليمنى مكسورة ، فجعلت له قريش يدا من ذهب ، وكانوا يستقسمون بالأزلام عنده ، إذ جعلوا قدامه سبعة أزلام (أى سهام) كتبوا على أحدها (صريح) وعلى آخر (ملصق) وعلى الباقى ما يوافق أغراضهم ، مثل أمرنى ربى ، أو نهانى ربى .

فإذا شكوا فى مولود أهدوا لهبل هديا ثم ضربوا بالأزلام ، فإن خرج (صريح) ألحقوا الولد بهم ، وإن خرج (ملصق) ردوا المولود ولم ينسبوه إليهم .

وإذا اختصموا فى أمر ، أو أرادوا سفرا أو نكاحا أو عملا أتوه ، فأداروا تلك السهام ، ثم تناولوا أحدها ، فعملوا بما كتب عليه .

وهذا هو الاستقسام بالأزلام الذى حرمه الله ، لأن فيه احتكاما إلى ما لا يفيد ظنا ولا علما ، ولأنه تترتب عليه آثار خطيرة ، تتصل بالأعراض والأنساب والنكاح والأموال بطريقة ظالمة ، مع الاستناد إلى الصنم ، ظنا منها أنه هو الذى يقسم ويحكم لهم ، وهو جماد لا يعقل .

وكان لأهل كل دار بمكة صنم يعبدونه

(١) سنة القوس : طرفه .

فإذا أراد أحدهم سفرا، كان آخر مايصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفره كان أول مايصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا، فلما بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأتاهم بتوحيد الله قالوا «أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب».

وأى شيء هو العجاب، أهو اتخاذهم الأحجار أربابا، أم هو توحيد الخالق الذى يتقربون إليه بعبادة الأحجار، كما كانوا يقولون «إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى»، ولقد كانوا يتخبطون فى شأن هذه الأصنام، فبينما هم يقولون ذلك ويعتقدون أن الله خالق السموات والأرض «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله» إذا هم ينسبون إليها الرزق والمطر والشفاء والنصر، ولهذا لما انتصرت قريش فى غزوة أحد، هتف أبو سفيان (أعل هبل) [1] فقال صلى الله عليه وسلم «والله أعلى وأجل».

وقد بلغ بهم الوهم فى تقديس هذه الأوثان، إلى درجة أن نساءهم الحيض كانت لاتدنوا منها، بل كانت تقف بعيدة عنها.

ولا شك أنه من فضل الله على هؤلاء الغافلين، أن بعث فيهم النبى الأمين، ليحرر عقولهم من سيطرة الأوهام، ويخرجها من أسر الخرافات، ويوجهها نحو الرشاد فى العقائد والأخلاق والمقاصد، ولله در الشاعر راشدا بن عبد الله السلمى إذ يقول:

قالت: هلم إلى الحديث فقلت: لا [2] ... يأبى الإله عليك والإسلام

أو ما رأيت محمدا وقبيله ... بالفتح حين تكسر الأصنام

لرأيت نور الله أضحى ساطعا ... والشرك يغشى وجهه الإظلام

(موحدون فى الجاهلية)

ولقد كان بين أولئك الوثنيين بعض الراشدين الذين تركوا ما عليه قومهم، واتجهوا نحو توحيد الله تعالى، ومن هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل، فقد تأله فى الجاهلية، وترك عبادة الأصنام، وفى ذلك يقول:

تركت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الرجل الخبير

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صنمى بنى غنم أزور

(١) ليعل دينك وليعظم شأنك فقد نصرنا بعبادتك.

(٢) أى لا أتحدث معك حديثا محرما، لأن الإله يمنعك من ذلك وكذا الإسلام

ولا هبلا أزور وكان ربا
لنا فى الدهر إذ حلمى صغير

(عقائد غير العرب قبل الإسلام)

وإذا نظرنا إلى الناس فى سائر الأرض، وجدنا معظمهم ينسى الله ويعبد معبودات أخرى من خلقه، فبعض أهل الهند كانوا يعبدون الشمس، ويزعمون أنها ملك من الملائكة، وأن لها نفسا وعقلا، وأنها مصدر نور الكواكب وضياء العالم، وأن الكائنات السفلية صدرت عنها، وأنها لذلك تستحق التعظيم والسجود، وأن يوجه إليها الدعاء ويطلق البخور.

وقد اتخذوا لها صنما يرمز إليها، بيده جوهرة بلون النار، وجعلوا لهذا الصنم بيتا خاصا، ووقفوا عليه ضياعا، وجعلوا له سدنة وقواما، وكانوا يقيمون الصلاة فيه ثلاث مرات يوميا.

ويأتى هذا البيت أصحاب الحاجات والمرضى، فيدعونه ويستشفون ببركته المزعومة ويصومون له،

وكما يقدسون الشمس ويصلون لها، يفعلون مثل ذلك لسائر الكواكب التى تستمد ضوءها منها، فلا يقصرون الربوبية على الشمس، بل يشركون الكواكب معها فيها،

وكانوا يتخذون للقمر صنما على صورة عجل، وبيده جوهرة، وينسبون إليه بعض ما ينسبونه إلى الشمس كنضج الثمار ومن دينهم أنهم يسجدون له، ويصومون من أجله نصف الشهر القمرى الثانى، وكانوا لا يفطرون حتى يطلع القمر، ثم يأتون الصنم بالطعام والشراب واللبن، ويرغبون إليه فى حاجاتهم، ثم ينظرون إلى القمر الذى رمز إليه بهذا الصنم، فيسألونه حوائجهم.

وإذا استهل الشهر القمرى يعلون سطوحهم ويوقدون النار ويدعونه عند رؤيته، ثم ينزلون من السطوح إلى الطعام والشراب والفرح والسرور برؤية هلال معبودهم.

ومن الناس من عبد الإناث باعتبارهن أصلا للجنس البشرى، وأشهرهن إيزيس المعبودة المصرية القديمة، وقد انتقلت عبادتها من مصر إلى الرومان، فقدسوها وجعلوها إلهة الحكمة، وكما انتقلت عبادتها إلى الرومان انتقلت إلى غيرهم.

ومن الناس من عبد الآباء والأجداد وقدسهم، كاليابان والصين، ولا تزال الأمة اليابانية إلى وقتنا الحاضر تعبد الآباء والأجداد، إلى جانب عبادتها الإمبراطور،

الذى يزعمونه ابنا للشمس، وكانت الصين تعبدآباءها إلى ماقبل الثورة الشيوعية فيها.

ومن الناس من عبد الحيوانات الضارة اتقاء لشرها ، كالتمساح والثعبان(١) ، ومنهم من عبد الحيوانات النافعة تقديسا لمنفعتها كالبقر ، ومنهم من عبد النباتات واعتبرها واهبة الحياة للبشر ، ومنهم من عبد الأنهار ، كما كان أهل مصر يعبدون النيل ، ويتقربون إليه فى وفائه بإلقاء أجمل فتياتهم إليه ، وهى مزدانة بأجمل الحلى والثياب ، لتكون عروساً له ، وكما كان أهل الهند يعبدون نهر الكنج ، ويقولون إن الماء مصدر الحياة وأصلها، فلذا يستحق التقديس والعبادة .

ومنهم من كان يعبد النار كأهل فارس ومنهم من كان يعبد الرعد والبرق ، إلى غير ذلك من المعبودات .

وقبل البعثة المحمدية كان قد بقى من أصحاب الديانات السماوية السابقة اليهود والنصارى، وهؤلاء وأولئك مع اعتقادهم أن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت ، يعتقدون أيضاً أن لله ولدا ، فاليهود يقولون عزير ابن الله ، والنصارى يقولون المسيح ابن الله ، وكلتاهما مجسمة ، فالإله عندهم قد يحل فى البشر .

ويختلف اليهود مع النصارى فى التثليث فالنصارى يقولون : الله ثالث ثلاثة : الأب والابن والروح القدس ، واليهود لا يقولون ذلك .

وبما أن الله تعالى واحد لا شريك له، وأن كل شىء محتاج إليه وحده وأنه ليس والدا ولا مولودا ، وأنه لا يماثله أحد ، فلهذا أنزل الله هذه السورة ، تنبيها على فساد عقائد هذه الفئات المتباينة ، وإرشادا إلى مايجب لله من كريم الصفات وما يجب تنزيهه عنها من أضدادها .

وإنا نكتفى اليوم بهذا التمهيد، الذى أعطى صورة تفصيلية للعقائد المنحرفة، وبين مافيها من تناقض وتباين غير معقول وغرابة غير مستساغة ، حتى يتبين القارىء الكريم ما أدته عقيدة التوحيد والإخلاص التى تضمنتها هذه السورة وماجاء بمعناها فى القرآن الكريم - من خير للبشرية وإنقاذا للعقول والأرواح من هاوية الضلال المبين ، فإلى العدد المقبل لنلتقى فيه على تفسير سورة الإخلاص ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

مصطفى محمد الطير

---

(١) عبدهما قدماء المصريين .

من هدى السنة :

العطاء فى الدنيا ليس أمارة الفضل

للأستاذ منشاوى عبود

عن عمرو بن تغلب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال أو سبى ، فقسمه ، فأعطى رجالا ، وترك رجالا ، فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فحمد الله تعالى ، ثم أثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد ، فوالله إنى لأعطى الرجل ، وأدع الرجل ، والذى أدع أحب إلى من الذى أعطى ، ولكنى أعطى أقواما لما أرى فى قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواما إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير ، منهم عمرو بن تغلب) .

قال عمرو بن تغلب : فوالله ما أحب أن لى بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم . « رواه البخارى » .

تعريف بالراوى :

هو عمرو بن تغلب بفتح العين فى عمرو ، وفتح التاء ، وسكون الغين وكسر اللام فى تغلب ، اسم غير منصرف للعلمية ووزن الفعل ، وهو العبدى نسبة إلى عبدالقيس ، ويرجع نسبه إلى أسد بن ربيعة فهو ربعى ، صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم سكن البصرة ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثين ، رواهما عنه البخارى ، ولم يروعنه غير الحسن البصرى .

اللغة : (أتى بمال أو سبى) ، أو ، شك من الراوى ، وفى بعض الروايات (بمال من البحرين) ، والسبى : الأسرى ، يقال : سبيت العدو سبيا من باب رمى ، والاسم السباء وزان كتاب ، والقصر لغة ، وقوم سبى وصف بالمصدر .

(عتبوا) قال فى المصباح : عتب عليه من بابى ضرب وقتل : لامه فى تسخط ، اه .

وفى النهاية : العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة ، وهو الذى ينبغى أن يفسر به العتاب الوارد هنا ، ولا يصح أن يفهم منه التسخط من أفعاله صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك ينافى الإيمان المشهود به للعاتبين فى الحديث .

(الجزع) الجزع بالتحريك ضد الصبر ، يقال : جزع جزعا من باب تعب ، فهو جزع وجزوع إذا ضعفت بنيته عن حمل ما نزل به ، ولم يجد صبرا .

(الهلع) هو أشد الجزع ، يقال : هلع هلعا من باب تعب فهو هلع وهلوع ، قال تعالى فى بيان حال الهلوع : «إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا» .

(أكل أقواما إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير) أكتفى بما عندهم من غنى النفس والعفة والإيمان فأتركهم .

(ما أحب أن لى بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم) ، المراد من الكلمة معناها اللغوى ، وكلمة رسول الله صلى الله عليه سلم يصح أن يراد بها ما قاله فى عمرو بن تغلب من إدخاله إياه فى أهل الخير والغنى ، فالمعنى : لا أحب أن يكون لى حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التى لى .

ويصح أن يراد بالكلمة ما قاله فى حق غيره : (أعطى أقواما لما أرى فى قلوبهم من الجزع والهلع) فالمعنى : لا أحب أن يكون لى حمر النعم وقال فى تلك الكلمة التى قالها فى حق غيرى .

وحمر جمع أحمر ، والنعم اسم جمع للإبل ، ويراد بحمر النعم كرائم الإبل ، وهو مثل فى كل نفيس .

البيان :

لا يخالج المؤمن ريب فى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان المثل الأعلى فى السياسة الرشيدة ، والقيادة الحازمة ، والتصرف الحكيم ، والقسمة العادلة المنبعثة عن سداد الرأى ، ونفاذ البصيرة ، وتحقيق أهداف الشريعة السامية .

ولقد أتى بمال من الغنائم ، فأعطى من هذا المال بعض أصحابه ، وترك آخرين .

وكان هذا لمقصد كريم ، ووجهة نظر جديرة بالاعتبار ، فبلغه أن الذين تركهم عتبوا عليه ، لأنه خفى عليهم وجه المصلحة فى إعطاء غيرهم وتركهم مع أنهم أصدق إيمانا ، وأعظم إخلاصا ، وفهموا أن الفضل فى الدين يتبعه العطاء فى الدنيا .

فعند ذلك خطبهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وبين لهم - بعد حمد الله تعالى والثناء عليه - أن العطاء فى هذه الحياة ليس تابعا للقوة فى الدين ، لأن الدين يجب أن يكون خالصا لله ، ولا يصح أن يعطى عليه شىء ، وإلا كان تجارة لا دينا ،

وعملا للعطاء لا لقصد المثوبة والجزاء ، والذى يجازى على الدين إنما هو علام الغيوب المطلع على الضمائر والأسرار ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فليس العطاء مترتبا على المحبة والإيمان .

وأعلمهم صلوات الله وسلامه عليه أنه يعطى رجالا ويترك غيرهم ، والذين تركهم أحب إلى نفسه وأقرب من الذين أعطاهم، هذا لأن من أعطاهم كان إعطاؤه لهم تأليفا وتسكينا لنفوسهم لما علم فيهم من مرض القلب ، وضعف اليقين ، وترك غيرهم اكتفاء بما عندهم من القناعة وغنى النفس ورسوخ الإيمان ، منهم عمرو بن تغلب .

وإنما خصه عليه الصلاة والسلام بالذكر والثناء فى هذا المقام لوصف كريم يعلمه عنه استحق من أجله وسام التشريف والتكريم .

ابتهج عمرو بهذه الكلمة النبوية الخالدة التى جعلته من أهل الغنى والخير ، وأظهر اعتزازه بها ، فقال :

إنه لا يحب بدلا عنها أن يكون مالكا لحمر النعم، التى هى من أعز أموال العرب، وهذا لأنه أصبح متفائلا ينتظر عطاء الآخرة ، وعطاء الآخرة أجل نفعاً ، وأروع شأنا . وهو أجدر أن يملأ قلوب المؤمنين غبطة وابتهاجا ، وأنسا وإسعادا .

والحديث يهدى إلى غايات رفيعة نذكر منها ما يأتى :

١ — توجيه الحاكم إلى أن يراعى فى تصرفاته الصالح العام .

٢ — بيان أن قوة الدين لا تستلزم العطاء فى الدنيا .

٣ — التنويه بشأن الإيمان والعفة والقناعة .

٤ — ينبغى لولى الأمر أن يبين وجهة النظر عند الاشتباه فيما جرى من الأمور تسكينا للنفوس ، وإزالة لأسباب القلق والحيرة .

٥ — على المؤمن أن يصبر على ما فاته من حكام الدنيا ، وأن يبادر إلى ما يقربه من الله تعالى .

منحنا الله تعالى قوة فى اليقين ، وفقها فى الدين ، واستمساكا بهدى رسوله الحكيم حتى نكون أهلا لما أعده سبحانه لأحبابه من عظيم الجزاء والتكريم ؟

منشاوى عثمان عبود

أم المؤمنين : زينب بنت جحش

للأستاذ على الجندى

تحت عنوان « زينب بنت جحش » أورد الكاتب الإسلامى (سامى محمود) قصة زواج الرسول من أم المؤمنين « زينب بنت جحش » بعد أن طلقها مولاه « زيد بن حارثة » .

وكان مما قاله : وذهب «محمد» يزوره فى يوم من الأيام ، فيراها حاسرة ، فوقعت فى قلبه ! . . .

وأخذ يتمتم سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب !

ثم قال الكاتب: لكن حياتها لا تستمر مع « زيد » ويقع بينهما الطلاق ، ثم يتزوجها الرسول .

والقصة على هذا النمط وضعها اليهود تشويها لسيرة الرسول ، كما وضعوا مثلها على « داود » عليه السلام فزعموا أنه أرسل قائد جيشه إلى ميدان الحرب ، ليقتل فيها ، ويأخذ زوجته الحسناء !

وهكذا اليهود منذ كانوا - إما أن يتقولوا على الأنبياء الأقاويل ، أو يقتلوهم ! .

ومن المؤلم والمؤسف أن كثيرا من المفسرين غير الأثبات - ومصيبة الإسلام بهم عظيمة - نقلوا هذه القصة وأشباهها من الأساطير الإسرائيلية كما هى ، بلا نقد ولا فحص ولا تمحيص ، وكأنها تنزيل من التنزيل ، حتى أصبحت كتب التفسير - ومثلها كتب الأحاديث - مصدرا خصبا عن مصادر الخرافات والخزعبلات التى يشن بها المبشرون الغارات الشعواء على الإسلام ورسول الإسلام !

وقصة زينب هذه - كما حكتها كتب التفسير - تحمل براهين كذبها ، ! وإليكم البيان :

زينب : بنت عمة الرسول ، وكان يعرفها - منذ صغرها إلى أن كبرت - حق المعرفة ، ورآها المرات العديدة فلو أنها راقته ، لما كان مايمنع من زواجه بها ، وكان لها بذلك الفخر كل الفخر كما حدث فيما بعد .

الرسول الكريم ذو الخلق العظيم الذى

أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فمحال أن يدخل على زينب فى بيتها قبل أن يستأنس ويسلم عليها ، كما تقضى بذلك تعاليم القرآن فمحال أن يرى زينب - وهى حاسرة - بل إن بعض الروايات تقول : إنه استأذن فى الدخول فعرف أن زوجها لم يكن موجودا فأبى أن يدخل رغم إلحاح زينب!

الانحسار - فى اللغة - معناه : الانكشاف ، تقول : حسرت المرأة عن ذراعها : كشفته ، وحسرت خمارها عن وجهها كشفته كذلك. وانكشاف ذراع زينب أو وجهها ، لا يؤدى إلى هذا الانفعال الشديد من الرسول فيهتز من فرقه إلى قدمه ويخفق قلبه بحب الجمال ، ويملأ فمه بالتسبيح ! كما يصفه كذبة اليهود ومن وراءهم من أعداء الإسلام ، والحشوة وأهل الغفلة ! حتى لقد صاغت إحدى الكاتبات الفرنسيات المنحرفات رواية من هذه الأكذوبة ، ركبت فيها متن الطيش والبذاء ، وطار بها الخيال المريض كل مطار ! ونحن الجانون ونحن المسئولون ، نعم لم تكن زينب دميمة الشكل ، ولكنها كذلك لم تكن من ذوات الحسن الباهر ، والجمال المذهل ! حتى تبهر ثائرة من يراها ! وهى إلى ذلك كانت - رضى الله عنها - مستحاضة ، وهى التى يسيل وجها من غير حيض أو مثلها يزهد فيها الرجال ، وتزهد هى فى الرجال! ولعل ذلك سبب تكبرها على زيد ، وبنوها عنه . تصوير الرسول : بأن زينب وقعت فى قلبه حين رآها ، تصوير شائن للرسول ، بل تصوير يشين أدنى الصحابة ، بل أدنى التابعين وتابعيهم ، بل أدنى المسلمين ، فضلا عن خاتم الأنبياء وأشرف الخلق ، وأكثرهم خشية لله ، وأشدهم مراقبة ! النبى الطاهر ظاهرا وباطنا التى ملأت الكتب أحاديثه بالحفاظ على حرمة الجار ، وغض البصر عما لا يحل ، والتنزه عن انتهاك الحرم !

إن اليهود لا يفتئون منذ البعثة النبوية يصفون الرسول بما يحلو لهم ، ويخوضون فى شأن أزواجه الطاهرات وهم يعلمون أنه تزوج فى سن الخامسة والعشرين أو الثلاثين سيدة تزيد عليه خمس عشرة سنة ولم يتزوج عليها حتى لحقت بالرفيق الأعلى فى سن السابعة والستين ، ولو تراخى بها الأجل ما تزوج غيرها ، بل ربما مات قبلها ، وهى السيدة خديجة رضوان الله عليها .

ويتسى اليهود الأفاكون : أن داود - عليه السلام - تزوج تسعا وتسعين امرأة وأن ابنه سليمان - عليه السلام - تزوج فوق ألف امرأة ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

وإذا ما قصة زينب بنت جحش على حقيقتها ؟

القصة على أصلها ماروى عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لزينب بنت جحش : « أريد أن أزوجك زيد بن حارثة فإني قد رضيته لك » .

فأبت زينب ، وقالت يا رسول الله : أنا خير منه حسبا ، ووافقها أخوها عبد الله على ذلك ، فنزلت الآية : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » ، فرضيا بذلك وسلما فزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيدا بعد أن جعلت أمرها بيده ، وساق إليها عشرة دنانير ، وستين درهما مهرا ، وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا ، وخمسين مدا من الطعام وثلاثين صاعا من التمر .

وسر ذلك الزواج : أنه كانت جرت عادة العرب ألا يتزوج الرجل امرأة ابنه بالتبنى .

وأراد - سبحانه وتعالى - أن يبطل هذه العادة ، ليرفع الحرج والعنت عن الناس ، فأوحى إلى نبيه أن يزوج زينب بنت جحش من زيد بن حارثة وأن يتزوج هو زينب بعد طلاقها من زيد ، وأن هذا سيقع حتما ! وكانت زينب بحكم ارستقراطيتها القرشية ، وقرابتها القريبة من الرسول تتيه على زيد ، وتلذعه بقارص الكلم ، وتسيء معاملته ، فكان دائم الشكوى إلى الرسول ، ويظهر له رغبته في طلاقها !

وكان الرسول يأمره بالصبر ، ويقول له : « أمسك عليك زوجك واتق الله » ويخفى فى نفسه ما أطلعه الله عليه من زواجه بزينب بعد طلاقها من زيد ، حياء من العرب ، وخوف تعييرهم إياه بذلك وهو معنى قوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » .

ثم حدث الطلاق : بعد أن نفذ صبر

(البقية على ص ٨٦٣)

حملة ظالمة على التاريخ الإسلامي

لإعادة كتابته بالمفاهيم الشعوبية والماركسية ..

للأستاذ أحمد موسى سالم

نشر أحد المثقفين خلال شهر رمضان الماضي مجموعة من المقالات في إحدى المجلات الأسبوعية تحت عنوان : «الحركات السياسية السرية في الإسلام» وقد تعمد كاتبها مطاوعة لما يسميه منهجه الشمولي والعلمي أن يقدم عددا من الحركات الشعوبية والباطنية السرية التي ظهرت منذ القرن الثاني للهجرة لهدم الإسلام والكيان العربي ، في صورة دعائية مقلوبة الحقائق ، منكرة الأهداف ، صارخة بالعبث والجور ، خطرة النتائج على سلامة التكوين التاريخي لأجيالنا المعاصرة . وإذا كانت إدارة المجلة المصرية التي نشرت هذه المجموعة من المقالات لصاحبها رعاية لحرية الكلمة قد أفسحت لي من صفحاتها مشكورة لأعقب ثلاث مرات على الكاتب الجامح ، المعتز بغير علم بدرجته العلمية ، فإنني أرى فيما تشير إليه هذه الظاهرة المتزايدة في الوطن العربي لمحاولات إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بمفاهيم شعوبية وماركسية مشتركة ، إن الأمر أخطر من حوار عابر بين كاتبين في مجلة أسبوعية ، لذلك وجدت من واجبي أن أفتح هذا الموضوع أمام أعين المختصين به ، هنا في مجلة الأزهر المختصة بهذه الأبحاث ، وأن أؤجل إلى حين حلقات هذه الدراسة التي كنت أزمعت متابعتها من العدد الفائت عن قصة القصة عند العرب . .

والآن إلى القضية التي تتواثب جراثيمها تحت الرماد ، وإلى صورة من صور هذه الثقافة الاستشراقية المشبوهة التي تتجاوب أصداؤها هنا وهناك كلما تحركت الريح ، أو شغل الناس ، لضرب كل ما هو أساسي من مقومات هذه الأمة العربية ، أو لتفريغ وعيها من مضمون هذه المقومات التي هي اللغة والدين والتاريخ . أساسها الحياة ، وعدتها للمستقبل !

(الحروب التاريخية)

إنه تحت قناع الادعاء بحرمة التفكير العلمى ووراء الزعم ببراءة المنهج العصرى لدراسة التاريخ من أى انحياز دعائى، أو إخسار للميزان، أو قلب للحقائق، أو خدمة للعدو - ينشر الكاتب المثقف المذكور، هذه المجموعة من نفاية الفكر الاستشراقى المتأثرة بالمفاهيم الشعوبية، والتطبيقات الماركسية على التاريخ الإسلامى، والأهداف العدوانية للصهيونية الثقافية، بجددا بها تحت مظلات واقية من الإيهام بالدعوة إلى الاشتراكية حركة شعوبية خطرة للتبشير بالقرامطة — وما أدراك ما القرامطة — مثالا يصلح أن نحتذيه اليوم لتنظيم قائم على هذه الاشتراكية التى تستوحى لمجتمع العمال والفلاحين عدالة الإسلام !

ولكن من هم القرامطة كما يعرضهم الكاتب المثقف على أنهم أصحاب النزعة اليسارية المبكرة، والثوريون المناضلون الأبرار، الذين ساعدوا على هدم المجتمع الإسلامى والكيان العربى . . ! ؟ إنه مع إصراره على هـذه المزاعم التى استحدثها المستشرقون الغربيون من أمثال : ماسينيون، وكايتانى، وبرنارد لويس، وكراوس وغيرهم . والتى باركها بالخط الاشتراكى عدد من المستشرقين الماركسيين من أمثال : بندلى جوزى ولوتسكى، وإيفانوف - يرفض أن يقتنع بأن هـؤلاء « المدلسين » بمفهوم اسم القرامطة فى اللهجة الآرامية التى سادت الشام ومصر لم يتجاوزوا المفهوم المعاصر لعصابات (المافيا) بكل ما تأثروا به من حوافز قومية ودينية، وتناقضات اجتماعية وثقافية، وعمالات سياسية ويهودية .

ولذلك فإن أبرز ما عرف عن أعمالهم « الإسلامية والاشتراكية » كان قتل الحجاج، ومحاولة هدم الكعبة والقوافل وتناهب نسائهم بإباحة الحرمات على عادة المجوس قبل الإسلام، وإنهم كانوا يتحركون بقوة الطاعة العمياء لا له مستور من البشر، معصوم من الخطأ، وأنهم كما يقول الفيلسوف الماركسى (بندلى جوزى) كانوا فى اجتماعاتهم السرية « يضحكون من القرآن وأقوال الرسول البسيطة، ويفندونها تفنيدا

شديدا ، فقــد كانوا هم الشيوعيون الأوائل فى الإسـلام » ... ومن وجهة نظره ! !

ليس هذا فقط ...

وإنمـا فى ثنايا هـذه المجموعـة من المقالات العدوانية على التاريخ الإسلامى يقرر الكاتب هذه القاعدة العلمانية التى تريد فئة من المثقفين فرضها على أسلوب الحياة والتفكير داخل المجتمعات الإسلامية ، فالكاتب المذكور يركز على أن هذه التنظيمات الباطنية السرية - ومن بينها القرامطة - كانت متأثرة فى نشاطها بأفكار إسرائيلية ، ومعتقدات وثنية ، وفلسفات إغريقية ، وأن هذا - كما يزعم - لا يؤثر على سلامة العقيدة الإسلامية ، فالإسـلام فى مزاعم هـؤلاء التلامذة للاستشراق المعادى إنمـا تغنيه وتنشعه هـذه المعتقدات المضادة له ! وبعبارة أخرى فإنها تغنيه عن وجـوده بوجود أضداده ! .. وهذا هـو الهدف الأول لأعداء الإسلام ! !

وليس هذا فقط ...

وإنمـا نتبين ممـا يمكن تقديمـه كمثال على نوعية هذه الحملة لطمس حقائق التاريخ الإسلامى مازعمه الكاتب المذكور فى مجموعة مقالاته من أن الحشاشين من اتباع الزعيم الباطنى حسن الصباح - وهذا هو اسمه الحركى - والذين كانوا كما يعترف الكاتب يتعاطون الحشيش مدسوسا لهم حتى يشهدوا على مسرح الوهم حالة انتقالهم إلى الجنة التى أعدها لهم زعيمهم ، ويحققوا أشـواقهم الجسدية مع الحور والخمر والفاكهة والأنهار ، وبذلك يحكم الزعيم سيطرته عليهم بعد إفاقتهم - هـؤلاء الأفاقين السفليين القتـلة ، المحطمين إنسانيا والممسوسين عقليا ، والمخضبى اليـد بدماء المسلمين الأبرياء هم « ذروة العمل الفدائى » .

هل هم ذروة العمل الفدائى كما يراد أن نفهم العمل الفدائى فى هـذا العصر ، وفى هذا الصراع العربى ضد إسرائيل ! ؟

هل هم ذروة العمل الفـدائى لأنهم حاولوا مثلا - ولم ينجحوا - قتل المجاهد المسلم والبطل الإسـلامى صلاح الدين الأيوبى فى معسكره خدمة وعمالة لجيوش الصليبين ! ؟

هل هؤلاء هم القـدوة لنضال الأبرار والشرفاء من الفدائيين الفلسطينيين الذين

يناضلون اليوم بحياتهم ضد خطط إسرائيل التي توزع وتصدر الحشيش، والتي تصطنع في إرهابها ضد الأمة العربية كثيرين من أمثال هؤلاء «الحشاشين» الذين دخل اسمهم بلفظه العربي إلى أكثر اللغات الأوربية دلالة على «القتلة» والمأجورين على الاغتيال والإرهاب ... بسبب وحشية عصابات الصباح!

(الدين والتاريخ)

ليس هذا كله فيما أردت أن أنبه إليه بالذي ينطوي على خطر عاجل؛ إذ ما قيمة مجموعة من المقالات يمكن أن يطوى النسيان قبائحها وأكاذيبها ويذهب بها. ليست المقالات التي أشرت إليها ولا كاتبها هدفاً قط لما أكتبه، وإنما أردت بكل استطاعتي المتواضعة أن أشير إلى الخطر الزاحف .. إلى الحملة الظالمة التي لا نكاد نتبينها في صخب الأحداث الوقتية .. إلى خطر الغفلة عن هذه الظواهر هنا وهناك، والتي تؤكد للعين الراصدة الساهرة في سبيل الله أن هناك رياحاً تدفعها أيدي أعدائنا من بعيد لتطمس حقائق تاريخنا، ومعالم وجودنا، ... هناك ولا شك خطة لزراعة «ذاكرة صناعية» لنا نرى بها ذاتنا التاريخية مقلوبة، ونرى بها أعداءنا في مقام السادة الكبار والمعلمين والمرشدين وبذلك تنتهي كما يريدون!!

لذلك قلت مع غيري إن الأزهر بمسئوليته ورسالته، وبجامعته ومجمعه مسئول ولا شك عن أن يفتح عينيه إلى آخرهما وهو يتابع ويتصدى لهذا الغزو المتسلل للتاريخ الإسلامي، وبالتالي للدين والإسلام، وأمة الدين والإسلام ..

الأزهر مسئول ولا شك عن مراجعة كل حرف تنشره الصحف العربية والكتب أيضاً في مصر والوطن العربي من كل ماله مساس مباشر أو غير مباشر بمقوماتنا الأساسية من اللغة والدين والتاريخ ...

الأزهر مسئول دائماً أن يصحح الأخطاء للمخطئين من أبنائنا بحسن الظن والنية، أو بنوبة التعالم والثقة بكل ما يقوله المنصفون وغير المنصفين من الخواجات الغربيين أو الشرقيين، وأن يكشف بكل شجاعته التاريخية عن مصادر هذه الأخطاء والمزاعم والمفتريات على الدين

والتاريخ واللغة، وأن يبصر أجيال الشباب فى هذا العصر العصيب بالذات بكل هذه الأكاذيب التى تتسرب إلى الثقافة العامة وفى مناهج التربية وبرامج الإعلام من أكثر من ثغرة ، من خلال أثواب مزركشة ، وأشكال خادعة يراد بها دائما فتنة هذه الأمة عن مثابة حياتها وأمنها ومقوماتها فى اللغة والدين والتاريخ ...

إن الأزهر الذى يمد أجنحته العلمية بدعوة الإسلام الصادقة إلى أقصى الشرق والغرب والشمال والجنوب ليستطيع أن ينهض بهذه المسئولية ، ولن تعجز وزارة الأوقاف عن أن تخصص فى الأزهر قسما للمعلومات يتولى متابعة المنشورات العربية والعالمية ، وينهض بعبء مواجهتها والرد عليها ...

وإن الأزهر فوق ذلك يستطيع أن يتكامل برسالته وجهاده العريق إلى مستوى العصر ونوع مسئولياته فيضيف مآثر ثوراته المتعددة على البدع والانحرافات وخمود الهمم حين يتولى من خلال المختصين من علماء التاريخ فى الوطن العربى وضع هذه الكتب التى يحتاج إليها جمهور أمتنا حاجة العوز ، والتى تقوم بتجلية وجه الحق التاريخى عن تاريخ أمتنا العربية قبيل ظهور الإسلام وخلال مراحله المتعاقبة حتى يومنا الحاضر ، دفعا لخطر هذا الفراغ التاريخى ، والتيه الذى تتعرض له ذاتنا التاريخية العربية فى خضم هذه الهجمات المتوالية بالإسرائيليات ، والشعوبيات ، والماديات التاريخيات على مدارك الشباب والطلاب ، وعلى العامة من العمال والفلاحين ، بل على نفوس الكثيرين من علماء الدين والمثقفين وأوساط المتعلمين !

(مؤتمر بلتيمور)

وحتى لا تكون هذه الكلمات الصادقة نوعا من نداء من لا يسمع ، أو تنبيه من لا يصدق فإنى أكتفى مؤقتا بذكر الحقيقة الآتية . . .

فى سنة ١٩٤٢ ، وقبل أن ترفع الصهيونية راية احتلالها واغتصابها لأرض فلسطين العربية عقد نفر من زعماء اليهود مؤتمرا فى مدينة بلتيمور بالولايات المتحدة النظر فى وضع قواعد خطة الحرب التاريخية الدعائية على العرب والإسلام

وقد حضر هذا المؤتمر واحد من أخطر زعماء الصهيونية وهو (بن غوريون) وسار كل شىء كما دتهم من التخطيط المسبق لصفقات المستقبل على ما يرام، وأصبح مسجلا على الورق السرى نظام كامل للعمل والتمويل والاستمرار والمتابعة فى إطار الأهداف الاستراتيجية العامة والأساليب التى اتفق عليها المؤتمرون اليهود لكى تساير هذه الحرب الهدامة لتاريخ العرب والإسلام مراحل العدوان العسكرى على أرضهم!

هذا هو مصدر الخطر مستورا عنا فى الخفاء، وبمتابعة المنشورات العالمية والمحلية حول موضوع لنشاط هذا المؤتمر يمكن أن نكتشف كثيرا من الحقائق التى يكمل بعضها بعضا، لندرك أن الخطر يتحرك ويزحف ويحاصر ويستهدف، متوخيا خفاءه الدائم فى العتام والزحام وسكرة الأحلام!

ليس الخطر إذن أن يعتقد واحد أو عشرة أن المثقفين بصحة بعض النظريات الخاطئة فى تاريخنا الإسلامى مما يروجه المستشرقون من الصهاينة أو من الأوربيين: شرقيين وغربيين.. ولكن الخطر هو التعميم الإعلامى فى الصحف والكتب لهذه النظريات تحت حماية الغفلة والصمت. وأما ما هو أخطر من ذلك فهو تدريس مثل هذه النظريات على مستوى المدارس الثانوية أو الجامعات.. وأما ما هو أعظم خطرا من كل ذلك فهو فراغ المكتبة الإسلامية العربية من هذه المجموعة الواقية والعلمية من المؤلفات الصحيحة والمبسطة عن حقائق التاريخ الإسلامى فى جميع الحقب والعصور وإذا كان من الحق والفخر والإنصاف أن نذكر أن هناك بالفعل مؤلفات عربية مصرية وسورية وعراقية عن هذه العصور الإسلامية كتبها علماء أفذاذ مؤمنون بدينهم وعروبتهم، وعصريون وعلميون فى منهجهم وتحقيقاتهم، إلا أن هذه المؤلفات القيمة نادرة، ومشتتة فى الوطن العربى، ومجهولة من جمهور القراء.. وغالية الثمن!!

فهل أسمعنا الحماة الأباة الأحياء!!؟

لعل وعسى.. والله ولى التوفيق؟

أحمد موسى سالم

الأسرار والأنوار :
فى هجرة إبراهيم بإسماعيل الى مكة

للأستاذ عوض عوض برهيم

تكمن أسرار الله وحكمه الجليلة فى أعمال المصطفين الأخيار التى قد يثير القيام بها فى حينها الغرابة ويبعث الدهشة وماذا عسى أن يدرك الناس من أسرار علم الله وإرادته وراء ما أراد سبحانه أن نعلمه مما امتن به على عباده فقال :

«سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» (فصلت ٥٣)

« وقل الحمدلله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون» (النمل ٩٣)

ومن هذه الأعمال هجرة أبى الأنبياء إبراهيم بابنه الصغير اسماعيل عليهما السلام إلى مكة ، وتركه وحيده يومئذ فى ذلك النزل القصى النازح ، حيث لا أهل ولا عشيرة، غير أم ضعيفة الحيلة قاصرة الوسيلة ،ترمق ابراهيم بنظرة، وصغيرها منه بنظرة أخرى ، ثم تسأل الشيخ وهو يزمع أن يغادرهما ، ويخليهما هنالك وحدهما « أ الله أمرك بهذا » ؟ ! ويجيبها ابراهيم صادقا : وكأن الصحراء التى يضل فيها الطرف من حولهم، تردد قوله « نعم » فتقول هاجر فى ثقة وارتياح : « إذن لن يضيعنا » ! ! .

إن من غير طبائع الأشياء أن يدع الإنسان الذى سلمت حواسه واستقامت فطرة الله فيه ؛ مثل ذلك الصغير وأمه لدواعى الاغتراب والوحشة ، وأن يتركهما مفردين لعوادى الضياع والهلكة وإن أحدنا ليقتحم الأخطار، ويستعذبه شظف العيش فى أسفار وراء أسفار ، كى يوطد لأبنائه حاضرا، ويمهد لهم جهده، ما يسعدهم فى غدهم ، لكن ابراهيم عليه السلام كان يمضى أمراً إلهيا لم يستبطن كنهه ، ولم يدرك حكمته، ولا أحاط بشىء من مراد الله منه ، ليعلم المؤمنين أن يعطوا الله من أنفسهم السمع والإذعان والطاعة فى اطمئنان، وأن يؤنس قلوبهم فى ذلك يقين أم المؤمنين هاجر بربها ، « وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم » (البقرة : ١٤٣)

ومضت الأيام بالسر المخبوء من ذلك في ضمير الغيب .

وشب الغلام، وقويت أوصاله، وكملت خصاله، واستهدف مع أبويه لامتحان آخر عسير، كان فيه يعي ويدرك حق الله عليه، وحق أبيه عنده ولقد بلغ الوالدان والولد في ابتلاء الله لهم أرفع مراتب الولاء لله واتباع أمره ، وأرغموا بكل هذا أمر الشيطان في مرضاة الرحمن ، الذى أعانهم عليه منذ قال ابراهيم لوحيده ، وقد تابع خطاه ، « وبلغ معه السعى « يابنى إنى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين » الصافات : ١٠٢

وليس من طبائع الأشياء ، ولا من المألوف المعروف في الأحياء أن يذبح المرء ولده، ولا أن يجهز بيده - مختارا غير مكره - على فلذة كبيره، إلا أن يكون ذلك في ساحات الجهاد ، افتداء للإيمان ، وانتصارا للعقيدة، وإيثاراً الدين الله على ضلال الناس، ولم يؤنس في تاريخ البشرية قبل ابراهيم واسماعيل أن يسلم ابن عنقه لأبيه في غير مقاومة ، وأن يحس بالمدية تمر على رقبته فلا يأبى على أبيه ما أراد ولا ينحرف عن ذلك قيد أنملة !

ويدخر الله اسماعيل لسر آخر ، وحكمة يغلفها كذلك ضمير الغيب .

قال تعالى « فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » (الصافات : ١٠٣ / ١٠٧)

ولقد آن أن نحاول إبراز بعض أسرار الله وحكمه في هجرة ابراهيم واسماعيل إلى مكة ، وأن نجلو شيئا من مراد الله في افتداء اسماعيل، بعد أن نجح مع أبويه في امتحان عسير وابتلاء كبير « والعظائم كفؤها العظماء » .

فلقد تعلقت مشيئة الله بأن يقوم في مكة - أم القرى - أول بيت يوحد فيه الله ويعبد ، ويقصدون سواه فيما لا يملكه غيره من أمور الدنيا وشئون الآخرة ، بعد أن عرفت الوثنية الحياة ، وقاومها أبو المرسلين نوح عليه السلام ، ثم حطم ابراهيم التماثيل التى كان يعكف عليها قومه ، بعد أن نحتوها بأيديهم . كما قال السيد توفيق البكرى رحمه الله .

كناحت صنما يوما على يده
وبعد ذلك يرجوه ويخشاه ! !

ومضى قدر الرحيم بأن يختم رسالاته إلى الناس، برسالة جامعة باقية، لا يخاطب بها جيلا دون جيل، ولا قبيلا دون قبيل، وإنما تكون كلمة الله الأخيرة للإنسانية بأسرها عربها وعجمها وأبيضها وأحمرها.

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » الفرقان ١ .

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » سبأ ٢٨ .

ويستجيب لهذه الرسالة من الجن من تحروا رشدا .. وأن يكون المصطفى لتلك الرسالة واحدا من أحفاد ابراهيم، هو دعوته ، روى الإمام أحمد بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا دعوة أبى ابراهيم » .

وهو ابن الذبيحين: إسماعيل وعبد الله ابن عبد المطلب ، قال تعالى :

« وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير . وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » البقرة ١٢٥ - ١٢٩ .

والنظرة الأولى فى هذه الآيات، تبدى أن الله نسب هذا البيت لنفسه « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه » الزمر ٦٧ . وما فيهن ومن فيهن خلقه وملكه وعبيده ، وإن الله اصطفى لتجريد ذلك البيت وتطهيره من شوائب الشرك ، إبراهيم واسماعيل، ولم يلبث غير قليل حتى استعان بالله على رفع قواعد البيت فى البلد الحرام ، الذى عرف اسماعيل مهاجرا ووليدا ، لا حول له ولا طول ، فيما يبدو للبشر ، وعرفت جوانب هذا البلد وأطرافه ، كيف جاوز اسماعيل مأنوس الولدان فى إذعانه لأبيه فى مرضاة الرحمن إلى حد استهداف الوجود

وبذل الحياة عن سماحة ورضى وجود
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

كما قال شاعرنا العربى القديم ، كل ذلك ليتم مراد الله فى عمارة مكة ، بعد أن ألف الله على اسماعيل رأفة القلوب حول زمزم ، وربط أسبابهما بقبيلة « جرهم » وصنع من هؤلاء وأولئك كنانة والسلسلة الذهبية فى الأمة الأمية ، التى اصطفى الله منها رحمته المهداة ، ونعمته المسداة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم صلوات الله عليه .

.. أكان يمكن أن يقوم فى واد غير ذى زرع مجتمع يؤثره الله ويصطفى منه خيرته من خلقه ورسله بالهدى ودين الحق ، لو لم يجد الله مسيرة إبراهيم وإسماعيل إلى مكة دون غيرها من بلاد الله يومئذ ؟ ! ودون أن يعد - جلت آلاؤه - إسماعيل ذلك الإعداد ليصمد لما لا يصمد له اللدات والأنداد ، من اختبار ينفد دونه التحمل والاصطبار ؟ !

.. ولقد رفع إبراهيم القواعد من البيت ، وإسماعيل ، ودعوا الله أن يتقبل عملهما ، وأن يرزقهما الانقياد لأمره ، وأن يجعل من ذريتهما من يعطى الله من نفسه صادق الطاعة ، وخالص الإنابة والضراعة ، وأن يبعث من هذه الأمة المسلمة رسولا يبلغها آيات ربها ، ويطهرها من رجس الشرك ، ودنس الوثنية .

وسأل خليل الرحمن ربه : « إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » إبراهيم ٣٧ .

وسمع الله النداء ، وحقق الرجاء ، فأمر إبراهيم بأن يؤذن فى الناس بالحج ، وأذن صلوات الله عليه ، وكان الحرم منذ ذلك الزمن : « آمنا ويتخطف الناس من حولهم » العنكبوت ٦٧ .

« أولم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقاً من لدنا » القصص ٥٧

وتتصل قوافل الوفود إلى الحرم الآمن ، فى البلد الحرام فى الجاهلية ، وتقوم من حوله أسواق العرب ، عكاظ وذى المجنة وذو المجاز ، ويجىء الإسلام فيجعل قصد بيت الله فى أيام معدودات من أشهر معلومات ؛ لأداء الشعيرة الأخيرة والركن الخاتم المتمم لبناء الإسلام فرضا على أقوام حددهم الله فقال « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » آل عمران : ٩٧

والموفقون المحظوظون يغدون كل عام إلى البيت الحرام رجالا وعلى كل ضامر

وبشتى الوسائل التى يتيحها العلم عصراً بعد عصر ، آخذين الأهبة لذلك منذ زكاة الصوم ، وأمدهم بطاقة من الاحتمال والقدرة على مواجهة مشاق التنقل والارتحال ، وبعد أن دربهم صيام رمضان على امتلاك أزمة نفوسهم ، وفرض سلطان مرضاة الله على هوى الأنفس التى تستمرئ مراتع السلامة ، وتؤثرها على شيء من الأخطار التى تدنى من الآمال الكبار !!

وغدو وفد الله ورواحهم من مكة إلى أوطانهم كل عام ؛ جلاء لأسرار الله التى خفيت على إبراهيم ، وهو يغذ السير ويستحث رواحله فى هجرته المباركة .

وكم يسهم فى كشف ذلك وبيانه ؛ حنين فينا لا يفتر ، وشغل بمنزل الوحى يربو فى حنايا من قعدت بهم أعذارهم عن الحج والعمرة ؟ كما ينمو النبات ، وهم يقولون مع القائل !

يا ذاهبين إلى البيت العتيق لقد
سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذر ، وعن قدر
ومن أقام على عذر فقد راحا !!

فيكون هؤلاء وأولئك وأمثالهم إلى آخر الزمان ، إجابة إلهية أبدية لمثل حنين إبراهيم ورجائه « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » .

وما من مؤمن فى مصر من الأمصار وفى زمن من الأزمان إلا وهو يتمثل فى صلواته الخمس ، وفى تنقله الذى يتقرب به إلى ربه ؛ الكعبة المشرفة فى بيت الله الحرام ، ويسرح بأفكاره وخواطره بين زمزم والمشعر الحرام والصفا والمروة وجبل الرحمة فى عرفات وفى مزدلفة ومنى ، وكل مكان درج عليه سيدنا محمد صلوات الله عليه ، بعد آبائه إسماعيل وإبراهيم ، حتى بعثه الله هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » .

وكان صلوات الله عليه ؛ بعد الأنوار التى سلطها الله على مكة ، سر أسرار الله فيما أمر به خليله إبراهيم ، وفيما أجراه وأضفى حلاه على إسماعيل ... ومحمد صلوات الله عليه بكل ذلك خليق ، وهو له أهل ، فهو صفوة الله من خلقه وخيرته من عباده ، لا يدخل حظيرة التوحيد أحد لم يقرن الشهادة لمحمد بالنبوة ؛ بالشهادة لله تعالى بالوحدانية وماذا بعد أن يقول الله فى مصطفاه : « ورفعنا لك ذكرك » الشرح ٤ ؟

معوض عوض إبراهيم

من المُثُل العُليا للدّعاة إلى الله

للدكتور محمد أبو شهبة

يقول الله تبارك وتعالى معلما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وموضحا له المنهج السوى الذى ينبغى أن يسلكه فى الدعوة إلى أشرف وأكمل رسالة عرفها الوجود البشرى فى تاريخ الدنيا الطويل:

« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين (١) ».

هذه سبيلى أى طريقتى فى الدعوة إلى دين الله الحق وهو دين الإسلام، الدين العام الخالد، دين التوحيد والإيمان، والحق، والخير، الدين الذى ليس بعده دين، لأنه خاتم الأديان، وأوفاها، وأكملها، وليست دعوتى أنا ومن اتبعنى دعوة مبنية على هوى، أو غرض، أو على غير دليل وبرهان، وإنما دعوتنا على بصيرة: بصيرة من العلم بحقية الدعوة، وتواتر الأدلة العقلية والنقلية على ذلك.

ومثل هذه الدعوة المدعمة بالأدلة والبراهين، وبالاقتناع التام من الداعى لابد أن يكتب لها النجاح وهذا ما قد كان.

فقد بدأ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه دعوته إلى الله وإلى الإسلام بعد نزول قوله تعالى:

« يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر والرجز فاهجر » (١) وهى أول آيات نزلت بعد فترة الوحى، أى دع النوم يا محمد، وقم، وشمر عن ساعد الجد، فإنك ستبدأ حياة جديدة: حياة كلها تعب، ونصب، وكفاح، وجهاد فى سبيل تثبيت دعائم التوحيد فى الأرض بعد أن كان يعمها الشرك، والوثنية والكفر، وفى سبيل تطهير النفوس من مساوىء الأخلاق، والجهالات، واعتناق الأباطيل، والخرافات وتكوين أمة هى خير أمة أخرجت للناس.

وفى طريق هذا التوجيه الإلهى قام النبى صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله

---

(١) يوسف: ١٠٨

(١) المدثر: ١ - ٥

فى سرية تامة ، وعلى بصيرة من أمر دعوته ، فكان أول من آمن به من النساء السيدة الجليلة زوجة خديجة بنت خويلد الشريفة القرشية رضى الله عنها وأرضاها ، وأول من آمن به من الرجال الأحرار الصديق أبو بكر رضى الله تعالى عنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ، وأول من آمن به من الموالى - المماليك الذين اعتقوا - مولاه ومتبناه زيد بن حارثه الكلبى رضى الله عنه وأرضاه ، وأول من آمن به من العبيد بلال بن رباح الحبشى رضى الله عنه وأرضاه .

وأول من آمن به من الصبيان ابن عمه ، والمتربى فى حجره على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، وهكذا نرى أن الدعوة بدأت بالمؤمن الأول ، والمسلم الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم لم تلبث أن آزرها الله بامرأة ، ورجل ، ومولى ، وعبد ، وصبى لم يبلغ الحلم عدد أصابع اليد الخمس ثم تلبث أن انتشرت ، ثم انتشرت حتى كان أن انتشر الإسلام فى قارات الدنيا الخمس وحتى صار تعداد المسلمين اليوم يزيد عن الستمائة مليون مسلم ، فاعتبروا يا أولى الأبصار !

وكل ذلك بفضل الداعية الأول صلى الله عليه وسلم ، والدعاة الأماثل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين باعوا أنفسهم رخيصة فى سبيل الله ، وفى سبيل الدعوة إلى دين الله رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، ومن جاء بعدهم من الدعاة الهداة المخلصين إلى يومنا هذا ، وإلى يوم يقوم الناس لرب العالمين لقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع مثل فى التضحية بالنفس ، والأهل ، والولد ، والمال فى سبيل هذا الدين على الرغم من العقبات والمعوقات التى افتن فيها الكفار والمشركون ، وأعداء الحق فى كل زمان ومكان ، ولم يدعوا وسيلة من وسائل الإيذاء إلا اتبعوها ، ولا وسيلة من وسائل الإغراء ! إلا عرضوها ، ومع كل هذا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته إلى الله لا يلوى على شىء مما أغروه به ولا يأبه بشىء مما آذوه به حتى عم الإسلام الجزيرة العربية كلها ، وأبلغ دعوته إلى كل ما أمكن وصول الدعوة إليه من ملك ، أو عظيم ، أو أمير ، فنهم من رد رداً جميلا ، ومنهم من رد رداً سيئا .

ولم ينقض على وفاة النبى صلى الله عليه وسلم قرن من الزمان حتى شرق الإسلام وغرب ، وبلغ ما بلغ الليل والنهار ، وصدقت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لأصحابه ، وقد استبد بهم الضيق من شدة ما نزل بهم من العذاب والإيلام: « والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء[1] إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » رواه البخارى .

وقوله : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » رواه البخارى . وقد دالت كل دولة، ولم تبق إلا دولة الإسلام ينعم فى ظلها العالم بضعة قرون .

وفى مدرسة النبوة المحمدية تخرج أعظم جيل عرفته الدنيا وهم الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ولم يعرف التاريخ رجالا تحملوا فى سبيل دينهم ، وإنجاح دعوتهم ، وضحوا بكل شىء فى سبيل عقيدتهم مثل ما عرف ذلك لأصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وسلم .

لقد استعذبوا العذاب فى سبيل هذه العقيدة ، واستساغوا المر فى سبيل هذا الدين ، وضربوا فى ذلك أروع مثل للتضحية ، وأسمى صور التفدية بالنفس ، والأهل، والولد، والمال وسواء فى ذلك العبيد والضعفاء من أمثال بلال الحبشى ، وصهيب الرومى ، وسلمان الفارسى ، والأشراف الأعزاء من أمثال أبى بكر ، وعمر بن الخطاب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن أبى وقاص ، ومصعب بن عمير ، وغيرهم ، وغيرهم ، الذين جعلوا من أنفسهم دعاة إلى الله ، وإلى الإسلام بالقول ، والعمل . واستقصاء الأمثلة فى هذا الباب أمر يطول ، ولا يكفى فيه كتاب ، ولكنى سأجتزىء ببعض المثل الرائعة المشرقة .

أول خطيب دعا إلى الله :

ذلكم هو الصديق أبو بكر - رضى الله عنه وأرضاه - فقد عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد بلغ عدد المسلمين ثمانية وثلاثين رجلا - أن يظهروا ، ويستعلنوا بدعوتهم ، فقال له

(١) صنعاء : قيل صنعاء الشام ، وقيل صنعاء اليمن وبينها وبين حضرموت مسيرة خمسة أيام، أما الأولى فسيرة شهر أو يزيد.

الرسول : « يا أبا بكر إنا قليل، ولم يزل الصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أذن لهم فى الخروج إلى المسجد الحرام، وتفرق المسلمون فيه، كل رجل فى عشيرته ، وقام أبو بكر فى الناس خطيبا !! ورسول الله جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله ، وإلى رسول الله على بصيرة من دعوته، ويقين من عقيدته.

وكانت مفاجأة للمشركين أثارت ثائرتهم ، فانقضوا على أبى بكر، والمسلمين وضربوهم فى نواحى المسجد ضربا شديدا وقد حمل ثقل هذا الضرب المبرح وأعظمه الصديق أبو بكر ، فقد وطىء بالأقدام، وصار عتبة بن ربيعة يضربه بنعلين مخصوفتين(١) ، ويحرفهما لوجهه حتى فقد وعيه ، فحمله بنو تيم إلى منزله ، وقالوا: لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة به، وجعل أبو قحافة والد الصديق ، وقومه يكلمونه حتى أفاق ، وأجاب آخر النهار.

فماذا كان من أبى بكر وقد أفاق ؟ لقد كان أول ما قال « ما فعل رسول الله ؟ » ،

فسوه بألسنتهم وعذلوه
ولكن المحب عن العذال فى صمم

نعم والله ما فكر فى نفسه ، ولا فكر فى جراحه ، ولا فكر فى آلامه !!! إن أول ما فكر فى رسول الله وأول ما سأل عن رسول الله، فلما خلت به أمه، قال لها: ما فعل رسول الله؟ فقالت: والله مالى علم بصاحبك ، فقال : اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه -وكانت أم جميل تخفى إسلامها- فذهبت إليها وقالت : إن أبا بكر يسألك عن صاحبه محمد بن عبد الله؟ فقالت - حذرا سياسة - ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله !! وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك فعلت ، قالت : نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا، دنفا(١)، فدنت منه أم جميل ، وصاحت قائلة: إن قوما نالوا منك هذا لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله ؟ قالت: هذه أمك تسمع ، قال : فلا شيء عليك منها، قالت : سالم صالح .

قال : أين هو ؟ قالت :فى دار الأرقم قال : فإن لله على أن لا أذوق طعاما ، ولا أشرب شرابا ، أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم!! فأمهلتاه حتى هدأت

(١) أى مرفوعتين ، أو جعل جلدهما طبقة فوق طبقة فهى آلم وأوجع .

(١) اشتد به مرضه .

الرجل (١) ، وسكن الناس خرجنا به يتكىء عليهما حتى أدخلناه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكب عليه رسول الله فقبله ، وقبله المسلمون ، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة

فقال : بأبى أنت وأمى ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى ، وهذه أمى برة بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار ، فدعا لها رسول الله ، ودعاها إلى الله فأسلمت (٢) ، هذا مثل فريد من المثل العليا للدعوة إلى الله وإلى الإسلام ، ولحب الله ، ولحب رسول الله فهل لنا معاشر المسلمين - ولا سيما الدعاة إلى الله - أن نجعل هذا المثل حقيقة ماثلة فى حياتنا اليوم ؟ ! .

أول من جهر بالقرآن من الصحابة :

وهذا مثل آخر من أمثلة التضحية ، بالنفس فى سبيل الدعوة إلى الله وإلى دين الله الإسلام ، فقد كان المشركون يؤذون من يجهر بالقرآن خشية تأثيره فى نفوسهم وكان أول من جهر بالقرآن من الصحابة

(١) قل السائرون فى الطريق .

(٢) البداية والنهاية : ج ٣ ص ٣٠ .

عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه وأرضاه - ذلك أنه اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا :

والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط ، فمن الرجل يسمعهم إياه؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ! ! ! قالو : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه (١) فقال ابن مسعود ، القوى بالله ، وبإيمانه : دعونى فإن الله سيمنعنى ! ! .

فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام (٢) فى الضحى ، وقريش فى أنديتها حتى قام عند المقام ، ثم قرأ :

« بسم الله الرحمن الرحيم - رافعا بها صوته - الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان . . . » ثم استقبل السورة يقرؤها ، فتأملوه فجعلوا يقولون ماذا قال ابن أم عبد ؟ ! ! (٣) ثم قالوا إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد! ! فقاموا إليه ؛ فجعلوا يضربونه فى وجهه ، وجعل

(١) عشيرة : أسرة قوية لها شوكة، إن أرادوه يعنى بسوء .

(٢) مقام إبراهيم عند الكعبة .

(٣) كنيه أمه .

جسده ، وجعل هو يقرأ ويسترسل فى قراءته ؛ لا يثنيه عن القراءة الضرب المبرح المتواصل حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ؛ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا فى وجهه فقالوا له : هـذا الذى خشيناه عليك !!.

فماذا كان جوابه ؟ قال : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ! ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا ؛ قالوا له : لا ، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون .

ولم يكن سيدنا عبد الله بن مسعود فى منعة من قومه ، ولكنها قوة الإيمان ، وماكان فارع القوام ، ضخم الجثة ، يهابه من يلقاه ، ولكنه كان قصيراً ، ضعيف الجسم ، رفيع الساقين حتى لقب بذى السويقتين وإن كانتا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لرجل عبد الله أثقل فى الميزان يوم القيامة من جبل أحد» ، وما ذلك إلا لما كان يحمله بين جنبيه من نفس مؤمنة مطمئنة ، وفى قلبه من عقيدة تتضاءل أمامها شم الجبال الراسيات ، فما بالك بنفوس المشركين الخاويات .

ثم إنه لم يعتبرها مرة ، وما كل مرة تسلم الجرة ، ولكنه أراد أن يكرر هذا الموقف البطولى بالغد ، لولا أنه حال بينه وبين ذلك الجلة من الصحابة ، ورأوا أن فى هذه المجاهرة الكفاية ، فى مراغمة أنوف المشركين ، وأنهم ما كانوا أهون عليه مثل اليوم .

«وبعد» فالإسلام اليوم فى حاجة إلى دعاة من هذا الطراز الذى تهون عليه نفسه فى سبيل الله ، وفى سبيل الإسلام ، دعاة سمتهم التضحية بكل زخارف الحياة وزينتها فى سبيل هذه الغاية الشريفة ، فما المناصب مهما بلغت ، ولا الجاه ، ولا المال ، ولا الاضطهاد ، ولا الإيغال فى الإيذاء بحائل بينهم وبين هذه المهمة السامية التى هى وظيفة الأنبياء والرسل الكرام ، ووظيفة ورثتهم فى كل عصر وزمان ، إن أهل الباطل ينشطون ، ويبذلون ، ويضحون فى سبيل باطلهم ، أفلا يكون الأجدر بأهل الحق ، والدعاة إلى الدين الحق أن يستميتوا ، ويبذلوا ، ويضحوا ما استطاعوا فى سبيل حقهم ودينهم ؟! ذلك ما نرجـو ، والله الموفق والمعين ؟

د . محمد محمد أبو شهبة

(٣)

دراسات في الفقه المقارن

للدكتور ابراهيم الشهاوى

(مدخل)

المقارنة الفقهية : جمع أقوال الفقهاء وأدلتهم ومقابلة بعضها ببعض بالنظر فى صحتها ، ووجوه دلالتها ، مع بيان وجوه الطعن التى أبداها كل منهم بالنسبة إلى دليل الآخر وردها ، ليتبين ما قوى دليله ، فيجب العمل به ، لوجوب تقديم الراجح على المرجوح شرعا وعقلا .

وللمقارنة بين أقوال الفقهاء فى المسائل التى اختلفوا فيها فوائد كثيرة ، أهمها ما يأتى :-

١ — الوقوف على أقوال الفقهاء فى المسائل التى اختلفوا فيها .

٢ — معرفة مسالك الفقهاء فى المسائل التى اختلفوا فيها .

٣ — معرفة ما قوى دليله من الأحكام .

٤ — ترجيح ما هو الأقرب إلى الصواب الموافق لروح الشريعة ومقاصدها .

٥ — تكسب المقارن ثقافة فقهية كاملة تيسر له الإفتاء والقضاء .

وعلى الجملة فإن المقارنة عظيمة الأهمية لا يستغنى عنها الفقيه والمفتى والقاضى .

ولعظم فائدتها حث عليها السلف :-

فقال هشام بن عبد الله الرازى : «من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه» .

وقال عطاء : « لا ينبغى لأحد أن يفتى الناس حتى يكون عالما باختلاف الناس فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذى فى يديه » .

وقال سفيان بن عيينة : « أجرأ الناس على الفتوى أقلهم علما باختلاف العلماء » .

وقال سعيد بن أبى عروبة : «من لم يسمع الاختلاف فلا تعده عالما » .

هذا : وإن السلف - رضوان الله عليهم - لا يقصدون بأقوالهم هذه حفظ مجرد الخلاف بل يقصدون معرفة أقوال الفقهاء مقرونة بأدلتها .

نشأة اختـــلاف الفقهاء :

نشأ الاختلاف بين الفقهاء فى استنباط الأحكام الشرعية بوفاة النبى صلى الله

عليه وسلم - وكان محدودا فى نطاق ضيق وآراء فردية ، ثم أخذ يزداد شيئا فشيئا حتى اتسع مداه، بسبب كثرة الفتوحات واتساع الرقعة الإسلامية ، وارتحال الفقهاء إلى تلك البـــلاد المفتوحة ، واختلاف عادات وطبائع من فيها، وقد وجد الفقهاء حوادث ومسائل ليس لها مثيل فيما سبق ، وليس فى نصوص الكتاب والسنة التى يعلمونها ما يتناولها ، فكان لزاما عليهم - وقد جاءوا قضاة ومفتين ومعلمين - أن يبذلوا قصارى جهدهم فى البحث عن أحكامها كل بحسب طاقته وعلمه بالكتاب والسنة الصحيحة ولا ريب أنهم كانوا متفاوتين فى الإدراك والعلم، ومن هنا نشأ الاختلاف، ولم يكن اختلافهم فى أصول الدين ولا فى عقائد التوحيد التى يترتب على الاختلاف فيها نزاع وفرقة وانقسام ، ولا فى الأحكام الشرعية التى علمت من الدين بالضرورة والتى تواترت أحاديثها واستفاضت أخبارها عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وإنما كان اختلافهم فى بعض الفروع بحسب ما قام عند كل من قوة الدليل وسلامة الطريق التى يريد أن يسلكها لاستنباط الحكم دون تعصب أو هوى فإن الفقهاء - رضوان الله عليهم - لم يفتاتوا على الله ولم يتقولوا على رسوله ولم تتخط مذاهبهم دائرة الكتاب والسنة ، وكل ما أثر عنهم ، أو نسب إليهم من فتاوى وآراء فهو مستق من بحر الشريعة الخضم ، وما نشأ الاختلاف بينهم إلا من حرص كل منهم على بذل المجهود واستفراغ غاية الوسع لينجو من القول فى الدين بالرأى ويكون مطمئن النفس إلى ما رآه ، واثقا كل الوثوق من صحة فتواه ، وما رأينا فى كتب التاريخ من الفقهاء أو ممن شربوا من مناهلهم عصارة كدهم صافية ، تعصبا لآرائهم أو تشبثا بحمـــل الناس على استحسانهم ، أو تخطئة لمن سواهم ، أو تضليلا لمن خالفهم فى الرأى بوجه حق ومنزع صدق ، والذى تواتر عن السلف الصالح أنهم إذا استطاعوا أن يصلوا بالإقناع والحجة البينة إلى اتفاق فى شىء مما اختلفوا فيه لا يحيدون عن ذلك فإن لم يستطيعوا ذلك احتفظ كل منهم بما يراه مع تقديره لمخالفه وحسن الظن به ، وكان يرى كل منهم أن رأيه صواب يحتمل الخطأ ، وأن رأى غيره

خطأ يحتمل الصواب ، وأن فيما يروى عن الإمام مالك - رضى الله عنه - مع الرشيد فى حادثة الموطأ حين أراد حمل الناس عليه وأبى الإمام ، ومايروى عن الإمام الشافعى - رضى الله عنه - فى قوله «إن صح الحديث فهو مذهبى» - لأكبر برهان على بعـــدهم عن نزعة التعصب الأعمى وبراءتهم من حول نفوسهم وقوتها أمام سطوة الحق وسلطانه ، وما كان منهم من شدة وعنف أو تشنيع عن المخالف فإنما هو حيث يبدو تلاعبه ، ويتضح شذوذه فى الرأى إلى حد كبير يصطدم أحيانا مع البدهيات .

اختلاف الفقهاء رحمة :

اختلاف الفقهاء أخبر عنه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومدحه قبل وقوعه ، فقد روى الطبرانى - كما فى الجامع الصغير - قوله صلى الله عليه وسلم «اختلاف أمتى رحمة» وفى رواية «اختلاف أصحابى رحمة» وحيثما كانت الرواية فهى ناطقة وحاكمة على الاختلاف فى استنباط الأحكام بأنه رحمة من الله تعالى لا حيرة ولا عذاب ، وقد بين ذلك العلامة المناوى - فى شرحه على الجامع الصغير - بقوله « اختلافهم توسعة على الناس ، بجعل المذاهب كشرائع متعددة بعث النبى بكلها لئلا تضيق بهم الأمور ، ولم يكلفوا مالا طاقة لهم به توسعة فى شريعتهم السمحة السهلة فاختلاف المذاهب نعمة كبيرة وفضيلة جسيمة خصت بها هذه الأمة . وقد وعد النبى صلى الله عليه وسلم بوقوع ذلك فوقع من معجزاته صلى الله عليه وسلم» اهـ.

وقال عمر بن عبد العزيز فى مدح الاختلاف الواقع بين الفقهاء «ما يسرنى أن أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة» .

وقال الشعرانى - فى كتاب الميزان -: سمعت شيخ الإسلام زكريا الأنصارى - رحمـــه الله - يقول - مراراً : «عين الشريعة كالبحر فمن أى الجوانب اغترفت منه فهو واحد» . وسمعته أيضا يقول : «إياكم أن تبادروا إلى الإنكار على قول مجتهد أو تخطئته إلا بعد إحاطتكم بأدلة الشريعة كلها ومعرفتكم بجميع لغات العرب التى احتوت عليها الشريعـــة ، ومعرفتكم بمعانيها وطرقها ، فإذا أحطتم بها كما ذكرنا ولم تجدوا ذلك الأمر الذى

أنكرتموه فيها ، فحينئذ لكم الإنكار ، والخيار لكم ، وأنى لكم ذلك ؟ ! » .

هذا : ومن تفقد أحوال الناس وصير قوام النفسية ومبلغ تأهلهم واستعدادهم للنزول على أحكام الشريعة ومدى حرصهم على العمل بمقتضاها فإنه - بلا شك - يجد من مظاهر الاختلاف بين الأفراد بالقوة والضعف ، والتهاون والجد والتساهل والحرص ما يقنعه بفائدة الاختلاف ويظهره على مبلغ النعمة فيه ، والرحمة المنطوية تحته حسبما حدثنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح - رضوان الله عليهم - فإن من الناس من تهون عليه روحه ، ويصغر فى عينه ماله ، ويرضى بفقدان كل عزيز لديه فى سبيل الوصول إلى رضى ربه . والتحقق من امتثال أمره ، ومنهم من يكون على نقيض هذا ؛ يؤثر راحته على كل شىء ويرى القليل فيما يتصل بالدين كثيراً والسهل الخفيف صعبا ثقيلا ، فوجود الشريعة جامعة بين التشديد والتخفيف يفتح لهذا الضعيف منفذا يشع منه بصيص الأمل على نفسه ويمكنه من السير مع إخوانه الأقوياء ، ويحول بينه وبين اليأس من روح الله تعالى .

وقد نص العلماء على جواز التقليد فى النوازل لمن كان يقلد مذهب إمام معين، ونزلت به نازلة يرى فيها إمامه رأيا فيه شدة ، ويرى غيره من الأئمة رأيا فيه تخفيف تتناسب مع حالته وظرفه الذى هو فيه . فإن له فى هذه الحالة أن يقلد المخفف ولا حرج عليه . وهذه الإباحة مطلقة لا يمنع منها إلا من كان فى مظهر تقليده روح التلاعب . كمن يتبع الرخص إلى حد يظهر عبادته أو معاملته بمظهر شاذ لم يقل به إمام من الأئمة . لأنه فى هذه الحالة يكون متبعا هوى نفسه لا شرع ربه . كما أجازوا - أيضاً - عكس هذه الحالة لمن آنس فى نفسه القوة وغلب عليه حب الاحتياط . وكان فى مذهب إمامه تخفيف وفى مذهب غيره تشديد فيه نوع احتياط . فإن له أن يعمل برأى المشدد . ويؤخذ من كلامهم الترغيب فى ذلك ؛ لأن هذا يشعر بشدة تعلق المؤمن بمولاه . ورغبته فى الوصول إلى رضاه بأى طريق كان . تلك هى ناحية الرحمة التى أخبر عنها الرسول - عليه الصلاة والسلام - وحكم بها فى قوله : « اختلاف أمتى رحمة » ؟

د . إبراهيم الدسوقى الشهاوى

المرأة التى منعها عذرها من الطواف

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

المرأة التى أدت مناسك حجها ، ولم يبق عليها منها إلا أن تطوف بالبيت العتيق، ثم يفاجئها عذر الحيض أو النفاس الذى كتبه الله تعالى على بنات حواء - كما تحدث بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم - إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حين ابتليت بمثل هذا العذر إبان حجها معه - فأصبحت تلك المرأة المعذورة بحكم وضعها المفاجىء بين نارين: نار الإحجام عن الطواف ، والإمساك عن دخول المسجد الحرام حيث افتقدت الشرط الذى يتيح لها هذين العملين المبرورين : ونار المد الطبيعى فى فطرة الأنثى المتمثل فى حالة الطمث التى تنتابها بين الفينة والفينة . . ماذا تفعل؟ . وكيف تتصرف وسط دوامة هذا الحرج الطارىء ، ولا سيما فى وقت أزف فيه الترحل ، ودق ناقوس العودة ، ولم يعد فى طوقها أن تفارق جمعها ، أو تتنصل من دورها ، أو تتخلى عن فوجها المتأهب . . بعد أن تطورت أساليب السفر، وأنظمة الترحيل حتى دقت مواعيدها ، وتحددت خطواتها بصورة لا تسمح بمراجعة أو تعديل .

إن لها فى شرعة اليسر . . شرعة الله تعالى ما ينقذها من ورطتها المحيطة ، وما يفرج عنها من ضائقتها المستحكمة

ونود أن نعرض لهذه المسألة من البداية فنقول : الطواف أنواع : منه طواف القدوم وهو أول طواف فى الحج ويسمى طواف التحية، وطواف اللقاء، وطواف العهد، وهو سنة وليس بواجب على الراجح وذلك بالنسبة لغير أهل مكة أما هم فلا طواف قدوم لهم . . ومعنى ذلك أن ترك هذا الطواف ولو بغير عذر - بله - العذر لا يستتبع جناية على الحج ولا يترتب عليه مؤاخذة تستوجب الكفارة بتقديم دم ، وأثره الوحيد هو الكراهة التى تنتقص من الثواب ولا تبطله وعلى هذا فلا بأس على المرأة المعذورة بحيضها أو بنفاسها أن تترك هذا الطواف

أصلا بدون قضاء ولا فداء .. لأن ترك السنن فى الحج أوسع من أن يحمل صاحبه شيئا من ذلك ولا سيما المعذورة وأما المعتمر فليس له طواف قدوم إذ يغنيه طواف العمرة عنه إن قصده فى ضمنه .

ومنه طواف الإفاضة ،وهو الطواف الثانى فى الحج ويسمى طواف الزيارة . وطواف الركن وهو أهم طواف فى النسك سواء كان حجا أو عمرة لأنه ركن على أرجح الأقوال ، وهو معروف بوقته المحدد أوله بالإفاضة من عرفات فى الحج ويبدأ من النصف الثانى لليلة النحر عند الشافعية وعند الحنفية . . يبدأ من فجر يوم النحر ، وبالنسبة للعمرة يبدأ وقته عقب الإحرام بها ، ولا آخر لوقته فيهما ، وإن كان الواجب أداؤه فى أيام النحر الثلاثة عنه أبى حنيفة .

إلا أنه لابد من خلو المرأة من الحيض والنفاس حتى يتسنى لها دخول المسجد والطواف بالبيت ، فإذا غشيها العذر .. فمن الواجب أن تتربص بنفسها حتى يزايلها عذرها ، وتطهر ثم تدخل المسجد وتطوف حول الكعبة .. هذا إذا كان التربص لا يسبب لها مشاكل لا قبل لها باحتمالها .. أما إذا تعرضت بسبب عذرها المخامر لضغط ظروف ملحة لا تستطيع ردها ، أو الحيلة فيها ، واضطرت إلى الرحيل المفاجىء وخافت على نفسها أو مالها إن تخلفت ، وأحست بالحرج والمشقة من ذلك ؛ ففى هذه الحال يجب عليها أن تستبرىء من دمائها بقــدر الإمكان وتحتاط لنفسها بكل وسائل الوقاية والتحفظ ثم تدخل المسجد الحرام وتطوف بالبيت سبعة أشواط وتسعى ، وبذلك تم حجها وكمل نسكها وعليها بعد ذلك أن تتوب إلى الله تعالى وتكفر بذبح بدنة (ناقة أو بقرة ولا تجزىء الشاة) وتوزعها بنفسها أو بنائبها على الفقراء والمساكين وتتقلد فى ذلك بمذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه أو بالإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله فى إحدى الروايتين عنه .. ولا شك أن الأخذ بهذا المذهب أرفق بمثل تلك المرأة ، وأنسب لها من التمسك بالرأى القائل ببقاء الطواف فى ذمتها حتى تطهر وإن عادت إلى بلدها بدون طواف فعليها أن تعود ثانية إلى الأراضى المقدسة لأداء واجب الطواف وفيه من الشدة والحرج ما فيه ؛ ولذلك

رأى بعض فقهاء الشافعية عدم الأخذ به واللجوء إلى رأى أبى حنيفة درءاً للعنت ودفعاً للحرج .. ومن هؤلاء صاحب التحفة حيث قال : « إن الأحوط لمن حاضت وعليها الطواف الركن أن تقلد من يرى براءتها وخلو ذمتها بطواف قبل رحيلها » .. وقال فى النهاية : « تقلد أبا حنيفة وأحمد على إحدى الروايتين فى أنها تهجم وتطوف وتلزمها بدنة وتأثم بدخولها المسجد »[1] .

وقد روى عن مالك رضى الله عنه رأى أدخل فى اليسر وأبعد عن الحرج من كل ما تقدم وهو : « أنه لو طافت المرأة طواف القدوم طاهرة وسعت ثم قام بها العذر فمن حقها أن تعود بلا طواف وسعى اكتفاء بطواف القدوم وسعيه وليس عليها دم .. وهذا الحكم مخرج على ما نقل عنه : أن من طاف طواف القدوم وسعى ورجع إلى بلده قبل طواف الإفاضة جاهلا أو ناسياً أجزأه عن طواف الإفاضة، وعنه رواية أخرى : لا يجزئه ، وعلى الرواية الأولى فإن عذر المرأة الحائض أو النفساء أظهر من عذر الجاهل والناسى . إلا أن رأى أبى حنيفة أكثر احتياطا نظرا لحصول الطواف فى الجملة مع المخالفة ، والمخالفات الشرعية فى معظمها إذا وقعت فى الحج فإن الدماء تكفرها ، وتمحو آثارها ، وفى الإمكان تحكيم القياس هنا .. فقد نص الفقهاء على أن من طاف طواف الزيارة محدثا حدثا أصغر فعليه شاة ، ومحدثا حدثا أكبر فعليه بدنة ما لم يعده فى أيام النحر[1] والحيض والنفاس من قبيل الحدث الأكبر . فكما صح طواف الجنب مع وجوب البدنة فليصح طواف الحائض والنفساء مع لزوم البدنة أيضا، ولا بد من ذبحها فى الحرم . وفى الهداية[2] « ثم الصوم يجزىء فى أى موضع شاء لأنه عبادة فى أى مكان ، وكذلك الصدقة عندنا ، وأما النسك (وهو الذبح) فيختص بالحرم بالاتفاق ، لأن الإراقة لم تعرف قربة إلا فى زمان أو مكان ، وهـــذا الدم لا يختص بزمان فتعين اختصاصه بالمكان » .

(١) مناسك الحج للحلوانى ص ٤٤ .

(١) فتح القدير جـ ٢ ص ٢٤٥

(٢) المصدر السابق ٢٣٦ ، ٢٣٧

وقال فى باب الهدى [1] : « ولا يجوز ذبح الهدايا إلا فى الحرم ، لقوله تعالى : « هدياً بالغ الكعبة » ، فصار أصلا فى كل دم هو كفارة لأن الهدى اسم لما يهدى إلى مكان ، ومكانه الحرم ، قال صلى الله عليه وسلم : « منى كلها منحر ، وفجاج مكة كلها منحر » ، وهذا فى غير دم الإحصار ، ويقول الكمال بن الهمام [2] : « والحاصل أن حرمة الطواف من وجهين : دخولها المسجد ، وترك واجب الطواف ، فإن الطهارة واجبة فى الطواف فلا يحل لها أن تطوف حتى تطهر ، فإن طافت كانت عاصية مستحقة لعقاب الله تعالى ، ولزمها الإعادة ، فإن لم تعده كان عليها بدنة ، وتم حجها » ، وفى الفتاوى الأسعدية [3] « سؤال فى المرأة إذا حاضت وهى محرمة ما حكمها ؟ أفتونا (الجواب) تعمل جميع ما يعمله الحاج من الوقـــوف بعرفة والغسل (وهو هنا للتنظف لا للتطهر) والوقوف بمزدلفة والرمى والتقصير غير أنها لا تطوف طواف القدوم ولا طواف

(١) فتح القدير جـ ٢ : ٢٢٣

(٢) المصدر السابق : ٢٢٢ وما بعدها

(٣) جـ ١ : ٢١

الإفاضة حتى تطهر ، ويسقط عنها طواف الوداع إن لم تطهر قبل ذلك ، وأما طواف الإفاضة فلم يسقط . . فإن لم تطهر يقال لها : تربصى حتى تطهرى وتطـوفى وإلا . . فطوفى وعليك بدنة » .

وأما طواف الوداع وهو آخر طواف فى الحج ، ويسمى طواف الصدر (أى الرجوع إلى البلد) فقد رخص الرسول صلى الله عليه وســـلم فى تركه لذوات الأعـذار الطبيعية . . وفى العناية على الهـداية [1] : « روت عائشة أن صفية بنت حيى رضى الله عنهما حاضت فقال النبى صلى الله عليه وسلم لصفية : « عقرى حلقى . . إنك لحابستنا . . أما كنت طفت يوم النحر ؟ » . قالت : بلى . . قال صلى الله عليه وسـلم : لا بأس . . انفرى » قال صاحب العناية : « فلما ثبتت الرخصة للحائض والنفساء فى ترك طواف الصدر لم يجب بتركه شىء ؛ لأن الأصل أن كل نسك جاز تركه بعذر لا يجب بتركه كفارة وعقرى وحلقى بوزن فعلى بضم العين معناهما : عقـر جسدك ، أى جرح ، وأصابها فى حلقها وجع ، وهما كلمتان جرت العـادة بترديدهما عنـد الشعور

(١) فتح القدير جـ ٢ : ٢٢٤

بالضيق من غير قصد لمناهما الوضعى ومعنى الحديث : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ضاق بصفية حين علم بحيضها بعد الإفاضة من عرفات وحسب أن ذلك سيعطله هو وأصحابه ، ولامها على انعدام المبادرة بالطواف عقيب الإفاضة . . فلما أخبرته أنها طافت الركن وهى طاهرة بعد الإفاضة من عرفات وأنه لم يبق عليها إلا طواف الوداع وهو الذى حبسها حيضها عنه رخص لها فى ترك هذا الطواف .

وبعد : فقد ظهر من هذا العرض المفصل لأحوال المرأة التى حال عذرها الطبيعى من حيض أو نفاس بينها وبين الطواف ببيت ربها - أن هذه المرأة إن كانت تمهل بعادتها إلى حين الخلاص منها تمهلت حتى تؤدى طوافها طاهرة ، وإن تحكمت فيها ضرورة التعجيل بالسفر قبل الفراغ من عذرها وسعها أن تترك طواف القدوم ، وطواف الوداع بلا كفارة . . أما طواف الركن وهو الذى بعد العودة من عرفات فإنها تتحوط فى ذات نفسها ، وتتصون بالقطن ونحوه من أسباب الحفظ والوقاية حتى يصان المسجد والمطاف ، ثم تدخل المسجد الحرام ، وتطوف حول البيت العتيق سائلة ربها العفو والمغفرة ، وقبول عذرها ، وإبرار حجها ، وما ذلك على الله بعزيز ؟

محمد محمد الشرقاوى

(بقية المنشور على ص ٨٠٨)

الصادق حيث قال : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » ، فليذكروا ذلك إذا لم تكن الأحداث التى تهدد وجودهم قد ذكرتهم بذلك ، وليضعوا نصب أعينهم قول الله سبحانه : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » ، وقوله جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم » ؟

عبد الرحيم فودة

القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضى

— ١٥ —

ذكر جولد زيهر فى صفحة ٤٦ ، ٤٧ أن فى القرآن نصوصا تلقيت بالقبول ولكنها اعتمدت على إهمال الناسخ ، أو سهوه ، أو عدم يقظته ، وأن علماء الصدر الأول لم يحاولوا إصلاح هذه النصوص بل آثروا فى صدق وأمانة إبقاءها على مايعتورها من مآخذ ثم ساق روايات تدل على ذلك :

منها : أن الزبير بن العوام سأل أبان ابن عثمان بن عفان عن الآية ١٦٢ من سورة النساء « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة » حيث لا يطابق المعطوف « والمقيمين » ماعطف عليه ، فأجابه أبان : بأن هذا من خطأ الكتاب . كما ورد عن عروة بن الزبير أنه سأل عن نفس هذا الموضع خالته عائشة فأجابته ياابن أختى : هذا من عمل الكتاب أخطأوا فى الكتاب أى الكتابة . كما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الآية ٢٧ من سورة النور « حتى تستأنسوا » هذا من غفلة النساخ وقرأ حتى تستأذنوا.

وأقول : إن هذه الروايات التى ساقها دليلا على ما زعمه روايات باطلة ، مردودة بائدة ، لم يعد أحد من المسلمين يركن إليها ، أو يعبأ بها ، وليس لها أى وزن أو اعتبار أمام تواتر المصحف . وهى أضعف من أن تنهض فى وجه مايبطلها من الروايات التى تلقاها المسلمون بإجماع وقبول . وليس لذى عدل ونصفة أن يعارض بهذه الروايات الباطلة والآثار الساقطة ماثبت بالتواتر جيلا إثر جيل إلى يومنا هذا ؛ لأن معارض المتواتر القاطع ساقط مردود .

ذكر بعض العلماء هذه الروايات فى كتبهم بحسن قصد ، من غير تحر ولا دقة فاتخذها أعداء الإسلام من المارقين والمستشرقين ذريعة للطعن فى الإسلام وفى القرآن ولتوهين ثقة المسلمين بكتاب ربهم .

إن عثمان رضى الله عنه لما أمر بكتابة المصاحف - وكتبت - وعددها ستة أو ثمانية على اختلاف الروايات فى ذلك - عرضها على الصحابة فأقروها، وأجمعوا على ما فيها والمصاحف العثمانية كلها متفقة على «والمقيمين» و «حتى تستأنسوا» فهل يعقل بعد ذلك أن يجدوا فيها تصحيفا من الكتاب. ثم يبقوه من غير أن يتداركوه بالتصويب والإصلاح والقرآن عندهم أقدس ما يقدسون؟

قال الإمام ابن جرير الطبرى موجها قراءة «والمقيمين» بالنصب. ومفنداً هذه الروايات : وقال بعض العلماء - وهو قول بعض نحويى الكوفة والبصرة - والمقيمين الصلاة من صفة الراسخين فى العلم، ولكن الكلام لما طال واعترض بين الراسخين فى العلم والمقيمين الصلاة ما اعترض من الكلام فطال - نصب المقيمين على وجه المدح. والعرب تفعل ذلك فى صفة الشيء الواحد ونعته إذا تطاول بمدح أو ذم خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحيانا. ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله. وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب.

واستشهدوا لقولهم ذلك بقوله تعالى: «والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس» ثم قال. ولو كان والمقيمين خطأ من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بألسنتهم، ولقنوه للأمة تعليما على وجه الصواب وفى نقل المسلمين جميعا ذلك قراءة على ما هو به فى الخط مرسوما أول الدليل على صحة ذلك وصوابه. وأن لا صنع فى ذلك للكاتب. انتهى من تفسير ابن جرير.

وقال الإمام الزمخشرى فى الكشاف: موجهاً قراءة النصب فى الآية: «نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع قد أورد عليه سيبويه أمثلة وشواهد.

ولا يلتفت إلى من زعم أن فى خط المصحف لحنا ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان. وغاب عنه أن السابقين الأولين

الذين مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كانوا أبعد همة فى الغيرة على الإسلام، وذب المطاعن عنه من أن يتركوا فى كتاب الله تعالى ثلمة ليسدها من بعدهم، وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقال أيضا: ونحن ممن لا يصدق هذا فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكيف يخفى هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتى المصحف الإمام وهو مصحف عثمان وكان متقلبا فى أيدى أولئك الأعلام المحتاطين لدين الله المهيمنين عليه، لا يغفلون عن جلائله ودقائقه. خصوصا عن قانونه الذى إليه المرجع والقاعدة التى أقيم عليها البناء هذا والله فرية ما فيها مرية. انتهى بشىء من التصرف والإيضاح.

وقال القشيرى: وهذا المسلك - وهو ادعاء لحن الكتاب باطل - لأن الذين جمعوا القرآن كانوا قدوة فى اللغة؛ فلا يظن بهم أنهم يدسون فى القرآن ما لم ينزل. انتهى.

وقال الإمام القرطبى فى آية النور: وروى عن ابن عباس - وبعض الناس يقول سعيد بن جبير - حتى تستأنسوا خطأ أو وهم من الكاتب. إنما هو حتى تستأذنوا. وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره، فإن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها: «حتى تستأنسوا». وصح الإجماع عليها من لدن مدة عثمان. فهى التى لا يجوز خلافها. وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب فى لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس. وقد قال تعالى: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه». وقال: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». ومما ينفى هذا القول عن ابن عباس وغيره أن «تستأنسوا» متمكنة فى المعنى بينة الوجه فى كلام العرب. وقد قال عمر للنبى صلى الله عليه وسلم: استأنس يا رسول الله وعمر واقف على باب الغرفة. وذلك يقتضى أنه طلب الأنس به صلى الله عليه وسلم. فكيف يخطىء ابن عباس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل هذا؟ انتهى من القرطبى.

وقال أبو حيان فى البحر: وقد روى عن ابن عباس أنه قال: تستأنسوا معناه: تستأذنوا. ومن روى عن ابن عباس أنه قال: أن تستأنسوا خطأ أو وهم من الكاتب. وأنه قرأ «حتى تستأذنوا»

فهو طاعن فى الإسلام ملحد فى الدين ، وابن عباس برىء من هذا القول . انتهى من البحر .

وأخرج ابن أبى حاتم وابن الأنبارى فى المصاحف وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس أنه فسر تستأنسوا فقال : أى تستأذنوا ممن يملك الإذن من أصحاب البيوت . انتهى . فالذى ورد عن ابن عباس إنما هو تفسير لا قراءة .

وأختم هذا الفصل بما قاله الإمام أبو بكر محمد بن بشار الأنبارى لما له من المناسبة هنا ، قال رحمه الله تعالى : « ولم يزل أهل الفضل والعقل يعرفون من شرف القرآن وعلو منزلته ما يوجبه الحق والإنصاف والديانة وينفون عنه قول المبطلين وتمويه الملحدين وتحريف الزائغين . حتى ظهر فى زماننا هذا زائغ زاغ عن الملة . وهجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة التى لا يزال الله تعالى يؤيدها ، ويثبت أسسها ، وينمى فروعها ويحرسها من معايب أولى الحيف والجور ومكايد أهل العداوة والكفر . فزعم أن المصحف الذى فى أيدينا اشتمل على تصحيف حروف مفسدة وقال : لى أن أخالف مصحف عثمان . . ثم قال الإمام ابن الانبارى : وفى قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . دلالة على كفر هذا الإنسان ؛ لأن الله عز وجل قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل ، والزيادة والنقصان ، وفى هذا الذى قاله توطئة الطريق لأهل الإلحاد ليدخلوا فى القرآن الحكيم ما يحلون به عرى الإسلام ، ويبطلون به الإجماع الذى به يحرس الإسلام . وبثباته تقام الصلوات وتؤدى الزكوات . وتتحرى العبادات . انتهى ابن الأنبارى . وبهذا يتبين أن للمؤلف فيما يزعمه سلفا . ولكنه سلف غير صالح .

قال فى صفحة ٤٨ : كانت هناك حرية مطردة إلى حد الحرية الفردية ، كأنما كان سواء لدى الناس أن يرووا النص على وجه لا يتفق بالكلية مع صورته الأصلية . ثم ساق فى ذلك خبرا يدل على أن الخليفة عثمان قرأ آية وزاد فيها عن نص المصحف الذى أمر بكتابته ثم اعتمده ، وذلك فى آية ١٠٤ من سورة آل عمران قرأها هكذا « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف

وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم ، فقوله «ويستعينون الله على ما أصابهم» زائد على المصحف العثمانى.

وأقول: لم توجد حرية مطلقة فى قراءة القرآن مطلقا فى أى عصر من العصور، اللهم إلا عند شذوذ من الناس أباحوا لأنفسهم هذه الحرية ، ولكنهم قوبلوا من السواد الأعظم ، والكثرة الكاثرة من المسلمين بالإنكار البالغ ، والتقريع الشديد ، وأقيمت عليهم الحجة فأقلعوا، واستتيبوا فتابوا ، وكتب محضر بتوبتهم أمام الجم الغفير ، والجمع الوفير من العلماء والقراء ، ومن هؤلاء الشيخ ابن شنبوذ[(١)] والشيخ العطار[(٢)] .

إنما كانت ولن تزال هنا وهناك حرية فى القراءة ، ولكن فى إطار الأثر والرواية ، وفى نطاق النقل والمشافهة ، وفى حدود التلقى والسماع ، فلكل قارىء أن يختار من القراءة الثابتة ما يشاء .

وليس واجبا عليه أن يلتزم فى تلاوته قراءة معينة . أو رواية مخصوصة وأما قراءة عثمان رضى الله عنه الآية المذكورة بإضافة «ويستعينون الله على ما أصابهم» إليها ، إن صحت عنه الرواية بذلك . فإن كانت قراءته الآية على هذه الإضافة قبل كتابة المصاحف العثمانية لجائز ؛ لأن هذه القراءة من القراءات التى نزلت فى أول الأمر ، ثم نسخت بالعرضة الأخيرة . ولعل عثمان لم يبلغه نسخها ، فظل يقرأ بها كما كان بعض الصحابة يقرأ بقراءات أبيحت القراءة بها أولا ثم نسخت ولكنهم لم يبلغهم نسخها كالقراءة التى كان يقرؤها أهل الشام وأهل العراق ولم يصل إليهم أنها نسخت، وكانت مدعاة إلى فتح باب الشقاق والفرقة بين المسلمين وكانت سببا فى كتابة المصاحف العثمانية. وأما إن كانت قراءته الآية بهذه الزيادة بعد كتابة المصاحف العثمانية ، وإقرار جميع الصحابة لها ، واتفاقهم عليها فيتعين أن تكون هذه الزيادة من قوله هو تفسيرا للآية ، وإشارة إلى أن من يتصدى للأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر لا بد أن يتعرض للأذى . فينبغى له أن يصبر ويطلب من الله الإعانة على تحمل

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ كان إمام أهل العراق فى القراءة توفى سنة ٣٢٨ اقرأ ترجمته فى غاية النهاية جـ٢ ص٥٢-٥٦ .

(٢) هو أبو بكر العطار ويعتبر من مدرسة ابن شنبوذ فى اختيار القراءة وتوفى سنة ٣٥٤ هجرية .

ما يصيبه من المكروه ، وقد أخذ عثمان رضى الله عنه هذا المعنى من آية لقمان . « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » رقم ١٧ وهذه الآية نظيرة آية آل عمران . ولا يمكن أن يكون عثمان أضاف هذه الزيادة على أنها من نفس الآية الكريمة ؛ إذ لا يعقل أن يأمر عثمان بحرق جميع المصاحف المخالفة لمصاحفه ثم يتمسك بالقراءة بما فيها من الزيادة على هذه المصاحف. نعم لا يعقل أن يحمل عثمان المسلمين جميعا على القراءة بما فى المصاحف التى أمر بكتابتها والوقوف عندها وترك ما يخالفها ثم يأتى هو بما يخالف هذه المصاحف بزيادة أو نقص أو تقديم أو تأخير ،

وذكر الإمام القرطبى أن هذه القراءة أسندت إلى عبد الله بن الزبير أيضا . ثم نقل عن ابن الأنبارى أنه قال : وهذه الزيادة تفسير من ابن الزبير ، وكلام من كلامه ، غلط فيه بعض الناقلين فألحقه بألفاظ القرآن، ثم قال : فما يشك عاقل أن عثمان لا يعتقد هذه الزيادة من القرآن ؛ إذ لم يكتبها فى مصحفه الذى هو إمام المسلمين ، وإنما ذكرها واعظا بها ومؤكداً ما تقدمها من كلام رب العالمين . انتهى.

وعلى كل حال ليست هذه القراءة فى المصاحف العثمانية ، وقد قررنا غير مرة أن كل قراءة خالفت المصحف مردودة لا تعتبر قرآنا بإجماع المسلمين ؟

عبد الفتاح القاضى

(بقية المنشور على ص ٨١١)

وطنه ، ولو عمل كل مسلم بما آمن به تأسيا بأبى أيوب رضى الله عنه لكان المسلمون دائماً جيوشاً مستعدة تقتحم الأهوال ، لا تبالى أينما توافيهم مناياهم وأين تكون لحودهم ما دام الحق رائدهم ورضا الله غايتهم . « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم » ؟

أبو الوفا المراغى

علاقة التشريع الإسلامي بالتشريع الوضعي

للأستاذ سيد عبد الله حسين

— ٩ —

لا زال هذا السؤال يطرح كل يوم وهو (هل التشريع الوضعي مأخوذ من التشريع الإسلامي ؟) أقول نعم ؟ وأقيم الأدلة القاطعة على ذلك وإليك هذا البحث

القانون الفرنسي :

(إضافة الملحقات)

إضافة الملحقات للمالك هي طريق تمليك الملكية الناجمة عن القاعدة الآتية (كل ما يمكن أن ينضم أو يتجمع إلى شيء مملوك لشخص فهو ملك لمالك الشيء المذكور حسب الترتيب المنصوص عليه قانونا) .

م ٥٥١ ق . م فوانيه ص ٥٦٣ ج ١ وما بعده فالإضافة سبب الملكية كوضع اليد.

فما يضاف للمالك من الملحقات ثلاثة أشياء:

١ — ملحقات عقار إلى عقار .

٢ — ملحقات منقول إلى عقار .

٣ — ملحقات منقول إلى منقول .

أولا : ملحقات عقار إلى عقار .

يفترض القانون في هذه المسألة أن ملكية واقعة بطول مجرى الماء فيعرض لها أربعة أحوال الملحقات ١ - الطمي ٢ - قطعة أرض تقطع من حافة النهر للحافة الأخرى ٣ - الجزر ٤ - مجرى النهر المتروك.

(أ) الطمي: وهو الرواسب المتكاثرة التي تتكون بالتتابع بطول شطه نهر أو نبع وهذا الطمي الذي يتكون من مجرى الماء يتعلق بمالك الشط المجاور فيكون ملكا له بطريق إضافة الملحقات للمالك بدون تفرقة بين الأنهر الصالحة للملاحة وغير الصالحة لها - م ٥٥٧ ق م فوانيه ص ٥٦٤ ج ١ .

وكذلك أرض البحر التي ينكشف الماء عنها من ناحية شط يتحول عنه تكون ملحقة لملك المالك بالإضافة .

والطمي في البرك والمستنقعات لا تطبق عليه إضافة التوابع فمالك البرك والمستنقعات يحتفظ دائما بالأرض المغطاة بالماء متى كانت الأرض في علو مصرف المستنقع ومالك البرك والمستنقعات لا يملك الأرض التي يطغى عليها ماء البرك والمستنقعات من الأملاك المجاورة .

والطمي الناتج من البحر لا يملكه أحد

من المجاورين له وإنما تملكه الحكومة ويعتبر من أملاكها الخاصة م - ٥٥٨ ق. م قوانيه صـ ٥٦٤ ج ١ .

التشريع الإسلامى :

(إضافة الملحقات للمالك)

هذه المواضيع الأربعة وهى (١-الطمى ٢ - قطعة الأرض المقطوعة من شط الماء إلى الشط الآخر ٣ - الجزر التى تكونت بمجرى الماء ٤ - مجرى النهر المتروك) قد حكم فيها التشريع الإسلامى منذ وجوده وفى قسمة الماء بين الشركاء فقد شرعت قواعده وتم التطبيق فى مذاهب المجتهدين وهذه القواعد هى:

أولا : لا تزول الملكية بالتقادم وهو معنى حديث شريف .

ثانيا : من أحيا أرضا ميتة فهى له وفى رواية فقد ملكها وهو حديث شريف.

ثالثا : كل ملك لا مالك له ولا صاحب يتبع أملاك الدولة .

وعلى هذه الأصول جاء التشريع الإسلامى بأحكام هذه المسائل مع العلم أن النهر ماء حلو والبحر ماء مالح .

فأولا : النهر - وله أحكام كثيرة - وأحكامه فى ملكيته لا فى الانتفاع به .

١ - إن كان مجرى النهر ينتفع به أكثر من واحد فينظر إلى أصله فان أوجده شخص أو أشخاص فى ملكهم فهو لهم بشطيه وليس لمن لم يشترك فى إيجاده بعمل أو مال إلا حق الانتفاع بمائه إن ثبت أنهم ينتفعون بمائه بالفعل .

٢ - فإن ملك شطيه واحد فهو ملك له ذاتا ، وإن ملكهما شركاء فهو بينهما والحد الفاصل بينهما وسط مجرى الماء ، وعلى هذا الأصل تكون الأحكام إذا تحول هذا المجرى فهو ملك لمن أوجده ، ولا تسقط ملكيته بالتقادم .

٣ - إذا كان مجرى النهر وجد بعمل الدولة وجهز بمالها فالنهر ملك لها بشطيه ولا يجوز التعدى عليه من أحد ولا يمنع سير الماء فيه ، فطميه وجزره يكون ملكا للدولة ، وإذا تحول عن مجراه أو استغنت عنه الحكومة بغيره فمجراه وشطاه ملك للدولة ، والمعمول به الآن فى الديار المصرية أن الحكومة تنزع ملكية مجرى النهر وشطيه من الملاك وتدفع لهم ثمنه ، فهو بلا جدال ملك للدولة.

٤ - إذا كان مجرى النهر لم يوجده أحد بل وجد طبيعيا بسير الماء سنين

عديدة فاتخذ مجراه لجاه ملاك أو مالك وعمروا شطريه ومهدوه فهو لهم لأنه يعتبر ملكا تابعا لمالك الشط فهو داخل فى الحيازة ولا مالك له خاص ، فمجراه وطميه ملك لمعمرى الشطين فإن كثروا فهم فيه شركاء .

طمى البرك والمستنقعات ملك لمالكيها لأن أرضهما لا تخرج عن ملكيتهما بتغطيتهما بالماء مهما طالت .

ثانيا : البحر : إن انحسر البحر عن أرض أو كون جزراً أو أكل شطا فى ناحية وزاد فى ناحية أخرى فهو ملك للدولة تتصرف فيه كما تشاء لمصلحة الرعية ، وليس لأحد أن يتعدى على أرضه المنحسر عنها ولا جزره التى كونها ، إن الدولة تملك شواطىء بحارها حسب العرف الدولى فى أبعاده - تملكه ملكا ذاتيا ، ومنفعته مباحة للجميع والحاكم تقييد الانتفاع منه بقيود يجب اتباعها .

وقد جاء فى حاشية العلامة الدسوقى ص ٦٧ ج ٤ الشرح الكبير ما نصه :

(ونقل البدر القرافى عن سحنون وأصبغ ومطرف أن البحر إذا انكشف عن أرض وانتقل عنها فإنها تكون فيئاً (ملكا) للمسلمين كما كان البحر ، لا لمن يليه ولا لمن دخل البحر أرضه ، وقال عيسى بن دينار إنها تكون لمن يليه وعليه (حد يس) والفتيا والقضاء على خلاف قول سحنون ا . هـ . إلا شيخنا العدوى ، وقد أخذ المشرع الفرنسى بقول عيسى بن دينار (أن الطمى الذى يتكون من مجرى الماء يكون لمن يليه) وسوى فى ذلك بين النهر والبحر ، ثم عاد فى آخر الفقرة فقال : (الطمى الناتج من البحر لا يملكه أحد من المجاورين للبحر وإنما تملكه الحكومة) وهو المنصوص عليه فى البحر لهذا كان التشريع الوضعى هو التشريع الإسلامى نصا .

التشريع الفرنسى :

١ - قطعة الأرض التى لها قيمة وتعرف بسهولة ، يقتطعها الماء من حافة نهر ويلحقها بالحافة الأخرى ، تبقى هذه القطعة فى ملك صاحبها الذى كان يملكها ، (فوانيه ص ٥٦٤ ج ١ م ٥٥٩ ق . م) .

٢ - الجزر الصغيرة والكبيرة التى تتكون فى وسط الأنهر القابلة للملاحة أو القابلة للسباحة تكون ملكا للحكومة (م ٥٦٠ ق . م فوانيه ص ٥٦٥ ج ١) . فإن تكونت هذه الجزر فى نهر ليس قابلا للملاحة ولا للسباحة فهى ملك لمالك الشط القريب - والحد وسط النهر - وإن

تكونت فى وسط النهر فهى ملك لمالكى الشطين مناصفة . فإن تكونت فى حقل فهى لصاحبه (فوانيه ص ٥٦٥ ج ١ - م ٥٦٢ ق . م) .

٣ - مجرى النهر المتروك القابل للملاحة والسباحة يكون ملكا للحكومة من أملاكها الخاصة . (فوانيه ص ٥٦٥ ج ١ م ٥٦٣ ق . م المعدلة بقانون ٨ أبريل سنة ١٨٩٨) .

وإن كان النهر غير قابل للملاحة والسباحة فإن حق الملكية للمجرى المتروك يكون لمالكى الشط حسب خط وسط النهر (فوانيه ص ٥٦٥ ج ١ - م ٣ قانون أبريل سنة ١٨٩٨) .

التشريع الإسلامى :

١ - إذا جار النهر على ذات ملكية أحد ملاك الشط ونقل جزءاً له قيمته يمكن الانتفاع به وتمييزه إلى الشط الآخر فهى ملك لصاحبها المنقولة من ملكه استصحابا للملكية فلا تزول ملكيته بنقلها من مكان إلى مكان .

٢ - إذا تكونت جزر فى نهر كبير كنهر النيل فهى ملك الدولة لأن النهر ملك للدولة سواء وجدت قرب الشط أو فى الوسط فما تكون فيه فهو تابع له فى ملكيته .

٣ - وإذا تكونت فى مجرى ماء خاص مملوك لأحد فهو له تبعا لملكيته هذا المجرى . فإن كانت الدولة قد أوجدته فما تكون فيه يكون تبعا له . فللدولة أن تبيعها لمالك الشط ولها أن تؤجرها كما ترى مصلحة الأمة وإن ملك مختلفون على الشطين فهو للأقرب فإن كان فى الوسط فهو بينهما .

٤ - وإذا ترك مجرى الماء مكانه الذى يجرى فيه فهو تبع للملكية أصله فإن كان ملكا خاصا فهو لمالكه وإن كان مشتركا مع آخرين فهو بينهما وإن كان ملكا للحكومة أصلا فهو لها بأن كان مجرى لنهر عام أو إنشائه من مال الدولة .

وهكذا يكون التشريع الوضعى فى جملته وتفصيله مأخوذا من التشريع الإسلامى بالدليل والبرهان لا بالحب والعاطفة فليس لهما مكان فى إحقاق الحق وإظهار زيف الباطل . فإلى من اغتروا ببهرج التشريعات الوضعية ولم يطلعوا على التشريع الإسلامى أسوق هذه الأبحاث خصوصا الشباب منهم رجال المستقبل .

والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

سيد عبد الله حسين

بيت العنكبوت

بقلم
الدكتور حسن عز الدين الجمل

— ١ —

قال الله تعالى فى سورة العنكبوت :

« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شىء وهو العزيز الحكيم . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

الآيات ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ من سورة العنكبوت

أقوال المفسرين :

بيوت العنكبوت التى تبنيها لسكناها ، وللقبض على فريستها دقيقة الصنع لأنها مكونة من خيوط على درجة عظيمة من الرقة تفوق رقة الحرير ، وهذا يجعل نسيجها أضعف بيت يتخذه أى حيوان مأوى له(١) .

تفسير الفخر الرازى :

وأسعدنى كثيرا أن أقرأ تفسير الفخر الرازى لهذه الآيات ، وإن كان طويلا بعض الشىء إلا أن فيه من العلم الكثير .

ففى الجزء السادس صفحة ٤٥٠ قال الرازى :

(ثم قال تعالى : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ») .

لما بين الله تعالى أنه أهلك من أشرك عاجلا ، وعذب من كذب آجلا ، ولم ينفعه فى الدارين معبوده ، ولم يدفع ذلك عنه ركوعه وسجوده ، مثل اتخاذه ذلك معبودا ، باتخاذ العنكبوت بيتا ، لا يجير آويا ولا يريح ثاويا - وفى الآية لطائف نذكرها فى مسائل :

المسألة الأولى : ما الحكمة فى اختيار هذا المثل من بين سائر الأمثال ؟ فنقول فيه وجوه :

الوجه الأول : إن البيت ينبغى أن

(١) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

يكون له أمور : حائط حائل ، وسقف مظل ، وباب يغلق ، وأمور ينتفع بها ويرتفق - وإن لم يكن كذلك فلابد من أحد أمرين : إما حائط حائل يمنع البرد ، أو سقف مظل يدفع عنه الحر ، فإن لم يحصل منهما شيء فهو كالبيداء ليس ببيت ، لكن بيت العنكبوت لا يجنها ولا يكنها ، وكذلك المعبود ينبغى أن يكون منه الخلق والرزق ، وجر المنافع ودفع المضار ، فإن لم تجتمع هذه الأمور فلا أقل من دفع ضر ، أو جر نفع فإن من لا يكون كذلك فهو والمعدوم بالنسبة إليه سواء . فإذاً كما لم يحصل العنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معانى البيت شيء ، كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معانى الأولياء شيء .

الوجه الثانى : هو أن أقل درجات البيت أن يكون للظل فإن البيت من الحجر يفيد الاستظلال ويدفع أيضا الهواء والماء والنار والتراب - والبيت من الخشب يفيد الاستظلال ويدفع الحر والبرد ولا يدفع الهواء القوى ولا الماء ولا النار - والخباء الذى هو بيت من الشعر أو الخيمة التى هى من ثوب إن كان لا يدفع شيئا ؛ يظل ويدفع حر الشمس . لكن بيت العنكبوت لا يظل فإن الشمس بشعاعها تنفذ فيه كذلك المعبود أعلى درجاته أن يكون نافذ الأمر فى الغير فإن لم يكن كذلك فيكون نافذ الأمر فى العابد ، فإن لم يكن فلا أقل من أن ينفذ أمر العابد فيه ، لكن معبودهم تحت تسخيرهم إن أرادوا أجلوه وإن أحبوا أذلوه .

الوجه الثالث : أدنى مراتب البيت أنه إن لم يكن سبب ثبات وارتفاق لا يصير سبب شتات وافتراق ، لكن بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت ، فإن العنكبوت لودام فى زاوية مدة لا يقصد ولا يخرج منها فإذا نسج على نفسه ، واتخذ بيتا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه المسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت ، فكذلك العابد بسبب العبادة ينبغى أن يستحق الثواب فإن لم يستحقه فلا أقل من أن لا يستحق بسببها العذاب والكافر يستحق بسبب العبادة العذاب .

الرازى يشير إلى قوة الخبط مع ضعف البيت

المسألة الثانية : مثل الله اتخاذهم الأوثان أولياء باتخاذ العنكبوت بيتا ولم يمثله بنسجه ، وذلك لوجهين :

الوجه الأول: أن نسجه فيه فائدة له، لولاه لما حصل ، وهو اصطياد الذباب به من غير أن يفوته ماهو أعظم منه ، واتخاذهم الأوثان وإن كان يفيدهم ما هو أقل من الذباب من متاع الدنيا ، لكن يفوتهم ماهو أعظم منها وهو الدار الآخرة التي هي خير وأبقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت.

الوجه الثاني : هو أن نسجه مفيد . لكن اتخاذها ذلك بيتا أمر باطل، فكذلك هم لو اتخذوا الأوثان دلائل على وجود الله وصفات كماله وبراهين على نعوت إكرامه وأوصاف جلاله لكان حكمة . لكنهم اتخذوها أولياء كجعل العنكبوت النسج بيتا وكلاهما باطل .

المسألة الثالثة : كما أن هذا المثل صحيح في الأول ، فهو صحيح في الآخر ، فإن بيت العنكبوت إذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا أثر ، بل يصير هباء منثورا وكذلك أعمالهم للأوثان كما قال تعالى : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » .

المسألة الرابعة : قال مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، ولم يقل آلهة ، إشارة إلى إبطال الشرك الخفي أيضا ، فإن من عبد الله رياء لغيره ، فقد اتخذ وليا غيره ، فمثله كمثل العنكبوت يتخذ نسيجه بيتا ، ثم أنه قال : « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون» إشارة إلى ماينا أن كل بيت فيه إما فائدة الاستظلال أو غير ذلك ، وبيته يضعف عن إفادة ذلك ، لأنه يخرب بأدنى شيء ولا يبقى منه عين ولا أثر ؛ فكذلك عملهم لو كانوا يعلمون .

ثم قال تعالى : «إن الله يعلم مايدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم » قال الزمخشري : هذا زيادة توكيد على التمثيل حيث إنهم لا يدعون من دونه من شيء بمعنى مايدعون ليس بشيء ، وهو عزيز حكيم .

فكيف يجوز للعاقل أن يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة ما ليس بشيء أصلا ؟ وهذا يفهم منه أنه جعل « ما » نافية وهو صحيح ، والعلم يتعلق بالجملة كما يقول القائل : إني أعلم أن الله واحد حق ، يعني أعلم هذه الجملة . وإن كنا نجعل « ما » خبرية فيكون معناه : ما يدعون من شيء فالله يعلمه وهو العزيز الحكيم قادر إعدامه وإهلاكه ، لكنه حكيم ، يمهلهم ليكون الهلاك عن بينة ، والحياة عن بينة. ومن هنا يكون الخطاب مع أمة « محمد » صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا لو قال قائل : ماوجه تعليق هذه الآية بالتمثيل السابق ؟ فنقول : لما قال أن مثلهم كمثل العنكبوت ، فكان للكافر أن يقول أنا لا أعبد هذه الأوثان التى اتخذها وهى تحت تسخيرى ، وإنما هى صورة كوكب أنا تحت تسخيره ومنه نفعى وضرى وخيرى وشرى ووجودى ودوامى فله سجودى وإعطائى فقال الله تعالى : إن الله يعلم أن كل ما يعبدون من دون الله ، هو مثل بيت العنكبوت لأن الكواكب والملك وكل ماعدا الله لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله . فعبادتكم للحاضر ولا معبود إلا الله ولا إله سواه .

ثم قال تعالى « وتلك الأمثال نضربها للناس ، قال الكافرون : كيف يضرب خالق الأرض والسموات الأمثال بالهوام والحشرات كالبعوض والذباب والعنكبوت ؟ فيقال : الأمثال تضرب للناس إن لم تكونوا كالأنعام يحصل لكم منه إدراك يوجب نفرتكم مما أنتم فيه وذلك لأن التشبيه يؤثر فى النفس تأثيرا مثل تأثير الدليل فإذا قال الحكيم لمن يغتاب : إنك بالغيبة كأنك تأكل لحم ميت ؛ لأنك وقعت فى هذا الرجل وهو غائب لا يفهم ما تقول ولا يسمع حتى يجيب كمن يقع فى ميت يأكل منه وهو لا يعلم ما يفعله ولا يقدر على دفعه إن كان يعلمه فينفر طبعه منه كما ينفر إذا قال أنه يوجب العقاب ويورث العذاب .

ثم قال تعالى : « وما يعقلها إلا العالمون » يعنى حقيقتها وكون الأمر كذلك لا يعلمه إلا من حصل له العلم ببطلان ماسوى الله ، وفساد عبادة ماعداه ، وفيه معنى حكمى ، وهو أن العلم الحدسى يعلمه العاقل ، والعلم الفكرى الدقيق يعقله العالم .

أبو حيان يفتح الباب ويمهد التفسير الحديث .

وفى البحر المحيط الجزء السابع تأليف أثير الدين أبى عبد الله بن يوسف ابن حيان الأندلسى الغرناطى الجيانى الشهير بأبى حيان المولود سنة ٦٥٤ هـ المتوفى بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ . جاء فى الصفحة ١٥٢ ما يلى : (... « لو كانوا يعلمون » ليس مرتبطا بقوله : « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت » ، لأن كل أحد يعلم ذلك فلا يقال فيه « لو كانوا يعلمون » وإنما المعنى لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية لأقلعوا عنه وما اتخذوا الأصنام آلهة .

أبو حيان يلقى الأضواء على تفسير الزمخشرى وما فيه من تحميل اللفظ ما لا يحتمله .

وقال الزمخشرى : « إذا صح تشبيه ما اعتمدوه فى دينهم بيت العنكبوت ، وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت ، فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون ، أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز وكأنه قال : وإن أوهن ما يعتمد عليه فى الدين عبادة الأوثان ، لو كانوا يعلمون . «ولقائل أن يقول مثل المشترك الذى يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذى يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالإضافة إلى رجل بنى بيتاً بآجر وجص أو نحته من صخر ، فكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت ، كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان ، لو كانوا يعلمون » ، وما ذكره الزمخشرى من قوله « ولقائل أن يقول ... الخ » ؛ لا يدل عليه لفظ الآية ، وإنما هو تحميل للفظ ما لا يحتمله ... »[1] . (يتبع)

د. حسن عز الدين الجمل

(١) أبو حيان فى البحر المحيط ، الطبعة الأولى مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ .

(بقية المنشور على ص ٨٣٧)

الزوجين واستحال الوفاق بينهما ، وتزوجها الرسول الكريم بعد انقضاء عدتها ، وبذلك قضى على هذه العادة المرذولة !

فنحن نرى أن قصة زينب وزواجها من زيد ، ثم من الرسول قد أوحى بها الله ـ تعالى ـ إلى عبده ومصطفاه الصادق المصدوق ، من بدايتها إلى نهايتها قبل وقوعها ، وأنها حدثت لحكمة بالغة أرادها الله ـ تعالى ـ وأعقبت تشريعا جليلا رفع عن العرب الحرج ، وكان نعمة عظيمة على العباد وفى ذلك جاءت الآية الكريمة : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » ؟

على الجندى

كيف نفسر هذه الآيات ؟

للدكتور عبد الغني الراجحي

منذ فجر الإسلام وهدايته ، ونزول القرآن وثقافته ، استرعى أنظار العلماء والباحثين والمفكرين ، نوع خاص من آيات الذكر الحكيم ، تطلق على الله أوصافا وتنسب إليه معانى ، إذا فهمت على ظاهرها ، وتمسك المفكرون بحرفيتها كان ذلك من أخطأ الخطأ وأعل المحال ، لأن ما تصف به الله ، وما تنسبه إليه من المعانى ، لا يليق بجلاله ، ولا يتفق مع ما هو مجمع عليه ، من أنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وأنه سبحانه وتعالى منزه عن المشابهة للحوادث ، وأن ألوهيته تتنافى مع ظاهر هذه الآيات التى تعتبر من المتشابه ، الذى أنزله الله فى كتابه ، فتنة للزائفين الضالين ، الذين يتمسكون بظاهره ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وتثبيتا للمؤمنين المهتدين ، الذين لا يغترون بظاهره ولا يفتنون ، بل يتمسكون بمحكم الآيات ، التى قام البرهان العقلى ، والدليل النقلى ، على أنها أم الكتاب يرد إليها المتشابه ولا يؤخذ على ظاهره .

وعلى كثرة هذه الآيات وتفرقها فى كثير من سور القرآن ، فإننى بعد طول البحث وإمعان النظر ، قد استطعت أن أردها وأجمعها فى ثلاثة أنواع لا غير :

النوع الأول : آيات توهم بظاهرها إثبات الجارحة والتجزؤ لله تنزه عن ذلك وتعالى ، وتجعل له أبعاضا مما يطلق على مخلوقاته تعالى ، وذلك كالآيات التى أثبتت له اليد ، والعين ، واليمين ، والجنب ، والنفس ، وما شاكل ذلك . كما فى قوله تعالى : « ويحذركم الله نفسه » وقوله تعالى : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » وقوله تعالى : « أينما تولوا فثم وجه الله » وقوله تعالى : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » وقوله تعالى : « ولتصنع على عينى » وقوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » وقوله تعالى : « إن الفضل بيد الله » ، وقوله تعالى : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى » وقوله تعالى : « والسموات مطويات

بيمينه ، وقوله تعالى : « ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله » .

النوع الثانى : آيات توهم بظاهرها الانحصار ، والجهة والتحيز ، والمكانية لله ، تنزه عن ذلك وتعالى ، وذلك كالآيات التى أطلقت عليه الفوقية ، والمعية ، والمكانية فى السماء ، والعندية ، والقرب ، والذهاب ، والمجىء ، والإتيان والاستواء ، وماشاكل ذلك . كما فى قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » ، وقوله : «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا» ، وقوله تعالى: « وهو القاهر فوق عباده» وقوله تعالى: «يخافون ربهم من فوقهم » وقوله تعالى : « إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون» ، وقوله تعالى: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه» ، وقوله تعالى : « ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » وقوله تعالى: «وجاء ربك والملك صفا صفا» ، وقوله تعالى: «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة» ، وقوله تعالى : « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور» ، وقوله تعالى: « الرحمن على العرش استوى » .

النوع الثالث : آيات تعطى بظاهرها أن لله صفات نفسية ، تشبه الصفات النفسية البشرية ، وذلك محال على الله ولا يجوز إسنادها إليه على الحقيقة ، لأن أساسها كما يفهم العقل البشرى ، انفعالات نفسية بشرية لا تليق بالذات العلية ، وذلك كالآيات التى أطلقت عليه ووصفته بالحياء ، والرضا ، والغضب ، والاستحياء ، والمكر ، والاستهزاء ، والسخرية ، والخديعة ، وماشاكل ذلك ، كما فى قوله تعالى: «رضى الله عنهم ورضوا عنه» ، وقوله تعالى: « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه» ، وقوله تعالى: «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » ، وقوله تعالى: «إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها » ، وقوله تعالى : « فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » ، وقوله تعالى : « الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون»

وقوله تعالى: «سخر الله منهم ولهم عذاب أليم»، وقوله تعالى: «يخادعون الله وهو خادعهم»، وقوله تعالى: «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».

هذه هى المشكلة بجنباتها وأنواعها الثلاثة التى استقصينا بواسطتها ضبط كل ما يمكن أن يكون من المتشابه، بالنسبة لله سبحانه وتعالى، لا يكاد يشذ تعبير من المتشابه عن الله تعالى، فى قرآن أو سنة، إلا وهو مندرج تحت واحد من هذه الأنواع الثلاثة، التى يجمعها جميعها خطورة مشابهته تعالى للحوادث، والمطلوب الآن معرفة ماذا يقول العلماء، وماذا يقول الفكر الإسلامى، وماذا يقول علماء التفسير والعقائد فى هذا الموقف الخطير؟

أما النوع الثالث: وهو ما كان من قبيل الصفات البشرية الانفعالية المحالة على الله فقد قال الإمام السيوطى نقلا عن الإمام فخر الدين الرازى: أن كل الأعراض النفسية فى الإنسان، لها أوائل ولها نهايات، فالغضب أوله غليان دم القلب، ونهايته إيصال الضرر للمغضوب عليه، والرحمة أولها رقة فى القلب، وغايتها إيصال الإحسان إلى من هو أهل للرحمة، والحياء أوله انكسار فى النفس، ونهايته ترك الفعل المستحيا منه، وكل ذلك يحمل فى حق الله باعتبار نهايته لا باعتبار أوله، فهو من المجاز الذى قامت القرينة العقلية على استحالة الحقيقة فيه، مع وجود العلاقة بين الحقيقة والمجاز.

وأما النوعان الأول والثانى: وهما الموهمان الجارحة لله، أو التحيز والانحصار فقد افترق فى فهم ذلك وتخريجه، الفكر الإسلامى من أهل السنة والجماعة؛ إلى فريقين: فريق السلف؛ وفريق الخلف، أما فريق السلف فيقول بالتوقف فى تفسير ذلك وتأويله، يوجبون الإيمان به كما جاء دون بحث عن كيفية ذلك، وتحديد المعنى المقصود منه، وذلك على حسب الطريق والمنهج الذى سنه الإمام مالك. فى قوله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وذلك حين سأله سائل: «يا إمام الملة والدين، الرحمن على العرش استوى. كيف استوى؟ وقد روى عنه فى هذا المقام قوله: هو كما وصف نفسه ولا يقال كيف؟ وكيف عنه مرفوع. وقد روى عن محمد بن الحسن أنه قال: اتفق

الفقهاء كلهم من المشرق والمغرب على الإيمان بالصفات ، من غير تفسير ولا تشبيه . وفى الحديث الصحيح : « إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون البدر ليس بينكم وبينه حجاب » .

يقول الترمذى على حديث الرؤية هذا المذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثورى ، وابن عيينة ومالك وابن المبارك ووكيع وغيرهم أنهم قالوا: إننا نروى هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال كيف ، ولا نفسر ولا نتوهم.

وقال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها ، وأئمة الفقهاء وساداتهم ، وإليها دعا أئمة الحـــديث وعلماؤه . وقـد أثر مشهوراً عن عمر بن الخطاب أنه كان يرى تتبع المتشابه والسؤال عنه من التكلف والتكلف الذى لا حاجة إليه ، وقد ضرب رجلا تميميا يسمى صبيغ بن عسل ضربا مبرحا ، حتى ترك ظهره دبرة ، ونفاه بعيدا عن المدينة ، وأمر الناس بمقاطعته والاستماع إليه ، فكانوا يفرون منه كما يفر السليم من الأجرب ، لأنه كان قد أكثر من تتبع المتشابه والسؤال عنه ، وهذا شبيه بقول الإمام مالك للسائل عن كيفية استوا الرحمن على العرش : اخرج فأنت رجل سوء. أمره بالخروج من مجلسه بعد أن أجابه بالجواب السابق .

أما فريق الخلف ، فقد ذهب مذهب التأويل ومحاولة التفسير والوصول إلى المراد ، وإعطاء مفاهيم يدركها العقل البشرى ويطمئن إليها ، ملتزمين فى التفسير أن يكون على ما يليق بجلاله تعالى ، وكأنهم أرادوا بهذا أن يعطوا للناس مفاهيم يدركونها من هذه النصوص ، ولو بطريق المجاز حتى لا تكون معطلة أو غير مفهومة ، أو يقال لم خاطبنا الله بها وهو يريد ألا نفهم منها شيئا ، فيد الله بمعنى قدرته ، وعينه بمعنى رعايته ، ومعيته بالعلم وهكذا . ومن أجل هذا قيل فى الموازنة بين المذهبين ، أن مذهب الخلف أحكم ، ومذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أحكم لأنه يريح العقول الشرهة ، المتعطشة إلى إدراك المعانى ، ولا تكتفى بالتفويض والتسليم ، لا سيما وقد كان الخلف فى وقت متأخر ، ظهرت فيه البدع والأهواء والاعتراضات والشبهات التى توجه إلى الإسلام والقرآن ، ومذهب السلف أسلم ،

لأننا قد نحاول الفهم والتأويل فنخطىء، والخطأ في مثل هـذا المقام خطير لأنه متعلق بالله وصفاته، ولما قال الخلف إن الاستواء في قوله «الرحمن على العرش استوى» بمعنى الاستيلاء، رد السلف عليهم بأن الاستيلاء يستلزم سبق مغالبته تعالى مع غيره، وهـو باطل، وتفسير استوى بمعنى استولى باطل،ولام استولى كنون حنطة، ولام المؤولة كنون اليهود يعنون بذلك أنها تحريف وزيادة لم يأذن بها الله، كما فعل اليهود لما قال الله لهم: «ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة»،فدخلوا زاحفين على أدبارهم يقـولون، حنطة بزيادة حرف النون، فحرفوا السجود إلى الزحف بالأدبار، وحرفوا حطة إلى حنطة، فكانوا محرفين في الفعل والقول.

ويجب أن نقرر في هذا المقام - إنصافا للسلف - أن ماقاله الخلف من التأويل وإجراء المجاز، لم يكن خافيا ولا مجهولا عند السلف، لكنه التورع والتوقف وحب السلامة والسلبية، التي تكون في ظروف لا تدفع إلى الإيجابية كما أنه من الإنصاف للخلف أن نقول: إن ظهور البدع والآراء الضالة ومحاولة إنقاذ العامة من الوقوع في ذلك والتردي فيه، هو الذي شجع الخلف على القول بما قالوا ودفعهم إلى الإيجابية واقتحام الموضوع بجرأة وشجاعة. كما يجب أن نقرر أنه لصعوبة المقام ودقته، كان هناك جلة من العلماء يترددون على المذهبين، ويقولون أحيانا بهذا وأحياناً بذاك فقد كان إمام الحرمين ميالا في أول أمره إلى مذهب التأويل والخلف لكنه عاد أخيرا إلى مذهب التوقف والسلف فقال في الرسالة النظامية «الذي نرتضيه دينا اتباع سلف الأمة فإنهم درجوا على عدم التعرض لها»، وابن برهان وإن قال بمذهب الخلف والتأويل إلا أنه كان يحدد منشأ الخلاف بين الفريقين كالمبرر لها فيقول: هل يجوز أن يكون شيء في القرآن لا نعلم معناه أولا؟ بل يعلمه الراسخون في العلم. وابن دقيق العيد توسط في المشكلة وتأرجح بين اختيار الأسلم واختيـار الأحكم فقال: إذا كان التأويل قـريبا، من لسان العرب واضحاً اخترناه ولجأنا إليه، وإن كان بعيدا غير واضح من لسان العرب توقفنا وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع تنزيه الله عن مشابهة الحوادث

وفي المسألة نمط ثالث من التخريج ينسب إلى متقدمي الخلف، أو متأخري

السلف ، كأنه مولد من الرأيين أو هو شيء بين بين ، حيث يجعل هذا المتشابه صفة سمعية لله ، فيقول له استواء لا كاستوائنا ، ويد لا كأيدينا وعين لا كأعيننا وهكذا ، وفى ذلك من الشبه برأى السلف مالا يخفى فإن السلف يقولون بالاستواء وقد يطلقون عليه لفظ صفة ، والجهل بالكيف قريب فى المعنى من كونه لا كاستوائنا هذا وفى الوقت نفسه يروى السيوطى عن الأشعرى أنه يقول : « إن اليد صفة ورد بها الشرع والذى يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة ، إلا أنها أخص والقدرة أعم ، فإن فى اليد تشريفا لازما ، وفى هذا من الشبه برأى الخلف مالا يخفى .

وذلك كله بشقيه - وفى نظرى - يعتبر واسطة وقنطرة عبور وانتقال بين رأى السلف الخالص إلى رأى الخلف الخالص فإن الانتقال والتطور فى الرأى والتفسير لمسألة دقيقة وخطيرة كهذه ، لا بد أن يكون بالتدريج شيئا فشيئا ، ويعتبر الأشعرى فى منطقة ما بين الخلف والسلف .

وجميع ما أشرنا إليه من السلفيين والخلفيين ، إنما هم جماعة أهل السنة والجماعة ، والمعتزلة لا يقولون بالصفات إطلاقا بالنسبة لله ، فرارا من شبه التركيب فى الواحد من كل وجه ، ويجنحون فى هذه المواقف إلى مذهب الخلف والتأويل والمجاز ، لميلهم دائما أبدا إلى العقلانية ، لأنهم كانوا عادة مشتغلين بالرد على الزنادقة والملحدين وأعداء الإسلام ، الذين يجدر فى الحديث معهم استعمال العقل والفكر ، ومن حيث إن الكلام - أى كلام - إما حقيقة وإما مجازاً ومن حيث إن الحقيقة قد استحالت فى هذا المقام ، فلا بد من القول بالمجاز ، اللهم إلا لو جاز أن يكون هناك كلام لا هو بالحقيقة ولا هو بالمجاز ، وليس . فليس . أما ما يحكى ويروى وينقل عن بعض السلفيين ، من القول بكينونة الله فى السماء كينونة مكان ، ونزوله وصعوده كما يؤخذ من الظواهر غير المرادة من بعض نصوص القرآن والحديث ، فهو إما خطأ فى النقل وتحريف ، وإما خطأ فى الرأى وانحراف .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

د. عبد الغنى عوض الراجحى

التصحيف ومشتبه الأسماء

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

كان من أثر وضع الترقيم ورموز تمييز المعجم أو المبهم من الكلمات أننا نعثر أحياناً على نصوص أو أسماء وضعت لها ترقيمات تميزها وتحدد شكل النطق بها ثم إذا تعمقنا فيها وتابعنا أصولها وحصنا أوجه الاختلاف فى النطق بها بعد تجريدها من العلامات تبين لنا الفرق بين النطق بها بعد الترقيم وقبل الترقيم، وما يترتب على ذلك من تحويل الكلمة من الهيئة المتعارفة إلى غيرها وهو علم جليل وفن مهم.

ولقد تعرض الشوكانى فى (نيل الأوطار) فى حديث مسلم فى قول النبى صلى الله عليه وسلم للأعرابى الذى سأل عن الأعمال فقال: «والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال صلى الله عليه وسلم: أفلح وأبيه إن صدق، فساق كلام الحافظ ابن حجر ونصه: قال ابن عبد البر إنها: غير محفوظة، وزعم أن أصل الرواية: (أفلح والله إن صدق) فصحفها بعضهم ا.هـ. قلت: عندما ناقش ابن عبد البر نجد للأمر وجهين متباينين: الأول أن يكون كلامه متوجها واعتراضه على العبارة مستقيماً وتعليله مقبولا وذلك أن العبارة قبل الترقيم (أفلح والله) إذا جردت من النقط ظهرت كلمة وأبيه مثل لفظ الجلالة (والله) فيكون أصل العبارة (أفلح والله إن صدق) هذا هو الوجه الذى يحمل عليه كلام ابن عبد البر وهو خطأ ممن وضع النقط على نص الحديث ولنا الوجه الآخر المباين لهذا الرأى أن صحيح مسلم كان يروى بالسماع والحفظ منذ كان مسلم يجمعه حديثاً حديثاً ويتلقاه عنه تلاميذه بالسماع الأمر الذى يجعل الضبط والإتقان يمتد إلى المكتوب بعد إعجامه لاسيما وأن هذا الإعجام قام به أولئك الذين رووه بالسماع مذعنين لتوقيف المجيز بالرواية من كبار الحفاظ ممن أجازهم الإمام مسلم رضى الله عنه نفسه مثل أهل بغداد الذين روى عنه جمهور علمائهم وآخر قدومه إليها فى سنة تسع وخمسين ومائتين كما روى عنه محمد الماسرجسى الذى قال: سمعت مسلم بن

الحجاج يقول : صنفت هـذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة وقال الإمام الحافظ الحجة أبو زكريا النووى فى خطبته من شرح صحيح مسلم : فصل فى بيان إسناد الكتاب وحال رواته منا إلى الإمام مسلم رضى الله عنه مختصراً.

أما إسنادى فيه فأخبرنا بجميع صحيح مسلم بن الحجاج رحمه الله الشيخ الأمين العدل الرضى أبو إسحق إبراهيم بن أبى حفص عمر بن مضر الواسطى رحمه الله بجامع دمشق حماها الله وصانها وسائر بلاد الإسلام وأهله، قال: أخبرنا الإمام ذو الكنى أبو القاسم أبو بكر أبو الفتح منصور بن عبد المنعم الفراوى، قال أخبرنا الإمام فقيه الحرمين أبو جدى أبو عبد الله ابن الفضل الفراوى، قال أخبرنا أبو الحسين عبد الله الغافر الفارسى، قال أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودى قال أنا أبو إسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه أنا الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج رحمه الله ثم قال : وهذا الإسناد الذى حصل لنا ولأهل زماننا ممن يشاركنا فيه فى نهاية من العلو بحمد الله فبيننا وبين مسلم ستة، وكذلك اتفقت لنا بهذا العدد رواية الكتب الأربعة التى هى تمام الكتب الخمسة إلخ. ثم أخذ يترجم إسناده مبتدئا بشيخه أبى إسحق إلى الإمام مسلم، ومما جاء فى بعض تراجم هذا الإسناد (وأما شيخ الفراوى فهو أبو الحسين عبد الغافر ابن محمد بن عبد الغافر بن أحمد ابن محمد بن سعيد الفارسى الفسوى ثم النيسابورى التاجر، وكان سماعه صحيح مسلم من الجلودى سنة خمس وستين وثلاثمائة، وذكره ولد ولده أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر الفارسى الإمام المحدث ابن المحدث ابن المحدث صاحب التصانيف كذيل تاريخ نيسابور وكتاب مجمع الغرائب والمفهم لشرح غريب صحيح مسلم وغيرهما فقد كان شيخاً ثقة صالحاً صائناً محظوظا من الدين والدنيا مجدوداً فى الرواية على قلة سماعه مشهوراً مقصوداً من الآفاق، سمع منه الأئمة والصدور وقرأ الحافظ الحسن السمرقندى عليه صحيح مسلم نيفاً وثلاثين مرة وقرأه عليه أبو سعيد البحيرى نيفاً وعشرين مرة وممن قرأه عليه من مشاهير الأئمة زين الإسلام أبو القاسم يعنى القشيرى والواحدى وغيرهما استكمل خمسا وتسعين

والحق أحفاد الأحفاد بالأحفاد ويتصل الأسناد المذكور إلى الإمام مسلم فيقول ابراهيم بن محمد بن سفيان النيسابورى: فرغ لنا مسلم من قراءة الكتاب فى شهر رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين .

إذا ثبت هذا فقد عرفنا أن مثل صحيح مسلم وصحيح البخارى إنما تداولتهما الألسنة قبل الأوراق ولابد عند السماع من موقف يقوم هيئة اللفظ وصورة النطق به .

وقد تصدى أئمة من حذاق هذا الشأن إلى التصحيف فتعقبوا كثيراً مما زل فيه فريق من الناس بلغ من تمييز علماء الرجال إيام أن دعوهم (بالمصحفين) .

من هؤلاء الأئمة الحافظ أبو أحمد العسكرى وأبو الحسن الدارقطنى وهو الذى اعتمد على مصنفه ابن الصلاح فى مقدمته فى الفصل الذى عقده فى التصحيف ، وكذلك ألف فى التصحيف الخطابى وابن الجوزى: قال الحافظ السخاوى فى منهج بحوث التصحيف « لا لمجرد الطعن بذلك من أحد منهم فى واحد ممن صحف ولا للوضع منه ، وإن كان المكثر منه ملوما والمشتهر به بين النقاد مذموما بل إيثاراً لبيان الصواب وإشهاراً له بين الطلاب ، ولهذا لما ذكر الخطيب فى جامعه أنه عيب جماعة من الطلبة بتصحيفهم فى الأسانيد والمتون ودون عنهم ما صحفوه قال : وأنا أذكر بعض ذلك ليكون داعياً لمن وقف عليه إلى التحفظ من مثله إن شاء الله » .

وقول العسكرى : إنه قد عيب بالتصحيف جماعة من العلماء وفضح به كثير من الأدباء وسموا الصحفية ، ونهى العلماء عن الحمل عنهم محمول على المتكرر منه ذلك وإلا فما يسلم من زلة وخطأ إلا من عصمه الله ، والسعيد من عدت غلطاته ، فإذا عرفت أن السماع مدعاة للضبط عرفت أيضا أن الاعتماد على الاوراق وعلى بطون الكتب والصحف والدفاتر مدعاة للخطأ فى النطق والتصحيف والتحيف على هيئات الألفاظ ، ولذلك سمى هؤلاء - أعنى الآخذين من بطون الكتب دون أن يتتلمذوا على أشياخ يوقفونهم - بالصحفيين ، وهم غير المصحفين فالصحفيون هم طلاب العلم من بطون الكتب دون مشيخة ، والمصحفون هم الذين حرموا من المشيخة وحرموا معها ملكة الاستقصاء والتحرير .

وقد كان التوقيف بواسطة الأسانيد السماعية عاصماً من التصحيف في مثل ما اتفق لأبي بكر الصولي حيث أملى في الجامع حديث أبي أيوب مرفوعاً « من صام رمضان وأتبعه ستا » فأملاها (شيأً) وفي مسند أحمد ومعجم الطبراني الكبير من حديث جابر الجعفي عن عمرو ابن يحيى القرشي عن معاوية بن أبي سفيان « لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين يشققون الخطب تشقيق الشعر » والحديث بهذا الإسناد ضعيف من قبل أن جابرا الجعفي مدلس قال (عن) ولم يصرح بالتحديث إلا أن ابن شاهين ذكره في جامع المنصور فصحفه هكذا « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يشققون الحطب (بالمهملة) تشقيق الشعر » بفتح الشين والعين وكان بعض الملاحين يسمعونه فقالوا : يا قوم كيف نعمل ؟ والحاجة ماسة ولنعتذر حيث جعل أبيا في حديث جابر « رمى أبي يوم الأحزاب على أكحله » هكذا أبي بالإضافة وإنما هو أبي بتشديد الياء مصغرا وأبو جابر هو عبد الله بن حرام من شهداء أحد وهي قبل الأحزاب .

وفي علوم الحديث للحاكم عن أبي حاتم الرازي أنه قال : حفظ الله أخانا صالح ابن محمد جزرة فإنه لا يزال يبنطنا (يتحفنا) غائباً وحاضراً ، كتب إلى أنه لما مات الذهلي يعني بنيسابور أجلسوا شيخاً يقال له محمش فأملى عليهم مما أملى حديث « لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس » فقالها بالخاء المضمومة وبسكون الراء .

قال السخاوي : واتفق بعض مدرسي النظامية ببغداد أنه أول يوم إجلاسه - يعني صالح جزرة - أورد حديث « صلاة في إثر صلاة كتاب في عليين » فقال : « كنار في غلس » فلم يفهم الحاضرون ما يقول حتى أخبرهم بعضهم بأنه تصحف على المدرس .

ووقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا سأله : أيضحى بالصبي ؟ فقال له وما عليك لو قلت بالظبي ؟ قال : إنها لغة فقال له عمر : فانقطع العتاب .

وكما وقع التصحيف في هيئات الألفاظ المعنوية وقع في الأعلام والأنساب وذلك مثل غلطهم بابراهيم بن يعقوب الجوزجاني الذي نقل عن ابن حبان أنه

(البقية ص ٨٨٦)

العلم القطعي يتبع سبيل القرآن

للأستاذ محمد السباعي عامر

— ٢ —

الذى لا ريب فيه أن عظمة القرآن الحكيم تتجلى فى إعجازه إعجازا ثابتا متجددا متنوعا غير محدود ، وما أفحم خصومه وقهرهم حين أنزل إليهم إلا جانب واحد من إعجازه المتعلق بأسلوبه البارع الممتاز وبلاغته التى لا مطمع فى محاكاتها والسير على منوالها مع فصاحة المفردات وغيرها من حيث حروفها وترتيبها ، بل وحركاتها وغير ذلك مما جعلهم يخرون لعظمته ساجدين ؛ فتراه يحرص على الجمال اللفظى إلى جانب الإعجاز البيانى وفاء بما تقتضيه البلاغة المتحدى بها فيختم هذه الفاصلة بقوله : « رب موسى وهارون » لتناسب ما قبلها وما بعدها فى حرف مد قبل الآخر ويختم أخرى بقوله : « آمنا برب هارون وموسى » لهذا الغرض نفسه ويقول : « لآيات لأولى الألباب » ، « لآيات لأولى النهى » ، « إن المتقين فى جنات ونهر » بفتح الهاء لتكون رءوس الآيات من قبل ومن بعد على نسق واحد وتبقى وجوه كثيرة أخرى للإعجاز القرآنى يقهر بها غير العرب لأنه لم ينزل إليهم وحدهم بل هو كتاب الزمن كله ودستور الدنيا من عصر النبوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وبهذا ينال كل عصر نصيبه من الإعجاز على اختلاف علومهم ومعارفهم وإدراكهم ، قال تعالى : « وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » ، وقال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » ، وإذاً فللإعجاز نواح متعددة فمنها الإعجاز العلمى والإعجاز البيانى والإعجاز التشريعى والإعجاز التاريخى وغير ذلك ، ومهمتنا الآن تقديم الكلام على الإعجاز العلمى لأنه الآن ألزم وأقوى فى الحجة بالنسبة للمعاصرين ومن بعدهم ؛ لبعدهم من خصائص اللغة العربية وأسرارها وأساليبها ولأن الإقناع بالقوانين العلمية التى أجمع الباحثون من المسلمين وغير المسلمين على صحتها وعدم تخلفها — أقوى فى الحجة وأبعث على الإيمان والاعتراف بالحق .

ولكل عصر وسائله وأساليبه التى تنير الطريق وتهدى السبيل وتنفذ إلى القلوب السليمة المنصفة «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق».

ولا يرتاب الباحث النزيه المخلص فى بحثه أن القرآن مشتمل على كثير من الحقائق العلميـــة الصحيحة فى علوم متعددة، وهو أمر يلزم المنصفين بالاعتراف بأن هذا الكتاب من عند الله تعالى وليس لأحد فيه شىء قل أو كثر، وإلا فمن أطلع هذا النبى الأمى - عليه وعلى آله الصلاة والسلام - على أسرار علم الطب وتدبير الصحة والوراثة، وعلم النفس، وعلم طبقات الأرض، والفلك والنبات والحيوان والتاريخ وغيرها وقد نشأ فى أمة أمية لا تكتب ولا تحسب ولم ينتقل عنها إلى غيرها ليدرس فى معهد أو جامعة ونحن أمام بحور زاخرة فى القرآن الكريم من هذه الحقائق العلمية المسلم بها لا يمكن أن نحصى الكثير من دررها ولآلئها؛ لأنها فوق حساب الحاسبين وتقديرهم؛ ولأن العقول متفاوتة فى استخراج ذلك واستنباطه؛ ولأن الزمن كفيل بتعزيزها والزيادة عليها بما يجعلها أقوى حجة وأسطع برهانا على صدق من أنزل الكتاب ومن أنزل عليه.

ومع هذا فإنا نستمين الله تعالى فى إبراز قليل من هذه الكنوز والذخائر وتوضيحها على الوجه الذى يهـــدى الحائرين ويرشد المسترشدين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم وهو سبحانه الموفق وحده وهو مؤتى الحكمة والمعين عليها، قال الله تعالى: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء» تشير هذه الآية إلى حقيقة علمية مقطوع بصحتها وهى مبنية على أن الإنسان يحيط به غلاف جوى فى الأرض من فوق رأسه ومن جوانبه الأربع، وهذا الغلاف يحدث فى الإنسان ضغطا خارجيا ويقابله ضغط آخر فى داخل جسم الإنسان فإذا ارتفع الشخص ارتفاعا شاهقا بحيث يتجاوز الغلاف الجوى كما هو الحال عند رواد الفضاء، ولم يكن قد احتاط لنفسه بالأجهزة وما يستدعيه الصعود إلى أعلى انعدم الضغط الخارجى واختص الضغط الداخلى بالتأثير القوى؛ فعند ذلك يخرج

الدم من منافذ الجسم كالفم والأنف والأذنين نتيجة لضيق الصدر الشديد وانطباقه . . والقائمون بشحن المعلبات باللحوم والأسماك وغيرها يدركون هذه الحقيقة فيهتمون لتفريغ العلب من الهواء أولا حتى يتمكنوا من ملئها بما يريدون فمعنى الآية إذن : ومن يرد الله إضلاله يجعل صدره فى غاية الضيق المستمر حتى يكون حاله كحاله إذا صعد فى السماء والعلو الشاهق . وقال تعالى: «وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه» لا صلة للآية بتلقيح النبات بواسطة الهواء أو الماء أو الحيوان وإن كانت هذه الحقيقة ثابتة ومشاهدة ولها أدلة ليست هذه الآية الكريمة منها .

بل الآية نص علمى معجز فى تلقيح الرياح للسحاب بشهادة قوله تعالى : «فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه» ، فهذا الترتيب الذى تدل عليه الفاء، والتعقيب المستفاد من الكلام يدلان على خلاف ما يفهم الكثيرون فى الآية ، وأنها فى تلقيح النبات وعلى قولهم هذا لا معنى لقوله تعالى : «فأنزلنا من السماء ماء» إذ الصلة قوية كل القوة بين الجملتين على ما ذكرناه وعلى ما يقتضيه أسلوب القرآن المعجز الذى يقتضى ارتباط سوره وآياته وجمله بعضها ببعض لا تفككها وانفصالها ، فالمعنى المتعين هنا: أن بعض السحب يحمل شحنة من الكهرباء الموجبة وبعض السحب يحمل شحنة من الكهرباء السالبة فتسوق الرياح السحاب بعضه إلى بعض فيتم التلقيح بين السحب باجتماع الموجب والسالب فينزل المطر نتيجة لتفكك باقى السحاب ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : «ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله» ـ والودق ـ هو المطر والمفتاح العلمى لتفسير هذه الآية منحصر فى قوله تعالى : «ثم يؤلف بينه» أى يجمع نوعى السحاب بواسطة الهواء الذى يسوقه بقدرته عز وجل ليخرج به من كل الثمرات فضلا منه ورحمة بعباده رحمة شاملة لطعامهم وشرابهم وغير ذلك .

وقال تعالى: «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون» . تشير هذه الآية إلى حقيقة علمية فى علم تاريخ النحل أجمعت عليها المراجع العربية والفرنجية وسبقها

إليها القرآن الكريم لقرون عديدة، وهى أن النحل كانت تعيش فى الزمن القديم فى الجبال، وكان العسل يسيل منها فيراه المسافرون فى أسفارهم ثم نقلها الإنسان إلى الحضر فاتخذت رءوس الأشجار سكنا لها، وكانت تنتخب من الأشجار ما فيه حفرة بفعل الزمن والعوامل الجوية لتتخذ منها بيوتا لها، ثم نقلها الإنسان بعد ذلك إلى الأبنية والحقول والحدائق وصنع لها الخلايا من الزجاج أو الخشب أو الطين. فانظر إلى الإعجاز العلمى والإعجاز البيانى الذى طوى ما امتلأت به الصفحات الكثيرة فى كلمات معدودة مع الترتيب الزمنى فى مراحله الثلاث:

«أن اتخذى من الجبال بيوتا» أولا «ومن الشجر» ثانيا «ومما يعرشون» ثالثا.

وقال تعالى: «يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث» ترشدنا هذه الجملة القرآنية إلى حقيقة مقطوع بصحتها كما فى علم الأجنة، وهى أن جسم الجنين يحيط به بعد نموه أغشية ثلاثة رقيقة دقيقة تسمى بالأغشية الصماء ومع دقتها لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة: «فتبارك الله أحسن الخالقين» فانظر إلى مزيد عناية الله تعالى ولطفه بخلقه حتى فى بطون أمهاتهم، وهذا السر لم يكتشف إلا قريبا وإن كان بعضهم قد فسر الظلمات الثلاث بظلمة البطن والرحم والمشيمة، والتفسير السابق أدق وأدل على الإعجاز.

وقال تعالى: «فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب» أحسن ما تفسر به الآية الأخرى «يخرج من بين الصلب والترائب» ما ثبت فى علم الأجنة ثبوتا علميا قاطعا وهو أن أصل الكلية اليمنى والخصية الأولى فى الذكر مضغة واحدة. وأن أصل الكلية اليسرى والخصية الثانية فى الذكر مضغة واحدة وفى الأنثى أصل الكلية والمبيض مضغة واحدة، وأصل الكلية الثانية والمبيض الثانى مضغة واحدة وكلما زادت مدة الحمل انكشفت هذه الحقيقة فصارت المضغة الواحدة نصفين النصف الأعلى منهما يكون فى المستقبل كلية وهى تشبه فى شكلها حبة الفاصوليا والنصف الثانى منهما يكون خصية فى الذكر ومبيضا فى الأنثى. وإذا مددنا خيطا ممتدا من الصدر إلى أسفل امتدادا

طوليا أو بعرض الجسم مع شيء من الانحراف وجدنا أن الكليتين تقعان في نصف المسافة بين عظام الصدر وعظام الصلب. وهو ما تصرح به الآية الكريمة «يخرج من بين الصلب والترائب»، وإذا شققنا بطن السقط وسنه أربعة أشهر وجدنا هذه الحقيقة واضحة. وإذا فتحنا بطن السقط وسنه ستة أشهر وجدنا أن كلا من الخصيتين والمبيضين تركا مكانهما وانحدرا إلى أسفل فإذا قربت الولادة أصبحت هذه الأعضاء في مكانها الطبيعي المعروف وقد يتأخر نزول الخصيتين بعد الولادة وتبقيان بالحوض لتنزلا بعد ذلك وهذا في حالات نادرة وتبقى عروق الدم والأعصاب المتصلة بالخصيتين والمبيضين في مكانها المجاور للكليتين، ولهذا لو حدث التهاب في الخصيتين أو المبيضين تبعته آلام في الظهر، فانظر دقة هذا التعبير القرآني الصادق ومسايرته للعلم الحديث المقطوع بصحته والذي لم تصل إليه العلماء إلا قريبا حينما أتقنوا علم الأجنة ووقفوا على عجائبه وقوانينه الدالة على قدرة الله تعالى وحكمته وعلمه وتأمل هذا التعبير الإلهي «يخرج من بين الصلب والترائب»، أي يخرج هذا الماء الدافق من عضو مكانه في تكوين الجنين بين عظام صلب الرجل وصدره وبين عظام صلب المرأة وصدرها..

ومما هو جدير بالذكر أن هذا التفسير نقل عن الحسن كما في حاشية الجمل على تفسير الجلالين نقلا عن القرطبي وهو توفيق عظيم من الله تعالى.

وبعد.. فمن الذي أطلع هذا النبي الأمي - عليه الصلاة والسلام - على هذا السر الذي لم يكتشف إلا في العصر الحديث - إنه الله عز وجل.

فالقرآن إذاً كلام الله تعالى وحده الذي أنزله لا ليعجز العرب وحدهم بل ليعجز علماء الدنيا كلها مجتمعين في كل زمان وفي كل مكان «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب».

محمد السباعي محمد عامر

لمحات من نظام القضاء في الإسلام

للأستاذ عمر الفاروق عبد الحليم

- ٦ -

كيفية القضاء فى الدعوى المدنية

أول ما يعرض فى بيان كيفية القضاء فى الدعوى المدنيـــة هو : كيف ترفع الدعوى إلى القاضى ، ونحيل فى ذلك إلى ما فصلناه فى الحـديث عن الركن الثانى « فى المقضى له والمقضى عليـه » ففيـه الـكفاية فى بيان كيف كانت الدعوى ترفع إلى النبى عليه الصلاة والســلام ولا نعيد القول فى ذلك ، وإنمـا نـكرس هذا المقال للموضوع الآخر من كيفية القضاء وهو « الاستدلال » .

ومن الطبيعى ألا يعـرض البحث فى كيفية الاستدلال على الحـق وإثباته إلا حين يجحد المدعى عليه ما يطالب به المدعى ؛ لأن الإقرار بالحق ينهى الخصومة فيه . وأما عند الجحود والإنكار فقـد أرسى النبى عليـه الصلاة والسلام القاعدة الأساسية فى الإثبات ، قاعـدة ما تزال تـتردد فى أكثر التشريعات إلى وقتنا هذا ، إن لم نقل كلها ؛ وذلك لأنها صالحة لـكل زمان ومكان ، وذلك فيما ورد فى الصحيحين وذكره أصحاب السنن وغـيرهم ، بروايات متقاربة ، وأسانيـد متعددة . نختار منها ما نقـله النووى فى شرح صحيح مسلم « ما جاء فى رواية البيهقى وغيره بإسناد حسن أو صحيح ، زيادة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى قوم دماء قوم وأموالهم . ولـكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر » .

قاعـدة أساسية من قواعـد الشرع . وميزان حكيم للأمور . تتكافأ به فرصة الدفاع عن الحق ، وتتساوى بين الخصوم تساويا حقيقيا . فالذى يدعى بحق يجحده المطلوب عنده ، يتحصن بالبينة . إن جاء بها ثبت حقـه وقضى له فإن لم يجدها ، ومن المعاملات ما يكون خاصا بين طرفيه فلا تتوافر عليه البينة ؛ فله يمين المدعى عليه ، إن حلف فقـد حصن ماله وأبرأ

ذمته . وإن نكل عن اليمين . فذلك قرين الإقرار ، يستحق به الطالب ما يطلب والذى تتوجه إليه المطالبة ، لا يلتزم بمجرد الطلب يوجه إليه ، بل ولا يكفى لإلزامه يمين المدعى نفسه ، بل لابد إلى جانب المدعى من شاهدى عدل ، بريئين من مظنة الانحياز ، متجردين من المصلحة يقسمان بقيام حق الطالب فى ذمة المطلوب.

يروى الإمام الشوكانى فى نيل الأوطار من حديث وائل بن حجر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمن ادعى أرضا فى يد آخر يزرعها : « شاهداك أو يمينه ليس لك منه إلا ذاك » .

وهكذا كانت البينة ، أو شهادة الشهود فى لغتنا . هى الأصل العام فى الإثبات ، والدليل ذا القوة المطلقة ، المقبول على كل حق بلا حدود ، وكان ثمة أدلة أخرى ، منها الكتابة ، ولكنها تأتى فى المرتبة الثانية ، وهذا ملمح آخر من ملامح نظام القضاء فى الإسلام . يخالف المألوف حديثاً من الاعتماد على الكتابة أولا ، وجعلها ذات قوة غير محدودة ، والإبقاء ، بعدها ، على شهادة الشهود ، بقيود وحدود .

ولكل من النظامين حجته ومبرراته، وحسبنا هنا أن نشير إلى أن إعطاء الأولوية لشهادة الشهود كان يتفق وحالة المسلمين فى صدر الإسلام ، فهم شعب عربى، يحفظ فى الذاكرة أقوى وأكثر مما يقرأ فى الصحف . الحفاظ منهم كثرة ، والكاتبون قليل ، وأدوات الكتابة ووسائلها غير ميسورة . فلم تكن الأولوية عندهم، كما عندنا اليوم، لصحائف الورق ومتنوع الأحبار والأقلام ، بل الصحائف يومئذ رقاع من الجلد أو ألواح من العظم أو قحاف النخيل ، والحبر ما يترك أثراً ظاهراً كالسفاج ، وليست الأقلام دون ذلك سهولة أو يسرا ، فى مجتمع كهذا ، لاغرو أن تكون الأولوية فى الإثبات للشهادة وبذلك يتحقق ما قدمنا به لهذه الدراسة. فى المقال الأول من أن القضاء يتبع حالة المجتمع ودرجة تطوره، ويستجيب لظروف العمران البشرى ، بداوة وحضارة وهكذا كان ترتيب وسائل الإثبات: البينة . ثم اليمين . ثم الكتابة ، ونعرض لكل منها ببعض التفصيل.

أولا : شهادة الشهود أو البينة:

البينة المعتبرة شرعاً : هى شهادة الرجلين

المسلمين العدلين ، وتجوز شهادة الرجل والمرأتين فيما تجوز شهادة النساء فيه ، إن لم يكن رجلان يتحملان الشهادة . فالتعدد والذكورة والإسلام دليلها فى الكتاب قول الحق تبارك وتعالى فى سورة البقرة: « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء » وقوله فى سورة الطلاق: «وأشهدوا ذوى عدل منكم». وأما العدالة فهى لاشك شرط لصحة الشهادة ، وإنما اختلف هل تثبت للمسلم لمجرد الإسلام أم يجب على القاضى التحقق منها فى كل شاهد، والذى نراه هو وجوب التثبت من عدالة الشاهد استقلالا .

يقول القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن أن قول الحق تبارك وتعالى فى وصف الشهود «ممن ترضون من الشهداء» يجىء منه أن من الشهداء من لا يرضى . وأن الناس ليسوا محمولين على العدالة حتى تثبت لهم ، ولأن الشهادة ولاية عظيمة ومرتبة منيفة وهى قبول قول الغير على الغير ؛ فقد شرط الله سبحانه وتعالى فيها الرضا والعدالة . فمن حكم الشاهد أن تكون له شمائل ينفرد بها وفضائل تزكيه حتى تكون له مزية على غيره وتوجب له تلك المزية رتبة الاختصاص بقبول قوله وبشغل ذمة المطلوب بشهادته .

وإذا كان الإمام أبو حنيفة يرى أن يكتفى الحاكم بظاهر العدالة من المسلم ولا يسأل عن حال الشهود حتى يطعن الخصم ؛ لأن الظاهر فى المسلم هو الانزجار عما هو محرم شرعاً ، وبه الكفاية ؛ إذ لا وصول إلى القطع .. فإن القرطبى يرى أن هذا القول ضعيف فى بابه ؛ لأن الله سبحانه وتعالى شرط الرضا والعدالة ، وليس يعلم كونه عدلا مرضيا بمجرد الإسلام ، وإنما يعلم ذلك بالنظر فى أحواله . ولا يغتر بظاهر قوله أنا مسلم . فربما انطوى على ما يوجب رد شهادته . ويحتج لذلك بقول الحق تبارك وتعالى فى سورة البقرة « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد»

والعدالة : هى الاعتدال فى الأحوال

الدينية ؛ وذلك يتم بأن يكون مجتنبا الكبائر محافظا على مروءته وعلى ترك الصغائر ، ظاهر الأمانة . غير مغفل .

وإذا كان هذا شأن العدالة ، وكان التثبت منها واجبا على القاضى، فقد أجاز بعض العلماء - فى تاريخ لاحق - للإمام أن يقيم للناس شهوداً ويجعل لهؤلاء الشهود من بيت المال كفايتهم ، فلا يكون لهم شغل إلا تحمل حقوق الناس، حفظا لها . يقول القرطبى فى الجامع : فإن قيل هذه شهادة بأجر قلنا : إنما هى شهادة خالصة، ومن قوم استوفوا حقوقهم من بيت مال المسلمين كالقضاة والولاة وعمال جميع المصالح التى تعن للمسلمين .

وقد بين الرسول الكريم من ترد شهادتهم ولا تقبل ، فقال ، فيما أخرجه أبوداود والترمذى فى سننهما من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ، ولا زان ولا زانية ، ولا ذى غمر على أخيه (أى فى نفسه حقد عليه) ، ولا مجلود فى حد ولا مجرب فى شهادة زور ، ولا القانع لأهل البيت (أى التابع لهم : كالأجير والوكيل) ولا ظنين فى ولاء ولا قرابة» ولذلك قال الفقهاء بوجوب رد كل شهادة جرت للشاهد مغنما أو رفعت عنه مغرما

ثانيا : اليمين

قدمنا أن اليمين صنو البينة . وهو يعدلها ويساويها فى قوة الإثبات ، فهو دليل من لا بينة له. وهو الدفاع الأخير للطالب « بينتك أو يمينه ، ليس لك منه إلا ذاك » فهو يوجه إلى المدعى عليه . إبراء لذمتــــه من الحق المطلوب ، ويمكن القول أن اليمين التزام على المدعى عليه إذا طلبه المدعى، ولكنه ليس حقا للمدعى عليه يحلفه إذا شاء لتبرأ ذمته من الحق المطلوب ، إلا أن يقر بصحة الحق ، أو يثبت الحق عنده ببينة المدعى ولكنه يدعى الوفاء به ، فهو هنا يكون مدعياً وتلزمه البينة على الوفاء، فإن أعوزته كان له أن يوجه اليمين إلى المدعى الأصيل بأنه لم يستوف حقه.

ولأن اليمين حاسمة للنزاع وفيها معنى احتكام الخصم إلى ضمير خصمه ؛ ولأن الإسلام يهدف إلى خلق المجتمع الصالح من خلال الأفراد ذوى الضمائر الحية الصادقة؛ فإن الرسول عليه الصلاة والسلام

قد شدد النكير على من يحلف يمينا يستحق بها مال امرىء مسلم بغير حق، روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف يمينا كاذبة ليقتطع بها مال امرىء مسلم. ورجل منع فضل ماء، فيقول الله له: اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل مالم تعمل يداك».

وكذلك ينقل الشوكانى فى نيل الأوطار من حديث الأشعث بن قيس أنه قال: خاصمت ابن عم لى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر كانت لى فى يده، فقال النبى عليه الصلاة والسلام: «بينتك على أنها بئرك. وإلا فيمينه» فقلت: مالى بينة، وخصمى امرؤ فاجر، يحلف ويذهب بمالى ولا يبالى. قال صلى الله عليه وسلم: «من اقتطع مال امرىء مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان».

ثالثا: الكتابة

والكتابة هى الوثيقة المثبتة للحق، لتقوم حجة على المدين عند الإنكار.

وإذا كانت الكتابة اليوم هى حجر الأساس فى نظام الإثبات؛ فإنما ذلك لما يتميز به عالمنا من تشابك المعاملات مع انتشار التعليم وتيسير الكتابة، وتوافر وسائلها.

ولقد قدمنا أن الأمر لم يكن كذلك دائما، وهو لم يكن كذلك وعلى الأخص فى صدر الإسلام، وفى تلك الحقبة التى نعرض لها من قضاء المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ومع ذلك فلم تكن الكتابة مغفلة تماما، وإنما كان لها مكان فى الإثبات ولكنها كانت فى الدرجة الثانية بعد البينة بل كانت وسيلة لتأييد البينة ودعمها.

وذلك ما يستفاد من سياق الآية الكريمة من سورة البقرة (٢٨٣) حيث تبدأ بقول الحق تبارك وتعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه»، ثم يمضى السياق فيعطف الأمر بالإشهاد على الأمر بالكتابة «واستشهدوا شهيدين من رجالكم». وإذ تمضى الآية الكريمة فى البيان نكاد نلمح من تتابعها مدى ما فى الأمر بالتزام الكتابة من مشقة وحرج، وأن الكتابة إنما هى وسيلة لتقويم الشهادة. ومرادف

لها . « ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا » . بل إن مساق الآية الكريمة بعد ذلك يمضى إلى التخفيف أكثر ، إلا أن ثمة مندوحة عن الكتابة تماما ؛ إذا كان بين المتداينين تجارة حاضرة ، وأن الإشهاد هو الأصل فى سائر المعاملات « إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم . فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد » .

وقد نقل القرطبى فى الجامع من حديث الضحاك أن النبى صلى الله عليه وسلم باع وكتب كتابا عن البيع . قال : ونسخة كتابه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشترى منه عبدا ـ أو أمة ـ لاداء ولا غائلة ولا خبثة . بيع المسلم المسلم » والمعنى : لاداء : أى ليس فيها عيب يخفى أو علة باطنة لا ترى . والغائلة : الإباق والسرقة والزنا ، والخبثة بيع أهل عهد المسلمين . والمعنى العام أن المبيع مبرأ من العيوب ظاهرة وخافية ، وأن البيع موافق لأصوله الشرعية . وهى معان تدور فى أكثر سندات البيع إلى يومنا هذا.

تلكم هى أهم طرائق الإثبات من لدن عهده صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، تقوم إلى جانبها طرق أخرى أقل أهمية وأدنى درجة فى الاستدلال . من ذلك المعاينة وندب أهل الخبرة ، ولم يكن ذلك مجهولا فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام ، ولقد قدمنا من أمثلته فى مقال سابق ما روى ابن عبد البر فى الاستيعاب أن داراً كانت بين أخوين أقاما فيما بينهما جداراً ، ثم توفيا واختلف العقبان لمن الجدار ، فبعث النبى صلى الله عليه وسلم حذيفة اليمانى قاضيا بينهما فقضى بالجدار لمن وجد معاقد الحبال التى تشده فى ناصيته وأقره النبى على ذلك .

ومن الكتاب من رأى أن النبى صلى الله عليه وسلم سن فى قضائه طرائق أخرى أو أقر ما كان قائما منها فى الجاهلية ، من ذلك القضاء بالقرعة أو الاستهام ويحتجون لذلك بالآية الكريمة من سورة الصافات عن سيدنا يونس : « إذ أبق إلى الفلك المشحون . فساهم فكان من المدحضين » أى قارع فكان من المغلوبين إذ وقعت

عليه القرعة . ويمثلون لذلك بما رواه أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم عرض اليمين على قوم فأسرعوا فأمر أن يسهم بينهم : أى تجرى بينهم القرعة أيهم يحلف . وما رواه بأن رجلين ادعيا دابة وليس لأيهما بينة ، فأمرهما الرسول أن يسهما على اليمين ، وإن كنا نرى من إمعان البصر أن القضاء قضاء باليمين، لعدم قيام البينة لأى من المتنازعين وإنما كان الاستهام على اليمين لبيان من يحلف وليس استهاما على الشىء محل النزاع من يستحقه.

وأخيرا . فما يجوز أن تنتهى هذه المقالات من ملامح قضاء الرسول عليه الصلاة والسلام دون أن نشير فيها إلى نظام من أهم معالم نظام القضاء الإسلامى، يأتى بيانه فى موضع آخر ، هو «ولاية المظالم» نظام ما أظن أن له مثيلا فى نظمنا المعاصرة فيه يكون البحث عن الحق المطلق ، وليس الحقيقة الموضوعية النسبية ، عن العدالة الشاملة ، وليس مجرد العدل بين اثنين ، فنقول إن أسس ولاية المظالم مستمدة من بعض أمثلة هدى النبى عليه الصلاة والسلام فى قضائه ، ونجتزىء لذلك بمثالين :

المثال الأول : ما عرف فى السنن والصحاح تفقيه هند : فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت هند بنت عتبة ، امرأة أبى سفيان ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بنى إلا ما أخذت من ماله بغير علمه ، فهل على فى ذلك من جناح ؟ فقال النبى : « خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك » فهنا ولاعتبارات قدرها النبى حق قدرها ، فقد جرى قضاؤه بغير إجراءات ولا طلب إثبات ولا سماع قول المحكوم عليه ، على القول بأن عمل الرسول فى هذه الواقعة قضاء لا فتيا .

والمثال الثانى لرد المظالم رواه أبو داود فى سننه : أن رجلا كان له نخل فى حائط رجل من الأنصار (أى بستان له) فسبب له كثيرا من المضايقة ، فطلب إليه أن يبيعه فأبى ، وطلب إليه أن يناقله (أى يبادله بنخل آخر خارج بستانه) ، فأبى ، فأتى الأنصارى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فطلب إليه النبى أن يبيعه إياه ، فأبى ، فطلب إليه أن يناقله ، فأبى ، فقال

له : « إنما أنت مضار ، وأمر الأنصارى بأن يخلع هذا النخل .

وبعد . فلقد كانت هذه السلسلة من المقاولات محاولة للاقتراب ، بمجرد الاقتراب ، من هدى الرسول الكريم الهادى وسنته فى قضائه . أردنا بها ونحن على أبواب تنظيم جديد لبلدنا ، أساسه كما قال قائده وزعيمنا الرئيس محمد أنور السادات ـ العلم والإيمان ، وإحياء الماضى المشرق ، والأخذ بأسباب الإسلام ، ووضع قواعد الشريعة الحنيفية فى مكانها الصحيح ، مصدرا أساسيا للتشريعات ، أردنا بمحاولتنا ـ فى هذه الظروف التاريخية ـ الإسهام : بمجرد الإسهام ، فى التعريف بهذا الصرح الشامخ من معالم الدولة الإسلامية منذ أقامها الرسول النبى الأمى عليه الصلاة والسلام ، وإنا لنرجو أن تتاح لنا مساهمة أخرى فى هذا الموضوع الذى يحتاج إلى كل جهد مخلص ، وحسبنا من هذا الجهد كله أن يكون ، طاعة لله وقربى للرسول ؟

عمر الفاروق عبد الحليم

(بقية المنشور على ص ٨٧٣)

قال فى ترجمته (الجريرى) (إنه جريرى المذهب ولم يكن داعية) قال الحافظ ابن حجر : ولم ينسبه ابن حبان لمذهب محمد ابن جرير الطبرى وإنما نسبه إلى مذهب حريز بن عثمان وهو بالحاء المهملة ثم راء ثم زاى ولو لم يكن فى هذا إلا مخالفة التاريخ لكفى فإن ابراهيم المذكور فى طبقة شيوخ محمد بن جرير وكانت وفاته بعد مولد ابن جرير بأربع وعشرين سنة فكيف يكون على مذهب من هو فى عداد شيوخه ؟ .

وفى الأسماء من ذلك مالا يحصى كالأيلى والأبلى والإبرى والأترى والأبيارى والأنبارى وابن الأبتر وابن الأثير وحاتم وبهاتم ، وحرب وكل شىء فى العرب (حرب) إلا فى مذحج فإنه (حرب) ابن فظة ثم حرث بن حجرة وكذلك خارم وحازم ورياح ورباح .

وعبثر بن القاسم وعنبر بن محمد العاقولى وعنبر بن يزيد البخارى وعياش وعباس فإن هذه الأسماء وغيرها مالا يحصى يمكن أن يلتبس على من لم يجد موقفاً ؟

محمد نجيب المطيعى

العَربيّة لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

١٣ – لغة القوة والنماء

تعرضت العربية لمحن عديدة كانت كل منها كفيلة بالقضاء على أى لغة وإن اتسمت بالسمو والازدهار؛ ولكن اللغة العربية ظلت حية نامية متجددة أكثر من ستة عشر قرنا؛ وإن ضعفت فى بعض الأحيان فإنها سرعان ما كانت تتغلب على عوامل الضعف والانهيار وتنتفض قوية فتية بما فى طبيعتها من عوامل الحيوية والنماء؛ فلا تلبث أن تنهض لتؤدى دورها فى ركب الحضارة والعمران؛ وما من لغة فى العالم - غير العربية - استطاعت أن تعمر أكثر من بضعة قرون ثم لا تلبث أن تتمزق إلى عدة لغات أو يبعد ما بينها وبين أصولها من صلات.

ولقد كانت العربية فتية مزدهرة فى صدر الإسلام بعد أن شرفت بحمل القرآن الكريم. ولكنها تعرضت لمحنة قاسية عنيفة كادت تمزقها شر تمزيق، فقد انتشر العرب فى أقطار شاسعة بين أغلبيات ساحقة ذات لغات مختلفة وحضارات متباينة فتطرق الفساد إلى لغتهم وشاعت فيهم الأخطاء؛ ثم انهمر على الجزيرة العربية سيل من الأجانب ومن الجوارى والغلمان حملوا معهم عجمتهم فنشروا الأخطاء والعجمة وانتقلت من ألسنتهم إلى ألسنة العرب حتى كادت تتسرب إلى لغة القرآن الكريم مما حمل الإمام عليا رضى الله عنه إلى أن يشير على أبى الأسود الدؤلى بوضع ضوابط لتقويم اللسان وتبعته جمهرة من أفذاذ العلماء وضعوا ضوابط النحو والصرف لحفظ اللسان العربى المبين، واضطر خلفاء بنى أمية لإرسال أبنائهم ليشبوا بين القبائل المتبدية فى أعماق الجزيرة العربية خوفا على ألسنتهم من الفساد.

وتفشى اللحن حتى جرى على ألسنة البلغاء من الخطباء والشعراء الموهوبين

فى القرن الأول من الهجرة . ولقد روى لنا الجاحظ فى كتابه (البيان والتبيين) وابن قتيبة فى كتابه (عيون الأخبار) أمثالا عديدة من هذه الأخطاء ، وأول ما ظهر ذلك فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث لحن رجل بحضرته فقال: أرشدوا أخاكم ، وكان صهيب الصحابى يرتضخ لكنة رومية لأنه رومى الأصل ، وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية مع أنه عربى صميم ، ولكنه تأثر بزوج أمه ، وممن اشتهر باللحن زيادة النبطى وله عذره لأنه غير عربى - وإن كان قد نشأ بين العرب - فكان يقول لغلامه « من لدن دأوتك (دعوتك) إلى الآن ما كنت تصنأ (تصنع) ؟ » ، وقال غلام زياد له : لقد أهدوا لنا همار وهش (حمار وحش) وإذا كان للأعاجم عذرهم فما عذر العربى الصميم ؟ فقد كان الحجاج - وهو خطيب مصقع - يقع فى اللحن أحيانا ، قال مرة لابن يعمر : أتسمعنى ألحن فقال - فى أدب جم - ألا ربما سبقك لسانك ببعضه فى آن وآن ؛ وأخذ النقاد على ذى الرمة الشاعر المشهور قوله :

أذو زوجة فى المصير أم ذو خصومة
أراك لها بالبصرة العام ثاويا ؟

فالأصمعى يصر على أن الصحيح زوج لا زوجة وله سنده من القرآن الكريم كما أخذوا على الفرزدق الشاعر الكبير قوله : .

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحتا أو مجلف

وقد نبه الرواة إلى الخطأ فى ضم كلمة مجلف وأن الصواب فتحها ، فأجابهم فى صلف وكبرياء . على أن أقول وعليكم أن تعربوا ! وممن اشتهر باللحن - على الرغم من أنه خطيب مرموق - خالد بن عبد الله القسرى فهجاه ابن نوفل الحميرى بقوله :

وألحن الناس كل الناس قاطبة
وكان يولع بالتشديق فى الخطب

وكان عبد الملك بن مروان يبذل جهدا فائقا لكى يتجنب اللحن ، قيل له مرة : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين فقال: شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن ، أما ابنه الوليد فكان كثير اللحن لا يكاد كلامه يسلم منه ، حضر مجلسه عمر بن عبد العزيز فسمعه يقول لغلامه : ادع لى صالح فقال الغلام ياصالحا ، فقال له الوليد: أنقص ألفاً ، فقال له عمر : وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا .

وفشا اللحن فى الدولة العباسية لكثرة من دخل فيها من الأعاجم حتى أضرب علماء اللغة عن الأخذ بقول أى عربى صميم عاش فى ظل هذه الدولة لفساد الألسنة فيها وبخاصة بعد أن استبد الفرس والأتراك بالسلطان ؛ وإلى هذه العجمة المتفشية أشار المتنبى بقوله :

ملاعب جنـــة لو سار فيها
سليمان لسار بترجمان

وأصبح العرب قلة قليلة فى الدولة الإسلامية واستبد الموالى بالسلطان ولو سارت الأمور على طبيعتها لاندثرت اللغة العربية كما اندثرت قبلها الهيروغليفية والإغريقية واللاتينية والأشـــورية والفينيقية وغيرها من اللغات .

ولكن القرآن الكريم ببيانه المعجز وأسلوبه المفحم ونهجه القويم جذب قلوب المسلمين جميعا إليه وفرض اللغة العربية عليهم فرضا ويسرت اللغة العربية أمر اجتذاب المسلمين جميعا إليها بما فيها من حيـــوية ومرونة وطواعية ورقة وعذوبة فاجتازت المحنة وخرجت منها قوية مزدهرة مما أتاح لها السيطرة على معظم بقاع العالم المعروف فى زمانها ، ومما مكن لها من استيعاب علوم الأولين وفنونهم وحضاراتهم من إغريق ورومان وفرس وهنود .. وامتدت ثقافتها فشملت القارات الثلاث : إفريقيا وآسيا وأوربا وأصبحت لغة العالم الأولى عدة قرون .

ونشط علماء اللغة فوضعوا لها القواعد والضوابط الدقيقة التى عصمتها من طوفان اللغات الدخيلة ؛ ولقد بدأ هذا الجهد الكبير فى عصر الإمام على رضى الله عنه على يد أبى الأسود الدؤلى كما ذكرنا ، وما كاد القرن الثانى ينتهى حتى كانت أسس هذه القواعد والضوابط مدونة مدروســـة مسجلة فى أمهات الكتب والرسائل من علوم الصرف والنحو والبلاغة ومتن اللغة وفقه اللغة ، فضلا عن دواوين فحول شعراء الجاهلية والإسلام هذا إلى جانب كتب التفسير والمذاهب الفقهية وأصول الفقه وأمهات كتب الحديث مما يكاد يكون طفرة لا نجد لها نظيرا فى تاريخ اللغات القديمة والحديثة على السواء .

* * *

وتعرضت العربية لمحنة أقسى وأشد من المحنة الأولى فى عصر الأتراك والولاة

حيث فقد العرب سلطانهم وتفرقت وحدة الأمم الإسلامية ووقع معظمها فريسة للاستعمار ، وأصبح كثير من حكام الدول الإسلامية أعاجم لا يحسنون العربية وضاع العرب فى غمار الشعوب الأخرى وتسربت إليهم العجمة وطماسيلها جيلا بعد جيل ؛ وبدأت المحنة منذ القرن الرابع الهجرى واشتدت ضراوتها حتى كادت تفسد اللسان العربى المبين، وظلت ضراوتها تشتد حتى العصر الحديث ـ ذكر ابن الرقيق أن بعض مشهورى الكتاب بعث برسالة إلى صديق له يقول فيها :

« يا أخى ومن لا عدمت فقده ، قد أعلمنى أبو سعيد كلاما أنك ذكرت أنك تكون مع الذين تأتى ، وعاقنى اليوم فلم يتهيأ لنا الخروج، وأما أهل المنزل الكلاب من أمر الشين فقد كذبوا ، هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا ، وكتابى إليك وأنا مشتاق إليك إن شاء الله » وزاد الطين بلة طغيان السجع والمحسنات البديعية حتى أصبح الأسلوب العربى أشبه بالطلاسم والألغاز ، وتفاخر الكتاب بقدرتهم على حشد ما استطاعوا من ركام هذه المحسنات، قال ابن الأثير : « كنت سمعت بكاتب من الكتاب كلمه إلى غثاثة، وقلبه بغاثة لا يستنسر وأى بطش لبغاثة؟ وإذا كشف خاطره وجده بليدا لا يخرج عن العمه والكمه ، وإن رام أن يستنتجه فى حين من الأحيان قضى عليه بغرة عبد أوأمة ، وإذا كان ما ذكره هو غاية بلاغية فكيف بمن عاب عليه غثاثته ؟ وهذا مهد لانتشار العامية وشيوعها حتى فى الكتب العلمية كتاريخ ابن إياس و الجبرتى واليعقوبى وغيرهم ، وأصبحنا بحاجة إلى من يترجم لنا بعض العبارات الشائعة فى هذه الكتب وأمثالها؛ لأن العامية تتغير جيلا بعد جيل ، ومن الكلمات الشائعة فى هذه الكتب التى لا يعرفها إلا قليل من المختصين طائفة نضربها على سبيل المثال وإن كان حصرها عسيراً ؛ لأنها تتجاوز الآلاف :

الجامكية : مرتبات الجند . الصنجق : المحافظ. الفلق: مقر الشرطة. الشاجرتية: المثقفون. القلقة : معلم الصنعة. الداورات: السفن التجارية . البصاص : البوليس السرى . البيرشانة : العمامة . الجى : السفير . الخشخانة : السلاح . اليسق : الحرس . البرق : السوار .

ولانتشار الجهالة بين الولاة والحكام أصبحت لغة الدواوين لا تمت للعربية بسبب إلا ببعض الكلمات وصور الحروف ولطغيان الظلم والظلام فشا التعصب حتى كاد يقضى على وحدة الدين فضلا عن اللغة، فانقسم المسلمون إلى شيعة وسنة، وإلى معتزلة وأشاعرة، وإلى المتحدثين والمتصوفين، وتعصب أتباع كل مذهب من المذاهب الفقهية لمذهبهم حتى تلاحقت فتن عديدة بين أتباع هذه المذاهب، ورأى كل أصحاب مذهب أن ما عداه باطل ولجوا فى الغلو والمبالغة حتى صرح الكرخى من متأخرى الحنفية بأن: «كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ»، وبهذا أصبح باب الاجتهاد مغلقا، وتحجرت العقول حتى نادى البابلى كما ورد فى الجزء الرابع من خلاصة الأثر ص ٤١: «أن التأليف من ضياعة الوقت فإن الإنسان إذا فهم كلام المتقدمين الآن واشتغل بتفهيمه فذاك من أجل النعم وأبقى لذكر العلم ونشره».

وتغالى بعض حكام الأتراك ولج فى غلوه حتى كاد يحرم استعمال اللغة العربية لأنه يجهلها كل الجهل، وما كان يسمح لعربى أن يلى منصبا كبيرا بل وقف هذه المناصب كلها على الأتراك، ولهذا أصبحت اللغة التركية صاحبة السيادة فى الدواوين والمنشورات والرسائل والمعاهدات، قال الشيخ المهدى فى مذكرات الأدب التى صنفها لتلاميذه فى مدرسة القضاء الشرعى: «كانت اللغة العربية مضطهدة فى عهد عباس الأول إلى حد أن من تكلم بها من طلبة المدارس الحربية توضع فى فمه العقلة التى توضع فى فم الحمار حينما يقصون شعره ويبقى كذلك نهارا كاملا عقوبة له على تحريك لسانه بلغة القرآن العزيز أثناء فسحته».

وجاء الاستعمار الانكليزى فى مصر والعراق والفرنسى فى شمال إفريقيا وسوريا ولبنان فأصبحت الانكليزية والفرنسية لغتى الثقافة والتعليم، وبذل رجال الاستعمار جهودا طائلة لإحلال العامية محل اللغة العربية للقضاء عليها القضاء الأخير وقد أشرنا إلى هذا بإيجاز فيما سبق من الفصول.

وظل هذا الصراع العنيف قائما إلى عهد قريب؛ فأى لغة من لغات العالم

المعروفة استطاعت أن تصمد أمام هذه المحن المتلاحقة والأوبئة المتوالية مئات السنين ؟ إن اللغة التي تستطيع أن تتغلب على هذه الأزمات وأن تجتاز هذه العقبات وأن تخرج من هذه النكبات المدمرة قوية فتية مزدهرة ؛ لهي لغة جديرة بالبقاء ، حرية بالخلود .

* * *

واستطاعت اللغة العربية أن تنهض بأعباء ثقال لا تستطيع أن تتحملها أقوى اللغات ، فإن اللغات العبرية والسريانية والآرامية والإغريقية لم تستطع أن تنهض بالأسفار المقدسة للعهد القديم والجديد ، ولم تلبث أن أسلمت أثقالها إلى اللغات الأخرى لتعاونها في حمل هذه الأسفار وأدائها إلى العالم ؛ وبهذا تعرضت للتصحيف وسوء الفهم وضعف الترجمة ، أما العربية فقد استطاعت أن تستقل بحمل القرآن الكريم وأدائه نقيا كاملا صحيحا إلى العالم كله في أسلوب قوي مبين . والقرآن الكريم معجزة كبرى تحدى الله بها العالم كله من الإنس والجن على السواء وحكم بأنهم « لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وكما أن إعجازه يتجلى في أسلوبه البلاغي فإنه يتجلى أيضا في تشريعه المحكم الشامل لمصلحة الأفراد والجماعات والشعوب والدول كما يتجلى فيما يضمه من إشارات علمية وقضايا فلسفية واجتماعية لم يكن العالم بها عهد من قبل ، واستطاعت اللغة العربية بما فيها من قوة وحيوية ومرونة أن تؤدي هذه الدلالات كلها أبرع أداء على الرغم من أنها كانت لغة بداوة وأمية ولم تعرف إلا قليلا من مقومات الحضارة والعمران ومن معجزاته أنه حفظ اللغة العربية وضمن لها البقاء والخلود ، والقرآن الكريم أخذ من العربية ألفاظها وأساليبها ولكنه أعطاها دفعة قوية وحيوية مطلقة ظلت تجدد قواها وستظل تجددها مدى الحياة .

فقد حرر العقول من تقليد الآباء والأجداد فانطلقت علقة في أسمى الآفاق وعاب على المشركين أنهم « ألفوا آباءهم ضالين . فهم على آثارهم يهرعون » كما حررها من أتباع الطغاة من الرؤساء والحكام وجعل كل نفس بما كسبت رهينة بحيث لا تزر وازرة وزر أخرى ، وبهذا حدد الحقوق والواجبات ، قال تعالى : « وقال

الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ، وذلك « يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا » كما دعا العقول إلى التأمل « في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » ، وأيقظ العقول بما ساقه من الأمثلة والأدلة العقلية ، وأثار البصائر بما ساقه من تاريخ الرسل والأمم والملوك ، وفتح مجال التفكير على أوسع نطاق وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ونوه بالعلماء وجعلهم في مصاف الملائكة حيث قال : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » وبهذا استطاعت العربية أن تخرج من البداوة إلى الحضارة ومن الجهالة إلى العلم ومن الإقليمية إلى العالمية واستطاعت أن تستوعب فلسفة الإغريق وفن الرومان وحضارة الفرس ومدنية الصين ؛ ولم يقف الجهد عند الترجمة والنقل ، بل اتجه الجهد كله إلى البحث والتجربة والإبداع ، وبهذا أصبحت اللغة العربية اللغة العالمية الأولى قرونا عديدة لأنها أصبحت المرجع الأول للعالم كله في العلوم والفنون والفلسفة والآداب إلى جانب رسالتها الروحية الخالدة وقد تحدثنا عن هذا فيما سبق بما فيه الغناء .

وتعرضت اللغة العربية لتجربة جديدة تجشمت فيها حمل أعباء المدنية المعاصرة بعد أن تخلف أهلوها وانقطعوا عن ركب المدنية والحضارة عدة قرون قفز العالم فيها قفزات رائعة إلى الأمام ، وعرف العالم فيها ثورات علمية لم يعرف لها مثيلا في جميع العصور ، فقد انتقل إلى عصر الذرة وعصر الفضاء والكشوف المذهلة والمخترعات المديرة للرءوس ؛ فهل استطاعت العربية أن تستقل بحمل هذه المدنية وأن تقفز قفزات رائعة تدرك بها اللغات الحية الحديثة وتستوعب ما حوته من كشوف ومخترعات .

إن العربية نفضت عنها غبار السبات الطويل العميق في عهد الأتراك وعهد الاستعمار وبدأت يقظتها في أوائل القرن العشرين ، وفي هذه الفترة اليسيرة استطاعت أن تكون لغة التعليم في معظم المعاهد واقتحمت الجامعات وفرضت نفسها على معظم الكليات واستوعبت عن طريق الترجمة أمهات المصادر العلمية في جميع العلوم والفلسفة والفنون والآداب .

(البقية على صفحة ٨٩٦)

فروق بين ألفاظ متقاربة

للأستاذ عباس حسن أبو السعود

— ٣ —

ما بين بعض ألفاظ الفصحى من الفروق

١١ — ولا يفرقون فى الاستعمال بين (هب) بمعنى أعط من غير عوض، و(هب) بمعنى احسب واعدد، فيقولون: هب أنه فعل كذا، زاعمين أن للمصدر المؤول من أن ومعموليها حل محل مفعولى هب، والصواب — كما ورد عن العرب — إلحاق الضمير متصلا بالفعل، فيقال: هبه فعل كذا، كما قال عروة بن أدية:

إذا وجدت أوار[١] الحب فى كبدى
أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره
فمن لنار على الأحشاء تتقد

وقال أبو دهبل:

هبونى امرأ منكم أضل بعيره
له ذمة[٢] إن الذمام[٣] كثير

وهذا الفعل ملازم للأمرية، ولا يستعمل منه ماض ولا مضارع، كتعلم بمعنى أعلم فى قول زياد بن سيار

تعلم شفاء النفس قهر عدوها
فبالغ بلطف فى التحيل والمكر

أما هب بمعنى أعط فإنه متصرف، يأتى منه الماضى كما فى قوله تعالى: «ووهبنا له يحيى»، والمضارع كما فى قوله: «يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور» والأمر كما فى قوله: «رب هب لى حكما»، وهو يتعدى إلى المفعول الأول باللام غالبا كما فى الآيات السالفة الذكر، وقال ابن القوطية: ولا يتعدى إلى الأول بنفسه، فلا يقال: وهبتك مالا، والصواب أنه يتعدى إليه بنفسه، فقد جاء فى المخصص جزء ١٢ ص ٢٢٧ ما نصه: ذكر أبو عمرو أنه سمع أعرابيا يقول لآخر: انطلق معى أهبك نبلا، وقد نبه هبة الله بن الشجرى فى أماليه النحوية على جواز تعديته إلى مفعوليه بنفسه، وجواز تعديته إلى الأول بنفسه وإلى الثانى باللام، كما فى قوله تعالى: «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى»

---

١ — أوار الحب: حرارته، قال الكسائى: أصله الوآر، ثم خففت الهمزة فأبدلت فى اللفظ واوا فصارت ووارا، فلما التقى فى أول الكلمة واوان أبدلت الأولى همزة
٢ — الذمة: العهد ٣ — الذمام: الحق والحرمة

وقال ابن هشام فى المغنى : إن العرب حذفت اللام من بعض المفاعيل المفتقرة إليها ، كقوله تعالى : « والقمر قدرناه منازل » وقوله « وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » ، وقالوا : وهبتك دينارا ، وصدتك ظبيا ، أى قدرنا له منازل ، وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ، ووهبت لك دينارا ، وصدت لك ظبيا .

١٢ — ولا يفرقون بين المعنيين لحديث « لا يلسع المؤمن من جحر مرتين » إذا كانت العين فى يلسع مضمومة أو كانت مكسورة : فهى إذا كانت مضمومة كان الكلام على وجه الخبر ، وكان المعنى أن المؤمن هو الكيس الحازم الذى لا يؤتى من جهة الغفلة ، فيخدع مرة بعد مرة وهو لا يفطن لذلك ولا يشعر به ، والمراد به الخداع فى أمر الدين لا أمر الدنيا .

وأما معناه إذا كانت العين مكسورة فهو النهى عن الغفلة ، أى لا يخدعن المؤمن ولا يؤتين من ناحية الغفلة فيقع فى مكروه ولا يشعر به ، ولكن يجب أن يكون فطنا حذرا ، وهذا التأويل أصلح لأنه يكون لأمرى الدين والدنيا معا .

١٣ — ولا يفرقون بين المهبل وزان المنزل ، والمهبل وزان المنبر ، ويخلطون بينهما فيقولون لرحم المرأة مهبل بكسر الميم وفتح الباء ، وهذا خطأ ، والصواب أنه بفتح الميم وكسر الباء ، ومعناه الرحم ، أو مسلك الذكر منها ، أو موضع الولد ، وفى الحديث « الخير والشر خطا لابن آدم وهو فى المهبل » وتقول : استقرت النطفة فى المهبل ، وهو موضعها من الرحم .

أما المهبل بكسر الميم فهو الخفيف كما فى قول تأبط شرا :

ولست براعى صرمة[1] كان عبدها
طويل العصا مئناثة[2] الصقب[3] مهبل

١٤ — ولا يفرقون بين العام والسنة ، ويزعمون أنهما يؤديان معنى واحداً ، والحق أن بينهما فرقا ، قال ابن الجواليقى : ولا تفرق عوام الناس بين العام والسنة ، ويجعلونهما بمعنى فيقولون لمن سافر فى وقت من السنة أى وقت كان إلى مثله : عام وهو غلط . والصواب ما أخبرت به عن أحمد بن يحيى أنه قال : السنة من أى يوم عددته إلى مثله ، والعام لا يكون إلا شتاء وصيفا ، وفى التهذيب أيضا : العام حول يأتى على شتوة وصيفة ، وعلى هذا

(١) الصرمة : القطعة من الإبل
(٢) - تقول : سيف مئناثة إذا كان كهاما
(٣) الصقب : ولد الناقة

فالعام أخص من السنة ، فكل عام سنة ، وليس كل سنة عاما .

وإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة ، وقد يكون فيه نصف الصيف ونصف الشتاء ، والعام لا يكون إلا صيفا وشتاء متواليين .

والسنة محذوفة اللام ، فقد تكون لامها هاء فتجمع على سنهات ، وتصغر على سنيهة ، وقد تكون واوا فتجمع على سنوات ، وتصغر على سنية ، وتجمع أيضا كجمع المذكر السالم فيقال : سنون وسنين وتحذف النون للإضافة ، وفي لغة تثبت الياء في الأحوال كلها ، وتجعل النون حرف إعراب ، تنون في التنكير ولا تحذف مع الإضافة كأنها من أصول الكلمة ، وعلى هذه اللغة قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف » ، وربما أطلقت السنة على الفصل مجازا ، يقال : دام المطر السنة كلها ، والمراد الفصل .

١٥ — ولا يفرقون في الاستعمال بين أخلف الرباعي ، وخلف الثلاثي ، فيستعملونهما في معنى واحد ، والحق أن لكل منهما معنى خاصا به ، فيقال لمن ذهب له مال أو مات له ولد أو ضاع منه شيء يمكن أن يكون له عوض : أخلف الله عليك أي رد عليك مثل ما ذهب منك

أما إن كان قد مات له أب أو أم ونحوهما مما لا عوض له ، فإنه يقال : خلف الله عليك بغير ألف أي كان الله خليفة من فقدته عليك .؟

عباس أبو السعود

بقية المنشور على صفحة ٨٩٣

ولن يمضي إلا وقت يسير حتى تكون لغة التعليم في جميع الكليات الجامعية في العالم العربي . وقد تم هذا في سورية وسيتم قريبا في جمهورية مصر العربية ثم سائر الدول العربية إن شاء الله .

وحسبنا أن المثقف العربي يستطيع أن يقرأ الآن بلغته العربية أحدث ما وصل إليه العلم الحديث : في مجال الذرة والصواريخ وسفن الفضاء وعالم المجرات والآلات الحاسبة والكهربائية ، وعن قريب تستطيع العربية - كما أخذت - أن تسخو في العطاء ؛ وبهذا تعود إلى القيادة الرشيدة التي منحها إياها القرآن الكريم؟

(البحث بقية)

علي عبد العظيم

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● الدين عند الله :

لفضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة

هذا الكتاب هو أحد أعداد سلسلة البحوث الإسلامية التي يصدرها - تباعا - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وهو يقع في زهاء ثلاثمائة وتسعين صفحة ، ويعتبر الكتاب من الدراسات المستفيضة الممتعة ؛ حيث تناول سبعا وخمسين مسألة، تكاد تلم بالإسلام : دينا ودولة وتشريعا ونظاما ومبادىء وقيما ، ومن المسائل التي أبرزها الكتاب: معنى الدين والوحى في ضوء العلم ، والقرآن والعقل الباطن، وعروبة القرآن ، والدين العام ، وقوة الشخصية ، وبناء الأسرة ، والدين والعلم، والدين والحضارة ، والدين والتطور ، ثم يسر الدين .

يقول فضيلة المؤلف في «معنى الدين» إن معنى الدين في الاصطلاح الشرعي يلتقي مع معناه في اللغة ، فعلماؤنا يقولون في تعريف الدين : « وضع إلهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود إلى ما فيه نفعهم أو مصلحتهم، أما في اللغة فإن معنى دانه يدينه ، ملكه أو حكمه أو ساسه ودبره ، ولما كان معنى العبادة لا يتحقق إلا بالخضوع ، فقد أصبح واضحا التقاء معنى الدين في الاصطلاح الشرعي مع معناه في اللغة .

وفي مسألة « الوحى في ضوء العلم » تصدى المؤلف لشبهة حول الوحى يثيرها بعض المضللين للإيقاع بالأغرار من شبابنا في ضلال الشك ، وتحقيق ما يرمون إليه من تدليس وتلبيس ، ليتسنى لهم بعد ذلك سلبهم عقيدتهم ، وصرفهم عن هذا الدين الذى جعل من المسلمين لأول عهدهم بالإسلام خير أمة أخرجت للناس .

يقول المؤلف : إن تقدم العلم كشف عن إمكان الوحى وقربه إلى العقل والأفهام ، بل أقام كثيرا من الأدلة على وقوعه ، من ذلك التنويم المغناطيسى ، واختراع الإنسان العجائب كالإذاعة

والتسجيل واللاسلكي والتليفزيون ، كذلك ما تأتى به بعض الحيوانات من العجائب والغرائب ، وذلك لا يعزى إلى توجيه عقل ، أو غريزة ساذجة ، وإنما يعزى إلى توجيه الإرادة العليا ، إرادة العليم ، الحكيم «الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

كذلك ما يظهر على بعض المواهب من العبقريات من أحوال لا شأن للعقل بها ، ولا تعزى لغير القدرة الإلهية ، ومن ثم قيل فى تعريف العبقرية : «إنها حال إلهية مولدة للإلهامات العلوية » ، وقال الفلاسفة : إنها حال علوية لا شأن للعقل بها ، كذلك مشاهد المظاهر الروحية فى بعض الناس ، فإنها تعتبر من الخوارق التى لا يمكن تعليلها بأمر مادى أو عقلى .

وهذه المشاهد - كما يقول المؤلف - وكذلك الكشوف العلمية لا تفسر الوحى الشرعى تفسيرا يلحقه بها ، وإنما تقرب فهمه لمن ينكرونه ..

وفى مسألة : القرآن والعقل الباطن .. تصدى المؤلف لشبهة خطيرة أثارها أولئك الذين يرون أن القرآن فيض وجدان محمد ، وصورة من انطباع نفسه بما كان يدور حوله ويقع أمام عينيه ، بل يرون أن القرآن وحى من داخل النفس لا من مصدر خارج عنها ، ومن العقل الباطن لا من رب العالمين .

إن هـؤلاء - كما يذكر المؤلف - يستهدفون غرضا واحدا هو قطع صلة المسلمين بالقرآن ، وهذا ما تلتقى عنده أهداف المبشرين والمستعمرين ، بل هذا هو الغاية التى تخدمها دراسة المستشرقين وترسمها سياسة المستعمرين .

وفى مسألة عروبة القرآن يشير فضيلة المؤلف إلى أنه لم تكسب قومية من القوميات ما كسبته القومية العربية بعروبة القرآن غير أنه يلاحظ أن عروبة القرآن إنما هى فى لفظه وأسلوبه لا فى موضوعه وتشريعه ، فإنه من حيث موضوعه عام لكل الخلق والأنام .

ويشير المؤلف فى مسألة قوة الشخصية ، إلى أنه من الخطأ فى التربية إهدار الفروق وإلغاء المظاهر الطبيعية لكل شخصية ، فذلك عمل يجافى الفطرة وينافى المصلحة

لذا كان تكافؤ الفرص أمام الأفراد هو الجو الطبيعى لنمو المواهب وتفتح الملكات واستقلال الشخصية ، وليس معنى استقلال الشخصية طغيان النزعة الفـــردية والإسراف فى حب الذات والاستجابة لدواعى الأثرة والأنانية ـ ولهذا كان التعبير بقوة الشخصية أوفق وأليق من التعبير باستقلال الشخصية .

ويثير فضيلة المؤلف فى مسألة « الدين والتطور» قضية معاصرة جديرة بالاهتمام هذه القضية هى استغلال كلمة التطور فى التعبير عن معان أقل ما يقال فيها أنها تعمل على إشاعة التحلل والتبذل وسلخ هذه الأمة عن خصائص عروبتها ومعالم إسلامها ، ومن ثم ـ كما يقول المؤلف ـ كان لابد من توجيه الأنظار إلى هذه الأخطار إذا ظل هؤلاء يعيشون بعقولهم وقلوبهم مع هذه البلاد ، ويدعون تحت عنوان التطور إلى أن التمسك بقيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا الكريمة رجعية يجب التخلص منها وجمود يجب القضاء عليه .

وإذا كان كل ما صدر عن الله قيماً ثابتة لا تتغير ولا تتطور ، وأن حدود الله يجب أن تحترم وتلتزم ، فيجب أن يكون مفهوما أن هذه الحدود والمعالم لا تعوق الإنسان عن تطوير أساليب الحياة وتغيير مستوى المعيشة ، فمجال التطوير فيما ينفع الأفراد ويعود بالخير على الإنسانية جمعاء . .

وبعد ـ فهذه لقطات سريعة من كتاب (الدين عند الله) لا تتسع لها الصفحات المحددة لهذا الباب ، والحق أن فى الدراسات التى استوعبها الكتاب جهداً مشكوراً . وإذا كان معظم المؤلفين يختارون عناوين لمؤلفاتهم أكبر بكثير مما يقدمونه من معطيات فكرية ، فإن هذا لا يطبق على كتاب « الدين عند الله » لأن فضيلة المؤلف بما قدم من دراسات ألمت بموضوعه قد استوفى حق العنوان كله كذلك إذا كان من الممكن أن يصلح الكتاب كمنهج للشباب الإسلامى المثقف ليقيه أخطار التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى ، فإن الإيجاز الذى التزم به المؤلف جنى على نصيب « الشبهات » التى كنا فى حاجة إلى أن يكون لها نصيب أوفر فى الكتاب ، لا سيما وأن المؤلف قد تعرض لبعضها بالتفنيد حتى أتى عليها والمؤلف نفسه يعترف فى مقدمته بأن كل باب فيه خليق بكتاب ، معنى هذا أن

المؤلف مضطر إلى الإيجاز مادام حيز السلسلة التي صدر فيها الكتاب محددا ، ولعل في فرصة قادمة تجد هذه الدراسة الموضوعية المهمة مجالا رحبا إن شاء الله .

● هذه الضجة المفتعلة ما معناها ؟

تحت هذا العنوان كتبت السيدة أمينة السعيد مقالا ضافيا في مجلة حواء التي ترأس تحريرها ، أشارت في بدايته إلى أنها في العدد الماضي كتبت كلمة حول الزي الجديد تعرف أنها ستثير زوبعة من فئة معينة اعتادت دائما أنها تتصدى لصوت الحق والإصلاح ، وتعرف من خبرات وتجارب استقتها خلال السنوات الثلاثين التي عاشتها في الصحافة تحمل القلم منادية بالخير مستهدفة المصلحة العامة ، أن كل دعوة صادقة لا ترن في الأذهان مؤيدة لما يريده أهل التزمت والرجعية تثير دائما زوابع النقمة والغضب ، وتعرض أهلها لكثير من الأذى الأدبي والمادي ، ولكنها تقتصر دائما في نهاية الأمر لأنها كانت منذ بدايتها مستمدة من صميم الضمير النقي والرغبة في إتيان الخير .

ولكي يكون القارىء على إلمام بالموضوع ، فقد كتبت السيدة أمينة السعيد في حواء في ١٩٧٢/١١/١٨ مقالا مسهبا حملت فيه حملة ظالمة متعمدة على الزي الفاضل المحتشم الذي ترتديه طالبات الجامعة والذي أصبح ظاهرة تقلق الكاتبة الكبيرة التي تدعو إلى الإصلاح والخير بضمير نقي .. إنها ترفض أن يكون هذا الزي ظاهرة تدين في الفتيات المثقفات ، وتفضل أن ترتدي على رأسها قبعة بدلا من هذه «الطرحة» التي تجعل زيها والكفن سواء ، وفي مقالها السابق لم تؤيد الرأي القائل بأن الفتيات المسلمات لجأن إلى هذا الزي للفت الأنظار إليهن بعد أن مج الشباب « الماكسي والميني جيب » أو للرغبة في الحصول على عريس ينخدع بمظهرهن ، وإنما رأت الكاتبة أن الدافع الأساسي وراء هذه الظاهرة هو التستر خلف هذا الزي لتتمكن الفتيات من إشباع رغباتهن العاطفية ، ولكي تثير الريبة حول هذه الظاهرة مؤكدة رأيها ، ادعت الكاتبة أنها رأت بعينيها في إحدى أمسيات رمضان الفائت ثلاث فتيات بهذا الزي في ثلاثة أركان مظلمة متفرقة في حي «جاردن سيتي» ومع كل فتاة شاب يتبادلان الغزل

وكان واضحا من الهمسات وغيرها، المرح الزائد . والكاتبة لم تر فى سلوك هؤلاء الفتيات الثلاث مع الشباب شيئا فاضحا أو خادشا للحياء بالمعنى المعترف به ، غير أنها شعرت بمزيد من القلق إزاء الزى الجديد العجيب الذى بدا واضحا أنه يتنافر مع الغرض الذى أريد إظهاره للناس . . !

ويقف القلم عاجزا عن التعليق ، وحسبنا أن نذكر من ماضى الكاتبة التى نشأت فى دار الهلال أنها سبق لها أن حملت على المجتمع المتخلف الذى لا يزال يتمسك بأقوال الأئمة الأربعة الذين نشأوا فى عصر الظلمة والظلام ، وأنها نادت بمساواة المرأة بالرجل فى الميراث ، ويبقى أن دار الهلال قد نشأت أقلاما مصرية تكتب لغير مصر .

ولا أزال أذكر أنه فى عام ١٩٦٥ نشرت مجلة المصور صورة فى صفحة كاملة لطالبة فى زيها الفاضل بكلية الآداب ، وكتبت تحتها عبارة واحدة : « الرجعية تزحف إلى كلية الآداب » ، وقبل ذلك كتب أحد أقلام دار الهلال فى مجلة المصور كلمة تحت عنوان « حاجة تكسف » لأن نقابة الصحفيين ألغت (البار) وأقامت مكانه مصلى ، وقد أصبح صاحب هذا القلم اليوم رئيسا لإحدى مجلات دار الهلال ، وليس من حقنا أن نعجب لأن الكاتبة الكبيرة ترى لنفسها الحق فى الحرية المطلقة حين تكتب الهدم بدعوى البناء ، ولا ترى لغيرها الحق فى شىء من الحرية ليتصدى لهذا التحدى الذى يتوارى من خلفه مخطط رهيب . .

● قراءات :

(إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت)

حديث شريف

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ «محمد أبو شادى»

الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر

السؤال من السيد / فاروق أحمد حافظ

أصابنى مرض -فى رمضان- لم أستطع معه الصيام ، ولازلت مريضا ولم أتمكن من القضاء ، وانتظر إجراء عملية جراحية لا تتحسن صحتى إلا بعدها فكيف يمكن تدارك الإفطار فيه ، وهل إذا توفيت أكون آثما بهذا الإفطار ، أقصد (الوفاة بسبب العملية) .

وأعرف خطورة العملية ، فهل إذا أقدمت عليها أكون آثما ، وأنا أعرف أن نسبة نجاحها قليلة ، وهذا رأى الأطباء ، فهل أكون آثما إذا أجريتها .

الجـــواب

أجابت لجنة الفتوى التابعة لمجمع البحوث بالأزهر بما يلى :

بالنسبة للصيام :

إذا كان المستفتى يرجو وقتاً يشفى فيه من مرضه يتمكن فيه من الصوم فيجب القضـــاء .

وإذا كان لا يرجو الشفاء ، ولا ينتظر وقتا يتمكن فيه من القضاء وجب عليه أن يفدى عن كل يوم بنحو عشرة قروش ولا قضاء عليه .

وبالنسبة لإجراء العملية :

أجابت اللجنة بأنه إذا كان الخطر فى العملية فقط ، ولا خطر فى تركها ، أو كان الخطر فى العملية أكثر منــه فى تركها امتنع عليه إجراء العملية .

وإن كان العكس بأن كان الخطر فى ترك إجراء العملية فقط أو كان الخطر فى ترك العملية أكثر منــه فى إجرائها وجبت العملية .

وإن كان الخطر فيهما على السواء - أو جهل الحال فإنه تجوز العملية طلبا للتداوى .

والقول فى الخطورة وعدمها قول الأطباء الموثوق بهم فى طبهم .

والله أعلم ؟

(من أحكام الحج)

السؤال من السيد / قنديل على زيد

هل الحج واجب على الفـــور أو التراخى وما رأى الفقهاء فى ذلك ؟

الجـــواب

ذهب الشافعية والثورى والأوزاعى ومحمد بن الحسن إلى أن الحج واجب على التراخى فيؤدى فى أى وقت من العمر ولا يأثم بتأخيره متى أداه قبل الوفاة ، ودليل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الحج إلى السنة العاشرة من الهجرة وكان معه أزواجه وكثير من أصحابه مع أن إيجابه كان فى السنة السادسة من الهجرة .

وذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد وبعض أصحاب الشافعى وأبو يوسف إلى أن الحج واجب على الفور لحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أراد الحج فليعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة» رواه أحمد والبيهقى والطحاوى وابن ماجه .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال: «تعجلوا الحج — يعنى الفريضة — فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له» رواه أحمد والبيهقى وقال ما يعرض له من مرض أو حاجة.

وحمل الأولون هذه الأحاديث على الندب وأنه يستحب تعجيله والمبادرة إليه متى استطاع المكلف أداءه .

* * *

(التكسب والمكارى فى الحج)

السؤال من السيد / شاهين على

ماحكم التجارة وإكراء الركائب فى الحج

الجـــواب

لا بأس أن يتاجر الحاج ويؤجر ويؤاجر ويتكسب وهو يؤدى أعمال الحج والعمرة. قال ابن عباس: إن الناس فى أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفة وسوق ذى المجاز ومواسم الحج فخافوا البيع وهم حرم فنزل قول الله تعالى: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) أى فى مواسم الحج . رواه البخارى ومسلم والنسائى .

وعن ابن عباس أيضا فى قوله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) كانوا لا ينحرون بمنى فأمروا أن ينحروا إذا أفاضوا من عرفات . رواه أبو داود ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا أن رجلا سأله فقال أؤجر نفسى من هؤلاء القوم فأنسك معهم

المناسك كلها فهل لى أجر ، قال ابن عباس نعم أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب .

* * *

السؤال من السيد / درويش على

هل دخل النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة ؟

الجــــواب

لقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم دخلها يوم الفتح بما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد ومعه بلال وعثمان بن طلحة بن أبى طلحة من الحجبة ، فأناخ فى المسجد وأمر عثمان بن طلحة أن يأتى بمفتاح البيت ، ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل ومعه أسامة وبلال وعثمان .

أما فى حجة الوداع فلم يثبت أنه دخلها

* * *

السؤال من الحاج على درويش وآخرين

سمعنا أن العمرة فى رمضان تعدل حجة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فما الدليل على ذلك وهل تجزىء عن حجة الإسلام ؟

الجــــواب

ورد فى عدة أحاديث ذكرها المنذرى فى الترغيب والترهيب ومنها ما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقالت امرأة لزوجها احججنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما عندى ما احججك عليه فقالت : احججنى على جمل فلان فقال ذاك حبيس فى سبيل الله عز وجل ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتى تقرأ عليك السلام ورحمة الله وأنها سألتنى الحج معك فقلت ما عندى ما أحججك عليه فقالت احججنى على جمل فلان فقلت : هو حبيس فى سبيل الله عز وجل فقال أما أنك لو حججتها عليه لكان ذلك فى سبيل الله قال : وأنها سألتنى أن أسألك ما يعدل حجة معك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرئها السلام ورحمة الله وبركاته وأخبرها أن عمرة فى رمضان تعدل حجة معى ، ومنه وردت أحاديث أخرى كلها تدل على كثرة الثواب فى عمرة رمضان وأنها لا تجزىء عن حجة الإسلام

* * *

الحج أم الزواج

السؤال من السيد / عبد الهادى درويش

ما الذى يقدم الحج أم الزواج ، والحج أم تجهيز البنت المقبلة على الزواج ؟

الجواب

الزواج يعصم المرء من عمل المعصية فإذا خشى على نفسه منها فعليه أن يتزوج أولا وإلا قدم الحج لأنه ركن من أركان الدين وكذلك تجهيز البنت إذا أمكن تأخيره فالحج أولى وإلا قدم تجهيزها .

الحج عن الوالدين

السؤال من السيد / دواد بركات

هل يجوز تأدية فريضة الحج عن والدى المسنين إذا تعذر سفرهما بسبب المرض ؟

الجواب

للمرء أن يحج عن أبويه وعن غيرهما من كبار السن والضعفاء الذين لا يستطيعون ولكن بشرط أن يكون النائب قد حج عن نفسه أولا .

* * *

السؤال من السيد / يونس يوسف

هل يجوز فى الإسلام إضافة لقب (الحاج) على اسم كل من أدى الفريضة؟ وهل كان هذا معروفا على وقت النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟

الجواب

هذه عادة مستحدثة لم تكن معروفة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ولا فى زمن الفقهاء الأربعة ، وإنما درج عليها كثير من المسلمين فى العصور المتأخرة وقد شاعت بل يذهب البعض فى دفاعه عن لقبه (الحاج) وأن يضاف إلى اسمه والحج فريضة كغيره من فرائض الإسلام يؤديها المسلم طاعة لله فى إخلاص ودون مباهاة فكما لا يقال يا مصلى ولا يا مزكى أو يا صائم كذلك لا ينبغى أن يحرص الحاج على أن يلقب بهذا اللقب إلا أن الذى يدفع الإنسان إلى التمسك بهذا اللقب ما لاقاه من مشقة بدنية ومالية ومفارقة للأهل والوطن ولا كذلك الصوم والصلاة والزكاة .

الحج وعدة الوفاة

السؤال من السيد / يسين على

سيدة توفى عنها زوجها ولم تنقض عدة الوفاة فهل لها أن تحج ؟

الجواب

يجب على المتوفى عنها زوجها أن تقضى عدة الوفاة فى بيت الزوجية التى مات عنها زوجها فيه ، وذلك مقدم على أداء فريضة الحج التى يمكنها أن تؤديها فى وقت آخر ؛ لأن عدة الوفاة حق لله تعالى فيجب مراعاته ؟

محمد أبو شادى

أنباء وآراء

● دعوة شيخ الأزهر إلى زيارة ماليزيا :

تلقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الأزهر دعوة لزيارة ماليزيا .

تقدم بالدعوة السيد / توان حاجى عبد الخالد بن أوانج عثمان سفير ماليزيا فى القاهرة .

الزيارة للاطلاع على أحوال المسلمين فى ماليزيا والعمل على تدعيم الروابط الإسلامية والثقافية بين جمهورية مصر العربية وماليزيا .

● نداء الإمام الأكبر بالتحذير من الأخطار على الإسلام .

وجه فضيلة الإمام الأكبر نداء حث فيه المسلمين إلى التنبه إلى بعض المفسدين الذين يسيئون إلى الإسلام - من بين المسلمين - عن سوء نية وفساد ذوق ، وقال فضيلته :

إن الخطر الفكرى الذى يأتى من التيارات الغربية على الإسلام والتى تهب على الأمة الإسلامية أشد ضررا وأعظم فتكا .

وأهاب فضيلته بالمدارس والجامعات والهيئات أن تدعو السيدات والطالبات والعاملات لارتداء الزى الإسلامى المحتشم .

● اللغة العربية فى الجزائر :

أصدر الرئيس الجزائرى « هوارى أبو مدين » قرارا بمنع الترقية من درجة إلى أعلى منها - بين موظفى الدولة - إلا بعد اجتياز امتحان فى اللغة العربية .

يعتبر الرسوب فى هذا الامتحان مانعا من الترقية مهما كانت درجة الوظيفة أو مركز شاغلها .

● المسلمون فى العالم :

أعلنت آخر إحصائية عن المسلمين فى العالم - أذيعت فى روما - أن مسلمى العالم يقدرون بنحو ٧٣٢ مليون و ٩٨٦ ألف نسمة .

● ليبيا والتشريع الإسلامى :

صدر فى ليبيا قرار يحظر على الرجال أن يحلقوا رءوس السيدات أو يقمن بتزيينهن ، لأنه لا يجوز لرجل أن يلمس رأس امرأة أجنبية عنه (أى لا يحل له الاستمتاع بها) .

كذلك أصــــدرت الحكومة الليبية قرارا بتحريم التلقيح الصناعى واعتباره جريمة عقوبتها ١٥ سنة للطبيب الذى يجرى هذه العملية وللزوج الذى يوافق على إجرائها وعشر سنوات لكل شريك فى العملية وخمس سنوات للزوجة التى توافق على إجرائها .

● الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى مناهجها وغاياتها .

نوقشت مساء الخامس من ذى القعدة ١٣٩٢ - الموافـــق ١١ / ١٢ / ١٩٧٢ الرسالة التى تقدم بها السيد / متولى يوسف حسن شلبى إلى كلية أصول الدين جامعة الأزهر . وعنوانها :

الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى - مناهجها وغاياتها تكونت لجنة المناقشة من فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الأمين العام لمجمع البحوث وفضيلة الدكتور عوض الله حجازى عميد كلية أصـــول الدين ، وفضيلة الدكتور / سيد أحمد المسير . أعلن فضيلة الدكتور بيصار قرار لجنة المناقشة بمنح السيد / متولى يوسف حسن شلبى درجة (الدكتوراه) بمرتبة الشرف الأولى .

يعمل فضيلة الدكتور متولى يوسف حسن شلبى بمجمع البحوث الإسلامية وهو مبعوث الأزهر للدعوة الإسلامية بماليزيا .

على الخطيب

ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك
هدى الله يهدى به من يشاء .. (الزمر ٢٣)

It means : "Allah hath (now) revealed the fairest of statements, a Scripture consistent (wherein promises of reward are) paired (with threats of punishment) wherеat doth creep the flesh of those who fear their Lord, so that their flsh and hearts soften to Allah's reminder. Such is Allah's guidance wherewith He guideth whom He will" (39 : 23).

God also spoke of those whom : "When the revelations of the Beneficient were recited unto them, they fell down, adoring and weeping" (19 : 58). As for those who read the Quran with a tongue that is separated from their hearts by a veil, or those who listen to it with earts separated from their hearts by a wall, the Quran will not benefit them in any sense.

This has been an introduction which we deemed necessary for our subject "The Miraculous character of the Quran, and development of its miraculous aspects with the development of cultures". The matchless character which we wish to speak about is inherent in the Quran itself. Thus it was necessary to have this short pause in which we witness the greatness of this vast and endless sea. It is a sea whose depths will also be closed to their secrets, and will open only for these who know how to get to them to obtain precious pearles.

The Glorious Quran as we have said, is phrased in words known to, and used by, the Arabs by which they expressed their opinions, and experiences in verse and prose. But those words in Quranic style puzzled and astonished them at first, and then produced a feeling of defeat, shame, and inability later.

The Quran, though divine and sublime in essence, and as a guidance to mankind at large, addressing people about people, and quoting from life for the sake of life. People who read and hear it actually visualize in it their deepest emotions, conscience and heart. Hence they live in it and with it, benefiting from it like a land receiving water.

(to be continued)

It means : We have made the Quran easy to remembrance. But is there any that remember". (54 : 17)

This verse was mentioned four times in the Quran indicating that God made it easy for contemplation and thinking, and now it is high time for those who seek lessons and examples to read it and believe in it.

Such ease is the main characteristic of the Glorious Quran ; an ease which is particular of its meanings, and teachings, contained in its lucid and bright style. It addresses the fundamental nature of man and his true emotions. Any person with a fine and pure instinct and emotions can embrance and understand the book of God.

Some Arabs asked about the Prophet his religion and the words he communicates to people, and how he ascertained his prophethood his answer was that the Quran never ordained something which was rejected by the mind, and never interdicted something which was accepted by the mind.

Such affiliation between the meanings of the Quran and human instinct represents one of the main elements that connect it with the heart of men, and the power that it excercises over them. This is what produced the sense of security in the heart of that Arab towards the Prophet and the Quran whom he later believed in. He found the sincerity of the Prophet in the sincerity of the Quran which corresponds to instinct and which relates to life in its best form.

Another fact emerges from the previous one about the ease of the Quran ; it resides in that it is not a book for scientists scholars, or men of religion alone ; it is not a book for a special sect or community. Rather it is the book of the Lord to the people. This is indicated by the verse :

« وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا
لعلكم ترحمون » . (الأعراف ٢٠٤)

It means : "If the Quran is read hearken and listen to it, may God's mercy be unto thee". (7 : 204)

The order to hear and listen to the Quran when read is not meant only to show respect to it, but because this leads to enlightement of the heart and mind, thus bringing men close to the mercy of God·

The Quran, meanwhile, does not confer its guidance except to those who contemplate its verses and its words. God says :

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها
مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم

to earn their living and to provide for their families.

Through such wise teaching, the Prophet wanted people to read the Quran in a way as to grasp its meaning. This necessitates a certain period of time during which to finish reading it all, to give the reader the opportunity to contemplate and think at each verse and word.

Anas quoted in Al Bukhary was asked about how the Prophet read the Quran and his answer was that the Prophet used to stress the words. Anas then read out the verse "In the Name of God the Almighty, the Merciful", in the same way as the Prophet to show that he used to stress "The Almighty" and "The Merciful". (1)

Ibn Masoud related that a man came to the Prophet and told him that he read the short verses of the Quran (consisting of the last four parts) in each rakaa of his preyers. The Prophet then said that some people would read very little of the Quran, but this little if embraced by the heart would be implanted there to the benefit of the person.

---

(1) Quoted by Al Bukhary and Abu Dawud in "The Virtues of the Quran".

It is our opinion that the reading of the Quran would not be beneficial unless it was carried out with contemplation and understanding; this is only possible through stressing the verses in length even if this took days and nights.

Thus we realize the secret in the fact that the reading of the Quran is a sort of worship in itself and the same goes for the act of listening to the Quran. The verses and words of God indeed carry enlightening signals opening the minds to the secrets of the universe, and illuminating the proofs of God's power and wisdom.

— 4 —

Although people adopt differing attitudes towards the Quran, each according to his intellectual and spiritual ability, they however have a share of it, whether big or small. Those who embrace the Quran with good will and open hearts will derive goodness and plenty. The Quran is in fact as any other general blessing for mankind, like watera nd air of which nobody is deprived. It is near to each soul, heart and mind; it does not include the intricacies or terminology of science and arts which are only known to the experts in those fields. God says :

« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » . (القمر ١٧)

Thus whenever the Prophet received new verses of the Glorious Quran he used to learn them by heart and then read them to his companions; bringing them a new blessing with which to live their life.

Ibn Masoud quoted the Prophet as saying to him : "Read to me" ! Upon which Ibn Masoud asked : "Shall I read to thee what hath been revealed to thee ? "The Prophet said : "Yes ! I like to hear it from other people." Ibn Masoud then said : "I started reciting from The Women, and when I reached God's words" : But how (will it be with them) when we bring of every people a witness, and we bring thee (O Muhamed) a witness against these?", I saw tears coming down his face and he said : "Enough". (1)

This reveals the amount of spiritual joy the Prophet derived from the Quran, to the extent that he washed all his senses to take their share of the enjoyment. And once this is done with his heart all enlightened with the Quran, he asked other persons to read to him of its verses.

As for the companions of the Prophet, the Quran for them was their entire life ; they spent days and nights reading it, examining its verses and contemplating its words. For them it was better than anything on earth to spend the time reading or hearing the Quran.

Abdullah Ibn Amr Ibn Al As said : "I asked the Messenger of God: How long should it take me to complete reading of the Quran ? He said : " In one month ". I said I could read it in less than that, and he said Let it be twenty days".

I said I could fare better, He said : "In fifteen days". I said I could do better, and he said : In ten days!". I then said I could do better, and he said : in "five days" I said : I could do better. But he would not agree, that is he did not allow me to finish reading the whole Quran in less than five nights. (2)

Some companions of the Prophet used to read the whole Quran once during daytime and another by night. If the prophet had allowed Abdullah Ibn Amr he would have done it willingly. But the Prophet who preached a tolerant divine law and easy religion, put such limit for the reading of the Quran to allow people

---

(1) The Hadith was related by Al Bokhary in "Al Tafsir" (Interpretation). It was also related by Moslem and Abou Dawud.

(2) Related by Abu Dawud. See Tag Al Usul-vol. 4 — page 13 "The Virtues of the Quran".

unto those who ward off (evil) and warn therewith the forward folk" 19 : 97.

But how could such words remain as an immortal miracle over the centures defying the jinn and human-beings alike, as God says : Say that even if mankind and jinn joined forces to bring something similar to this Quran, they will never succeed.

The answer may be taken from the Glorious Quran itself where God says : "Allah hath (now) revealed the fairest of statements, a Scripture consistent, (wherein promises of reward are) paired (with thereats of punishment) whereat doth creep the flesh of those who fear their Lord, so that their flesh and their hearts to soften to Allah's reminder. 39 : 23.

It is speech, but the best of all speechs.

It is words, but the most truthful of all words.

It is the words of God and the speech of God.

The words of God are of His qualities, perfect, sublime, great and immortal. He says : Falsehood cannot come at it from before or behind it. (It is) a revelation from the Wise, the Owner of Praise. 41 : 42

It is with such perfection and greatness that the Glorious Quran possessed the mids of the early Moslems who devoted themselves for it. The Quran described their state by saying : "Only those believe in Our revelations who, when they are reminded of them, fall down prostrate and hymn the praise of their Lord, and they are not scornful, Who forsake their beds to cry unto their Lord in fear and hope and spend of what We have bestowed on them". 32 : 15, 16

The Prophet was the imam of all Muslims and their leader in his devotion to the Quran, his permanent contact with it and great eagerness to receive the verses.

And the minute the Prophet heard the Quran as revealed to him by Gabriel, he would repeat the verses fo enjoy their fruit and flavour. This was conducive to haste which might divert his attention from the forthcoming to the former verses, Therefore, God asked him to go slow the pace, assuring him that He would guarantee the retention of the Quran in his heart. God says: "Stir not thy tongue herewith to hasten it. Lo ! Upon Us (Resteth) the putting together therefore and the reading thereof. And when We read it, follow thou the reading". 75 : 16 - 18

"And when our revelations are recited unto them they say : We have heard. If we wish we can speak the like of this, Lo ! this is naught but fables of the men of old." 8 : 31.

The words are surely theirs, and so is the style, but the nature of rhetoric is new to them. The closest example of this is the taste of fruits given to the believers in Paradise, a taste which they never experienced in life. This is indicated by God's saying : "And give the glad tidings unto those who believe and do good works ; that theirs are Gardens underneath which rivers flow ; as as often as they are regaled with food of the fruit thereof, they say : This is what was given us aforetime; and it is given to them in resemblance". 2 : 25.

— 2 —

The Giorious Quran has accompanied life for 14 centuries since it was revealed to the Prophet till the present day. It is the talk of people privately and in public, it is read and heard by the believers and non-believers ; a constant movement ; a material for writers ; nourishment for the feelings and minds and an area for debate. For the believers the Quran stands as a prayer, worship and appeal, and for writers a wisdom, science and literature, it is a Sharia, and a system of life for millions of people generation after another ; it is a resourceful reference responding to the needs of all people irrespective of their colour sex, intellectual standard or social standing. If the Quran were an ordinary thing, it would have been finished with a long time ago ; and believers and non-believers would have exhausted its sources and neglected it to turn to the affairs of life. It would have had nothing to do with the life of people, like any other endeavour no matter what power or authority it has on the minds and hearts of people.

— 3 —

The Quran thus consists of words . . . . there is absolutely no doubt about this. It is words pronounced and used before the Prophet received it from God in the form of verses. God says : "Which the True Spirit hath brought down upon thy heart, that thou mayest be (one) of the warners, in plain Arabic speech"- 26 : 193 — 195. And God also says : "And we have made (this scripture) easy in thy language only that they may head". — 44 : 53 And God Almighty also says : " And we make (this scripture) easy in thy tongue, only that thou mayest bear good tiding therewith

The Miraculous Character of The Quran

By : *Abdel Sattar El Sayed*

Minister of Waqfs, Syrian Arab Republic

INTRODUCTION

The Glorious Quran, though divine and sublime in essence, relates to mankind at large, addressing people about people, and quoting from life for the sake of life. People who read or hear it actually visualize in it their deepest emotions, conscience andheart. Hence this powerful authority excercised by the Quran on the soul and heart of people, whether those who believe in it, or those who adopt a hostile attitude towards it but who master the Arabic Language and know its thetoric.

The attitude of the heathen people of Quraish towards the Quran, and the verses related to them by Prophet, reveals their wonder and astonishment at the verses spoken in a language that this their own, and which they used in their speech, dialogue, poetry and prose. Thinking that they are capable to bring like verses since this seemed to be their own spheech that is not different from the linguistics they used-they try to do the same. But once such thought attempts to be translated into reality, they are beset with inability and shame; exactly like some one who thinks that the Sun-though so far away is so near to him that he would hit it with a stone.

It was this closeness of the unbelievers to the Quran, and their inability to grasp or possess it, that made the obstinate and pompous among them to take this hesitant position between certitude and doubt between acceptance and rejection, and between faith and disbelief.

What actually puzzled the disbelievers about the Glorious Quran was that while they found in it an enchanting wonder, and immeasurable power shaking their hearts and humiliating their pomp, this was all phrased in a language which they were familiar with, and meanings and ideas already taken up by their sages, poets and speakers. But once they try to imitate it they definitely fail.

then eat thereof and feed therewith the poor unfortunate. Then let them make an end of their unkemptness and pay their vows and go around the ancient House. 22 : 27 - 29.

The Hajr al-Aswad (the Black Stone) is built into the wall in the east corner of the Ka'ba at the height of about five feet. It is of a reddish black colour about eight inches in diameter and is now kept in a silver band. Within the Sacred Mosque is a small building called the Maqam Ibrahim. It means the place of Ibrahim, and this name handed down from antiquity as a decided proof of the connection of Prophet Ibrahim with the Ka'ba.

As the Ka'ba is an inescapable part of the Islamic religion, and there is concentrated the adoration of millions, and the chief features of the Haj centre round it, something must be known about the history, name and description of this Sacred House. The root word 'Ka'ba' means it became high and exalted or became prominent. This Sacred House is called Ka'ba on account of its glory and exaltation. It is a rectangular building, almost the centre of "Masjid al - Haram" (the Sacred Mosque of Mecca). It is to this Holy place of Mecca that all Muslims turn at the times of the Prayers and make their Pilgrimage.

it is referred to as follows :

« لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد » . (البلد ١ - ٣)

It means : " Nay I swear by this city. And thou art an indweller of this city. And the begetter and whom he begot". 90 : 1 — 3

of some people yearn towards them and provide them with fruits in Order that they may be thankful". 14 : 35 — 37

In other verse of the Quran Abraham is sopken of : "And when we assigned to Abraham the place of the House saying, Do not set up aught with me and purify My House

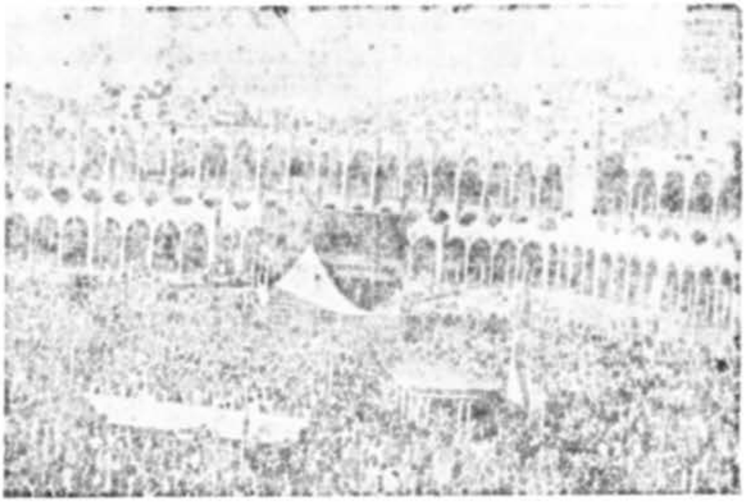

A general view of the Holy Ka'ba

The names of the "Father of the Prophets", Abraham and his son Ismael find clear connection with Mecca and its great Mosque : ". . . And when Abraham said : My Lord ! make this City secure and save me and my sons from worshipping idols. . . . O our Lord ! I have settled a part of my offspring in a vally unproductive of fruit near Thy Sacred House, our Lord ! they may keep up prayer ; therefore make the hearts

for those who bow and prostrate themselves". Then, addressing to Abraham, the revelation continues : "And proclaim unto mankind the pilgrimage. They will come unto thee on foot and on every lean camel ; they will come from every deep ravine. That they may witness things that are of benefit to them, and mention the name of Allah on appointed days over the best of cattle that He hath bestowed upon

of the prayers and make their pilgrimage. The Sacred House of Makka is called Ka'ba on account of its glory and exaltation, for the root word Ka'ba means it became prominent, high or exalted.

All mosques of the world are built facing it. It should be born in mind that the clear object of Qibla is to bring about a unity of purpose. So as they have all one centre to turn to, they must set one goal before themselves. The City of Mecca is situated in the centre of all great sacred places of the Muslim World.

The Prophet's Mosque of Madina, Al - Aqsa Mosque of Jerusalem, Umayyad Mosque of Damascuss, Al-Azhar Mosque of Cairo and all other Mosques of the world are connected with the Sacred House of Mecca, as it is the direction of all Mosques of the world, and the central point of the Muslims. The significance of this land and its connection with the Father of the prophets, Abraham, the ancestor of the Arabs, Ismael, and the last of the prophets Muhammad (peace be on them) find clear mentions in the following verses; The Holy Quran referred to the prayers offered by Abraham and Ismael after the completion of the re-building of Ka'ba at Mecca :

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » . (البقرة ١٢٨ - ١٢٩)

It means : "Our Lord ! And make us sub-missive unto Thee and of our seed a nation sub-missive unto Thee, and show us our ways of worship, and relent toward us. Lo ! Thou, art the Relenting, the Merciful. Our Lord ! And raise up in their midst a messenger from among them who shall recite unto them Thy revelations, and shall instruct them in the Scripture and wisdom and shall make them grow. Lo ! Thou, only Thou, art the Mighty, Wise" (2 : 128 - 129)

The Sacredness of Mecca is spoken of in still clearer words in the following verses of the Quran :

« إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين » . (النمل ٩١)

It means : "I am Commanded only that I shall serve the Lord of this City, Who has made it sacred, and His are all things. And I am Commanded to be of those who surrender (unto Him) 27 : 91. In one of the earliest revelations of the Quran Mecca is described as "the land made safe". In another revelation

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FŪDA

Dhu'l Qa'da 1392 | ENGLISH SECTION | December 1972

The Significance of Ka'ba In Mecca

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

The Holy Quran Proclaims the Ka'ba is the first House of Divine Worship on earth. In one place it is called al-Bait al-Atic or the Ancient House. It is also called al-Bait al-Haram, which carries the meaning of 'forbidden'; in other words, a place where of the sanctity must not be violated. There is nothing in the Holy Quran to show when and by whom the Ka'ba was first built. The Quran makes it clear that the Ka'ba was already there when Abraham left Ismael and his mother 'Hajar' in the wilderness of Arabia as the Quran said : " I have settled some of my offspring in a valley unproductive near Thy Sacred House".

It also appears from this verse : ". . . . And when Abraham and Ismail raised the foundations of the House . . . " that the Ka'ba was rebuilt by Abraham and Ismail. It appears from this that Ismael and 'Hajar' had been purposely left near the Sacred House. When Abraham left them in the wilderness of Arabia the Ka'ba was in a demolished condition. After that the father and the son re-built the house.

As the city of Ka'ba, which is the first sanctuary to be erected for mankind on earth, Makka is called in the Quran as "Mother of villages" (6 : 92). The eyes of the whole Muslim world fixed on that central spot which saw the first rays of the Divine guidance.

It is to this Holy place of Mecca that all Muslims turn at the times

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة

« بدل الاشتراك »
٥٠ فى جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر - السنة الرابعة والأربعون - ذو الحجة سنة ١٣٩٢ هـ - يناير سنة ١٩٧٣ م

حـ ١٢
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر

للأستاذ عبد الرحيم فودة

كلما انشق ظلام ليل راحل عن جبين نهار مقبل انطلقت الأصوات من مآذن المساجد لتملأ سمع الدنيا بهذه الكلمة ، وتوقظ الحياة على هذا النداء ، وتذكر المؤمنين بما تعبر عنه وتدل عليه .

إنها التعبير عن عظمة الخالق التى تتمثل فى كل ما خلق ، « فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا » .

« الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه » .

« الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن » .

« الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم » .

ثم هى إلى ذلك التعبير الصادق عن شعور المؤمن بكل ما يصل إليه علمه من أسرار خلق الله فى الأرض التى تقله . والسماء التى تظله . وفيما بين الأرض والسماء من أشياء لا تقع تحت حصر ،

ولا يبلغها استقصاء أو إحصاء ، « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » . « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » . « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم » .

الله أكبر .. حقيقة نطالعها فى كل ما تقع عليه الأعين ، وتحسه الحواس ، وتدركه العقول ، فما من شىء صنعه الله أمكن لغيره أن يصنع مثله أو قريباً منه ، بل إن كل ما صنعه الله يزيدك العلم به شعوراً بالعجز عنه ، وعلى العكس من ذلك ما يصنعه غيره ؛ فإن العلم به يمكن من الإتيان بمثله ، والزيادة عليه ، والتفوق فيه ، وذلك ما نراه فى واقع هذه الحياة ، فكلما وصلت أمة إلى درجة من التحسن فى صناعة من الصناعات نهضت أخرى تحاول اللحاق بها وسبقها فيها ؛ ولا يزال علم الإنسان ـ مع ما وصل إليه ـ عاجزاً عن تفسير الحياة فى أصغر صورها ؛ وهى الخلية الحية . بل لا يزال حظ الإنسان من العلم كما يقول الله : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ؛ وكما يقول : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء » وهذه الحقيقة إذا امتلأ بها قلب المؤمن هان فى عينيه كل ما يهول غيره ، وواجه الأحداث بعزيمة لا تفل ، وصبر لا يمل وروح لا تقهر ؛ ومن ثم كان موقف المؤمنين الصادقين من أعدائهم وأعداء دينهم كما يقول الله فيهم : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا

بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم».

وأمثل مثل لذلك موقف النبي صلى الله عليه وسلم في الطائف وهو يطارد ويضطهد ويقذف بالحجارة فقد كان مما قال وهو يناجي ربه: «أعـوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك، بل إنه عليه الصلاة والسلام وجد نفسه بين قوى تتألب عليه وتتحزب ضده، وتتحين الفرص للفتك به؛ فصغرت في عينه الدنيا وهان أمامه الوجود وقال لعمه حين طلب منه الرفق به وبقومه: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هـذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»..

ثم مضى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسلك بدعوته ما سلك من مسالك، ويخوض بها ما خاض من معارك حتى نصره الله، وعاد إلى البلد الذي أخرج منه في جيش كثيف لا قبل لأعدائه بلقائه وصده ورده، فلم يأخذه الزهو بما حاز من نصر، وإنما دخل مكة خاشعاً لله متواضعاً خافض الرأس، ووقف أمام الكعبة يقول هـذه الكلمة التي يرددها المسلمون في احتفالهم بكل عيد: الله أكبر الله أكبر. لا إله إلا الله وحده لا شريك له. صدق وعده. ونصر عبده. وأعز جنده. وهزم الأحزاب وحـده..

الله أكبر.. مفتتح الأذان وختامه. ومفتتح كل صلاة. والتكبير الذي يقترن بالركوع والرفع منه. والسجود والرفع منه، ثم هي إلى ذلك الهدير الذي كانت تمور به صدور المجاهدين، وهم يتدافعون للزحف ليغنموا إحدى الحسنيين النصر بإعلاء كلمة الله، أو الاستشهاد في سبيل الله.

اللهم املأ قلوب المسلمين بقوة هـذه الكلمة، ليجدوا فيها شعوراً بعزتك وقوتك وقدرتك، وليواجهوا بها أعداءك وأعداء دينك معتمدين عليك. واثقين بنصرك. معتزين بك. فإنك نعم المولى ونعم النصير؟

عبد الرحيم فودة

سورة الإخلاص

للأستاذ مصطفى الطير

— ٢ —

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد » (سورة الإخلاص) .

بينا فى العدد السابق ما كان عليه الناس من العقائد ، قبل أن يشرفهم الله تعالى بدين الإسلام ، وذكرنا أن الإسلام جاءهم بعقيدة التوحيد الخالص من الشرك بأى لون من ألوانه ، وأن العقيدة الصحيحة تتجلى فى سورة الإخلاص ، ووعدنا بشرحها فى هذا العدد ، واليوم نفى بما وعدنا فنقول وبالله التوفيق :

« قل هو الله أحد » .

أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يبلغ أمة الدعوة الإسلامية أن إلههم هو الله الواحد ، فلا شريك معه سبحانه ، فى الألوهية والربوبية .

وقد قامت الأدلة العقلية على وحدة الصانع سبحانه ، وقد أشار الله فى سورة الأنبياء إلى واحد من هذه الأدلة العقلية فقال : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » .

ونحن نبسط الكلام على أدلة الوحدانية من ناحية العقل فنقول :

إن هذا العالم إما ن يكفيه خالق واحد ينشئه من العدم ، ويدبره أمره أحسن تدبير ، أو لا يكفيه ، فإن كان يكفيه خالق واحد ـ وهو الواقع ـ فلا داعى لوجود غيره ، لعدم الحاجة إليه ، ولا يصح أن يفرض وجوده ، لأن وجوده حينئذ عبث ، والعبث يشين المخلوق ، فكيف لا يشين الخالق جل وعلا ، فلذا يستحيل وجود إله آخر لأنه لا يحتاج إليه الكون .

وإن زعم أحد أن العالم لا يكفيه إله واحد ، وأنه لا بد له من آلهة متعددين

يكمل أحدهم الآخر فيما لا يقدر عليه ، ويتعاونون فى ذلك .

فالجواب أن ذلك باطل لأمرين :

أحدهما : أن التعاون لا يمكن أن يتم إلا بين من يعرفون خصائص كل ما يصنعون تفصيلا ، حتى يخلق كل منهم ما يلتئم مع ما يخلقه الآخر ويكمله ، فمخترع الطائرة مثلا ، لو لم يكن قادراً على تصميمها كلها ، وعالما بخصائص كل جزء منها ، فإنه لا يستطيع صنعها وتحقيق المراد منها ، لا بنفسه ولا بمساعدة من يجهل ما يعرفه هو .

كما أن الذين يقومون بتجميع أجزاء الطائرة ، وضم بعضها إلى بعض ، لا يستطيعون ذلك ، إلا إذا كانوا يعلمون خصائص كل جزء ، وكيفية التقائه بالجزء الآخر حتى يتحقق المراد من صنعها .

فإذا فرضنا فى كل إله عجزه عما يقدر عليه الآخر ، فكيف يتعاون معه ، وهو لا يعرف خصائص ما عنده ، وكيف تتلاءم هذه الخصائص ، وما يعرفه أحدهم لا يعرفه الآخر ، فإذا كان كل منهم يجهل ما يعرفه غيره وما دبره ، فلا يمكن تعاونهم فى إبداع أصغر مخلوق فى هذا الكون .

ويلاحظ أن أصغر مخلوق فيه يحير العقول الجبارة ، فكيف بأعظمها؟ إن العالم كله يدار بقوانين واحدة ، فلا يستطيع أن يضعها وينفذها سوى إله واحد يعرف كل ما ينبغى لخلق كل جزء من أجزائه ، وارتباط أجزاء المركبات بعضها ببعض وارتباط الأجرام السماوية والأرضية بروابط تحفظ كيانها وتبقى عليها فى الفضاء بحيث لا تتهاوى ولا يحطم بعضها بعضا كما يعرف ما ينبغى لكل مخلوق من المادة والطاقة ، حتى يؤدى وظيفته فى هذا الكون ، بشكل رتيب بحيث لا يحدث فيه خلل ، ولا يعرض غيره للفساد ، كما يعرف الوقت اللازم لخلقه وتطويره ويعرف الأطوار التى ينبغى أن تتعاقب عليه حتى يتم خلقه ، ويؤدى وظيفته ، إلى غير ذلك مما لا يحصى .

وإنك لترى فى كل جزء صغير من هذا الكون أعظم الشهادة على ما قلناه ، وحسبك الذرة التى كشف العلم فيها الكثير من العجائب التى تحير الألباب فإنها تدلك بعظمتها على عظمة صانعها ،

وأنه واحد لا شريك له ، أما التعدد فلا نتيجة له إلا الفساد والدمار والعجز عن تحقيق المراد .

ثانيهمـــا : أن عجز كل منهم عن خلق ما يقدر عليه الآخر وعن تدبيره يعتبر نقصا يجب تنزيه الخالق عنه ،لأنه يعيب المخلوق فكيف لا يعيب الخالق جل وعلا .

فإن قيل : أي مانع من تعدد الآلهة وكل منهم قادر على ما يقدر عليه سواه ؟

فالجواب أنهم إما أن يعملوا متعاونين متفقين على ما يخلقون ويدبرون ، وإما أن يعملوا مختلفين ، فإن عملوا مختلفين تضاربوا في إراداتهم ، وعجـــزوا عن تحقيق ما يريدون ، لأن كلا منهم يمنع الآخر عن تحقيق مشيئته ، وفي ذلك فساد العالم ، وهذا هو ما عناه الله تعالى بقوله : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .

وبما أن العالم أمره مستقيم ، وجب نفي تعددهم وهم مختلفون .

وإن عملوا مؤتلفين متعاونين ، فلماذا يتعاونون ، وكل منهم قادر على ما يقدر عليه سواه ، إن القول بذلك يفضي إلى وصف كل منهم بأنه عاجز عن تحقيق مراده إلا بمعاونة شركائه ، وهذا يخالف ما فرض من أن كلا منهم كامل القـــدرة والتدبير ، وإذا كان ذلك الفرض يؤدي إلى العجز ، فإن التعدد في هذه الحالة يستحيل كما استحال فيما سبقها .

فإن فرض أن كل إله منهم يختص بعمل في الكون لا يعاونه فيه غيره ، فذلك باطل أيضا ، لأن الكون كله وحدة متماسكة ، لا ينفع فيها الانفراد بعمل معزول عن باقي الكون ، ولأن كلا منهم إذا كان يقدر على ما يقدر عليه سواه ، فلا يصح التعدد ، لأنه لا حاجة إليه .

وإن فرض أن أحدهم قادر والآخرون عاجزون ، فهذا القادر هو الإله الخالق وحده ، والعاجزون لا يصلحون للألوهية ، لأن العجز شين في البشر فكيف لا يشين الإله المعبود وكيف يصح في العقول أن يوجد إله لا فائدة منه (أي كمالة عدد) كما يقال في المثل التهكمي المشهور ، وكيف تسمح العقول بعبادة إله على هذا النحو من البطالة

والعجز ، ومع هذا فقد سقط فى ذلك الفخ الملعون ، أولئك الذين عبدوا الأنصاب وقدسوا الإنسان ، وألهوا الأشجار والحيوان ، وما لهؤلاء فى ملك الله شروى نقير ، فما أعظم جهل العابدين وما أحرام ببكاء الباكين .

« الله الصمد » .

قال ابن الأنبارى : لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد هو السيد الذى ليس فوقه أحد ، الذى يصمد إليه الناس فى حوائجهم وأمورهم ، وقال الزجاج : هو الذى ينتهى إليه السؤدد ، ويصمد إليه - أى يقصده - كل شىء .

وعن أبى هريرة : هو المستغنى عن كل أحد ، المحتاج إليه كل أحد ، وعن ابن جبير : هو الكامل فى جميع صفاته وأفعاله ، وقال مرة الهمدانى : هو الذى لا يبلى ولا يفنى ، يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه .

وقد فهم من تلك التأويلات لوصف الصمد ، أنه تعالى هو ملجأ القاصدين ، ومجيب المحتاجين ، وأنه يفعل ما يريد ، وأنه لا معقب لحكمه ، وأن كل ما عداه محتاج إليه ، وأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله ، وأنه تعالى ليس فوقه أحد ، فكل من عداه دونه ، ومن كان كذلك فلا يصح أن يعبد سواه .

والكلام بقية فى العدد التالى ، نتحدث فيها عن تفسير باقى السورة الكريمة ، فنوجه إليه النظر لأهميته ، والله تعالى هو الموفق والمعين ؟

مصطفى الطير

قال الله تعالى :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

(آل عمران : ٩٦ ، ٩٧)

من هدى السنة :

حرص النساء الصحابيات على العلم

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه ، تعلمنا مما علمك الله ، قال : اجتمعن يوم كذا وكذا ، فاجتمعن ، فأتاهن النبى صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله ، ثم قال : ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابا من النار ، فقالت امرأة : واثنين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : واثنين.

تعريف براوى الحديث :

هو سعد بن مالك بن سنان الخدرى الأنصارى الخزرجى ، وكنيته أبو سعيد استصغر فى غزوة أحد ، واستشهد أبوه بها ، وغزا هو ما بعدها ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحاديث ، فبلغت مروياته (١١٧٠) حديثا وكان من أفقه أحداث الصحابة ، ويدل على فضله ، والثقة به ، وتقدير عمر رضى الله عنه له ما رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : كنت جالسا فى مجلس من مجالس الأنصار ، فجاء أبو موسى فزعا (يريد أبا موسى الأشعرى) فقالوا : ما أفزعك ؟ قال : أمرنى عمر أن آتيه فى بيته ، فاستأذنت ثلاثا ، فلم يؤذن لى ، فرجعت ، فقال : ما منعك أن تأتينا ؟ فقلت : إنى أتيت ، فسلمت على بابك ثلاثا ، فلم يردوا على ، فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا استأذن أحدكم ثلاثا ، فلم يؤذن له فليرجع ، قال عمر : لتأتينى على هذا بالبينة ، فقالوا : لا يقوم معك إلا أصغر القوم ، فقام أبو سعيد ، فشهد له ، فقال عمر لأبى موسى : إنى لم أتهمك ولكنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى بالمدينة سنة ٦٤ هـ ودفن بالبقيع .

اللغـــة :

(ذهب الرجال بحديثك) يقال : ذهب في الأرض ذهابا وذهوبا ومذهبا مضى ، وذهب مذهب فلان ، قصد قصده وطريقته ، وذهب في الدين مذهبا ، رأى فيه رأيا ، فالمادة هنا تدل على المضى ومعنى ذهب الرجال بحديثك ، مضوا بكلامك منفردين به عن النساء ، واختصوا بتعاليمك .

(فاجعل لنا من نفسك يوما) الكلام على حذف مضاف والتقدير من أوقات نفسك ، أى الأوقات التى تجعلها لنفسك منفردا فيها عن الرجال .

(اجتمعن يوم كذا) كلمة (كذا) مركبة من كلمتين ، كاف التشبيه ، وذا اسم الإشارة ، ثم جعلت كلمة واحدة بعد زوال معنى الإشارة والتشبيه ، وصارت كناية عما يراد بها ، فهى هنا كناية عن يوم معين .

(ما منكن من امرأة) المراد معشر النساء المسلمات .

(تقدم ثلاثة من الولد) الولد بفتحتين يطلق على الذكر والأنثى فعل بمعنى مفعول ـ والمراد من تقديم المرأة لأولادها أن تصبر على موتهم ، وترضى بقضاء الله فيهم ، فتعتبر بهذا مقدمة لهم .

(كانوا لها حجابا من النار) أى كان الأولاد حجابا لها ، وفى رواية البخارى (كن) أى الأنفس .

ومادة الحجاب فى اللغة تدور حول المنع ، فيقال للستر حجاب ، لأنه يمنع المشاهدة ، ويقال للبواب حاجب لأنه يمنع من الدخول ـ والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : (كانوا لها حجابا من النار) أن المرأة التى صبرت على فقد أولادها يكون لها مانع من النار فلا يصل إليها ضررها ، ولا يلحقها أذاها .

البيـــان :

امرأة مؤمنة حريصة على العلم والتفقه فى الدين ، هاجها الشوق إلى أن تسترشد بهدى الرسول الكريم ، وتتزود من تعاليمه السامية ، لإيمانها بأنه الرسول الأمين ، المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى ، الذى علمه ربه ما لم يكن يعلم ، فكان فضله عليـــه عظيما ، فقالت له متحدثة عن نفسها وبنات جنسها : يا رسول الله : ذهب الرجال بحديثك ، أى اختصوا بإرشادك ، وانفردوا به ،

ونحن مثل الرجال فى الحاجة إلى العلم والمعرفة ، فاجعل لنا يوما تعظنا فيه وترشدنا ، فاستجاب النبى صلوات الله وسلامه عليه لتلك الرغبة الصادقة التى دفع إليها الإيمان الراسخ ، والعقل المستنير ، والنفس التواقة إلى النشأة فى المهد النبوى ، وسلوك الصراط السوى، وحدد لهن يوما معيناً ليستعددن له ، وليكن أشوق إليه ، فتكون الموعظة أشد وقعاً ، وأعظم أثرا — واجتمعن كما أمرهن فى الوقت الذى عينه ، فأخذ يعلمهن ؛ ويفيض عليهن العظة النافذة ، والحكمة البالغة ، ويبين الأحكام المحتاجات إليها .

وبعد تحقيق مطلوبهن زاد على ذلك مبشراً لهن ؛ فأعلمهن أن أى امرأة تبتلى بموت ثلاثة من أولادها ؛ وتتلقى قضاء الله تعالى صابرة محتسبة راضية بقدره ؛ مذعنة لحكمه ؛ فإنه تعالى سيجزيها الجزاء الأوفى ، فيجعل هؤلاء الأولاد وقاية لها من النار فلن يلحقها منها عذاب ولن يمسها أذى ؛ وستظفر هذه المرأة برضوان الله ومحبته ؛ وتصبح أهلا لتكريمه ورعايته .

والنص على الجزاء لفقد الثلاثة يعلم منه حكم ما زاد عليها من باب أولى .

وأما مانقص عن الثلاثة فإن النفوس تتجه إلى معرفة جزائه ؛ لذا بادرت امرأة من الحاضرات مستفهمة عن شأنها — ويدفعها الأمل إلى أن تحظى بهذا العطاء الجزيل — فقالت : واثنين ؟ أى وما حكم الاثنين ؟ فقال الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : واثنين ؛ أى أن موت الاثنين مع الصبر والاحتساب ؛ والإذعان لقضاء الله والرضا بقدره ؛ والإيمان بحكمته فيما قضى وقدر يكون حجابا من النار؛ وسبيلا إلى حسن القبول ؛ وجزيل العطاء كموت الثلاثة ؛ ولا حرج على فضل الله سبحانه فى جزائه للصابرين ؛ فإن جزاءه لهم لا يقاس بمعيار ؛ ولا يقف عند حد ؛ ولا ينتهى إلى غاية ؛ كما قال عز وجل : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)[1] .

ربما يقال: تبين من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم أن حكم الاثنين فى الجزاء

(١) الزمر : ١٠

حكم الثلاثة ؛ فلماذا قال عليه الصلاة والسلام فى أول الأمر : (ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد) ؛ ولم يقل تقدم اثنين ؟

والجواب عن هذا من وجهين:

الأول : أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يعلم فى بادىء الأمر أن حكم الاثنين فى الجزاء حكم الثلاثة ـ لكن لما سئل أعلمه الله ذلك بوحى أوحى إليه فى الحال .

الثانى : أنه يحتمل أن يكون الرسول صلوات الله وسلامه عليه يعلم من أول الأمر أن حكمه مثل حكم الثلاثة ؛ لكن خشى على النساء الاتكال على ذلك ؛ والتفريط فى صالح الأعمال ؛ لأن موت الاثنين غالباً أكثر ـ لكن لما سئل لم يكن بد من الجواب ؛ لأن الجواب بيان عندالداعى إليه ؛ ولا يجوز تأخيرالبيان عن وقت الحاجة.

ما يرشد إليه الحديث :

يرشد الحديث إلى غايات كريمة ، وأهداف نبيلة نجتزىء منها بما يأتى :

١ ــ الحث على بذل العلم عند طلبه ، والاستعداد لتلقيه .

٢ ــ العناية بأمر المرأة ، وبيان أن لها حق المعرفة والتفقه فى الدين كالرجل .

٣ ــ على الداعى إلى الله أن يراعى حال المخاطبين ، فيتحدث إليهم بالحكمة فيما يمس حياتهم ، ليكون ذلك أوقع لموعظته وأبلغ فى نجاح دعوته .

٤ ــ التنويه بالعاقبة الطيبة، والجزاء العظيم فى الصبر على فقد الأولاد ، واحتسابهم عند الله تعالى .

نسأل المولى القدير أن يمنحنا قوة فى اليقين . وفقها فى الدين . ويجعلنا ممن أوتوا العلم فرفعهم به درجات ، ورزقنا حسن الاقتداء برسوله الكريم ، والاعتزاز بهديه الحكيم ، إنه سبحانه ولى الهداية والسداد ؟

منشاوى عثمان عبود

الصّهيونيّة وراء المنهج العصرى الذى يقلب حقائق التاريخ الإسلامى

للأستاذ أحمد موسى سالم

أشرت فى مقالى السابق [١] حول المؤامرات التى تحاك لطمس التاريخ الإسلامى إلى مؤتمر بلتيمور الصهيونى الذى انعقد فى الولايات المتحدة سنة ١٩٤٢ بحضور بن غوريون ، والذى كان هدفه السرى وضع الخطط الصهيونية العصرية والخفية التى يمكن أن تسوق بها المعركة التاريخية ضد الأمة العربية والإسلام إلى مأزق نهائى ، بينما تعمل الصهيونية عسكريا وسياسيا على غزو أراضى العرب ، وعلى تفتيت وتشتيت شعوبهم ، وذلك بتكبير وتفجير نقطة ارتكازها الأولى بعد احتلال فلسطين .

واستأنف اليوم فأقول إن هذا المؤتمر قد وضع بالتأكيد خطة عمل مركبة وكثيرة التفاصيل نحس آثارها اليوم - بعد ثلاثين عاما من خلال تجدد وتصاعد هذه الحرب التاريخية والفكرية التى لا يزال يشنها اليهود بالموازاة لنشاطهم العسكرى - على وجود الأمة العربية ، ودينها ، وملامحها التاريخية والحضارية .

ولقد تعددت الطرق والأساليب والوسائل الخفية التى تلجأ إليها الصهيونية فى حربها الحاقدة والمستمرة على التاريخ الإسلامى ؛ إلا أن أخطرها وأشدها خفاء وتدميرا - ولا شك - هو هذه الدراسات التى تستهدف قلب حقائق وأحداث التاريخ الإسلامى رأسا على عقب ، والتى تتضافر عليها عناصر من بين المستشرقين الأوربيين والأمريكيين تبدو بينة المظهر وبعيدة عن أن يجمعها خيط سياسى أو مذهبى واحد ، ولكنها تتفق على الزعم بأنها تعيد النظر إلى التاريخ الإسلامى ، وتعمل على تصحيح تفسيره من خلال ما اصطلحوا على تسميته بالمنهج العصرى والعجب أن هؤلاء المختلفين فى انتمائهم

---

(١) المقال بعنوان : حملة ظالمة على التاريخ الإسلامى لإعادة كتابته بالمفاهيم الشعوبية عدد ذى القعدة ١٣٩٢ .

المـــذهبى والاجتماعى بين الصهيونية والماركسية أو بين اليمين واليسار ـ قد اتفقوا على قلب حقائق هذا التاريخ وعلى تمزيق اتساقه ، وطمس صورته ، وهم يعمدون إلى تشريح أحداثه ، وتأويل وقائعه ، بمقاييس اليمين واليسار ، وبمفاهيم متناقضة عن الصراع الطبقى أو التوازن الطبقى !

ولقد أخذ الاتجاه يتزايد تحت شعار حرمة « البحث العلمى » وحيادية « المنهج العصرى » إلى تعميم هـــذه المذاهب الاستشراقية المغرقة فى الهوى أو الجاهلة بالحقائق على الفكر العربى المعاصر بتأثير التداعى الطبيعى إلى ملء فراغ المكتبة العربية من دراسة منهجية معاصرة للتاريخ الإسلامى ، كما هو بتأثير الجاذبية السلبية أيضاً للفكر الاجتماعى الاشتراكى الذى يركز دعائيا على طرقه الماركسية فى التفكير فى ظروف التخلف الاجتماعى الشديد الذى تعانيه عامة الشعوب العربية

ومع تفاقم الأزمة الثقافية فى الوطن العربى ، واتساع الهوة بين الفكر الدينى المتجمد داخل أسواره وبين الأفكار المادية والعلمانية والليبرالية المتصاعدة النشاط حول هذه الأسوار ، ثم مع البطء الشديد فى حركة كسر قيود الجهل المعاقة عن عامة الشعب المحروم من المعرفة ووسائلها ـ بدأ خطر المدرسة الاستشراقية الماركسية والصهيونية فى فهم التاريخ الإسلامى مقلوبا ينتشر فى نطاق مثقفين عرب يؤمنون الآن بصحة نتائج هذا المنهج العصرى ـ مع استحالتها فى العقل ـ بل ويقومون بتدريس هذه المناهج لشباب الجامعات ، بل وتأليف الكتب عن هذا المنهج نفسه لتوسيع نطاق قلب الرؤية التاريخية الإسلامية بين المتعلمين وأنصافهم ...

قلنا إن المستفيد من هذا التنكيس لحقائق التاريخ الإسلامى هو العـــدو الإسرائيلى ، وأن الخاسر هو الشعب العربى ، ذلك لأن هذه الشعوذة المنهجية لعرض التاريخ الإسلامى مقلوبا إنما تحدث والشعب العربى صاحب هـذا التاريخ فى صراع حضارى ومصيرى مع هذا العدو الإسرائيلى وعصاباته الصهيونية المتمركزة بالقوة على الأرض العربية .

فإذا كان معنى هذا « المنهج العصرى » لكتابة التاريخ الإسلامى هو أن القرامطة

والإسماعيلية الباطنية مثلا ـ وهم غير عرب وغير مسلمين ـ هم الثوار والاشتراكيون ، وأصحاب الحق فى حكم الوطن العربى وإسقاط حكوماته القائمة، فإن تفسير هذا المعنى يصبح ـ ولا شك ـ تأييداً غير مباشر لدعوى إسرائيل التى ترى أن من حقها أن تحكم وتنهب أرض العرب المتخلفين بالإرهاب والقوة ، وباسم الحضارة المتقدمة والعلم ا فكيف إذا علمنا أيضاً أن القرامطة والإسماعيلية ـ الذين يجمعون بين الزندقة والإباحية وعبادة البشر ـ ينتمون إلى قيادات يهودية فى مراحل التأسيس الأولى من أمثال ميمون القداح ، وإلى أفكار ومعتقدات إسرائيلية فى مراتبهم وطبقاتهم وطقوسهم السرية !

لا ريب أن التماثل « المنهجى » واضح تماما فى هذه الأواصر بين عصابات القرامطة وعصابات إسرائيل ، كما أن الهدف « العصرى » واضح تماما أيضاً فى أن تكون الدولة العربية الأموية والدولة العربيــة العباسية هما اليمين البورجوازى أو الرأسمالى أو العابق أو الثيوقراطى الدينى بينما عبدة البشر، من عصابات القرامطة والإسماعيلية الذين أنكروا الشريعة ، وسخروا من القرآن، وذبحوا الحجاج ، وخططوا لاستعمار الوطن العربى بالقهر الاستيطانى والتخريب العقائدى هم « اليسار المبكر وثورة الفقراء من الفلاحين ، لإقامة نظام جديد يستوحى عدالة الإسلام» !

أليس هذه العصابات القرمطية أشبه ما تكون اليوم ـ مع قلب حقائق التاريخ الإسلامى ـ بالعصابات الصهيونية ، وأقرب إلى أمانيها فى إزالة وإبادة الشعوب العربية لتقيم « إسرائيل الكبرى » من النيل والفرات، بقوة العمل السرى والإرهاب

ألا ترى فى النتائج المنطقية لهذه الشعوذة المنهجية فى كتابة التاريخ الإسلامى بالرؤية الماركسية لأمثال بندلى جوزى ولوتسكى دايفانوف ، وبالرؤية الصهيونية لأمثال جولد تسيهر وكاتيانى وبرنارد لويس ـ أصابع بن غوريون تلعب فى مؤتمر بلتيمور بل وأصابع هرتزل وماكس توردو وحاييم وايزمان وناحوم سوكولوف من قبل بن غوريون ؟ !

أليس هذا التاريخ الإسلامى المقلوب الذى يظهر فى هذا التوقيت بالذات مترجما

من لغات المستشرقين المغرضين بأقلام بعض المثقفين العرب المفتونين والمقلدين هو الذى يقدم هذه المشابهة العجيبة والأواصر الوثيقة بين عصابات القرامطة التى التزمت بنظرية الإرهاب وسفك دماء المسلمين، وبين عصابات الصهاينة التى التزمت بنفس النظرية تجاه جميع العرب مسلمين ومسيحيين، وتجاه عرب فلسطين بالذات كبداية ! ؟

ألا يعرض لنا هذا التاريخ الإسلامى المقلوب، والذى يدرس الآن بالعربية لشباب بعض الجامعات، وللقطاع المتعلم من الجماهير - هذا التشابه الذى يوحى بالكثير بين أسلوب التبرير الذى يدافع عن جرائم القرامطة الدموية باسم الثورة على الظلم العربى ممثلا فى الخلفاء وبين أسلوب التبرير المعاصر الذى تلجأ إليه القوى الاستعمارية للدفاع عن جرائم إسرائيل الدموية باسم الضرورة الحضارية تجاه التخلف العربى ممثلا فى انقساماتهم وعجزهم عن استخدام مواردهم ! ؟

إن الصورة البطولية الكاذبة التى تقدمها هذه الدراسات للقرامطة الذين فضلوا من بين التنظيمات الإسماعيلية الباطنية أن يأخذوا بنظرية الإرهاب وسفك دماء العرب والمسلمين بدلا من التقية وتدبير المؤامرات السرية - تعكس ولا شك هذه الأواصر التاريخية والعقائدية بين عصابات القرامطة وعصابات إسرائيل. إنها تعكس المنهج القديم للقرامطة على ملامح المنهج العصرى لإسرائيل كما ينعكس الأصل على فرعه فى التزام التخريب والتدمير والقتل لكل ما هو عربى وإسلامى على الأرض العربية، وباتساع رقعة العالم إن أمكن ... !

ونحن لا نذهب بعيدا فى الاستدلال لن نقدم الدليل على أواصر الأصل والفرع بين القرامطة وإسرائيل من كتب المؤرخين المسلمين القدامى الذين لم يشهدوا من حسن حظهم غزو أخلاط الصهاينة لبيت المقدس وأرض فلسطين العربية، وإنما نقدم الشاهد من هذه الكتب الاستشراقية نفسها التى أخذت فى العصر الحديث تقدم حقائق التاريخ الإسلامى مقلوبة ضد أصحاب هذا التاريخ من العرب المسلمين، والتى إذا عذرناها فى النظر إلى هذا التاريخ من منظور ماركسى لأن هذا هو نظرها الوحيد فإننا لا نعذر

أبناءنا ومفكرينا أن يهطعوا وراء هذا المنهج الخاص بدعوى أنه المنهج العلمى والعصرى والوحيد!

يقول بندلى جوزى المستشرق الماركسى اليهودى فى كتابه الذى أصدره فى القدس سنة ١٩٢٨ بعنوان «من تاريخ الحركات الفكرية فى الإسلام» والذى يمكن اعتباره أحد المصادر الأساسية للمدرسة المادية فى فلسفة أحداث التاريخ الإسلامى وذلك وهو يعرض لبعض وقائع الإرهاب الدموى فى تاريخ أحد زعماء القرامطة من الفرس وهو سعيد بن بهرام الجنابى من خلال تصويرها المفتعل بصورة العمل الثورى المشروع:

يقول فى وصف واحدة من حوادث ذبح جماهير عزلاء من السلاح من العرب وغير العرب فى موسم الحج، ونهب أموالهم، والتنكيل بهم وبالأماكن المقدسة واختطاف الأسرى من النساء والصبيان:

«دخلت سنة ٣١٧ هجرية، ٩٣٠ م. وليس فيها ما يدعو إلى القلق، فأخذت ألوف الحجاج ترد إلى بيت الله آمنة لا هم لها إلا قضاء شعائر الحج، والعود إلى بلادهم سالمين مطمئنين. ولكنهم لم يكادوا يتمون الشعائر حتى جاءتهم الأخبار بأن أبا طاهر - سعيد بن بهرام الجنابى زعيم قرامطة البحرين - زاحف على مكة فى جيش مؤلف من ٦٠٠ فارس و ٩٠٠ راجل.

ولم يمض على شيوع هذه الأخبار بضعة أيام إلا وكان أبو طاهر وأصحابه على أبواب مكة، وأميرها وجماعة كبيرة من أعيانها يستعطفونه، ويحاولون أن يقنعوه بالرجوع إلى بلاده مزودا بالمال والهدايا الثمينة فلم يوفقوا إلى ذلك. فدخل أبو طاهر وأصحابه مكة وأخذوا يقتلون أهاليها ومن كان فيها من الحجاج من رجال ونساء وهم متعلقون بالكعبة، وردم بهم زمزم، وفرش بهم المسجد الحرام وما يليه، وقتل فى سكك مكة وشعابها من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفا، وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك، وأقام بمكة ستة أيام ولم يقف أحد تلك السنة بعرفة، ولا أوفى نسكا، وكان أشد الناس قسوة وأقلهم رحمة أبو طاهر بن بهرام نفسه فكان يتنقل ومن مكان إلى مكان آخر فى الكعبة ومكة ومن جماعة إلى جماعة أخرى وهو يدعو أصحابه وقد ثملوا بما غمره من

المال والحلى : (أن أجيروا على الكفار وعبدة الأحجار، ودكوا أركان الكعبة).

فهذا واحد من فلاسفة المنهج العصرى ومن مؤسسى المدرسة المادية فى النظر إلى التاريخ الإسلامى ، وممن يعتبرون القرامطة والإسماعيلية هم « الشيوعيون الأوائل فى الإسلام » يقدم هذه الصورة الدموية لسفاح من زعماء القرامطة « الشيوعيين الأوائل ، وهو يضرب الجماهير بالسيف غدرا ، ويسرقها ، ويهتك حرماتها هادما بذلك أساس الثورة المشروعة ، معلنا عن الزندقة المستمدة من منابعها المزدكية القديمة ، وعن بطولة اللصوص التى تستند فى أبشع جرائمها إلى غياب الحارس ، ووهن العقيدة ، وشتات الجماهير !

هذه الصورة الصارخة لإنسانية القرامطة الممزقة، وأطماعهم الخيالية فى حكم أرض العرب ، مدفوعين إلى الاستخفاف بهم وبدينهم - فى لحظة ضعف - بإيحاء زعمائهم المجهولين من اليهود وغيرهم - هى الصورة نفسها لأخلاط العصابات الصهيونية المعاصرة التى تقودها حكومة خفية من المردة والشياطين المعبودة من هذه العصابات ، بل هى الصورة نفسها للزعماء الظاهرين من قادة إسرائيل الذين لا يزالون على طريق طويل ومظلم يدفعون عصاباتهم فى سكرة الفوز الرخيص ، وشجاعة الجبن المنفلت إلى أبشع الجرائم الوحشية والدموية التى تستهدف اغتيال شعب بأسره على أرض وطنه هو الشعب الفلسطينى . .

إنها نفس الصورة التى يرويها مستشرق ماركسى آخر هو يورى إيفانوف فى كتاب له عن الصهيونية يسرد فيه : - بعيدا عن التاريخ الإسلامى هذه المرة - كثيرا من الأفكار العدوانية والمضادة لأى اجتماع إنسانى فى كتابات عدد من هؤلاء الزعماء الصهاينة بحيث يبدو التطابق تاما بينهم - ودون أن يقصد - وبين زعماء القرامطة ... !

يروى إيفانوف منددا بالاغتصاب الصهيونى لأرض العرب فيقول :

« فى ٢٨ أكتوبر من عام ١٩٥٨ أعلن الزعيم الصهيونى مناحم بيجن أمام ممثلى الجيش الإسرائيلى قوله : أنتم أيها الإسرائيليون يجب أن لا تكونوا رؤوفين عندما تقتلون عدوكم ، عليكم

أن لا تشفقوا عليه ما دمنا لم نقض بعد على الحضارة العربية التى سنبنى على أنقاضها حضارتنا !!

هنا تتشابه الأهداف والأقوال والأعمال الإجرامية جميعها بين القرمطية الصهيونية الأولى - التى يروج لها فى هذه الأيام بعض المثقفين العرب - وبين الصهيونية القرمطية الحديثة التى تواجهها فى معركة تاريخية مفتوحة لا تزال تتصاعد من جانب العدو بحسب خطط مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ ، ومؤتمر بلتيمور سنة ١٩٤٢ بينما نتجمد بموقفنا من فهم تاريخنا أمام هذا الغزو المتسلل والمتسرب ، ونتقلص وننكمش ... فهل إلى أن نذوب ! ؟

لا شك أن قلب التاريخ الإسلامى بدعوى المنهج العصرى وراء هدف اقتلاع الجذور الاعتقادية للدين ، والجذور القومية للعرب فهل غاشم يثير رد الفعل المستنير .

ولا شك أن أى مفكر عربى لا يدرك تحت عذر أى منهج هذا التطابق العدوانى بين شعارات زعيم عصابات قرمطى مثل سعيد بن بهرام الجنابى الذى يذبح الحجاج ، ويهدم الكعبة ، ويسرق المسلمين ويستعبد النساء والصبيان وبين شعارات زعيم صهيونى مثل بن غوريون يقول : « بالدم والنار سقطت اليهودية وبالدم والنار سوف تعود » ... إن مثل هذا المفكر العربى الذى يرى فى حمايته أن الجنابى ثائر شريف بل ومسلم وأن بن غوريون ورفاقه هو الدموى المغتصب لا يستحق إن يؤتمن على حرمة الفكر ، ولا أن يسمح له أحد إذا خرج عليهم ملفوفا ومتخفيا فى ثوب المنهج العصرى أن يقوم بتدريس التاريخ الإسلامى على هذه الصورة المقلوبة !

إنه من الحتم أن نفصل بين حرية الاعتقاد وبين حرية فرض الاعتقاد .

ذلك أن هذا الذى يدرس التاريخ الإسلامى فى إحدى كليات الجامعات بهذا المنهج الذى يجعل من القرامطة المدلسين مثالا لمجتمع المستقبل إنما يبرر دون أن يدرى كل امتهان للعقل والعلم ، ويهدم من حيث أريد منه أن يبنى ، وأن يبنى بإخلاص ، وطنه المحاط بالأعداء ...

إن من حق أى مفكر أن يرى رأيه فى التاريخ الإسلامى أو أن ينقل رأيه عن الآخرين ، ولكن ليس من حقه مطلقا

ولقد تعلم بمال الشعب ، وهو الآن يعلم أبناء الشعب لتنمية الشعب وليس لتخريب معتقدات الشعب ... ليس من حقه أن يدرس هـــذا التاريخ من منظور غير إسلامى مهما كان إغراء المنظور الآخر شديدا عليه !

معنى هـذا إنه لا بد من من إشراف الدولة على مناهج هذا التاريخ وبخاصة فى كليات الجامعة التى تدرسه ، بمثل إشرافها على مناهج الدين ، وعلى مناهج الشريعة الإسلامية ، بما يقتضى أن تنهض جامعة الأزهر بإعداد هيئات تدريس قادرة على الملء الواعى لهـــذا الفراغ المعيب فى مادة التاريخ الإســـلامى بالجامعات ...

ولكن الكلام عن طليعة مرشدة لتدريس التاريخ الإسلامى فى كليات الجامعات يسوقنا سوقا إلى مواجهة المشكلة الحقيقية وهى المنهج الإسلامى العلمى لكتابة هذا التاريخ .

إنه فيما عـــدا الموسوعات التاريخية التى كتبها المؤرخون المسلمون القدامى فى عصور متأخرة من صدر الإسلام ، والتى امتلأت رغم إخلاص مؤلفيها بالروايات المدسوسة ، والأساطير الساذجة والتى كانت مهمتها السرد وليس الدراسة والتحليل والتنظير لحركة التاريخ - فيما عدا محاولات ابن خلدون - لا نجد اليوم مانحن فى أشد الحاجة إليه من هذه الكتابة العلمية والسليمة لتاريخنا ، والتى تستند إلى ما هو باق بين أيدينا من المنهج القرآنى وما يشتمل عليه من قواعد النظر العـــالية . ومثل هذا الفراغ مشكلة لمن لا يجد فيأخذ بالمنهج المادى ومشكلة لمن لا يبالى ثم يشكو من المنهج المادى !

أحمد موسى سالم

نحو إنسانية رشيدة في فنون الحرب

للأستاذ أبو الوفا المراغي

الحرب ظاهرة بشرية يقترن وجودها بوجود الجنس البشرى ، فمنذ كان الجنس البشرى على سطح البسيطة وداعى الحرب - وهو حب التملك والسيطرة والتنافس فى سبيل المادة - متوافر ولوجرد تاريخ العالم من أحاديث الحروب والكلام عن قادتها وعباقرتها لا نكمش حجم التاريخ إلى دون ما هو عليه .

ولقد اختلفت دوافع الحرب على مر العصور فكانت دوافعها قديما الإغارة وسلب الأموال والحصول على القوت ثم صارت دوافعها الذود عن القوميات والعصبيات ثم تطورت دوافعها بعد إلى استعباد الشعوب لاستغلالها والاستئثار بثرواتها ، وكانت الحرب تكاد تكون محصورة فى نطاق الجوار لاينال ضررها ولا يمتد شررها إلى من بعد عن رقعتها كما كانت الحال فيما بين العرب فى الجزيرة العربية أو فيما بين قبائل أواسط أوربا ، وحين تقدمت وسائل الحضارة وبخاصة وسائل الانتقال وتطورت أدوات القتال انطلق مارد الحرب يعربد فى كل قطر من أقطار العالم دون حدود أو قيود وشهد العالم دول الاستعمار من أقصى شمال الأرض تغامر بغزو أقطار آسيا فى جنوبها طمعا فى مواردها وغلاتها .

ولقد جرت ظاهرة الحرب فى أكثر أحوالها على السنن الحيوانى يفتك القوى فيهما بالضعيف دون شفقة أو استحياء ، ودون مبالاة بأرواح الناس وممتلكاتهم ، ولا يغير من واقع ذلك السنن هذه الأقنعة المزيفة التى حاول القوى أن يصور بها أطماعه فى صورة النهوض بالشعوب والحرص على أحوالهم وكل ما يمكن أن يلاحظ من تطور فى ظاهرة الحرب ، أن إثارتها وإشعال

نيرانها كان فيما مضى رهنا بإرادة الملوك والرؤساء وأطماعهم فى الفتح والاستعمار فأصبحت الآن فى كثير من دول العالم مقيدة بإرادة الشعوب ممثلة فى برلماناتها وهيئاتها الدستورية ولم يغير هذا من واقع الأمر فى الحروب وتعريض الضعفاء لبطش الأقوياء .

إن الحروب نيران وقودها الناس والأموال وثمارها الخراب والدمار ، هذه طبيعة الحروب ، وقد كان ضحاياها من الناس فيما مضى هينا ضئيلا يعد بالمئات لايحس به إلا من باشرها أووقع فى نطاقها من القبائل أو الشعوب ، وقد تعاظم وقودها الآن فأصبح لكل قطر نصيبه منها وأصبحت ضحاياها تعد بالملايين ، وعن إحساس العالم بويلات البشرية من هذه الحروب حين يشب أوارها وتستعر نيرانها .

ولقد كان ماوقع من الفظائع بهيروشيما ونجازاكا هو المثل المصغر لأهوال الحروب الحديثة كما كان ناقوس الخطر الذى قرع آذان العالم ، وأيقظه من ثباته ووقفه على مقدار الخطر من ضحايا الحروب إن هى ثارت فى مناخ الصواريخ والقنابل النووية والغازات المهلكة والطائرات المختلفة الأسماء والأشكال والقوى وتنبه ضمير العالم على نذر نجازاكا وهيروشيما وعلى مايقرأه ويسمعه عن القوى التدميرية فيما ابتكره العلم وأنتجه من أدوات الحرب ، وإلى جانب ذلك من إحساس العالم بتأثير الحضارات المتطورة فتداعت الجماعات والأمم على التفكير فى مستقبل البشرية وما تتعرض له من أخطار وكان من نتائج ذلك أن بدأ فى الأفق الدولى ميلاد رأى عام عالمى ضد هذه الحروب ويمكننا أن نقول أن هناك رأيا عاما عالميا فى آخر مراحل تكوينه يكاد يجمع على استنكار الحروب واتخاذها وسائل لحل مشاكل العالم ، وكان الفضل فى تكوين هذا الرأى إحساس الشعوب لا إحساس الحكومات . فكثير من الحكومات غير مرتاح لهذا الوليد الجديد ، لأنه يحد من سلطانها ويحملها على غير ما تود من اتجاهات وأفكار والمتتبع للتحركات السياسية وأحاديث السياسيين ولما ينشر حول هذا الموضوع يلاحظ كثيرا من

الأمارات على وجود هذا الرأى العام العالمى كما يلاحظ استجابة كثير من الحكومات - ولو برغمها - لهذا الرأى وإن لم يتفق مع سياستها ، وأوضح مثل على ذلك هو الاستنكار العنيف الذى يكاد يشمل الشعب الأمريكى لسياسة حكومته فى حرب فيتنام ، ذلك الاستنكار الذى يلاحق الرئيس نيكسون ويأخذ بمنافسه ويوقعه فى حيرة لا يهتدى معها إلى وجه الصواب ، ويحاول بحيله ومراوغاته أن يهدىء من ثورة الشعب ويغطى موقفه ويحفظ على حكومته هيبتها وكرامتها ، ومازال طريق الخلاص مسدودا أمامه ولقد اتخذ استنكار الشعب الأمريكى مظاهر شتى ؛ تمثلت فى المعارضة القوية فى الهيئات الدستورية وفى فرار الجنود من الجندية وفى ندوات بعض أساتذة الجامعات ، وفى مظاهرات الشباب وسلوكهم الاجتماعى ويتوقع الخبراء بالسياسة ألا يمضى وقت طويل حتى تتخذ الحكومة الأمريكية قرارا بالانسحاب من فيتنام استجابة لضغط الرأى العام الأمريكى واستنكارا لأسلوب الحروب فى هذا العصر .

ومن مظاهر وجود هذا الرأى العام وتأثيره العالمى هذا التقارب الذى وقع بين الكتلتين الشرقية والغربية وإمكانها التوصل إلى تسوية لمشكلة برلين تلك المشكلة التى كانت أعوص المشكلات الدولية الراهنة ، ومن قبل ذلك وبجهود بعض الزعماء المحبين للسلام برزت إلى الوجود فكرة عدم الانحياز أو الحياد الايجابى وسرعان ما تلقفتها الشعوب المحبة للحرية واعتنقتها وأخذت تبشر بها وتكونت من مجموع تلك الشعوب كتلة أصبح لها وزنها وتقديرها فى توجيه السياسة العالمية ، ولعل من أبرز مظاهر وجود الرأى العام العالمى وأثره المحمود : العمل على تخفيف حدة التنافس فى استكشاف الأسلحة وتجريبها واختزان المصروف منها وتحويل ميزانياتها إلى تطوير الشعوب وتوفير ما يمكن من الرخاء والرفاهية ولقد كانت أولى الخطوات فى هذا السبيل الاتفاق بين الكتلتين على وقف إجراء التجارب النووية ومواصلة السعى فى موضوع نزع السلاح نزعا شاملا . كوسيلة من وسائل السلام العالمى وإلى جانب ذلك نجد الإحساس يتزايد لاستنكار

الحرب واتخاذها أداة من أدوات معالجة المشكلات الدولية حتى أن لفظة الحرب أصبحت تثير فى نفس كل فرد شعور الامتعاض والألم بما توحى به من مناظر الدماء والأشلاء وترميل النساء وترميل الأزواج وثكل الأمهات وتصور ما تجره من الخراب والدمار على العباد والبلاد.

ولا شك أن هناك رأياً عاما عالمياً قد تكون وبدت بعض آثاره وإذا اضطرد فى مده دون أن تعوقه حواجز أو سدود فسيبلغ غايته وسيغرق بطوفانه نزعات التسلط والبغى والعدوان من نفوس بعض الزعماء والساسة ويثوبون إلى الطريق السوى فى وجوب إقامة العلاقات بين الشعوب على أسس من المحبة والتعاون واحترام السيادة والحقوق ، وتلك هى الغايات السامية التى دعى إليها الإسلام وحال دون بلوغها إلى الآن ذوو الأطماع من الساسة وتجار الحروب وأن الحضارة وتطور العلوم الذى بلغ الذروة وجاوز الخيال إن لم يفلح فى هذا المضمار ويقضى على وسائل العنف والعدوان فى علاقات الشعوب ويستبدل بهما وسائل التعاطف والتعاون والتناصح وهى علاقات الإنسانية الرشيدة تطلعت إليها الأجيال على مر العصور لظل حضارة زائفة مفلسة لا تحقق للبشرية هناء ولا استقرارا ولا تمنحها أمنا وسلاما .

إن الأمل فى أن تقضى الحضارة ورقى الشعوب على الحروب قضاء شاملا طمع فى غير مطمع ، فالحرب كما قلنا ظاهرة بشرية اقترنت بوجود الجنس البشرى وأن ما نطمع فيه أن يحد العالم من الحروب فلا يسمح بأن تقع إلا فى نطاقها المشروع وحين تدعو الضرورة إلى الدفاع عن نفس أو وطن أو عرض أو مال ، وأن يلتزم فيها آداب الحروب فلا يقاتل إلا من يقاتل ولا تستباح الحرمات ولا يجهز على الجرحى ولا تساء معاملة الأسرى وتلك هى الحروب التى ترضى عنها الإنسانية الرشيدة حين يكون لا بد منها ، ولعلنا نكون فى الطريق إليها ولعلنا نصل إليها إن شاء الله ؟

أبو الوفا المراغى

الطير الأبابيل في كتب القدامى والمعاصرين

للأستاذ السيد حسن فهمي

أصدق وثيقة تاريخية لحادث الفيل - وإن لم تكن الحكمة فيها هو التاريخ - هي سورة الفيل إحدى سور القرآن الكريم ، وهي مكية بإجماع وعدد آياتها خمس . قال تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول » . وهذه السورة على قصرها شغلت العلماء والمؤرخين ، وألهمت الأدباء بارع الآداب ، وشائق القصص ، ورائع البيان . والمفسرون حين يأخذون في تفسيرها لابد لهم من أن يذكروا قصتها ، أو يؤرخوا لها حتى تستبين معالم الطريق لهم في الفهم والإفهام ، ولا شك أنها نزلت عبرة وتذكرة لقريش . فقد كانت تكيد لمحمد رسول الله أشد الكيد وأعظمه ، وتقف له بكل سبيل تحول بينه وبين أداء رسالته ، فذكرها الله في عبارات حاسمة بما حدث لها من غزو الحبشة لها بقيادة أبرهة الأشرم ، وأنه أهلك الجيش المغير بشيء صغير ضئيل هو الطير الأبابيل التي شاهدوها بأعينهم ، لقد عدوا ذلك تكريماً لهم وما دروا أنه كان تكريماً لمولود سيكون سراجاً منيراً وهو قادر على أن يهلكهم كما أهلك جيش أبرهة ، وما ذلك عليه بعزيز .

ومن الواضح أن حادث الفيل كان له أسباب ، وأسبابه هي ما نراه بأعيننا اليوم هي مطامع الأقوياء في استعباد الضعفاء ، كانت مكة آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من طريق تجارتها شتاء إلى الشام وصيفاً إلى الحبشة وحين نذكر تجارة قريش إنما نذكر تجارة عالمية اتخذ لها القرشيون نظماً محكمة ووسائل أمن متعددة ، فكانت قوافلهم تذهب شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ولا يتعرض لها أحد لما وثقوا لها من المعاهدات . واستغلوا الحرب الدائرة بين الفرس والروم . فصاروا هم المتصرفين في تجارة العالم . وأثروا ثراء كبيراً .

وعندك من الشواهد ما يؤيد قولك.
فانظر إلى القوافل التى يقودها أبو سفيان قبيل غزوة بدر لتدرك مدى سعة تلك التجارة وحسبك من الثراء أن تذكر أن قبر عبد المطلب بن هاشم تكلف ألف دينار.

نظر إلى كل ذلك أبرهة وكان رجلا ذكيا ذا أناة، فأراد أن يصرف الحاج عن بيت الله الحرام؛ لأنه فى نظره - وهو صحيح - سبب رغد قريش وأمنها والظاهر من هذا أنها حرب اقتصادية، ولا بد أن يحشر فيها الدين، فقريش لها بيت يحجوج وم وثنيون، فماذا عليه وهو الرجل المسيحى لو بنى كنيسة ودعا إليها العرب ليصرفهم عن التوجه إلى الكعبة وبذلك يحول التجارة والمنافع والثراء إليه، نفذ ما فكر فيه، وأرسل إلى سيده النجاشى ملك الحبشة يقول له: إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف إليها العرب. ويصف ابن كثير الكنيسة بأنها: «هائلة بيضاء، رفيعة البناء، عالية الفناء، مزخرفة الأرجاء سمتها العرب القليس لارتفاعها؛ لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها».

هذه الرواية التاريخية المعتمدة عندنا.
فهو قد بنى كنيسة ليضارب بها الكعبة، ولكن العرب لم يحجوا إليها فماذا يفعل؟ لابد أن يهدم الكعبة ويقسر العرب قسرا على التعبد عنده وترك مكة وبيتها، وقد نفذ، وأصابه ما أصابه.

لكن المؤرخين لا يسكتون عند هذا فيجعلون للعرب دخلا فى تلك الحرب، قالوا: فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشى غضب رجل من كنانة ومن النسأة فسافر إلى اليمن وألقى بالقاذورات فى كنيسة أبرهة، ورجع من حيث أتى وتوامى الخبر إلى أبرهة، فغضب غضبا شديدا، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه هذه رواية، ورواية أخرى تقول: سبب الفيل ما روى أن فتية من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشى، فنزلوا على ساحل البحر إلى بيعة النصارى تسميها الهيكل، فأوقدوا نارا لطعامهم وتركوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف فأضرمت البيعة نارا فاحترقت، وأخبر النجاشى، فغضب وأرسل إلى أبرهة

فى اليمن أن يقوم بتأديب قريش .

وكلتا الروايتين مرفوضة ، فالنجاشى لا يغضب ولا يؤدب لمجرد حادث عارض غير مقصود ، وأبرهة لا يشعل الحرب لأن رجلا غريبا ألقى قاذورات فى معبده وهرب ، وقد لا يكون شىء من ذلك قد حدث ، إنما مؤرخو العرب لم يتصور فى عقولهم أن يغزو أبرهة مكة من غير سبب ، مع أن السبب وضحه ابن كثير وغيره وهو أنه - أبرهة - بنى كنيسة ليصرف إليها العرب طائعين أو كارهين .

المهم أن أبرهة أعد جيشا قوامه ستون ألفا ومعه فيل أو أفيال ، وقريش لم تبلغ القبيلة ، ولا قبل لها بجيش كهذا كبير منظم وسمعت بذلك العرب فأعظموه وقطعوا به ، ورأوا جهاده حقا عليهم لأنه ذاهب لهدم بيت الله الحرام ، فتصدى له رجل من أشراف اليمن يقال له (ذو نفر) فدعا قومه ومن أجابه ، والتقى بجيش أبرهة ، فقاتله فهزم وأخذ أسيرا ، فلما أراد قتله . قال له ذو نفر : أيها الملك لا تقتلنى ، فإن فى بقائى معك خيرا لك من قتلى ، وربما رأى أبرهة فى تركه بلا قتل ما يفيده فى تلك الغزوة ، فشد وثاقه ، وساقه معه إلى حيث يريد ، ثم مضى أبرهة قاصدا مكة حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب فى قبيلتى شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، ودارت معركة انتصر فيها أبرهة أيضا وقبض على نفيل وسيق أسيرا .

فقال لأبرهة : أيها الملك لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب ، وأنا وقومى على السمع والطاعة فخلى سبيله ، وخرج به معا يدله . ولا حاجة بنا إلى تفسير لما حدث مع كل من ذى نفر ، ونفيل الخثعمى ، فالأمر واضح ، أمة العرب متفرقة لا رابطة تجمعها من دين أو سياسة أو وطنية أو قيادة عامة توحد بين صفوفهم وتقودهم من نصر إلى نصر ، وأبرهة قد أعد لكل شىء عدته ، فهو لم يكن وحده فى الميدان ، فهو على صلة بالنجاشى يمده ويشد أزره ، والروم على علم بما يجرى فى جزيرة العرب فقد كانوا على علم حين استعمرت الحبشة اليمن وهم اليوم فى المؤامرة فى هدم بيت الله الحرام ، والعرب مشغولون بالسلب والنهب ، وقتل بعضهم بعضا ، والأحداث كلها تصرخ بذلك .

وبلغ أبرهة الطائف فخرج إليه مسعود

ابن معتب فى رجال من ثقيف . فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون : وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد - يعنون اللات واللات بيت لهم بالطائف - إنما تريد البيت الذى بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه نهاية فى الطاعة والخضوع وسوء الخلق ، لم يكتفوا بخضوعهم حتى أرسلوا معه من يدله على الكعبة . وطبعا لم يتعرض لهم أبرهة بسوء ، وسار دليلهم معه واسمه أبو رغال حتى نزلوا المغمس فى الطريق إلى مكة ، وعنده مات أبو رغال ولم يعجب هذا الموقف العرب فرجموا قبر أبى رغال بالمغمس كما يرجمون إبليس بمنى ، وفيه يقول شاعرهم :

وأرجم قبره فى كل حول
كرجم الناس قبر أبى رغال

استراح أبرهة بالمغمس وبعث طلائعه إلى مكة ، فأدت مهمتها ، واستاقت معها عند عودتها أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم ، وأصابت فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان معهم من مكان الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم فتركوا ذلك .

ويعلق محمد لطفى جمعة فى كتابه «ثورة الإسلام» على هذا الموقف موازنا فيقول:

«إن قريشا وكنانة وهذيلا هموا بقتال أبرهة (كذا هموا) ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك. أما أعراب الصحراء الذين استنفرهم ذنفر ، وقبائل خثعم شهران وناهس فقد حاربوا أبرهة حتى هزموا ، ولكن أهل الحرم نفسه وأهل مكة وهم أحق الناس بالذود عن البيت العتيق رضوا بالقعود فكانوا دعاة التردد والهزيمة ، وإن حملنا خضوع الطائف على منافسة مكة لينفردوا بالتجارة والنقل والحاج فبم نعلل خضوع أهل مكة ، وهم أصحاب الشأن وحراس البيت العتيق الذى يراد هدمه ؟» .

وأراد أبرهة أن يمهد للغزو فأرسل مندوبا من قبله إلى مكة للمفاوضة ومعه رسالة ، والمندوب المفاوض عميل من عملاء العرب هو حناطة الحميرى ، والرسالة تقول: سل عن سيد هذا البيت وشريفهم ، ثم قل له : إن الملك يقول : إنى لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا

البيت فإن لم تعرضوا لى بحرب فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن هو لم يرد حربى فأتنى به ، ورسالة أبرهة فيها غطرسة،واستهانة بمن يخاطبه وإلا فمن يحارب إن لم يحارب من أجل بيت الله وبيت إبراهيم الخليل؟

وصل المندوب إلى مكة فسأل عن سيد قريش ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم والتقى الرجلان ، وأفضى حناطة إلى عبد المطلب برسالة أبرهة ، فقال عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، ومالنا بذلك منه طاقة . هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم ، فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته ، وإن يخل بينه وبينه فو الله ما عندنا دفع عنه ، قال حناطة : فانطلق إليه فإنه قد أمرنى أن آتيه بك . واستجاب عبد المطلب لما يراد منه ، واصطحب معه بعض بنيه ، وذهب إلى المعسكر ، فسأل عن ذى نفر ، وكان له صديقا واستطاع أن يدخل عليه وهو فى محبسه ودار بينهما حوار عجيب فستشف فيه الحزن والمرارة ، والحيرة والضياع ، قال عبد المطلب: ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟

ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدوا وعشيا ، ما عندى غناء فيما نزل بك إلا (أنيساً) سائس الفيل ، صديق لى سأرسل إليه وأوصيه بك ، ليستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك .

عبد المطلب : حسبى .

وكان أنيس عند حسن ظن ذى نفر ، فقام بالواجب - كما نقول اليوم - ودخل عبد المطلب على أبرهة ، وكان وسيما جسيما ، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه ، فلما جلس عبد المطلب على البساط ترك أبرهة سريره وجلس معه بجانبه . ودارت بينهما المفاوضات ، ومترجم ينطق بلسانيهما ، وبدأ الكلام هكذا : حاجتك ؟ عبد المطلب . حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى .

أبرهة : لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتنى . أتكلمنى فى مائتى بعير أخذتها منك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه ؟

عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه .

أبرهة : ما كان ليمتنع منى !

عبد المطلب . أنت وذاك . وانتهت المفاوضات عند هذا الحد ورد عليه إبله.

ورجع عبد المطلب إلى قريش وأخبرهم الخبر ، ودعاهم إلى الخروج من مكة والتحرز فى شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم معرة الجيش ولاذت قريش بشعاب الجبال وشعافها وانتظرت ماذا يكون؟ وتروى كتب السيرة شعرا كثيرا لعبد المطلب حين أمسك بحلقة باب الكعبة يدعو الله ويستنصره على أبرهة وجنده . من ذلك :

يارب لا أرجو لهم سواكا
يارب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا
إنهم لن يقهروا قواكا

ثم ترك الباب ومضى ومن معه إلى حيث لاذت قريش ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها .

وفى صباح يوم عصيب تهيأ أبرهة لدخول مكة ، فهيأ فيله ، وعبأ جيشه وهو مجمع لهدم البيت وصرف العرب عنه إلى كنيسته ، ولم يدر فى خلده ما خبأه القدر له نتيجة خطرسته وإعراضه عن أمر دينه فى قوله : « ما كان ليمتنع منى » رداً على عبد المطلب لقوله : « إن للبيت ربا سيمنعه » وبدأت المعركة ، ولنترك الدكتور طه حسين فى كتابه « على هامش السيرة » يصور لنا تلك المعركة تصويراً رائعاً مروعا فيقول والحديث على لسان راهب الإسكندرية : « وأصبحنا وقد أمر الملك بدخول مكة ، فيهم الجيش أن يتحرك ، وفى مقدمته فيل عظيم ، ولكن أنوى دليلنا (نفيل بن حبيب الخثعمى) يدنو من الفيل فيأخذ أذنه ويسر فيها كلاما ، ثم يرسلها ويشتد هاربا فى الجبل وتثير حركة هذا الرجل فى نفسى شيئاً من العجب ، فما علمت أنه يعرف منطق الفيلة وما علمت أن الفيلة تعرف منطق العرب عجبت ، وليت عجبى لم يتجاوز هذه القصة ، ولكنى رأيت بعد ذلك ما يقضى على كل عجب ، رأيت بعد ذلك أشياء ما قدرت قط أنى سأرى بعضها ، رأيت بعد ذلك أشياء وددت لو لم أرها قط .

وإنى على ذلك لسعيد أشد السعادة ، مغتبط أشد الغبطة ؛ لأنى رأيتها ، فهى التى هدتنى إلى الحق ، وهى التى كشفت عن نفسى الغطاء ، رأيت الفيل قد برك حتى إذا دنا منه ساسته لينهضوه نهض معهم ،

حتى إذا وجهوه إلى مكة برك من جديد وجد ساسته بعد ذلك فى إنهاضه فلا يبلغون منه شيئاً ، ويحثونه ويؤذونه ويضربونه ، ويبلغون به أقصى ما يهيج الفيل فلا ينهض ولا يهم بالنهوض ، حتى إذا أداروا رأسه نحو الشام أو نحو اليمن أو نحو الشرق نهض ومضى مهرولا .

فإذا أداروا رأسه نحو مكة برك ، ولم يتقدم أمامه إصبعا ، ونحن ننظر إلى هذا وقد ملأنا العجب ، وأخذ الوهن من نفوسنا كل مأخذ ، وبدأ الخوف يلعب بعقولنا ، وبدأ الذعر يطلق بعض الألسنة بالرغبة عن دخول مكة ، والانصراف من هذا البيت ، وإنا لفى ذلك ننظر إلى الساسة وهم يعالجون الفيل ، وإذا الجو يظلم شيئاً فشيئاً ، وإذا سحاب كثيف يبدو لنا من بعيد ، قد أقبل علينا مسرعاً من ناحية البحر فلا نكاد نطيل النظر إليه حتى نتبين ، وياهول ما نتبين!

لسنا نرى سحابا كالسحاب ، ولا غماما كالغمام ، وإنما نرى سحاباً حياً ، يخفق بأجنحته خفقاً ، ويبعث منظره فى نفوسنا روعا يخرجنا عن أطوارنا ، وينتهى بنا إلى شىء يشبه الذهول ، إنى لأرى الآن السحاب حين كان يقبل علينا أسراباً من طير صغار لها مناقير الطير وأكف الكلاب حتى إذا دنت فأخذت تحصب الجيش بحجارة دقاق كانت تحملها فى مناقيرها وأرجلها ، ولم تكن هذه الحجارة تبلغ دقة العدسة ولا عظم الحمصة ، وإنما كانت شيئاً بين بين ، وكانت على دقتها لا تمس شيئاً إلا هشمته تهشيما ، ولا تمس رجلا إلا ألقته صريعاً ، وسلوا ما شئتم عن خوف الخائفين ، وذعر المذعورين ، وانصراف أصحاب الفيل عن الفيل ، وتحول الجيش عن مكة إلى غيرها من الوجوه جاداً فى الهرب ، وهذه الأسراب من الطير تتبعه ، تحصبه بهذه الحجارة ، وتملأ الجو حوله بصياح مخيف . . . » .

ويصور حال أبرهة وقد مسه حجر من تلك الحجارة فيقول : « إنى لأراه حين بلغنا صنعاء ، وأدخل فى قصره ليمرض فيه ، وقد هزل ومسه الضر ، حتى لكأنه فرخ من فراخ الطير ، على أن حياته لم تمتد فى قصره ، وإنما ألح الألم عليه إلحاحا شديداً ، وأقبل أحد بنيه صباح يوم فنعاه إلى ، فلما سألت

كيف مات ؟ علمت أن صدره انفجر من قلبه انفجارا » .

وطه حسين بهذا التصوير البديع قد نقل إلينا أجود ما جاء بكتب السيرة والتفسير نقلا أمينا، وإن أعلن فى مقدمة كتابه أنه لم يكتبه للعلماء ولا للمؤرخين، وإنما ينقل ما تأثر به من كتب السيرة إلا أنه سار سيرة نافعة فى هذا العمل الجليل ، وعلى هذا فالطير الأبابيل عنده طيور حقيقية أدت دورها بأمر ربها فى تحطيم ذلك الجيش الجائر ، وحلت به الهزيمة ، وانتصرت قريش وإن لم تحمل سلاحا ، أو تصد عدوا ، وعادت لها حياتها الآمنة ، وغنمت غنائم كثيرة ، وأخذها الزهو والخيلاء ، وعظمت مكانتها عند العرب ؛ إذ أن الله حماها من كيد الكائدين وأهلك من بغاها من المعتدين .

ويقول القرطبى : قال علماؤنا : كانت قصة الفيل فيما بعد من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن كانت قبله وقبل التحدى ، لأنها كانت توكيداً لأمره ، وتمهيداً لشأنه، ولما تلا عليهم رسول الله هذه السورة كان بمكة عدد كثير ممن شهد تلك الموقعة ، ولهذا قال : « ألم تر » ولم يكن أحد بمكة إلا وقد رأى قائد الفيل وسائقه أعميين يتكففان الناس . قالت عائشة رضى الله عنها - مع حداثة سنها - : لقد رأيت قائد الفيل وسائقه أعميين يستطعمان الناس .

ويذكر ابن كثير فى تفسيره : « وهذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وهو رأى مقبول فلم تكن الواقعة معجزة مصحوبة بالتحدى ، وإنما كانت تكريما لنبى أظل زمانه ، ودنا أوانه ، فقد ولد محمد على أصدق الروايات بعد حادث الفيل بخمسين يوما .

لا جدال فى أن هذا الحادث قد وقع، فالحادث قريب من عصر النبوة والقرآن جاء به فى سورة الفيل ، وعلماء الغرب المعنيون بحياة الشعوب أيدوا واقعة حادث الفيل ، فقد نقل العقاد فى كتابه « أبو الأنبياء إبراهيم الخليل » أقوال كثير من مؤرخى اليونان والرومان بعد ذكر « الطير الأبابيل» وقول عكرمة مولى ابن عباس : «إن من أصابته الحجرة جدرته، قال: «روى بروسى bruce الذى

زار بلاد الحبشة فى القرن الثامن عشر أن الأحباش يذكرون فى تواريخهم كيف ارتد أبرهة وأنه رجع عن مكة لما أصاب جيشه من المرض الذى يصفونه بصفة الجدرى، وكتب غير واحد من مؤرخى اليونان أن أبرهة زحف على مكة فى مركبة يجرها أربعة من الفيلة، وأن جيشه لم يعد منه إلا القليل لكثرة من مات منه بالوباء والعقاد يذكر هذا ليعطى الدليل على أن أخبار الكتب السماوية لا تكذب وإن جاءت قبل كتابة التاريخ المعروف وأن بحوث العلماء المعاصرين كشفت عن صحة ما جاء فيها والعقاد لا ينفى أن الطير رمت الحجارة. وأن قول عكرمة لا يبتعد عن فهمنا لما جاء فى سورة الفيل فكلامه يثبت الطير والحجارة، وسواء أكانت قتلت بنفسها أم بإحداث الجدرى فالمآل واحد لكن الإمام محمد عبده له رأى ولفتوى قالها عندما تعرض لتفسير سورة الفيل فى كتابه تفسير جزء عم: «وقد يتضح لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الريح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل فى مسامه، فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وإن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر وأن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالميكروب لا يخرج عنها.

وتفسير الإمام هذا يعد تفسيرا عصريا لكلام عكرمة مولى ابن عباس ونصه «ترميهم بحجارة معها، فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدرى لم ير قبل ذلك» لم يفسر نوع الطير، ولكن الإمام جعله من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل الجراثيم، وأجاز الاعتقاد بذلك، ويخيل إلى أن الذى حمل الإمام على قوله هذا ظهور الكشوف العصرية للميكروب والجراثيم، وغرابة الطير الأبابيل عند من كان يجادلهم من فلاسفة الغرب ومفكريه.

وقد تابعه محمد فريد وجدى فى المصحف المفسر، قائلا : ولا يبعد أن تكون تلك الطيور جراثيم الطاعون ؛ إذ لا مانع من تسميتها طيورا ، وفريد وجدى يحمل اللغة شيئا لا تعرفه ، ولو كان الأمر كذلك وأن الإنسان يستخدم اللغة كما يريد لجعلت المراد من ذكر الطير النحس على طاغية الحبشة إذ الطير منه البارح الذى هو للشئوم والنحس ومنه السانح وهو للسعد والتفاؤل ، وجعلت ترميهم بحجارة من سجيل ترشيحا للمجاز ، فقد أكثر الشعراء من ذكر الطير حين الحرب قال النابغة :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم
عصائب طير تهتدى بعصائب

لكن هذا ضرب من العبث اللغوى ، والبعد بنا عن مجال العظة والاعتبار ، ومادام الأمر من قبيل الإعجاز فلا داعى للتكلف وتحميل اللفظ ما لا يطيق ، فكفى أن نفهم كما فهم أسلافنا أن هذا الجيش أهلك بالطير الأبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، وماذا نعمل فى شهود العيان ؟ قال عبد المطلب : « إن هذه الطير غريبة بأرضنا ، وما هى بنجدية ولا تهامية ولا حجازية إنها أشباه اليعاسيب » ، واليعسوب : أمير النحل وذكرها . ويقول (نفيل بن حبيب الخثعمى) دليل الجيش :

حمدت الله إذ أبصرت طيرا
وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم يسأل عن نفيل
كأن على للحبشان دينا

لقد كان من بقى من جنود أبرهة يسأل عن دليل يسلك بهم الطريق من حيث جاءوا ، فذلك قوله : « كأن على للحبشان دينا » ، وقد رأى الطير وخاف الحجارة ، فإذا جاء عكرمة فى عهد التابعين وجعل هلاك الجيش راجعا إلى الجدرى يكون قوله الراجح وقول غيره مرجوحا . والأقوال كثيرة فليكن هذا منها ، ولا بأس به فلم ينكر الطير الكثيرة المتتابعة ولا حملها ولا الحجارة التى تلقيها . والخلاصة أن حادث الفيل يضاف إلى ما تحدث عنه القرآن الكريم من إهلاك الأمم الطاغية كعاد وثمود وأصحاب الأيكة وما زالت تلك السورة تعطينا الإيمان الراسخ بأن البغاة مصيرهم الهلاك ، وأن العاقبة للمتقين ؟

السيد حسن قرون

دراسات فى الفقه المقارن

للدكتور ابراهيم الشهاوى

– ٢ –

أسباب اختلاف الفقهاء

أسباب اختلاف الفقهاء كثيرة ، وسنقتصر على ذكر أهمها :

١ – أن أكثر نصوص الأحكام فى القرآن والسنة ليست قطعية الدلالة على المراد منها ، بل هى ظنية الدلالة ، فكما تحتمل أن تدل على معنى ، تحتمل أن تدل على معنى آخر ، بسبب أن فى النص لفظا مشتركا بين معنيين أو أكثر ، أو أن فيه لفظا عاما يحتمل التخصيص ، أو لفظا مطلقا يحتمل التقييد ، وكل مشرع يفهم منه حسب ما ترجح عنده من القرائن ، ووجهات النظر .

٢ – أن السنة لم تكن مدونة ، ولم تجتمع الكلمة على مجموعة منها ، وتنشر بين المسلمين ، لتكون مرجعا لهم على السواء ، بل كانت تتناقل بالرواية والحفظ وربما علم منها المفتى فى مصر ما لم يعلمه المفتى فى دمشق ، وكثيرا ما كان يرجع بعض المفتين عن فتواه إذا علم من الآخر سنة لم يكن يعلمها .

٣ – أن البيئات التى يعيشون فيها مختلفة والمصالح والحاجات التى يشرعون لها متفاوتة ، فكان عبد الله بن عمر بالمدينة لا يطرأ له ما يطرأ لمعاوية بن أبى سفيان فى الشام ، ولا ما يطرأ لعبد الله بن مسعود بالكوفة ، فبناء عن اختلاف البيئات اختلفت الأنظار فى تقدير المصالح والبواعث على تشريع الأحكام .

فلهذه الأسباب الثلاثة اختلفت الفتاوى والأحكام فى بعض الوقائع والأقضية فى عصر الصحابة والتابعين مع اتفاقهم على مصادر التشريع ، وترتيب الرجوع إليها ، والمبادىء العامة التى روعيت فى التشريع ، فكان اختلافهم فى الفروع فقط ، ولم يختلفوا فى أصول التشريع ولا فى خطته .

ولما آلت السلطة التشريعية فى أوائل القرن الثانى الهجرى إلى الأئمة المجتهدين اتسعت مسافة الخلاف بين رجال التشريع ولم تقف أسباب اختلافهم عند الأسباب الثلاثة التى بنى عليها اختلاف الصحابة، بل جاوزتها إلى أسباب تتصل بمصادر التشريع، وبالنزعة التشريعية، وبالمبادىء اللغوية التى تطبق فى فهم النصوص، وبهذا لم يكن اختلافهم فى الفتاوى والفروع فقط، بل كان اختلافاً - أيضاً - فى أسس التشريع وخططه، وصار لكل فريق منهم مذهب خاص يتكون من أحكام فرعية استنبطت بخطة تشريعية خاصة.

ويرجع اختلاف الخطة التشريعية للأمة المجتهدين - بعد عصر الصحابة والتابعين - إلى اختلافهم فى ثلاثة أمور:-

١ - اختلافهم فى تقدير بعض المصادر التشريعية.

٢ - اختلافهم فى النزعة التشريعية.

٣ - اختلافهم فى بعض المبادىء اللغوية التى تطبق فى فهم النصوص.

فأما اختلافهم فى تقدير بعض المصادر التشريعية فقد ظهر فى ثلاثة منها: -

١ السنة، فإن حجيتها مبنية على الوثوق برواتها وكيفية روايتها، وقد اختلف الأئمة فى طريق الوثوق بها، وفى الميزان الذى ترجح به رواية على رواية، فمجتهدو العراق: أبو حنيفة وأصحابه يحتجون بالسنة المتواترة، والمشهورة، ويرجحون مايرويه الثقات من الفقهاء، ولهذا قال أبو يوسف: «وعليك بما عليه الجماعة من الحديث ومايعرفه الفقهاء»، ومجتهدو المدينة: مالك وأصحابه يرجحون ما عليه أهل المدينة بدون اختلاف، ويتركون ماخالفه من أخبار الآحاد، وباقى الأئمة يحتجون بما رواه العدول الثقات من الفقهاء، وغير الفقهاء، وافق عمل أهل المدينة أوخالفه. وترتب على هذا أن مجتهدى العراق جعلوا المشهور فى حكم المتواتر، فخصصوا به العام فى القرآن، وقيدوا به المطلق فيه، وغيرهم لم يجعلوا له هذه القوة، وترتب عليه - أيضاً - أن الحديث الذى رواه الصحابى، بقوله: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا، أو نهى عن كذا، أوقضى بكذا»، من غير أن يصرح بأنه سمع ذلك بنفسه، أو شافهه، أوشاهده

يحتج به بعض رجال التشريع ، ولا يحتج به بعض آخر ، فهذا الاختلاف فى طريق الوثوق بالسنة أدى إلى أن بعضهم احتج بسنة لم يحتج بها الآخر ، وبعضهم رجح سنة هى مرجوحة عند الآخر ، وعن هذا نشأ اختلاف الأحكام .

٢ — فتاوى الصحابة : فإن الأئمة قد اختلفوا فى الفتاوى الاجتهادية التى صدرت عن أفراد من الصحابة ، فأبو حنيفة كانت خطته بالنسبة إليها : أن يأخذ بأية فتوى منها ، ولا يتقيد بواحدة معينة ولا يخرج عنها جميعا ، والشافعى كانت خطته بالنسبة إليها أنها فتاوى اجتهادية فردية صادرة عن غير معصومين ، فله أن يأخذ بأية فتوى منها ، وله أن يفتى بخلافها كلها ، وعن هذا نشأ ـ أيضا ـ اختلاف فى الأحكام .

٣ — القياس ، فإن بعض المجتهدين من الشيعة والظاهرية أنكروا الاحتجاج بالقياس ، ونفوا أن يكون مصدرا للتشريع ، ولهذا سموا نفاة القياس ، وجمهور الأئمة احتجوا بالقياس ، وعدوه المصدر التشريعى بعد القرآن والسنة والإجماع ، ولكنهم مع اتفاقهم على أنه حجة ، فقد اختلفوا فيما يصلح أن يكون علة الحكم وينبنى عليه القياس ، ونشأ عن هذا ـ أيضاً ـ اختلاف فى الأحكام.

وأما اختلافهم فى النزعة التشريعية :

فقد ظهر ذلك فى انقسامهم إلى أهل حديث ـ ومنهم أكثر أهل الحجاز ـ وإلى أهل رأى ، ومنهم أكثر مجتهدى العراق ، وليس معنى هذا الانقسام أن فقهاء العراق لا يصدرون فى تشريعهم عن الحديث ، وأن فقهاء الحجاز لا يصدرون فى تشريعهم عن الاجتهاد بالرأى ، لأنهم جميعا متفقون على أن الحديث حجة شرعية ملزمة وأن الاجتهاد بالرأى أى بالقياس حجة شرعية فيما لا نص فيه وإنما معنى هذا الانقسام ، وسبب هذه التسمية أن فقهاء العراق أمعنوا النظر فى مقاصد الشريعة ، وفى الأسس التى بنى عليها التشريع ، فاقتنعوا بأن الأحكام الشرعية معقولة المعنى ، ومقصود بها مصالح الناس وبأنها تعتمد على مبادىء واحدة ، وترمى إلى غاية واحدة ، وهى لهذا لا بد أن تكون متناسقة ، فلا تعارض ولا تباين بين نصوصها وأحكامها ، وعلى هذا الأساس يفهمون النصوص ، ويرجعون

نصا على نص ، ويستنبطون ما لا نص فيه ، ولو أدى استنباطهم على هذا الأساس إلى صرف نص عن ظاهره ، أو ترجيح نص على آخر أقوى منه رواية حسب الظاهر ، وهم من أجل هذا لا يتحرجون من السعة فى الاجتهاد بالرأى ، ويجعلون له مجالا فى بحوثهم التشريعية .

أما فقهاء الحجاز : فقد عنوا بحفظ الأحاديث ، وفتاوى الصحابة -رضى الله عنهم- واتجهوا فى تشريعهم إلى فهم هذه الأحاديث ، حسبما تدل عليه عباراتها ، وتطبيقها على مايقع من الحوادث ، غير باحثين عن علل الأحكام ومبادئها، فإذا وجدوا ما فهموه من النص لا يتفق مع مايقتضيه العقل لم يبالوا بهذا ، وقالوا هو النص ، وكانوا من أجل ذلك يتحرجون من الاجتهاد بالرأى ، ولا يلجأون إليه إلا عند الضرورة القصوى .

فمثلا : ورد فى الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : « إن فى كل أربعين شاة ، شاة » ، « وإن صدقة الفطر صاع من تمر أو شعير » .

وأنه قال: « إن من رد الشاة المصراة، بعد احتلاب لبنها ، رد معها صاعا من تمر » ،

ففقهاء العراق يفهمون هذه النصوص على ضوء معناها المعقول ومقصد الشارع من تشريعها ، وهو أن المالك أربعين شاة ، يجب عليه أن ينفع الفقير بواحدة ؛ أو مايعادلها ؛ وأن المتصدق بصدقة الفطر يجب عليه أن ينفعه بصاع من تمر أو ما يعادله ؛ واللبن المحتلب من الشاة المصراة يضمن بمثله أو قيمته . وليس خصوص الشاة أو الصاع مقصوداً للشارع . فمن زكى بقيمة الشاة أو تصدق بقيمة الصاع أورد مع المصراة قيمة الصاع أجزأه . لأن المقصود نفع الفقراء فى الزكاة وصدقة الفطر . وتعويض المال المتلف فى المصراة .

وأما فقهاء الحجاز : فيفهمون النصوص حسبما تدل عليه عباراتها الظاهرة ، ولا يبحثون عن علة التشريع ، ولا يتجهون إلى التأويل بناء على مراعاة العلل المعقولة وعلى هذا : يوجبون الشاة بخصوصها . والصاع بخصوصه ولا يجزىء فى مذهبهم القيمة .

وأهم الأسباب التى أدت إلى اختلافهم فى النزعة التشريعية هى :-

١ – أن الأحاديث وفتاوى الصحابة – رضى الله عنهم – لم تكن كثيرة فى العراق ككثرتها فى الحجاز، فالحجازيون وجدوا عندهم ثروة من الأحاديث اعتمدوا عليها فى تشريعهم وركنوا إليها، وأما فقهاء العراق: فلم تكن لديهم هذه الثروة فاعتمدوا على عقولهم، واجتهدوا فى تفهم معقول النص وعلة التشريع، لتتسع معانى النصوص إلى مالم تتسع له ألفاظها، وأسوتهم فى ذلك أستاذهم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

٢ – أن العراق كانت فيها الفتن التى أدت إلى افتراء الأحاديث وتحريفها، لأنها كانت مهد الشيعة ومقر الخوارج، وقد شاهد فقهاء العراق من الجرأة على وضع الأحاديث والتحريف فيها مالم يشاهده فقهاء الحجاز، فلهذا تشددوا فى قبول الرواية والتزموا أن يكون الحديث مشهورا بين أهل الفقه، وإذا وجدوا حديثا يفهم منه ما لا يتفق وحكمة الشارع أولوه أو تركوه.

٣ – أن بيئة العراق غير بيئة الحجاز، والأقضية والحوادث فى البلدين مختلفة، لأن دولة الفرس خلفت فى العراق أنواعا من المعاملات والعادات والنظم، لم يعهد مثلها فى بلاد الحجاز، فكان مجال الاجتهاد فى العراق ذا سعة، وأفق البحث فيه ممتدا، ولهذا تكونت فى فقهاء العراق ملكة البحث والتفكير، وبدت وجوه عديدة من الرأى والنظر فى التشريع وأما فقهاء الحجاز: فقلما حدث لهم مالم يحدث لسلفهم من الصحابة والتابعين؛ لأن البيئة واحدة، وقلما حدث لهم مالم يجدوا فى حكمه حديثا أو فتوى صحابى فلما لم يجدوا للاجتهاد المجال الذى وجده العراقيون، اعتادوا فهم النصوص على ظواهرها، ولم تدعهم حاجة إلى البحث فى عللها أو التعمق فى مقاصدها.

وأما اختلافهم فى بعض المبادىء الأصولية اللغوية: فقد نشأ من اختلافهم فى استقراء الأساليب العربية. فمنهم من رأى أن النص حجة على ثبوت حكمه فى منطوقه، وعلى ثبوت خلاف حكمه فى مفهومه المخالف ومنهم من لم ير هذا.

ومنهم من رأى أن الأمر المطلق للإيجاب، ولا يصرف عنه إلا بقرينة، ومنهم من رأى أنه لمجرد طلب الفعل،

والقرينة هى التى تعين الإيجاب أو غيره .

هذا : إلى غير ذلك من المبادىء الأصولية اللغوية التى تفرع على اختلافهم فيها اختلافهم فى كثير من الأحكام .

فالخطة التشريعية لكل مجتهد ـ فى عصر الأئمة المجتهدين الذين منهم أبو حنيفة وأصحابه ، ومالك بن أنس وأصحابه ، والشافعى وأصحابه ، وأحمد بن حنبل وأصحابه ـ كانت قائمة على طريق ثقته بالسنة ، وتقديره لفتاوى الصحابة ، ومسلكه فى القياس ، ونزعته فى فهم النصوص وتأويلها وتعليلها ، ومبادئه التى سار عليها من استقرائه الأحكام الشرعية والأساليب العربية وبنى عليها استنباطه .

هذه أهم الوجوه والاعتبارات التى كانت سببا فى اختلاف الأئمة المجتهدين ـ رضى الله عنهم ـ تبين لنا الطرق التى سلكوها فى استنباطهم الأحكام من النصوص ، ومواقفهم إزاء الوقائع التى لا نص فيها . فجزاهم الله أحسن الجزاء عن الشريعة الحنيفية السمحاء .

أثر الاختلاف :ـ

ينشأ عن الاختلاف بين الفقهاء أقوال فقهية يعتد بها إذا كانت نتيجة اجتهاد صادر ممن هو أهله وصادف محله ، أما إذا كان نتيجة اجتهاد صادر من غير أهله أو لم يصادف محله ، بأن كان فى مقابلة نص قاطع أو إجماع فلا يعتد به ويجب رده ، لأن ذلك يعتبر إحداث أمر فى دين الله ليس منه ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد [1] » .

وبعد :

فتلك مقدمة رأينا أن تكون بين يدى القارىء تمهد بها لما نقدمه فيما نستقبل ـ إن شاء الله ـ من موضوعات نرى أنها تؤدى غرضا ذا بال فى معاملاتنا وعباداتنا .

والله ولى التوفيق ؟

د . إبراهيم دسوقى الشهاوى

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الصلح ، وأخرجه مسلم فى باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور .

تأمين المتعاملين ضد الخداع والغرر

للأستاذ محمد محمود الشرقاوي

أحاط الإسلام الحنيف المعاملات والبياعات بين الناس بسياج منيع من الضمانات التي تؤمن أموالهم ، وتحميهم من غدر الغادرين ، وحيل الماكرين الذين يتخذون من حاجة المحتاجين ، ولهفة المستهلكين أحابيل للإيقاع بهم ، وابتزاز أموالهم .. متوهمين أن صور العقود تشفع لهم ، وأن إبرام البيوع يعفيهم من مسئولياتهم تجاه الله ، وتجاه الناس .. ولم يعلموا أن هذه الشريعة الحنيفية السمحة ، ليلها كنهارها ، وصبحها كإمسائها لا تنطلي عليها الحيل ، ولا تخدعها الشكليات عن المضمون ، ولا الظواهر المعسولة عن الحقائق المرة وإنما تضع لكل احتمال حسابا ، ولكل مكر أو خداع تدبيرا يفضحه ويكشف نواياه ، ويحمى السذج وسليمى النية ، والأغرار والضعاف ممن يتربصون بهم ويحيكون لهم شباك مكرهم ، ودهائهم .

ولقد توجه الإسلام أولا إلى هؤلاء المتلاعبين بحقوق الناس ، المستهترين بتعاليم الدين المتخذين من الغش والتضليل بضاعة رابحة ، وسلعة نافقة .. بالتحذير الشديد ، والإرهاب البالغ الذى يصل إلى درجة البراءة منهم ، والتنصل من انتمائهم إليه ، يبدو ذلك واضحا فيما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة (أى كومة) من طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللا ، فقال : ماهذا ياصاحب الطعام ؟ .قال : أصابته السماء يارسول الله .. قال : أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ؟ .. من غش فليس منى ، قال النووى : معناه : ليس ممن اهتدى بهديى واقتدى بعلمى وعملى وحسن طريقتى .. أما سفيان بن عيينة فإنه كان يكره تفسير مثل هذا الكلام النبوى الشديد اللهجة .. الظاهر البراءة . المتضمن

معنى الخروج عن ربقة الدين كلية. ويقول: « نمسك عن تأويله ليكون أوقع فى النفوس وأبلغ فى الزجر » وحسناً فعل سفيان ابن عيينة فى هذا التوقف .. فإن حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الغشاش ليس منه، يحمل أكثر من معنى، ويومىء إلى أفدح المخاطر، وأوخم العواقب .. فلنتركه لوعى الناس يدركون أقصى ما تمليه عليهم بصائرهم فى ضوء الأضرار المجحفة التى تصيب المستهلكين والمتعاملين فى أرزاقهم وأقواتهم .. نتيجة الغش المقصود ، والتدليس المخطط له ... ، ولا شك أن الحديث دليل لا يقبل التأويل على تحريم الغش مهما كانت صوره وأساليبه ومهما كانت الدوافع له أو الدواعى إليه وهو ذموم عقلا وشرعا ، وهو عمل لا أخلاقى ولا إنسانى ، لأنه فى واقع أمره أكل لأموال الناس بالباطل ، ويجمع متكامل لصفات النفاق، وخلق المنافقين من غدر وكذب ولؤم طبع ، ودناءة لمة ، وخساسة طوية ، وتزوير وتمويه ومكر وخداع ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان » . ولقد سلك الإسلام سبلا متعددة لحماية الناس من ألاعيب البائعين وقطع الطريق عليهم ، وتخليص المجتمع من شرورهم يظهر ذلك جليا فى مشروعية الخيارات بأنواعها :

أولا : خيار الشرط : — وهو حق مشروع لكل من البائع والمشترى على السواء وهو أنواع[1]: فاسد باتفاق: مثل أن يقول أحدهما بعت أو اشتريت على أنى بالخيار ، أو بالخيار أياما، أو بالخيار أبدا ، وجائز باتفاق: وهو ما يحدد ثلاثة أيام فما دونها للخيار .. ومختلف فيه: وهو الخيار إلى شهر أو شهرين فهو فاسد عند عند أبى حنيفة وزفر والشافعى. جائز عند أبى يوسف ومحمد وأحمد ، وهو على كل حال يستهدف التروى والأناة ، واستشارة أهل الرأى وتدارك المغالطات والانتهازات، وحماية فاقدى الدراية والخبرة مما تورطوا فيه ، أو انزلقوا إليه .. روى الحاكم فى المستدرك عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: « كان حبان بن منقذ بن عمرو رجلا ضعيفا وكان قد أصابته فى رأسه مأمومة فجعل

(١) العناية على فتح القدير جـ٥ : ١١٠

له الرسول صلى الله عليه وسلم الخيار إلى ثلاثة أيام فيما اشتراه ، وكان قد ثقل لسانه . . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : بع وقل لا خلابة (أى لا خديعة)

وكان يشترى الشىء فيجىء به إلى أهله فيقولون له : هذا غال ، فيقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خيرنى فى بيعى » [1] كما روى عن ابن عمر أيضا : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاز الخيار إلى شهرين » إلا أن الحديث الأول أشهر من الثانى ومن هنا كان أرجح منه ، وبه تمسك الحنفية ومن وافقهم . . أما مالك [2] رضى الله عنه فإنه يرى أن المدة تختلف باختلاف المادة المبيعة . . فإن كانت لا تعيش إلا يوما مثلا كالفاكهة فلا يجوز أن يشترط الخيار لأكثر من يوم ، وإن كانت أرضا مثلا جاز اشتراط أكثر من ثلاثة أيام . . وحتى على فرض بداية البيع باتا بدون شرط يجوز إلحاق خيار الشرط به ولو بعد إتمامه بأيام . . .

وفى أثناء مدة الخيار المشروطة يكون

(١) فتح القدير جـ ٥ ص ١١١

(٢) المصدر السابق

من حق صاحب الخيار أن يمضى البيعة إن رآها فى مصلحته . . كما أن من حقه أن يردها ، ويأخذ كل منهما ما دفعه إن رآها غير ذلك ، ويمضى عما استفاده كل منهما من البدل الذى فى يده بالنسبة للمنافع العارضة لا الأصلية .

ثانيا : خيار الرؤية : ومعناه أن من اشترى شيئا ولم يره صح البيع وله الخيار إلى أن يراه ولو بعد سنة إن شاء أمسكه وإن شاء رده بعد أن يراه ، ولا يصح أن يمسك مع خصم بعض الثمن وخيار الشرط والرؤية يمنعان من تمام البيع ولو بعد القبض بخلاف خيار العيب فإن الصفقة تتم معه بعد القبض ولذلك لو صالح المشترى البائع للتنازل عن حق الرد بالعيب على مال جاز ، ولا يجوز ذلك فى خيارى الشرط والرؤية [1] والمراد من الرؤية هنا العلم فالتعبير بها من عموم المجاز . . وهذا يشمل الأعمى الذى لا يرى ، وبيع المشمومات والمطعومات التى لا تكفى فيها الرؤية المجردة بل لابد معها من الاختبار بالشم أو الذوق وهكذا فى الملموسات

(١) فتح القدير جـ ٥ : ١٥٣ .

وفى كل شىء لا تعطى فيه الرؤية علما محددا . .

قال فى الهداية (١) « والأصل فى هذا أن رؤية جميع المبيع غير مشروط لتعذره فيكتفى برؤية ما يدل على العلم بالمقصود فلو دخل فى البيع أشياء لا تتفاوت آحادها كالمكيل والموزون يكتفى برؤية النموذج (أى العينة) إلا إذا ظهر له الغش ، وإن كانت أفرادها متخالفة فلا بد من الرؤية المفيدة للسلامة فى كل على حدة حسبما جرى العرف السائد فى كل زمان ومكان » .

روى ابن أبى شيبة والبيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اشترى شيئا ولم يره فله الخيار إذا رآه ، إن شاء أخذه ، وإن شاء تركه ، وهذا الحديث مرسل وهو حجة عند أكثر أهل العلم ، وقد رواه الحسن البصرى وسلمة بن المحبق وابن سيرين ، وهو رأى ابن سيرين ومالك وأحمد ، وروى مرفوعا عن أبى حنيفة عن الهيثم عن ابن سيرين عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم .

(١) المرجع السابق : ١٤٢ .

ثالثا : خيار العيب : وهو يتيح للمشترى إذا اكتشف فى المبيع عيبا كان غائبا عنه وقت البيع بحيث يتنافى مع السلامة المشروطة ضمنا فى كل عقد من عقود المسلمين . . أن يرجع فى هذه الصفقة ويسترد ما دفعه من ثمن ويرد كل ما أخذ من بيع . . لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من عداء بن خالد بن هوذة عبدا وكتب فى عهدته : « هذا ما اشترى محمد رسول الله من العداء بن خالد بن هوذة عبدا ، لا داء ، ولا غائلة ، ولا خبثة بيع المسلم من المسلم » وفسر أبو يوسف الداء بالمرض ، والغائلة بالأفعال غير المرغوبة كالسرقة والهرب ، والخبثة . باستحقاق الغير له . . وفى هذا اشتراط سلامة البيع من كل عيب لأن الرضا جزء من حقيقة البيع وهو يفوت بظهور العيب ، والحديث علقه البخارى بقوله : « ويذكر عن العداء بن خالد قال : . . وساق الحديث » .

إلا أنه يشهد له قضاؤه عليه الصلاة والسلام بالرد بالعيب كما فى سنن أبى داود عن عائشة رضى الله عنها : « أن رجلا ابتاع غلاما فأقام عنده ما شاء الله أن يقيم

ثم وجد به عيبا فخاصمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه ، فقال الرجل: يارسول الله .. قد استغل غلامى فقال عليه الصلاة والسلام : الخراج بالضمان، رواه الخمسة وأبو داود وصححه الترمذى وابن خزيمة وابن الجارود والحاكم والقطان [١] .

والعيوب التى ترد بها البياعات هنا هى كما قال صاحب الهداية [٢] : « كل ما أوجب النقصان فى الثمن فى عادة التجار فهو عيب ، ولو شرط البائع على المشترى البراءة من كل العيوب فالبيع والشرط صحيحان [٣] سواء سمى العيوب وعددها أولا ، وسواء دخل فى علم البائع أولا ، ووقف عليه المشترى أو لم يقف ، أشير إليه أو لم يشر .. موجودا كان عند العقد والقبض، أو حدث بعد العقد قبل القبض عن أبى حنيفة وأبى يوسف خلافا لمحمد فى الأخيرة فقط ، وخالف الشافعى فى البراءة المطلقة وشرط لصحتها تسمية العيوب المشروطة البراءة منها .

(١) سبل السلام جـ ٢ : ٣٥١ .

(٢) فتح القدير جـ ٥ : ١٥٣ .

(٣) العناية المصدر السابق : ١٨٢ .

وتروى كتب الفقه أن هذه المسألة كانت مثار نقاش مثير ومضحك بين ابن أبى ليلى الذى يرى عدم صحة شرط البراءة من العيب مع التسمية مالم يره المشترى وبين أبى حنيفة الذى يرى صحة ذلك وكانا فى مجلس أبى جعفر الدوانيق : ومما قاله أبو حنيفة لخصمه : أرأيت لو باع جارية بها عيب فى مكان حساس .. أكان يجب على البائع أن يطلع المشترى على عورتها . . أرأيت لو باع بعض حرم أمير المؤمنين عبدا فيه شىء من ذلك . . أكان يلزمه أن يرى المشترى ذلك . . وما زال به حتى أفحمه وضحك الخليفة مما صنع به [١] والحكمة فى ذلك : إلزام العاقد بإسقاط حقه عن صفة السلامة وذلك بالبراءة عن كل عيب .. حتى يتسنى الفراغ من هذه الصفقة .

رابعا: إثبات الخيار فى بيع المصراة:-

والمصراة هى الواحدة من الإبل أو البقر أو الغنم تربط ضرتها ويترك حلبها حتى يجتمع لبنها فيكثر ، فيظن المشترى أن ذلك عادتها .. فإذا اشتراها ظهر له

(١) المصدر السابق .

خلاف ذلك فيكون له الخيار ثلاثة أيام من وقت ظهور العيب على الراجح إن شاء أمسكها بكل الثمن ، وإن شاء ردها إلى صاحبها وأخذ منه ما دفعه إليه ويدفع له فى مقابل ما حلبه ، صاعا من تمر فى رواية ، أو صاعا من طعام فى رواية أخرى ، والتمر أرجح . . روى الشيخان فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصروا الإبل والغنم ، فمن ابتاعها بعد فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها إن شاء أمسكها ، وإن شاء ردها وصاعا من تمر » ، ولمسلم : « فهو بالخيار ثلاثة أيام » ، وفى رواية علقها البخارى : « ورد معها صاعا من طعام لا سمراء » ، وأصل التصرية فى اللغة : حبس الماء يقال صريت الماء إذا حبسته ، وورد مثل هذه الصفقة إنما هو لدرء التضليل والتدليس [1] ، ويجوز دفع قيمة صاع التمر .

وهكذا نرى أن الإسلام وهو شرعة العدالة والإنصاف قد وقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه أن يخدع الناس فى بيعهم وشرائهم أو يغرر بهم، أو يحتال فى تحصيل أرباحه وجمع أمواله بطريق غير شريف .. يكتنفه اللبس والغموض ويحيط به المكر والخديعة ، وتداخله الأغراض المشبوهة والدسائس المريبة فأبطل هذه التصرفات فور اكتشافها ، وأمر بتخليص الناس من براثن تلك الذئاب البشرية ، والثعالب الخداعة ، ودعا الحكام إلى مراقبة الأسواق ، وضبط البياعات ، ومؤاخذة المقصرين بالتحذير مرة ، وبالعقوبة أخرى وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمشى فى الأسواق ويعطى هذا الجانب من حياة الناس كثيرا من اهتمامه ورعايته فمن ذلك ما روى أنه مر على امرأة تغش لبنها فنهاها النبى صلى الله عليه وسلم وقال لها : « كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلصى اللبن من الماء » ؟ ؟

محمد محمد الشرقاوى

(١) سبل السلام جـ ٢ صـ ٣٤٨

الجهاد والمقاومة العَرَبيّة لتحرير الوطن

للدكتور عباس حلمي إسماعيل

إن ما نعانيه اليوم حدث مثله على عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، ففي الرابع من جمادى الأولى سنة ٦٤٦ هـ (٢٥ أغسطس ١٢٤٨) أبحر من مياه فرنسا أسطول ضخم يناهز ألفي سفينة ، تحمل مايقارب مائة ألف مقاتل . ومعهم عتادهم ومئونتهم وخيلهم ، وكان قائد هذه الحملة القديس (لويس) ملك فرنسا. ومرت في طريقها إلى مصر بجزيرة قبرص فقضت بها بعض الوقت ، ثم أقلعت منها إلى دمياط ، ولكن عاصفة عاتية اعترضت طريقها ، فاضطرت نصف الأسطول إلى الجنوح إلى شواطئ الشام . وكانت علاقات الود تربط بين ملوك الأيوبيين وملوك صقلية من النورمان ، فأرسل الملك (فردريك) الثاني أحد رجاله متخفيا في زى تاجر إلى السلطان الصالح ، وكان بالشام حينذاك ، ليبلغه نبأ هذه الحملة كي يستعد لمقابلتها . وكان الصالح مريضا مرضا خطيرا يعوقه عن ركوب فرسه غير أنه انزعج لهذا الخبر ، فلم يبال بالآم مرضه ، وأمر أن يحمل في محفة ، وعاد مسرعا إلى مصر ، ونزل عند قرية أشموم طناح في المحرم من سنة ٦٤٧ هـ (أبريل ١٢٤٩) وأصـــدر أوامره في الحال بالاستعداد ، فشحنت دمياط بالأسلحة والأقوات والجند ، وبعث إلى نائبه في القاهرة - الأمير حسام الدين ابن أبي علي - يأمره بإعداد سفن الأسطول ، ففعل ، وأرسلها إلى دمياط شيئا بعد شيء ، ثم أرسل السلطان الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ على رأس جيش كبير ، ليعسكر في البر الغربي لدمياط ، ليكون في مقابلة الفرنج إذا قدموا.

وفي صباح الجمعة لتسع بقين من صفر (يونيو) وصلت سفن الفرنسيين ، وأرست بإزاء دمياط ، فأنفذ لويس إلى السلطان إنذارا يهدده فيه ويتوعده وقد اختتمه بقوله : « وقد عرفتك ، وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي

تملأ السهل والجبل، وعددهم كعدد الحصى، وهم يرسلون إليك بأسياف القضاء. واستمع السلطان المريض إلى الإنذار والغيظ ينهش قلبه، وكان الرد «أما بعد، فإنه وصل كتابك، وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك فنحن أرباب السيوف، وما قتل منا قرن إلا جددناه، ولا بغى علينا باغ إلا دمرناه، فلو رأت عيناك - أيها المغرور - حد سيوفنا، وعظم حروبنا، وفتحنا منكم الحصون والسواحل، لكان لك أن تعض على أنامك بالندم ولا بد أن تزل بك القدم في يوم أوله لنا، وآخره عليك»[١].

وفعلا راعهم كثرة الجيوش المصرية كما خطف أبصارهم بريق أسلحة العرب، وصهيل خيلهم، وجلبة جندهم، فأفزع كل ذلك الفرنسيين وهم لا يزالون في سفنهم حسبما وصف (جوانفيل) مستشار الملك. غير أنه في اليوم التالي استطاع الفرنسيون أن ينزلوا جنـــدهم إلى البر، وبدأت المناوشات بين الجيش، فأطلق الأمير فخر الدين الحمام الزاجل يحمل النبأ إلى السلطان، وتمددت رسائله دون أن يتلقى ردا، فظن أن السلطان قد مات، فانتظر حتى وافى الليل، وانسحب بجيشه كله من الشاطئ الغربي إلى دمياط، ثم تركها وسار جنوبا متجها إلى معسكر السلطان عند (أشموم طناح) وأعمته العجلة فلم يحطم الجسر الذي كان يصل بين الشاطئين الشرقي والغربي، فتركه كما هو ومع أن السلطان كان في أشد حالات المرض، فقد غضب على فخر الدين ومن كان معه، وأنبه على فعلته، وكاد يأمر بقتله، غير أن الوقت كان حرجا، فكظم غيظه إلى أن تنكشف الغمة. وعبرت ذئاب العدو إلى دمياط، واستولوا عليها، وكان الملك (لويس) يستطيع أن يتقدم في هذه اللحظة نحو الجنوب، قبل أن يفيق المصريون من الارتباك الذي حل بهم، ولكنه تلكأ في دمياط مدة تقرب من ستة أشهر، يتحصن بالمدينة، وينتظر وصول بقية سفنه التي جنحت بها الريح نحو شواطئ سوريا، هذه المدة كانت كافية، ليتم المصريون استعدادهم ويستعيدوا نشاطهم ويجمعوا صفوفهم[١].

(١) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب.

(١) جمال الدين الشيال وزميله: قصة الكفاح بين العرب والاستعمار.

فلما وصلت السفن الشاردة، دعا الملك لويس قواده للتشاور، واختيار الطريق الذى يسلكونه، وأشار الكونت بطرس صاحب مقاطعة بريتانيا، وغيره من القواد، بالاتجاه نحـــو الإسكندرية، للاستيلاء عليها أولا، لأنها أصلح لإيواء سفنهم من دمياط، وإليها يستطيع أسطولهم أن يصل بالمئونة من بلادهم، فى وقت قصير وجهد قليل، غير أن الكونت أرتوا (Artois) أخا الملك عارض هـذا الرأى، وأشار بالاتجـاه مباشرة نحو القاهـرة للاستيلاء عليها، وكانت حجته أن القاهرة عاصمة مصر كلها فالاستيلاء عليها يستتبع حتما الاستيلاء على البلاد كلها، وأضاف إلى هذا قوله: «إذا أنت أردت قتل الأفعى، فاضربها على رأسها»، واحتـدم النقاش، وانتهى بأخذ الملك برأى أخيه، وتقرر بذلك مسير الجيش الفرنسى جنوبا نحو القاهرة أما السلطان فقد قرر أن يتجه مع جيشه جنوبا إلى مـدينة المنصـورة، لأنها تمتاز بموقع حصين، فالنيل يحميها غربا وبحر أشموم طناح (البحر الصغير) يفصل بينها وبين قوات الفرنسيين فى الشمال وهناك شارك الشعب مشاركة فعالة فى الجهاد والمقاومة، ليواجه العدوان، ويأخـذ بثأر دمياط. فكان المتطوعون يهاجمون معسكرات الفرنسيين حتى أقضوا مضاجعهم ويعودون يوما بعد يوم بعدد من الأسرى وانتفضت دمشق الشقيقة، وقد هالتها أنباء دمياط، فانطلقت تثأر من الفرنج بالشام وحاصرت مدينة صيداء وانتزعتها من أيديهم، كما أخذ أمراء الشام ورجاله يتوافدون تباعا على السلطان بالمنصورة.

وكانت شجـرة الدر زوج السلطـان المريض تقف بجانبه لتشد أزره، وتحوطه بالأطباء آملة أن ينأى عنه شبح الموت، ولكن الكارثة سرعان ما أطلت بوجهها الكالح، ففى ليلة النصف من شعبان (٢٢ نوفمبر) توفى السلطان، والبلاد تحيا فى فوهة بركان، وتعبىء قواها لرد العدوان. وهنا امتدت يد شجرة الدر لتمسك بزمام الأمور، فاستدعت الأمير فخر الدين قائد الجيش، وأفضت إليه بمخاوفها من إعلان وفاة السلطان، فى هذه الظروف العصيبة، وأمرته بكتمان النبأ. ورغم الكتمان، وصلت أخبار موت السلطان إلى الفرنسيين فى دمياط،

فانتهزوا الفرصة وبدءوا زحفهم نحو الجنوب ، حتى وصلوا إلى المنصورة ، فعسكروا شمالى بحر أشموم ، وأصبح البحر حاجزاً بين معسكرهم ومعسكر المصريين ، وبدأ كل فريق يستعد للمعركة الحاسمة. أما الفرنسيون فبدءوا يحصنون معسكرهم ، فحفروا حوله خندقاً ، وأقاموا سوراً ، ونصبوا المجانيق، وأتت شوانيهم فوقفت بإزائهم فى النيل . وأما المصريون فكانوا مطمئنين إلى مدينتهم وحصانة موقعهم ، فأخذوا يناوشون الفرنج ، ويتحيلون فى اختطافهم وأسرهم . والطريف أن جندياً مصرياً قور بطيخة وحملها على رأسه ، وغاص فى الماء حتى حاذى الفرنج ، فظنه بعضهم بطيخة ونزل لأخذها . فشطره المصرى بسيفه وحمله إلى معسكر المسلمين [1] .

ورأى الملك أنه لا يستطيع الغلبة على المصريين ، إلا إذا التحم معهم فى معركة وبدأ العدو يقيم جسراً على البحر الصغير ، وبنى برجين لحماية العمال الذين يعملون فى البحر . وجاءت دوت انفجارات هائلة ،

ويقول جوانفيل : « فكانوا يفسدون علينا فى يوم واحد ما كنا ننجزه فى أسابيع ثلاثة » . ذلك أن المصريين أمطروهم بالحمم التى أنزلت الرعب فى أفئدتهم ؛ حتى ليخيل إليهم أن نجوم السماء تتساقط عليهم . فنهض الملك فزعا باكيا، ثم لجأ الفرنج إلى الحيلة ، ليعبروا البحر الصغير إلى المنصورة ، وفوجىء بهم المجاهدون فى فجر الخامس من ذى القعدة سنة ٦٤٧ هـ (٩ فبراير سنة ١٢٥٠ م) وقد بلغوا قصر السلطان وفيه شجرة الدر . وصمدت فرقة المماليك البحرية بقيادة ركن الدين بيبرس للمقاومة وحملت على الفرنسيين حملة عنيفة ردتهم عن القصر ، فلما فروا راجعين تعقبتهم بالسيوف ، وأقام الأهالى المتاريس فى الطرقات ، واشتبك الفريقان فى قتال عنيف فى شوارع المدينة وأزقتها ، واتخذ الأهالى حصوناً من منازلهم ، يلقون من نوافذها بالقذائف والحجارة على الفرنسيين . وأصيبت فلول الفرنج بالذعر ، وهى ترى قائدها الكونت أرتوا يسقط فى المعركة ، ومن حوله خيرة فرسان الفرنسيين ، والإنجليز الذين كانوا

(١) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ القسم الثانى .

قد جاء وامددا للملك، فانطلقت مذعورة إلى معسكرانها، وجموع الشعب والجيش تلاحقها بين التكبير والتهليل، إلى حيث تساقط كثير منها فى البحر الصغير، وهى تلقى بأنفسها فيه، ليعودوا إلى معسكرهم سباحة. وهبط المساء ولم تنم المنصورة. وأخذت مواكب الأسرى تطوف بالمدينة والبشارات تطوف بأرجاء البلاد، على حين كانت معسكرات الأعداء واجمة، مبهورة الأنفاس. وبهذه الهزيمة عاد الفريقان إلى الوضع الذى كانا عليه قبلا: كل منهما على شاطىء، والبحر الصغير يفصل بينهما.

وبعد أيام قليلة، وصل السلطان الجديد، المعظم (تورانشاه) إلى مصر من حصن كيفا بالموصل. وفرح المصريون بسلطانهم الجديد، وبدءوا يستعدون لجولة ثانية، فأمر تورانشاه بأن تصنع سفن بالمنصورة. وحملت هذه السفن مفصلة على الجمال إلى بحر المحلة. حيث أعيد تركيبها. وملئت بالمجاهدين، وسارت شمالا. فلما أقبلت سفن الفرنج تحمل المئونة من دمياط. خرجت عليها هذه السفن، فأخذت مراكب الفرنج أخذا وبيلا. وكانت اثنين وخمسين مركبا، وقتل منها وأسر نحو ألف إفرنجى. وغنم سائر ما فيها من الأزواد والأقوات، وحملت الأسرى إلى المعسكر فانقطع المدد من دمياط عن الفرنج ووقع الغلاء عندهم، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام ولا يقدرون على الذهاب[1].

واشتدت الضائقة بالفرنسيين لانقطاع المئونة عنهم من دمياط. فأرسل الملك إلى السلطان يطلب الصلح. ويعرض عليه أن يتنازل عن دمياط مقابل بيت المقدس. ولكن السلطان رفض هذا الطلب. فلم يجد الملك بدا من الاستمرار فى المقاومة، حتى ينقذ ما يمكن إنقاذه. ثم أشعل النار فى أسلحته وعتاده. ورحل بجيشه لثلاث مضين من المحرم سنة ٦٤٨هـ (أبريل ١٢٥٠) متجهاً إلى دمياط، ولم يكد يصل إلى فارسكور، حتى كانت جيوش المصريين قد لحقت به. وانقضت على جيشه انقضاض الصاعقة؛ فقضت على معظمه، حتى قيل إن من قتل من

(١) ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب.

فرسان الفرنسيين كان أكثر من عشرة آلاف . كما أسر من الخيالة والرجالة والصناع ما يناهز مئة ألف . وحينئذ زحف اليأس الرهيب إلى قلب الملك . وأخذت أحلامه الكبيرة التي طالما ألهبت وجدانه ، تتحول ثلوجاً تشيع في كيانه برودة الموت . وفي ذلة وضراعة امتدت يده المثلوجة الواهنة إلى اليد السمراء الفتية، تنشد الاتفاق ورفع الحصار غير أن المجاهدين أخذوا يحكمون عليه حصارهم، حتى تلتقي حلقاته وتضيق (١) وبالقرب من فارسكور . شهدت قرية (منية أبي عبدالله). وهي (ميت الخولي عبدالله) كما تسمى الآن . مشهداً من أغرب مشاهد التاريخ . فقد رأت ملك فرنسا ـ بموكبه المتداعي ـ يلجأ إليها في ذلة وتخاذل ـ طالبا الأمان من المجاهدين الذين أخذوا يلاحقونه مكبرين مهللين . والتف القيد الحديدي حول يدي الملك وقدميه ، وسحب إلى دار القاضي فخر الدين بن لقمان ، التي لم تزل بقاياها قائمة حتى اليوم بالمنصورة حيث عهد بحراسته إلى صبيح المعظمي.

ثم بدأت المفاوضات بين الملك والمصريين . وتولاها عنهم الأمير حسام الدين بن أبي علي نائب السلطنة . وتم الاتفاق أخيراً على إطلاق سراح الملك وجميع الأسرى ، على أن يخلوا دمياط . وأن يدفعوا أربعمئة ألف دينار فدية الملك ؛ يؤدون نصفها قبل أن يطلق سراحه . والنصف الآخر بعد وصولهم إلى بلادهم . وكانت زوج الملك مقيمة في دمياط . فجمعت نصف المبلغ المطلوب فأطلق سراح الملك . ودخل المصريون ثانية إلى دمياط . ورفعوا عليها العلم المصري يوم الجمعة الثالث من صفر (منتصف مايو) بعد أن ظلت في أيدي الفرنج أحد عشر شهراً وتسعة أيام . وهكذا أقلعت فلول الحملة ، بعد أن ودعها الشاعر الوزير جمال الدين بن مطروح بقصيدته الساخرة التي يقول فيها:

قل للفرنسيس إذا جئته
مقال نصح عن قئول فصيح
أتيت مصر تبغي ملكها
تحسب أن الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين إلى أدهم
ضاق به عن ناظريك الفسيح

(١) إبراهيم عابدين وزميلاه: انتصارات خالدة بين المنصورة ودمياط.

وكل أصحابك أودعتهم
بحسن تدبيرك بطن الضريح
وجلا الفرنج وصوت أحد قادتهم ، وهو ولتردى كوريل (Walter de Cureil) يرن فى آذانهم ، حين خاطبهم قائلا : « أيها السادة ، نحن فى خطر دائم ، لأن العدو لو صوب النار نحو أبراجنا ، وبقينا نحن فى أماكننا ، لأتانا الموت من كل مكان ، ولو أننا غادرنا مراكزنا التى استولينا عليها للحقنا العار ، فلا منقذ لنا من هذا الخطر الدائم إلا الله ... فنصيحتى إليكم أن نخر سجداً كلما صوبوا هذه النار نحونا ، لنبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن ينجينا من هذا الخطر »[1] !

أما المسلمون ، فقد سجدوا لله فى الضراء ، وحينما تألقت مدينتهم العجوز بالظفر والانتصار . ما أكثر ما التقت هذه المدينة بالغزاة ، وما يزال بصدرها الشامخ آثار لآلاف الجراح والطعنات على حين تظلل شفتيها ابتسامة ساخرة ، فهى على يقين من النصر . وما لبث نشاطها أن عاد إليها ، ومار داخلها بالحركة ، وجالت أعينها خلال البحر الواسع الممتد . واليوم يبتلى كثير من المدن العربية ، بمثل ما ابتليت به دمياط والمنصورة ، بمحنة تختبر صبر الأمة العربية وصلابتها . وليس هناك من بديل غير الجهاد والمقاومة ، أمام عدو يرفض جميع الحلول السلمية ؛ ويصر على اغتصاب الأرض العربية والتوسع فيها ؛ وإزالة معالم تهوى إليها أفئدة البشرية كلها ، فى أرض الرسالات والحضارة ؛ ولذا يتشاور العرب وينسقون جهودهم ، ويحشدون ميدان القتال ، ويدعمونه بالطاقات السياسية والاقتصادية والإعلامية ، ضد عدو صهيونى يستمد من قوى الاستعمار العالمى وجوده وقوته ؛ حتى يتمكنوا من تحرير مقدساتهم الدينية والقومية ، وتطهير ما حولها ، بما يكفل انتصار الحق كاملا وخالصا . إن الجهاد بكافة أساليبه هو الذى سيلزم العدو باحترام الوجود العربى ويجبره على الرضوخ للإرادة العربية ، ليس هناك فى الواقع من بديل ، غير إمكانيات أمة توافرت لديها كل الوسائل ، التى تقودها إلى خوض معركة النصر ، مهما كان الثمن ومهما غلت التضحيات ؟

عباس حلمى إسماعيل

(1) Histoire de Joinville.

حول تطور المجتمع الإسلامي :

القضية والمنهج

للأستاذ ابراهيم الخولى

– ٢ –

« الانفصام » أو « الانفصال » عن القرآن الكريم فى التفكير والتوجيه ثم فى السلوك .. هو علة العلل كلها فى المجتمع الإسلامى !

والمسلمون يعون هذه الحقيقة وعيا متفاوت الدرجات ، وأعداؤهم يعونها وعيا فيه كثير من العمق .. وفيه كثير من الحقد!

ووعى المسلمين بهذه الحقيقة تشوبه أمشاج وأخلاط من العواطف والمشاعر والذكريات .. تذهب بالكثير مما يجب أن يثمره هذا الوعى ! ولعل أخطر ما أضاع على المسلمين ثمار وعيهم .. طغيان الإحساس بالماضى .. وعنف وقعه فى نفوسهم - لأسباب معقدة كثيفة - حتى أصبحنا فى غمرة الحنين إلى الماضى نكاد ننسى واقعنا .. وننكر حاضرنا .. ونتنكر لما يلزمنا تجاهه باعتباره مجال صنع المستقبل .. والجسر الذى لا بد أن نعبره إلى ذلك المستقبل !

إن الوعى بعظمة الماضى ، والتغنى بما يخيل به من أمجاد يمكن أن يكون قوة إيجابية دافعة .. لكنه كذلك يمكن أن يتحول إلى قيود ثقيلة تقتل فينا روح الحركة وتخمد فى الناس أنفاس الحياة إذا ما أوقعهم فيما يشبه أحلام اليقظة أو رؤى النائمين !

ووعى أعداء الإسلام بهذه الحقيقة بلغ حدا كشف لهم عن مقتل المسلمين ؛ فركزوا عليه الضربات فى عنف بالغ ، وتسديد نحو الهدف لا يكاد يخطىء !

استفادوا هم من عبرة التاريخ

أما نحن !

ما دام منطق التاريخ يقول: إن المجتمع الإسلامى فى حركته صعودا وهبوطا ، تقدما وتخلفا ، سعة وضيقا ، قوة وضعفا ، يرتبط بتوجيه القرآن استمدادا منه أو انقطاعا عنه .. عملا به أو تعطيلا له ..

إذا كان منطق التاريخ هو هذا وتلك هي عبرته، فقد وضح السبيل أمام الكيد للإسلام ومجتمعه .. العمل على إبقاء المسلمين في «انفصال» دائم عن القرآن فذلك كفيل أن يحدث في مجتمعهم ما يحدثه «فصل» القلب عن الجسم من آثار !! وقد أكد واقع المسلمين لقرون عديدة هذه الحقيقة بما زادهم وثوقا بها !!

فمنذ ظهور السبئية الأولى في الصدر الأول لم يختلف منهج الكيد للإسلام في جوهره – حتى ظهرت «سبئية القرن العشرين» ! فالسبئية: في نظرنا ليست مجرد شخص أو مجرد فكرة . وإنما هي ظاهرة في تاريخ الإسلام تتمثل في التيار المعادي الحاقد المناهض .. الذي يحاول تقويض مجتمع المسلمين من داخله . بل ويبيد أبنائه أساسا متذرعا لذلك بالغزو الفكري المضاد .. وبإشاعة الفوضى الفكرية والأخلاقية التي تفسد على المسلمين تصورهم للحياة . وتضعف التزامهم بعقيدتهم .. وتنال من اعتصامهم بالقرآن !

هذه الظاهرة عامة في التاريخ الإسلامي نلمحها في كل عصر .. بل في كل جيل يمثلها في كل مرحلة «ابن سبأ» جديد .. من الخطأ أن تنظر إليه على أنه شخص أو فرد .. أو تتوقف عند جنسه أو لونه أو وطنه ! وإنما هو أبدا عنوان .. يعبر عن كل حركة مضادة تعمل لنفس الهدف وتتذرع لبلوغه بنفس الوسائل والأسباب !

ولعل تجسيد هذه الظاهرة في عصرنا يتمثل في هذا التيار أو ذاك الاتجاه ويمثله مفكر أو آخر !! ممن أتاحت لهم ظروف المجتمع الإسلامي الراهن أن يقعدوا منه مقاعد القيادة الفكرية والاجتماعية على نحو يجعل من الخطأ النظر إليهم وإلى تأثيرهم على أنهم مجرد أفراد !!

من هؤلاء من نعلمه .. ومنهم من لا نعلمه ، فيهم من هو سارب بالليل – ومن هو مستخف بالنهار لكن الله يعلمهم جميعا .. ومن قبل قال لنبيه – صلى الله عليه وسلم في أمثالهم : «وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم» !!.

وأحد العذابين - فيما نعتقد - ما ينتهى إليه مصيرهم فى الدنيا بعد افتضاح سرهم وكشف خبيئتهم .. فهى بشرى من الله إن شاء الله !!

فصل المسلمين عن قرآن ربهم وتوجيهه هو الغاية المستمرة التى يعمل لها أعداء الإسلام .. وهى فكرة ماكرة . ومنهج موغل فى القدم .. لم يبتكره دهاقنة الاستعمار .. وإنما هم فيه تابعون لسلف غير صالح .. وإن تفنن المحدثون فى الأدوات ونوعوا فى الوسائل !!

إنها نغمة واحدة .. آثمة !! منع القرآن من الوصول بتوجيهه وتأثيره إلى عقول الناس وقلوبهم !! عزفها المشركون لحنا جافيا خشنا - يوم حاولوا صرف الناس عن سماع القرآن من النبى « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » !!

ويعزفها خلفاؤهم اليوم لحنا ناعما ينتهى بمن يصغى إليه من المسلمين إلى سبات عميق !!

ويشارك فى هذا العزف من بيننا من يشارك .. وكل يعمل على شاكلته .. وليس طرح قضية الطريق أو المنهج على الصورة التى نراها إلا توقيعا على أحد الأوتار فى الآلة الضخمة المعقدة التى بها يتم عزف السمفونية الآثمة بكل ألحانها فى وقت واحد !!

هـذا فى تشخيص العلة وتحديد سبب الداء !

أما الشفاء من هذا المرض ، والنهوض من هذه الكبوة فالطريق إليه واضح كذلك .. يقدمه القرآن الكريم توجيها وهديا .. ويقدمه التاريخ عبرة ودرسا !!

ومنطق الأشياء يقول : لن تزول العلة إلا بزوال أسبابها ، أو لن يشفى الداء إلا بالقضاء على عوامله !!

فإذا كان انفصام المسلمين عن توجيه ربهم فى قرآنه العظيم .. الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. هو العلة .. وهو الداء .. وهو المرض .. وهو سبب كل ما عانينا فى الماضى وما نقاسى فى الحاضر - فإن العلاج ينحصر فى القضاء على هذا السبب .. بإزالة هذا الانفصام والقضاء على كل ظواهره ومظاهره !!

وهل لذلك من معنى سوى العودة إلى كتاب الله من جديد !!

لقد قيل: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» ، وهو قول صحيح بشهادة التاريخ ! !

ألم يصلح القرآن أمر هذه الأمة يوم تولى قيادها .. وأرسى حياتها على قواعده فسارت على مناهجه ! !

ألم يقم لها وبها مجتمعا إنسانيا .. كان وسيظل مثلا أعلى تتطاول إلى صنع مثله أعناق المصلحين !! ألم ينشىء جيلا كلما استعاد الناس صورته أكبروه وأصغروا من أمر أنفسهم بقدر هذا الإكبار ؟ ألم يكن لهذه الأمة تمكينا جعل أحد حكامها يقول يوما وقد مرت عليه سحابة : «أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك» ! .

ألم يحول الصحراء إلى مصدر إشعاع بالهداية ومركز للقيم الحضارية والإنسانية الرفيعة ما زالت الدنيا تعيش فى آثار أضوائها التى انبعثت منها يوم كان مجتمع المسلمين قادرا على إرسال هذا الضوء من أنوار القرآن ؟!

بلى ! كل ذلك وأكثر منه قد كان !! وما حدث مرة .. لم لا يتكرر مرة أخرى ؟ !

إن عطاء القرآن للحياة دائم متجدد .. وطاقة القرآن فى هذا العطاء لا تعرف حدا تنتهى إليه «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى» (أى لكان هذا القرآن) !

بهذا القرآن العظيم ، يعود ما كان ، وبهذا القرآن العظيم . يمكن تكرار ما حدث ! !

لكن هنا شرطا لا بد من تحقيقه : أن نعرف كيف حقق القرآن ما حققه لأول مرة ؟! إن الله وصفه بأنه روح به تقوم الحياة : «وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا» !!

وجعل الاستجابة إليه مظهر الرغبة فى الخروج من الموت إلى حياة طيبة يبشر بها : «يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» !! وجعل التراخى فى هذه الاستجابة مما يعرض الحرمان من هذا النور الذى هو كفيل أن يضىء السبيل : «يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا» وحذر من مغبة الإعراض عنه : «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى» ، وقد أغنانا

بهذا عن تكلف الحديث عن (القرآن) من زاوية لا نملك رؤية الحقيقة فيها على ما هى عليه من كمال وعظمة .

« إنه لقول فصل . وما هو بالهزل » يلزمنا أن نكون جادين على أتم ما يكون الجد حينما نتلمس فى (القرآن) دواء دائنا .. وشفاء علتنا .. !

فهل من الجد أن نكتفى بمجرد التغنى بعظمة (القرآن) ـ وإنه لقرآن عظيم ـ وبما أنجزه من حياة لمجتمعه الأول ؟ وبما حققه بذلك للإنسانية التى هى أحوج إلى ضيائه اليوم منها فى أى وقت مضى ؟ !

إن هذا التغنى يطربنا ويشجينا ويلذنا ويؤلمنا ، وحديثه محبب إلى نفوسنا لأسباب معقدة تضرب بجذورها فى أعماق نفوسنا !!

فهو يخفف عنا وقع الحاضر بضغوطه الثقيلة التى تكاد تخنق أنفاس الحياة فينا !

وقد نجد فيه ما يرفع عنا كثيرا من إصر الشعور بالذنب والتقصير ، ويبدد ضباب اليأس الذى يجثم على صدورنا لا يكاد يبرحها .

وهو يساعدنا فى معركة تأكيد وجودنا فى مواجهة أعداء ينكرون علينا حق الوجود ويتنكرون لكل فضل يحفل به تاريخنا فى تطاول علينا وعلى هذا التاريخ دون ما مبالاة !!

وقد يكون هذا نافعا فى إيقاظ الثقة بالنفس ، وفى بعث هذه الأمة وتجديد شبابها على نحو أو آخر لكنه ـ بالقطع ـ لا يكفى لشفائنا مما نحن فيه !!

إن العلة التى نشكوها ونلتمس العلاج لها لا يكفى لإزالتها هذا النهج . قد يكون أحد العوامل التى تهىء ظروفا أفضل العلاج لكنها ليست بمغنية عنه .. ومريض السرطان لا تشفيه الموسيقى .. وإن خففت عنه الإحساس ببعض ما يعانيه !

لا ينبغى أن نقف عند حدود الحديث عما كان .. والإفاضة فى عظمة ما طواه الماضى .. وإنما علينا أن نتجاوزه .. لنبحث : كيف كان ؟ وبأى طريق تم ؟ وعلى أى نهج تحقق ؟ وما هى الشروط التى ينبغى توافرها لتعيده من جديد ؟ لو عنينا بهذا ووضعنا نصب أعيننا هذا السؤال : كيف أقام القرآن مجتمعه الأول؟ لأصبحنا فى موقف مختلف ، لا يزعجنا

فيه ، أن نرى دعيا أو جاهلا بالإسلام يزعم أنه غير قادر على قيادة مجتمعه أو تطويره ! !

لو عنينا بهذا السؤال : كيف أنجز القرآن ما أنجزه من قيام المجتمع الإسلامى الأول بجانب السؤال الآخر ماذا أنجز الإسلام؟ لخرجنا من الحلقة المفرغة المغلقة التى حسبت فيها الأقلام قرونا طوالا وهى تبدىء وتعيد فى وصف ما كان القرآن الكريم من آثار ثم تجهد نفسها مازالت عند البداية وقد ظنت أنها بلغت النهاية !! ومع ضخامة ما سطرت وكتبت ظلت العلة قائمة . . . وأسبابها ومظاهرها تستفحل ! !

ماذا يجدى أن نصف لمن يريد أن يبنى بيتا أو قصرا أن نصف له ما كان عليه صرح سليمان عليه السلام من أبهة وجلال . . وجمال ثم نكتفى ؟ أليس أجدى عليه من هذا الوصف الذى لا يحقق غايته أن ندله على رسم هندسى أو تصميم فنى يمكنه أن يبنى مايريد على غراره ؟ !

إن علينا حينما نقول: إن الإسلام أقام -بالقرآن- مجتمعا هو مثل أعلى فى بابه، وقبل أن نفيض فى شرح مزايا هذا المجتمع أن لاننسى هذا السؤال ، كيف أقام الإسلام هذا المجتمع ؟ !

وحين نقول : إن الإسلام أقام -بالقرآن- أمة عزيزة . . ومكن لها فى الأرض ، وقبل أن نفيض فى شرح مظاهر هذا التمكين . . أن لا ننسى هذا السؤال، كيف أقام الإسلام هذه الأمة؟!

وحين نقرر أنه بنى جيلا هو صفوة أجيال البشر وقبل أن نفيض فى تعداد ما لهذا الجيل من مناقب أن لا ننسى هذا السؤال ، كيف بنى الإسلام هذا الجيل ؟

سؤال : كيف حدث هذا؟! هو الذى ينير لنا الطريق إذا كنا جادين فى البحث عن الطريق ! وهو الذى يساعدنا على اكتشاف المنهج إذا كنا حقيقة نبحث عن المنهج ! !

وهو الذى يعيننا على الخروج من مأساة الواقع . . ونحن لاشك نبحث عن مخرج منها !!؟

إبراهيم الخولى

الإمام الماوردي ... الفقيه الرائد

للدكتور محمد رجب البيومي

– ٣ –

ذكر الأستاذ (كارادى فو) فى كتابه « مذهب الإسلام » لغطاً مخطئاً عن التربية الإسلامية ، إذ زعم أن الشرق الإسلامى لا يعرف الذوق الفطرى للتعليم وأن الإسلام لا يهتم بأمر الطفل ، وإذا وجدت رسائل عربية تتحدث عن التربية فهى من أثر معتنق المسيحية من العرب لأن مفكرى الإسلام قد أهملوا هذا الموضوع !

وتلك مزاعم ظالمة أوجدها جهل الكاتب الأوربى بآثار السلف ، وقد تناسى أن كتب الأخلاق فى الإسلام كتب تربية ، فالإحياء للغزالى ، وتهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه ونقد العلم والعلماء لأبى الفرج الجوزى ، ومفتاح دار السعادة لابن القيم وما إليها مما ينحو المنحى التهذيبى ، كلها كتب تربية تضرب إلى صميم الصميم من بحوث التربويين ، وقد تحدث ابن خلدون وإخوان الصفا وابن عبد البر وابن سينا وغيرهم عن أدق مسائل التربية فيما تركوه من مطولات وموجزات فإذا أردنا كتباً خاصة بالتربية فلدينا رسالة أحوال المعلمين للقابسى ، وآداب المعلمين لابن سحنون ، وتحرير المقال فيما يحتاج إليه مؤدبو الأطفال لابن حجر ، وتعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجى ، والتربية والتسليك للأقصرائى وأخبار نجباء الأبناء للصقلى وغيرها مما عرفه المنصفون من الباحثين !

فماذا بعد الحق إلا الضلال .

ومن كتب التربية الأصيلة فى التراث الإسلامى كتاب « أدب الدنيا والدين » لقاضى القضاة أبى الحسن على بن محمد ابن حبيب البصرى الماوردى ، وقد حاز شهرة فائقة مطلع هذا القرن بمصر إذ قرر للمطالعة على مدى عشرين عاما متتالية بالمدارس الثانوية والمعاهد الدينية وبلغت طبعاته العشرين عدداً بحيث لم تكن تخلو منه مكتبة أديب ، ومع هذا الصيت الطائر فقد تجاهله أكثر مؤرخى

العربية ولعل مرد ذلك توسعه فى المفهوم التربوى ؛ إذ جمع التربية العلمية والتربية الخلقية فى نطاقه دون أن يقتصر على الأولى لحسب ! وكأنه شاء أن يجمع بين العلم والسلوك فى حيز واحد لا يتجزأ إذ لا قيمة للتربية النظرية إذ لم تنتقل إلى السلوك الشخصى عادة وطبعاً وصفة ، فما أحرى الذين تناسوا أدب الدنيا والدين فى تاريخهم التربوى أن يرجعوا إليه متداركين .

كان أبو الحسن الماوردى مربياً بطبعه وقد نقل إلينا بعض تجاربه الخاصة فصدر عن تأمل وبصر ، وكشف عن معدنه الحقيقى فى التواضع والامتثال هذا إلى سعة الحيلة ورحابة الصدر، وتلك خصائص المربى الأمثل ، وسننقل من قوله ما يعتبر اليوم من قبيل الاعترافات الشخصية بما ينبىء عن سلوكه البصير .

قال الماوردى ص ٥٧ من الطبعة الثالثة عشرة : « وقلما تجد بالعلم معجباً وبما أدركه منه مفتخراً إلا من كان مقلا ومقصراً لأنه قد يجهل قدره ويحسب أنه نال بالدخول فيه أكثره ، ومما أنذرك به من حالى أنى صنفت فى البيوع كتابا جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس ، وأجهدت فيه نفسى وكددت خاطرى حتى إذا تهذب واستكمل وكدت أعجب به ، وتصورت أنى أشد الناس اضطلاعا بعلمه ، حضرنى وأنا فى مجلسى أعرابيان فسألانى عن بيع عقداه فى البادية على شروط تضمنت أربع مسائل لم أعرف لواحدة منها جوابا ، فأطرقت مفكراً وبحالى وحالهما معتبراً ، فقالا : ما عندك فيما سألناك جواب ، وأنت زعيم هذه الجماعة ؟ فقلت : لا ، فقالا : واهاً لك ، وانصرفا ، ثم أتيا من يتقدمه فى العلم كثير من أصحابى (يريد تلاميذى) فسألاه فأجابهما مسرعا بما أقنعهما ، وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه ، وبقيت مرتبكا وبحالى وحالهما معتبرا ، وإنى لعلى ما كنت عليه فى تلك المسائل لوقتى فكان ذلك زاجر نصيحة ، ونذير عظة تذلل بهما قياد النفس » .

هذا ما قاله أبو الحسن بلفظه داعيا إلى التواضع العلمى والتطامن الخلقى ، وكاشفاً عن طهارة نفسه المعتبرة وعقله المتيقظ ، وإن كنا نرى فى الحادثة غير ما يراه ، فقد يكون تعذر الإجابة لدى

العالم الضليع صادراً عن عظيم إحاطته وإدراكه من الخفايا العويصة ما يحول دون امتداده السريع ، كالمريض يأتى إلى أشهر الأطباء ، فيحسن فحصه ويرى لسعة مداركه شبهة تمنع إجراء عملية جراحية له قد تكون مصدر خطر فيتراجع عن حذر ثم يذهب المريض إلى طبيب مغمور ليس له سعة إدراك سابقة فلا يرى من الخطورة ما توهمه الآخر ويبادر إلى الجراحة فيدركه الظفر ، وليس معنى نجاحه العاجل أنه أحذق وأبصر ، ولكن معناه أنه جازف ونجح ، ولن يكون نكول الماوردى عن الإجابة إلا حيرة فى مسالك تراءت له وخفيت عمن دونه ! ولهذا يكون التوفيق مصادفة طارئة لا يجوز معها أن نحكم بقدرة التلميذ وعجز الأستاذ كما شاء أبو الحسن أن يقول .

لقد كان الماوردى نمطاً رائعاً من رجال التربية فى عصره ؛ إذ كان يذهب فى دروسه من التأنى واليسر وسعة الحيلة ما يحمل سامعه يعترف بفضله ، ولو كان ضيق الأفق سريع الغضب لنفر منه تلاميذه فما انتفعوا بشىء من علمه كما قيل فى ترجمة على بن عيسى الربعى النحوى من أنه لم يكد ينتفع بمجلسه أحد لسرعة غضبه وضيق احتماله . فنقل من اعترافات أبى الحسن فى ذلك ما يجب أن يضمه المعلمون والمربون نصب أعينهم فيبلغوا حاجتهم من هداية الناس وتعليم النشء بأيسر ما يتطلب من كفاح .

قال الماوردى ـ نقلا عن ص ٢٤٩ ط ١٣ من كتاب أدب الدنيا والدين :

« ومما أطرفك به عنى أنى كنت يوما فى مجلسى بالبصرة ، وأنا مقبل على تدريس أصحابى إذ دخل على رجل مسن قد ناهز الثمانين أو جاوزها فقال لى : قد قصدتك بمسألة اخترتك لها ، فقلت : اسأل عافاك الله ، وظننته يسأل عن حادث نزل به ، فقال : أخبرنى عن نجم إبليس ونجم آدم ما هما ؟ فإن هذين لعظم شأنهما لا يسأل عنهما إلا رجال الدين ، فعجبت وعجب من معى فى مجلسى من سؤاله وبدر إليه قوم منهم بالإنكار والاستخفاف فكففتهم وقلت هذا لا ينفع مع ما ظهر من حاله إلا بجواب مثله ،

فأقبلت عليه وقلت يا هذا؟ إن المنجمين يزعمون أن نجوم الناس لا تعرف إلا بمعرفة مواليدهم، فإن ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله، فحينئذ أقبل على وقال: جزاك الله خيرا ثم انصرف مسرورا فلما كان بعد أيام عاد وقال: ماوجدت إلى وقتى هذا من يعرف مولد هذين، فانظر إلى هؤلاء كيف أبانوا بالكلام عن جهلهم وأعربوا بالسؤال عن نقصهم إذ لم يكن لهم داع إليه، ولا روية فيما تكلموا به ولو صدر سؤالهم عن روية ودعا إليه داع لسلموا من شينه وبرئوا من عيبه».

بهذه السطور الضئيلة قدم الماوردى المعلم نفسه لرجال التربية أكمل تقديم، وقد آن لنا أن نوجز بعض ما التفت إليه من مسائل التربية فى كتابه الجهير.

تحدث أبو الحسن فى ناحية التربية النظرية عن أدب العلم مبينا أنواعه، ودواعيه والموانع الحائلة دونه، وحلل مشكلات الطلب وما يعترضه من لجاجة فى السؤال وتهكم بالسائل وحب التظاهر والرمز والغموض فى المسائل ودوافع التعقيد والإبهام، كما أفاض فى الاستظهار العلمى محللا دوافعه ونتائجه ومنتقلا إلى آداب المتعلم من حسن الاستماع وجودة الخط وما ينحو منحاهما معارضا إياها بقبائح بعض الأنانيين من ذوى الملق والمراءة، والثقة الصادرة عن غير فحص واحتياط، وله خلال ذلك من الآراء ما يفيد ويهدى، فهو يدعو إلى طلب العلم فى الكبر إذا فات فى الصغر، وعلى المتعلم إذ ذاك أن يبتدىء بما يبتدىء به الصغير؛ إذ أن بعض هؤلاء يستنكف أن يساوى الأحداث فيبدأ بأواخر العلوم وأطرافها ويهتم بحواشيها وأكنافها ليتقدم على الصغير المبتدىء ويساوى الكبير المنتهى، وهذا ممن يرضى بخداع نفسه وقنع بمداهنة حسه، وإن كان من واجب الأب أن يأخذ ولده بمبادىء الآداب ليأنس بها وينشأ عليها خلقا وتعليما.

وللماوردى من الالتفات إلى العلل النفسية ما يعجب فهو يكره المراء واللجاجة فى ساحة الدرس مستشهدا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تعلموا العلم لتماروا به السفهاء، ولا تعلموا العلم لتجادلوا به العلماء، فمن فعل ذلك منكم فالنار مثواه) مستدركا على ذلك بقوله:

وليس المماري به هـو الناظر فيه طلبا للصواب منه ولكنه القاصد لدفع ما يرد عليه من فاسـد أو صحيح وفيهم جاءت السنة بقول رسول الله «لا يجادل إلا منافق أو مرتاب» ، وقد يدفع حب الشهرة إلى اللجاج الباطل فيقصد أحدهم إلى ما اشتهر من مسائل الجدل وطريق النظر ويتعاطى عـلم ما اختلف فيـه دون ما اتفق عليه ليناظر على الخلاف وهو لا يعرف الوفاق :

يقول المـاوردى : «وقـد رأيت من هذه الطبقة عددا قد تحققوا بالعلم تحقق المتـكلمين، واشتهروا به اشتهار المتبحرين إذا أخذوا فى مناظرة الخصوم ظهر كلامهم وإذا سئلوا عن واضح مـذهبهم ضلت أفهامهم حتى إنهم ليخبطون فى الجواب خبط عشواء ، فلا يظهر لهم صواب ، ولا يتقرر لهم جواب ثم لا يرون ذلك نقصا إذا نمقوا فى المجالس كلاما مرصوفا، ولفقوا على المخالف حجاجا مألوفا وقـد جهلوا من المـذهب ما يعلمه المبتدىء ويراه الناشىء، فهم دائما فى لغط مذل أو غلط مذل، وما رآه المـاوردى فى القرن الرابع نراه الآن بعد عشرة قرون فى مجالسنا العلمية والناس هم الناس .

وحديث أدب الدنيا والدين عن الحفظ والاستظهار حديث واع هادف ذو لفتات تربوية بارعة كقوله «وربمـا استثقل المتعلم الدرس والحفظ ، واتـكل بعد فهم المعـانى على الرجوع إلى الكتب والمسألة فيها عند الحاجة فـلا يكون إلا كمن أطلق ما صاده ثقة بالقدرة عليه بعد الامتناع منه فلا تعقبه الثقة إلا خجلا والتفريط إلا ندما ، ثم حلل دوافع من يهمل الاستظهار تحليلا يجب الرجوع إليه لاقتباس ما يضج به من سداد وخبر.

ولا تفوت أبا الحسن منازع الأنانية المريضة عند من يأنس لدى نفسه قوة بصر وحدة خاطر فيلجأ إلى أستاذه قاصدا إفحامـه وإعناته إزراء به وتبكيتا له فيـكون كمن قال :

أعلمـه الرماية كل يوم
فلمـا اشتد ساعده رمانى

وعلى نقيض ذلك من يأخـذ كلام أستاذه مقتنعا دون دليل ، إذ ربما غالى بعض الأتباع فى عالمهم حتى يروا أن قوله دليل وإن لم يستدل وإن اعتقاده حجة وإن لم يحتج ، قال الماوردى: «قد رأيت من هذه الطبقة رجـلا يناظر فى مجلس

حافل وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة فكان جوابه عنها أن قال: إن هذه دلالة فاسدة ووجه فسادها أن شيخي لم يذكرها وما لم يذكره الشيخ لا خير فيه، فأمسك عنه المستدل تعجبا لأن شيخه كان متحشما، وقد حضرت طائفة يرون مثل ما يرى هذا الجاهل، ثم أقبل المستدل على وقال لى: قد والله أفحمني بجهله، وصار سائر الناس المبرئين من هذه الجهالة بين مستهزىء ومتعجب ومستعيذ بالله من جهل مغرب».

وربما أنكر مربو اليوم حديث الماوردى عن أجر المتعلم إذ منعه مؤكدا «أن من آداب العلماء أن يقصدوا وجه الله بتعليم من علموا ويطلبوا ثوابه بإرشاد من أرشدوا من غير أن يعتاضوا عليه عوضا أو يلتمسوا عليه رزقا فقد قال الله تعالى: «ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا» قال أبو العالية: «لا تأخذوا عليه أجرا» ومكتوب عندهم فى الكتاب الأول «يابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا» وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أجر المعلم كأجر الصائم القائم» وحسب من هذا أجره أن يلتمس أجرا».

هذا حديث أبى الحسن، وهو منصرف إلى معنى قائم بذهنه عن دروس العلم إذ يفترض أن للقائم بها عملا آخر كالقضاء أو الولاية فهو يلم بحلقته فى أوقات فراغه، ولو امتد به الأجل ليرى انتشار المدارس فى كل قرية والكليات فى كل مدينة والجامعات فى كل عاصمة لما رأى فى أجر العالم غير ما يرى فى أجر القاضى سواء بسواء! بل إن الصلاة والإمامة والآذان وكل ما يتعلق بالمسجد صار اليوم من معايش الناس ومرافق ارتزاقهم ولا قائل بحرمة أجره ففيم التضييق!

هذا بعض ما يشير إلى آراء أبى الحسن فى التربية العلمية، أما التربية الخلقية فقد اتسع الحديث عنها حين تكلم عن المؤاخاة والبر والمودة ومجانبة الكبر والعجب، وحسن الخلق والحياء والحلم والصدق والصبر والمشورة والمروءة وأضدادها الذائعة كالكذب والغضب والحسد والمنافسة والجزع والثرثرة والفضول والطيرة وغيرها فاستشهد بالطيب المأثور من قول الله ونبيه وأشعار العرب ونوادر العلماء واستدل بما فتح الله عليه من أقيسة

العقل وبراهينه ، وكان الرجل فى حديثه الخلقى مثاليا كل المثالية ، فهو مثلا لا يجيز الخدعة الصريحة فى الحرب وقد أجازها قوم سواه ، ومما قال فى صدد ذلك :

وقد وردت السنة بإرخاص الكذب فى الحرب وإصلاح ذات البين على وجه التورية والتأويل دون التصريح به فإن السنة لا ترد بإباحة الكذب لما فيه من التنفير وإنما ذلك عن طريق التورية والتعريض كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تطرف برداه وانفرد عن أصحابه فقال له رجل: ممن أنت ؟ قال من ماء ، فورى عن الإخبار بنسبه بأمر محتمل ، فظن السائل أنه عنى القبيلة المنسوبة إلى ذلك ، وإنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من الماء الذى يخلق منه الإنسان فبلغ ما أحب من إخفاء نفسه وصدق فى خبره ، وكما حكى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه كان يسير خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر فتلقاه العرب وهم يعرفون أبا بكر ولا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا بكر من هذا ؟ فقال : هاد يهدينى السبيل فظنوا أنه يعنى هداية الطريق وهو إنما يريد هداية سبيل الخير فصدق فى قوله وورى عن مراده ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب » ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: « إن فى المعاريض ما يكفى أن يعف الرجل عن الكذب » ، وقال بعض أهل التأويل فى قوله تعالى: «لا تؤاخذنى بما نسيت » إنه لم ينس ، ولكنه معاريض الكلام ، وقال ابن سيرين : « الكلام أوسع من أن يصرح فيه بالكذب » ، ومن تلك المثالية الرائعة تنديده بمن يهجر الإخوان لجرمهم إياه فيقول عنه معنفا :

« ومن الناس من يرى أن متاركة الإخوان إذا نفروا أصلح ، واطراحهم إذا فسدوا أولى كأعضاء الجسد إذا فسدت كان قطعها أسلم ، ثم يفيض فى تقرير ذلك ليرد عليه بقوله الحاسم :

«وهذا مذهب من قل وفاؤه ، وضعف إخاؤه ، وساءت طريقته ، وضاقت خلائقه ، ولم يكن فيه فضل الاحتمال ، ولا صبر على الإدلال فقابل على الجفوة وعاقب على الهفوة واطرح سالف الحقوق

(البقية على ص ٩٧٨)

القراءات في نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

— ١٦ —

قال جولد زيهر في صفحة ٤٩ :

« كذلك العضو الأساسي الذي قام بتنفيذ الكتابة العثمانية يواجهنا ممثلا لقراءات تختلف عن النص الذي أثبته بأمر الخليفة .

وأقول : يشير بهذا إلى أن العضو الأساسي في لجنة كتابة المصاحف العثمانية وهو زيد بن ثابت يقرأ هذه الآية :

« هو الذي ينشركم في البر والبحر » في سورة يونس آية ٢٢ بفتح الياء بعدها نون ساكنة وبعدها شين مضمومة من النشر وهو البعث والتفريق أي يبثكم ويفرقكم ، ويؤيد هذه القراءة « فانتشروا في الأرض » . « ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » وقد قرأ بهذه القراءة إمام أهل الشام عبد الله بن عامر التابعي الجليل ، والإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع إمام أهل المدينة في القراءة وهو تابعي أيضا وهما من القراء العشرة : فهي قراءة متواترة لا مجال لتوهينها ، أو النيل منها ، ورسم المصاحف يحتملها ؛ لتجرد المصاحف من النقط والشكل . كما أن الرسم يحتمل قراءة الباقين « يسيركم » . فقول جولدزيهر : تختلف عن النص الذي أثبته ، محض كذب وافتراء ، فإن احتمال الرسم لقراءة « ينشركم » كاحتماله لقراءة « يسيركم » على السواء .

وقال في صفحة ٤٩ ، ٥٠ ما ملخصه :

إن المعول عليه في القراءة هو المعنى الذي يحمله النص لا اللفظ الذي يدل على قراءة معينة ، فيجوز قراءة النص بأي لفظ يطابق المعنى وإن لم يطابق النص حرفيا واستدل على ذلك بقراءة عبد الله بن مسعود في الفاتحة « أرشدنا الصراط المستقيم » بدلا من « اهدنا الصراط المستقيم » ثم قال : وقد نسب إلى ابن مسعود نفسه هذا القول الأساسي الدلالة : لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون . فاقرءوا كما علمتم فهو كقولكم : هلم وتعال : انتهى

ثم قال : وحكى عن عبد الله بن المبارك المتوفى ١٨١ هـ الذي نال إجلالا كبيرا

لورعه وسعة درايته بالحديث أنه كان لا يرد على أحد حرفا إذا قرأ . انتهى .

وأقول : كل ما قاله باطل لما يأتى :

١ — اتفق علماء الإسلام على أن المعول عليه فى القرآن هو المعنى واللفظ معاً فالمعنى للعمل به واللفظ للتعبد بتلاوته .

٢ — لو جاز لأحد ما أن يختار اللفظ الذى يعبر به عن المعنى القرآنى لضاعت ناحية هامة من نواحى إعجاز القرآن الكريم . ولما كان هناك معنى للتحدى به .

٣ — لو كان ما قاله صحيحا لما كان هناك فرق ما بين القرآن والحديث القدسى . وإجماع العلماء على أن هناك فروقا بينهما . وأهم هذه الفروق أن القرآن الكريم لفظه ومعناه جميعا من عند الله تعالى نزل بهما الوحى الإلهى عن الله عز وجل بخلاف الحديث القدسى فإن المعنى فيه من قبل الله تعالى وأما اللفظ فالنبى صلى الله عليه وسلم مفوض فى اختياره .

٤ — لو صح ما قال لما كان هناك مبرر لما صنعه عثمان الخليفة من الأمر بكتابة المصاحف العثمانية وإحراق ما عداها وأما قول ابن مسعود فى الفاتحة « أرشدنا » فظاهر « أنه تفسير لا قراءة فسر : اهدنا بأرشدنا . كما فسر الحسن البصرى « وإن منكم إلا واردها » سورة مريم آية ٧١ حيث قال : الورود : الدخول على أن قول ابن مسعود حجة على جولد زيهر . لا له . لأن قوله : كما علمتم إنما هو بضم العين وتشديد اللام لا بفتح العين وتخفيف اللام كما فهم جولد زيهر .

وقول ابن مسعود : سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون كقولكم هلم وتعال فهو حق . لأن معظم القراءات متقاربة فى المعنى كقراءتى « فتبينوا » « فتثبتوا » بل كثيرا ما تكون القراءات المتعددة متفقة فى المعنى وإن اختلفت فى اللفظ . كالقراءات فى « ويبشر المؤمنين » فى الإسراء والكهف . وفى « نغفر لكم خطاياكم » فى البقرة وفى « يوم القيامة يفصل بينكم » فى الممتحنة وفى « تظاهرون » فى الأحزاب و « يظاهرون » فى المجادلة وأما القراءات التى بينها تخالف فى المعنى فمحال أن يكون بين معانيها المختلفة تناقض أو تعارض . كالقراءات فى « لمستم النساء » فى النساء والمائدة وفى « يطهرن » فى البقرة . وفى « ننشرها » فى البقرة .

والحاصل أن ابن مسعود يقصد أن يقول: إن بين القراءات تقاربا فى المعنى. فليقرأ كل منكم من هذه القراءات ما تعلمه ونقله عن غيره بالسند الصحيح، وإلا لو كان مراده إباحة القراءة لكل إنسان حسب رغبته وميله بأى لفظ يختاره لقال: فاقرءوا كما تختارون وتميلون، وعلى هذا يكون كلام ابن مسعود مقرراً لوجوب اتباع النقل والرواية. والاعتماد على التلقى والسماع فى القراءة، ونافياً لإباحة القراءة بمحض الحرية والاختيار من غير نقل ولا سماع.

وأما أن عبد الله بن المبارك كان لا يرد على أحد حرفا إذا قرأ؛ فمعناه أنه لا يعترض على القارىء إذا قرأ بأى حرف من الأحرف التى ورد الإذن من الشارع بالقراءة بها ويتعين حمل كلامه على هذا المعنى جمعاً بين الأدلة. وتوفيقاً بين النصوص، إذ لا يدور بخلد عاقل أن ابن المبارك فى ورعه وتنسكه، وسعة اطلاعه فى علم الحديث يبيح القراءة بمحض الميل والاختيار، من غير اعتماد على نقل وإسناد، مخالفا فى ذلك الثقات الإثبات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كبار التابعين ومن أئمة الأداء، وشيوخ الإقراء.

قال فى صفحة ٥١،٥٠ : إن حرية القراءة ثبتت عن الرسول نفسه فإن هناك قراءات مخالفة للنص المشهور ذكرت على أنها قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يدعو إلى أنه لا حرج فى رواية كلام الله تعالى على وجه آخر غير الوجه الذى بلغه الرسول فى الأصل ثم ساق لذلك مثالين.

المثال الأول: آية ١٢٩ من سورة التوبة «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» بضم الفاء فى القراءة المقبولة، وذكرت قراءة بفتح الفاء على أنها قراءة رسول الله وفاطمة وعائشة.

المثال الثانى: أن عبد الله بن أبى سرح أخا عثمان من الرضاعة الذى دخل فى الإسلام قبل فتح مكة. ثم ارتد بعد وفاة الرسول. ثم احتل ثانيا منصبا بارزاً فى الدولة الإسلامية على عهد عثمان، كان من كتاب الوحى عند الرسول، وقد روى أنه فى حديثه عن عمله هذا افتخر أمام القرشيين بما كان يتمتع به من النفوذ عند الرسول، فقال إنه كان يحول النبى كما يريد وقال: كان يملى على مثلا: عزيز حكيم

فأقول : هل أكتب عليم حكيم ، فيقول النبى نعم ، كل صواب . انتهى.

وأقول : لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام حراً فى قراءة القرآن ، ولم يكن ليعدل عن القراءة التى تلقاها عن الله تعالى بوساطة جبريل أمين الوحى إلى قراءة يختارها من تلقاء نفسه ، لأن وظيفته إنما هى تبليغ مايوحى به إليه فحسب وليس له أن يحيد عنه بزيادة أو نقص ، أو تبديل ، أو تغيير قيد شعرة ، وقد سجل الله عليه ذلك فى قوله : «قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن اتبع إلا مايوحى إلى» ومن الخطأ البين أن قراءة معينة تنسب إلى الرسول ويقال هذه قراءة الرسول، لأن هذا القول يفيد بمفهومه أن غيرها من القراءات لم يقرأ به ، ولم ينقل عنه، مع أن جميع القراءات سواء كانت متواترة أو مشهورة أم غير ذلك ـ ثابتة عن الرسول وقرأ بها ، ونقلت عنه ..

فالقراءات جميعها بالنسبة إليه سواء، هو مصدرها ، وهو منبعها عنه أخذت، وإليه أسندت ، وإذا صح أن يسند إلى أم المؤمنين عائشة أو غيرها قراءة مخصوصة باعتبار ملازمتها لها ، أو كثرة قراءتها بها فلا يصح أن تسند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة ما ، لما يترتب على ذلك من الفساد الذى ذكرنا .

ولم يثبت فى حديث صحيح ولا ضعيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يلتزم فى تلاوة القرآن قراءة معينة ، أو يكثر القراءة بها .

وقراءة «من أنفسكم» بفتح الفاء وإن كان معناها صحيحا لم تثبت بطريق التواتر ولا بطريق الآحاد المشهور . ولذلك لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة .

وأما قصة عبد الله بن أبى سرح فحسبنا فى رفضها واطراحها ونبذها أنها رواية مرتد لا يعبأ به . ولا يقام له ولا لروايته أى وزن أو اعتبار .

ذكر فى صفحة ٥٢ فى معرض الحرية فى القراءة القصة التالية .

قال : فى وصف نعيم الجنة الآية ٢٦ من سورة الواقعة ذكر أن أصحاب اليمين ينعمون فى «وطلح منضود» وهنا روى عن على أنه قال : ما شأن الطلح إنما هو وطلع منضود ثم قرأ «ونخل طلعها هضيم» الآية ١٤٨ من سورة الشعراء .

فقال له الحاضرون : هل تريد أن تحولها إلى هذا المعنى ؟ فقال على : إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول، وهذا من تفسير الطبرى ج ٢٧ ص ٩٣ .

وأقول : هذه القصة إن دلت على شىء فإنما تدل على أن عليا رضى الله عنه وهو من هو أسبقية فى الإسلام ، وصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلما بمعانى القرآن ومراميه وأسراره، وغيرة على كتاب الله تعالى — لم تسمح له نفسه أن يغير فى القرآن حرفا بآخر ، بله كلمة أو جملة بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى. فعلى الرغم من أن قراءة « وطلح » بالحاء لم تتجه فى نظره تحرج من إبدال العين بالحاء، مع أن قراءة الكلمة بالعين تعضدها آية الشعراء «ونخل طلعها هضيم » والدليل على تحرجه قوله : « إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول » .

فهذا من أبين البراهين وأوضح الحجج على أن القراءة مردها التلقى والسماع ، وليس للحرية ولا الاختيار مدخل فيها، فالقصة حجة على الكاتب لا حجة له . ؟

عبد الفتاح القاضى

(بقية المنشور على ص ٩٧٣)

وقابل العقوق بالعقوق ، فلا بالفضل أخذ ولا إلى العفو أخلد ، وقد علم أن نفسه قد تطغى عليه فترديه ، وأن جسمه قد يسقم عليه فيؤلمه ويؤذيه، وهما أخص به وأحنى عليه من صديق قد تميز بذاته وانفصل بأدواته فيريد من غيره لنفسه، ما لم يجده من نفسه لنفسه ، وهذا عين المحال ومحض الجهل، مع أن من لم يحتمل بقى فردا ، وانقلب الصديق فصار عدوا وعداوة من كان صديقا أعظم من عداوة من لم يزل عدوا ، ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم أوصانى ربى بسبع : الإخلاص فى السر والعلانية ، وأن أعفو عمن ظلمنى وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظرى عبرة ، وقد امتد به النفس فى هذا المقال فصال وجال .

هذه بعض نظرات أبى الحسن فى حقل التربية والتهذيب ، وهى جديرة بمن يفردها فى رسالة مستقلة توضح الغامض وتفصل المجمل ، وتفسح باب الموازنة والمقارنة لمن آنس لدى نفسه كفاية وفراغا ، وما أكثر عشاق البحث العلمى من الطامحين ؟

د . محمد رجب البيومى

بيت العنكبوت

للدكتور حسن عز الدين الجمل

– ٢ –

وهنا أعرض ما وصل إلى علمى مما كتب عن العنكبوت وبيته فى البحوث العلمية ، ولعل البحوث تكشف لنا فى المستقبل عن آيات فى خلق الله لا نعلمها حتى الآن .

حياة العنكبوت :

إن العناكب حيوانات مفترسة ؛ من ذوات الدم البارد ، ولا عظام لها ، ويغطى جسمها بطبقة متينة تحميها . وللعنكبوت ثمان أرجل ، ولا يوجد للعناكب قرنا استشعار مثل الحشرات ، وجسم العنكبوت مكون من الرأس والبطن ، والصدر مندمج مع الرأس .

والعناكب ليست لها فكوك حقيقية ، فهى مضطرة إلى امتصاص غذائها امتصاصاً ، كما أنها مزودة بأجهزة تسمى مغازل تغزل بها خيوطاً دقيقة ، قد تبلغ دقتها من السمك واحد من المائة ألف من البوصة . ($\frac{1}{100,000}$) ، ولكن هذه الخيوط الدقيقة تمتاز بقوتها ومرونتها وخفتها .

ومن عادة العنكبوت التبذير فى هذه الخيوط ، فهو يغزلها ثم يتركها أينما سار . وكلنا رأى خيوط العنكبوت فى المساكن وعلى أوراق النبات وعلى الطين .

خيوط العنكبوت :

ويغزل العنكبوت خيوطه بطريقة بسيطة ، وهى أن يضغط على غدد كبيرة نسبيا فى مؤخر البطن ، هذه الغدد تفرز سائلا لزجا ، فيخرج بعض هذا السائل من فتحتى مغزلين عن اليمين وعن الشمال ، على شكل الأصابع ، وحين يبتعد العنكبوت سريعاً يسحب معه خيطاً من السائل اللزج الذى يجف بمجرد ملامسته للهواء ليصبح خيطاً قوياً مرناً .

ويمكن للعنكبوت أن يتحكم فى سمك الخيط بأن يضم فتحتى المغزلين أو يبعدهما حسب هواه ، ومن ذلك نرى أن معظم خيوط العنكبوت هى خيوط مزدوجة .

وقد يستعمل العنكبوت هذه الخيوط كوسيلة للانتقال ، لأن العنكبوت

لا يجرؤ أن يمر فى مكان بدون أن يترك خيطه ، الذى هو بالنسبة له كحبل النجاة ، يمنعه من السقوط ، كما يستعمله للطيران فوق الهواء - وبواسطة هذه الخيوط وبواسطة الرياح يمكن للعنكبوت أن يسير إلى مسافات بعيدة .

وقد وجدت خيوط للعناكب على ارتفاع أميال من سطح البحر ، كما وجدت خيوط العنكبوت على بعد مئات الأميال عن شاطىء البحر .

وتعيش العناكب عادة فى المناطق الحارة ، ولكن عثر عليها أيضاً فى أقصى المناطق الشمالية ، وعلى قمم الجبال المغطاة بالثلج .

بيت العنكبوت :

وتتولى بناء بيت العنكبوت أنثى العنكبوت ، والعناكب مهندسات بارعات فى بناء البيوت التى تنسجها ، باتقان وجمال فى الصورة ، من خيوط قوية متينة إلى حد كبير ؛ وإن كانت الخيوط فى غاية الدقة . ولكن البيت ضعيف .

وحين تشرع العنكبوت فى اتخاذ بيتها فإنها تختار المساء وقتا ، فإن العناكب تبنى بيتها فى الظلام لأنها تعتمد على حاسة اللمس أكثر من النظر ، وما للعنكبوت من نور البصر إلا القليل ، وتختار مكانا مهجوراً من سقف أو حائط .

وتلصق العنكبوت طرف خيطها إلى السقف مثلا ، ثم يستعمل الحيوان إحدى رجليه الخلفية لسحب الخيط من المغزل ، حتى يسبح الخيط اللزج فى الهواء - وحين يلصق الخيط فى الطرف الآخر من الحائط على بعد أمتار قليلة ؛ فإن العنكبوت تثبت هذا الطرف ، ثم تصعد العنكبوت مرة أخرى وتصنع خيطا يتقاطع مع الخيط الأول الرئيسى ، وبنفس الطريقة عدة مرات تكون هيكل المنزل على شكل أقطار المجلة ، ويلاحظ أن هذه الخيوط التى تكون الهيكل تكون فى النهاية غير لزجة ، ثم تنسج العنكبوت خطوطا لولبية لتكمل شكل بيت العنكبوت المعروف .

وهذه الخيوط الأخيرة يحرص الحيوان أن يبقيها لزجة حتى تلصق فى أرجـــل الحشرات كما تلصق الأتربة بهذه الخيوط الدائرية .

الشبكة :

وبعد أن تنتهى من بناء البيت ، تحتل العنكبوت مركز الشبكة ، وتبقى متربصة إلى أى شد أو اهتزاز فى خيوط هذا

البيت ، فإذا شبكت رجل حشرة من الحشرات فى خيط من خيوط العنكبوت أسرعت العنكبوت إليها وحقنتها بمادة مخدرة سامة بواسطة نابين للسم عندها ، ثم تربطها ربطا محكما بمزيد من خيوط العنكبوت المتينة .

وقد اكتشف علماء الحيوان حديثا أن العنكبوت تغطى أرجلها بمادة زيتية من فمها حتى يمكنها أن تمر فى بيتها دون أن تلصق الخيوط اللزجة بها ، وبعد أن تقع الفريسة أسيرة فى بيت العنكبوت تبدأ فى امتصاص دمائها وتسلب الفريسة من عصاراتها بما لها من القدرة على الامتصاص.

وبعد انتهاء الوجبة ، فإن العنكبوت تقطع الخيوط التى كانت تربط الفريسة لتقع على الأرض ثم ترقع الجزء المخروق من البيت.

وتستطيع العنكبوت أن تأكل فى وجبة واحدة مقدارا يكفيها عدة أيام .

أسرة العنكبوت :

وإناث العناكب أكبر حجما من الذكور وتضع الأنثى مئات عديدة من البيض ، وبعد اللقاح ؛ ربما أكلت أنثى العنكبوت الذكر ، فإن العنكبوت إذا شعرت بالجوع تضطر إلى أكل الذكر مادام قد أدى مهمته ولم يتمكن من الهرب ، وهو الذى يذهب إلى أنثاه راقصا من الطرب .

لماذا لا يستغل خيط العنكبوت فى التجارة؟

ولو أن خيط العنكبوت أقوى من خيوط الحرير ويمكن صناعة الأقمشة من خيوط العنكبوت ، إلا أنه من الصعب استخدام هذه الخيوط بسبب عدم إمكان الحصول على ما يكفى منها ، ذلك لأن تربية العنكبوت للاستغلال التجارى غير مربحة لأن صغار العناكب يأكل بعضها بعضا .

العلم والتكنلوجيا !!

وأخيرا أحب أن أذكر هذه الحقيقة العلمية كما جاءت فى كتاب دائرة معارف العالم طبعة لندن الحديثة صفحة ٧٦٤٦ فقد جاء ما ترجمته ما يلى : (أنه إذا قدر لنا أن نصنع حبلا من خيوط العنكبوت سمكه بوصة واحدة فإنه يمكن لهذا الحبل أن يرفع أكثر من ٧٤ طنا من الأثقال أى أن هذا الحبل يكون أقوى من حبل فى مثل سمكه من الصلب أو الحديد ثلاث مرات . أى أن إجهاد الشد مرتفع جدا لخيط العنكبوت . كما أن خيط العنكبوت أقوى من خيط الحرير الذى فى نفس سمكه أكثر من أربعة أضعاف قوة خيط الحرير)

معنى « البيت » في اللغة :

ثم بعد ذلك فلندرس معنى كلمة «بيت» فإن البيت هو السكن ـ وقد قال الله تعالى في الآية الثمانين من سورة النحل « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ... »

والسكن فيه معنى السكينة وقت الإقامة ونحن نقـــول : سكنت نفسي . أي : ارتاحت نفسي بعد الاضطراب .

معنى « الوهن » في اللغة :

ولنتدبر كلمة « أوهن » في « أوهن البيوت » كما جاءت في الآية الكريمة : فإني أرى الوهن هنـا فيه عنصر التعب لأن الوهن فيه معنى الشدة والجهد . وقد فسر كل من الطبري وابن عباس « وهنـا على وهن » في الآية الرابعة عشرة من سورة لقمان : شدة على شدة ـ كما فسر قتادة « وهنا على وهن » جهدا على جهد . والجهد هو المشقة .

والواهن : هو الذي لا بطش عنده .

والوهن : هو الضعف وذبول الحيوية .

الوهنان : من النساء هي الكسلى عن العمل تنعما، أو التي فيها فتور عند القيام .

بيت العنكبوت مرة أخرى :

وبعـــد كل ذلك فلننظر إلى بيت العنكبوت على ضوء المعرفة : فهو بيت لم يؤسس على أسس ومبادىء تكفل لساكنه الراحة أبدا ، ولكن صممت خيوطه شراكا للقنص .

وتعيش شاغلته على سلب الفريسة من دمائها ونهبها من عصاراتها .

وليس لهذا البيت رب ـ إذ أن ذكر العنكبوت أصغر حجما من الأنثى ولا بطش عنده وتراه الأنثى بعد أن يؤدي مهمته ـ فريسة تغدر به وتسلبه الحياة ، وتتغذى على عصارات بدنه ثم تلفظه حطاما ، وترميه خارج البيت . ثم تفرخ فيـــه الصغار لتأكل بعضها بعضا ـ ليزداد الاضطراب في هذا البيت وتبقى فيه العنكبوت إلى حين متعبة مجهدة .

فأي نوع من البيوت هذا البيت الذي كله وهن . . وأي وهن . . ؟ !

من أجل ذلك أرى أن سبب الوهن في بيت العنكبوت ليس ضعفا في خيوطه ولا نقصا في كميته، ولكن لعدم الاقتصاد في مواد البناء القوية ، وسلوك صراط المغضوب عليهم ؛ وذلك باستغلال البيت للاغتصـــاب والقنص ولم ينزل فيه الاستجمام والراحة .

ويكون مثل الكافرين الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، مع أن الله أنعم عليهم بالسمع والعقل ، يكون مثلهم كمثل أنثى العنكبوت التى اتخذت بيتا لا يحمى من الشمس ولا من الرياح - مع أن الله ، سبحانه ، أعطاها خيوطا رقيقة فيها من القوة مقدار ما يكفى لبناء بيت قوى متين - ولكن العنكبوت ضيع قوته وجهوده وترك لأنثاه بناء البيت المريض الذى أسس وصمم على شكل شبكة للتربص والاقتناص .

وإن أوهن البيوت لبيت هم صاحبه هو اتباع الهوى ، والانقضاض على الفريسة والعيش عليها ، ولم يتخذ البيت للسكن والراحة والستر ، وذلك هو الطيش بعينه ، وليس أكبر من هذا الغباء إلا الضلال المبين للذين يتخذون من دون الله أولياء ، ولو كانوا يعلمون » .

هذه الحقائق العلمية التى عرفت بعد نزول القرآن الكريم بمئات السنين . والله أعلم بمراده .

وليس عندى من اليقين إلا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟

د . حسن عز الدين الجمل

المراجع

- القرآن الكريم
- المعجم المفهرس للقرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقى ١٣٧٨ هـ
  معجم ألفاظ القرآن الكريم ، بمجمع اللغة العربية
- جامع البيان ، تفسير ابن جرير الطبرى ، الحلبى ١٣٨٣ هـ
- الفتوحات الإلهية ، لسليمان الجمل ، القاهرة : ١١٩٨ هـ
- بيت العنكبوت ، للدكتور حسن عز الدين الجمل . منبر الإسلام
  ٢٥ ديسمبر ١٩٦٥ م — رمضان ١٣٨٥ هـ
- مفاتيح الغيب للفخر الرازى المطبعة الخيرية ١٣٠٨ هـ
- البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان الأندلسى
  الغرناطى الجيانى الشهير بأبى حيان مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ

(البقية ص ٩٩٥)

عمر بن الخطاب وفكره الاقتصادى

للأستاذ فاروق منصور

٥ ــ لماذا .. لا نفهم فكره الاقتصادى ؟

عندما نقول أن سيدنا عمر رضى الله عنه ـ كان مفكرا اقتصاديا فهل من الميسور علينا التدليل على صحة هذا القول أم أن هناك عقبات تعترضنا ، ومصاعب تواجهنا ؟ نستطيع أن نقرر دون مغالاة ودون الدخول فى التعقيدات الجدلية إننا لكى نصف إنساناً ما بأنه يتمتع بصفة ما فلا بدأ أن نقدم الدليل ، ودليلنا عن المفكر نماذج فكره ، وحجة تعريفنا به تقديم عمله الثابت ، أو الممكن إثباته والتدليل عليه فى وضوح ودقة أو إيراد ماصدر عنه من أقوال تتضح فيها سماته ، أو ينكشف من خلالها وجهة نظره وخلاصة رأيه فى هذا الأمر أو ذاك ، فتبدو صلاته بالفكر ومدى معطياته وليس ذلك كله هو مجال الإثبات الوحيد ، ولا طرق التعريف المحدودة التى يحرم تجاوزها . ولكنها هى أساليب الإثبات الواضحة ووجهات النظر الأدق ، أو الأكثر اتباعاً .

أدلة يعترف بها العقل :

وهناك وسائل أخرى تتبع ، وطرقاً عديدة تسلك ، منها على سبيل المثال : الآثار المتخلفة عن الإنسان ، أو الأدلة الباقية منه ، وأقوال المتخصصين كل فى مجال تخصصه أو شهادة المعاصرين له ولا يكاد يختلف اثنان فى سلامة ذلك ، فإننا مثلا نقول إن سقراط فيلسوف يونانى ويكفى إقناعاً لمن ينكر ذلك أن نورد له نماذج من آثار سقراط الفكرية ونقول مثلا أن بن النفيس العالم المسلم (١) قد اكتشف الدورة الدموية وسبق بذلك كل علماء الجنس البشرى ، وتقدم هارفى الذى تزعم أوربا أنه صاحب هذا الاكتشاف .

ولكى نثبت صحة رأينا نورد بعضا مما كتبه ابن النفيس ونقدم مايثبت تاريخيا أنه قد سبق هارفى فى المولد أو

(١) ربما كان من الصعب إقناع الآخرين بذلك لأن ابن النفيس ليس أوربيا أو أمريكيا

العصر الذى عاش فيه فلا يملك المنكر إلا الاقتناع والتسليم، نقول مثلا أن خوفو هو بانى الهرم الأكبر ثم نقدم بعضا من البرديات أو الكتابات القديمة التى تسجل ذلك فلا يعترض معترض .

عندما تتكلم الصخور والأتربة :

بل وصل الأمر إلى تسليم العلم بما تقوله الأحجار والأتربة وتتحدث به الطبقات الأرضية وفق قوانين وأحكام علم الجيولوجيا .

وهذه كلها قضايا كبيرة ولكن لا يملك المعترض إلا التسليم بمعطيات هذه الأدلة ويعتبر ذلك الأسلوب هو المنهج العلمى السليم فلا ينكر السامع مايسمع ولا يلام على التصدى .

أما بالنسبة لموضوعنا فالأمر جد مختلف وإن كانت القضية واحدة ، إننا عندما نقول إن عمر - رضى الله عنه - كان مفكراً اقتصادياً فإن عشرات الأسئلة ستثار ، كثيرون سيقولون كيف؟ ولماذا ؟ وكثيرون سيلجأون لأدوات الاستفهام الشهيرة فيستخدمونها لا كمحاولة للفهم ، ولكن على سبيل الإنكار والرفض اختلفت الأحكام .. والقضية واحدة :

لماذا التسليم فى قضايا كبيرة كالتى ذكرناها ولماذا الإنكار والمعارضة فى قضيتنا هذه ؟ لماذا يصدق القول على ما نصف به ابن النفيس أو سقراط أو ماركس أو آدم سميث أو غيرهم وتتقبله العقول والنفوس بسهولة ولكننا لا نجد هذا التسليم عندما نصف الخليفة العادل بأنه كان مفكراً اقتصاديا ؟

الحقيقة أن هناك أسبابا عديدة تؤدى إلى هذا الخلاف أو توجده، بعضها شكلى والآخر موضوعى، منها مايرجع لأسباب قديمة وما يرجع لأسباب حديثة منها ما يعود لآراء وافدة ومنها ما يدفع به واقع نعيشه نختلف عنه ويختلف عما يجب أن يكون لنا ونكون عليه .

لذلك يصدق الإنسان المصرى ما نصف به سقراط أو ابن النفيس أو آدم سميث مثلا بسهولة ولكنه يبدى الكثير من الاعتراضات عندما نناقش قضية الفكر الاقتصادى العمرى .

وربما كان من الأصوب أن نناقش هذه الأسباب التى أدت إلى أن يصدر عقل الإنسان المصرى هذه الأحكام

المتعارضة والمتناقضة فى قضية واحدة . إن الوقوف عند هذه الأسباب ومناقشتها من شأنه أن يزيل الكثير من الشكوك ويبدد الأوهام مما يؤدى فى النهاية إلى الوضوح وسيقود الوضوح إلى إصدار الحكم الصائب وإبداء الرأى السليم .

أسباب قديمة .. تحتاج إلى حل :

إن أول هذه الأسباب فى مفهومنا نرجع إلى أن العصور الإسلامية الأولى وهى من أخصب العصور الفكرية ازدهاراً وأخصبها عطاء لم تدون منها مؤلفات ولم يحفل أحد بتدوين أقوال الخلفاء أو إفراد المؤلفات لما قدموه من فكر أو استحدثوه من آراء .

ولم يقف المسلمون الأوائل هذه الوقفة عن عجز ولم يدفعهم إليها التقصير ولكن دفعهم إليه — مانعرفه جميعا — اهتمامهم البالغ بكتاب الله الكريم وحرصهم على عدم الانشغال بغيره . لقد كان القرآن دستور حياتهم اهتموا بحفظه وشغلوا أنفسهم فى العمل بآياته وأرادوا أن يطبقوه فى حياتهم أو يجعلوا حياتهم تطبيقا عمليا لآياته البينات فنهوا النفس عما نهاهم عنه وأمروها بما جاءهم به من عند ربهم ؛ لذلك فإن هناك ما يشبه الإجماع على أن التدوين لم يكن من اهتمام الجماعة الإسلامية إلا بعد سنوات طويلة من بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأنهم لم يكتبوا سوى القرآن الكريم .

وإذا عدنا إلى الأقوال الأخرى التى تؤكد أن هناك عمليات تدوين قد تمت منذ عصر الرسول إلا أنها كانت قليلة وفى حالات فردية فإنها مهما كان حجمها أو مقدارها فإن تلك العمليات لا تكاد تغير من الأمر شيئاً لأنها لم تكن تتناول بالتدوين إلا الحديث النبوى باعتبار أن السنة المطهرة هى المصدر الثانى للشريعة الإسلامية وباعتبارها التفسير العملى لآيات الكتاب المبين تقربه للأذهان وتوضحه للعقول والقلوب المؤمنة .

ولقد أدى ذلك بالطبع إلى عدم وجود مؤلفات متكاملة يؤلفها أصحابها لهذا العلم أو ذاك ؛ ولذلك كانت عملية التدوين هى السائدة ولا نكاد نلمح للتأليف أثراً .

إننا عندما نعود إلى تلك الفترة نجد كاتب الوحى أو الراوى أو المحدث نجد

شاهد الواقعة أو من لقيه ونجد من يناقشها أو يفسر روايتها وكلمات خبرها أو يفسر آيات الله بالمأثور ويوضح معانى القرآن بالقرآن والأحاديث النبوية ولكننا لا نجد أن المؤلف الذى يترك كتابا متكاملا فى علم من العلوم ، كان ذلك طبيعة عصر ومطالب بيئة ودعم قواعد حضارة ولم يكن مرجعه إلى العجز أو القصور .

لقد كانت الأمة الإسلامية آنذاك لعيش كتابها وتتفهم سنة نبيها وتقوم بأعباء هذه المعايشة لكتاب الله وتتهيأ للنهوض بعبئها الحضارى ومتطلبات مسئوليتها التى حملتها السماء إياها واختارها الحق تبارك وتعالى لها ، قال تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »(١) ،

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(٢) .

عمالقة فكر ... لم يتركوا كتباً :

ولكن عدم وجود مؤلفات مكتوبة يفردها أصحابها لعلم معين لا ينفى وجود فكر أو مفكرين . إنه من الممكن أن يوجد مفكر له فكره الذى استطاع أن يحدث آثاره فى بيئته وعصره أو استطاع أن يمتد إلى خارج بيئته ويتجاوز عصره ليؤثر فى بيئات أخرى وعصور جاءت بعده . ولكنه بالرغم من ذلك لا يترك كتاباً مدونا ولا نكاد نعثر على كل فكره فى مجلد واحد ، ورغم هذا لا نستطيع أن ننكر أن هذا المفكر لم يوجد . بل يكون دليلنا لمعرفته ما ينقل عنه من أقوال يصدق صحة نسبتها إليه أو يطمئن الإنسان إليها ولا يقوم فى النفس ما يشكك فى هذه النسبة وربما كان خير مثال لذلك سقراط الذى يسلم عقل الإنسان المعاصر بفلسفته ويحاول الاستفادة منها بينما هو لم يترك كتابا مدونا ، ولم يؤلف كتابا واحداً فى حياته كلها . إن هذا الفيلسوف العظيم الذى ألفت الكثير من الكتب بلغــات عديدة لتتناول حياته وفكره لم نعرفه إلا من خلال أقوال نقلت عنه ، ولم ندرك فلسفته ولا تقدير جهاده

---

(١) آل عمران : ١٠٤

(٢) آل عمران : ١١٠

وعظمة كفاحه إلا من خلال ما كتب عنه ، وغير سقراط كثيرون .

وإذا كان عدم وجود الكتب المؤلفة لا ينفى وجود فكر مفكر أو علم عالم وإذا كان وجود الأقوال التى يمكن نسبتها إلى قائلها ينهض دليلا لوصف صاحبها بأنه مفكر مادامت هذه الأقوال تحمل سمات الفكرة الأصلية والرأى الثاقب ؛ فإننا يمكن استناداً إلى ذلك أن نقول إن عمر — رضى الله عنه — كان مفكراً رغم أنه لم يترك كتابا ما دام ترك الكتب أو تأليفها ليس هو الدليل الوحيد وما دام أنه قد ترك من الأقوال الثابت صدورها عنه ما يعطى الدليل لفكره ويكشف نوعية هذا الفكر وأصالته .

وإذا كنا قد أخذنا بأقوال فلاسفة أو مؤرخين لنثبت فلسفة سقراط كما أخذنا بالطريقة نفسها للتعرف على فكر الكثيرين من غير سقراط سواء فى الفلسفة أو العقائد أو العلوم .

إذا كنا قد أخذنا بذلك كله فإننا نجد فى التراث الإسلامى الكثير من الأدلة الصالحة لإثبات أن سيدنا عمر رضى الله عنه كان مفكراً بصفة عامة ومفكراً اقتصاديا وسياسيا بصفة خاصة .

الوثائق .. معجزة البحث العلمى المعاصر :

ولكننا لحسن الحظ نملك وسائل أخرى يمكننا أن نثبت عن طريقها أن سيدنا عمر - رضى الله عنه - كان مفكراً اقتصاديا ، وفى مقدمة هذه الوسائل تلك الوسيلة العصرية التى يهتم بها الدارسون فى عصرنا والتى يعتبرها أسلوب البحث العلمى ذات أهمية بالغة لا يمكن الاعتراض عليها أو إنكارها متى ثبت صحتها تلك وهى الوثائق .

إن وجود الوثائق التاريخية المكتوبة سواء على الحجر أو الجلد أو الورق دليلا هاما وقويا للإثبات .

وعندما نعود إلى التراث الإسلامى فإننا نجد الكثير من الوثائق العصرية التى تتمثل فى عهوده لولاته أو قواده وفى خطبه وفى وصاياه وكلها يمكن أن نخرج من دراستها بأنها صدرت عن مفكر يدرك قيمة الفكرة ويمكنه إيجادها ويمكنه أن يفيد مجتمعه بها وييسرها لهذا المجتمع بحيث يدركها ويستطيع أن يستخدمها فى تطوير شئونه وبناء حياته ومستقبله .

فلدينا إذن الوثائق العمرية والأقوال العمرية ومانقل عنه من متواتر الروايات وما أخذ عن شهود لوقائع محددة ثبت اشتراكهم فيها وثبت صحة وصدق ما نقلوه عن الخليفة العادل فى أمورها .

ولدينا أيضا هذه المؤلفات التى أرخت لعهد عمر فذكرت الوقائع الثابتة ونقلت المواقف الدقيقة المفصلة والأقوال الراسخة الصادقة .

وهنا ندرك أننا بحاجة إلى عمل إسلامى فكرى معاصر يقوم بتجميع هذا التراث العمرى ويهتم بتراث غيره من رجالنا فيجمعه مفهرسا مبوبا مدروسا حتى يمكن الاستفادة منه فى التدليل على صحة قضايانا وحتى يمكننا الإفادة منه فى بناء حياة عصرية مثالية .

وتلك .. ظروف وأسباب جديدة ، حقيقة الأمر أن هناك جهوداً تبذل . تهدف هذه الجهود إلى عدم إقناع الإنسان المعاصر بأن سيدنا عمر كان مفكراً اقتصاديا أوسياسيا، انتهزت فرصة تقصير المسلمين حينا وغفلتهم حينا آخر وقد ألمحنا إلى بعضها فى سطور سابقة ونوجزها هنا ، وهى :

١ — التعصب والعداء التاريخى بين أوربا والإسلام .

٢ — عدم وجود مؤلفات منهجية عصرية تتولى تقديم الفكر الإسلامى فى عصوره المختلفة وقضاياه وعلومه المتنوعة .

٣ — عدم تمكن الباحثين المعاصرين من اللغة العربية الفصحى التى هى لغة هذا الفكر والطريق إلى فهمه .

٤ — وجود فواصل ضخمة وحواجز عالية بين المسلمين وكتابهم وبينهم وبين سنة نبيهم وتاريخ رجالاتهم وحياة أمتهم فى عصور سابقة .

٥ — الجهود التى بذلها الكثيرون من الحكام الفاسدين الطغاة فى عصور الظلام التى سادت العالم الإسلامى - وهى عصور طويلة ومرهقة - لإبعاد الناس عن حقيقة الدين وواقع العقيدة الإسلامية وما تلزم به أتباعها وما تقدمه لحياتهم .

٦ — عمالاة الكثيرين من أدعياء العلم والمتفيهقين لأصحاب السلطة أحيانا وعجزهم عن فهم حقيقة الإسلام أحيانا

واشتغالهم بالشكليات فى أغلب الأحايين وإغفال الجوانب الموضوعية .

وهناك عوامل جديدة يمكن إجمالها فيما يلى : —

١ — نجاح الاستعمار فى التمكين لنفسه بدعوى عصرية العلوم . فكل علم هو من اكتشاف عالم أوربى فى القرن الخامس عشر أو السادس عشر أو السابع عشر إلى يومنا هذا .

أوجست كونت مؤسس علم الاجتماع آدم سميث مؤسس علم الاقتصاد، ديكارت مؤسس المنهج العلمى، ديكارت مؤسس منهج الشك ، وفرويد فى علم النفس، بل أن علم الإجرام يحار الفكر الأوربى فى تحديد موضـــوعه ولا يستطيع هذا المنهج الادعائى من الاستقرار على تسمية توافق هواه إلا فى المؤتمـر الدولى الثانى للإجرام الذى انعقد فى باريس عام ١٩٥٠ الذى أقر تعريف العلم بأنه « الدراسة العلمية لظاهرة الإجرام وأن موضوعه « دراسة أسباب الظاهرة الإجرامية وسبل علاجها» . ثم يعود هذا الفكر الادعائى ليجعل من مؤلفات أناس بعينهم بداية التفكير فى هذا العلم وتأسيسه ويسقط بذلك كل فكر سابق فى هذا الموضوع وكل كتابات تناولت هذا العلم من قريب أو بعيد ما دام أصحابها غير أوربيين أو غير أمريكيين .

ولو قارنا معطيات المفكرين المصريين الذين بحثوا فى هذا العلم الذى يدعى أنه علم عصرى بكتابات الفقهاء المسلمين أو بما جاء به القرآن الكريم فإننا نجد أن لدينا فكرا سبق هذا الفكر الادعائى ولدينا منهجا أدق ونظرة أصوب .

انظر مثلا لقول الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »[1] أى لا بد من رسول يبلغ الناس ويكون بلاغه حجة عليهم يتعرفون منه الصواب ويهديهم إلى تجنب السوء ثم يكون مقياس الحساب ومؤدى الجزاء أو العقاب .

وانظر مقارنا إلى ما يقوله التشريع الوضعى : أن الجهل بالقانون لا يعفى من المسئولية ، حقيقة أن هناك فلسفة وراء

---

(١) لم نهتم بمناقشة هذا الموضوع واكتفينا بمثلين سريعين لأن المقارنة تحتاج إلى بحث طويل ليس هنا مجاله .

ذلك وهناك ضرورات ولكنها فلسفة العجز وضرورات المتخبط .

إن الفكر الادعائى يتغنى مثلا بما أحدثه بكاريا(١) فى رئاسته للجنة التى أعدت قانون العقوبات الذى أصدره ليوبلد الثانى أمير توسكانيا فى بيزا عام ١٧٨٦ .

هذا القانون الذى يقوم « على أسس حديثة أهمها الارتباط بمبدأ شرعية الجرائم والعقوبات(٢) » أى أنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص فإن ذلك يحاول متابعة ما ذهب إليه التشريع السماوى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » . كما يتفق من بعض جوانبه وروح التشريع الإسلامى حيث يوضح تشريعنا الحدود والجنايات والظروف الملابسة لها وكيف تتطلب الظروف المتغيرة أحكاما متغيرة . كالضرورات تبيح المحظورات وغير ذلك من القواعد الفقهية فى الشريعة الإسلامية .

٢ - ولقد قامت عقبة عصرية أخرى أمام فهمنا لفكر عمر أو فهمنا لتراثنا مرجعها أننا خدعنا بالأفكار الوافدة وغزينا بالعلم الأوربى ولم نتعلمه .

لقد أخذنا هذه العلوم بتسليم مطلق ولو تعلمناها لناقشناها ولنظرنا إليها نظرة ناقدة تكشف الزيف وتوصل إلى الحقيقة .

٣ - أما الأمر الثالث فيتمثل فى افتقار الدراسة العصرية فى جامعاتنا إلى وجود منهج سليم للدراسات الإسلامية يمكن من الإلمام بها وتفهمها حتى يلسنى الاستفادة منها . إننا إذا تركنا جامعة الأزهر فإننا نجد الجامعات الاخرى لا تدرس العلوم الإسلامية إطلاقا أو تدرسها مبتورة أو بصورة مشوهة تصطنعها أهواء أدعياء العلم .

٤ - عدم وجود مجلات علمية متخصصة فى العالم الإسلامى كله يمكنها أن تفرد أبحاثا علمية متكاملة إلى جانب

---

(١) الماركيز لميزاردى بكاريا (١٧٣٨-١٧٩٤)
Cesere De Beccaria.
نبيل إيطالى يعتبر مؤسس المدرسة التقليدية الجنائية
Ecole Classique

(٢) انظر الدراسة القيمة التى أعدها الأستاذ الدكتور رؤوف عبيد فى كتابه « مبادىء علم الإجرام » حيث يتناول هذا الموضوع وغيره بالتفصيل .

عدم وجود أى باب علمى فى أى صحيفة يومية يهتم بالدراسات الإسلامية الجادة إلا إذا كنا اعتبر السطحية الرمضانية ونحوها فى صحافتنا المصرية اهتماما بالفكر الإسلامى وقضاياه .

٥ — عدم وجود مراكز دراسية متخصصة تملك الإمكانيات الضخمة التى تعينها على تقديم الدراسات الإسلامية باللغات المختلفة وترجمة ما يقال وما يكتب عن الإسلام .

٦ — عدم وجود باحثين مسلمين جادين توفر لهم الإمكانيات العلمية وتكفل لهم المعيشة اللائقة حتى يتمكنوا من التفرغ للبحث العلمى على صورة علمية منظمة وبأسلوب جماعى على النحو الذى يهيأ للمبشرين والمستشرقين، ربما يقول قائل: إن لدينا هذه الجهة أو تلك مهمتها تحقيق ذلك سواء فى مصر أو غير مصر، فنقول: إن المؤلم أن الجهة التى تملك العلماء لا تملك الأموال ومن يملك المال لديه من الأساليب والوسائل ما يجذب إليه طلاب الحاجات وطوابير المتزلفين والمنافقين وهى مراتب لا يقبلها العلماء وطوابير لا يقف فيها الباحثون ولشد ما يعانى عالمنا الإسلامى من تلك الحقيقة التى قررها مفكر جاد وعالم صالح فى تراثنا «آفة الرأى أن يكون لمن يملكه لا لمن يبصره».

ولكن سيرتفع البناء !

تلك بعض العقبات التى تعترض مسارنا الفكرى والتى تلقى بالكثير من الضباب حول قضايانا الفكرية وتحمل كل من يتحدث عن الفكر الإسلامى ويريد الكشف عن مؤثراته الحضارية يبدو كمن كان يؤذن قديما فى مالطة .

ولكن بنظرة فاحصة إلى ما لدينا من إمكانيات وما لدينا من علماء أجلاء فى مواقع كثيرة من عالمنا الإسلامى وخاصة مصر وما لدينا من مفكرين مسلمين جادين شيوخا وشبابا، يمكننا الاطمئنان إلى التفاؤل بإمكانية الكشف عن الفكر الإسلامى وأصالته، كما يمكننا الإفادة منه والإفادة به فى بناء حضارة عصرية وفهم ماض تليد ؟

فاروق منصور

فروق بين ألفاظ متقاربة

للأستاذ عباس حسن أبو السعود

— ٤ —

١٦ — ولا يفرقون فى المعنى بين المهين بفتح الميم ، والمهين بضمها ، كما يزعمون أنهما من مادة واحدة ، والحق أن لكل منهما معنى غير معنى الآخر ، وأن كلا منهما مأخوذ من مصدر يخالف مصدر الآخر :

فالأول اسم فاعل من المهانة ، تقول : مهن فلان مهانة فهو مهين ، كما تقول : حقر حقارة فهو حقير ، وجمعه مهناء كحقراء وزنا ومعنى ، ومنه قوله عز شأنه : « ولا تطع كل حلاف مهين » ، وقوله : « ألم نخلقكم من ماء مهين » .

أما الثانى فهو اسم فاعل من الإهانة ، ووزنه مفعل ، تقول : أهانه يهينه فهو مهين ، ومنه قوله تعالى : « أولئك لهم عذاب مهين » ، واسم المفعول مهان بزنة مفعل بفتح العين ، وأصله مهون ، نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم يقال : تحركت الواو بحسب الأصل وانفتح ما قبلها الآن فقلبت ألفا ، فصار مهانا ، ومنه قوله سبحانه : « ويخلد فيه مهانا » .

١٧ — ولا يفرقون بين الحمد والشكر وقد يستعملون أحدهما مكان الآخر ، فيقولون : شكرناه على شجاعته ، أو على حسن منظره ، وينبغى أن يقال : حمدناه شجاعته ، أو حسن منظره .

وذلك لأن الحمد أعم من الشكر ، فهو يستعمل لصفة فى الشخص ، وفيه معنى التعجب ، ومعنى التعظيم للممدوح ، وخضوع المادح ، كما فى قول المبتلى بمرض أو بموت حبيب له : الحمد لله ، أو الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ، فليس هنا شىء من نعم الدنيا .

ويستعمل أيضا فى مقابلة إحسان يصل إلى الحامد ، تقول : حمدت فلانا على ما أزجى إلى من عوارفه ، أما الشكر فلا يكون إلا فى مقابلة الصنيع ، وهو الثناء على المحسن بما أولاك من معروف : تقول شكرت لله إذا اعترفت بنعمه عليك ؛ وفعلت ما يجب من فعل الطاعة وترك المعصية ، ولهذا يكون الشكر بالقول والعمل ، وهو يتعدى فى الأكثر

باللام كما فى قوله تعالى : « أن اشكر لى ولوالديك » ، وقوله : « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله » ، ويتعدى بنفسه أيضا كما فى قوله جل شأنه : « قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك » ، وقول الشاعر :

فلأشكرنك ما حييت وإن أمت
فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

وقد جمع بين اللغتين زياد الأعجم فى قوله :

ويشكر (١) تشكر من ضامها (٢)
ويشكر لله لا تشكر

١٨ — ولا يفرقون بين عى الثلاثى ، وأعيا الرباعى، فيستعملونهما لمعنى واحد وقد يستعملون أحدهما مكان الآخر ، والواقع أن لكل منهما معنى يخالف معنى الآخر ، فمن الأول يقال : عى فلان بالأمر ، وعى عن الإدلاء بحجته يعيا من باب تعب عيا بالكسر إذا عجز عنه ولم يطق إحكامه ، وعى فى المنطق عيا إذا حصر ، وقد يدغم الماضى فيقال : عى فهى عى ، وعيى على فعل وفعيل ، وكذا عيان ، والجمع أعياء ، وأعيياء .

ويقال من الثانى : أعيا الماشى إذا كل وتعب فهو معى ، وأعيا السير البعير إذا أكله وأتعبه وإبل معايا، ومعاى أى معيية وأعياه الداء إذا أعجزه ، فالرباعى لازم ومتعد، أما الثلاثى فلازم دائما ، وقصارى القول أن تقول : أعييت إن أردت التعب وعييت إن أردت انقطاع الحيلة والتحير فى الأمر .

١٩ — ولا يفرقون فى المعنى بين قسط الثلاثى ، وأقسط الرباعى ، ويظنون أنهما يؤديان معنى واحدا ، والحق أن بين معنييهما تناقضا: فالثلاثى معناه جار وظلم ، تقول قسط يقسط من باب جلس قسوطا بالضم ، وقسطا أيضا بالفتح ، إذا جار وحاد عن الحق ، ومن هذا قوله تعالى : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » ، وقوله: « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون » .

وأما الرباعى فمعناه عدل ، ومنه قوله سبحانه : « فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا » ، وقوله: « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين » .

---

(١) يشكر : اسم قبيلة منسوبة إلى يشكر ابن مبشر بن صعب .

(٢) ضامها : ظلمها ، تقول : ضامه من من باب باع فهو مضيم، أى مظلوم .

تقول فلان قاسط غير مقسط ، أى جائر غير عادل ، والله تعالى يقبض ويبسط ، ويقسط ولا يقسط .

٢٠ – ولا يفرقون بين نشط الثلاثى، وأنشط الرباعى ، فيستعملونهما فى معنى واحد ، والواقع أن بينهما تناقضا ومخالفة تقول : نشطت الأنشوطة نشطا من باب ضرب إذا شددتها وعقدتها ، وأنشطتها إذا حللتها ، والأنشوطة بضم الهمزة عقـــدة يسهل حلها كعقدة التكة ، وأنشطت العقال حللته ، وأنشطت البعير من عقاله أطلقته ، ومن ذلك قولهم :

كأنما أنشط فلان من عقاله .

وتقول : نشطت الدلو من البئر إذا نزعتها وجذبتها منها بلا بكرة، وأنشطتها إذا أدليتها فى البئر لتستق ، وبئر أنشاط إذا كانت قريبة العمق تخرج منها الدلو بجذبة واحدة، وبئر نشوط بالفتح عكسها أى أنها تحتاج إلى نشط كثير لبعد قعرها ؟

عباس أبو السعود

(بقية المنشور على صفحة ٩٨٣)

- الكشاف عن حقائق التنزيل الزمخشرى — الحلبى ١٣٨٥ هـ
- المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصفهانى — الحلبى ١٣٨١ هـ
- الفكرة للدكتور محمود جلال الدين الجمل ، كلية الآداب جامعة القاهرة
- مذكرات بيمين والدى حسين عبد الفتاح الجمل ، رحمه الله
- مقاييس اللغة ، لابن فارس ، القاهرة — ١٣٦٦ هـ
- القاموس المحيط ، لمحى الدين الشيرازى
- البستان ، لعبد الله البستانى
- متن اللغة ، لأحمد رضا ، بيروت
- أساس البلاغة ، للزمخشرى . دار الكتب المصرية — ١٣٦٠ هـ
- مختار الصحاح . لعبد القادر الرازى ؛ القاهرة — ١٣٣٥ هـ

La vie des animaux, B. Léon, Larousse, Paris, 1940
The world Book Encyclopedia
ENCYCLOPEDIA Britanica, WILLIAM BENTON, 1970

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● روح الإسلام :

للأستاذ جمال البنا :

كتاب جديد للأستاذ جمال البنا يقع فى مائتى صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف كاتب دءوب بدأ التأليف منذ عام ١٩٤٥ لكن مؤلفاته التى بلغت زهاء العشرين اتجهت أكثر ما تتجه إلى الفكر العمالى والتنظيم النقابى والمذاهب السياسية المعاصرة ، حتى كتابه الإسلامى الوحيد كان عن « العمل فى الإسلام » وإن كان قد عرض للإسلام فى بعض هذه المؤلفات وكتابه الذى بين أيدينا ، هو كتابه الإسلامى الثانى ، وإذا كان من حقه علينا أن نرحب به فمن حقنا عليه أن يعطى الفكر الإسلامى نصيبا أوفر من كتاباته ، لا لأنه مثقف مستنير يقوم منهجه على البحث المقارن وحسب ، بل لأن المؤلف نشأ فى بيئة إسلامية ، فوالده المغفور له خادم السنة الشيخ أحمد عبد الرحمن البنـــا وشقيقه هو الإمام الشهيد حسن البنـــا .

من مقدمة الكتاب يسجل المؤلف أن كتابه إنما جاء بهدف مزدوج : هدف استقصاء الحقيقة الإلهية التى تمثل ذروة المعنويات وقمتها ، وهدف البحث عن حل لهذا الضياع الأليم الذى نعيش فيه ، والذى أفلست فى علاجه كل الجهود التى بذلت - على مدار العشرين عاما الأخــيرة - والاصطناعات والصياغات .

ثم يذكر المؤلف أن الدراسة لكى تكون مستوفاة يجب أن تتضمن أربعة أبواب حتى يتحقق المعالجة الشاملة ، المنشودة ، أما هذه الأبواب الأربعة فهى : مبررات الإسلام حتى يمكن الرد على السؤال الذى يستكن فى أعماق الكثيرين « لماذا الإسلام ؟ ثم مكونات الإسلام ثم طبيعة الإسلام ، وأخيرا أمثلة تطبيقية لفهم الإسلام تجاه عدد من القضايا المعاصرة البارزة ، ولكن هذا الكتاب اقتصر

على البابين الأول والثانى إزاء ضرورات عملية ومادية ، مؤجلا البابين الأخيرين إلى كتاب قادم يرجو أن يكون قريبا بعون الله وحده .

ويعرض المؤلف فى الباب الأول لمبررات الإسلام وللرد على من يتساءل ، لماذا الإسلام؟ فيقول : لأن التقدم المادى - وحده - لا يكفى ،وثانيا : لأن الإسلام أفضل صور الالتزام الاجتماعى وثالثا : لأن الإســـلام أبرز مقومات الشخصية العربية . . وفى الباب الثانى حصر المؤلف مكونات الإسلام فى خمسة أسس هى : العقيدة، والعبادة ،والخلق والشريعة ، والتراث .

وبعد-فقد آثرت عدم التعرض لمناقشة أفكار وردت فى هذا الجزء الأول من هذه الدراسة ريثما يصدر الجزء الأخير منها ، وإن كنت أشهد أن المؤلف كان موضوعيا فى هـذه الدراسة التى لا أثر للعاطفة فيها ، وقد يرد على ذهن القارىء سؤال : هل هناك فارق كبير بين هذا الكتاب وكتاب مشهور ظهر الجزء الأول منه بهذا العنوان ضمن سلسلة الألف كتاب التى كانت تصدر عن إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم ، وذلك عام ١٩٦١ م ؟

كنت أود أن يشير المؤلف فى بداية الكتاب مجيبا عن هذا التساؤل ، لاسيما وأن المؤلف هو المفكر الهندى المسلم « سيد أمير على » والحقيقة أن هنـاك فارقا كبيرا بين الكتابين من حيث المنهج والموضوع إلا أن المفكر الهندى قدم لكتابه بمقـــدمة جليلة مسهبة فى سبعين صفحة ، كانت فى رأيى جديرة فى أن يتناولها الأستاذ جمال فى دراسته بالمناقشة . .

● ضوء السارى فى معرفة خبر تميم الدارى . للعلامة المقريزى .

قام بتحقيق الكتاب والتعليق عليه الأستاذ محمد أحمد عاشور الذى يعتبر قاسما مشتركا فى تحقيق كتب التراث التى تصدر عن « دار الشعب » بالقاهرة .

وخبر تميم الدارى الصحابى الجليل الذى عنى به العلامـة المقريزى ، هو الحديث الوارد فى صحيح مسلم ، والذى رواه الرسول - عليه الصلاة والسلام - عنه ، حديث الجساسـة والمسيح الدجال ، وقد رآهما تميم أيام جاهليته فى إحـــدى جزر البحر

الأبيض المتوسط مع جماعة من رفاقه حين ضل بهم الطريق ، وعصفت بهم الرياح حتى ألجأتهم إلى هذه الجزيرة المهجورة ثم قص على الرسول ما دار بينهم وبين الدجال من حوار ، وكيف أن الرسول طلب منه أن يقص ذلك مرة أخرى على أصحابه ليدركوا مدى المطابقة التامة بين ما رآه وبين ما كان يحدثهم به الرسول قبل مجيء تميم .

يرى المحقق لهذه الرسالة أن المقريزى بذل جهدا علميا وفكريا وتاريخيا ، حتى أصبحت الرسالة نموذجا دقيقا لأسلوب البحث العلمى الذى ينبغى أن يكون منهجيا وموضوعيا فى كل خطوة من خطواته ، وهى إلى جانب ذلك مثال لما اتبعه المقريزى فى كل مصنفاته . . ونحن نضيف إلى هذه الكلمات أن الأستاذ محمد عاشور بذل هو الآخر جهدا كبيرا فى إخراج رسالة المقريزى إلى حيز الوجود وفق نصوص المخطوطة معتمدا على مصورتى جامعتى القاهرة والإسكندرية ، وخرج الأحاديث والآثار ، وشرح الغريب من الألفاظ ، وعرف بالأعلام وأضاف إلى النص ما أتيح له من أخبار تميم الدارى التى لم يسقها المقريزى فأضاف خمسة وعشرين ملحقا ذات أهمية كبرى .

وبعد . . فما لا ريب فيه أن المحقق أدى إزاء هذه المخطوطة ما عليه من واجب يلتزم به المحقق الذى يخلص العمل فى تراثنا الفكرى الإسلامى ، لكن لمتسائل أن يتساءل : هل موضوع الدجال من الموضوعات التى تهم اليوم العالم الإسلامى الممزق ، والفكر الإسلامى الذى يواجه أعنف التحديات ؛ أليس فى التراث الإسلامى الذى لا يزال مطمورا ما هو جدير بالعناية ؟ وقد يخفف من هذه الملاحظة فى حدتها أن المقريزى أضاف كثيرا من القضايا الجديرة بالعناية ، وهناك ملاحظة أخرى ، فقضية الدجال أثارت كثيرا من الجدل فى طوايا الفكر القديم والحديث على السواء ، وهذا ما لم يتعرض له المقريزى ، وكان القارىء ينتظر من المحقق الباحث أن يكمل عمله القيم بتحقيق هذه المسألة من واقع ما دار حولها من نقاش ؟

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر

السؤال من السيد/إبراهيم محمد عبد العال

هل يجوز ظهور شخصية سيدنا يوسف هو ووالديه وإخوته فى قصة سوف تمثل تليفزيونيا ؟

الجــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

أما بعد: فنفيد بأن إظهار شخص يمثل سيدنا يعقوب أو سيدنا يوسف أو أحد أبنائه المعروفين بالأسباط لا يجوز قط تأدبا مع الأنبياء ومن يتصل بهم اتصالا وثيقا.

والله تعالى أعلم ؟

السؤال من السيد/هانى خضر (كندا)

يوجد مسجد فى كندا تابع للهنود المسلمين لكنهم يصلون صلاة الجمعة يوم الأحد لأنه لا يوجد عطلة فى يوم الجمعة هل يجوز ذلك ؟ وما حكم الشرع ؟

الجــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

أما بعد: فنفيد بأن لصلاة الجمعة وقتا محددا كغيرها من الصلوات قال الله تعالى : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » ، ووقتها إنما هو وقت ظهر يوم الجمعة ، فإذا أديت الجمعة فى أى ساعة من ساعات ظهر الجمعة حتى العصر كانت صحيحة.

وإذا كانت الأعمال تنتهى غالبا الثانية مساء استطاع المسلمون أداء الجمعة فى وقتها

وليس لنا أن نستبدل بيوم الجمعة يوم الأحد بحال من الأحوال ولا نظن أن هناك عوائق تحول بين جماعة من المسلمين وبين إقامة الجمعة فى وقتها متى صحت عزيمتهم على إقامتها فإن فرض أن هناك عائقا غير مقدور على تذليله صلى الظهر بدلها .

والله تعالى أعلم ؟

السؤال من السيد / سيد أحمد سالم

ابن له ملك - احتاج والده لبعض المال فقام الابن ببيع ما يملكه وأعطاه للأب وكان الأب قد زوج هذا الابن من قبل ذلك - وعندما طالب الابن والده بالمال السابق أخذه منه قال له والده أنه سبق أن دفع لهذا الابن المال اللازم لزواجه فما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد: فنفيد بأن الولد إذا أعطى الوالد ثمن الأرض تبرعا فلا حق له فى الرجوع على أبيه وإن أعطاه قرضا فله حق الرجوع ومطالبته ولا يطالب الوالد ابنه بما زوجه لأن العادة جارية على أن الوالد يزوج ولده على نفقته ولا يطالب ولده بما أنفق والله أعلم ؟

السؤال من السيد / درامى الحاج بكر (موريتانيا)

١ - هل يجوز لنا الصيام عند سماع نبأ ثبوت الرؤية من المذياع من أهل مكة أو من مصر ؟

٢ - هل تجوز الصلاة خلف أمام مسلم ولكنه من أهل طريقة التيجانية ؟

٣ - ماحكم من فطر بعد سماعه ثبوت الرؤية فى بلد إسلامى كمكة أو مصر ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: فنفيد عن الأول بأن جمهور علماء المسلمين على أنه إذا ثبتت رؤية هلال رمضان فى أى بلد إسلامى وجب الصوم على جميع المسلمين وإن اختلفت مطالعها فإن المطالع مهما اختلفت فإنما ذلك بساعات لا تبلغ نهار الصوم .

فمتى وصل أهل موريتانيا خبر رؤية هلال رمضان من طريق يطمئنون إليه ولو كان ذلك الطريق هو المذياع لأنه أصبح من الطرق المؤمنة فى تبليغ الأخبار .

وعن الثانى : نفيد بأنه ما دام التيجانى يصلى ويصوم ويعمل أعمال الإسلام كلها ولا يخالف أصلا من أصول الإسلام فالاقتداء به جائز .

وعن الثالث : بأن من أفطر بعد علمه من الإذاعة بأن رؤية رمضان قد ثبتت فى بلد إسلامى ثم أفطر فعليه القضاء وهو صيام يوم آخر بعد انقضاء شهر رمضان ولا كفارة عليه .

والله تعالى أعلم ؟

أنباء وآراء

● **قرار بإحالة خريجي الأزهر في سن الخامسة والستين .**

وافق مجلس الشعب في ٢٠ من ذي القعدة ١٣٩٢ الموافق ٢٥ / ١٢ / ٧٢ على قانون ينص على إحالة :

(أ) العلماء من خريجي الأزهر .

(ب) دار العلوم من حملة الثانوية الأزهرية

الموظفين بالدولة والهيئات والمؤسسات العامة ، والوحدات الاقتصادية التابعة لها والأجهزة التابعة للدولة إلى المعاش في سن الخامسة والستين .

ونص القانون الذي قدمه الدكتور محمد محمود شعبان على أن يطبق ذلك على جميع الذين أحيلوا للمعاش على سن الستين قبل ذلك وأن يسوى معاش الذين تجاوزوا سن الخامسة والستين وقت العمل بهذا القانون على أساس أنهم بقوا في الخدمة حتى الخامسة والستين .

● **موافقة تشاد على ميثاق المؤتمر الإسلامي .**

أذاعت المملكة السعودية أن حكومة تشاد قد وافقت على ميثاق المؤتمر الإسلامي .

أذاع الخبر « مذياع » الرياض

● **ثروة جديدة من المخطوطات العربية .**

تم بطريق المصادفة - اكتشاف مجموعة كبيرة من المخطوطات والوثائق العربية في بلدة (خاراكو) بمقاطعة فالنسيا بأسبانيا وقعت المفاجأة حينما اصطدمت سيارة بجدار منزل قديم فهدمته . اهتمت الدوائر العلمية في أسبانيا بالكشف وانتقلت إليه لجنة من كبار المختصين لفحص المخطوطات ثم تم نقلها إلى المكتبة العامة لمدينة خاراكو .

نقلت الخبر نشرة « أخبار التراث العربي » التي يصدرها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وقد بدأ معهد المخطوات العربية اتصالاته بالجهات المعنية للحصول على بيانات ضافية بهذه المخطوطات .

● ... بعد إباحة الطلاق فى إيطاليا

تمت فى إيطاليا خلال شهر ديسمبر ثلاثة آلاف حالة طلاق بعد إباحة الطلاق هناك .

يتوقع المجتمع الإيطالى هبوطا عظيما فى نسبة الخيانات الزوجية والأطفال غير الشرعيين .

● « الإسلام والعصر الحديث »

كان الموضوع الرئيسى المطروح فى المؤتمر الإسلامى الذى عقد أخيرا بداكار عاصمة السنغال هو « الإسلام والعصر الحديث » اشترك - فى المؤتمر - وفود ست عشرة دولة إفريقية وعربية

● بحوث تاريخية وجغرافية

صدر عن معهد البحوث والدراسات العربية - قسم البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية المجموعة التالية :

بحوث فى تاريخ النظرية السياسية ، الجغرافيا البشرية للسودان ، مقاومة السودان الحديث للغزو ، جغرافية الطرق الزراعية ، المملكة المغربية ، دراسة فى الجغرافيا البشرية .

● معهدان دينيان بمحافظة الجيزة

سينشأ معهد دينى إعدادى ، وآخر ثانوى بمحافظة الجيزة خلال العام القادم .

● «ماركوس» يقود حملة إبادة المسلمين

«أعلن (ماركوس) رئيس جمهورية الفلبين القيام بهجوم» شامل على أراضى المسلمين ، وسافر بنفسه إلى الجنوب ليقود عمليات الإبادة التى تجرى هناك» ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون؟

علي الخطيب

معذرة إلى القراء ..

تأخر صدور هذا العدد والعدد الذى يليه لأسباب لا يد للمجلة فيها ولا قدرة لها على دفعها . فنعتذر إلى السادة القراء ، وإن كانت موضوعات المجلة عامة لا تتقيد بوقت ، وإنما تصلح لكل وقت . ولا نعدم بما لا نقدر عليه وإنما نعاهدهم أن نكون معهم وعند حسن ظنهم ؟

(المجلة)

فهرس أبجدى عام
للمجلد الرابع والأربعين من مجلة الأزهر
سنة ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م

الموضوع	الصفحة
(ا)	
ابن رشد بين الفقه والفلسفة	١١٤ ، ٢٥١
أجساد لا تأكلها الأرض ...	٣٠
إرادة المؤمن	١٦١
الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى	٤٠٣
الإسراء والمعراج فى القرآن والسنة	٤٢٣
الإسلام والمسلمون فى أوربا	٧٢ ، ٣٨٧ ، ٤٥٦
الإسلام والصحة	٢٧٤
الإسلام والفكر الإفريقى ...	٣٥٣
الإسلام والمسلمون فى جمهورية تشاد	٦٣٧
أسماء الله الحسنى	٧٠٥
أسوة فى محاسبة النفس	٧٢٦
الأشهر الحرم والنسىء	٤١١
أضواء على المؤتمر	٦٩٤
الإعداد للحرب بعد الهجرة ...	٤٣
الله أكبر	٩٠٩
الإمام الماوردى . . الفقيه الرائد	٥٢٩ ، ٧٨٦ ، ٩٦٧
أمثل الطرق فى الاكتتاب ...	٢٠٨
أم المؤمنين . . زينب بنت جحش	٨٢٠
الآن أنت فتى !!	٦٦
إنصاف السهروردى الشهيد ...	٤٣٨
أهداف الإنسان فى توجيه الإسلام	٣٣٥
أين الإسلام وعلماؤه من قضايا العصر والحياة ...	٣١٠
(ب)	
البابية والبهائية	٣٤٠
البحوث التى اشترك بها أعضاء المؤتمر	٦٢٤
البردة ونهج البردة فى الميزان	٤٧٨ ، ٧٧٠
بيان فضيلة الإمام الأكبر ...	٨٠٢
بيت العنكبوت ...	٨٠٩ ، ٩٧٩

الموضوع	الصفحة
(ت)	
تأمين المتعاملين ضد الخداع والغرر	٩٤٨
تحت راية التوحيد	٤٩٩
التصحيف ومشتبه الأسماء ...	٨٧٠
تعدد الزوجات والطلاق في الإسلام	٤
(ث)	
ثم ماذا بعد ؟	٥٩٥
(ج)	
الجهاد والمقاومة العربية لتحرير الوطن	٩٥٤
(ح)	
حالة المسلمين في بعض الدول الإسلامية	٦٤٤
الحذر .. والسهر .. والاستعداد	٩٧
حرص النساء الصحابيات على العلم	٩١٦
حقيقة الإسلام ومنزلته من الأديان السماوية	٥٠٥
حكم المرتد في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي	٥٦٥
حملة ظالمة على التاريخ الإسلامي	٨٢٣
حول تطور المجتمع الإسلامي	٧٣٠
(خ)	
خاتم النبيين سيدنا محمد	٣٠٤
خطأ الخلط بين المبادىء الإسلامية وسلوك بعض الخلفاء	٤٣٢
خطأ الطبيب وإهماله بين الشريعة والقانون	٧٣٩
(د)	
دراسات في الفقه المقارن	٨٤٠ ، ٩٤٢
الدعاء في الإسلام	١٠٢
الدعوة إلى القصد في المعيشة ...	٢٠٣
دور الاستعمار في تمزيق الكيان الإسلامي	٦٢٦
دور الاقتصاد الإسلامي ...	٦٦٧
دولة المماليك في مصر	٢٦٣
(ذ)	
الذكر لا يجوز بغير الأسماء الحسنى	٣٠٠
الذكرى .. والأمل (قصيدة شعر)	٢٧٥
(ر)	
رســول الله وخاتم النبيين ...	١٩٣
رسول الله إلى الناس كافة ...	١٩٦
(س)	
سورة الإخلاص ...	٨١٢ ، ٩١٢
(ش)	
الشورى في الإسلام ..	٤٩ ، ١٥٧

الموضوع	الصفحة
(ص)	
الصهيونية وراء المنهج العصرى	٩٢٠
(ض)	
الضرر .. والضرار	٧٤٤
(ط)	
طبيعة الحياة ووظيفة الإيمان ...	٥٣٠
الطير الأبابيل فى كتب القدامى والمعاصرين	٩٣٢
(ع)	
العربية لغة الإسلام والمسلمين	٥٥ ، ١٢٧ ، ٤٦٧ ، ٨٨٧
العرب والمسرح ...	١٤٤ ، ٢٦٩ ، ٣٩١ ، ٤٧٤ ، ٥٧٢ ، ٧٨٢
العربية لغة التنويع والتفريع ...	٢٢٠
العطاء فى الدنيا ليس أمارة الفضل	٨١٧
عقوبة منع الزكاة	٢١٢
العلاج النفسى فى الإسلام ...	٢٩٦
العلاقات الدولية فى الإسلام	٣٤٤
علاقة التشريع الإسلامى بالتشريع الوضعى	٨٠٠
العلم القطعى يتبع سبيل القرآن	١٤٨ ، ٨٧٤
علماء عظام يهددون مشرق الإسلام	٥٢٥
على هذا تبنى الأسر	٤٠٦
عمر بن الخطاب وفكره الاقتصادى	٤٦٩ ، ٩٨٤
عندما نعود إلى تراثنا	٢٤٢
(ف)	
فروق بين ألفاظ متقاربة	٢٧٦ ، ٥٨٢ ، ٨٩٤ ، ٩٩٣
فى موكب عاشوراء	٢٥
فى هجرة إبراهيم بإسماعيل إلى مكة	٨٢٩
(ق)	
القائد والقيادة فى المدرسة الإسلامية	٧٥٦
القاديانية والأحمدية	٧٤٩
القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين	٦١ ، ٢٣٢ ، ٤٥٠ ، ٥٣٠ ، ٧٦١ ، ٨٤٩ ، ٩٧٤
قرارات وتوصيات الفترة الأولى	٦٨٥
قرارات وتوصيات الفترة الثانية	٦٩١
قصة الإسراء والمعراج	٤١٧
قصة القصة عند العرب	٧٧٦
القضية والمنهج	٧٣٥ ، ٩٦١
قطرات فى حب الله (قصيدة شعر)	٧٨١
المقصود من القتال هو التهلكة	٨٠٩
قلب الأم (قصيدة شعر) ...	٢٧٣
(ك)	
كلمة السيد رئيس الجمهورية ...	٥٩٩

الموضوع	الصفحة
كلمة الإمام الأكبر	٦٠٧
كلمة الوفود	٦١٠
كلمة الأمين العام	٦١٤
كلمة وزير الأوقاف	٦٢٠
كيف كان عمر مفكراً اقتصادياً ؟	٥٤٩
كيف نفسر هذه الآيات ؟ ...	٨١٤
(ل)	
لا عدوى ولا طيرة	٤٨١
لزوم الزكاة فور وجوبها	٤٢٩
لكل نبي معجزة	٧١٩
لمحات من نظام القضاء في الإسلام	١٣٩ ، ٣٤٨ ، ٨٧٩
لو كنت عنده لغسلت عن قدمه	٢٣٨
(م)	
المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية	٥٩٨
مبدأ وجود جديد وتاريخ مجيد	١
مجلة الأزهر في الجامعة الأمريكية	٥٩٠
المحكم والمتشابه في القرآن الكريم	٣٢٥
مراسلة فقهية بين إمامين كبيرين	٣٥
المرأة والقضاء	١٢١
المرأة التي منعها عذرها من الطواف	٨٤٤
مشاكل القاعدة الشعبية	٢٥٨ ، ٣٨٣
مفاهيم الاستعداد والحذر ...	٥٢٠

الموضوع	الصفحة
ملامح المجتمع المثالي في نظر الإسلام	٦٧٦
مما يكره الإسلام	٦٠
منافق يشتعل من الحقد	٣١٧
من أدب الحرب الصليبية ...	٥٧٦
من أصول الإيمان	٥٠٢
من المبادىء الفقهية التي سبق بها الإسلام	٥٤٦ ، ٧٦٩
منغصات الحياة الزوجية وعلاجها في الأدب الجاهلي	١٧٢
منهج جديد لعلم الكلام	٥٥٤
منهج الرسول في الجهاد	٥١٧
منهج يحيى بن معين في فحص الرجال	١٦٦
من المثل العليا للدعاة إلى الله ...	٨٣٤
الموارد المالية للدولة في الفقه الإسلامي	١٣٤
الموسم الكبير	٨٠٧
(ن)	
نبوءة صادقة	١٠٧
نتائج التملك بوضع اليد	٣٦٠
نحو إنسانية رشيدة في فنون الحرب	٩٢٨
ندوة الأهرام الحرة مع الرئيس القذافي	٢٩٣
نصيب المرأة في الجهاد	١٠٠
نظرات في شعر أبي العتاهية	١٥١ ، ٣٦٧

الموضوع	الصفحة
(ه)	
هذا التركيب الشائع	٧٧
هذه الحرب . ضد الإسلام والمسلمين	٦٥٧
هل هى أزمة فكر . . أم هى أزمة إيمان	٢٢٧
(و)	
واجب المسلمين نحو الاحتلال الصهيونى	٦٧٤
وجوب النفير إلى الجهاد	١٢
الوحدة الوطنية	٥٠٩
الولاية المقيدة للسلطة العامة فى الإسلام	٤٤٥ ، ٧٦٥
(ى)	
يأتمرون بك ليقتلوك	٣٢٩
يا خير أمة أخرجت للناس ...	٧٠٨
يوم الجائزة (قصيدة شعر) ...	٧٥٣

(هدايا صدرت مع مجلة الأزهر)

١ — هجرة الرسول .

٢ — غزوة بدر الكبرى .

٣ — فى ذكرى مولد الرسول .

٤ — البابية والبهائية فى الميزان .

٥ — معارك حول القدس .

٦ — المسكرات والمخدرات .

٧ — رمضان . . صيام نهاره . . وقيام ليله .

٨ — التربية الدينية التى يحتاج إليها العالم الإسلامى .

٩ — الشهداء عند ربهم .

١٠ — كيف يتكون المسلم فى ظل مناهج الإسلام .

● ● ●

circle of light and wherever he goes he will see that light.

Now we turn to those who tried to identify the miraculous aspects of the Quran. Some said this was mainfested in the consistency of its phrases, the spiritual nature of the verses and words, the Quran's revelation of the secrets of the universe, and other interpretations. All this, however, does not represent the truth about the matchless character of the Quran. It is rather an endeavour to explain an exceptional phenomenon; and such phenomenon is explained by every person according to his feeling and intuition. Such interpretations may differ and agree.

Take the example of a group of people standing on the shores of the ocean, including the illiterate, the philosopher, the poet, the engineer, the physician, the astronomer and the chemistry expert. Each one of of them will have a different look according to his feeling intuition and experience; though all of them will equally be astonished, enchanted and admiring.

The same applies to the attitude of people, through the various ages and cultures, towards the Quran. They admire it and feel its authority over them, though the taste of each will be different.

We should like here to portray some positions held by students of the Quran in the various ages with respect to its miraculous and matchless character.

(to be continued)

He was told that it was Quran. He answered saying "This is no Quran. At this point the reader realized that he made a mistake and reread the verse correctly : "God is dear and wise." The Arab then said : Yes this is Quran, the words of God.

Hence, the Quran can defend itself by itself. This is indicated by God's saying : "In truth we have sent down the Quran, and in truth hath it descended."

It is not excluded that there could have been many attempts to change, deviate or blemish the verses of the Quran as part of the war between the various factions ; such factions which used religion as a banner under which to light for the purpose of realizing political aims and communal tendencies. But these attempts failed, as they found out that the essence of the Quran reveals and exposes any intrusion.

It was related that Al Khanssa, the well-known poetess once met Hassan Ibn Thabit, the celebrated Arab poet before the emergence of Islam. As they were at the Market of Oukaz reading out peotry she asked him to read out the best verse of poetry he cherished. When he read out the verse she picked it up and pointed out weaknesses in each of its words, suggesting better ones.

Thus the most celebrated human work of art can be deficient. That brings us back to our original question; is it possible to identify the aspects of the miraculous character of Quran, and if so would not that destroy the claim that the Quran is miraculous and matchless.

To say that there is something that can annul the matchless character of the Quran is absolutely fasle, as it has been proved beyond doubt that the Arabs could not bring up something similar. If they could face this challenge they would have been able to vilify the call of the Prophet.

This is a fact that cannot be suspected and who ever harbours any doubt may take up this challenge.

As for the possibility of determining the aspects of matchlessness in the Quran, the limits of such possibility do not exceed the feeling of admiration and fear that is produced in those who recite or listen to the Quran. But once an attempt is made to find out what gave rise to such feeling, failure is the assured result. A person in this state would not be able to find out the essence of the feeling that is aroused in him ; rather he would find himself in the centre of a

The most eloquent answer to this was that provided by the author of "Mokademat Al Maani" (Introduction to the Meanings). He says: If anyone ever doubts the Quran with its Surahs and verses — the Quran which was recited by the Prophet who defied the atheists to bring something similar, and which was read by the Prophet to the Muhajirin (refugees) and Al Ansar until it reached us — then he may doubt that Muhammed had in Mecca as a Prophet, that he migrated to to Medina, and fought with the disbelievers the battles of Badr, Uhud and the others, and that he died in Medina where he was buried.

We would say that human history knows of no book that has received the same attention as that accorded to the Quran. Such attention was paid by non-Muslims for different purposes some for the sake of truth and some for the sake of evil.

Such was the attention paid to the Quran by the Muslims and non-Muslims that they classified its letters, words, and verse.

The Quran in fact needs of no defence and it undertook the task of defending itself. None would dare change a letter or a word unless the Quran would expose him publicly. The sound eye if exposed to a strange body, would soon expel it by pouring drops of tears on it to send it away.

Ibn Attia, in his introduction to his interpretation of the Quran entitled "Al Ganaih Al Moharrer", says: "The inability of man to match the Quran can be manifested in the fact that a scholar would write a speech or a peom exerting great efforts in producing and improving it. He would then hand it over to another person who would still change and modify it with the purpose of improving it. Even when this is over such work would still be unfinished and would still be subject of controversy.

On the other hand, if one word is detracted from the Quran, and the Arabs as a whole were asked to produce something better than that word they would fail. This is in fact the difference between the words of God and the words of mankind.

Any human speech, no matter how sublime and advanced it may be, could still be subject of criticism. As for the words of God these are based on strong foundations of immortal truth

An Arab once heard one of the verses of the Quran " The man and woman theief cut their hands " and when the reader reached the last part of the verse he recited "God is merciful and compassionate". Here the Arab asked : " What is this „

Quran had disappeared, i. e., much of the Quran used to be recited but people had forgotten it and it was effaced from the sheets.

But this saying should not be interpreted in this way, if the attribution to Ibn Omar is authentic. Ibn Omar also recited the verse in the Quran : "We have revealed the Quran and we shall preserve it". Ibn Omar further believes in the truth of what has been recited from the Quran, so he would not say something which would impair such faith.

This saying should be understood to be an attempt to draw the attention of the reader of the Quran to the endless meanings of the Quran and to its endless resources. If man pauses at one verse for a whole lifetime to contemplate its virtues and goodness he will find an endless supply of them.

However, the meaning of this saying reverts to the meaning of the Quran and the secrets and truths inherent in its verses and words.

If someone reads some verses of the Quran, he should not claim to have grasped and absorbed the meanings to the full. He should realize that he only grasped a little, and that what he did not know was much more than what he could understand.

The phrase : "Much of the Quran has gone" means that the reader missed a lot of the secret inherent in what he read.

Such sayings and the like was misused by people with ill-intentions to contest the validity of the Quran, and the state in which it reached us. The underlying supposition here however is that the Quran is a Divine Book. As for those who deny that the Quran was revealed by God, our difference with them are so great that no path can bring us both together.

Gronebaum, in his book "The Civilisation of Islam", said that among the matters which can in no way be known-on the basis of the remaining information — is to determine the reasons that led the scholar readers, by instruction of of Caliph Ottoman, to organize the revelation left behind by the Prophet".

He then says : It is probable that only a small part of the Quran was lost or forgotten only in 114 Surahs varying in length. Also it is not possible, in each case to present a satisfactory interpretation for the reason why this paragraph meaning verse) was added to that to form one Surah, or why the writers (sic) put the long Surahs first followed by the short ones although the latter in most cases contained old material."

learned the verses by heart. He entrusted some writers who used to take the verses down as revealed to the Prophet.

3) The Prophet and his companions used to read much of the Quran in the different prayers by day and night. Many of them even used to recite all that is revealed of the Quran in their prayers in one day. Added to this is the fact that they used to recite the Quran off times of prayers.

Could it have been thus possible that one word or even letter fall off from the verses communicated by the P ophet to the companions.

4) The Jews, who were men of learning and study kept track of the Prophet's movements and watched the relevation.

They looked for any pitfall or any doubt about the link between the Prophet and heavens. If they had traced such pitfall they would have publicized all over the world out of contempt and hatred. However, the history of the Jews did not include any criticism of the Quran although the Quran dwelt in length about their deception, ill-intentions and defects. With the victory of God and the expulsion of the Jews from the Arabian Peninsula they could have spread lies about the Quran. But God silenced them and they did not utter a single word in attack of the Quran.

This, however, did not prevent them from inventing corrupt interpretations about the verses of the Quran without daring to change one letter or word of it.

5) The many Islamic factions that formed themselves at the early period of Islam involved in many differences and disputes. Each faction wished to maintain leadership and then gave rise to many lies about the Prophet by attributing false sayings to him. Many methods of interpretation of the Quran also evolved, some even going to the extent of atheism. However, none of these factions dared to add or delete one word or letter from the verses of the Quran.

References should be made here to a saying attributed Ibn Omar namely : "Let none of thee say that he hath learned the whole Quran while not knowing what this whole may be. Much of the Quran has gone. But he should say : I have taken of it what was available.

This saying that is attributed to Ibn Omar was advanced by those who claimed that much of the

character of the Quran ? If this so, is the Quran on the verge of losing its matchless character after it had been possible to determine the sources of such character ?

Let us leave this point for a while and then go back to it once we have dealt with some of the aspects portrayed by the students of the Quran. But before doing this let us consider the Quran itself, whether it is divine or earthly i. e., whether is it revealed by God or is it a work of a human being. And if it is from God, has it reached us in the same form as it was revealed, or has it been subject to any change or devoation as in the case of other heavenly books.

If it is established the Quran is from God, that it is the words of God, this would be sufficient to prove the inability of all men to bring forth one verse that is similar to its verses even if they were aided by the world of the jinni. Then I will go on to prove that the Quran we have now is the same that was revealed to the Prophet without any change even to the extent of a letter intruding or a letter falling off. If this is established it would stand as a proof of the miraculous character of the Quran, which owns in itself the power to ward off any attempt at modification or change.

In brief, we shall take up these two points and say that the identity of the Quran – and by this we mean what is now known as the identity card — is the most truthful and clearest identity ever known to history. This is supported by many indications. Among these is that the Prophet did not depart from this life until the entire Quran was preserved in the memory of people and written on sheets. The collection of the Quran by Abu Baker was extremely honest and sincere in the true sense of these words.

Thus we should not heed those who — for the purpose of sedition and casting of doubts – calim that the Quran which used to be read in the time of the Prophet has been lost and that the Surah of Repentance was in the same length as The Cow and all the other lies that seek to cast doubts on the soundness of that Quran.

We would only say the following:

1) Quranic history – as it is known to the Muslims and non-Muslims-affirms that the Prophet used to dictate to his companions what was revealed to him and that they used to learn attentively and carefully all the Surahs and verses.

2) The Prophet did not confine himself to ensure that his companions

possessed or felt by someone. The most one can aspire is to have a passing glimpse, signals or a low whisper that can hardly be heard.

This is the case with artistic facts; they are not naked or absolute facts, but rather facts shrouded in shades like the embryo that moves in a womb.

How would the fact concerning the miraculous character of the Quran be in this case; this fact which transcends all facts in existence ?

2) If it had been possible to trace this fact, it would be easy to tackle it, and to remove the miraculous character of the Quran through bringing about something similar. Whoever knows about the reality of something will find no difficulty in destroying or building it or constructing something similar. It is the failure to identify the nature of the miraculous character of the Quran that puzzled the Arabs most and defeated them. It was this development, in fact, that led to such conflicting views they had voiced about the Quran. Once they called it magic, or the verses of poet, or monk. They were not satisfied with such descriptions in whole or in part and continued in their dilemma till they received the authentic truth.

3) If it were possible to determine the reality of the Glorious Quran, all its secrets would have been revealed and it would not have had such authority over the minds and hearts of people. Writers and scholars would not have dwelled so long over its verses and words and none would have cared to dig up its ever fresh fruits.

Thus we can categorically say that the secret of the miraculous character of the Quran cannot be identified, although we can determine its effects by the greatness of truth emanating from its verses and words and which fill the soul with admiration and astonishment.

Here arises another question namely what about the miraculous aspects that were cited by the students of the Quran. It is true that they differed in fixing them but they agreed that there were certain aspects denoting the matchless nature of the Quran Some people said that this resided in its phraseology, while other said that it resided in its legislations, norms and rules, or in its telling about the unknown. Others considered that it was in the consistency of its meanings, the thing that cannot be found in any human work. Is it valid to say that the identification of such aspects would in itself constitute an identification of the truth about the miraculous

The Miraculous Character of The Quran

By : *Abdel Sattar El Sayed*

Minister of Waqfs, Syrian Arab Republic

— II —

Is it possible to identify one or more aspects of the Glorious Quran?

This may sound as a strange question ; for how can one ask about an established and accepted fact verified by studies carried out by scholars, in the past and at present, to identify the miraculous aspects of the Quran. Such scholars have further agreed on many aspects of the Quran which they considered to be miraculous.

We would say that this question, strange as it is, still needs a sufficient answer for several reasons including :

1) The miraculous character of the Quran is a secret that is inherent in the Quran itself. Its effects may be known but its nature cannot be determined, The miraculous nature of the Quran which defies all capabilities of mankind is an established fact. Whoever finds in himself the power to contest it may do so for he will have only himself to blame if he finally meets defeat.

As for the truth of such miraculous character, there is no way of identifying it.

The Quran is the words of God and the words of God constitute one of his qualities. One can only determine the effects of such qualities but not their truth, as they are beyond the human mind.

Many of the facts at hand are known for their effects but not their essence, such as electricity whose impact we know but we ignore its identity.

The same thing applies to fine arts, like the art of speach, sculpture, pohtography, painting, music and singing. The facts incorporated in such arts arouse the admiration and astonishment of men. Such facts do not appaer on the stage of life in the form of works of art, as clear-out with definite limits as in the case of scientific facts. They are rather like phantoms which appear and then disappear without being

of their own. You have taken them as a trust from God and by the words of God you have made them lawful for yourselves.

Then people, use intelligence and wisdom in the understanding of the words I shall say to you. I have given you that which will always be your guide if you have recourse to it. That is, the Book of God, and the sayings of Muhammad, His Prophet.

O people, listen to my words, and think deeply about them.

Know that every Muslim is the brother of every other Muslim, and that all the Muslims are brothers one to another.

No property of a man is lawful for his brother unless it has been given him freely, so do not do injustice to yourselves.

O God, have I truly proclaimed your commands ?

"Yes, O Prophet of God ! ' cried the gathering, "You have proclaimed to us the commands of God.',

The Prophet then raised his eyes to heaven. " O God,,, he said, "You yourself be our witness this day".

Another translation of this sermon adds these sentences :

"O people, all of you are children of Adam, and Adam was created from dust. There is no superiority for an Arab above a non - Arab, nor for an Arab above an Arab, or for a white above a non - white. All of you are equal. The men honoured in the sight of God are those who fear God most."

These are the main points which the Prophet touched in his speech. The Prophet made it clear that usury is forbidden, bloodshed is forbidden and robbery is forbidden. The rights of wives are defined, and men must be just with their wives and must consider them as a trust in their hands and must do good for them. Brotherhood and equality is the way of Islam, and the only way for people to be in a good position with God is by their good deeds and pure hearts.

These important points were emphasised by the Prophet in the last year of his life, and he died nearly three months after his speech.

It is an example for us Muslims to follow, and we should do our best to study the life and actions of the Prophet (Peace be upon him), because they are a light to guide us.

It means : "This day have I perfected your religion for you, completed My favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion." (4 : 3)

When Abu Bakr heard this, he cried because he felt that the Prophet would soon leave this life.

In connection with this verse it is related that a Jewish man once said to Omar Ibn Khattab :

"There is in your Book a verse, which, if it had been related about us, we should take the day on which it was revealed as a festival". And the man recited the verse. Omar answered :

"By Allah, I know where and when that verse was revealed ; we take the day in which it was revealed as two festivals. for it was revealed on the Day of Arafat, and on a Friday, both of which are festivals for every Muslim".

On that day when the Prophet was standing on Mount Arafat with the Muslims gathered around him, he mounted his camel, and asked the people for their attention. He asked someone to repeat what he had said to give a chance for everyone to hear. He started his sermon by praising God, and said, which means :

" O people, listen carefully to what I am going to tell you, for I don't may be I will not meet you after this in this place.

O people, know that robbery and bloodshed are not proper for anyone.

You will soon see God, and He will caution you about your deeds.

The man with whom anything has been left in trust must return it to its owner.

You must renounce robbery and theft once and for all.

O people, Satan can not hope hereafter that he will be worshipped in your land. For the sake of your faith be warned against him.

The earth has come full circle and has returned to the shape and form that on the day of creation, the heavens and the earth received.

The number of months in God's eyes is twelve, four of which are sacred ; they are Dhu Al-Qaadah, Dhu'l Hijjah and Muharram, which follow each other, and one single month, which is Rajab, which comes between Jamadi and Shaban.

O peope, you have rights over your wives, and your wives have rights over you. On your wives it is encumbent that they should not violate their conjugal faith, nor be guilty of any evil act. If they are so guilty, God permits you to send them away. Act kindly towards your wives, for they are prisoners in your hands ,and have no pow

'Almusdalifa'. The pilgrim reaches the area 'Mina' on the morning of the 10th day of the month of Dhul Hijja, in which the pilgrim casts seven stones known as 'Jamrathul Aqab ,. Then the pilgrim performs the sacrifice of a sheep, a goat, a cow, or even a camel according to the means of him. This ceremony concludes the pilgrimage and the pilgrim now is allowed to shave or cut short his hair and to replace pilgrims clothes by the usual dress.

Before leaving Mecca he has to perform the circuits round the Ka'ba as a fare-well salute to the sacred House. It is called "the fare-well circuits". It is regarded a highly meritarious acts to drink of the water of the famous well near the Ka'ba Known as Zum - Zum well, and go to Medina to visit the Shrine of Prophet. Then the Pilgrim returns back with heart - felt pleasure and satisfaction.

THE FAREWELL PILGRIMAGE OF THE PROPHET

In the month of Dhul Qaadah, in the tenth year A. H., the Prophet (Peace be upon him) decided to go for pilgrimage, and he made an announcement to the Muslims, inviting them to join him. It is related that nearly a hundred thousand Muslims from throughout Arabia joined the Prophet on that pilgrimage.

When they arrived at Mecca, the Prophet stood on the Mountain of Arafat and addressed the Muslims. He gave a sermon which is known in Muslim history as the Farewell Speech, in which he emphasised many Islamic principles. We will cover this sermon in detail later.

It is related that the Day of Arafat fell that year on a Friday, and therefore they called it Al-Fajj al-Akbar, the Greatest Pilgrimage. Muslims always feel happy when the Day of Arafat falls on a Friday, because of the blessing of that day.

On that particular day, the Prophet (Peace be upon him) received the revelation of a verse from the Holy Quran which said that his mission was completed. Some Muslims, like Abu Bakr (may Allah bless him) understood this, and could not stop themselves from crying.

This verse says :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً . »

(المائدة ٣)

those who bow and make prostration. And proclaim unto mankind the pilgrimage. They will come unto thee on foot and on every lean camel; they will come from every deep ravine. That they may witness things that are of benefit to them, and mention the name of Allah on appointed days". (22 : 20 - 28)

The pilgrimage was enjoined in the 9th. year after Hijrah. This is to be performed in the first nine days of Dhul hijja. The Holy Quran honors the months of pilgrimage and calls them the sacred months because fighting, war and aggression were prohibited in those months since the building of the sacred House. The Holy Quran declares :

"Lo ! The number of the months with Allah is twelve month by Allah's ordinance in the day that He created the heavens and the earth. Four of them are sacred : that is the right religion, so wrong not yourselves in them". (9 : 36)

The months of pilgrimage are Shawwal, Dhul Qada, Dhul Hijja and Muharram. This tradition was meant to give security the pilgrims and the visiters to Mecca.

The first thing to be done in pilgrimage is the entry into the state of pilgrimage by "Ihram". Ihram has two aspects : the first is to declare the intention to perform pilgrimage for the sake of God. The intention combined with casting off all seamed and sewen clothes and shunning all kinds of luxury, ornamentation, obscene talk and offences As regards women pilgrims they are clad in a long garment reaching from head to foot and revealing only the face and palm of the hands. The second aspect of Ihram is the call of 'Talbia'. Entering the state of 'Ihram' the pilgrim shall raise his voice and say : (لبيك اللهم لبيك) (Here I am, O my Lord at your Presence). This is the sign of obedience to show himself completely to the ordinance of God.

The other important requirement is making circuits round the Ka'ba, called 'Tawaf'. When the pilgrim reaches Mecca, goes round the Ka'ba seven times beginning from the side of the Black stone. The next step is running between 'Safa and Marwa' seven times beginning with Safa and ending with Marwa. Then the pilgrim starts for going Arafat provided he reaches his destination on the 9th day of the month of Dhul Hijja. The devotion of standing at Arafat is the most of all pilgrimage actions, so that the Prophet said : "pilgrimage is standing at Arafat."

When the pilgrim leaves Arafat he passes by the place known as

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

Dhu'l Hijjah 1392 | ENGLISH SECTION | January 1973

THE PILGRIMAGE IN ISLAM

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

Pilgrimage is a spiritual provision for the Muslim. It fills his soul with obedience, fear of God, repentance from sins, love for the memory of the struggle between right and worng; and it reminds him of the over throw of the idols and establshment of the worship of the One God. The Pilgrimage fills his heart with the brotherly feelings because it bids him remember that all his brother Muslims are facing towards the same sacred spot; that he is one of a great company of believers; united by one faith, filled with the same hopes, reverencing the same things and worshipping the same God. It moreover may be considered a world conference for all Muslims; a conference that is called for by God for the noble purposes. There around and inside the Sacred House of "the land made safe", the Muslim meets his brothers in religion from all parts of the world. Differences of color, race and nationality are levelled off and real bond among them is sincere brotherhood. In the conference of pilgrimage Muslims meet in the service of God exchanging ideas, investigating their problems and strengthening the bonds of fraternity and unity. The pilgrimage also adds to man's knowledge and experience : The Quran says : "And (remember) when We prepared for Abraham the place of the (Holy) House, saying : Ascribe thou nothing as partner unto Me, and purify My House for those who make the round (thereof) and those who stand and